

العدد ٨٣٥ — الاثنين ٤ يوليو ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 em Année No. 835

Lundi — 4 — 7 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ــــــ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــــدد ٨٣٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٨ رمضان سنة ١٣٦٨ — ٤ يوليو سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

١٠ – أمم حـــــائرة

سبل الهدى والطمأنينة

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

وزير مصر المفوض بالمملكة السعودية

عرضتُ جوانب من قلق الآراء واضطراب الأعمـال فى مدنيتنا هذه، وذكرت مواطن تسرب إليها القلق وكانت جديرة أن تنجو منـه؛ وبدت فيها بوادر الخلل وهى خليقة أن تنأى عنه، وذكرت الحكومات والقوانين والصحف والنساء والأسَر والآن أفصل القول، بعد إجماله، فى السبب الذى تنشأ عنه هذه العلل، والأصل الذى تتفرع منه هذه الأدواء لنعرف الدواء ونلتمس الشفاء:

لابد للنفس مما يقيمها على طريقة، ويسيرها على نهج، ويوجه رغباتها وجهة واحدة، ويجمع نزعاتها على سنة بينة. فكلما همت بأمر رأت أمامها سبيلا واضحـة ولم تشتبه عليها المناهج، ولم تضطرب بها الآراء وتتجاذبها الأهواء. وكلما حزبها أمر لم تتبلد ولم تذهب شعاعاً؛ بل تعمد إلى عدتها من الآراء القويمة والمذاهب المستقيمة، فتعرف ما تفعل وما تجتنب، وما تأخذ وما تدع.

والذى يقيم النفس على طريقة، ويعرفها منهجها فيما تهم به، وفيما ينزل بها، هو العقائد الراسخة، والقوانين الواضحة، عقائد الدين، وقوانين الأخلاق، وشرائع الأمة كلها. فإذا ثبتت النفسَ العقائد، وقومتها الآداب، ووضحت أمامها القوانين، خضعت أهواؤها للحق، واتفقت نزعاتها على الخير، وسارت فى أعمالها على قوانين تطمئن بها، وتسكن إليها، وتحرص عليها، ولم تشتبه عليها السبل، وتنبهم أمامها الغايات.

وإن لم تئِل النفس إلى عقائد بينـة، وترجع إلى مذاهب معروفة، لم تستطع السير على طريقة، ولا العمل على قانون، واضطربت فى شدتها ورخائها، وحربها وسلمها، وكانت نهباً لنزعات مختلفة، وآراء متشاكسة، وتذبذبت بين دواعى الوقت وخطرات الساعة، واختلف عملها بين الحين والحين، ولم تثبت فى المحن، ولم تصبر فى الشدائد، وكانت عرضة للحيرة كل آن. والحيرة هى تفرق الفكر، بل تقسم النفس، ولا يبلى الإنسان فى حياته بشر من الحيرة، وكثيراً ما أقدمت بالإنسان على الهلاك.

إن نزعات الإنسان كثيرة مختلفة، نزعات إلى اللذة وإلى الغلبة والسيطرة وإلى إيذاء من يخالفه، وحسد من يفضُله، والبغى على من يحسده، وإلى جمع المـال والحرص عليه. وهو يحب ويبغض، ويسكن وينفر، ويرضى ويغضب، وفى كل هذا نزوات ونزعات.

ومواضع هذه النزعات كثيرة لا تحد، تعرض الانسان كل حين، وفى كل مكان، فهو إن لم يعتصم بالعقائد والمذاهب يمضى على غلوائه إلى أهوائه، ويضطرب فيأخذ الشىء حيناً ويدعه حيناً، ويبهج السبيل وقتاً ويحيد عنه وقتاً. شريعته رغبته، وقانونه نزعته. وكيف تكون الرغبات المتغيرة والنزعات المتقلبة شريعة أو قانوناً؟ وهذا فرق ما بين الخير والشرير، والمصلح والمفسد.

وإذا حار الإنسان أو سار على هواه، اضطرب فى نفسه، واضطرب فى جماعته، وصادمت أهواؤه أهواء غيره، فصار أمره فى الجماعة نزاعاً وشقاقاً، واختلافاً وافتراقاً.

وهذه النزعات كثيرة كثرة الحسيات المحيطة بالإنسان وهي لا تعد، والجزئيات التى تتعلق بها رغبته وهى لا تحصى؛ فلا بد من عقيدة أو مذهب يرد هذه الكثرة الحسية إلى معنى جامع من معانى الخير أو الشر، فيسير الإنسان على قانون من التحريم والتحليل، والعرف والنكر. فإذا التزم الإنسان العدل والإحسان — مثلا — حسنت له آلاف من الأعمال الجزئية التى يرى فيها معنى العدل أو الإحسان، واستقام على هذه الطريقة لا يتردد فى كل حادثة، ولا يتحير فى كل جزئية. وإذا كره الجور والإساءة فكذلك يتجنب آلافاً من الأعمال يدرك فيها معنى الجور والإساءة. وهكذا تجمع معانى الخير والشر فى نفس الإنسان، هذه الجزئيات التى لا تنتهى، وتردها إلى كليات يشرع بها قوانين يسار عليها.

وإذا انتقلنا من الجزئيات الحسية إلى الكليات المعنوية، فقد انتقلنا من العالم الخارجى إلى النفس، ومن الماديات إلى المعنويات، ومن الجثمانيات إلى الروحيات. يجب أن نزكى النفوس ونزيدها إدراكا للمعانى وكلفاً بها، حتى تسيطر على الحسيات سيطرة كاملة، فتعمل الخير وتجتنب الشر، غير مبالية بآلاف الصور الحسية وآلاف اللذات الجزئية.

ويسمو الإنسان شيئاً فشيئاً إلى إدراك اللذات المعنوية التى لا تحد ولا تنتهى، ولايقدُرها قدرَها إلامن عرفها وأنس بها، ويتمكن الإنسان فى عالم المعانى، حتى يسمو على الحدود، حدود الزمان والمكان والأشخاص، فتتسع حياته، وتعظم همته، ويكلف بكل جليل، وينفر من كل حقير، ويُكبر بالقوانين العامة، ويستصغر المنافع الخاصة.

إذا جمعت النفس الواحدة هذه المعانى أو هذه القوانين، وجمعت الأنفس الكثيرة أى الجماعة أو الأمة هذه المعانى وهذه القوانين، استقام الواحد على طريقه مؤتلفاً مع كل واحد، وسارت الجماعة فى طريقها متآلفة متحابة.

وحينئذ يكون سعى الواحد لنفسه وللجماعة كل حين، إذ التأمت منفعته ومنفعتها بهذه القوانين الجامعة المؤلِّفة، وكان صلاحه صلاحها، وفساده فى فسادها.

وترقى هذه المعانى فى النفوس وتتمكن حتى يجد العامل الخير كل الخير، واللذة كل اللذة، فى إعطاء غيره بالعدل، وفى حرمان نفسه بالعدل، وحتى يكره كل الكراهة أن يأخذ ما ليس من حقه، ويأبى كل الإباء أن يستمتع بما يؤذى غيره، بل لا يجد فيها لذة ومتاعاً، ولكن ألماً وندماً.

ثم ترقى هذه المعانى فى النفوس وتتمكن، حتى يبلغ الإنسان المرتبة التى سماها بعض الصوفية مرتبة الكلية، وهى المرتبة التى بلغت بأحد المتصوفين أن يقول: «أشعر بأنى مأخوذ بذنوب الناس كلهم». كأنه ارتكب كل ما ارتكب الناس من ذنوب، فهو يألم لها ويخاف عاقبتها.

* * *

والجماعة كالنفس الواحدة تؤلف بينها العقائد وتهديها الشرائع، وتنشئها التربية على العمل بالعقيدة وإطاعة الشريعة، فتجتمع آحادها، وتتعاون أفرادها، فتلقى الحوادث بعقائد تثبتها، وشرائع تقومها، مجتمعة غير متنافرة، متعاونة غير متخاذلة، فتسير إلى غاية معروفة، على سبيل بينة، قوية على السير، متعاونة عليه، محتملة كل مشقة، مقتحمة كل عقبة.

والأمة التى لا تضمر عقيدة صحيحة، ولا تطيع شريعة قويمة، ولا يؤلف بينها نظام جامع، لا يثبتها فى اللزبات إيمان ولا خلق، فتلقى الخطوب فزعة هلعة، متدابرة متنافرة، متجادلة متلاعنة، كثلة من الغنم تفجؤها الذئاب.

فالعقائد والمذاهب والشرائع هي وسائل الوفاق فى النفس

الواحدة ، وفى الجماعة ، وعلى قدر قوتها وصحتها تكون قوة الائتلاف وصحته ، وتكون استقامة الواحد والجماعة على العمل الصالح ، والدأب على المسير والصبر عليه ، والثبات فى الشدائد حتى تزول ، والتجلد فى الغمرات حتى تنجلى . وفى القرآن الكريم : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم » . «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ويضل الله الظالمين ، ويفعل الله ما يشاء » .

وسنبين من بعدُ الأصل الذى ترجع إليه فروع الإيمان الصحيح ، والقاعدة التى تقوم عليها طمأنينة الناس ونجاتهم من الضلال والحيرة إن شاء الله .

(للكلام صلة) **عبد الوهاب عزام**

مستقبل الشعر

للأستاذ يوسف البعيني

أجمع فريق من الحكماء والمصلحين وفى طليعتهم الموسيقى البولونى المشهور أنتون بادريسكى على أن الفنون الجميلة تسير بخطى واسعة نحو الفناء . ومما قاله ذلك العبقرى الموهوب أن تلك الأنغام العميقة التى كانت ترفع الروح إلى الملأ الأعلى توارت أمام الموسيقى الأميركية الحديثة .

لقد صدق هذا الفنان فى تعليله ؛ فإن رجل الفن كان فى الماضى البعيد يغذى عبقريته بجمال الطبيعة . أما الآن فهو لا يعنى بإغناء موهبته وتهذيبها ، إذ طغت موجة المادة وتبدلت أغراض الحياة فاختلفت عما كانت عليه فى سالف الأجيال .

ليس من ينكر أن عصرنا هو عصر الراديو والسيطرة على عناصر الوجود . فالذوق البشرى يتجه اتجاهاً نحو المادة هازئاً بالروح . وقد نجم عن ذلك أن تدني مستوى الموسيقى والشعر وسائر الفنون . وكما أن الآلة لا تفهم الفن ، فهل يفهمه الإنسان المستعبد للآلة ؟

إن فن الرسم ، وهو من أرقى الفنون ، فقد كثيراً من روعته بسبب اختراع آلة التصوير . وقد لاحظ أحد الرسامين أن الفنان فى الماضى كان يعنى عناية خاصة بإعطاء الصورة ملامح الوجه وتقاطيع الجسد — وهذا يظهر جلياً فى رسوم رفائيل وليونارد دى فينشى ولا كروا وسواهم — بينما نرى أكثر مصورى اليوم يهتمون بتصوير خطوط سطحية دون أن يعنوا بإيجاد الفكرة والمقاصد النفسية والخلقية فى الإنسان .

وما يقال عن فن الرسم يقال كذلك عن الموسيقى ، إذ أن الموسيقى الكلاسيكية لا تزال مرجعاً للناس فى هذا العصر . ولم يظهر حتى اليوم من تفوق على بيتهوفن وباخ وموزار وشوبين وبيزيه وفردى — فى زمن نرى فيه من يخترع القنبلة الذرية بدلا من أن يخفف مصائب المجتمع .

***

فإذا كان الرسم والموسيقى قد منيا بالرزيئة الفادحة فهل يتمتع الشعر ، وهو أجلى مظهر من مظاهر الألوهة فى الإنسان ، بتلك المنزلة التى كان يشغلها قديماً ؟

لقد كان للشعر دولة وأعلام فى الغرب ؛ أما اليوم فنرى نظماً لا شعراً ، وقشوراً لا لباباً ، وقتاماً لا نوراً . والسبب الوحيد هو أن الإنسانية أشاحت عن جوهر الجمال إلى مساخر مموهة بالطلاء والمساحيق . ومهد لهذه الحالة ما عصف بالمجتمع من زعازع ، وماروعه من مصائب ، فأفلتت أعنة الشعر من أيدى الشعراء وراح بعضهم يجشم الألفاظ والبحور ما لا طاقة لها به .

كان الشاعر يحمل على جبينه نجمة الإلهام فيتقوى على النوائب ويخوض الظلمات غائصاً إلى الأعماق ، فصرف نفسه عن الهدف المقصود متلهياً بالأوضاع السخيفة تلهى الطفل بالأكر ... وهكذا فقدت الحياة تلك الروعة التى كانت ترفل فى أوشحتها المفافة .

فإذا لم يتحرر الشاعر من مادية هذا العصر ويعمد إلى قيثارته القديمة فإن الشعر سائر إلى الموت .

هذا — وهل يستطيع أن يسمعنا أنغام الحياة بما فيها من خير وشر وقبح وجمال غير الشاعر ؟ وهو لا يؤدى رسالته فى الناس إلا حين يصور لهم أحزانهم وأفراحهم ، ويهديهم إلى مواطن الحق حيث تسود الميول والعاطفة والإحساس .

وكيف ترتاح النفوس إلى الشاعر إن لم يحمل إليها الأمل والتعزية ، ويوفر لها تلك الحياة الجميلة فى شتى نواحيها ؟

وهذه الحياة التى نريد أن يخلقها الشاعر لا نعثر عليها فى منتجات شعراء العصر بسبب المادة التى استأثرت بشعرهم فأفقدته تلك الحرارة بفقد العوامل التى كانت تثيره وتطلقه شملاً زافرة على آفاق المجتمع . وهكذا اختل نظام الشعر — وما كان الشعر إلا دموع الإنسانية تنحدر قطراتها بلسماً على جراحه .

***

وبعد . فيستطيع الإنسان أن يبنى القصور ، ويحشد الثروات ، ويستعمر الأرض والفضاء ... يستطيع أن يفعل كل شىء ، لكنه إذا تغافل عن الشعر فإن حياته تمسى عارية جرداء . والغرب لو لم يخنق عاطفته وشعوره ما كان ليعانى اليوم أكبر أزمة فكرية فى تاريخه .

إن مستقبل الشعر بين الموت والحياة . فعلى الملهمين من أبناء الحياة ، وقد سطروا القيم الخالدة على مدار العصور ، أن يحتضنوا الشعر ويغذوه بجمال الطبيعة ليقوى على مواكبة الأجيال .

يوسف البعيني
من العصبة الأندلسية

المثـــل الأعلى

للأســتاذ أحمد أحمد بدوى

من أهم وسائل النجاح فى الحياة أن يحدد المرء له هدفاً يجعله غاية يسعى إليها ؛ لأن تحديد الغرض يمكّن صاحبه أن يتخذ له من الوسائل ما يضمن تحقيقه والوصول إليه ، أما هؤلاء الذين يسيرون فى حياتهم بلا هدف معين ، فهم كالذين يخبطون فى الصحراء على غير هدى ، قد تقودهم أقدامهم إلى بلد أمين ، وقد يرديهم الجهل والتخبط فيهلكون .

والمثل الأعلى نوع سامٍ من أنواع تحديد الهدف ، لأنه الغاية القصوى التى يراها الإنسان منتهى آماله ، ويعد نفسه سعيداً ناجحاً إذا انتهى به المطاف فى الحياة إليها ؛ فهو للإنسان كالمنار الهادى ، يجذبه بنوره ولألائه ، ويضىء له مسالك طريقه ويرشده إن انحرف أو ضل ، ويغريه إن يئس أو مل .

وهو يختلف باختلاف الناس ، فما يصلح أن يكون مثلا أعلى للتاجر ، لا يصلح أن يتخيره الصانع ، والزارع والمصلح والكاتب والسياسى ؛ لاختلاف كل فرد منهم فى غاياته ومراميه ، كما تختلف المثل العليا باختلاف عزمات الناس ؛ فما يتخيله صغير الهمة مثلا أعلى لا يرضى به الطموح ، ولا يقنع بالوقوف عنده :

على قدر أهل العزم تأتى العزائم   وتأتى على قدر الكرام المكارم
وتعظم فى عين الصغير صغارها   وتصغر فى عين العظيم العظائم

والغاية التى يسعى إليها المرء لا تسمى مثلا أعلى إلا إذا تحقق فيها شرطان أساسيان : أولهما أن تكون بعيدة المنال ، تحتاج إلى أمد طويل فى تحقيقها ، بل قد تحتاج إلى الحياة كلها . فالآمال التى يمكن أن تنال فى بضعة أعوام لا تدعى مثلا عليا ، فأن تكون مهندساً أو طبيباً أو قاضياً ليس من المثل الأعلى فى شىء ؛ ولكن أن تكون كبير المهندسين أو شيخ الأطباء أو قاضى القضاة هو المثل الأعلى الذى تكرس على نيله الحياة . وثانيهما أن تتطلب فى الوصول إليها جهداً غير عادى ؛ فما يمكن أن تناله من الرقى بمرور الزمن وحده لا يعد مثلا أعلى ، أما ما يحتاج منك إلى المشقة ، ويكلفك الجهد ، ويدفعك إلى العناء ، وكثيراً ما يحملك على أن تنهج نهجاً غير مألوف ، وأن تخترق الطريق من غير مواضع بدئه ونهايته فذلك هو المثل الأعلى .

يتخذ المرء مثله الأعلى شخصاً حيا يرقبه من قريب أو من بعيد ، أو شخصاً تاريخياً تبهره عظمته ، أو فكرة نبيلة تملكه ، ويهب حياته لتحقيقها ، فالتاجر مثلا قد يتخذ تاجراً آخر ناجحاً موفقاً مثلا أعلى له فى الحياة ، والحاكم قد يتخذ عمر بن الخطاب أسوة له حسنة ، والمصلح يتخذ فكرة صالحة مثلا أعلى يسعى لتحقيقه .

وإذا اختار الإنسان مثله الأعلى شخصاً حيا أو تاريخياً استطاع أن يدرس سيرته ، فيلمس فيها نواحى القوة والعظمة ، ويدرس المناهج التى اتخذت لتذليل الصعاب وتحطيم العقبات ، والوسائل التى اتبعت لنيل الظفر والفوز بالنجاح ؛ فتشحذ هذه الدراسة من عزيمة المقتدى ، ويرى فيها الدروس الصادقة الواقعية . غير أن الواجب فى الاقتفاء ألا يلغى المرء شخصيته فيكون ذيلا

لسواه ، لأن إضعاف الشخصية ، ينافى طلاب الكمال والتسامى إلى المجد . والتقليد إنما يحصل فى نوع الفضائل التى تبهر كعدل عمر وصلابته ، ووطنية مصطفى كامل ومثابرته ، وقوة المتنبى وفحولته ؛ أما إذا اتخذ الشاعر شاعراً آخر مثلا له ، وظن أن معنى المثل الأعلى تقليده فى أفكاره ، والسرقة منه فى معانيه ، فإنه يعيش عيلا عليه ، لا يرتفع إلى مستواه ، ولا يمنحه الناس من الإجلال ما يمنحونه لمن يقلده ، فاحتفاظ المرء بشخصيته ، وطبع أعماله بطابع هذه الشخصية شرط أساسى للنجاح ونيل المجد .

كيف نختار لأنفسنا مثلا عليا ؟ ومن أين نأخذها ؟ وكيف ننجح فى الوصول إليها ؟ مسائل ثلاث مهمة ؛ فإن نجاح المرء فى الوصول إلى المثل الأعلى يتوقف إلى حد كبير على اختيار هذا المثل ؛ ولا يكون الاختيار حسناً إلا إذا عرف المرء نفسه ، ودرس اتجاهاته وميوله ، وعرف مقدار ما لديه من قوة الإرادة وصلابة العزم ، ثم بنى اختياره على أساس من هذه الدراسة الدقيقة . والإخفاق إنما يأتى من غرور المرء بقوته ، وظنه أن له من المزايا والصفات ما ليس له ، أو من خطئه فى تعرف ميوله واستعداده ، فيضل الطريق ويتيه ، فإذا كانت استعدادات الإنسان وميوله تتجه مثلا إلى التجارة ، والتصرف فى شئونها ، فليختر مثله الأعلى المجد التجارى ، وليثق بأن النجاح سيكون حليفه . أما إذا اختار أن يكون مثله الأعلى كاتباً يشار إليه بالبنان فهنا يكون الإخفاق ولا يتم الظفر بإحدى الغايتين .

والمثل العليا لها مصادر شتى ، منها كتب التاريخ ، فهى حافلة بالنماذج السامية للانسانية ، يستطيع القارىء أن يتخذ منها ما يتفق مع ميوله وما يراه جديراً بالتأسى والقدوة . فى تلك الكتب يجد الحكام والزعماء والعلماء والمخترعون مثلا تهديهم وتنير لهم السبيل .

ومن تلك المصادر أيضاً كتب السير التى تتخذ موضوعها شخصية ناجحة تدرس حياتها ووسائل نبوغها ، والأسباب التى مهدت لها سبل الفوز والنجاح . وبهذه المناسبة أرى أن التأليف العربى ، يجب أن يعنى بتاريخ العصاميين الذين نجحوا فى حياتهم من التجار والصناع والزراع حتى نضع بين أيدى النشء نماذج لأنواع المثل العليا .

ومن مصادرها المسرحيات التى يكون من أغراضها تصوير السمو الإنسانى لبطل حقيقىّ أو متخيل ، وكذلك الروايات والقصص التى تعالج هذه الناحية السامية .

ومن تلك المصادر الشعر أيضاً ؛ فقد حفظ لنا صورا لنماذج ممتازة من الناس ، ومثلا راقية من الأخلاق . ومنذ القديم يضع القادة الشعر فى قائمة تربية الناشئين ، وغرس المثل العليا فى نفوسهم . وللشعر أثر كبير فى توجيه النفس نحو الكمال ، والبعد عن الصغار ، وها هو ذا معاوية بن أبى سفيان يتخذ مثله الأعلى بطلا يأبى الفرار من ميدان القتال مهما كان الثمن :

حدث معاوية قال : « اجعلوا الشعر أكبر همكم ، وأكثر أدبكم ، فقد رأيتنى بصفين ، وقد أتيت بفرس أغر محجل بعيد البطن من الأرض ، وأنا أريد الهرب لشدة البلوى ، فما حملنى على الإقامة إلا أبيات عمرو بن الإطنابة :

أبت لى همتى وأبى بلائى ... وأخذى الحمد بالثمن الربيح
وإقحامى على المكروه نفسى ... وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدى أو تستريحى
لأدفع عن مآثر صالحات ... وأحمى بعد عن عرض صريح »

وقد صدق أبو تمام حين قال :

ولولا خلال سنها الشعر ما درى ... بغاة الندى من أين تؤتى المكارم

هذا وفى الحياة أمامنا نماذج صالحة لأن تكون مثلا عليا ؛ فلدينا عصاميون جعلوا وسيلتهم إلى المجد همة ماضية وعزيمة قوية ، وهم شواهد حية على أن المرء يستطيع أن يحقق مطامعه إذا أراد وعمل .

والطريقة الفضلى لتحقيق المثل الأعلى أن نرسم الخطط والوسائل التى تصل بنا إليه ؛ فإننا إذا حددنا المنهاج وضح أمامنا الطريق ، ورسم الخطة يحتاج إلى تفكير عميق ووزن دقيق للأمور واستفادة من تجارب الآخرين . ومن الواجب أن تكون الخطط التى تصل إلى المثل الأعلى متنوعة متعددة ؛ فإذا نال المرء الإخفاق فى واحدة ، لم يكن لليأس سبيل إلى نفسه ، ولم يصطدم بهذا الإخفاق ،

بل يكون قد أعد العدة من قبل لينهج نهجاً آخر يصل إلى الغاية عينها ؛ أما إذا رسم لنفسه خطة واحدة ، ولم يفكر فيما يصنعه إذا أصيب بالإخفاق فيها فإن الصدمة تكون قاسية إذا فشل قد تقضى عليه وتحطمه . والمرء حين يضع الخطط يقدر دائماً أن كل خطة منها عرضة للنجاح والفشل ، لأن ظروف الحياة لا سلطان لأحد عليها حتى يكيفها كما يريد . فليقدر المرء إذاً حين يخطو كل خطوة أنه قد يفوز وقد يخفق ، لأن هذا التقدير يحول بينه وبين الصدمة إذا لم تنجح خطوته ، فيعود من جديد ليحاول محاولة جديدة . والذى يصمم على النجاح لابد أن يظفر به ولو كانت الخطوات الأولى فى سبيل أمله فاشلة غير ظافرة :

ومغالب العقبات حتما غالب إلا إذا اطرح الجهاد وقصرا

فأول شرط النصر — كما يقولون — إرادة النصر . والتصميم على الظفر يسهل على المرء بدء المحاولة من جديد إذا أخفق ، كما أنه يحول بينه وبين اليأس الذى هو أعدى أعداء المثل العليا ؛ لأن اليأس رضا بالخيبة واعتراف بالضعف ، ووقوف فى منتصف الطريق ونكوص عن الجهاد . ومن أين لليائس أن يظفر بغايته وقد رضى أن يضع سلاحه ويستريح :

لا تيأسنّ وإن طالت مطالبة إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

ومن بواعث اليأس فى النفس التفكير فى ماض مخفق ، والحزن على ما أفلت من فرص ، فإن ذلك الحزن يضعف قوة المرء على الجهاد . وإنما يفكر المرء فى الماضى لا ليحزن على ما فات ، ولكن ليتخذ من أغلاطه عظة ودرساً فى قابل الأيام !

إن من يهيء نفسه لنيل مثل أعلى يجب أن يعلم أن الطريق إليه شاق طويل ملىء بالصعاب والعقبات ، وأن لا سبيل إلى قطعه إلا إذا كان لديه ذخيرة كبيرة من الجلد والمثابرة ، فإن بلوغ الآمال لا يتطلب منا ذكاء نادراً ، ولكنه يتطلب الصبر والمثابرة . سئل بعض المربين عن شروط النجاح فقال: ثلاثة : أولها المثابرة ، وثانيها المثابرة ، وثالثها المثابرة .

كما أن التفاؤل يجب أن يكون رفيق المرء فى هذا الطريق ، لأن التفاؤل يبعث فى النفس سروراً ، والسرور يضاعف قوة المرء على الاحتمال ، وعلى تخطى الصعاب والعقبات ؛ وليس معنى التفاؤل تقدير النجاح فى كل خطوة ، ولكن معناه تقدير النجاح النهائى ، واعتقاد أن الفشل عارض من المستطاع التغلب عليه .

هذا ، وعلى من يريد المثل العليا أن يحاسب نفسه فى الحين بعد الحين ، ليرى مقدار ما قطع من الطريق ، ومدى نجاحه فى خطته ؛ ليعدل منهجه إذا احتاج إلى التعديل ، ويستفيد من أخطائه إذا هفا وزل .

ومن ذلك يتبين أن المثل الأعلى ليس أمنية تتمنى ، ولا أملا يرجى ، ثم يقف المرء عند التمنى والرجاء :

فما طلب المعيشة بالتمنى ولكن ألق دلوك فى الدلاء

فهو هدف يجاهد المرء فى سبيله ، ويكرس له حياته واضعاً نصب عينيه قول أبى تمام :

بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها تنال إلا على جسر من التعب

أحمد أحمد بدوى
مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

فلسفة طاغور الأخلاقية :

حقيقة المـــوت لا تبعث على التشاؤم

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكى

إن خوف الهند التقليدى من المرض والشيخوخة والموت خوف قديم قدم حضاراتها الأولى ، إذ كانت الهند منذ أن عرفها التاريخ موطن الأمراض المعدية المهلكة التى تحصد الناس حصداً ، ومرتعاً خصيبا للأوبئة الفتاكة التى كانت تجتاح البلاد من أقصاها إلى أقصاها ، وتنزل بأهلها السقام

فأشاع أنين المرض الفزع فى النفوس ، وعدت الأوبئة من تلك الأحداث الفاجعة التى تحض على كراهية الحياة ، وتحث على الهرب منها . ولم يكن للشيخ مكانة محترمة فى هيئة إجتماعية مزحومة بالسكان ، لعجزه عن القيام بمطالب الحياة الضرورية ، واعتماده على غيره فى كل شيء . بينما الموت الذى لا يعبر إلا عن نهاية الحياة ، كان أشد الأحداث الإنسانية وقعا فى نفوس الهنود الذين أفقدهم الموت الأمل فى جدوى العيش فى كنف عالم لن يفلت فيه أحد من شر المنية .

ولقد كان لهذه الوقائع الثلاث أثر ملحوظ فى الحياة الهندية الروحية لوّنها بلون قاتم نشر فيها التشاؤم ، وبغض الهنود فى الإندماج فى الحياة العامة ، وأصبح مثلهم الأعلى هو تجنب كل مايتعلق بالدنيا من أمور عارضة ، لأنها تجلب الآلام؛ والانغماس فيها لا يثير إلا القلق والخوف والشك . فاستطاب الهنود إعتزال المجتمعات حتى لا يتعرضوا لأى نوع من الأذى يملأ قلوبهم بالأسى والشجن .

وما هجر بوذا قصر أبيه الملكى إلا بدافع من الفزع من الموت والشيخوخة والمرض ، وما تخلى عن حياة الترف إلا ليدفع عن نفسه عذاب الدنيا الذى تمثل له فى هذه الأحداث الأليمة التى صبغت تفكيره بصبغة سوداء ، وشكلت وجدانه فى قالب حالك ، فرأى العالم غارقاً فى الآلام ، واعتقد أن الحياة سلسلة لا تنتهى من الأحزان لن يخرج من دائرتها أحد مالم يعتزلها ، ويرضى بعيشة الزهاد .

أما طاغور فلم يجزع من الحياة جزع بوذا ، ولم يطرأ على باله أن ينسحب منها ، ويأوى إلى زاوية نائية يعتزل فيها الناس ، ويعيش فى كهف أو غار عيشة الرهبان ؛ بل رأى أن الخلق انطلق من السرور اللانهائى حينما غمر الخالق هذا السرور ، وأن سعادة الحياة فى عودة الإنسان إلى مصدره الأصلى أى إلى السرور . فالخلق يخرج من السرور بالسرور ويرجع إلى السرور ، والحياة قائمة على السرور تستمد منه نشاطها وتطورها ، بل هو حافزها إلى التقدم والرقى . وإن كانت هذه الآراء أفكارا هندية قديمة ، فإن طاغور أضفى عليها من ضياء نفسه ما جعلها تبدو كأنها صادرة منه ، ولم تصدر من أحد قبله ، لأنه أعطاها قيمة أولية ، واتخذ منها مبدأ يزيل به ما يعلق بالنفس الهندية من نزعات تشاؤمية ، حببتها فى حياة سلبية اعتزالية بعيدة عن ميادين الأرض الحيوية ، مما حمل المستشرقين على إتهام العقلية الهندية بأنها تقف من الحياة موقفاً سلبياً ، وتعجز عن الإندماج فيها ، ولا تقدر أن تسلك طرقاً إيجابية فعالة تفيد الإنسان فى عيشته الواقعية أوتقدم ركب الحضارة الإنسانية .

ولكن ما الذى يفزعنا من المرض والشيخوخة والموت ما دمنا نعلم أننا إنبثقنا من السرور بالسرور ، وأننا يجب أن نسعى لنعود إلى السرور إذا أردنا أن نعيش فى سعادة لا يشوبها ألم .

لا ريب أن تحقيق وحدة الوجود بتلاشى الفرد فى النفس الإنسانية ثم فى محتويات الطبيعة ، هو السبيل المباشر لذلك السرور . لأن فناء الفرد فى النفس الإنسانية يتطلب التمثل بقوانين النفس الأخلاقية عن طريق خوض المجتمعات الإنسانية ، حتى تمتحن أعماله ، وتختبر مشاعره ، ويتأكد من صفاء نيته فى الاتحاد بالله .

فإن جاهد فى سبيل الله ، وعمل على رقى الحياة البشرية ، ولم يبال بما يقابله من صعاب ، ولم ينظر إلى منافعه الخاصة ، فقد سار فى طريق وحدة الوجود ، وقرب من السرور الإلهى .

وإذا استمر في السير في طريق الله ، وعمل على أن يمحي ذاته في محتويات الطبيعة بالكشف عن القوانين الطبيعية مدركا أنها رسل الله في الكون ، وآياته البينات التي تشير إلى وجوده في كل مكان ، فبشره بالفوز بالحياة في السرور المطلق لأنه أدمج في ذاته النفس الإنسانية بالطبيعة الكونية وحقق وحدة الوجود .

وهكذا لم يكتف طاغور بإخراج الإنسان من السرور بالسرور ، وإنما اتخذ من السرور نفسه محوراً جوهرياً تدور عليه حياته ، إذ اعتبر القيم الروحية والعمل الخير النافع والعلم البعيد عن الهوى المؤدي إلى الله ، ومسائل تحقق وحدة الوجود التي تبعث السرور . لأن التمسك بالفضائل من غيرية وتضحية وحب للانسانية ، تطهر النفس من العواطف الشريرة والانفعالات القاسية التي تعرض الحياة لمختلف ضروب الآلام النفسية . بينما العمل الخير النافع يقوي العلاقات بين الأفراد ، ويوثق الروابط بين الدول ، ويحث الجميع على المساهمة في الشئون الإنسانية ، ويساعد على تنقية الفكر من الاتجاهات التشاؤمية ، وتبرر له ضرورة اندماجه في الحياة الإجتماعية .

وبذلك يقضي العمل على كل نزعة تحض على الهرب من مشاكل الأرض . ولا يقل شأن العلم في حياة الإنسانية عن شأن القيم الأخلاقية والعمل الخير ، إذ أن معرفة القوانين الطبيعية فضلا عن أنها تبين ملامح الله في وجه الخليقة ، فإنها تفهمنا كذلك طبيعة الأشياء وكيفية سيرها . وذلك يسهل علينا إصلاح أي خلل يصيبها . فهي تعرفنا قوانين الجسم الإنساني ، وتحدد أسباب إصابته بالأمراض ، وتبين وسائل مقاومة هذه الأمراض التي أرهبت الهند منذ فجر الحضارة ، وتخفف من حدة آلامها التي دفعت الهند إلى هجرة المجتمعات . وبذلك يزيل العلم خوفنا من المرض وما قد يحدثه في النفوس من ذعر واضطراب وريبة . . .

فالهندي في طريقه نحو الله يزداد إيمانه بالقانون الخلقي لأنه يجلب السرور ، ويقوى إعتقاده في أن السعادة في الانغماس في الحياة اليومية لا في الهرب منها ؛ ويستفيد من معرفه قوانين الطبيعية في توضيح أسباب المرض ، وتعرض عليه كيفية علاجها وتعلمه طريقة تجنب آلامها ، فتصون عليه مصائبها ، وتذهب عن نفسه تلك الهواجس التي تفسد حياته وتحصرها في آلام وهمية ، وأحزان مبالغ فيها .

وتحقيق وحدة الوجود لا يستأصل بذور التشاؤم من النفس ، أو يقضي على مخاوف المرض ، وإنما يهيء النفس كذلك لأن تبقى في شباب أبدي لا يلحقه الهرم ، ولا تدركه الشيخوخة ، ويحافظ دائماً على حيوية الروح ، حتى لا يسري العجز إطلاقاً إلى قوتها ، ويحمي النفس من الضعف والوهن : لأن الإنسان في مثل هذه الحياة الإلهية يعيش في كنف اللانهاية التي لا تعرف غير نضارة الشباب وقوة الفتوة . فمن بلغ درجة الفناء في الله ، وغمرته وحدة الوجود لا تتصدع قواه ، ولا تختل طاقاته ، ولا يتخلف عن مهام الحياة الإجتماعية مهما كبر سنه ، لأن روحه ستظل شابة إلى الأبد تحس بقوة دافعة إلى الاضطلاع بأعظم الأعمال بدون أن تنفر من كد الخير أو تتألم من قسوة العمل .

ولذلك لا ينبغي أن يقصر أحد في تحقيق وحدة الوجود ، فإنها تسوقه إلى ذلك السرور الذي نزغ منه ، وتنجيه من آلام المرض ومخاوفه ، ومن هزال الشيخوخة وخذلان القوى . أما الموت الذي يعد المصدر الرئيسي للتشاؤم ، والذي عول عليه كل متشائم في تعزيز نظرته الداكنة نحو الحياة ، فما هو إلا حدث من تلك الأحداث التي تقابل الإنسان في طريق الحياة ، وهو لا يحول دون تقدمه ، ولا يقف عثرة في سبيل رقي البشر . كما أن الحياة لا تعطي له من الأهمية بحيث تشغل به فكر الإنسان ، فيغفل عما هي قائمة عليه من سرور ، وما يمكنها أن تبعثه في نفسه من غبطة وحبور . والذي يشهد على ذلك هو أن الإنسان يلهو ويلعب ويضحك كما يجد ويعمل ويدخر ويأخذ أهبته لذلك اليوم الذي يفاجئه فيه الموت . بل إن سير قادة الروح تدل على أن الموت لا يوجد ثغرة في ميدان الحقيقة التي يسمون إليها ، لأنه لا يؤدي إلى فناء الروح الخالدة ، ولا يعوق تلاشيها في الذات الإلهية ، أو يعطل تحقيق وحدة الوجود ، إذ أن الروح لن تموت أبداً ، مادامت هي والعالم الذي يكمن فيه الله شيئاً واحداً ، وتنم عن صورة من سرور الله الذي أظهر به ذاته في الكون

فالموت ليس له أثر عميق في الحياة ، ولا يعبر إلا عن حادثه

فردية ، لاتفسر إلا ذاتها فقط ، وإنما تفزع منه عندما تلتفت إلى حادثة من أحداثه ، وتنظر إليها نظرة منفصلة عن الحياة الشاملة التى تضم جميع الأحداث الإنسانية التى من بينها الموت . ومثل من يبالغ فى جزعه من الموت فى ميدان الحياة ، مثل من ينظر إلى جزء صغير من قطعة قماش كبيرة خلال مجهر ، فتبدو له كالشبكة ، فيرتعد فرقا من مجرد مشاهدة خروق هذا الجزء المكبر ، بدون أن ينتبه إلى بقية أجزاء قطعة القماش .

ولكى يذهب عن الإنسان ذلك الهلع الذى يثيره الموت فى نفسه ، يجب أن يعلم أن هناك وحدة مزدوجة فى الحياة تشمل الموت والحياة معاً ، وأن الموت مظهرها السلبى الخادع لأنه موت لايسبب فناء الروح وإن كان رفيقاً لايفارق الحياة ، بل إن الروح العظيمة ترحب بالموت ، وترى الدوام فيه وفى الحياة على حد سواء ، وتقبل أن تضحى بوجودها الدنيوى فى سبيل تحقيق وحدة ، وتنظر إلى ظهور الإنسان وإختفائه على أنه شىء أشبه بارتفاع الأمواج وانخفاضها على سطح البحر ، بينما الروح باقية أبداً فى الموت والحياة مثل بقاء البحر سواء علت أمواجه أم هبطت . ولا تغالى إذا زعمنا أننا نطلب الموت حين نرفضه ، لأن خوفنا منه يحبس الروح فى حدود الحياة الأرضية ، ويلزمها أن تعيش على وتيرة واحدة لاتغير فيها ، ولا تسمح بأى تطور يعتريها ، فلا تحس بأى دافع يحفزها لتجهل حدودها شيئاً لانهائيا ، ولا تستطيع أن تتصور أن الحصول على الكمال الروحى ، قد ينتهى بها إلى موت دائم وحياة دائمة يسيران جنباً إلى جنب فى وقت واحد ، لأن بلوغ الكمال لايتم إلا بعد فناء الذات الفردية وبقاء حقيقة وحدة الوجود الإلهية .

وهكذا لايبعث المرض والشيخوخة والموت على التشاؤم ، مادام الإنسان لايجهل حقيقة اتحاد الخليقة بالخالق ، ويعمل على تحقيقها فى ذاته ، ويؤمن بخلود الروح فى اللانهاية . أما الذين يمعنون فى التشاؤم ، ويستشهدون بالموت فى تدعيم نظرتهم العابسة نحو الحياة ، لا شك أن تشاؤمهم ليس إلا نزوة فكرية أو انحرافاً عاطفياً ينبذ ما فى الحياة من سعادة وخير وحب كما ينبذ المريض الطعام الصحى ، ويعب فى شراب التشاؤم الفاسد ، الذى يسمم النفس ؛ نعم مصطنع يوحى إليها بالأفكار الحزينة ، ويبعث فيها العواطف الضالة التى يمكن أن تبدد من الأذهان بمجرد ملاحظة قدرة الحياة على التقدم المستمر ، ونجاحها المتواصل فى تحقيق مآربها الحضارية التى تنشد الوصول إلى أقصى درجات الكمال ، لتنعم البشرية بحياة ملائكية فى سرور إلهى سرمدى .

وينتهى طاغور من ذلك كله إلى أنه لاينبغى أن نهيم فى واد من الهواجس المرعبة ، أو نغرق فى خضم من الأوهام السود ، أو نرى الوجود قائما على العذاب والحزن ، فنهجر الحياة هربا من آلامها وخوفاً من أشرارها ؛ وإنما يجب أن نخوض المجتمع الإنسانى واثقين من أن كل من يجتهد فى سبيل وحدته بالله الذى يتجلى فى كل شىء فى الوجود ، سيتغلب حتما على مايقابله من أحزان وآلام ، ويقتلع الشر من أساسه ، ولا يجد فى المرض والشيخوخة والموت إلا أحداثاً تافهة تمر بكل إنسان ، ولا تؤثر فى حياته ، ولا تلهيه عن توجيه عنايته نحو الله ، ليفوز بالاتحاد به ويعيش فى السرور الذى صدر عنه .

(كفر الزيات) عبد العزيز محمد الزكى

أثر العظماء فى التاريخ

للأستاذ نجم الدين حمودى

إن أثر الأفراد فى تغيير مجرى التاريخ من الموضوعات الطريفة التى جلبت اهتمام المفكرين فى كافة العصور . ولا عجب إذا وجدنا الفلاسفة يولون هذه المشكلة عنايتهم ، فيثيرون الجدل حولها . ومن الجدير بالذكر أن هذا الجدل جعل الفلاسفة ينقسمون إلى فئتين متناقضتين : فئة تقول : « إن التاريخ فى جوهره عبارة عن سير العظماء » ؛ أو بكلمة أوضح : « إن التاريخ من صنع الصفوة الصالحة من الذين يؤلفون زعامة اجتماعية مستمدة من مزاياهم الشخصية[1] » . أما الفئة الثانية فتدعى عكس هؤلاء تماماً ، ولسان حالها يقول : إن العظماء نماذج كاملة للبيئة التى يعيشون فيها .

إن فيمن يعضد نظرية تأثير العظماء فى سير التاريخ وقدرتهم على تغييره الكاتب الانكليزى « توماس كارليل » فى كتابه (الأبطال وعبادة البطولة) فيتحدث عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم و « أوليفر كرومويل » ويجعلهما أمثلة للرجال العظماء الذين غيروا مجرى التاريخ . أما رأى « كارليل » فى نابليون فيختلف كل الاختلاف عن رأيه فى النبى محمد وكرومويل ، إذ أنه يجرده من صفة العظمة . ويشاركه فى هذا الرأى الكاتب الروسى « تولستوى » الذى يحلل شخصية نابليون بقوله : (إنه رجل خلقته الظروف والمصادفات التى تحكمت فى انتصاراته أول الأمر ثم عادت فسببت خذلانه واندحاره) .

ومن أبرز المؤرخين المعاصرين فى إنكلترا الذين شرحوا نظرية العظماء وأثرهم فى التاريخ السر « شارل أومان » أستاذ التاريخ فى جامعة أكسفورد الذى يعارض نظرية التطور التى فحواها : إن التاريخ سلسلة من الحوادث التدريجية الاعتيادية . وبهذا تتغافل هذه النظرية عن أثر العظماء وقدرتهم فى تغيير التاريخ فتجعل من أعمالهم صورة للأمور التدريجيه الاعتيادية المحتمة الوقوع .

إن السر « أومان » من مؤيدى نظرية العظماء ، ويدعم رأيه بأمثلة لأشخاص غيروا مجرى التاريخ دون أن يكونوا ممثلين لبيئتهم التى عاشوا فيها . وأول مثل يستشهد به هو النبى محمد (صلعم) فيقول : (لقد أخفقت فى محاولاتى الكثيرة لا يجاد مؤرخ واحد يستطيع البرهنة على أن النبى محمد (صلعم) كان وليد الحالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى كانت تسود الجزيرة العربية فى القرن السابع بعد الميلاد . ولم أجد بين المؤرخين أيضاً من يقدر أن يقول : لو لم يبعث النبى محمد (صلعم) لكان من الطبيعى أن يستعاض عنه بشخص يقوم بنفس المهام التى اضطلع بها . ويستمر السر « أومان » فى بحثه عن النبى محمد (صلعم) فيقول : (منذ القرن الثانى للميلاد حتى أواخر القرن التاسع عشر وجد عدد من الأنبياء أو الذين حاولوا التشبه بهم كظهور المهدى فى السودان ، إلا أن جميع هؤلاء لم يقوموا بأعمال خارقة كالتى قام بها النبى محمد الذى جعل أبناء الصحراء أمة تمكنت من المحافظة على المدنية وتقدمها فى نصف أرجاء المعمور .

يبلغ اعتداد السر « أومان » بنظريته الذروة عندما يستشهد بسيرة وليم الفاتح فيقول : (لقد لعبت بريطانيا العظمى خلال القرون الماضية دوراً مهماً فى تاريخ ومقدرات العالم . وإنى أؤكد جازماً أنه لولا مجىء وليم الفاتح لما تيسر لبريطانية أن تلعب هذا الدور فى الأوضاع العالمية ، وأن تاريخ بريطانية كان من المحتمل أن يكون شبيهاً بتاريخ الدول الاسكندينافية ، أى معزولاً عن السياسة الأوربية العامة لولا وليم الفاتح وانتصاره فى موقعة (هيستنكز) عام ١٠٦٦ . ولا غرو إذا قلنا إنه لو كُتب لوليم الفاتح أن يندحر عوضاً عن (هارولد كود وينسون) فى موقعة جسر (سنلاك) لبقيت بريطانية محافظة على عزلتها ولازمت عدم التدخل فى القارة الأوربية .

ونستعرض الآن رأى كاتب آخر يفوق السر « أومان » فى أعمق تفكيره وبحثه الفلسفى المركز ؛ وهذا الكاتب هو (جيكوب برخاروت) أستاذ التاريخ بجامعة « بيزل » فى سويسرة بين عام ١٨٦٥ ، ١٨٨٥ . يبتدئ (برخاروت) بالقاء نظرة عامة على مفهوم كلمة العظمة والغموض الذى يكتنف ماهيتها لعدم وقوعها ضمن الأشياء المادية التى يمكن وزنها وقياسها ،

(١) على أدهم (المذاهب السياسية المعاصرة) مصر ١٩٤٥ .

فلا هي هبة حتى يعرف مصدرها ، ولا هي منحة حتى يشار إلى مانحها ؛ وعلى هذا الأساس فإن الحكم على عظمة الأشخاص حكماً عادلاً أمر من الصعوبة بمكان عظيم .

ويعتقد (برخاروت) أن من أهم الصفات اللازمة للعظمة أنها وحدة فريدة غير ممكنة التعويض . ولهذا فالرجل العظيم هو ذلك الشخص الذي لولا وجوده لما تم تنفيذ جزء مهم من الأعمال الخطيرة في تلك الحقبة من الزمن والمكان اللذين عاش فيهما . ويتعرض (برخاروت) إلى المثل السائر « ليس هناك فرد لا يمكن تعويضه فيقول : (نعم إن هذا المثل يصدق في أكثر الحالات وأعمها ، إلا أن أولئك الافراد الذين لا يمكن تعويضهم هم العظماء ، ويكونون عادة أقلاء وسيبقون كذلك أو ربما يقلون .

ولا شك أن التقدم الذي بلغته الإنسانية في المضمار الحضاري من علوم وفنون وآداب أصبح ممكناً بفضل جهود نفر من العظماء الذين سخروا مواهبهم في سبيل تحقيق هذا التقدم . وإن من يدرس آراء (برخاروت) بصورة دقيقة يلاحظ أنه يميل إلى أن العظمة تتمثل في الفلاسفة والفنانين فقط ، فيقول في سياق بحثه : إنني لا أعد المخترعين والمكتشفين من العظماء لأن ما ينتجونه يمكن الوصول إليه في يوم من الأيام ، أما الفلاسفة والفنانون فلا يمكن أن يستعاض عنهم بصورة مطلقة . فلو صادف أن مات رفائيل قبل نضوجه الفني لما خرج في العالم شخص مثله يتمكن من رسم لوحته الخالدة « تجلي المسيح » . ومن البديهي أن يكون تصوير العاطفة والخيال ، وتجسيد الوحي والالهام في هيئة جميلة ، وإظهارها بشكل آية فنية رائعة تكشف النقاب من مواطن الجمال ، ليس بالأمر الهين ؛ لأن إعادة خلق الأفكار وتجسيدها في مظهر فني لا يقدر أن يقوم به إلا خالق الفكرة نفسه.

خاتمة :

أعتقد أن الآراء التي بينتها حتى الآن تكفي لإعطاء فكرة عامة عن النظرية التي تقول : (أن التاريخ سلسلة من سير العظماء) أما النظرية المعاكسة التي من أبرز زعمائها « سبنسر » فتقول إن الإنسان خاضع لمحيطه ويتطور بتطوره . وإذا ما تعارضت ميول الفرد مع سير الحوادث تبددت وزالت ولا يبقى إلا آثار التطورات الاجتماعية الحتمية الوقوع . ويدعي أصحاب هذه النظرية — نظرية التطور — أن الأعمال العظيمة التي استطاع أبطال التاريخ أن يقوموا بها لم تتيسر لهم إلا عندما اتجهت إرادتهم وميولهم نحو تحقيق الرغبات التي كانت ضرورية لتطور المجتمع . لذلك فإن التطور المادي هو أساس كل شيء في التاريخ ، وكل الحوادث التاريخية بما فيها سير الأبطال تتمشى وسنة الطبيعة بدون استثناء

وبعد أن استعرضت بصورة مجملة آراء كل من أصحاب النظريتين أود أن أذكر بأن كلا الفريقين على الرغم من الحقائق التي يبينوها كانوا مغالين في نظرياتهم ، والمثل على ذلك ما ذكره السر « أومان » عن النبي محمد (صلعم) ، فمع أنه عظيم حقاً إلا أن ذلك يجب أن لا يحجب عنا حقيقة واقعة وهي لو لم تكن الظروف مهيئة لقبول دعوته ، ولو لم تكن هناك عوامل كثيرة ساعدت على نشر رسالته لما كان له هذا التأثير على مجرى التاريخ . والكلام نفسه يقال عن وليم الفاتح ، إذ أن إيجاده لنواة بريطانيا كان في طريق التحقيق قبل ظهوره .

أما جهة نظرية التطور فليس من المعقول أن تفسر جميع حوادث التاريخ بتفسيرات مادية صرفة ونهمل أثر الشخصيات الفذة التي أثرت في سيره . ولهذا فالنظريتان إذ فرقتا كلا منهما على حدة تفشلان في تفسير الحوادث التاريخية وأثر العظماء فيها ؛ ولكن إذا جمعناهما معاً وشكلنا نظرية ثالثة تجعل العظماء يؤثرون على الظروف ويكيفونها بحسب أهوائهم ، وفي الوقت نفسه تجعل الظروف تؤثر على العظماء وتتحكم في مصير أعمالهم نكون قد قربنا كثيراً من الحقيقة .

نجم الدين حمودي

سكرتير مجلة سومر — بغداد

حرارة الصيف

بين العلم والأدب

للأستاذ ضياء الدخيلي

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

ومن ظريف ما ينقل عن تدابير القدماء فى اتقاء قسوة الحر ما نقله ابن أبى أصيبعة فى كتابه عيون الأنباء فى طبقات الأطباء فى ترجمة الطبيب بختيشوع بن جبرئيل ، وقد قال عنه الدكتور أمين أسعد خير الله فى كتابه عن (الطب العربى) إنه كان مقرباً من الخليفة المتوكل وكان غنياً وأنيقاً يشابه الخلفاء من حيث اللبس والحاشية والمعيشة . ومن الطريف أنه كان أول من استعمل طريقة تكييف الهواء والحرارة كما حدث عنه أبو محمد بدر . قال ابن أبى أصيبعة (حدث) أبو محمد بدر بن أبى الأصبع الكاتب قال حدثنى جدى قال دخلت إلى بختيشوع فى يوم شديد الحر وهو جالس فى مجلس مخيش بعدة طاقات من الخيش وفى وسطها قبة عليها جلال من قصب مظهر [(١)] بدبيق قد صبغ بماء الورد والكافور والصندل وعليه جبة يمانى سعيدى منقلة ومطرف [(٢)] قد التحف به ، فعجبت من زيه ، فحين حصلت معه فى القبة نالنى من البرد أمر عظيم ، فضحك وأمر لى بجبة ومطرف وقال يا غلام اكشف جوانب القبة ، فكشفت فإذا أبواب مفتوحة من جوانب الإيوان إلى مواضع مكبوسة بالثلج وغلمان يروحون [(٣)] ذلك الثلج فيخرج منه البرد الذى لحقنى ،ثم دعا بطعامه ، فأتى بمائدة فى غاية الحسن عليها كل شىء ظريف ، ثم أتى بفراريج مشوية فى نهاية الحمرة ، وجاء الطباخ فنفضها كلها فانتفضت ، وقال هذه فراريج تعلف اللوز و (البزر قطونا) وتسق ماء الرمان .

(١) جلال جمع جلة وهى فى المنجد قفة كبيرة ، ظهر الثوب جعل له ظهارة وهى فى الثوب ضد البطانة قال الفيروزبادى فى القاموس ودبيق كامير بلدة بمصر منها الثياب الدبيقية .

(٢) المطرف رداء من خز ذو أعلام ، والجبة ثوب واسع يلبس فوق الثياب .

(٣) روح عليه بالمروحه حرك يده بها يستجلب الريح .

ولما كان فى صلب الشتاء دخلت عليه يوماً والبرد شديد وعليه محشوة وكساء وهو جالس فى طارمة فى الدار على بستان فى غاية الحسن وعليها سمور [(١)] قد ظهرت به وفوقه جلال [(٢)] حرير مصبغ ولبود [(٣)] مغربية وأنطاع أدم [(٤)] يمانية ، وبين يديه كانون [(٥)] فضة مذهب مخرّق وخادم يوقد العود المندى وعليه غلالة قصب [(٦)] فى نهاية الرفعة ؛ فلما حصلت معه فى الطارمة وجدت من الحر أمراً عظيما ، فضحك وأمر لى بغلالة قصب وتقدم بكشف جوانب الطارمة فإذا مواضع لها شبابيك خشب بعد شبابيك حديد ، وكوانين فيها فحم الغضا ، وغلمان ينفخون ذلك الفحم بالزقاق كما تكون للحدادين؛ ثم دعا بطعامه فأحضروا ما جرت به العادة فى السرو [(٧)] والنظافة فأحضرت فراريج بيض شديدة البياض فبشمتها [(٨)] وخفت أن تكون غير نضيجة ، ووافى الطباخ فنفضها فانتفضت ، فسألته عنها فقال هذه تعلف الجوز المقشر وتسق اللبن الحليب . وكان بختيشوع ابن جبرائيل يهدى البخور فى درج [(٩)] ومعه درج آخر فيه فحم يتخذ له من قضبان الأترج [(١٠)] والصفصاف وشنس الكرم المرشوش عليه عند إحراقه ماء الورد المخلوط بالمسك والكافور وماء الخلاف والشراب العتيق ، ويقول أنا أكره أن أهدى بخوراً بغير فحم فيفسده فحم العامة ، ويقال هذا عمل بختيشوع .

(وحدث) أبو محمد بدر بن أبى الأصبع من أبيه عن أبى عبدالله محمد بن الجراح عن أبيه أن المتوكل قال يوماً لبختيشوع : ادعنى؛ فقال السمع والطاعة . فقال أريد أن يكون ذلك غداً . قال نعم وكرامة ؛وكان الوقت صائفاوحره شديداً ، فقال بختيشوع لأسبابه

(١) السمورحيوان برى يشبه ابن عرس وأكبرمنه ، لونه أحرمائل إلى السواد يتخذ من جلده فراء ثمينة وربما أطلق السمور على جلده .

(٢) والجل من المتاع البسط والأكسية ونحوها جمعه جلال .

(٣) اللبد كل شعر أو صوف متلبد . البساط من صوف ما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج جمعه لبود .

(٤) النطع بساط من الجلد يفرش تحت المحكوم علية بالعذاب أو بقطع الرأس ، والأديم الجلد المدبوغ جمعه أدم .

(٥) الكانون الموقد .

(٦) الغلالة شعار يلبس تحت الثوب ، والشعار ما تحت الدثار من اللباس وهومايلى شعرالجسد ، والقصب ثياب ناعمة من كتان، الواحد قصبى.

(٧) السرو السخاء فى المروءة .

(٨) تبشع فلان بالأمر ضاق به ذرعاً .

(٩) الدرج سفيط صغير تدخر المرأة فيه طيبها وأدواتها .

(١٠) الأترج من جنس الليمون ويقال له أيضاً الترنج .

وأصحابه : أمرنا كله مستقيم إلا الخيش فإنه ليس لنا منه ما يكفي . فأحضر وكلاءه وأمرهم بابتياع كل ما يوجد من الخيش بسر من رأى ، ففعلوا ذلك وأحضروا كل من وجدوه من النجارين والصناع فقطع لداره كلها صحونها وحجرها ومجالسها وبيوتها ومستراحاتها خيشاً حتى لا يجتاز الخليفة في موضع غير مخيش ، وإنه فكر في روائحه التي لا تزول إلا بعد استعماله مدة فأمر بابتياع كل ما يقدر عليه بسر من رأى من البطيخ ، وأحضر أكثر حشمه وغلمانه وأجلسهم يدلكون الخيش بذلك البطيخ ليلتهم كلها ، وأصبح وقد انقطعت روائحه ، فتقدم إلى فراشيه وعلقوا جميعه في المواضع المذكورة . فلما وافاه المتوكل رأى كثرة الخيش وجدته ، فقال أي شيء ذهب برائحته؟ فأعاد عليه حديث البطيخ فعجب من ذلك . واستشرف المتوكل على الطعام فاستعظمه جداً. وأراد النوم فقال لبختيشوع أريد أن تنومني في موضع مضيء لا ذباب فيه ، وظن أنه يتمنته بذلك . وقد كان بختيشوع تقدم بأن تجمل أجاجين السيلان [1] في سطوح الدار ليجتمع الذباب عليه فلم يقرب أسافل الدور ذبابة واحدة . ثم أدخل المتوكل إلى بيت مربع كبير سقفه كله بكواء [2] فيها جامات يضيء البيت منها وهو مخيش مظهر بعد الخيش بالدبيقي المصبوغ بماء الورد والصندل والكافور. فلما اضطجع للنوم أقبل يشم روائح في نهاية الطيب لا يدرى ما هي لأنه لم ير في البيت شيئاً من الروائح والفواكه والأنوار ، ولا خلف الخيش لا طاقات ولا موضع يجعل فيه شيء من ذلك . فتعجب وأمر الفتح بن خاقان أن يتتبع حال تلك الروائح حتى يعرف صورتها ، فخرج يطوف فوجد حول البيت من خارجه ومن سائر نواحيه وجوانبه أبواباً صغاراً لطافاً كالطاقات [3] محشوة بصنوف الرياحين والفواكه واللخالخ [4] والمشام التي فيها اللقاح والبطيخ المستخرج ما فيهما المحشوة بالخام والحماحم [5] اليماني المعمول بماء الورد والخلوق [6] والكافور والشراب العتيق والزعفران الشعر . ورأى الفتح غلماناً قد وكلوا بتلك الطاقات مع كل غلام مجمرة فيها ند يسجره ويبخر به ، والبيت من داخله إزار في إسفيداج مخرم خروماً صغاراً لا تبين يخرج منها تلك الروائح الطيبة العجيبة إلى البيت . فلما عاد الفتح وشرح للمتوكل صورة ما شاهده كثر تعجبه منه وحسد بختيشوع على ما رآه من نعمته وكمال مروءته ، وانصرف من داره قبل أن يستتم يومه ، وادعى شيئاً وجده من التباث بدنه وحقد عليه ذلك ، فنكبه بعد أيام يسيرة ، وأخذ من بختيشوع مالا كثيراً لا يقدر (نقل ذلك ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء جـ ١ ص ١٤١) والخبر صورة من ترف بغداد وسر من رأى في عهد العباسيين ؛ ولكن ليس معنى هذا أن كل الشعب كان يعيش في مثل ذلك الرفاه والسعادة .

وقبل أن نفرغ من حديث الخيش ننقل لك من معجم الأدباء القصة التالية وفي أبياتها تعرف أن المسلمين في ذاك العهد كانوا يضربون الأمثال ببرودة قبة الخيش لأنها لمهدهم عنوان البرودة . وقد استعار بعض الشعراء برودتها المائية للبرودة المعنوية في الألفاظ والتراكيب الشعرية . قال ياقوت الحموي في أخبار عوف بن محلم الخزاعي المتوفى سنة ٢٢٠ هـ إنه كان صاحب أخبار ونوادر وله معرفة بأيام الناس ، وكان طاهر بن الحسين قد اختصه لمنادمته واختاره لمسامرته ، ومن بعده قربه عبد الله بن طاهر من نفسه ، وأنزله منزلته من أبيه . قال : وكان قد ورد على عبد الله بن طاهر شاعر يقال له (روح) وعرض على عوف شعره فمنعه من إنشاده عبد الله وقال : إن عبد الله رجل عالم فاضل لا ينفق عليه من الشعر إلا أحسنه . فقال له : قد حسدتني ، وتوصل حتى أنشده عبد الله فاسترذله واستبرده ورده ، فبلغ ذلك عوفاً فقال :

أنشد في (روح) مديحاً له ... فقلت شعراً قال لي فيش

(فيش : من فاش الرجل فيشاً : افتخر وتكبر ورأى ما ليس عنده . وفايشه فاخره ، وفايش الرجل أكثر الوعيد في القتال ثم لم يفعل) .

فصرت لما أن بدا منشداً ... كأنني في قبة (الخيش)

وقلت زدني وتفهمته ... والثلج في الصيف من العيش

ولقد كان عوف هذا من أدباء القرن الثالث الهجري .

***

ولقد صبر العربي على قسوة محيطه ولم يتضجر من عنف الحياة

---

(١) الأجانة إناء تغسل فيه الثياب والسيلان عصير التمر .

(٢) الكواء جمع كوة هي الخرق في الحائط .

(٣) الطاقات جمع طاق وهو ما عطف في الأبنية أي كالقوس من قنطرة ونافذة وما أشبه ذلك .

(٤) لخه بالطيب طلاه به .

(٥) قال الفيروزبادي في القاموس الحماحم الحبق البستاني العريض الورق ويسمى الحبق النبطي جيد للزكام مفتح لسدد الدماغ مقو للقلب .

(٦) الخلوق ضرب من الطيب أعظم أجزائه الزعفران .

فيه بل خلق من سيئاته حسنات ؛ فكان صبره على شظف العيش في بلاده مصداق قول الدكتور أحمد أمين في كتابه (الأخلاق) في بحث الوطنية . « على أن حب الوطنية يكاد يكون طبيعياً في كل إنسان حتى لنرى بعض الحيوانات تحن إلى أوطانها كما تحن الطيور إلى أوكارها . ولقد ينشأ البدوى في بلد جدب ومكان قفر وهو مع ذلك يسعد بوطنه ويقنع به ويفضله على كل مصر » . قال الجاحظ : « وترى الحضرى يولد بأرض وباء وموتان وقلة خصب ؛ فإذا وقع ببلاد أريف من بلاده ، وجناب أخصب من جنابه ، واستفاد غنى ، حن إلى وطنه ومستقره . وخير مثال لقول الجاحظ قصيدة مالك بن الريب يحن إلى بادية العرب وهو في جنان إيران ، وكان قد ذهب إليها مع الجيوش العربية التي سارت لفتحها فنها :

ألا ليت شـــعرى هل أبيتن ليلة
بوادى الغضا أزجى القلوب النواجيا

فليت الغضا لم يقطع الركب عرضه وليت الغضا ماشى الركاب لياليا
لقد كان في أهل الغضا لودنا الغضا مزار ولـكن الغضا ما دنا ليا

وهذا هو السر في أنك ترى البلد تفشى فيه أنواع الحميات ، أو يكون مثاراً للبراكين من حين إلى حين أو عرضة لطغيان الماء أو عصف الرياح ثم لا يبرحه أهله ولا يعدلون به بلداً سواه . قيل لأعرابى كيف تصنع في البادية إذا اشتد القيظ وانتعل كل شيء ظله ؟ قال وهل العيش إلا ذاك ؟ يمشى أحدنا ميلا فيرفض عرقاً ثم ينصب عصاه ويلقى عليها كساءه ويجلس في فيئه يكتال الريح فكأنه في إيوان كسرى !

لقد أطلنا الحديث عما قاله الأدب عن حرارة الصيف فلننهض العلم ليقف على المسرح ويحدثنا عن أثر حرارة الصيف في الجسم فنجمع بين الحسنيين . وما أجمل العاطفة والعقل إذا اجتمعا في صعيد واحد ! وإن الأدب والعلم زوجان ينتج من اقترانهما تمام المعرفة .

قال البروفسور (بويد) صاحب المؤلفات الغزيرة الفائدة في علم الباثولوجى وهو العلم الباحث عن كيفية تهدم الجسم بالأمراض: إن ضربة الحر في أساسها شلل في الجهاز المنظم للحرارة ويسببه التعرض لحرارة شديدة . وإن درجة الحرارة التي توجب الإصابة بضربة الحر تتوقف على الرطوبة وتختلف باختلاف الأشخاص ؛ وإن تخليص الجسد من الحرارة الفائضة يتم بفعل قابلية الجلد للتعرق ؛ إذ أن الرشيح العرقى يتبخر فيجذب الحرارة من الجلد الذى يتبخر منه فينتعش الإنسان . غير أن بعض الناس يقل عرقهم ، وإن درجة حرارة الجسم الطبيعية هى حوالى ٩٨٫٥ فهرنهايت؛ فإذا تشبع الجو ببخار الماء لحد الإشباع وارتفعت حرارته إلى التسعين فهرنهايت سبب ذلك أن ترتفع حرارة الجسم ارتفاعاً جامحاً لا ينضبط ولا يسيطر عليه جهاز تنظيم الحرارة فيه ؛ وعندما تتجاوز حرارة الجو حرارة جسم الإنسان تتوقف عملية تخليص البدن من حرارته الفائضة الداخلية — بواسطة الإشعاع ؛ إذ أن تشع الحرارة إذا كان المحيط أزيد حرارة فيغدو عند ذاك — التعرق لتبريد الجسم بواسطته هو المعول الوحيد لإضاعة الحرارة المتراكمة فيه .

وقد يفرق الأطباء بين الإعياء وانهيار القوى المسببين بالحرارة الخارجيـة — وبين ضربة الحرارة . ولـكن البرفسور (بويد) يرى من الصعب التفريق بينهما إذ هما مرحلتان لمرض واحد . ففي الانهيار المسبب عن الحرارة الخارجية يحصل إجهاد عنيف لما كنة تنظيم الحرارة في الجسم فيهجم عليه الضعف والاصفرار والذهول وهبوط ضغط الدم ، وإذ ذاك قد ترتفع دجة حرارته ؛ ولـكنها قد تكون أقل من الطبيعى .

أما في ضربة الحرارة فإن جهاز تنظيم الحرارة يصبح مغلوباً على أمره فترتفع حرارة الجسم عشر درجات فهرنهايت أزيد من الطبيعى أو أكثر . وقد سجلت وقعة بلغت فيها حرارة الجسم الداخلى للمريض (١١٧) فهرنهايت ، والطبيعية كما قدمنا هى (٩٨٫٥) فهرنهايت . وليكن معلوماً أن حرارة الجسم الداخلية الحقيقية التي تمثلهـا حرارة الشرج قد تـكون أعلى بكثير من حرارة الفم وتحت الإبط . وهذه المواضع اعتاد الأطباء أن يضعوا فيها مقياس الحرارة .

وإن ضربة الحرارة قد تسبب بالتعرض المباشر للشمس الحالة المعروفة بضربة الشمس . ولا علاقة لأشـــعة الشمس الفوق البنفسجية بإحداث الضربة الشمسية ؛ إذ أن نفس الأثر المرضى يمكن إحداثه بالتعرض لأية حرارة زائدة وبخاصة إذا اجتمع إليها زيادة في الرطوبة النسبية ، وأن الأشـخاص الذين يعملون في غرف المكائن الحارة والحدادين الذين يشتغلون بالقرب من الحرارة العالية يصـابون بنفس الطريقة ، وإن حالة الشخص الفيزيائية تسبب بعض الاختلاف ، وإن المرضى المعرضين لعملية جراحية

خطيرة خلال فترة تمر فيها موجة حرارية على البلاد — قد يموتون بالضربة الحرارية. وقد أجريت تجارب مهمة على الحيوانات بتعريضها لضربات حرارية. وقد لوحظ أثر تغيرات الدم الكيماوية مما يطول شرحه. وقد يموت المريض من ضربة الحرارة بمباغتة مرعبة، وقد يسقط فاقداً شعوره وهى الحالة المعروفة بداء السكتة الحرارية. وهذه الحالة شائعة الوقوع فى الجنود الذين يجبرون على المسيرة المتعبة فى المناطق الاستوائية، وحتى فى الحالات الأقل مفاجأة قد يصبح المريض بسرعة فاقداً شعوره.

وفى الإعياء المسبب بالحرارة قد تجد الجلد رطباً ، ولكن فى ضربة الحرارة من المعتاد أن تجده جافاً ومحرقاً بحرارته الشديدة، ويظهر عجز المريض عن التعرق . وقد ينتابه تهيج شديد حتى قد يبتلى بجنون حاد . وقد تصعد درجة الحرارة درجات عليا، ولكن ليس ذلك فى كل وقعة . وفى الأدوار الأخيرة تصبح الحرارة أقل من الطبيعية . وإذا استعاد المريض صحته وعوفى فقد يصاب بعطل عصبي أو عقلي دائمين.

ويقول (كرين) فى كتابه Manual of Pathology أن تعريض كل الجسم لحرارة عالية خارجية خاصة إذا اجتمع إلى ذلك رطوبة الجو — ربما يؤدى إلى الإصابة بالضربة الحرارية وهو الأمر المشاهد فى وقادى الآلات البخارية العاملين فى غرف المكائن فى البواخر الماخرة فى المناطق الاستوائية . وفى فرق الجنود فى مسيراتها فى الأجواء الشديدة الحرارة أو إذا عسكرت فى تلك المناطق . ويحدث ذلك بصورة طفيفة فى السكان المدنيين الذين يقومون بأشغال ومساعى اعتيادية، ولكن فى جو رطب شديد الحرارة. وإن من العوامل المهيئة للاصابة بضربة الحرارة العمل الشاق والإفراط فى السكر والملابس الغير الصالحة. فى الحالات الشديدة يحصل تدهور وانحطاط فجائيان فى القوى وتضييع للشعور مع هذيان وتشنجات عضلية، وأخيراً إغماء. وقد ترتفع حرارة الجسم إلى درجات عالية فقد تبلغ (١٠٨) أو (١١٠) وهى نهايته ويقال أن المريض مصاب بحمى فوق المعتادة.

وفى الدرجات الأقل عنفاً قد يحصل انتهاك فى القوى وعسر فى النفس وازرقاق اختناق، بينما نجد فى الحالات الطفيفة — تعباً وصداعاً وحمى خفيفة، وإذا شرح جسم الميت بالإصابة الحرارية لا يوجد تغيرات مرضية ثابتة ما عدا الاحتقان الشديد فى الأعضاء الداخلية والأحشاء. وقد يرى تورم بالمائعات فى الدماغ وزيادة فى السائل الذى تحت الطبقة العنكبوتية فى أغشية الدماغ، ويرى فى حجيرات الدماغ التغيرات الخاصة المشاهدة فى الحمى العالية.

وإن تعريض الرأس والعلياء لأشعة الشمس المباشرة فى المناطق الاستوائية — قد قيل أنه يسبب مرضاً شديداً قد يكون مهلكا يسمى بضربة الشمس.

والظاهر أن الإصابة تسببها الأمواج الحرارية؛ أما الأشعة الفوق البنفسجية فلم ينهض دليل علمى على تركها أثراً ضاراً فى المجموعة العصبية إذا جردناها من أمواج الحرارة التى تصحبها . وفى غالب الظن أنه لا يوجد مرض مستقل منفرد متميز من ضربة الحرارة يصح أن نطلق عليه اسماً خاصاً هو (ضربة الشمس)

أما سير الحوادث فيظهر كما يلى : إن الحرارة الخارجية عند ما تتجاوز حرارة البدن فإن إنعاشه بالتعرق الذى يبرده عند ما يتبخر العرق — يكون العامل الوحيد والواسطة الفعالة لتنظيم درجة الحرارة. فإذا انهار هذا الجهاز وأصابه العجز فإن الحرارة سترتفع وتسبب الحمى العالية مع نتائجها المتلفة المسببة للهلاك.

ولا فرق فى إحداث ضربة الحرارة بين أن تكون ناتجة من سير الإنسان فى الشمس أو عمله فى غرفة وقاد السفينة أو فى غرفة شديدة الحرارة رديئة التهوية (تعددت الأسباب والمرض واحد) وبعد مدة ما من التعرض للحرارة نصل إلى حالة العجز من التخلص من الحرارة الداخلية الزائدة فيصاب بالعطل والعجز جهاز التعرق ويعترى القلب الوهن ويقع ارتفاع لا بد منه فى درجة الحرارة الجسمية . أما أثر القبعة الصيفية والمظلة وأشباههما فهو مجرد تقليل ما يأخذه الجسم من الحرارة الخارجية؛ أما تناول الثلج والماء المثلج ورش الماء البارد على الجسم والمراوح — فكل هذه وسائط لزيادة تضييع الحرارة من الجسم وتخليصه منها.

وبينما نجد عجز البدن عن التعرق يؤدى إلى ضربة الحرارة فإن التعرق الزائد الغزير يسبب فى عضلات الأطراف والبطن تشنجها واعتقالها الوقتيين، وهذا لا علاقة له بجهاز تنظيم الحرارة لكنه بسبب إضاعة ملح الكلوريد من الجسم بواسطة الرشيح العرقى مما يؤدى إلى اختلال فى توازن الصوديوم والبوتاسيوم فى البدن، ومن الممكن مداواة تلك التشنجات بسهولة بشرب ماء مالح بدلا من الماء العذب حتى يعوض الجسم ما فقده من ملح الطعام (كلوريد الصوديوم) بالرشيح العرق الزائد.

(بغداد) ضياء الدخيلى

الطبيب المتمرن فى المستشفى التعليمى (سابقاً)

رثاء الجـارم

للأستاذ محمود غنيم

« ألقيت فى حفلة التأبين التى أقامتها جماعة دار العلوم للمغفور له على الجارم بك »

عرش ينوح أسى على سلطانه   قد غاب كسرى الشعر عن إيوانه
طوت المنون من الفصاحة دولة   ما شادها هارون فى بغدانه
فى ذمة الفن المقدس عازف   لقى الحمام على صدى ألحانه
لما تهامست الصفوف بنعيه   كاد الفؤاد يكف عن خفقانه
ساءلت حين قضى علىّ فجاءة :   هل حل يوم الحشر قبل أوانه ؟

سقط المؤبن وهو يسمع شعره   من ذا يؤبنه بمثل بيانه ؟ !
وصف الزمان لنا وجاد بنفسه   لتكون برهاناً على حدثانه
قال احذروا غدر الحمام معززاً   بحياته ما قاله بلسـانه
لا تعجبوا من موته فى حفله   إن الشجاع يموت فى ميدانه
بطل المنابر ما له من فوقها   يهوى وكم عرفت ثبات جنانه؟
إن خانه ضعف المشيب فطالما   قهر المنابر وهو فى ريعانه
كلا لعمرى لم يخنه مشيبه   لكنّ حس المرء من خُوّانه
لم يجنها إلا رقيق شعوره   والرهف الحساس من وجدانه
حر قضى متأثراً ببيـانه   ولكم جنى فن على فنانه

يا شاعراً طار اسمه بقوادم   من عبقريته ومن إتقانه
ما دان يوماً للصغار بصيته   أو دان للزلفى برفعة شانه
والمجد منه زائف وممحص   لا تخلطـوا بلوره بجمانه
ما كل لماع يبرق ممطر   البرق غير الآل فى لمعانه
عرش القوافى بعد موتك شاغر   يا طول ما يلقاه من أشجانه
قل للذى يومى إليه بلحظه   هـذا مجال لست من فرسانه
لا أُمَّ حكمك فى الورى جارٍ وما   من حيلة للعبد فى جريانه
الطير ملء الروض أشكالا فما   لتسمم لا يصمى سوى كروانه ؟
يمضى العظيم من الرجال فينبرى   لمكانه خلفاء من أقرانه
والشاعر الموهوب فلتة دهره   إن مات أعيا الدهر سد مكانه

قل للرياض قضى علىّ محبه   ولطيرها الشادى على أفنانه
الشاعر الغرِد المحلق فى السما   بجناحه قد كف عن طيرانه.
بكت اللآلئ بعده لا لَمَّا   وتساءل الياقوت عن دهقانه
وتساءل التاريخ عمن شعره   كان السجل لحادثات زمانه
بكت الكنانة فى علىّ شاعراً   جعل اسمها كالنجم فى دورانه
عف اللسان مؤدب الأوزان لم   يتلق وحى الشعر عن شيطانه
بل كان نفح الخلد أمتعنا به   حيناً وعاد به إلى رضـوانه
للنيل شاد بشعره ما لم يشد   فرعون والهرمان من بنيانه
من كل بيت فى السها شرفاته   تتلألأ الأضواء فى أركانه
يعيى الفراعنة الشداد أساسه   ويحار ذو القرنين فى جدرانه
شعر إذا غنى به لم يبق من   لم يروه كالبرق فى سريانه
غنى الطروب به على قيثاره   وترنم المحزون فى أحزانه
بهر العذارى حسنه فوددن لو   صيغت قلائدهن من عقيانه
ويكاد سـامعه يفسر لفظه   من قبل أن يسرى إلى آذانه
تغرى سلاسته الغرير فيقتفى   آثاره سيراً على قضبانه
حتى إذا هد المسير كيانه   حصب الورى بالصلد من صوانه
يا رب ديوان تأنق ربه   فى طبعه وافتن فى عنوانه
لا يسمع اليقظان وقع قريضه   حتى يدب النوم فى أجفانه
والشعر إما خالد أو مدرج   من ليلة الميلاد فى أكفانه

قالوا : علىٌّ شاعر؛ فأجبت : بل   ساقٍ عصير الكرم ملء دنانه
فم سائل الفقهاء: هل فى شرعهم   حرج على ثمل بخمرة حانه ؟
كم خط من صور الحياة مداده   ما لم يخط مصور بدهانه
بيراعة لو أدركت موسى رأى   من سحرها ما غاب عن ثعبانه
أين القصائد كالخرائد كلها   بكر ، وبكر الشعر غير عوانه
أحيا لنا ابن ربيعة تشبيبها   وأعاد للأذهان عهد حِسانه
شيخ يحس الشيخ عند نسيبه   بدم الشباب يسيل فى شريانه
وإذا تحمس قلت حيدرة انبرى   تحت العجاجة فوق ظهر حصانه
وإذا تبدى قلت لابس بردة   قد جاء من وادى العقيق وبانه
وإذا تحضر قلت نسمة روضة   من فرط رقته وفرط حنانه
يا طالما حمل الأثير نشيده   وكأنمـا هو عازف بكمانه
بغداد مصـغية إلى أنغامه   ودمشق راقصة على عيدانه
وكأنما الحرمان عند هتافه   سمعا بلالاً هـاتفاً بأذانه
يثنى على الفاروق تحسبه فتى   ذبيان قد أثنى على نعمانه
والملك يظهر بالثناء جلاله   والشعر مثل الدر فى تيجانه

الأدب والفن في أسبوع

الأستاذ عباس خضر

أمر جديد في مسألة الكتب المدرسية :

أتيت في الأسبوع الأسبق على موضوع الكتب المدرسية من حيث ما قررته وزارة المعارف في فبراير الماضي من القيام بتوزيع هذه الكتب على طلبة المدارس الحرة كما توزعها على طلبة مدارسها وأبنت ما اكتنف ذلك وما يترتب عليه من آثار سيئة مادية وأدبية ، وأذكر اليوم أن ذلك القرار يتضمن أن تغير الوزارة العقود مع المؤلفين بحيث تصبح وحدها صاحبة الحق في طبع الكتب وتعوض مؤلفيها عن كسبهم مما كانوا يطبعونه لغير مدارس الوزارة ، وذلك بمضاعفة مكافآتهم ، وينص القرار على أن ينفذ ذلك ابتداء من السنة الدراسية ١٩٥٠ — ١٩٥١ وبينما الناشرون والمؤلفون يواصلون مساعيهم للعدول عن ذلك في ريث وتمهل لا يرون داعياً إلى العجلة لأن أمامهم موسما دراسيا كاملا يستمر العمل فيه بالنظام القديم ويأملون أن يوفقوا في خلاله إلى تسوية عادلة — بينما هم كذلك إذ فوجئوا بأمر لم يكن في حسبانهم إذ اتصل بهم بعض مجالس المديريات فأبلغهم أن مدارس هذه المجالس لن تحتاج إلى كتب منهم في السنة الدراسية القادمة ١٩٤٩ — ١٩٥٠ لأن وزارة المعارف ستتولى صرف الكتب لها ذلك أن وكيل وزارة المعارف كتب إلى وزارة الداخلية لتوافي وزارة المعارف بإحصاء عن مدارسها وعدد طلبتها لتحسب الوزارة حسابها في توزيع الكتب المدرسية عليها ابتداء من العام الدراسي القادم .

وعجب المؤلفون كيف تبادر الوزارة إلى اتخاذ هذه الخطوة ، وهي لم تجدد معهم العقود بعد، ولا تزال العقود القديمة بأيديهم ، وهي تخول لهم أن يطبعوا كتبهم لغير مدارس وزارة المعارف حتى تتغير هذه العقود . وغضبت دور النشر وانحسر ظل الطمأنينة عن عمالها ، فقد كان أمامهم سنة أخرى يرجى أن يعدل الله الأمور بعدها .

والشعر مرآة النفوس يذيع ما ... طويت قرارتها على كتمانه
من أحرف سوداء إلا أنه ... نقش يريك الطيف في ألوانه
والشاعر الموهوب تقرأ شعره ... فترى جمال الله في أكوانه
يا ويح قومي كم أشاهد بينهم ... من شاعر هو شاعر بهوانه

يا رائي الموتى ومخلد ذكرهم ... بالخالد السيار من أوزانه
أرثيك حفظاً للجميل وإنه ... دين أعيذ النفس من نكرانه
ما ذا يؤمل شاعر من راحل ؟ ... أتراه يطمع منه في إحسانه ؟
وأنا الذي ما سمت شعري ذلة ... أو بعته بالبخس من أثمانه
يا رب بيت قد ضننت ببذله ... ضناً على من ليس من سكانه
أقسمت ما جاوزت فيك عقيدتي ... قسم الأمين البر في أيمانه
دار العلوم بنتك حصناً شامخاً ... للضاد تلقى الأمن في أحضانه
رزئت لعمري فيك رزء الدوح في ... كروانه والفلك في ربانه
دار قد انتظمت أياديها الحمى ... أشياخه والنشء من ولدانه
دار العلوم ونيل مصر كلاهما ... بنميره يروى صدى ظمآنه
فاضا على الوادي فكان العلم من ... فيضانها والماء من فيضانه

يا خادم الفصحى وكم من خادم ... تمتز سادات بلثم بنانه
أفنيت عمرك ذائداً عن حوضها ... ذود الكريم الحر عن أوطانه
أنصفتها من معشر مستعجم ... الغرب أصبح آخذاً بعيانه
والضاد حسب الضاد فخراً أنها ... كانت لسان الله في فرقانه
هي سؤدد العربي يوم فخاره ... وقوام نهضته وسر كيانه
من ذاد عنها ذاد عن أحسابه ... بل عن عقيدته وعن إيمانه
نم يا علي جوار ربك آمناً ... لك عنده ما شئت من غفرانه.
لك عند رب العرش أجر مجاهد ... فانعم برحمته وعدن جنانه
كم من شهيد مات فوق فراشه ... جد الدم السيال في جثمانه
إن المجاهد من أغار بفكره ... لا من أغار بسيفه وسنانه
سيظل شعرك يا علي مردداً ... ما غرد القمري في بستانه
أقسمت ما نال البلى من شاعر ... يحيا حياة الخلد في ديوانه

محمود غنيم

والمؤلفون من رجال العلم والتعليم فى الوزارة ، فكانوا عند ما يجمل بهم إذ هدءوا رجال الطبع والنشر وأشاروا عليهم بما تقتضيه الحكمة فى معالجة الأمور ، وتولوا هم مواجهة الحال فتقدموا إلى معالى الأستاذ على أيوب وزير المعارف بشكاياتهم وتفنيدهم لما حدث وبيان حقهم فى الموضوع، ولا يزال الأمر بين يدى معاليه .

وإذا جاوزنا المؤلفين والناشرين وجدنا فى الأمر ماهو أخطر مما يتصل بهم ، ذلك أن مدارس مجالس المديريات قد قد قطعت صلتها ومعاملتها لدور النشر اتكالا على وزارة المعارف، فهل ستوزع الوزارة على تلاميذ هذه المدارس الكتب فى العام القادم ؟ يقف فى سبيل ذلك نص القرار على البدء بتنفيذه من سنة ١٩٥٠ — ١٩٥١ ، كما يقف فى سبيله أيضاً عدم تجديد عقود المؤلفين ، ومن الجائز عملا ألا يوافقوا على التجديد فتعهد الوزارة إلى آخرين يؤلفون من جديد ، ومع الإغضاء عن كل ذلك فإن سير العمل بالمطبعة الأميرية لا يكفل الطبع فى الشهور القليلة التى يعقبها بدء الدراسة على فرض أن يبدأ الآن فى الطبع .

كشكول الأسبوع

□ قرر معالى وزير المعارف توزيع الجزء الأول من « وحى الرسالة » على مكتبات المدارس الثانوية وما فى مستواها على أن تزود كل مكتبة بخمس نسخ منه ، وذلك لأن الوقت ليس فيه متسع هذا العام لتقرير توزيعه على الطلبة . ومما يذكر أن هذا القرار بنى على الرغبة فى توسيع مدارك التلاميذ والتلميذات ومنحهم ذخيرة من التعبير الجميل ونماذج من الأدب الرفيع ، وهى الأسباب التى من أجلها لم تر تقريره اللجنة التى أشرنا من قبل إلى مسلكها فى اختيار الكتب .

□ حضر معالى الأستاذ على أيوب وزير المعارف حفلة تأبين الجارم ، وقد توجه الأستاذ السباعى بيومي إلى معاليه باقتراح إنشاء كرسى للأدب الحديث باسم الجارم فى كلية دار العلوم ككرسى شوقى فى كلية الآداب .

□ تقرر تأجيل انعقاد المؤتمر الثقافى العربى الثانى إلى صيف السنة القادمة ١٩٥٠ ، وكان الاتجاه أن يعقد فى أغسطس القادم ، ولكنه أجل لعدم الاستعداد الكافى فى هذا العام . وستجتمع اللجنة الثقافية بالأسكندرية فى أغسطس المقبل لوضع مناهج المؤتمر وبرامجه .

□ يعمل الدكتور زكى مبارك فى تصحيح الجزء الثالث عشر من « الأغانى » بدار الكتب ، وقد كتب فى شرح كلمة « قدر » أنها تؤنث بالتاء فى العامية ، وأتى بشاهد على ذلك قولهم : (يا واد يا عترة يا سمن في القدرة) .

□ كتب الدكتور بشر فارس مقالا عن « الموسم الأجنبي للأوبرا » بجريدة « المصرى » يوم الأحد الماضي ، قال فيه : إن فى المسرحيات التى مثلت بالأوبرا فى الموسم الماضى فسقاً تمجه أذواقنا الشرقية ، وضرب مثلا مسرحية « الأهل المفظعين » قائلا إنها أثارت حين ظهورها فى باريس قبل الحرب اشمئزاز أعضاء المجلس البلدى هنالك إذ رأوا فيها دعارة وزنى وحضا للنظارة عليهما

□ تلقت وزارة الخارجية من سعادة علوبة باشا سفير مصر فى الباكستان ، رسالة ذكر فيها رغبة الباكستانيين فى اتخاذ اللغة العربية لغة للتعليم والثقافة فى بلادهم بدلا من الإنجليزية ، وأنهم يتجهون إلى مصر لكي تساعدهم على تحقيق هذه الغاية ؛ واقترح سعادته أن تنشىء الحكومة المصرية ثلاثة معاهد لتعليم اللغة العربية فى أهم الحواضر الباكستانية ، على أن ينتدب للتدريس فيها مدرسون مصريون ، وأن تساهم حكومة الباكستان فى نفقات هذه المعاهد .

□ أقدم فى هذا الأسبوع شخصية عصامية في الأدب ، وهو الأديب عبد الرازق مرزوق العامل فى مطبعة السكك الحديدية ، وهو شاب مكافح لم يتح له أن يتلقى أية ثقافة مدرسية ، فعلم نفسه بنفسه وأغرم بالقراءة والاطلاع . وقد تقدم بقصص كتبها إلى المسابقات الأدبية ، ففاز فى عشر من مسابقات وزارة المعارف والإذاعة وبعض المجلات الأسبوعية .

فماذا يا ترى تصنع مجالس المديريات فى العام الدراسى القادم ؟ وهل يبقى طلابها من غير كتب ؟

تأبين الجارم :

أقامت جماعة دار العلوم حفلا لتأبين الشاعر الكبير المغفور له على الجارم بك ، يوم الخميس الماضى بمسرح حديقة الأزبكية ، وقد افتتح الحفل الأستاذ سعد اللبان رئيس الجماعة بكلمة ألم فيها بصور من حياة الفقيد كان لها تأثير فى شاعريته وتكوين شخصيته الأدبية .

وتوالى بعده الخطباء والشعراء ، فتحدث الأساتذة مصطفى أمين بك ومحمد على مصطفى والسباعى بيومى ، وألقى الأساتذة محمود غنيم وعلى عبد العظيم ومحمود حسن اسماعيل ، قصائدهم فى رثاء الجارم .

وأول ما يلاحظ على الكلمات التى ألقيت أنها لم تكن ذات موضوعات موزعة ، أعنى أنه لم يختص كل واحد من المتكلمين بناحية معينة من نواحى الفقيد المؤبن ، فنشأ عن ذلك أن كلا منهم كان يطرق ما طرق الآخر . ومما توافقوا عليه و كرروه ، نشأة الجارم فى مدينة رشيد فى أسرة ذات علم وأدب ، وما كان للبيئة

الساحرة والأسرة الفاضلة فى إذكاء شـاعريته ، وذكرياتهم مع الفقيد فى دار العلوم وفى إنجلترا ، وغير ذلك . ولم يكن لأحد من المتحدثين موضوع خاص بعد كلمة الأستاذ سعد اللبان التى اقتضاها مقام الافتتاح ، سوى الأستاذ السباعى بيومى فقد تناول بالدراسة موضوع « الجارم الأديب » فتتبع مناحى شعره وأرجعها إلى منبعين فى نفسه هما حبه للجمال وإيمانه بالوفاء ، وطاف بأجزاء ديوانه الأربعة فأورد منها أمثلة لـما قرر ، فوفى الموضوع حقه ، ودل حديثه على اقتدار الدارس وذوق الأديب .

وكان حظ التأبين من الشعر أقيم من النثر ، فقد كانت القصائد جيدة ، ولا سيما قصيدتا الأستاذين غنيم ومحمود اسماعيل وقد خرج محمود شيئاً مما اعتاده من الإبهام وإكراه الاستعارة ، وأجاد فى تصوير وفاة الشاعر وهو يسـمع قصيدته تلقى فى تأبين المغفور له محمود فهمى النقراشى باشا ، وأحسن فى استطراده إلى الحديث عن النقراشى باشا ومصرعه وفجيعة البلاد فيه .

ويظهر أن ترتيب الخطباء والشعراء كان وفق « أقدمية التخرج » فقد ران على الحفل بعد كلمة الافتتاح ، وهن الـكبر ، فبعث شيئاً من الخمود ، لم يلبث أن ذهب بما اتقد بعده من جذوات كانت أخراها قصيدة محمود حسن اسماعيل ...

تأبين الريحانى :

وأقامت نقابة الصحفيين حفل تأبين لفقيـد الفن المرحوم الأسـتاذ نجيب الريحانى يوم الجمعة الماضى . وقد تكلم فى هذا الحفل الأستاذ حافظ محمود عن نقابة الصحفيين ، والأستاذ أنور أحمد عن وزارة الشؤون الاجتماعية ، والدكتور محمد صلاح الدين بك رئيس اللجنة العليا للتمثيل المسرحى والموسيقى والسينما ، والأستاذ يوسف وهبى بك نقيب الممثلين ، والأسـتاذ بديع خيرى باسم أسرة الفقيد ؛ فألقى كل منهم كلمة مناسبة للصفة التى تقدم بها ، وعزف الأستاذ سامى الشوا على الـكمان قطعة حزينة موضوعها « نجيب الريحانى » .

والذى يستوجب الوقوف عنده فى هذه الحفلة ، كلمة الأستاذ ابراهيم عبـد القادر المازنى ، وقصيدة الأستاذ على محمود طه . أما الأستاذ المازنى فقد حلل شخصية الريحانى الفنية وفـكاهته المسرحية تحليلا قيماً بارعاً ، قال فيـه : ما تذكرت الريحانى أو ذكر اسمه إلا تذكرت صوته الأجش الخشن الذى كنت أشعر أنه خارج من أعماق صدره ، وأنا عاجز عن الفصل بين نجيب وصوته حتى لقد كان صوته يغنينى عن رؤية تمثيله فأغمض عينى أو أطرق . وقال إن الريحانى لم يكن يشعر أنه يظهر على المسرح ليؤدى دوراً فى رواية ثم يخرج ليستأنف حياة أخرى لا علاقة لها بالمسرح ، وإنما كان يشعر أن هذه الرواية هى الحياة الحقيقية وأنه لا يمثل بل يحيا ، وأنه إنما كان يمثل حين يترك المسرح ويخرج إلى هذه الحياة . وبين الأستاذ قيمة الفـكاهة فى التمثيل وقال إن الريحانى سما بها إلى مرتبة التوجيه الاجتماعى . ولم تخل كلمة المازنى مع قيمتها مما دعا إلى الملل فى الحفلة ، وذلك عندما أطال فى علاقة الريحانى ببديع خيرى واشتراكهما فى التأليف وأيهما كان صاحب الفضل الأكبر فى جودة التأليف وحبكه وسلاسة الحوار والبراعة فيه .

وأما قصيدة الأسـتاذ على محمود طه فقد صور فيها نجيب الريحانى وفنه تصويراً شعرياً دقيقاً تـكاد ترى فيه معالم السمات وجمال الألوان ، وقد عبر فيها عن فجيعة مصر فى فقيـدها تعبير الشاعر الناطق بلسانها المعبر عن آلامها ، فكان « شاعر مصر » النابض بآمالها وآلامها ، يرثى فقيد مصر فى فن التمثيل .

مجلة المجمع اللغوى :

قال محدثى : كنت قد قرأت منذ شهور أن مجمع فؤاد الأول للغة العربية أصدر الجزء الخامس من مجلته . وأخيراً أردت أن أحصل على نسخة منها ، فجعلت أبحث وأسأل عن طريقة الحصول عليها ، حتى علمت أنها تباع فى إدارة التوريدات بوزارة المعارف . وقصدت إلى هذه الإدارة وصعدت إلى طبقـة عالية هناك حتى بلغت الموظف المختص متعباً متتابع الأنفاس ، فقد كان اليوم حراً والسلم طويلا . وطلبت المجلة ، وطلب منى الثمن ، فأخرجت ورقة بجنيه ، فقال لى الموظف : (مفيش فـكة) ولم أجد بداً من أن أنزل وأخرج إلى الشـارع لأفك الجنيه . ثم عدت وتجشمت الصعود للمرة الثانية ، ولـكنى فى هذه المرة لم أجد الموظف المختص فانتظرت ، وضقت ذرعاً بالانتظار ولم يتسع وقتى له ، فانصرفت

ثم عدت فى اليوم التالى وقد حزمت على إعداد الثمن (فكة) وكنت قد دعوت الله فى طريقى أن ييسر لى أمرى هذا اليوم فاستجاب دعائى وظفرت بالمجلة .

عجبت لجلد محدثى هذا وصبره فى سبيل الحصول على مجلة المجمع اللغوى ، وقلت فى نفسى : كم واحداً يطلبها هكذا ويتعب فى طلبها كما تعب صاحبنا ؟ ما أظن أمثاله كثيرين إن كان له أمثال .

إن الباعة ينادون على الصحف والمجلات فى كل مكان ، ويلوحون بها فى الوجوه ، ويلاحقون بها ركاب الترام وغيرهم ، وقد يعرضون ما على غلاف بعض المجلات من صور جذابة — يأتون كل ذلك كى يغروا الناس بالشراء ، ومع ذلك قد لا يفلحون فى إغرائهم .. فما بالك بمجلة المجمع اللغوى وهى مستقرة فى مخازن (التوريدات) بوزارة المعارف قيد (الروتين) ؟

وإذا كان من غير المستطاع الخروج عن هذا (الروتين) فلم يتكلف المجمع إصدار هذه المجلة ؟ أليس الغرض منها أن تنشر على الجمهور أعماله وما وضعه من مصطلحات وما أقره من كلمات ؟ فإذا كانت المجلة لا تنشر فما الفرق بينها وبين محاضر جلسات المجمع وأضابيره ؟

هلا نظر مجمعنا فى هذا الموضوع ، لعله يصل إلى طريقة تكفل توزيع مجلته أو على الأقل تيسير الحصول عليها لطلابها .

رأيى فى كتاب :

رأيت ما كتبه مؤلف « الشعر المعاصر » فى العدد الماضى من الرسالة ، واسترعى التفاتى فيه استشهاده على قيمة كتابه بما اقتطعه من كلمة كنت كتبتها عنه ، فقد رأيته يقطع أوصال تلك الكلمة ويأخذ منها ويدع .. أخذ قولى إن الكتاب يستوقف نظر متتبع الحركة الأدبية وإنه لبنة فى الأدب الحديث ، وترك الباقى وفيه قلت مترفقاً : « ولا إخال المؤلف قصد إلى التطفيف والإرجاح فى ميزانه بما لاحظته فى الكتاب منهما ، ولا أرجع ذلك إلا إلى ما ارتآه . وأكتفى بهذه الإشارة لأن المقام لا يسمع بالتفصيل والتمثيل » ومن هذا وذاك يتكون رأيى فى هذا الكتاب وأوضح هذا الرأى فأقول : إننى أعنى بقيمة الكتاب فى المكتبة العربية ما نقله المؤلف من آراء النقاد الغربيين ومذاهبهم فى النقد . أما ناحية التطبيق من حيث تعرضه لشعر الشعراء — وهى الناحية التى تختبر فيها الأصالة الأدبية — فقد امتلأ الكتاب فيها بالخبط فى الحكم على الشعر وإنزال الشعراء فى غير منازلهم صعوداً وهبوطاً ، وهذا ما عنيته بالتطفيف والإرجاح .

أما أن الرسالة « ازدانت » — لفظ المؤلف — بما كتبته عن كتابه ، ففيه نظر ...

تصويب :

وقع فى العدد الماضى تحريف مطبعى فى أول موضوع « نحن وأدباء المهجر » إذ جاء هكذا : « كتب الأستاذ حبيب كتاباً من نيويورك » وصوابه : « كتب الأستاذ (حبيب كاتبه) من نيويورك » .

وحدث كذلك سقط فى موضوع « قضية عيسى بن هشام والإذاعة » إذ جاء فى فقرة منه « خليل بك المويلحى مؤلف كتاب حديث عيسى بن هشام » وصوابه : « خليل بك المويلحى شقيق محمد بك المويلحى مؤلف ... الخ » .

عباس خضر

الكتب

اليـــوم خمر

تأليف الأستاذ محمود تيمور بك

بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب

ما يبرح الأستاذ تيمور يحبو صحابه بكرمه ، فهو لا ينسى — أبداً — وشائج الصداقة الأدبية ، ولا يغفل أواصر المحبة الروحية ، ولا يغضى عن روابط الإخاء والود ، فهو — دائماً — يخصهم ، أول ما يخص ، بمؤلفاته وكتبه ، ولقد أهدى إلى — أخيراً — مسرحيتين هما « المخبأ رقم ١٣ » و « اليوم خمر » .

وإنه ليعز علىّ أن أتحدث عن « اليوم خمر » قبل أن أقف حيناً بإزاء مسرحيته « المخبأ رقم ١٣ » فلقد ألفيت فيها روحاً وثابة متألقة وفناً عالياً رقراقاً وجمالاً في السبك وقوة في الأداء وسمواً في التصوير . ووجدته قد جمع فيها أخلاطاً من الناس اختلفت مشاربهم وتنافرت بيئاتهم وتضاربت ثقافتهم ، ثم أنطقهم بحديث يكشف عن خلجات نفوسهم وخواطر عقولهم ، فجاء الحديث قوياً لم يصبه الفتور ولا الضعف ولم يشبه الإخفاق ولا الوهن . وإنك لتعجب أشد العجب أن يتقمص المؤلف روح الرجل الارستقراطي المهذب وروح السوقي الوضيع في وقت معاً فلا يخطئه التوفيق في التعبير عن نوازع نفسيهما ولا يفلت من بين يديه زمام التحليل السيكولوجي . ولا يسف في حادثة ولا يتصنع الحديث ولا يتكلف الحبكة الفنية ... هذه — ولا شك — هي عبقرية الفنان ونبوغ القاص وتجربة المجرب ...

***

أما مسرحية « اليوم خمر » فهي قصة حياة امرىء القيس الشاعر العربي الجاهلي المعروف من لدن كان فتى غض الإهاب في العشرين من عمره إلى أن خذله قيصر الروم فأحس خيبة المسعى وضياع الأمل . وإن القارىء ليعجب أن وفق المؤلف توفيقاً عجيباً حين التزم أسلوب البداوة في قوة التعبير وجزالة اللفظ ورصانة الأداء ليخرج لنا من حياة الشاعر تمثيلية فيها روح هذا العصر ، وإنه ليحس — مع ذلك — بأشخاص الرواية ينبضون بالحياة ويخفقون بالإنسانية مما يدل على سمو الفن في روح المؤلف وسلامة ذوقه . ولا عجب أن يستنبط الأستاذ تيمور — وهو فنان عظيم — مسرحية مسلسلة مترابطة الأوصال متماسكة الجوانب ، يستلها من حوادث التاريخ المضطربة المتداعية ، فهذا عمل لا يتأتى إلا لمثله ، وهو فتح عظيم في هذا المضمار الشائك .

وإن الحوار ليبلغ غاية القوة والإتقان في مواقف ثلاثة : في يوم دارة جلجل حين هبط امرؤ القيس على المذارى وهن يبتردن في الغدير . وفي تصادم الشاعر مع أبية وهما إلى جانب ذي الخلصة ، حين تصارعت قوتان : قوة الملك حجر الجبار القاسي وقوة الفتى البوهيمي الذي لا يؤمن بمقاييس الحياة المادية ولا يخضع إلا لشهوات عقله وجسمه . وفي موقف امرىء القيس من وفد بني أسد حين أقبلوا إليه يترضونه ويستغفرون لزلتهم أن ثار بعض صعاليكهم بأبيه الملك فقتلوه ...

ولقد أراد المؤلف فأبان عن كثير من خصال الشاعر : فهو رجل عربيد داعر لا يرده الحياء ولا يمسكه الخجل فيقف على غدير دارة جلجل موقفاً مشيناً فيضطر المذارى إلى أن يخرجن إليه عاريات ... وهو — في حادثة أخرى — يجلس إلى فاطمة ابنة عمه يغازلها ويغريها بأمر في الساعة التي علم فيها بمقتل أبيه حجر فترده فاطمة بقولها « أصبابة وهيام في مثـل هذا المقام ؟ لقد أفقدتك الخمر رشـدك وهاجت في نفسك شجوناً ليس هذا حينها » ولـكنه يجيبها في استهتار وخفة « إن الحب يا فاطمة لا يضرب له وقت موعد ولا يعـين له حين ... أحبك ، يا فاطمة ، أحبك في كل آن ... ما ضرنا اليوم وقد زالت من طريقنا العوائق أن نحقق حلمنا القديم ، يا طالما حالوا بيننا وبين وصالنا . أما الآن فلا حائل يحول » . هذا — ولا ريب — كلام رجل لا يشـعر بالعبء الذي يثقل كاهله ؛ فلا هو أحس الحزن لمقتل أبيه ولا هو ارعوى فاحترم مصيبة ابنة عمه في أبيها وفي أبية في وقت معاً .

وهو رجل متلاف لايبقى على شيء مثلما قال خادمه حنظلة .. « أخبرنى فديتك ، ماذا بقى لهذا الأمير من جاهه و ثرائه ؟ إنه كما ترى لا يبقى على شيء . ولست أدرى إلى أين ينتهى به وبنا المساق ألم يتنكر له أبوه فيغدو شريداً طريداً ؟ »

وهو رجل خال من الفحولة ، فلقد غبر زماناً يدفعه الشوق إلى أقحوان الثانية ، حتى إذا ظفر بها وخلا إليها خانته رجولته فارتدت الفتاة عنه مغيظة يبدو عليها النفور لتقول لرفاقه : « إن صاحبكم ليتشدق بالطعن والضرب ، آخذاً للحرب أهبتها فى كل وقت ، فإن حانت ساعة العراك تبوأ مقعده يرقب السماء ويحصى نجوم الليل » . هذا تعبير قوى عن خلة من خلال الشاعر يعرفها له التاريخ ولكنه تعبير يترفع عن الإسفاف والضعة .

ولكن القصة مثلت امرأ القيس فتى داعراً لم تغيره الحوادث ولا عركته السنون ولا أصابه الوهن يتراءى فى كهولته فتى فى الثلاثين غزلا يتشبب بالنساء ويفرغ للكأس ، عزباً يرنو إلى إلى فاطمة حيناً وإلى ابنة قيصر حيناً آخر .. غير أن التاريخ يقول إنه تزوج من أم جندب بعد أن تزوجت فاطمة من أبى عنبسة وإن قصة تحكيم أم جندب فيما شجر بين امرئ القيس وبين علقمة الفحل قصة يعرفها كل من قرأ تاريخ الأمير الشاعر .

***

لست أنكر أن تاريخ العرب فى الجاهلية مضطرب اضطراباً كبيراً لا تجمعه آصرة ولا تربطه صلة ولا يدعمه سند ، ولكن فيه حوادث ثابتة أجمع المؤرخون على صحتها . وما كان المؤلف أن يغفلها فى مسرحيته ، أو أن يضع شيئاً مكان شيء إلا أن تكون قد تضاربت الروايات .

وهكذا انضمت المسرحية على بعض المآخذ التاريخية منها : أن المؤلف جمع بين يوم دارة جلجل وبين حادثة عفو الملك حجر عن أسرى بنى أسد ... جمعهما فى قرن فى حين أن الحادثتين كانتا فى مكانين مختلفين ويفصلهما زمان طويل . ومنها أن المؤلف أقحم صمصاماً فى نهاية الفصل الرابع من المسرحية ليوحى إلى امرئ القيس بأن يطلب العون من قيصر الروم وليزين له الرحلة إلى القسطنطينية فى حين أن التاريخ يجزم بأن السموأل بن عاديا هو الذى مهد السبيل لامرىء القيس كى يبلغ بلاد الروم فى أمان ويستقر هناك فى هدوء ... ومنها ما جاء فى ختام القصة حين فر امرؤ القيس ورفاقه من القسطنطينية ، وهذه حادثة لم نعثر لها على أصل فى ما لدينا من مراجع إلا أن تكون قد حاكتها يد فنان بارع . وأنى لرجل من أعداء قيصر أن يفر من بين يدى جنده وحراسه وجواسيسه وهم يملأون أرجاء المدينة وشعابها ؟ أما التاريخ فإنه يقول إن قيصر كان يخشى سطوة الأمير الشاعر فأهدى إليه حلة مسمومة فلبسها فأصابته القروح وتناثر لحمه ومات فى أنقرة وهو فى طريقه إلى حرب كسرى على رأس كتيبة من جيش عرمرم .

***

هذه — ولا شك — هنات هينات لا تضع من قيمة الجهد المظيم الذى اضطلع به القصاص الكبير الأستاذ تيمور .

كامل محمود حبيب



أخي الأستاذ أنور المعداوي :

كثر الكلام حول مسرحية (الملك أوديب) لتوفيق الحكيم، فأرجو ألا أثقل عليكم بعودتي إلى طرق أبواب الموضوع نفسه من جديد . فقد لفت نظري في التعقيب الذي عقب به توفيق الحكيم على مقدمة الترجمة الفرنسية المسرحية ما يلي :

١ — قال الحكيم إن الإسلام يرفض فكرة الله المدبر لأذى الإنسان تدبيراً سابقاً دون مقتض أو جريرة . وقد شاء الحكيم لهذا السبب أن يوفق بين فكرة الأسطورة وبين روح الإسلام فجعل من رغبة أوديب في العلم بالحقيقة وبحثه المتصل عنها سبباً يدفع أوديب إلى الكارثة . أي أن الحكيم جعل الموجب للكارثة — كما يقول صراحة في ص ٢٦٧ — طبيعة أوديب ذاتها ، طبيعته المحبة للبحث في أصول الأشياء الممعنة في الجرى خلف الحقيقة . وهو يقول : إن رغبة أوديب في العلم بالحقيقة هي التي جرته إلى ما جره العلم الحديث على الإنسان الحديث ممثلا في (فرويد) عند ما طفق يحفر في أعماق الإنسان إلى أن وجد أنه عاشق في الباطن لأمه . وقد استبدت بي الحيرة عند ما قرأت هذا التمليل .

فلست أدري كيف استساغ كاتب فنان كتوفيق الحكيم أن يجعل من حب أوديب للحقيقة وسعيه وراءها إنما يستحق عليه ذلك العقاب المنكر الفظيع ، فإن حب الحقيقة والسعي وراءها — مطلقة كانت أو نسبية ، عامة كانت أو جزئية — لدى أناس كالفلاسفة والعلماء هو الذي بث شهرتهم في الآفاق خلد ذكرهم في أعماق الأفئدة والهج به الألسنة على مدى الأجيال والعصور .

ثم إنني لم أفهم كيف ارتضى الحكيم أن يشبه حالة أوديب أمام المأساة بحالة فرويد أمام حقائق النفس . فعند ما طفق فرويد يحفر في أعماق الإنسان بحثاً عن الحقائق النفسية ووجد أنه عاشق في الباطن لأمه لم يكون هذه الحقيقة ولم يخلقها أو يوجدها بنتيجة سعيه وراء الحقيقة وإنما اكتشفها وقررها .

فالحقيقة التي اكتشفها فرويد كانت موجودة ، ولكنها كانت مطمورة في أغوار النفس الإنسانية . ولكن أوديب عند ما بدأ يبحث عن أصله وذويه لم تكن الكارثة أو الحقيقة موجودة ، وإنما حدثت فيما بعد على يده . ولو ادعى الحكيم أن الحقيقة التي واجهت أوديب كانت موجودة ومستقرة سلفاً في ضمائر الآلهة ، فإن ذلك لا يغير من صلب الحقيقة ؛ لأن وجود الحقيقة واستقرارها في ضمائر الآلهة شيء وحدوثها في عالم الحس والواقع شيء آخر . فالبحث عن الحقيقة قد أدى عند فرويد إلى اكتشاف الحقيقة فحسب ، والبحث عن الحقيقة أدى عند أوديب إلى وقوع الكارثة أو المأساة أو الحقيقة . وواضح أن الفرق بين الحالين أكبر وأوسع من أن يستسيغ أي تشبيه بينهما .

٢ — لاحظت أن الحكيم يقول في الرد نفسه أن الطعن الذي أنزله أوديب بعينيه قد ذهب في تفسيره أندريه جيد في مسرحيته إلى كونه إمعاناً في الكبرياء . والواقع يشهد وصحائف الكتاب بدورها تشهد بأن أندريه جيد لم يقل مثل هذا الكلام ولم يفكر فيه ؛ لأنه قال بصراحة عن لسان أوديب مخاطباً الكاهن تيرسياس بأنه — أي أوديب — إنما يفقأ عينيه لأنهما لم تحسنا تنبيهه إلى الكارثة قبل وقوعها ولم تضيئا له الطريق ، فهو إذ يطعن عينيه إنما يتلف أداة عاطلة لم تنفعه إن لم تخدعه في نفس الوقت .

هذا ما وددت أن أعرضه عليكم آملاً أن أتلقى منكم الرأى المصيب الذي عودتمونا إياه في أغلب الفرص والمناسبات . وختاماً أبعث إليكم وإلى صاحب الرسالة الجليل أطيب الود وأخلص التقدير

(بغداد) **فؤاد الونداوي**
ليسانيه في الحقوق

حول هام ومهم :

قرأت للأستاذ على هلالى تصويباً لاستعمال كلمتين لم يقل أحد بخطأ إحداهما وصواب الأخرى وهما هام ومهم . وبعد أن استعان بلسان العرب والقاموس وغيرهما وحكم بأنهما لغتان عربيتان صحيحتان ولا فرق بينهما في الاستعمال قال : وإني أحذر الكتاب

من النقود المزيفة فى لغة الجرائد ، فدخل فى روعى أن فى لغة الجرائد تخطىء لإحدى الكلمتين فمدت إلى تلك النقود المزيفة عند الأستاذ فوجدت ما يأتى :

« ويقولون هذا أمر هام بصيغة الثلاثى لا يكادون يخرجون عنها فى الاستعمال والأفصح مهم بالرباعى » « وعليه اقتصر فى الصحاح والأساس » .

فعجبت مما فهم الأستاذ من هذا النص الصريح الذى دفعه إلى أن يتبرع بكلمة « مزيفة » .

رجل قد رأى الناس لا يستعملون إلا كلمة « هام » ويتحاشون استعمال كلمة « مهم » بل لعله قد رأى من تعرض لتخطئتها فدلنا على الأفصح والأفصح لا ينفى الفصيح ، افترميه بالزيف ؟!!

كنت أود أن يدقق الأستاذ « هلالى » فى تعابيره كما يدقق فى البحث عن بعض الكلمات فى المعجمات . يقول الأستاذ فى نهاية كلمته « على الكتاب أن يرجعوا إلى المعاجم العربية وغيرها من المراجع » فهل يثق الأستاذ بصحة هذه المعاجم ؟ ألم يطلع على ما فى هوامشها من الحواشى ؟ أو لم ير مآخذ الفيروزابادى على الجوهرى ؟ ولماذا ننتظر من المجمع اللغوى قاموساً صحيحاً شاملا جديداً ؟

ثم إن الأستاذ هلالى يخطىء من « يدعى » — على حد تعبيره — تأنيث كلمة الضبع فقط للحيوان المعروف ، فهلا أتى بشواهد على جواز تذكيرها تعزز هذا التخطىء ؟

ابن ماضى

١ — التقليد :

أنكر أحد المدرسين استعمال التقليد بمعنى الاقتداء والمحاكاة لأنه لم يرد فى كتب اللغة ، وهذا ليس بصحيح فقد جاء فى لسان العرب وشرح القاموس ومعيار اللغة وأساس البلاغة وغيرها ما نصه :

قلدتها قلادة : جعلتها فى عنقها ، ومنه التقليد فى الدين ، وتقليد الولاة الأعمال وهو مجاز كأنه جعل قلادة فى عنقه الخ

وجاء فى كتاب التعريفات للجرجانى : التقليد عبارة عن اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل معتقداً للحقيقة من غير نظر وتأمل فى الدليل كأن هذا المتبع (وهو المقلد) جعل قول الغير أو فعله قلادة فى عنقه ، أو التقليد عبارة عن قبول قول الغير بلا حجة ولا دليل اهـ

ومن هذه النصوص يظهر لك أن المعنى الأصلى للتقليد واحد فقط وهو وضع القلادة فى العنق ، ثم استعمل فى غيره على سبيل التجوز والتشبيه والاستعارة وقد ألفت كتب ووضعت بحوث فى التقليد ولم يطعن فيه أحد لأنه يرجع إلى معنى عربى صحيح .

٢ — المصيف :

من الأخطاء الشائعة مصْيَف بتسكين الصاد وفتح الياء والصواب : كسر الصاد لأنه اسم مكان من صاف يصيف كمصير من صار يصير ، وجمعه مصايف بالياء ، ولا تقل مصائف بالهمزة لأن الياء أصلية فى تركيب الكلمة (ص ى ف) فلا بد من ظهورها فى الجمع ولا تقلب همزة .

على حسن هلالى

بالمجمع اللغوى

إلى خنساء فلسطين الآنسة فدوى طوقان :

تحية التقدير وسلام الوفاء وبعد :

منذ زمن طويل بعد أن قامت الحرب فى الأرض المقدسة ونحن ننتظر منك حدثاً جديداً فى عالم الفن والأدب ولا سيما وقد سطرت فى عالم الخلود أروع ترانيم الحسرة واللوعة على أخيك المرحوم شاعر فلسطين إبراهيم طوقان .

وحوادث فلسطين الأخيرة قد تفتت لهولها صلد الصخر ونضب لها معين الضمير الحى ، إن كان فى الوجود ضمير حى ، وما أظنك يا أختاه إلا سكبت فى بوتقة الشعر والفن أعظم آلام الإنسانية المعذبة .

« والرسالة » مذ كانت وهى منبر الحق والفن والعلم والأدب وقد ترعرعت بين أحضانها ، فهل لك يا خنساء الأندلس الجديدة أن تزفى زفراتك من فوق منبرها الرفيع ؟

ذلك ما نرقب وننتظر .. فهلمى يا أختاه .

وللأديبة الموهوبة نجوى مقوار (مى فلسطين) أطيب تحياتى

فتى الأندلس

كلية اللغة العربية بالأزهر



نظرات فى كتاب الأشربة

للأستاذ السيد احمد صقر

— ٥ —

٣٣ — ص ٤٩ يقول ابن قتيبة : « وحدثنى محمد بن خالد ابن خداش ، عن سالم بن قتيبة قال : حدثنا حمزة الزيات ... » والصواب « .. عن سلم بن قتيبة ... » وهو سلم بن قتيبة الشعيرى — بفتح المعجمة وكسر العين — أبو قتيبة الخراسانى نزيل البصرة . قال ابن أبى عاصم : مات سنة مائتين كما فى خلاصة تذهيب الكمال ١٢٤

وأما حمزة الزيات : فهو كما قال ابن قتيبة فى المعارف ص٢٣٠ « حمزة بن حبيب بن عمارة ويكنى أبا عمارة ، مولى لآل عكرمة ابن ربعى التيمى مات بحلوان سنة ست وخمسين ومائة فى خلافة أبى جعفر » .

٣٤ — ص ٥٠ « وكذلك قال الأشج لبنيه : لا تشربوا ولا تنجروا ، ولا تماقروا فتسكروا »

والصواب . « لا تبسروا ولا تنجروا .. » جاء فى لسان العرب « البسر هو خلط البسر بالرطب أو بالتمر وانتباذهما جميعاً . والنجر : أن يؤخذ نجير البسر فيلقى مع التمر ، والنجير : ثفل البسر » والحديث بتمامه فى الفائق للزمخشرى مادة بسر راجع ترجمة الأشج فى الاصابة وابن سعد ٧ / ٦٠ وأسد الغابة ١ / ٩٦ وقد روى ابن سعد عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن الأشج قال :

رغبة واستجابة :

وعدت القراء فى عدد « الرسالة » الماضى بأن أعقب على الكلمة التى نشرت فى « البريد الأدبى » للأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتى ، ولقد كنت أود أن أفى بهذا الوعد لولا رغبة كريمة من صديقين عزيزين بأن أكف يدى وأقبض قلمى ، تحقيقاً لغاية نبيلة هى إعادة الصفاء إلى النفوس ...

وأنا لا يسعنى إلا الاستجابة لرغبة الصديقين العزيزين ، وهما الأستاذان إبراهيم الابيارى وحسن كامل الصيرفى .

فإلى القراء أعتذر ، راجياً أن يتقبلوا الاعتذار على ضوء أسبابه ودواعيه ... وللأستاذين الصديقين أستجيب ، آملا أن أكون عند حسن الظن من الراغبين فى الخير والداعين إلى الصفاء .

أنور المعداوي

الاتساع فى اللغة :

إن الجدى على محبى العربية فى التنوية بالثروة اللغوية التى ترمز إلى مدى الاتساع فى دلالات الألفاظ المشتركة فى إفادة المعنى الفذ، ولقد حررنا منذ سنوات بالأهرام الغراء ١٩٣٨/١٠/٢٩ كلمات : « الذعر ، والرعب ، والفزع ، والخوف . » ، وأوضحنا مدى ما فى هذه الكلمات من تلاق فى الدلالة وتباعد فى الصياغة ؛ ونحب أن نورد بالرسالة الزهراء ما وقع لنا من ألفاظ تدل على السعة ، وتمطى الراغبين فى البحث نهزة للايناس بما يوضح جلال هذه اللغة .

(ا) جاء الفعل الدال على « الرأفة » — وهى أشد الرحمة — بثلاث صيغ (رؤف) به و (رأف) به و (رئف) به .

(ب) يقال : رجع الشئ بنفسه و (رجعه) غيره : متعد ولازم من الثلاثى .

(ح) يقال فى مقام الرجاء . ترجاه ، وارتجاه . بمعنى واحد .

(ء) يقال فى التنقل : رحل ، وارتحل ، وترحل .

(ه) مصدر حدث : المحادثة ، والتحادث ، والتحدث والتحديث .

(و) يقال : أضاءت النار ، وأضاءت النار المكان . يتعدى ويلزم .

(ز) يجرى على الألسنة (تشكر له) وهو صواب (كشكر له)

(بور سعيد) أحمد عبد اللطيف بدر

قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فيك خلقين يحبهما الله ورسوله ، قلت : وما هما ؟ قال : الحلم والحياء ، قلت : وقديماً كانا فىّ أو حديثاً ؟ قال : بل قديماً ، قلت : الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يحبهما الله ورسوله .

٣٥ — ص ٥٢ « ... وقال أبو الغالية الرياحى : اشرب النبيذ ولا تمزز ، والتمزز أن يشرب قليلاً قليلا » .

والصواب : « أبو العالية » بالعين لا بالغين ، واسمه رُفيع بن مهران الرياحى البصرى ، وهو من الأئمة المخضرمين ، صلى خلف عمر ، ودخل على أبى بكر . وتوفى فى شوال سنة تسعين ، وكان ثقة كثير الحديث . وهو من موالى بنى رياح ، اشترته امرأة منهم ، ثم انطلقت به إلى المسجد الجامع بالبصرة فى يوم جمعة والإمام على المنبر ، فقبضت على يده وقالت : اللهم أذخره عندك ذخيرة ، اشهدوا يا أهل المسجد أنه سائبة لله ليس لأحد عليه سبيل إلا سبيل معروف . وقد حدث أبو العالية من نفسه قال : كنت مملوكا أخدم أهلى فتعلمت القرآن ظاهراً والكتابة العربية وقرأت المحكم بعد وفاة نبيكم بعشر سنين ، فقد أنعم الله على بنعمتين لا أدرى أيتهما أفضل : أن هدانى للاسلام أم لم يجعلنى حرورياً ، ثم يقول : وكنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم . ويقول : لما كان زمن على ومعاوية وإنى لشاب ألقتال أحبّ إلىّ من الطعام الطيب ، فتجهزت بجهاز حسن حتى أتيتهم فإذا صفان لا يرى طرفاهما ، إذا كبّر هؤلاء كبّر هؤلاء ، وإذا هلل هؤلاء هلل هؤلاء ، فراجعت نفسى فقلت : أى الفريقين أنزله كافراً ؟ وأى الفريقين أنزله مؤمناً ؟ أو من أكرهنى على هذا ؟ فما أمسيت حتى رجعت وتركتهم . وكان ابن عباس أيام إمارته بالبصرة يكرمه ويجلسه معه على سريره . وكان أبو العالية يبعث بصدقة ماله إلى المدينة فتدفع إلى أهل النبى فيضعونها فى مواضعها . ومن كلامه : إذا سمعتم الرجل يقول : إنى أحب فى الله وأبغض فى الله فلا تقتدوا به.

راجع ترجمته فى تهذيب التهذيب وميزان الاعتدال ١ / ٣٤٠ وطبقات ابن سعد ٧ / ٨١ — ٨٥ وحلية الأولياء ٢ / ٢١٧ — ٢٢٤ وصفة الصفوة ٣ / ١٣٥ والمعارف لابن قتيبة ص ٢٠٠

٣٦ — ص ٥٢ « وقيل لمحمد بن واسع : أتشرب النبيذ ؟ قال : نعم ، قيل : وكيف تشربه ؟ قال : على غدائى وعشائى وعند ظمأى . قيل فما تركت منه ؟ قال : النكات ومحادثة الرجال »

وقد علق الأستاذ على ذلك بقوله : « النكات : جمع نكتة وهى هنا الجملة المنقحة المحذوفة الفضول »

ولست أرى رأيه فى هذه الكلمة وهى عندى محرفة بيد أنى لم أدرك وجه تصويبها . ويرى صديقى الراوية الأستاذ محمود محمد شاكر أن صوابها « التكأة » يريد بها الجلوس المطمئن وإدارة الأقداح . ويستدل بما رواه المؤلف فى صفحة ٦٠ من قول جميل ابن معمر :

فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله

ومحمد بن واسع قائل هذه الكلمة فيما يقال من كبار الزهاد العابدين الورعين توفى فى سنة عشرين ومائة . راجع ترجمته فى صفة الصفوة ٣/١٩٠ — ١٩٥ والمعارف ٢٠٩ .

٣٧ — ص ٥٣ « وقيل لسعيد بن سالم : أتشرب النبيذ ؟ قال لا . قيل : ولم ؟ قال : تركت كثيره لله ، وقليله للناس »

والصواب : « وقيل لسعيد بن سلم » كما فى عيون الأخبار ٤/٣٧ وقد مدحه أعرابى فقال :

أيا سارياً بالليل لا تخش ضلة سعيد بن سلم ضوء كل بلاد
لنا سيد أربى على كل سيد جواد حثا فى وجه كل جواد

فلم يعطه شيئاً فقال :

لكل أخى مدح ثواب يعده وليس لمدح الباهلى ثواب
مدحت ابن سلم والمديح مهزة فكان كصفوان عليه تراب

وسعيد بن سلم هو القائل : إذا لم تكن المحدّث أو المحدَّث فانهض وراجع . وقد هجاه أبو الشمقمق ، ومسلم بن الوليد ، ورثاه عبد الصمد بن المعذل بأبيات جيدة تجدها فى الكامل للمبرد مع شىء من أخباره فى ص ٧١٢ — ٧١٨ من طبعة الشيخ أحمد محمد شاكر .

٣٨ — ص ٥٨ « ولو كان تحريم الخمر للسكر لم يطلقها الله تعالى للأنبياء والأمم قبلنا ، فقد شربها نوح عليه السلام حين

خرج من السفينة واعترس الحبلة حتى سكر منها » .

وجد الأستاذ هذه الكلمة بهذا الرسم فلم يفهم معناها ولم يفطن إلى وجه الصواب فيها ، وعلق على الجملة بقوله : « كذا فى الأصل، والحبلة : العنب ، وفى الحديث : لا تقولوا للعنب الكرم ولكن قولوا العنب والحبلة . الحبلة : بفتح الحاء والباء وربما سكنت » .

والصواب « واغترس الحبلة » بمعنى غرس ، وكذلك رويت جاء فى لسان العرب « وفى الحديث لما خرج نوح من السفينة غرس الحبلة » .

٣٩ — ص ٥٨ فى الحديث عن الخمر والنبيذ « واما قولهم الخمر ما خمر ، والمسكر مخمر فهو خمر مثله ... »

والصواب « والنبيذ مخمر فهو خمر مثلها » كما فى العقد الفريد ٣٣٦/٤ .

٤٠ — ص ٥٩ « ولو كان الله تعالى حين أحل النبيذ أحل منه السكر الذى يكون منه الخمار وكان شربة النبيذ من الصحابة والتابعين سكروا فأصابهم ذلك ، للزمنا أن يقال : نباذ ولا يقال فيجب ما ذهبوا إليه » وعلق الأستاذ على « ولا يقال » بقوله : وفى الأصل أو ، وما أثبتناه رواية ع »

والصواب : « للزمنا أن يقال نباذ ولا يقال : خمار فيجب ما ذهبوا إليه » .

٤١ ص ٦٢ فى شعر بعض الأشراف :

تلم بنا الخصاصة ثم تنفى على إقتارنا حسب ودين

والصواب : « ثم يعفى »

٤٢ ص ٦٢ وقال يحيى بن نوفل اليمانى :

وينتبقان الشراب الذى يحل به الجلد للجالد
شراب يوافق فهر اليهود ويكره للمسلم العابد

وقد ضبط الأستاذ كلمة « فهر » بكسر الفاء ، والصواب ضمها كما فى لسان العرب ، وجاء فى القاموس : « وفهر بالضم مدارس اليهود تجتمع إليه فى عيدهم ، أو هو يوم يأكلون فيه ويشربون »

٤٣ — ص ٧٠ « وقال الأعشى :

ولقد شربت ثمانياً وثمانيا وثمان عشر واثنتين وأربعا
من قهوة باتت ببابل صفوة تدع الفتى ملكا يميل مصرعا

والصواب : « وثمان عشرة ... »

٤٤ — ص ٧٥ « وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : البر ما سكنت إليه القلوب ، واطمأنت إليه النفوس ، والأثم ماحاك فى صدرك فكرهت أن تطلع عليه الناس . وقال ابن مسعود : الأثم جواز القلوب ، وهى الهوادج فيها بالشكوك ، فإذا كان الأثم يكون بما قدح فى القلب من الشك فكيف هو فيما يتيقنه القلب ، أوليست الأعمال بالنيات ونية المؤمن خير من عمله »

وعلق الأستاذ على ذلك بما يلى : « الهودج : مراكب النساء وهدج الظليم : مشى وسعى وعدا ، وكل ذلك إذا كان فى ارتعاش ، وظليم هداج ونعام هداج ، وهوادج وتقول : نظرت إلى الهوادج كما فى التاج »

وهذا شرح عجيب غريب لست أدرى كيف ارتضاه الأستاذ فى هذا المقام ، والذى أوقع الأستاذ فى هذا الخطأ الطريف أنه اعتقد أن « الهوادج » هنا كلمة صحيحة قالها ابن مسعود ، وهى محرفة وصوابها : « القوادح » كما أن « جواز » محرفة أيضاً وصوابها : « حُزّاز » جاء فى لسان العرب : « وفى الحديث عن ابن مسعود رضى الله عنه : الاثم حُزّاز القلوب ، وهى الأمور التى تحز فيها ، أى تؤثر كما يؤثر الحز فى الشىء ، وهو ما يخطر فيها من أن تكون معاصى لفقد الطمأنينة إليها ، وهى بتشديد الزاى . جمع حازّ ، يقال إذا أصاب مرفق البعير طرف كِركرته فقطعه وأدماه : قيل : به حاز . وقال الليث يعنى : ما حز فى القلب وحك . وقال القديّس الكنانى : العرك والحاز واحد ، وهو أن يحز فى الذراع حتى يُخلص إلى اللحم ، ويقطع الجلد بحد الكركرة وقال ابن الأعرابى : إذا أثر فيه قيل : ناكت ، فإذا حز به قيل: حاز ، فإذا لم يدمه فهو الماسح . ورواه شمّر : الاثم حواز القلوب بتشديد الواو ، أى يحوزها ويتملكها ويغلب عليها . ويروى : الاثم حزّاز بزايين الأولى مشددة ، وهو فعال من الحزّ »

(يتبع)

السيد احمد صقر
المدرس فى الليسيه بمصر الجديدة



قصـــة طفل

للكاتب الإنجليزى شارلس ديكنز

ترجمة الأستاذ محمد فتحى عبد الوهاب

يحكى أنه منذ سنوات كان هناك مسافر ، يقوم برحلة سحرية . فقد وجد عندما بدأ القيام بها ، أنها تبدو طويلة جداً ، وقصيرة جداً عندما وصل إلى منتصفها .

وسار فى طريق حالك بعض الوقت دون أن يقابل أحداً . ثم التقى أخيراً بطفل جيل . فقال له « ماذا تفعل هنا ؟ » فأجاب الطفل « إنى دائماً فى لهو ومرح ، فتقدم وامرح معى ! » .

ولعب مع الطفل طول اليوم ، وكانا سعيدين . كانت السماء زرقاء ، والشمس مشرقة ، والماء متألقاً ، وأوراق الشجر مخضرة ، والأزهار يانعة . واستمعا إلى تغريد الطيور ، وشاهدا مختلف الفراش ، وراقبا هطول المطر ، واشتما الروائح الزكية . وكانا يسران من الاستماع إلى هبوب الرياح ، ويتخيلان ما تهمس به ، عندما تندفع مقبلة من موطنها . ويتساءلان فى عجب عن أصل نشأتها ، وهى تصفر وتزمجر ، وتدفع بالسحب أمامها ، وتحنى الأشجار فى طريقها ، وتندفع خلال المداخن ، وتهز الديار هزاً ، وتثير غضب البحر فيهدر مزمجراً . وما أجمله مشهداً عندما يتساقط الجليد ، فيتمتعان برؤية البرد النازل فى سرعة وغزارة ، وكأنه الزغب الساقط من صدور ملايين الطيور البيضاء . ويشاهدان تراكم الثلج الناعم ، ويستمعان إلى الهمسات الصادرة من الدروب والطرقات . وكان لديهما العديد من أجمل الألعاب فى العالم ، وأغرب الكتب المصورة .

ولكن فى ذات يوم ، وعلى غير انتظار ، تفقد المسافر الطفل فلم يجده . وناداه مرات ومرات دون أن يسمع مجيباً . فتابع سيره فى طريقه ، ومشى مدة من الزمن دون أن يقابل أحداً ، حتى التقى أخيراً بصبى حسن الطلعة ، فقال له « ماذا تفعل هنا ؟ » فأجاب الصبى « إنى أتعلم ، هلم وتعلم معى » .

وأخذ يتعلم مع الطفل عن جوبيتر ، وجونو ، والإغريق والرومان ، وشتى مختلف العلوم . وكان لديهما بجانب ذلك أبهج أنواع الألعاب الرياضية . فكانا يجدفان فى النهر صيفاً ، وينزلقان على الثلج شتاء ، ويعدوان فى نشاط ، أو يمتطيان صهوات الجياد . وهكذا كانا يمارسان شتى أنواع الرياضة ، حتى أصبحا لا يفوقهما أحد فيها . وكانت لهما حفلات للرقص ، ومسارح يتمتعان فيها برؤية قصور من الذهب واللجين . وشاهدا كل عجائب العالم . وكان لديهما من عزيز الأصدقاء ما لا يعد ولا يحصى .

ومع ذلك ، ففى ذات يوم افتقد المسافر الصبى مثلما افتقد الطفل . وبعد أن ناداه دون جدوى تابع رحلته . وسار فترة من الزمن دون أن يشاهد أحداً ، حتى التقى أخيراً بشاب ، فسأله « ما الذى تفعله هنا ؟ » فأجاب الشاب « إنى أعشق دائماً . أقبل واعشق معى » .

وسار المسافر مع الشاب فالتقيا بفتاة من أجمل ما شاهد من الفتيات ، ذات عينين نجلاوين ، وشعر أثيث ، وابتسامة خلابة ، ووجه مشرق . ووقع الرجل فى حبها من النظرة الأولى . ومع ذلك كانا يغضبان فى بعض الأحيان ، ويتشاجران ، ويتخاصمان ، ويجلسان فى الظلام يكتبان الرسائل كل يوم . ويختلسان النظر إلى بعضهما ، ثم يصطلحان فى حفلة عيد الميلاد ، ويعتزمان الزواج فى أقرب وقت .

ولكن المسافر تفقدها ذات يوم مثلما تفقد الشاب فلم يجدها ، وبعد مناداته عليهما تابع رحلته . ومشى فترة من الزمن دون أن يرى أحدا ، ثم التقى أخيراً بسيد متوسط العمر فقال له « ماذا تفعل هنا ؟ » فأجاب « إنى مشغول دائماً . تعال واشتغل معى » .

وهكذا تعددت مشاغله . وذهب مع السيد إلى الغابة . وأصبحا يرحلان إليها كثيراً . وكانت الغابة بادىء ذى بدء مكشوفة خضراء ، ثم أخذت تتكاثف وتظلم ، وحاول لون أشجارها التى كان قد التقى بها مبكراً إلى لون قاتم . ولم يكن السيد وحيداً ، بل كانت ترافقه سيدة فى مثل عمره ، وهى زوجته . وكان لهما أولاد أيضاً . وذهبوا جميعاً يخترقون الغابة ، ويقطعون الأشجار وينشئون دروباً بين

الأفنان ، ويمملون فى حرارة .

وكان أحياناً يقابلهم طريق أخضر مكشـوف فى غابات كثيفة . ويستمعون إلى صوت على مقربة منهم يقول « أبتاه ، أبتاه ، أماطفل آخر ! انتظرنى ! » ثم يشاهدون شخصاً صغيراً جداً ينمو ويكبر وهو مقبل يعدو ليلحق بهم ، حتى إذا ما وصل ، التفوا حوله ، وقبلوه ، ورحبوا به ، ثم تابعوا سيرهم جميعاً .

وكانوا أحياناً يلتقون بطرق مختلفة فى وقت واحد فيقفون . ثم يقول أحد الأولاد « أبتاه إنى ذاهب إلى البحر » ويقول الآخر « أبتاه ، إنى راحل إلى الهند » ، والثالث « إنى مسافر لأبحث عن الثروة أينما استطعت » ويقول الرابع « أبتاه ، إنى مرتفع إلى السماء ! » وهـكذا يفترقون وقد فاضت دموعهم فى غزارة . ويذهبون ، كل منهم فى طريق من هذه الطرق . ويرتفع الطفل الصاعد إلى السماء ، يرتفع فى الهواء الذهبى ، ثم يختفى .

وكان حينما يحدث مثل هذا الفراق ، ينظر المسافر إلى السيد فيشاهده يتطلع إلى السماء فوق الأشجار ، حيث يأخذ النهار فى المضى ، وتبدأ الشمس فى الغروب . ويلاحظ شعره وقد اشتعل شيباً .

ثم ساروا يقطعون رحلتهم دون أن يستريحوا لحظة . فقد كان من الواجب عليهم أن يكونوا منشغلين . وهكذا أقبلوا على طريق أكثر حلكة من غيره ، واندفعوا فى رحلتهم ، عندما وقفت السيدة وقالت « زوجى ، أنهم ينادوننى » .

فأصغوا فاستمعوا إلى صوت آت من بعيد يقول « أماه ، أماه ! » كان صوت الطفل الأول الذى قال إنه صاعد إلى السماء . وقال الأب « لا تذهبى الآن ، أرجوك ، إننا على وشك الغروب ، لا تذهبى الآن ، أرجوك » . ولـكن الصوت نادى « أماه ، أماه » دون أن يبالى به ولا بما أصبح عليه السيد من بياض الشعر وغزارة الدمع .

وعندئذ قبلت الأم زوجها وهى تبتعد عنه ، وتنسحب فى الطريق المظلم ، وتحرك ذراعيها ولا يزالان ملتفتين حول عنقه . وقالت له « يا أعز أعزائى ، لقد نادونى ، وها أنذا ذاهبة » ثم رحلت ، وظل الزوج والمسافر وحيدين .

واستمرا فى سيرهما حتى اقتربا من نهاية الغابة . فاستطاعا أن يشاهدا الشمس تغرب أمامها بأشعتها الحمراء خلال الأشجار .

وبينما كان المسافر يشق طريقه خـلال الأفنان ، إذ فقد الرجل . ونادى ، ثم نادى دون مجيب . وأخيراً سار وحيداً حتى أقبل على رجل كهل جالس على شجرة ساقطة ، فقال له « ماذا تفعل هنا ؟ » فأجاب الـكهل فى ابتسامة وديعة « إنى أتذكر دائماً . أقبل وتذكر معى ! » .

وهكذا جلس بجوارَ الـكهل وجهاً لوجـه يشاهد غروب الشمس الصافية وجمل يتذكر ، فأقبل عليه أصدقاوه عائدين فى هدوء ، ووقفوا وأحاطوا به . الطفل الجميـل ، والصبى الحسن الطلعة ، والشاب العاشق ، والأب والأم والأولاد . كانوا كلهم حوله . ولم يفقد منهم أحداً .

وهكذا أحبهم جميعاً ، وكان رحيما رفيقاً بهم ، ومسروراً بوجودهم . وكانوا جميعاً يجلونه ويمشقونه .

وأظن أن هذا المسافر هو أنت يا جداه ؛ لأن هذا هو ما فعلته بنا ، وهذا ما فعلناه بك .

محمد فتحى عبد الوهاب

مطبعة الرسالة



العدد ٨٣٦ — الاثنين ١١ يوليو ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٣٠٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 e Année No. 836

Lundi — 11 — 7 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٣٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٥ رمضان سنة ١٣٦٨ — ١١ يوليو سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

البرلمان الشعوبى العربى والاستعداد للحرب مع اليهود

للأستاذ نقولا الحداد

لا يخفى على أحد ما ينويه اليهود من البغى والعدوان على الأمم العربيـة ؛ فهم عاقدو العزم على غزوها جميعاً وامتلاك بلادها واستعمارها . وفى هذه الحالة يتسنى لهم أن يستعبدوها استعباداً مطلقاً أو تهاجر منها جماعات وفرادى ... ولـكن إلى أين وقد وطد اليهود العزم على هـذا وحرصوا عليه منذ دُمر هيكلهم فى أورشليم وتشتتوا فى جميع أقطار المسكونة ، وصمموا أن ينشئوا دولة يهودية يتوقعون أن تشمل سلطتها جميع دول الأرض!

قد تتراءى هذه الفـكرة سخيفة لأنها شبه المستحيل ، ولـكن سلوك اليهود منذ قديم الزمان إلى اليوم يدلنا على أنهم يستطيعون المستحيل . ومنذ القرن الماضى شرعوا يستعدون لتنفيذ هذه الفـكرة الجبارة ، فعقد حكماؤهم أو حاخاماتهم عدة مؤتمرات سرية لدراستها وتقرير إمكانياتها ووضع خططها كما شرحنا ذلك فى هذه المجلة . وكانت إثاراتهم للثورات والحروب والانقلابات منذ أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن من جملة خططهم ؛ كالحرب السبعينية الألمانية الفرنسـية ، والثورة التركية فى أوائل هذا القرن ، والحرب العظمى الأولى ، والانقلاب الروسى ، والحرب العظمى الأخيرة — كل هـذه الثورات والانقلابات حدثت بدسائسهم الفظيعة ووسائلهم المختلفة ، ومنها ماسونيتهم الخاصة التى كانت ولا تزال تسخر الماسونية العامة لأغراضهم — كل هذا يؤكد لنا أنهم عاقدو العزم على اجتياح البلاد العربية ، ثم اجتياح الشرق كله ، ثم اجتياح العالم كله !

ومنذ الحرب العظمى السابقة شرعوا ينفذون خططهم على أن تكون فلسطين نواة مملكتهم . وقد اختاروها نواة لسببين جوهريين : الأول أن فلسطين بحسب ما لفقوه فى توراتهم ، منذ ستة قرون قبل المسيح ، هى أرض الوعد التى وعدهم بها الرب (لا الله) ، فجرَّ هـذه التوراة عليهم وعلى سائر الأمم الوبال ، لأنها غرست فى أذهان عامتهم أنهم شعب الله المختار . والسبب الثانى أنَّ مُقامهم ساء بين الأمم الأوربية الجبارة ولا سيما الأمة الألمانية ، فصاروا يطلبون سلامتهم فى الخروج منها ، إلى أين ... إلى بلاد أهلها ضعاف يستطيعون هم أن يستعمروها من غير نزاع ، فرأوا أن الأمم العربيـة خير مرمى لهم ، فقاموا يطالبون بملك إسرائيل ، وقد نجحوا وا أسفاه النجاح الأول وأسسوا دولة إسرائيل فى أرض الميعاد ، وشرعوا يوسعون فيها قبل أن يحددوها ويرسموا خارطتها ، فلم يعودوا يرضون بمشروع التقسيم الذى قررته

هيئة الأمم ، بل صاروا يريدون كل فلسطين ، وكل يوم لهم غزوة فى هذا السبيل ، حتى إنهم غزوا لبنان ، وسيأتى دور سوريا . وأما شرق الأردن فقد صار فى جيبهم بفضل الملك عبد الله ، وعما قليل يمدون أيديهم إلى مصر فالعراق ، وهكذا دواليك حتى تصبح كل البلاد العربية فى وطابهم !

ليس من الضرورى أن يحتلوا البلاد العربية احتلالا حربياً أو احتلالا عسكرياً لأول وهلة ، ويكفى أن يحتلوها تدريجياً احتلالا اقتصادياً واحتلالا سياسياً ، وهذان يتمشيان معاً بسرعة . وقد لا يمضى وقت طويل حتى نرى هنا وفى جميع البلاد العربية بنوكا لإسرائيل تمنح تسهيلات لا تمنحها البنوك الأخرى ، ثم نرى فروعاً لمتاجرهم وشركاتهم حتى تصبح معظم اقتصاديات العرب فى أيديهم ، وبحجة ازدياد معاملهم فى البلاد ، وبقوة الأموال التى يبذلونها ، تصبح لهم كراسى فى الحكومة . وسنرى أنه لا تمضى بضع سنوات حتى يكون فى الوزارات العربية وزراء يهود يكثرون أو يقلون حسب الظروف ، وفى مصالحها الإدارية المختلفة رؤساء إدارات يهود ، وبعد ذلك تصورما تشاء من التغلغل اليهودى والأغلال اليهودية التى تغل بها أيدى البلاد !

لا يستغرب القارئ إذا قلت إن هذا يتم أو يحدث فى بضع سنين من ٦ — ٩ . وقد يحدث بتؤدة واحتيال وتملق وإغراء ؛ وهو حاصل الآن . كم من مصلحة يهودية صارت تسمى مصلحة مصرية لأنها استخدمت وزيراً أو وجيهاً مصريا أو باشا فى مجلس إدارتها ! وإذا وقفت الوطنية أو النعرة العربية فى طريقهم فعندهم جيش عظيم يضمن لهم تنفيذ مآربهم . ومتى استفحل أمرهم فلا بد أن يقع احتكاك بينهم وبين العرب يقدح شرر الحرب ، فهل نحن لها مستعدون ؟

هذا ما ألفت له أنظار العرب !

كانت الجامعة العربية تجمع نحو ٣٥ مليوناً على الأقل من العرب ، وكان اليهود ثلاثة أرباع المليون ، ومع ذلك انتصروا واتخذلنا ! لا يحق لنا أن نقول إن الإنكليز خانونا ، ولا أن الأمريكان مالأوا اليهود علينا ، ولا أن الروس ناصروهم !

كل واحدة من هذه الدول التى تألبت علينا مع اليهود عملت بمقتضى مصلحتها . ليس الإنكليز ولا غيرهم أولاد عمنا حتى نعتب عليهم . أما الشعوب العربية فهى أولاد أعمام ؛ وأولاد الأعمام يعتب بعضهم على بعض ، فعلينا أن نبحث أسرار انخذالنا .

قالوا لم يكن عندنا سلاح . صحيح ، فيجب أن نبحث أسباب نقص السلاح عندنا ... وأن نزيله !

ولكن ليس هنا مصدر الخلل .

قالوا كانت الجامعة هى المسؤولة عن جميع النقائص والعيوب فيجب أن نبحث عن سبب خللها ونصلحه !

قالوا كان عندنا خونة . وذلك حق ؛ فإن مصر حينما كانت تجاهد وحدها فى الميدان كانت دولتان تخونانها وتمنعان ثالثة عن إمرار جندها فى أراضى إحداها لمساعدتها ، فيجب إذن أن نطهر جامعتنا من الخونة ...

كان أحد الخونة العرب وأحد الوزراء فى دولة عربية يجندان بعض العرب (الدروز) لكى يحاربوا العرب مع اليهود وقد سلما حصناً لبنانياً لليهود . وهل فى ضروب الخيانات أعظم من هذه الخيانة وأفظع ! ومع ذلك بقى ذلك الوزير وزيراً للدفاع فى دولته ، مع أن محاكمة طيارة (فى دمشق) ورفيقيه الذين قتلوا كامل الحسين أحد الخائنين قد شهرت بذلك الوزير تشهيراً يندى له الصخر الجلمود ، ومع ذلك لا يزال وزير الدفاع وزيراً فى حكومته إلى اليوم والغد . فخيانة كهذه يجب أن تجد لها قصاصاً فى الجامعة العربية .

فى الجامعة العربية إذن ضعف وأى ضعف يجب أن نداويه . إننا الآن فى بحر لجى من الخطر الهائل ، فإذا لم نبن السفينة بناء متيناً غصنا إلى قاع الفناء !

الخطر عاجل جداً ما دام ابن غريون رئيس وزارة إسرائيل يقول للجنود الهاجاناه : « لم يزل أمامكم فتح من أعالى الفرات إلى أعالى النيل » ! وكل تهاون فى شأن هذا الخطر يفضى بنا إلى الخطر الماحق !

لكى نتدارك هذا الخطر يجب أن يمعن القراء العرب النظر فى الأمور التالية :

كان أكبر عيوب الجامعة أنها مجموعة مندوبين من سبع دول عربية ليس لها ميثاق إلا بروتوكول عقد فى الاسكندرية ولم يكن له من غرض سوى ضم العرب فى اتحاد (لماذا هذا الاتحاد؟) ولكن لم يكن فى البروتوكول قانون للدفاع . وليس لأى مندوب فى الجامعة من وظيفة إلا أن يحمى استقلال دولته وحريتها من

هذا الاتحاد ، كأن الاتحاد خطر على الدولة ! لذلك وُلدت الجامعة ضعيفة . كانت اتحاداً لا وثاقة فيه ، ومجتمعاً لا وحدة به

غرضى من هذا المقال أن نبحث الوسائل اللازمة لجعل الجامعة قوة . يجب أن تكون هذه الجامعة جامعة الشعوب العربية — لا جامعة الدول العربية ؛ لأنها باعتبارها جامعة دولية تسعى كل دولة فيها إلى مصلحتها الخاصة لا إلى مصلحة شعبها وبهذه الصفة تكون كل دولة حرة فيها بحيث أنها إذا لم تجد مصلحتها فيها أعرضت عنها وتخاذلت إذ لا تهمها مصالح الدول الأخرى . وليس لهذه الجامعة سلطة على أية دولة من الدول العربية بحيث ترغمها على أن تبقى فى الاتحاد . وبسبب هذه العيوب تفككت كأنها كومة من الهشيم هبت عليها ريح فبددتها .

لكى تكون الجامعة اتحاداً قوياً يجب أن تكون برلماناً نيابياً لجميع شعوب العرب يكون فيه لكل شعب عدد من النواب بنسبة عدد أفراده كأن يكون لكل مليون نسمة وكسورها نائب ، أو لكل مليونين وكسورهما نائب إذا شئنا تقليل الأشخاص لتقليل الجدال والنقاش .

وعلى الشعب نفسه أن ينتخب نوابه من غير تدخل حكومته . ولا يجوز اختيار النواب بالتعيين بل بالاقتراع فقط . ويجب أن يرشح للنيابة أشخاص مثقفون ثقافة عالية ووسطى يكونون قد مارسوا السياسة وفهموها وعرفوا بالنزاهة . فيجتمع لنا فى هذا البرلمان الشعوبى العربى نحو ٣٠ أو ٦٠ نائباً لا سلطان لأحد عليهم ؛ فيكونون أحراراً مستقلين عن أى تأثير خارجى .

تكون وظيفة هذا البرلمان الشعوبى الرئيسية :

أولا : الدفاع عن جميع الأقطار العربية .

ثانياً : فض المشاكل التى تقع بين الدول العربية ، حتى إذا اقتضى الأمر إرغام بعضها على قبول أحكامه استخدم سلطته العسكرية . وهذا يستلزم :

١ — أن تكون لهذا البرلمان قوة عسكرية تناهز المائتى ألف جندى أو أزيد فى أول الأمر . وبعد ذلك تزاد حسب اللزوم .

٣ — أن تعبأ هؤلاء الجنود من جميع الشعوب العربية بنسبة عدد كل منها .

٣ — أن يمول هذا البرلمان بالمال الكافى لنفقاته ونفقات الجيش وسائر النفقات الحربية . فيجبى المال — على الا يقل من خمسين مليون جنيه كل عام — بنسبة عدد السكان ونسبة مقدرة كل شعب . ويزاد حسب اللزوم .

٤ — أن هذا البرلمان ينتخب قائد الجيش الأعلى وأركان الحرب والمجلس الحربى كما تقتضيه الفنون الحربية .

٥ — لا يكون لأية دولة جيش محلى غير الميليشيا والبوليس اللازمين لحفظ النظام المحلى والأمن العام ؛ لأن الجيش الشعوبى كفيل بالمحافظة على سلامة كل دولة .

٦ — يجب أن يقرر هذا البرلمان إنشاء معامل سلاح وذخيرة فى كل مملكة أو فى بعض الممالك وينفق على هذه المعامل من خزانة البرلمان الأعلى .

٧ — ينشىء هذا البرلمان المدارس الحربية لتدريب الجنود والضباط ويضعها تحت إدارة مجلس حربى يشترك فيه القائد الأعلى ويحسن أن يكون هذا القائد رئيسه .

٨ — القائد الأعلى وأركان حربه أو المجلس الحربى الأعلى يقرر أماكن معسكرات الجيوش حسب مقتضى الحال لكى يكون استدعاء الجيوش وتحريكها سهلا وسريعاً .

٩ — سياسة الدول العربية الخارجية تكون فى يد هذا البرلمان . ولا شك أنه حريص على مصالح دوله جميعاً ولا يفرط فى شىء منها . وأظن أن هذا الأمر أضمن لسلامة الدول العربية من الاستعمار الأجنبى الذى يثلم الاستقلال .

١٠ — ليس لدولة من الدول العربية أقل سلطة على هذا البرلمان . وإنما له هو سلطة على الدول فى العلائق بينها وفى الشؤون الخارجية أيضاً .

١١ — إذا تمردت إحدى الدول على هذا الاتحاد وجب على البرلمان الشعوبى أن يخضعها ويردها إلى حظيرة الاتحاد .

* * *

هذا هو ملخص مشروع جامعة الشعوب العربية العملى . ولأجل إخراجه إلى حيز الفعل لابد من إقناع جميع الدول العربية بصلاحيته وضرورته ووجوب تحقيقه عاجلا قبل أن يستفحل خطر الغزو اليهودى . فإذا لم تقتنع الدول العربية كلها بضرورته العاجلة فإسرائيل اليهودية واقفة بالمرصاد تتحين الفرص للهجوم الاقتصادى

والحربى معاً . ولا يردها عن هذا الهجوم إلا علمها بأن مشروعنا هذا فى طريق التنفيذ . فما هى الخطوة الأولى التى نخطوها فى هذا السبيل ؟

والحربى معاً . ولا يردها عن هذا الهجوم إلا علمها بأن مشروعنا هذا فى طريق التنفيذ . فما هى الخطوة الأولى التى نخطوها فى هذا السبيل ؟

أولا . إذاعة هذا المشروع على جميع الشعوب العربية وحثها للعمل بمقتضاه . وأول ما يقتضيه هو السعى لدى الحكومات أن تقبله على اعتقاد أنه هو السبيل الوحيد لإنقاذ الأمم العربية من الخطر الصهيونى لكى تساعد على انتخاب البرلمان الشعوبى العام .

ثانياً : استدعاء ممثلين من كل أمة عربية لعقد مؤتمر للبحث الجدى فى هذا المشروع وتقريره وإنشاء ميثاق له ودستور للبرلمان الشعوبى .

نقولا الحداد

٢ ش البورصة الجديدة القاهرة

أنا ... والمـــوت !

للأستـــاذ راجى الراعى

رأيت الموت أمس جاثماً بين القبور يتأمل ما صنعته يداه ، ومنجله الدامى إلى جانبه ، فجرّأنى عليه سكونه ، وأن المنجل ليس فى يده ، فأتيته ... فتفرّس فىّ ، وقلّب قلبى بين جفنيه ، ثم زفر قائلا :

— ما الذى جاء بك ! إن ساعتك لم تأت بعد !

— ولما ذا تزفر ؟

— لأنك لم تقع بعد فى يدى !

— ومتى أقع فيها ؟

— تقع فيها يوم تبلغ حدك المرسوم ، أو يوم تطلبنى !

— وهل أنت تُطاب ؟ إننى أتخيلك وفى يدك المنجل تطرق الأبواب وتدخل متى شئت !

— لا ، لست وقحاً إلى هذا الحد . أنا لمن يبلغ المئة ، وهى الحد الأخير الذى أقيم لعمر الإنسان ، فإذا بلغه أقبلت عليه وأعدته إلى ترابه ، ولا آتيه قبل ذلك إلا إذا دعانى !

— وكيف يدعوك ؟

— يأثم ويشذ عن الصراط القويم ، ويجن جنونه ، فتحترق كبده ، ويجف عرقه ، ويتضخم قلبه ... إن معظم الذين يموتون يقبلون علىّ قبل أن أقبل عليهم ، ويسوقوننى إليهم سوقاً كأن الحياة عبء عليهم ، وكأنهم يستطيبوننى !

— ألم تتعب بعد من الحصاد أيها الموت ؟

— وهل تعبت الحياة من زرع بذورها ؟

— أليس لك ساعة تموت فيها ؟

— الأقوياء الخالدون يميتوننى ، ثم أُبعث فى الضعفاء حيًّا !

— من يشحذ منجلك ؟

— حنين التراب إلى بنيه .

— كم بلغ عدد الذين قبضت عليهم حتى اليوم ؟

— إن عددهم فى التراب عدد ذرّاته ... فكيف أحصيهم ؟

— أين أنت منى الآن ؟

— كلما نبض قلبك نبضة خطوت إليك خطوة !

— ما هى كلمتك فى لغة الأحياء ؟

— الرحيل ...

— أحقاً أنك القبح كله والقسوة كلها ؟

— يقولون ذلك ، ولكن من أراح الإنسان من ألم الحياة ، وطول البقاء ، وأطل به على دنيا قد ينتظره فيها النعيم ، لا يكون قاسياً قبيحاً ، بل جميلا رحيماً ...

— أتكون الموت وتذكر الجمال والرحمة ؟

— نعم ، أذكرهما وأذكر شيئاً آخر هو الغبطة التى يشعر بها الراقد فى سريرى .

— ما هوّ كتابك ؟

— أنا كتاب عنوانه الولادة ، وسطوره مطموسة ، وخاتمته رسم يتكشف عن جفن مطبق على قلب مطمون ...

— ما ألذ ما تلذك رؤيته فى الأرض ؟

— قطع السنابل فى الحقول ، وجمع الكثبان من الرمال !

— أين تقيم ؟

— وراء الباب ، وفى الزاوية ...

— وأين أيضاً ؟

— فى الملة العاصية ، والشريان الجاف ، وفى عقل المجنون ، وإرادة العاشق ، وشهوة الزاهد ، وثمالة الخمر ؛ وفى موجة البحر ، وموجة اللهيب ، وفم الجد ، والصاعقة ، والبركان ، وناب الأفعى ، وضمائر بعض الناس ، وجبين الأبله ...

— أين ترى ظلك فى الناس ؟

— فى الحصّاد والحطاب والحفار والجزار والجلاد والمنتحر.

— كيف أنت وهذه الألوية الخفاقة ؟

— لوائى هو اللواء الذى يخفق فى أفسح الأجواء .

— أى الألوان والأصوات أحب إليك ؟

— السواد والحشرجة ...

— كيف أنت والحروب ؟

— أرى فيها أخصب مواسمى .

— والحب ؟

— الحرب بيننا سجال .

— والجريمة ؟

— إنها حليفتى ...

— والشمس ؟

— إن لهذه المتعجرفة الهازئة بى فى أعالى الفضاء يوماً من أيامى ، وقبراً من قبورى ... إن أشعتها أصابع النور ، وهذه الأصابع ستقطع يوماً ... وفى ذلك اليوم تنتهى المهزلة الأرضية ، وأقبض عليكم جميعاً فى لحظة واحدة ... انظر إليها ، لقد جاوزت حد الشباب ، وهى الآن فى كهولتها ، وعما قريب يدب فيها الهرم .. سيملكم النور وأنتم فى فنون حيوانيتكم لا تستحقونه .. إنكم تقابلون هذه الشمس التى تكرمكم كل يوم باللؤم والجحود . إن سماجتكم تكره جمالها ، ولو أمكنكم أن تصمدوا إليها وتطفئوها لفعلتم !

— كيف تريد أن أرسمك أيها الموت ؟

— ارسمنى قمة لجبل الحياة ، أو حجراً فى القلب ، أو صليباً فى الحب ، أو شبحاً يقهقه فى رحم المرأة ، أو عظمة فى حلق الأمل

— من أنت فى الأدب ؟

— أنا ناثر أنثر ما تنظمه الخليقة .

— كيف أنت والجوع والظمأ ؟

— لا أعرفهما ، فمنذ ولدت والتخمة تقتلنى ، والدماء فى فمى ...

— والرقاد ... هل تعرفه ؟

— كيف أرقد وأنا هو الليل ، وهل يرقد الليل ؟ أنا إن رقدت هلت الخلائق ، وصرت الحياة فوق أحلامى هازئة بى ، وأفلتت من يدى .. أنا اليقظة الكبرى ، فكيف أطبق أجفانى؟

— كيف ترانى أيها الموت ؟

— أراك تنأى بخيالك عن الحيـاة ، وتدنو منى ... إنك تعيش فى عالم الأشباح ، وهو من عوالمى ... إن مطارق الخيال والتصوف تهدم فيك تمثال البقاء ...

— لى حاجة أسألك قضاءها

— وما هى ؟

— إذا دقت ساعة الرحيل ، فلا تقبض على وأنا مقوس الظهر أتوكأ على عصـاى ... اقبض على ورأسى ينطح الأفق ، وقدمى راسخة فى الأرض لكى يقال إننى صارعتك ، وفى ذلك عزائى فى بلية الترب ... أنا لا أحب الغنيمة الباردة ... اقبض علىّ وأنا أحدق إلى الشمس ، وأفتش عن وجه الله ، حتى إذا مثلت بين يديه تذكر أننى كنت بريئاً جريئاً ... فتش عنى فى أعماق قلب الحياة ، وانتزعنى منها إذا استطعت . ولا تنتظر أن أجمع بقاياى لأرمى بنفسى على باب بيتك ... والويل لك ثم الويل إذا أنت مسست روحى ، وتجرأت على خيالى ... إن خيالى أقوى منك فحذار ...

— إن خيالك يتكلم الآن ... أما أنت ... وهنا نفخ الموت نفخة جد لها دمى ، وحدق فى منجله اللقى إلى جانبه ، وأخذ يهز رأسه ويحملق ويغمغم ، تخيل إلى أنه يقول لنفسه : لقد أتعبنى هذا الوقح بتحديه وأسئلته التى لا آخر لها ، فإذا وكزته بهذا المنجل ، أو لوحت به أمام عينيه كف عنى . فتملكنى الرعب ، وكاد يهوى قلبى ، فشددته بيدى ورحت أهرول مطلقاً ساقى للريح ، لا ألتفت إلى الوراء ، وأنا أحسب أن الموت يجد فى أثرى ... وبعد قطع المئات من الأميال وأنا أعدو كجياد المتنبى الذى قال فيها :

عقدت سنابكها عليها عثيراً لو تبتغى عنقاً عليه لأمكنا

وقفت عند ينبوع يتدفق بالحياة وأنا أرتجف وألهث إعياء، ورحت أعب الماء وأنا لا أصدق أنه الماء ، وأجس رأسى وصدرى وما فىّ من شرايين وأوردة ودماء بعد أن تحدثت إلى الموت ...

نعم ، الموت الذى لا يفتح فمه إلا ليشرب الدماء ...

راجى الراعى

مصطفى كمال الزعيم التركى

بقلم الكونت سفورزا وزير خارجية إيطاليا
للأستاذ أحمد رمزى بك

— ١ —

منذ أشهر لمع اسم سفورزا فى الحقل السياسى الدولى وقد قلت إن مثله قليل فى الساسة ، وهو يذكرنى بكافور ومدرسته ، الذى حقق الوحدة الإيطالية ، فإذا تبنى سفورزا عودة المستعمرات لإيطاليا فهو خصم جبار لا يستهان به . وإذا أردت أن تعلم من هوهذا الجبار فقرأ له

هذا بحث قديم عثرت عليه بين أوراقى ، وأغلب الظن أنى كتبته في عام ١٩٢٧ حينما كنت أشغل وظيفة سكرتير قنصلى بمدينة تريستا بإيطاليا ، ولم يكن لدى من العمل أو من العبث ما يشغلنى عن مثل هذه الأبحاث .

أعرضه على قراء الرسالة ليروا ناحية من نواحى ساسة الغرب حينما يتكلمون عن الشرق وأهله : فإن لنا فى كل هذا ذكرى وعبرة .

أحمد رمزى

من الغريب أن كتب التاريخ الحديث المستعملة فى المدارس الإنجليزية والفرنسية والإيطالية لا تزال تلقن الأطفال الذين ولدوا بعد الحرب العظمى أن تركيا من الممالك التى قهرها الحلفاء وفرضوا إرادتهم عليها ، مع أن الحقيقة بخلاف ذلك لأننا إذا حاولنا التفرقة بين الغالب والمغلوب ، رأينا أن الغالب هو الذى خرج من الحرب بمعاهدة حصل فيها على كل مطالبه ، والمغلوب هو الذى فقد كل مصالحه وتنازل عما يدعيه من الحقوق التى كانت له قبل الحرب فى بلاد الآخر .

فمن من الطرفين الذى حصل على مطالبه ، الحلفاء أم تركيا ؟ لا نزاع فى أن تركيا هى التى وصلت إلى كل ما تطلبه من الحلفاء . وقد حصلت على ذلك بعمل رجلها مصطفى كمال .

* * *

عرفته لأول مرة وهو شاب فى الثامنة والعشرين من عمره وذلك فى سنة ١٩٠٨ حينما كان يشغل وظيفة أركان حرب محمود شوكت باشا قائد الجيش التركى الذى زحف على اسطنبول وأجبر السلطان عبد الحميد على منح الدستور لرعاياه . وكان شوكت باشا فى ذلك العهد آلة بيد جماعة الاتحاديين فى سلانيك ، تلك المدينة التى كانت مركز الثورة والتى تمخضت عن فكرة الانقلاب والاستيلاء على الحكم ، والتى اشتهر أهلها المسلمون بنزعاتهم الوطنية فى تاريخ الانقلاب التركى . وقد نشأ مصطفى كمال بتلك المدينة وتشبع فيها بأفكار جماعة الأحرار ، وسرعان ما صار أحد خطبائهم العاملين على نشر الأفكار الثورية الحديثة بين الضباط فى الجيش

والذى يفسر لنا اختيار شوكت باشا إياه ليكون رئيساً لأركان حربه رغم حداثة سنه هو أن شوكت لم يكن عضواً بأحد الألواج المركزية لجماعة الثورة فاختار مصطفى كمال ليجتذب إليه ثقة أصحاب النفوذ فى الحركة ويفهمهم باختيار أحد المتحمسين لهم أنه مُسلمٌ بأفكارهم متبع لخطتهم .

وقد تمكن مصطفى كمال بعد اثنى عشر عاماً مضت على هذه الحوادث أن يصير رئيساً مطاعاً فى أمته ذا كلمة نافذة على الجيش ورؤسائه — ثم انتهى بعد ثلاث سنوات إلى تقلد رئاسة الجمهورية التركية — ويعد هذا نجاحاً عظيماً لأى شخصية ولو كانت وليدة عصر مملوء بالانقلابات والثورة .

* * *

إننى مع ثقتى التامة بالنواحى الظاهرة من شخصية مصطفى كمال مثل همته المقترنة بالاقدام وشجاعته المقترنة بالتحوط والانتباه أرى عدم إغفال الإشارة إلى العامل الأساسى الأول الذى دفع به إلى قمة النجاح ، وهو عمل السياسة الإنجليزية فى تركيا بعد الحرب؛ لأن مصطفى كمال وأنصاره ما كان فى وسعهم أن يفكروا أو يصلوا إلى عزل السلطان وحيد الدين أو الذهاب إلى أنقرة والعمل على تحطيم معاهدة سيفر المشؤومة — بغير حدوث الأغلاط التى ارتكبتها السياسة الإنجليزية فى بلادهم .

وإنه لجدير بمصطفى كمال أن يتخذ دوننج استريت حيث كان يقطن لويد جورج كعبة ينحنى أمامها لأنها كانت سبب صعود نجمه السياسى .

وفعلا قد اعترف بذلك رجال إنجلترة الرسميون ؛ ولا أريد بذلك لويد جورج الذى لا يكتب ولا يبوح — وإنما أقصد ونستون تشرتشل الذى اعترف بهذا فى كتابه عن مفاوضات الصلح — وطبيعى إنى لا أقصد بكلامى هذا مناقشة وتحقيق ما تم فى

هذا العهد الذى انتهى بالتسليم بوجهة النظر التى لمستها من أول الأمر وشرحتها من المبدأ بطريقة إيجابية للجهات المسئولة .

***

انتهت حالة الحرب مع تركيا بهدنة مدروس التى تم التوقيع عليها على ظهر بارجة إنجليزية فى ٣٠ أكتوبر سنة ١٩١٨ ولم ينص فى بنودها على شروط خاصة بنزع السلاح ولا تسريح الجيش بشكل قطعى ولا على العقوبات التى كان يجب أن توقع على الرجال المسئولين الذين باعوا ضمائرهم لدول الوسط .

ولما كانت فكرة تقسيم تركيا بعيدة عن الأنظار فى ذلك العهد ولم يكن أحد متوقعاً لها — وإن كانت السياسة الإنجليزية أعلنتها بعد ذلك وجعلتها غرضاً من أغراضها — لذلك لم تتخذ الاحتياطات اللازمة لتنفيذها ولم ينص على شئ من ذلك فى عقد الهدنة . وهذا يدهش طبعاً العقلية الألمانية أو الفرنسية التى اعتادت التفكير بشكل منطقى منظم يتطلب النظر والاستعداد لكل حالة بعد وقوعها ، ويجعل الكثيرين حيارى أمام التغييرات التى تطرأ على السياسة الإنجليزية بل يجعل بعضهم يرمونها بأنها دائماً مقترنة بنكث العهود مع أن الحقيقة أن هذه التغييرات هى نتيجة للتسرع فى العمل أمام حالات طارئة ، وهذا التسرع تستدعيه طبيعة القرارات التى توجه السياسة لجهة معينة بغير الدخول فى التفاصيل التى يترك لمقتضى الأحوال تكييفها وتسييرها

قررت الحكومات الثلاث لدول إنجلترة وفرنسا وإيطاليا بعد عشرة أيام من إمضاء الهدنة تعيين ثلاثة مندوبين ساميين لتعهد مصالحها فى تركيا ، فعينت إنجلترة الأميرال كالثروب الذى عقد الهدنة مندوباً لها ، وعينت فرنسا الأميرال أميت قائد أسطول الشرق ، وتعينت أنا مندوباً عن إيطاليا فسافرت لتسلم عملى عن طريق كورفو ، وسافر معى جزء من الأسطول إلى استانبول .

ولما وصلنا تبين لنا أن الآلة الحكومية التركية قد تعطلت وفقدت سلطتها فأصبح من المحتم علينا تحمل عبء الحكم مؤقتاً انتظاراً لما يقرره مؤتمر الصلح فى باريس .

وكانت القوات البحرية الراسية فى البوسفور والقوات البرية المعسكرة فى تركية الأوربية كفيلة بضمان تنفيذ ما نقرره فى كل جهة . وكنا نعقد كل أسبوع اجتماعاً فى إحدى السفارات الثلاث تحت رئاسة المندوب المجتمع فى داره — وكان لتركيا فى ذلك العهد صدر أعظم يعمل فى الباب العالى ، وسلطان يقيم فى سراى ضولمة باغجة — ولكن لم يكن هناك من يهتم بهما لأن طلبات المعونة والحماية والتعويض كانت كلها تقدم لإحدى هذه السفارات كأنها الجهة أو السلطة صاحبة الشأن فى البلاد ، وكان عملنا سائراً لا تشوبه غيرة أو تنازع على المصالح ، وإنما باتفاق تام ساعد عليه كثيراً تآلفنا الشخصى .

وكنت قد استحضرت معى علماً إيطاليا من إحدى البوارج أسرعت برفعه على دار السفارة بعد أن قمنا بتحية إنزال العلم الأسبانى الذى كان يرفرف عليها طوال مدة سنوات الحرب الطوال ، وما كادت الموسيقى تعزف ألحان النشيد الوطنى الإيطالى حتى اجتمع عدد كبير من الأهالى مكون من يونان وأرمن ويهود وبعض الترك ، الذين لم يظهر عليهم أى مظهر عدائى نحونا .

لقد اقتنع كثيرون من أن حملة الدردنيل كانت نكبة من الوجهة العسكرية لما سببته من النتائج الخطيرة التى أطالت مدة الحرب ، ولكننى تيقنت من ذلك حينما أقمت باستانبول بعد الهدنة لما علمته من بعض السلطات التركية من أن القواد الترك دهشوا لما رأوا انسحاب القوات البحرية فى الوقت الذى بدأت فيه قوى المدافعين تخذلهم — فكأنهم لم يشعروا بانتصارهم إلا بعد انسحاب عدوهم — وهذا دليل جديد على أن العامل النفسى هو أساس كل انتصار حربى .

وقد دهشت كثيراً عند وصولى استانبول وبعد زيارتى لبروسة من وفرة المؤن والمحاصيل الغذائية فى البلاد ، لأن إيطاليا تأثرت كثيراً من حالة الضيق التى كانت فيها مدة الحرب . ولعلمى بوجود جالية إيطالية كبيرة فى تركيا ، كنت أنتظر أن أجدها فى شبه مجاعة ، فاستحضرت من إيطاليا كميات كبيرة من الدقيق لتوزيعها على أفراد الجالية -- ففوجئت حينما علمت أن الجالية ليست فى حاجة إلى شىء من المعونة وإن أفرادها يفضلون الدقيق التركى الممتاز ببياض لونه ونقاوته على الدقيق الإيطالى — وعلمت من ذلك أيضاً فداحة ما تحمله الحلفاء بسبب إخفاق حملة الدردنيل؛ ولكن الماضى قد انتهى الآن وليس أمامنا إلا مواجهة الحقائق التى أمامنا .

أقنعتني هذه الحقائق منذ البداية أن تركيا لم تكن قد ماتت بل بالعكس كانت الحكومة المركزية تمثل وحدها الجزء الفاني المحطم في البلاد، أما تركيا الحقيقية فكانت موجودة يستطيع من يريد أن يلمسها، فكان في اعتقادي من خطل الرأي محاولة تضييق حبل الخناق كثيراً — لأن في تضييقه انتقال تركيا إلى آسيا وبقاءنا نحن في استانبول وسط بلد مهجور.

هذا الرأي الذي كونته لنفسي عن الحالة والمستقبل بادرت بإخبار حكومتي به وأبلغته في نفس الوقت إلى مؤتمر باريس. وصارحت روما بأنني لا يسعني أن أخدم بلادي الخدمة الحقيقية إلا إذا حصرت الجهد كله للوصول إلى صلح عاجل يعطي إيطاليا كل المزايا الممكنة في الأراضي التركية بشرط الإقلاع عن أي فكرة ترمي إلى القضاء على وحدة البلاد.

ولم أكن أجهل المشروع الذي وضع لتقسيم الأراضي التركية إلى مناطق نفوذ بين الدول، وأعلم أيضاً أن هذا المشروع يوافق هوى الدوائر الرسمية في باريس، ولكني لم أعط نفسي حق الوقوف عند ذلك — بل تيقنت أن رأيي هو الذي يلتئم مع الحقائق التي أمامي، وأن من الواجب على لمصلحة بلادي أن أصارحها به لعلمي أنه يغلب في النهاية أن يكون الرأي المتبع.

وكنت أنتظر من الحكومة استدعائي من مركزي بعد تصريحي بهذا الرأي ولكن لم تبد من جهة أورلاندو ولا سونينو (أولهما رئيس الوزارة والثاني وزير الخارجية) أي بادرة لمعارضتي في هذا الرأي مما دل على موافقتهم لي ضمناً — وإنما كتب لي سونينو بعد ذلك، بصراحته المعروفة، أنه إذا أظهرت الأيام فساد هذا الرأي وعدم مطابقته للواقع فإنه سيترتب على ذلك تنصل الحكومة الإيطالية من تبعة أعمالي وإعلانها عدم موافقتها على سياستي.

***

وكان السلطان ضعيفاً لا يقر على رأي حتى ينقضه مهتماً بمستقبل عائلته أكثر من اهتمامه بمستقبل بلاده وشعبه. وكان في مظهره وحركاته مثلاً تاماً لسليل عائلة انتهى عملها وظهرت بوادر فنائها.

واختار له وزيراً أول الداماد فريد باشا؛ وهو كما يدل عليه اسمه صهر للبيت المالك بزواجه من الأميرة خالدة، وهو مثل لما تفرغه التربية الإنجليزية في عقلية شرقية، لأنه أتم دراسته في أكسفورد وتأثر من ذلك فخرج صورة تامة للجنتلمان الإنجليزي.

ولما كانت الدوائر التركية في سبات تام لا تبدر من جهتها بادرة حياة، اقتنع الرجال المنوط بهم الاتصال بلويد جورج وكليمنصو أن تركيا قد أصبحت طوع أيديهم وفي وسعهم أن يفرضوا عليها ما تشاء أهواؤهم — ويرجع معظم الخطأ إلى أن هؤلاء الأفراد وممثليهم ودعاتهم ومأجوريهم أبوا من المبدأ أن يتصلوا بأي فرد من الترك الذين تكونت منهم النواة الأولى لحكومة أنقرة — وقد ساق لي الحظ مقابلة بعض هؤلاء الترك في منزل مهندس إيطاليا والتحدث إليهم في نادي «السير كل دوريان» تحت أنظار زملائي الذين اشمأزوا من ذلك.

وقد شعرت من أول وهلة أن هؤلاء الرجال لم يحاولوا قط تضليلي بل فاتحوني بصراحة تامة قائلين إنه إذا اشتدت الحال ببلادهم ففي وسعهم أن يحافظوا على استقلالهم مهما كلفهم ذلك ولو بانسحابهم جميعاً إلى آسيا.

***

ولذلك لم أتردد في أن أصرح برأيي حينما أبلغني الأميرال كالثروب في ١٢ مايو سنة ١٩١٩ قرار مؤتمر باريس القاضي باحتلال اليونان لأزمير — من أني مقتنع تمام الاقتناع أن مسائل الشرق الأدنى ستزداد تعقداً، وقد تدخل دوراً مملوءاً بالحوادث الفاجعة — ولكن الأوامر التي صدرت إلينا كانت قاطعة ولم يكن هناك مناص من إطاعتها وتنفيذها.

وقد تم إنزال الجنود واحتلال المدينة بالشكل الذي كنت أتوقعه أي بعمل حربي مجرد من القتال ولكنه مقرون بالدماء. وقد اتضح لي خطأ أثينا في اليوم الذي احتفلت برفع علمها الأزرق على قلاع أزمير بعد معركة تمثلت فيها البطولة كما نقلت إلينا البرقيات في حينه.

وكانت الجنود التركية وقت مباشرة الاحتلال بواسطة القوات اليونانية ملازمة لقشلاقاتها، مطيعة للأوامر التي صدرت إليها من الحكومة وحملها رسل من طرف الداماد مؤكدين بأن الاحتلال مؤقت وسيزول في القريب — وكانت المدينة خالية من

أولئك الفدائيين الذين ظهروا فى كثير من جهات آسيا الصغرى وقدموا حياتهم بشجاعة خارقة للعادة فداء للوطن التركى .

فمن المسئول إذن عن أول طلقة وجهت من ناحية الشكنات ؟

أكد لى بعض المكافين باستقاء الأخبار أن مطلقها أحد المهيجين اليونان بقصد إثارة الفتنة والمذابح . فإذا كان هذا صحيحاً فمن المؤكد أن حكومة « أثينا » بعيـدة عن إرسال أوامر بمثل هذه الأعمال التى تصدر غالباً — وفى كل البلاد بدون استثناء — من عمل بعض الرجال العسكريين المتحمسين لدخول معركة لا يكلفهم الانتصار فيها شئ .

وقد كان احتلال أزمير وخيم العواقب لأن الأمل الضعيف الذى كان باقياً فى توطيد الحالة وإيجاد حل يقبله الطرفان قد انتهى بارتـكاب هذا الخطأ — والأخطاء فى عالم السياسة كالذنوب لدى الأفراد تأتى تباعاً ويجر بعضها بعضاً .

(يتبع) **أحمد رمزى**

صور من الحياة :

رجُـــــل ... !

للأستاذ كامل محمود حبيب

يا رجل ! لست رجلاً إلا أن تعتز بالشرف والكرامة وإلا أن تفخر بالشهامة والإباء وإلا أن تتشبث بالرجولة والعفة ، لا يغنيك عنها أن تبدو أنيق اللباس نضير الإهاب بهىّ الطلعة .

***

عرفتك يا صاحبى — أول مرة — فتى فى مقبل العمر وزهرة الشباب تتأنق فى لباسك وتتألق فى زينتك حسن الهيئة والشارة يتضوع العطر من جوانبك وتفوح رائحة الأنوثة من أعطافك ، فأنت متكسر الرجولة لين العود فاتر الهمة ، وعجبت — أول ما عجبت — أن أراك فى زى ذوى الثراء والغنى وأنت موظف حكومة لم يبلغ راتبك إلا تسعة جنيهات ، وأن تبذل فى بذخ وإسراف وأنت لا تملك شيئاً غـير راتبك ، وإن الموظف — وإن علت درجته — ليعانى الجدب والإمحال من شدة الغلاء ويقاسى الضيق والعنت من قلة الدخل ، فهو يأكل التافه بقدر ويلبس الخلق البالى ، ويحمل نفسه على شظف العيش ويصبر على بؤس الحياة . وراعنى أن أرى زملاءك فى المكتب يقابلونك فى ابتسامة ساخرة وأفزعنى أن أجد أترابك فى الديوان يتهامسون فتطوف همساتهم حولك بسوء ، فجلست إلى زميل لك أستشف خبرك واستجلى قصتك ، فقال :

هو فتى — كما ترى — واهى الرجولة صفرت نفسه من الشهامة ، يتهاوى ضعفاً وأنوثة ، فهو بيننا أحدوثة قذرة تمجها الألسن وتعافها الأنفس ، وهو يحس منا فنوناً من الازدراء ويلمس ألواناً من الاحتقار ، ولـكنه لا يرعوى ولا يرتدع كأنمـا استمرأ حياة الذلة والضعة حين جمل المال منتهى غايته .

قلت : وماذا يضير المرء إن جمل المال بعض همه لينفذ منه إلى متعة نفسه وسعادة قلبه وهدوء باله .

قال : ولـكنه يتخذ إلى المال سبيلاً معوجاً يتنافى مع الكرامة والشرف ... أما قصة الفتى فهى :

عشت أنا وهو حيناً من الزمان زميلين يربطنا عنت العمل وقسوة الرئيس وتضمنا أواصر الأخوة ونزوات الشباب ، فكنت أقضى إلى جانبه ساعات الفراغ ننشق معاً أريج الحياة وهى تتفتح لنا رويداً رويداً ، ونبسم للصبا وهو يرف علينا رفيفاً حـلواً ، ونستمتع بالعافية وهى تنشر علينا جناحاً رفيقاً ، ونسعد بالهدوء وهو غاية قصدنا . لا يبهرنا زيف المدينة وهو فوق طاقتنا ، ولا يسحرنا بهرج الحياة وإنا لنحس ضيق ذات اليد ، ولا نندفع إلى شهوة وإنا لنشمر بالحياء والخجل . وغـبرنا زماناً نجد اللذة والسعادة فى حياة الهدوء والاستقامة . ثم جاءت الحرب فصفعت الموظف صفعة قوية طار لهالبه وزلزلت كيانه وشغلته شدة الحياة عن نفسه وإن لى أخوة صغاراً أحمل ثقلهم فما كاد أنوء به فى الرخاء فما بالى وقد ضربنى الغلاء وعركتنى الفاقة ، فعشت دهراً لا ألقى صديقى إلا فى الديوان ولا أجلس إليه إلا فى المكتب ، وصمت هو فلا يحدثنى بأمر ولا يكشف لى عن حادثة . ثم جاء ذات صباح ثائراً ضيق النفس مضطرب الخاطر . وأرادنى على أن أجلس إليه فى خلوة ليقص لى قصة أخته ، وهى فتاة فى العشرين من سنى

حياتها تتنزى شباباً وتتوثب جمالاً ، وإن دلالها ليعصف باللب ويخلب الفؤاد ، وإنها لتَتأرج بهاء وإشراقاً ، تشع من عينيها معانى الأنوثة والجاذبية وتنفث ابتساماتها فى القلب هزات الكهرباء ...

آه ، يا صاحبي ، لقد كنت أخشى نظراتها الجذابة وأغضى عن بسماتها العاصفة وأغمض عن أنوثتها المنيفة خيفة أن ينفرط فؤادى أو أن ينقد قلبي على حين أن نفسي كانت تنازعنى إليها ، ولكنى لا أستطيع أن أنفض على عينى أخيها خلجات قلبي ، فما كان لى أن أصبح زوجاً وبين يدى أخوة أخاف أن يستشمروا — بفقدى — اليتم والضياع . فكنت أنصرف من لدن زميلى وقد شاع الأسى فى أوصالى وأفعمنى الحزن وسيطر على الضجر ، ولكن لا سبيل ... وعاشت الفتاة إلى جانب أخيها الوظف عيش الكفاف والشرف ، ثم أقبلت الحرب والغلاء معاً فأحست بأنوثتها وهى تتكامل رويداً رويداً ولكن الضيق يوشك أن يعصف بها ، وشعرت بجمالها الوضاء يشرق حيناً بعد حين غير أن الفاقة تحاول أن تستله منها ، وعز عليها أن تنطفىء فيها شعلة الشباب والدلال من أثر الحاجة والفقر فراحت تتوسل إلى غايتها بأساليب شيطانية منحطة ، فتعرفت على فتى ثرى من أبناء الذوات . وأبناء الذوات فئة من الناس أتلفهم الثراء وأبلاهم التعطل فغدوا زبداً لا ينفع الناس وعاشوا عيالاً على الجماعة ، لا يقيمون وزناً لمقاييس الأخلاق السامية من خور التربية ، ولا يتمسكون بالشرف من انفراط عقد الأسرة ، ولا يؤمنون بالعفة من أثر الاستهتار والتبذل ، وهم داء الأمة العضال وعظامها النخرة .

وترامى إلى زميلى أن أخته قد حادت عن الطريق المستقيم وأوشكت أن تتردغ فى هاوية مالها من قرار فأخذ يتأثر خطاها ويضيق عليها السبل .

ولكن الفتاة كانت ذات مكر ودهاء فسلكت إلى قلب أخيها مسالك براقة خلابة فغمرته بالطيب من الطعام والغالى من الثياب ، وحبته بسيل من الهدايا ما ينضب معينه ، فوهى ما اشتد من قوته وانحلت عقدة عزيمته فأغضى عن زلاتها وأرخى لها العنان ، فاندفعت الطائشة لا تلوى على شىء ، وعاش هو لا يهمه إلا أن يبدو فى زى ذوى الثراء والغنى ، لا يشغله إلا أن يبذل فى بذخ وإسراف ...

ثم تاقت نفس صاحبنا إلى أن يكون زوجاً ورب أسرة فجلس إلى أخته يكشف لها عن ذات نفسه فما صرفته عن رأيه ولا ردته عن غايته ، ثم راحت تمهد له السبيل من مالها وهى تذكره — فى لباقة — بأنه موظف حكومة يجب ألا ينسى أن راتبه لم يبلغ بعد إلا تسعة جنيهات .

وانطوت الأيام فإذا الفتى زوج لفتاة جميلة آسرة رغم أنها من أسرة رقيقة الحال تقنع بالتافه وتجتزىء بالضئيل لا ترنو إلى المال ولا تطمع فى الترف . ولقد راع الزوجة أن ترى بيت زوجها يموج بالطنافس والصور ويفهق بالأثاث والزخرف ، ولكنها عاشت إلى جانب زوجها سعيدة تنظر إلى ما حولها ولا تتكلم وترى ولا تتحدث وخشيت أن تكون ضحية حماقتها إن هى ثرثرت بكلمات تؤذى زوجها أو تنال من كرامة أخته ، وخُيل إليها أن زوجها فى عمى عن نزوات أخته فانضمت على أذى فى نفسها ووقفت على حيد الطريق فى صمت وضيق ، ومرت أيام وأيام .

وأرادت الفتاة أن توسوس لزوج أخيها بأمر لتجتذبها من وحدتها فجلست إليها تحدثها قائلة : « أرأيت ما أفعل ؟ » قالت الزوجة « وماذا تفعلين ، يا أختى ؟ » قالت « أرأيت الشاب الذى يطوف بسيارته حول دارنا فلا يقر له قرار إلا أن أرافقه فأملأ فراغ وقته وفراغ قلبه فى وقت معاً » فقالت الزوجة « ما رأيت شيئاً » فقالت الفتاة فى إصرار وصراحة « لا تنكرى ، لقد سمعت ورأيت ، ولا عليك فنحن الآن فى خلوة لا يسمعنا أحد ولا يرى » فأجابت الزوجة « نعم ، لقد رأيت وسمعت ، ولكن مالى أنا ولذلك الشاب » قالت الفتاة « إن له لأخاً فى مثل شبابه ورونقه وثرائه ، وهو يطمع فى أن تكونى شغل فراغه وشغل قلبه » فأجابت الزوجة فى ذعر « أنا ؟ لا ، لن أكون شيئاً من ذلك ! » فقالت الفتاة « لا بد أن تكونى ، لعلك من الحمق والغباء بحيث تطمعين فى أن أبذل من نفسى لأوفر لك السعادة والهناء ! » فأجابت الزوجة فى غيظ « إننى أجد السعادة إلى جانب زوجى فأقنع بإخلاصه وأقنع براتبه الضئيل » وثارت الفتاة فى وجه الزوجة قائلة « إذن لا معدى لك عن أحد أمرين : إما أن تكونى كما أريد وإما أن تبرحى هذه الدار حالاً » فصاحت الزوجة « وزوجى ... وزوجى ..! »

قصـــة الحيـــاة

« إلى روح صديقى محمود ، الذى رحل إلى عالم الخلود »

للأستاذ صبحى ابراهيم الصالح

كنت فى الحديقة ساعة الأصيل أتفيأ شجرة وارفة الظلال متأملا سفيرها المتأثر بين قدمىّ ومن حولى ؛ ثم التقطت منه — على غير شعور منى — ورقة صفراء يابسة ففركتها بين إصبعى ، وهفت الريح فأطارت ما فى يدى مع الغبار ، وتركتنى أهيم فى تفكير طويل !

ولكن ... لشد ما آلمنى تفكيرى ، وأرهف حسى وشعورى!

***

لقد تلوت « قصة الحياة » تحت هذه الشجرة وشهدت تمثيلها الخاطف المجول ؛ ولقد كانت القصة مأساة بثقت لها عيناى ، وكان تمثيلها مؤثراً حرك حزنى وأساى ...

رأيت الحياة — فى هذه المأساة — نبتة نزل عليها الغيث فأخرجت شطأها وهاجت وترعرعت ، ثم استوت على سوقها وأينعت وأثمرت ، ثم علا رأسها فأغصنت وأفرعت ، ثم أضحت شجرة فأخصبت وأمرعت ، فجنى ثمارها القاطفون ، واستورف ظلالها العابرون .

على أن الرياح — وا أسفاه — استطالت عمر هذه الشجرة فهوت عليها ، وحطمت أفنانها ، وذرت أوراقها ، وأتلفت ثمارها ، وأنذرتها فناء قريباً !

ولبثت الشجرة حائرة فى مهب الرياح ، ترى أوراقها تذوى فلا تملك إلا النواح !

***

تلك فصول هذه (القصة) تلوتها وشهدت تمثيلها تحت هذه الشجرة : فلم أر بعد اللعب واللهو والزينة ، وبعد البهجة والفرح والمسرة ، وبعد التكاثر والتنافس والتفاخر ، إلا ضعفاً وعجزاً ومرضاً ، وكهولة وشيخوخة وموتاً .

ولم أر أنفسنا إلا أوراقاً على أغصان هذه الشجرة ، غير أن هذه الأوراق مختلفة الألوان والأحوال ، فمنها الخضراء الناضرة ، ومنها الصفراء الشاحبة ، ومنها التى أوشكت أن تصوّح ، ومنها التى تساقط أسفل منا ونحن لا نشعر !

***

وقلت فى نفسى وأنا أستعيد فى خيالى فصول هذه القصة : « كما فركت بين اصبعىّ وأنا لا أبالى تلك الورقة اليابسة السكينة

فقالت الفتاة « لا زوج لك هنا ... أنا هنا صاحبة الدار وصاحبة الرأى وصاحبة الأمر » .

وران الأسى على قلب الزوجة لما سمعت فقضت ليلتها تتململ فى فراشها لم يغمض لها جفن ولا قر لها قرار ، وإن الخواطر السود لتضطرب فى خيالها فتفزعها عن هدوئها وراحتها ، وإن الخوف ليسد أمامها الطريق فهى تخشى أن تزل قدمها فتفقد كرامتها وشرفها وتخشى أن تبوح لزوجها بما سمعت من أخته فيرميها بالفتنة والنميمة ، فكتمت أتراحها لا تبدى عن شىء منها .

وآدها أن تصبر على حديث الفتاة وهى تلاحقها تريد أن تدفعها إلى الجريمة ، فانطلقت — بعد لأى — إلى زوجها تنفض أمامه جلة الخبر فما أحست فيه الإباء ولا الترفع ولكنه انطوى عنها وعلى شفتيه ابتسامة ... ابتسامة الذئب يوشك أن يغرر بالفريسة ، فعاودها الأسى والضيق وتراءت أمامها فوهة الرذيلة تنفرج فى غير رحمة ولا شفقة تكاد تبتلعها فأصابها الذعر والخوف ، فطارت إلى أمها العجوز الفقيرة علها تجد هنا متنفساً .

وترفعت الأم العجوز الفقيرة عن أن تبيع شرف ابنتها الطاهرة بثمن بخس دراهم معدودة ، وأخذتها العزة بالإثم فآثرت أن تبيت ابنتها على الطوى تقاسى المخمصة والشعب على أن ينثلم شرفها أو تنخدش كرامتها .

***

أما أنت يا رجل ، فلست رجلاً إلا أن تعتز بالشرف والكرامة وإلا أن تفخر بالشهامة والإباء وإلا أن تتشبث بالرجولة والعفة ، لا يغنيك عنها أن تبدو أنيق اللباس نضير الإهاب بهىّ الطلعة .

كامل محمود حبيب

يفرك الدهر الجبار بين اصبعين من فولاذ أوراقنا الجافة بغير اكتراث » .

ومرت بى آنئذ — فى لمح البصر — صور عزيزة لا تنسى ، وذكريات قريبة لا تمحى ، لبعض أصدقائى الأوفياء ، وأقربائى المحبوبين الذين أبى الدهر أن يؤنسنى ببقاء أوراقهم على الغصن الذى أورقنا جميعاً عليه ، فاختطفهم وأرسل عليهم ريحاً صرصراً جعلتهم كهشيم المحتظر !

وبكيت لأول مرة فى حياتى بكاء مراً — وما عهدت نفسى بكاء ولا مِدماعاً — لأنى فكرت فى العالم المجهول الذى سيق إليه أحبابى وأصحابى ، وخشيت ألا يجدوا فيه روحاً وريحاناً ، لا لأنى فى شك من الخلود ، ولكن لأن بعض أولئك الأعزة الذين فارقونى لم يُتح لهم من الزمن ما يستعدون معه للرحيل ، ويتأهبون خلاله لسفر طويل ، إذ جفت أوراقهم واصفرت بعد اخضرارها بقليل ...

وكان (محمود) آخر من أسرع إليه الجفاف من أصحابى ؛ ولقد والله كان أنضرهم وجهاً ، وأحلاهم مبسما ، وأنداهم حديثاً ، وآنسهم مجلساً ، وأرقهم شعوراً ، وأنبلهم عاطفة ، وأطهرهم قلباً ، وأصفاهم نفساً ، وأعفهم يداً ، وأصدقهم لساناً ، وأكثرهم تواضعاً ؛ وكنت أحسبه أطولنا عمراً ، وأنسأنا أجلا ، وأرغدنا عيشاً

لكن الموت عدا على (محمود) وهو فى ربيعه الخامس والعشرين — ما يزيد عنى سوى عامين — فدفنه كنزاً ثميناً ، ودفن معه آماله الكبار ... فكيف أبقى صامتاً لا أرثيه ، أم كيف أظل جامد العين فلا أبكيه ؟ !

***

وفيما أنا مستغرق فيما يساورنى من الأفكار ، هزت الريح الشجرة كرة أخرى ، فتناثرت أوراقها تترى ، فأسرعت أفتح لها حجرى كأنى وددت لو أتلقاها وأحول دون سقوطها على الأرض ووطئها بالنعال ، بيد أنها آثرت جميعاً أن تتقبل نهايتها وتقع على الأرض إلا ورقة واحدة كان نصيبها حجرى ، وانحنيت لالتقاط أخواتها وأنا شاعر بأنى أحيى أنفساً توشك أن تموت ، وإذا بالورقة نفسها تسقط أثناء انحنائى فأسحقها بقدمى على غير إرادة منى ، فعدلت عن التقاط الأوراق الباقية ، وأيقنت أن لن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها ، وإننا لا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضراً ، ولا نملك موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، وإننا أوراق فى مهب الرياح ، لا ندرى كم تبقى نضرتنا ، ولا نعلم متى نصفر فنموت !

***

وحينئذ فاضت معانى الإيمان فى قلبى ، واستطاعت هذه المعانى — على سذاجتها وبساطتها ونفورها من التعقيد — أن تلهمنى الصبر ، وتوحى إلى الرضا والسكينة ، وهى تهمس فى أذنى آية خالدة صورت (قصة الحياة) أروع تصوير : « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح ... وكان الله على كل شيء مقتدرا » .

صبحى ابراهيم الصالح

وقفة ...

للأستاذ محمد محمود عماد

حبذا ساعة نجوى	ساقها الدهر إلينا
قدطوينا من فصول الـ	ـحب فيها ما طوينا
وقفة دامت فما نعـ	ـلم كم فيها قضينا
لم ندرى ؟ لم نحصى ؟	والأمانى فى يدينا
ساعة أو ساعتين	أو ثلاثا ما علينا
كل ما نبغيه من حب	ومن قرب لدينا
قد تباعدنا زماناً	ثم من بعد التقينا
كنت ظمآن وكانت	فاحتسينا وارتوينا
ارتوينا من يناب	ـيع الهوى قلباً وعينا
حبذا القبلة رفت	عذبة فى مسمعينا
قبلة طالت فما ند	رى متى منها انتهينا
نحن الاثنين نسينا	أو تناسينا فينا

محمد محمود عماد

اهتمام الباكستان

بترقية الثقافة العربية فيها

للدكتور حسين الهمداني
(الملحق الصحفي بسفارة الباكستان)

لكل حضارة ومدنية تقاليدها الخاصة يعبر عنها فنها وأدبها وتتمثل في مظاهر الحياة اليومية المحيطة بها . والتقاليد هي التي تميز أي شعب عن شعب ، وهي التي تفرق بين قوم وقوم ، وهي التي تعطي كل لون من ألوان التفكير في الحياة اللون الخاص الذي يصطبغ به . فالحضارة الإسلامية غير الحضارة الأوربية ، والحضارة العربية غير الحضارة الصينية . وعلى كل تقليد إذا ما أراد أن يحافظ على كيانه ، وأن يبقى سليما من كل شائبة ، صامداً ضد كل عدوان أن يعمل أولا على الاحتفاظ باللغة التقليدية ومن ثم على تقويتها . وأمامنا حضارة الصين التي ترجع إلى خمسة آلاف سنة فإنها بقيت وظلت متماسكة متصلة غير متغيرة بفضل محافظتها على لغتها وعدم التفريط فيما لها من حق الرعاية .

وبقيام الباكستان أمة تضم شعباً تربطه وشائج الحضارة الإسلامية أصبح لزاماً عليها أن تفسح للثقافة العربية الإسلامية المكان اللائق وأن تحلها محلها من الاعتبار . فالباكستان تريد أن تعيد لهذه الثقافة مكانتها السامية المرموقة ، وهي تريد أن تصل ما انقطع من ذلك التراث . والحضارة الإسلامية ككل حضارة كبيرة أخرى سجلت سطورها في ثبت التاريخ لها تقاليدها ولها كتابها الخاص بهـا الذي منه تنبثق ينابيع التقاليد الإسلامية العظيمة والذي فيه تتجسم وتتبلور الحضارة بكل مظاهرها والذي فيه تتبلور المعاني والأفكار ثم ترسلها إلى الناس منعكسة حقائق ظاهرة ملموسة . هذا الكتاب وهو القرآن الكريم الذي أوحاه الله إلى نبيه محمد عليه الصلاة والسلام أساس الحضارة الإسلامية والنقطة التي سارت منها مدينة الإسلام؛ لهذا يتطلع إليه المسلمون كافة لأن فيه الوحي بصدق الإيمان والتعبير بصلابة الدين . وإذا عرفنا أن القرآن هو المصباح الذي ينير للمسلمين طريقهم ويدلهم على مسالك الخير ويبعدهم عن مهاوي الشر ، عرفنا لماذا تريد الباكستان أن تندمج وأن تتصل بحضارة الإسلام ، وأدركنا لأول وهلة عزمها على التمشي حسب تعاليمه السمحة مؤملة الفلاح والنجاح . وهي لم تقصر رغبتها هـذه على مجرد النية الطيبة أو الادعاء بل عمدت إلى تضمين هذه الأغراض الشريفة والدوافع الطيبة التي تتمثل في الإسلام دستورها الجديد الذي أقرته الجمعية التأسيسية أخيراً متوخية أن تعطى الشعب بواسطة ممثليه ونوابه السلطة والوديعة المقدسة التي في أيديهم مراعين الله في أوامره ونواهيه

وليس اهتمام مسلمي شبه القارة الهندية الباكستانية وتعلقهم بالقرآن ظاهرة جديدة بل هو أمر يمتد إلى مئات السنين أيام أن غزا العرب هـذه الأنحاء ومعهم لغتهم واللغة العربية كانت وما زالت لغة غنية بألفاظها بليغة بأسلوبها عميقة في معانيها وتعبيراتها . ولهـذا أصبحت الأداة الأدبية الوحيدة التي تربط سكان هذه المناطق لمدة ثلاثة عشر قرناً طويلة . وعلى قصر حكم العرب لهذه الأنحاء المعروفة اليوم بالباكستان بقيادة الفاتح محمد ابن القاسم إلا أنه كان للغة العربية عزها وأثرها . ساعد على ذلك وجود كثرة من المتأدبين والعلماء والمتفقهين في الدين والمتشرعين ضمن جحافل الجيوش الغازية . وظل الأدب العربي مزدهراً في هذه الأرجاء وظلت اللغة جزءاً لا يتجزأ من حياة المسلمين بسبب تعلقهم بالدين حتى في تلك الأيام التي حكم البلاد فيها حكام غير عرب . ففي أيام الأتراك والتتار والفرس ، وحينما كانت اللغة الفارسية لغة رسمية كان للغة العربية المكان الأول لم تستطع عوادي الدهر أن تمحوها ولا تقلبات الزمن أن تزيل أثرها . وكان المسلمون هناك على اتصال فكري وروحي دائم بالعالم الإسلامي الخارجي ، وامتد هذا الامتزاج إلى أيام الغوري والخلجي وتغلق ، وإلى أيام لودي ثم إلى أيام المغول . وفي أيام السلطان علاء الدين الخلجي ازدهرت مدن عدة في الهند وأصبحت مراكز للتعليم الإسلامي وقواعد للدراسات الدينية واللغوية منها دلهي ولاهور .

وأحمد أباد كان شأنها تماماً كشأن بغداد والقاهرة . واهتمام شبه القارة بتعلم اللغة العربية أمر طبيعي كان على أشده أثناء حكم الإسلام . ولـكن كنتيجة لقيـام الثورات السياسية والأزمات

الاقتصادية و كنتيجة لاستعمار الأجانب لهذه البلاد أفل نجم اللغة وضاع أثرها بين الناس . ولكن كان يقوم بين وقت وآخر رغم قيام هذه المصاعب أفراد يعشقون هذه اللغة فيرفعون منارها ويخصصون لها المعاهد للعلم والدرس . وقد أرادت الباكستان اليوم بعد أن استكملت استقلالها وسيادتها أن تعيد مجدها وأن تحيى تقاليدها القديمة ، وتحققت أنها بسبيل هذا لا بد لها من إعادة مجد ثقافتها ولهذا قام زعماؤها وأولو الرأى فيها من أول ساعة يمهدون الطريق أمام هذه الفكرة ويبسطون للناس كافة أن عليهم إذا ما أرادوا أن يوثقوا الروابط الثقافية والفكرية والروحية بينهم وبين مختلف البلاد العربية أن سارعوا لتوحيد اللغة بينهم . ولما كانت اللغة هناك متعددة واستعمال الأحرف العربية يغنى عن استعمال أية أحرف أخرى ، ولما كان هناك رابطة تربط الناس بعضهم ببعض كما تربط هذا الشعب بغيره من الشعوب وهى رابطة الدين ، ولما كانت لغة القرآن العربية فقد هبوا يشجعون على تعلمها واتجهوا نحو مصر منارة العلم والدين حامية الأزهر الشريف حاملة اللواء ذخر المتعطشين إلى الارتواء ، فهى تريد الآن أن تتخذ الحروف العربية حروفاً بها تكتب لغتها ؛ وهى تريد أن تتخذ اللغة العربية لغة إن لم تكن رسمية فهى إلى الرسمية أقرب ؛ وقام الكبراء والعظماء يرعون هذه الحركة ويشجعونها فساعدوا فى تأسيس جمعية ثقافية عربية باكستانية أنشئت فى العام الماضى بعد مرور شهور قليلة من قيام الباكستان تحت رعاية معالى وزير المعارف السيد فضل الرحمن وكانت فرصة طيبة ومناسبة حسنة للتعرف بأهمية اللغة العربية . وأهمية الاتصال بالعالم العربى تلك التى أتيحت يوم افتتاح هذه الجمعية فقد شرفها بحضوره فخامة الحاكم العام السيد ناظم الدين وأعلن من فوق منبرها أن أحسن وسيلة لإقامة علاقات متينة وثيقة بالبلاد العربية إنما يكون من طريق اللغة العربية . وكم كان جميلا منه أن يقول (إن معرفة اللغة العربية أمر ضرورى جداً لكى تتخذ الوحدة الإسلامية صورتها العملية . وليس فى مكنة العالم الإسلامى أن يحكم اتصالاته وأن يدعم روابطه إلا إذا اتخذ اللغة العربية لغة مشتركة أتقن دراستها . وواجبنا أولا أن نتخذ الحروف الطبيعية العربية حروفاً بها تكتب لغاتنا ؛ لأننا بهذا نتفادى الاختلاف والتعقيد ونتوخى الحصول على أقصر ما يمكن من التماثل والسهولة والتقرب بين المعانى والأفكار . فعلى العالم الإسلامى أجمع أن يخطو هذه الخطوة وأن يتخذ اللغة العربية لغة له) . وقد استجابت الباكستان لهذا الدعاء فقامت تنشئ الجمعيات وراحت الحكومة تنفذ كل مشروع يرمى إلى هذه الغاية ويهدف إلى هذا الهدف . ومن ذلك أن الحكومة تنشر مجلة عربية اسمها « البشير » تحاول بواسطتها أن تنقل أفكارها وتعرف بأحوالها وتتعاون مع شقيقاتها مؤمنة بأن إصدارها لهذه المجلة خطوة موفقة نحو التآخى والتآلف الذى تنشده.

ولقد ترك الاستعمار الأجنبى الطويل لشبه القارة الهندية الباكستانية تركة ثقيلة كريهة من نظم التعليم لا تتصل بثقافة الناس ولا تتناسب مع ظروفهم وحياتهم ولا تتوافق مع بيئتهم . فأمام الباكستان والحال كذلك صعوبات جمة لتزيل هذا الأثر ولا سيما وأن الجهل متفش بين غالبية الناس ؛ فهى تجاهد اليوم لأن توفق بين سياسة التعليم وبرامجه وميول الشعب واستعداده مدفوعة فى ذلك بتاريخها الطويل وثقافتها متوخية فى ذلك مقتضيات العصر الحديث واضطرار التقدم فى مناحى الحياة . وقد عقد بكراتشى سنة ١٩٤٨ مؤتمر تعليمى نصح الباكستان أن تهتدى فى سياستها التعليمية بالمثل العليا الإسلامية التى تنادى بالإخاء والتسامح والعدالة ، والباكستان بسبيل تنفيذ هذا ، وهى تسهم بقسطها فى سير القافلة الدولية فتشارك فى تبادل الأساتذة والطلاب وفى تبادل المطبوعات وفى إرسال بعثات إلى الخارج . وقد وقف معالى فضل الرحمن وزير المعارف فى إحدى اجتماعات الجمعية الثقافية العربية الباكستانية وقال : (كثيراً ما نوهت بضرورة اتصالنا بالبلاد العربية المختلفة والعمل على ربط ثقافتنا بثقافتهم . واليوم أكرر القول بأن علينا ألا نقف مكتوفى الأيدى أمام مجرد رغبتنا بالاحتفاظ بتراث ديننا القويم ، بل علينا أن نسعى بإخلاص لأن نعيد المجد الغابر وأن نقوى علاقاتنا الثقافية والدينية التى تكمل فيها روح الإسلام وفلسفته ، وتحقيقاً لهذا الاقتراح أن تصبح الحروف العربية وسيلة لكتابة لغاتنا بها حتى يصبح سهلا على الباكستان أن تتقرب عن هذا الطريق نحو البلاد العربية الأخرى . فاللغة هى طريق الاتصال الفعال بين أمة وأخرى . ونحن إن سلكنا هذا السبيل فتحنا الباب على مصراعيه أمام تبادل التفاهم والمعرفة وتناقل الأفكار ، كما أننا فى نفس الوقت نتيح لشعبنا الفرصة كى ينهل من معين الثقافة العربية الجيدة) .

حسين الهمدانى

مكتبتك الخاصـــة

للأســـتاذ إيليا حليم حنا

١ — المكتبة الخاصة ضرورة لازمة :

المكتبة الخاصة ضرورة لازمة من ضرورات كل منزل في هذا العالم المتجدد المتغير . والكتب أداة قيمة لإحكام الصلة بيننا وبين تيارات الفكر الحديث والقديم ، في صفحاتها ننصت إلى أصوات نتحدث معها من خلال العصور . ولا غنى لإنسان يشعر أنه عضو نافع في المجتمع عن الكتب الحافزة للشعور القوية للنفوس التي تمالج موضوعاته المحببة إلى نفسه وتعينه على أداء أعماله ومشروعاته الهامة وتحل له مشاكله وتوقفه على ثمار العقل البشرى في نواحي النبوغ المختلفة العديدة حتى لا يتخلف عن قافلة الزمان . قال ماكولى الناقد العظيم والكاتب المؤرخ الكبير : لو طلبوا مني أن أصير ملكاً بتاج على رأسي وقصر فخيم أسكن فيه ومآكل ومشارب فاخرة ، وملابس مزخرفة وحدائق وعربات وخيول ومئات من الخدم — لكن بدون كتب أقرأها — فإنى أرفض أن أكون ملكاً ؛ لأنني أفضل المسكين الساكن في كوخ حقير يقرأ ما لديه من الكتب على الملك الذي لا يحب أن يقرأ .

وقال أوجستين بريل (يوجد مكانٌ واحد في العالم يمكن للشخص أن يكون فيه سعيداً ، إنه المكتبة .)

والقراءة هواية مفيدة فإنه بين كتب مكتبتك تدفن آلامك وأتعابك بعد العمل المضنى تختار الكتاب الذي يلائم تفكيرك وشعورك . يقول العالم الكبير السرجون هرشل (لو تضرعت إلى الله وكانت دعواتي مضمونة الأجابة من أجل موهبة تكفيني مؤونة تقلبات الظروف وتبدلات الأحوال ، وتكون نبع سعادة وسرور لا ينضب ، وعدة أتقى بها سهام الأيام ، ودواء يشفيني من كل سقام ، لكانت تلك الموهبة محبة الكتب والرغبة في المطالعة .)

٢ — كيف تكون مكتبتك ؟

الناس مختلفون في أذواقهم وثقافتهم ، متفاوتون في مواهبهم . وبنسبة هذا الإختلاف يتباين تذوقهم للكتب وتقديرها . لذلك كان تكوين المكتبة لا يخضع لقواعد ثابتة ونواميس معينة ، فكل يختار كتبه بما يتفق وعقليته وشعوره وذوقه وعمله .

يقول (أوجستين بريل) جيل أن ترث مكتبة ولكن الأجمل والأفيد من ذلك أن تجمع أنت كتب مكتبتك واحداً بعد الآخر ؛ فالمكتبة لا تجمع دفعة واحدة ، ولكنها تنمو حسب ذوقك وحاجتك النفسية العابرة وتأملاتك وخوالجك ومشاكلك وأبحاثك وعملك . دع الظروف التي تمر بك تدفعك إلى شراء الكتاب وبذلك يكون بينك وبين كتبك اتصال روحي وفكري . نظرة واحدة خاطفة إلى كل منهما وهو على رفّه ترجع بك إلى وقت شرائه والفكرة التي كانت تخامرك في ذلك الوقت ، وما يحوى بين دفتيه من أفكار وآراء . ولا يفيد أن تكوّن مكتبتك بشراء كتاب تلو الآخر إن لم تفرغ من قراءة كل كتاب قبل أن تشترى غيره ؛ فإن تكديس الكتب بدون قراءة يجعل المكتبة قليلة الفائدة لصاحبها . ولكن هناك كتباً يجب أن تزود بها المكتبة الخاصة دفعة واحدة ؛ لا يستغنى عنها القارىء المثقف الذي يطالع للالمام بأنواع المعارف المختلفة ، أو القارىء الأديب الذي يقرأ للاستلهام ، وهي المعاجم ودوائر المعارف باعتبارها مراجع ، وكتب النحو والصرف والبلاغة والنثر الفني والدواوين الشعرية للتمكن من اللغة وفنونها ومفرداتها وتراكيبها .

٣ — ماذا يجب أن تحوى مكتبتك :

يجب أن تحوى مكتبتك الكتب التي تنمى قواك العقلية جميعها نمواً متناسباً . ويمكن حصر هذه الكتب فيما يلي .

(ا) كتب تتعلق بعملك :

أول ما يجب أن توليه عنايتك من الكتب هو الأبحاث التي تتعلق بمهنتك . ويلزم أن تتابع كل ما يكتب عنها في اللغات التي تعرفها وبذلك ترقى بعملك وتكون حجة ومرجعاً فيه وتراه شيقاً متجدداً دواماً بإدخال عوامل التحسين التي سبقك إليها الخبراء . وهذا يعود عليك بأحسن النتائج الأدبية والمادية فإن أفضل ما تفعله لتنجح ماليا هو إتقان عملك وبلوغ الغاية فيه فتصل إلى المال دون أن تقصد إليه مباشرة .

ومن الجهل أن يعتقد الشاب أن الكتب القليلة التى درسها فى حياته المدرسية كافية لتسيره فى عمله ، ومن ثم لا يقرأ شيئاً يتعلق به فيركد ويتضاءل ، ولا يرفعه عمله بل هو ينزل بعمله إلى مستوى دون المطلوب فيجرم فى حق المجتمع ويحرم وطنه من موهبة كامنة فيه كانت تظهر لو أنه تمشى مع الزمن وضاعف معلوماته ووقف على آخر ما جد فى عمله من تقدم فتعظم شخصيته ويكسب ثقة نفسه وغيره فى مهنته .

اقرأ وادرس واطلع على أحدث ما جد فى عملك وتابع سيره ونموه حتى ترقى به ويرقى هو بك .

(ب) كتب تتعلق بهواياتك :

وهناك الكتب التى تتعلق بهواياتك التى تلجأ إليها فى أوقات فراغك لتعالج الملل الناتج عن عملك وتجدد نشاطك وتعيد لنفسك اتزانها وتعطيك مهارة عقلية أو يدوية أو الاثنتين معاً .

هواياتك هذه يجب أن تتفقدها لتنمو ، ويجب أن تقف على أفكار وآراء وأعمال الآخرين فيها حتى تكون ناضجة تعطيك لذة أكبر وفائدة أوفر فتشعر بالسعادة فى التطور والتجدد والنمو والتوسع :

وقد تصبح الهواية يوما عملك الذى تعيش به وترتزق منه وتظهر فيه مواهبك الكامنة أكثر مما تظهر فى مهنتك أو حرفتك . ويساعد الاطلاع على كل ما يختص بهواياتك من كتب ومجلات ونشرات ومطبوعات دورية على نبوغك فيها وتنمية شخصيتك وترقية ذهنك .

(ج) كتب تختص بالمرأة والأطفال :

يغفل كثير من المثقفين نصيب المرأة والأطفال فى المكتبة الخاصة ولا يهتمون إلا بنواحيهم وما يتعلق بهم وحدهم بينما يجب الاهتمام إلى حد كبير بركن المرأة والطفل فى المكتبة الخاصة وتغذية هذا الركن بأحدث الكتب التى تبحث فى شئون المنزل وإدارته وتربية الأطفال وتنشئتهم وكل ما يتعلق بالمرأة والفنون النسوية ويكون الزوجة والأم والمواطنة العاقلة الكاملة فى خلقها ومثلها العليا .

وهذا الركن فى المكتبة الخاصة أكبر معين للوالدين على تربية أبنائهم وتعويدهم حب القراءة بوضع ما يلفت نظرهم ويناسب مداركهم وأطوار نموهم العقلى بين أيديهم وأمام ناظرهم . ويجب أن يحوى هذا الركن معجما صغيراً يستخرج منه الطفل ما يصعب عليه فهمه من المعانى بإرشاد أحد والديه ، ودائرة معارف مبسطة بجانب الكتب التى يرى الوالدان أنها موضع أسئلة الطفل وميوله أن ما يعرفه الطفل بهذه الطريقة لا يمكن أن ينسى علاوة على أنه يتعود القراءة ومحبة الاطلاع بالتوجيه الحسن وتأثير هذا الوسط المنزلى الثقافى الراقى فيه .

(د) كتب للثقافة العامة :

وتأتى أخيراً الكتب التى تتناول الثقافة العامة فى كل ما يلذ لك قراءته وما تدفعك إليه حاجتك النفسية ومشاكلك وذوقك وما يجب أن تقف عليه من أنواع المعارف والثقافات التى بدونها تكون متخلفاً عن عصرك الذى تعيش فيه . ومن الخطأ أن تهمل التراث القديم وكتبه الخالدة التى عاصرت كل الأزمان والحضارات ؛ فالكتاب النفيس الخالد كما قال ملتون هو دم الحياة الثمين ، المتقطر من روح كبيرة ، محنطاً ومحفوظاً لحياة بعد الحياة

ويخطىء الشاب الذى نال القليل من التربية المدرسية عندما يندب سوء حظه الذى لم يتح له الحصول على الثقافه المدرسية اللازمة فإن أمامه فرصة التثقيف الذاتى ؛ فإنه بين مجلدات مكتبته يتصل بأذكى العقول فى أرقى الأمم ويصل إلى درجة عالية من الثقافة يحسده عليها حائزو أرقى الشهادات الذين لا يقبلون على القراءة ويكرهون الكتب . يقول (ارنولد بنيت) لا أرى سبباً يمنع أى رجل متوسط الذكاء بعد أن يقضى عاماً فى القراءة المتواصلة أن يصبح قادراً على الهجوم على أسمى ما أنتجه الإنسان من البراعات فى التاريخ أو الفلسفة .

فى ركن الثقافة العامة هذا تلم بأحسن ما سبق التفكير فيه ثم تبدأ أنت نفسك فتفكر فى حل ما يصادفك فى الحياة من المسائل فى الآداب والفنون والسياسة والدين والمسائل الدولية والعلاقات المنزلية .

٤ — فلسفة شراء كتاب :

عند شراء كتاب ضع أمامك الاعتبارات الآتية :

١ — عندما تدخل مكتبة لشراء كتاب كون لنفسك فكرة سريعة عنه بملاحظة العنوان والمؤلف ومكانته ومؤلفاته الآخرى

التى تعرفها والناشر ومركزه الثقافى والسنة التى طبع فيها الكتاب ثم المقدمة والفهرس وطريقة عرض الموضوع .

٢ — خابر دور النشر المشهورة لترسل إليك نشراتها وقوائمها عن أحدث مطبوعاتها فى المعارف المختلفة لتكون على اتصال بآخر التيارات الفكرية فى الموضوع الذى تخصه بالدراسة الدقيقة وتكرس له جهودك .

٣ — اهتم بالمراجع اللغوية والفنية والتى تتصل بنوع عملك والموسوعات المختلفة فهذه عون كبير لك فى تسهيل أبحاثك وجعل مادتها ميسورة فى متناول يدك .

٤ — الكتب الملخصة لا تصلح أن تكون مكتبة ذات أثر ثقافى عميق ولكنها نواة لشراء الكتب الأصيلة الدسمة فى نفس الموضوع . أنها أداة للتثقيف السطحى فقط .

٥ — لا تشتر أكثر من كتاب واحد فى المرة الواحدة ؛ ولكن إذا وجدت عدة كتب متممة لناحية من نواحى ثقافتك أو لبحث تشتغل بإعداده فضمها فى برنامج قراءاتك اليومية فى أقرب فرصة وإلا فستجد فى يوم من الأيام صفوفاً من الكتب على الرفوف لم تقرأها وقد لا يسعفك الوقت بأن تقرأها بعد ذلك .

٦ — لا تشتر الكتب لاقتنائها بل للانتفاع بها . واجعل أساس شرائها حاجة نفسية أو عملية حاضرة كأن تحل لك مشكلة أو توجهك وجهة صحيحة فى عملك أو تكمل لك بحثاً علمياً أو أدبياً حتى تقبل على قراءتها بلذة وشغف بمجرد شرائها . ولكن عندما يعجبك كتاب لرغبة عارضة لا ترمى إلى هدف ، فإنك تتوانى فى قراءته وتتكدس لديك الكتب دون أن تؤدى غرضها المقصود .

٧ — اختر من الكتب ما يجعلك أكثر تعلقاً بآمالك ، ويعطيك آراء جديدة فى الحياة تجعلك أكثر صلاحية لتعيش وتخلق فى نفسك الحماس وتجعلك أكثر إصراراً على الاندفاع نحو هدفك . وابتعد عن الكتب التى تغذى المثل الدنيا الحقيرة والتى تقلب غرائزك ولا تسمو بها فإنها تهدد مستقبلك وتحطم آمالك وتخلق منك إنساناً مسلوب الإرادة ضعيف الشخصية .

٥ — **احتفظ بكتبك ورتبها :**

لا تكدس كتبك بعضها فوق بعض بل ضمها على رفوف أو فى خزائن ورتبها بحسب موضوعاتها بطريقة تسهل عليك تناولها بسرعة حتى لا تضيع وقتاً فى البحث عن كتاب تريده فتضطر أن تقلب كل كتبك رأساً على عقب فتفقد الدافع وتخسر الحماس الذى تشعر به لقراءته أو تفوت عليك فرصة الاطلاع عليه للاستعانة به فى بحث تعده .

لا تكن ممن يلقون بالكتاب لأنك فرغت من قراءته أو لأنك لم تتذوقه . إن الكتاب الذى لم يحز إعجابك فى وقت من الأوقات قد يصبح مدار اهتمامك بعد ذلك عندما يفيدك للاستنارة به فى موضوع يشغلك أو يوضح لك رأياً غمض عليك أو يحل لك مشكلة تقلقك . والذى لا تهضمه اليوم قد تهضمه غداً عندما ينمو ويزداد زادك العقلى .

٦ — **الألوان فى حجرة المكتبة :**

للألوان أثر كبير فى نفسية الإنسان، فمنها ما يرتاح إليه ويجعل الراحة والهدوء يسريان فى جسمه ونفسه ، ومنها ما يجعله منقبضاً متململا . فالأزرق والأخضر المائل للزرقة والرمادى تدعو للراحة وتبعث فى النفس الارتياح . والأزرق الغامق والرمادى الغامق يدعوان للوجوم والإنقباض .

وللألوان أيضاً أثرها فى امتصاص وانعكاس الضوء وفى جعل الحجرات تبدو ضيقة أو متسعة . فإذا كانت حجرة مكتبتك ضيقة كثيرة الضوء فاستعمل الألوان الزرقاء أو الرمادية أو الخضراء أو الخضراء الضاربة للزرقة فإن هذه الألوان تمتص الضوء وتجعله مريحاً للأعصاب فضلا عن أنها تشعر الناظر أن الحجرة فسيحة .

وإذا كانت النوافذ فى الجهة الشمالية فإن ضوء الشمس لا يدخلها إلا قليلا جداً ، وأيضاً إذا كانت الحجرة قليلة النوافذ وجب أن تستعمل فيها الألوان الزاهية مثل الأصفر والبرتقالى والأخضر الضارب إلى الصفرة والقرنفلى الفاتح والخوخى الخافت فهذه الألوان تعكس الضوء ولكنها تجعل المكان يبدو ضيقاً .

وإذا سقط نور المصباح على ألوان زاهية كالأحمر والأصفر والبرتقالى فإنه يعكس هذه الألوان على جدران الحجرة ؛ أما الألوان الباهتة مثل الأزرق والأخضر والرمادى فإنها تخفف من حدة الضوء وتجعل نور المصباح أقرب إلى الضوء الطبيعى فيرتاح له النظر والنفس .

(أسيوط) **إيليا حليم حنا**
مدرس أول اللغة الإنجليزية والآداب
مدرسة النهضة الوسطى . الأبيض . سودان

طمأنينة السماء

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

عج الأسى فى نفسها الشاعره   فى ليلة مقرورة كافره !
وحيدة ؛ ضاق بها مخدع   توغل فيه الوحشة السادره !
كم شهد المكبوت من شجوها   تثيره خلجاتها الثائرة ...
كم التوت فيه على قلبها   تبكى أمانى قلبها العاثرة
وكم !. وكم !. ولا يدٌ برةٌ   تأسو جراح الزمن الغائره !

تنهدت مما عراها وقد   مالت على شرفتها حانيه
وقلبته بصراً تائهـاً   فى قلب تلك الظلمة الغاشيه
لا ومضة تخفق من كوة   لا نبأة تصعد من ناحيه
سوى هزيز الريح تهتاجها   أصداؤه المفجوعة الباكيه
وقلبهـا المحروم ما يأتلى   يدق خلف الأضلع الواهيه !.

ورجت الوحشة أعماقها   فى هيكل الليل الكئيب الضرير
فاصطرعت فيها أحاسيسها   كاللج يطغى فى الخضمّ الكبير
ووثبت أشباح آلامها   مجنونة ، تشبّ شبّ السعير
تجمدت فى جفنها دمعة   تصاعدت من قلبها المستطير
ثم همت محرورة ، مرّة ،   كأنها تضرّع المستجير

تلفتت وراءها فى أسىً   نحو مهاوى أمسها الغائر
لعـل فى أغواره لمحة   تلوح من ذكرى سنىً عابر
لعل فى الماضى وأطيافه   عزاءها من قسوة الحاضر !.
فما رأت غـير حطام المنى   على صخور القدر الغادر ..
وبعض أشلاء هوىً حالمٍ ..   مرتطم بالواقع الساخر ..

وسرّحت أمامها طرفهـا   عبر غدٍ مكتنفٍ بالضباب !
فأبصرت،ما أبصرت ؟ مبهماً   مستبهم الأفق، مخوف الشعاب
تبعثرت فيه الصوى واختفت   معالم السبل وراء اليباب
وهى على الدرب ذعور الخطى..   رفيقها الوحدة..والاغتراب .
والظمأ الكافر لا يرتوى   فى قلبها الهائم خلف السراب !.

وكان أقسى ما شجى نفسها   وابتعث الراعب من حسها
تدفق الظلمة فى يومها   فى غدها المحروم .. فى أمسها ..
ظلمة عمـر ، كل أيامه   ليـل تدجى فى مدى حسها
النور ، أين النور ؟ هل قطرة   تسيل منه فى دجى يأسها
من أين ؟ والأقدار قد جففت   منابع الأضواء من نفسها !.

وفى شرود مبهم غامض   تعلقت مقلتها بالسماء !.
فانشق صدر الليل عن كوكب   مشعشع الوهج ، دفوق الضياء
كأن روح الله من فوقه   تمده بنورها عن سخاء
فانخطفت فى ذهلة روحها ،   خلف النهايات ، وراء الفضاء ..
هناك ، حيث النور لا ينتهى ،   هناك، حيث النور فوق الفناء !

هناك غشتهـا طمأنينةٌ   عـلوية ، ما لمداها حدود
وصاح من أعماقها هاتف   ينتظم الأرض صداه البعيد :
يا أرض ، أهواؤك مهما طغت   وأقمدت خطوى بثقل القيود ..
يا أرض ، أحزانك مهما قست   وطبقت حولى مجالى الوجود
هيهات أن تلمس روحاً سرى   فيها من الله ضياء الخلود ! .

(نابلس)   فدوى عبد الفتاح طوقان

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

كرسي شوقي للأدب العربي الحديث:

تحت هذا العنوان وفى جريدة « الأساس » منذ أسبوعين ، كتب الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى كلمة عن شوقى بمناسبة الشروط التى يجب أن تتوفر فيمن يشغل كرسيه الذى أنشأته كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول . ولقد أوضح الأستاذ المازنى رأيه فى الشروط التى حددتها الجامعة ، مؤكداً أنها مبالغة فى التيسير على طالب هذا الكرسى لأنه للأدب العربى الحديث كله لا للأدب المصرى وحده ... وليس أدل على هذا التيسير فى رأى المازنى من أن الجامعة قد اشترطت على من يتقدم لشغل هذا الكرسى أن يكون حاصلا على الدكتوراه من مصر أو ما يعادلها من الخارج ، أو أن يكون حاصلا على أعلى الأجازات العلمية التى كانت تمنح قبل إنشاء الجامعة المصرية ، أو أن تكون له أبحاث أتت للعلم بفائدة محققة ، أو أن يكون قد مضت أربع عشرة سنة على حصوله على درجة بكالوريوس أو ليسانس ، وأن تكون له أبحاث قيمة مبتكرة .

هذه هى خلاصة الشروط التى حددتها الجامعة ، والتى يرى فيها المازنى وأرى معه أنها مبالغة فى التيسير على طالب هذا الكرسى الجامعى الممتاز ؛ لأنها لا يمكن أن تنهض بالدراسة الفنية التى تتفق ومكانته ، ولا بالمستوى العلمى الذى يجب أن يتوفر فيه شاغله ... ومرة أخرى يضع المازنى الأمر فى مكانه ويزنه بميزانه حين يقول : « إن درس الأدب العربى الحديث على وجهه الصحيح فى هذا العصر يتطلب علماً وافياً بلغة أو لغات أجنبية وآدابها وفلسفاتها أيضاً ، فما تستطيع — ولا سيما فى زماننا هذا — أن تباعد بين الفلسفة وبين الأدب ونقده . ثم إن أستاذ هذا الباب لا يستغنى عن الإحاطة بأحوال الاجتماع والسياسة فى كل قطر عربى ، وبكل عامل من العوامل التى تؤثر فى الأدب وتطوره ، وبمذاهب الفلسفة والنقد ، وبأثر الآداب الغربية فى الأدب العربى فإن الأدب — أى أدب — ليس شيئاً قائماً بذاته مستقلا عما عداه ، وإنما هو فرع من شجرة ضخمة ، ومن أولى من رجال الجامعة بأن يحرصوا على الأصول التى أخرجت الفروع ؟! ...

أكاد أقول — بل أنا أقول — إن هذا الكرسى الذى يعد من أعظم الكراسى شأناً يحتاج إلى علم غزير وإلى إحاطة شاملة بالآداب العربية والغربية ، وإلى دماغ فلسفى منوع الثقافة ، وإلى معرفة بالتاريخ السياسى والاجتماعى ، وإلى بصيرة نافذة ؛ فليس يكفى أن يكون مشروطاً أن يكون لطالب هذا الكرسى أبحاث قيمة لأن الأمر أكبر من ذلك ، والموضوع أوسع وأعمق ، وأحوج إلى العلم الشامل المنوع ... وأخشى ألا تكون العجلة فى هذا الأمر إلا من الشيطان ، فالتريث أحجى وأرشد ، ولن تعاب الجامعة إذا هى تأنت ، ودققت ، إيثاراً لحمل الأمانة العلمية كما ينبغى أن تحمل . ولكنها تعاب ولاشك إذا هى اكتفت « بملء الخانات » كيفما اتفق ، أى إذا قدمت المظهر على المخبر والصورة على الحقيقة » !

من هذه الكلمات نخرج بأن المازنى لم يكن غالياً فى شعوره بأهمية الموضوع الذى تعرض له بالبحث والمناقشة ، ولا بضخامة العبء الذى يجب أن يقوم به من هو أهل للقيام به ، ولا بقصور النظرة الجامعية إلى مقومات الأستاذية الكاملة التى تنهض بواجبها العلمى عن جدارة واستحقاق ... ولكن المازنى — غفر الله له — شاء أن يدس بين زهوره الفكرية أشواكا تبخر معها الشذى المعطر والعبير الفواح ، وبقيت منها وخزات تجرح الذوق والفن والشعور ! يقول المازنى عن شوقى فى ثنايا كلمته : « وقد سرنى أن كلية الآداب أنشأت هذا الكرسى وسدت به نقصاً ملحوظاً فى دراستها ... ومع احتفاظى برأيى القديم فى شعر شوقى أقول إنه قد سرنى أن يطلق اسمه على هذا الكرسى » !!

ترى ألا يزال المازنى بينه وبين نفسه محتفظاً برأيه القديم فى شعر شوقى أم لا يزال محتفظاً به بينه وبين الناس ؟ أخشى أن يكون الفرض الأخير هو الأصح ، لأننى أعلم أن هناك أدباء

يشعرون بالحرج إذا ما واجهوا الرأى العام الفنى بتغيير آرائهم بين الأمس واليوم ... إننا نعلم أن رأى المازنى فى شعر شوقى يرجع إلى أيام الشباب وحماسة الشباب واندفاع الشباب ، ولكن للشباب نظرته التى قد يهذب من جوحها مضى الزمن ، وذوقه الذى قد يحد من انحرافه تقدم السن ، وحكمه الذى قد يعدل من مقاييسه اكتمال الثقافة واتساع الأفق . لهذا كله أخشى أن يكون المازنى قد نبذ بينه وبين نفسه رأيه القديم فى شعر شوقى واحتفظ به بينه وبين الناس ، خشية الحرج من أن يتهم بتقلب الرأى بين اليوم والأمس وترجحه بين اليمين والشمال ! ... إننا نعرض لهذا الأمر على أنه فرض يحتمل أن يكون هو الواقع أولا يكون ، فإذا كان فما أحوجنا إلى شىء من الشجاعة يردنا إلى الحق ويرد الحق إلى نصابه فإن ذلك أدعى إلى التقدير لا إلى الحرج والتشهير . إننى لم أقدر الدكتور طه حسين يوماً كما قدرته وهو يذيع على الملأ منذ قريب استنكاره لرأيه القديم فى أدب المنفلوطى ... بل لقد زاد تقديرى له وهو يعلن فى صدق نادر وصراحة محببة أنه يشعر بالخجل كلما تذكر أيام الشباب وما جنت حماستها على القيم الأدبية ومنها آثار المنفلوطى ، حتى لقد نعت نقده لتلك الآثار بأنه لم يكن إلا لوناً من ألوان السخف !

هذا مثل طيب يجب أن يحتذيه المازنى وغير المازنى من شيوخ الأدب إذا ما خطر لهم أن يرجعوا إلى آرائهم القديمة فى صدر الشباب لينفضوا عنها غبار التجنى الذى أثاره الهوى والغرض إذا ما كانت هناك أهواء وأغراض ... ونستطيع بعد هذا كله أن نلغى هذا الفرض وما حمل بين طياته من مقدمات ونتائج ، لنقول إن المازنى بينه وبين نفسه كان وما زال محتفظاً برأيه القديم فى شعر شوقى ، إذا عبر هذا الفرض الآخر عن الواقع فليس من شك فى أنه سيعبر عن واقع آخر ، وهو أن موازين النقد الأدبى ستحتفظ برأيها الصريح فى ذوق المازنى !؟ ...

جولة فكرية فى ربوع الريف :

لم أستطع فى الأسبوع الماضى أن أكتب « التعقيبات » لأننى غادرت القاهرة إلى الريف على غير انتظار ... وفى غمرة الحزن على فقد قريب تلقيت نعيه الفاجع ، راعنى ما رأيت على طول الطريق من شتى المشاهد والصور والوجوه ، حتى خيل إلىَّ أننى منذ عشرين عاماً لم أر كل هذا الذى بدا لعينىَّ غريباً ، مع أننى لم أتغيب عن الريف إلا عاماً وبعض عام !

وقلت لنفسى وأنا أنقل الطرف بين الوجوه الصفر والحقول الخضر : أين أنا اليوم مما كنت فيه بالأمس ؟ أين المدينة الصاخبة الضاحكة الجياشة بالحياة ، من هذا الريف الهادىء العابس الذى يطالعك منه ألف معنى من معانى الهمود والجمود والموت ؟! ألا ما أبعد الفارق بين أرض وأرض وبين أحياء وأحياء ... هذه الأجسام الذابلة ما أحوجها إلى تدفق العافية ، وهذه العقول المظلمة ما أحوجها إلى نور المعرفة ، وهذه القرى المهملة ما أحوجها إلى شىء من الاهتمام والرعاية ! ومع ذلك فأنت هنا تلمس حلاوة الرضا حين تلمح مرارة التذمر هناك ؛ ذلك لأن نفس الريفى قد طبعت على القناعة ، وفطرت على الصبر ، وجبلت على الإيمان ... وتلك أمور تنثر فى تربة النفوس بذور الصفاء الروحى الذى يرفع الملتصقين بالأرض إلى آفاق السماء !

إن أجمل ما فى القناعة أنها تظهر لك القليل على قلته وهو أكثر من الكثير ، وإن أروع ما فى الصبر أنه يفلسف لك أعباء الحياة فلسفة تنقلك من عالم المادة إلى عالم الروح ... أما الإيمان فهو قائم من وراء هذا كله ليرد الأمور إلى أسبابها من حكمة القدر ومشيئته فلا اعتراض للناس !

من هنا أعرض المسئولون عن إصلاح الريف ، لأنهم لا يستجيبون فى الكثير الغالب إلا للأصوات الساخطة المتذمرة تحمل إليهم العجيج والضجيج ؛ تحملهما من قلم كاتب ، أو من حنجرة نائب ، أو من وساطة يتقدم بها صاحب جاه وسلطان !

ومن العجيب أنك تجد أكثر الكتاب والنواب وأصحاب الجاه قد نشأوا فى ربوع الريف ، واستروحوا طيب أنسامه ، وترعرعوا بين أحضانه ، ومع ذلك فلا يرتفع لهم صوت إلا للمدينة على حساب القرية ، وللمتعلم على حساب الجاهل ، وللطائفة على حساب الفلاح ، وللمصلحة الفردية على حساب المصلحة العامة ! ذلك لأن الكاتب إذا ذهب إلى الريف فإنما يذهب إليه طلباً

للهدوء والترويح عن النفس ، وأما النائب فليجدد للناخبين عهوده الكاذبة ووعوده الباطلة ، وأما صاحب الجاه والسلطان فليشرف على استغلال الأرض ليستكرش بطنه وتمتلئ خزائنه !

صدقني إذا قلت لك إن ريفنا المصرى مصنع نادر للبطولة ... البطولة الكريمة على الضيم ، الصابرة على الشدائد ، العامرة بأعمق مشاعر التضحية . كل من فيه أبطال ، وأروع ما يروعك من هؤلاء الأبطال ... أنهم شهداء !

كلمات عن فقيد الفن نجيب الريحانى :

كتب إلى أكثر من قارئ ، وقال لى أكثر من صديق : لماذا لم تكتب عن نجيب الريحانى ؟ ... إن الذى مات فنان ، فكيف لم يحرك فقده فى نفسك كوامن الشجن ، وكيف لم يستجب قلمك للفجيعة كما استجابت بقية الأقلام ؟ ورجعت إلى شعورى أسائله : أمن الممكن أن يهزني نجيب الريحانى أعنف الهز فى حياته ، ثم لا يهزنى أعنف الهز فى مماته ؟ وسمعت جواب الشعور منبعثاً من الأعماق : محال !

ومع ذلك فلن أكتب اليوم عن نجيب الريحانى ... لن أكتب عن الفنان الإنسان الذى كان أسطورة أبدع فكرتها خيال الفنان الإله ... لن أكتب عن اللحن الخالد الذى وقعته على قيثارة الأبد أنامل العبقرى الأعظم ... لن أكتب عن الحلم القصير الذى داعب أجفان الحيارى ، ثم صحوا من بعده على صرخات الدموع !

لن أكتب عن نجيب الريحانى إلا إذا جاءنى الغد المرتقب بأن مكانه الشاغر لم يشغل ... عندئذ سأصدق أن نجيب الريحانى قد مات ، وأن من حقه على أن أكتب عنه صفحات وصفحات !

رسالة ثائرة من شيوعى ثائر :

حقيبة البريد تحمل إلى من حين إلى آخر كثيراً من روائع المقول وطرائف الأفكار ... من هذه الطرائف وتلك الروائع ما نقلته إلى فى الأسبوع الماضى رسالة ثائرة من شيوعى فاضل آثر السلامة فلم يذكر اسمه ! لم يناقشنى الشيوعى الفاضل مثلا فيما كتبته على صفحات « الرسالة » ، ولم يناقشنى مثلا فيما جاء به أستاذه الأكبر كارل ماركس من آراء ومذاهب ؛ لم يناقشنى فى شىء من هذا ليقنعنى بعدالة قضيته ، أو لأقنعه — على الأقل — بأنه مضلل مفتون ، ولكنه غمرنى بفيض من شتائمه التى إن دلت على شىء ، فإنما تدل على طيب عنصره وكرم محتده ، شأن كل شيوعى من أمثاله !

يقول حضرته إننى كاتب رجعى مأجور ... مأجور من الرأسمالية فى مصر وغير مصر ، ولولا « المرتب » الذى أحصل عليه كل شهر من بعض « الجهات المعينة » لما هاجمت مذهباً من مذاهب الإصلاح الاجتماعى يحتاج إليه ملايين المصريين ليرتفعوا من مرتبة الحيوانات إلى مرتبة الآدميين !

أود أن أقول للشيوعى الفاضل إننى أرحب بالرجعية ما دام رائدها الكشف عن مخازى الشيوعية ، أما « المرتبات » فلا يعرفها سوى زبائن « الكومنفورم » ... وأما ملايين المصريين الذين أشار إليهم فأؤكد له أنهم آدميون والحمد لله ، وإذا كان فى مصر حيوانات فهم بضع مئات لعل منهم حضرة الشيوعى المحترم!

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

خليل مطران :

فقد عالم الشعر يوم الخميس الماضي (١٩٤٩/٦/٣٠) علماً من أعلامه بوفاة خليل مطران ، كما فقدت به مصر وسائر الأقطار العربية شاعراً كبيراً ، عاصر حقبة مضطربة من حياتها السياسية ولابس فترة انتقال في حياتها الأدبية ، فكان في الأولى ممن غضبوا للكرامة الوطنية وجاهدوا في سبيل الحرية ، وكان في الثانية أستاذاً من أساتذة الجيل الذين ارتادوا آفاقاً جديدة في عالم الشعر العربي الحديث ، فسبق أقرانه في الابتداع بافتنانه في المعاني والصور الشعرية الجديدة ، ومهد السبيل لمن أتى بعد المدرسة الشعرية القديمة من شعراء اتجهوا بكل فنهم إلى الحس والشعور والحياة ...

نشأ خليل مطران في موطنه الأول لبنان ، وأمضى به صدر شبابه ، ثم هجره إلى باريس حيث اشترك في بعض الحركات الوطنية ، ثم عاد إلى مصر وكان قد نزل بها في طريقه إلى باريس فطاب له المقام بها ، واشتغل فيها بالصحافة ، وشارك في الإنتاج الأدبي كتابة وشعراً ، وكان من العاملين على رقي المسرح فترجم له وألف ، وظل يغرد بأشعاره في وادي النيل حتى أخذ مكانه في الصف الأول من الشعراء المقدمين . وكان لمطران إلى جانب ذلك نشاط في مجال الاقتصاد والمال ، زاوج بينه وبين نشاطه الأدبي .

كان رحمه الله دقيق الجسم ، رقيق الحس ، كريم العاطفة ، وكان من الذين تأكل مشاعرهم العليا وإنسانيتهم الرفيعة حيويتهم وغذاء أجسامهم ... وقد قضى سنواته الأخيرة يعاني الاعتلال ويغالب الأدواء ، ثم غلبته ففقدناه .

وكان مطران موضع التقدير والتكريم من كبار الرجال في مصر وغيرها ، وكان أباً ودوداً وأخاً كريماً للأدباء والشعراء ، ولم يسعد كاتب هذه السطور بلقائه ومعرفته الشخصية ، ولكن طالما استروحت نسمات من سيرته الطيبة في مجالس الإخوان ، وامتلأت مشاعري بما استفاض من بره ورقة شمائله .

فإن مات خليل مطران فهو خالد في ضمير الأمة العربية شاعراً وإنساناً .

اللغة في الإذاعة :

نشرت مجلة الإذاعة المصرية ، أن حديثاً جرى في اجتماع لجنة الشؤون الدستورية بمجلس الشيوخ ، بين بعض الأعضاء وبين الأستاذ محمد قاسم بك المدير العام للإذاعة الذي كان يشهد هذا الاجتماع ، وأن سعادة العشماوي باشا رأى أن تكون الأغاني والتمثيليات باللغة العربية المبسطة ، وقال الأستاذ جمال الدين أباظة بك : إن الشيخ سلامة حجازي الذي كان الجميع يطربون لأغانيه وتمثيلياته كان يلقي هذه الأغاني والتمثيليات باللغة العربية ، ثم طلبت المجلة أن يبدي المستمعون آراءهم في هذا الموضوع .

والذي يقرأ هذا يخيل إليه أن الإذاعة تحافظ على اللغة العربية في كل برامجها ولم يبق إلا الأغاني والتمثيليات ، والواقع أن جزءاً كبيراً من برامج إذاعتنا يؤدى بلغة لا هي عامية ولا هي عربية ، مثل الأحاديث الطبية والزراعية ، وما يلقى في ركن المرأة وركن الفلاح وغير ذلك ، وأقصد هذا النوع الذي يعده صاحبه على أنه باللغة العربية ، وما هو إلا تكسير لها واعتداء على صحتها . وإنها لمهزلة كبرى أن تذاع هذه اللغة المكسرة المهلهلة من الإذاعة الرسمية بأكبر عاصمة عربية في العالم .

في الصحف والمجلات رقابة لغوية ، وإن لم تكن دقيقة في بعضها ، تمنع نشر ما كتب بأسلوب غير سليم ، أو تقومه ؛ فلم لا يكون بالإذاعة موظفون في مقام رئيس التحرير أو سكرتير التحرير أو المصححين في الصحف ، يشرفون على لغة الأحاديث ؟ ولم لا يشترط على المتحدث أن يجيد النطق العربي ويجرب قبل إلقاء حديثه ؟ وإن بعضهم ليخجل إذا أخطأ في نطق لغة أجنبية وإنه لأجدر أن يخجل لخطئه في لغته .

ذلك مثل من الفوضى اللغوية في إذاعتنا المصرية التي تنطلق بلسان مصر زعيمة العروبة ، وفيها غير ذلك كثير ، وقد

كدت أنفلق من المذيع الذى يلقي النشرة الجوية فيقـول : أذاعت مصـــلحة الأرصاد التنبؤات التالية عن حالة الجو من ظُهَـيْرة اليوم إلى ظُهَـيْرة غد ، فهو يريد أن يظهر مقدرته اللغوية بالإتيان بكلمة (ظهيرة) بدل (ظهر) ولـكن نطقه لها يأبى إلا أن يظهر حقيقة مقدرته ولو أنه تجنب الحذلقة لمـا وقع فى هذا الخطأ الفاضح .

أما الأغانى والتمثيليات فمن الواجب حقاً أن تكون باللغة العربية المبسطة كما قال العشماوى باشا ، فاللغة الفصيحة يجب أن تـكون لسان الإذاعة المصرية العربية فى كل برامجها ، وليس من الحق ما يقال من أن طبقات الشعب الجاهلة لا تفهم العربية فهما صحيحاً ، فإن هذه الطبقات تصغى إلى القرآن الـكريم وتفهم كثيراً من آياته ، ويقرؤون أو تقرأ عليهم الصحف بالأسلوب العربى العصرى فيفهمونه حق الفهم ، وإن وسائل الاتصال بالجمهور المعبرة بالعربية تمـد الألسنة بفيض منها فتدنى لغة العامة من لغة الخاصة ، فلماذا تتخلف الإذاعة عن سائر تلك الوسائل ؟ وتقول مجلة الإذاعة فيما نشرته تسويغاً للعامية ، إنها أدق تصـويراً لواقع الحياة فى المجتمع . وإذاعتنا نفسها تذيع باللغة العربية تمثيليات مترجمة فهل اللغة العربيـة قادرة على تصوير واقع الحيـاة فى المجتمع الانجليزى مثلا وليست بقادرة على ذلك فى المجتمع المصرى ..

أقول ذلك وأنا لا أشـير على الإذاعة أن تتخذ العربيـة لغة لـكل الأغانى والتمثيليات ، فهذا هدف لم تعد المدة الـكافية لبلوغه فى إذاعتنا أو لم نصل إلى الحال الملائمة له بعد ، فإن أ كثر المغنين والمغنيات والممثلين والممثلات الذين يعملون الآن بالإذاعة ، لا يحسنون إلقاء هذه الفنون بالعربية ، فلو أنهم حملوا عليها لمـا كانت هذه الأغانى والتمثيليات خيراً من تلك الأحاديث .

يجب أن يسـبق الإقدام على « تعريب » التمثيليات إعداد ممثلين وممثلات ، مدربين على التمثيل بالعربية . وهناك كثيرون مدربون ولـكنهم غـير الذين يعملون بالإذاعة ، وهناك أيضاً خريجو المعهد العالى لفن التمثيل . أما الأغانى فالإذاعة تذيع كثيراً منها بالعربية وبعضها لا بأس به ولـكن جمهرة المغنين والمغنيات لا تحسن أداء العربى الفصيح ومدار الأمر فى كل ذلك على السياسة المرسومة والعمل

كشكول الأسبوع

□ جاء فى مقال للدكتور طه حسين بك بالأهرام فى رثاء نجيب الريحانى ، ما يلى : « وألقى الريحانى فأثنى عليه وأسره حين أثنى عليه ويثنى على ويسرنى حين يثنى على » وعهدنا بالتـكرار فى أسلوب الدكتور طه أنه حلو كالسكر « المـكرر » ولـكن هذه الفقرات جاءت كالسكر الأحمر الخام الذى يباع الآن من غير بطاقة التموين .

□ كان الدكتور عبد الوهاب عزام بك قد ألقى محاضرة فى مؤتمر المجمع اللغوى عن أسماء الحيوانات والنباتات فى جزيرة العرب . وقد رأى المجمع — تنفيذاً لبعض ما تضمنته المحاضرة من اقتراحات — أن يتصل بكلية العلوم لإيفاد بعثة علمية لتحقيق تلك الأسماء ، وكتب إلى الـكلية فى ذلك فردت بالموافقة على الفكرة ولـكنها ترى إرجاء ذلك إلى أوائل العام الدراسى المقبل .

□ جاء فى « الأسـاس » يوم الاثنين الماضى فى وصف حفلة تأبين الريحانى بنقابة الصحفيين ، ما يلى : « وسمعنا قصيدة من قصائد الدكتور محمود على طه الشاعر عن نجيب الريحانى الممثل » فأين يعيش ذلك المحرر الذى لا يعرف صحة اسم شاعر مصر الـكبير الأسـتاذ على محمود طه ؟ ما أشبهه بالمذيع الذى سمعته مرة يقدم أم كلثوم لتغنى « سلوا قلبى » من شعر محمد شوقى !

□ من الصور الحية التى تقع عليها العين فى رابطة الأدباء ، إنسان غليظ البدن والحنجرة أعجمى اللسان ، قام يخطب مرة فدعا إلى إلغاء كلية الآداب اكتفاء بكلية العلوم .. لماذا ؟ لأن الأدب يجب أن يكون علماً ! صنع الله لأولئك المساكين الذين يذهبون لسماع ما يلقى — أى يقذف — عليهم فى رابطة « العلماء » .

□ يرغب كثير من الناس فى شراء بعض أجزاء كتاب « الأغاني » التى أصدرتها دار الـكتب ، فلا يجدونها أو يجدونها فى السوق السوداء لأنها نفدت من دار الـكتب ، ويقترح بعضهم أن تعيد الدار طبع هذه الأجزاء ، ويستبطئها بعضهم فى موالاة أو استئناف إخراج بقية الأجزاء وأذكر بهذه المناسبة أن آخر جزء ظهر سنة ١٩٣٨ وهو الجزء الحادى عشر .

□ أصدرت لجنة النشر للجامعيين قصة « بعد الغروب » للأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله ، وهى القصة الفائزة بجائزة وزارة المعارف الممتازة لهذا العام . وتمتاز هذه القصة بما عهد فى قصص كاتبها من متانة الأسلوب ونبالة الأهداف

□ نشرت « أخبار اليوم » أن جمعية الشعر الدولية فى روما كتبت إلى الملحق الثقافى المصرى فى إيطاليا ، أنها أعـدت جائزة قدرها خمسمائة ألف ليرة إيطالية لأجود قصائد هذا العام ، وقد طلبت إليه دعوة الشعراء المصريين للاشتراك في المباراة التى وضعت للحصول على هذه الجائزة .

□ أنشئت فى وزارة المعارف إدارة لإحياء المخطوطات العربية ، سميت « إدارة التراث القديم » ولست أدرى فائدة لـكلمة « القديم » هنا إلا أنها تضيف ثقلا إلى ثقل « التراث » هلا سموها « إدارة الآثار الأدبية » مثلا .

لبلوغ الهدف ؛ فإذا لم يكن من المستحسن أن تكون الأغانى والتمثيليات بالعربية جملة واحدة والحال على ما هى عليه الآن فى الإذاعة — كما أرى — فينبغى أن توضع خطة توصل إلى الحال التى يصح فيها تنفيذ ذلك الغرض .

فى قاعة المطالعة بدار الكتب :

شيئان فى مصر لا يزالان كأول عهدهما لم يلحقهما التطور ، ولم تجر عليهما سنة الارتقاء : محراث الفلاح ، وقاعة المطالعة فى دار الكتب المصرية ، فكما أن الفلاح المصرى لا يزال يشق الأرض بمحراثه على نحو ما كان يفعل أسلافه منذ آلاف السنين ، لا يزال ذلك الساعى ذو الحلة الصفراء يتردد بين المخزن وقاعة المطالعة فى دار الكتب . توافينا أنباء الغرب بما يجد هناك فى عالم المكتبات العامة وما يصطنعه القوم من أنواع التيسير على جمهور المستعيرين ، وإنى لأخال آخرنبأ فى الطريق أن مكتبة فى نيويورك أو واشنطن أو غيرهما من العالم الجديد قد استحدثت طريقة تكفل لطالب الكتاب الحصول عليه بمجرد كتابة رقمه ووضعه فى ثقب معين ، إذ يخرج الكتاب إليه ساعياً إلى لقائه دون أى انتظار ..

أما فى دار الكتب المصرية الكائنة بميدان أحمد ماهر من القاهرة المعزية ، فإنك بعد ما تكتب « سند الاستعارة » وتملأ المطلوب فيه من الاسم والوظيفة والسن والمسكن والعنوان واسم الكتاب والجزء والمؤلف ورقم الفن ورقم العقد ... الخ ، تجلس فى القاعة ترقب طلعة الساعى ، تستبشر إذا بدا ينقل خطوه كما يخطو الطير الآمن على الأرض .. وقد ضم إلى حضنه مجموعة من الأسفار مختلفة الأحجام ، وتؤمل أن يرى لك أحدها ، وإذا هو لا يلتفت إليك بل يجاوزك تنتظر لتعيد التطلع إليه فى الدورة القادمة لعل وعسى ... وقد يرمى إليك بعد كل ذلك « سند الاستعارة » مخطوطاً عليه ما لا تفهمه ، فإذا لجأت إلى من يحل الرموز ظهر أن المكتوب : « فى الخارج » أو « فى المطالعة » أو « لدى الموظفين » أو « ليس فى المخزن نور » وما إلى ذلك وخلاف مايستجد من نحو « الكتاب متعب » أو « فى لجنة ! »

وإذا كنت من ذوى الجد السعيد وجاءك الكتاب ، فعليك أن تقرأه أو تأخذ منه حاجتك فى نصف ساعة بقى من الوقت وأنت بين صغار يتحدثون ويعبثون ويتضاحكون ، لم يخصص لهم ولكنهم مكان فى القاعة ، بل انتثروا فيها لافرق بين كبير وصغير ولا رعاية لمزاج باحث تضايقه حركات الغلمان من قراء روايات حافظ نجيب وأرسين لوبين .

والمترددون على قاعة المطالعة من قراء تلك القصص والروايات هم الذين يضخمون العدد الذى تصدر به بيانات الدار التى تنشر ويظهر أن الدار تحب أن تنشر هذه الأرقام الكبيرة مغتبطة بدلالتها على إقبال الجمهور على التزود من المعارف والآداب ، ولكن التزود من المعارف والآداب مظلوم لأن دار الكتب تزحم نفسها بهذه الروايات وبطلابها ، وهى ليست بذات غناء فى التثقيف من جهة ، والجهة الأخرى أنها تباع فى الخارج الواحدة بقرش ، والأولى منها بالتوفير فى الدار الكتب ذات القيمة العلمية والأدبية ، وخاصة الكتب والمراجع الغالية التى يحتاج إليها طلبة الجامعة وطلبة الأزهر ، والتى يقال لمن يطلب واحداً منها « معار » أو « لا يوجد منه غير نسخة فى الدار » فيخرج الطالب وهو ينظر إلى عشرات من الصغار منهمكين فى قراءة الروايات البوليسية والغرامية .

لا اعتماد للفن :

كان مجلس النواب قد وافق فى ميزانية وزارة الشؤون الاجتماعية على اعتماد ٧٠٠٠ جنيه لإنشاء فرقة نموذجية من خريجى المعهد العالى للتمثيل ، و ١٥٠٠ جنيه زيادة على المقرر لتشجيع التأليف المسرحى ، و ٢٥٠ جنيه لإنشاء مسرح صيفى بالقاهرة و ٣٠٠ جنيه جائزة لأحسن فلم خلال العام . ولكن لما عرضت هذه الميزانية على مجلس الشيوخ رفض اعتماد تلك المبالغ ، قائلاً إنه لا داعى لإنشاء الفرقة النموذجية ، ويلحق خريجو المعهد بالفرقة المصرية ليكسب الشبان الجدد مراناً وتجربة إلى جانب من مارسوا التمثيل قبلهم ؛ أما الزيادة للتأليف المسرحى فلا مبرر لها لأن ما صرفته الوزارة من اعتماد العام الماضى لم يزد على نصفه ؛ وأما المسرح الصيفى فكان قد اقترح إقامته فى حديقة الأزبكية أو على شاطىء النيل شمال حديقة الأندلس بجوار المسجد المقام بها ، فرأى مجلس الشيوخ أنه من غير اللائق إقامة المسرح بجوار المسجد ، وسكت عن حديقة الأزبكية ؛ وأما من حيث الجائزة



في مجالس الأدب :

إن في مجالس الأدب جمعاً بين إشباع الوجدان ، وإمتاع العقل ، وإشباع المواصلة الروحية التي تجمع وحدة الطبع ، واتفاق المزاج ، وتآلف الميل ؛ ولقد تلمع الخواطر ، فيبدو في لماتها ما يشرق بالمجلس الأدبي . ونعلم أن للرسالة الزهراء ندوة فيها نداء المعرفة ، وندى الوفادة ، وبالود منا أن يسجل بين الحين والحين ما يأتي في جوانب الندى للقبس منه ، والأخذ عنه ، والمشاركة فيما يترامى إلى أهداف سامية لها وصلة بالحياة ، التي اصطرعت أهواؤها في مصارع المادة ، وتنكب جادة المعاني الروحية .

ولقد دعانا إلى تلك الإشارة ما عاودنا قراءته عن « المناظرات الأدبية » وما كان لها من شأن ، بعد أن حاورنا محاور عن الصيغ التي تفيد الصفة ، ووثب إلى الذهن ما حققه المازني « النحوي » في حضرة المتوكل في قوله تعالى : « وما كانت أمك بغياً » بعد أن سئل : كيف حذفت التاء وبقي فعيل مع أنه فعيلا إذا كان بمعنى فاعل لحقته التاء كفتى وفتية ؛ فكان حقها « بغية » ؟ فأجاب : إن بغيا ليست بفعيل ، وإنما هي فعول بمعنى فاعلة — يقصد أنها كصبور — فالأصل فيها « بغوى » وأجرى عليها تقعيد التصريف من قلب الواو ياء وإدغام الياء في الياء ؛ فهي « بغى » ، ووجب حذف التاء لأنها بمعنى باغية . على هذا الأسلوب أمكنه الإعلام والإفحام ، وسجل تحقيقه مخلداً تتعاوره الأجيال ، فلماذا لا تثبت مباحث الأثبات ؟ .

إن من حق الأدب على الهداة إنارة الطريق ، وليست المباحث وحدها بكافية للاستنارة ؛ فمجالس الأدب في محاوراتها ، ومناظراتها ، وطرائفها ، وطرائقها ذات تشوف وتشويق !

ولقد أعجبنا من الأديب الموفق الأستاذ « العباس » عرضه قضية ذلك البطر البشم بغروره الذي انتفخ أنفه باسترواحه رائحة « الأجنبي » ، وتكسر لسانه برطانة الصلف ؛ فعاب على الشرق تربيته المالية ، وتورط بعد أن « تبرنط » ، ثم خرج من لدن المجلس بدعه الخزى ، ويخزيه العار . من هذه الإبانة وضحت ظاهرة المغالاة في تمجيد الغرب إلى درجة تجاهل الشرقية المشرقة من قوم يجب أن يشرقوا من ماء النيل !

إن رجاءنا تجاوز الإلحاف في وجوب العناية بمجالس الأدب التي ندرت في هذا الزمان الذي نثر الأوقات الرخيصة على كراسي المقاهي حيث إضاعتها بين قالة اللسان ، ومطاولة اليد ، والبعد عن سمو الحياة !

(بور سعيد) أحمد عبد اللطيف بدر

أسرقة أم تهافت أدبي ؟

قرأت في العدد ٨٣٢ من مجلة الرسالة الغراء قصة بعنوان

السينمية فاستند المجلس إلى أن إنتاج الأفلام يجب أن يترك للمنافسة الحرة .

وقد أعيدت الميزانية إلى مجلس النواب ، فوافق على حذف تلك الاعتمادات منعاً لتعطيل الميزانية .

وهكذا خرج الفن من هذه الجولة البرلمانية صفر اليدين ، فلم يظفر بأي اعتماد في ميزانية وزارة الشؤون الاجتماعية التي تشرف على المسرح والسينما .

والدولة بعد كل هذا تعتبر فن التمثيل ضرورياً لتربية الشعب وتثقيفه عن طريق الإمتاع الفني ، فهل يتفق حذف اعتماداته مع هذا الاعتبار ؟ لقد علل مجلس الشيوخ رفضه لكل اعتماد منها ، ولكن أين الهيئة الفنية الرسمية التي تستطيع أن تؤيد المشروعات الفنية وتدافع عنها وتدعم رأيها إزاء وجهة نظر المجلس ؟ أين من يقول مثلا بحاجة البلاد إلى عدة فرق مسرحية لا فرقة أو فرقتين ، وبأن المسرح الصيفي يمكن إقامته في غير المكان المعترض عليه ، وبأن التأليف المسرحي يكاد يكون معدوماً ، وبأن مكافأة الفلم تؤدي إلى تحسن الإنتاج .

تتجه الأنظار إلى وزارة الشؤون فهي راعية الفنون ، ولكن من المؤسف أننا نجدها غير جادة في هذه الرعاية ، ومما يدل على ذلك ما لاحظه مجلس الشيوخ من أنها لم تصرف من المقرر للتأليف المسرحي في العام الماضي غير نصفه ... فهل هي تحرص على الإشراف على المسرح والسينما لتتفرج أو لتنهض بهما ؟

عباس خضر

(مادلين) للأديب يوسف جبرا . وهذه القصة نشرتها جريدة البلاغ بدون توقيع فى عددها الصادر بتاريخ ٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨ . ولقد راعنى أن تنقل القصة من جريدة البلاغ إلى مجلة الرسالة بفصها ونصها ، فهل كانت القصة المنشورة فى جريدة البلاغ من ترجمة الأديب يوسف جبرا نفسه ؟ وإذا ادعى أنها له فهل له أن يتكرم فيثبت لنا صحة ما يقول بالدليل القاطع الذى لا يقبل الجدل ولا يرقى إليه الشك ؟ وإذا أحسنا الظن بالأديب الناشىء فاعتبرنا قصة البلاغ من ترجمته هو فإنا نعتبر السعى إلى إعادة نشرها تهافتاً أدبياً وتكالباً على الشهرة غير مشروع ، وهو إن دل على شىء فإنما يدل على إفلاس عقلى وفرار من الجهد الذى يعانيه الأديب ليخرج للناس أثراً يقرأ . وإن للأديب حدوداً من الأدب واللياقة لا يتعداها المرء إلا حين يحس بالخور والفتور . وإذا كان ما نشر فى جريدة البلاغ ليس من عمل الأديب جبرا فهذه سرقة أدبية أربأ به عن أن يرتدع فيها .

يا سيدى الأديب ، هذه هى ثانى مرة ترتكب فيها مثل هذه المخالفة الأدبية . ولابد أن تثق بأن للقراء عيناً وقلباً وعقلاً . هذا وإن عدتم عدنا .

كامل محمود حبيب

وضع الزهور على القبور :

دارت مناقشات فى بعض الصحف حول هذه العادة وكيف نشأت ، فمن قائل أنها غربية ، وقائل أنها شرقية إسلامية والرأى الثانى هو الصحيح .

فقد جاء فى صحيح البخارى عن ابن عباس قال : مر النبى عليه السلام بقبرين فقال : إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير ، أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله ؛ وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة . ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين فغرز فى كل قبر واحدة ، قالوا يا رسول الله لم فعلت هذا ؟ قال : لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا . والحكمة فى ذلك أن كل حى ونام يسبح الله دون الميت واليابس ، وفى الحديث الشريف إشارة إلى أنهما يسبحان ما دامتا رطبتين دون ما إذا يبستا . وهذا الإشراق الروحى للرسول عليه السلام حيث يشاهد تسبيح النبات والجماد من خصوصياته ، وقد يكشف الحجاب لبعض الأطهار من أمته حتى يسمع تسبيح الكائنات كما حصل ذلك لبعض الخواص من أهل الطريق ولا زالت هذه السعادة عند العامة فى جميع البلاد متأسية بالرسول الطاهر ثم أبدلت بالزهور عند الخاصة — والتسبيح من كليهما واقع — والتخفيف على الترجى بيد الله سبحانه وتعالى ، وهو الرحمن الرحيم .

(شطانوف) محمد منصور خضر

لام الجحود . ومظانها :

كنا وما نزال نستظهر أن من ضمن نواصب المضارع وعلى التجوز ، لام الجحود ، ونتذكر أيضاً أن لام الجحود هى المسبوقة بكون ناقص ماض منفى ؛ ولكننا كنا نجهل أن لها شرطاً عدا ما تقدم : وهو أن يكون المسند إلى ما كان ، ولم يكن هو عين المسند إلى المضارع الآتى بعدها حتى تلحقه اللام المؤكدة للنفى الصريح ؛ وزدت الصريح لأنه لو كان غير صريح لصح للفعل المضارع أن يأتى بعد الكون الناقص الخ — خالياً من اللام ، وإليك قوله تعالى : «ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون» فإن النفى هنا صورى فى معنى الإثبات أى قد تليت عليكم آياتى فكنتم بها تكذبون .

وليتم الاستقصاء أزيد على ما أسلفت أن يكون ثم مقتض بلاغى يقتضيها ، والقرآن الكريم ملىء بهذه المقتضيات . وقد بينها لنا بأجلى بيان فى معارض شتى : كالتخويف ، والإنذار ، والتقرير ، والإصرار ، وها هى ذى طائفة من الآيات توضح ما مر : قال تعالى فى معرض الإنذار : « لم يكن الله — يستغفرلهم » وفى مجال التقرير : «وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون» وفى موضع الإصرار : « فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين » . وبلى القرآن فى ذلك الحديث وها هو ذا يطق غلتنا بنغبة من حديث مشهور قال صلى الله عليه وسلم : « واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك »

وإذا استوفيت الشروط المتقدمة ولم يكن ثم مقتض لتأكيد النفى فلا داعى لهذه اللام ، ويرد الفعل المضارع خالياً منها — كما فى هذه الآيات : « كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون » « وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ، ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون »

محمد غنيم



الطفل الضال

للكاتب الهندى ملك راج أناند

ترجمة الأستاذ محمد فتحي عبد الوهاب

كان ذلك اليوم مهرجان الربيع ، وقد خرج الناس مبتهجين فى حلل قشيبة ، وازدحمت بهم الطرقات ، يسيرون وكأنهم حشد من الأرانب المتعددة الألوان اندفعت خارجة من أجحارها . وأغرقتهم الشمس فى بحار أشعتها المسجدية ، أثناء سيرهم قاصدين السوق . فمشى البعض على قدميه ، وامتطى البعض صهوة جواده ، وجلس البعض الآخر تحمله مختلف المركبات .

وهرول صبي صغير ، مفعم بالنشاط والبشر ، وكأنه ذلك الصباح المشرق البسام يرحب بالناس فى حرارة ويدعوهم بصدر رحب إلى ارتياد الحقول بأزهارها وأغانيها .

وناداه والداه « هلم يا بنى ، هلم » وقد تباطأ خلفهما . كانت قد جذبته رؤية الدمى القائمة فى الحوانيت المصطفة على جانبى الطريق . وأسرع الصبي الخطى صوب والديه . وقد لبت قدماه نداءيها ولما تزل عيناه تتطلعان إلى الدمى وهى تبتعد عن ناظريه . وعندما أقبل إلى حيث وقفا ينتظرانه لم يستطع كبت رغبة فؤاده على الرغم من مشاهدته نظرات الرفض الباردة التى كانت تبدو فى أعينهما ، والتى كان معتاداً رؤيتها ، فقال فى توسل « أريد تلك الدمية » .

ونظر إليه والده نظرة صارمة بعينين متقدتين ، وأولته والدته — وقد ذاب فؤادها ببهجة ذلك اليوم — نظرة من العطف ، ثم ناولته أصبعها ليمسك به وهى تقول « انتبه أمامك يا بنى » .

وما كاد ضيق الطفل — الذى انتابه لعدم تحقيق رغبته — يخمد فى الزفرة الحارة المتصاعدة مع أنفاسه وهو ينادى والدته بصوت متقطع ، حتى امتلأت عيناه الشفافتان ببهجة ما بدا أمامه . كانوا قد تركوا الطريق وغباره ، ومشوا فى حركة التفاف صوب الشمال ، ثم سلكوا طريقاً داخل حقل مزدهر بنبات الخردل الباهت وكأنه الذهب السائل ، انتشر أميالاً وكأنه نهر من الضوء الأصفر يتماوج مع الريح ، ويجرى أمواجه لتصب فى محيط الضوء اللجينى للأفق البعيد .

وقامت الديار على جوانب الحقل بجدرانها الطينية ، وقد تعالت منها أصوات قطانها وصفيرهم وصخبهم وهمهمتهم ، ترتفع صوب قبة السماء الزرقاء ، وكأنها صوت ضحكة « سيفا[1] » الجنونية .

ورنا الطفل إلى والديه وقد غمرته البهجة والإعجاب بتلك الغابة الشاسعة . وبدا له كأنما أشرقت السعادة على محياها ، فترك الطريق ، واخترق الحقل ، يعدو ويطفر وكأنه المهر .

كانت جموع من اليعاسيب تطن بأجنحتها الشفافة الأرجوانية وتترقب تحليق نحلة سوداء منفردة أو فراشة تبحث عن رحيق شذى من أعماق الزهور . وتبعها الطفل بناظريه ، وحاول أن يمسك أحدها وقد طوى جناحيه ، ولكن سرعان ما فردهما وحام فى الهواء . وقامت نحلة سوداء جريئة باستهوائه بطنينها حول أذنيه حتى تتجنب القبض عليها ، أن تستقر على شفتيه لولا أن نهته والدته قائلة « هلم يا بنى ، هلم ، تعال إلى الطريق » .

وقصد إلى والديه مبتهجاً ، وسار معهما جنباً إلى جنب . ثم إذا به يتركهما وقد جذبته رؤية الحشرات والديدان تسعى على طول الطريق ، وقد خرجت من مخابئها لتتمتع بأشعة الشمس .

وناداه والداه وقد جلسا على حافة بئر ، يتفيآن ظل دغل ، تجرى صوبها ، كانت شجرة التين قد بسطت أذرعتها القوية على الأهليلج المزدهر وغيره من النباتات ، وألقت بظلها على أحواض الزهور الذهبية والقرمزية ، وكأنها جدة بسطت ذيلها على أحفادها الصغار . وقامت البراعم بعبادة الشمس وقد كشفت قليلا عن أوراقها فى حياء . واختلط العبيق الشذى لحبوب لقاحها بالنسيم العليل يهب بين الفينة والفينة .

وتساقط فيض من الزهور الصغيرة على الطفل عندما أتى الدغل ، فنسى والديه وأخذ يجمع بين يديه أوراقها المهملة كالمطر .

(١) سيفا — ثالث آله من ألهة الهندوكين . وهو رمز الإنشاء والتدمير

ولكن . . ما هذا !؟ لقد سمع هديل الحمام ، فأسرع إلى الخطى صوب والديه هاتفاً « الحمامة ! الحمامة ! » وسقطت أوراق الزهور المديدة من يديه المتخاذلتين ، وبدا على وجهي والديه نظرات الاستغراب والفضول . وهتفا يناديان الطفل « تعال يا بنى ، تعال » .

كان الصبي قد ذهب يعدو فى طفرات جنونية حول الشجرة فانضموا إليه ، ثم سلكوا الطريق الضيق المنحنى الذى يؤدى إلى السوق . واستطاع الطفل عند وصوله أن يشاهد العديد من الطرق تمج بالناس القادمين إليه .

ونادى بائع على ما يعرضه من الحلوى ، وهو قابع فى ركن من أركان مدخل السوق ، واحتشد الناس حوله وقد قامت تحت أقدامه أكوام منتظمة من الحلوى الملونة المزركشة بأوراق مذهبة ومفضضة . وحدق الطفل فيها وقد اتسعت عيناه وسال لعابه من رؤيته حلواه المفضلة « البوفى » ، وتمتم فى بطء قائلا « أريد البوفى » . ولكنه كان يدرى أن هذا الطلب لن يلقى أذناً صاغية ، فقد يقول عنه والده أنه شره ولذلك ابتعد دون أن ينتظر أية إجابة .

ونادى بائع الزهر على باقاته المختلفة ، وبدا الطفل كأنه جذب بالشذى الدائم الذى أتى إليه سابحاً على أجنحة النسيم الواهن . فذهب صوب السلة حيث ترقد باقات الزهور وتمتم قائلا : « أريد تلك الباقة » . ولكنه كان يعرف جيداً أن والديه سيرفضان شراءها ، فقد يقولون أنها زهور تافهة ، ولذلك تحرك مبتعداً قبل أن ينتظر أجابتهما .

وأمسك رجل بعمود خشبي تدلت منه بالونات تتطايع بألوانها المتعددة ، فنها الأصفر والأحمر والأخضر والأرجوانى ، ودهش الطفل من جمال ألوانها وكأنها قوس القزح . وغمرته رغبة جارفة فى امتلاكها جميعاً . ولكنه كان يدرك تماماً أن والديه لن يبتاعاها له ، فسيقولان أنه أكبر من أن يلعب بمثل هذه الألعاب ، ولذلك سار مبتعداً عنها .

ووقف مشعوذ يصفر فى مزماره لأفعى تتلوى فى سلة ، وقد ارتفع رأسها فى انحناءة لطيفة وكأنها عنق أوزة . وانسابت الموسيقى إلى أذنيها الخفيفتين وكأنها خرير مسقط ماء صغير .

وكاد الصبي أن يتجه إلى المشعوذ لولا أنه كان واثقاً أن والديه سيمنعانه عن سماع مثل هذه الموسيقى الفظة ، فتابع سيره مبتعداً .

وكانت هناك عجلة دائرة فى أبان حركتها محملة بالرجال والنساء والأطفال وهى تتحرك بهم حركة دائرية سريعة . وشاهدهم يتصايحون فى ضحكات جزلة ، وراقبهم يدورون ويدورون وقد علت شفتيه ابتسامة حياء زاهية . وعينيه تتماوجان مع حركة العجلة ، وفغر فاه دهشته وقد بدأت العجلة تهدئ من سرعتها تدريجياً . ووقف الطفل مذهولا وأصبعه فى فمه يشاهدها وهى تقف . وفى هذه المرة — وقبل أن ينطفىء شوقه الشديد بذلك الإصرار الأبدى على رفض كل طلب له — قال فى جرأة « أريد أن أركب العجلة الدائرة ، أرجو يا أبتى ، وأنت يا أماه» فلم يسمع أى جواب وتلفت ينظر إلى والديه فلم يجد لهما أثراً .

وانفلتت من حنجرته الجافة صيحة مدوية عميقة ، وفجأة اندفع يجرى وهو يصيح فى رعب « أبى ، أمى » وانهملت الدموع من عينيه ، غزيرة جارفة . واختلج وجهه الممتقع خوفاً ، وعدا وقد تملكه الفزع ، من ناحية إلى أخرى ، فى شتى الاتجاهات ، دون أن يدرى أين يذهب . ونشج بالبكاء وهو ينادى « أماه ، أبتاه » وقد تبللت حنجرته بما ابتلعه من لعاب ، وانحلت عمامته الصفراء ، وثقل جسمه الخفيف ، وصار ككتلة الرصاص ، بعد ما ابتلت ملابسه بما تصبب من جسمه من العرق وما اختلط بها من غبار .

وبعد أن هرول هنا وهناك مقهوراً على أمره ، وقد تحول صيحاته إلى عويل . وشاهد عن بعد ، خلال عينيه وقد علتهما طبقتان شفافتان من الدمع ، رجالا ونساء راقدين على العشب الأخضر ، يتحدثون ويتسامرون . وحدق فيهم بين رقع ملابسهم الصفراء اللامعة ، لعله يشاهد أثراً لوالدته أو والده بين أولئك الناس ، وقد بدا المرح على ملامحهم ، يتحدثون ويضحكون لمجرد الضحك والحديث وجرى فى حرارة مرة أخرى ، وقصد حرم معبد احتشد فيه الناس . كانت كل بقعة من الأرض تموج بالناس ، وعدا بين أرجلهم ، وكانت صيحاته الصغيرة تنادى فى لهفة « أماه ، أبتاه » وازردادت كثافة الحشد قرب المعبد . كان الناس يتدافعون بالمناكب ، رجال ثقلاء بأعين لامعة من النذر ،

وأكتاف ثقيلة . وجاهد الطفل يشق طريقه بين أقدامهم ، ولكنهم كانوا يدفعونه هنا وهناك بمخالبهم المتوحشة . وكادوا أن يطئوه بأقدامهم لولا أنه صرخ يقول فى صوت جهورى « أبتاه ، أماه » فسمعه رجل منهم وانحنى فى مشقة ورفعه بين ذراعيه .

وسأله الرجل وهو ينأى به بعيداً عن هذه الكتل المتراصة « كيف جئت إلى هنا يا بنى ؟ ابن من أنت ؟ » .

وبكى الطفل فى مرارة زادت عن ذى قبل وصاح قائلا « أريد أبى ، أريد أمى » .

وحاول الرجل أن يهدىء من روعه فأخذه إلى العجلة الطائرة وقال له وهو يقترب منها « ألا تود أن تجلس على أحد جياد العجلة . ؟ » .

وخرجت من حنجرة الطفل آلاف النشجات المدويه ، ولم يجب إلا بقوله صائحاً « أريد أمى ، أريد أبى » .

واتجه الرجل صوب المكان الذى لا يزال المشعوذ يصفر فيه بزماره إلى الكوبرا الراقصة وقال فى رجاء « استمع إلى هذه الموسيقى الساحرة يا بنى » .

ولكن الطفل صم أذنيه وصاح « أريد أمى ، أريد أبى » .

وحمله الرجل إلى مدخل المدينة ، وكان لا يزال يشفق على الطفل ويرغب فى الترفيه عنه ، ووقف أمام بائع الزهور وقال له « انظر ، ألا تود أن تشم شذى هذه الزهور اللطيفة يا بنى ؟ ألا تريد باقة تضمها حول عنقك ؟ » .

وأبعد الطفل أنفه عن السلة وردد نشيجه قائلا « أريد أبى ، أريد أمى » .

وظن الرجل أنه قد يبتهج الطفل وتذهب عنه كآبته لو أهداه قطعة من الحلوى ، فأخذه إلى البائع وسأله « ما الذى تختاره من هذه الحلوى يا بنى ؟ » .

ونحى الصبى وجهه عنها وبكى قائلا « أريد أبى ، أريد أمى »

محمد فتحى عبد الوهاب

إعلان جوائز فؤاد الأول لسنة ١٩٥٠

تعلن وزارة المعارف أن الموضوعات التى سيمنح المصريون عن الانتاج فيها جوائز فؤاد الأول للآداب والقانون والعلوم عن سنة ١٩٥٠ هى .

أولا — جائزة الآداب .

الآداب البحتة مثل الأدب القصصى والأدب التصورى والأدب الاجتماعى والشعر والبحوث الأدبية (النقد — البحوث اللغوية — الدراسات الإسلامية الأدبية .)

ثانيا جائزة القانون .

العلوم الجنائية — الإجراءات الجنائية وعلم الاجتماع الجنائى وعلم النفس الجنائى ، وعلم العقوبة وغيرها من فروع العلوم الجنائية

القانون العام ويشمل القانون الدستورى والقانون الإدارى والقانون الدولى (العام والخاص) وغيرها من فروع القانون العام .

ثالثا — جائزة العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية ويدخل فيها بنوع خاص علم الطبيعة التجريبى وعلم الطبيعة النظرى والعلوم الإحصائية وعلم طبيعة الأجرام السماوية (الاستروفيزيقا) والهيدروليكا والميكانيكا والكهرباء .

ويشترط فى الإنتاج الذى يقدم لنيل الجوائز الثلاث .

١) أن يكون ذا قيمة علمية أو فنية ممتازة تظهر فيه دقة البحث والابتكار ويهدف خاصة إلى ما يفيد مصر والإنتاج القومى وتقدم العلوم .

٢) أن يكون قد سبق نشره ولم يمض على نشره لأول مرة أكثر من خمس سنوات من تاريخ الإعلان .

٣) أن يكون باللغة العربية الفصحى

ويرسل الإنتاج من أربع نسخ إلى الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف فى موعد غايته ٣١ ديسمبر سنة ١٩٤٩ ، ولا تسترد النسخ المرسلة فى أية حالة .

وقيمة كل جائزة من الجوائز الثلاث ١٠٠٠ جنيه ، وسيكون موعد منح هذه الجوائز يوم ٢٨ أبريل سنة ١٩٥٠ تخليداً لذكرى المغفور له الملك فؤاد الأول .

٢٢٦٥

مطبعة الرسالة



العدد ٨٣٧ — الاثنين ١٨ يوليو ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٣٠٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 em Année No. 837

Lundi — 18 — 7 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ـــــصـــــ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٣٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٢ رمضان سنة ١٣٦٨ — ١٨ يوليو سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

١١ - أمم حائرة

الإيمـــان بالله

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

وزير مصر المفوض بالمملكة السعودية

قوام العقائد الصحيحة ، ونظام السِّيَر القويمة ، وعماد الحياة الروحية السعيدة ، ومدد كل خير ، ومنبع كل طمأنينة ، ومصدر كل سعادة ، والهادى إلى الصراط المستقيم ، والسَّنَن القويم ، والمنير فى ظلمات الحياة ، والدليل فى مجاهلها ، والجامع ما ظهر وما بطن من حقائق العالم ، والمجلّى لما جلّ وما دقّ من مواهب الإنسان — هو الإيمان بالحقيقة العظمى ، حقيقة الحقائق ، ومركز الدائرة من الخلائق ، الحقيقة التى نطق بها الكون مُفصحاً ومُعجماً وصريحاً ومجمجاً ، وتكلم بها الإنسان ضالا ومَهدياً ، وسعيداً وشقياً ، ، وقرأها القارىء والأمى ، وبصر بها البصير والضرير ، وأعرب عنها الناطق والصامت ، وتحدث بها المتكلم والساكت ، وأقرّ بها المنكر وهو لا يدرى ، واعترف بها الجاحد وهو لا يشعر ، والتى ظهرت حتى بهرت ، واستسرّت حتى حيرت . وهى فى فضائلها ظاهرة للمتوسّمين ، وفى ظهورها خافية على الغافلين . الحقيقة التى تخترق كل حجاب ، وتدخل من كل باب . ويبين عنها النور والظلام ، كسواد المداد وبياض القرطاس ، لا تدرى أيهما أدلُّ على المكتوب ، وأهدى إلى المحجوب ، وكالليل والنهار ، فى نظام الشهور والأعوام ، من النور والظلام ، فيهما يسير الزمان ، ويستمر الحُسبان .

ذلكم الإيمان بالله جل وعلا .

« تسبِّح له السموات والأرض ومن فيهنّ . وإن من شىء إلا يُسبح بحمده ؛ ولكن لا تفقهون تسبيحهم . »

الإيمان بالله حياة النفوس وقوامها . يجمعها ويدفعها ويصلها بالكون العام ، والروح الشامل ، فينظم قواها ، ويُحكم ملكاتها ، ويشرف بها على العالَم ، مسيطرة عليه ، نافذة إلى أسراره ، مسخرة لقوانينه لا تتفرق أجزاء متخاذلة ، ولا تتساقط أهواء متهافتة ، ولا تضطرب مطامع ومخاوف ، يجذبها ميل ويدفعها آخر ، وتُقدم بها رغبة ، وتصدها رهبة ، بل تضىء سريرتها ، وتصفو بصيرتها ، وتستقيم سبيلها ، وتبين غايتها .

والإيمان بالله العظيم ، وذكره والاتصال به ، تملأ النفس عظمة وقوّة ، وتُصغر أمامها الأهوال ، وتذلل العقبات ، فتنطلق كأنها إرادة الله فى خلقه ، وقدره فى عباده . ولله من عظماء خلقه أقدار . يسلطهم ويمكنهم ، فإذا هم ينشئون الأجيال ، ويخلقون الأعصار . لا يمتلون بالزمان والمكان ، ولا يفرقون بين اليسير والعسير والبعيد والقريب ، يُصدّق الله أقوالهم ، ويُبر أقسامهم . ويقسم بأيديهم أرزاقه ، ويُصرّف بعزائمهم أقداره . بصَّرهم الإيمان ،

وأضاء لهم العقل والوجدان . . لولا الإيمان بالله ما اهتدوا ولا قدروا ، وما جاهدوا وما صبروا .

والإيمان بالله الواحد السلام ، يُوحد النفس ويملؤها سلاماً ووئاماً ، وألفة ونظاماً ، فتدرك الائتلاف في الحق والخير والجمال والحب ، وتعرف التنافر في الباطل والشر ، والقبح والبغض . فتسير على الأرض سلاماً يهدي إلى السلام ، ونظاماً يدعو إلى النظام ، وجمالا يهفو إلى الجمال ، وحباً يرشد إلى الحب .

وما أحسب الشر وما يتصل به في هذا العالم إلا قلقاً وتنافراً أو سبيلا إلى القلق والتنافر . ولا أرى الخير وما هو منه بسبيل إلا سكينة وائتلافاً ، أو وسيلة إلى الائتلاف والسكينة . وإذا لم يُوحد النفس الإيمان ، تنازعتها أصنام من آلهة أو أهواء ، وتجاذبتها أوثان من أرباب أو مطامع ، فلم تلتئم في نفسها ، ولم تعرف الالتئام في غيرها .

ذلكم مبدأ الضلال والهدى ، والشقاء والسعادة .

والإيمان بالله الذي لا يحدّه زمان ولا مكان ، يطلق النفس من قيودها ، ويخرجها من حدودها ويرفعها على الزمان والمكان ، فإذا هي ، فيما تحب وتكره ، وفيما تأتي وتذر ، سُنة من سنن الله لا تحول ، وقانون من قوانينه لا يزول . فتستكبر على الشهوات المحدودة ، والنزعات الضيّقة ، ولا تُبالي المنافع والمضار الخاصة ، فيسمو الإنسان لنفسه ولأسرته ولطائفته ولأمته وللناس جميعاً ، على قوانين الحق العامة ، وسُنن الخير الشاملة ، لا يسعه غيرُها ، ولا يتسع هو لغيرها . وكذلك يعلو على الأهواء والعصبيات والنزعات والنزغات المتزاحمة المتصادمة ، المتنازعة المتقاتلة ، المنفرة المفرّقة ، المهلكة المدمرة . إنما انتصاره للحق والحق لا يتغير ، وتحيزه للعدل والعدل لا يتعدد . فهو في توحيد من إيمانه ، ومن عقله ووجدانه ، ومن قوله وفعله ، في سرّه وعلنه .

* * *

إذا أضاء الإيمان بالله في سرائر الإنسان ، وعمل في نفسه فجمعها ورفعها ووصلها بالحق والخير ، وعظمها وقوّاها ، وأحكم قُواها ، ووحدها وملأها سلاماً ووئاماً ، وحباً للحقّ والخير والجمال ، ثم أطلقها من قيودها ، وأخرجها من حدودها ، عملت جاهدة مصلحة راضية صابرة ، وأدركت اللذات الروحية وأنست بها ، وسكنت إليها ، وكلفت بالسلام والوئام ، وبكل ائتلاف واتفاق ، ونفرت من كل اضطراب واختلاف ، وتفرق وتنافر .

وقد جاء في بعض الآثار أن يتشبه المخلوق بخالقه ، أو يتخلق العبد بأخلاق ربه . فهذا هو التشبه والتخلق . يسير الإنسان من الخاص إلى العام ، ومن المقيد إلى المطلق ، ومن المتغير إلى الثابت ، ومن الجزئيات إلى الكليات ، ومن الأحداث الفانية إلى الباقيات الصالحات ، حتى يكون كأنه سنة من سنن الله في خلقه ، وشريعة من شرائعه في عباده . وإذا نزعاته وشهواته مهجورة إلى الخير العام ، بل نزعاته وشهواته في الخير العام ، ولذته وطمأنينته في صلاح الناس كلهم ، وانتظام العالم جميعه .

وإن لم يكن هذا هو الفناء في الله كما قال الصوفية فليس بعيداً منه ، وإن لم يكن هو البقاء بعد الفناء في طريقتهم فليس نائياً عنه .

عبد الوهاب عزام

المتنبي ...

للأستاذ راجي الراعي

تمر الأجيال بالمتنبي فلا تجسر أن تلقي عليه ستر النسيان وتتابع السير في طريقها فيستوقفها لتنشد الشعر ؛ شعره الذي نظمه كله ليرويه له الدهر فتروى له بعضه والموتى من حوله واقفون إجلالا والخلود يلقي ظلاله وينصت نخوراً طروباً ...

وليس من السهل أن تنطفىء شعلة أضرمها المتنبي . ومن يزر ضريحه يشهد فوقه كل يوم صراعاً دامياً بين الموت والخلود يقع بعده الموت في كل مرة قتيلا يتشحط في دمه ... إن الموت يخاف الشاعر العبقري ويحسب له حساب خلوده . وهو إذا أتاه أتاه مكرهاً قياماً بوظيفته التي لا تعرف الإقالة والاستقالة ، وكل ما يستطيعه الموت هو أن يوقف حركة القلب الواحد الخفاق في صدر الشاعر العظيم . أما القلوب الأخرى التي يحملها فتظل على الرغم من الموت والفناء حية نابضة في صدور قصائده ..

ها هو ذا المتنبي الذي قال الشعر لينشده الدهر ، يقف أمامي في ساحة الموت في نبوته التي لم تشهده نبياً أتحدث إليه أو أتحدث عنه كأن ابن أبي جهل لم يضربه تلك الضربة التي حسبها قاضية ولم تقض له أمراً ... وإذا كنت قد فكرت في المتنبي وناديته في عالم الأرواح لأراه وأحييه وأقول كلمتي فيه والناس لا يحتفلون بذكراه التي مضى يومها ، فذاك لأني لا أحب أن أتقيد بما يتقيد به الناس وهم يحتفلون بموتاهم ويحددون لاحتفالاتهم البرامج والمواعيد . فليت الحي الكبير ماثل أمامي في كل حين أناجيه ويناجيني . وليس للمتنبي يوم خاص لذكراه ثم تطوى صفحته ، إن له علينا حقه الكبير كلما أشرقت هذه الشمس وغابت بالأشعة من شاعريته . ومن أخلص لمن أحبه وقد هيل عليه التراب دفعه الحب والوفاء إلى رفع الغطاء عن ضريحه بين الحين والحين ليرى وجهه ويشعره أن يد الموت قصرت عنه ...

وبعد فمن هو المتنبي ؟ من يكون هذا الجبار الذي تهيبه الردى فارتد عنه ؟ إنه يطربنا ، فما هو هذا الذي يطربنا به ؟ وهل كل ما فيه يطرب ؟ وكيف رفع بناؤه ؟ وهل من صدوع في ذلك البناء؟ وما هي وأين هي ؟ ما هي نقطة الاحتراق التي التقت فيها أشعته ؟

قال بعضهم إنه أشعر الشعراء ؛ ولكنني لا أذهب إلى هذا الحد ، فلا محل لأفعل التفضيل . كتاب الشعر ودولة الشعر لا تعرف لها ملكا واحداً ؛ وإنما هي عروش وإمارات متفرقة . وصولجان الشعر أكبر وأرفع من أن تقبض عليه يد واحدة ولو كانت يد هوميرس ...

لكل شاعر لونه وصوره ومجاله ؛ والألوان والصور والمجالات كثيرة ، فما هو مجال المتنبي ؟

هو شاعر القوة والطموح والكبرياء ، يطاعن خيلا من فوارسها الدهر ، ويقدم إقدام الأتي كأن له سوى مهجته ، ويعلن أنه « إذا قال شعراً أصبح الدهر منشداً » وأن « الخيل والليل والبيداء تعرفه والسيف والرمح والقرطاس والقلم » ويجري القسمة على هواه « فله النفوس وللطير اللحوم وللوحش العظام وللخيالة السلب » وليته أبقى للخيالة غير هذا الدور ولم يدخل السلب في هذه القسمة التي تخيلتها البطولة .

هو سيد الأولب وشقيق المشترى ورب البادية والسيف والقلم . هو القوة بكل ما فيها ؛ ولكنها قوة لم تتعد عالم خياله . أرته في ما أرته النبوة ؛ فلما عاد من تحليقه إلى الأرض والتفت حوله لم يجد المحراب ولا المصلين .. نبي وهم وخيال ؛ غير أن هذا الطموح إلى ذروة الذرى نفخ في شعره الروح التي تهتز لها ، ولولاها لما استطاع أن يأتينا بروائعه ... إن الكبرياء شيء لا غنى عنه للفنان الكبير ، فهو يقيم على قاعدتها تماثيله الفنية . .

هو الشاعر الذي يدور في شعره حول كلمة هي « أنا » ، وقد تمركزت في رأسه وتزعمت ، وللرأس زعامته ، فدارت حولها الصور النفسية الأخرى . ولو أن المتنبي نظر إلى العظمة دون أن ينظر إلى نفسه لكان شعره أبلغ أثراً في النفوس ، فكلمة « أنا » وإن نبعت من أعماق طبيعة الإنسان لا يلتف حولها الخلق ، وهي تشير إلى المتكلم ، التفافهم حول العظمة العامة الشاملة ... إن تغنيك بعظمتك شيء وتغنيك بالعظمة شيء آخر .. وقد خيل إلى البعض أن المتنبي نسي تغنيه بنفسه عند ما راح ينظم القصائد لسيف الدولة وعضد الدولة وابن العميد وكافور ، ويرفعهم بمدائحه

إلى الأوج طمعاً فى المال الذى كانوا يغدقونه عليه ، وتساءلوا عن عظمته وهو بين أيديهم . والحق أن المتنبى أنفق الكثير من عبقريته فى هذه السوق الملكية الرابحة بدلا من أن يقول الشعر للشعر ويقيم هيا كله للفن وآلهته وروحانيته . غير أن من نظر إلى البيئة التى نشأ فيها وإلى العقيدة العربية وسلطان الملوك فى عهده وقدرهم قدر الشعراء لا يرى فى مدائحه لملوكه ما يغض من عظمته التى كانت تظل مكانها لو أنه كف عن هجائهم يوم كانوا يقطعون عنه الصلات ...

المتنبى شاعر الخيال قبل أن يكون شاعر العاطفة ؛ فخياله أكبر من قلبه. إن بدائعه صور تصيبك بدوار الإعجاب ، ولكنك لاتسمع فيها صراخ القلب ونحيبه . ولعل طموحه وتعاظمه شغلاه عن الدمع فلم يأت به غزيراً محرقاً ، وعن دم القلب الجريح فلم يره إلا على شفار السيوف ، وحوّلاه عن المرأة مع مالها من سلطان وصدر أرضع الشعراء فى كل زمان ومكان فلم يقف عندها طويلا ، فى حين أن أبياته فيها حين كانت تستوقفه فى سيره إلى العظمة لا تنحط عن سائر ديوانه ، بل هى أشد ما فيه روعة وقد فاض بها القلب . وهل أجمل من قوله :

* تناهى سكون الحسن من حركاتها *

وقوله :

أتراها لكثرة العشاق ... تحسب الدمع خلقة فى المآق

وقوله :

نرى عظما بالبين والصد أعظم ... ونتهم الواشين والدمع منهم

ومن لبه مع غيره كيف حاله ... ومن سره فى جفنه كيف يكتم

ولما التقينا والنوى ورقيبنا ... غفولان عنا ظلت أبكى وتبسم

فلم أر بدراً ضاحكا قبل وجهها ... ولم تر قبلى ميّتاً يتكلم

ليت المتنبى وقف طويلا عند هذا الوتر من قيثارته ! كان لامرئ القيس عنيزة ، ولطرفة هريرة ، والمجنون ليلى ليلاه ، ولجميل بثينة ، ولابن أبى ربيعة الثريا ، وللبحترى علوة . أما المتنبى فقد كان عالياً على الحسناء ، (علوته) العلياء ...

ولا نرى المتنبى يشرب الكأس التى نعرفها للشاعر وخمرته وإنما كانت كاسه كأساً صب فيها بدل الخمرة مجداً سكر به فلم يسأل عن الخمار والخمرة ولم يقل فيها وحولها شعراً لا سراً ولا جهراً ،

وكم من شاعر استعان بها لتثير ما كمن فى صدره وتطلقه حمما ومعجزات . كان شاعر الخمرة التى لا كأس لها ، شاعر العروش التى لم يشأ أن يجلس عليها المرأة وهى التى تقيمها ...

ليس المتنبى مع إبداعه بالشاعر الوجدانى الروحانى ؛ فاعتداده بنفسه ومزاجه وبيئته ، وحبه للمال ، وبريق سيوفه وهزيم رعوده وصهيل خيوله وروعة أوتاره أقصته عن تلك الأصوات والهمسات التى تأتى من الأعماق فلم يسمعها ؛ فهو يمدح ويهجو ويرثى ويصف ويفخر ويتغزل ويطلق الحكم ، ولكنك لاتحس فى ذلك كله تلك الخلجات والرعشات التى لا يعرفها غير الإحساس المرهف الدقيق الصارخ القاطر دماً ودمعاً ، القائم بين الحيرة والاضطراب والذهول والوجد .. كان شاعر الحس والمادة لا شاعر الروح والروحانية ..

وكان شاعر الحكمة التى تكاد تحتل قمة شاعريته ، وكأنه شعر بذلك فقال : أنا وأبو تمام حكيمان والشاعر البحترى .

إن الحكم والأمثال التى أطلقها هى الدعامة الكبرى التى قامت عليها شهرته فقد تداولها الناس وحفظوها لأنها تعبر عما تنطوى عليه صدورهم ، وهى حكم وأمثال معروفة دونت قبله بأجيال فلا إبداع فيها ، ولكنه عرف كيف يصوغها فى قالب جديد .

إن فى شعر المتنبى روعة الصور التى يجيش بها الخيال الخلاق وهو اليد التى تشير إلى العبقرية . وقول القائلين إنه سرق بعض شعره قول فيه الكثير من الجور والتعسف؛ فشاعر يأتيك بقوله :

وتكاد الظبى لما عودوها ... تنتضى نفسها إلى الأعناق

وقوله :

كأنها الشمس يعيى كف قابضه ... شعاعها ويراه الطرف مقتربا

وقوله :

وخص تثبت الأبصار فيه ... كأن عليه من حدق نطاقا

لا تنسب إليه السرقة فى الشعر . ويكفى أن يأتى الشاعر ببيت واحد يدل على الإبداع حتى يقال إن فيه منجما من ذهب ..

على أن كل ما قذفت به أرحام المتنبى ليس بالرائع العجيب . فبينا تسمعه يقول :

أمعفّر الليث الهزبر بسوطه ... لمن ادخرت الصارم المصقولا

إذا بك تقع على قوله :

جفخت وهم لايجفخون بها بهم ... شيم على الحسب الأغر دلائل

صور من الحياة :

زَلَّـــةٌ ... !

للأستاذ كامل محمود حبيب

يا عجباً ! وَيْ كأن الحياة تأبى إلاَّ أن تسخر منك – يا صاحبي – فتفسح لي مكاناً في زاوية من دارك لأكتب قصة حياتك بين جدران حجرتك ، أستلهم الوحي مما كان يدور هناك من عبث وسخف ، والتقط المعاني ممـا كان يشرق به المكان من حماقة وطيش .

خبِّرني ، يا صاحبي ، أي لذة استشعرتها في الكأس الأول عند أول رشفة تجرعتها من قدح الخمر ؟ لا تدع قلبي يرثى لحماقتك وأنت ما تزال فتى في عنفوان العمر ، ولا تذر النفس تسَّاقط حسرات لجهلك وأنت موظف كبير تدر عليك الوظيفة ما يكفيك أنت وزوجك وأولادك . آه ، يا صاحبي ، لو ثاب عقلك فرجعت عن غيك ! إذن لأصبحت – كما عرفتك منذ سنوات – رجلا طيب النفس هادئ الطبع رضيّ الخلق .

***

وقوله :

هذي برزت لنا فهجت رسيسا ثم انصرفت وما شفيت نسيسا

وقوله :

لو استطعت ركبت الناس كلهم إلى سعيد بن عبد الله بعرانا

إلى ما هناك من هذا الطراز .

لو كان تعـاظم المتنبي سمح له بأن يضحي ببعض ما نظم لزاد عدد ملوكه وقل حجابه ... وحبذا لو اختير الملوك في شعر المتنبي وجمعوا في قاعة واحدة فيتجلى سلطانه على غير الوجه الذي يعرفه الناس. هذا الكتاب الذي يجمع ملوك المتنبي وجواهره دون الحجاب والأصداف تطالب به المكتبة العربية وهو روح ديوانه ! وهو ديوانه الحقيقي الذي لا أرى له في غيره رونقين ينطح بهما النجوم ودهراً يروى له القصائد وينشد ..

راجي الراعي

لقد عرفتك ، يا صاحبي ، بعد أن تخرجت في كلية التجارة ، شاباً كثير الدأب والنشاط شديد القوة مفتول العضل وسيم الطلعة جميل السمت ، ولمست فيك توقد الذكاء ورجحان العقل وقوة الحجة ، ثم ضربتْ بيني وبينك نوازع الحيـاة ومشاغل الوظيفة فما تلاقينا منذ سنوات .

أما أنت فقد تلقفتك الحياة لتلقى بك بين براثن الشهوة وتقذف بك بين مخالب الشر . وقال لك شيطانك : لا عليك إن أنت ألقيت بدلوك في الدلاء فتكون قد تذوقت رحيق الحيـاة ورشفت رضاب اللذة واستمتعت بجمال السعادة .

إن الحيـاء الذي دفعك عن النساء هو الذي دفعك لتعب الكأس الأولى حتى الثمالة .

وسرت حميا الخمر – أول الأمر – في مفاصلك فأحسست بالنشوة تتدفق في عروقك فتشيع المرح في أعصـابك والطرب في قلبك . وخيل إليك أن في الخمر سحراً تنجاب له هموم النفس وتنزاح أعباء الروح ، فطابت لها خواطرك وهدأت جائشتك : لا ضير عليَّ إن أنا اختلست من عمري فترات أقضيها بين رفاق الحانة أسعد بحديثهم وهو طلي وأشاطرهم الكأس وهي لذيذة ، وأنا أجد فيها شفاء من رهق الحياة ودواء من هموم العيش وجلاء من صدأ العقل . ولكن الخمر جذبتك إليها في شدة وعنف فما استطعت أن تنصرف عنها . يا لحماقتك يا من تضع قدميك عند حافة الهاوية ثم تطمع أن ترتد عنها قبل أن تبلغ القرار !

لقد كان راتبك يربو على حاجات عيشك ، ومتعة نفسك ، ولذة قلبك . ولكن الخمر قد سيطرت عليك فسلبتك مالك ، واستنفدت وفرك ، فقنعت بالعيش الخشن ، واللباس الوضيع ، والحياة المضطربة ، ثم شعرت بضيق ذات اليد ، فتعرفت على (فلان بك) ، وهو فتى في مثل سنك من أبناء الذوات ، يغمره الثراء ويفهق جيبه المال ، ولصقت به في غدوه ورواحه ، تشاركه عبثه ولهوه ، وتشاطره هزله وجده ، وراقه حديثك وطرب له ، فصاحبك وسكن إليك . ووجدت أنت في ماله دريئة تقيك ثمن الخمر وهو باهظ ، وتزيح عنك تكاليف اللهو وهي ثقيـلة ، ثم انحطت همتك ، وسفلت رجولتك ، ففتحت له بابك ، وأفسحت له مكاناً بين زوجك وأولادك ليقضي هناك لياليه في عبث ومجون

وقد لعبت الخمر بعقله وهتكت عنه أستار الخجل وسلبته نعمة الحياء . ثم مرت أيام فإذا رفيقك – سعادة البك – يحس بثقلك ويضيق بشهواتك ويضن عليك بماله ، ثم راح يدفعك عنه – بادئ ذي بدء – في رفق ولين ، ويفر من صحبتك في لباقة وذوق . ثم ضاق بك مرة أخرى فانطوى عنك وأنت تطلبه وينفر منك وأنت تتلمسه ، ثم طار عنك فما عدت تراه ولا تسعد بماله .

ونظرت حواليك فإذا سعادة البك قد ضرب بك بالقلى والهجران وصفعك بالاحتقار والازدراء ، وإذا راتبك لا يكفيك إلا أياماً . لقد خذلك رفيق اللهو وإن الذكاء ليتألق في ناظريك ، وإن الحيلة لتضطرب في خيالك ، وأنت موظف كبير في مصلحة الضرائب . وركبك شيطان الخمر وشيطان الحاجة معاً حين عزّ عليك ألا تجد ما تنفقه في ملذاتك التافهة ، وألا تجد ما تسد به طلبات زوجك وأولادك ، وخشيت أن تنهار حياتك في المنزل وأن تبدو على أولادك سمات الذلة والمسكنة ، فانطلقت تريد أن تتلمس فرجة تنفذ منها إلى رغبات نفسك ورغبات الأسرة .

وخلوت إلى نفسك تحدثها حديث شهواتك والشيطان من ورائك يوسوس لك ويزين الشر في عينيك ، ورأيت في مصلحة الضرائب فجوات يستطيع المرء أن ينفذ منها إلى المال في غير مشقة وأن يبلغ الثراء من خلالها في غير جهد ، ولكنك نسيت أنها فجوات لا يسترها إلا الرياء والمداهنة ، ولا يداريها إلا المكر والخداع ، ونسيت أيضاً أنك إن واريت الجيفة التراب لم تستطع أن تكتم رائحتها النتنة أن تفوح فتملأ الخياشيم فتتقزز لها النفس

ثم غدوت تجمع حواليك أصحاب رءوس الأموال من التجار والصناع تناقشهم في يسر وتخضع لهم بالقول وتتبسط معهم في الحديث حتى أنسوا إليك . لقد كان الواحد منهم – من قبل – يخشى وطأة قلمك ويرتعد لحدة ذكائك ويشفق من سلاطة لسانك ويفزع من جفوة حديثك . أما الآن فقد انفتح الباب ولان الحاجب و ...

وهمست الألسن بكلمات ، وطارت شائعة بين موظفي مأمورية الضرائب أنك – لأمر ما – نزلت عن جفوتك ونأيت عن غلظتك وجمعت كبار التجار والصناع في مكتبك تحبوهم بعطفك وتسبغ عليهم من رقتك وظرفك .

وجاءك – ذات مرة – تاجر أجنبي من كبار التجار يساومك لترفع عن ظهره الرقيق سوط المصلحة وهو جاف غليظ ويوحي إليك أنه يريد أن يدفع ثمن رأيك وجاهك ، فوعدته ... وجلس التاجر أمامك في صمت وأمل ليرى ما عساه أن يكون . وأمرت أنت فجاءك موظف شاب سمهري القوام مرفوع الرأس علامة الكبرياء ، ثابت الخطوة علامة الثقة بالنفس ، تتأجج في عينيه نار الذكاء وتبدو على قسمات وجهه سمات الفطنة وتتوثب حركاته نشاطاً وحياة وهو – إلى ذلك – جميل الطلعة طلق المحيا أنيق اللباس من أثر النعمة والثراء ...

جاء الموظف الشاب يتأبط أوراقاً وفي رأيه أنك تسهلت بعد صعوبة ، ولنت بعد صلابة ، وأسلست بعد شماس ، ونظر فرأى التاجر إلى جانبك فبدا له ما تكن نفسك ، وآذاه أن تحدثه في شأن من شئون العمل وهذا التاجر الأجنبي يسمع ويرى ، ولكنه صبر على مضض وسكن على غيظ ، وبدأت أنت تحدث الموظف الشاب بقولك : « ما ذا فعلت – يا بني – بهذا الملف » فقال في هدوء : « يا سيدي ، لقد انتهيت من فحصه وربطت عليه الضرائب ، والأمر الآن في سبيل التنفيذ» . فقلت أنت : « ولكني أريد أن تجيل بصرك ورأيك فيه مرة أخرى ، لأن التاجر يشكو عنت المصلحة وغلوها فأجابك «لا سبيل إلى ذلك ، فالعمل من ورائي يستحثني وقد خلصت من هذا الأمر منذ زمان» فقلت له في غلظة «ولكنني آمرك» فنظر إليك الموظف الشاب في احتقار ونفضك في مهانة ثم قال لك « تأمرني ، نعم ، لأنك رئيسي ، ولكنني لن أطيع أمرك » فنهرته في شدة قائلاً « ماذا ؟ ماذا تقول ؟ كيف ؟ إنني آمرك ولا بد أن تطيع » فألقى الموظف الشاب أوراقه على مكتبك وخرج من لدنك وهو يقول « هذا هو الملف خذه ، افعل به ما تشاء . أما أنا فسأعرض الأمر على سعادة المدير العام ! » وسُقط في يدك ، يا صاحبي ، حين ألقى الموظف الشاب عليك درساً عنيفاً قاسياً لن تنساه أبداً ، لأنه امتهنك أمام التاجر الأجنبي ولأنه سخر من أمرك وعبث برغبتك ، فما استطعت أن تفعل شيئاً .

***

الآن برح الخفاء واستحالت الهمسات إلى كلام يسمع ،

خليـــــل مطران

١٨٧١ - ١٩٤٩

فجع العالم العربي بأفول نجم لامع فى سماء الشعر والبيان ، شغل الناس أكثر من نصف قرن بشعره الطريف الجديد .

ولد خليل مطران سنة ١٨٧١ فى بعلبك ونشأ تحت سماء سورية بين أوديتها الخضراء وجبالها البيضاء وبحرها الصافى وأمواجه المتدفقة وصخوره الناتئة ، فكان لذلك كله الأثر البيّن فى صقل خياله وتغذية روحه ووجدانه بالعواطف النبيلة والجمال العبقرى . ثم قدم مصر سنة ١٨٩٢ وهو ما يزال فى فورة الشباب فشب وترعرع بين ربوع النيل وبين آثار المدنية القديمة وأهرام مصر الخالدة ، فهو شاعر بعلبك والأهرام ، تغنّى بوطنيه فى قصائده الرائعة . وهو إذ يذكر بعلبك وآثارها ، إنما يذكر أيام الطفولة المرحة والحياة الطروبة ، ويحنّ إلى وطنه الأول ومسقط رأسه . استمع إليه فى قصيدة « بعلبك » يصف آثارها وقلعتها ويتذكر طفولته :

إيه آثار بعلبك ســـلام ... بعد طول النوى وبُعد المزار !

ذكريني طفولتي وأعيدى ... رسم عهد عن أعيني متوارى

يوم أمشى على الطلول السواجى ... لا افترار فيهنّ إلا افتراري

نزقاً بينهن غِرًا لعوباً ... لاهياً عن تبصر واعتبار ...

إلى آخر هذه الأبيات الوجدانية الرقيقة .

وهو إذ يتغنى بمصر وطنه الثانى ، إنما يتغنى بمجدها التليد وأهرامها الجيدة ونيلها السعيد وسمائها الصافية ويثنى عليها وعلى كرم ضيافتها ونبل أخـلاق شعبها العريق . استمع إليه يقول :

يا مصر أنت الأهل والوطن ... وحمى على الأرواح مؤتمن

أى الديار كمصر ما برحت ... روضاً بها يتقيـــد الظعن

فيها الصـفاء وما به كَدَر ... فيهـا السماء وما بهـا غضن

مصر التى أخـــلاق أمتها ... زهر سـقاه العـارض الهتن

فهى التى عرفتْ مروءتهـا ... أمم ويعرف مجدها الزمن

ويقول من قصيدة « تحية الشام لمصر » :

تتناقله الألسن فى نواحى المصلحة ويتشدق به صغار الموظفين ، فما لبث أن بلغ مسمعى المدير العام . وذعر المدير للخبر وعجب أن يتدغ فى هذه الحمأة موظف فى المصلحة ذو رأى ومكانة . وتحدث إليك بالأمر فما استطعت أن تنكر وأمامك الموظف الشاب يرمقك بنظرات يتطاير الشرر من خلالها . وترفق بك المدير فأرغمك على أن تترك المصلحة كلها فى أقرب وقت .

ولفظتك المصلحة لتلقى بك فى زاوية من وزارة المالية وإن رائحة النتن لتفوح من بين مخازيك ، وأصبحت مفتشاً بالمالية . والمفتش فى رأى الحكومة موظف واهى الهمة أو وضيع الكرامة لا يستطيع أن ينهض بعمل ولـكنه يمتاص عليها أن تقذف به إلى الشارع لأن القانون يحميه ، وهو — دائماً — يكتب التقارير لتلقى فى سلة المهملات .

***

والآن ، يا صاحبى ، لقد انثلمت كرامتك ولوثت الأقذار ذكرك من أثر الإمادن على الخمر ، ولـكنك ما تزال تأنس إلى الشراب وتطمئن إلى الـكأس ، فمعى بصرك عن حاجات البيت فهذه زوجك تضيق بك لأنك تنفق جُل مالك فى التافه الوضيع وتغضى عن رغبات نفسها ، ولأنك — دائماً — محطم الأعصاب ثائر النفس كثير الشغب فى المنزل وفى الديوان وفى الشارع . وإن أولادك ليفتقدون عطفك أحوج ما يكونون إليه ، ويفتقدون مالك حين يحسون الضياع والشقوة وإن شهواتهم لتدفعهم إلى اللباس الأنيق والطعام الشهى وإلى الحلوى واللعب فلا يجدون شيئاً منها ، ويفتقدون عقلك حين تترنح فى فناء الدار من أثر الخمر ، ويفتقدون الهدوء حين يمج المنزل رفاق السوء .

فهل تستشعر — يا صاحبى — اللذة فى الـكأس أو تلمس السعادة فى الشراب ؟ إن قلبى يرثى لحماقتك وإن نفسى تساقط حسرات لجهلك ، لأننى عرفتك يوم أن كنت فتى متوقد الذكاء راجح العقل قوى الحجة تفور شباباً وقوة وجمالاً ...

كامل محمود حبيب

فحيا أيها الوطنان إنى وسيط العقد فى هذا النظام
بلادى لا يزال هواك منى كما كان الهوى قبل الفطام

* * *

قدم خليل مطران مصر وعرف صاحب الأهرام واشتغل مدة فى تحريرها ، ثم أصدر جريدة الجوائب ، وأنشأ أيضاً المجلة المصرية ، واشترك فى تحرير المؤيد واللواء ، وناصر المرحوم مصطفى كامل فى جهاده المجيد ، وأتقن دراسة الأدب العربى قديمه وحديثه ، كما أتقن الأدب الفرنسى مما أثر فى نزعته الثورية إلى التجديد فى الشعر إلى أبعد حدود التأثير . ولم تشغله صناعة الأدب عن أعمال ليس لها صلة بالأدب ، وهو فى أثناء ذلك كله لم ينقطع عن نظم الشعر والتأليف المسرحى وترجمة المسرحيات . وقد تولى إدارة الفرقة القومية زهاء سبع سنوات .

ولا يهمنا فى دراسة خليل مطران تلك الدراسة العاجلة إلا الناحية الشعرية منه وإن كانت آثاره جميعاً جديرة بالدراسة العميقة . خليل مطران صاحب مدرسة حديثة فى الشعر العربى ، فهو أول شاعر ثار على أساليب المدرسة التقليدية ، وجاهر بمذهبه الجديد فى الشعر ورأى أنه المذهب الذى سيسود فى شعر المستقبل حينما أصدر ديوانه الأول ؛ لأن هذا الشعر كما قال « شعر الحياة والحقيقة والخيال جميعاً » .

نهج خليل مطران نهجاً جديداً فى نظم الشعر ونادى بمذهبه حيث قال « اللغة غير التصور والرأي . وإن خطة العرب فى الشعر لا يجب حتماً أن تكون خطتنا ، بل للعرب عصرهم ولنا عصرنا ، ولهم آدابهم وأخلاقهم وحاجاتهم وعلومهم ولنا آدابنا وأخلاقنا وحاجاتنا وعلومنا ؛ ولهذا وجب أن يكون شعرنا ممثلا لتصورنا وشعورنا لا لتصورهم وشعورهم ، وإن كان مفرغاً فى قوالبهم محتذياً مذاهبهم اللفظية » . بهذا الرأى الجرىء الغريب نادى خليل مطران ودعا إليه ؛ بينما كان شعراء مصر فى ذلك الحين يتورطون فى شعر المديح والتهانى يرفعونه إلى السدة العلية والأعتاب السنية

ومن هنا كان شعر مطران ومذهبه فى النظم نقطة تحوّل فى تاريخ الشعر العربى وانقلاباً بعيد المدى ، فهو بحق شاعر العربية الإبداعى ، يمر شعره على أوتار القلوب فيحركها ويهز الوجدان ويثير العواطف .

« فمطران أول من عمل على إخراج الشعر العربى من نطاق الذاتية والفردية إلى باحة الموضوعية وميدان الحياة . وهو أول رائد خرج على الطريقة الاتباعية الكلاسيكية إلى الطريقة الابتداعية (الرومانتيكية) وإن ساير الاتباعية غالباً فى الأسلوب . وهو أول من أثر فى شعراء الشرق سواء باتجاهاته أو شاعريته » . ولعل السبب فى ثورة مطران على الطريقة التقليدية فى نظم الشعر هو أن هذه الطريقة وذلك اللون من الشعر التقليدى أصبح لا يعبر عن العواطف تعبيراً صادقاً ولا عما يعتلج فى النفس من أحاسيس ، وزاده إيماناً بذلك ثقافته الأجنبية ولا سيما فى الآداب الفرنسية وهى أغنى الآداب الأوربية بالشعر العاطفى الوجدانى ذى النزعة الإبداعية . لذلك لم يكن غريباً أن ينبذ مطران المدرسة القديمة المتيدة ولها أنصار كثيرون فى مصر ، ويأخذ بالمدرسة الحديثة فى نظم الشعر . ونلاحظ هنا أن كثيراً من الشعراء الذين أخذوا بهذه المدرسة الحديثة ونهجوا نهج مطران فى الشعر بالغوا إلى أبعد حدود المبالغة وأصبح الواحد منهم على حد قول محب الدين الخطيب : « يظل يومه يسطو على منظومات الإفرنج يستل منها معانيها الغريبة عن الأذواق العربية فيصوغها بألفاظ وتراكيب يلعن بعضها بعضاً !! فلا يفهم منها القارئ العربى إلا بقدر ما أفهم أنا من الصينى !! » أما خليل مطران فهو وإن تأثر بالآداب الافرنجية لا يزال عربياً خالصاً فى أسلوبه وتعبيره وصيغه ، ومحل ما أدخله على الطريقة التقليدية فى الشعر العربى هو التجديد الطريف فى المعانى والأخيلة والموضوع . وقد ذكرنا أن مطراناً نفسه قال : «... وجب أن يكون شعرنا ممثلا لتصورنا وشعورنا وإن كان مفرغاً فى قوالبهم (أى قوالب العرب) محتذياً مذاهبهم اللفظية » .

فطران إذن عرف كيف يستفيد من اللغات الأجنبية دون تقليد ، وأن ينهج نهج قدماء العرب دون تقييد ، فاحتفظ بصبغة العرب فى التعبير ، وأدخل أساليب الافرنج فى التأليف والتفكير .

ومن هنا نجد الفرق الشاسع بين هؤلاء الشعراء الذين يدعون « التجديد » وبين إمام المجددين خليل مطران .

وقد أدخل مطران على الشعر العربى لوناً طريفاً من ألوان التجديد وهو الشعر القصصي . وقد ثار البحث بين الأدباء عما إذا كان

للعرب شعر قصصي أم لا . وأخذوا يتلمسون ذلك اللون فى الشعر العربي القديم ؛ ولكننا نستطيع أن نجزم أنه قبل مطران لم يكن للشعر القصصي مكان فى العربية . فمطران أول شاعر نظم شعراً قصصياً بالمعنى المعروف . ولا شك أن هذه النزعة فى شعر مطران تساير نزعته الإبداعية فى سائر فنون الشعر التى نظم فيها . ولعل من روائع هذه القصص الشعرية قصيدة « الجنين الشهيد » التى لامثيل لها فى الشعر العربي ، وقصيدته « فتاة الجبل الأسود » و « العصفور » و « فنجان قهوة » و « نيرون » التى تعد من عيون الشعر القصصي .

ومطران واقعي فى قصصه الشعري لا يحلق به الخيال فى آفاق مفقودة بيننا فى الحياة العادية ، ولكنه يستلهم الحوادث المألوفة لنا فى الحياة الواقعية ويفرغها فى قالب قصصي رائع بديع .

وقصصه الشعرية تستأهل دراسة مستفيضة منفصلة عن باقى شعره ؛ ذلك بأن القصص هو العنصر الفذ الذى قامت عليه شاعرية مطران .

وللخليل مطران « تجارب شعرية » رائعة إمتاز بها على المعاصرين من شعراء العصر الحديث ، نذكر من هذه التجارب الشعرية قصيدته الرائعة « المساء » وقصيدته « الحمامتان » وقصيدته « الشمس والنبتة » وقصيدته « بدرى وبدر السماء » التى خلع فيها على أحداث الطبيعة سمات البشرية .

ويلاحظ فى شعر مطران ظاهرة واضحة هي أنه لا يعني بالبيت منفرداً كما هي عادة العرب حيث « ينفرد كل بيت من القصيدة بإفادته فى تركيبه حتى كأنه كلام وحده مستقل عما قبله وعما بعده » وإنما يعني مطران بالوحدة الفنية فى القصيد كله ، ولذلك نشعر بانسجام تام وتسلسل بديع إذا قرأنا له قصيدة من قصائده الوجدانية جملة واحدة بينما يفسد ذلك تجزئة القصيدة كما تنال من الوحدة الفنية فيه .

أما عن الخيال عند مطران فإن نشأته بين الخضرة والماء والصخور فى ربوع الشام وجبال لبنان ، ثم فى ربوع الوادي وربى الأهرام ، فتق خياله عن معان عبقرية رائعة . استمع إليه من قصيدة يستقبل بها الشام :

هذى رؤوس القمم الشماء ... نواهضاً بالقبة الزرقاء

نواصع العمائم البيضاء ... روائع المناطق الخضراء

يا حسن هذى الرملة الوعساء ... وهـذه الأودية الغناء

وهـذه المنازل الحمراء ... راقية معارج العلاء

وهذه الخطوط فى البيداء ... كأنها أسرة العذراء

وذلك التدبيج فى الصحراء ... من كل رسم باهر للرائى

مشوش النظام فى جلاء ... منتسق بالحسن والرواء

وهـذه المياه فى الصفاء ... آناً وفى الإزباد والإرغاء

تنساب في الروض على التواء ... خفية ظاهرة اللألاء

وهذه القصيدة كما يقول الأستاذ الدكتور إسماعيل أدهم فى بحثه القيم عن مطران « تلمس فيها طبيعة الشام وتستحضر فى ذهنك صورة محسوسة بين يديك منها » . وكما يقول المنفلوطي الكاتب الوجداني « يكاد يلمسك خياله ويسمعك رنين أوتار قلبه » . وذلك لأن نفس الشاعر كالمرآة الحساسة ينطبع عليها كل ما يمر بها ولذلك كان الخليل شاعر الشعور والخيال .

ومن روائع شعره قوله فى قصيدته الخالدة « المساء » :

يا للغروب وما به من عبرة ... للمستهام وعبرة للرائى

أو ليس نزعاً للنهار وصرعة ... للشمس بين جنازة الأضواء !

والشمس فى شفق يسيل نضاره ... فوق العقيق على ذرى سوداء

مرت خلال غمامتين تحدرا ... وتقطرت كالدمعة الحمراء !

وهذا من رائع الوصف ورائق الشعر العربي :

ومجمل القول فى مطران أنه أول شاعر إبداعي عرفته العربية . وقد أثر إلى أبعد حدود التأثير فى الشعر العربي بمدرسته الحديثة التى أخلص لها وغذاها بروائع شعره الإبداعي والقصصي فالتف حوله جمهور من شباب الشعراء والأمل معقود عليهم فى أن يحملوا مشعل الإبداعية فى مصر بعد أن رفعته يد مطران نصف قرن تقريباً .

راجح لطفى جمعة

مراجع البحث :

بحث الأستاذ الدكتور إسماعيل أدهم عن « خليل مطران شاعر الإبداعية » فى المقتطف سنة ١٩٣٩ .

شعراء مصر للاستاذ عباس محمود العقاد .

كتاب « نقد الشعر المعاصر » للاستاذ مصطفى السحرتى .

كتاب « رواد الشعر الحديث » للاستاذ مختار الوكيل

مقال للاستاذ سلامة موسى عن خليل مطران فى مجلة الهلال .

مجلة الزهور .

ديوان الخليل .

كتاب « شوقى » للامير شكيب أرسلان .

مصطفى كمال الزعيم التركى

بقلم الكونت سفورزا وزير خارجية إيطاليا

للأستاذ أحمد رمزى بك

— ٢ —

كان مصطفى كمال يتمتع بعد الحرب العظمى بشهرة عامة فى بلاده باعتباره بطلا من أبطال الجندية التركية الذين أبلوا بلاء حسناً فى معارك الدردنيل ، وقد اعتقد الباب العالى إبان هذه الحوادث أن فى بقائه باستنبول خطراً على الحالة السياسية الداخلية ، ولذلك أسندت إليه وظيفة عسكرية لإقصائه إلى داخلية الأناضول، وكانت رغبتهم فى التخلص منه كبيرة لدرجة أعمتهم عن تقدير ما فى عملهم هذا من أن المبعد سيكون أشد خطراً فى آسيا منه فى العاصمة . وقد علم مصطفى كمال بخبر احتلال أزمير وهو فى سمسون فكان وقعه شديداً عليه ، ولذلك جمع أهالى هذه المدينة وألقى عليهم خطاباً حماسياً من أشد الخطب التى ألقاها فى حياته ، فأسرع الضابط البريطانى الذى كان مكلفاً من قبل القيادة العامة بمراقبة أحوال وسير الولاية فى إرسال برقية إلى استانبول يطلب فيها استدعاء هذا الضابط المهيج للخواطر .

وهنا قررنا بناء على إلحاح المندوب السامى البريطانى التدخل بطلب استدعائه فقبل الباب العالى ذلك ، ولكنه لاعتياده الأساليب البيزنطية لم يستدعه نهائياً ، وإنما طلبه لأخذ آرائه واستفتائه فى مجرى الأحوال العامة ، وقد بادر أصدقاؤه القيمون باستانبول إلى تحذيره من هذه الدعوة ، فقرر عدم إجابتها وتنصل منها بسفره فجأة إلى أرضروم محتجاً بأن الاستدعاء الرسمى وصل متأخراً بعد قيامه .

لقد كان من الممكن إنقاذ الحالة بعمل سياسى قاطع ، وكنت الوحيد بين المندوبين السياسيين الذى أبلغ حكومته وأبلغ مجلس الأربعة بباريس أن الحالة تستدعى قراراً حاسماً بعرض صلح عادل يسلم ببعض مطالب تركيا مع المحافظة على المزايا والمصالح الأجنبية التى يجب التمسك بها فى أراضيها . أما حكومة الباب العالى ، فقد بدأت تتردد فى قراراتها وتبدو عليها مظاهر الضعف التى هى عوارض كل نظام انتهى دوره .

***

وبعد مضى أسبوعين على احتلال أزمير طلب منى الصدر الأعظم مقابلة خاصة سرية ، فقابلته فى مصيف السفارة الإيطالية بطرابيا على البوسفور ، حيث أسمعنى حديثاً منمقاً بالجمل التى كالها فى مدح إيطاليا وما تتمتع به من المحبة فى القلوب ، ثم شكى إلىّ بشدة من وقع القرار الذى أصدره مؤتمر الصلح بالتصريح لدولة كانت فى القريب تحت حكم الترك لتحتل جزءاً من وطنهم ولتستعبد وتدوس حقوق أحفاد أولئك الذين كانوا سادة لأجداد رعايا هذه الدولة . ثم قال :

— ألا يفهم رجال باريس أن هذه هى الطريقة الوحيدة لإحياء روح الكراهية ، وإنه إذا قامت يوماً ما مذابح من جراء اتباعكم هذه السياسة سيكون أول عمل لكم اتهامنا بها كما حدث فى المائة السنة الماضية من إلصاق تهم الذابح دائماً بالترك أنى أرى من واجبى تنبيهكم إلى ذلك ، وتحميلكم من الآن مسئولية ما يحدث فى المستقبل .

ثم التفت إلى كن يريد أن يبوح بسر خاص قائلا :

— من المسلم به أنه لن يكون هناك موضع لهذه المخاوف لو كانت تقدمت دولة عظمى من الدول المحبوبة للترك وأخذت على عاتقها احتلال أزمير وولايتها .

قال ذلك منتظراً إجابة منى لم يظفر بها مدة العشر دقائق التى دامت فيها محادثتنا ؛ والتى توقعت فى خلالها ما يريد أن يقول ، وأخيراً ألقى كلمته قائلا :

— لماذا لا تطلب إيطاليا عمل استفتاء بين أهالى ولاية أزمير الذين يفضلون بالإجماع أن يروا إيطاليا تحتل بلادهم بدل اليونان ؟

كان فريد فى ذلك مقلداً للسياسة القديمة التى اتبعها وأتقنها عبد الحميد ، واستعملها لمدة ثلاثين عاماً ضد أوربا بحرك الغيرة بين دولها ، ويشجع أطماعها ، ويزيد فى شقة اختلافها ، حتى يضمن بقاء استقلال بلاده . ولكن هذه السياسة كانت علاجاً مسكناً نجح فى وقته ؛ أما الآن فقد انتهى ذلك العهد ، ومن

جهتى لم أكن واثقاً من نجاح مشروع كهذا بفرض التسليم بإمكان وقوعه ، ولا واثقاً من فوائده لإيطاليا ، لأن مصلحتها هى فى اعتبار كل تركيا سوقاً لمصنوعاتها . أما أزمير وولايتها ، فلا تصلح لنا كبلاد لتشجيع هجرة الإيطاليين إليها ، لأن أهاليها أكثر انتشاراً وتناسلا من الإيطاليين أنفسهم ، ثم احتلالها مع كثرة ما سيتطلبه من التكاليف سيكون عقبة فى سبيل التوسع السلمى التجارى ، ذلك التوسع الذى كنت أعلق على تنفيذه أهمية خاصة .

أما الاعتراف لنا بالجميل ، فكان من الظاهر أنه ينتهى بعد مضى شهر من رحيل اليونان ، بل وينقلب إلى كراهية إذا أقمنا هناك .

كانت تجول بمخيلتى هذه الأفكار وقت حديثى مع الداماد ، ولم أشأ أن أبوح له بشئ منها ، ولكنه أخذ صمتى كأنه تحوط دبلوماتى وخرج من عندى مقتنعاً بأنه وجه طعنة قوية إلى صلب الاتفاق السياسى القائم بين الحلفاء .

ولكن الأخبار تتسرب بسرعة غريبة فى الشرق ، حتى ما يقال فى السر بين رجلين تتناقله الآذان ، ويذاع بين الناس كأنه قد ألقى من على منابر المجالس النيابية فى أوربا . وبالفعل انتقلت فكرة الداماد إلى أذان مصطفى كمال وأعوانه ، لأن أحد رجاله حضر إلى وخاطبنى بكل احترام قائلا : إن أصدقاءه — ويريد بذلك مصطفى كمال — يؤملون منى ألا أشجع من جهتى مشروع الباب العالى ، لأن تركيا الحديثة ترى من واجبها أن تحارب إيطاليا بنفس الشدة التى تحارب بها اليونان إذا طمعت فى شطر من أراضيها .

ولم يكن فى وسعى إلا أن أعجب — فى داخل نفسى — من صراحة هذا القول ، وأرى فيه فتحاً جديداً فى السياسة الشرقية لم نكن نحن فى أوربا نعتاد سماعه .

***

وبمضى الزمن انتهى كل من زميلى الأميرال كالتروب والأميرال اميت ، رغم الروح الحربيـة المتغلبة عليهما ، والتى اعتبرها طبيعية واحترمها فى الوقت نفسـه ، إلى التسليم بأنى لم أكن بعيداً عن الصـواب فى إبداء رأيى بخصوص التعجيل بالصلح . ولكن الوصول بهما إلى الدفاع عن هذا الرأى أو زعزعة الفكرة السائدة لديهما كان صعباً على عقلى رجلين خرجا من الحرب وكانا لا يزالان واقعين تحت تأثير ثورة القتال . ولكم من مرة طرق بالهما أننى رغم ضعف مركزى باعتبارى رجلا ملكياً (غير جندى) لم أتأخر عن تبليغ ما أعتقد أنه حقيقة ملموسة إلى علم حكومتى .

ولكن ما فائدة أى نصيحة يبديها الآن المندوب السامى البريطانى لحكومته إذا كان تأثيرها يضيع بجانب تقارير ضباط قلم الاستخبارات الذين كثر عددهم وكثرت بالتالى تقاريرهم إلى لندرة . وأصبح أسلوبهم بعيداً عن التقاليد البريطانية الأولى المعروفة بنزعتها إلى التسامح وطول الأناة ، فكثرت أغلاطهم فى جو العاصمة التركية الذى استوعب فى السابق دهاء الدبلوماتية الغربية وصبر رجالها . لقد جاء أسلوبهم هذا ليعمل على ضياع الهيبة التى كان الدبلوماتيون الغربيون يتمتعون بها فى نفوس الشرقيين ، إذ من الخطأ البين الاعتقاد بأن اليد القوية واستعمال العنف هى السياسة المنتجة فى الشرق .

وقد كان يصعب على مثلى — الذى بدأ حياته السياسية فى القاهرة ، وقدر عمل أمثال كرومر وونجت ، وأعجب بالتقاليد البريطانية فى تسامحها وتمسكها بالحرية والعدالة — أن يسمع وهو متأثر صديقى طلعت باشا يقول بلهجته التهكمية ، والابتسامة على شفتيه عن بريطانيا :

— هى ألمانيا فقط تنقصها الدقة والضبط الألمانيين .

مثال ذلك حوادث بوليس الحلفاء باستانبول ، وبعضها جدير بالتدوين ، لأنه فى صباح أحد الأيام أخبرنا أننا قد نجونا من مؤامرة خطيرة كانت تدبر فى الخفاء ضد الحلفاء ، ولم نصدق نحن — لأول وهلة — هذه الأخبار . ولكن الجنرال البريطانى قرر العمل بسرعة بمجرد علمه بخبرها ، وقدم كشفاً إلى السلطات التركية يحتوى على أسماء المتآمرين وطلب القبض عليهم . وكان فى الكشف ثمانية وعشرين اسماً بينهم أحد عشر شخصاً منهم يشتغلون بالسياسة ويقيمون فعلا بأنقرة ، أى بعيدون عن متناول السلطات ؛ والباقى سبعة عشر اسماً لأشخاص غير معروفين يصعب العثور عليهم ، إذ يتعذر بطبيعة الحال القبض على مثل على أو أحمد

فى مدينة كبيرة مترامية الأطراف مثل استانبول .

والأغرب أن السلطات التركية لم يبد عليها أى انزعاج ، بل قدمت تهانئها للجنرال ، لأن رجاله تمكنوا من اكتشاف هذه المؤامرة الخطيرة ، وفعلا وعدوا بتسليم المتآمرين ونفذوا ذلك بالقبض على عدد ممن يدعون على وأحمد جموهم من أحياء غلطة واستانبول ممن لا شأن لهم وأعدموهم شنقاً . فاكتفى الجنرال بذلك وأعلن رضاءه وسحب تهديداته ...

وقد علمت بعد ذلك أن هذه المؤامرة الموهومة وضع شبا كها بعض الترك وأدخلوها على رجال قلم الاستخبارات للانتقام من بعض مواطنيهم ، وكان كل ذلك مدعاة للتسلية والتهكم إذا استثنينا حادث شنق الأفراد الذين ذهبوا ضحية هذا التلفيق وهم أبرياء .

إن الأخطاء التى ترتكب فى سياسة أى دولة تضطر هذه الدولة أن تدفع ثمنها فى الغالب غالياً . وكذلك كان الحال مع دول الحلفاء فى تركيا ، لأن الزعيم التركى وأنصاره لم يجدوا بداً بعد كل هذه الحوادث من المجاهرة بعدائهم ضد الإنجليز والفرنسيين واستثنوا الإيطاليين فقط من ذلك . فما كان من الإنجليز إلا أن ازدادوا تمسكا برأيهم وأرادوا أن يؤثروا فى الترك باتخاذ هذه الطرق الشديدة .

أما الزعيم التركى ، فقد باشر القتال بعصابات مسلحة تحميها قوات من الجيش المنظم الذى بدأ ينظمه فى الداخل بإرادة تشهد بعبقريته المنظمة .

وبقدر ما كانت تزيد قواته المنظمة بقدر ما اتجه الناس إليه ، حتى أن موظفى حكومة الباب العالى لم يعودوا يخفوا إعجابهم به وشعورهم نحوه .

وهكذا فهم الترك أن الزمان حليفهم ، وأن حل المسائل المعلقة بأيديهم .

***

بقيت أمامنا بعد هذه الحوادث مسألة واحدة موضعاً للتساؤل، وهى ما ذا ينوى الحلفاء عمله بعد أن صدقوا فى المؤتمر الذى عقد فى سان ريمو فى إبريل سنة ١٩٢١ على الشروط القاسية التى وضعت فى لندرة ؟

لقد وقف اللورد كيرزون عند افتتاح جلسات المؤتمر يقول : « إنه قد بولغ كثيراً فى تقدير القوة التى لدى الكماليين ، وليس مصطفى كمال بالعامل المهم الآن كما يحاول إظهاره بعض السياسيين »

وكنت طبعاً المقصود بهذه الإشارة ، لأننى داومت من روما حيث كنت أقيم فى ذلك الوقت على إسداء النصيحة بعرض صلح مقبول على تركيا .

وبعد انفضاض مؤتمر سان ريمو الذى انتصرت فيه السياسة الإنجليزية على فرنسا وإيطاليا تابع لويد جورج التمسك بخطته التى سار عليها ، وجاهر بثقته بها فى خطبة رنانة ألقاها بلندرة فى شهر يونية حيث قال : إن اليونان هى الدولة الوحيدة القادرة على تأخذ مكان الحكومة التركية فى آسيا الصغرى .

وفى اجتماع هيث Hythe حيث التقى لويد جورج بميليران عرض فنزيلوس على انجلترة فكرة تعاون حكومته باستعمال الجيش اليونانى فى تأديب الكماليين . وكان اقتراحه يرمى إلى توجيه قوات مشكلة من ٩٠٫٠٠٠ جندى يونانى مزودين بأحدث الأسلحة للقيام بحركة سريعة إلى وسط الأناضول لقطع كل اتصال بين الكماليين والساحل تلجئ الأخيرين إلى التقهقر إلى الداخل ، حيث يكون مصير قواتهم الانحلال والتشتت .

وكان ميليران على علم بما فى هذا الاقتراح الإنجليزى اليونانى من المجازفة والأخطار ، ولكنه فضل التسليم به رغبة منه فى استبقاء مودة لويد جورج ، وهو فى حاجة إليه لتعقد الحالة على نهر الرين .

أضف إلى هذا أن نشاط الترك كان كبيراً فى هذا الوقت على حدود سوريا ، حيث سببوا لفرنسا مشاكل لا يستهان بها .

ولكن الوزيرين كانا فى حاجة إلى موافقة إيطاليا حتى تأخذ هذه التصميمات صبغتها الدولية ؛ فعقدا مجلساً لهذا الشأن بعد عدة أيام من هذا التفاهم اختاروا له مدينة بولونيا وحضرته نائباً عن إيطاليا بصفتى وزيراً للخارجية ، وما أن عرضت فكرة حملة الأناضول حتى بينت لهما بشكل قاطع أوجه الخطأ فى تنفيذ هذه الخطة التى لن يتحقق بها تشتيت القوات التركية ، بل تؤدى حتما إلى إذكاء الروح الحربية وتقوية عوامل القتال والوطنية لدى الأتراك

وفى مدينة أسبا Spa حيث عقد مؤتمر آخر كنت أشد تمسكا بهذا الرأى ، ولكن المؤتمر قرر قبول اقتراح فنزيلوس لسوء حظ الشعب اليونانى .

(البقية فى العدد القادم) **أحمد رمزى**

مالتــــوس
ومشكلة السكان فى مصر

للأستاذ محمد محمد على

يعتبر مالتوس أشهر من كتب فى مسألة السكان ، إذ أثار الرأى العام فى بلاده وفى البلاد الأخرى ، كما نبه الأذهان إلى ضرورة دراسة السكان ، فهى أساس المشكلات الاجتماعية .

وقد ألقى مالتوس ضوءاً جديداً على مسألة السكان وقد أثار هذا جدلا واختلافاً فى الرأى . ولعل ما يعنينا فى مصر هو معرفة الحد الذى تتحقق عنده آراء مالتوس فى مشكلة السكان فى مصر . وللوصول إلى ذلك يجمل بنا أن نعرض آراء مالتوس ونظريته فى السكان ، ثم نلخص النقط الأساسية فى مشكلة السكان فى مصر .

***

هنالك دوافع ثلاثة حفزت مالتوس إلى وضع كتابه المشهور : هى حياته وثقافته ، والعصر الذى عاش فيه ، ثم آراء معاصريه . فقد كان أبوه صديقاً لجان جاك روسو ، ونشأ فى بيت تسوده المحافظة على التقاليد ، لذلك كان لا يعتقد فى إمكان إصلاح المجتمع عن طريق الثورة . وفى كمبردج جعلته حياته الدينية يؤمن بملازمة الألم للانسان بسبب وجود الغريزة الجنسية وغريزة البحث عن الطعام .

وكان للعصر الذى عاش فيه أكبر الأثر فى تكوين آرائه ، ووضع نظريته ؛ إذ كانت أوربا — فى أواخر القرن الثامن عشر — فى حالة سيئة نتيجة الثورة الفرنسية ، وانجلترا كانت تسودها أزمة اقتصادية واجتماعية ، فقد ساء المحصول الزراعى فى الريف . وكانت الصناعة تتقدم تدريجاً وزاد السكان تبعاً لذلك ، وحالت الضرائب ورسوم الجمارك دون إزدياد موارد الغذاء . كما نتج عن الاختراعات لتحسين الآلات الاستغناء عن كثير من العمال فانتشرت البطالة وعم البؤس مما أثقل كاهل الفقراء .

وكان من نتيجة كل ذلك ظهور آراء فوضوية بغية الإصلاح . وكان من زعماء الحركة الاشتراكية حينئذ : جودوين الذى كتب بحثاً فى العدالة الاجتماعية ، وكان يعتقد فى طبيعة الخير التى تنطوى عليها البشرية ؛ وكندرسيه وكان يرى أن الإنسانية تسير نحو الكمال فى عشر مراحل وأنها كادت تبلغ ذروة الكمال فى عهده . إذن فالظروف التى سادت فى عصره أوحت إليه بالتشاؤم فأراد أن يحذر مواطنيه من سوء العواقب . ثم إن آراء معاصريه لم ترقه فرغب فى أن يرد عليهم . لذلك وضع مالتوس كتابه وظهرت الطبعة الأولى عام ١٧٩٨ بعنوان طويل اختصره فى الطبعة الثانية عام ١٨٠٣ ويبحث الكتاب فى أربعة موضوعات :

العقبات التى تعترض زيادة السكان فى الأزمنة الغابرة . ثم العقبات التى تعترض زيادتهم فى الأمم الحديثة . ثم دراسة النظم المقترحة لعلاج أضرار زيادة السكان ، وأخيراً عرض لآرائه ومقترحاته .

وتتلخص نظريته فى السكان فى نقط ثلاث :

١ — إن عدد السكان يحدد بالغذاء ، فهناك علاقة بين عدد السكان وكمية القوت .

٢ — يزيد عدد السكان كلما زاد القوت إلا إذا وجدت عقبات قوية .

٣ — هذه العقبات التى تجعل ازدياد السكان متناسباً مع الغذاء هى البؤس ، أى المجاعة والحرب والأوبئة ، والرذيلة أى الخيانة الزوجية والعلاقات الجنسية الفوضوية ؛ والضابط الأخلاقي أى تأخير الزواج مع حياة العفة . وهذا العامل الثالث أضافه فى الطبعة الثانية بعد إذ اتهمه الناس بالكفر لظنهم أنه إنما ينسب البؤس والرذيلة إلى قوة إلهية .

فالتوس يرى أن المجتمع الإنسانى كالكائن الحى فى حاجة دائمة إلى الغذاء . وأن من العبث معالجة الفقر بالتوزيع العادل للثروة . وينسب الفقر فى المجتمع إلى اختلال التوازن بين عدد السكان وموارد الغذاء ، على أن السكان يزيدون على حسب متتالية هندسية والغذاء طبقاً لمتتالية حسابية. لذلك يتضاعف عدد السكان كل ربع قرن : مالم تكن هناك ضوابط إيجابية أو مانعة . ولم يناد مالتوس بضبط النسل بل نادى بالضابط الأخلاقى .

***

هذا عرض عام لآراء مالتوس والظروف التى أحاطت به حين

تأليف كتابه . أما عن مشكلة السكان فى مصر ، فقد تحدثت عنها بإيجاز فى مقال سابق [١] . وأساسها ازدياد عدد السكان زيادة لا تتناسب مع زيادة الموارد الغذائية ، وسوء توزيع الثروة ، وإحجام أصحاب الأموال والشباب عن خوض غمار الصناعة واستغلال الثروة المعدنية . والآن يمكن أن نتبين مدى تحقق آراء مالتوس فى مسألة السكان فى مصر :

لم يتضاعف عدد السكان فى ربع قرن بل تضاعف فى نصف قرن . وقد يكون هذا راجعاً إلى الضوابط الإيجابية وهى البؤس والرذيلة .

وزاد السكان زيادة خطيرة فى حين أن الغذاء زاد زيادة بسيطة . وهنا يحسن ألا ننظر إلى المسألة بعين مالتوس ، فقد قامت الصناعة فى مصر وبدأت تزدهر منذ ربع قرن وذلك بفضل عاملين : الحرب العالمية الأولى ، والتعريفة الجمركية وحمايتها للصناعة المحلية . وليس من شك فى أن العامل الصناعى يعيش فى مستوى أرفع وأرقى مما يعيش فيه العامل الزراعى ، وأوضح دليل على ذلك تكوين النقابات العمالية واهتمام الحكومات بالعامل الصناعى وخاصة فى (وضع الكادر) والتأمين الاجتماعى ... ومما يبعث على الأمل إمكان ازدهار الصناعة المصرية فى المستقبل ، وغنى مصر بثروتها المعدنية ، وما سيحدثه من تغير عظيم مشروع توليد الكهرباء من خزان أسوان .

ومن الصعب تنفيذ الضابط الأخلاقى فى مصر فى ظل المدنية الحديثة وما فيها من مباهج و ... حقاً يعمد الشباب إلى تأخير الزواج لدوافع اقتصادية واجتماعية ، ومن جهة أخرى يستخدم ضبط النسل بنجاح بين الطبقة العليا والمثقفة .

أما توزيع الثروة توزيعاً عادلا فهذا ليس من العبث كما قرر مالتوس فليس يعيب ثروة مصر كميتها بل توزيعها . إذن لم تتحقق آراء مالتوس كلها كاملة :

ويرى الدكتور وندل كليلند حلاً لمشكلة السكان فى مصر بما يأتى :

١ — العمل على زيادة الموارد الطبيعية زراعية وصناعية .

٢ — تحديد عدد السكان ، بوسائل ضبط النسل .

ويظهر لنا من كتاباته أنه يحبذ الاتجاه الثانى لأنه لاحظ أن التقدم الحضارى فى أوربا يصحبه نقص فى المواليد ، وذلك لزيادة رغبة الناس فى صحة أحسن وسعادة أعظم وثقافة أرقى ورغبات أسمى ، ولكن تحديد النسل من الصعوبة بمكان تبعاً للتقاليد والعادات والأفكار القديمة .

ولعل من المفيد أن أختتم هذا المقال بما اختتم به كليلند كتابه [١] إذ يقول :

إن موقع مصر الجغرافى يجعل من الصعب عليها أن تحل مشكلاتها وحدها بل لا بد من التعاون مع جاراتها ، ذلك لأن النيل دولى : Nile is inrernational

محمد محمد على
ليسانسيه فى الآداب

(١) حول مشكلة السكان فى مصر : الرسالة عدد ٨٢٤ .

(١) Ths Popnlotion Problem in Egypt, 1936

من أدب رمضـــان

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ

« ...رياضة للنفس بالتجرد ، وثقافة للروح بالتأمل ؛ وتوثيق لما وهن بين القلب والدين ؛ وتقريب لما بعد بين الرافه والمسكين ... ونفحة من نفحات السماء تغمر دنيا المسلمين بعبير الخلد وأنفاس الملائكة ! ... فالبيوت الباقية على العهد تتقرب إلى الله بالذكر والصدقات ، والمساجد المقفرة طول العام تعج بالوعظ والصلوات ... والمآذن الحالية بالمصابيح الشادية بالتسابيح ترسل فى أعماق الأبد نور الله وكلمته ! »

« الأستاذ أحمد حسن الزيات »

عن ابن مجير ، قال : أصاب النبى صلى الله عليه وسلم جوعٌ يوماً ، فعمد إلى حجر فوضعه على بطنه ، ثم قال : « ألا رُبَّ نفس طاعمة ناعمة فى الدنيا ، جائعة عارية يوم القيامة . ألا رب مكرم نفسه وهو مهين لها ! ألا رب مهين نفسه وهو مكرم لها » فانظر — عافاك الله — إلى إنسانية سيد الخلق العليا ، فهو يضرب أروع الأمثال لكى تتأسى به أمته من قبل ومن بعد ... وهو الذى خُيِّر أن يكون له مثل (أحُـد) ذهبا فقال : (لا يارب ، أجوع يوماً فأدعوك ، وأشبع يوماً فأحمدك !) فالسواد الذى تراه فى فقره صلى الله عليه وسلم هو السواد الحى ، سواد الليل حول الروح النجمية الساطعة ، كما يقول الرافعى الخالد . وبعد فالغرض الأسمى من صوم رمضان المبارك إن هو إلا العمل المصمم على إضعاف الحيوانية ، وكسر شرة الهوى ، وكفكفة النفس عن الشهوات والأهواء ، بالحرمان والمجاهدة فتتحرر الروح من ربقة الأسر فى الجسد ، وتتطهر من الأدران المخجلة ، وتسمو إلى مراتب الإيمان العالية ... فتهتدى إلى جلال ربها ، وتدرك ما كانت عليه من زيغ وغفلة ، فتتذكر الموت وهوله ، والقبر وسؤاله ، والبعث وأهواله .. فتخشع وتخضع وترجع إلى طاعة ربها راضية مرضية ...

ما لذة الأيام تتعاقب على استواء حالة واحدة ؟ ... بل كيف يصنع المرء إزاء الدهر وتقلباته ، وضرباته وهجماته ... إن لم يتزود بذخيرة من الصبر والجلاد ؟ ...

ولقد فاضت كتب الدين ، وخطب المصقعين ، تحض على التآلف والإخاء ، والتمسك بأهداب الشرائع السماوية المقدسة ، ولكن كل ما كان ويكون لها من أثر لا يقاس بأثر الردع والتأديب الإلهى ، الذى تحس وقعهما فى أعصابك وحلقك وأحشائك ... وسمار الجوع هو الذى يدع الخيال يصنف للمعدة معانى متجددة متعددة للطعام ... فلا تنفك تستشعر — على التضور — آلاماً لذيذة ، ولذات أليمة ! ...

وليس يُطرب صوت الماء منحدراً
كما ترى وقعه فى سمع ظمآن !

وترى الغنى المترف المتنعم وقد ردعه الضمير ، وأدبه الدين .. فلديه ما لذ وطاب ولكنه يصبر ويصابر ، ويتذكر أنه يُسأل عن النعيم ...

ولا صيام للنامين والمغتابين ؛ فعن ابن مسعود ، قال : كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقام رجل ، فوقع فيه رجل من بعده ... فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « تخلَّل » قال : مِمَّ أتخلل ؟ ما أكلت لحماً ... » قال : « إنك أكلت لحم أخيك ! » ...

(السويس) **أحمد مصطفى حافظ**

محرر بمجلة المدينة المنورة



نظـــرات فى الفن

للأستاذ نجم الدين حمودى

الفنان والطبيعة :

علاقة الفنان بالطبيعة علاقة متينة محكمة ، فهى مصدر وحيه وإلهامه ، منها يستقى عبقريته ، ومن جمالهـا يروى أحاسيسه ومشاعره . ومع أن الطبيعة ينبوع الجمال وموطن الروائع ، فهى ليست كل شىء عند الفنان ، كما أنه من العبث أن نشبه الفن بتقليد الطبيعة ، أو محاكاة الجميل فيها ، إذ ليس الفن تقليداً وتشبيها ، وإنما هو تفسير وتحليل وخلق وإبداع . وليس من المبالغة فى شىء أن يقال : يبتدئ الفن عند ما يبتعد الفنان عن التزامه لتقليد الطبيعة .

نعم ، إن الطبيعة مصدر للجمال ولها أعظم الأثر فى عمل الفنان ، إلا أنها — كما ذكرنا سابقاً — ليست كل شىء عنده . فالفنان فى روائعه يضفى على الطبيعة من أعماق نفسه جمالا يزيد من جمالها ، وألواناً من خلقه وإبداعه تكسبها جاذبية وتأثيراً . وإذا كانت السمفونية الريفية لبيتهوفن قطعة فنية رائعة ، فهى ليست كذلك لكونها تقليداً لأصوات طبيعية ، بل لأن بيتهوفن نفسه استطاع أن يعبر فيها عن إحساسات تفتحت من جراء اتصاله وانغماسه بجمال الطبيعة ، وتمتعه بنغمات أصواتها الجميلة المذبة ، فخرجت تلك الإحساسات ، وتفجر ذلك الشعور إلى عالم الواقع بأصوات موزونة ونغمات منسجمة ، وبهذه النغمات وتلك الأصوات برزت عبقرية الفنان وقوة خلقه وإبداعه ، فجمل من توفيقه بين هذه وتلك قطعة موسيقية رائعة تتوق القلوب لسماعها ، وترتوى النفوس من أنغامها وألحانها .

فالابتهاج الذى يغمرنا عند سماعنا السمفونية الريفية ، والروعة التى برزت بأجلى مظاهرها فى أنغامها المنسجمة الموزونة ، لا يرجعان كلية إلى الطبيعة ، بل إلى عبقرية بيتهوفن وملكته الفنية .

يشير الأديب الفرنسى أندريه جيد فى دراسته للفنان الفرنسى بوسان إلى رأى الكاتب كريستفرمارلو عن أثر الطبيعة فى نضوج الفنان فيقول : « يثبت الأستاذ مارلو بأن الباعث على الخلق الفنى فى كل الرسامين لا يتأتى مباشرة من الطبيعة ، وإنما يتأتى من بعض الروائع الفنية التى أنتجها قبلهم عظماء الرسامين الذين حللوا فى روائعهم ما فى الطبيعة من جمال وفتنة وكمال » .

ويعلق الأستاذ أندريه جيد على ذلك بقوله : « لا شك أن جمال العالم الخارجى ومظاهره البديعة الجذابة لا يمكنها أن تترك بوسان دون أن تؤثر فى مشاعره وإحساساته ، بل فى الحقيقة أن اتصاله بالروائع الفنية القديمة هو الذى دعاه إلى أن يدرك قابليته فى الخلق الفنى » .

نقد الفن :

إن تعذر إيجاد مقاييس عامة لمرفة المدى الذى تبلغه الروائع الفنية من الكمال ، كل حسب نوعه ، هو الذى جعل أمر نقد الفنون الجميلة من الصعوبة بمكان عظيم . ويقول الأستاذ أندريه جيد فى هذا المعنى : « إن نقد الفنون الجميلة من أخطر أنواع الكتابة ، ولم يجد فى هذا الباب إلا النزر القليل من الكتاب » ومن الممكن حصر الأسباب التى تجعل النجاح فى نقد الفن عسيراً فى ثلاثة أمور :

١ — عدم وجود نماذج مثالية تقاس عليها القطع الفنية .

٢ — اختلاف الأذواق وتباين النزعات فى تقدير القطع الفنية ، ومن النادر أن نجد ناقدين يتفقان على أمر واحد بحذافيره .

٣ — والسبب الثالث ويتفرع من الثانى ، هو صعوبة وجود التجرد التام فى الحكم على القطع الفنية .

وكثيراً ما يصدر النقاد حكمهم على قطع فنية عظيمة دون أن يعيروها الوقت الكافى ، فيكون حكمهم غير دقيق وبعيد عن الحقيقة والواقع . ويذكر الناقد الكبير كلايف بل فى موضوعه « مهلا أيها النقاد » بأن نقاد الفنون على الرغم من

ادعائهم بعدم التسرع فى الحكم على القطع الفنية كثيراً مايقترفون أخطاء جسيمة ويجورون على الفنانين بغير حق .

ويستمر كلايف بل فى بحثه قائلا : « إن بعض القطع من الممكن تذوقها من أول التفاتة يوجهها الناقد إليها ، أما البعض الآخر فيستحيل عليه إدراك مواطن الجمال فيها ، واكتشاف الأفكار التى تحملها ، والبواعث التى دعت الفنان أن يجمل قطعته بهذا الشكل دون غيره ما لم يمعن هذا الناقد فى النظر ويتعمق فى التحليل » .

ويدعم الأستاذ كلايف بل معالجته لهـذا الموضوع بأمثلة عديدة لأخطاء جسيمة اقترفها كبار النقاد .

يذكر الأستاذ ماك كول فى كلامه عن نقاد الفنون أن هناك نوعين من هؤلاء : النوع الأول وأحسن كلمة نصفهم بها هى كلمة « مراسلون » ، وهؤلاء لا هم لهم سوى حشو الصحف والمجلات بكلمات فارغة معسولة عن المعارض التى يحضرونها نيابة عن الصحف والمجلات التى يراسلونها ، ومعظم هؤلاء لايملكون المعرفة الكافية التى تؤهلهم لنقد القطع الفنية ، فإذا ما عرضت عليهم قطع ترجع فى طابعها إلى الفن الكلاسيكى القديم ، قالوا : لقد سبق أن صدر الحكم على الفن القديم ، وإن جادلتهم فى معروضات الفن المعاصر ، أجابوك بقول : إما ينطوى على عدم الاكترات ، أو يدل على الإطراء والإمعان فى المديح .

ويقول الأستاذ ماك كول فى هذا : « ليس الفنانون بضاعة يكال لها المديح والإطراء ، أو الذم والافتراء ، من النقاد حسب ما تمليه عليهم أذواقهم وأهواؤهم » .

أما النوع الثانى من النقاد ، فمنهم من يملك معرفة كافية واطلاعاً واسعاً بالفنون ، ولكنهم إلى جانب هذه المؤهلات مدفوعون بعامل التحيز . لهـذا فإنهم ممقوتون من الفنانين لافتقارهم إلى النزاهة فى الحكم ، وتراهم يختارون من القطع ما لذ لهم ، ويجعلونها هدفاً لصب معلوماتهم ، كأنه لا فرق بين القطع الفنية الرائعة والمواد الأولية التافهة .

نجم الدين حمودى

سكرتير مجلة سومر — بغداد

حيران !

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

حيران فى دنيا الجمال   نشوان من خمر الخيال
لمن العيون كأنها   نور يطوّف بالظلال ؟
حوراء إن نظرت تخا   ل بها ـ وليس بها ـ الكلال !
سكرى من الخمر التى   لعبت بأفئدة الرجال
لمن العيون كأنها   أفق توشح بالجلال ؟
زرقاء تحلم فى هدو   ء لا يعذبه ملال
كبحيرة مسحورة   سحرت حواليها الرمال
تسبى القلوب كمنظر الآفاق من قمم الجبال
لمن الغدائر حرة   من كل قيد أو عقال !
يشدو النسيم لها فتر   قص فى اليمين وفى الشمال
سوداء فى لين الحريـ   ـر ، ورقة الماء الزلال
لمن الخدود نقية   كالنبع فى أعلى القلال ؟
قد ضمه وحنا عليـ   ـه فى خشوع وابتهال
زهر يقبله الندى   وتضمه ريح الشمال
لمن الشفاه نواضرا   ريّا بأحلام الليال
شمّت كشمس فى الضحى   وتقوست مثل الهلال
تدعو الرشيد إلى الضلا   ل ، وآه من هذا الضلال !
لمن النهود روانياً   فى كبرياء واختيال ؟
متحفزات للوثو   ب ، مبادرات للنضال !
تدنو لمن تهوى ، وتبـ   ـعد عن سواه ، فلا تُنال
لمن الخصور الراقصا   ت مع الأشعة والظلال ؟
من كل خصر مرهف   ريان من خمر الدلال
أخشى عليه من النسيـ   ـم دنا فطوقه فمال
ومن الغلالة إذ تعا   نقه ، فيشعر بالملال !

أواه لو رويت هـ   ـذا القلب من خمر الجمال !
أواه ! لكنى أعيـ   ـش كزهرة بين التلال !
أبكى من الحرمان حتى   صرت أنتظر الزوال
فتن تمر بناظرى   وبخاطرى منها مثال
فتن حرمت وصالها   وأنا المشوق إلى الوصال
علقت بها نفسى كما   علقت بأطياف المحال !
فتن أعانقها وألـ   ـثمها ، ولكن ... فى الخيال !

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

مع الأستاذ توفيق الحكيم فى « أوديب الملك » :

فى العدد (٨٣٥) من الرسالة ، سألنى أديب عراقى فاضل هو الأستاذ فؤاد الونداوى عن بعض الآراء التى عقب بها الأستاذ توفيق الحكيم على مقدمة الترجمة الفرنسية لمسرحية « أوديب الملك » ... ولقد عرض الأستاذ الونداوى لتلك الآراء بالنقد والتحليل ، مخالفاً صاحبها فيما ذهب إليه من تفسير لبعض القيم النفسية والفنية ، طالباً إلى أن أعقب على الرأيين : رأى الكاتب ورأى الناقد .

يقول الأستاذ الونداوى إن الأستاذ الحكيم قد حاول أن يوفق بين فكرة الأسطورة وبين روح الإسلام ، فجعل من رغبة أوديب فى العلم بالحقيقة وبحثه المتصل عنها سبباً يدفع أوديب إلى الكارثة ، أى أنه جعل الموجب للكارثة طبيعة أوديب ذاتها ؛ طبيعته المحبة للبحث فى أصول الأشياء الممعنة فى الجرى خلف الحقيقة . ثم يعقب الأديب العراقى الفاضل على ذلك بقوله : ولست أدرى كيف استساغ كاتب فنان كتوفيق الحكيم أن يجعل من حب أوديب للحقيقة وسعيه وراءها إثماً يستحق عليه ذلك العقاب المنكر الفظيع ؟ فإن حب الحقيقة والسعى وراءها — مطلقة كانت أو نسبية ، عامة كانت أو جزئية — لدى أناس كالفلاسفة والعلماء هو الذى بث شهرتهم فى الآفاق وخلد ذكرهم فى أعماق الأفئدة ، وألهج به الألسنة على مدى الأجيال والعصور !

أود أن أقول للأستاذ الونداوى رداً على اعتراضه : هل أقمت اعتراضك يا صديقى على أساس من خطأ الفكرة النفسية ، أم على أساس من التعثر فى خطوات العمل الفنى ؟ فى رأيى أن الأستاذ الحكيم قد بعد عن منطقة الاعتراض فى كلتا الناحيتين ؛ لأننا لو وضعنا الفكرة النفسية تحت المجهر لبدت لنا متفقة مع منطق الحياة ومنطق الفن ... لاخطأ أبداً إذا ما جعل توفيق الحكيم من جرى أوديب وراء الحقيقة سبباً يدعو إلى الكارثة ؛ لأن طبيعة أوديب النفسية — طبيعة الشك والتحدى والغرور والكبرياء — من شأنها أن تدفع به إلى هذا المصير المحزن الذى انتهى إليه ! إننا لو بحثنا عن نقط الارتكاز الفنية فى المسرحيات الثلاث وأعنى بها مسرحية سوفوكل ومسرحية أندريه جيد ومسرحية توفيق الحكيم ، لوجدناها تتفق جميعاً على أن الطبيعة النفسية عند أوديب كانت هى مصدر الكارثة ؛ الكارثة التى أدت بأوديب إلى أن يقتل أباه لايوس ويتزوج من أمه جوكاست ويفقأ فى النهاية عينيه ليحرم إلى الأبد من نعمة الضياء ... أوديب عند سوفوكل يبحث عن الحقيقة ، وعند أندريه جيد يبحث عن الحقيقة ، وهو يبحث عنها أيضاً عند توفيق الحكيم ؛ فالأساس النفسى موجود عند الكاتب الإغريقى وموجود عند الكاتب الفرنسى وموجود عند الكاتب المصرى . وإذا كان الصراع الخارجى بين إرادة الآلهة وحرية الإنسان هو الهدف الأصيل لخطوات العمل الفنى عند سوفوكل وأندريه جيد ، فإن خطوات العمل الفنى عند توفيق الحكيم قد أحالته صراعاً داخلياً بين إرادة الإنسان وبين سطوة الحقيقة ... هناك صراع مشبوب تثيره فى نفس أوديب نزعة التحدى للقوى الخفية ولو كان فيها ألف مورد من موارد التهلكة ، وهنا صراع مشبوب أيضاً ولكن الدافع إليه نزعة أخرى هى نزعة الشك الملح فى التخلص من الواقع ، ولو كان فيه ألف سبيل من سبل النجاة من الكارثة . وكلا الصراعين يتقرر معه المصير على ضوء الطبيعة النفسية التى عالجها الأستاذ الحكيم علاجاً حاول فيه أن يوفق بين فكرة الأسطورة وبين روح الإسلام !

هذا يا صديقى عن منطق الفن ، أما عن منطق الحياة فلا أرى أن توفيق الحكيم قد خالف منطق الحياة أو اعترض سيرها الطبيعى ... إن الحياة تقدم لنا فى كثير من الأحيان نماذج نفسية من طراز أوديب يدفعها حب الاستطلاع والبحث عن الحقيقة إلى كثير من المتاعب والكوارث والآلام ! أنا معك فى أن حب الحقيقة والسعى وراءها لدى أناس كالفلاسفة والعلماء هو الذى بث شهرتهم فى الآفاق وخلد ذكرهم فى أعماق الأفئدة ، وألهج به الألسنة على مدى الأجيال والعصور . أنا معك حين أقدم إليك واحد ممن ذكرت هو الفيلسوف الألمانى نيتشه ... ولكن

لا تنس أن هذا الفيلسوف العظيم الذى ظل يبحث عن الحقيقة حتى رفع عنها الغطاء ، هذا الفيلسوف يا صديقى قد فقد عقله فى سبيل الجرى وراء الحقيقة !

أختلف معك فى هذه النقطة وأتفق معك فى نقطة أخرى ، هى اعتراضك على الأستاذ الحكيم حين يقول : إن رغبة أوديب فى العلم بالحقيقــة هى التى جرته إلى ما جره العلم الحديث على الإنسان الحديث ممثلا فى (فرويد) عند ما طفق يحفر فى أعماق الإنسان إلى أن وجد أنه عاشق فى الباطن لأمه ! ... الواقع أنك لم تعد الحق حين أفصحت عن حيرتك أمام هذا التعليل ، وحين قلت إنك لم تفهم كيف ارتضى الأستاذ الحكيم أن يشبه حالة أوديب أمام المأساة بحالة فرويد أمام حقائق النفس ! إلى هنا يا صديقى وأقف إلى جانبك لأنه لا وجه للمقارنة على الإطلاق ...

أما بعد ذلك فلا أرضى عن تفسيرك المشكلة عند ما تقول : إن البحث عن الحقيقة قد أدى عند فرويد إلى اكتشــاف الحقيقة فحسب ، ولكنه عند أوديب قد أدى إلى وقوع الكارثة أو المأساة وواضح أن الفرق بين الحالين أكبر وأوسع من أن يستسيغ أى تشبيه بينهما !

أريد أن أســأل : هل كشف فرويد حقاً عن الحقيقة التى رددها من بعده الكثيرون فى الشرق والغرب ، وأعنى بها عشق الطفل فى الباطن لأمه ؟ هــذا العشق الناتج عن مص ثديها فى حالة الرضاع مما يترتب عليه لون من ألوان اللذة الجنسية ، حتى لتتحول تلك اللــذة عند تقدم السن إلى عادة التدخين عند كثير من الناس ؛ لأن فيها بقية من المتعة الجنسية فى الصغر ممثلة فى عملية المص بالشــفتين ، والفم كما يقول فرويد منطقة من المناطق الشديدة الحساسية والشعور باللذة ؟! ... ليصدقنى الكثيرون إن هذا التفسير النفسى الذى جاء به فرويد تفســير يحفل بالشذوذ وانحراف التفكير ؛ لأنك لو أرضعت الطفل من ثدى أنثى من إناث الحيوان لهام بها نفس هيامه بأمه ، ولتعلق بها نفس التعلق ولأقبل عليها نفس الإقبال ؛ لأن عقله الصــغير إلى أبعد حدود الصغر لا يهيىء له أن يفرق بين مرضعة ومرضعة ولا بين حيوانة وإنسانة ! إن المسألة مسألة شعور بالجوع واندفاع إلى كل منبع من منابع التغذية يمكن أن يرد عن الطفل الجائع غائلة الجوع ، فكيف نقبل هذا الشذوذ الفكرى الذى ينادى به فرويد حين يلصق بالطفولة البريئة نزعة الانحرافات الجنسية ؟ ! ... ثم هل تتحول حقاً تلك اللذة الجنسية المتخلفة عن أيام الطفولة إلى لذة التدخين عند كثير من الناس ؟ ترى كيف يستقيم هذا التفسير العجيب إذا ما قدر لفرويد أن يعيش فى تلك الأيام التى لم يكن فيها تدخين ولا مدخنون ؟! . إننا فى انتظار الجواب من المولعين بهذا اللون الطريف من الدراسات النفسية !

بقى أن أرد على النقطة الأخيرة التى أثارها الأستاذ الونداوى حول رأى آخر من آراء الأستاذ الحكيم حين يقول : إن الطمن الذى أنزله أوديب بعينيه قد ذهب فى تفسيره أندريه جيد فى مسرحيته إلى كونه إمعاناً فى الكبرياء . يؤكد الأستاذ الونداوى أن الواقع يشهد وصحائف الكتاب بدورها تشهد بأن أندريه جيد لم يقل مثل هذا الكلام ولم يفكر فيه ، لأنه قال بصراحة عن لسان أوديب مخاطباً الكاهن تيرسياس بأنه — أى أوديب — إنما يفقأ عينيه لأنهما لم تحسنا تنبيهه إلى الكارثة قبل وقوعها ولم تضيئا له الطريق ! معذرة يا صديقى إذا أكدت لك أن الواقع يشهد وصحائف الكتاب بدورها تشهد بأن أندريه جيد قد قال مثل هذا الكلام وفكر فيه ... أما عن الواقع فهو ممثل فى تلك الزاوية التى سلط منها أندريه جيد أضواءه على شخصية أوديب الإنسانية ؛ وهى الشخصية المتعالية المتحدية المتكبرة المغرورة الثائرة على الآلهة فى كل فصل من فصول مسرحيته . إن طمن أوديب لعينيه لم يكن فى الواقع إلا تحدياً للألم وإمعاناً فى الكبرياء ! مهلا يا صديقى ولا تعترض ... إن صحائف الكتاب تشهد بصدق ما أقول ، هناك قبل نهاية الفصل الأخير بصفحتين حيث يقول أندريه جيد عن لسان تيرسياس مخاطباً أوديب بعد أن فقأ عينيه : « إذن فهى الكبرياء التى دفعتك إلى أن تفقأ عينيك . لم يكن الإله ينتظر منك هذا الإثم الجديد ثمناً لجريمتك الأولى ، وإنما كان ينتظر منك الندم ليس غير » !

بعد هذا أرجو أن يتقبل الأستاذ الونداوى خالص الشكر على حسن ظنه ، وعاطر التحية على صدق إخائه .

حول مستقبل الشعر وانحراف المواهب :

هذا العنوان يجمع بين عنوانين ، أحدهما لمقال كتبه الأستاذ يوسف اليمينى فى العدد (٨٣٥) من الرســالة ، والآخر لمقال كتبته أنا فى العدد (٧٩٧) من الرسالة ... ولقد لاحظت أن الأستاذ اليمينى قد جال بفكره فى نفس الأفق الذى جلت فيه

من قبل ، وأن هناك كثيراً من التقارب بين وجهات النظر وطرائق التعبير ومرامى الألفاظ . إنه لون من توارد الخواطر غير شك ؛ لأن طبيعة الوضوع الذى تناولته بالدراسة كما تناوله الأستاذ البعينى حول ماضى الفن وحاضره ، من شأنها مع النظرة المتغلغلة فى أعماق المشكلة أن يخرج منها الباحث بمثل ما خرج به الأستاذ وخرجت ، من تحليل يؤدى إلى تعليل ومن مقدمة تدفع إلى نتيجة .

يبدأ الأستاذ البعينى مقاله عن « مستقبل الشعر » بهذه الكلمات : « أجمع فريق من الحكماء والمصلحين وفى طليعتهم الموسيقى البولونى المشهور أنتون بادريفسكى على أن الفنون الجميلة تسير بخطى واسعة نحو الفناء . ومما قاله ذلك العبقرى الموهوب أن تلك الأنغام العميقة التى كانت ترفع الروح إلى الملأ الأعلى توارت أمام الموسيقى الأمريكية الحديثة . لقد صدق هذا الفنان فى تعليله ؛ فإن رجل الفن كان فى الماضى البعيد يغذى عبقريته بجمال الطبيعة . أما الآن فهو لا يعنى بإغناء موهبته وتهذيبها إذ طغت موجة المادة وتبدلت أغراض الحياة فاختلفت عما كانت عليه فى سابق الأجيال » .

هذا هو مفتاح المشكلة الذى يعالج به الأستاذ البعينى فتح المنافذ المؤدية إلى نتائج موضوعة ، وهو نفس المفتاح الذى قدمته من قبل حيث قلت : « ... هذه الحضارة التى نعيش فيها حضارة قوامها المادة تبدأ منها وتنتهى إليها ، وتدفع الناس إلى أن يتلمسوا الوسائل لكسب العيش عن طريق غير طريق الأدب والفن فى كثير من الأحيان ؛ لأنه طريق غير مرجو الفائدة ولا مأمول العواقب فى ميدان النضال مع الحياة ومن هنا يتجهون باستعدادهم وملكاتهم اتجاهاً يبغون من ورائه الكسب المادى والمكان المرموق والفن فى رأى الماديين لا يحقق لهم شيئاً من هذا ، وماذا تجدى الشهرة فى رأيهم مع الفاقة أو يعود عليهم من المجد وفى ركابه الحرمان ! ...

إن صوت هربرت ريد فى كتابه (الفن والمجتمع) ليضيع وسط ضجيج المادية الأهوج حين يقول : « يجب أن ننظر إلى الفن نظرتنا إلى كل شىء لا يستغنى عنه ، مثله كمثل الخبز والماء وعلى أنه جزء من حياتنا اليومية لا يتجزأ . وينبغى ألا يعامل الفن كضيف عابر ، ضيف يدفع أجر ضيافته ، ولكن كواحد من أفراد الأسرة سواء بسواء » ! ...

إن الحضارة الحديثة وتعقد مشكلاتها قد استبدت بالمواهب والعقول فوجهتها تبعاً لهذه المشكلات ، وما فيها من تعقد لم يدع لها من لحظات الفراغ ما يمكنها من استلهام الوحى فى الفنون الرفيعة ، وما أبعد الفرق بين الفنون فى ماضيها الغابر وحاضرها المشهود ! لقد كان الناس فى الماضى البعيد يعيشون للفن ويطربون له ويشجعون المواهب على أن تمضى فى طريقها فلا انحراف ولا اعوجاج وإنما اتصال مطلق بالطبيعة واستلهام لمظاهرها وروائعها ، فلما تعقدت الحياة وطغت المادة على كل شىء طغيانها القوى الجارف ، انحرفت المواهب عن ميادينها الأصيلة وانحرفت معها الأذواق » !

« *من وراء الأبد* » *وجرأة القصاصين العوام* :

قيل إن الذبابة هبطت يوماً على رأس الفيل ، فلما يئست من أن تشعره بوجودها قالت له : يا عزيزى ، إنى طائرة عنك ... ونظر إليها الفيل ضاحكا ثم قال : يا عزيزتى ، والله ما أحسست بك هابطة حتى أحس بك طائرة !!

تذكرت هذه القصة الطريفة وأنا أستمع لمن نقل إلى خبراً فحواه أن قصاصاً من القصاصين العوام ، اجترأ على أن يتهمنى فى إحدى الصحف اليومية بالسطو على أحد الأفكار من قصصه لتزدان بها قصتى « من وراء الأبد » ... أما هذا القصاص العامى النابغ الذى أراد أن يشعرنى بوجوده كما فعلت الذبابة الخالدة ، فهو السيد أمين يوسف غراب !

أود أن أقول لهذا القصاص الذى لا أشك لحظة فى أنه درس فن القصة فى كتاب القرية ؛ أود أن قول له إنه لو قدر له أن يعاصر المثال الفرنسى العظيم رودان لألهمه الإبداع فى صنع تمثال يمثل الغباء النادر ... ذلك لأنه لو خطر لى أن أنقل فكرة عن أحد القصاصين ، فإن الذوق يفرض على أن ألجأ إلى أعلام القصة فى أدب الغرب . عندى مثلا فى الأدب الفرنسى بلزاك وديماس وفلوبير وزولا وموباسان ، وعندى مثلا فى الأدب الروسى تولستوى ودستويفسكى وتورجنيف وتشيكوف وجوركى ، وعندى مثلا فى الأدبين الإنجليزى والأمريكى ديكنز ولويس ولورنس وبوموم .. فمن يصدق أننى أترك تلك القمم حيث يحلق النسور ، لأهبط إلى السفوح حيث يحلق الغراب ؟ !

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

تعليم اللغة بدراسة الأساليب :

عقد مفتشو اللغة العربية مؤتمراً بكلية دار العلوم في الأسبوع الماضي برياسة عميدهم الأستاذ مهدى علام ، ومن الموضوعات التي نظروا فيها موضوع دراسة قواعد اللغة العربية في المدارس الابتدائية والثانوية ؛ وقد انتهى المؤتمر في هذا الموضوع إلى أن تدرس اللغة العربية عن طريق اللغة نفسها نصوصها وأساليبها وتستخلص القواعد من هذه الأساليب من غير إسراف في الاصطلاحات النحوية المطولة . وقد عرض الفكرة على المؤتمر ، الأستاذ مهدى علام ، فلقى معارضة شديدة في أول الأمر من لدن أنصار النحو والقواعد ، ولكنه ما زال يبين وجهة نظره ويدلل عليها حتى وافقه الجميع إلا واحداً ، وكان عند بدء عرضها لا يؤيده فيها غير واحد ..

وقبل أن أعقب على قرار المؤتمر أبسط الموضوع بعض البسط فأقول : إن الطريقة الطبيعية في تعلم اللغة هي سماع مفرداتها وتراكيبها والتمرن على محاكاتها بالتعبير على مثالها ، حتى تصبح القدرة على هذا التعبير ملكة يصدر عنها القلم واللسان ، أما القواعد فهي ضوابط يقصد منها التحرر من الخطأ في اللغة لا تعلم اللغة نفسها .

وقد وضعت القواعد أول ما وضعت لذلك الغرض ولكن المشتغلين بها تدرجوا فيها إلى أن صارت دراسة مقصودة لذاتها في العصور المتأخرة ، وهي العصور التي انحطت فيها اللغة وركت أساليبها ، ومن المشاهد المعروف أن النحويين على قدر ما برعوا في صناعة النحو لحقهم العجز والضعف في ملكة التعبير والبيان ، على خلاف البلغاء من الكتاب والشعراء الذين لم يحصلوا من تلك الصناعة إلا القدر الضروري لضبط ما يقولون ويكتبون .

وقد رأينا في عهد التعلم معلمين يتوكئون على الإعراب حتى في غير دروس القواعد ، فإذا عرض أحدهم لبيت من الشعر مثلا شغل بأوجه الإعراب في ألفاظه عن وجه الجمال السافر فيه ، وكان لنا أستاذ ألف كتاباً سماه « ترويق الجو بتحقيق لو » ثم كان من فضل الله أن ضاع منه أصل هذا الكتاب قبل أن يدفعه إلى الطبعة فراق الجو بفقده ولم يكن من المنتظر أن يروق بتحقيق لو .. وكم رأينا مدرسين يحولون دروس المطالعة والأدب إلى نحو وصرف لأنهما المجال الذي يحسنون الكلام فيه . وإن ناقشت هؤلاء في جدوى كثير من التفصيلات النحوية التي يخوضون فيها ، قالوا : إنها رياضة ذهنية . أوليس من العبث أن تنفق الجهود والأوقات في هذه الرياضة الذهنية العقيم ، في هذا العصر الذي تعددت حاجاته إلى أنواع المعرفة ؟

ولا تزال مناهج المدارس في اللغة العربية مثقلة بهذا النحو ، وخاصة في المدارس الابتدائية التي يبدأ فيها التلميذ تعرُّف اللغة العربية ، فالطفل في السنة الثانية مكلف أن يعرف الفاعل والمفعول به والمبتدأ والخبر ، ومطالب بتكوين جمل تشتمل على مضاف إليه خبر ، ومضاف مبتدأ ، ومنعوت مفعول به ... الخ ، وهو لم يتصور بعد هذه اللغة التي يطلب منه أن يحللها ويفهم مصطلحات قواعدها

ولا بد أن نذكر إلى جانب ذلك حقيقة بديهية مفهومة ، وهي أن اللغة العربية الفصيحة ليست لغة البيت والمجتمع الآن ، فلا بد إذن من ضوابط تعصم من الخطأ فيها ؛ ولنفرض أننا فرغنا من تصفية هذا الخليط من القواعد ومصطلحاتها وغربلته ، حتى حصلنا على القدر الميسر النافع منه ، فكيف ومتى يتعلمه الناشىء ؟ وهنا نصل إلى ما قرره مؤتمر مفتشى اللغة العربية ، وهو دراسة الأساليب واستخلاص القواعد منها ، وأقرر أولا أنه لا جدال في ضرورة الإكثار من المطالعة بأنواعها مع التشويق إليها والإكثار من التمرن على التعبير شفوياً وتحريرياً . ثم أسأل ما المقصود باستخلاص القواعد من الأساليب ؟ هل هو أن يبدأ بتعليم القواعد على طريقة الإتيان بأمثلة كثيرة واستنتاج القاعدة منها ؟ أو المقصود أن يترك الناشئ سنوات يسمع فيها اللغة ويقرؤها ويعالج التعبير بها ، بحيث يدركها إدراكا كلياً ، وبحيث يشعر بالحاجة إلى ضوابط لها ؟ وعند ذلك تنتهز فرصة تشوقه إلى

الضوابط ، فيعرّف بها بطريقة سهلة ميسرة ؟

أما الطريقـة الأولى فهى المتبعة الآن ، وهى طريقة لهوجة ، لأن التلميذ لا يكاد يبدأ فى تذوق اللغة حتى يصدم بالقاعدة والمصطلحات، والمأمول أن تمد المنـاهج الجديدة وفق الطريقة الثانية ليتحقق المنشود من دراسة الأساليب واكتساب ملـكة اللغة من نفس اللغـة .

(حلم ليلة) :

هو فلم « حلم ليلة » الذى عرض فى هذا الأسبوع لأول مرة بسينما أوبرا ، وهو من تأليف وإخراج « وجه جديد » فى الإخراج بمصر هو صـلاح بدرخان ، وبطلاه أيضاً وجهان جديدان هما وجيه بدرخان ونور الصباح ، واشـترك فى التمثيل من الممثلين المعروفين بشارة واكيم ومنسى فهمى.

آدم (بشارة واكيم) تاجر قماش شامى بمصر ، يحتال عليه امرأة من بنات البلد ، فتأخذ منه بضاعة وتغريه بأن يصحبها على أن تحضر له الثمن من زوجها الطبيب ، وتفلت منه فى عيادة الطبيب الذى ادعت أنه زوجها بعد أن أدخلت على الطبيب أن زوجها تاجر القماش مجنون ، فيفحصه ويدفع به إلى مستشفى المجانين ، ثم يهرب آدم من المستشفى ويعود ليستأنف عمله .

وفى أثناء ذلك يتوجه ابن أخته نبيل (وجيه بدرخان) إلى عيادة الطبيب ليخاطبه فى أمر خاله ، وهناك يسمع غناء ، فينظر من نافذة بسـور الحديقة ، فيرى بنت الطبيب نجاح (نور الصباح) تغنى ومعها فتيات يرقصن . ثم يدخل من الباب ويلتق بنجاح ويقول لها إنه موسيقار ، وقد سمع صـوتها فأعجب به ، فتستصحبه إلى ملعبهن فى الحديقة حيث يعزف لهن، وبعد ذلك يصير معلماً لها فى الموسيقى ، ويتبرم به رشاد ابن عم نجاح ، ويحـاول أن يحقره أمام نجاح فتنهره ، وينشأ حب بين نجاح ونبيل ، ويفاجئهما أبوها فى وضـع غرامى فيغضب ويطرد الموسـيقار العاشق . ويحاول رشاد أن يكسب ود نجـاح ويخطبهـا إلى أبيها ولـكنها تعرض عنه وترفض خطبته ، فيخرج ساخطاً ، ثم يلجأ إلى الانتقـام فيسرق خزانة عمه ويدب على ابنـة عمه ليلا ، ويحرض عليـه المجانين فى المستشفى فيعتدون عليه اعتداء يذهب ببصره ، ثم يختفى لدى قبيلة من الأعراب . ويتوجه نبيل هو وخاله إلى الطبيب ،

كشكول الأسبوع

◻ وافق مجلس الوزراء فى اجتماعه الأخير على أن ينشأ فى القاهرة معهد للدراسات العلمية الخاصة بالسودان باسم « معهد السودان » على أن يكون ملحقاً بجامعة فؤاد الأول مستقلا عن كلياتها ، ويكون طلابه من خريجى كليات الجامعة وما يعادلها .

◻ أصدر معالى وزير المعارف أمراً بتأليف لجنة يرأسها الأستاذ محمد شفيق غربال بك وكيل الوزارة ، لدراسة موضوع عقد مؤتمر لحضارات دول البحر الأبيض المتوسط باعتبارها أساس الحضارة الإنسانية . وأهم مشروعات هذا المؤتمر إنشاء معهد فى كل دولة من تلك الدول لدراسة حضارتها دراسة عالية .

◻ جاء فى بعض الأنباء أن القوات الأمريكية بألمانيا تحتفظ برأس نفرتيتى ولا تريد أن تعيده إلى مصر لأن الرئيس ترومن قد أغرم به ... وقد صب هذا الرأس لعنة الفراعنة على رأس هتلر ، فليحذر ترومان هذا الغرام !

◻ يقام بباريس فى سبتمبر القادم معرض « مصر — فرنسا » تعرض فيـه أعمال فنية مصرية ، وتعتزم مصلحة الآثار أن تبعث برأس أخناتون إلى هذا المعرض ، فهل نأمن الغرام الفرنسى على هذا الرأس ؟ أقترح على مصلحة الآثار المصرية أن تؤمن على كل تمثال مصرى ضد « الغرام » الأجنبي .

◻ مما نظر فيـه مؤتمر مفتشى اللغة العربية ، موضوع الإنتاج الأدبي للمدرسين ، وقد حـدده المؤتمر بأنه ما يضيفه المدرس — خارج النطاق المدرسى — إلى الإنتاج الأدبى العام ، ورأى أن يكون الإنتاج القيم من أسـباب ترقية صاحبه وتقديمه فى الوظائف الأدبية والثقافية .

◻ عهدت وزارة المعارف إلى الأسـتاذ زكى طليمات أن يقوم بدراسة فن الإخراج فى الهواء الطلق ، وهو الآن بإيطاليا يشتغل بهذه الدراسة . هذا وقد رفض أخيراً اعتماد إنشاء مسرح صيفى فى القاهرة ، فهل يطبق الأستاذ طليمات ذلك الفن — بعـد عودته — فى صحراء الإمام أو فوق تلال زينهم ؟

◻ لا يسعنى — بعد أن قرأت قصـيدة « طمأنينة السماء » للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان ، فى العدد الماضى من الرسالة — إلا أن أقول : إيه يا فدوى ! .

◻ يجتمع المؤتمر العام لهيئة اليونسكو بباريس فى التاسع عشر من شهر سبتمبر القادم ، ويستمر إلى أول أكتوبر الذى يليه . ومن المسائل المدرجة فى جدول أعماله مسألة مساعدة الفنية للبلاد التى لم تتوافر لها الأسباب لاستغلال مواردها .

◻ كتبت اليونسكو إلى وزارة المعارف تقترح إيفاد أحد الطلبة المصريين للتخصص فى دراسة الآثار والمتاحف والمسارح لمدة ستة أشهر بمتحف اللوفر بباريس على نفقة اليونسكو ، وذلك توكيداً لاتصال تلك الهيئة بثقافات الشرق الأوسط .

فيتوددان إليه ويخطب آدم نجاح لابن أخته نبيل فيرحب بهما أبوها الطبيب . ويجدُّ نبيل وخاله آدم فى البحث عن رشاد حتى يعثرا عليه فى البادية ، فيفر ويلحقان به ومعهما بعض الأعراب ، فيقتلونه ، ويعود نبيل بالنبأ إلى مخطوبته ووالدها الضرير الذى يسر ويضمهما إلى صدره ، ولا بد أن يعود إليه بصره فى هذا المنظر الأخير ...

والقصة كما تراها فارغة لا غاية لها ، وقد حشيت مناظر قصد بها الإضحاك ، ولكن المضحك حقاً هو نفس الحوادث الجدية فيها فمثلا هذا الشاب (نبيل) البطل المحبوب الذى يفترض فيه « النبل » يقف ليختلس النظر إلى عورات الناس من النوافذ . . وما يكاد يدخل حتى تلتقطه الفتاة وفى منتهى السرعة والسهولة يصير لهـا معلماً ويأتى أبوها تواً ويسأل عن هذا (الأفندى الغريب) ويوافق فى الحال !

ولا أدرى لماذا أباحت نجاح لنفسها أن تشتم ابن عمها وتهينه عند ما أراد أن يخطبها ولم تظهر لنا الحوادث قبل ذلك أن شيئاً بدر منه يستحق عليه هـذه الشتيمة التى لا تليق ببطلة الفلم ، والغريب أن ما ارتكبه من الحوادث يأتى بعـد ذلك ، فـكأنها كانت تؤنبه مقدماً ! وكان منظر دبيب رشاد إلى ابنة عمه داعياً إلى الاشمئزاز وكان يمكن أن ترتبط الحوادث دون الوقوع فى هذه الزلة . وكانت خاتمة الأضاحيك هى ختام القصة بذلك المنظر الذى عاد فيه البصر إلى الرجل لأنه سر بقتل ابن أخيه المجرم وزواج ابنته من حبيبها ، وهى طريقة فريدة فى علاج العمى واسـترداد النظر ، جديرة بأن يلتفت إليها أطباء العيون أو بأن يستغنى بها الناس عنهم .

وأخلص بعد ذلك إلى ثلاثة عناصر حشى بهـا الفلم بقصد التسلية والإمتاع أو قل لملء فراغه من القيمة الموضوعية ، تلك العناصر هى : روعة المناظر ، والحوادث المضحكة ، ثم الرقص والغناء . من الأولى منظر البدو فى الصحراء وعدو الخيل ومطاردة الفرسان ، عند ما عثر على الجانى هناك . ولا تدرى لم اختفى الجانى ولجأ إلى تلك القبيلة ولم يصدر أمر بالقبض عليه ولم يجر أى إجراء لمحاكمته ، ولـكن الرغبة فى عرض المنظر نفسه جملت الأعراب مكان الشرطة ، وجملت الموسـيقار الفنان يجيد الرماية ويطلق الرصاص على منافسه فى الحب فيرديه قتيلا !

واما المضحكات فقد أخذ لها فى الفلم بشاره وا كيم ومنسى فهمى ، ووضع الثانى فى موضـع رجل بخيل يقتر على زوجته ، فيحتال لها جارهما آدم (بشارة) ويمثل للرجل الأشباح والأرواح ليفزعه ويهدده إن لم يوسع على زوجته وإن لم يذهب إلى (آدم) ويعطيه مقداراً كبيراً من المال ، وهذه الحادثة مثل مما ربط إلى القصة من غير حاجتها إليه ليضحك ، ولـكنك ترى أنها أفسدت شخصية آدم إذ جملته محتالا على أخذ مال الغير وهو ليس شريراً فى القصة . ولم يكن بشارة وا كيم واضح الدعابة ولا خفيف الظل فى هذا الفلم ، ومن أسباب ذلك التواء لسانه وتـكلفه تقليد اللهجة الشامية . أما منسى فهمى فـكان متقناً لدوره ظريفاً إلى حد ما .

وتأتى بعد ذلك ثالثة الأثافى : الغناء والرقص ، وقد امتلأ الفلم بالغناء من البطلين نور الصباح ووجيه بدر خان ، وهو غناء متوسط الحال ، لا هو مطرب ولاهو مضحك ، ولـكن تكراره والإكثار من مواقفه والانهماك فيه ، بلغت به درجة الطرف الثانى . ولا أريد أن أسترسل فى وصف غناء هذين المطربين ، خشية أن تضمهما الإذاعة إلى مطربيها... وحسب الناس مايلقون من هؤلاء . والحق أن الوسيقى كانت جيدة .

ومن تممة مواقف الغناء والرقص أن آدم مر فى طريقه وهو هارب من المستشفى بعرس فيه راقصة ومغن ، فتفرج عليه ومضى فى طريقه .. ولم يكن لهذا العرس أية صلة بحوادث الفلم غير ذلك وهذه الراقصة هي الوحيدة التى ترقص فى الفلم على أصول الفن ، أما بقية المناظر الراقصة فهى اجتهادية فطرية ، وقد أوحى اهتزاز الفتيات اللائى يرقصن فى أحد المناظر إلى خيالى منظر (بلاليص) على عربة (كارو) تركت بلا ربط فراحت تمايل على صرير المجلتين ووقع حوافر الحمار .

والوجهان الجديدان صالحان للتقدم فى التمثيل ، ولـكن ينبغى ألا يعتمدا كثيراً على الغناء .

عباس خضر



المصريون في نظر أنفسهم :

دعينا لسماع محاضرة سنوية يلقيها الأستاذ مصطفى شاهين برحبة نادي فاروق الرياضي حيث تطل على شاطىء البحر ، ويحتشد فيها الجمع المثقف في جو ينعش الوجدان ، ويسحر العقل — مرة في كل عام — !

وكان موضوع المحاضرة « شائقاً — شائكاً » — على حد تعبير المحاضر — ، لكنه اقتدر على تقديم الأزاهير من بين الأشواك في بيان أخاذ جامع بين لغة الخاصة والتنزل إلى الأسلوب الدارج . ولقد أبان قسمة الأمم بتواضعها ، واعتزازها وغرورها ، موضحاً المفارقة بينها ونصيب مصر منها قائلا : إن المصري يعنف في الحكم على أمته مدفوعاً بتوثب طبيعة النقد لديه ؛ لكنه يسرف إلى حد إغفال حقه نحو وطنه ؛ فيرميه رميات كلها تسقط السقطات !

وقد عرّض بمن يدعون الثقافة ويمنون على الوطن أوضاع الحياة ، ويتخذون من الحوادث الفردية قاعدة عامة للسلوك الاجتماعي ويجعلون همهم الزراية عليه في أساليب غير مهذبة تحط بالكرامة الوطنية .

وألم إلى قول فولتير : « إن الشعور بالنقص أول درجات الكمال .. » وعقب على هذا القول بأنه يعنى به « الشعب الناقد الساخر لا ينقد نفسه لذات النقد بل لدافع قوى يحضه على الكمال . لكن هذا المعنى ليس ممثلا تمام التمثيل لدى الزارى المتنقص لوطنه ، لأنه يتخذ أسلوب نقده لتجاهل قيمته .

ثم استطرد المحاضر عارضاً خصائص تفكير الأمم في النقد معرضاً ببعضها على طريقته الساخرة ، وخلص من العرض إلى وجوب قيام معرفة النقص على ركنين أساسيين أولهما « الكرامة الوطنية » المقصود بها الاعتزاز بالوطن عند نقده ، وثانيهما « معرفة الواجب نحو الكمال » باتخاذ الأسباب المهيئة له .

ولقد سوغ حدة ثورة النقد بفترة الانتقال التي شبهها « ببكارة الفتاة ، ووثبة بلوغ الفتى » قاصداً عدم القصد في هذه النزوة ؛ فكأنه يبرر ما يبدو من نظر المصري لنفسه على الطريقة المسفة المسرفة ، لكنه يدفع هذا التبرير بوجوب « التوجيه » في أسلوب مقصود به الإصلاح في شتى مناحيه .

وكنا نود أن يلمع الأستاذ إلى نزوات بعض المبعوثين الذين يعدون التقاط بعض الثقافة الغربية « بعثاً » لهم بعد موت شرق !

فالعقول المستنيرة تغشيها غشاوات هؤلاء الضالين المترامين تحت أقدام الغرب وهم يضمون السم في الدسم استجابة لرغبة جامحة يقصد بها الخفض من رفعة وطنهم ملقاً لمظاهرة كاذبة ، وظواهر مخدوعة ! على أنا ننوه بقدرة المحاضر على الاستمالة ، وإبداعه في العرض وإخضاعه العبارات التي تستعصى على أفهام السواد . ونعتقد أن « الرُّوع » القلب أو الروح و « الرَّوع » الفزع ؛ فقد وردت مرات متعددة في المحاضرة على غير وضعها ، لكن هذا لن يغض من قيمة هذه المحاضرة القيمة التي يجب أن تكون نواة محاضرات متصلة بالوطنية المتلاقية مع الوعي القومي في حياتنا الماثلة !

بور سعيد — أحمد عبد اللطيف بدر

كلمة هادئة إلى المعقبين اللغويين :

في البريد الأدبي من العدد (٨٣٤) من الرسالة ، وقعت على كلمة موجزة تحت عنوان « تعقيب على تعقيبات » للأستاذ الفاضل محمد غنيم ... في هذه الكلمة ذهب الأستاذ غنيم إلى أن قولي « لم يكن يعرف » قول بين الخطأ ، وصواب الجملة حسب استعمالات العرب أن ترى على هذه الهيئة « لم يكن ليعرف » ، لأن كان المنفية بما ويكن المنفية بلم ، لا يرد بعدها الفعل المضارع إلا مسبوقاً باللام المؤكدة للنفي ويسمونها لام الجحود . وقد ورد القرآن الكريم بهذا الاستعمال ، قال تعالى : « لم يكن الله ليغفر لهم »

ولما كنت أعلم تمام العلم أن التعبير صحيح لا غبار عليه ، وإن كان المنفية بما ويكن المنفية بلم لا يتحتم ورود الفعل المضارع بعدهما مسبوقاً بتلك اللام ، لما كنت أعلم هذا فقد رحت أجمع للأستاذ كثيراً من الشواهد من القرآن والحديث وأدب العرب شعره ونثره ، ولكن ... ولكنني في الوقت الذي تأهبت فيه للرد كفاني الأستاذ مؤونة الرد ! لقد عاد الأستاذ غنيم في العدد الماضي من الرسالة فتطوع من تلقاء نفسه بتقديم الأدلة على صحة التعبير الذي خطأني في استعماله ، ولم ينس أن يستشهد ببعض الآيات من القرآن الكريم !

أود بهذه المناسبة أن أوجه كلمة هادئة إلى المعقبين اللغويين ، هي أن يتريثوا قبل أن يكتبوا ، وأن يحتشدوا لموضوعهم قبل أن يعقبوا ... لأن العجلة من الشيطان ، وما أغنى صاحبها عن الحرج الذي يدفع به آخر الأمر إلى ما يشبه الأسف والاعتذار !

أنور المعداوى

زوج وزوجة :

جاء في المصباح وشرح القاموس

قال أبو حاتم وأهل نجد يقولون في المرأة زوجة بالهاء . وأهل الحرم يتكلمون بها . وعكس ابن السكيت فقال وأهل الحجاز يقولون المرأة زوج بغير هاء ، وسائر العرب زوجة بالهاء وجمعها زوجات . والفقهاء يقتصرون في الاستعمال عليها (زوجة) للايضاح وخوف لبس الذكر بالأنثى إذ لو قيل : تركة أو فريضة فيها زوج وإن لم يعلم أذكر هو أم أنثى أه .

وجاء في لسان العرب

وبنو تميم يقولون هي زوجته وأبى الأصمعي فقال زوج لا غير ، واحتج بقول الله عز وجل : (اسكن أنت وزوجك الجنة) فقيل له نعم كذلك قال الله تعالى فهل قال عز وجل لا يقال زوجة ، وكانت من الأصمعي في هذا شدة وعسر أه .

من هذا يظهر أن جميع العرب يقولون زوجة ما عدا الحجازيين وعبروا بها في شعرهم ونثرهم كما أن العلماء ورجال الشرع يؤثرونها على زوج دفعا للاشتباه . وأرى أن نخصصها للمرأة ونخصص الزوج للرجل ، ولا سيما في لغة التخاطب .

علي حسن هلالي
بالمجمع اللغوى

يراعوا لا يراع :

علق الأستاذ السيد صقر في العدد ٨٣٣ على تعليق الأستاذ كرد على على البيت :

يراعوا إذا ما كان يوم كريهة وأسد إذا أكل الثريد فظاظ

فقال : والصواب يراعٌ لا يراعوا . وأقول للأستاذ الفاضل إن يراعوا هي الصواب وهي من الروع بمعنى الفزع قال قطرى بن الفجاءة :

أقول لها وقد طارت شعاعاً من الأبطال ويحك لن تراعى

ولو قرأ الأستاذ الفاضل هذه الأبيات لأدرك أن الكلام عن جماعة لا عن فرد ، وأن يراعاً بمعنى جبان لا تصدق على الجماعة إذ تأتي للمفرد فقط . قال في الأساس : « ومن المجاز قولهم للجبان الذي لا قلب له هو يراعة ويراعٌ قال ... فارسٌ في اللقاء غير يراع . كذلك خطأ الأستاذ « فيزين له الكأس » وأوجب تأنيث الفعل ونسي الأستاذ أن الكأس مجازية التأنيث يجوز معها تأنيث الفعل وتذكيره . وأخيراً للأستاذ الناقد تحياتي وإعجابي .

عمر إسماعيل منصور

من صميم العربية :

مما يجري على ألسنة العامة كثيراً حتى ليظن أنه عامي ، ولا يمت إلى الفصحى بسبب قولهم : « فلان يفك المشا كل » يعنون أنه يحل المعقد من الأمور ، وهو بهذا المعنى ورد في اللغة . ففي « تاج العروس » — وهو يفك المشا كل — الأمور الملتبسة — ج ٧ ، ص ٣٩٤ .

ومن هذا القبيل قولهم : « شكل فلان كذا ، ظريف أو جميل » يقصدون صورته — وبهذا ورد في اللغة في « اللسان » شكل الشيء صورته المحسوسة والمتوهمة .

من الأخطاء — أبحاث — والصواب — بحوث — يدور هذا الخطأ على ألسنة الخاصة ، ويرد في كتاباتهم مع أن القياس لا يجيزه ، وكتب اللغة لم تذكره .

« اللسان » اقتصر على ذكر البحوث جمعا — لبحث — ومثله — تاج العروس — و « الأساس ، ومحيط المحيط » والمختار ، والمصباح» لم يتعرضوا له . والغريب أن صاحب « أقرب الموارد » يذكره — ونص عبارته « البحث : طلب الشيء تحت التراب وغيره ، ج — أبحاث — ولنا أن نسأل : ما مصدره ؟

رياض عباس
دبلوم في التربية ، وعلم النفس

تصحيح :

في العدد الأخير من الرسالة وقع خطأ في ترقيم الصفحات فذكرنا بعد رقم ١٠٩٩ رقم ٢٠٠٠ وكان اللازم ١١٠٠ .



اللهجات العربية (*)

للدكتور ابراهيم أنيس
الأستاذ المساعد بدار العلوم

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

ما من شك أن أستاذنا الدكتور أنيس قد بذل مجهوداً عظيما فى كتابه اللهجات العربية ، وحاول مشكوراً تطبيق ما تخصص فيه من علم الأصوات الحديث على ما ورد إلينا من اللهجات العربية وسيجد القارئ تبويباً مرتباً وتسلسلاً مرتبطاً فى عرض واضح لفكرته التى يسوقها وهو يكاد يقنعنا بموافقته على آرائه وقد أبدع فى أغلب فصول كتابه الستة ودل — كما نعهده — على علم فياض

وإذا جاز أن تكون العادات والتقاليد فى جميع العالم خاضعة لناموس واحد ، جاز لنا أن نقهر جميع اللهجات العربية على الخضوع لما استنتجه الأوربيون من دراستهم للهجاتهم وأصواتهم ولكن ما أحسب أن العوامل التى أثرت فى التقاليد الإنجليزية مثلاً تتفق مع العوامل التى أثرت فى التقاليد العربية تمام الاتفاق فليست البيئة كالبيئة وكذلك فى اللغة ليست الحروف فى أكثرها كالحروف وإذا كانت نظرية الطب أن سوء التغذية مثلاً يسبب ضعفاً عاماً فليس كل ضعف عام فى الطب يرجع إلى سوء التغذية ولكن الظاهرة التى نلحظها فى كتاب أستاذنا هى وجوب إخضاع اللهجات العربية بدون قيد ولا شرط لما قرره علم الأصوات الحديث فإذا وجدنا بعد البحث أن كثيراً من الظاهرات العربية فى لهجاتها غير منطبق على ما قرره طعنّا فى رواية الرواة مهما بلغت من القوة .

فى رأيى أن هذا الاتجاه غير مستقيم ، فليس من العدل أن أفرض النظريات فرضاً ، وإنما العدل أن أدرس وأستقصى ثم أحاول استخلاص قواعد غالبية غير مكتف بمثل أو بضعة أمثلة . لكنه كما قدمت جعل نظريات علم الأصوات الحديث قضايا مسلمة تنطبق على اللهجات العربية تمام الانطباق ، مع أن النظريات الهندسية لا ينطبق فيها كل مثلثين إلا إذا تساوى فى الفرض ضلعان والزاوية المحصورة بينهما أو زاويتان وضلع . كما أن الطب إذا وجد أعراضاً حاول أن يطبق عليها علمه السابق فإذا وجد فيها نوعاً من المغايرة بحث عن الأسباب ودرسها لا أنه ينكرها أو يخضعها بالقوة لمعلوماته .

أول ما يطالعك كتاب اللهجات العربية فى مقدمته ويتكرر فى ص ٣٢ : « ولسنا نعلم مؤلفاً من علماء العربية على وفرتهم واهتمامهم بكل دقائق الدراسة اللغوية عنى باللهجات العربية عناية خاصة فأفرد لها كتاباً مستقلاً » لو أنه قال لم يصلنا مما ألفه علماء العربية كتاب مستقل باللهجات لكان محقاً لكن إنكاره عليهم العناية باللهجات العربية حكم جائر ، ولقد رجعت إلى كلمة كتبتها فى كراساتى[1] من زمن فوجدتنى كتبت منها ما يأتى : وليس إفراد كتاب فى لغات العرب بالأمر المستحدث ، فقديماً كتبت فى هذا الموضوع مصنفات أفردها أعلام العربية بالتأليف ، وأول من أفرد كتاباً فى لغات العرب هو يونس بن حبيب ونسج على منواله الأصمعى وأبو زيد الأنصارى وأبو عبيدة وجرى على نهجهم أبو عمر الشيبانى والفراء ثم ابن دريد وغيره ، إلا أن أيام الشقاء فى بغداد والعراق التى جلبها المغول إليها كانت أشد شقاء على العلم والأدب فعبثت أيديهم بما أنتجته القرائح الفذة وأتت على مجهود كثير من العلماء الأعلام ، فلا يوجد بين أيدينا — فيما أعلم — كتاب ينفرد بلغات العرب ، وقد قرأ هذه الكلمة أستاذنا المرحوم الجارم بك أيام أن كان عميداً بالنيابة لدار العلوم منذ ثمانية أعوام ، وفيها بخطه لفظان بالقلم الأحمر عدلها . أرجو أن يراجع الدكتور تراجم من قدمتهم وغيرهم فى كتاب ابن خلكان ومعجم الأدباء ، وسيجد أنهم عنوا باللهجات العربية عناية خاصة وأفردوا لها كتباً مستقلة ، ولكنها مع الأسف لم تصلنا ، وقد تكون مختفية فى ثنايا مكتبات العالم تنتظر من يخرجها .

فى ص ٤٢ « ولكن الذى قد يدعو إلى الدهشة أن قراءة

(*) ١٨٤ صفحة طبع بمطبعة الرسالة

(١) أردت بها أن تكون مقدمة لكتاب لى عن اللهجات جامع لها

أبي عمرو وتلميذه يعقوب لم تنتصر للامالة إلا فى مواضع خاصة نصت عليها كتب القراءات ، ولعل الصراع العلمى الذى كان بين الكوفة والبصرة هو الذى دعا إلى أن تتخذ البصرة طريق الفتح فى معظم المواضع حتى لا تشبه الكوفة فى إمالتها » ...

حقيقة أن يعقوب لم ينتصر للامالة إلا فى مواضع خاصة ، أما أبو عمرو فهو من الذين انتصروا للامالة ومن المكثرين فيها — براجع اتحاف البشر — غاية ما فى الأمر أن الإمالة قسمان كبرى وهى التى تسمى الاضجاع والبطح ، ومتوسطة وتسمى التقليل والتلطيف ، وأبو عمرو يميل إمالة كبرى تارة ويميل إمالة متوسطة مرة أخرى ، ولكنه على كل حال من القراء المكثرين فى الإمالة ، أما أن الصراع العلمى الخ ففيه نظر حيث إن القراءة سنة متبعة تؤخذ بالتلقى والرواية لا بالتشهى والهوى ، وقد يخالف القارئ من حوله لتلقيه عن شيوخ آخرين متأثراً بما تلقاه عنهم ، ولهذا لم يكن من الغريب أن عاصماً خالف الكوفيين فى إمالتهم لأنه قال لحفص : ما كان من القراءة التى أقرأتك بها فهى القراءة التى قرأت بها على أبى عبد الرحمن السلمى عن علىّ . والقراءة التى أقرأتها أبا بكر بن عياش هى القراءة التى كنت أعرضها على زر بن حبيش عن ابن مسعود .

فى ص ٤٦ « فى مثل الفعلين باع ، وقال يظهر أنه قد أتى عليهما حين من الدهر كان ينطق بهما بيْعَ وقوْلَ بفتح فسكون ثم تطور الصوت الأول « ai » إلى « e » والصوت الثانى « aw » إلى « o » ثم تطور إلى « a » أى أن فتحة باء الكلمة فى الفعل الأول قد أميلت إلى الكسرة وفى الفعل الثانى قد أميلت إلى الضمة — وحقه أن يقول فخمت لأن هذا هو الاصطلاح كما فى النشر وكتاب سيبويه ومفصل الزمخشرى — ثم تطورت الإمالة إلى الفتح باع وقال » .

أين الدليل على أنه أتى عليهما حين من الدهر كان ينطق بهما بيْعَ وقوْلَ مع أن الأفعال الماضية الصحيحة وهى الأكثر متحركة الوسط ويقاس على وزنها الأجوف ولِمَ لَمْ تكن مثلا من أول أمرها قال وباع والطفل يقول بابا وماما من أول الأمر وهل اللفظ الإنجليزى made كان أصله مثلا maid ثم تطور فصار made وأنه ينتظر تطوره إلى mad التى تعنى آخر محافظاً على معناه وهل لفظة sad مثلا كانت said ثم تطورت إلى sàde ثم صار أخيراً sad حيث يقول لنا فى ص٤٧ تلك هى المراحل التى تبررها القوانين الصوتية ، وهل لفظة home كانت haim ثم تطورت إلى home وستصير مستقبلا ham وأرجو ألا يحتج على بمثل write وماضيها wrote لأن الأول مضارع والثانى ماض ، وإلا فهمت أن الأول كان يستعمل الماضى أولاً ، ومع ذلك فهل سيصير مستقبلا rat بالمعنى الأصلى لا المعنى الحالى ، ثم ما قوله فى الشعر الآتى :

ليت وهل ينفع شيئاً ليت ليت شبابا بوع فاشتريت

و : حوكت على نيرين إذ تحاك تختبط الشوك ولا تشاك

فى ص ٥٢ « ثم قسموا الإدغام إلى كبير وهو الذى فيه يفصل بين الصوتين الساكنين صوت لين قصير « أى حركة » وقد نسب الإدغام إلى أبى عمرو بن العلاء ، وهذا النوع من الإدغام يتطلب عمليات صوتية معقدة قبل أن يتحقق .. أما النوع الثانى للادغام عند القراء فهو الإدغام الصغير وفيه يتجاوز الصوتان الساكنان دون فاصل من أصوات اللين وهو الذى شاع فى معظم اللغات لأن شرط تأثر صوت بآخر هو التقاؤهما التقاءاً مباشراً »

أما أن الإدغام الكبير يتطلب عمليات صوتية معقدة قبل أن يتحقق ففيه نظر لأنه لا فرق بين الصغير والكبير إلا أن الكبير يكون فيه المثلان أو المتجانسان أو المتقاربان متحركين مثل : لذهب بسمعهم و يشفع عنده . والصغير يكون أولهما ساكناً مثل : اضرب بعصاك واذهب بكتابى ، أما شروط تأثر صوت بآخر هو التقاؤهما التقاءاً مباشراً ففيه نظر أيضاً لأن كلمة سراط ومسيطر وباسط وغيرها تأثرت السين بالطاء فقلبت صاداً أو أشمت فقرئ صراط ومصيطر وباصط الخ وقرئ بعضها بالإشمام وكلها قراءات صحيحة مسموعة وليس الالتقاء فيها مباشراً بل فصلت بينها أصوات ساكنة وأصوات لينة .

ص ٥٧ « على أنه قد روى أيضاً أن بعضاً من تميم يقلبون الهمزة الساكنة إلى صوت لين من جنس حركة ما قبلها فيقولون فى رأس وبئر وشؤم على الترتيب راس وبير وشوم » .

لقد نقل هذا الخطأ عن حفنى ناصف بك فليس هناك كتاب ينسب إلى تميم أو بعضها تسهيل الهمزة ، لأن التميميين أحرص العرب على النبر وذلك بإجماع كتب اللغة ، فمن أين جاء به وكيف تجمع القبيلة بين متناقضين ؟ وقد يجاب أن أبا عمرو التيمى كان يسهل كثيراً من الهمز فى قراءته ولكن الجواب قد قدمته فى مقالى المنشور بالرسالة فى العدد ٨١٣ عن أبى عمرو وهو أنه تأثر بشيوخه الحجازيين وهم أكثر من أخذ عنهم ، وكانت نشأة أبى عمرو الأولى فى مكة والحجاز .

ص ٦٣ ذكر ما اختلفت فيه القبائل من جهة الإعراب

وأورد .. ليس الطيب إلا المسك وما الحجازية وإن النافية وكم الخبرية — مع ملاحظة أنه وضع علامة استفهام بعد أمثلة كم الخبرية ولعله سهو — ولعل والجر بها ومتى .. الخ ثم قال فى ص ٦٥ «والحق أن هذا النوع من الاختلاف الإعرابى لا يمت للهجات العربية بصلة ، وإنما هو من صناعة النحاة حين اشتد الجدل بينهم فلم تكن لهجات الكلام عند القبائل تلتزم الإعراب على الصورة التى رويت لنا فى كتب النحاة ، وإنما التزم الإعراب على تلك الصورة فى اللغة الأدبية التى نزل بها القرآن الكريم ونظم الشعر» ثم قال فى ص ٦٦ «وإلا فكيف يتصور من الناحية الصوتية أن لساناً يعجز عن نصب خبر ما أو نصب اسم لعل أو جر تمييز كم الخبرية »

ونحن قد نسلم أولا — جدلا — أن هذا من صنع النحاة فكيف رضى فى صفحة ٦٩ ، ٧٣ ، ٧٤ أن يعتبر صنع النحاة يمت للهجات العربية حين يقول إن القبائل البدوية تميل بوجه عام إلى الضم واستشهد له ص ٧٣ بورود : ياأيهُ الناس ونحن الذون صبحوا الصباحا وأن بنى تميم يعربون أمس . فكيف تصورنا هنا أن لساناً عجز عن ياأيها الناس ونحن الذين وبناء أمس على الكسر أم أننا حين نقرر نظرية ننكر وحين نقرر نظرية أخرى نثبت ؟ ومع ذلك فإن هذه الاختلافات الإعرابية التى نسبها إلى صنع النحاة قد جاءت فى القراءات والشعر ، فقد قرأ ابن مسعود : ما هذا بشر ، وقرئ فى رواية المفضل عن عاصم : ما هن أمهاتهم بالرفع . وورد فى الشعر :

لعل أبى المغوار منك قريب متى لجج خضر لهن نئيج

فلا معنى لأن نكذبهم فى كثير ونصدقهم فى قليل بدون مبرر

ص ٧٠ « القبائل البدوية تميل إلى الأصوات الشديدة فى حين أن أهل المدن المتحضرة يميلون إلى رخاوة تلك الأصوات الشديدة بوجه عام ، فالباء والتاء والدال والكاف وغيرها من الأصوات الشديدة قد نسمعها فى أفواه المتحضرين : فاء . سيناً . زاياً . شيناً . على الترتيب » أما أنا فأعترف أننى لم أسمع أحداً من المتحضرين يفعل ذلك ، ولعلنا سنسمع فى المستقبل من ينطق جملة : بركت دابتك هكذا : فرشس زافسيسن ، وجملة بنيت بيتى عندكم هكذا : فنيس فيسى عنزشم ، وحينئذ ننتقل بالتحضير إلى الرطانة.. أما إذا كان قصده بالتاء الثاء وبالدال الذال وحدث خطأ مطبعى فأقول أيضاً إن الثاء حالياً تنطق تاء توب . تلاتة . تور . تعبان .. الخ والذال تنطق دالا : دهب . ديب . ديل .. الخ ومع ذلك تبقى الباء والكاف فنسمع جملة بنئتك ما فى ذا كرتى هكذا فستتش ما فى زاشرتى .

ص ٨٦ « أجمع الرواة على نسبة صفة خاصة لقبائل ربيعة سموها أحياناً بالكشكشة وحيناً آخر بالكسكسة ... ثم قال ونحن حين ننظر إلى هذه الروايات على ضوء القوانين الصوتية نستطيع أن نستخلص أموراً :

١ — أن الكسكسة بالسين لا وجود لها فى اللهجات العربية

٢ — أن الكشكشة مقيدة بكاف مكسورة ..

٣ — ليست الكشكشة مقيدة بحالة الوقف .

٤ — لا بد فى الكشكشة أن تحل الشين محل الكاف .

٥ — أن ما خيل للقدماء أنه شين ليس شيناً خالصة — وأراد حرف « تش ch » ثم يقول وهذا الصوت هو نفس ما سمعه القدماء فى تلك الظاهرة ، ثم نقل حفنى ناصف أن لهجة بلدتى شرويدة وزنكلون وما حولهما من مديرية الشرقية يجعلون الكاف كالشين فى مثل الكلمتين : كلب وكتاب . ثم يقول : « وعلى هذا فلا شك أن أهل شرويدة وزنكلون ينطقون بكلمة كلب على أنها مكسورة الكاف ... »

إن أغلب الرواة والكتب القديمة والحديثة يقرنون الكشكشة بالكسكسة ولا يفردونهما . واختلافهم إنما هو فى نسبة كل منهما إلى القبيلة — انظر الصاحبى والقاموس وشرحه ولسان العرب والصحاح وكافية ابن الحاجب والأشمونى وخزانة الأدب — وليس كل منهما قد نسبه معظم الرواة إلى قبيلة واحدة فقد نسب إلى تميم وإلى أسد ، وإلى هوازن من قيس ، وإلى بكر من ربيعة وإلى مضر عموماً شاملة تميماً وقيساً وأسداً ، وإلى ربيعة عموماً شاملة بكراً وتغلب . ومن مجموع هذه الروايات يتبين أن الكشكشة والكسكسة موجودتان . على أن الدكتور أنيس فى قسم المترادفات ص ١٤٥ ذكر أنه قام بجمع عشرات من الكلمات مع ذكر العلاقة الصوتية بينها ، ومما ذكره ص ١٥٢ تحت اختلاف المخرج : الرعس والرعش . والنبس والنبش . الخ » كما أننا نجد كثيراً من الأطفال وبعض الكبار يجعلون الشين سيناً . فإنكار الكسكسة ليس له ما يبرره بل يجب أن ندرسه . أما أن الكشكشة مقيدة بكاف مكسورة وإلزام أن يكون أهالى شرويدة وزنكلون وما حولها من مديرية الشرقية ينطقون بكلمة كلب على أنها مكسورة الكاف فهو إلزام بدون ملزم إذ ليس من ذكرهم يكسرون الكاف فى كلب ولا كون ، ولم يقل ذلك من نقل عنه مع أنه نقل كسر أول المضارع فى موضوع آخر تحت

ملاحظة أخرى . على أن اللهجات العامية فيما كان على وزن فِعال وفُعال بضم الأول أو كسره كـكتاب وحصان وبساط وغراب وصداع يسكنون فاء الكلمة فيقولون كْتاب وغْراب وذلك البدء بالساكن موجود فى اللغات الأخرى Flag bràss كما أن حرف تش ch ينطق فى كثير مفتوحاً « charm chap chânt chaff char » . والرواة لم يقيدوا الكشكشة بحالة الوقف ، بل قالوا من الناس من يجرى الوصل مجرى الوقف ورووا فمبناش عيناها ولبيش اللهم لبيش ، وعلى فيها ابتق ايفيش . الخ ما رواه الدكتور نفسه فى صفحات ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٠ ، أما ما استخلصه تحت رقم ٤ فيناقضه ما هو منتشر فى اللهجات العامية الآن — ولندع قول القدامى فإنه يناقضه أيضاً — من أنهم يلحقون شيئاً آخر الكلام فى النفى والاستفهام التقريرى سواء كانت هناك كاف أم لم تكن فى وصل الكلام ووقفه فيقولون يافلان ما تلعبش وماقابلتكش وسافرش فلان ؟ ونحن وإن كنا نستطيع إرجاع الشين فى بعض الأحوال — ما عدا الاستفهام وما آخره كاف خطاب — إلى لفظة شئ مثل ما تلعبش أصلها لا تلعب شيئاً ، ثم ضاعت الحركة الإعرابية والتنوين بفعل العامة فصارت : ما تلعبشى أو ما تلعبش ، إلا أننا لا يمكن أن نرجعها فى مثل : سافرش فلان ؟ وماسمعتكش تتكلم إذ لا يؤدى المعنى المقصود قولك أسافرشئ فلان ؟ وما سمعتك شيئاً تتكلم إلا بتكلف وتجوز بعيد ، ولهذا نرجع أمثال ذلك إلى التوسع فى لهجة ربيعة ومضر . وعلى كل حال فهنا صوت آخر اتصل بصوت سابق .

ص ١٢٨ « كل لهجة من اللهجات أو مجموعة منها قد التزمت اشتقاق المضارع من الماضى الثلاثى على هيئة خاصة ولا تشذ عنها إلا فى النادر » .

ولقد كتبت فى الرسالة فى العدد ٨٠٥ مبيناً خطأ ذلك ولا داعى لتكراره على أننا فى لهجاتنا العامة لا نسير على نظام واحد فى اشتقاقنا نقول يكتب ويرسم وينسج ... الخ بكسر الثالث ونقول يرطن وينتر ... الخ بضم الثالث ويحلم ويلعب .. الخ بفتح الثالث وكل هذا مما له أوزان فى الفصحى قد توافق العامة وقد لا توافقها . أما الإمالة والتسهيل ونحوها فذلك من العادة اللغوية التى لا تشذ عنها الجماعة المرتبطة والبيئة المتفقة .

ص ١٣٩ « روى أن أبا هريرة لم يعرف المقصود من لفظة السكين لأنها فى لهجته تسمى المدية ثم قال : ولعل هذه الحادثة كانت قبل نزول القرآن الكريم بلفظ السكين فى سورة يوسف » ولو أنه اكتفى بالمثل دون التعليل لكان أحسن لأن أبا هريرة أسلم سنة سبع من الهجرة وسورة يوسف نزلت قبل الهجرة ولو قال قبل سماعه سورة يوسف لكان أدق .

ص ١٤٠ ذكر أن رجلا ذهب إلى أحد ملوك اليمن فأطلع إلى سطح والملك عليه فلما رآه الملك اختبره فقال له ثب ... الخ ولست أدرى سبب زيادة « اختبره » لأن القصة وسؤال الملك ما شأنه وإجابة الحاضرين وقول الملك ليست عربيتنا كعربيتهم تنفى أنه اختبره .

ص ١٦٧ « لمت الشىء بمعنى كتبته فى لهجة عقيل وبمعنى محوته عند قبائل قيس » مع أن عقيلا من قبائل قيس ولو قال عند بقية قبائل قيس لكان أفضل .

لقد أعجبنى كل الإعجاب تحليله فى الإمالة ووصوله فى ص ٤٧ ، ٤٨ إلى أن الكلمات التى أصلها يائى تكون الإمالة فيها هى الأصل ويكون الفتح تطوراً والحجازيون قد قطعوا مرحلة فى تطور لهجتهم . وإن الإمالة لأجل الحركة فى مثل كتاب وهى التى كان سببها الكسرة للانسجام بين أصوات اللين يكون أصلها الفتح وتكون الإمالة تطوراً إلى مرحلة الانسجام . وكنت أنتظر أن يحكم بعد هذا بأن الحجازيين يميلون الألف لأجل الكسرة لأن النظرية التى قررها سليمة وهى نظرية السهولة والاقتصاد فى الجهد العضلى تتجه إليها القبائل المتحضرة ولكنه لم يسعفه الدليل فقال ص ٦٩ « أما حين تكون الإمالة نتيجة انسجام بين أصوات اللين كما فى إمالة نحو كتاب فتلك صفة اختصت بها القبائل البدوية وقد سبقت فيها القبائل المتحضرة » ولو رجع إلى الهمع مثلا لوجد النظرية صحيحة إذ نص على أن الحجازيين يميلون الألف لأجل الكسرة . ولاستغنى عما قاله ص ٦٩ فناقض به نظريته الصحيحة .

إنى أكتفى بهذا القدر وأعتقد مع ذلك أن كتاب اللهجات العربية قيم فى أبحاثه جيد فى عرض موضوعاته وإنى إذ أنقد كتاب أستاذى فإنما أعطى حق العلم أيضاً ولكل إنسان رأيه وبخاصة أنه كتاب نشر على الناس وأصبح من حق الجميع فإما كنت على حق فيعاد النظر فيما نقدته وإما كنت مخطئاً أو لم أفهم بعد فيردنى المؤلف والقراء مع رجائى ألا يكون علم الأصوات الحديث هو كل شىء فى الرد وبخاصة ما استنبط بمقارنة السنسكريتية باللاتينية واليونانية مع التعليل المعقول لما عارضت به .

عبد الستار أحمد فراج
محرر بالمجمع اللغوى

مطبعة الرسالة



العدد ٨٣٨ — الاثنين ٢٥ يوليو ١٩٤٩ — السنه السابعه عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٣٠٧

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 ème Année No. 838

Lundi — 25 — 7 — 1949

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٣٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٣٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ رمضان سنة ١٣٦٨ — ٢٥ يوليو سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

١٢ - أمم حائرة

العـــدل

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

وزير مصر المفوض بالمملكة السعودية

إذا اجتمعت النفس بالإيمان، وقويت واستنارت، وارتقت إلى عالم المعانى، وأنست بالمعانى الجميلة العامة، وأحسّت الوئام والسلام، ونفرت من النزاع والخلاف، وانطلقت من حدود الأهواء والشهوات والرغبة والرهبة والعصبية، وعلت على الزمان والمكان — حينئذ تؤهل للحق والخير والجمال والعدل والإحسان

وإذا أهلت النفس للعدل. وسكنت إليه وآثرته كانت أهلا لأداء الأمانة التى قال فيها القرآن:

(إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبينَ أن يحملنها وأشفقنَ منها وحملها الإنسان).

وكانت أهلا لخلافة الله فى الأرض، أى القيام بعدله بين خلقه، وجهدت للارتقاء إلى منزلة العدل، العدل المطلق، فى الرغبة والرهبة، والمنشط والمكره، والرضا والغضب، ومع القريب والبعيد، والعدو والصديق، فى كل حين وعلى كل حال.

العدل الذى قال فيه القرآن:

(يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط، ولا يَجرمنّكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقربُ للتقوى)

وقال: (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين)

فتجعل النفس هذا العدل قصدها وغايتها، وأملها ومُنيتها، وتسير إليه دائبة، وتعمل له جاهدة، حتى تبلغه أو تقاربه، أو تبقى راغبة فيه، سائرة إليه على قدر الطاقة، حتى تبلغ أو تقارب أو تنقطع دونه وقد سارت إليه مراحل، وضربت فى طريقها أمثالا وخلّفت فيه آثاراً.

بهذا العدل قامت السموات والأرض، واستقامت الخليقة، واتسقت أمور الأمم.

(والسماء رفعها ووضع الميزان، ألاّ تطغوْا فى الميزان، وأقيموا الوزنَ بالقسط ولا تُخسِروا الميزان)

فإذا عدل الواحد فيما بينه وبين الناس، وعدلت الجماعات فيما بينها، والتزمت العدل وآثرته ومرنت عليه ودأبت، زال البغى والعدوان والظلم والطغيان، وكل ماينمّ إلى هذه المعانى، مما هو خَلل فى النظام، وميل فى الميزان وحَيْد عن الائتلاف والوئام، ونزوع إلى الاضطراب والخصام.

وإذا زال التنافر والتنازع والتغابن فى صورها الكثيرة، وأحوالها المختلفة، وغلبت قوانين العدل العامة المؤلّفة الجامعة، وأخذ الوحدان والجماعات بالحق وأعطت به، وصرِّفت صغار

الأمور وكبارها بالعدل ، ائتلفت الأعمال ، وانقلب البغض حباً ، والاختلاف ائتلافاً ، والخصام وداً ، والتنازع تعاوناً ، والتقاطع تعاضداً .

تمثّل الوحدان والجماعات ، وقد أخذ كل حقه وأعطى حق غيره ، وتعاونت الألسن والأيدى والقلوب على خير البشر وسعادة الناس ، وتحول هذا الجهد الدائب والعمل الناصب فى تدريب الجند ، وإعداد السلاح ، وتدبير خطط القتال ، للتسلط والغصب والجور ، إلى اجتهاد فى إسعاد الناس دون تفريق بين شرقى وغربى وأسود وأبيض . وانقلبت مصانع الدمار وآلات البوار مصانع للعمران وآلات لرغد العيش ، وجلب الرفاهية للناس ودفع الشر ومغالبة الفقر والمرض وما يتصل بهما من بؤس وتعاسة .

تمثل هذا ثم اعجب لهذه الإنسانية الضالة ، والبشرية الشقية تملأ الأرض والسماء عداء وقتالا ، وتشغل بالقتال والإعداد له عن خيرها وسعادتها ، ثم تحاول بعد كل معركة غسل الدماء ، وضمد الجراح ، ودفع البؤس غير آلية فى الإعداد للمعركة الأخرى .

ولن يستقيم للناس العمل للخير والشر والسعادة والشقاء معاً ، لن يستقيم العمل للحرب والسلم ، والسعى للعمران والدماء سواء ؛ فإما عملوا للخير خالصاً والسعادة ، وإما عملوا للشر والتعاسة . يرجون النجاة ولا يسلكون مسالكها ، ويقصدون الخير ولا يسيرون على نهجه !

(ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم . ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) .

(ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السموات والأرض) .

* * *

كل هذا القلق وهذا الشقاء مما حاد الناس عن العدل .

إن آفة الناس فى البغى والعدوان ، وشقاءهم فى الأثرة والعصبية التى تحيد بهم عن العدل ، وتنأى بهم عن التحاب والتعاون .

* * *

وإذا تعامل الناس بالعدل بينهم ، وضعفت الأثرة أو امحت فى نفوسهم ، ارتقوا من بعدُ درجات إلى الفضل فى المعاملة ، والإيثار فيما بينهم . ووراء هذا درجات من السعادة لا تنتهى .

يرى كثير من الناس أن هذا خيال أو حلم ، وأن الناس لن يتعاملوا بالعدل مقيداً أو مطلقاً ، ولن يكفوا عن العدوان والبغى . ولست أذهب مذهبهم .

ففى وجدان الإنسان خير ، وفيه نزوع إلى الحق والعدل إذا أوقظت فى نفسه دواعى الخير بالدعوة الصالحة ، والأسوة الحسنة ، وإذا أحيط من العلم والعمل بما يعظم رغبته فى الخير ، ويصدوفه عن الشر وينبه معانى الحق والعدل فى وجدانه .

وإن كانت درجات العدل التى ندعو إليها أرفع من العامة ، وأعلى من الدهماء ، فليس بعيداً أن يستجيب لها فى كل أمة طائفة من أولى العقل والعلم . وإذا قامت فى كل أمة أئمة تدعو إلى العدل ونبغ فيها قادة تسير عليه وتعمل به وصرّفوا الأمور بالعدل المطلق وأخذوا الناس به طوعاً وكرهاً عمّت الأسوة ، وسكن الناس إليها وغلب العدل فى قلوب الناس وأعمالهم ، واستقرت عليه الأمور ، وشاعت به المحبة والسلام ...

(للكلام صلة)

عبد الوهاب عزام

مصطفى كمال الزعيم التركى

بقلم الكونت سفورزا وزير خارجية إيطاليا

للأســـتاذ أحمد رمزى بك

(تتمــة)

وددت كثيراً لو أن ما رأيته فى المؤتمر الذى عقد بلندرة فى فبراير سنة ١٩٢١ كان كافياً ليكشف الغطاء عن أنظار أولئك السياسيين الذين أبوا أن يصغوا لأى نصيحة فيتبينوا الحقائق .

حضر إلى هذا المؤتمر وفدان تركيان ..

الأول يمثل تركيا الرسمية حكومة السلطان المعترف بها وعلى رأسه توفيق باشا ، وهو رجل طاعن فى السن محترم من الجميع تولى الصدارة العظمى عدة مرات .

والثانى وفد حكومة أنقرة يرأسه وزير خارجيتها بكير سامى بك . وقد رفضت الحكومة البريطانية استقباله حتى لا يؤخذ هذا منها بأنه اعتراف رسمى بحكومة الكماليين .

ولكن كم كانت دهشة المفوضين الأوربيين الذين كانوا يؤملون رؤية أعضاء الوفدين تفرق بينهم الكراهية والبغضاء أن يجدوهم فى تآلف تام جالسين على نفس المقاعد .

وكم كان تعجبهم لدى رؤية ذلك الشيخ الوقور توفيق باشا يقف بما له من حق الرياسة على المندوبين الترك ليعطى الكلمة لبكير سامى بك رئيس وفد أنقرة الذى تكلم بالنيابة عن الوفدين

وقد أدرك بكير سامى بك قيمة النصائح التى أسداها إليه المسيو بريان رئيس الوفد الفرنسى والتى أبديتها من جهتى بالتمسك بخطة معتدلة وقدر ما يمكن أن تكسبه قضية بلاده إذا أظهر أنه أكثر رغبة من المفوضين اليونان فى قبول رأى هيئة تحكيم منصفة .

وبنـاء عن هذه الخطة تم قبول اقتراح التحكيم ومشروع إجراء التحقيق الدولى فى آسيا الصغرى .

وكان هذا القرار على جانب عظيم من الأهمية السياسية لما قد يأتى به من النتائج الحاسمة ولأن فى قبول دول إنجلترة وفرنسا وإيطاليا إجراء تحقيق فى الأناضول اعترافاً ضمنياً من واضعى معاهدة سيفر، انهم لم يحسنوا استقاء المعلومات الحقيقية فبنوا عملهم فى سياستهم الشرقية على مبادئ غير مستقيمة مع الواقع .

ولم يكن لدى الزعيم التركى ما يحمله على التشدد ، لأن كل المظاهر تدل على أنه قد اقترب من الحصول على صلح يصح أن يقبل .

* * *

ولكن لم تمض ثلاثة شهور على هذا حتى انهار كل البناء لأن حكومة أثينا رفضت الاعتراف بقرارات لجنة التحقيق ولجأت إلى تحكيم القوة .

فكانت هزائمهم لسنة ١٩٢١ التى أعقبت توغلهم فى الداخل وانتهت بتراجعهم إلى خط أفيون قره حصار وكوتاهية حيث وقفوا سنة بطولها ينتظرون ، ذلك لأن الزعيم التركى أراد لهم هذا — وقد يكون المرء فى تريثه وإمهاله لخصمه أكثر شجاعة منه فى مبادرته بالهجوم ومناجزته لعدوه .

وهكذا تحفزبهم سنة بطولها حتى أتم عدته ثم قضى عليهم بضربة كانت الأخيرة .

لأنه فى ٢٦ أغسطس سنة ١٩٢٢ هاجم أفيون قره حصار؛ وفى اليوم التالى أتم فتح الثغرة فى قلب الجيش اليونانى ، فأصدر القائد العام الجنرال تريكوبيس أمراً بالتراجع انتهى بتمزيق الجيش كله ووقوع القائد نفسه أسيراً فى يدى مفرزة من الفرسان الأتراك ، وكان ختام المعارك احتلال أزمير التى دخلها الترك بعد مضى أسبوع واحد على اختراقهم الجبهة .

أعقب ذلك ضياع الملك من يدى قسطنطين ثم اجتماع مندوبى إنجلترة وفرنسا وإيطاليا فى ١١ أكتوبر سنة ١٩٢٢ ليوقفوا الحركات العدائية بهدنة مودانية التى اختتمت بعقدها أربع سنوات مملوءة بالأوهام والأخطاء ، والتى أرجعت لحكومة أنقرة استانبول وتراقيا الشرقية وأدخلت جيشهم إلى أوربا منتصراً تحت قيادة مصطفى كمال الذى فكر بعض عمال بريطانيا عند بدء الاحتلال فى نفيه إلى مالطة .

* * *

وليس الغرض من سياق هذا الحديث والدخول فى التفاصيل أن أشرح حوادث كنت شاهداً لها وعاملاً فيها بطبيعة المراكز التى شغلتها كمندوب سام لإيطاليا فى الشرق أو وزيراً للخارجية الإيطالية فى روما أو سفير لإيطاليا فى باريس وقت عقد هدنة مودانيا ، وإنما قصدت أن أشير فى هذه التفاصيل إلى الأسباب الخارجية الحقيقية التى سببت نجاح الزعيم التركى وساعدته على الوصول إلى هذه النتيجة .

* * *

لقد حكم الزعيم التركى بلاده منذ ذلك التاريخ كدكتاتور ، وأظهر رغبة وحماساً شديدين للتجديد والتبديل متجهاً بكليته نحو أوربا بشكل جعل مفكرى الغرب ينظرون إلى هذه التغييرات بغير النظرة التى كان ينتظرها منهم ، لأن أغلبها مظهرى ، ثم هى ثانوية بجانب الأعمال الضرورية الأخرى ولم تقتصر نتيجتها على إهمال التقاليد الإسلامية التى طالما استمد منها الشعب التركى قوته وجلده فى القرون الماضية .

والخطأ العظيم الذى ارتكبه الزعيم فى عمله الإصلاحى هو محاولة الجرى بسرعة لم يجرؤ عليها المصلحون الذين تقدموه ، ولا يبعد أن تكون وسائل الاتصال الحديثة من السكك الحديدية وغيرها وما طرأ على العالم بعد الحرب العظمى قد أثرت فيه وجعلته يعتقد أن فكرة التقريب بين شعوب تختلف اختلافاً كلياً فى الأفكار والعواطف أصبحت أمراً سهلا مستطاعاً فى الوقت الحاضر .

ولكن هذه الإصلاحات الغربية مهما تشعبت وكثرت فلن تكون فى يوم ما إلا دوراً ثانوياً بجانب العمل الكبير الذى قام به الزعيم كمنظم وموجد للقوة العسكرية التى كونها من العدم فى بلاده ، ثم كمحرك لعوامل الدفاع والجهاد بين قومه ، وسيبقى اسمه كجندى ورجل من رجال الحرب يذكره التاريخ دائماً مقروناً بالحركة العظيمة التى كان على رأسها .

وقد امتاز مصطفى كمال فى كل أدوار حركته الاستقلالية بتيقظه وضبطه لنفسه وطول أناته ؛ وكان فى أشد الأوقات وأعصبها مالكا لحواسه شديد الحذر فى تصرفاته بقدر ما كان سريع الإقدام والتنفيذ فى إصلاحاته وتغييره الطربوش وأخذه بالقبعة .

ولطالما دفعه أنصاره — وفريق منهم يبطن الكيد له — إلى التعجل . فكان يأبى إلا أن يصبر الشهور الطوال وهو لا يبدى نشاطاً للقتال ، بل يجمع قواته ويزيد فى معدات جيشه ، ويزن الأمور حتى يتأكد من أن كل عوامل النجاح فى صفه ، ثم يوجه ضربته الأخيرة . وما إن يقذف بقواته حتى يرى أعوانه أن ذلك التباطؤ الذى طالما أخذوه عليه قد انقلب إلى دفعة ومناجزة للخصم قوية يسيرها نشاط دائم منظم لا يوقفه عائق حتى يقذف بالأعداء إلى البحر .

والذى يدهش له الإنسان أن هذه الصفات التى ملكها الزعيم التركى لم تغادره وهو فى أعلى قمة مجده وعلى رأسه أكاليل النصر وطوع أمره جيش يترنح بنشوة الظفر — لأنه غداة المعارك التى اكتسبها تلاقت طلائع جيشه أمام غاليبولى بقوات بريطانية تحاول منعه من العبور إلى الشاطىء الأوربى إذ قرر لويد جرج ساعتئذ أن يوقف سيل الجيش المنتصر أمام المنطقة المحايدة للمضايق ، ومعنى هذا قيام حرب جديدة .

وكان رئيس وزراء بريطانيا مصمما على هذا الرأى على رغم مخالفة فرنسا وإيطاليا له ، بل وقبل أن يستشير رؤساء وزارات الممتلكات البريطانية الحرة — الدومنيون — قبل قذفه بالأمبراطورية فى غمار حرب جديدة ، وهذه غلطة أخذها عليه السياسيون الإنجليز لمخالفتها لنصوص نظام تكوين أمبراطوريتهم .

ولكن الزعيم التركى فاز بصبره عليه إذ عرف كيف يتجنب خطر ذلك الموقف الزلق ، وكيف يدرأ عن بلاده مصيبة حرب جديدة ، وقدر على نفسه وهو فى قمة مجده وبيده مقاليد رجال طوع إشارته ، فردها عن سراب الأطماع وأخضع نفسه لإرادته

ويلذ لى هنا ذكر ما كتبه تشرشل وهو الواضع مع لويد جورج أساس السياسة التى اتبعتها بريطانيا فى الشرق الأدنى والمسئول معه عن نتائجها وإن كان كاتبها لم يقدر تماماً ما كان للزعيم التركى من فضل فى حقنه للدماء وإيقافه اشتمال حرب جديدة مع دولة أوربية بعد أربع سنوات من انتهاء الحرب العظمى قال . .

« وجه كمال كل مجهوده إلى الغرض الأساسى الذى أمامه والذى كان من السهل الوصول إليه واستعمل قوات الفرسان

التى كانت تحمى جناحيه ليظهر قوته أمام الإنجليز المحتلين لجناق — ولكنه أصدر لضباطه تعليمات صريحة شديدة ليتحاشوا القيام بأى مظهر عدائى، وأن يكون تقدمهم بطريقة ودية. ولم يتغير تصرفهم هذا أمام كل الظروف التى اعترضتهم، بل ذهبوا إلى إظهار التآخى بطلب بعض المهمات والأشياء التى يحصل تبادلها بين قوات متحابة معسكرة فى مكان واحد — وبهذا أمنت كل القوات البريطانية التى كانت محتلة للمضيق فى الوقت الذى كان الخطر محدقاً فيه باستانبول التى لم يكن من اختصاص بريطانيا الدفاع عنها .

* * *

لقد عرفت عن كثب أنور باشا وهو قائد من رجال الحرب نبغ من بين أحرار الأتراك ، وكان عاملا من أول الحركة التى أشعلتها جمعية الاتحاد والترقى ، ثم قائداً فى حرب طرابلس ضد إيطاليا ، وأخيراً فى الحرب البلقانية .

ولم أر اليأس قط متغلباً على أنور حتى فى أشد الأوقات محنة حينما كان البلقانيون على خطوط تشا طلجة ، ولكن مزاياه الخلقية والفكرية كانت تتضاءل أمام حبه للمباهاة بنفسه وخيلائه .

ولذلك قصر عن تملك القدرة على النظر بدقة إلى الأمور وتفهم الأشياء على طريقة كمال الذى يتبع خطة للعمل يقرن فيها الإقدام المتناهى مع الصبر والتأنى الطويل ويعرف كيف يُعلى على نفسه وهو قائم بحرك الجيوش على جبهة القتال — وهذا هو سر نجاحه —

وهذا دليل على أن الروح العسكرية القديمة التى كانت لدى العثمانيين القدماء ومكنتهم من تدويخ أوربا ومقارعتهم لها وهم تحت أسوار فينا قد عادت وتقمصت فيه .

ولكن المهمة السياسية التى ألقيت على عاتق هؤلاء كانت سهلة ليست مستعصية كالتى تلقاها خلفهم فى القرن العشرين لأنهم دخلوا أوربا منتصرين واحتلوا بلاداً وأقطاراً شاسعة وكان من حقهم إهمال من يعيش فيها ما دامت القوة فى جانبهم

إنى أصرف النظر كما ذكرت فى السابق عن موضوع إصلاحاته الغربية التى أعدها من قبيل عمل المسيطرين النواة التشبيبين بطريقة بطرس الأكبر — وأعود إلى سياسته التى أوجدها لنفسه أمام الظروف القاسية التى وجد فيها بلاده ، تلك السياسة التى أملاها بحزم ، وقصر نفسه عليها من المبدأ إلى النهاية ثم داوم على اتباعها مخالفاً بذلك تقاليد الدكتاتوريين الذين قبله وما يعمله دكتاتوريو هذا العصر .

لأن كلا منهم فى حاجة إلى اتباع سياسة مظهرية ترمى إلى إدخال الهيبة فى نفوس العامة ، وفى حاجة إلى إشغال الشعوب التى فقدت حريتها بشئ من المجد .

وأرى مصطفى كمال الأول من هذا النوع من الناس الذى أوتى من الشجاعة الأدبية ما جعله يقرر من أول الأمر أن يقصر نفسه عن هذه المظاهر الفخرية — ثم أن يداوم على حرمان نفسه وعدم إشغال أمته بمثل هذا بعد انتصاره وقد بلغ من الأمر منتهاه . فكثيراً ما هددت الدولة العثمانية بخلافتها وبإعلانها الجهاد رغبة منها فى الظهور بمظهر الدولة ذات السياسة العالمية وإن كانت تمثل الرجعية والتقهقر بأجلى مظاهرها . وجاء مصطفى كمال فكان أول من تحقق من أن مصلحة تركيا تقضى بتنازلها عن أى نفوذ أو سلطة خارج حدودها القومية ، ولذلك وضع نصب عينيه أن يتحاشى إشغالها بأى عمل يشتم منه الرغبة فى مغامرات خارجية فوق طاقتها .

وقد عاينت ذلك بنفسى فى الشهور الأولى من عام ١٩١٩ حينما كنت باستانبول وتيقنت من أن الزعيم التركى قد عزم على اتباع هذه السياسة الإيجابية التى تؤدى حتما إلى استقلال فعلى حقيقى لتركيا .

وكان قد لجأ إلى بروسة فى تلك الأيام السيد أحمد السنوسى الزعيم الدينى المشهور فى برقة حينما أيقن من ضياع آماله فى إخراج الإيطاليين من بلاده . ولما كنت مقتنعاً بأن السياسة العملية الوحيدة لتوطيد الأمن والسلام فى ربوع المستعمرتين الإيطاليتين تتلخص فى إعطاء الأهالى الوطنيين شيئاً من الحكم الذاتى الواسع النطاق ، لم أتردد لحظة واحدة فى قبول المفاتحات التى عرضها على أصدقاء السيد السنوسى باستانبول ، وفعلا دخلت معه فى محادثات طويلة على الطريقة المتادة للشرقيين انتهت به إلى فهم وتقدير مشروع اتفاق مع الحكومة الإيطالية يعطى للسيد سلطة متسعة فى الداخل على شرط أن يعترف نهائياً بسيادة إيطاليا على بلاده وأن يعطى المواثيق بتشجيع ومساعدة المصالح الاقتصادية والسياسية فى بقية الجهات الواقعة تحت حكم إيطاليا مباشرة فى طرابلس وبرقة .

وقد عقد فعلا وزير المستعمرات الإيطالية السنيور لويجى

طرائف من العصر المملوكي :

الشكوى فى شعر ابن نباتة

للأستاذ محمود رزق سليم

لا ريب أن البشرية غايتها السعادة ؛ فهى تسعى إليها أفراداً وجماعات ، وتطرق كل باب يؤدى إليها ، وكل سبيل تفضى نحوها . — وقد اختلف الناس — ولا يزالون مختلفين — فى كنه السعادة وفى الوسائل المؤدية إليها . ولكن — ليت شعرى — أيكون البؤس مظهراً من مظاهر السعادة ، أو يكون وسيلة من وسائلها ؟ نتساءل ، لأن النفوس مختلفة الطباع ، متباينة الاتجاه . ومن الناس من يجد لذته فى شقائه ، وسعادته فى بؤسه . إذ خلقت نفسه ذات طبيعة قلقة حائرة تنشد الهدوء ، حتى إذا وجدته نفرت منه ، وعاودت سعيها إليه . وتطلب الرضا ، حتى إذ ظفرت به ونعمت بأسبابه ، قطعت مابينها وبينه ، ثم شاقها الحنين للبحث عنه . هذه نفوس من طراز خاص توسع فى آمالها ما أفسح لها الخيال ، وتمعن فى سبيلها ما بدا لها السعى . حتى إذا وصلت إلى أمل جددت أملا ؛ وإذا ما انتهت من سعى عاودت سعيا . لأن غايتها فى السعى نفسه ، لافى عاقبته . ولأن إربتها فى البحث ذاته ، لا فى نهايته . فهى أبدا فى عمل دائب وهم ناصب . وهى لقلقها الذى فطرت عليه ، وحيرتها التى خلقت بها ، لا تستريح إلى طريق فى الحياة ممهدة معبدة ، لا أمت فيها ولا عوج . ولا تطيب لها السبل ، إذا امتلأت جنباتها بالورود والأزاهير . بل تفضل منها المعقدة الملتوية المجدبة ، على السهلة المستقيمة المخصبة . وتختار المشقة على اليسر ، وتؤثر التعب على الراحة . كل ذلك لا ليقال : مجيدة بلغت السيادة بجدها وجهادها ، ولا ليقال : فريدة حازت السعادة بكدها وجلادها ، بل لكى تلائم بين هذه المشقات وبين طبيعتها ، وما فيها من قلق وحيرة . ولكى تجد فيها من الأسباب ما ترتل عليه شكواها وتوقع أنينها . فهى مطبوعة على حب الشكوى ، تجيدها وتجد فيها راحتها ، ومفطورة على

رومى على أساس هذه المحادثات اتفاقاً حكيما جنت منه إيطاليا ثمرات عديدة حتى جاءت الحكومة الفاشية فضربت به عرض الحائط ، لأنها وجدت فى المستعمرتين ميداناً واسعاً لاستغلال منشوراتها وتقاريرها عن انتصاراتها الحربية التى يتضح للمتأمل عبث القيام بها بجانب ما تتكلفه من التكاليف والخسائر .

ولم يكن منتظراً بقاء مثل هذه المحادثات فى طى الخفاء ونحن فى جو استانبول لأنها سرعان ما تنتقل إلى علم أنصار مصطفى كمال وقد يعملون على إحباطها ، ولذلك رأيت من المصلحة إبلاغه عنها فجاءنى منه الرد الآتى :

« كان علة شقائنا وسقوطنا محاولاتنا المحافظة على سيادة تركيا على الأقطار العربية فنحن لا نريد أن نسمع من الآن شيئاً عن ذلك ، والسنوسى حر فى أن يفاوضكم على ما يرغب وأن تتفقوا معه على ما تريدون » .

ولقد زادنى هذا الرد القاطع المقرون بالصراحة اعتقاداً فى أننا على وشك أن نلمس عصر إحياء جديد فى النفس التركية — ووصل مصطفى كمال إلى أوج ما ينشد من المجد والسلطة فلم يغير من خطته هذه — وهو موقف يستدعى الإعجاب والتقدير وهو نادر فى نفس الوقت

لقد عرف من البداية أن الدولة العثمانية بلاد متأخرة تقع بين أوربا وآسيا ، وأن تركيا إذا اقتصرت على توجيه قواها إلى استغلال آسيا الصغرى أمكنها تحت نظامها الجديد أن تصير عامل حضارة وتقدم ، وقد يأتى يوم تلعب فيه دوراً مهماً تجاه آسيا الوسطى .

وهنا يظهر عمله الإنشائى الحقيقى الذى أتمه بحنكة وشجاعة وإن بقى مجهولا لدى الكثيرين بجانب ما يتحدث الناس به من إصلاحاته الثانوية فى تغيير الحروف وفرض القبعة .

وإنه لمن المشرف له أن يشاد بعمله هذا وأن يقال إن هذا الزعيم وصل من بين الدكتاتوريين أن يجنى ثمار نجاحه بحق ، لأنه أقدم على ما لم يقدم عليه غيره ، وعرف كيف ينظر شزراً إلى مخلفات سياسة المجد الكاذب التى كانت تتبعها الحكومة العثمانية السابقة والتى لم يكن لها غرض إلا ما تحدثه من الضجيج الفارغ والضوضاء الكاذبة ...

أحمد رمزى

الأنين تحبه ، وتستشعر خلاله طمأنينتها . وهى لا تستطيع الجد فلا تجأر به ، ولا تستسيغ الرضا فلا تهدأ إليه . ولو راحت تحمد وترضى ، ما استطاعت ذلك إلا متكلفة مجهودة ، ومتعبة مكدودة .

هذه نفوس من طراز خاص كما أشرنا . وتأبى الأقدار إلا أن تهيء لها كل العوامل التى تنضج فيها هذا الفن من فنون الحياة فتلقى فى طريقها الأشواك ، وتبث الشراك ، حتى يكثر عثارها ، ويتكرر نفارها . وهى — فى الحق — راضية فى قرارتها ، هانئة فى أعماقها ؛ لأن ما تصنعه لها الأقدار يتلاءم مع سجيتها ، وينسجم مع طبيعتها . وهكذا تبدو بائسة يكاد يأكلها البؤس ، ونحسة يكاد يطويها النحس . فتفر بقلقها من دار إلى دار ، ومن سبيل إلى أخرى . تنشد ما تزعم من سعادة وعزاء ، شاكية آنة ، بائة حانة . حتى إذا ما ظفرت نفرت وإذا وصلت فصلت . ولم تستطب هذا الاستقرار ، ولا ما هيأه لها من سعادة ، ولا مادعاها إليه من لهج بالحمد والثناء .

تتجاذبنا هذه الخواطر كلما جلسنا إلى ديوان ابن نباتة الشاعر المصرى الكبير ، لنقرأ طرفاً من أبياته ؛ إذ نرى فيها شاعراً بادى القلق ظاهر البؤس ، كثير الشكاية . وتلك سمة واضحة فى شعره ، وفى مراحل حياته .

كان جمال الدين بن نباتة «٦٨٦ هـ — ٧٦٨ هـ» أمير شعراء مصر فى جيله غير منازع . وهب الله له نفساً أديبة خصيبة ، وخيالا واسعاً رحيبا ، ولساناً طيعا ، ومنطقاً مصوراً بارعاً . فهام لذلك فى أودية الشعر ، وطرق الجم من فنونه . وحق له أن يفخر بقوله :

فما الدر إلا دون نظم أصوغه   وما القصر إلا دون بيت أشيده

ويقول :

من مبلغ العرب عن شعرى ودولته   أن ابن عباد باق وابن زيدونا

ظن ابن نباتة ، وقد طاع له من القول عصيه ، ودان له من الشعر أبيه ، أن من حقه على الزمن أن يسعده لا يجحده ، وأن ينعمه لا يشقيه ، وأن يهيىء له من أسباب الرضا ما تقر له عينه ، وتطيب به نفسه ، حتى يستبق جهده ، لفنه وحده لا تشغله عنه شواغل الحياة ، ولا تقعده دونه هموم الرزق .

ظن ابن نباتة ذلك ، ولم يعلم أن الزمان قد استحال ، وأن الدهر قد تغير ، وأن دولا ذهبت ، وجاءت على أنقاضها دول . وأن الملوك قد استعجمت بل والشعوب ، وذهبت أيام الرواج للشعر ، وطويت بسط الإنشاء ، وانفض سامره ، وقضى عهد التكسب ، وقبضت يد العطاء عن الشعراء ، وأقفلت فى وجوههم جنات النعيم .

هذه حقيقة فطن لها انداده من شعراء عصره فلووا جيدهم وانصرفوا عن التكسب بالشعر إلى التكسب بغيره . فكان منهم العالم الفقيه ، أو الكاتب المنشىء ، أو التاجر المتنقل ، أو المحترف الصانع . والتمسوا الرزق بالوظيفة فى القضاء أو الكتابة فى الدواوين ، أو التجارة والصناعة . ورفهوا عن أنفسهم بين الفينة والفينة بأبيات من الشعر ينظمونها فى حاجاتهم النفسية . ولم يسلموا مصيرهم إلى يد الشعر ، يستمطر لهم الرزق من الملوك وأشباه الملوك ، كما كان أسلافهم فى عهد بنى أمية ، وعهد بنى العباس — حتى بدا لبعضهم أن يحمل على صناعة الشعر ، ويفضل عليها صناعته الدنيا التى يقتات منها . ويعلل لذلك فيحسن التعليل ، ويورى فيجيد التورية . وقد قال أبو الحسين الجزار «٦٧٩ هـ» :

كيف لا أشكر الجزارة ما عشت حفاظاً وأرفض الآدابا
وبها صارت الكلاب ترجينى وبالشعر كنت أرجو الكلابا

أما ابن نباتة ، فقد صمم على أن يعيش لفنه ، لا تلهيه عنه تجارة أو بيع ... ظانا أنه سيدر عليه من الذهب النضار ، ومن الفضة النثار . فانساق إلى مهواة التكسب حتى أدركته حرفة الأدب ، ولحقه كساد الشعر وبواره . ولم يجن من وراء ذلك إلا القلق والبؤس وصار كما يقول عن نفسه وهو بدمشق ، متذكراً ما مضى من أيامه :

شهور وصل كساعات قد انقرضت   بمن أحب وأعوام كأيام
ولت كأنى منها كنت فى سنة   ثم انبرت لى أيام كأعوام
مقلقلا بيد الأيام مضطربا   كأنما استقسمت منى بأزلام
قد حرمت حالتى طيب الحياة بها   كأن طيب حياتى طيب إحرام
هى المقادير لا تنفك مقدمة   وللحجا خطرات ذات إحجام

وهذه حالة لا مفر منها ، مادام قد طرق أبوابها ، وسلك رحابها . وماظنك بمتكسب فى غير سوق ، وسادر دون وثوق . يترك بابا ليقرع بابا ، ويهجر مقصوداً لييمم شطر مقصود . هذا يعطيه وذاك يمنعه ، وهذا يهب له وذاك يدفعه . وهو ما بين هذا وذاك ساخط على من حرمه وقلاه ، شاك فيمن منحه وأعطاه . هذه — لعمرك — حياة المتبطل الكسول الذى لم يلبس لبوس عصره ، ولم يرتد مسوح زمانه . يقول :

يا سائلى بدمشق عن أحوالى قف واستمع عن سيرة البطال
ودع استماع تغزلى وتعشقى ماذا زمان العشق والأغزال
طول النهار لباب ذا من باب ذا أسعى لعمر أبيك سعى ظلال

ويقول منها :

أترى الزمان يميننى بولاية أحمى بها وجهى عن التسآل
زحل يقارن حاجتى وقد انحنى ظهرى من الهم انحناء الدال

لم تهتم المقادير بإجابة ابن نباتة إلى سؤله ، بل ادخرت له فى جعابها أقسى ما ادخرت لإنسان . وحفظت له فى قرابها أحد ما أرهفته لامرئ . وهى تعلم — بلا ريب — خبيآت نفسه ومغيبات حسه . فادخرت له ما ادخرت ، وأرهفت ما أرهفت لملاءمته لها . وبذلك وحده ، ينبغ أدبه ، وينبغ فنه ، ويصبح شاعر البؤس والشكوى . وما كل بائس يلتئم مع بؤسه فى أعماق نفسه . أما ابن نباتة فقد نعم بهذا البؤس ، لأن نفسه وجدت فيه معيناً لشكاياتها حتى خلقت لتجيدها وتحسن القول فيها . لهذا جاء شعره ترجماناً صادقاً عن مطوى نفسه ، ولساناً معبراً عن مذخور حسه . وصارت الشكوى فى خلال أبياته ، على اختلاف منازعها ، اللون الأصيل ، واللحن المشترك ، الذى لا تتم ألوان القصيدة أو أنغامها إلا به . يقول وقد عجل إليه المشيب :

عجبت خلتى لو خط مشيبى فى أوان الصبا وغير عجيب
من يعم فى بحار همى يظهر زبد فوق فرعه الغربيب
من يحارب حوادث الدهر يخفى لون فوديه فى غبار الحروب
أى فرع جون على عنت الأ يام يبقى وأى غصن رطيب
لو همى ماء معطفى من اللـ ين لأفنته مهجتى بلهيب

ونعتقد أن ابن نباتة ، كان فى مقدوره أن ينجو بنفسه بعيداً عن نحسه ، وأن يجنبها مشاق الحياة ووعثاء العيش بالارتزاق بإحدى الطرق المألوفة فى زمانه ، وأيسرها عليه الكتابة فى ديوان الإنشاء . ونعتقد أنه لو سعى جاداً إلى الوظيفة لظفر بها . فهو لا يقل باعاً ولا يقصر ذراعا عن رؤساء هذا الديوان ، إن لم يكن فى الإنشاء أحفل منهم وأفضل . ولا ندرى ما نعلل به حرمانه من وظائف الديوان — وما خلقت إلا لأمثاله — إلا وثوقه من شعره واعتقاده أنه سيكون سبيله إلى الغنى والثراء والعيش الكريم ، وإلا خوفه مما فى الديوان من قيود ونظم لا تتلاءم مع قلقه وحبه للتنقل . ولعل استحواذ جملة من أدباء العصر — أمثال العلاء بن الأثير ، وأبناء فضل الله العمرى — على قلب الناصر سلطان مصر حينذاك ، كان فى جملة أسباب حرمانه ، وتأبى وظائف الديوان عليه .

على أن ابن نباتة كانت لأبيه ثروة ما بدمشق وبمصر ، وكان يمينه بشىء منها بين الآن والآن . فلما مات أبوه بدد ما ورث فى مسارح اللهو ومطارح الهوى ومغامرات الشباب ، وأنفق وأسرف ، وبذر وأتلف ، كأنما وعده القدر أن يهىء له الأمل الجديد فى المستقبل السعيد . ولكن القدر ضحك منه ملء شدقيه وأسلمه للحاجة تأزمه ، وللفاقة لا ترحمه .

هذه أمور كان لها أثر فى ابتئاسه وشكواه . ويأبى الدهر إلا أن يضاعف له فى هذه الأسباب كلما تراخت الأيام وتطاولت عليه الليالى .

فقد ابتلى بالزواج الباكر . والزواج الباكر نعمة وعصمة ، لولا مسئولياته الضخمة وأعباؤه الثقال . ولوكان ابن نباتة فى بحبوحة من العيش ، وسعة من النعمة ، لما أرهقه الزواج وآده . وقد كان شاعراً . والشاعر تطن الأحداث فى دنياه الباطنة طنيناً مضاعفاً . وكانت أوتار نفسه تجيد ألحان الشكوى ، فوجدت فى أحداثه ما يحسن التوقيع عليها .

لقد ولد له نحو ستة عشر وليداً . والأبناء عزة وقوة وزينة ، إلا مع الفاقة ، فإنهم ذلة ومجبنة ومذمة ... هكذا جرى العرف بين الناس . يقول ابن نباتة :

لقد أصبحت ذا عمر عجيب أقضى فيه بالأنكاد وقتى
من الأولاد خمس حول أم فوا حرباه من خمس وست

ويقول :

كنت فى الشعر جواداً يحرز السبق بلمحه
فثنـاني العسر والأو لاد لا أملك فسحه
كل ابن لى وبنت كشكال لى وسبحه
وزناد القول لا يسـمح فى وجهى بقدحه

وتأبى الأقدار مرة أخرى إلا أن تتخذ من هؤلاء الأبناء هدفاً تقذفه فيه وتصميه منه . فقد كان أبناؤه يموتون واحداً إثر واحد إذا بلغوا الثامنة أو نحوها . فتكررت فجيعته فى كل واحد منهم يوم ميلاده ويوم وفاته ... بكاهم وأودع فى رثائهم ما فى قلب الأب من وله ولوعة ، ومافى صدره من زفرة ، وفى عينه من دمعة ورثاء الأبناء من أمر ضروب الشكوى . يقول الشاعر فى رثاء ولده عبد الرحيم .

أسكنت قلبي لحدك لا خير فى العيش بعدك
يسـيل أحمر دمى لما تذكرت خدك
وقدّ بالهم قلـبي لما تذكرت قدّك
يا سائل الدمع إيه فما أجـوّز ردك
أقصـدتنى يا زمانى كأننى كنت قصدك
وكان ما خفت منه فاجهد الآن جهدك ... الخ

نبا بابن نباتة المقام بمصر ، فنزح إلى دمشق ولقى وزراءها أبناء فضل الله العمرى ، ووجد من لدنهم شيئاً من الخير والبر أطلق لسانه مادحاً مشيداً بذكرهم ، حتى قال :

من مبـلغ الأهلين عنى أننى
بدمشق عدت لطيب عيشى الأرغد
وأمنت من نار الخطوب ولفحها لما لجأت إلى الجناب الأحمدى

ويقول شهاب الدين بن فضل الله :

نظرت أبا العباس نظرة باسم لحال امرئ كاد الزمان يبيده
فأحييته بعد الردى وأقمته وقدطال من تحت التراب هموده

ولكننا لا ندرى بالضبط ما الذى نفره من دمشق فزايلها إلى حماة ، إلا ما كان فى نفسه وطبيعته من حب التنقل ، وكراهة الاستقرار . ولعل أريحية المؤيد صاحب حماة ، جاذبته عصا تسياره ورحل أسفاره . وهناك فى حماة وجد طمأنينة وبلهنية ، ورفاهة ونعيما ، وصحبة كريمة . وظفر منه المؤيد وابنه الأفضل ، لقاء ذلك ، بأعطر ما تطمع فيه الملوك من القصيد . قال يذكر لقاء المؤيد له ويمدحه :

زمن الأنس قائم بالتهـانى ونوال الملك المؤيد يسرى
ملك باهر المكارم يروى وجه لقياه عن عطاء وبشر
زرت أبوابه فقرب شخصى ومحـا عسرتى ونوه ذكرى
ونحا لى من المكارم نحواً صاننى عن لقاء زيد وعمرو الخ

غير أن الزمان تجهم له فى حماة . ولعل ذلك بسبب وفاة المؤيد ثم زوال الأفضل ، فعاد إلى دمشق يطرق أبواب وزرائها مرة أخرى ، فأدخله ابن فضل الله فى ديوان الرسائل . وهكذا نال فى شفق حياته ما حرمه وعز عليه فى ضحاها . وضج لسانه بشكر ابن فضل حيث يقول :

بلغتنى يا ابن فضل الله مطّلباً لم أرجه من بنى الدنيا ولم أخل
وقد سموت لديوان الرسائل فى على ادكارك لا كتبى ولا رسلى

غير أنه ابتلى حينذاك بتأخر مرتبه ، وانقطاع هبات علاء الدين بن فضل الله وتغير قلبه عليه . وكان ذلك مثاراً لشكاية ابن نباتة فمدح علاء الدين مدحاً امتزج فيه العتاب واللوم، والاعتذار والشكوى، والأمل والرجاء . فمن ذلك قوله :

أمولاى قد غنى بمدحى لك الورى
وسارت به الركبان فى السهل والوعر

إلى أن قال :

على أن عندى كأس شكوى أديرها
على السـمع ممزوجاً بعدمى الغمر
أيكسر حالى بالجفاء وطالما تعودت من نعماك عاطفة الجبر
ويدفعنى عن قوت يومى معشر وأنت عليهم نافذ النهى والأمر
ولو كان ذنب لاعترفت به ولا تحيلت فى عذر ولاجئت من غفر

ويقول له :

يا صاحب الذيل من لفـظ وفضل علا
هل أنت مصغ لما تمليه أسمالى
عاثت يد الدهر فى يومى وقد بليت أضعاف ما بليت بالهم أقوالى

وقد تكررت هذه المعانى منه فى أبيات كثيرة . ومما زاد فى

آلامه حينذاك أن اشتد به الحنين والشوق إلى بقية أبنائه ممن تركهم بمصر ، وكأنما أبقاهم بها وسيلة ميسورة لقلقه وهمه وشكواه . يقول :

صب بمصر حيث أولاده بالشام يذرى الدمع مصبوبا
ذو كبد حرى وهم بعضها فالكل يشكو الشوق ألهوبا

ويقول :

ياساكنى مصر تبت للفراق يد قد صيرت بعدكم حزنى أبالهب

ويقول فى سياق مرثيته للتقى السبكى يتشوق إلى مصر ويصف قلبه الموزع :

من لى بمصر التى ضمتك ، تجمعنا ولو بطون الثرى فيها فيا طربى
ما أعجب الحال ، لى قلب بمصر وفى
ومشق جسمى ، ودمع العين فى حلب

وتنتابه ذكرى أيامه الماضية وماجنت فيه من لذة ومتاع ، والذكرى ضرب آخر من الشكوى ، فيصف شعوره فى أبيات موجعة حيث يقول :

رعى الله دهراً كنت فارس لهوه أروح إلى وصل الأحبة أو أغدو
جوادى من الكاسات فى حلبة المنا
كميت ، وإلا من صدور المها نهد

إلى قوله :

زمان تولى بالشبيبة وانقضى وفى فىّ طعم من مجاجته بعد

عاد ابن نباتة إلى مصر بعد رحلة طويلة غير موفقة ، إلا فى فترات متفرقة . فلقى من الناصر حسن سلطانها الجديد شيئاً من العطف شكره عليه . ولكن كانت لا تزال جراح قلبه ناغلة ، وعبارات الشكوى على شفتيه حيث يقول :

قضيت العمر مداحا وهذا يا أخى الحال
فقير الوجه والكف فلا جاه ولا مال

آمن ابن نباتة أخيراً بالحظ إيمان المضطر ، وزهد زهد المغلوب . يقول :

هى الحظوظ فمش منها بما وهبت ولا تقل عالياً عزمى ولا دونا

ويقول :

منعتنى الدنيا جنى فتزهد ت ولكن تزهد المغلوب

ويلتمس لكساد أدبه المعاذير ، فيقول :

لا عار فى أدبى إن لم ينل رتباً وإنما العار فى دهرى وفى بلدى

والإيمان بالحظ قد يكون مظهراً من مظاهر اليأس ، ودليلا على القلق والبؤس ، إذ لا يصل المرء إلى حظيرته إلا بعد مدافعة وممانعة ، وأمل وإخفاق . آمن ابن نباتة بالحظ ولكن إيمان البرم به الساخط عليه ، الذى عالجه فلم ينجع علاجه ، وأوقد له فخبا سراجه . آمن به إيمان المهزوم المستسلم ، وفى نفسه ثورة عليه مكبوتة .

غير أن هذا الحظ الذى تمصى عليه ، والقدر الذى عبث به ، قد انضجا فى شعره فن الشكوى . وكم لهذا الفن بين الناس من عشاق !

(حلوان)

محمود رزق سليم
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

حديث الصيام :

عـــدالة قاض

للاستاذ محمد رجب البيومى

« مهداة إلى أستاذى الأديب الشاعر
الراوية أحمد شفيع السيد »

— ١ —

كانت أخيراً بالبحث فى تاريخ القضاء الإسلامى فشاهدت صفحات لامعة تغرى بالتتبع والاستقصاء ، ووقفت على جهود محمودة لنخبة ممتازة من رجال الحق وأنصار العدالة ، فتعجبت كيف لا تُجمع هذه الدرر الوضيئة فى عقد نضيد يكون موضعاً للمفاخرة والمباهاة !!

ونحن لا نستغرب إذ نجد رجال القضاء فى عصور الإسلام الزاهية على جانب كبير من التحرر والدقة ، فقد تمكنت تعاليم الإسلام الخالدة من نفوسهم فعرفوا الله حق معرفته ، وقرأوا الكتاب والحديث ودرسوا مسائل القياس وقوانين النظر . هذا إلى ما يشرق فى قلب المؤمن التقى من نور يهديه إلى الحق مهما تكاثف الظلام !!

ومن هؤلاء الأئمة الأفذاذ القاضى أبو جعفر أحمد بن إسحق ابن البهلول التنوخى الأنبارى . وقد أجمع الذين كتبوا عنه على سلامة استنباطه وصحة توجيهه ، وصدق تعليله . وأنت تجدهم يصفونه — فى إسهاب زائد — بالبلاغة العالية إذا خطب أو ترسل كما ينقلون شذرات ثمينة من شعره تُنبئ عن عاطفة وذوق ، ويجعلونه حجة فى التفسير والحديث والرواية والإسناد . أما تبحره فى الفقه على مذهب أهل القياس فقد بوّأه منصة القضاء أكثر حياته التى زادت على الثمانين . وإذا اجتمع لفاضل من الناس كل هذه المميزات الرفيعة ، فماذا ينقصه من الشمائل والصفات ؟ !

على أننا لا نُكبر الرجل لعلمه وحده ، فكثير من الأئمة فى القديم والحديث قد جاوزوه فى التحصيل والدراية ، ولكننا ننظر بكثير من الإجلال والإكبار إلى صرامته فى الحق دون مبالاة ، وهجومه على الباطل فى غير هوادة ، مهما جر عليه ذلك من بلاء وعنت . وناهيك بمن يفاجئ رؤساءه وصدور الدولة فى عهده بما لا يطيق المؤمن الورع صبراً عليه من ميل عن الحق ونكوص عن الجادة ، وولوغ فى البهتان ! !

وهأنذا أقدم للقارئ الكريم موقفين متشابهين له فى نصرة الحق ، راجياً أن يكون أسوة حسنة ، ومثالا يحتذيه الناس .

— ٢ —

نحن فى أوائل القرن الرابع الهجرى ، وقد انحدرت الدولة العباسية من أوجها السابق إلى وهدة سحيقة سقطت فيها هيبة الخلفاء والأمراء ، وتنازع الوزراء وأعيان الدولة على الحكم شر تنازع وأبشعه ، فكان هم كل وزير أن ينكل بمن سبقه ، فيختلق له الاتهامات الخطيرة التى تطيح بحياته ليأمن على منصبه وجاهه فلا يجد المنافس العنيد . وقد كان حامد بن العباس وزير الخليفة المقتدر بالله يضيق ذرعاً بسلفه الوزير أبى الحسن بن الفرات . فحاك له من خياله الآثم أفظع تهمة يمكن أن توجه إلى إنسان حيث اختلى بالخليفة ، وأخبره أنه عثر على وثائق هامة تثبت اتصال ابن الفرات ببعض العلويين المطالبين بالخلافة ، وأن الحزم يوجب أخذه بالشدة لتجرى الأمور فى وضعها الصحيح . وقد اهتم الخليفة المقتدر بالأمر ، فعقد لفوره مجلساً برئاسته لمحاكمة الوزير السابق ، وقد أحضر فيه على بن عيسى وأحمد بن إسحق بن البهلول وأبا عمر محمد بن يوسف . وجيء بابن الفرات مخفوراً إلى المحاكمة حيث وقف غريمه الوزير حامد بن العباس أمام الخليفة يبسط التهمة الخطيرة ، ويبين مغبتها الجريئة ، ثم اتجه إلى الباب فجأة وصاح بأحد الحجاب : أدخل الجندى فى الحال !

فدخل جندى مديد القامة ، مكتمل الصحة ، فاتجه حامد إلى المقتدر وقال : لقد ضبطت هذا الجندى قادماً من مدينة «أردبيل» ومعه كتب خاصة من ابن الفرات إلى ابن أبى الساج يطلب فيها معاونة الداعى العلوى وتجهيزه للغد إلى بغداد ، حيث يستقبله ابن الفرات فيتعاونان معاً على تقويض الخلافة العباسية ، وإنهائها إلى العلويين !!

ثم التفت الوزير إلى الجندى وقال له : قل ماسبق أن اعترفت به لدى فقال الجندى : لقد ترددت بضع مرات على ابن أبى الساج فى أردبيل أحمل الرسائل المتنوعة من ابن أبى الفرات جاهلا عاقبتها

الخطيرة ، فهو المسئول عنها وحده ، وما أنا غير حامل فدم يتكسب بالسير والتجوال .

دهش الخليفة من هذا الاعتراف الجرىء ، وطار شرر الغضب من عينه ، وأخذ يصوب نظراته المحرقة إلى ابن أبى الفرات وهو يتململ فى مكانه ممتقع الوجه منقبض الأسارير !

ثم التفت المقتدر إلى القاضى أبى عمر فسأله : ما عندك فى ذلك يا أبا عمر ؟ ! فقال فى غير روية : لقد أتى ابن الفرات أمراً تخر له الجبال ، وللخليفة — أيده الله — أن ينزل به ما شاء من العقاب !..

فتألق وجه الوزير بالبشر وظن أن المحاكمة ستنتهى على ماريده من البطش بصاحبه ، وجعل يرنح عطفه فى نشوة الظافر المنتصر ولكنه رأى الخليفة يتجه إلى أحمد بن أسحق فسأله : وما عندك فى ذلك يا أبا جعفر ؟ فيقول القاضى : لا بد من مناقشة الجندى ، فهل يأذن الخليفة بذلك ؟ فيجيبه إلى طلبه ، ثم تدور هذه الأسئلة بين القاضى والجندى .

القاضى — تدعى أنك رسول ابن الفرات إلى ابن أبى الساج فى أردبيل فهل رأيت أردبيل ؟

الجندى — نعم رأيتها ودخلتها عدة مرات

— صفْ لى أردبيل ، أعليها سور أم لا ؟

فسكت الجندى .

قال القاضى : وما صفة باب الإمارة الذى دخلت منه ؟ أحديد أم خشب ؟

فسكت الجندى أيضاً

قال القاضى : ومن هو كاتب ابن أبى الساج الذى ذهبت إليه ؟ ما اسمه ؟ ما كنيته ؟ ما لقبه ؟

فبهت الجندى ، ولم يرد بشىء .

قال القاضى : وأين الكتب التى كانت معك من ابن أبى الساج لابن الفرات ؟

فقال الجندى متلجلجاً مضطرباً : رميتها فى البحرحين وقعت فى أيدى الجنود .

فاتجه القاضى إلى الخليفة وقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله عز وجل يقول : (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) ، وقد صح عندى أن هذا الجندى جاهل متكسب مدسوس على ابن الفرات

فقال على بن عيسى فى حماسة مشتعلة : قد قلت ذلك مراراً للوزير حامد بن العباس فلم يقبل قولى ، وأرى أن يهدد هذا الجندى بالضرب حتى يقر بالواقع الصريح !

أمر الخليفة بإحضار من يضرب الجندى فى المجلس ، فما كاد السوط يلهب جسمه حتى صاح : كذبتُ وغدرت ، وضُمنتْ لى الضمانات . والله مارأيت أردبيل ، ولاحملت كتباً إليها طيلة الحياة !

وهنا أمر الخليفة بحبس الجندى وتعذيبه . وكاد يغشى على الوزير المختلق من الهم والانكسار ، وانتصر الحق على الباطل بصرامة القاضى النزيه أبى جعفر أحمد بن إسحاق البهلول !

— ٣ —

كرت الأعوام تلو الأعوام ، فتغير الخليفة المقتدر على وزيره حامد بن العباس فأقاله من منصبه مخفوراً ، وأسند الوزارة إلى المتهم السابق أبى الحسن بن الفرات ، وتلك الأيام نداولها بين الناس .

ولقد سعى الوزير الجديد — لأول عهده بالرئاسة — إلى قتل غريمه السابق فشفى لواعج صدره ، واستراح من ناحيته ، ثم دار بذهنه فيمن حوله من المقربين لدى الخليفة ، فرأى أن الوزير الأسبق على بن عيسى لا يزال ممتعاً بالحياة ، وقد يتم صفاؤه مع الخليفة فى وقت من الأوقات فيعيده إلى الحكم رامياً بأبى الحسن إلى غياهب السجن ، ومن ثم أخذ الوزير يدبر لعلى مكيدة ترديه مع أنه كان من أنصاره المتحمسين يوم حوكم فى التهمة الخطيرة ، ولكن بالضيمة الوفاء ! .

رأى ابن الفرات — لانحطاط نفسه — أن يقتدى بسلفه السابق فى الاختلاق والوقيعة ، فاتجه إلى الخليفة المقتدر وأفهمه أن على بن عيسى على اتصال بالقرامطة أعداء الدولة ، وقد أرسل لهم فى مدة وزارته بعض المواد الحربية التى يحظر إرسالها إلى العدو كما أنه لا يعترف بتكفيرهم وخروجهم عن مبادئ الإسلام !

اهتم الخليفة بالوقيعة ، وأصدر أمره بمحاكمة على ، على أن يسمع بأذنه ما يدور فى المحاكمة من وراء حجاب ، وقد تم الأمر فى أسرع من البرق وشكلت لجنة المحاكمة برئاسة الوزير ، وحضر القاضيان السابقان فى المحاكمة الأولى : أبو عمر محمد بن يوسف وأبو جعفر أحمد بن إسحاق البهلول .

افتتح الرئيس الجلسة ، وسيق على بن عيسى إلى المحاكمة وبدأ الوزير فأسرع بإحضار رجل يدعى « ابن قليجه » وأذن له فى الكلام فقال :

لقد أرسلنى على بن عيسى إلى القرامطة مبتدئاً ، فكاتبوه يلتمسون منه المساحى والطلق وعدة حوائج فأنفذها إليهم ، ومع خطابه الذى بعث به فى هذا الشأن ، ثم قرأ الخطاب فوُجد خالياً من تكفيرهم وسبهم كما ينبغى أن يكون فى نظر ابن الفرات .

وشاء الرئيس أن يلخص الإتهام فى نقط مركزة محدودة ، فصاح فى وجه على ، والمقتدر يسمع من وراء حجاب .

تقول إن القرامطة مسلمون والإجماع قد وقع على كفرهم ، فهم أهل ردة لا يصومون ولا يصلون ، وتبعث لهم الأدوات الحربية وهم أعداء الخلافة ومبعث الفساد والشقاق !

قال على : أردت بذلك المصلحة وإعادتهم إلى الطاعة ، دون أن تراق الدماء .

قال الرئيس : ويحك لقد أقررت بما لو أقر به إمام لما وسع الناس طاعته ، فكيف يجوز لك التعاون مع أهل الفساد ؟ !

ثم التفت إلى القاضى أبى عمر فقال له : ما عندك فى أمر على ؟ فأفحم ولم ينطق بحرف . فاتجه إلى أبى جعفر وسأله ما عندك يا أحمد ابن إسحاق ؟ !

قال أحمد : لقد صح عندى أن علياً افتدى بكتابه إلى القرامطة ثلاثة آلاف رجل من المسلمين كانوا مستعبدين فرجعوا إلى أوطانهم أحراراً ، فإذا فعل إنسان ذلك على سبيل المغالطة للعدو ، فلا لوم عليه بل يستحق أطيب الثناء .

تجهم وجه ابن الفرات ، وسأل القاضى : ما تقول فيما أقر به على من إسلام القرامطة وهم أهل طغيان .

قال القاضى : إنهم كاتبوه بحمد الله والصلاة على رسوله فلم يصح عنده كفرهم ، فهم لا ينازعون فى الإسلام ولكن ينازعون فى الإمامة فقط ، ومن نازع فيها فهو غير كافر عند الأئمة الأعلام

دهش الوزير من الرد المفحم ، ثم استأنف أسئلته فقال :

— ما رأيك فى الأدوات الحربية التى أرسلها إلى الأعداء ، أ كان ينوى بذلك تقويتهم على الشغب والفساد ؟ !

— هو لم يعترف بذلك فلا تؤاخذه به .

— كيف نصدقه مع أن رسوله وثقته ابن قليجة قد قال إنه أرسل لهم المعدات !

— إذا قال رسوله ذلك فهو مدع وعليه البينة !

— كيف يكون مدعياً وهو ثقته الذى استأمنه على حمل الكتب والرسائل ؟

— إن علياً قد استوثق به فى حمل الكتب ، فلا يقبل قوله فى الأدوات الحربية بحال من الأحوال .

— أأنت وكيله حتى تحتج عنه أم أنت حاكم وقاض ؟

— لست وكيله ، ولكنى أقول الحق كما قلته فيك يوم أراد حامد بن العباس أن يتهمك أمام الخليفة بما هو أعظم من هذه التهمة ، فهل كنت وكيلك حينذاك ؟

بهت الوزير ، وانكسر انكساراً طأطأ رأسه إلى الغبراء ، وانتصر الحق مرة ثانية على يد أحمد بن إسحاق .

— ٤ —

وبعد فقد كان الورع والصلاح ديدن قضاة السلف الصالح فى صدر الإسلام ، فكانوا يتحرزون ويدققون ، مقدرين عظم المسئولية وفداحة التبعة . ومهما قارنت هؤلاء الأتقياء بأعلام القضاء الحديث فى الشرق والغرب ، فهم الراجحون الفائزون ، حيث كانوا يبتغون وجه الله وحده ، فأنزلهم منازل الصالحين ، وفازوا بأعظم الدرجات !

تبينت أن لا دار من بعد عالج تسر وأن لا خلة غير زينب

(الكفر الجديد) **محمد رجب البيومى**

من كتاب قصور العرب :

الخَـــوَرْنَق (١)

للأستاذ كاظم المظفر

إن من يتجول فى جهات العراق ، ويطلع على آثاره التاريخية المنتشرة فى أنحائه وزواياه ؛ تلك الآثار التى تشير إلى ما كان لهذه البلاد من الماضى المجيد ، والحضارة الزاهية ، وما بلغته فى تلك العصور من الرق والعظمة ، والفن والذوق ؛ وخاصة من الناحيتين — المعمارية والزراعية — بما هو جلى فى معالمها التى صارعت الدهور ، وبارزت الخطوب ، وتمردت على الجائرين والعابثين ، وأبت إلا أن تستمر على ما قطعته على نفسها من العهود ، تسامر النجوم ، وتضاحك الشمس ، وتماشى الخلود (٢) ... ولا يستكثر على العراق الذى يسميه المؤرخون « مهد الأمبراطوريات » إذا ضمّ بين أطباقه من النفائس الأثرية ما كان فى الأهمية من الدرجة الأولى ، وفى طليعة نفائس العالم (٣) ... وقد شاهدنا مواقع مهمة من هذه الآثار فى سامراء القديمة ، وفى الحيرة ، وفى القادسية ، وفى بابل وأور ، وهى لا تفتأ تناطح الزمن ، وتصمد للحوادث غير عابئة بهجمات المواصف ولا مكترثة بزعازع الأنواء . آثار قيمة وكنوز ثمينة ؛ تتمثل فيها عظمة الأجداد وفخر الأسلاف (٤) .

ولما عاد الأستاذ البحاثة « وولى » إلى لندن بعد أن تولى الحفر فى أور للسنة الخامسة قال فى حديث له : « نعلم اليوم أن حضارة العراق كانت فى درجة رفيعة حينما كان سكان مصر القدماء فى حالة الهمجية » (٥) ولا يبعد ذلك فإن الآثار التى نراها ونشاهدها والتى عثر عليها حتى الآن لتدل دلالة واضحة على ما كان عليه العراق سابقاً من تقدم فى المدنية ورق فى الحضارة .

(١) الخورنق : بفتح أوله وثانيه وراء ساكنة ونون مفتوحة وآخره قاف . هكذا ضبطه الحموى . وقد جاء فى دائرة المعارف لبطرس البستانى الخورنق بضم الخاء وفتح الواو والنون وسكون الراء

(٢ ، ٣ ، ٤) مجلة الاعتدال العدد الخامس من السنة الثانية ص ١٩٣ — ١٩٥

(٥) مجلة لغة العرب السنة الرابعة ص ٦٣

أما الحيرة فقد اشتهرت بحضارتها الواسعة ، وملوكها المناذرة الذين أسسوا المدن حين توسعوا فى ملكهم ، وامتد سلطانهم إلى بعيد ، فشيدوا القصور الشامخة ، وأقاموا الصروح المنيفة ، والعمارات العالية المشمخرة التى تعلوها الشرفات ، وتحوطها الحدائق الغناء ، والرياض الزاهرة . . وقد سارت بذكر قصورها الركبان ، وتغنى الشعراء بخورنقها وسديرها ، وأنشدوا القصائد فى لحيانها وأبيضها (١) .. وفيها يقول عاصم بن عمرو .

صبحنا الحيرة الروحاء خيلاً ورجلاً فوق أثباج الركاب
حضرنا فى نواحيها قصوراً مشرفة كأضراس الكلاب (٢)

وكان لقصور الحيرة شأن خطير وأحاديث طويلة ، دونها التاريخ ، فأعطانا صورة واضحة عما بذله أولئك الملوك والأمراء من جهود جبارة فى تشييدها وإقامتها . كما سنرى ذلك فيما يأتى

ومن أشهر قصور الحيرة « الخَوَرْنَق » الذى عقدنا هذا الفصل للتحدث عنه . وهو قصر يقع بظهر الحيرة بالقرب منها مما يلى الشرق على نحو ميل (٣) أو فى شرقى الحيرة فى الطريق بينها وبين النجف ، وكان على نهر يسمى باسمه (٤) . وقد تجاهل الأستاذ درويش المقدادى قصر الخورنق وموقعه وآثاره الظاهرة فقال : وفى جنوبى النجف اليوم تل يقال له الخورنق لعله من آثار المناذرة (٥) .

وقد اختلف المؤرخون اختلافاً كبيراً فى أصل هذا الاسم ومعناه الأولى الذى اشتق منه ، فذهب الخليل إلى أنه عربى الاشتقاق من الخرنق ومعناه الصغير من الأرانب (٦) . وارتأى البحاثة الألمانى « نلدكه » أنه حرف من العبرية الربانية بمعنى المزرعة والعريش . وذهب « أندريا » أنه إيرانى من « كوورنة » بمعنى ذى السقف الجميل (٧) . وقيل أنه معرب من « خورنكاه » أى موضع الأكل والشرب (٨) . وقيل بل تعريب « خورنقاه »

(١) كتاب الحيرة ليوسف غنيمة ص ١٩
(٢) معجم البلدان مادة حيرة
(٣) كتاب خالد بن الوليد للعميد طه الهاشمى ص ١٢٧
(٤) كتاب نشأة الدولة الإسلامية لأمين سعيد ص ٢٦٣
(٥) كتاب تاريخ الأمة العربية ص ٢٦
(٦) معجم البلدان مادة خورنق ص ٤٨٣ من المجلد ٣
(٧) المعلمة الإسلامية مادة خورنق
(٨) الألفاظ الفارسية المعربة . وتاج العروس ج ٦ ص ٣٣٢

أو على الأصح «خانقاه» وهو الموضع الذى يؤكل فيه ويشرب [1] وإلى هذا المعنى الأخير تميل كفة الرجحان عند معظم الباحثين واللغويين [2] .

وكما اختلف فى اسم القصر فقد اختلف أيضاً فى بانيه فقال ابن السكيت: الخورنق بناه سنمار [3] للنعمان الأكبر الأعور السائح ابن امرئ القيس [4] وإلى هذا القول ذهب الهيثم بن عدى فقال: إن الذى أمر ببناء الخورنق النعمان بن امرئ القيس بن عمرو [5] وقال الكلبى : صاحب الخورنق والذى أمر ببنائه بهرام جور بن يزد جزد بن سابور ذى الأكتاف ؛ وذلك أن يزد جرد كان لا يبقى له ولد ، وكان قد لحق ابنه بهرام جور فى صغره علة تشبه الاستسقاء فسأل عن منزل صحيح ليبعث بهرام إليه خوفاً عليه من العلة ، فأشار عليه أطباؤه أن يخرجه من بلاده إلى أرض العرب فأنفذه إلى النعمان وأمره أن يبنى له قصراً مثله على شكل الخورنق فبناه له وأنزله إياه [6] . وقال المسعودى فى حديثه عن ملوك الحيرة : وملك الحيرة المنذر بن النعمان فارس حليمة وهو الذى بنى الخورنق [7] ...

ولما فرغ سنمار من بناء الخورنق عجب النعمان من حسن بنائه وإتقانه فأمر أن يلقى سنمار من أعلاه حتى لا يبنى مثله لأحد . ويقال إنه إنما فعل ذلك به لأنه لما أعجبه شكره على عمله ووصله ، فقال : لو علمت أن الملك يحسن إلىّ هذا الإحسان لبنيت له بناء يدور مع الشمس كيفما دارت ، فقال له النعمان : وإنك لتقدر على أن تبنى أفضل منه ، ولم تبنه ! فأمر به فطرح من أعلاه [8] . وقيل: بل قال : إنى أعلم موضع آجرة لو زالت لسقط القصر كله. فقال النعمان : أيعرفها غيرك ؟ قال : لا . فقال لأدعنها وما يعرفها أحد ؛ ثم أمر به فقذف من أعلى القصر إلى أسفله فتقطع [9] .

(١) نهاية الأرب للنويرى ج ١ ص ٣٧٣
(٢) الحيرة لقنيمة ص ١٩
(٣) سنمار : بكسر السين المهملة والنون وتشديد الميم على وزن طرماح وهو اسم رجل رومى (العرب وأطوارهم ج ١ ص ١٢)
(٤) العرب وأطوارهم لمحمد عبد الجواد الأصمعى جـ ١ ص ١٢
(٥) معجم البلدان جـ ٣ ص ٤٨٣
(٦) معجم البلدان جـ ٣ ص ٤٨٥
(٧) مروج الذهب جـ ١ ص ٢٩٣
(٨) نهاية الارب للنويرى جـ ١ ص ٣٧٣
(٩) معجم البلدان جـ ٣ ص ٤٨٣

ويقال إن الذى قذف بسنمار أحيحة بن الجلاح بعد أن فرغ من بناء أطم له [1] وهذا القول ضعيف بالنسبة إلى أغلبية أقوال المؤرخين فيما نقلناه أولاً .

والعرب تضرب المثل بفعل النعمان مع سنمار فى المكافأة على الفعل الحسن بالقبيح . فيقال : جازاه مجازاة سنمار . وفيه يقول بعض الشعراء :

جزانى جزاه الله شر جزائه ... جزاء سنمار وما كان ذا ذنب
سوى رمه البنيان ستين حجة ... يعل عليه بالقراميد والسكب [2]

وقال أبو الطحان القينى فى قصة سنمار :

جزاء سنمار جزوها وربها ... وباللات والعزى جزاء المكفر [3]

وقال سليط بن سعد :

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر ... وحسن فعل كما يجزى سنمار [4]

وقال آخر :

جزتنا بنو سعد بحسن فعالنا ... جزاء سنمار وما كان ذا ذنب [5]

وقال يزيد بن إياس النهشلى :

جزى الله كالا بأسوء فعله ... جزاء سنمار جزاء موفرا [6]

وكان النعمان هذا قد غزا الشام مراراً ، وكان من أشد الملوك بأساً ؛ فبينما هو ذات يوم جالس فى مجلسه فى الخورنق إذ أشرف على النجف وما يليه من البساتين والنخل والجنان والأنهار مما يلى المشرق ، والخورنق مقابل الفرات يدور عليه على عاقول كالخورنق فأعجبه ما رأى من الخضر والنور والأنهار، فقال لوزيره : أرأيت مثل هـذا المنظر وحسنه ؟ فقال لا والله أيها الملك ما رأيت مثله لو كان يدوم . قال . فما الذى يدوم ؟ قال : ما عند الله فى الآخرة. قال : فيم ينال ذلك ؟ قال : بترك هذه الدنيا وعبادة الله والتماس ما عنده . فترك ملكه فى ليلته ولبس المسوح ، وخرج مختفياً هارباً ، ولا يعلم به أحد ؛ ولم يقف الناس على خبره إلى الآن . وفى ذلك يقول عدى بن زيد :

(١) مجمع الأمثال للميدانى جـ ١ ص ١٠٧
(٢) معجم البلدان جـ ٣ ص ٤٨٣ وقد روى البيت الثانى فى بلوغ الأدب على هذه الصورة
سوى رفعه البنيان عشرين حجة ... يعلى عليه بالقراميد والسكب
(٣) العرب وأطوارهم ج ١ ص ١٢ والأغانى ج ٢ ص ٣٦
(٤) تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٧٣ والعرب وأطوارهم ج ١ ص ١٢
(٥) مجمع الأمثال للميدانى ج١ ص١٠٧ (٦) تاريخ الطبرى ج٢ ص٧٣

وتبين رب الخورنق إذ أشـ ـرف يوماً وللهدى تفكير
سره ما رأى وكثرة ما يمـ ـلك والبحر معرضاً والسدير
فارعوى قلبه وقال فما غبـ ـطة حي إلى الممات يصير (١)

وقد أكثر العرب من ذكر الخورنق في أسمارهم وصار مضرب أمثالهم ولم يتصدوا لوصفه وصفاً مسهباً . غير أن المؤرخ يستنتج من أقوالهم أنه كان طرفة من طرف البناء جامعاً بين العظمة وبهاء الزخرف وروعة الموضع (٢) . وجاء في كتاب « البرهان القاطع » مادة سنمار : إن سنمار البناء الرومي بنى الخورنق وأجاد في صنعه كل الإجادة ، حتى إن القصر الذي بناه كان يتلألأ ليلا ونهاراً بالألوان المتنوعة نظير أبي قلمون ، فكان يظهر صباحاً أزرق وظهراً أبيض وعصراً أصفر . وفي ذلك خطاب شريح القاضي للضحاك بن قيس : يا أبا أمية أرأيت بناء أحسن من هذا ؟ قال : نعم السماء وما بناها (٣)

وفي الروايات أن بناء الخورنق دام ستين سنة فكان يبني سنمار السنتين والثلاث ، ويغيب الخمس سنين وأكثر من ذلك ، فيطلب فلا يوجد ؛ ثم يأتي فيحتج حتى فرغ من بنائه (٤) . ولا يخفى على القارئ المحقق ما في هذه الروايات من المبالغة القصصية ، وما عليها من مسحة الافتعال ؛ لأننا إذا دققنا النظر في زمان ملك النعمان نرى أنه حكم تسعاً وعشرين سنة وأربعة أشهر (٥) ، فكيف جاز أن تستغرق مدة بنائه ستين سنة مع أن ملك النعمان الذي أمر ببنائه لم يتجاوز الثلاثين بعد أن قتل سنمار وبقي في القصر مدة طويلة .

ومما كان يزيد هذا الجوسق بهاء وروعة موقعه الطبيعي الفتان ، فكان يشرف على النجف وما يليه من البساتين والنخل والجنان والأنهار . وكان البحر تجاهه ، وفيه اللاحون والنواصون والحوت ، وخلفه البر وفيه الضب والظبي ، ويقابل الفرات فيدور عليه على عاقول كالخندق (٦) ولهذا افتتن المؤرخون والشعراء

(١) تاريخ اليعقوبي ج ١ ص ١٧٠ . ومعجم البلدان ج٣ ص ٤٨٤
(٢) الحيرة ص ١٩ — ٢٠
(٣) معجم البلدان مادة خورنق ج ٣ ص ٤٨٥
(٤) معجم البلدان مادة خورنق والعرب وأطوارهم ج ١ ص ١٢
(٥) الأغاني ج ٢ ص ٢٦
(٦) حمزة الأصفهاني ص ٦٨

بهذا القصر وهاموا في الإشادة بذكره (١) فقال المنخل اليشكري من قصيدة :

ولقد شربت من المدا مة بالصغير وبالكبير
فإذا سكرت فإنني رب الخورنق والسدير
وإذا صحوت فإنني رب الشويهة والبعير (٢)

وقال الأسود بن يعفر النهشلي :

ما ذا أؤمل بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعد أياد
أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد (٣)

وقال المتلمس للمحرق عمرو بن هند مهرط الحجارة :

ألك السدير وبارق ومرابض ولك الخورنق (٤)

وقال ابن كناسة :

الآن حين تزين الظهر ميثاؤه وبراقه العفر
بسط الربيع بها الرياض كما بسطت قطوع اليمنة الحمر
وجرى الفرات على مياسرها وجرى على أيمانها الزهر
وبدا الخورنق في مطالعها فرداً يلوح كأنه الفجر (٥)

وقال سلامة بن جندل :

ألا هل أتى أبناءها أهل مأرب
كما قد أتى أهل النقا والخورنق (٦)

وقال الأعشى :

ويجبى إليه السيلحون ودونها
صريفون في أنهارها والخورنق (٧)

وقال الثرواني :

يا دير حنة عند القائم الساقي
إلى الخورنق من دير ابن براق (٨)

وقال الثرواني أيضاً يصف دير مارت مريم :

بمارت مريم الكبرى وظل فنائها فقف

(١) الحيرة ص ٢١
(٢) ، (٣) العرب وأطوارهم ج ١ ص ١٣
(٤) شعر الناصرية ص ٤٨١
(٥) الأغاني ج ١٢ ص ١٠٨
(٦) شعراء النصرانية ص ٤٩١
(٧) تاج العروس ج ٦ ص ٣٣٢ ، ولسان العرب ج ١١ ص٣٦٦
(٨) كتاب الحيرة ليوسف رزق الله غنيمة ص ٤٤

فقصر أبي الخصيب المشـ ـرف الموفى على النجف
فأ كناف الخورنق والسـ ـدير ملاعب السلف
إلى النخل المكمم والحمـ ـائم فوقه الهتف[1]

وقال ابن المولى :

موركة أرض المذيب وقد بدا فسر به للآئبين الخورنق[2]

وقد بقي الخورنق إلى عهد الفتح الإسلامي حين دالت الحيرة بدخول القائد خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر رضى الله عنه ونزوله بالخورنق[3] .

وقال في ذلك عبد المسيح بن بقيلة :

أبعد المنذرين أرى سواماً يروّح بالخورنق والسدير[4]
تحاماه فوارس كل حي مخافة ضيغم عالى الزئير[5]

وأنشد على بن محمد العلوى الكوفى الحمانى :

سقياً لمنزلة وطيب بين الخورنق والكثيب
بمدافع الجرعات من أكناف قصر أبي الخصيب
دار تخيرها الملو ك فهتكت رأى اللبيب[6]

قال الحمانى أيضاً :

فيا أسفى على النجف المعرى وأودية منورة الأقاحى
وما بسط الخورنق من رياض مفجرة بأفنية فساح[7]

وقال أيضاً :

كم وقفة لك بالخورنق ما توازى بالمواقف
بين الغدير إلى السد ير إلى ديارات الأساقف[8]

وقد بقي هذا القصر عامراً — كما ترى من أقوال الشعراء فيه — بعد الفتح الإسلامي وتخطيط الكوفة زمناً [9] ؛ وإن كلا من ولاة الكوفة أحدث فيه شيئاً من الأبنية ومنهم الضحاك ابن قيس بنى فيه مواضع وبيضه وتفقده [1] . وقد سكنه الأمراء العباسيون ، وبقى قائماً إلى القرن السابع الهجرى ، ومفاد ذلك ماجاء فى مراصد الاطلاع [1] : والمعروف أنه — أى الخورنق — القصر القائم إلى الآن بالكوفة بظاهرة الحيرة . بل ظل عامراً إلى القرن الثامن الهجرى وذلك حين ذكره محمد بن بطوطة فى رحلته المشهورة إذ قال : [2] ولما تحصلت لنا زيارة أمير المؤمنين على عليه السلام سافر الركب إلى بغداد وسافرت إلى البصرة صحبة رفقة كبيرة من عرب خفاجة وخرجنا من مشهد على عليه السلام فنزلنا الخورنق موضع سكنى النعمان بن المنذر وآبائه من ملوك بنى ماء السماء وبه عمارة وبقايا قباب ضخمة فى فضاء فسيح على نهر يخرج من الفرات ... اما ماجاء فى المعلمة الإسلامية مادة خورنق من أنه أصبح خراباً فى القرن الرابع عشر للميلاد فليس بصحيح لما قدمناه من قول ابن بطوطة والحنبلى صاحب مراصد الأطلاع.

وفى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى أرادت الحكومة العثمانية إنشاء سراى وثكنة وأنبار (مخزن) لواردات الخزينة الميرية فأوعزت ولاية بغداد إلى حكومة أبى صخير أن تشرع بهذا العمل فلم يكن من تفكير قائمقام أبى صخير العثمانى فى إنشاء هذه البنايات إلا القضاء على قصر الخورنق هذا الأثر العربى القديم فأمر بهدم ما كان ماثلا من جدرانه وقبابه ونقل تلكم الأحجار والأنقاض إلى أبى صخير وبنوا بها المواقع التى أشرنا إليها ولازالت قائمة إلى اليوم . وحكى بعض الشيوخ أنهم وجدوا أثناء الحفريات فى إحدى غرف الخورنق المطلة على بحيرة النجف عصاً من الخشب الأسود وعليها نقوش وزخرف ، ولما أخبر القائمقام والى بغداد بذلك أمره بإرسالها إلى بغداد ، ومن ثم أرسلت إلى الأستانة بطلب من السلطان عبد الحميد[3] .

وقد زرت موقع الخورنق منذ أيام معدودة لقربه من مدينتى النجف ، فوجدت آثاره ظاهرة بالقرب من نهر السدير أو ما يسمى اليوم بنهر كرى سعد ، ويقع جنوبى النهر المذكور بمسافة قدرها (٣٠٠) متراً تقريباً ، ويبعد عن بدء آثار الكوفة الحادثة

(١) كتاب الحيرة ص ٤٦
(٢) كتاب الأغانى ج ٣ ص ٢٨٧
(٣) خالد بن الوليد للعميد طه الهاشمى ص ١٢٧
(٤) أمالى السيد المرتضى ج ١ ص ١٨١
(٥) معجم البلدان ج ٣ ص ٤٨٤
(٦) معجم البلدان مادة خورنق
(٧) معجم البلدان مادة نجف
(٨) معجم البلدان مادة خورنق
(٩) كتاب الحيرة ص ٢٣
(١٠) معجم البلدان مادة خورنق

(١١) ص ١٥٨ طبعة إيران
(٢) الجزء الأول ص ١١٣
(٣) هذا ما أخبرنى به الأستاذ البحاثة الشيخ محمد على اليعقوبى نقلا عن كتاب تاريخ الحيرة للسيد حسين البراق النجفى وهو مخطوط موجود فى بلد الحيرة عند رجل تاجر يسمى بالحاج محمود البزار

على عهد الإسلام بمسافة تقدرها ستة كيلو مترات ، وعن بدء آثار مدينة الحيرة بمسافة قدرها أربعة كيلومترات ، وعن النجف (١٢) كيلومتراً أيضاً . وتقع آثاره على أرض رملية جافة مرتفعة ومتصلة بسلسلة مرتفعات طف الحيرة ، ويبعد عن فضاء أبى صخير ستة كيلو مترات تقريباً من جهة الغرب ، كما يبعد عن آثار مدينة الحيرة القديمة (كنيدرة) بمسافة تقدر بأربعة كيلومترات تقريباً ، ويشرف على أرض منخفضة من أراضى الطف انخفاضاً يقدر بعشرين متراً تقريباً من جهة الجنوب الشرقى ، ويطل على مناظر جميلة من الرياض الرحبة والبساتين والأنهر . وإذا توجهت إليه من جهة الجنوب تراه واقعاً على قمة جبل مرتفع وهو يتصل من جهاته الثلاث الأخرى بأراض سهلة من أراضى كوفان الرملية ، فضاؤه رحب وهواؤه طلق ، مبتعداً عن آثار مبانى المدن شأو قصور الملوك ، أما مساحة آثار هذا القصر فتقدر بعشرة آلاف متر مربع تقريباً بما فى ذلك آثار المبانى المندرسة والملحقة به والمرافق المتصلة فيه(١) .

(النجف — العراق) **كاظم المظفر**

(١) من مقال لمعالى الحاج عبد المحسن شلاشن تحت عنوان « الكوفة ويوم التاج » وقد نشر فى مجلة الاعتدال بالعدد السابع من سنتها الثانية ص ٢٩٤ — ٢٩٥

هروب !

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

كرهتِ حقائق دنيا الورى   وهمت بأوهام دنيا الخيال
فما يتصبّاك إلا الرؤى   وسحر الطيوف وسحر الظلال
متى يا ابنة الوهم تستيقظين ، متى ينجلى عنك هذا الخبال
أفيقى ، كفاك ، لقد طال مسراك عطشى وراء سراب الرمال

تعيشين فى ذهلة الحالمين   بعيداً بآفاق كون عجيبِ !
ويملأ روحك فى قيده   حنين المشوق وشجو الغريب
ومن فلك الأرض كم تطلقين   خيالك فوق الفضاء الرحيب
يجوز مدارَ النجوم ويمعن   فى اللانهايات ، عبر الغيوب

فنى ، أين تمضين؟ فيم اندفاعك ؟ من ذا ترين بأفق الشرود
وما هذه ؟ رجفةٌ فى كيانك مما تشدُّ عليه القيود
تمرّد روحك فى سجنه   يريد يحطم تلك السدود
ليسمو طليقاً خفيف الجناح   وراء الزمان ، وراء الحدود !

فنى ، أين تمضين ؟ من ذا ترين هنالك عبر الفضاء العظيم
وماذا يشوقك ، أم من ينادى ويومئ من شرفات السديم ؟!
تمرُّ أمامك هذى الحياة   مواكبَ مختلفاتِ الرسوم
فتلوين وجهك لا تنظرين   وفى مقلتيك ظلال الوجوم

ألا كم تهيمين فى عالم   تناءى بعيداً بعيداً مداه
وفى عمق روحك شوق ملح   جموح لظاه ، عنيف ظماه !
تراك هنالك تستلهمين السموات سر الردى والحياة !؟
تراك هنالك تستطلعين   خفايا الوجود وكنه الإله !؟

ألست من الأرض ، فيم انخطافك ؟ فيم انجذابك نحو الأعالى !
أأنكرتِ فى الأرض هول الفناء ، وظلم القضاء ، وجور الليالى ؟
تراكِ افتقدت جمال العدالة   فيها فهمت بأفق الخيال
محيرة والهاً تنشدين الحقيقة فى غامضات المجالى !

أراعك فى الأرض سيل الدماء وبطش القوى والرزايا الكبر ؟
أراعك فيها شقاء الحياة   أراعك فيها صراع البشر
أمن صرخات القلوب الدوامى   تمض عليها نيوب القدر
تلوذين فى لهف ضارع   بكون تسامى نقى الصور !؟

بلى ، هى هذى المآسى الكبار تمذب فيك الشعور الرقيق
فتنأين عن واقع راعب   إلى عالم عبقرى سحيق ..
ويمضى خيالك مستغرقاً   هناك بتهويمه . ما يفيق ..
هو الوهم ، عالمك الشاعرى ، المثالى ، مسرى الخيال الطليق
توحّدت فيه بأشواقك الحيارى ... بهذا الحنين العميق !

(نابلس) **فدوى عبد الفتاح طوقان**

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

لحظات فى سجن أبى العلاء :

... ...

جلست وصاحبى نتجاذب أطراف الحديث فى نواحى الحياة المختلفة من بقاء الجنس والنزوع إلى البقاء، وآراء بعض الفلاسفة فى الحياة، وساقنا الحديث إلى أبى العلاء، فذكرت لصاحبى قوله فى بقاء الجنس :

فليت وليداً مات ساعة وضعه ولم يرتضع من أمه النفساء !

واسترسلنا فى الحديث فذكرت قوله فى النزوع إلى عدم البقاء :

تواصل حبل النسل ما بين آدم وبينى ولم يوصل بلامى باء

وأخيراً تطرقنا إلى رأيه فى الحياة، وحبه فى عدم البقاء، وتشاؤمه من الدنيا، فعرضت لقوله :

دعانى بالبقاء أخو وداد رويدك إنما تدعو علىّ
فما كان البقاء لى اختياراً لو ان الأمر موكول إلىّ

فقال صاحبى : ما هى أهم صفة له ؟ فقلت : أعمى ! فارتسمت على وجهه علامة استنكار لهذا الرأى، وكأنه لم يرتح له، ولم يطمئن إليه ... ولذا جئت أسألك، وقد سبقنى إلى هذا السؤال شاعرنا الرصافى حينما خاطب الدكتور طه حسين قائلا : « لو لم يكن أبو العلاء أعمى، فما ذا يكون رأيه فى الحياة عند ذاك » ؟ !

دلك الله إلى الطريق السوى لطلاب المعرفة الحقة، وجعلك هادياً لمن يريد الهداية، وأدامك ما دمت مجيباً لكل سائل .

(ف . ع)

يوسفية — العراق

سؤال الأديب العراق الفاضل سؤال يجىء فى إبانه ... لقد قضيت لحظات فى سجن أبى العلاء قبل أن أتلقى هذه الرسالة بأيام، وليس أحب إلىّ من أن أعود إلى أبى العلاء من حين إلى حين لأرجع إلى كثير مما قال، ولأراجع كثيراً مما قيل فيه، سواء أكانت المراجعة لأقوال القدامى، أم كانت لأقوال المحدثين .

إن شخصية أبى العلاء لتمد فى رأيى أهم شخصية قلقة فى الفكر العربى كله ؛ ومن هنا يلذ لى أن أعود إليه، كما تلذ لى العودة إلى الشخصيتين الأخريين القابلتين فى الفكر الغربى، وأعنى بهما بودلير وليوباردى !

إن الشخصيات القلقة تستهوينى دائماً ؛ تستهوينى لأنها مصدر خصب من مصادر الدراسة النفسية، تلك التى تحيل الشخصية الإنسانية غرفة تشريح يتكشف بين جدرانها وتحت لمسات المبضع مكامن الداء ومنابع الانحراف ... إن هؤلاء الأعلام الثلاثة — وإن افترقوا فى الوطن والدين واللغة — إلا أنهم يلتقون فى ميدان واحد توجههم فيه نزعة نفسية واحدة : هى القلق ... والقلق — كما يقول صديقى الأستاذ راجى الراعى — هو أبرز صفحة فى كتاب العبقرية !

لو قال الباحثون عن أبى العلاء إنه إنسان قلق لعبروا عن الواقع أدق التعبير، ولأحاطوا بكل جانب من جوانب شخصيته بهذه الكلمة الواحدة، ولكنهم ركزوا كل عنايتهم فى جانب واحد انتهوا منه إلى حكم عام ما لبث أن استقر فى الأذهان واطمأنت إليه النفوس ؛ هذا الحكم العام محوره التشاؤم فى شخصية الرجل وفى فلسفته على حد سواء !

من الخطأ — فى رأيى — أن ينسب الباحثون أبا العلاء إلى نزعة نفسية بعينها ليتفرد بها وليقف عندها لا يكاد يتعداها إلى غيرها من النزعات ؛ ذلك لأن أبا العلاء قد مال إلى التفاؤل كما مال إلى التشاؤم، ونصح بالإقبال على الحياة كما نصح بالإعراض عن الحياة، وآمن بالبعث كما أنكر إيمانه بهذا البعث، وأوصى بالزهد فى نعيم الدنيا كما أوصى بالإغراق فى هذا النعيم، ونادى بفكرة الزواج والنسل كما نادى بنبذ هذه الفكرة مقدماً من نفسه مثالا لهذا الحرمان !

أبو العلاء إذن لم تكن له « لافتة » واحدة « يعلن » فيها عن رأى واحد تتميز به شخصيته الفلسفية والإنسانية، ولكنه كان أشبه بالتاجر الذى يعلن كل يوم عن « صنف » جديد من أصناف « بضاعته » عقب وروده بلحظات !

نعم، فلم يكن أبو العلاء إلا تاجر آراء على التحقيق ... آراء

فلسفية مختلفة متناقضة لا تستطيع أن تصدق رأياً منها لتكذب الآخر ، فإما أن تقبلها جيماً ، وإما أن ترفضها جيماً ، أما أن تقف منها عند رأى بعينه لتخرج منه بلافتة كبرى هى « التشاؤم » فذلك أمر تثور عليه فلسفة أبى العلاء كل الثورة ، لأنها فلسفة الإثبات هنا وفلسفة الإنكار هناك ! إن وجه الشبه بين تاجر البضائع وتاجر الآراء هو أنك لا تستطيع أن تنسب الأول إلى صنف واحد مما يقدمه إلى الشارين ، ولا أن تنسب الثانى إلى رأى واحد مما يقدمه إلى المريدين ؛ وإنما تستطيع أن تنسب الأول إلى أصناف بضائعه كلها فتقول عنه مثلا إنه يبيع « البقالة » ، وأن تنسب الثانى إلى مجموعة آرائه كلها فتقول عنه مثلا إنه يبيع « القلق » ! وهكذا كان أبو العلاء فى حقيقة شخصيته وحقيقة فلسفته ... تاجر آراء ... فيها التشاؤم وفيها التفاؤل ، وفيها الإلحاد وفيها الإيمان ، وفيها الإقبال وفيها الإعراض ، وفيها الهدم وفيها البناء ، وكل تلك السطور المتناقضة يمكنك أن تضعها تحت عنوان كبير مكون من كلة واحدة هى « القلق » !

هذا القلق هو الظاهرة الكبرى فى شخصية أبى العلاء ؛ فإذا أراد الدارسون أن يقتفوا آثاره ليصلوا إلى أسبابه ، فليس أمامهم غير حقيقة واحـدة ، هى أن الذبذبة الفكرية ما هى إلا انعكاس مباشر للذبذبة النفسية ... وهذه هى المرحلة الثانية التى تدفع بهم إلى الباب الأخير ليفتح على مصراعيه !

ولنا بعد ذلك أن نسأل : ما هو المفتاح الأصيل الذى نعالج به هذا الباب لنضع أيدينا على سر تلك الذبذبة التى وجهت العقلية العلائية هذه الوجهة التى لا تطمئن إلى رأى ولا تستقر على حال ؟ أهو العمى ؟ أهو تلك الآفة التى أصيب بها وحرمته نعمة الضياء وردد وقعها على نفسه فى كثير من شعره ؟ !

إن العمى قد يبعث على الألم ، وقد يدفع إلى الشكوى ، وقد يحض على التشاؤم وكراهية الحياة ، ولـكنه إذا سبب هذا كله لأبى العلاء ، فإن منطق الشعور لا يرتضى أن يخرج أبو العلاء عن دائرة الألم والشكوى والتشاؤم ، فما بال الرجل قد خرج عن هذه الدائرة وتذبذب بين الأمر ونقيضه ، وانحرف مرة نحو اليمين ومرة أخرى نحو الشمال ؟ !

ونعرض للمشكلة من زاوية أخرى فنقول : إذا مال الباحثون إلى الأخذ بهذا التفسير الذى يلتمس فى الآفة الجسمية سر النظرة إلى الحياة فهو تفسير غير مقبول ... فما أكثر المكفوفين الذين امتلأت حياتهم بالنور ، وامتلأت نفوسهم بالرضا ، ونظروا إلى الدنيا من خلال منظار أبيض يحيل الدمعة فى عيونهم فرحة وابتسامة ، وما أكثر المبصرين الذين نظروا إلى الدنيا من خلال منظار أسود فقضوا كل أيام الحياة وهم يتخبطون فى الظلام !

ليست الآفة الجسمية إذن هى مصدر هذا القلق الذى أقض مضاجع الفكر فى شخصية أبى العلاء ، ولـكنه فيما أعتقد شىء آخر نفسر على ضوئه المشكلة دون أن نحمل النفسية العلائية ما لا تطيق ... إنك لو رحت تبحث عن سر القلق والاطمئنان فى كل شخصية إنسانية لما وجدته ممثلا إلا فى كلمتين : هما فراغ الحياة ، وامتلاء الحياة !

نعم ، وهـذا هو المفتاح ... المفتاح النفسى البسيط الذى لا غموض فيه ولا تعقيد ... لو فرغت الحياة عند المبصر وغير المبصر لغدت فى رأى الشعور وهى مأساة تحفل باللوعة والألم والعذاب ، ولغدا الفكر الثابت المستقر وهو نهب لزلزلة الرياح والأعاصير !

ولو امتلأت الحياة عند المبصر وغير المبصر لأصبحت فى رأى الشعور أملا كبيراً تتبخر تحت أشعته المتوهجة قطرات الهم والأسى وتفر أشباح الحرمان !

الفراغ فى حياة أبى العلاء ولا شىء غير الفراغ ، وعلى هديه نلتمس العلة الأصيلة لتلك الذبذبة النفسية ممثلة فى هذه الذبذبة الفكرية !

ولنا بعد ذلك أن نسأل : أى لون من ألوان الفراغ كان يشكو أبو العلاء ؟

إنها ثلاثة ألوان : فراغ النفس ، وفراغ القلب ، وفراغ الجسد ... ولك أن تردها جيماً إلى الحرمان ؛ فنفس أبى العلاء كانت تشكو الحرمان من العطف ، وقلب أبى العلاء كان يشكو الحرمان من العاطفة ، وجسد أبى العلاء كان يشكو الحرمان من المرأة !

وقف طويلا عند هذا الحرمان الأخير ، فهو مصدر الحرمان كله ، ومركز الفراغ كله ، وعلة هذا القلق الذى وجه أبا العلاء ألف وجهة ، وحيره بين ألف رأى وعقيدة ، وقذف بعقله إلى

ألف درب من دروب الفكر ، حيث يتجلى التناقض والتضارب والاختلاف !

هذا الجدب العاطفي في القلب الإنساني ، وهذا الكبت الطويل المنيف للغريزة الجنسية ، هما في رأيي — ولا شيء غيرهما — مركبا النقص الخطيران في شخصية أبي العلاء ، ولا حاجة بنا إلى الحديث عن مركب النقص وأثره في توجيه العقول والأفكار !

لقد سألني الأديب العراقي الفاضل : لو لم يكن أبو العلاء أعمى فما ذا يكون رأيه في الحياة عند ذاك ؟

ترى أيحتاج بعد هذه الدراسة النفسية إلى جواب ؟ !

بعض الرسائل من حقيبة البريد :

أشكر للأديبة الفاضلة التي كتبت إليّ مهنئة بشهر الصوم ، أشكر لها هذه العاطفة النبيلة التي حملتها إليّ سطور وكلمات ، أما عن سؤالها إذا كنت مسلماً أو مسيحياً فأنا مسلم والحمد لله . ولو رجعت إلى بعض أعداد « الرسالة » لتأكدت من صدق هذه الحقيقة ! أما عن قضيتها الأدبية فأرجو أن تثق كل الثقة بأنني معنى بها كل العناية ، وسأبذل كل ما في وسعي لأقنع « صاحب الأمر » بعدالة هذه القضية . وأنتقل إلى الرسالة الثانية التي تلقيتها منذ أيام من « دمشق » حيث يقول مرسلها الأديب الفاضل عزة عثمان : « أود أن أتقدم بواجب الشكر وعظيم الامتنان ، لما أفدته من أبحاثك حول (الفن والحياة) ... لقد تفهمت تماماً — على الرغم مما قاله الدكتور طه حسين — كل معنى قصدت إليه ، وقد توارد على فكري وأنا أقرأ ردك على كلمتي الأستاذين طه والحكيم ، مايقول الأستاذ راجي الراعي : « جبيلة هي الوجة المقتحمة الهائجة وأجل منها الصخرة التي تردها ! » يا صديقي ، أشكر لك هذه التحية الكريمة وأقول لك رداً على الأسئلة التي وجهتها إليّ : إن الترجمة القديمة خير من الترجمة الجديدة ، خير منها من جميع الوجوه التي عرضت لها في رسالتك ، وأكتفي بهذا القدر من الإجابة دون التعرض للأسماء حتى لا يحرج بعض الناس ! أما عن رجائك في أن أترجم لقراء الرسالة — ولو مرة في كل شهرين — فصلاً أو قصيدة أو قصة أختارها مما بين يدي من نتاج كتاب الغرب ، فإنني أجيبك على هذا الرجاء بأنني لا أميل كثيراً إلى الترجمة لأنها ميدان لا تظهر فيه الشخصية الفكرية كما تحب أن تظهر ، ولعلك تلمس من كتاباتي أنني إذا قرأت فصلاً من الفصول في الأدب الغربي أو الأدب العربي حرصت كل الحرص على أن أقف منه موقف العارض والمحلل والناقد ، وأظنك توافقني على أن الترجمة لا تحقق لي شيئاً من هذا الشغف الذي فطرت عليه ! ومع ذلك فأنا أرجو أن أحقق هذه الرغبة يوماً لأنها رغبة صديق .

ولا بد من الشكر مرة ثالثة لصاحب الرسالة الثالثة ، وهو الأديب الفاضل محمد دوبلة من « شرق الأردن » ... يا صديقي إنني أرحب بصداقتك وبكل صداقة يعطرها الخلق والوفاء ، وإذا كانت « من الأعماق » و « من وراء الأبد » قد ربطتا بيني وبين كثير من القراء برباط المودة الروحية المتسامية فكم أود أن أكثر من هذا اللون الوجداني ليزداد عدد الأصدقاء المتذوقين .

أما الرسالة الرابعة فهي من الأديب الفاضل محمد تيم بمصر الجديدة يقول الأديب الفاضل : « أرسلت إليكم كتاباً طلبت فيه شرح الخطوط الفنية التي درستم على ضوئها إنتاج الأستاذ سهيل إدريس القصاص اللبناني في العدد (٨٣٤) من « الرسالة » ، واليوم أعود فأطالبكم ثانية بهذا الشرح ، وأرجو أن يكون وافياً موضحاً بالأمثلة من كتاب القصة عندنا وفي الغرب » . إن ردي على هذه الرغبة هو أن بين يدي كثيراً من كتب الأدباء في انتظار النقد وكثيراً من أسئلة القراء في انتظار الإجابة ، فإذا أرجأت التعقيب بعض الوقت على هذا الموضوع فأرجو المعذرة !

كتاب جديد للأستاذ أحمد الصاوى محمد :

لست أدرى كيف أشكر للصديق الأثير الأستاذ أحمد الصاوى محمد هذه التحفة الروحية الخالصة التي غمرني بفيضها حين أهدى إليّ كتابه الجديد « بنات » ... إن الذين يعرفون الصاوى كما أعرفه ، يعرفون فيه إنساناً يضع قلبه على يديه ليقدمه إلى الناس في غلاف من سمو العاطفة ، ومن هنا كان الصاوى في أكثر كتاباته دقات قلب تسبق وثبات قلم ، وبخاصة في هذا الكتاب الجديد الذي كنت أود أن أقدمه إلى القراء في هذا العدد لولا ضيق النطاق ، فإلى العدد القادم حيث أضعه على مشرحة النقد والتحليل .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

ذكريات منسية :

جاءت ذكريات ثلاثة من أعلام النهضة الأدبية والفكرية بمصر فى الأسبوع الماضى ، وهم الشيخ محمد عبده ، والمنفلوطى ، وحافظ ابراهيم ، فماذا لقيت هذه الذكريات من اهتمام ؟

أما الشيخ محمد عبده أستاذ الأساتذة والرائد الأول لإصلاح الأزهر ، ونافض الغبار عن الفكر الإسلامى فى العصر الحديث ، فقد انحصر إحياء ذكراه فى حديث عنه للدكتور عثمان أمين بالإذاعة يوم الذكرى الموافق ١١ يولية الحالى ، وكذلك السيد مصطفى لطفى المنفلوطى الكاتب الإنسانى الذى أحبه كل قارئ وقرأه كل شاد فى الأدب ، إذ كان كل نصيبه من الذكرى حديث عنه للأستاذ محمد خلف الله أحمد يوم ذكراه الموافق ١٢ يولية الحالى ، أما حافظ ابراهيم شاعر النيل الذى ظل حياته يشجى بالتعبير عن أوجاع مصر ، فقد نسيته مصر وتجاهلت ذكراه الموافقة ٢١ يولية الحاضر ، وأنكرته الإذاعة كأنها لا تعلم أنه كان فى مصر شاعر اسمه حافظ ابراهيم !

وقد اقتربت ذكرى أمير الشعراء أحمد شوقى بك ، ولا بد أن الإذاعة ستستعد لإحيائها كما تفعل كل عام بذلك البرنامج الحافل الذى يتلخص فى إذاعة فصل من مسرحية مجنون ليلى ، وإدارة (اسطوانة) يا جارة الوادى ، وجفنه علم الغزل !

منذ شهور احتفلت سفارة الباكستان فى القاهرة بذكرى شاعرها الكبير محمد إقبال ، وكان ذلك فرعاً أو مشاركة للمهرجان الكبير الذى أقيم فى الباكستان للشاعر العظيم ، ومن نحو شهرين تألفت لجنة فى مصر للاشتراك فى إحياء ذكرى الموسيقى العالمى شوبان ، واجتمعت هـذه اللجنة فى وزارة الخارجية ، ووضعت برنامج الاحتفال الذى سيكون فى سبتمبر القادم ، ومنذ قليل تلقت وزارة المعارف من هيئة اليونسكو كتاباً يتضمن أنها ستحتفى بذكرى الشاعر الألمانى جيته وتدعو مصر إلى الاشتراك فى إحياء ذكراه ، ونشرت الصحف أن الوزارة أخذت فى العمل على تأليف لجنة من الأدباء والفنانين المصريين للاحتفال فى مصر بذكرى جيته .

ولو ذهبنا نسوق الأمثلة لاهتمام الأمم والدول بذكريات أعلامها من الأدباء والفنانين والمفكرين لطال المقام ، كما يطول بسياق الأمثلة لجحود مصر ونسيان الراحلين عنها بعد أن فنوا بأداء رسالاتهم فيها ، والعجيب أن تهتم بمشاركة غيرها فى الاحتفال للذكريات وهى لا تهتم بذكريات أبنائها !

وجدير بالغير ألا يهتم بهم ما دامت هى غافلة عنهم !

والتقصير فى ذلك يرجع إلى الجهات الحكومية وإلى الهيئات الأهلية ، أذكر من الأولى وزارتى المعارف والشؤون الاجتماعية والإذاعة ، ويختص الأزهر بالتقصير فى جانب الشيخ محمد عبده !

وما أكثر الجميات الأدبية والثقافية فى مصر ، وما أقل الأدب والثقافة فيها ! وإن أليق شىء بها أن تقوم بإحياء ذكريات الأدباء والمفكرين .

ولا ينبغى أن يهمل ذكر الصحافة فى هذا التقصير ، فإنه لا تغنى كلمة هنا ونتفة هناك ، ولا شىء هنا وهناك ...

وكذلك الكتاب الذين عاصروا وعاشروا الشخصيات التى نسيت ذكرياتهم ، وهم أولى الناس بأن يذكروها .

وأعتقد أن أولئك الراحلين ليسوا فى حاجة إلى تلك الجفاوات والاحتفالات ، إنما تنفع الذكرى الأحياء بما يجلى عليهم فى إحيائها من آثار أدبية ومثل عالية فى حياة من تحيا ذكرياتهم ، فهى للجيل الحاضر معرض رائع من صور الإنسانية الراقية فى حياة الماضين ومما يلابسها من آداب وعلوم وفنون ... فاذكروا الأحياء بذكرى الأموات !

تعليم العربية فى جنوب السودان :

رددت الصحف أخيراً أنباء خلاف وقع فى السودان بين وزير المعارف هناك السيد عبد الرحمن على طه وبين

السلطات البريطانية على دراسة اللغة العربية في مدارس السودان الجنوبي ، وقالت الأنباء إن السيد عبد الرحمن قام برحلة إلى الجنوب تفقد فيها حالة التعليم هناك ، ولما عاد إلى الخرطوم رأى ضرورة اعتبار اللغة العربية لغة أساسية فى مدارس الجنوب وهذا النبأ يدل على حقيقة تدعو إلى الأسف ، وهى أن أهل السودان الجنوبى يعلّم من يعلم منهم بغير اللغة العربية ، بالإنجليزية طبعاً . . ولكن الإنجليز لا يشاركوننا هذا الأسف بطبيعة الحال ، بل هم يدهشون لاجتراء وزير المعارف السودانى على الاهتمام باللغة العربية واتخاذها مادة أساسية بتلك المدارس ، ولا بد أن يعارضوا فى ذلك ويلتمسوا لمعارضتهم أسباباً تحمل (ماركة) البرود الإنجليزى المشهورة ... قالوا : إن هذه خطوة سابقة لأوانها ! واعتلوا بعدم وجود مدرسين للغة العربية ملمين باللغة المحلية الجنوبية .. ومعنى هذا وذاك باللغة العربية الفصيحة ، أنه يجب ألا يتعلم السودان الجنوبى إلا الإنجليزية ولا تفتح أبوابه إلا للارساليات المسيحية التبشيرية ، أى يجنب كل ما يربطه بالشمال من تلك الروابط التى تقلق البال البريطانى

ولعلك تعلم أن فى (ملكال) من جنوب السودان مدرسة ابتدائية مصرية أنشأتها وزارة المعارف المصرية منذ سنوات هناك حيث توجد إدارة للرى المصرى ، وأن هذه المدرسة يعلم فيها معلمون مصريون أبناء الجنوب باللغة العربية ، ويمتحن تلاميذها فى امتحان الشهادة الابتدائية المصرية ، وقد نجحت جهود هذه المدرســـة نجاحاً ملحوظاً . فهل المعلمون المصريون يفهمون اللغة المحلية فى جنوب السودان أكثر مما يفهمها معلمو شمال السودان ؟

ثم كيف توافر معلمو اللغة الإنجليزية الذين يعرفون لغة أهل الجنوب دون أن يتوافر مثلهم معلمون للغة العربية ؟ إذا كان معلمو الإنجليزية من السودانيين الشماليين فحكمهم حكم من يعلمون اللغة العربية من مواطنيهم ، وإن كانوا من الإنجليز فما أحسبهم يدعون أن هؤلاء هم الذين أوتوا القدرة على فهم لغة الجنوب .

إن ما يبديه البريطانيون فى السودان بهذا الصدد إنما هو تعلات يقصد بها الوقوف فى وجه الثقافة المصرية خاصة ووجه

كشكول الأسبوع

◻ سبق أن أشرنا إلى موافقة مجلس كلية الآداب على تعيين الأستاذ عبد الوهاب حمودة أستاذاً لكرسى شوقى . ونضيف الآن إلى ذلك أن المذكرة المعدة لهذا الغرض تتضمن أن يكون ذلك ترقية للأستاذ على أن تسند الدراسة نفسها إلى أستاذ كبير غير متفرغ قد يختار من الأساتذة الذين أحيلوا إلى المعاش . وقد رفع الموضوع إلى مجلس الجامعة .

◻ الصديق الكريم الأستاذ محمد سعيد العريان أديب مرزأ ، وآخر ما حدث له أن سطا بعض اللصوص على داره فسرقوا ما يقدر بنحو مائتى جنيه . وقد رفع هذا الحادث رؤوس الأدباء إذ أثبت أن فى بيوتهم ما يطمع السارقين ... لا أخلى الله بيت الأستاذ مما يسرق ، على ألا يسرق .

◻ استقر الرأى فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية على إخراج معجم فيشر ، وهو المعجم الذى كان يشرف عليه فى المجمع الدكتور فيشر المستشرق الألمانى ، وانقطع العمل فيه بانقطاعه عن مصر فى خلال الحرب حتى توفى أخيراً . وتقوم فكرة هذا المعجم على بيان معانى الكلمات فى تراكيبها المأثورة . وقد شكلت لجنة من بعض موظفى المجمع لمراجعة ما خلفه فيشر من قصاصات وأوراق خاصة بالمعجم . وتتجه الرغبة إلى أن يتولى إعداده للطبع أحد المستشرقين الذين اشتركوا مع فيشر فى هذا العمل .

◻ جاء من باريس أن مدير جامعة باريس أقام مأدبة غداء تكريماً للدكتور طه حسين بك حضرها جماعة من رجال الفكر فى فرنسا ، كما حضرها سفير مصر فى باريس الذى أعرب عن اغتباطه بما سمع من تنويه المثقفين الفرنسيين بمواهب الكاتب المصرى الكبير وإعجابهم بمؤلفاته التى ترجم كثير منها إلى اللغة الفرنسية .

◻ وجاء من باريس أيضاً أن الأب جومييه عضو المعهد الفرنسى بالقاهرة ألقى محاضرة عن مصر بين فيها خطأ السائحين فى قصر اهتمامهم على الآثار الفرعونية ، فقد تعاقبت على مصر حضارات أخرى كحضارة البطالسة والحضارة الإسلامية ، وخلفت فيها آثاراً جديرة بالاهتمام ؛ وكذلك ينبغى الوقوف على مظاهر التقدم الحديث فى مصر .

◻ يهتم الفنيون فى وزارة المعارف بمعرض (مصر — فرنسا) الذى يفتتح فى ٢٦ سبتمبر القادم بباريس ، وذلك من حيث اشتراك مصر فى معروضاته والإشراف على تنظيمه وسيحضر افتتاحه معالى الأستاذ على أيوب وزير المعارف ، وقد ندب بعض موظفى الوزارة للسفر إلى باريس للاشتراك فى الإجراءات التمهيدية لافتتاح المعرض

انتشار التعليم على العموم ، فهم لا يريدون تعليماً يستنير به المتعلمون وإنما يريدون تعليما «يجلنز» وحسب . وزمام الإنجليزية في يدهم يطبعون من يعلمونه بها كما يشاؤون ، بخلاف الأمر في تعليم العربية غير المأمون.

وتلك «التعلات» ليست جديدة علينا ، فقد سمعناهم من عهد قريب يقولون — لمعارضة التوسع في إنشاء المدارس المصرية بمدن السودان — إنه ليس من مصلحة البلاد تعدد الثقافات فيها وقد فندت هذا القول في حينه . ثم خطب بعد ذلك معالى الأستاذ على أيوب وزير المعارف في حفلة نهاية العام الدراسى الماضى بكلية فيكتوريا الإنجليزية فقال إنه يرى نجاح هذه الكلية في مصر دليلا على فائدة تعدد الثقافات !

وكانت هذه رمية مسددة من معاليه كان أحرى بالإنجليز في مصر أن يبعثوا بها إلى زملائهم في السودان ، ولكنهم لم يفعلوا لأنهم يوقنون أن ما يقوله الزملاء هناك إنما هو «تعلات».

وبعد ، فإني أبعث إلى السيد عبد الرحمن على طه بتحية من شمال الوادى ، لتشدده في أن تدرس اللغة العربية دراسة أساسية في جنوب السودان ، تشدداً بلغ حد التهديد بالاستقالة ، ويبدو من آخر الأخبار أنه مصر على رأيه وأنه أدنى إلى النجاح فيه ، وهو موقف مشرف ينظر إليه التاريخ نظرة ملؤها الاحترام والاعتبار .

□ أعلنت سفارة الباكستان في القاهرة عن حاجة الإذاعة الباكستانية إلى مدير للقسم العربي بها ومساعدين له ، وذكرت الشروط التي يجب توافرها — من حيث الكفاية والمؤهلات — فيمن يتقدم لهذه الوظائف . والشروط في جملتها لا تتحقق في واحد من كبار المشرفين على إدارة الإذاعة المصرية وخاصة المراقب العام .

□ كتب الأستاذ سلامة موسى في «النداء» يوم الثلاثاء الماضي مقالا حمل فيه على من يسمى دولة إسرائيل (مزعومة) «لأنه بهذه الكلمة يحملنا على الاستهانة بهذه الدولة الجديدة التي تحاول أن توجد مجتمعاً علمياً وحكومة علمية وأخلاقاً علمية» كما قال : وهذه عينة أخرى من الأفكار الحرة «المزعومة» التي يدافعون عنها في رابطة اللا أدباء .

□ ظهر العدد الأخير من مجلة الإذاعة المصرية ، وعلى صفحة غلافه الأولى صورة مسجد ، وعلى صفحة الغلاف الثانية صورة امرأة عارية (بالمايوه) — خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً .

□ أعلنت جريدة الزمان بجريدة الأهرام عن مسابقة شعرية تجريها في (ركن الأدب) بها بين الشعراء الناشئين . ولعل الجريدة ترمي بالإعلان في زميلة أخرى وعدم الاكتفاء بالنشر فيها إلى أن تنبه من لا يقرؤها من الشعراء الناشئين إلى المسابقة . وقد رأيت أن أتمم لها هذا الغرض بهذه النبذة.

□ أنشأت الجالية اللبنانية بمدينة مكسيكو مدرسة عربية ، وقد بلغ عدد تلاميذها ٢٥٠ وكلهم من أبناء المهاجرين العرب الذين يرغبون في درس لغة وطنهم الأول .

مركب إذاعة :

إذا رأيت في الصحف أو سمعت في البرلمان نقداً للإذاعة ينصب على تقصيرها في مسألة من المسائل التي يجب أن تهتم بها ، فلا بد أن ترى على أثر ذلك في مجلة الإذاعة المصرية — إن كنت تراها — أن إذاعتنا مهتمة بهذه المسألة أكبر الاهتمام ولم تتوان عن أن تتخذ فيها كيت وكيت ، وذلك بأسلوب يجتهد فيه كاتبه أن ينطلى موضع المؤاخذة بالتعميم والتهويش دون أن يحرج نفسه بالتفصيل والتبيين ؛ وبذلك تحاول الإذاعة أن تعوض النقص ، ولكنها تركبه ..

وآخر مثل لذلك ما أخذه الكتاب على الإذاعة من تقصيرها في تسجيل روايات نجيب الريحاني المسرحية ، وكانت الإذاعة تذيعها من مسرحه ، فكان أن توفى ولم يسجل له عمل مسرحى .

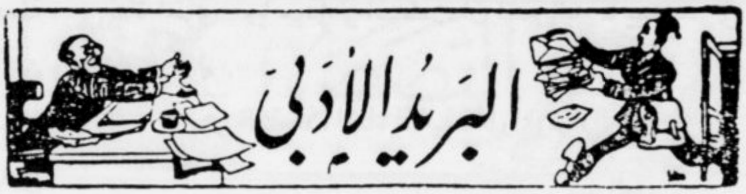
ثم طلعت مجلة الإذاعة في الأسبوع الماضي (عدد ٧٤٥) تقول إننا سنقدم قريباً رواية للريحاني ، وأعقبت ذلك بأن الإذاعة المصرية تحتفظ بتسجيلات وافية لأصوات العظماء والأدباء والفنانين ، وأنها لم تقصر في هذا المضمار .

وتوهم المجلة بذلك أنها سجلت شيئاً للريحاني ، دون أن تحرج نفسها بذكر اسم الرواية ، على طريقتها التعويضية المتقدمة .

وأخيراً ، يوم الخميس الماضي تمخض المذياع فنقل من سينما استديو مصر فلم (سى عمر) لنجيب الريحاني !

وكفى الله الإذاعة عناء التسجيلات ! !

عباس خضر



بيان وتنبيه !

١ — قرأت للمرة الأولى كتاب التصوف وفريد الدين العطار للدكتور عبد الوهاب عزام بك مع نقده فى مجلة الكتاب الغراء ، وقد طلب الناقد الكشف عن فقرة فشرحتها ، ولم يتيسر إيضاح الفقرة الثانية .

ثم قرأته للمرة الثانية ولا زالت تلك الكلمة أمام ناظرى ، حتى تبين لى وجه الصواب فيها . وتلك الكلمة هى قول الجنيد كما وردت فى الكتاب المذكور « ليس الاعتبار بالخرقة ، إنما الاعتبار بالُحرقة » .

وقد قال الناقد عنها فى مجلة الكتاب «وهذا يدعو أن نسأل الدكتور عن تساهله أحياناً فى إيراد القول الواحد على وجهين قد لايتأثر بهما المعنى، ولكن تتأثر بهما إرادة التحقيق ، فقد روى فى ص٢٩ عن الجنيد أنه قال : ليس الاعتبار بالخرقة ، إنما الاعتبار بالُحرقة » وفى ص ٣١ ذكر أن الجنيد قال : إنما الاعتبار بالحرقة وليس الاعتبار بالخرقة «ومؤدى الروايتين وملفوظهما يكاد يكون واحداً لولا الفرق بين إيراد النفى أولا والحصر بإنما ثانياً وما يتبع ذلك من فرق دقيق فى المعنى من حيث علم المعانى ... » .

وأقول : إن الصوفية همهم العمل ظاهراً وباطناً ، فظاهراً الاحتراف وعدم الكسل ، وباطناً تنقية النفس من أدرانها حتى تكون العبادة على صفاء . وقد كان الأكابر من رجال الطريق عند ما يأخذون على أحد العهد يقرونه على حرفته ويطلبونه منه عدم تركها والإحسان فيها . ولذا كان الخواص يقول : إن الذى يأكل من كسبه ولو مكروهاً كالحجام أحسن من المتعبد الذى يأكل بدينه ويطعمه الناس لصلاحه . وكان رضى الله عنه لا يجيب فقيراً إلى طعامه إلا إذا علم أن له كسباً شرعياً من تجارة أو زراعة أو صنعة . وقد سأل شخص من الأمراء أن يعمل له مولداً فأبى الشيخ وقال : والله إن كسبي من هذا الخوص لايعجبنى الأكل منه ، فكيف آكل من كسب الأمراء أو أدعو الناس إلى الأكل منه !

مما ذكر يتضح أن التصوف الحق هو العمل وهو المراد من قول الجنيد رضى الله عنه . وصحة قوله هو : ليس الاعتبار بالخرقة ، أى بلبس ثياب المتصوفة ، إنما الاعتبار بالحرفة أى الصنعة . بمعنى أن الدين الصحيح والعبادة الحقة ليس لبس الإنسان لباس التقشف والمعيشة على حساب الغير وترك التكسب ، وإنما هو الإحتراف ومنفعة العباد ، فلا خير فى شخص لا فائدة فى حياته . وهذا نبى الله داود عليه السلام مع مرتبته « كان يأكل من عمل يده » .

فالعمل فى نظر المتصوفة هو الحياة ، ولاخير فى حياة بلا عمل .

٢ — ظللت أرتع فى رياض كتاب « عبقرية محمد » للأستاذ عباس محمود العقاد وأستمتع بالنظر إليها وبأريجها ، وبما فيها من جمال وجلال ، ولكنى وجدت نبتة صغيرة — ليس لها مكان — يسهل اقتلاعها إذ لا يصح أن يشملها هذا الروض العطر .

وأفصح فأقول وجدت حديثاً فى ص٢٣٩ وهو « كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف ... » .

وهذا الحديث القدسى ليس مذكوراً فى الكتب المعتمدة فى الحديث ، وقد قال عنه ابن تيمية : ليس من كلام النبي عليه السلام ولايعرف له سند صحيح . «وتبعه الزركشى وابن حجر والسيوطى وغيرهم ، ومن المتأخرين من أفتى ببطلانه . ولو ورد على لسان بعض المتصوفة فليس لبعضهم باع فى ذلك وقد قال أحد أكابرهم وهو الغزالى « أنا مزجى البضاعة فى الحديث » . ولأن مدار صحة الحديث على السند ، وهذا الحديث الذى معنا لا سند له .

ولو خلا منه كتاب الأستاذ العقاد لما أثر فيه ولما ذهب من جماله شىء بل يزيده جمالاً فوق جماله .

(شطانوف) محمد منصور خضر

حب عذرى :

يكاد يجتمع الكاتبون فى عصرنا على أن الحب الطاهر لم

يعد له وجود إلا في بطون الكتب ، وخيالات الشعراء ، وأدمغة المحررين ، ويرون أن الحب إن كان بالأمس سمواً بالنفس عن الدنيات ، وارتفاعاً بالروح عن أوضار التراب ، فإنه اليوم شهوة جسد إلى جسد ، ورغبة جنس في جنس ، قالوا ، ولا يدعى الهوى الطاهر إلا أحد رجلين إما مجنون أو مغالط .

وقد حدثني صاحبي — وما عهدته يكذب — بقصة أسوقها لقراء الرسالة ، أنا أعلم أن الجم الفقير منهم سيزم شفتيه ، ويحملق بعينيه ، ويرسل خياله في الأفق ثم يقول : أين ، ومتى ؟ وأن القليل ، أو الأقل من القليل ، سيتفاءل ، ويقول : يحتمل ، ولكنني على كل حال واثق من صدق صاحبي ، مؤمن بما قال ، وقد أوجز قصة صاحبته فقال : هي فتاة لم تبلغ العشرين من عمرها ، وهذه السن هي سن الطيش والنزق عند الفتيان والفتيات ، ولكن هذه الآنسة أثبتت بسلوكها أن الفتاة المتدينة المحافظة ، المترفعة بنفسها ، الخاضعة لكبريائها ، تستطيع أن تكون قوية الإرادة ، صادقة العزيمة ، فلا تندفع وراء عواطفها ، ولا يجرفها التيار ، رأته فأحبته ، أحبته حباً شديداً ملك عليها نفسها ، وسيطر على مشاعرها ، وكما يقول الرافعي رحمه الله : « أراه حباً فالقاً كبدي » كان شاباً مديد القامة ، أبيض الوجه ، مفتول العضل ؛ وكان فوق ذلك (فناناً) ، أحبته ، وتطلعت نفسها إليه ، وأوشكت أن تنزل إلى الشارع لتتحدث إليه ، وتنعم بقربه ، ولكنها — بعد جهاد نفسي عنيف — خضعت لكبريائها ، ونزلت عند تقاليد أسرتها ، فآلت على نفسها أن تتجلد ، وتتحمل ، وأن تترك حبه يفعل في نفسها ما يفعل .

قال صاحبي : وأتيح لي أن أطلع على سرها وأن أتحدث إليها فيه ، فسألتها مرة : كيف عرفت هذا الفتى ؟ قالت : رأيته يروح ويغدو إلى مدرسته في هدوء الفنان ، قلت : ما اسمه ؟ قالت : ذلك اسم مقدس ، لا أسمح لنفسي أن تنطق به ، ولا أبيح لغيري أن ينطق به أمامي ، قلت : هل تريدينه زوجاً لك ؟ قالت : لا . إنه جميل ، إنه أجمل مني ، وأنا لا أصلح له . إن كل ما أرجوه أن يبلغ قمة الشهرة في فنه ، وأن يتزوج بفتاة جميلة تسعده ، ولا أريد أن يضحي بعواطفه في سبيلي . قلت : كأنه يحب أخرى ، قالت : نعم ، قلت : هذا شاب صغير النفس ، قالت تريد سيدي ، أرجو أن تتأدب في الحديث عنه . إنني أحبه حباً خالصاً ، لا أريد من ورائه ما تريده الفتيات أمثالي ، وسأظل وفية له ، ولو أحب مائة فتاة أخرى . ويا حبذا لو استطعت أن أقدم إليه ما يساعده على بلوغ آماله .

تلك هي قصة هذه الفتاة المثالية ، فما رأي قراء الرسالة ؟

علي العماري

الجمع بين الأختين :

ورد في القصة التي نشرتها السيدة بنت الشاطئ في مجلة الهلال لشهر حزيران (يونيه) إن الزوج قد جمع بين أختين في زواج واحد ، حيث قالت الكاتبة : (حيث شاع في الحي بعد حين أنه تزوج من أختها وهي أرملة ...) وجاء أيضاً في الصفحة ذاتها (... فسكنت حيث هي ، تضع عيناً على طفلتها ، وترسل الأخرى وراء الزوج والضرة الأخت وبنتيها) .

ولما كان أدب القصة يقضي أن تكون القصة منتزعة من صميم المجتمع مصورة تقاليده ، واعية شعائره ، ممثلة لشتى النزعات والخلجات التي تدور في نفوس أشخاصه لكي يسهل أداء الرسالة وتحقيق الغاية التي يهدف من ورائها القاص . ولست أدري كيف غرب عن بال الكاتبة الفاضلة أن الجمع بين الأختين محرم في الشريعة الإسلامية السمحة ، إذ أن القاعدة فيها أنه يحرم الجمع بين امرأتين لو فرض أحدهما ذكراً حرمت عليه الأخرى ؛ كالجمع بين الأختين وبين امرأة وعمتها أو خالتها أو بنت أخيها أو بنت أختها . لأنه لو كانت أحداهما رجلاً » كانت الأخرى أخته أو عمته أو خالته أو بنت أخيه أو بنت أخته وذلك لقوله تعالى في كتابه الكريم : (وأن تجمعوا بين الأختين) . ولقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم : « لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ولا على ابنة أخيها ولا على ابنة أختها ، فإنكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم » وبهذه المناسبة أقول إن الجعفرية تذهب إلى أنه يجوز للرجل أن يتزوج على امرأته بنت أخيها أو بنت أختها برضا من امرأته . وبعمتها وخالتها مطلقاً قاصرين الجمع على ما ورد في النص .

هذا وللكاتبة الفاضلة ولصاحب (الرسالة) الغراء جزيل الشكر

(بغداد — كرخ) **محمد العبطة المحامي**



قصة من لبنان :

رفيق عـــلام ...

[مهداة إلى الصديق الأستاذ أنور المعداوي]

للاستاذ سهيل إدريس

كانت تشدنى إلى رفيق علام صداقة مخلصة وثقت أواصرها خمسة أعوام تلازمنا فيها تلازم الظل وصاحبه . فلم يكن عجباً أن أدرك من شأن رفيق ، ويدرك هو من شأنى ، مثل الذى يتاح للاخ من أخيه . وقد كانت طبيعة عملنا التجارى الواحد ، وتجاورنا فى السوق ييسران لنا اللقاء ، كلما وجدنا من وقتنا سانحة . وكنا إلى ذلك نتواعد على قضاء سهراتنا فى الملاهى ، فيجد كلانا أن صاحبه أقرب إليه من نفسه .

والحق أن صديقى رفيق كان شاباً وسيما جـذاب الملامح ، ممشوق القامة ، تحسبه إذا ما رأيته من أولئك الذين يختارون اختياراً لتمثيل الأفـلام السينمائية ... وكانت الملابس -- إذا ما ارتداها — تكتسب أناقة ليست هى من طبعها ، فتجتذب إليه أنظار النساء قبل الرجال .

وكان يسعدنى أن يجد رفيق فىّ وأجد فيه مستودعاً ينفض كلانا عنده ذات نفسه ، فـكنا نتعاون على شـؤوننا ونتبادل المشورة فى الشجون ، حتى لم يكن أحدنا يحبس عن صاحبه خبيئة ، وقد أتيح لى بفضل ذلك أن أقف من حياة صديقى على نفسية شاب تعد نموذجاً بشرياً فى حياة الناس .

***

لقد تابعت عن كثب قصة حبه الأول ، ذلك الحب الذى كانت بطلته فتاة أقسم أنى لم أر أجمل منها فى النساء اللوانى أعرف وأرى . وقد عاش رفيق هـذا الحب بكل ما فى أردانه من طاقة الحيوية وبقصارى ما تنطوى عليه جوانحه من رصيد الشـباب وحميا الفتوة ؛ ثم تحطمت كأس الحب فى يده ذات يوم ، لشدة ما عصرتهـا أصابعه ، فخرج من ميدان المعركة مثخناً بجراحات دامية ، لا يكاد يملك وعيه من فرط ما كانت تورث فى نفسه من آلام . ولما اندملت الجراحات حسب أنه شفى ، وأن بوسعه أن يستأنف طريقه أثبت قدماً ، وآمن غاية .

ولقد سلك هـذه الطريق حقاً ، ولـكنى رأيته يتهاوى على الجانبين ، فأدركت أن آثار الصدمة لا تزال تفقده توازنه .

كنت أعرف الأثر الذى تركه حب « مها » فى قلبه وكيانه ونفسه . كنت أعرف عمق هذا الأثر ؛ فلم يكن بدعاً أن يبدو أعمق منه جرح خيانتها إياه ، فى أعنف فترة من فترات حبه . وقد بلغ من شـدة هذه الصدمة أن رفيق لم يحدثنى عن الخيانة إلا مرة واحدة بكلمات قليلة مقتضبة ، كأنما كان يرغب فى أن يوفر على نفسه العذاب الشديد الذى تبتعثه ذكراها ...

ومنذ ذلك اليوم ، تبدى لى صديقى كالشبح التائه الحائر ، يسير دون أن يمين مقصداً ومن غير أن يستشرف محجة . كان كهؤلاء الذين كتب عليهم أن يقضوا حياتهم هائمين سادرين ، فى طريق ضالة ، يتناولون الأحداث كما تأتى ، ولا يفـكرون بغير اللحظة التى يحيون .

على أن شـيئاً من ذلك لم يكن ليبدو فى ظاهر الحياة التى يسوقها صديقى ... بل لقد كانت آثار السعادة وآيات الرضى والمرح بادية على وجهه ، حتى تحسبه قد طرح عنه هموم الدنيا وتدرع باللامبالاة واتخذ من الحياة كلها أداة لهو ومتعة ... أفيكون هذا رد فعل عنيفاً للصدمة النفسية التى حطمت أعصابه وأوهنت قواه ؟

ولعل أعجب ما فى أمره أن سعادته تلك كانت تتجلى أكثر ما تتجلى إزاء مبعث شقائه الغامض ومصدر ألمه المكنون .. إزاء المرأة نفسها ... سعادة ترتسم بسمة على ثغره لا تغيض ، ومرحاً فى عطفه لا ينفد .

وكنت كلما لقيته أستمع إليه يحدثنى عن مغامراته فيصدقنى الحديث ، فلا أعجب من أن تقبل عليه الفتيات كلفات بحبه

شديدات الإعجاب بشبابه ، وكان هذا يتيح له أن يحظى من المرأة بما تمتنع عن بذله غالب الأحيان .

وقد كنت موقناً أن صديقى يطلب فى المرأة أول مايطلب الجمال الفاره ، والفتنة الطاغية ، وكان سرعان ما ينصرف عن الفتاة التى لم يجد عليها القدر بحظ بالغ من الجاذبية والحسن . وقد عرفنى ذات مساء بفتاة فى متجره ظلت صورتها مطبوعة فى عينى طوال تلك الليلة ، ولم أستطع أن أخنق شعور الحسد الذى داخلنى منه ! كانت « سميرة » — وهذا هو اسمها — ذات عينين تنفثان السحر ، وملامح تعجز يد الفنان النابغ عن أن تخط مثلها فى الدقة والانسجام ، وقامة نحتت فى قالب صناع .

وأقبلت على رفيق فى اليوم التالى أسائله ؟

— إنها لجديرة بك حقاً ... فما تنوى أن تفعل ؟

فانتفض يقول : — أتزوجها ؟ أهذا ما تمنيه ؟

فأومأت برأسى إيجاباً ، فإذا هو يصمت لحظات ، ويرنو إلى بعيد فلا أرى فى عينيه غير الشرود . إنه لم يفكر فى هذا من قبل ، وها هو ذا غير مطمئن ولا مستقر ، كأنما كانت تخيفه فكرة الزواج .

وكان هذا شأنه أيضاً يوم سألته لماذا لا يخطب ابنة عمه التى كانت تهوى إليه بكل ما فى كيانها من حب ، وكانت تنعم بحظ وافر من الجمال والأناقة والثقافة ... وقد حدثنى هو نفسه عنها ، ولم يخف على أنه معجب بها ، وأنه سعيد فى أن يشعر نحوها بالحب ، ولكنى إذ جابهته بفكرة الزواج ، ألفيته يعود إلى حيرته وتردده ، كأنما لم يكن له الخيار فى أمره ...

على أن صديقى أخفى عنى أمراً واحداً ، هو أنه كان على علاقة بفتاة ثالثة لم يحدثنى عنها لحظة ، وقد رأيته فى صحبتها غير مرة فى مطعم أو ملهى ... وفاجأته ذات مساء بذكرها فعراه الارتباك ، ثم أخذ يضحك قائلا :

— لم أحدثك عنها خجلا منك ... إننى أبالغ حقاً فى علاقاتى مع النساء !

— فبادلته ضحكته ، ولكنى لم أجرؤ على مصارحته بأنى بت أخشى عليه كل الخشية ، وإنى أود لو يقر فى حياته على قرار ... هكذا كان رفيق : تحسبه إذا رأيته سعيداً مرحاً راضيا ، فإذا أحببت أن تكشف عن دخيلته ، ألفيت فكره وحسه غارقين فى أمواج متلاطمة من الحيرة والشك والاضطراب .

لقد كنت أقرأ فى عينيه أنه شقى فى أعماقه ، وأنه لا يدرى هو نفسه ما الذى يريد . وكان هذا الاضطراب مسطراً فى نظراته الشاردة التى لا تستقر على معنى ... بل كنت ألاحظ أنه كان يحاول جاهداً أن يتفادى النظر فى عينى والتحديق بهما ، كأنما كان يخشى أن أشرف من عينيه على عالمه النفسى المتهافت ...

ولم أجد آخر الأمر مناصاً من أن أجابهه برأيى الصريح ، فانتهزت فرصة أدركت أنه كان متهيئاً فيها للبوح والبث ، وساءلته بلهجة لا تخلو من تعنيف :

— إلام تنتظر يا رفيق ؟ ألست راغباً فى أن تستقر بحياتك على قاعدة ؟ إنك الآن فى فجر شبابك ، وإن بيدك المال وافراً ، فلماذا لا تتزوج إحدى فتياتك الثلاث ، وكلهن رائعات الحسن ، فتحظى بالطمأنينة التى تفتقر إليها ؟

وحاول أن يضحك وأن يعمد إلى المزاح ، ولكنه سرعان ما انقبضت أسارير وجهه ونظر إلى بإحداد ، ثم قال بعصبية :

— لا ... لست أطمع فى واحدة منهن ... إنهن لسن جميلات ... وأنا لا أحب إحداهن ولست أرغب فى الزواج .

وحين حاولت أن أظهر له خطأ نظرته إلى جمالهن قاطعنى بقول : لا ... ليست واحدة منهن فى مثل جمال « مها » ، ويخيل إلى أنى لن ألقى بعد الآن فتاة جميلة مثلها ، وإنى سأبقى أبد الدهر أعزب.

كان هذا كل ما نطق به تلك الليلة ، ثم انصرف عنى ، على شدة رغبتى فى أن أستمع إليه وألتمس المزيد مما يشجيه ... والحق أن هذه العبارات اليسيرة كانت غامضة لم تحسر لى عن طوايا نفسه . وكل ما خلته ساعتذاك أن امتناعه عن التفكير بالزواج عائد إلى هذا الخوف الغامض الذى تمتلىء به نفسه من الخيانة ... ومن المرأة ... ومن الجمال ... ومع ذلك فهو لا يلتمس غير المرأة وغير الجمال ! إنه دون ريب لا يعى هذا الخوف ، ولو كان يعيه لما غرق فى هذه الحيرة التى تجعله تائهاً فى خضم الحياة ...

***

ثم وقع صديقى رفيق ذات يوم فجأة فى مرض أقعده زهاء ثلاثة أسابيع فى داره . وقد عدته فى هذه المدة غير مرة ،

وكان يشكو « الدوسنطاريا » ، ولكني أيقنت أن مرضاً نفسياً هو الذي أودى بصحته . وإنه كان يشكو عقدة توهن قواه .

وفي تلك الفترة ، عادت جراحات الذكرى تدمي روحه وضميره وترهق أعصابه ، ثم صارحني بعزمه على أن يهجر البلاد ويسافر إلى أوربا . فإذا وجد راحة لنفسه استقر فيها ، وإلا عاد بعد أن يكون قد التمس من العزاء والتفريج قدراً كافياً للانطلاق في طريق جديدة من طرق الحياة .

ولم أجد أنا مبرراً لأن أقنعه بالبقاء ، بل لقد شعرت بأن على أن أحثه على مغادرة الجو الذي فجع فيه بعاطفته البكر ، فلعله إذ يبتعد عنه يسلو ويتعزى ... ولعله يجد هناك — في أوربا — المرأة الجميلة الرائعة التي تمحو من قلبه ونفسه صورة الفتاة الأولى التي يخيل إليه أنه لن يلقى أجمل منها ...

وكأن هذا العزم أزال طرفاً من الحيرة التي كانت تقلق حياة رفيق ، فإذا البشر يعاوده ، وإذا سيماء المرح تشيع على محياه ، وإذا هو يشفى من نكسته في وقت يسير ، ويأخذ يعد عدته للسفر إلى بلاد الغرب .

ولكنه ما لبث أن فاجأني يوماً بأنه قد عدل عن السفر ، وأنه لا ينوي أن يغادر بيروت . وحين سألته تعليل هذا الانقلاب ، دعاني إلى تناول الغداء معه ذلك اليوم ، ووعدني أن يزيل فضولي إذ أوافيه إلى داره عند الظهيرة . وجعلت أرقب حلول موعد اللقاء ، وبي عجب لا ينقضي ، ورحت أتساءل : لعل رفيق لقي فتاة حظى جمالها من إعجابه بما لم يحظه جمال سابقاتها الثلاث ! أو لعل « مهـا » نفسها عادت إليه تستغفره ، فصفح عنها ، واستسلم لجمالها الطاغي ؟ ...

وظللت في حيرة وتساؤل شديدين حتى بلغت داره عند الظهر فاستقبلني بترحاب لم أعهده منه ، وما عتم أن دلف بي إلى غرفة الطعام ...

وسرعان ما لاحظت أن المائدة كانت قد أعدت لثلاثة أشخاص ، وابتسم رفيق إذ أدرك أني لاحظت ذلك ... ولكنه امتنع عن أن يتفوه بحرف .

وإن هي إلا برهة وجيزة حتى قطع صمتنا وقع خطى متجه إلينا ، وقبل أن يتاح لي أن ألتفت إلى مصدر الصوت ، كان رفيق قد نهض مرحباً ...

وحين عدت إلى الجلوس ، بعد أن جلست هي ... كنت ملتاث الحس ، مختلط الذهن ، أكاد لا أميز معاني الأشياء .

لقد كانت هي ... علياء ، خادمة رفيق ...

يا إلهي ... إنها هذه الفتاة التي لم تكن تمتاز بأي حظ من الجمال ... هذه الفتاة التي كانت تخدمه في إبان مرضه ، فلم أكن أوليها نظرة من نظراتي . إنها خادمته ... خادمته ...

وانتزعني هو من وهدة التفكير المضني ، حين سمعته يقول لي :

— إنها علياء ... وقد عرفتها ولا ريب ... لقد خطبتها أمس .

وكنت مطرقاً ببصري إلى المائدة لا أرفعه إليه ، حتى رأيت يده تمتد إلى منبسطة تبغي المصافحة ، وسمعته يسألني :

— ما بالك ... ألا تهنئني يا صلاح ؟

فلم أستطع إلا أن أنظر إليه ...

وسرعان ما أحسست بكفي تمتد إلى كفه ، فتصافحها ، ثم تشد عليها بحرارة ، بينما كنت أتطلع في عينيه .

لأول مرة منذ عرفت رفيق ، قرأت في عينيه الطمأنينة والاستقرار .

(بيروت) سهيل إدريس

مطبعة الرسالة



العدد ٨٣٩ — الاثنين أول أغسطس ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

٣٣٠٩

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 ème Année No. 839

Lundi — 1 — 8 — 1949

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
ـــــــــص
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــــدد ٨٣٩ « القاهرة في يوم الاثنين ٦ شوال سنة ١٣٦٨ — أول أغسطس سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

١٣ ـ أمم حـــائرة

العـــــدل أيضاً

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

(وزير مصر المفوض بالمملكة السعودية)

إذا أثار الإيمان النفوس ورفعها وهداها إلى العدل ، ثم أنفت العدل ودربت عليه واطمأنت إليه ، وأخذت به في الكبير والصغير ، والعظيم والحقير ، والجليل والدقيق ، وارتفعت عن الأهواء المتصادمة ، والمنافع المتقاتلة ، وأمرّت كلّ هذا في الأنفس الثقافةُ والتربية والأسوة الحسنة ، والمثل الصالح ، سيطر العدل على الآراء والأقوال والأفعال ، وماتت العصبيات المضلة ، وهلك الهوى المفرّق .

يخلص الإنسان في الفكر ، ويتنزه فيه عن الهوى ، ويعدل بين الحجج ، ويلتمس الصواب حيث كان ، ويسأل الله الهدى ، ويحرص عليه مبرأ من الميل ، والجور وابتغاء مصلحة له أو مضرة لغيره فيدرك الحق أو يقاربه ،

ويخلص الإنسان في قوله ، فلا يقول إلا بالحق ، وبالعدل ، ولا يتزيد لنفسه ، ولا يبخس حق غيره ، ويهجر الكلمة المضللة ، والقَولة الفاتنة ، ولا يلبس الحق بالباطل فيما يدعي لنفسه أو جماعته وفيما يدعي على غيره من الآحاد والجماعات ، ويتعاون الوحدان والجماعات على بيان الحق ، وإيضاحه ، وحياطته ، والدفع عنه ، وتيسيره للعقول ، وتقريبه إلى الأذهان ، وعرضه على الناس ، نقياً جلياً ، لا يحجبه ضباب الباطل ، ولا يخفيه زخرف الكذب وتمويهه . « وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قُربى وبعهد الله أوفوا » .

لو سار النـاس على هذه السيرة أو قريب منها ، ما فتنتهم الدعاوى الباطلة ، وما أضلتهم الأقوال الخادعة ، وما سولت لهم أنفسهم أن يُلبسوا الباطل ثوب الحق ابتغاء منفعة لهم ، ويصوروا الحق في صورة الباطل للاضرار بغيرهم ، وما ابتليت الأمم بهذه الجلبة والضوضاء التي يسمونها الدعاوة ، يدعي كل قبيل لنفسه ، ويزين باطله ، ويفترى على غيره ويبطل حقه ، وما أخذت الناس هذه الفتن ، والمحن في العقائد والأقوال والأعمال ، وما سدّ القويُّ على الضعيف الآفاق ، وضرب عليه الأسداد بما ينشر ويذيع ويكرر نشره وإذاعته ابتغاء الغلَب بالحق والباطل ، بل إيثاراً للغلب بالباطل ، وحباً للظفر بالفرية والبُهتان .

لو سار الناس على السيرة العادلة أو قاربوها ما استعانوا بالنشر والإذاعة ، لترويج الأباطيل ، يفسدون بها الأخلاق ، ويفتنون بها الضعفاء ، ويُثيرون الخوف والقلق ، ويُشيعون الهرْج والمرْج ، ويزلزلون الجماعات لينالوا في الفتن المائجة رغائبهم ، ويبلغوا في النقع الثائر رغائبهم ، لا يبالون أنصروا الحق أم خذلوه ، وباعدوا العدل أم قاربوه .

لو عدل الناس في الرأي والقول ، وجعلوا العدل قسطاساً لهم ولغيرهم ، وحداً بينهم وبين إخوانهم ، ما أجازوا بذل

الأموال ، لفتنة الأفكار ، والتوسل بالشهوات إلى تضليل العقول ، وما رضوا أن يحكمَ السلاح في نشر المذاهب ، وزلزلة الجماعات ليبثّوا فيها رأياً أو مذهباً .

ثم لو عدل الناس في أعمالهم . ما شهدت الأمم هذا النزاع المستمر ، والقتال المستحر ، بين أمة وأمة ، وطائفة وطائفة ، وحزب وحزب ، وفرد وفرد ، وما رأينا قوياً يظلم ضعيفاً ، ولا غنياً يجور على فقير . ولا رأينا أنفس الأنيس كأنفس السباع يتفارسن جهرة واغتيالا كما قال أبو الطيب .

لو عدل الناس في أعمالهم لجمعهم العدل على الحب ، وأحاطهم الحب بالأخوّة ، وتعاونوا بالأخوة على الخير ، وأدّى التعاون إلى الرفاهية والطمأنينة والسعادة .

لو فكر الناس بالعدل وقالوا به ، وعملوا ، وكانوا كما قال القرآن : (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) . ما شقي الناس في هذه المدنية الحاضرة ، وقد أتت بكل عجاب ، واخترعت كل بِدْع من الصناعات وكشفت الخليقةَ عن أسرارها ، وسخرتها بقوانينها ، وبلغت في العلوم والمعارف ما تمنى الناس بل أكثر مما تمنوا .

لو عدل الناس ما رأينا هذه الأمم التي بلغت الذروة من هذه الحضارة تفرق بين شرق وغربي ، وأبيض وأسود ، وما شهدناها تشقى بعلمها ، وتهلك بصُنعها ، وتُقاد إلى الموت بأسباب الحياة ، وتتوسل إلى الدمار بوسائل العمران ، ولما صارت ، كما ترى ، أجساماً تتصادم ، وآلات تتقاتل ، وقطعاناً تتفانى .

لقد حُرموا العدل في كل نفس ، وبين الواحد والواحد والطائفة والطائفة ، والأمة والأمة ، والشعب والشعب . ففرقتهم المعارف وكانت حرية أن تجمعهم ، وأهلكتهم الصناعات ، وكانت جديرة أن تحييهم . ولو عدلوا ما تفرقت بهم السبل ، واختلفت الوجهات ، ولجمعهم سبيل الحق الواحد ، وطريق العدالة البين .

« وأنّ هذا صراطي مستقيما فاتّبعوه ولا تتّبعوا السُّبل فتفرّقَ بكم عن سبيله »

إن الناس يريدون الأخوّة ، ويحاولون السلام ، ويسعون ليجمع أممهم نظام واحد من الحق والعدل ، ولكن تخفق أعمالهم وتخيب مساعيهم بما استقرّ في أنفسهم ، من الأثرة والهوى ، وتمكن فيها من العصبية والجور .

وقد رأينا هيئة الأمم تتكلم باسم الأمم ، وتتحدث عن الحق والعدل والأخوّة والسلام حتى إذا امتحنتها الحادثات بإحدى القضايا ، رأينا الأهواء تنأى بهم عن الحق والعدل ، والعصبيات تبعد بهم عن الأخوّة والسلام . وشهدنا المنافع والأموال والشهوات تسخرهم للباطل ، وتغريهم بالظلم . فعرفنا أنهم ليسوا أهلاً للأمانة التي حملوها ، وأن دون ما يبتغون من الأخوة والسلام عدلاً يرفعهم عما ارتكسوا فيه ، وإيماناً يؤهلهم لهذا العدل ؛ ولكنهم حُرموا العدل والإيمان .

إن البشر لا يجتمعون على الأهواء المختلفة ، ولا يأتلفون على الشهوات المتفرقة ، فلا مناص لهم — إن أرادوا السعادة — أن يُحكموا العدل في الأهواء والشهوات ليجمعهم على شرعة ، ويشملهم بقانون ، ويربط بينهم بالحق ، ويُحكم بينهم الأخوّة .

ولن يستطيعوا هذا حتى تغلب الروح المادة في أنفسهم ، وتنتصر القوانينُ على الجزئيات في معيشتهم ، قوانينُ الحق والعدل والخير .

ولن يبلغوا هذا المستوى إلا بإيمان يُنير النفوس ويُطهرها ويرفعها ويعظمها ...

(للكلام صلة) **عبد الوهاب عزام**

أنا والصحراء ...

للأستاذ راجي الراعي

وقفت أمس فى قلب الصحراء أتحدث إليها ، وإليك ما دار بيننا :

— من أنت أيتها الصحراء ؟

— أنا الجبال منبطحة وقد صرعتها الأقدار ...

— ألست شيئاً آخر ؟

— أنا بحر ماتت أمواجه وتقمصت رمالا ...

— كيف أنت والأفق ؟

— أرى فى نجومه رمالي ويرى فيَّ شمسه ..

— والعبقرية ؟

— أنا أذنها التى تلتقط أصواتها التى لا يلتقطها الناس ...

— والمرأة والحب ؟

— أنا ليلى ومجنونها .. وجميل وبثينة .. وعروة وعفراء .. والبحترى وعَـلوة .. وابن أبى ربيعة والثريا ...

— والجمل ؟

— هو رفيقى القديم ، أحبه ويحبنى ويعانق صبره صبرى ..

— على أى شىء تصبرين ؟

— أصبر على لهيب القدر الذى جاءنى بهذه الأرحام المضطرمة .. أنا فى رمالى نار تأكل نفسها ! ...

— أقاسية أنت أيتها الصحراء أم رحيمة ؟

— أنا قاسية لأضل الذين يضلون الناس ، ورحيمة إذ رضيت بأن أكون الصحراء لتبقى لك الروضة تستلذها ، وليبقى لك الماء تستطيبه ... ألا ترى أنه لولا شبح الليـل لم يكن لشعاع النور معناه ... إن القدر أقامنى رحمة بك ... لقد بسطنى لتطوى مراحلك فى الحياة طروباً ...

— كيف أنت والشعر ؟

— إن رمالي جاءت (ببحوره) . لقد عرف الشعر نفسه فى جاهلى ... أنا امرؤ القيس والأعشى وزهير والنابغة والأخطل وبشار وأبو نواس وعمر بن أبى ربيعة والمتنبى والبحترى وأبو تمام والمعرى فيلسوف الشعراء وشاعر الشعر .. أنا ألف عبقرى فى ألف جنة خالدة ...

— هذه الرمال فيك ، ما هى ؟

— هى حبات قلبى ...

— بماذا تحلمين أيتها الصحراء ؟

— إذا شققت قلبى تكشف لك عن ينبوع تظله شجرة ..

— أتريدين أن تكونى الغابة الغبياء ؟

— وبك يا شاعرى أرحنى من وطأتى .. إجعلنى فى خيالك أشجاراً خضراء لأستريح فيك ساعة من الزمن .. إرحمنى يا ابن الخيال فأنا أرضى قاحلة موحشة ... غذنى بمائك وارفعنى إلى سمائك .. دعنى أتنشق هواء الجبـال وعبير الرياض .. ألقنى فى مملكتك قمة لجبل أو فماً لينبوعٍ أو نهراً فى جنة ..

إرحمنى أيها الشاعر واستر عُريى .. إرحمنى .. أنا امرأة تحلم بالينابيع والظلال .. لقد تعبت من رمالى .. أنا قتيلة الشمس التى لا ترحمنى .. أنا ظمآى ظمآى افتش عمن يبرد لظاى ..

— ظمآى ؟ .. ولكنك سقيت التاريخ كؤوساً من الشعر والخمر قلَّ أن مر على شفتيه مثلها ... إننى أخاف إذا ما تخليت عن رمالك الماء والشجر أن تضيعى شاعرك العظيم وثأرك الخالد وروحانيتك المضطرمة وأحلامك الكبار وإلهامك البديع ..

إن ظمأك هو الذى سقى الناس ، ونارك هى التى جاءت بأجرأ وثبة دهش لها التاريخ .. إن سرك فى الرمال فلم تفتشين عن الظلال ؟ أنت تائهة أيتها الصحراء كالحالمين التائهين فيك ... إذا كانت شمس قتلتك فالقمر الذى يغمرك بنوره قد أحياك ... وإذا كنت بعدت عن ضجيج الناس فقد اقتربت من الخالق ... أنت للحالم فلا تظلميه .. أنت للأحرار المستقلين فلا تقيدى نفسك بحجر أو شجر .. أنت أرحامك حمر ولكنك امرأة ولود ، وإن فى رياحك روحاً وفى ضلالك هـدى بنير السبيل .. ليس الدواء كله فى الماء ، وليست الثمرة كلها فى شجرة ، فإن فى وهج وحيك ألف بلسم لألف جريح ، وفى خصب خيالك من الأشجار ما تضيق عنه ألف غابة كثيفة .. أنت للملهمين فلا تسترى أقارك بالأوراق ، وللروحانيين فلا تحجبى جمال الأرواح بما يقف بينها وبين أهدافها .. لا تلبسى الثوب مهما يكن لونه ونسيجه ..أنت امرأة عريانة ولكنها فى عريها تكسو الشعراء والحالمين ..

راجى الراعى

صور من الحياة :

يوم عيـــــد ...

للأستاذ كامل محمود حبيب

ما أشد وقعك – يا يوم العيد – على نفسي ، لأنك قذى في عيني وشجى في حلقي وأسى في قلبي ! فالدار خاوية من الأحباء تلفظني في غير هوادة ولا لين ، والطريق خلو من الرفيق يدّعني إلى غير غاية ، والنفس خواء إلا من خطرات الحزن وخلجات الأسى ، والقلب يحس لذع الوحدة فيلمس الجدب والإمحال فيما حوله وإنه ليرى الدنيا أمامه تموج بالزهر النضير والفرحة المتوثبة والعبث البرئ والثوب الجديد . وهؤلاء أقاربي قد حبوني بالجفوة والقلى ، فرّق بيني وبينهم نهم المـال وجشع الذهب فما أرى فيهم إلا العداوة والبغضاء وإلا الازورار والعبوس ، وأخي ... أخي الذي أحبه قد أوصد بابه من دوني لأنه أراد أن يكون واحداً من ذوي قرابتي . أما زوجي فقد فزعت عني لاختلاف في الرأي والثقافة وتباين في المشرب والبيئة ، فخلعت رشدها واستنامت إلى حماقتها فطارت إلى دار أبيها لتذرني وحيداً في يوم العيد . وأبنائي أين هم ؟ إنهم لم يدرجوا – بعد – في فنـاء الدار فتمتلئ بهم حياة وبهجة ، ويطفح قلبي نوراً وضياء وتزخر نفسي هدوءاً وسكينة .

وجلست إلى نفسي أشكو بثي وأنا أشرف على الناس من حولي وهم يضطربون في لجة العيد ، يرفلون في الجديد ويتدافعون إلى البشرى ويغتمرون في المرح . ووجدت لوحدتي حرقة ضاقت لها نفسي فترقرقت العبرات في محجري تريد أن تنهمر ... وشملني الخزي على أن أكون رجلا لمت في فوديه شعرات بيض علامة الرجولة والعقل ، وتألقت في رأسه فلسـفة الحياة ، وكابد حلو العيش ومُره ؛ ثم أستخذي لهذه الخواطر أو أتعبّـد للضعف الإنساني وآذاني أن أستسلم للوحدة فتصفعني مرة وتمركني مرة ثم لا أستطيع أن أنفلت من بين مخالبها وإنها لتعصرني عصراً .

وأهبت بشجاعتي فطرت عن الدار علّي أجد السلوى والراحة أو أجد متنفساً من همومي أو أنفض عن نفسي الشجن ، فألفيت – آخر الأمر – ملجأ في مقهى من مقاهي القاهرة .

***

وفي المقهى جلست إلى فنجان القهوة والسيجارة أتحدث إليهما حديث ميراث ضئيل لم أطعم لذته بعد ولكنني أدفع ثمنه قطرات من دمي الحار أنزفها يوم العيد من خلال هموم تتوزعني فلا تذرني إلا حطاماً . وغرقت في خضم الفـكرة فاستولت على مشاعري فما أحس مما يدر حولي شيئاً . وغبرت ساعة فما أفزعني عن شواغل نفسي غير رجل يطلب صدقة .

وفي مقاهي القاهرة مفزعات تغضي عنها الحـكومة فتنطلق من مكامنها في وضح النهار لتزعج الآمن في جلسته وتقطع عليه خواطره وتؤذي نفسـه ... مفزعات منها ماسح الأحذية وبائع أوراق النصيب و ... والشحاذ . ليت الحـكومة تعرف أن القهوة مثابة يستجم فيها المرء من عناء أو يستريح من نصب ، وليتها توقن بأن هذه الزمر من المفزعات وصمة في جبين البلد لا تستطيع يد أن تمتد إليها فتمحوها إلا يدها هي ، ليتها تعلم ، ليت ...

واستقر الرجل إلى جانبي لا يريم فرفعت بصري إليه أنظر . وعجبت أن رأيت أمامي شحاذاً في ثوب العيد وسمته ، لعله أراد هو أيضاً أن ينعم بفرحة العيد وسعادته ! وهو رجل قد تخطى عمر الـكهولة فبدا عليه أثر الضعف والهزال ، ولـكنه تجمّل للأيام فهو حليق الذقن مفتول الشارب تفوح منه رائحة عطر خفيفة لا يتنشاها إلا من أصاب قوة في حاسة الشم ، وهو يرتدي بذلة أفرنجية أنيقـة قريبة عهد بالـكواء ، وقميصاً أبيض ناصع البياض يزينه رباط رقبة أسود جميل ، ويتألق على رأسه طربوش أحمر قان ، وحذاؤه لامع نظيف .

ووقف الرجل بإزائي في أدب يسـأل في هدوء ويطلب في خضوع رغم أنه شديد الإلحاح صفيق الوجه . وراعني أن أرى هذا الرجل في زيّه وهندامه يتـكفف الناس في غير حيـاء ولا خجل ، ولـكن نفسي حدثتني قائلة « لعل ما ترى بقية عـز باد منذ زمان ! » فحبوته ببعض عطفي ثم صرفته في لين .

ونظر إليّ النادل – وهو يعرفني منذ سنوات – نظرة ذات معنى وابتسم حين رآني أنفح هذا الشحاذ الأنيق بشيء من المال . ورابني ما رأيت من النادل . فقلت لعل في الأمر حادثة أو متعة ، فناديتـه أريد أن أ كشف عن الخبر ، فقال : « أفلا منحت

دراهمك — يا سيدى — لفقير تقتله الحاجة ، أو مسكين تلح عليه الفاقة ! » قلت : « ولـكن الرجل يسأل الناس ، فما باله ؟ وإنى لأراه جميـل الهيأة ، أنيق المظهر ، يسرى فى عروقه دم الشباب ، وإن بلغ سن الشيخوخة ؟ » قال : « إن له حديثاً » . قلت : « هات » . فقال : هـذا رجل واهى الرجولة ، ساقط الإنسانية ، وضيع الـكرامة ، وهو شحيح النفس ، كز اليد ، بخيل الجبلة ، يقضى نهاره بين مقاهى القاهرة يتكفف الناس فى أدب ويسألهم فى ذوق ، يموّه عليهم بخضوعه ويزوّر بمسكنته ، يتخذ من ذلك مهنة يزجى بها الفراغ ، وعملاً يقتل به الوقت ، فلا يأوى إلى داره آخر النهار أو أول الليل إلا وقد امتلأت يده وفاض جيبه ، ثم هو يحرم نفسه من كل ما أصاب فيقنع باللقمة ويرضى بالـكسرة ...

ولقد كان موظفاً فى الحـكومة أحيل على المعاش لبلوغه سن التقاعد ، سن الستين . والحـكومة تلفظ الموظف حين يصيبه الـكلال من أثر الـكبر والشيخوخة ، ولا تطرده إن انحلت أخلاقه واتّـضعت كرامته وتمزقت إنسانيته . وهى تطلب من ذى العمل الشريف أن يحصل على رخصة ، فترهقه فى الطلب وتسـد عليه المسالك وتضيق الخناق ، ثم تذر صاحب المهنة الوضيعة يتقلب فى الشوارع كيف يشاء . وهى — دائماً — تزعج التاجر فى متجره أو الصانع فى مصنعه ، تكلفه الشطط وتحمله الرهق ، على حين تطلق العنان للشحاذ يستلب الناس من أموالهم فى غير رقبة ولا حذر . إن أخى — يا سيدى — خيّـاط ، دفعه الأمل إلى أن يفتح دكاناً عسى أن يصيب منه قوت عياله ، وطمع أن يدر عليه أخلاف الرزق بعد عسرة ، فانحطت عليه وزارة الصحة ومصلحة العمل فى وقت معاً ، حتى أرغمته على أن يغلق الدكان بعد أن سار شوطاً فيه التوفيق والنجاح . فماذا ترى ؟ لعل الحـكومة تريد أن تقول للعامل الشريف : كن عاطلاً . وتقول للشحاذ : تمتع كيف تشاء !

هذا الرجل أحيل على المعاش ، وإن دخله ليربو على خمسة عشر جنيهاً ، وله زوجة وأولاد . فلما أحيل على المعاش سوّل له خرف الشيخوخة أن يطرد زوجه وأولاده ثم ينطلق هو فى نواحى القاهرة يتكفف الناس ، فطرد أولاده جميعاً وإن فيهم الصبى واليافع ، ألقى بهم إلى الشارع ليذوقوا مرارة الحرمان وحرقة الفاقة ولذع الضياع ، ولفظتهم المدرسة حين لم يجدوا ثمن العلم ، وفيهم الذكى المجتهد والسابق المتفوق ، ورآهم هو على حالهم هذه فلم ينبض قلبه برحمة ولا خفقت نفسه بشفقة . ثم غوى مرة أخرى فطرد زوجه وهى عجوز انهد كيانها وذوى عودها ، وهى فقيرة لا تجد ما تتبلغ به إلا دريهمات يغلّها وقف . والوقف ملك ضـائع وقع بين فـكين شديدين : ناظر الوقف وهو رجل لا يرتدع من دين ولا يرعوى من ذمة ، يثقل الوقف بما لا يطيق ، ثم يزعم بأن الأرض لا تغل شيئاً . ووزارة الأوقاف وهى ترقب فى غير رعاية وتحاسب فى غير دقة ، والمستحق يقف ببابها مثلما يقف الشحاذ فيه الحياء بباب كز شحيح فلا يظفر إلا بالشتيمة والطرد ... يقف دهراً لينال فضلة من مال لا تسمن من جوع ولا تغنى من عرى ... أما هو فهو كما ترى ...

***

وتركنى النادل وإن الأفكار لتصطرع فى خاطرى من أثر حديثه ، وأصابنى الجزع أن تثور حماقة صعلوك عجوز فتلق بصبية صغار إلى عرض الشارع ، تضربهم الفاقة وتصفعهم الحاجة وقد فقدوا — على حين فجأة — عطف الأب وحنان الأم وسـعادة العيش فى وقت معاً ، وأن أرى زوجة عجوزاً تضطرب فى غمرات الـكرب تأسى على تاريخ طويل كانت تنعم فيه براحة الضمير فى الدار ، وبهجة القلب فى الأولاد ، وعز الحياة فى الزوج . وآذانى أن يكفر هذا الرجل بحق زوجته وهى رفيقة الصبا وصديقة الشباب وعمود الأسرة ، وأن يجحد فضلها وهو قد قضى عمره فى كنفها يسعد بالهدوء والطمأنينة ، وأن ينسى أن الأسرة معنى من معانى الإنسانية السامية لا يفزع عنها إلا الأحمق والمجنون !

أفأمن الرجل أن تتدفق عليه بلايا الأيام أو أن تنصب عليه مصائب الزمن ، فتذره حطاماً فى ناحية من حجرة يقاسى المنت والشدة ، ثم لا يجد الآسى فى زوجته ولا العون فى أولاده ؟

ولـكن ... آه ، إن فى الناس وحوشاً ضارية لا تشبع إلا أن تلغ فى دم الإنسان ، وأن تنهش لحمه ، وأن تفرى عظمه !

يا لقلبى ! لقد فزعت من دارى لأنفض عن نفسى هماً واحداً فرجعت بهمين : همى وهمّ هذا الحيوان المفترس الذى يتكفف الناس فى غير حياء ولا خجل !

فما أشد وقعك على نفسى ... يا يوم العيد !

كامل محمود حبيب

من ظرفاء العصر العباسي :

أبو دلامـــة !...

توفي سنة ١٦١ هـ

للأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

— ١ —

اسم هـذا الظريف زَند بن الجَون ، و « أكثر الناس — كما قال صاحب الأغاني [١] — يصحف اسمه فيقول : « زيد » بالياء ، وذلك خطأ ... إنما هو زند بالنون » . وإنما سلكناه في عداد الظرفاء العباسيين — مع أنه أدرك في شبابه آخر عهود بني أمية — لأنه لم يكن له في أيامهم نباهة ، ولم يذع له في عصور خلفائهم صيت ، فما نبغ واشتهر إلا في أيام بني العباس ، إذ انقطع إلى أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور والمهدي ، فكانوا يقدمونه في المجامع ، ويصلونه أحسن الصلات ، ويستطيبون مجالسته ، ويستعذبون نوادره [٢] .

وإذا كانت المراجع التي بين أيدينا لم تلق ضوءاً كافياً على مولد هذا الظريف ، ففي وسعنا أن نستنبط ذلك من خلال السطور ، فهو لم ينسب إلى الكوفة إلا لولاده فيها أو نشأته بها على الأقل . وهو — بلا ريب — لم يدرك آخر أيام بني أمية طفلا لا يعي شيئاً لأننا سنرى في نوادره وطرائفه ما يشير إلى أنه بلغ سن الشيخوخة بعد أن عاش في ظلال الدولة العباسية وحدها تسعة وعشرين عاماً : إذ حضر خلافة السفاح التي دامت أربع سنوات وتسعة أشهر [٣] ثم خلافة المنصور التي دامت اثنتين وعشرين سنة هلالية إلا ستة أيام [٤] ، ثم شهد من خلافة المهدي ما يقارب ثلاث سنوات توفي على أثرها سنة إحدى وستين ومائة [٥] .

ولكي نقبل أنه بلغ سن الشيخوخة يحسن بنا أن نفترض أن أبا دلامة ولد بين سنة مائة — ومائة وخمسة ، فقضى طفولته وصباه وشبابه حتى بلغ الثلاثين — أو الخامس والعشرين — في أواخر العصر الأموي ثم أمضى ما تبقى من عمره في أيام السفاح والمنصور والمهدي .

ولم يوصف لنا أبو دلامة بأكثر من أنه كان أسود ، بيد أنه اضطر — هو نفسه — في مجلس حافل إلى وصف خلقه بشعر يجعلنا موقنين بأنه كان على جانب من الدمامة عظيم :

دخل على المهدي يوماً وعنده اسماعيل بن محمد وعيسى بن موسى والعباس بن محمد ومحمد بن إبراهيم الإمام وجماعة من بني هاشم . فقال له المهدي : أنا أعطى الله عهداً لئن لم تهجو واحداً ممن في البيت لأقطعن لسانك — وفي رواية لأضربن عنقك — فنظر إليه القوم ، فكلما نظر إلى واحد منهم غمزه بأن عليه رضاه ... قال أبو دلامة : فعلمت أني قد وقعت وأنها عزمة من عزماته لابد منها ، فلم أر أحداً أحق بالهجاء مني ، ولا أدعى إلى السلامة من هجاء نفسي ، فقلت :

ألا أبلغ إليك أبا دلامـه	فليس من الكرام ولا كرامه
إذا لبس العمامة كان قرداً	وخنزيراً إذا نزع العمامه
جمعت دمامة وجمعت لؤماً	كذاك اللؤم تتبعه الدمامه
فإن تك قد أصبت نعيم دنيا	فلا تفرح فقد دنت القيامه

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد إلا أجازه [١]

وما أحسبه رضى أن يسلك هذا المسلك في هجاء نفسه لمجرد التخلص من هذا الموقف الحرج الذي أوقعه فيه الخليفه المهدي ، فقد كان في مكنته أن يحسن التخلص بما لا يؤذي نفسه أو يجرح كرامته ، ولكن هـذا النوع من الناس قلما يكترث بتلك المظاهر التي يقيم لها المجتمع أكبر الوزن ، لأنه ـ لشدة صراحته ـ يصف حقائق نفسه مكشوفة مفضوحة .

ولو ظننا أبا دلامة مغروراً يحسب أنه في الجمال بدر مشرق وهو مشوه كالقرد ، قذر كالخنزير ، فهل يمنع غروره الناس من وصفه بأنه جمع الدمامة كلها مادامت أعينهم لم تكن تقع منه إلا على رأس كرأس الدب في ضخامته ، وعيون كعيون الحرباء

(١) الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ج ١٠ ص ٢٣٥ طبعة دار الكتب المصرية

(٢) في المرجع ذاته ، الصفحة ذاتها وفي معجم الأدباء لياقوت ج ١١ ص ١٦٦

(٣) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) للخضري ص ٧٣ الطبعة الثالثة .

(٤) المراجع ذاته ص ١١٧

(٥) معجم الأدباء ج ١١ ص ١٦٦ . وقد وقع سهو في هـذه الصفحة يحسن التنبيه إليه ، فيها أن أبا دلامة مات في خلافة المهدي سنة إحدى وستين ومائتين ، مع أن المعلوم أن المهدي نفسه مات سنة تسع وستين ومائة

(١) الأغاني ج ١٠ ص ٢٥٨ .

من الضيق ، وأنف فارض(١) فى احديداب ، وشفتين منتفختين من الغلظ ، وعلى جسم مكتنز على قصر ، وذراعين مرتخيتين من الشحم ، وساقين مقوستين فى تموج ... وليس الناس عمياً فيحتجب عنهم هذا الجمال الساحر فى تقاطيع هذا المخلوق العجيب!

لكن أبا دلامة كان من الدهاء بحيث لم يفسح للآخرين مجالاً لوصف خلقه والشماتة به والضحك منه فأظهر الناس على حقيقة نفسه ليقطع عليهم سبيل السخرية اللاذعة التى تجد فى دمامة المخلوق باعثاً على مواصلة التهكم والازدراء .

وهذا الأسلوب الذى نهجه أبو دلامة فى إظهار الناس على مدى بشاعته وفر عليه كثيراً من مفارقات غلاظ القلوب ، ومن سخافات صلاب الأفئدة ، إذا ما كانوا ليجدوا فى هجائه وصفاً لدمامته أعنف من وصفه .

والإنسان إذا سمع ماحكم به على نفسه رضى بحكمه ، وإن سمع ماحكم به عليه سواه لم يرضه منه إلا ما يتفق مع عزته ، ولا يتنافى وكرامته .

والذى يمنينا مما سبق أن هذا الظريف قد جمع إلى سواد لونه دمامة شكله ، ولكن الله عوضه من هذا النقص لساناً حلو الحديث ، رائع البيان ، قوى البرهان .

ونعرف أنه كان مولى لبنى أسد ، فقد كان أبوه « جَوْن » عبداً لفضافض الأسدى الذى أعتقه . فمن نسب أبا دلامة إلى بنى أسد فإنما يقصد أنه كان أسدياً بالولاء . ولذلك نتسامح مع الذين وقعوا فى هذه النسبة خطأً أو عفواً كأبى حيان التوحيدى فى كتابه « الامتاع والمؤانسة »(٢)

وإن الباحث لتأخذه الحيرة إذا ما استعرض حياة هذا الظريف إذ يتساءل كيف أمضى شبابه — حتى أواخر العصر الأموى — مغموراً لا يحس به أحد ، ولا يعرف له شعر ، ولا يطير له ذكر ؛ ثم وثب إلى الشهرة فجأة فى أيام السفاح والمنصور والمهدى ، فأصبح ينادمهم ويداعبهم ولا يكاد ينقطع عن مجالسهم !

(١) الفارض من الأنوف الطويل .

(٢) ج ٣ ص ٢٤ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر . وقد صحح هذا الكتاب وضبطه وحققه وشرح غريبه ورتب فهارسه الأستاذان أحمد أمين وأحمد الزين

فأين كان قبل اتصاله بأبى العباس السفاح ؟ وأين ومتى وكيف تلقى العلم ؟

كل هذا مما أغفلته المراجع كأنها لا ترى فائدة فى الإشارة إليه.

ونحن نحاول أن نرجح — على الأقل — أصوب الأجوبة على الأسئلة المتقدمة : فأبو دلامة كان فى بلده « الكوفة » قبل اتصاله بالخلفاء العباسيين ، ولم يكن من السهل على مثله أن يتصل بمن كان قبلهم فى قصر الخلافة بدمشق لبعد الشقة من ناحية ، ولانشغاله بتحصيل شيء من العلم وكسب قليل من القوت من ناحية أخرى ، ولأنه أيقن بأن بضاعته المنادمة والمداعبة ، وأن مثل هذه البضاعة مزجاة فى أواخر أيام بنى أمية التى كانت بركاناً يثور ، وزلزلة لا يقر لها قرار .

أما الأشخاص الذين طلب عليهم شيئاً من العلم فلم يكونوا من نباهة الذكر بحيث يفردهم الرواة من قبلنا أو نفردهم من بعدهم بالتخصيص ، بل لنا أن نحكم بأن أبا دلامة لا رواية له ، لأن معلوماته ليست نصوصاً تنقل ، وإنما كانت فكراً نابعة من ذكائه الوقاد ، وبديهته الحاضرة التى كانت تأذن لمن يسمعه إن يظن أنه على جانب من العلم عظيم !

والحق أن أبا دلامة كان من هؤلاء الظرفاء الذين عرفوا بخفة الروح ، ورشاقة النكتة ، ولطف الدعابة ، لا عن علم محفوظ ، ولا عن سند مقبول ، ولا عن استنباط للأصول . غير أنك إذا تلوت أشعاره طالعتك فيها قوة فى السبك ورصانة فى التعبير ، فتغزو قلبك الحيرة وتميل إلى الظن بغزارة علمه ، فنوفر عليك حيرتك ونؤكد لك أنه بلغ هذا كله بمواهب فطرية لا باجتهاد عملى ، فقد كان مطبوعاً على الشعر فى سليقته ، يرسله متى شاء دون توقف ولا انقطاع .

* * *

وأظنك راغباً فى معرفة سبب اشتهار هذا الظريف بأبى دلامة إذ تجد فى هذه الكنية شيئاً من الطرافة ، والأمر أهون من هذا فطرافة كنيته دعت إليها الصدفة المحضة التى وهبته ولداً متعباً سماه « دلامة » لأنه « كنى باسم جبل بأعلى مكة يقال له أبو دلامة كانت قريش تئد فيه البنات فى الجاهلية » كما روى الأصبهانى فى أغانيه(١) ذاهلا عن تصريحه — فى مواضع من ترجمة هذا

(١) الأغانى ج ١٠ ص ٢٣٧

الظريف — يذكر اسم ابنه « دلامة » وضروب عبثه مع أبيه !

ومن النوادر التي صرح فيها أبو الفرج بذكر دلامة بن هذا الظريف — قصة نذكرها على سبيل المثال ، ونقرأ فيها — في الوقت نفسه — شيئاً من نفسية أبي دلامة وابنه الخبيث :

حجت الخيزران ، فلما خرجت صاح بها أبو دلامة . قالت : سلوه ما أمره ؟ فقالوا له : ما أمرك ؟ فقال : ادنوني من محملها . قالت : ادنوه فأدني . فقال : أيتها السيدة إني شيخ كبير وأجرك في عظيم . قالت : فه ؟ قال : تهبين لي جارية من جواريك تؤنسني وترفق بي وتريحني من عجوز عندي قد أكلت رفدي ، وأطالت كدي ، وقد عاف جلدي جلدها ، وتمنيت بعدها ، وتشوقت فقدها . فضحكت الخيزران وقالت : سوف آمر لك بما سألت . فلما رجعت تلقاها وذكّرها ، وخرج معها إلى بغداد فأقام حتى غَرِض[1] . ثم دخل على أم عبيدة حاضنة موسى وهارون ، فدفع إليها رقعة قد كتبها إلى الخيزران فيها :

أبلغي سيدتي بالله يا أم عبيده
انها أرشدها الله وإن كانت رشيده
وعدتني قبل إن تخرج للحج وليده
فتأنيت وأرسلت بعشرين قصيده
كلما أخلقن أخلفت لها أخرى جديده
ليس في بيتي لتمهيد فراشي من قعيده
غير عجفاء عجوز ساقها مثل القديده
وجهها أقبح من حوت طري في عصيده
ما حياة مع أنثى مثل عرسي بسعيده

فلما قرئت عليها الأبيات استعادتها منه لقوله « حوت طري في عصيده » وجعلت تضحك . ودعت بجارية من جواريها فائقة فقالت لها : خذي كل مالك في قصري ، ففعلت . ثم دعت ببعض الخدم وقالت له : سلمها إلى أبي دلامة . فانطلق الخادم بها ، فلم يصادفه في منزله . فقال لامرأته : إذا رجع فادفعها إليه وقولي له تقول لك السيدة ، أحسن صحبة هذه الجارية فقد آثرتك بها . فقالت له نعم . فلما خرج دخل ابنها دلامة فوجد أمه تبكي ، فسألها عن خبرها فأخبرته وقالت : إن أردت أن تبرني يوماً من الدهر فاليوم . فقال : قولي ما شئت فإني أفعله ، قالت تدخل عليها فتعلمها أنك مالكها وتطؤها فتحرم عليه ، وإلا ذهبت بعقله وجفاني وجفاك . ففعل ودخل إلى الجارية فوطئها ووافقها ذلك منه ، وخرج . ثم دخل أبو دلامة فقال لامرأته : أين الجارية ؟ قالت في ذلك البيت . فدخل إليها شيخ محطم ذاهب ، فمد يده إليها وذهب ليقبلها . فقالت له : مالك ويلك ! تنح عني وإلا لطمتك لطمة دققت منها أنفك . فقال لها : أبهذا أوصتك السيدة ؟ فقالت : إنها قد بعثت بي إلى فتى من حاله وهيئته كيت وكيت ، وقد كان عندي آنفاً ، ونال مني حاجته . فعلم أنه قد دهي من أم دلامة وابنها . فخرج إليه أبو دلامة فلطمه ولببه[1] وحلف ألا يفارقه إلا عند المهدي . فمضى به ملياً حتى وقف على باب المهدي فعرف خبره وأنه قد جاء بابنه على تلك الحالة فأمر بادخاله . فلما دخل قال له : مالك ويلك ؟ قال : عمل بي هذا ابن الخبيثة ما لم يعمل ولد بأبيه ، ولا ترضيني إلا أن تقتله . فقال له ويلك ما فعل؟ فأخبره الخبر . فضحك حتى استلقى ثم جلس . فقال أبو دلامة : أعجبك فعله فتضحك منه ؟ فقال : علي بالسيف والنطع . فقال له دلامة : قد سمعت حجته يا أمير المؤمنين فاسمع حجتي . قال : هات قال : هذا الشيخ أصفق الناس وجهاً ، (يلامس) [2] أمي منذ أربعين ماغضبت ، (ولامست) جاريته مرة واحدة فغضب وصنع بي ما ترى ! فضحك المهدي أكثر من ضحكه الأول ، ثم قال : دعها له يا أبا دلامة وأنا أعطيك خيراً منها . قال : على أن تخبأها لي بين السماء والأرض ، وإلا (لامسها) كما لامس هذه فتقدم إلى دلامة ألا يعاود بمثل فعله ، وحلف أنه إن عاود قتله ، ووهب له جارية أخرى كما وعده[3]

إنها قصة طريفة كما رأيت ، وفيها تصريح بذكر دلامة (ابن شاعرنا الظريف) وتصريح بذكر أم دلامة زوجته الخبيثة فنفهم منها أولا إنما اشتهر هذا الظريف بأبي دلامة كما يشتهر

(١) غرض : مل وضجر . ومنه الغرض : الملالة والضجر ، ويأتي بمعنى الشوق

(١) لببه : أخذ بتلابيبه فجمع ثيابه عند صدره واشتد عليه في الخصومة

(٢) اللفظ ، في الأغاني ، مما نتره القلم عن التعبير به ، وإنما تأدب بأدب القرآن (أو لامستم النساء) .

(٣) الأغاني ج ١٠ ص ٢٦٢

الآباء عادة بابنهم البكر ، لا لشيء آخر ، ونفهم منها — وهو الأهم — شيئاً من نفسية هذا الظريف وابنه وزوجته .

فأما أبو دلامة فجريء يتدلل على أهل الخليفة ، فيصيح بالخيزران ويطلب ما يريد في غير ما خجل ، ويستبطئ الوعد فيؤكد غرضه بشعر يفيض بالدعابة حتى يجاب طلبه ، فترسل إليه تلك الجارية الحسناء التي طالما حلم بالوصول إلى مثيلاتها بعد أن مل امرأته التي أقعدها كبر السن عن تمهيد فراشه والقيام على خدمته . وأما دلامة فهو أصدق مثل للولد الخبيث الذي لا يرعى حرمة أبيه ولا يقيم له وزناً ، وإنما يسترسل في إيذائه وتعذيبه ، فيوافق أمه الماكرة على أن ينال حاجته من جارية أبيه كأنه لا يجد خيراً من هـذا ليبر أمه . ثم نراه أمام الخليفة المهدي يدافع عن نفسه دفاعاً مضحكاً ، فهو لم يقض تلك الحاجة مع الجارية الحسناء إلا بعد أن قضى أبوه مع أمه أربعين سنة ، ويصف مع ذلك اباه بأنه أصفق الناس وجهاً . فما أهون — بعد هذا — جميع الأوصاف التي يلصقها ابن بأبيه ! وأما أم دلامة فيالها من عجوز شمطاء ، سليطة اللسان ، خبيثة النفس ، عرفت الأسلوب الذي تستطيع به إلزام زوجها بما تشاء ، فاستعملت ولدها في إيذاء أبيه . وهكذا ترى أن بيت أبي دلامة جمع أنواع الدعابة وأسباب الطرافة ؛ في الأب والأم والولد ، وكأنما خلق الله كل واحد من هؤلاء الثلاثة لكي ينسجم مع الآخرين ، ولقد كان الانسجام من توثق العرى بحيث أنه جعل ما يصدر من أي واحد منهم مفهوماً للآخرين لا يستغربه أحد منهما وإن أضحك الناس زمناً طويلا .

ولكي يتضح لك هذا الانسجام العجيب بين هؤلاء الثلاثة فتعرف مقدار ما انطوت عليه أنفسهم من خبث ، نأتي على ذكر قصة جديدة فيها بعض ما نريد .

جاء دلامة يوماً إلى أبيه وهو في محفل من جيرانه وعشيرته جالس فجلس بين يديه ، ثم أقبل على الجماعة فقال لهم : إن شيخي — كما ترون — قد كبرت سنه ، ورق جلده ، ودق عظمه وبنا إلى حياته حاجة شديدة ، فلا أزال أشير عليه بالشيء يمسك رمقه ويبقي قوته ، فيخالفني فيه . وأنا أسألكم أن تسألوه قضاء حاجة لي أذكرها بحضرتكم فيها صلاح لجسمه ، وبقاء لحياته ، فأسعفوني بمسألته . فقالوا : نفعل حباً وكرامة . ثم أقبلوا على أبي دلامة بألسنتهم وتناولوه بالعتاب حتى رضي وهو ساكت ، فقال : قولوا للخبيث فليقل ما يريد ، فستعلمون أنه لم يأت إلا ببلية . فقالوا له : قل . فقال : إن أبي إنما يقتله كثرة إتيان النساء فتعاونوني عليه حتى أخصيه ، فلن يقطعه عن ذلك غير الخصاء ، فيكون أصح لجسمه ، وأطول لعمره . فعجبوا من ذلك وعلموا أنه إنما أراد أن يعبث بأبيه ويخجله حتى يشيع ذلك عنه فيرتفع له بذلك ذكره ، فضحكوا منه . ثم قالوا لأبي دلامة : فأجب . قال : قد سمعتم أنتم وعرّفتكم أنه لن يأتي بخير . قالوا فما عندك في هذا ؟ قال قد جعلت أمه حكماً بيني وبينه فقوموا بنا إليها . فقاموا بأجمعهم فدخلوا إليها ، وقص أبو دلامة القصة عليها وقال لها : حكمتك . فأقبلت على الجماعة فقالت : إن ابني — أصلحه الله — قد نصح أباه وبره ولم يأل جهداً ، وما أنا إلى بقاء أبيه بأحوج مني إلى بقائه ، وهذا أمر لم تقع به تجربة منا ، ولا جرت به عادة لنا ، وما أشك في معرفته بذلك ، فليبدأ بنفسه فليخصها ، فإذا عوفي ورأينا ذلك قد أثر عليه أثراً محموداً استعمله أبوه . فنعر[1] أبوه وجعل يضحك به ، وخجل ابنه وانصرف القوم يضحكون ويعجبون من خبثهم جميعاً واتفاقهم في المذهب[2] .

وللقوم الذين شهدوا هذه المحاورة التي تضحك الثكلى أن يعجبوا ما شاءوا ، ولهم أن يروا فيها دليلا على خبث الثلاثة واتفاقهم في مذهب العبث والمجون ، فقد رأينا فيها ولداً يخجل أباه ، وأماً تخجل ابنها ، وأباً يوزع خبثه على الاثنين ، فيسمع كلام ابنه غير غبي ولا متغاب ، ثم يحتكم إلى زوجته احتكام العالم بما ستقوله ؛ لأن عبث ابنه ينالها كما يناله .

ومن هنا نرى أن أم دلامة — وإن كانت تحب أن تخجل زوجها في بعض الفرص — لم تكن لتخذله دائماً ، فهي تحبه على ما فيه من عبث ومنقصه ، وهو يثق بها في تمام ما يعجز عن إتمامه بنفسه ؛ لأنه عرفها وعرفته ، واستطاع كل منهما أن يستكمل بالآخر مواضع نقصه ، ونقط الضعف فيه !.

(يتبع) صبحي إبراهيم الصالح

(١) نعر : صاح وصوت بخيشومه
(٢) الأغاني جـ ١ ص ٢٧٢

أساليب التفكير :

فلســـفة الشعب

للأستاذ عبد المنعم عبد العزيز المليجى

اعتذار :

منذ أكثر من شهرين كنت أتحدث إلى قراء الرسالة عن الأسلوب الفلسفى فى التفكير ، وكلى عزم أن أواصل الحديث حتى يكتمل ؛ ولكن شئون العيش ، وشجون الحياة ، وهموم العمل الرتيب ، وفوضى المعاملات الإنسانية ، تحرم المفكر نعمة التأمل ، وتسلبه صفاء الذهن ؛ فلا يعود يعمل إلا كما تعمل الآلة ، ويمضى فى غمار الحياة اليومية كما تمضى قطرة الماء فى خضم التيار : مسلوب الإرادة ، فاقد الوعى ، خامد الحس ، موزع النفس . وهل من سبيل إلى التفكير المشرق الصافى ، ما لم نكن بمنجاة من عمل مرهق يأخذنا من جميع أقطارنا ، وما لم نهتد إلى فرجة من وقت نتسلل من خلالها إلى الوطن العزيز : وطن الفكر المقدس ؟ والمثل اللاتينى يعزينا بقوله : « عش أولاً وتفلسف بعد ذلك » .

لا مفر من الفلسفة :

انتهينا فى مقالات سابقة إلى أن أداة التفكير الفلسفى هى العقل بوسائله الخاصة : من تجريد إلى حكم إلى استدلال إلى برهان. ولما كانت هذه الوسائل فى متناول كل إنسان — أياً كان ذكاؤه وأياً كانت ثقافته — لم يكن مناص من أن يتفلسف الناس جميعاً ، وإن كانت الانفعالات والأهواء تتدخل أحياناً فتفسد ملكة الحكم السليم ، وتطمس إشراقة الذهن ، فليس ذلك بمنكر وجود القدرة على التفكير الخالص . إن ومضات الفكر قد تنبثق فى لحظات لدى أجهل الناس ، كما أن ضياء العقل قد تكتنفه سحب الانفعال أحياناً لدى أعمق المفكرين . وقد كان إمامنا سقراط يؤكد هذا المعنى فيخاطب العامة والخاصة على حد سواء ، ويدعو إلى فلسفته فى عرض الطريق ، وفى الأسواق ، وفى أروقة المحاكم كان يناقش الصبى الغرير ، واليافع البحاثة ، والمثقف المتحذلق ، موقناً أن الجهل عرض زائل ، وغشاوة تنجاب بشئ من الجهد والإخلاص ، حتى ليذهب إلى أن الصبى الصغير يمكنه بقليل من التوجيه والإرشاد ، أن يستنتج جميع مبادئ الهندسة التى وضعها إقليدس الرياضى . وكان منهج ديكارت « أبو الفلسفة الحديثة » يقوم على أساس أن العقل « أعدل الأمور قسمة بين الناس ، وأنصبة الناس منه متساوية . . »

قد يعجز الناس فى عصر من العصور عن فهم ما يكتبه فيلسوف من الفلاسفة ، بل قد يرمونه بالخلط والالتواء فى التفكير ، ويسخرون منه ، وينالون من عقليته . وعندى أن ذلك لا ينهض دليلاً على استحالة فهم الناس لتلك الفلسفة ، إنما مرده إلى قلة حظ هؤلاء من الثقافة ، وعدم اعتيادهم التعمق فى التفكير وخشيتهم من كل جديد يزلزل عقائدهم فضلاً عن كون الفيلسوف يعمد أحياناً إلى التعبير فى غموض عن أفكار تخطر ببال كثير من الناس العاديين ، ويستخدم أسلوباً فنياً مشحوناً بالمصطلحات الغريبة عنهم ، فيقيم بذلك بينه وبين أذهانهم سداً منيعاً . ولذلك كانت لا تكاد تمضى حقبة من الزمن ، يكون الشراح قد تناولوا فيها إنتاج الفيلسوف بالشرح والتفسير ، وتكون العقول قد نضجت بعض الشئ ، والأفهام تهيأت بقبول ما نبذت ، فإذ المجنون عبقرى خالد ، والمارق قديس متبتل ، ومذهبه عقيدة راسخة . وقد كان الفيلسوف الألمانى « عما نوئيل كنت »[1] يقول : « جئت بمؤلفاتى قرناً قبل موعدها ، ولن أفهم إلا بعد مائة سنة ، وحينذاك ستقرأ كتبى وتقدر قدرها . » وقد صدقت نبوءة الفيلسوف العظيم فلم يكد ينتصف القرن التاسع عشر حتى كان فى كل قطر من أقطار أوروبا مدرسة فلسفية بأسرها تستمد مبادئها من فلسفة كنت .

الفيلسوف إنسان :

إن الفيلسوف لا يأتى بدعا ، ولكنه يرى ويسمع ، فيحكم ويستنتج ؛ وما يراه وما يسمعه أمور تقع تحت بصر الناس وسمعهم ، وملكة الحكم أو ملكة الاستنتاج ليست وقفاً عليه ، فالناس جميعاً يحكمون ويستنتجون ؛ ولكنه أدق منهم حساً ،

(١) من فلاسفة القرن الثامن عشر ، اشتهر بالعمق والغموض .

ولديه من الفراغ والذكاء والصفات المزاجية ما يكفل له التعمق فى تأملاته ومزاولتها أغلب الوقت ، والانشغال بمحاولة فهم الكون عن كل ما عداها من شئون الحياة الجارية . ناهيك بقدرته على التجرد من أهوائه ، والوقوف من حوادث الكون موقف المحايد : لا تمنيه التقاليد الموروثة والآراء الشائعة ، إن تعارضت مع العقل . وكل امرىء بمقدوره ذلك ولو فى فترات متقطعة عبر حياته . ويمكننا كربين أن نعود النشء كيف ينتزع نفسه — زمناً ما — من استغراقه فى تيار الحياة اليومية ، وكيف يستخلص العبر العامة من حادث مفرد ، وكيف يتجرد من عواطفه ، ويتجرد من تأثير غيره ليحكم فى نزاهة ، وينقد فى جرأة ، ويسمو فوق المشاغل الجزئية التافهة . لست أقصد بطبيعة الحال أن الناس جميعاً فلاسفة ولكننى أقصد أن كل امرئ بمقدوره أن ينتهج فى حياته نهجاً فلسفياً ، وأن الفيلسوف لا يفضل المفكر العادى إلا فى الدرجة ، وأقصد علاوة على ذلك ما قصده أرسطو بقوله : « إذا لم يلزم التفلسف فلنتفلسف أيضاً لنثبت عدم لزوم التفلسف . »(١) أى أن المرء ليس بوسعه إلا أن يتفلسف ما دام كائناً فى عالم دائب الحركة ، زاخر بالتطورات والمشاهدات والمفارقات . كل ما يقع عليه البصر يثير العجب والدهشة ، ويستفز نزعة الاستطلاع الكامنة فى تحفز . هو لا يستطيع أن يقف موقف المسجل لهذه الظواهر فحسب ، فعقله دائب التساؤل ، وهو قلق ما لم يصل إلى تفسير لما يرى ، وتصور معقول للكون فى مجموعة أو فى ناحية من نواحيه . وهو إذا ما صاغ نظرية ما ، هدأ القلق ، وحقق — إلى حين — الطمأنينة العقلية التى لا غنى عنها للمضى فى رحلة الحياة .

قد تكون النظرية التى يفضى إليها تفكير المرء خاطئة أو قاصرة ، ولكن ذلك لا يقضى على قيمتها من حيث أنها كافية لإعادة الأمن العقلى إلى نفسه القلقة ، والتعلل بها حتى يهتدى لتفسير نهائى . وإذا كان الإنسان عاجزاً عن الوصول إلى تفسير نهائى ، فلا يبرر ذلك أن ننكر الفلسفة أو نمتنع عن التفلسف كما حدث لبعض المفكرين : شكوا فى قدرة العقل الإنسانى ، ويئسوا من بلوغ الحقيقة كاملة ، فارتموا فى أحضان التصوف ، ومنهم من آثر الجهل على علم ناقص(١) .

(١) فى الميتافيزيقا .

يذكرنى ذلك بالنقاش الطويل الذى احتدم بين سقراط — إبان إعدامه — وبين تلامذته حول الروح وخلودها . يعترف سقراط بعد إيراد الأدلة على وجود الروح وعلى خلودها ، وبعد موافقة تلامذته عليها ، بصعوبة المسألة وعدم جواز القطع برأى نهائى بصددها . حينئذ يتشجع أحد الحاضرين ، « سيبيس » ، ويقول قولاً حكيما : « يبدو لى يا سقراط ، كما يبدو لك ، أنه من المستحيل ، أو بالأحرى من العسير جداً ، بصدد هذه الأمور ، أن نعرف الحقيقة فى حياتنا هذه . ومع ذلك نرى من الجبن ألا نفحص بعناية فائقة كل ما أسلفنا قوله ، وأن ندع جزءاً دون بذل قصارى جهودنا : ذلك أنه لا مناص من أحد أمرين ؛ إما أن نعلم الحقيقة عن غيرنا وإما أن نكتشفها بأنفسنا ؛ فإن استحال كلا الأمرين فلنتخذ من الآراء الإنسانية أقومها وأبعدها عن التفنيد ، ولنمتط هذه الآراء كما نمتطى زورقاً يعبر بنا ، مخاطرين ، هذه الحياة حتى يتيسر لنا أن نعبرها على نحو أسلم وأقل تعرضاً للخطر(٢) ...

أجل إن لكل نظرة فلسفية قيمتها ، وليس بقادح فيها بعدها عن الصواب أو قصورها عن مطابقة الحقيقة ، ما دامت ضرورة حيوية لتهدئة توتر الذهن عند ما يعجز عن حل مشكلة من المشاكل . وعلى هذا الأساس يحق لى أن أتحدث عن فلسفة شعبية تنطوى عليها حياة عامة الناس ، وقد يصرح بها نبهاؤهم قولا كما سنبين :

فلسفة الخير والشر :

رجل الشارع إذ يقول : « كله فانٍ » إنما يركز فى لفظين اثنين مذهباً فلسفياً ضافياً ملأ أسفار كثير من فلاسفة الأخلاق ؛ لم يستمده من بطون الكتب ولا هداه إليه معلم ، إنما هى مدرسة الحياة بتجاربها تمده بالعرفان ، وملكة الحكم السليم : « أعدل الأشياء قسمة بين الناس » تهديه إلى نظرياته . إنه يستقرى الحوادث والكائنات ، ويلمس انتهاء حياة كل كائن إلى الموت . كل ما يقع تحت حسه ينمو ويزهو ، ثم يذوى ويذبل . كل حى يدب على البسيطة دبيباً قد يتجاوب صداه فى الآفاق ، وينتفض من فرط القوة والحيوية ،

(١) الكلبيون الذين عاشوا فى القرن الرابع قبل الميلاد .

(٢) محاورة فيدون ص ٦١ من الترجمة الفرنسية بول لمير

ويأتى من الأفعال ما نحمده وما ننكره ؛ ثم إن هى إلا ساعة أو بعض ساعة حتى يتلاشى الدبيب ، ويزول الصدى ، وتخمد الحركة وتستحيل السيرة ذكريات لا تلبث أن تنمحى :

أُرى الدنيا سوى دار سفار ذات بابين ظلام ونهار
كم وكم من ملك جمّ الفخار حلّ فيها برهة وارتحلا
حين لبى دعوة الداعى المطاع (١)

ذلك مايدور بخلد المامى حينما يخلو إلى نفسه يناجيها ، أو إلى جماعته يؤانسها ، أى حينما ينتزع نفسه من غمار العيش الرتيب ، فيطل على الكون من قمة الفكر التى تشرف على الزمان والمكان، ويتحرر إلى حين من إلحاح الحاجات الجسدية التى تمطل التفكير الخالص ما لم ترتو .

وحكيم الشعب الذى يقضى العمر لا يحمل حقداً أو ضغينة ، ولا يحس إحناً أو سخيمة ، يقدم للناس كل خير فلا يجد منهم غير الحسد ونكران الجميل ؛ تقصد مضجعه خيانة الإنسان لأخيه الإنسان ، وتترك عشرة الناس فى نفسه ندوبا أليمة ، حتى ليعصف به شك فى وجود الخير فى هذه الحياة التى نحياها ، شكاً يعبر عنه غناء فى أسى نبيل :

« يا زارع الودّ هو الود شجرُه قل
ولا سواق الوداد زحت وماءها قل ؟! »

وقد يكون لشكه هذا أبلغ الأثر فى سلوكه العملى : إما نقمة وسخط على المجتمع فإعلان الحرب عليه وتلمس السبل للانتقام ؛ وإما عفو وغفران فمضى على الصراط المستقيم لا يرعى فى شئ إلاّ ولا ذمة ، ولا ينتظر جزاء ولا شكوراً . وهو فى الحالين مبرر سلوكه بفلسفة تثبت فؤاده ، وتؤكد سلامة اتجاهه أمام نفسه أو أمام الناس . فهو فى الحالة الأولى نفعى ، قيمة الفعل الأخلاقى فى نظره رهن بمقدار ما يجلب لصاحبه من نفع وما يدفع من نكر ؛ وهو فى الحالة الثانية مثالى يفعل الخير للخير ، قيمة الفعل عنده لا ترتهن بما يجلبه من نفع ، ولكن بما تحدثه فى النفس من رضى وطمأنينة .

ولو تتبعنا تاريخ الفلسفة لوجدنا كلا الاتجاهين فى الفلسفة الأخلاقية . يمثل الاتجاه الأول طائفة السوفسطائيين الذين قادوا حركة فكرية فى أثينا إبان القرن الخامس قبل المسيح أعلنوا الثورة على العقائد الموروثة ، وسخروا فى جسارة من آلهة اليونان ومضوا فى شكهم حتى تناول قواعد الأخلاق فأنكروها زاعمين أنها بدعة ابتدعها ضعاف النفوس ممن جردتهم الطبيعة من القوة والامتياز، فتوسلوا بالأخلاق والدين للسيطرة على الأقوياء والموهوبين . أما الخير عندهم فهو المنفعة ، والسعادة فى إشباع الرغبات والميول التى فطر عليها الإنسان . والواجب يقتضى تحطيم أغلال الأخلاق ، لأنها ابتداع يتعارض مع الطبيعة البشرية ، وعليه فالإنسان كما يقول أحدهم « بروتا غوراس » مقياس الأشياء جميعاً ... « فالأشياء هى بالنسبة إلىّ على ما تبدو لى ، وهى بالنسبة إليك على ما تبدو لكَ ، وأنت إنسان وأنا إنسان . » أجل : أنا إنسان ، وأنت إنسان — فليمض كل منا وفق هواه ، وليجرد كل سلاحه ، فالقوة فوق الحق والبقاء للأصلح .

وقد أجاد الكاتب الفرنسى « هونوريه دى بلزاك » فى تصوير هذا الاتجاه الوصولى النفعى فى شخص مجرم خطير هو « فوتران » الخارج على المجتمع . يلتقى « فوتران » ذات يوم بشاب هبط باريس يطلب العلم هو « راستنياك » الذى يحمل بين جنبيه نفساً أبية ، وقلباً ذكياً ، وطموحاً نبيلا ، ولكنه مع ذلك كغيره من الموهوبين فى مجتمع منحل يعجز عن بلوغ المجد لأنه وقفٌ على من يضحى بمبادئ الشرف والكرامة . يلقاه « فوتران » وهو على هذه الحال من الألم واليأس والرضا — مع ذلك — بالأوضاع والمقادير فيلقنه فلسفة فى تلك الكلمات : « أتدرى كيف يشق الناس طريقهم فى هذه الدنيا ؟ يشقونه ببريق العبقرية ، أو بالمهارة فى الخسة . يجب أن تسقط فى صفوف البشر كقنبلة أو أن تتسلل بينها كوباء . أما الشرف فلا فائدة فيه »(١).

تلك فسلفة يتخذها نفر من الناس يؤيدون بها مسلكا عملياً ويبررون بها ثورتهم على مجتمع يرونه ظالماً ، وهى لعمرى تحمل بين طياتها اعتذاراً ضمنياً عن فعال يحسون فى قرارة نفوسهم مجانبتها للصواب . وفى المقال القادم أحدث القراء عن الفلسفة المقابلة ، تلك التى ترى الخير غاية فى ذاته ، والسعادة فى رضى النفس وراحة الضمير ...

(الاسكندرية) عبد المنعم المليجى

(١) رباعيات عمر الخيام ترجمة محمد السباعى

(١) مسرحية « الأب جوريو »

دراســـة الطفل
من الوجهة النفسية الحديثة

للاستاذ فؤاد طرزى المحامى

بعد بحث وتنقيب دام حوالى النصف قرن قدمت لنا صورة عن طبيعة سلوك الطفل تختلف كل الاختلاف عن الصورة التى قدمها لنا الباحثون القدماء فى ميدان التحليل النفسى . فقد قدم لنا العلماء الحديثون القواعد الأولى التى بنيت عليها الدراسات الجديدة ، وإن النقاط الرئيسـية التالية تلخص وجهات النظر الحديثة فى ميدان الدراسـات العلمية التجريبية ، فعلم النفس الحديث يقول :

١ — إن الطفل تركيب عضوى حى نام يتطور على شـكل تحولات وتغيرات متناهية فى الدقة من الخلية الأولى إلى التكوين العضوى المعقد الذى يؤهل الفرد للعمل وفق مستويات الراشدين . وفى ميدان هذا النمو والتطور يشرح العلماء خصائص الأعمال والتكوينات الجـديدة ، وعناصر التغيرات التى تتناول الحجم والشـكل والتركيب ، وصـفات التغيرات التى تتناول مستوى الفعاليات وأوجه النشاط . كما أنهم يبحثون أيضاً فى المبادئ الأساسية التى تحلل أساليب هـذا النحو المستمر وأحواله وهذه الفعاليات النشطة .

٢ — إن الطفل وحدة حية مستقلة بنفسها ، تعمل بمفردها عملا منظما إزاء المواقف التى تواجهها . وهذه الخصائص الجزئية التى يتميز بها السلوك تحتاج إلى تأكيدات خاصة . وتثبت العلوم الكيماوية والفيزيولجية بأن الوحدات المنظمة تستطيع أن تنقسم إلى أجزاء متشابهة ، وهذه الأجزاء تنقسم إلى أجزاء أصغر منها ، وهكذا باستمرار . وبمقتضى هذا فإن القوانين التى تحـكم هذه الوحدات المنظمة ستستمر فى عملها بنوع من الدقة والتماثل ينتج أعمالا منسجمة متحدة . وبما أنه لا الطفل ولا سلوكه يتجزآن هـذا التجزؤ نفسه ، فقد وجدت الصعوبات فى ميدان التحليل العلمى للطفل من هذه الناحية ، لأن كل الوسائل النفسية والأساليب القياسية التى استعملت لتحليل السلوك إلى وحدات نموذجية معينة قد اقتصرت على الأعمـال التى يقوم بها التركيب العضوى بمجموعه . ولهذا السبب عندما نتكلم عن الذاكرة وعن التعلم وعن العاطفة ، فإنما نتكلم عن أعمال سلوكية مستقلة صنفت وفق قواعد التمـاثل والتشابه ، لأن هذه المظاهر ليست ظاهرة قائمة بذاتها ، ولـكنها جمعت مع بعضها لخصائصها الجوهرية المتماثلة ، فـكل نشاط يمـكن أن يصنف تحت عدد من المراتب المختلفة ، فإنما نفعل ذلك تسهيلا لمهمتنا العلمية . ولهذا فإن نفس السلوك الواحد يمـكن أن يصنف كإحساس أو كمعرفة أو كعاطفة أو كذاكرة ... الخ . وهذه الوحدة فى قوى النشاط الطفولى تستعمل إجراءات تبدو شادة ولا تتصل اتصالا مباشراً بالعلوم البيولوجية

٣ — إن الطفل يعيش فى محيط لا يتميز هو نفسه لا بطابع الوحدة ، ولا بمظاهر البساطة ، ويعمل باستمرار مؤثراً على سلوك ونمو الطفل . وإن نماذج الدوافع الفعالة تأتيه من خارج محيطه ، وبعد ذلك — بصورة غير مباشرة — وبواسطة دفع ذاتى فيه ، يختار من بين مظاهر محيطه ما يناسبه ويوافقه . ويظل هـذا التبادل المشترك بين الـكائن البشرى وبين المحيط الاجتماعى الطبيعى مستمراً فى جميع الأوقات . وبما أنه قد يحصل نوع من التثبيت والتوقف فى النمو ، فإن صنفاً من السلوك يتشكل ويتحدد ، وإن النماذج النوعية السلوكية تتطور فى ميدان البواعث المتحركة وفى ميدان النظام الذاتى الخاص . وإن بعض هذه البواعث تصبح بواعث محركة منتجة بسبب تأثيرها على مجرى النمو بالتجارب العلمية وبالعلاقات الاجتماعية مع الآخرين ، بينما تبقى بواعث غيرها غير ذات تأثير ، لأنها لم تؤثر فى هذه العلاقات المتشابكة المتبادلة . وأما لـما ذا تصبح بعض البواعث مؤثرة ، وتبقى غيرها غير مؤثرة ، فإن هذه مسألة لم يبت فيها نهائياً فى الدراسات النفسية الطفولية.

٤ — إن الطفل يبقى خاضعاً لعملية نمو مستمرة متتابعة ، لا ترتد إلى الوراء ولا تقف . فلا يمكن للبيئة ولا للعلاقات الطبيعية والاجتماعية أن تظهر مرة ثانية بنفس الشكل الذى ظهرت فيه فى مرة سابقة ، وذلك بسبب تجدد النمو وتجدد العلاقات المشتركة المتبادلة . إن السلوك فى أية لحظة من اللحظات هو ثمرة تاريخ الطفل وتعبير عن باعث مؤثر معاصر .

وعلى ضوء هذه القاعدة ، فإن دراسة الأسباب المفردة والبسيطة يجب أن تستبدل ويستعاض عنها بدراسة البواعث المتجددة ، والعلاقات المتبادلة ، والتأثيرات النامية المتراكمة .

المشاكل النفسية للطفل :

ينقسم منهج العالم الذى يبحث فى المشاكل النفسية للطفل إلى قسمين رئيسين مختلفين من ناحية البحث والعمل . فهو يبحث أولا عن قواعد عامة ، أو مبادئ تنطبق على نماذج وأشكال كثيرة تعين على فهم السلوك وعلى السيطرة عليه والتكهن بمداه ونتائجه . وفى هذه العملية يتناول بحثه :

(ا) أعمال الكائن الحى الآلية ، أو ما تسمى النوازع الذاتية الأصلية للكائن الحى نفسه التى توجه أعماله توجيهاً مستقلا عن أى تأثير خاص يسببه شخص معين أو بيئة معينة .

(ب) التأثيرات التى يؤثر بها الكائن الحى على البيئة التى تحيط به ، أو ما تتركه الكائنات الحية من مظاهر خاصة على العالم الخارجى الذى حولها .

(ج) التأثيرات التى تؤثر بها البيئة على الكائن الحى ، ودراسة كيف يحكى تغيير السلوك وتكييفه بتغيير وتكييف البيئة التى ينمو بداخلها الكائن الحى .

وأما القسم الثانى ، فيتناول تفسير وشرح الظواهر ، وهما الأمران اللذان يتمثلان تمثلا رئيسياً فى عدد من العلوم . فالعالم النفسى يحاول أن يفسر عملية النمو نفسها بنماذج متقاربة ومفهومة ، إذ يشمل عمله أولا أن يضع القواعد العامة المشتركة بين جميع الأفراد . وفى هذا المجال توجد طائفتان من القواعد :

(ا) قواعد النمو التناسلى أو التكوينى المتعارض أو المتقاطع.

(ب) قواعد النمو التناسلى أو التكوينى الطولى .

ثم يقوم ثانياً بمهمة شرح وتفسير وفهم السلوك الفردى بحثاً عن الوحدة العامة بين أنواع السلوك . وفى هذا المجال يجب التمييز أيضاً بين أمرين :

(ا) ترتيب الأفراد حسب مستواهم .

(ب) شرح حالة الفرد شرحاً يتناوله كوحدة جامعة .

أعمال الكائن الحى الميكانيكية :

فى كل نظام من الأنظمة تنجز فيه الأعمال بمجموعها ومتحدة نتائج معينة فى مرحلة وزمن معينين يفترض العلم بأن هذا النظام يقوم على مبادئ منطقية ، وأن هذه المبادئ تعمل مستقلة استقلالا يتفاوت كثرة وقلة عن المجهودات الآلية للكائن الحى ، وعن تأثيرات البيئة التى تحيط بهذا الكائن ، وأن هذه المبادئ تعمل بصورة مكانيكية مختلفة ومتعددة وفى بيئات مختلفة ، فإذا عرفنا هذه المبادئ فهمنا سلوك الأفراد واستطعنا السيطرة على هذا السلوك ، وإن كنا لم نعرفها فلا نحصل إلا على ما يسمى السلوك غير المفهوم .

هذه هى — بصورة عامة — المبادئ الأولى فى علم النفس ، ومن استعراضها يظهر لنا بأن التجربة أصبحت الأساس الفنى لتنظيم الدوافع والعوامل والسيطرة عليها . لذلك فإن فهمنا يزداد وإنتاجنا يغزر كلما :

١ — رتبت الدراسات بشكل يسمح للدوافع والحوافز بأن تعمل بكل قواها لتجنب الانهماك بأجزاء صغيرة من العلاقات موضوعة البحث .

٢ — ونظمت الدراسات على أساس اتصال العوامل والحوافز واشتراكها .

٣ — وأعطى اهتمام أكثر سواء عند وضع تصميم التجربة وتنظيم المبادئ ، أو عند المباشرة فى الدرس والبحث ، إلى المبادئ المتشابكة وتوافقها مع البيانات الإيضاحية . وذلك بدلا من إشاعة الاضطراب والفوضى فى البحث باستعمال الأساليب التقليدية التى تخضع الكائن الحى لآراء متنوعة بدلا من إخضاعه للطرق البيانية المستمدة من الوقائع والتجارب .

وهناك مسألة أخرى — تجابهنا فى حقل الدراسات النفسية لمشاكل الطفل — وهى اختلاف قابليات النمو ، واختلاف الأعمار وتأثيرها على الآراء والتجارب ، ثم درجة وطبيعة التغير بالنسبة لهذه الاختلافات فى الأعمار والقابليات .

تأثير الكائن الحى على البيئة :

يجب أن ينظر إلى الطفل فى أية لحظة من اللحظات كنموذج خاص ، أو كنظام تركيبى مشغول فى مواجهة البيئة الخارجية ، وكلما تحرك إلى الأمام مع الزمن ، فإن علاقاته بالعالم الخارجى تتحدد

فى جانب منها بانفعالياته الخاصة ، فإن الأطفال يختلفون اختلافاً كبيراً من ناحية الذكاء ، والقابلية الوسيقية ، والقدرة الإنتاجية ، والقابلية الإحساسية ، والأحوال البيئية . فإذا أمكن ترتيب الأساليب حسب ما يمكن قياسه من هذه الخصائص مفردة ومجتمعة ، فإنه يمكن فيما بعد تسجيل وتحديد وتعميم الإنجازات الفردية التى لوحظت بدرجات متقاربة .

ولكن هذه الملاحظات جميعها قد أجريت — وهذا مما يؤسف له فى قياس الذكاء — مع أنه ليس هناك مايمنع من توسيع هذه القياسات لتتناول مجالات أخرى غير دراسة الذكاء وقياسه ، إذ أن مواضيع علم النفس المقارن كتلك التى تتناول الفروق الجنسية والعنصرية من الممكن أن تؤدى إلى وضع تعميمات نافعة جداً إذا أمكن تصنيف الجماعات فى المراحل الأولى وتبع ذلك دراستهم دراسة مثمرة . ومثل هذه الدراسات الآن غير كاملة تماماً لاختلاطها بالتأثيرات الطبيعية الكثيرة المزدحمة .

ولهذا ، فى هذه الناحية يستعمل الفرد كنشاط متطور مستقل نام ، أو ينظر إليه كبيئة نفسية يقوم هو نفسه ببنائها .

تأثير البيئة على الكائن الحى :

يقوم المجتمع عن طريق إرشاد وتدريب الأطفال بتكييف البيئات التى ينمو بداخلها الطفل ، فالعالم يهتم بتكييف البيئات تكييفاً تجريبياً مقصوداً لاستكشاف المبادئ الرئيسية والإجراءات العملية التى يمكن استعمالها فى تعليم وتدريب الأطفال .

وهنا تجابهنا مواضع كثيرة تتعلق بالأسلوب المنتج الذى يمكن الاستفادة منه فى التعليم والتدريب ... كيف يحدد مستوى المناهج ؟ ما هى المواد التى يجب أن تدرس فى الجغرافيا مثلا ؟ وهل الصور المتحركة والصور الحركية تساعد فى تحسين نوعية التعليم؟ إن الدراسات التى تتناول تكييف البيئة تشتمل فى بعض الأحيان على دراسة العوامل والبواعث الموجهة كل على انفراد ، بينما تشتمل فى ظروف أخرى على دراسة نماذج معقدة جداً من قوى النشاط . ومن الواضح بأن التصميم التجريبى يتألف من تصنيف جماعات من الأطفال كل جماعة تتميز بعامل من العوامل موضوعة البحث ، ويؤخذ بهذه الطريقة ، لأن دراسة عوامل وبواعث بسيطة أسهل من تناول بحث يتألف من عناصر متشابكة ومتداخلة . وعلى كل يجب أن لا نفترض بأن جميع المشاكل فى هذا المجال تتمركز فقط حول مثل هذه العوامل والبواعث ، إذ الحقيقة أن العامل الفرد ذا التأثير الواحد يعتبر حالة محددة من طرف واحد ، وأن البيئة مع كل تأثيراتها تعتبر حالة محددة من طرف آخر . ولذلك فإن هدفنا النهائى يتناول جميع العلاقات البيئية فى جميع درجات الاشتباك والتعقد ، فإن كافة البحوث فى هذه الدراسات تنتهى بتعميم يعبر عنه باصطلاحات عددية ، وبفروض تنبؤية ، وبتحديدات معينة تطبق على الجماعات والأفراد .

إن مهمة علم النفس فى الماضى كانت تنحصر فى جمع إنجازات السلوك والرجوع إلى الوراء للبحث عن العوامل المسببة .

وهكذا يقارن تحت ظل هذا النوع من الدراسة بين الأطفال الحاذقين وغير الحاذقين ، وبين المحسودين وغير المحسودين ، وفى هذه الدراسات كذلك يعتبر « النموذج » النتيجة النهائية . وعلى كل فإنه إذا حصل تقدم فى معارفنا عن الطفل ، فإن البيئة يجب أن تصبح ظاهرة مستقلة متطورة ، ويصبح السلوك نشاطاً متحولا غير مستقل ، وذلك بشكل يمكننا أن نتعرف على السلوك من دراسة البيئة لا التعرف على البيئة من دراسة السلوك . ولكن هناك فى هذه الناحية صعوبات عديدة ، فقد قام العلامتان شيرمان وهنرى (١٩٣٣) باختيار خمس بيئات متفاوتة حسب قربها وبعدها من المدنية ، ثم قاسا بعد ذلك ذكاء الأطفال ، وفى النهاية فشلا فى الوصول إلى نتائج واضحة قاطعة من وجهة نظر التعميم العلمى . ويعود سبب هذا الفشل إلى حقيقة أن أية بيئة توجد لمدة طويلة من الزمن ستجرب إخضاع أفرادها إلى نوع من التأثير البيولوجى الانتقائى . ولكن إذا مارتبت سلفاً البيئات التى تختلف اختلافاً جوهرياً فيما بينها ، ثم وزع الأطفال عليها توزيعاً متناسباً يمكن بواسطته السيطرة على العامل البيولوجى الانتقائى ، فإنه يمكن الحصول على نتائج هامة .

وقد أمكن الحصول على تعميمات عديدة حول تأثير النظام والإدارة على الأطفال من دراسة الأطفال العاديين ومن شرح حالات البيوت التى يجىء منها الأطفال وشرح خصائص جيرانهم ومعارفهم . وعلى كل فإذا أمكن ملاحظة نماذج من البيوت

الربيـــع

للأستاذ محمد هارون الحلو

غدا الربيع فنجوى الحب ألحان ... دنٌّ وراق وقينات وولدان

أرى بنات الربى يرقصن فى طرب ... مع النسيم وفردوس الهوى حان

خماره بات يسقيها على ظمأ ... وهن من حوله شَرب وندمان

حلم يجاذب قلبي وهو مفتتن ... وكل قلب به ظام وهيمان

لقد نماه بسر الغيب مبدعه ... تبارك الله ما سواه إنسان

يد تخط كما شاءت مصورة ... وكل ما تمنمه فهو بستان

ما للأماليد فى أعطافها زهر ... ينهل من نشره روح وريحان

كأنهن عذارى قد خطرن وفى ... معاصم السحر ياقوت ومرجان

يمسسن فى خفر عبر الظلال كما ... يميس من طرب بالراح نشوان

بكرت أصطبح النجوى على شغف ... بين الورود وكم فيهن فتان

يا للحداق بها كم أيقظت شجناً ... فنوّح طير الهوى يدنيه لهفان

أنا المصاب وهذا السهم فى كبدى ... رماه ظبي إلى جنبي غيران

يوم استبقت إلى النجوى فغامزنى ... بلحظه وبريق اللحظ وسنان

فلت منـــه بأذيال معطرة ... ومال منى ... وقلبى منه ظمآن

قطفت منه ندياً غير معتصر ... كما تألق تفاح ورمان

آذار مهلا دفقت الحب فى وترى ... فدف شدو به فى القلب حيران

نشدتك الله عرس الروض بلبلنى ... وهاج منى خيالى فهو يقظان

الأمنيات أباريق معتقـــة ... تديرهن على الأرواح غزلان

ولؤلؤى الندى المنضور مؤتلق ... على الخمائل قد وشته عقيان

والدر والتبر فى الياقوت نضده ... بطابع الحسن فى الفردوس فنان

له بكف الورى آلاء ذى منن ... يحفهن به فضل وإحسان

والشمس تضفى غلالات مزركشة ... يرف منهـا على الوشى تيجان

كأنها ملك يســـمو به أفق ... وللربيع بها عرش وسلطان

ما كان أسنى بنات الليل شاردة ... وإلفها شارد الوجدان سهران

يرنو إليها فتغضى فى موادعة ... وقد أضر به صـد وهجران

فهـل ترى أملا يهفو على أمل ... وهن منه حوارى وأخدان

أنا الذى هاجت النجوى بلابله ... وللقمارى فى الأغصان ألحان

لكم تسممت منها لحن ذى وتر ... يضم عطفيه آلام وأشجان

أما لقلبي ينبـــوع أذوق به ... من الأفاويق ما يهواه ندمان

بين الربيع ودنيا الحب آصرة ... هما على الدهر إن شبهت صنوان

هما حياة بمثناها بأرغنـــة ... وكم تغنى بها فى الخلد رضوان

لا تسألنى أذات الطوق حالية ... كأمس حيث رياض الحب أفنان

وما حلاها أسوسان الربى عبقا ... وزنبق القاع فى الأعطاف فينان

أم الحوادث بين الشرق قد عصفت ... بمهرجان الهوى فالتاع غصان

ربيع هذا الورى فى كل بارقة ... للخير ، ما لربيع العيش أوطان

ربيع قلبي شبابى طالما انبجست ... منه عيون إلى النجوى وخلجان

ربيع روحى يقين أستقى به ... يشف عنه بنور الله إيمان

ربيعنا السلم إن قرت دعائمه ... فما يزعزعه بغى وطغيان

الله للعرب قد ناداهم سبب ... إلى الجهاد فهم فى البأس فرسان

إن مال بالقدس إعصار فروعه ... فسوف يحمى ربيع الحق رحمان

محمد هارون الحلو

المتباينة من ناحية الأنظمة السائدة فيها والمتشابهة من النواحى الأخرى ، وأمكن كذلك قياس سلوك الأطفال ، فمن الممكن الحصول على نتائج هامة أكبر . إن السؤال العلمى الدقيق فى بحوث علم النفس الحديث اليوم ليس هو من أى بيت جاء الطفل الذى تبدو عليه متناقضات السلوك ؟ بل هو: ما هى أنواع الحالات البيئية التى تعرض الأطفال لمتناقضات السلوك ؟ لأن الانتقال فى العصر العلمى الجديد من السلوك إلى البيئة أقل إنتاجاً من الانتقال من البيئة إلى السلوك .

(بغداد) **فؤاد طرزى**

إلى الشاطىء

للأستاذ ابراهيم الوائلي

أيها الملاح — والزورق ينساب ويجنح
ونسيم الفجر يختال على الماء ويمرح —
يمم الشاطئ حيث الحلم النشوان يسنح
فهنا كنت مع الطير أناجيها فتصدح

أيها الملاح — والشاطئ مسحور الهضاب
وعروش الكرم تزهى فوق هامات الروابى
وشعاع الفجر ينساب على الطل المذاب
أعد الذكرى وجدد لى أحلام الشباب

مل إلى الضفة فالزنبق يختال ويعبق
ومذاب الطل فى الزهر دموع تترقرق
فلكم ينقر مجداف وكم يسبح زورق
والدجى لفت جناحيها وهذا الصبح أشرق

هذه الفتنة فى الشاطئ — والطير تغنى —
إنها مبعث إلهامى وإحساسى وفنى
أيها الملاح جدد لى عهداً ضاع منى
فلكم وقَّعت كالطير هنا بالأمس لحنى

إن فى الشاطئ من حبى عهداً لا يزال
هائماً مثلى فى الآفاق مشبوب الخيال
فى دموع الطل ، فى النرجس ، فى خفق الظلال
فى خرير الماء ، فى الأنسام ، فى صمت الرمال

ها هنا حبى واقداحى وساعات اللقاء
وربيع ذاب فيه الصيف واندك الشتاء
وانطلاق قد تساوى الصبح فيه والمساء
وهنا ودعت أمسى مثلما شئت وشاء

أيها الملاح فى نفسى للماضى رغاب
لم تزل تضحك للفجر وتحيا فى الشعاب
فهنا كان رفاق ، وهنا مر شباب
وهنا كان صباح وأمامى عذاب

أيها الملاح فى جفنى طيف لا يغيب
لترانيم وكأس ولقاء وحبيب
فهنا دنياى بالأمس وماضىَّ الرتيب
وهنا مجلى خيالاتى ومغناى الخصيب

أترى مثلى تشجيك ترانيم الطيور ؟
والسواقى تتهادى فى رمال وصخور ؟
والندى الذائب خمر سكرت منها الزهور
فهنا شمت كئوس وهنا رفت ثغور

إيه يا ملاح : إنى طال فى الشط اغترابى
فلكم أطوى حياتى بين موج وضباب ؟
أنا فى الزورق ظمآن فهل تدرك ما بى ؟
وعلى الشاطىء سمارى وأقداح شرابى

مل إلى الضفة كى ننسى تهاويل الطريق
فهنا العيش رغيداً ، وهنا الظل الرقيق
علنى أدفن همى بين أكواب الرحيق
وأرى الحاضر يزهى مثل ماضى الطليق

أيها الملاح — والزورق ينساب ويجنح
ونسيم الفجر يختال على الماء ويمرح —
يمم الشاطئ حيث الحلم النشوان يسنح
فهنا كنت مع الطير أناجيها فتصدح

(القاهرة) ابراهيم الوائلى

اعصفى يا رياح ..!

للأستـــاذ رضوان ابراهيم

اعصفى أيتها الرياح وزمجرى .

من كان له فى هذا البلد كوخ يخشى عليه التحطيم فليستعطفك !

اعصفى أيتها الرياح .. من كان له فى هذا الحقل سنابل يخاف أن تتقصف فليسترحمك !

اعصفى أيتها الرياح .. من كان له فى هـذا الوجود أحبة يشفق عليهم من لفحاتك فليطلب إليك أن تترفق !

اعصفى ... اعصفى يا رياح !؟

مهما عصفت فلن تزلزلى هذا الأساس ؛ لأنه لاصق بالأرض !؟

ومهما غضبت فلن تهز فى هذا البناء؛ لأنه وهم من الأوهام ! ؟

ومهما زمجرت فلن تدكى هذه الصروح؛لأنها أشباح الأيدية!؟

اعصفى أيتها الرياح ... اعصفى !.

إننى سـار غريب ... مهما عصفت فلن ينشق عنى هـذا الأهاب الذى يشد عظامى ... إنه هدية أمى يوم جاءت بى إلى هذا الوجـــود !؟

ومهما ثارت ثائرتك فلن تطيحى بهـذه القبة الزرقاء التى أستظل بها كلما ألهبت رأسى زفرات الهجير ... هجير المجتمع . كل موطىء لقدمى وطن حتى أنقل القـدم إلى غيره ... وكل مضجع آوى إليه تحت سماء الله بيت حتى أنفض غبار الجهد . وكل كسرة أتبلغ بها مائدة ما دامت تحفظ على الحياة ! ؟

اعصفى أيتها الرياح ... اعصفى .

اعصفى وزلزلى ... فقد تزلزلين يوماً صروح الظلام !

اعصفى ودكدكى ، فقد تدكين مرة معاقل الظلم والطغيان !

اعصفى وثورى . فقد تحطمين سدود الرحمة فتتدفق فتغمر الوجود !

اعصفى ... فقد يصحبك رق عزق الغشاوة التى ترين على الأبصار والقلوب ، فيرتد إليها البصر والبصيرة ، فترى حكمة السماء على الأرض ، ونور الله على ظلام الناس .

اعصفى وغبرى ، فقد يعقبك غيث يهطل على القلوب فيحييها فتخضر فى جوانبها الرحمة ، ويمرع فيها الإيمان ، وتزدهر فى حواشيها الإنسانية !

اعصفى واملأى الدنيا ظلاماً ورعباً ، فقد تنجلين عن شمس ساطعة تغمر الـكون بضيائها ، فتطرد أشباح اليأس ، وتتعقب فلول الظلام ، وتنشر الأمل والنور والطمأنينة والسلام .

رضوان ابراهيم

مدرس بالزعفران — العباسية

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

«بنات» للأستاذ أحمد الصاوى محمد :

كتاب يطرق أبواب الشعور فى النفس الإنسانية طرقاً عنيفاً فى كل فصل من فصوله قصة ، وفى كل قصة قلب ، وفى كل قلب عاطفة . ويقف المؤلف من وراء هذا كله ليلهب القلب الذى يخفق ، وليؤجج العاطفة التى تحرق ، وليقدم من صور الحياة نماذج فيها من زهر الشرق ، وفيها من عطر الغرب ، وفيها القلم الذى يصب الزهر والعطر فى قارورة الوجدان !

فى هذا الكتاب فتاة ظلمها الصاوى كل الظلم حين لخص قصتها الرائعة فى ثلاثين صفحة ؛ فتاة ليست ككل الفتيات ، لأن مبدع شخصيتها كاتب ليس ككل الكتاب !

هذا الكاتب الفرنسى أخفض قلمى تحية لفنه ، ولا تصفنى بالغلو إذا أحنيت رأسى إجلالا لعبقريته !

وتسألنى لماذا ظلمها الصاوى؟ فأقول لك : لأن هذه المسرحية تهز منك الأعماق وهى ملخصة فى ثلاثين صفحة ، فما بالك لو أفرد لها الصاوى كتاباً نقل فيه كل همسة نفسية من همسات الكاتب الفرنسى وكل وثبة فنية من وثبات قلمه ؟ !

مسرحية تعد فى رأى النقد نموذجاً فنياً بلغ من النضج فى كل عنصر من عناصره ما يدفع به إلى القمة من الأدب المسرحى الحديث ... الفكرة من تلك الأفكار التى لا يلتقطها من أعماق النفس إلا ملقط خبير بمسارب الشعور الإنسانى حين يرتطم بواقع الحياة ، والحوار موهبة فذة ترقب الشخوص من مرصد الوعى المرهف لتسجل الحركة النفسية قبل الحركة الفكرية ، والصراع من هذا اللون الذى تستحيل معه الكلمات إلى متحف من متاحف العرض الفنى لصور الأهواء والنزعات ، أما طريقة التوزيع المسرحى للأدوار الرئيسية فتذكرك بطريقة الكاتب النرويجى إبسن فى مسرحيته الخالدة « The wild duck » أو البطة المتوحشة ؛ كل دور يلائم شخصيته القائمة به ملاءمة تجمع بين منطق الحياة ومنطق الفن . ويبقى بعد ذلك للكاتب الفرنسى تفرده بحرارة الصراع وعنف الوجيب فى القلب الإنسانى !

دعنى أقدم إليك هذه المسرحية الرائعة التى لخصها الصاوى تلخيصاً أميناً تحت عنوان « بنت بين أبوين » ... هى فتاة كما قلت لك ليست ككل الفتيات ؛ فتاة رقيقة الحس ، مكتملة العقل ، مشبوبة العاطفة . نشأت فى بيت من تلك البيوت التى تظلل سماءها الصافية غيوم من الحيرة والشك والضلال ؛ فأبوها رجل مغلق القلب ، مغمض العينين ، متبلد الشعور والوجدان . زوجته فى رأيه ليست زوجته ، وابنته فى وهمه ليست ابنته ... وتمضى عجلة الزمن لتطوى من حياة الأسرة المعذبة الحائرة عشرين عاماً ؛ عشرين عاماً لقيت فيها الزوجة ما لقيت من شكوك الزوج وإهماله ، ولقيت فيها الفتاة ما لقيت من خشونة الأب وإعراضه ! وتشب الفتاة عن الطوق وبين جنبيها قلب يتقلب على جمرات من الحقد على هذا الأب الذى لم يشعرها يوماً بحنان الأبوة ، وعلى تلك الأم التى حرمتها هذا الحنان فى فجر العمر وشبابه ، حين جاءت بها إلى الحياة من رجل غير الرجل ... وللأسرة صديق يتهمه الزوج بانتهاك حرمة العطر فى زهرة كان يمكن أن تملأ بيته بالأرج ، وتقف الزوجة والصديق أمام هذا الاتهام السافر موقف المظلوم من القاضى الجائر ؛ فهو إن قدم الدليل على براءته لا يجد الأذن التى تسمع ولا القلب الذى يشفع ! والفتاة البائسة تجلس فى الصف الأول من صفوف النظارة لتشهد المأساة بكل خلجة من خلجات الفكر الموزع والعقل المشتت والضمير المتاع . وينتهى الفصل الأخير بأن تغادر الفتاة المسرح الذى ملأ عينيها بالدمع وأرمض جوانحها بالعذاب ، ولكن إلى أين ؟ ... إلى هناك ، إلى البيت الآخر الذى يضم بين جدرانه رجلا كانت تناديه أبداً بيا « أبى » تناديه بها بالقلب والروح واللسان ! أكان أبوها حقاً ذلك الرجل الذى لجأت إليه ؟ الله يشهد أنه لم يكن للعائلة غير صديق؛ صديق يحب الزوج ويجل الزوجة ويعطف على الفتاة ، ولكن الشك قد أظهره فى عينى الزوج المضلل بمظهر العاشق وفى عينى الفتاة الشقية بمظهر الأب ، وما أثقلها من كلمة كانت تلهب شعوره بسياط الأسى الدفين حين تناديه الفتاة بنداء الأبوة وهو عنه بعيد بعيد !

ويأتى يوم يتدخل فيه القدر ليرفع الغطاء عن وجه الحقيقة ، والغشاوة عن عينى الزوج ، وكما يستيقظ النائم من نومه الطويل وأحلامه المفزعة ، فقد استيقظ الزوج بعد عشرين عاماً ليطلب الصفح من الزوجة والإبنة والصديق ... ويصفح الصديق عن

زلته ، وتعفو الزوجة عن سقطته ، وتبقى الفتاة يحول البغض والحقد بينها وبين الصفح والمغفرة ! وهنا يبدأ الصراع النفسى المنيف الذى يرتفع بالفن المسرحى إلى الأوج ... أب يتوسل إلى ابنته أن تصفح ، وأن تعفو ، وأن تعود إليه ، أب فرغ قلبه وفرغت حياته من الحب البنوى عشرين عاماً ويريد اليوم أن يملأ فراغ القلب والحياة ، أب يئن أمام عاطفة ابنته المتحجرة أنين حيوان شجته السهام فراح يلعق جراحه ، أب يحاول أن يقنعها بأنه أبوها وأنها ابنته ، وكلما شق طريقاً إلى القلب المغلق وقف الماضى البغيض ليعترض طريق أحلامه وأمانيه ! ... إذا قال لها إن عينيه تشبهان عينيها قالت له : أجل يا أبى ، بما ليس فيهما من حنان ! وإذا قال لها يجب أن تؤمنى بطهارة الأم التى أنجبتك ، قالت له : إن من يعيش معك يا أبى لا يؤمن بأحد ! وإذا قال لها أحبى يا ابنتى ما كرهته واجتويته ونفرت منه عشرين عاماً ، أما بشكلى ورأسى ويدى وظهرى قالت له : ولكن ابتسامتك يا أبى ، ونبرة صوتك ، ووقع خطاك ! وإذا قال لها ألا نحاول يا ابنتى أن يقترب أحدنا من الآخر قالت له : إن من واجبنا يا أبى أن نحاول! ويهتف الأب وهو يغص بلوعته : أرأيت يا ابنتى أن الكلمة الوحيدة التى وجدتها هى كلمة (الواجب) وهى كلمة ينقصها السحر ؟ ! وتجيبه الفتاة وهى تشرق بالدمع : آه لو أمكننا ! ويهمس الأب من أعماقه : أن نتسامح ، وأن نتصافح ! وأمام اللهفة الضارعة تقول له : تكفى لحظة حنان فى حياتنا العدائية ، تذكر شيئاً ، شيئاً نستطيع أن ننسج عليه مودتنا ، ثم محبتنا ، ثم سعادتنا تذكر عند ما كنت طفلة ومرضت ، ألا تذكر ؟ فلنبحث عن شىء آخر يا أبى ، شىء أكون قد قلته لك ... كلمة ... أو إشارة تسعفنا اليوم وتقرب أحدنا إلى الآخر ! ويصرخ الأب فى يأس مرير : آه يا ابنتى ، لا أكاد أجد شيئاً ، لقد كنت بلا ريب طفلة لطيفة ، ثم بنتاً جميلة ، ولكننى لم أنظر إليك ، لقد كرهتك منذ مولدك ، أما الآن فلشد ما أحب أن أحبك يا ابنتى ! ! ... أنظرى أليس مثلنا كمثل كفيفين عمى منهما البصر وهما يتخبطان فى الظلام مادين أيديهما ليلتقيا ؟ ! هيا يا ابنتى إلى البيت ، ولن نكون الأسرة الوحيدة على ظهر الأرض التى يعيش فيها أب وابنته جنباً إلى جنب بغير حب !

ترى هل ذهبت معه ؟ كلا ! إن الريشة المبدعة تريد أن تختم المسرحية الفذة ختاماً نفسياً لا نظير له ... إن الكاتب الفرنسى يريد أن يلقى على رجال الفن درساً ترسم لهم الطريق ؛ وها هو ذا ينطق الفتاة بأعمق وأروع ما يمكن أن تنطقها به الحياة :

« لن أذهب معك يا أبى لأننى أريد أن أحبك ... يجب أن نتحاب يا أبى وقد أحبك إذا سافرت إلى أى مكان بعيد ! إننى لا أستطيع أن أنطق أمامك بشعور الميل والانعطاف لأنك أمامى وحتى لو قلت لى أرنى ما عندك فإنى لم أتأثر به إذ أنك تقوله بذلك الصوت الذى طالما تثلجت منه أطرافى وجرح فؤادى ... لا حيلة لى فيه فهو ما زال يثلجنى ويجرحنى ! حتى لو بكيت يا أبى فإن دموعك تسيل على وجهك ؛ وجهك الذى ظل عشرين عاماً وهو يتجهم لى ! ! ... وعلى ذلك فلا بد لبناء شىء بيننا من أن نهدم أولا كل شىء ، ولكى أحبك لا بد لى من أن أنساك ... ولكى نزداد قرباً منى ينبغى أن نزداد بعداً ... سافر إذن لأفكر فيك . وأكتب إليك ... ولكى تكون أبى الذى بعد عنى والذى سيعود إلى ... أبي المجهول الذى لا يعرفنى ، والذى سيجىء يوماً ما ... سوف ترى ، فإنه ما إن يتم البعد بيننا قليلا حتى يشب الحب بيننا قليلا ... وفى رسالة من رسائلنا ، نزداد جرأة على إبدائه ، والتعبير عنه ... ثم نتحاب حقاً يوماً ، وعندئذ تعود ... أتريد ذلك يا أبى ؟ » ويجيبها الأب وهو يجر قدميه مندفعاً إلى الخارج وفى صوته رائحة الدموع : نعم يا بنيتى ... وسأنتظر رسالتك الأولى !!

فتاة كما قلت لك ليست ككل الفتيات ، لأن القلم الذى قدمها إلى الناس قلم كاتب ليس ككل الكتاب ... واقرأ بعد ذلك للصاوى قصصاً أخرى بعضها له وبعضها لكتاب آخرين من الأدب الفرنسى ، ومهما بدا لك من الاعتراض هنا وهناك فلن تستطيع أن تنكر على الصاوى أنه إنسان ؛ إنسان يستشير قلبه فى قصصه حين يكتب ، ويرجع إليه دائماً فى قصص غيره حين يعرّب! اقرأ مثلا فى الفصل الأول قصة الفتاة التى تضحى بحبها الذاتى فى سبيل الكرامة ، وفى الفصل الثانى قصة الفتاة التى تضحى بحبها الأبوى فى سبيل الزوج ، وفى الفصل الرابع قصة الفتاة التى تضحى بحبها الخيالى فى سبيل الأمومة ، وفى الفصل الأخير قصة الفتاة التى تضحى بحبها المثالى فى سبيل الوطن ! واقرأ إذ شئت فى الفصول الأخرى ألواناً من المرأة وألواناً من الحب ، وإذا كانت هذه الألوان لا تبلغ المستوى الرفيع فى قصة الكاتب الفرنسى والقصص الأربع التى أشرت إليها فى الفصل الأول والثانى والرابع والأخير ، فحسبك أن خفقات القلب فيها تسبق وثبات القلم !

بعض الرسائل من حقيبة البريد :

قلت وما زلت أقول لماذا يؤثر بعض القراء أن يظلوا مجهولين وهم أصدقاء ؟... هذه رسالة من « القضارف — سودان » تحمل إلىّ من أديب لم يذكر اسمه تحية ملؤها التقدير الكريم لهذا القلم المتواضع الذى يسطر تعقيباته من أسبوع إلى أسبوع . إن هذه التحية الكريمة وأمثالها من التحايا الصادرة من أعماق الشعور والقلب والعاطفة ، لتؤكد لى أن رسالة الأدب بخير ما دام هناك خلق وعقل وذوق ووفاء ، أما أنا فلا أملك لهؤلاء القراء الأصدقاء جميعاً غير الشكر ، وإنه لشكر العاجز القصر عن بلوغ ما يريد !.

وهذه رسالة أخرى من « الإسكندرية » تحمل إلىّ أيضاً ما حملته الرسالة السابقة من عاطر الثناء ، ولكن مرسلها الأديب الفاضل سعيد كامل غير راض عن الكلمة التى كتبتها منذ أسبوعين عن الريف ، لأن قضية الريف كانت تنتظر منى تصويراً أصدق وأوفى وأكثر إحاطة مما كتبت ! إن ردى على الأديب الفاضل بعد خالص شكرى له هو أننى ما أردت من وراء كلمتى عن الريف إلا أن أسجل حالة شعورية صادقة تركت أثرها فى نفسى وحسى ، وأعتقد أننى قد نقلت حديث الشعور إلى الورق نقلا يمكن أن يحرك ذوى النفوس الشاعرة من أصحاب الأقلام وأصحاب السلطان

أما الرسالة الثالثة فمن تاجر فاضل « بمحلة مرحوم » يهوى الأدب ويحب « الرسالة » وهو السيد حنفى الشريف ... يسألنى التاجر الأديب حلاً لمشكلة سببها له صديق الأستاذ راجى الراعى فى قطرات نداه حين قال : « أتعس الناس رجل ذو ذاكرة قوية يصرف الساعات الطوال من نهاره وليله فى المطالعة ولا يرى فيه قوة للتعبير عما يشعر به ، فتظل تلك الخلائق فى أرحامه لا تقوى على الخروج وتتراكم مع الزمن حتى يصاب بالاستسقاء الذهنى وفى مساء يوم من أيامه السود ينفجر رازحاً تحت أثقاله ويسلم الروح منتحراً أو مجنوناً ! إن النفس إذا غصت ساحتها بما فيها ولم تجد لها منفذاً أصيبت بالاختناق ، فلا تصرفوا أوقاتكم فى القراءة إذا كنتم لا تستطيعون أن تكتبوا . القلم فرجة الروح فاكتبوا كلما قرأتم لترتفع أشجاركم بدورها بين تلك الأشجار التى تتفيأونها فى غابات الفكر والإحساس . افتحوا كوى أرواحكم بين الحين والحين لئلا يفسد هواؤها » ! ... إن مشكلة التاجر الأديب هى أنه مشغوف بالقراءة والاطلاع والاغتراف من منابع الأدب ، ولكنه لا يملك القدرة على التعبير عما يجيش بنفسه من شتى الخواطر والأحاسيس بما يرضى أديباً كبيراً كالأستاذ الراعى ، فهل يترك القراءة والاطلاع لأنه لا يستطيع أن يعبر ؟! هذا السؤال يوجهه إلىّ صاحب الرسالة ، وأنا أترك الجواب للأستاذ راجى الراعى لأن الموضوع موضوعه وهو أحق منى بالجواب !

وتبقى بعد ذلك الرسالة الرابعة وهى من « السودان » أيضاً إنها رسالة عزيزة علىّ لأن ما فيها من عتاب وطنى حار قد لفح منى الشعور والوجدان ! أود أن أقول لمرسلها الأديب الفاضل ج . البشير إننى سأفرد الموضوع الذى أثرته بكلماتك الملتهبة بصدق الوطنية والإيمان مكاناً خاصاً من « تعقيبات » العدد القادم ...

قصة « مالك الحزين » فى مجلة الثقافة :

قصة مالك الحزين قصة معروفة لكل من قرأ كتاب « كليلة ودمنة » ، وهى قصة قصها بيدبا الفيلسوف على دبشليم الملك حين طلب إليه أن يضرب له مثلا للرجل يرى الرأى لغيره ولا يراه لنفسه .. هذا المثل الذى ضربه الفيلسوف لهذا الصنف من الناس مستمداً معناه من شخصية مالك الحزين ، هذا المثل تستطيع أن تعثر عليه فى العدد الصادر منذ أسبوعين من الثقافة فى صورة دكتور من الدكاترة الشبان ، يلذ له دائماً أن يحمل عصا الأستاذية فى النقد الأدبى ! قال الدكتور وهو يعرض لأحد الكتب بالنقد والتوجيه :

« دعوت فى مقال سابق إلى أن لا يكتب المؤلف كتاباً إلا وقد أصبحت أفكاره تجارب يعيشها ويحياها ، حتى يكون الكتاب ذا قيمة حقيقية وحتى يمكن أن ينتفع به الناس ؛ فإن الكتاب إن لم يصدر عن منطق المؤلف وروحه ، ولم يصبح جزءاً لا يتجزأ من ذهنه ونفسه ، يكون شيئاً تافهاً ، ولا يكون خليقاً بالنظر والدرس . وقد يظن بعض المؤلفين فى هذا عنفاً وقسوة فى الحكم على الكتب ، ولكنهم إذا نظروا فى الساعات التى اقتطعوها من القارىء فى غير جدوى ، إلا أن يأتوا بأخبار من هنا وهناك ، حتى ليغدو الكتاب كأنه سوق غير منظمة يختلط فيها الزائف بغير الزائف والمهوش بغير المهوش ، إذا نظروا فى ذلك اعترفوا بصحة ما نذهب إليه » .

كلمات الدكتور الناقد حق فى حق ، ولكن هل يتفضل بتطبيقها على كتبه قبل أن يطبقها على كتب الناس ؟ أم أنه يريد أن يعيد لنا قصة مالك الحزين ، ذلك الذى قال عنه بيدبا الفيلسوف أنه يرى الرأى لغيره ولا يراه لنفسه ؟! ...

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

بيني وبين رجل طيب :

تصدى كاتب في مجلة المقتطف لما كنت كتبته في العدد (٨٣٠) من الرسالة بعنوان « مجمع سلامة موسى للغة العامية » فكتب تحت عنوان « النقد والتعقيب في الصحف والمجلات » متوهما أنني نقدت في ذلك الموضوع كتاب « البلاغة المصرية واللغة العربية» للأستاذ سلامة موسى ، نقداً «انعدم فيه التجاوب وضاعت الأمانة الواجبة على الناقد ... الخ » وأنا أبادر أولا فأقول إني لم أتعرض لنقد الكتاب ، وإنما كان مبنى الموضوع على طلب الأستاذ سلامة موسى عضوية مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، إذ قلت إن الأستاذ دائب الطعن على اللغة العربية وأدبها وثقافتها . والغرض الأول من المجمع هو المحافظة على هذه اللغة وتنمية أدبها وثقافتها ، والأستاذ سلامة يدعو إلى اتخاذ اللغة العامية بدلا من العربية الفصيحة ، وعلى ذلك فهو ليس أهلا إلا لعضوية مجمع ينشأ للغة العامية ، ومن التخليد له أن يسمى المجمع العامي باسمه . واستشهدت على ما قلت ببعض نصوص وردت في كتابه المذكور آنفاً نعى فيها على العربية وثقافتها ودعا إلى اللغة العامية .

فهل يعد الاستشهاد ببعض ما جاء في كتاب ، نقداً له ؟ ولو أنني نقدته حقاً لما ضيعت الأمانة ، ولما انعدم « التجاوب » في نقدي ولو أنه في غير صالح الكتاب . ويظهر أن الكاتب رجل طيب مجد مجتهد ، كما يظهر من قوله « وغايتنا من وراء هذا إعلاء مكانة النقد وتنقيته من الشوائب » أنه أيضاً غيور على صالح النقد الأدبي ، ولكن كل هذه أشياء غير الأصالة والإصابة ، وفقدان هذين هو الذي جر على ما ند به قلم الكاتب ، سامحه الله .

وقد صدق الرجل الطيب الغيور في مؤدى قوله : « لقد زعم الكاتب الشاب (الذي هو أنا) أن الأستاذ سلامة موسى يهجم على اللغة العربية ويعيب أدبها ويدعو إلى اللغة العامية وأن آراءه في هذا الكتاب ككل الآراء التي في كتبه وأن رجلا هكذا اتجاهه لا يجوز أن يحتل مقعداً مع الخالدين في المجمع اللغوي بل إنه ليرشحه لرياسة مجمع يطلق عليه المجمع العامي ويسمى باسمه » نعم قلت ذلك ودللت عليه بما جاء في الكتاب ، وأزيد عليه الآن ما قاله المؤلف بعد أن ادعى أن السلفية — ويقصد بها الكتابة عن الأسلاف دون هنري فورد وكارل ماركس — منعت الأمة من التقدم الصناعي ، قال في (ص ١٢) : « لأن المجتمع الصناعي كان جديراً بأن يحدث مجتمعاً مستقبلياً يكتب مؤلفوه بلغة الشعب وتنتقل اهتماماتهم الذهنية من التأليف عن قدماء العرب إلى التأليف عن مشكلاتنا المصرية في الأخلاق والتعليم والاقتصاد ومكافحة الفاقة . وإني بالطبع لا أغفل هنا ارتباط اللغة بالتقاليد والعقائد وأن هذا الارتباط من أسباب الكراهة للتطور اللغوي » وفي الكتاب كثير من أمثال هذا الكلام .

على أن عنوان الكتاب نفسه يدل على أن المؤلف يدعو إلى اللغة العامية ، فهي المعنية بـ «البلاغة المصرية» لأن الواو الواقعة بينها وبين « اللغة العربية » في اسم الكتاب ، تقتضي التغاير بينهما ، أي أن البلاغة المصرية شيء مغاير للغة العربية !

والرجل الطيب المجد الغيور ينفي عن الأستاذ سلامة موسى أنه يعيب العربية ويدعو إلى العامية ، وقد دفعته طيبته إلى الإغضاء عما استشهدت به من الكتاب ، وأعمل جده واجتهاده في عرض أبواب الكتاب ومحتوياته التي منها بحوث في « أثر الألفاظ من الناحية السيكولوجية والاجتماعية والخلقية » ولم يدرك الرجل الطيب — لطيبته — أن المؤلف يقصد بذلك ثلب اللغة العربية ، فهو يقول مثلا في أثر الألفاظ النفسي ص ١٤٦ : «في لغتنا كلمات تحمل شحنات عاطفية سيئة تؤدي إلى ارتكاب الجرائم (الدم والعرض في الصعيد) » .

ومن محتويات الكتاب التي أشاد بها الرجل الطيب ما جاء في قوله « ولم يقف مؤلف كتاب البلاغة المصرية عند هذه الفكرات بل ارتأى أن يكون المنطق أساس البلاغة الجديدة (ولا تنس أنها العامية) وأن تكون مخاطبة العقل غاية المنشيء بدلا من مخاطبة العواطف ، وذلك لأن البلاغة العربية تخاطب

العواطف دون العقل ، وهـذا ضرر عظيم » ومعنى هـذا أن نلغى الأدب كله لأنه يخاطب العواطف ونعمل ببلاغة عصرية عامية تحرر بها العلوم ويكتب بها عن كارل ماركس وهنرى فورد من أجل خاطر سلامة موسى الذى ألف هذا الـكتاب متأثراً بـ « عاطفة » الـكراهية للغة العربية !

إن النتيجة التى يستخلصها القارئ الفطن من هذا الـكتاب — بعد أن « يتجاوب » معه — هى أن اللغة العربية علة تأخرنا فى كل شىء ... ففيها كلمـات تفسد الأخلاق كالدم والعرض فى الصميد ، وهناك ألفاظ مثل الحريم تهدر كرامة المرأة ، وهناك كلمـات أرسـتقراطية تبسط السيادة الطبقية كصاحب السعادة وصاحب العزة ، وخلوها من ألفاظ الصناعة أدى إلى تأخرنا الصناعى ، كل ذلك إلى ما فيها من مترادفات وما تمتلىء به من كلمات بدوية منحوتة من أصول حســية لا تنفع للحضارة المصرية .

لذلك الهذيان كله ، الذى يوجـع القلب ويذهب الوقت سدى بقراءته ، وجب أن نتخذ البلاغة العصرية بدلا من تلك اللغة العربية ... والتعبير بالبلاغة العصرية ماهو إلا تزويق وطلاء للفظ « اللغة العامية » إذ ترى الدعوة فى الـكتاب سافرة إلى الـكتابة بلغة الشعب والمجتمع وما إلى ذلك ، ليكون « المعلم دبشة » الجزار أمير البلاغة المصرية ...

وكاتبنا ذاك رجـل طيب جداً ، لأنه يدفع تهمة الدعوة إلى العامية عن الأستاذ سلامة موسى ، مع أن هذا يجاهر بها ولا يرى فيها عيباً ويسره أن ينشأ باسمـــه مجمع للغة العامية أو بعبارة أخرى ، مجمع للبلاغة المصرية .

وقد خيـل إلى الـكاتب المجتهد بعد أن تمت من عرض أبواب الـكتاب « أن ما جاء فى أقوال كاتب مجلة الرسالة من أن الكتاب يدعو إلى التهجم على اللغة العربية ويعيب أدبها ويدعو إلى العامية لا يقوم على أى أساس من الصدق والحق ، ونخشى أن نقول إنه تشويه متعمد قصد به التشهير وإذاعة الآراء الباطلة ، وهذا ما نشجى له كل الشجى » .

يا أخى ، لا تغضب ولا تشج فأنا لم أشوه ولم أقصد التشهير ، لأنى لم أرم الأستاذ سلامة بما يكره ، وإذا لم تكن مصدق فسله أو سل أى أحد ممن لا تأخذهم غفلة الناس الطيبين .

كشكول الأسبوع

□ أمر معالى وزير المعارف بتحويل دار ابن لقمان بالمنصورة إلى متحف يحوى آثار العصر الأيوبى ، وهى الدار التى أسر فيها لويس التاسع ملك فرنسا فى الحروب الصليبية التى أغار فيها على مصر .

□ جاء فى كلمة بمجلة منصور أن والد الشاعر خليل مطران كان يكره أن يكون ولده شاعراً حتى إنه كتب إليه فى صباه يقول : « فيا ولدى برضانا عليكم لا تمارسوا هذه الصنعة لأننا ما وجدنا شاعراً على جلده فيس » .

□ قال الأستاذ أحمد الشايب فى إحدى محاضراته بكلية الآداب : نستطيع أن نقسم الشعر العربى تقسيما جديداً على حسب تدرجه فى العصور المتعاقبة من خشونة البداوة إلى لين الحضارة ، فالشعر الجاهلى « صـوف » والأموى « قطن » والعباسى « حرير » فبادره أحد الطلبة قائلا : أليس هناك شعر (نايلون) ؟

□ كتبت السيدة صوفى عبد الله فى مجلة الاثنين بعنوان « شدوا اللجام وأريحونا » فقالت إن المرأة تطلب فى الرجل قوة الشخصية وتحب أن تشعر بسطوته ، فإذا حرمت هذا الشعور انتقمت بالتحكم فى الرجـل . وأرجعت الـكاتبة إلى ذلك مطالبة المرأة بالمساواة وحق الانتخاب والاشـتراك فى الحـكم ، فقد استنوق الجمل ، فرأت الناقة أن « تستجمل » .

وقد استرعى التفاتى فى مقال السيدة قوة أسلوبه على خلاف ما ينشر فى المجلة إذ يراعى فيه النزول إلى مستوى الجمهور العام ، حتى ليضطر أستاذ جامعى كالدكتور حسين مؤنس إلى الـكتابة فيها بأسلوب يكاد أن يكون عامياً .

□ أصدرت دار المعارف آخر حلقة فى سلسلة (اقرأ) كتاب « الحب والـكراهية » للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى ، وقد تحدث فيه عن عاطفتى الحب والـكراهية من حيث الفلسفة والأدب وعلم النفس وعلم الحياة ، حديثاً يجمع إلى إمتاع الأدب فائدة العلم والثقافة

□ قالت طبيبة كبيرة فى انجلترا للآنسة أم كلثوم : إن دواءك الوحيد هو أن تغنى . وقد أعربت أم كلثوم عن رغبتها فى الإسراع بالعودة إلى مصر كى « تغنى وتغنى وتقول للطير من بدرى صباح الخير »

□ تحاول محطة الإذاعة ستر موقفها المزرى الناشئ من تقصيرها فى تسجيل مسرحيات الريحانى — بشراء نسختين لروايتين كاملتين كانت محطة الشرق الأدنى قد سجلتها من مسرح الريحانى .

□ لعل محطة تل أبيب اللاسـلكية هى الإذاعة الوحيدة فى العالم التى تؤدى إذاعتها العربية باللغة العامية .

هدى :

هو الفلم الجديد الذي يعرض بالقاهرة فى سينما ريفولى ، أخرجه حلمى رفلة ، ووضع قصته نقولا بدران ، وكتب حواره بديع خيرى ، وقام بتمثيل البطلين فيه نور الهدى وكمال الشناوى ، واشترك معهما فى التمثيل حسن فائق ومحمد كمال المصرى (شرفنطح) وآخرون .

« هدى » اسم الفتاة التى بنى الفلم على تقديم شخصيتها (مثلتها نور الهدى) تظهر فى أول منظر بمنزل والدها فتحى بك (حسن فائق) مدير شركة التصوير والتوريد ببور سعيد ، وهى تستذكر دروسها استعداداً لامتحان التوجيهية . ثم تنجح فى الامتحان ، وما تكاد تفرح بنجاحها حتى تحزن لزواج أبيها من نعيمة الموظفة عنده بالشركة ، ويسوؤها أن تحل نعيمة ، وهى من بيئة سيئة ، محل أمها المتوفاة ، ولكن والدها يسترضيها وزوجته تحسن معاملتها فى أول الأمر تملقاً للوالد الحدب على ابنته ، ثم تتغير عليها تغيراً شنيعاً وتذيقها ألوان الهوان حتى يصل الأمر إلى أن تحاول تزويجها من أخيها عاشور الذى كان بائعاً على عربة يد ثم أصبح مديراً للمخازن بشركة صهره فتحى بك ، وكانت هدى قد عادت من القاهرة حيث كانت تقيم مع خالتها وقد لحقت بكلية الحقوق طالبة فيها ، ولما كانت فى القاهرة عرفها شكرى (كمال الشناوى) أخو زميلة لها فى الكلية ، فغازلها وهم بإغرائها ، ولكنها أعرضت عنه وصفعته . وشكرى ضابط بحرية يعرف والد هدى من تردده على ميناء بورسعيد ، فذهب إليه يخطبها منه ، فمارضت نعيمة زوجة الأب وأصرت على تزويج هدى من أخيها عاشور . فهربت هدى وقصدت إلى الأستاذ عبد الصبور الوسيقى الذى عرفته فى حفلة بمنزل زميلتها بالكلية ، وأفضت إليه برغبتها فى الاشتغال بالغناء فرحب بها ومهد لها السبيل إلى الغناء بأحد الملاهى

وتستبد نعيمة بزوجها فتحى بك وتمكن لأخيها عاشور فى الشركة ، فيدأب هذا على سرقة البضائع وتهريبها حتى تسوء حال الشركة ويفلس فتحى بك . ويذهب شكرى مرة إلى الملهى فيرى به هدى التى تأبى مقابلته ، فيتصل بأبيها ويخبره فيحضر فوراً ، ثم نرى فى المنظر الأخير شكرى وهدى عروسين .

والفلم يعتمد — فى موضوعه — على تقديم هذه الفتاة المكافحة التى أصرت على أن تحيا حياة كريمة شريفة ، فكان لها ما أرادت رغم ما اعترضها من عقبات وشدائد . ولكنه فى الوقت نفسه كلفها معجزات ، فقد كانت تقوم ، عدا ما قدمت فى تلخيص القصة ، بأعمال (بوليسية) فى بور سعيد لكشف البضائع التى سرقها عاشور ، واقتضاها ذلك أن تسقى عاشور وشركاءه الخمر فى إحدى الحانات ، حتى عرفت منهم وهم سكارى موضع البضائع . وقد أدى ذلك إلى زحمة الفلم بالحوادث الثانوية إلى جانب إرهاق هدى بما ليس فى الإمكان المعتاد ، فهى طالبة بالحقوق ومطربة بالقاهرة و (أرسين لوبين) فى بور سعيد ! ألم يكن فى الإمكان تصوير هذه الشخصية دون وقوع التناقضات فى حياة فتاة نشأت فى منزل محافظ ودرست فى الجامعة ، ثم نراها تحذق سقاية الخمر واللعب بعقول رواد الحانات ..؟

وقصة الحب فى هذا الفلم وضعها عجيب ، الفتى يحب الفتاة من أول نظرة وهى لا تميره أية نظرة حتى النهاية حيث نراهما عروسين . نعم هو حاول إغراءها وهى فتاة شريفة ، ولكن لم هذا الوضع ؟ لم نر ما يبرره غير أن نشاهد الفتاة ممرضة عنه لتتزوجه برغبتها أخيراً .. وقد أضعف ذلك مركز كمال الشناوى فى الفلم وأظهره فى مظهر تافه رغم أنه الفتى الأول فيه ، وقد طغت عليه شخصية حسن فائق حتى تحول مجرى الفلم من قصة حب بين فتى وفتاة إلى قصة بنت وأبيها .

ونور الهدى ممثلة بارعة ، معبرة فى التمثيل وفى الغناء ، وقد قام نجاح التمثيل فى الفلم عليها وعلى حسن فايق ، فقد أبرزا الحياة فيه ممثلة فى روعتها وظرفه .

ويمتاز الفلم بما اشتمل عليه من مشاهد الفن والجمال الخالية من الإسفاف والتهريج ، وقد وجه المخرج عناية كبيرة إلى برنامج اللهى الذى كانت تغنى فيه هدى ؛ ومن روائع هذا البرنامج منظر قطع فيه بيت شوقى المشهور :

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء

ولا تحسبن تقطيعه على (فاعلاتن مستفعلن) بل جسم كلاً من النظرة والابتسامة و ... الخ فى هدف تحمله بنت ويرمى إليه السهم وتمر هدى بكل منها وتغنى له غناء يشرح القصة الخالدة من النظرة إلى اللقاء .

عباس خضر



الضمير الأدبي ... وأين يوجد ؟!

اعتادت الرسالة الزاهرة أن تقدم لقرائها في سائر أقطار العالم أنضج الثمرات الأدبية وأشهاها لمختلف أدباء العربية من نثر وشعر وفن وعلم وأدب ونقد ..

وكانت رسالة النقد في « الرسالة » أسمى الرسالات حيث يوضع المؤلف على بساط الفن والبحث ويحمل المبضع ناقد نزيه لا هم له إلا الحرص على المستوى الأدبي والحقيقة العلمية وتمييز القول ، وتلك رسالة النقد الجليلة . ولكن الأستاذ أنور المداوى كاتب « التعقيبات » بعد أن سطع نجمه في النقد البريء شط به الهوى فنسى قلمه ونسى ضميره حين كتب في العدد « ٨٣٥ » من الرسالة قوله « ولقد كنت أود أن أفي بهذا الوعد لولا رغبة كريمة من صديقين عزيزين بأن أكف يدى وأقبض قلمى تحقيقاً لغاية نبيلة هى إعادة الصفاء إلى النفوس . » إلى هنا وأتساءل في حيرة وتردد أين الضمير الأدبي ؟! وأين الحقيقة العلمية السامية التي من أجلها خلق النقد ؟

أحب أن أسأل الأستاذ المداوى ما معنى إعادة الصفاء إلى النفوس ؟! وما معنى الاستجابة للصديقين وترك الحقيقة الأدبية تنتحب وتلفظ أنفاسها الأخيرة بين يدى الصداقة ... !

ويعلم الله كم كنت مبتهجاً لجرأة هذا الأديب حين تناول بعض الأدباء بالنقد النزيه في إحدى تعقيباته وكتب «وأنا حين أكتب أنسى المجاملة والصداقة وأتوخى الحقيقة العلمية والأدبية ما استطعت إلى ذلك سبيلا » .

ولا شك أن هذا الكلام جدير بالتقدير والإعجاب أسطره للاستاذ المداوى بكل غبطة وسرور .

ولعل الأستاذ المداوى يذكر قول القائل « إذا كنت حريصاً على الصداقة فكن على الحق أكثر حرصا » .

ولعله يجيب على كلمتي هذه في تعقيباته ليستأنس به الضمير الأدبي ضمير النقد النزيه الذي تعودناه منه ... وإنى أناشد الأستاذ الكبير عميد الرسالة باسم الأدب والحق نشر كلمتي هذه في « الرسالة » الغراء منبر الحق .

وللاستاذ المداوى تحيات المؤمل المنتظر .

سلمان البغراوي
ليسانس آداب

رد على هجوم :

قرأت في العدد ٨٣٦ من الرسالة الغراء كلمة للاستاذ كامل محمود حبيب أوجز الرد عليها في السطور التالية :

أولاً : يقول إن قصة « مادلين » نشرت من قبل بالبلاغ بدون توقيع ... وأقول إن التوقيع سقط عند الطبع ، ويستطيع السيد أن يسأل الأستاذ إبراهيم نوار بالبلاغ !

ثانياً : يريد منى أن أثبت له أن القصة لي ... وأقول إني أتحدى أن يثبت أي كاتب هذا الشيء بالنسبة لقصة نشرها بإحدى الصحف ! أما الأدلة التي أملكها فهي ... أولا شهادة والدى الشيخ وأشقائي، وذلك أن أخى الثالث هو بطل القصة ، ولأن القصة لا فضل لى فيها غير وضعها في الحروف ! ... ثانياً شهادة صديق من الأدباء ... ثالثاً شهادة «الثلاث أخوات السوريات» وشهادة شقيق « مادلين » وهو طبيب بالقاهرة ... فهل يريد سيدى أن أحمل إليه كل هؤلاء في « تاكسى » ليشهدوا لى ؟ ...

لقد اضطررت مرة للهرب من القاهرة بسبب قصة لى ، هربت من « النبابيت » ، فهل يرضى السيد أن أفعلها ثانية ؟

ثالثاً : يأخذ عليّ نشر القصة بالرسالة بعد أن نشرتها البلاغ .. وأقول : أين كنت يوم نشر غيرى من الأدباء قصائدهم في عدد من المجلات في وقت واحد .. لا أريد بهذا كبار الأدباء بالطبع لأن المسألة هنا فيها نظر ؟! ... نشرت « مادلين » بالرسالة لأن البلاغ لا يخرج عن القاهرة والاسكندرية فيما أظن ، بينما تذهب الرسالة إلى مشارق الأرض ومغاربها ! وإذا علم السيد إنى لا أطلب للآن أجراً عما أكتب فهل يعود ليلومنى على نشر قصة — سقط منها اسمى — للمرة الثانية ؟

رابعاً : يشير إلى « سابقة » لى ويعنى بها أسطورة « الديك

الذهبي» لبوشكين .. هذه القصة بعثت بها للرسالة منذ شهور .. ثم حسبت أنها فقدت بالبريد ، فمدت وأرسلتها للبلاغ . وشاء سوء الحظ أو حسنه أن تنشر بالرسالة فى نفس الأسبوع !

خامساً : يرى أن نشر قصة للمرة الثانية هو «فرار من الجهد ، وضعف ، وخواء» . وأقول إنى لا أجهد نفسي فى كتابة القصص .. وإنما أتلقاها « جاهزة » من السماء أو الأرض وقد حاولت أن « أجهد » فى كتابة بعض القصص فكانت النتيجة أن ضميرى الفنى أبى علىّ حتى الآن أن أرسلها لصحيفة ما !

هذا يا سيدى . وحسبى الله ونعم الوكيل !

يوسف جبرا

بويضة وانسجام :

جاء فى « الأهرام » تحت عنوان (بعض أوهام الكتاب) أن تصغير بيضة على « بويضة » خطأ فى اللغة ، وأنه من أوهام الكتاب ، وأن الصواب : « بييضة » بيائين متعاقبين . كما جاء مع هذا أن « بينهم انسجام » أى وفاق من أوهام الكتاب أيضاً !

وأقول : إن تصغير بيضة على بويضة ليس بخطأ ولا وهم ، بل هو وارد مسموع عن العرب الخلَّص . وقد يدهش القارئ إذا علم أن كلمة « بويضة » تصغير بيضة هى مستند النحاة الكوفيين منذ أكثر من ألف سنة فى تجوزهم فى كل مصغر فيه ياءان متعاقبتان أن تقلب الياء الأولى منهما واواً ، فيقولون فى تصغير شيخ شويخ ، وفى بيت بويت ، وفى عين عوينة وهكذا . وذلك قياساً على ما سمعوه عن العرب . وهو « بويضة » . نص على ذلك الأشمونى على الألفية ، عند شرح قول ابن مالك :
واردد لأصل ثانياً ليناً قلب ...

والعلامة السيوطى فى كتابه همع الهوامع عند الكلام على التصغير بالجزء الثانى من هذا الكتاب .

نعم قد وقع تقصير فى كتب المعاجم اللغوية ، فلم تذكر ذلك ؛ ولكن عدم الذكر لا يدل على عدم الوجود . وكم من مفردات لغوية لم تذكرها كتب المعاجم !

أما « بينهم انسجام » فهو صحيح على ضرب من التجوز الذى لا حجر فيه فى اللغة العربية متى وجدت العلاقة والقرينة المصححتان للاستعمال . وهذا من تشبيه توافق الناس وانتظامهم فى مشاربهم بتوالى انسجام الدمع من العين ، أو الماء النازل من السماء على نمط واحد بدون اختلال . ومن هذا يعلم صحة قول الأطباء : بويضات جمع بويضة ، ووجاهة قول من قال : هؤلاء بينهم أو ليس بينهم انسجام .

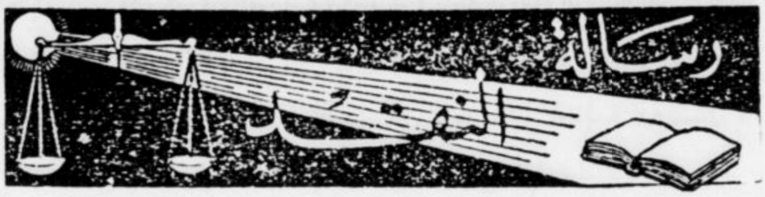
(كلية اللغة العربية) عبد الحميد عنتر

١ — حول المؤرخ المصرى المسلم أحمد بن زنبل الرمال وكتابه :

يذكر أنور زقلمه فى كتابه المماليك فى مصر أنه اعتمد على كتاب صغير وضعه رجل قبطى يدعى ابن زنبل الرمال .

وللحقيقة والتاريخ أقول إنه ليس هناك ثمة مؤرخ عرف بهذا الإسم إلا المؤرخ المسلم أحمد بن على بن أحمد المحلى . ولقد ذكر الدكتور محمد مصطفى زيادة طرفاً من الحديث عن هذا المؤرخ فى كتابه « المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى القرن التاسع الهجرى » فى ص ٧٥ ، ص ٧٦ . ويذكر الدكتور زيادة أن لابن زنبل كتاباً عنوانه « أخذ مصر من الجراكسة » وبالرجوع للكتب المخطوطة والمطبوعة بدار الكتب الملكية لم أجد لابن زنبل مؤلفاً بهذا العنوان . وإنما وجدت عدة كتب مختلفة المناوين تعالج موضوعاً واحداً هو فتح السلطان سليم لمصر وتتقارب هذه الكتب فى عباراتها بل وألفاظها . فمن عناوين هذه الكتب كتاب السلطان سليم العثمانى مع السلطان قانصوه الغورى . ويسمى سيرة السلطان سليم خان والجراكسة وما جرى بينهم ومع قانصوه الغورى ؛ وكذلك يسمى تاريخ ابن زنبل الرمال . وثمة كتاب آخر بعنوان آخر هو الواقعة بين السلطان سليم خان فى فتوح مصر مع السلطان الغورى وطومان باى .

ومن هذا نرى أنه ليس فى دار الكتب الملكية نسخة تحمل عنوان «أخذ مصر من الجراكسة» لهذا فآمل أن يحافظ الناشر



نماذج من عناية المستشرقين بالمخطوطات العربية

للأستاذ عبد العزيز مزروع الأزهرى

مما سبقنا إليه الغربيون عناية المستشرقين منهم ببعث الكنوز الشرقية فى عالم المؤلفات المخطوطة وبخاصة ما كان منها نفيساً نادراً . وساعد على هذا أنهم تخصصوا فى كل فرع من فروع الثقافة الشرقية : عربية وهندية و ... ؛ وأن مراجع كل فن تحت أيديهم بالمئات ، وأن لكل مرجع منها فهارس منظمة لكل ما اشتمل عليه ، ففهرس للشعراء ، وآخر للأعلام ، وثالث للأمم والقبائل ، ورابع للبقاع ، وخامس للقوافى ، وسادس لرجال السند مثلاً وهكذا .

فكل ما يحتاج إليه الباحث جملة وتفصيلاً فى أى علم أوفن يستطيع العثور عليه بنظرة خاطفة بفضل هذا التنظيم المثمر الذى ثبتت دعائمه على تضافر علمائهم ، وهيئاتهم الثقافية ، وسخاء أغنيائهم ، وتقديرهم لكل مايوضح جانباً من جوانب الثقافة الشرقية التى هى إحدى الجوانب المشرقة للثقافة الإنسانية .

وقد كان همنا فيما مضى أن نستفيد من آثار هؤلاء المستشرقين بشراء ما طبعوه من مباحث ، أو نشروه من دفائن فى مدائنهم الكبرى ، ومكتباتهم العامرة ؛ أو بعض حواضرنا الشرقية إذا أشرفوا على الطبع .

أما الآن فقد رأينا فتحاً جديداً فى مصر فى هذا الميدان ؛ إذ قد تضافر (المستشرق ا . ليفى بروفنسال) أستاذ اللغة والحضارة العربية بالسربون ، ومدير معهد الدراسات الإسلامية بجامعة باريس مع (دار المعارف بمصر) فكان من نتائج هذا التضافر نشر كتاب ثمين من أمهات الكتب المخطوطة فى الأنساب وهو (جمهرة أنساب العرب لابن حزم) الأندلسى

على عنوان الكتاب وأن يجعله أقرب إلى أحد العناوين السابقة ؛ بل إننى أرى أن خير عنوان للكتاب هو « الواقعة بين السلطان سليم خان فى فتوح مصر ... الخ هذا إذا لم يكن الناشر قد عثر على مخطوطات أخرى تحمله على أن يجعل عنوان الكتاب «أخذ مصر من الجراكسة » .

ونرجو من ناشر ومحقق الكتاب أن يضرب صفحاً عن هذه الأشعار الكثيرة التى وردت فى النسخة المخطوطة رقم ٤٤ تاريخ بدار الكتب الملكية لأن هذه الأشعار تفسد كثيراً رونق الحقائق التاريخية التى ذكرها المؤرخ المصرى وتجعل الكتاب أقرب إلى الملاحم الشعرية الأدبية . كذلك على الناشر أن يلاحظ كثرة الأخطاء النحوية والإملائية التى تزخر بها النسخ المخطوطة من الكتاب بجانب اللغة العامية الفاشية فى معظم صفحات الكتاب . حقاً إنها لمهمة شاقة على الناشر والمحقق نأمل أن يوفق فيها فيخرج لنا سفراً هاماً فى تاريخ مصر فى أواخر عهد المماليك وبداية الحكم العثمانى .

٢ — الغَورى لا الغُورى :

وبمناسبة ذكر اسم الغَورى أقول إن من الخطأ نطق الغَورى بضم الغين وخاصة بعد أن حقق الدكتور عبد الوهاب عزام بك اسم الغورى فى كتابه « مجالس السلطان الغورى » فذهب الدكتور عزام إلى أن الضبط الصحيح لهذا الإسم الغَورى بفتح الغين لا ضمها . فهل لمدرسة تحفيظ القرآن الكريم التى اتخذت من ذلك البناء الأثرى الذى يطل على كل من شارعى الأزهر والغورية -- ذلك البناء الذى فيه سبيل الغورى ومسجده على ما أعتقد ، ومدفن طومان باى على ما أرجح ، هل لهذه المدرسة أن تبقى اسم الغَورى مكتوباً خطأ بضم الغين وخاصة بعد أن ظهر الحق وبان ؟ ارفعوا اليافطة واكتبوا اسم الغورى صحيحاً تخلدوا ذكر الغورى حقاً .

شفيق أحمد عبد القادر
كلية الآداب — قسم التاريخ جامعة فؤاد الأول

المتوفى فى منتصف القرن الخامس الهجري ، فأراحوا الباحثين من عناء المباحث المرهقة فى صحارى المخطوطات القديمة التى هى أشبه بألغاز الخطوط الهيروغليفية أو المسمارية أو الحميرية ، ومهدوا بفهارسه سبل البحث لرواد الثقافة .

فهل إذا عثر المتصفح لهذا الكتاب الضخم على بعض هنات يرفع عقيرته بالغض من قيمة ما صنعوا ويبالغ فى النقد والتجريح وينسى الجوانب المشرقة لهذا المجهود الجبار !!

إن الإنصاف يدعو إلى تقدير ذلك العمل ، وإنصاف من أشرفوا على طبعه ؛ لأنهم لم يألوا جهداً ، ولأنهم اختاروا فأحسنوا الاختيار ، واجتهدوا وللمجتهد حقه واجتهاده .

فإذا ما زل القلم فلا تثريب عليهم ؛ لأن صفحات الكتاب تربى على ٥٢٤ صفحة ، وكثير من أعلامه وقبائله غريب صعب فوق أنها تبلغ عشرات الألوف ، وبخط مغربى لا يكاد يقرأ ...

هذا جوابى لمن طلبوا إلى إبداء رأيى فى هذا الكتاب باعتبارى من المشتغلين بهذا النوع بل من المؤلفين فيه . أما الإشارة إلى بعض ما ند عن التصحيح ، أو ما سها عنه الأستاذ بروفنسال فسأنشر منه فى كل فترة جزءاً مما عثرت عليه . وإلى حضرات القراء أولى كلماتى فى هذا الموضوع إيضاحاً للحقيقة وتبصرة للباحثين :

١ — أول ما عثرت عليه من تلك الهنات كان فى صفحة ٣٦٦ وقد جاء فى السطر الثالث : « ومن بنى عرينة بن (نذير) بن قسر بن عبقر : حيبة بن (جوين) بن على بن (نهم) » وضبطهم (نُذيراً) بوزن زبير خطأ ، كما أن ضبطهم (نِهماً) بوزن رِجس خطأ آخر ؛ والصواب فى (نَذير) أنه بوزن بشير ، (نُهم) بوزن قُفل أى بضم النون لا كسرها .

يؤيد هذا الضبط ما جاء فى أحدث مؤلفاتى « قاموس الأعلام والقبائل » وقد اعتمدت فيه على أمهات المعاجم ، وكتب الأنساب المضبوطة بالأوزان ، وما جاء فى « مختلف القبائل ومؤتلفها » لابن حبيب ص ٥ ؛ وما ورد فى « القاموس المحيط » . وقد يكون الناشر متأثراً فى هذا الضبط ببعض المستشرقين الآخرين

٢ — وفى صفحة ٢٢٠ فى الكلام على بنى عبد الله بن دارم ذكر خمسة منهم ثم قال : أمهم من بنى (أسَيْد) كزبير بن عمرو ابن تميم ، والصواب (أسيِّد) بتشديد الياء التحتية المثناه كما فى صفحة ٤٥ من المؤتلف والمختلف ؛ ولما ضبطه طابعو الاشتقاق لابن دريد وهم من المستشرقين ، بل بدليل ضبط « بروفنسال » نفسه قبل ذلك ص ١٩٩ من الجمهرة نفسها .

٣ — وفى ص ١٩٠ أمران : (هما) أن المؤلف قال فى نسب « بلال بن الحارث » إنه من بنى مازن بن حلاوة بن ثعلبة ؛ فشاء الأستاذ الناشر أن يضبط باقى سلسلة النسب فقال : (ابن هُدمة) بالدال المهملة (ابن الأصم) . والصواب : (ابن هُذمة) بالذال المنقوطة و (لاطم) لا الأصم وهو من به صمم ، وقد وضح الصواب فيهما معاً « الفيروزابادى » فى قاموسه فى مادة (هـ ذم) والمختلف لابن حبيب صفحة ٣ بل إن فى الجمهرة نفسها ضبطها الناشر نفسه ص ١٩٢ اعترفت بلاطم هذا ، فوق أن « أسد الغابة » ج٢ فى ترجمة « شرح بن ضمرة المازنى » وترجمة « عبد الله بن درة المزنى ج ١ منها » وقبل هذا أثبت القاموس المحيط حقيقة الاسم الثانى وهو لاطم فقال : « جرس بن لاطم بن عثمان من مزينة » لا الأصم .

٤ — وفى ص ١٩٢ « ولد ضبة بن أد : سعد بن ضبة وسعيد ، قتله الحارث بن سعد ، ثم قتل ضبة الحارث بن كعب ، وفى ذلك سارت الأمثال : « أسَعد أم سَعيد » كأمير ، والصواب : سُعيد كزبير) .

٥ — وفى ص ١٩٣ وهى الصفحة التالية قال المؤلف : منهم — أى من بنى ضبة — ضرار بن عمرو بن مالك بن زيد بن كعب ؛ فجمل المصحح أبا كعب « بجادا » وهو ابن ذهل بن مالك والصواب : (بجالة) بن ذهل بن مالك بدليل الاشتقاق لابن دريد فى كلامه على قبائل بنى ضبة ورجالهم ص ١١٩

٦ — وفى ص ٢١٠ قال الناشر فى ترجمة « زهرة التميمى قاتل جالينوس الفارسى » : (زُهرة) كحجرة بن (جوبرية) والصواب فى الكلمتين : « زَهرة كفرحة » و « جوية » بالجيم المضمومة والواو المفتوحة ؛ ويراجع هذا فى « أسد الغابة » وغيره كالإشتقاق ص ١٥٥

٧ — وفى ص ٢١٣ عند الحديث فى نسب « بنى يربوع » ابن حنظلة بن مالك التميمى نقرأ : « منهم واقد بن عبد مناف بن

(عُزَيْر) وزن زبير بن ثعلبة ؛ وكرر هذا عدة مرات ؛ والحق أن عبد منـاف هو بن (عَـرِين) وزن رئيس بالراء لا الزاى ، والنون الأخيرة لا الراء ؛ ولم تختلف كتب الأنســاب فى هذا الضبط ، ولا المعاجم اللغوية كمختلف القبائل ص ٤٦ ، والقاموس المحيط مادة (عرن) والاشتقاق ١٣٥ ، ١٣٨ .

٨ — وفى نفس الصفحة أراد المؤلف أن يفيض فى ذكر « مالك ومتمم ابنى نويرة » لجاء مسيو بروفنسال وجعل أبا نويرة (نميرة) بن شداد بن عبيد بن ثعلبة ؛ والصواب (جمرة) فالاختلاف فى (الحروف) و (عددها) و (ضـبطها) وراجع هـذا فى المؤتلف ص ٣٥ والمفضل الضبى ص ٥٢٥ والأغانى ﺣ ١٤

٩ — وفى ص ٢٠٠ عند الكلام عن (الهمهام التميمى) جعل من أجداده « كافية » بن حرقوص ، وفعل مثل هذا الضبط فى نسب « خفـاف بن هبيرة » وأعاد هذا الاسم ست مرات بالضبط نفســه ، والصواب : « كابية » وزن رابية بالباء المفردة التحتية قبل الياء المثنـاة التحتية لا الفاء أخت القاف وراجع الاشتقاق ص ١٢٦ والمختلف المتقدم ص ٣٦ ، وخزانة الأدب للبغدادى .

١٠ — وجعل الأسـتاذ المستشرق فى ص ٢٠١ (حبيل) ابن ربيعة تصغير حبل جداً لمالك بن الريب التميمى أول من رثى نفسه قبل موته ، والصواب : « حسل » وزن عجل كما فى المراجع السابقة .

اشارات إلى الرهنات :

١١ — وفى ص ١٣٦ سطر ١٥ قال : فأما هاشم فإنه ولد « حنتمة أم عمرو بن الخطاب » والصواب : (عمر) وهو الخليفة التالى لأبى بكر .

١٢ — وفى ص ١٧٥ سطر ٣ قال : وأبو الأسود ظالم بن عمرو بن سـفيان بن عمرو بن (جندب) بن يعمر بن (حابس) والصواب : ابن (جندل) بن يعمر بن (حلس) ، وقد تـكونان غلطتين مطبعيتين .

١٣ — وفى الصفحة نفسها ولـكن فى سطر ٤ قال : ابن عدى بن (الدُّئل) وابن حبيب مثلا يرى أن ضبطه (الدِّيل) كزبير

١٤ — وفى ص ١٧٩ جاء فى العنوان : وهؤلاء بنو (ملـكان) ابن كنانة بفتح الميم ، والصواب كسرها .

١٥ — وفى الصفحة ذاتها ولـكن فى السـطر ١١ قال : ولد الهون بن خزيمة (مليح) كأمير ، وكررها فى السطر ١٧ ، والصواب (مُليح) كزبير بضم الأول وفتح الثانى .

١٦ — وفى ص ١٨٤ سطر ١٩ قال : فمن ولد منقذ بن طريف الشاعر « عبد الله بن الزبير » بضم الزاى وفتح الباء ، والصواب (الزبير كأمير) أى بفتح الزاى وكسر الباء المفردة التحتية .

١٧ — وفى ص ١٩٢ سطر ٩ قال : « يزيد بن عمرو بن أوس بن سيف بن (عمرو) بن (جلدة) فى الوقت الذى سـبق أن قال فيه فى ص ١٩٧ سطر ٤ (ابن عرم لا عمرو) بن (حلزة لا جلدة) فأيهما الصواب ؟!

١٨ — وفى ص ٢٠٩ سطر ١١ قال : فمن بنى حمان (نمرة) ابن مرة ، والصواب (نمر)

١٩ — وفى ص ٢١٣ سطر ١٤ قال : وصرد بن (حمزة) الذى سماه أبو شواح المنى ، والصواب : (جُمرة) بالجيم المضمومة لا الحاء المفتوحة ، وقبل التاء المربوطة راء لا زاى .

٢٠ — وفى الصفحة عينها سطر ١٩ قال : فمن بنى سليط (أُسيِّـد) بن حياة ، والصواب : (أسيد) كأمير .

٢١ — وفى ص ٢١٤ سطر ١٦ قال : أم مسحل المذكور (الريداة) بنت جرير الشاعر ، والصواب : « الرَّبذاء » بالذال المعجمة وهى المنقوطة لا الدال المهملة .

٢٢ — وفى ص ٢٤٤ سطر ٣ فى البيت الثالث :

(والذئب أخشاه إن مررت به وحدى وأخشى(الريح) والمطرا

أما ضبط الذئب بالضم فأرجو أن يتذكر قول « ابن مالك فى الألفية :

(فالسابق أنصبه بفعل أضمرا حتما موافق لما قد أظهرا)

وأما الريح ، فصوابه : (الرياح) أولا : لأنها الروام ؛ ثانياً : لأنه العروض وحسبى هذا الآن ، وإلى اللقاء ...

عبد العزيز مزروع الأزهرى
بالقبة الثانوية

مطبعة الرسالة



العدد ٨٤٠ — الاثنين ٨ اغسطس ١٩٤٩ — السنه السابعه عشره

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٣٠١١

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 em Année No. 840

Lundi — 8 — 8 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٣٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٤٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ شوال سنة ١٣٦٨ — ٨ أغسطس سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

١٤ ـ أمم حــــائرة

الخـــــاتمة

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك
وزير مصر المفوض بالمملكة السعودية

بالعدل، وهو شريعة لا تناقض فيها، ولا اضطراب، ولا تخلف، تسكن نفس العادل إلى طريق لاحبة، وتطمئن إلى خطة بينة، ويملأها السلام. وكذلك تسكن وترضى وتطمئن أنفس الآحاد والجماعات التى يدبر العدل أمورها، ويصرّف شئونها، فيسرى السلام فيها ويربط الوئام بينها، ثم يشيع السلام والوئام فى أمور الجماعة جليلها ودقيقها، كلها أو أكثرها، والسلام هو سعادة الأحدان والجماعات، وقوام الخير والشر بينها، ووسيلة الصلاح والاستقامة فى كل أمورها. وقد سمى الله تعالى نفسه السلام. وفى القرآن الكريم: (والله يدعو إلى دار السلام) (يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور).

فالإيمان بالله سبحانه يؤدى إلى العدل وفضائل أخرى كثيرة عظيمة. والعدل يؤدى إلى السلام، والسلام قوام السعادة والطمأنينة فى نفوس الوحدان والجماعات.

فلهذا فليعمل العاملون، وعلى هذه القواعد فليبن بناة الجماعات والأمم، وهذه السبيل فليسلك دعاة الحق والخير، وهذا النهج فلينهج المعلمون والمربّون على اختلاف درجاتهم، وأممهم ومواطنهم وعصورهم.

إن الناشىء فى هذا العصر تتلقفه آراء لم تُحكمها الروية والتثبت، وأقوال لم يزنها الصدق والإخلاص، وأفعال لم يُرَد بها وجه الله. وتحيط به هذه الآراء والأقوال والأفعال أنى سار، وتلزمه كل حين بما اخترع العلم من وسائل النشر والإذاعة. وهو هالك إن لم يدركه العقل والعمل.

وعلى قادة الرأى وأولى العلم أن يجنّبوا النشء كل حين بكل وسيلة القلق والحيرة والزلل والشطط بهذه الآراء والأقوال والأفعال، فى الدار والمدرسة وبالإذاعة والكتب والصحف؛ وبكل ما هدى إليه العقل السليم والعلم الصحيح من وسائل.

إن هذا الصخب المحيط بنا، وهذا القلق المستكن فى أنفسنا والظاهر فى كثير من معايشنا ونُظمنا وشرائعنا وأمورنا، وهذه الحيرة الدائرة بالناس على غير طريق إلى غير غاية، وهذا التهاتر فى الأقوال، والتخالف فى الأفعال، كل أولئك مرده إلى فقد السلام فى النفس الواحدة، وبين الأنفس المتعددة، فى كل طائفة وكل قبيل وكل أمة ثم بين الناس أجمعين.

ولا سبيل إلى السلام إلا بالعدل يجمع الناس على شرائع من

الحق، وسُنن من الخير والبر، ويقيها الأهواء المتصادمة في الأنفس المتنافرة، والأحداث المتلاطمة في الأمم المختلفة.

ومرجع العدل وأخوات له بها أمن الناس وائتلافهم وتوادهم وتعاونهم وأخوَّتهم، وفيها الخير العميم والسعادة الشاملة، هو الإيمان بالله، الإيمان الذي يعظم النفس كما قلت آنفاً، ويجمعها ويرفعها عن الدنايا وعن سفساف الأمور وعن الأهواء وعن المادة إلى معالي الأمور وجلائلها، وإلى الحق وإلى عالم الروح المتلائم المتناسق المطّرد المنسجم.

نحن في عالم تتصادم آراؤه لأنها لا ترجع إلى أصل يوحّد بينها، بل تنشأ عن نزعات ونزغات؛ وتختلف أقواله لأنها لا ترجع إلى صلة يجمعها ويؤلف بينها، وتتقاتل أفعاله بما فقدت الحق والعدل، والمعاني العامة، والشرائع الهادية الجامعة.

ولا منجاة من التصادم والتخالف والتقاتل إلا بالسمو عن الأهواء إلى الحق، وعن الظلم إلى العدل، وعن الأحداث الجزئية إلى القوانين الكلية. ولا يتسنى هذا إلا بالعلو إلى أصل الأصول وحقيقة الحقائق وهو الله تعالى مصدر الحق والخير والجمال والعدل والسلام وما يتصل بأولئك جميعها.

هذا الكلام الموجز عنوان لمعان لا تحد، يعيا عنها البيان، وتحسر فيها العقول والألسن والأقلام. وإنما هو إشارة إلى عالم فسيح، للعقل فيه مراد، وللوجدان في أرجائه مجال. فليفكر المفكرون، وليتأمل المتأملون، وليدعُ المصلحون، وليضرب الأخيار الأمثال، وليبينن هذا للناس كل من أوتى نصيباً من العلم وحظاً من الرأي: غير آل جهداً ولا مقصّر في فكر أو عمل حتى تستبين السبيل ويتضح النهج وتلوح الغاية ويستقيم المسير. والله ولي التوفيق.

* * *

أما بعد فهذه كلمات مخلصة لله، اطرد فيها الفكر، وفاض بها القلب في غير تكلف ولا تزيّد ولا مراءاة.

وقد عرضت فيها أسباباً لقلق الناس وحيرتهم، وشقاوتهم بعقولهم وأعمالهم، وبما صنعت أيديهم، وراء هذه الأسباب أسباب أُخَر. وما أردت الاستيعاب والاستقصاء. وقد دعوت إلى أمور رأيتها طباً لهذه الأدواء، وشفاء لهذه العلل، ومنها أمور أخرى، متصلة بها أو تابعة لها، وما حاولت الاستقراء والاحصاء.

ولم يقف بالقلم عند هذا الحد بلوغ الغاية أو الإيفاء عليها، ولا ضيق المجال، ولا نضوب الرأى وقصور القول: بل وقف بالقلم طول الطريق وبعد الغاية، وأنها سبيل يغني فيها الإيجاز، وتكفي فيها اللمحة والإشارة والدعوة والتنبيه والإيقاظ والتحذير. وكذلك وقف بالقلم الترويح عن القارئ والإشفاق من أن يمل من هذه السلسلة الطويلة وراء هذا العنوان الوحيد.

وإني لأدعو كل مفكر وأحفز كل كاتب إلى أن يمنح هذا الموضوع بعض عنايته، ويصرف له بعض وقته أداء للأمانة وقياماً بالواجب.

وعسى أن أعود إلى هذا الموضوع أو إلى موضوع يتصل به ويمت إليه.

والله نسأل السداد في الرأى والإخلاص في القول والعمل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

عبد الوهاب عزام

أيتهـــا الشمس ..

للأستاذ راجى الراعى

أيتها الجمرة البيضاء التى يسكبها لنا الله فى وليمة الحياة ...

أيتها النقية الطاهرة التى لم تمسها يد بشر ... ولم يتسرب إليها لؤم الأرض ونفاقها ...

أيتها الكريمة الباسطة يدها لتصافح الخارجين من الظلمة ...

أيتها الجندية الأمينة الواقفة على باب السماء ...

أيتها الجبارة التى تحتل الخليقة ...

أيتها الساحرة التى علقت بأشراكها الأرض ...

أيتها الشعلة المتقدة فى دماغ الأفق ...

أيها الثغر الجميل الذى يفترُّ عن الشعاع ...

* * *

أيتها الشمس !

يا مصدر النور

ويا هدية السماء إلى الأرض

أيتها اليد الحمراء التى ترفع ستار الليل وتسدله والليل صابر مطيع ...

أيتها الأميرة المتكئة على وسادة الفجر ...

أيها القلب المشتعل الذى يفيض حباً وحناناً ...

أيتها الناظرة إلى الأرض نظرة السيد القديم إلى العبد القديم

أيتها الرفيقة المخلصة الشريفة النادرة التى عاهدت الخالق أن ترافق الخليقة من يومها الأول إلى يومها الأخير ولم تنقض عهدها

أيتها الكرة النارية التى تتقاذفها القرون ...

* * *

أيتها الشمس !

يا ابنة الله ...

ويا صاحبة الجلالة

ويا فتنة الخليقة

ويا منارة الهدى

أيتها الفاتحة التى تغزو بأشعتها القاهرة ...

أيتها الضاربة خيامها فى كل بقعة من بقاع الأرض ...

أيها الشلال الذى يتدفق نوراً من جبال الآلهة ...

أيتها الرقيبة التى ترقب الخلائق بعين لا تنام ...

أيتها المستحمة فى البحور ، المرتدية حلة العذراء ، الضاحكة بأشعتها كالأطفال ، الواقفة مكانها لا تتزحزح عنه ، وقد سحرها جلال الله ...

أيتها الموزعة هداها على الضالين ...

أيتها المرأة التى اقترنت بالأفق ولم تخن رجلها ...

أيتها الأميرة الناصبة عرشها على رءوس الليالى ...

أيتها الدرة المستقرة فى أعماق بحر الأثير ...

* * *

أيتها الشمس !

يا عين الله ...

ويا قلب الزمان ...

ويا كبد السماء ...

ويا ذروة الكمال ...

ويا حجة المؤمنين على الكافرين !

أيتها الأم الكبرى الحنون التى لم تستطع الأمومة فى الأرض أن تجاريها فى حنانها ...

* * *

أيتها الشمس !

يا معقل الكبرياء

ويا وطن الكهرباء

ويا عدوة الخبث والرياء

ويا رسولة المساواة والأخاء

ويا سيدة الفضاء

ويا علة الهناء والشقاء

لقد فررت من الأرض وأتيتك أسألك عن اليوم المتيد ...

هل أنت مقيمة على عرشك إلى الأبد ؟

أيطول أمر هذه الخليقة ؟

اكشفى لى سرك ... انت النور ... والنور فضّاح ...

ألم تسأم نفسك الشروق والغروب ؟

إلى متى نظل مسحورين بجمالك الذى لا يعدله جمال ؟

لقد أنهك السحر قوانا ...

إلى متى تأخذين منا ليالينا وتعيدينها إلينا ؟

لقد حار فيك الليل !

إلى اللقـــاء

للأستاذ كامل محمود حبيب

« إلى أبنائى الذين أحسوا لذع الفراق يوم الوداع الأول ، وهم ما يزالون أطفالا ، فاغرورقت عيونهم بالعبرات ، ثم كفكفوها لأننى قلت لهم : يا رجال ! »

إلى اللقاء ، يا بنى ، هناك على سيف البحر حيث تموج الدنيا بفلسفة الحرية فى معانى اللهو والعرى .

إن الإنسان ليحن — دائماً — إلى حيوانيته الأولى فيسعى ليتحلل من أعباء الرزانة والعقل وليحطم أغلال الإنسانية حين يحس أنها قد كبلته بقيود من الجدار والثوب .

يا لبؤس الحيوان حين تمصره الزريبة بين جدرانها فلا يستطيع أن ينفلت منها إلى الحقل ... إلى العشب والنور والشمس والهواء ! ويا لشقاوة الطير حين يضغطه القفص بين قضبانه فلا يجد السبيل إلى روح الغابة ... إلى الحرية والسعادة والجمال !

هناك على شاطئ البحر ، عند الربيع الأزرق ، يخلع المرء ثوبه فيخلع إنسانيته ليستمتع حيناً بالحيوانية ، ويشد عقله لينعم بالجهل ، ويفزع عن صوابه ليسعد بالحمق .

وأنت — يا بنى — طفل يلذ لك أن تنطلق إلى طفولتك لا يربطك قيد ولا يمسكك غل ولا يحدك عقل .

فإلى اللقاء ، يا بنى ، على سيف البحر حيث تموج الدنيا بفلسفة الحرية فى معانى اللهو والعرى .

* * *

أتذكر — يا بنى — يوم أن جاء خالك يطلب إلىّ أن أدعك تصحبه إلى الأسكندرية فتشبثت بى ترجونى ، لأنه شاقك أن تمرح على شاطئ البحر مرة أخرى . ونزلت أنا عند رأيك الفطير ، رأى الطفولة الوثابة ، لأننى خشيت أن يضربك الأسى والحزن وأشفقت أن تعصف بك معانى الخيبة واليأس ، فتستشعر الصغار والذلة وأنت ما تزال غض الإهاب لين العود لدن العظم

لقد كان بودى أن أرافقك لولا غل الوظيفة وشواغل العيش وعنت الصيام ، فبقيت أنا هنا — فى القاهرة — ترمضنى الهاجرة ويمضنى الفراق . ونسيت أننى سأجد فقدك لاذعاً فى قرارة نفسى

ولبثت ليلتك تهيئ حاجاتك ، وإن إهابك ليكاد ينقد من شدة الطرب والسرور . وأرغمتنى على أن أشاطرك فرحة نفسك فنبرت حيناً طفلا كبيراً قد وخطه الشيب وهدته السنون يعبث بين أطفال صغار . واستشعرت اللذة والسعادة فاندفعت أرتب لك حاجاتك بين المزاح والدعابة . ثم انحلت عزيمتك وكلّت قوتك ، فانحططت فى فراشك تغط فى نومك ، ووقفت أنا إلى جانبك أتملى سمات البهجة وقد رسمها الأمل الحلو على قسمات وجهك النائم !

وفى القطار أقبلت أقبلك قبلة الوداع ، فأحسست أنت مرارة الفراق ، فاغرورقت عيناك بالدمع وشرقت بالكلمات ، وأوشكت عواطفك أن تثور ، فتشبثت بى وقد طغت مشاعرك الطاهرة على نوازع طفولتك وهى تدفعك إلى البحر . ولكننى قلت لك : « ما ذا جرى ، يا رجل ؟ » ... فكفكفت عبراتك وتماسكت وكتمت خفقات قلبك النقى ، ثم تعلقت عينك بى فما تطرف حتى تحرك القطار ، وتواريت أنا عن ناظريك ...

لشد ما حز فى قلبى أن تحمل نفسك على أن تكفكف عبراتك الرقراقة الغالية ، يا بنى ، لتبدو رجلا قبل الأوان !

آه ، يا بنى ، لقد كانت هذه الكلمة — كلمة الرجولة — شديدة الوطأة على نفسك لأنها حمّلت طفولتك فوق الطاقة ، وكلفتها فوق الجهد ، ولكن ..

إن جلالك لاحد له ولا يفوقه جلال وقد ناء به كاهل الخليقة الضعيف ...

* * *

أيتها الشمس المشرقة علىّ اليوم ...

هل أنت تلك الشمس التى أشرقت على الرجل الأول ؟

هل نورك اليوم كنورك بالأمس ؟

هل أنت تلك التى عرفتها القرون الأولى ؟

أم أن العمر فعل فعله فخف ضرامك واعتراك العياء ؟

اكشفى لى سرّك ... أيتها الشمس ...

إن لك الملايين من الأشعة ... فانفذى إلىّ شعاعاً واحداً يهمس فى أذنى كلمة السر ويريحنى ... !

راجى الراعى

ولكن إلى اللقاء ، يا بنى ، على سيف البحر حيث تموج الدنيا بفلسفة الحرية فى معانى اللهو والمرح !

* * *

لقد عودتك ، يا بنى ، أن أفسح صدرى لطهر الطفولة وسخفها ، وأن أسع عبثها ومجونها ، وأن أتقبل نزواتها وطيشها ، وأن أستسيغ حلوها ومرها ، فلا تنفض طفولتك كلها أمام خالك فيحس الجفوة ، أو يستشعر الضيق ، أو يجد الملل !

وإذا ربَّت على كتفك فى عطف ، أو قبلك فى حنان ، أو ضمك فى شوق ، فلم تحس لين كفه ، ولا حرارة قلبه ، ولا دفء صدره ، فلا تمتعض ولا تتململ ، لأنك لن تلمس اللين والحرارة والدفء إلا فى رجل واحد هو أنا ... لأننى أنا أبوك !

وإذا طلبت إليه أمراً فأغضى عنك ، أو أمتهن رغبتك ، فلا تحزن لأننى أنا وحدى الذى لا أضيق بحاجاتك ولا أسخر من نزواتك ... أنا أبوك !

وإذا ابتسمت فعبس أو عبست فابتسم ، فلا تأس لأننى أنا وحدى الذى أشاطرك سرورك وحزنك ، وأشاركك مرحك وشجوك . . أنا أبوك !

وإذا افتقدتنى — على حين فجأة — فضاقت نفسك بالحياة وهى تتألق فيك ، وعزفت عن اللذة وهى تضطرم فى قلبك ، فلا تدع شجونك تستلبك من سعادتك وأنت على شاطئ البحر كالفراشة الطروب تطير وتقع فلا تقع إلا على مرح وبهجة !

وإذا أحسست بالغربة والضياع فلا تضق بما ترى ولا تفزع مما تجد ، فغداً أكون معك !

وإلى اللقاء ، يا بنى ، على سيف البحر حيث تموج الدنيا بفلسفة الحرية فى معانى اللهو والمرح !

* * *

لست آسى ، يا بنىّ ، على عمر مضى خلوٌ من نبضات القلب ، ولا على شباب انطوى صفر من دفعات الهوى ، لأنك أنت أفعمت قلبى بالحب والأمل والحياة جميعاً !

فأنت النبتة اليانعة النضيرة فى صحراء العمر ، وأنت الزهرة الرّفافة الزاهية فى بيداء الحياة ، وأنت النشاط فى زمن الخمول ، والقوة فى سنى الضعف ، والخلود فى دنيا الفناء !

وأنت نور العين إن أظلمت الحياة ، وانطوت زهرة الشباب ، وأنت بهجة القلب إن ذوى العود ووهى الجلد ... إن أوشكت القدم أن تنزلق إلى طريق الأبد !

وأنت عمرى الدائم ، وصوتى المدوى ، وحكمتى الأبدية ، وروحى الخالدة !

فدعنى ، يا بنىّ ، أوقع على أوتار القيثارة الإلهية — قلبى — لحن الحنان الأبوى الذى فاضت به مشاعرى يوم أن دفعنى العطف لأنزل عند نزوات طفولتك الطائشة ، فافترقنا لأول مرة !

إن ألحانى شجية أخّاذة ، غير أن عقلك الغض لا يدرك معناها ، فأنت ما تبرح فى جهلك الأول ... ولكن حين تصقل السنون عقلك ، وتشحذ الأيام ذهنك ، فيستقيم منطقك ، ويستد رأيك ... حينذاك أجلس إلى نفسك ، وأستشف — فى إمعان — ما وراء هذا النغم الحى ...

لقد رأيت يا بنىّ — ذات مرة — رجلاً يضنّ على صغاره بالضئيل ويبخل بالتافه ، ولكننى رأيت — أيضاً — الحيوان يطعم صغاره ويستمرئ هو السغبة ، ورأيت الطير يزقّ فراخه ويستعذب المخمصة !

آه ، يا من أفنيت عمرك صعلوكا فى دنيا العزوبة !

لقد سفلت حين نبذت معانى الأبوة فى نفسك ، وصغرت حين مسحت على آثار البنوة فى دارك ، وانحططت حين استعبدت لأنانيتك الوضيعة !

يالحكمتك أيها الفلاح الساذج حين ذهبت تجتث جذور الشجرة التى لا تثمر ولا تنىء الظل !

ويا بنىّ ، لا تجزع إن تراءت لك كلماتى فوق عقلك الصغير ، وبدت لك خواطرى فوق قلبك الغضّ !

فإلى اللقاء على سيف البحر حيث تموج الدنيا بفلسفة الحرية فى معانى اللهو والمرح ...

وإلى اللقاء حين تصقل السنون عقلك وتشحذ الأيام ذهنك فترقى إلى المعانى السامية التى يفيض بها قلب أبيك الكبير ، وهى تتدفق بالعطف والحنان ...

كامل محمود حبيب

قناة السويس ومستقبلها (*)

للأستاذ أحمد رمزى بك

حديث الليلة ، يتناول قناة السويس ، وموقع مصر الممتاز باعتبارها صاحبة هذا البرزخ ، الذى كان يفصل بين البحرين قبل افتتاح القناة .

١ – ولبيان أهمية هذا الموقع ، أعرض عليكم تاريخين مهمين :

فى ٧ مارس سنة ١٩٤٩ وقعت الحكومة الملكية المصرية اتفاقاً مع شركة القناة بعد مفاوضات ومباحثات قامت بها وزارة التجارة والصناعة : وهو اتفاق تناول أقطاب الوزارة نصوصه وبنوده بأحاديثهم ، وأبانوا ما حصلت عليه مصر من مزايا وما حققته لنفسها من أهداف : وبعد إتمام هذا الاتفاق عملاً وطنياً كبيراً يصح لوزارة التجارة والصناعة أن تفخر به ، وهو عمل معروض الآن على الهيئات التشريعية للبلاد لإقراره والتصديق عليه .

وفى ١٧ مارس سنة ١٩٦٨ ينتهى عقد الامتياز الممنوح للشركة .

٢ – وبين هذين التاريخين تقع فترة من الزمن تقرب من عشرين عاماً ، يحتم علينا أخذ الأهبة والاستعداد لتسلم هذا العمل العظيم حتى ننهض به ونتحمل أعباءه أمام العالم . وبالتوقيع على الاتفاق أصبحنا شركاء لحد ما مع الشركة نقاسمها وتقاسمنا المغانم والأعباء ونعمل معها على قواعد أكثر ملاءمة لنا مما عهدناه من قبل وفى فترة تحضّر لتمصير القناة وجعلها مشروعاً قومياً صميماً .

٣ – فهل لنا أن نتساءل ، ماذا أعددنا لهذا اليوم ؟ أما من الناحية الإدارية والفنية ، فأعتقد أن مصر لن تعجز عن إخراج الفنيين والإداريين الذين يتولون هذا العمل ويثبتون كفايتهم وجدارتهم على صيانة هذا الطريق العالمى : أما من ناحية المستقبل الذى يحيط بالقناة وما يتبعهما من تأثر موقع مصر الجغرافى الممتاز ، فهذا الذى يجعلنا نفكر تفكيراً منطقياً يتفق مع ما يحيط بنا من أحداث وما يغمر الدنيا من اتجاهات وتطورات ، أخشى أن تؤثر فى أهمية القناة وموقعنا الجغرافى ، أو تساعد على الإقلال مما كان لهذا الموقع العالمى يسبغه علينا من مظاهر احتكار إحدى طرق المواصلات العالمية .

٤ – إننا لا ننسى أن مصر تعرضت مرتين وسط كل من الحربين العالميتين فى القرن العشرين لهجومين يرى كل منهما إلى انتزاع هذا الموقع الجغرافى الهام . فى سنتى ١٩١٥ ، ١٩١٦ تعرضت القناة مباشرة لهجوم من جانب الجيش التركى ، وإذا من ضفة القناة الشرقية تبدأ حملة الهجوم المضاد الذى اقتحم سينا وفلسطين وسوريا ولبنان وانتهى عند جبال طوروس سنة ١٩١٨ .

وفى سنتى ١٩٤١ – ١٩٤٢ تكرر الهجوم من ناحية الصحراء الغربية ووجهته منطقة القناة ، والذى ساعدته الظروف لزيارة هذه الجهة أيام معارك العلمين كان يرى التجمعات التى أتت تترى من قوات الجيش التاسع وأخذت أماكنها على الضفة الشرقية لقبول المعركة إذا قدر لقوات المحور اقتحام استحكامات الدلتا ووصولها إلى منفا فى قناة السويس .

فهذه الجيوش التى تجمعت فى الحرب العالمية الأولى والثانية كانت تقصد بهجماتها قناة السويس وانتزاع هذا الموقع الهام باعتباره الشريان الحيوى الذى يربط القارات الثلاث ، وجاءت هزيمتها فى العلمين بهجوم مضاد استمر حتى تونس فى الحرب الأخيرة ١٩٤٣ .

فالذى يسيطر على القناة ، يسيطر على مقدرات الحروب وتوجيهها وانتصاراتها ، ويفرض على خصمه ما شاء من القرارات الحاسمة التى يتوقف عليها مصير الحروب ونهاية المعارك : ونحن إزاء هذه الأهمية نرجو ألا يشاركنا غيرنا بامتلاك طريق عالمى آخر يقلل من أهمية هذه المنطقة فى يوم من الأيام .

٥ – هذا ما لمسناه فى السنوات الأخيرة ، أما فى الماضى فقد لعب هذا الموقع الجغرافى لمصر صاحبة السيادة على برزخ السويس دوراً هاماً فى حياتها ، إذ جعلها صاحبة احتكار الطرق البرية والبحرية بين الشرق والغرب .

فى القرون الوسطى ، كانت مصر تحتل مكاناً مرموقاً فى

(*) الحديث الذى ألقاه حضرة الأستاذ أحمد رمزى مراقب مصلحة التشريع التجارى والملكية الصناعية من محطة الاذاعة اللاسلكية فى يوم ١١ أبريل سنة ١٩٤٩

اقتصاديات العالم المعروف وقتئذ . وكانت تجارة جزء كبير من الدنيا يمر من البحر الأحمر عبر مصر إلى موانئ البحر الأبيض المتوسط ، وكانت مراكز التجارة في إيطاليا تشارك مصر في هذا الاحتكار وخصوصاً مدينة البندقية .

٦ — وما كاد يكتشف طريق رأس الرجاء الصالح إلى الهند حتى فقدت مصر أهمية موقعها الجغرافي الممتاز الذي كان يدرّ الخير عليها ، ولم تقبل مصر أن تقف موقفاً سلبياً بل أرسلت حملات بحرية إلى آسيا عن طريق برزخ السويس وساعدها في ذلك حلفاؤها من البنادقة ، وكان القصد منها رد غائلة البرتغاليين عن الهند . وأراد هؤلاء أن يهاجموا مراكز مصر في البحر الأحمر فتعرضت سواكن وغيرها لحروبهم ، واستمر هذا النزاع حتى العهد العثماني .

٧ — وفي عدد المجلة الجغرافية الأمريكية بواشنجتن ، مقال تحدث فيه كاتبه عن أثر التوابل في اكتشاف طرق الملاحة وفي خدمة علم الجغرافية العالمية ، ويفهم منه أن مصر بحكم سيطرتها على هذا الموقع الجغرافي ، كانت تسيطر أيضاً على تجارة التوابل ، وأن هذا الاحتكار للطرق المائية أدّى في النهاية إلى اندفاع الدول البحرية نحو اكتشاف آفاق بعيدة وطرق مواصلات تقلل من أهمية هذا المركز الممتاز وتضعف من أثر هذا الاحتكار

وتنتهي هذه الاكتشافات العظيمة بأن تفقد مصر هذا المركز الذي كان يدر عليها الخير ، وتهبط أهمية البندقية وجنوة وغيرها وتصبح ثغوراً من الدرجة الثانية بعد أن كادت دولاً مستقلة فيها مستودعات المتاجر ومراكز الثروات المالية .

٨ — وهانحن اليوم نواجه عهداً يذكرنا بتلك الأيام البعيدة : إننا نرى أمامنا تقدماً بعيد المدى وانقلاباً شاملاً في طرق المواصلات الجوية والبرية والبحرية التي تربط أنحاء الأرض .

ونعيش في زمن مليء بالأحداث الكبرى والتطورات السريعة وأرى في الآفاق المحيطة بنا قوات قد اتجهت إلى البناء والخلق والإنشاء وهي تعتقد أن عمل المعجزات ممكناً وأنه بوسعها إحياء الموات من الأرض ونقل السكان وإجلاءهم عن مواطنهم . ونشعر بأن الشرق الأوسط يتمخض عن تطور وتغيير شامل [1] .

٩ — فمن ناحية المواصلات يتحدثون عن طرق القوافل القديمة التي كانت تخترق الصحاري ويؤملون في إعادة تعبيدها حتى تستعمل لنقل البضائع ، ويتحدثون عن العقبة وأثرها ومستقبل خليجها ، ونسمع عن طرق حديدية توضع على الخرائط ثم تنفذ مشاريعها ، ونرى أنابيب البترول تأتي من الأماكن البعيدة لتصب في أماكن معينة [1] ، ونسمع عن موانئ وثغور توسع وتفرض نفسها على هذا الجزء من شرق المتوسط .

١٠ — وقد يبدو هذا لأول وهلة صعب التحقيق ولكن المطلع على ما كان عليه الشرق من عظمة وحضارة وغنى لا يعجب أن يسمع في القريب العاجل بعودة العمران إلى هذه المناطق ، ويكفي أن نستعيد ما كانت عليه مدينة أنطاكية في العصور السالفة لنعرف شيئاً مما يخبئه المستقبل لثغر مثل حيفا يطل علينا .

١١ — إنه من أصعب الأمور مواجهة المستقبل على قياس الحاضر ، كما أنه من أخطر الأمور الاكتفاء بنظرتنا القومية بل يجب أن نتبعها بنظرة عامة لما يدور حولنا .

ولهذا نقول أن منطق الحوادث الدائرة حولنا يحتم علينا دراسة مستقبل قناة السويس دراسة علمية ، لا من ناحية المصلحة المحلية وحدها ، بل على ضوء التطور العالمي وما يدور في بقاع هذه المنطقة المحيطة بنا والتي تحاول أن تشاركنا في مركزنا الممتاز

١٢ — إننا في حاجة إلى عدة مشاريع إنشائية : أهمها توسيع الموانيء المصرية في بور سعيد والسويس ، وإنشاء مناطق حرة متسعة ، وفي وضع شبكة من المواصلات البرية السهلة من الشرق إلى القناة ومن الغرب إليها ، وفي حاجة لسياسة عامة للخطوط الحديدية حول القناة ، ثم في حاجة إلى عدد من المطارات الكبرى والمحطات المائية التي تسمح بهبوط أي نوع كبير من الطائرات فيها .

١٣ — إن تطور مصر سيفرض نشر العمران في سينا ، ومصلحة القناة تحتم إنشاء منطقة صناعية كبرى في المثلث الذي تشغله المعسكرات البريطانية : لأن توسع الصناعات الكبرى يفرض من المبدأ أن تكون على الطرق المائية .

هذه نظرة لمستقبل القناة في السنوات القادمة إذا أخذنا بها نقول : أن مصر قد انتقلت من الزمن الذي كانت معدة فيه لخدمة القناة ودخلت العهد الجديد الذي يضع القناة في خدمة مصر

أحمد رمزي

---

(١) يقصد الكاتب ظهور دولة إسرائيل في الشرق .

(١) أشارت البرقيات الخارجية إلى أثر هذه الأنابيب في دخل قناة السويس .

خلف الرداء الجامعي

للأستاذ أبي حيان

لم أكد آخذ في قراءة كتاب « الهجاء والهجاءون في الجاهلية » للدكتور م. محمد حسين المدرس بجامعة فاروق الأول ، وأتجاوز الفقرات الأولى منه ، حتى وقفتني هذه العبارة التي يقولها في سياق الكلام عن تصنيف الشعر العربي ونصيب أبي تمام من ذلك في حماسته . قال :

« أما أبو تمام ، فهو يخرج الأبيات في كثير من الأحيان عن أبوابها إلى أبواب لا تليق بها . وقد لاحظ هذا الخلط بعض المتقدمين كصاحب اليتيمة » (ص ٣) .

وقفتني هذه العبارة وصرفتني عن المضي في القراءة ، إذ أحسست فيها — لأول وهلة — نوعاً من التناقض الصارخ يشيع فيها ، ويباعد بين طرفيها ، ويضرب بعضها ببعض .

صاحب اليتيمة يعرض لأبي تمام في يتيمته ، وينقد منهجه في حماسته ، إذ يلاحظ عليه خلطه الأبواب بعضها ببعض ؟ !

هذا هو العجب العجاب الذي لفتني إليه لفتاً شديداً ، ووقفني عليه وقفاً طويلاً ، وأنا أحاذر ألا يكون طرفي ضل فيه ، أو تاه عقلي في إدراك مراميه ومغازيه ، إلا أن العبارة — كما نرى — يسيرة صريحة مستوية لا عوج فيها ولا أمت . فما لليتيمة وأبي تمام ، وأين يمكن أن يقع منها ؟ وكيف له أن يقتحم نطاقها ولم يتجاوز الثعالبي بها الشعراء المعاصرين ، أو على حد قوله — في تحديد موضوعها — : « نجوم الأرض من أهل العصر ، ومن تقدمهم قليلا وسبقهم يسيراً » ؛ ومن هنا كانت تسميتها : « يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر » . وعصر الثعالبي هو ما بين منتصف القرن الرابع وأوائل القرن الخامس . فكيف أمكن لأبي تمام من أهل القرن الثالث ، بل أوائل ذلك القرن ، أن يطوى الزمن ، ويتخطى أعناق الأجيال ، ثم ينضو عنه الكفن ، وينفض عنه ركام التراب ، ثم ينتفض قائماً ، ليستوى ماثلا بين أصحاب الثعالبي ورجال اليتيمة ؟ !

أليس هذا عجباً عاجباً جديراً بأن يشتت الذهن ويستغرقه ، ويثير بعض ألوان الإعجاب بهذه الجامعية الجديدة القدرة على « الخلق الفني » ، والجمع بين الأشتات والأضداد ؟ !

بلى ! وتلك هي الأعجوبة التي ساورتني وملكت على مذاهبي منذ نظرت في تلك العبارة السالفة . وقد جعلت الحيرة تشيع في نفسي : بين ما كنت أحسبه حقائق مقررة ، وصفات ثابتة محررة ، وبين ما ينبغي أن توحي به الجامعية من ثقة ، وما يفترض أن تقترن به في الذهن من ضبط ودقة ، وما تدعو القارئ أو الدارس إليه من طمأنينة وإيمان ، ومن تسليم وإذعان . فبأيهما آخذ ، وإلى أيهما أطمئن وأسكن ، إلا أن يتحقق الإعجاز ، وتلتحق الأوالي بالإعجاز . وهكذا جعلت أسائل نفسي : أو يمكن لهذه الجامعية الجديدة أن تغير طبائع الأشياء ، وأن تبدل الأرض غير الأرض والسماء ، وتنسخ قوانين الوجود فتضع من تشاء حيث تشاء وأيان تشاء ، فتنشر أبا تمام بين ناس غير ناسه ، وفي زمان غير زمانه ؟ !

وبعد ، فهاهنا إذن نوع من الاستحالة الظاهرة في نسبة هذه الملاحظة إلى صاحب اليتيمة ، وهي — كما رأينا — استحالة لا مساغ لها إلا على ذلك المذهب العابث ، فكيف تأتى للأستاذ الدكتور ذلك ؟ وأنى صدر بهذه النسبة الغريبة التي كان يجب أن تلفته لو أنه وقع عليها على ما فيها من غرابة على الأقل ؟ !

إن تتبع هذه المسألة يثير بين أيدينا لوناً من ألوان الطرافة بديعاً ، فلم يضن علينا الأستاذ الفاضل ببيان المصدر الذي صدر بتلك الملاحظة عنه ، وإن كان هو لا يعبأ في كثير من الأحيان بالتنبيه إلى مصادره ، فأثبت في الهامش تعليقاً على تلك العبارة الآنفة : « تاريخ آداب العرب للرافعي ٣ : ٣٦٦ نقلا عن اليتيمة ٣ : ٤١٦ » .

وهكذا تكون — والله — الدقة الجامعية والأمانة العلمية ! تاريخ آداب العرب عن اليتيمة ! عنعنة جديرة بالبحوث العلمية الجامعية !

على أنه ينبغي أن تكون اليتيمة هذه مصدراً نادراً أتيح للأستاذ الرافعي أن يطلع عليه ، ويرجع إليه ، ويصدر عنه بتلك الملاحظة ، ثم تقطعت أسبابه ، وغاب عن حياتنا الأدبية وجهه ، فلم يبق لنا من ذلك إلا ما نقل الرافعي عنه .

هكذا يجب أن يكون الأمر لتـكون لهذه المنمنة قيمتها ، إذ كان من الأوليات المقررة فى أسلوب البحث العلمي أن يكون النص فى مصدره الأصلي هو الذى لا معدل عنه ، ولا مترخص فى التزامه ، ولا سبيل إلى تجاوزه أو المسامحة فيه ، ما دام ذلك المصدر الأصلي ممـكناً بأى وجه من وجوه الإمكان ، فلا بد إذن أن تكون اليتيمة مصدراً غير ممـكن .

أفـكذلك هى ؟

أما أن اليتيمة ليست مصدراً ممـكناً فحسب ، ولـكنها مصدر قريب ميسور حاضر ، فقد طبع غير مرة فى دمشق والقاهرة ، ولم يبعد العهد بعد بطبعته الأخيرة . ويستطيع أى إنسان — دون أن يكون أستاذاً جامعياً تفتح له خزائن الـكتب وتتاح له ذخائر الآثار — أن يمد يده إلى أية دار من دور الـكتب ، أو أى دكان من دكاكين الوراقين ، فإذا به بين يديه . فـكيف ساغ للأستاذ الباحث أن يتجاوز هذا المصدر الأصلي ، وهو — كما رأينا — قريب حاضر ، إلى مصدر آخر غير مباشر ؟ وكيف أجيز له فى رسالة جامعية أن ينكب عن هذه السبيل العلمية المهودة ، وأن يتحدى على هذا النحو أوليات البحث المقررة ؟

وقد فعل الأستاذ هذه الفعلة مرة أخرى ، بالنسبة لـكتاب كـكتاب اليتيمة ، ذيوعاً وقرباً ، وهو أمالى الشريف المرتضى ، فقد تجاوزه فى نص من نصوصه نقله فى كتابه (ص ٥٩) ، فلم يتكلف الرجوع إليه والأخذ مباشرة عنه ، وإنما اكتفى بأن ينقله من كتاب الرافعى أيضاً !

فما ذا عسى أن يسمى هذا الصنيع الذى يصر عليه صاحبه إصراراً ، ويكرره تـكراراً ، وبأى وصف يمـكن أن يوصف ؟ وما ذا يرى الجامعيون فى هذا المنهج العلمى الجديد الذى يؤثر الدعة ، ويأخذ الأمور من حيث تتفق لا من حيث يجب ، ويحسب أنما يكفيه فى تحقيق الصورة العلمية أن يورد هذه المنمنة التى لا معنى لها ، إلا أن يكون القصد إلى شىء من الخداع الرخيص المفضوح ؟ !

ومع ذلك ، فهذا الخطأ المنهجى ، وذلك التحدى لقواعد البحث الأولية ، أو ذلك الإهمال والاستخفاف بما يجب للعلم والصفة الجامعية الصحيحة من حق وحرمة — كل ذلك ليس شيئاً كبير الخطر بالقياس إلى ما وراءه من منكر علمى لا ندرى كيف أباحه الأستاذ لنفسه ، وكيف أجازته له الجامعة وأجازته عليه :

الرافعى — بمقتضى ذلك التعليق المنمن — هو المسؤول المباشر عن تلك الإحالة الظاهرة فى نسبة القول فى حماسة أبى تمام إلى صاحب اليتيمة ... هكذا جعله الأستاذ — غفر الله له — فى سذاجة وغفلة ، وبذلك مثله أمام القارئ المتفحص أدنى تفحص فى مظهر شائن من الجهالة بالتاريخ الأدبى ، والإغفال لجانب التحقيق العلمى .

والذين يعرفون الرافعى — رحمه الله وأكرم مثواه — يعلمون علم اليقين أنه كان من سعة العلم وقوة العقل ، ونفاذ البصر فى حقائق التاريخ الأدبى ، ورهافة التذوق لأسراره ، والإحاطة التامة بأطرافه المختلفة ، والدقة العلمية البالغة ، وقوة الشخصية والضمير العلمى الذى لا تتطرق إليه الشبه ، بحيث لا يمـكن أن يتورط فى مثل هذه الإحالة ، فيضع أبا تمام بين رجال اليتيمة .

وكذلك كنت مستيقناً منذ أول وهلة أن هذه النسبة إلى الرافعى لا يمـكن إلا أن تكون مدخولة ، وأنه قد أصابها — ولا ريب — نوع من أنواع التزوير ، أو فسرت على لون من ألوان التحريف والتحوير ... ومعذرة إلى سيدى الأستاذ — غفر الله لنا وله — فالذى استثمرته سلفاً حققته المراجعة ، وها هوذا نص الرافعى — كما جاء فى كتابه تاريخ آداب العرب — :

« وقد انتقد كتاب الحماسة حمزة بن الحسين ، فزعم أن فيه تـكريراً وتصحيفاً وإيطاء وإقواء ، ونقلا لأبيات عن أبوابها إلى أبواب لا تليق بها ، ولا تصلح لهـا ، إلى ما سوى ذلك من روايات مدخولة ، وأمور عليلة » .

هذا هو كلام الرافعى بنصه عن حماسة أبى تمام ، وقد صدر به عن رسالة لأبى الحسين أحمد بن فارس ، أوردها صاحب اليتيمة فى سياق ترجمته له بين رجال « الجبل » ، فليت شعرى كيف استطاع الأستاذ الفاضل أن يفهم من هذا النص ما قرره من أن صاحب اليتيمة هو الذى لاحظ على أبى تمام أنه « يخرج الأبيات فى كثير من الأحيان عن أبوابها إلى أبواب لا تليق بها » ؟

كيف جاز هذا الفهم فى نص صريح مستقيم هين قريب ، لا عوج فيه ولا غرابة ولا تعقيد ، إلا أن تبطل العلاقة بين اللفظ

والمعنى ، وتنقطع الصلة بين الدال والمدلول ، وتصبح اللغة عبثاً وباطلا ، أو هذياناً لا مؤدى له ؟ ليس فى هذا النص إشارة ما إلى صاحب اليتيمة ، فمن أين جاء به ؟

هذا هو الأمر الذى يغمرنى بالحيرة من جميع جوانبى ، إذ لا أستطيع أن أجد له تعليلا ، أو أنفذ فيه إلى تأويل ، مهما ساء ظنى بالقيم الجامعية الجديدة فى هذه السنوات الأخيرة ، منذ وقعت فى ذلك الكتاب على تلك الأبيات التى عرضت لها فى (الرسالة) من قبل[1] ، وعرفت بها كيف يفهم الشعر القديم فى هذه الأيام ، وكيف تدرس النصوص الأدبية فى بعض حلقات الجامعة !

ولكن الأمر لم يعد — فيما يبدو — قاصراً على النصوص الأدبية التى تحتاج في درسها إلى ألوان من الثقافة مختلفة ، فقد أصبحت النصوص التقريرية أيضاً موضع خلط فى فهمها والاستدلال بها ، فهل فى هذا النص الذى بين أيدينا أية علاقة أو شبه علاقة بينه وبين ما فهمه الأستاذ منه ونسبه إليه ؟ لا شىء من ذلك مطلقاً ، إلا أن يكون قد خيل للأستاذ الفاضل أن حمزة بن الحسين المذكور فى النص هو صاحب اليتيمة . ونعوذ بالله ونبرأ إليه أن يذهب بنا التشاؤم وإساءة الظن إلى هذه الغاية المنكرة !

فهذه سلسلة من الأخطاء يأخذ بعضها برقاب بعض فى نقطة واحدة بعينها لم نتجاوزها إلى غيرها ، وكلها أخطاء غليظة فاحشة تبعث الفزع وتثير الرعب من هذا المنحدر السحيق الذى يبدو لنا — من خلال هذه النظرات — أن القيم الجامعية التى ظلت الجامعة زماناً حفية بها ، حريصة عليها ، قد أخذت تتهاوى فيه ، ويوشك أن تتردى فى قاعه ، إلا أن يقيض الله — جلت قدرته — للجامعة من يستطيع أن يعصمها ويحيد بها عن ذلك المصير المزعج المشؤوم ! !

***

وبعد ، فما نريد أن ندع هذا الفصل قبل أن نبين للقارئ كيف كان أبو تمام — فى نظر الدكتور الفاضل — يخرج الأبيات عن أبوابها إلى أبواب لا تليق بها ، وهى الدعوى التى ادعاها حمزة بن الحسين فى القرن الرابع ، وأخذها عنه صاحبنا فى القرن الرابع عشر ، ثم أبى إلا أن يوجهها ويستشهد لها ، ليكون أحق بها وأجدر أن يتبناها ، أو ليهتف مع الشاعر :

كم ترك الأول للآخر ؟

وسنكتفى هنا بأن نورد شاهداً واحداً من الشواهد التى ساقها تقريراً لتلك الدعوى ، لنتبين مبلغ ما أتيح له ووفق إليه فى سبيل تبنيها ، ونتعرف قيمة تصدى مثله فى العلماء ، لمثل أبى تمام فى الشعراء ، نقداً له ، وتسفيهاً لصنيعه . ولعلنا نستطيع أن نرى فى خلال ذلك مدى فهم الشعر فى صورته الجملة ، بعد أن رأينا ، فى ذلك الفصل ، مدى فهمه له فى صورته المفصلة :

عقد أبو تمام فى حماسته باباً سماه باب « الأضياف والمديح » ، وقد اعترض أستاذنا الفاضل على عقد هذا الباب بقوله : « أما باب الأضياف والمديح ، فهو لا يصلح أن يكون قسما من أقسام الشعر أصلا ، لأن تفريقه على الأقسام الأخرى ممكن ، فمعظمه يدخل فى الفخر فهو حماسة ... وبعض هذا الباب يدخل فى الهجاء ... »

وهذا اعتراض — كما يرى القارئ — متهافت لا قيمة له ، إذ كان تصنيف الشعر أمراً اعتبارياً وليس من قبيل التقسيم العقلى .

على أن هذا لا يعنينا الآن ، وإنما نحن بصدد استشهاده لدعوى الخلط فى أبواب الشعر ، وقد أورد فى عقب تلك العبارة التى اعترض بها طائفة من الأمثلة ، مما أخطأ — عنده — فيه أبو تمام — وأى خطأ ! — فجعلها من هذا الباب ، باب الأضياف والمديح ، وحقها عنده أن تكون فى باب الهجاء . فخطأ أبى تمام هنا إذن لا سبيل إلى اغتفاره أو تمحل العلل له ، إذ هو خطأ — لو صح — غليظ كل الغلظ ، شنيع غاية الشناعة ، جدير أن يمحو اسمه من ديوان الأدباء والمتأدبين ، بل جدير أن ينأى به عن خواص العامة ، والمثقفين منهم أدنى ثقافة ، أو الذين يملكون منهم قدراً يسيراً من الذوق والإدراك الأدبى ، ليلحقه بالعامة الحفاة الأغدام الذين لا يفرقون بين ما هو مديح وما هو هجاء !

فالاتهام — كما نرى — خطير غاية الخطورة ، وبقدر خطورته هذه يحتاج مع الجرأة — وهى موفورة جداً عند صاحبنا فيما يبدو — إلى بذل غاية الجهد فى تأييده والتدليل عليه والاستشهاد له ، والتبسط فى ذلك ، وتحليل الشواهد تحليلا تسطع فيه الحجة ، وتمتلخ به الشبهة . ولكن الدكتور لم يلبث — بعد أن كان

(١) العدد ٨٣٤ (٢٧ يونية ١٩٤٩) .

يتشدق بالتهمة ويرفع بها عقيرته — أن انكمش وتضاءل في بسطها وبيانها وتأييدها وتوجيهها ، فاكتفى من ذلك كله بالإشارة العاجلة المسرفة في العجلة ، إلى بعض الشواهد التي اعتبرها حجة له ، بإيراد مطالعها وحسب ، ودون بيان لموضع الحجة فيها .

وها هو ذا أحد هذه الشواهد ، نورده كاملا عن ديوان الحماسة ، لنتبين فيه مبلغ المطابقة بين الدعوى والدليل ، وقد زعم الدكتور أنه مما يدخل في الهجاء ، وهو من شعر حطائط بن يعفر:

تقول ابنة العبّاب رُهْم : حربتنا حطائط ، لم تترك لنفسك مقعدا
إذا ما أفدنا صرمة بعد هجمة تكون عليها كابن عمك: أسودا
فقلت، ولم أعي الجواب، تبيني: أكان الهزال حتف زيد وأربدا
أريني جواداً مات هزلا لعلني أرى ما ترين أو بخيلا مخلّدا

وليت شعري أين رائحة الهجاء هنا ؟ ليتني أستطيع أن أدرك مهب هذه الرائحة التي زكمت أنف الأستاذ الفاضل ، فجملته يراها هجاء صريحا برغم أنف أبي تمـام ، بل برغم أنف كل من يقرأ الشعر ويلم به أدنى إلمام .

ألا ليت من يدلني على لمحة خفيفة من الهجاء في هذه الأبيات ، أم لعلها كلمة « أسود » (ويعني الشاعر بها أسود بن يعفر النهشلي) هي التي غامت في عين الأستاذ واحلولكت ، فغمرت جو الأبيات بالسواد ، وإن يكن لون المديح أبيض فلون الهجاء لا شك أسود ، وكذلك أخطأ أبو تمام — عفا الله عنه — فأقحم في المديح هذه الأبيات السوداء ، وقد غفل عن أن السواد لون الهجاء !

أستغفر الله وأتوب إليه !

هذا الشاهد وحده — وسائر الشواهد مثله في مبلغ المطابقة بينها وبين الدعوى — يبين لنا بياناً صريحاً قاطعاً مبلغ وفاء الأستاذ بما أخذه على عاتقه وأراد أن يبذ به الأوائل والأواخر من الاحتجاج لتلك الدعوى ، وتعزيز ذلك الاتهام الخطير ضد أبي تمام .

لقـد كنا نرقب أن نرى وجهاً جديداً من وجوه المعركة القديمة بين العلماء والشعراء ، فإذا بنا أمام مهزلة تملأ النفس خجلا وتغمرنا معشر أهل العلم بمعاني الخزي والاستخذاء ! !

ومن حقنا وحق كل قارئ أن يتساءل : إذا كان هذا مبلغ فهم صاحب كتاب « الهجاء والهجاءون » لشعر الهجاء ، على النحو الذي رأينا — فيما يزعم — لهذه القطعة من صفة هجائية ، فما عسى أن يكون الظن بكتاب يضمه في هذا الفن ، ويريد أن يؤرخ به له ، ولا بد أن يعتمد — أول ما يعتمد بطبيعة الحال — على ما أثر في الأدب العربي من شعر هجائي ليكون مادة بحثه ؟

وبعد ، فهل لنا أن نعتبر هذا مثلا من أمثلة الدرس الأدبي الجامعي في هذه السنوات الأخيرة ؟

وهل لمؤرخي الحياة الجامعية في مصر أن يروا في هذا الكتاب وثيقة تبين بعض مسالك هذه الحياة في هذه الأيام ؟

وددت والله ألا يكون الأمر كذلك ، وأن يكون مثل هذا الكتاب شذوذاً لا يؤخذ به ، وفلتة لا تدل على الحالة العامة ، فإنه ليحزنني أشد الحزن ويأخذ بأكظام قلبي أن تتكشف الحياة الجامعية أخيراً عن مثل هذا الاستخفاف ، وأن ينفرج الرداء الجامعي عن مثل هذا الخزي !

« أبو عيان »

فلســـفة المعتزلة

للدكتور ألبير نصرى نادر

إن المعتزلة يمثلون سلسلة من المفكرين المسلمين تبدأ بواصل ابن عطاء المتوفى سنة ١٣١ هـ أى ٧٤٨ م وتمتد إلى أبى هاشم بن الجبائى المتوفى سنة ٣٢١ هـ أى ٩٣٣ م وهو أستاذ أبى الحسن الأشعرى رأس الأشاعرة .

بعد الأبحاث التى قام بها الغربيون والشرقيون ، وبعد ما كُتب عن المعتزلة بقى أن نبين طريقتهم الفلسفية وأن نستخرج الأصول التى بنيت عليها . هذا ما حاولنا أن نفعله فى الرسالة الكبرى التى تقدمنا بها إلى حضرات أساتذة جامعة السربون بباريس وعنوانها فلسفة المعتزلة .

الأصل الأول والعام لهذه الفرقة التى توصلنا إليه بعد كل ما طالعناه من مراجع ، هو أن العقل البشرى عند ما يكتمل نضوجه يمكنه أن يتوصل إلى معرفة الحقائق الكبرى الأول وهى:
أولا : أن وجود العالم يدل حتما على وجود كائن أسمى متعال منح العالم هذا الوجود .

ثانيا : أن الإنسان يفعل حرا وهو مسئول عن أعماله محاسب عليها .

لذلك قسمنا الرسالة إلى قسمين كبيرين : أحدهما خاص بالتوحيد وما يتعلق به من مسألة الخلق ، والآخر خاص بالحرية عند الإنسان وما يتوقف عليها .

فى القسم الأول بينا أن المعتزلة لا تقول بأى مشابهة أو تمثيل بين الله والعالم من جهة ، ومن جهة أخرى هم يقولون بالمذهب الوجودى ، فلا نعرف عن الله سوى حقيقة واحدة هو أنه موجود ، ولكن ماهيته لا يمكننا إدراكها لأنه غير متناهٍ ونحن متناهون . ثم إن ماهيته هى علمه وقدرته وإرادته . وإذا ما تكلمنا عن صفاته تعالى فهذه الصفات لا توجد حقيقة فيه بل هى اعتبارات ذهنية نلجأ إليها لضعف عقلنا . ونتيجة لمنع المشابهة بين الله والعالم المخلوق قالت المعتزلة إن الله لم يخلق ماهية العالم بل إنه وهب الوجود فقط لماهية كانت فى حالة العدم . وحسب قولهم هذا يصبح المعدوم شيئاً وذاتاً وعيناً ينقصها الوجود فقط . وهذه نتيجة منطقية لقولهم بالمذهب الوجودى ومؤداه أن لكل فكرة مقابل فى الحقيقة . ففكرة المعدوم تقابلها حقيقة .

ذهبت المعتزلة إلى هذه النتيجة لأنهم كانوا يريدون أن يصونوا فكرة التوحيد من كل شرك ومن كل مذهب حلولى ؛ وهم يفتخرون بأنهم أهل توحيد — وقولهم إن العالم لا يستمد ماهيته من الله بل يستمد منه وجوده فقط يدلنا على أنهم تأثروا بعض التأثر بالفلسفة الأريسطوطالية ولا سيما فيما يختص بفكرة الهيولى ، وهى عند أريسطو المادة الأولى التى لا صورة لها والتى يقول عنها إنها قديمة وأنها الماهية الأولى للعالم . وفى هذه المناسبة نقول إن القسط الأكبر من مؤلفات الفلاسفة والطبيعيين اليونانيين ترجمت إلى السريانية والعربية فى عهد المعتزلة ؛ ويكفينا أن نذكر « دار الحكمة » فى عهد الخليفة المأمون وعلى رأسه حنين بن إسحق .

إن المعتزلة متفقون على تفسير خلق العالم هذا التفسير وهو أصل أساسى فى مذهبهم ؛ ولكن هناك مسائل تعد ثانوية فى نظرهم تختلف آراؤهم فيها . إذ بينما نرى مثلا أبا الهذيل العلاف يقول بالجوهر الفرد أى الذرة ، نجد النظام يقول إنه لا جزء وإن تقسيمه جائز ولو بالوهم . وبناء على هذا القول كان النظام أول من قال بالطفرة فى الفلسفة الإسلامية ؛ ومعناها أن الجسم يمكنه أن يعبر من مكان أول إلى مكان ثالث أو رابع بينهما أجزاء غير متناهية فى القسمة وذلك بأن يطفر من الأول إلى الثالث أو الرابع .

الأصل الثانى فى فلسفة المعتزلة هو الحرية عند الإنسان . فهم يقولون إن العقل عند ما يكتمل نضوجه يمكنه أن يصل إلى إدراك الحقائق الأولى التى يسترشد بها الإنسان فى أعماله ، وذلك قبل أى تنزيل . ثم إن الإنسان حر أن يعمل بمقتضاها أو لا . فإذاً معرفة الخير والشر وما يترتب عن الأعمال من مسئولية وجزاء كلها مسائل يدركها العقل المكتمل . وإذا ما جاء تنزيل فلا يجوز أن يناقض ما يدركه العقل فى هذا المضمار بل يجب أن يقويه ويتممه .

جزأنا هذا الأصل أيضاً جزءين : أحدهما خاص بعلم النفس — وكلام المعتزلة فى دراسة النفس هو البرهنة على حرية الإنسان

فى عمله ؛ وهم يردون بكل حماس على الجبرية ؛ فللعقل فى مذهبهم دور أخلاقى مهم يقوم به وهو التمييز بين ما هو خير وما هو شر بواسطة النظر . والجزء الثانى خصصناه للمسألة الأخلاقية . إنهم يقولون إن الخير خير فى ذاته ، وأن الشر شر فى ذاته ، وليس بموجب إرادة خارجية حتى ولو كانت إرادة إلهية . هذه النظرية سيكون لها أهميتها عند دانس سكوت والقديس توما الأكوينى فى القرن الثالث عشر ، ورأى المعتزلة فيها هو رأى توماوى قبل القديس توما بحوالى ثلاثة قرون .

عندما يصل العقل إلى معرفة الشريعة يكون الإنسان حراً أن يفعل بمقتضاها أو لا يفعل . فحينئذ تظهر مسألة المعاصى والفسق ؛ ولكن المعتزلة لا يبدون حكما على الظواهر (أى أعمال الإنسان الخارجية) لأنها لا تدل على ما تكنه القلوب ؛ لذلك يلزمون التحفظ فى الحكم على أعمال الغير .

ولما كان الإنسان يأتى المعصية حراً فيمكنه أيضاً أن يتوب منها . ولكن المعتزلة يضعون شروطاً للتوبة حتى تكون مقبولة . فيقولون إنها لا تجوز إلا إذا ندم الإنسان على فعله وعزم على أن لا يأتى بمثله . ولكن ألا يمكن أن يتدارك الله الفاسق بلطف ويساعده حتى يصبح مؤمناً ؟ إنها لمسألة دقيقة ولكن المعتزلة قالت : إذا وهب الله ذا الكبيرة أى الفاسق لطفاً من عنده ليؤمن جاز أن تقول أنه يهيء كفراً للمؤمن ليصبح كافراً . ويزيدون على ذلك قائلين إن من آمن حراً فضله أكبر من فضل الذى وُهب لطفاً ليؤمن . ومع ذلك لا ينكرون أن الله يهب أحياناً لطفه لبعض الناس ليؤمنوا ولكنها حالات شاذة .

بقى أخيراً مسألة الجزاء . فإن المعاصى تجلب حتما العقاب ؛ كما أن العمل الحسن يجلب حتما الثواب . والعقل يدل على ذلك ويطلبه . ولكن فى هذا العالم لا يوجد تكافؤ بين الأعمال وجزائها أو عقابها فيجب أن يصير هذا التكافؤ فى عالم آخر . وعليه فالجنة والنار لازمتان .

فها نحن أولاء بصدد فلسفة كاملة شاملة متماسكة الأجزاء :

النقطة الأولى : الله متميز تمام التميز عن العالم — ليس بينه وبين العالم أى مشابهة أو تمثيل .

العالم كان فى حالة عدم — العالم لا يستمد من الله إلا الوجود

النقطة الثانية : المسألة الأخلاقية - فى عالم خاضع لقوانين ثابتة لا يمكنه رد نظرية الجبر وجعل الإنسان مسئولاً عن أعماله إلا إذا كان حائزاً على ملكة خاصة تمكنه من تمييز الخير من الشر كما يجب أن يكون حراً فى قصده وعمله .

لذلك سميت المعتزلة أهل توحيد وأهل عدل .

هذا المجهود الفكرى مدة قرنين متتاليين فتح الطريق للفكر الإسلامى . وأثر المعتزلة سيكون بيناً واضحاً عند الفلاسفة المسلمين المعاصرين أو اللاحقين لهم مثل الكندى والأشعرى .

لذلك سميناهم فلاسفة الإسلام الأسبقين .

البير نصري نادر
دكتور فى الآداب والفلسفة

حول بيتين للخطيل بن أوس

للأستاذ الســـيد مصطفى غازى

عرض الأستاذ (أبو حيان) فى العدد ٨٣٤ من مجلة الرسالة الغراء مثلا من فهم الشعر القديم فى كتاب «الهجاء والهجاءون» للدكتور (م . محمد حسين) . وكان مدار الحديث حول بيتين للخطيل بن أوس هما :

فدى لبنى ذُبيان رَحلى وناقتى عشية يحدى بالرماح أبو بكر
ولـكن يدهدى بالرجال فهبنه إلى قدر ما إن تقيم ولا تسرى

قالها الخطيل فى حركة الردة ، وأوردهما الدكتور فى مستهل حديثه عن نشأة الأحزاب السياسية فى المجلد الثانى من كتابه .

وقد أحس الأستاذ أبو حيان (بالحسرة تلذع قلبه) وهو يقرأ هذين البيتين مضبوطين بهذا الضبط، مرويين على هذا النحو، وهاله أن يتجاوز الدكتور البيت الأول فلا يعلق عليه بشرح أو تفسير أو تحرير . وإلا فـكيف مر بكلمة « يحدى » دون أن يحس فى البيت إشكالا ؟ كيف يحدى أبو بكر بالرماح والحادى من يحدو الإبل بغنائه فتنساق خلفه وتطرد وراء حدائه ؟ كيف يمكن أن تـكون الصورة حين تأتى الرماح فى موضع الحداء ؟ ... إن الأمر — فى رأى الأستاذ أبى حيان — أيسر من هذا العناء . فالدال فى « يحدى » إنما هى ذال معجمة ذهب إعجامها . والعبارة فى البيت الأول إنمـا هى « عشية يحذى بالرماح أبو بكر » بمعنى يطعن ويمزق جسده ، كما هو الأصل فى معنى هـذا وأخواتها ، كحذ وحذق وحذف وحزم .

ثم انتقل الأستاذ أبو حيان إلى البيت الثانى (فأفزعه أشد الفزع) أن يعلق المؤلف عليه ، شارحاً له ، بقوله : « دهديت الحجر فتدهدى دحرجت . هبنه كذلك هى بالنص . لعلها من أهاب الإبل والخيل إذا زجرها قائلا: هاب ؛ هاب فيكون المقصود أن هؤلاء الرجال يزجرون أبا بكر وجيوشه ويدفعونهم إلى قدرهم وحينهم » وهاله أن يروى الدكتور «يدهدى» بصيغة المبنى للمفعول ، وأن يجمد عند « فهبنه » فيتعسف فى تأويلها هـذا التعسف . وإلا فـكيف يمكن أن تـكون « هبنه » معدولة عما ينبغى أن تـكون عليه باعتبارها من « أهاب » ؟ ومن هم هؤلاء الرجال الذين يزجرون أبا بكر وجيوشه ؟ أهم رجال أبى بكر يريدهم أن يزجروا أنفسهم ؟ أم هم بنو ذبيان يجعلهم يتدحرجون كما تتدحرج الحجارة ؟ ... إن الأمر فى هذا البيت شبيه — فى رأى الأستاذ أبى حيان — بالأمر فى البيت الأول ؛ تصحيف يسير قريب ولـكنه أدى إلى ذلك الخلط العجيب . فليست كلمة « فهبنه » المؤلفة من فاء عطف لا يدرى ماذا تعطفه وماذا تعطف عليه ، وفعل لا يعرف من أى أصـل هو ، ونون نسوة لا موضع لها ، وضمير غيبة لا مرجع له — ليست هـذه الـكلمة أو الجملة إلا تصحيفاً قريباً لـكلمة واحدة ، هى كلمة « مهينة » من الهوان وبذلك يكون البيت .

ولـكن يدهدى بالرجال مهينة إلى قدر ما إن تقيم ولا تسرى

ويدهدى بصيغة المبنى للفاعل لا المبنى للمفعول ، والفاعل هو أبو بكر ، وبذلك يستقيم البيت ويطرد المعنى ، دون تحد للنحو أو معاندة للصرف أو معارضة المنطق .

ويبدو لنا أن الأستاذ أبا حيان قد أعجلته الرغبة فى النقد ، وشغله الاهتمام بالتجريح واللمز ، عن أن يرجع إلى المصدر الذى نقل عنه المؤلف بيتى الخطيل . ولو أنه رجع إلى الطبرى فى تاريخه واصطنع التحقيق والتدقيق فى بحثه ، لأفاد من فهم الظروف التى لابست هذين البيتين ، ولاطمأن إلى « يحدى » فى البيت الأول كما اطمأن المؤلف ، ولم يجزم هذا الجزم العجيب بأن الدال إنما هى ذال معجمة ذهب إعجامها . فقد روى الطبرى فى تاريخه أن بعض المرتدة ، وفيهم نفر من ذبيان أعدوا العدة للاغارة على المدينة ليلا بعد أن خلفوا بعض رجالهم فى ذى حى ليكونوا لهم رداً . فأسرع أبو بكر للقائهم « وخرج فى أهل المسجد على النواضح إليهم ، فأنفس العدو ، فأتبعهم المسلمون على إبلهم حتى بلغوا ذا حى ، فخرج عليهم الرده بأنحاء(١) قد نفخوها وجعلوا فيها الحبال ، ثم دهدهوها بأرجلهم فى وجوه الإبل ، فتدهده كل نحى فى طِوَله(٢) ، فنفرت إبل المسلمين وهم عليها — ولا تنفر من شىء نفارها من الأنحـاء — فعاجت بهم ما يملـكونها حتى دخلت بهم المدينة ، فلم يصرع مسلم ولم يرهب . فقال فى ذلك

(١) جمع نحى وهو الزق أو ما كان للسمن خاصة .
(٢) الطول — كالطيل — حبل يشد به قائمة الدابة

الحطيل بن أوس أخو الحطيئة بن أوس ... الأبيات[١] » اه . فأبو بكر ورجاله قد عادوا إلى المدينة إذن دون أن يصيب أحدهم مكروه (فلم يصرع مسلم ولم يصب) ، ولم يطمن أبو بكر أو يمزق جسده كما أراد الأستاذ أبو حيان أن يفرض ذلك علينا فرضاً . وعلى ذلك فلا محل للجزم بأن الدال فى « يحدى » إنما هى ذال معجمة ذهب إعجامها . ولا غرابة بعد ذلك فى أن « يحدى » أبو بكر بالرماح ، وأن يساق بها سوقاً كما تساق الإبل بالحداء . فالاستعارة فى ذلك مألوفة مأنوسة ، واستعمال الحداء هنا على سبيل التهكم كاستعمال القرى فى معرض التنديد بالقتل ، وكاستعمال البشرى فى معرض التهديد بالعذاب .

ولو أن الأستاذ أبا حيان رجع إلى نص الطبرى ، ولم تعجله الرغبة فى النقد والتجريح ، لعدل عما انزلق إليه فى البيت الثانى من تأويل . فالطبرى يحدثنا بأن المرتدة هم الذين دهدهوا الأنحاء فى وجه أبى بكر ، وأن أبا بكر هو الذى دهده بهـذه الأنحاء ، دهدهه بها الرجال ، رجال بنى ذبيان فيمن معهم من المرتدين . وعلى ذلك فالقصة كما رواها الطبرى تقتضى أن يكون « يدهدى » بصيغة المبنى للمفعول لا المبنى للفاعل . وإذاً فلا محل للجزم بأن الفعل مبنى للفاعل ، وأن الفاعل أبو بكر ، وأن المقصود بالرجال هنا المرتدة من بنى ذبيان . وليس ببعيد أن تكون « فهبنه » التى تشكك المؤلف فى أمرها قائلا : (كذلك هى بالنص) والتى حاول تأويلها قائلا : (لعلها من أهاب الإبل والخيل إذا زجرها قائلا هاب هاب) — ليس ببعيد أن تكون هذه الكلمة من « الهاب » وهو زجر الإبل عند سوقها فقد جاء فى لسان العرب فى مادة (هـ ى ب) : « والهاب : زجر الإبل ، عند السوق ... وأما الإهابة : فالصوت بالإبل ودعاؤها » . فالهـاب إذن زجر الإبل وتنفيرها ، والإهابة دعاؤها وجمعها . والهاب — كما لا يخفى على الأستاذ أبى حيان — مصدر من الفعل الثلاثى . فأى غرابة فى أن يكون الثلاثى من هذه المـادة مستعملا ؟ وكيف تكون (هاب) بعد ذلك مجهولة الأصل والمصدر منها موجود فى معاجم اللغة ؟ أما عن ضمير الغيبة فى (فهبنه) فرجعه أبو بكر فى البيت الأول . والفـاء تعطف « هاب » على « يدهدى » . ويدهدى فعل مضارع ، ولـكنه يدل على المضى هنا ، وإنما عدل به عن المضارع لاستحضار صورة الحادث فكأنه يقع الآن أمام أعيننا . والأمثلة على ذلك كثيرة نكتفى منها بما ورد فى السيرة : « فيأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حفنة من تراب البطحاء فضرب بها وجه إياس بن معاذ »[١] . وإذا كان استعمال نون النسوة هنا غريباً ، فليس هناك ما يقطع بأن الشاعر القديم لم يقصد إلى استعمالها قصداً . وما أكثر ما كان الشاعر القديم يخرج على قوانين النحو والصرف ليقيم شعره ! وما أكثر ما كان يخرج على هـذه القوانين نتيجة السهو والخطأ . فإذا أخذنا بعد ذلك رواية الشطر الثانى من البيت (إلى قدر ، ما إن يقيم ولا يسرى) — وهى رواية أوردها ناشر تاريخ الطبرى فى حاشية الـكتاب[٢] إذا أخذنا بهذه الرواية ، فقد استقام البيت واطرد المعنى ، إذ أن عبارة (ما إن يقيم ولا يسرى) تعود بذلك إلى أبى بكر مصورة حاله حين عاد إلى المدينة مضطرباً مفزعاً قد أخذت منه الحيرة والفاجأة كل مأخذ . وعلى ذلك تـكون قراءة البيت :

ولـكن يدهدى بالرجال فهبنه ... إلى قدر ، ما إن يقيم ولا يسرى

أى أن رجال بنى ذبيان يدهدهون أبا بكر بالزقاق ، فيزجرونه إلى قدره وقضائه ، وقد سدت فى وجهه المسالك ، وأعيته الحيلة وأخذت منه الحيرة ، ونالت منه الفاجأة ، فهو لا يقيم ولا يسرى ذلك — فيما نرى — أدنى إلى سياق القصة ، وأقرب إلى روح العلم ، وما ينبغى لطالب من الأمانة فى التدقيق ، ومن البعد عن البت والجزم حين تحتمل المسائل أكثر من وجه . ولعل الأستاذ أباحيان واجد فى كلمتنا هذه مايشيع الرضا فى قلبه فلا يحس (بالحسرة تلذعه) ، وما بعيد الطمأنينة إلى نفسه فلا يعود (يشكو إلى الله) أن يتهجم الجامعيون على الشعر القديم فيما يعرضون له من بحوث .

السيد مصطفى غازى
ليسانس فى الآداب من جامعة فاروق الأول

(١) تاريخ الرسل والملوك للطبرى ط لندن جـ ٤ ص١٨٧٤ ، ١٨٧٥

(١) السيرة النبوية لابن هشام ط الحلبي حـ ٢ ص ٦٩

(٢) تاريخ الرسل والملوك للطبرى ط ليدن حـ ٤ ص ١٨٧٥

من ظرفاء العصر العباسى :

أبو دلامــــة ! ...

توفي سنة ١٦١ هـ

للأستاذ صبحى إبراهيم الصالح

— ٢ —

وحين ندرس نفسية هذا الظريف من خلال قصصه ونوادره — وهى غاية ما وصل إلى أيدينا من حياته — سنضطر إلى ذكر بعض مداعباته لنستدل بها على شىء مما نراه . ومن تلك المداعبات التى نشير بهـا إلى ماكان من انسجام بين أبى دلامة وزوجته اشترا كهما فى خداع المهدى وزوجته الخيزران : فقد دخل أبو دلامة يوماً على المهدى وهو يبكى . فقال له مالك ؟ قال : ماتت أم دلامة ، وأنشده فيها :

وكنا كزوج من قطاً فى مفازة لدى خفض عيش ناعم مؤنق رغد
فأفردنى ريب الزمان بصرفه ولم أر شيئاً قط أوحش من فرد !

فأمر له بثياب وطيب ودنانير ، وخرج . فدخلت أم دلامة على الخيزران فأعلمتها أن أبا دلامة قد مات فأعطتها مثل ذلك ، فلما التقى المهدى والخيزران عرفا حيلتهما فجعلا يضحكان لذلك ويعجبان منه[1] .

ومثل هذا الاشتراك فى الخداع الذى كان يمضى طليقاً حتى يصل إلى الخليفة وزوجته — يدل على تفاهم عميق بين الزوجين ، وعلى وحدة فى نظرتهما إلى الحياة ، فكأنهما يشرفان على العالم من منظار واحد فيه مرح النكتة ، ولطف الدعابة .

وهنا نرغب فى معرفة اسم هـذه المرأة الخبيثة — زوجة شاعرنا الظريف — فتضن به علينا المصادر كأنهـا لا ترى فى ذكره فائدة .

ونعلل هـذا — كما يبدو لنا — بأن أمثال هذا الظريف تروى فى كتب الأدب حياتهم للاشارة إلى جانب يستحق الدراسة فيهم وهو ظرفهم ومرحهم وسلاطة ألسنتهم ، وما بعد هذا الجانب فأمور نتعلق بأحـدهم من قريب أو بعيد كما تتعلق بآحاد الناس فلا تستأهل الدراسة ، ولا تستحق التسجيل .

لذلك سنمر — فى أثناء عرضنا لحياة أبى دلامة — مروراً رفيقاً بما يتصل بأسرته ، فنعلم أنه كان له أولاد غـير دلامة وأن فيهم بنتاً قبيحة ولـكننا لا نعرف أسماءهم ، ولا نحاول أن نعرف ما إذا كان له أخوة ، فقد سكتت عن هذا كله النصوص التى بين أيدينا . ولـكن الذى يجدر بنا أن نعرفه منزلة هذا الظريف لدى أبى العباس السفاح ، وأبى جعفر المنصور والمهدى أيام انقطع إلى مجالسهم ومنادمتهم .

ويبدو أنه كان رفيع المكانة لدى السفاح ، وأنه — للطف محله منه — كان ينال ما يشاء من المطالب ولا سيما إذا أحسن فى أسلوب الطلب : من ذلك أنه وقف يوماً بين يدى السفاح — فقال له : سلنى حاجتك . قال أبو دلامة : كلب أتصيد به . قال: أعطوه إياه. قال: ودابة أتصيد عليها. قال: أعطوه دابة. قال: وغلام يصيد بالكلب ويقوده . قال : أعطوه غلاماً . قال : وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه . قال : أعطوه جارية . قال : هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدك فلا بد لهم من دار يسكنونها . قال : أعطوه داراً تجمعهم . قال : فإن لم تـكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون ؟ قال : قد أعطيتك مائة جريب[1] عامرة ومائة جريب غامرة . قال: وما الغامرة ؟ قال : ما لا نبات فيه؟ فقال : قد أقطعتك أنا يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة من فيافى بنى أسد . فضحك وقال : اجعلوها كلها عامرة . قال : فأذن لى أن أقبل يدك . قال : أما هـذه فدعها . قال : والله ما منعت عيالى شيئاً أقل ضرراً عليهم منها[2] .

فانظر — فى هذه القصة — إلى مكانة أبى دلامة لدى السفاح ، تلك المـكانة التى تهيىء له أن يجاب له كل طلب بعد أن يصير عليه الخليفة فلا يسكته ؛ بل يتقبل جرأته ويثيبه عليها فيجزل ثوابه ؛ ثم انظر — كما قال الجاحظ — « إلى حذقه بالمسألة ولطفه فيها : ابتدأ بكلب فسهل القصة به ، وجعل يأتى بمـا يليه على ترتيب

(١) الأغانى ج ١٠ ص ٢٥٥ .

(١) الجريب من الأرض : ثلاثة آلاف وستمائة ذراع وقيل عشرة آلاف ذراع .

(٢) الأغانى ج ١٠ ص ٢٣٦

وفكاهة ، حتى نال مالو سأله بديهة لما وصل إليه ! »

وكما أحسن السفاح إلى أبى دلامة نجد الظريف مقيما على الوفاء له يمدحه فى كل مناسبة ويذكره بكل خير ، بل لقد أقام يذكر جميله حتى بعد موته ، فرثاه بأبيات كثيرة . ومما قاله فى قصيدته الهمزية :

وكنا بالخليفة قد عقدنا لواء الأمر فانتقض اللواء
فنحن رعية هلكت ضياعاً تسوق بنا إلى الفتن الرعاء

ولم يكتف بهذا ، بل إنه دخل على المنصور والناس عنده يعزونه فى السفاح فأنشأ يقول :

أمسيت بالأنبار يا ابن محمد لم تستطع عن عقرها تحويلا
ويلى عليك وويل أهلى كلهم ويلا وعولا فى الحياة طويلا
فلتبكين لك النساء بعبرة وليبكين لك الرجال عويلا
مات الندى [1] إذ مت يا ابن محمد فجعلته لك فى الثراء [2] عديلا
إنى سألت الناس بعدك كلهم فوجدت أسمح من سألت بخيلا [3]
ألشقوتى أخرت بعدك للتى تدع العزيز من الرجال ذليلا
فلأحلفن يمين حق برة بالله ما أعطيت بعدك سولا [4]

فلما سمع الناس هذه الأبيات بكوا . فغضب المنصور غضباً شديداً وقال : لئن سمعتك تنشد هذه القصيدة لأقطعن لسانك .

فقال أبو دلامة : يا أمير المؤمنين إن أبا العباس أمير المؤمنين كان لى مكرماً وهو الذى جاء بى من البدو كما جاء الله بأخوة يوسف إليه ، فقل كما قال يوسف لإخوته : (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) فسرى عن المنصور وقال : قد أقلناك يا أبا دلامة ، فسل حاجتك . فقال : يا أمير المؤمنين ، قد كان أبو العباس أمر لى بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوباً وهو مريض ولم أقبضها . فقال المنصور : ومن يعرف هذا ؟ فقال : هؤلاء ، وأشار إلى جماعة ممن حضر ، فوثب سليمان بن مجالد وأبو الجهم فقالا : صدق أبو دلامة ، نحن نعلم ذلك . فقال المنصور لأبى أيوب الخازن وهو مغيظ : يا سليمان ادفعها إليه [1] .

ولو لم يكن السفاح يكثر العطاء والصلة لأبى دلامة مقرباً إياه على سواه لما مدحه الشاعر هذا المدح العظيم ، ولما رثاه أمام المنصور ذاك الرثاء البليغ ، ولما بقى مقيما على الوفاء له . ويظهر أن لحذق أبى دلامة فى المسألة ومهارته فى إظهار حاجته ولباقته فى طلب ما يريد — أكبر الأثر فى رغبة الخلفاء العباسيين بوصله ولا سيما المنصور الذى اشتهر ببخله ، ومع ذلك «لم يصل إلى أحد من الشعراء ما وصل إلى أبى دلامة منه خاصة» كما قال صاحب الأغانى [2] .

وحسبك أن تعلم أن أبا دلامة دخل على المنصور يوماً فأنشده :

أما ورب العاديات ضبحا [3] حقاً ورب الموريات قدحا
إن المغيرات على صبحا والناكئات [4] من فؤادى قرحا
عشر ليال بينهن ضبحا [5] يجعلن مالى كل عام صبحا ...

فقال له أبو جعفر : وكم تذبح يا أبا دلامة ؟ قال : أربعاً وعشرين شاة . ففرض له على كل هاشمى أربعة وعشرين ديناراً ، فكان يأخذها منهم ، فأتى العباس بن محمد [6] فى عشر الأضحى يتنجزها . فقال : يا أبا دلامة ، أليس قد مات أبوك ؟ قال بلى . قال : انقصوه دينارين . قال : أصلح الله الأمير لا تفعل ، فإنه ترك على ولدين . فأبى إلا ينقصه . فخرج وهو يقول :

أخطاك ما كنت ترجوه وتأمله فاغسل يديك من العباس باليأس
واغسل يديك بأشنان [7] فأنقهما مما تؤمل من معروف عباس
جزاك ربك يا عباس عن فرج جنات عدن وعنى جرزتى [8] آس

فبلغ ذلك أبا جعفر فضحك ، واغتاظ على العباس ، وأمره

(1) وفى رواية : هلك الندى إذ مت .
(2) الثراء : لغة فى الثرى (3) وروى هذا البيت برواية أخرى :
ولقد سألت الناس بعدك كلهم فوجدت أكرم من سألت بخيلا
(4) السول (بهمزة وبغيرها) ما سألته . ويروى أول البيت أيضاً : ولقد حلفت ...

(1) الأغانى ج ١٠ ص ٢٤٠
(2) الأغانى ج ١٠ ص ٢٣٥
(3) الضبح : صوت أنفاس الخيل إذا عدت ليس بصهيل ولا حمحمة
(4) نكأ القرح : قشره قبل أن يبرأ فيندى
(5) هكذا وجدنا فى الرواية ، وفى أخرى (صبحا) والمعنى غير واضح فيهما (6) كان هذا الرجل مشهوراً بالبخل
(7) الأشنان (بالضم) حمض تغسل به الأيدى
(8) الجرز : الحزمة

بأن يبعث إليه بأربعة وعشرين ديناراً أخرى[1] .

فرجل يفرض له المنصور عطاء على كل هاشمي لا بد أن يكون محبوباً لديه ، مقرباً عنده . ولم لا يقرب المنصور أبا دلامـة وهو لا يستريح إلى منادمة أحد سـواه ، بل يضحك لدعابته فى أدق الظروف ؟

توفيت حمادة بنت عيسى وحضر المنصور جنازتها . فلما وقف على حفرتها قال لأبى دلامة : ما أعددت لهذه الحفرة ؟ قال : بنت عمك يا أمير المؤمنين حمادة بنت عيسى يجاء بها الساعة فتدفن فيها ! فضحك المنصور حتى غُلب فستر وجهه[2] .

وما أظنك إلا ضاحكا مع المنصور لو سمعت من أبى دلامة مثل هذا الجواب الذى يدل على بديهة حاضرة ، ونكتة سريعة ، لا يستطيع صاحبنا أن يغفلها حتى فى أحرج المواقف .

وبمثل هذه الطلاقة فى الرد والسهولة فى الجواب تستطيع أن تفرق بين نكتتين إحداهما متكلفة مصطنعة ، والأخرى صادرة عن طبع وملكة . وأنت نفسك إذا سمعت النكتة الباردة — أو التى يسمونها « بايخة » — رفضتها وضجرت من سماعها ونبا عنها ذوقك ، وإن أنت سمعت النكتة الموفقة المحكمة أدركت حلاوتها فضحكت لها من صميم قلبك ، لأنك تحس فيها روح الدعابة كما تحس فى الشعر الرفيع عبقرية الإلهام ، فتنتقل من عالمك الصغير المحدود ، إلى عالم الجمال والخلود !

(يتبع) صبحي إبراهيم الصالح

(١) الأغانى ج ١٠ ص ٢٥٦ وقيـل إن هذه القصة كانت مع على ابن صالح بن على

(٢) الأغانى ج ١٠ ص ٢٦٢

وداع مصر ...

للشاعر الكبير الأستاذ محمد على الحوماني

جددى يا مصر ... فينا الخيلاء   نُخِيف الأرض ونحتل السماء
« المعز » اختال فى كل حشاً   من بنيك الشوس ، عزا وإباء
منذ كان « النيل » كانت « مصره »   جنة تطفح بشراً ورواء
وعلى شطيه من كل فم ...   درة تضفى على الفجر الضياء

* * *

يا لمـــاء النيل ما أسمره !   فى شرايينك ناراً لا دماء
تنشدين المجد من عبقره   زاحفاً جيشاً ، وخفاقاً لواء
كل قرم قذفت « مصر » به   لم يخر عزما ولم ينكل مضاء
سل فلسطين به إذ رخصت   عندها الأنفس بيعاً وشراء
فى ســـبيل الحق من أمته   نبذ الفردوس واختار العراء

* * *

يا لمرأى النيـــل ، ما أروعه   تحت أفيائك صبحاً ومساء
يا لأفق النيـــل ما أحفله   بالمنى منك خـلوصاً وصفاء
بالوشى النيـــل ما أبهجه   فوق إعطائك ظـلا لا رداء
يا لصوت الفن ما أعذبه   فى فم النيـل خريراً لا غناء
كلمـــا أمعنت فى تحليله   هزنى العُجب وعفت الكيمياء
ذهب سال فأجنى ثمـــراً   لفظ الشمس ، ومج الكهرباء

* * *

بالمـــاء النيل . ما أنضره   فى وجوه الغيد ، لوناً لا طلاء
شـفق ذاب على كل فم ...   فجلا الـكأس وحيـّا الندماء
وبدا خلف المـــآقى حوراً   يرصد النجم ويصطاد الظباء
وعلى المعصم من كل يد   أفعواناً يتحدى السفهاء

* * *

هذه « مصر » وهـذا نيلها   خصنا الله بمـا شاءت وشاء
شرف من عهد « خوفو » لم يزل   يخلع الدهر عليه الـكبرياء
تقف الدنيا على أمجـــاده   فتغض الطرف أو تغضى حياء
وجمال يحـــلم « السين » به   فيرى « باريس » أن لا تتراءى
فاتها من « مصر » أفق لم تفت   أوجه الأقمارُ صيفاً وشتاء
وعلى ضاحية النيـــل رؤى   تذهـل الرائى أماماً ووراء

برد النزهة والمساء معاً | كتّل الخلق رجالا ونساء
فقبيل حال منهم بشراً | وقبيل لم يزل طيناً وماء
فبنات القصر يكرعن الطلا | وبنات الكوخ يشددن الوكاء
مشهد إن شئت أغواك وإن | شئت أشجاك بما سر وساء

بالماء النيل ، ما أعرقه !! | في الدم المصري ، حذقاً ودهاء
عالجوا الحكم فسادوا ساسة | ورعوا الفن فسادوا أدباء
وبنو الأزهر إذ فاءوا بنا | للهدى ، بروا فكانوا حنفاء
لغة القرآن عزت بهمو | فشوا فيها إلى الله ظماء
ينشدون الحق فيما كتبوا | أبعد الناس ، خداعاً ورياء
عهد الفن إلى أقلامهم | بأمانيه فكانوا أمناء
لا يريم الخلد عن ساحتهم ، | وعلى الأهرام ، باتوا خفراء

يا لماء النيل ، ما أحفله !! | بالدم الفائر خوفا ورجاء
يتقي الزائف فيما يتقي | ويرجى من بنيه الخلصاء
حكمة أفضت به عن كثب | أن يرى الداء ويختار الدواء
لم أجد في بلد أنظمة | قام أهلوه عليها حكماء
ورأيت النيل يحمى بلداً | سادت الحكمة فيه الرؤساء
رب شخص أو شخوص منيت | بهمُ مصر ، فكانوا دخلاء
بيد أن النيل لم ينبت على | ضفتيه شجراً يثمر داء

بالماء النيل ، ما أطهره | في الدم المصري عطفاً وإخاء
كن كما شئت ، ولكن مسلماً | عربياً ، تنل « النيل » جزاء
يحسب النازل فيهم أنه | وطني ووراهم غرباء
هكذا أعرق فيهم خلق | حال في الأعراق نبلا ووفاء
لم أقف منهم على غير يد | عطر الدنيا عفافاً وسخاء
أطفت في يد من لا طفها | وجفت في يد من أولى الجفاء

إيه : يا مصر ، على أي يد | لك عندي ، أبعث الشعر ثناء ؟؟
كم جديد حفل الغرب به | طبق الداعي له الأرض نداء
لم يسؤني منه إلا أسف | كلما خامرني زدت استياء
كل زهر نعمت عيني به | لم يهب روحي من العطر غذاء
وجمال صبت النفس له | لم أجد فيه من الروح شفاء
وغناء وعت الأذن به | لم يجد عنك به السمع غناء
ولدى أن همست روح الصبي | بين جنبيَّ تنسمت الهواء
وعرفت السر في الزهر الذي | وهب الصب له القلب وعاء
هو من روضك في «أندلس»[1] | يحسد النجم عليه الطرفاء
هو في «الندوة» حيث اتقدت | شهب الندوة من «عين ذكاء»[2]
هو في «الجيزة» روض وشمت | حبب الكاس لياليه الوضاء
سر هذا الزهر عطر لبست | ضفة النيل به هذا الكساء
وجمال هو في كل دم : | حركات تستخف الشعراء

هذه مصر وهذا نيلها | تنعم الدنيا بها مما أفاء
هذه « نويرك » لم تبطر ولم | يغبط العقل عليها الرقباء
ناطحات السحب فيها همم | شمخت عزاً ولم تشمخ بناء
إنها « نويرك » لم تعمل بها | يد إسرائيل كيداً وبغاء

هذه « لندن » لم تطغ ولم | يملك البغي عليها النبلاء
كانت الدنيا . فلما عبثت | يد «صهيون» بها عادت هباء
وستُلقى ضعف ما ألقت على | جيرة « الأردن » ذلا وشقاء

هذه « باريس » لم تخسف ولم | تبذل العرض من الخسف وقاء
تنشد القوة لم يعصف بها | نزوان يسترق الضعفاء
هذه الدنيا يرى السعد بها | محسن الناس ويشقى من أساء

أي مستقبل عز ظافر | لك يا مصر . يناديك النجاء !
عرب الدنيا تفدّيك بما | لم تجد إلا لك الدنيا فداء
نحن يا مصر ، بنو الصّيد الأولى | فتحوا غُلباً وسادوا رُحماء
لا ترى في قول من ينعتنا | أننا عُرج الوفا ، إلا افتراء
لم ترِم « دجلة » عن نصرتكم | في «فلسطين» ولم تحجم عداء
البلاء المر في « أهرامنا » | لم يزل في «بابل» ذاك البلاء[3]
لا يرد الغرب عن إجرامه | أن يرى منا خصوماً شرفاء
غمة لا تنجلي مالم نعد | مرة أخرى غزاة رُعناء

(ضيف مصر ١٩٤٩)

محمد علي الحوماني

---

(١) هي حديقة الأندلس في الجيزة .

(٢) عين ذكاء هي عين شمس أي مصر الجديدة حيث تلتئم الندوة الأدبية التي انتخبت الناظم عضواً فيها .

(٣) كنى الشاعر بالأهرام عن مصر وبيابل عن العراق .

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

كبار الأدباء وعضوية البرلمان :

حديث الانتخابات المقبلة أهم مايشغل الصحف فى هذه الأيام وقد أمسكت بإحداها وغرقت ساعة فى أنهارها وجداولها المملوءة بأحاديث الوزراء ورجال السياسة وتعليقات المحرر ، عن تعديل الدوائر وفتحها وإغلاقها وما إلى ذلك . ثم ألقيت الصحيفة جانباً ورحت أفكر فى الموضوع على نحو آخر ، قلت فى نفسى : لا شك أن تمثيل الأمة فى البرلمان يتطور من حيث المستوى الفكرى لنوابها وشيوخها ، تبعاً لتطور الأمة نفسها لانتشار التعليم وازدياد المتعلمين ، أى أن عهد (النمر) الذى بدأت به الحياة النيابية فى مصر آخذ فى الانقراض شيئاً فشيئاً ، و « الموافقون » على ما لا يعرفون ما يوافقون عليه يوشكون أن يتركوا أماكنهم للعناصر الجديدة . ثم قفز إلى ذهنى خاطر آخر ، فقلت فى نفسى أيضاً : هل اقترب التطور من الحال التى يمكن فيها أن يشتمل البرلمان على الصفوة من رجال الأدب والفكر فى مصر ؟ ولكن كيف السبيل ؟ هل يخوضون معامع الانتخابات ؟ . وهنا جعلت أتصور بعض هؤلاء الأعلام وقد رشحوا أنفسهم للانتخاب ...

الدكتور طه حسين خطيب يسحر الجماهير ولكنها ليست جماهير الانتخابات ، وهو لا يستطيع أن يجلس إلى أهل الدائرة إذا ارتفع الضحى وإذا أقبل المساء ، يسمر منهم ويسمعون منه ، فيضيق بهم وقد يضيقون به ، حتى إذا بلغ الأمر ما اعتاد أن يبلغ كل عام فى أوائل الصيف ، ولم يعد فى وسعه احتمال الحر والشر والنكر ، فر إلى باريس ...

والأستاذ توفيق الحكيم لا يستطيع مخالفة حماره الذى هو مصر على مقاطعة الانتخابات ومجانبة « التمرغ » فى أوحالها ، وقد خبرها أيام كان صاحبه نائباً فى الأرياف ، فأصبح فيها من الزاهدين .

والأستاذ المازنى إذا طاف بالدائرة فسيرغب عن سماع القصائد التى ينظمها أنصاره والداعون له ، فقد أنكر شعره فهل يسمع شعر هؤلاء ؟ وقد لا يجد له جلداً على قصيدة من الشعر الوسط فلا يصبر عليها ولو أدى ذلك إلى ضياع « تأمين » الانتخابات ... وسيشمر بضيق وقته عن هـذا العناء والعبث فيهرب إلى حيث يكتب المقالات المطلوبة منه للصحف والمجلات .

والدكتور أحمد أمين بك رجل فكر ومنطق لا يعجبان الناخبين ، وعند ما يشاهدون ما يبدو عليه من الجد المؤنس ، وما يصطنعه أحياناً من التفاؤل ، ينصرفون عنه إلى منافسه ويتركونه قائماً يتعزى بـ « زعماء الإصلاح فى العصر الحديث » وقد يدرك بعض الخبثاء أنه سيكون عضواً فى كل لجنة من لجان المجلس الذى انتخب له ، وقد يكون رئيساً لبعضها ، فيعملون على محاربته ليظل قانعاً بلجان وزارة المعارف ولجان المجمع اللغوى واللجنة الثقافية بالجامعة العربية ولجنة التأليف والترجمة والنشر .

أما الأستاذ الزيات فتقف « الرسالة » فى طريقه عقبة أى عقبة ... إذ لا بد أن ينجم له فى الدائرة « شعراء وكتاب » يريدون أن ينشروا فى الرسالة ماتجود به قرائحهم من النظم والنثر؛ وقد يطلبون تغيير عنوان هذا الباب بحيث يكون « الأدب والفن فى الدائرة » وعميد الرسالة لن ينشر لأحد من هؤلاء شيئاً ، والأدب والفن لن يخضعا للدائرة . وهكذا تتعقد المسألة وتستعصى على الحل ، فيقنع الأستاذ بظل « الكافورة » فى المنصورة صيفاً وننظر نحن بمجلسه فى ندوة الرسالة إذا جاء الشتاء .

وأما الأستاذ العقاد فهو عضو بمجلس الشيوخ عن طريق التعيين ، ولو أنه دخل الانتخابات لاصطدم بطلاب الوظائف ومطالب الموظفين من أهل الدائرة ، فالكاتب الجبار لن يرجو مخلوقاً لمخلوق ، فإذا وصل الأمر إلى أن يطلب موظف نقله من أسوان فإن الأستاذ الكبير يعتبر ذلك إساءة بالغة إلى مسقط رأسه ، فينسحب من الدائرة فى الحال ، ويكتب مقالا بجريدة الأساس منذراً بسوء المآل .

إذن ما هو الطريق المفضى بأولئك الأعلام إلى البرلمان ؟ عضوية الأستاذ العقاد بمجلس الشيوخ تبعث إلينا بصيصاً من الضوء ، حقاً إنه ينتمى إلى حزب سياسى ، والسياسة الحزبية

تمين على تقديم الحزبيين ، ولكن ألست ترى أننا الآن قد أخذنا فى عهد قومى جديد وجه إليه جلالة الفاروق ، إذ أمر بتأليف الوزارة من جميع الأحزاب على أن يخلع الجميع رداء الحزبية فى خدمة البلاد .

وقد أوشكت الدورة البرلمانية الحاضرة أن تنتهى ، وسيجرى الانتخاب لمجلس النواب ولثلثى مجلس الشيوخ ، ولندع ذلك لنحصر النظر فى الثلث الباقى من مجلس الشيوخ وهو الذى يختار أعضاؤه من ذوى الكفايات فى الميادين المختلفة ، فإذا كان يختار الأعضاء من رجال السياسة ومن رجال الاقتصاد وغيرهم ، أفلا ينبغى أن يتجه النظر إلى رجال الأدب والفكر فتختار خلاصة منهم أعضاء فى مجلس الشيوخ ؟ فذلك هو المنفذ الوحيد الذى يصل منه أولئك الرجال إلى مقاعد النيابة عن الأمة . كما أن ذلك يعتبر من دلائل القومية التى تهدف إلى صالح البلاد .

كشكول الأسبوع

◻ قدمت الجامعة العربية إلى هيئة اليونسكو ألفى جنيه مصرى على سبيل الإعانة لهذه الهيئة فيما تقوم به من جهود لتعليم أبناء اللاجئين العرب . وهذه المساهمة من الجامعة ، على أى حال ، خير من أن لا تعمل شيئاً فى هذا السبيل .

◻ أحسنت وزارة المعارف بعدولها عن شراء أوراق البردى التاريخية التى طلبت سيدة أجنبية تملكها ٦٥٠٠٠ جنيه ثمناً لها ، وقد ذكر أن عدول الوزارة عن شرائها لما تبين لها من أن قيمة هذه الأوراق لا تدعو إلى اقتنائها لقاء هذا الثمن . ولا شك عندى فى أن تيسير التعليم لأبناء الأمة أولى من هذه الآثار مهما كانت قيمتها ومهما قل ثمنها .

◻ تحدث السيد عبد الرحمن على طه وزير المعارف السودانية من محطة أم درمان فقال : ستتخذ وزارتى الخطوات الضرورية لإدخال اللغة العربية مادة أساسية فى الجنوب بأسرع ما يمكن فى مدارس الوزارة ومدارس الإرساليات ، ولجعل هذه اللغة كذلك وسيلة لتدريس سائر العلوم . وقال إن الوزارة ستنشئ قسما عربياً بمكتب النشر فى جوبا يعمل على إخراج الكتب الصغيرة والمجلات المصورة التى تساعد على نشر اللغة العربية هناك .

◻ جاء فى مقال للأستاذ خليل شيبوب فى الأهرام بعنوان « التعاون الأدبى » قوله عن التعاون : « وهو مبدأ قد ينجح فى المواقف الاقتصادية والاجتماعية ، وأما الأدبية أو الفكرية فلا ولا كرامة » والذى نعرفه أن هذا التعبير « ولا كرامة » يقال فى خطاب من يهينه المتكلم ، وليس فى المقال مخاطب يستحق الإهانة . فهل يتفضل الأستاذ ببيان ما يقصد بذلك التعبير ؟

◻ تسلمت إدارة التراث القديم بوزارة المعارف من المجمع اللغوى نسخة مصورة من ديوان ابن الرومى المخطوط بدار الكتب . وكانت هذه النسخة لدى اللجنة التى كانت ألفت لإخراج الديوان وكان مقرها المجمع ، ولم تنجز هذا العمل ، فرؤى أن يسند إلى إدارة التراث وديوان ابن الرومى لم يطبع كاملا إلى الآن ، ولعل إدارة التراث توفق إلى نشره قريباً .

◻ صدر أخيراً كتاب « صور من العشق » للأستاذ كمال منصور ، وهو يحتوى على ثلاثة أقسام تمثل ثلاث صور من الحب ، الأولى مغنيات عاشقات كحبابة ، والثانية عذارى فى الهوى كليلى ، والثالثة حب يتصل بالأنبياء ، وختم المجموعة بعاشقة الله رابعة العدوية .

وقد جلا تلك الصور فى ثوب جميل من الفن الممتع .

◻ تصدر بعض الصحف اليومية أعداداً خاصة بنواح مختلفة كالمرض والصيف والعيد ، وتكون بطبيعة الحال كبيرة الحجم ، ولكنك تتصفحها فلا تكاد تجد شيئاً تقرؤه ، فهى « بقالة » فى مادتها ، وتنفع « للبقالة » بورقها .

فاطمة وماريكا وراشيل :

هذا هو اسم الفلم الجديد الذى عرض فى هذا الأسبوع بسينما راديو ، أخرجه حلمى رفلة ووضع قصته وحواره أبو السعود الأبيارى ، وأهم ممثليه محمد فوزى واسماعيل يس ومديحة يسرى ولولا صدقى ونيللى مظلوم .

يوسف جلال (محمد فوزى) شاب لا هم له إلا خداع البنات باسم الحب والتأميل فى الزواج وقد أعد له أحد الصاغة تسعة وعشرين خاتماً ، على عدد حروف الهجاء ، نقش على كل خاتم حرف منها ، وإذا اتصل ببنت قدم لها الخاتم الذى يوافق أول حروف اسمها . ويقيم معه حمص افندى (اسماعيل يس) وهو صديقه وسكرتيره عند اللزوم .

يتصل يوسف بفتاة يهودية هى راشيل (نيللى مظلوم) فى حفلة زفاف ، إذ كانت ترقص فى الحفلة وكان هو يغنى فيها ، فيغازلها وتبدى له الحب فقد عرفت أنه غنى ويتفقان على الزواج بعد أن يقول لها إن اسمه يوسف كوهين وتذهب به إلى محل تجارى لتشترى ثوباً ، فتستقبلهما ماريكا (لولا صدقى) مديرة المحل ، وفى غفلة من راشيل يغازل يوسف الفتاة الرومية ماريكا ويتسمى لها باسم جوزيف تريا كو ، ويتفقان على الزواج . ثم ينتهى أمره مع كل منهما عند ما تفاجئه راشيل فى حفلة خطوبته لماريكا فيطفىء حمص افندى الأنوار ويقفز هو وصاحبه من إحدى

الشرفات . ثم يتلقى يوسف برقية من والده القروى الثرى يأمره فيها بالحضور إلى القرية فى الحال . وهناك ينهى إليه أبوه أنه غير راض عن سلوكه وأنه لن يعطيه نقوداً حتى يطيع أمره ويتزوج من فاطمة (مديحة) بنت وصفى بك التى ورثت عن أبيها ثمانمائة فدان ، وتقيم مع عمها راشد بك فى الضيعة المجاورة ، فيمارض يوسف فى الزواج من بنت لم يرها ولكنه يضطر إلى الموافقة إزاء تهديد أبيه ، وكذلك تعارض فاطمة فى الزواج من ابن جلال بك لأنها ظننته فلاحاً ساذجاً ، ولكن عمها راشد بك المرشح فى الانتخابات والذى يرجو مساعدة جلال بك يلح عليها ويرغمها .

ويذهب يوسف إلى حمص افندى ويبلغه خبر الكارثة ، ويطلعه على صورة الفتاة التى يريد أبوه أن يزوجه إياها ، وهى فى الحقيقة صورة علية بنت راشد بك الدميمة ، وقد اتفقت مع ابنة عمها على إرسالها للخاطب لتنفيره ... ويتفق يوسف وحمص من الجهة الأخرى على خطة لتنفير العروس من يوسف ، فيذهبان إلى منزل راشد بك فى زى قروى وقد حمل يوسف (بلاص عسل) وقفة مملوءة من (كيزان الذرة) واحتضن حمص (لبشة قصب) ، ثم ينتهى المنظر بطردهما من المنزل فى غيبة راشد بك . وفى خلال ذلك يلمح يوسف فاطمة من بعيد وهو لا يعلم أنها المخطوبة ، فيضع خطة لمقابلتها ومغازلتها ويتبين أنها تحب رجلا اسمه ظريف بك النابلسى ، ولكن يوسف يظل يطاردها ويضايق ظريف بك حتى يظفر بها ويتفقان على الزواج ، وتحدث عدة حوادث يتخللها إصرار كل من جلال بك وراشد بك على زواج ابن الأول من بنت أخى الثانى ، ثم يحضر جلال بك ابنه يوسف بالإكراه لعقد الزواج، وكذلك يكره راشد بك بنت أخيه فاطمة ويأمر بحملها حملا إلى حيث أعدت معدات العقد . وهناك تحدث المفاجأة إذ تنكشف الحقيقة ويعرف كل من يوسف وفاطمة أنه المقصود بالإكراه على الزواج من صاحبه ، فيتعانقان ويكون منظر زفافهما حسن الختام

والذى يتبادر إلى الذهن من اسم الفلم « فاطمة وماريكا وراشيل » . وهو فلم مصرى ، أنه يقدم كلا من هؤلاء الثلاث بخصائصها ، على أن تظفر صورة فاطمة المصرية بأحسن إطار ، ولكنا نراها فتاة عابثة ليس لها مثل تتمسك به ولم ترسم لها غاية نبيلة تهدف إليها فكل ما تريده رجل كهل (ظريف بك النابلسى) لم يقدم لنا الفلم ما يبرر تعلقها به ، ثم هذا الشاب الذى تسمى إليه بعد أن نفضت يدها من ذاك الكهل ، إذ تذهب إلى منزله لتخطب حبه ، أو فى الحقيقة ليرينا المخرج منظرهما فى حديقة المنزل وهما يجوسان خلالها حيث تبدى مديحة فتنتها ودلالها ومحمد فوزى يغنى لها ... ولك أن تستمتع بمنظر الجمال وعليك أن تسمع الغناء ! وهذا المنظر يعطينا « فكرة » الفلم كله ، فهو إحدى الخلايا التى يتكون منها ، فأكثر مناظره وأهمها معارض لهؤلاء الحسان الثلاث : مديحة ولولا ونيللى ، جمال ورقص وسحر وفتنة ... والقصة (مفصلة) على قدودهن الرشيقة . وليس لك أن تطلب شيئاً فى الفلم غير ذلك ، حتى محمد فوزى عليك أن تتغاضى عن إدلاله بنفسه وفرحه بشبابه ؛ وقد أخذ اسماعيل يس فى هذا الفلم ملحقاً فكاهياً على الهامش .

والفلم ليس معدوم الغاية القيمة فحسب بل هو على عكس ذلك؛ لأنه يقدم بطلين منحرفين هما : يوسف وفاطمة ؛ ويظل يعرض انحرافهما وعبثهما فى تصوير مغرجيل ، ويظل يعطف عليهما حتى النهاية السعيدة ، فهو وإن تم له الجمال الحسى ، يفقد ناحية الجمال المعنوى الذى يبرز من مناصرة الحق والخير .

وحوادث الفلم تجرى نحو مناظر الرقص والجمال والغناء ، فتعثر فى جريها . ومن هذه العثرات أن نرى يوسف يغنى فى حفلة زفاف ويقود فرقة يحمل أفرادها الطبول من غير أن نعرف صفته فى ذلك . ولا نرى أى سبب يدعو إلى أن يأتى هذا الشاب الغنى غير المحترف ليحيى حفلة زفاف ، ولكن الحادثة تجرى بيوسف إلى هذه الحفلة ليلتقى براشيل التى ترقص فيها . والعجيب أن الفلم يملى علينا إملاء أن تعرف راشيل يوسف على أنه شاب غنى وهى تراه فى زمرة المحترفين حاملى الطبول ...

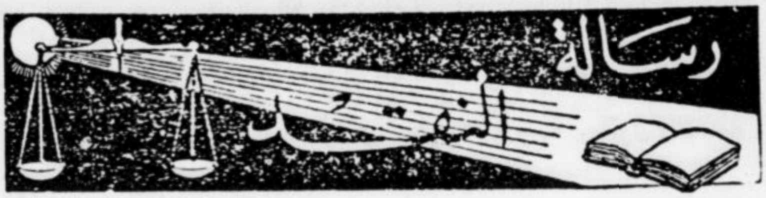
ولم أقف على سر الطريقة العجيبة التى كان يتبعها يوسف عند ما يعرف اسم الفتاة التى تقع له ، فيدس يده فى جيبه ويخرج الخاتم المنقوش عليه أول اسمها ... فلو فرضنا أنه يحمل معه دائماً التسعة والعشرين خاتماً فكيف ينتقى الخاتم المطلوب ويخرجه بمجرد معرفته الاسم ؟

ويظهر أن المنازل و (الفلات) صنعت فى هذا الفلم على طراز خاص بحيث يمكن القفز من شرفاتها ونوافذها فى غاية اليسر ،

فترى الهارب يسير من النافذة إلى ممر ممهد فيصل إلى الشجرة المعدة خاصة لهرب ... حتى يصل إلى الأرض سالماً غانماً . وهل يليق بفاطمة التى تفر من النافذة حين يمنعها عمها عن الخروج ، لتلتق حبيبها بثيابها الحريرية المكوية — هل يليق بهذه الفتاة الناعمة أن يمسها أذى أو يذهب صقل المكواة عن ثيابها ، من القفز على الجدران والسقوط على الأشجار ... ؟ لا يليق غير ذلك لأن المخرج يريد ذلك !

وفى أى مكان من بلاد الله تقام حفلة يبحث فيها فتى عن فتاته ، فيظل يشتبه فى عدد من الفتيات ، يتوسم كلا منهن ويقبلها وهى ساكنة تبتسم ، فيعرف من طعم القبلة أن « المشتبه فيها » ليست فتاته ، وإنما هى تشبهها فقط ... ولو أن « المدوى » الذى يدعوه الناس للبحث عما يضيع منهم ، جرى فى عمله على ذلك النمط الذى جرى عليه بطل الفلم فى البحث عن فتاته ، لأمل دوام البحث عن الضائعات ...

عباس خضر



الوزراء العباسيون

تأليف الأستاذ محمد أحمد برانق

بقلم الأستاذ محمود رزق سليم

تحتاج الدول إلى رجال ، من أفذاذ أبنائها ، ليعاونوا ولى الأمر فيها ، على الاضطلاع بمسئولياتها ، والقيام بأعباء الحكم فيها ، وتنفيذ مشروعاتها الإصلاحية ، والسهر على حياطتها ، والعمل على الترفيه عنها ، وإشاعة الأمن والعدل فيها ، ورعاية الدولة ، وتثبيت أركانها ، وتدعيم بنيانها . ويختارون — عادة — ممن حصفت عقولهم ، وصفت أذهانهم ، وبلغوا من الثقافة الواسعة حداً ممتازاً ، وأوتوا من الرأى صائبه ، ومن النظر ثاقبه ، ومن الحيلة نافذها ، ومن الدهاء أوسعه — هذه مؤهلاتهم الأولى — وإن اشترطت مؤهلات ثانية فى العصر الحديث — التى ترشحهم لأسمى منصب فى بلادهم ، وهو معونة السلطان على رعاية ملكه وشعبه .

ومن هؤلاء طبقة الوزراء . عرفتها الدول الإسلامية ، منذ بنى بنو العباس ملكهم المجيد ودولتهم المتيدة . وقد كان الخليفة حينذاك هو الدولة . وكثيراً ما كان يلقى بأمور دولته إلى وزيره . ومن هنا كان الوزير — فى الحق — هو الدولة ، وإن كان المفروض أنه يسير فى تصرفاته وفق مشيئة أميره . ومن هنا أيضاً كانت سيرة الوزير جزءاً هاماً من تاريخ عصره ، بل ربما كان لعمل الوزير أثر فيما يلى عصره من العصور .

لهذا ، كانت دراسة حياة وزراء دولة ، أمراً حيوياً ضرورياً لفهم حياتها واتجاهاتها وتصرفاتها . وتاريخهم من أبرز أجزاء تاريخ دولتهم . وهو يلقى أضواء وهاجة على حوادثها ، ويكشف الخبىء من أحوالها ، والمستتر المكنون من وقائعها . وذلك لمكانة الوزير من صاحب السلطان .

ومنصب الوزارة — عادة — من المناصب التى إليها تتوثب الآمال ، ومن حولها تصطرع الرجال . يسمون للوصول إليها ، ويجاهدون لاحتيازها . ولهذا تكثر حولها الدسائس والمؤامرات ، وتنشط الشباك والأحابيل . وهنا تتكشف الأخلاق والنفوس والنيات ، وتشتد المغامرات . ويتألف من هذا كله ، قصص من قصص الحياة ، ممتعة ، فيها كثير من العظات والعبر .

ونقرأ كثيراً من أخبار وزراء الدول الإسلامية ، فى كتب التاريخ العام ، وفى كتب التراجم وكتب الأدب العربى ، وهى كثيرة واسعة ، غير أنها على رحابتها وامتداد آفاقها ، مبعثرة متفرقة ، تحتاج إلى مستوعب يستوعبها ، ومؤلف يجمع شتاتها ، وملائم يلم شعثها ، ومنشىء يسبغ على عرضها ثوباً جديداً من أساليب الإنشاء ، ويضفى عليها من جميل رأيه ، وحصيف نظرته ، ما يوضح للقارىء خفى الأمور فيها ، وغامض الحوادث من بينها .

وقد فطن صديقى وزميلى الأستاذ النابه « محمد أحمد برانق » إلى ذلك كله ، فوجه عناية محمودة إلى الدولة العباسية ، وهى الدولة الحافلة بحوادثها ، الآهلة بعظيم الأمور . وهى أولى الدول الإسلامية التى جعلت « الوزارة » منصباً من أبرز مناصبها . حتى كاد الوزير فى سنيها أن يكون المهيمن على أقدارها ، والموجه الفرد إلى مسالكها . — فطن صديقى إلى ذلك ، فاتخذ سير وزرائها وسيلة إلى دراسة تاريخها ، وإلى دراسة هذا التاريخ فى أعلى مكامنه وأغلق جهاته . وعنى بخاصة بعلاقات الوزراء بالخلفاء وقصورهم . وكشف الغطاء عن كثير مما يحاك فى الخفاء ، بعيداً عن الدهماء . فكان الأستاذ فى هذه الدراسة موفقاً ورشيداً .

وقد أصدر الأستاذ من كتابه الكبير « الوزراء العباسيون » الجزء الأول . وقد صدره بمقدمة حافلة واسعة المدى رحبة الأفق طاف فيها طوفة كبرى بالأمة العربية فى جاهليتها ، وأثبت كيانها السياسى والاقتصادى . ونعى على من يفرضونها أمة مغلقة الحدود ضئيلة الصلات بمن حولها من الأمم ، تافهة النظام ، محرومة من كل نشاط سياسى أو اقتصادى .

وقد دلل على ذلك بأدلة كثيرة قاطعة ، قذف بها فى وجوه بعض المستشرقين ومن لف لفهم من أدباء الشرق ، ممن يرمون العرب بالجهل والتفكك ونحو ذلك ، فى عصرهم الجاهلى .

وتحدث عن المملكة العربية ونظمها فى عهد النبوة وما بعدها حتى جاءت الدولة العباسية ، فاتخذ خلفاؤها لأنفسهم وزراء يعينونهم فى شئون دولتهم . وقد شرح المؤلف ، كيف قامت الدولة العباسية ، وركز حديثه بصفة خاصة فى ثلاثة رجال من الأعاجم ، وهبوا لها الرأى والنفس ، حتى أقاموا عمودها ونشروا بنودها ، وهم أبو مسلم الخراسانى ، وأبو سلمة الخلال ، وخالد ابن برمك . وقص قصة كل رجل منهم وما لا بس حياته من حوادث وأهوال ، مشيرا إلى موقف كل خليفة من وزيره ، ومن رجاله ، وأدى إلى ذلك الموقف من حوادث ، وما أدى إليه هذا الموقف من نتائج .

وعلى نمط من هذا ، درس حياة عدد من وزراء الدولة العباسية ، منهم : أبو أيوب الموريانى والربيع بن يونس وأبو عبيدة ومعاوية ابن عبد الله ، ويعقوب بن داود ، والفيض بن صالح ، وإبراهيم ابن ذكوان الحرانى .

ونود لو عنى الأستاذ فى أبحاثه بأن يزيدنا علماً بمنشأ كل رجل من أعلامه ، وأن يقدم لنا شيئاً عن سنى حياته الأولى ، مما يكون له أثر — بلا ريب — فى تكوينه وتوجيهه . نقول ذلك لخلو بعض التراجم منه .

على أننى لحظت أن كثيراً من دراسات هـذا السفر القيم ، تركزت فى حوادث شخصية فردية . وأعتقد أن الأستاذ الفاضل بجوار ذلك ، لو عنى بالحوادث العامة وصلتها بالوزير وصلة الوزير بها ، لكان حديثه أرفه وأمتع .

ثم إنى أحسب أن الوزراء فى الدول العربية الأولى إنما اختيروا لفرط أدبهم وسليم منطقهم وروائع لفظهم وجامع حكمتهم . وهذه ناحية لم تتضح وضوحها المرجو فى كتاب كتاب صديقنا الأستاذ برانق ، وهو من تعرفه علماً وأدباً . وإنى لواثق كل الثقة أنه سيعير هذه الناحية عناية فى أجزاء الكتاب التالية .

وأخيراً ، كنت أحب أن يعقد الأستاذ نبذة بين نبذ تصويره الطويل ، يتحدث فيها عن منصب « الوزارة » من الناحية التاريخية ، ومن اختصاصات الوزير ، والفارق بينه وبين غيره كالحاجب ، ومبلغ تقلب هذه الاختصاصات فى الدول الإسلامية ودرجة سمو منصب الوزير ، أو صفته فى كل منها . إلى غير ذلك مما يتصل بهذا المنصب الهام ولعل الأستاذ أن يلم بهذا الموضوع فى مناسبة من مناسبات بحوثه القادمة .

وبعد فقد سد هذا الكتاب فراغاً ملحوظاً فى المكتبة العربية والإسلامية . من أجل ذلك نزجى لمؤلفه الفاضل الثناء الجم والشكر المتصل وجزاه الله عن العربية والإسلام خير الجزاء

(حلوان) **محمود رزق سليم**

مدرس الأدب بكلية اللغة العربية



أهذا من نوادر الخواطر ؟!

فى ١٣ / ٧ / ١٩٤٩ م طالعتنا جريدة المصرى بكلمة لأستاذ فاضل تحت عنوان « آن الأوان لتخليص مصر من الامتيازات » وقد استرعى نظرى فى هذه الكلمة بعض جمل وعبارات نقلت نقلا أو نقلت مع شىء من التصرف من مقال للأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات نشر فى الرسالة الغراء فى ١٥ أغسطس سنة ١٩٣٣م بعنوان « بين النيل والأكروبول » ويستطيع أن يعثر عليه القارىء بسهولة فى كتاب وحى الرسالة « الجزء الأول » ص ٣٥ وسأنقل هذه الجمل إثباتاً لدعواى وإنصافاً للحق وتقريراً للواقع .

يقول الأستاذ الزيات وهو يصف الشعب المصرى « أسرف فى اللين حتى رمى بالجبن ، وأمعن فى التسامح حتى وصف بالبلادة ، وأفرط فى التواضع حتى نسى الأنفة ، وبالغ فى إكرام الغريب حتى أصبح هو الغريب » .

وهذه الكلمات بنصها وفصها مذكورة فى كلمة الأستاذ عمر .

ثم يقول الأستاذ الزيات « وليت الذى قاسمنا أنعم الوادى الحبيب يذكر فضيلة الإحسان ويشكر عطف الإنسان على الإنسان! إنما يتمتع بخيرنا تمتع الغازى الفاتح ، فى يمناه سيفه ، وفى يسراه قانونه ، فإذا عاملنا احتقرنا ، وإذا عاقبناه انتهرنا ، وإذا ضج المغبون أوصاح المسروق أو صرخ الجائع ضربه « الخواجه » ضربته ، ثم استعدى عليه دولته » .

ويذكر الأستاذ عمر هذا الكلام مع شىء من التصرف إذ يقول « وليت ذلك الأجنبى الذى اغتصب منا أنعم الوادى الحبيب كان على شىء من الأدب والذوق وأحسن معاملة هؤلاء الذين فتحوا له بلادهم على مصراعيها فدخلها دخول الفاتح الغازى وأصبح فيها السيد المطاع وحرم أهلها سبل الحياة وحجز عنهم اللقمة ، بل تراه ينظر إليهم نظرة الازدراء والامتهان ويعاملهم فى خشونة وقسوة فإذا ضج المظلوم وصاح الجائع ضربه الدخيل ضربته ، واستعدى عليه دولته وحمته قنصليته ، وتلك الامتيازات البغيضة » .

هذا قولى .. فما ذا يقول الأستاذ عمر ؟!

أحمد محمد مصطفى
أستاذ الأدب بمعهد طنطا الثانوى

الضمير الأدبى والكرامة العقلية :

فى العدد الماضى من « الرسالة » قرأت كلمة لأديب فاضل تحت عنوان « الضمير الأدبى وأين يوجد ؟ » ... ولقد أسفت أن يفلت زمام التعبير من يد الكاتب ، حتى خطر لى أن أرد عليه فى شىء من القسوة والعنف ، ولكننى عدت فقلت لنفسى : رفق ... فلعل الأديب الفاضل قد نسى نفسه — وهو فى غمرة الحماسة لفكرته — فاندفع قلمه بغير زمام !

مهما يكن من شىء : فقد كففت قلمى رعاية لحق قارئ لاح لى من كلماته حسن الظن حين قال : « وأمل الأستاذ المعداوى يجيب على كلمتى هذه فى « تعقيباته » ليستأنس به الضمير الأدبى ، ضمير النقد النزيه الذى تعودناه منه » !

يا صديقى ، ما دمت قد تعودت من قلمى نزاهة الضمير ، فلم ارتضيت أن يكون عنوان كلمتك موحياً بعكس هذا الذى قلت؟

أما أنا ، فأؤكد لك أننى لم أتخل عن ضميرى الأدبى فى يوم من الأيام لسبب واحد ، هو أننى أقدس شيئاً اسمه الكرامة العقلية ؛ والكرامة العقلية هى أن يحترم الكاتب عقله وعقول الناس ، فإذا فعل فقد ارتفع فى رأى نفسه ورأى غيره ، وهذا هو ما أحرص عليه كل الحرص منذ أن تناولت قلمى لأكتب !

تسألنى ما معنى إعادة الصفاء إلى النفوس ، وما معنى الاستجابة للصديقين وترك الحقيقة الأدبية تنتحب وتلفظ أنفاسها الأخيرة بين يدى الصداقة ؟! ... معذرة إذا قلت لك إن عبارتك قد صيغت فى قالب خيالى أشبه بقوالب الكتاب القصصيين ؛ ذلك لأنك — على حد تعبير النقاد القدامى لشعر امرئ القيس — قد وقفت واستوقفت وبكيت واستبكيت على مصرع حقيقة أدبية ليس لها وجود ! ... أين هى الحقيقة الأدبية وأنا لم أكن فى موقف الكشف عن مذهب أدبى جديد ، ولا فى موقف النقد لكتاب أدبى جديد ؟! كل ما حدث هو أن أديباً من الأدباء هاجمنى على صفحات « المقتطف » لأسباب شخصية فرددت عليه بكلمة أوضحت فيها الدوافع الحقيقية لهذا الهجوم ، وإذا كان هناك



روز . . . !

للكاتب القصصي الفرنسي جي دي موباسان

ترجمة الأستاذ أنور المعداوي

« إلى صديقي الأستاذ الكبير الزيات
أنت قدمت موباسان إلى الناس فنقلت الفن صادقاً من لغة إلى لغة ، ونقلت السحر خالصاً من قلم إلى قلم ... قدمته في قممه الثلاث : « ضوء القمر » و « الحلية » و « جولي رومان » ، فهل تأذن لي في أن أقدم إليك هذه القمة الرابعة . تحية متواضعة ؟ »

الفتاتان تبدوان للعين غائصتين في فراش من الزهور ، وحيدتين في عربة فارهة قد اكتظت بطاقات الزهر ، فهي أشبه بسلة مفرطة في الضخامة ، وعلى المقعد الخلفي سفطان صغيران قد ملئا بزهور البنفسج « النيسي » ، وفوق فراء الدب الذي يغطي الركبتين أكداس من الورد وزهور الأقحوان والزنبق والبرتقال ، شد بعضها إلى بعض بأشرطة من الحرير يخيل إلى الظن أنها ستهصر الجسدين الناعمين ... ومن الفراش المعطر في العربة الفسيحة لم يكن يظهر من كلتيهما غير الكتفين والذراعين ، وجزء صغير من نطاقين يلتفان حول الخصر النحيل أحدهما أزرق اللون بينما الآخر في لون البنفسج !

وتنظر إلى سوط السائق فتراه وقد لف بغطاء من زهور الأنيمون، بينما ازدانت رءوس الخيل بزهور الزينة واكتست المجلات بثوب من زهور الخزامى ... وفي مكان المصابيح طاقتان من الزهر مستديرتان كبيرتا الحجم، أشبه بعينين تطلان من وجه هذا الحيوان الغريب المتدحرج على الأرض في هيكل من الزهور!

لون من ألوان الحقيقة فقد عرضت له في كلمتي الأولى ورفعت القناع عن كل ناحية من نواحيه ... وإذن فكل ما يمكن أن يقال قد قيل بالفعل ، ولو كتبت كلمتي الثانية لما هدفت إلا إلى تأكيد ما جاء بكلمتي الأولى على ضوء الدليل المادي الذي لا يُدفع .

بقي أن أقول لك إنه ما دامت الحقائق قد ذكرت فلا بأس من الاستجابة لرغبات الساعين إلى الخير والداعين إلى الصفاء ... ترى أتنكر الصفاء في الأدب وهو الأمنية الكبرى لكل قارئ وكل أديب ؟ أم أنك أردت أن تثيرها زوبعة فكانت زوبعة في فنجان على حد تعبير الصحفيين ؟ !

أنور المعداوي

حول تعقيب :

عقب الأستاذ محمد غنيم في العدد (٨٣٤) من الرسالة الغراء على قول الأستاذ أنور المعداوي (لم أكن أعرف — لم تكن تتح) — بأن جزم بأن هذين التعبيرين بينا الخطأ وأوجب إلحاق لام الجحود ، ولكني لا أرى لجزم الأستاذ الناقد بالخطأ هنا محلا وما كان استعمال القرآن لهذا التعبير بلام الجحود في موضع لينفي استعمال تعبير آخر يجري في مجراه بغير لام الجحود في موضع آخر ، ولو حصرنا كل الشواهد في هذا التعبير — من القرآن الكريم — لرأينا كيف يتخلى عنه الصواب في رأيه هذا وجزمه ... يقول الله تعالى في سورة هود (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) ويقول في السورة نفسها (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك) ويقول في سورة العنكبوت (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك) ويقول في سورة الزمر (وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) .

وإني أسوق هذه الشواهد وأجمعها إلى شاهده لنقول إن وجود لام الجحود يتوقف على وجود الكون المنفي ، ولكن وجود الكون المنفي لا يحتم وجود لام الجحود ، إلا ما رأته الأذن العربية وأوحى به الذوق العربي السليم . والسلام ...

عبد العظيم طه الحبلي

وتندفع العربة إلى شارع « أنتيب » خفيفة الركض ، يحف بها من الأمام والخلف والجانبين جمع من العربات المكللة بالزهور تحمل نساء قد اختفين تحت لجة من بنفسج ... إنه عيد الزهور في « كان ».

وانتهى بهن المطاف إلى شارع « بوليفار » ، وعلى طول الطريق من الشارع الضخم كان هنالك صف مزدوج من العربات المزركشة يروح ويجيء كخيط بلا نهاية ... ومن عربة إلى أخرى رحن ينثرن زهوراً تشق الفضاء كالكرات ، ثم ترتطم بالوجوه المشرقة ، ثم ترفرف في الهواء وتسقط على الأرض ، حيث يلتقطها جيش من الصبية الصغار . واصطف على الجانبين حشد كثيف من النظارة يثير الضجيج ولكن في شيء من النظام ، لقد بقي كل في مكانه بفضل الجنود وهم يعبرون الشارع على ظهور الخيل ، ويدفعون بأقدامهم أصحاب الفضول في عنف إلى الوراء ، حتى لا يختلط الأوشاب بأصحاب الثراء . ومن داخل العربات راح كل راكب يتطلع إلى صاحبه ، ويناديه ويطلق عليه قذائف من الورد . وها هي ذي عربة قد غصت بالفتيات الأنيقات في ثيابهن الحمر كالشياطين تتعلق بها الأنظار ، وتنظر فترى أحد الفتيان في ثياب هنري الرابع يقذفهن في نشوة الشوق بطاقة ضخمة من الزهر في غلاف من « المطاط » ، يقذفهن مرة بعد مرة ، وكلما همّ خفضت الفتيات رءوسهن وأخفين عيونهن ، ولكن القذيفة الرشيقة تنطلق في انثناء ثم لا تلبث أن ترتد إلى صاحبها ليقذف بها ثانية إلى وجه جديد ! ... ويستمر الموكب في طوافه ساعة من الزمن يعتري الفتاتين بعدها شيء من الفتور ، فترغبان إلى السائق أن يلتمس طريقه إلى خليج « جوان » .

وغابت الشمس وراء « الإستريل » ، مخلفة ظلالها القاتمة فوق أرض من اللهب ، على القطاع الجانبي من الجبل الممتد عبر الفضاء . وانبسط البحر الساكن أزرق صافياً على مدار الأفق البعيد ، هناك حيث يمتزج بالسماء ، وبتلك الجماعة التي ألقت مراسيها وسط الخليج كقطيع من الحيوانات الغريبة ، تلك التي تظل فوق سطح الماء جامدة بلا حراك ... حيوانات من عالم الغيب تقوست منها الظهور وتدثرت بدروع من الزرد ، واتخذت غطاء الرأس من عوارض رقيقة كريش الطير ، ولها تلك العيون التي تقدح الشرر حين يهبط الظلام !

وانتثرت الفتيات تحت سماء أشبه برداء فراؤه السحب ، ورحن يتطلعن إليها في استرخاء ثم همست إحداهن قائلة :

— لله ما أرق هذه الأمسيات ! ... ألا ترين أن كل شيء يبدو جميلا يا مارجو ؟

— بلى ، كل شيء جميل ولكن ... ألا تشعرين أن هناك شيئاً ما ينقصنا دائماً ؟

— ما هو ؟ من جانبي ، إنني لأحس السعادة كاملة فلا أرغب في شيء !

— نعم ؟ هكذا تظنين ، ربما ... ولكن مهما كانت السعادة التي تحيط بأجسادنا ، فإننا نرغب فيما هو أكثر ... في هذا الشيء الذي يسعد القلب ! وقالت الأخرى وهي تبتسم : قليل من الحب ؟ فأجابت : نعم !

وساد بينهن الصمت ، ورحن يرسلن البصر مستقيما إلى الأمام ، وعندئذ هتفت إحداهن وتدعى مرجريت :

— الحياة ... إنها لا تبدو لعيني محتملة بغير حب . لكم أشتهي أن أُحَب ... ولو من كلب ! هكذا نحن جميعاً ، مهما خطر لك من فنون القول يا سيمون !

وصاحت سيمون قائلة :

— كلا كلا يا عزيزتي ، إنني لأوثر ألا أُحَب على الإطلاق على أن أحَب من شخص لا خطر له ! هل تظنين مثلا أنه قد يكون من الملائم لي أن أحَب من ... من ...

وتطلعت سيمون إلى من تستطيع أن تظفر بحبه ، وألقت ببصرها إلى الفضاء المجاور ، وبعد جولة طوت بها كل جنبات الأفق ، هبطت عيناها على زرّين من المعدن يتألقان على ظهر السائق ، واستمرت في حديثها ضاحكة :

— من ... من سائق عربتي ؟!

وأجابت مرجريت وقد لاح على شفتيها ظل ابتسامة :

— أستطيع أن أؤكد لك أنه ما من شيء يبعث على التسلية مثل أن يقع خادم في حبك ... لقد جربت ذلك مثنى وثلاث !

ودرن بعيونهن شاخصات ، إلى تلك التي كادت تموت من الضحك ... واسترسلت مرجريت قائلة :

— من الطبيعي أن تلك التي تلقى المزيد من الحب ، تصبح

وهي أكثر النساء قسوة . وعلى النقيض تلك التي تزج بنفسها في طريق لا تجني منه غير السخرية ، لسبب تافه يستطيع أى إنسان أن يلحظه !

وأرهفت سيمون سمعها وألقت ببصرها إلى الأمام ثم قالت معقبة :

— كلا يا مرجريت ، إن قلب خادمى لا ينقع لى غلة ما دام تحت قدمىّ … ولكن هل خبرتنى كيف أدركت أنهم قد وقعوا فى حبك ؟

— لقد أدركت ذلك منهم كما أدركته من الآخرين … ولذا فهم يصبحون فى نظرى أغبياء !

— ولكن الآخرين لا يبدون لى أغبياء عند ما يقعون فى الحب !

— بلهاء يا عزيزتى ، عاجزون عن الكلام ، عاجزون عن الجواب ، عاجزون عن فهم أى شىء !

— وأنت ؟ ما الذى أثر فيك حتى وقعت فى حب خادم ؟ أكنت مسيرة بدافع الملق ؟

— مسيرة ؟ كلا ! ملق؟ نعم! قليل من الملق … إن كل فتاة ليسعدها الملق دائماً إذا ما أحبها رجل ، مهما كان هذا الرجل !

— أوه … الآن جاء دورك يا مارجو !

— نعم يا عزيزتى ، انتظرى … سأقص عليك نبأ مغامرة فريدة وقعت لى ، وسترين كيف أن أشياء بالغة الغرابة تحتل مكانها من حياتنا فى أحوال مماثلة ! … كان ذلك فى الخريف منذ أعوام أربعة ، عند ما ألفيت نفسى وحيدة بلا خادمة . لقد جربت من بين الخادمات عدداً يُربى على الخمس ، جربتهن واحدة بعد أخرى ولكنهن كن جميعاً لا يصلحن لشىء . ولقد تملكنى اليأس من أن أعثر على واحدة ، حتى وقعت فى إعلانات إحدى الصحف على خبر فتاة صغيرة تبحث عن عمل ، فتاة تجيد الحياكة ، وتجيد التطريز ، وتجيد تصفيف الشعر ، وتستطيع أن تقدم خير الشهادات على ما تتمتع به من خبرة وكفاية ، وهى فى الوقت نفسه تحسن التحدث بالإنجليزية .

وكتبت إلى الصحيفة على العنوان الذى قرأت ، وفى اليوم التالى حضرت الفتاة لتقدم نفسها إلى . كانت أقرب إلى الطول ، رقيقة البدن ، شاحبة اللون ، ينم مظهرها عن خوف بالغ . لها عينان سوداوان جميلتان ؛ عينان تنفذان السحر ، حتى لقد راقت لى على الفور . وسألتها عما تحمل من شهادات فقدمت إلىّ واحدة مكتوبة بالإنجليزية ، لأنها جاءت — كما قالت لى — من بيت السيدة « رزويل » حيث طوت من عمرها عشرة أعوام … كانت الشهادة تقرر أن الفتاة قد عادت إلى فرنسا بمحض رغبتها الشخصية ، وإذا كان هناك شىء تستحق عليه اللوم فى خلال خدمتها الطويلة للسيدة « رزويل » ، فهو هذا الشىء اليسير من « الدلال » الفرنسى !

وابتسمت قليلا وأنا ألمح ما وراء العبارة الإنجليزية من تورية مهذبة ، ولكننى تعاقدت مع الفتاة على الفور ، وحضرت إلى بيتى فى نفس اليوم ، وكانت تسمى نفسها « روز » .

وجاء علىّ يوم أحببتها فيه إلى الحد الذى ينقلب معه الحب إلى عبادة … لقد كانت كنزاً من الكنوز ، لقد كانت درة من الدرر ، لقد كانت ظاهرة من ظواهر الطبيعة . كانت فى تصفيف الشعر صاحبة ذوق شائق ، وفى تثنية شريط « الدنتلا » على غطاء الرأس أكثر دراية من خير الممتهنات ، وكانت تجيد حياكة « الفساتين » … أبداً لم أر لها مثيلا فى خدمتها لى !

كانت تساعدنى على ارتداء ملابسى فى سرعة فائقة ، وخفة يد تثير العجب ، ما شعرت أبداً بمر أناملها على بشرتى الرقيقة ، ولا شىء يبدو لى خالياً من اللياقة مثل أن تلمسنى يد خادمة ! … وانغمست على الفور فى عادات تتميز بالإفراط فى البطالة ، فلكم كنت أشعر بالسرور حين أدعها تدثرنى من الرأس إلى القدم ، من القميص إلى القفاز ، هذه الفتاة الطويلة ، الخائفة ، التى تخجل قليلا ولا تتكلم أبداً ! وبعد الاستحمام قد تجففنى ، وتدلكنى بينما أكون على أهبة النوم أو مضطجعة على الأريكة … وعلى مرّ الأيام بدأت أنظر إليها كصديقة بائسة أكثر مما أنظر إليها كخادمة !

وذات صباح أقبل البواب فى مظهر يثير الظنون ، معلناً عن رغبته فى التحدث إلى ، واستولت على الدهشة ولكننى أذنت له فى الدخول .

كان جندياً كهلا يبدو عليه التردد فى الإفصاح عما يريد أن يقول … وأخيراً همس فى صوت متلعثم :

— سيدتى ، إن ضابط بوليس المنطقة موجود فى الطابق الأسفل

وقلت متسائلة : ماذا يريد ؟

— إنه يريد أن يفتش البيت !

حقاً إن رجال البوليس ضرورة لازمة ولكنني أمقتهم ... ولا أستطيع أبداً أن أعترف بأنهم يزاولون مهنة شريفة ! وأجبت في صوت ألهبته الكرامة الجريحة :

— لماذا يفتش هنا ؟ لأي غرض ؟ إننا لا نعرف السطو !

ورد الحارس قائلا :

— إنه يعتقد أن أحد المجرمين يختفي هنا في مكان ما .

وبدأت أشعر بشيء من الرهبة ، وأمرت بأن يصعد إلى ضابط البوليس عسى أن أظفر منه بشيء من الإيضاح ... كان رجلا جم الأدب يزدان صدره بوسام « اللجيون دونير » . وبدأ حديثه معربا عن أسفه ، مقدماً اعتذاره ، مؤكداً أن هناك مجرماً بين ما لدي من خدم ...

وكدت أصعق ، وأجبت بأني أستطيع أن أشهد لكل واحد منهم ، بل وينبغي أن أقدمهم إليه مستعرضة ليقتنع .

هناك « بيير كورتان » ، جندي كهل ... ليس هو .

سائق العربة « فرانسيس ينجو » ، مزارع ، ابن المشرف على مزارع أبي ... إنه ليس هو .

صبي يعمل في الحظيرة ، من شمباني ، من أبناء مزارعين أعرفهم ... ليس هو .

ولا أحد بعد ذلك غير هذا الخادم الذي تراه ... إنه ليس واحداً من كل من ذكرت . وإذن فأنت ترى أنك قد خدعت يا سيدي !

— معذرة يا سيدتي ، ولكنني واثق من أنني لم أخدع .. هل تسمحين بأن يكون استعراضك لخدمك عن طريق إحضارهم هنا ليظهروا أمامي وأمامك ؟ كل خدمك بلا استثناء ؟

وترددت بادئ الأمر ، وأخيراً أذعنت ، ولم أر بداً من استدعاء كل الخدم رجالا ونساء .

وتفحصهم جميعاً في لحظة ثم أوضح : إنهم ليسوا كل الخدم

وأجبت قائلة : معذرة يا سيدي ، ليس هناك غير خادمتي الخاصة ، تلك التي لا يمكن بحال أن تخلط بينها وبين أحد المجرمين!

— هل أستطيع أن أراها أيضاً ؟ — من غير شك !

وغمزت الجرس فظهرت « روز » على الفور .. وفي اللحظة التي دخلت فيها الفتاة أرسل الضابط إشارة إلى رجلين قد كمنا وراء الباب فلم تقع عليهما عيناي ، وألقى الرجلان بثقليهما فوق الفتاة ثم أمسكا بيديها . وشدت إحداهما إلى الأخرى بالقيود !

وأطلقت صرخة غضب ، ورحت أحاول الدفاع عنها ولكن الضابط أوقفني قائلا :

— هذه الفتاة يا سيدتي ليست إلا رجلا يسمى نفسه « جان نيكولا ليكابيه » ... حكم عليه بالإعدام لإقدامه على جريمة قتل سبقتها جريمة هتك عرض ، ثم استبدلت العقوبة بالسجن مدى الحياة . لقد فر منذ أربعة أشهر ، ومنذ ذلك الحين ونحن نجد في البحث عنه .

أصابني الفزع ، وعقلت الدهشة لساني ، ولم أستطع أن أصدق ... واستمر الضابط في حديثه ضاحكا :

— أستطيع أن أقدم لك دليلا واحداً ، هو أن هناك وشماً على ساعده الأيمن .

وتحققت من صدق هذا القول عند ما كشف عن ساعده ، ولكن ضابط البوليس أردف في لهجة نابية :

— ليس من شك في أنك غير محتاجة إلى الإقناع عن طريق الأدلة الأخرى ؟

قالها ثم انصرف مصحوباً ... بخادمتي !

صدقيني إن أقصى شعور تملكني هو شعور الغضب من أن يُغرر بي على هذا الوجه ، وأن أخدع ، وأن أعرض للسخرية .. وصدقيني إنه لم يكن شعوراً بالخزي أن يلمسني ذلك الرجل ؛ وأن يمسكني بيديه ، وأن أبدو أمامه عارية وكاسية ، ولكنه كان شعوراً آخر ... شعوراً عميقاً بالضعة : ضعة امرأة ! ترى هل فهمتِ ما ذا أقصد ؟

— كلا ، لم أفهم تماماً ماذا تقصدين !

— فكري هنيهة ... لقد أدين ذلك الرجل لأنه أقدم على هتك عرض ... وهذا هو الشيء ... الشيء الوحيد هناك ... الذي أشعرني بالضعة ! ترى هل فهمتِ الآن ؟

ولم تجب سيمون ، بل راحت ترسل البصر مستقيما إلى الأمام ، إلى حلة السائق حيث ثبتت عيناها في زرين يتألقان ، وعلى شفتيها تلك الابتسامة الغامضة التي تعرفها الغانيات ... في بعض المناسبات ! !

أنور المعداوي

تظهـــر قريبـــا

الطبعة الثالثة من المجلد الأول من كتاب

وحي الرسالة

للأستاذ أحمد حسن الزيات

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

دليل تليفونات الأقاليم طبعة سنة ١٩٤٩

يمكنكم أن تحجزوا الأماكن التي تختارونها للاعلان عن أعمالكم في دليل تليفونات الوجهين البحري والقبلي طبعة سنة ١٩٤٩.

والإعلان في الدليلين المذكورين له مزايا خاصة إذ يتجدد كل يوم طوال مدة سريان الطبعة ويتداوله آلاف المشتركين وبه أماكن خالية تستطيعون استئجارها بأسعار زهيدة.

ولزيادة الايضاح اتصلوا

بقسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة — بمحطة مصر

مطبعة الرسالة



العدد ٨٤١ — الاثنين ١٥ أغسطس ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

17 em Année No. 841

Lundi — 15 — 8 — 1949

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بدار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد «٨٤١» القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ شوال سنة ١٣٦٨ — ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٩ السنة السابعة عشرة

أخى عزام !

قرأت فصولك الأربعة عشر التى كتبتها لقراء الرسالة بقلم المؤمن الصادق والمصلح الحكيم والخبير المجرب والكاتب المفتنّ، عن هذه الحيرة الاجتماعية التى عوّقت الأمم، وهذا القلق النفسى الذى أشقى الأفراد؛ فكنت كلما قرأت منها فصلاً نشأت فى خاطرى فكرة، وحفزتنى إلى الكتابة رغبة؛ فإذا قرأت الفصل الذى يليه ذهبت فكرة وجاءت فكرة، وسكنت رغبة وتحركت رغبة، حتى قرأت (الخاتمة) فوجدتك قد جمعت شتيت الأخطاء والأدواء ثم رددتها إلى مصدر واحد هو ضلال الإنسان، ووصفت لها طِباباً واحداً هو هُدى الله، فلم تدع فى الموضوع فضلةً يناقشها أديب، ولا علةً يعالجها طبيب.

كلام يشرق فيه الحق وعلاج يهدى إليه العقل، فما كان يجوز أن يختلف فيهما صاحب دين ولا صاحب دنيا، ولا أن يعمى عنهما أهلُ شرق ولا أهلُ غرب؛ ولكن الله لأمر يعلمه شاء أن يجوز العمى على البصير فلا يرى إلا بتنبيه، وأن يجرى الصمم على السميع فلا يسمع إلا بتبليغ!

ولقد كان من بداءة المنطق ومسلّمات الطبع ألاّ تستبد الحيرة والقلق بقوم يأمرهم ربهم بالعدل والإحسان، ويقوم شرعهم على الهدى والفرقان؛ ولكن المسلمين اليوم قد اتبعوا سبيلاً غير سبيل محمد، واتخذوا دليلاً غير دليل الله؛ فأصبحوا كسائر الأمم الغربية عباداً للذهب والسلطان والهوى، لا يتبعون غير رجال المال والسياسة بالطمع، ولا يطيعون غير رجال الحكم والحرب بالخوف. أما رجال الفكر ورجال الدين فقد جعلوهم من نوافل الحياة؛ مكانُهم على الهامش لا فى المتن، وميدانهم نوازع الكمال لا دوافع الضرورة؛ إلا من استغووَه منهم فقد استحبّ عماهم على هداه، وآثر هواهم على عقله.

ورجال الفكر أمثالك يا أخى قوم جعلوا (وظيفتهم) التفكير للناس. فهم ينتجون الفكر كما ينتج أصحاب العمل المال، ورجال السياسة الخداع، وأرباب الحكم الغطرسة! فما كان أجدرَ بابن آدم وهو لا يزال يتبجح بالعقل ويتمزّى به على غيره أن يجعل قياده لرجال الفكر! ولكن ابن آدم إنسان وحيوان، فإن استجرّ بإنسانيته للقلم، فلن يستجرّ بحيوانيته إلا للعصا!

لقد قرأ الناس ما كتبتَ وأعجبوا بما قرأوا. ولكن إعجابهم به لا يعدُوا أن يكون إعجاباً بالجمال فى ذاته. سيزعم كل قارئ أنك عنيت بكلامك سواه. فالفرد يقول أنا ضعيف؛ فليتنى أقوى لتكون لى إرادة. والشعب يقول أنا جاهل؛ فليتنى أعلم ليكون لى رأى. والحزب المعارض يقول أنا غير مسئول؛ فليتنى أحكم ليكون لى أمر. والحزب الحاكم يقول أنا غير مستقر؛ فليتنى أثبت ليكون لى تنفيذ! فإذا قوى الفرد عمل لنفسه، وإذا تعلم الشعب عصف الطغيان فى رأسه، وإذا حكم المعارض لها بيومه عن أمسه!! وإذن تذهب كلماتك الطيبة وأمثالها يا عزام كما تذهب النغمات الرخيمة فى هزيم العاصفة، أو النسمات الرخيّة فى ألفاف الغابة!

حديث الطائر الصداح

للأستاذ كامل كيلانى

مر السلطان ذات ليلة بمنزل، فتسمع فيه إلى ثلاث أخوات يتمنين الأمانى :

قالت الكبرى : أتمنى أن يبنى بى خباز السلطان !

وقالت الوسطى : أتمنى أن يبنى بى طباخ السلطان !

وقالت الصغرى : أتمنى أن يبنى بى السلطان نفسه !

ثم أصبح الصباح، فحقق السلطان للأخوات الثلاث أمانيهن

دب فى نفس الأختين الكبرى والوسطى دبيب الغيرة من أختهما الصغرى ... فكيف تفسدان بينها وبين السلطان ؟

حملت الصغرى، وجاءها المخاض، ولكنها لم تضع أميراً صغيراً، بل وضعت — فيما زعمته شقيقتاها — كلباً !

وفى العام التالى وضعت قطاً ! وفى الثالث وضعت قرداً !

جازت حيلة الشقيقتين على السلطان، وفعلت الخيانة فعلها فى نفسه ... فهجر زوجته البريئة !

ترعرع الأمراء الثلاثة أبناء السلطان الحقيقيون ... وفى ذات يوم أقاموا مأدبة حضرها البلبل الصداح ... وكان قد أشار على الأمراء أن يحشوا الخس والخيار باللآلئ !

غير أن السلطان لم يرقه ذلك، فلما أبدى استنكاره، هتف البلبل الصداح بالنشيد التالى. وهو مقتبس من قصة : « عجائب الدنيا الثلاث » للأستاذ كامل كيلانى التى تظهر فى أواخر سبتمبر القادم إن شاء الله .

حبات هذا اللؤلؤ الصغار ... يحشى بها الخس أو الخيار
تثير منك حيرة فتنكر ... عينك — من دهشتها — ما تبصر
ترى عجيباً قد تناهى فى العجب ... وغفلة، فى طيها سوء أدب!
تراه شيئاً لا يجوز أبدا ... تنكره، وليس يؤذى أحدا
وقبل هذا صدق السلطان ... أن يلد البهائم الإنسان
هل تلد الكلبة عنزاً أو حمل ... أو تلد النعجة فيلا أو جمل ؟
أو تلد النمورة الغزلانا ... أو تخرج التفاحة الرمانا
أو تلد الوحشية الإنسيه ... أو تلد القطة آدميه ؟ !
فكيف جاز فى المعقول أن تلد ... سيدة السادات فى هذا البلد
كلباً وقطا بعده، وقردا ... أيهزلون ... فتراه جدا !
وهو محال، عقلنا يأباه ... وسنة الحياة لا ترضاه !
حشو الطعام بنفيس الماس ... أدنى إلى المنطق والقياس

أغلب الظن يا صديقى أن أبرار الكتاب سيظلون يقولون الخير لأن لذتهم فى أن يقولوه، وأن فجار الساسة سيظلون يعملون الشر لأن منفعتهم فى أن يعملوه ؛ حتى يشاء الله وحده للوئام أن يعم وللسلام أن يعود، فيهيئ حينئذ لكلام الكتاب السبيل إلى أذهان الأحزاب والأقطاب، فتتجدد دعوة الأنبياء، وتتصل الأرض بأسباب السماء، ويصبح الأدلاء فى ركب الحياة من أمثال عمر وصلاح الدين، لا من أمثال ترومان وستالين.

فكر يا أخى وعبر، ولا ضير عليك ألا يفهم الناس عنك ؛ فإن التفكير متعة العقل، كما أن التعبير متعة الروح

(المنصورة) أحمد حسن الزيات

---

(٣) فلسفة الشعب :

الفلسفة الصـــــامتة

للأستاذ عبد المنعم عبد العزيز المليجى

لست أبغى أن أمحو الفروق المديدة التى تميز فكر الفيلسوف عن فكر الجمهور ، إنما أريد التقريب وعقد الصلات بينهما ، وبيان أن الهوة المزعومة بينهما لا وجود لها . ذلك أن المذاهب الفلسفية استمرار طبيعى لفلسفة صامتة ، تتسلل فى آلاف الأذهان خفية كما تتسلل النار الكامنة ، حتى تشتعل وتومض وميضاً يبهر الأبصار بعد أن تكون قد مرت بدور كون طويل . فما من مذهب جديد إلا وله سوابق وممهدات فى مذاهب السابقين ، وهذه بدورها سبقتها نظرات ولمحات صامتة تبدو فى حكم العامة وأساطيرهم وشعر الشعراء وقصص الأدباء . ولكن هؤلاء جميعاً بدت النظرات الفلسفية فى إنتاجهم دون قصد أو وعى بها ومن أجل هذا أسميها فلسفة صامتة . إنما الفلسفة الناطقة هى تلك التى تعبر عنها المذاهب الفلسفية التى صاغها أصحابها على وعى منهم بها ، والتى تبدو جديدة مبتكرة . وما هى — لو تأملناها وأحطنا بملابساتها — غير تأليف وتوفيق جديد بين عناصر قديمة مرت بالعقل البشرى من قبل وبوسعنا الاهتداء إليها فى مذاهب السابقين بل منبثة فى ثنايا الشعر والحكمة الشعبية القديمة قدم الإنسان ذاته

إليك مثلا أفلاطون وهو صاحب أول مذهب متكامل شامل فى تاريخ الفلسفة . يبدو مذهبه عملا ابتكارياً صرفاً . ولكن الحقيقة التى يكشف عنها تاريخ الفلسفة أن بعض النتائج التى وصل إليها غيره من المفكرين السابقين عليه ، قد دخلت فى تكوين هيكل فلسفته : نظرية هرقليطس فى التغير المستمر ، وفكرة فيثاغورس فى العدد والموسيقى ، ورأى بارمنيدس فى الوجود ثم فلسفة سقراط أستاذه الحبيب ، هذه جميعاً امتصها أفلاطون وتمثلها حتى استحالت إلى كيانه الفكرى كما تستحيل الأغذية إلى كياننا الجسمى . ليس هذا فحسب بل نستطيع لو ثابرنا أن نجد فى الفكر القديم عند الهنود والمصريين أفكاراً تتصل بسبب قريب بأفكار منبثة فى مذاهب أفلاطون .

يقول الأستاذ إسماعيل مظهر :

« إن مبادئ أفلاطون الأساسية وفكراته الجوهرية التى قام عليها مذهبه ، تدفع بنا إلى الرجوع سعياً ، لا إلى أسلافه الأقربين ولا إلى معلمه العميق الغور سقراط ، الذى عاش فى صفحات ما كتب أفلاطون ، ولكن إلى مدارس متفرقة سبقته فأ كبت على التأمل الفكرى فى إغريقية وأيونيا وإيطاليا . ومن قبل هؤلاء قد نرجع إلى عصر الشعر ، ذلك العصر الذى ترى فيه بدايات الفلسفة تكاد تبدو من ضباب الزمن ، وهى لا تكاد تعرف حتى من قيمة ذاتها شيئاً . ثم مد نظرك لأبعد من هذه الفلسفة غير الواعية الحقيقة ما هى ، وانغمر فى ضمير الزمان إلى تلك البدايات التى تمثلت فى الميول العقلية والخلجات النفسية وترامى قوى الفكر إلى حجب العالم ، تجد أن هذه الأشياء قد شهدت ميلاد فكرات أفلاطون بنسب ، منحدرة إليه من مدنيات عتيقة موغلة فى القدم من الهند ومصر ، وتجد فوق ذلك أن هذه الفكرات لا تزال حتى اليوم تؤثر أثرها المحتوم فى عالم التأمل . »[١]

وليس هذا عجيباً إذا علمنا أن الطريق إلى التعليمات الفلسفية ليس عقل الفيلسوف وحده فهنالك لدى العامة حدس صادق ، أو حس سليم هو طريق آخر يفضى إلى نظرات عامة فى الكون والأخلاق فيها من الصدق والصفاء ما يجعل لها قيمة تدانى قيمة مذاهب الفلاسفة والخلاصة أن المذاهب الفلسفية يقابلها فلسفة واقعية صامتة أو هى — كما قال الأستاذ إسماعيل مظهر : « لا تعى ذاتهـا » .

عقد الأستاذ « ألبير بابيه »[٢] فى كتابه « أخلاق العلم »[٣] فصلا يبين فيه أن النظريات الفلسفية الأخلاقية ، تسبقها أخلاق واقعية ، وأنها مجرد تركيز أو تبلور لتصورات الناس الواقعية لمثل أعلى . بل وبفضل الأخلاق الواقعية على النظريات الفلسفية لأن أثر الأخيرة فى تطور المجتمع أثر يكاد ينعدم .

يقول الأستاذ بابيه بهذا الصدد :

(١) فى مقال له بعنوان « الفيلسوف الباكى » هرقليطس بالمقتطف عدد يونيو سنة ١٩٤٥

(٢) الأستاذ بالسربون

(٣) قام بترجمه تلميذه الدكتور عثمان أمين بعنوان « دفاع عن العلم »

« لننظر فى أكبر تحول عرفته المجتمعات البشرية : وهو إلغاء الرق . لو سئلنا اليوم فى القرن العشرين باسم أى مذهب نستنكر الرق ؟ استطعنا أن نجيب جواباً لا يخلو من منطق : إن ذلك باسم فلسفة القرن الثامن عشر التى أعلنت حقوق الإنسان ولكنا نعلم حق العلم أن تلك النظرية لم تحرر إلا بعد حين ، أى بعد أن كانت المهمة قد تمت ، وبعد أن كان الرق كله قد اختنق أوكاد يختنق من مجتمعاتنا ، ولكن نبحث فى التاريخ عن المذاهب التى أدت إلى إلغاء الرق : يُحيل بعض المفكرين إلى الأخلاق الرواقية ، ولكن الرواقيين كان لهم أرقاء . ويحيل البعض الآخر إلى الأخلاق المسيحية ، ولكن المسيحية كان لها أرقاء . ولقد كان المفكرون من جميع المدارس يجدون دائماً صيغة مرنة تعينهم على أن يراعوا النظام العتيق ، وكأنهم يحملون عليه بإحدى اليدين ويؤيدونه باليد الأخرى . ابحث ما شئت فى التاريخ ، فإنك لن تجد ذلك المشهد الرائع : مشهد مذهب يقوم فيقضى على الرق . ولكن من حسن الحظ أن هنالك أخلاقاً واقعية كانت تعمل وتؤثر ، بينما كان الفلاسفة يتكلمون ويكتبون . وتلك الأخلاق الواقعية هى التى ألهمت « نيرون » ذلك المحسن إلى الإنسانية ، أن يحقق ذلك العمل الثورى العظيم الذى أباح للرقيق إذا عومل معاملة بالغة القسوة أن يرفع شكواه إلى القضاء . وألهمت القرارات الكثيرة التى أصلحت حال الرقيق ثم الموالى . فماذا كانت حقيقة تلك الأخلاق الواقعية ؟

لو سئل الذين كانوا أول من عمل لهذه الأخلاق ، يقعون فى متناقضات تستدعى الإشفاق حين يستهدفون إلى الإشارة بهذا الصدد إلى شىء من المبادىء (١) . ولكنا نحن بعد حين نرى النهج الذى سلكوه ، والذى انتهى إلى حقوق الإنسان . إن الأخلاق الصامتة المتضمنة فى جهودهم المتواصلة أقوى من العبارات المزعومة التى نقرأها فى كتب الفلاسفة » .

أجل ، بينا كان الفلاسفة يكتبون ويناقشون مذاهبهم الفلسفية فى الأخلاق كانت هنالك فى ضمير الشعب فلسفات أخلاقية صامتة ، تؤثر أثراً قوياً ولكن فى صمت حتى تحققت بعد أن كانت أملا تهفو إليه النفوس ذلك هو التحرر من الرق والعبودية .

الفلسفة فى الإنتاج الأدبى :

ألا ينهض ذلك دليلا على أن الفلسفة تمد جذورها فى حياتنا إلى أعماق سحيقة ؟ وأن لحظات قد تواتى جمهور الناس — رغم طغيان المشاغل اليومية — فتنفذ بصائرهم إلى هذه الأعماق ، وتغوص عقولهم إلى القاع لتصعد محملة بلآلىء الأفكار يذيعونها أمثالا مأثورة أو حكما ، وقد لا يفصحون عنها لفظاً ولكن تفصح عنها حياتهم بما تنطوى عليه من معنى فلسفى ؟ ولو تركنا طبقة الجمهور إلى طبقة الكتاب من غير الفلاسفة ، لوجدنا فى طيات كتبهم نظرات وتعميمات فلسفية . مثال ذلك : مسرحيات سوفوكليس وشكسبير وموليير وروايات برناردشو وأندريه جيد ونجيب الريحانى وشارلى شابلن وجوته ، نرى فيها جميعاً لمحات فلسفية منبثة هنا وهناك فى إنتاجهم ، وطالما كانوا أكثر توفيقاً من الفلاسفة ؛ إذ سرعان ما تنفذ اتجاهاتهم إلى شماب نفسك فى يسر لتستقر فى الأعماق . وما ذلك إلا لأنهم لم يعمدوا إلى ما يعمد إليه أهل الصنعة من الفلاسفة حين يجرون الأفكار من الحياة ، وينتزعونها من الواقع الذى نولدت فيه ، ونمت وازدهرت .

أينما نولى الطرف فى الإنتاج الروائى الخالد يقع بصرنا على بطل يجسم مشكلة من المشاكل الإنسانية ، تمترضنا جميعاً أياً كان زماننا وأياً كان مكاننا ، كمشكلة السعى الأبدى لبلوغ الحق والخير والجمال كما تصورها مأساة « فاوست » ، والصراع الدائم بين قوى الفرد وقوة المجتمع العاتية التى لا تأبه لآمال الأفراد أو آلامهم كما تبرزها قصة الحلاق الفيلسوف « فيجارو » ، أو روايات نجيب الريحانى التى تضحكنا رغم انطوائها على المأساة البشرية الكبرى : ما تلاقيه النفوس الخيرية من عنت فى هذا العالم والتى تنتهى جميعاً إلى اعتبار الخير غاية فى ذاته والسعادة فى راحة الضمير والمتتبع لروايات شارلى شابلن خاصة فى الفترة الأخيرة من حياته يلمس روحاً فلسفية تسرى فى جوانبها . لو تأملنا آخر روايات « المسيو فيردو » محترف قتل السيدات لاستخلصنا الدرس العميق الذى يلقيه على الإنسانية العاتية الحمقاء « التى ترفع مثيرى الحروب

(١) يقصد أن إرجاع هذه الأخلاق الواقعية إلى مذهب من مذاهب الفلاسفة عمل لا يخلو من تناقض .

الذين يسفكون دماء الملايين إلى منزلة الأبطال الخالدين ، وتحكم بالإعدام على فرد قتل عدداً قليلا من النساء ليحصل منهم على ما يقيم الأود بعد أن طرق الأبواب فلم يجد رزقاً » ، ذلك الدرس يفرغه شارلي المظيم في الحوار الأخير بينه وبين القسيس الذي أتى يباركه قبيل تنفيذ حكم الإعدام فيه ، إذ يعلن للقسيس عدم احتياجه إليه فيلح القسيس عليه أن يصلي ويتحدث إليه لعل الله يستجيب له فيقول « المسيو فيردو » : ليس الخلاف يا سيدي بيني وبين الله إنه بيني وبين البشر » أجل إن النظام الطبيعي خير ولكن البشر هم الذين يفسدونه . البشر وحدهم مسئولون عن وجود الشر في العالم ويخطئ من يدعي أن الله يريد بالعالم شراً .

عالج كثير من الفلاسفة في أسفار عدة موضوع الإرادة الإنسانية أهي حرة أم مجبرة ، وعالجوا فكرة القضاء والقدر ، وفكرة الاتفاق في الطبيعة والحظ لدى الإنسان . ونستطيع الاستنارة في هذه الموضوعات لو فتشنا عنها في كتب الفلاسفة ، ولكنا نراها في ضوء باهر ونلمسها ونحياها لو أنا عشنا لحظات مع الشاعر الروائي سوفوكليس في مسرحيته « أوديب ملكا » التي كتبها في أثينا في القرن الخامس قبل الميلاد ، أو لو أنا جلسنا إلى « أندريه جيد » نقرأ روايته « أوديب » التي كتبها في فرنسا منذ أعوام قلائل . خمسة وعشرون قرناً من الزمان تفرق بين الخالدين ، دون أن تمحو من الأذهان مشكلة فلسفية كبرى : تلك هي الصراع بين القضاء المحتوم والإرادة الإنسانية المختارة .

ولأترك القارئ لحظات إلى أستاذنا الدكتور طه حسين يكشف له عن الفلسفة التي تتضمنها قصة أوديب عند كل من سوفوكل وجيد :(١)

« هناك قضاء كان اليونان يؤمنون بأنه مسيطر على كل شيء وعلى كل كائن لا يفلت منه الآلهة أنفسهم . وهناك الإنسان كان يشعر بأن له عقلاً يميز به بين الخير والشر ، وبأن له إرادة يعمد بها إلى أحد هذين الشيئين اللذين يميز العقل بينهما وهما : الخير والشر . فليس هناك إذن بد من أن يكون اصطدام بين القضاء المحتوم الذي لا يفلت منه الإنسان أو الإله ، وبين هذه الإرادة التي زعم الإنسان أنها حرة مختارة تستطيع أن تعمد إلى ما تحب وتنصرف عما تكره سواء أراد القضاء أم لم يرد .

هذه الفكرة التي قصد سوفوكل إلى أن يصورها في قصته ومن قبله كان الشاعر اليوناني الممثل (أيسكاوس) الذي ذهب في تمثيله إلى تغليب القضاء على الإرادة الحرة المختارة ، ومن بعده جاء الشاعر اليوناني الممثل (أوربيد) الذي ذهب إلى كسب الحرية للارادة الإنسانية وأنكر القضاء أو كاد ينكره . أما سوفوكل فتوسط بين الأمرين . لم ينكر القضاء ولكنه لم يلغ الإرادة الإنسانية ، وإنما اعترف لها بشيء من الحق واعترف لها بأنها إن لم تستطع تغيير مجرى القضاء ، فإنها تستطيع أن تقاوم هذا القضاء مقاومة ما ...

صور لنا سوفوكل صراعاً بين القضاء وبين الإرادة وأظهر لنا الإنسان وقد غلبه القضاء . ولكنه لم يغلبه في سهولة ويسر . وإنما غلبه بعد أن قاومه الإنسان مقاومة عنيفة متصلة ، بالغة أقصى ما يمكن أن تبلغ من القوة والعنف ... »

ثم يمضي الدكتور طه مبيناً تصور أندريه جيد لنفس المشكلة :

« يصور لنا أوديب مصارعاً للقضاء يغلبه القضاء أولا . ثم مؤمناً بنفسه معتزاً بإرادته وينتصر على القضاء آخر الأمر ... أوديب عنده رمز للانسان الذي لا يؤمن إلا بنفسه وبإرادته ، قد قبل سعادته راضياً عنها ، وهو يقبل شقاءه راضياً عنه ، وهو مطمئن كل الاطمئنان إلى أن الرجل الحق هو الذي يتلقى الحياة صامداً لها راضياً عنها ، متمنيا بخيرها عن ثقة وعلم أيضاً ، لا يشكو ولا يتزعزع ، فهنالك سؤال واحد يلقى دائماً على كل إنسان ليس له إلا جواب واحد . أما السؤال فهو : ما اللغز وكيف يحل لغز الحياة الإنسانية ؟ وأما الجواب فهو : أن اللغز هو الإنسان ، وحله : هو أن يمضي الإنسان تبعاً لإرادته ، وفق عواطفه وشعوره وغرائزه وعقله .

هذه هي القصة التي كتبها أندريه جيد وهي كما ترون تمعن في الفلسفة ، وتبعد عن العناية الفنية » .

(الاسكندرية) عبد المنعم المليجي

(١) نقلا عن محاضرته في نادي الخريجين المصري سنة ١٩٤٩ « الملك أوديب في الآداب المختلفة »

عبقرية محمد على الكبير

للأستاذ كمال السيد درويش

« حقاً لقد كان عبقرياً ! »

هتفتُ بهذه العبارة من أعماق قلبي ونطق بها لساني بعد أن ملك الإعجاب نفسي . كان ذلك بعد أن انتهيت من قراءة بعض صفحات تاريخه الخالد بمناسبة ذكراه .

قلبت تلك الصفحات ، فاستوقف نظرى ذلك الحوار الذى دار بين محمد على وبين بُركارت الرحالة السويسرى . كان الرحالة قد اعتنق الإسلام وتسمى بالشيخ ابراهيم وأطلق لحيته حتى يتسنى له الاختلاط التام بالمسلمين . وكان محمد على قد سافر بنفسه — كما هو معروف — إلى بلاد العرب على رأس حملة عسكرية لمساعدة نجله فى قتال الوهابيين . ويصل الشيخ إبراهيم إلى الحجاز فى ذلك الحين ليؤدى فريضة الحج مع المسلمين ويدون ذلك كله فى كتابه المشهور .

ويستدعى الباشا الرحالة — وقد علم بوجوده — ما السر فى حضوره إلى الحجاز ؟ وفى ذلك الحين بالذات ؟ ألا يحتمل أن يكون جاسوساً انجليزياً ؟ دارت هذه الأفكار فى ذهن الباشا فالتفت إلى بركارت وهو يقول مداعباً : ألا ترى معى يا شيخ ابراهيم أن اللحية وحدها لا تكفى لجعل الإنسان مسلماً حقيقياً ؟ وحين يحجم الرحالة بين ذلك عن تكرار الزيارات لأن الباشا يشك فى أمره — كما فهم — يقول محمد على لترجمانه : اخبره أنى أرحب به سواء كان مسلماً أو غير مسلم .

وتتعدد المقابلات بينهما ...

ويستفسر محمد على منه عن أسفاره السابقة إلى بلاد النوبة ، ثم يتدرج إلى السؤال عن المماليك ومدى قوتهم وعن رأيه فى عدد القوة التى تكفى للقضاء عليهم ، وأفضل الطرق للوصول إلى السودان وعن المال اللازم لإعدادها .

وتصل إليهما فى ذلك الحين الأخبار بهزيمة نابليون وبدخول الحلفاء باريس وبإبعاد نابليون إلى جزيرة إلبا ، ويسأله الرحالة عن رأيه فى تلك الحوادث ، ويعلق محمد على بقوله : إن نابليون كان جباناً فى سلوكه . كان يجدر به أن يلقى حتفه فى الميدان بدلا من الاستسلام للذل والهوان وللحبس فى هذا القفص حتى غدا أضحوكة العالم بأسره . ثم يلتمس محمد على لنابليون العذر فيقول : لقد كان أعوانه خونة كالعثمانيين . لقد تخلى عنه أعوانه الممتازون وقواده المشهورون من يدينون له بالفضل والشهرة والجاه ، فهو ضحية خيانة الأصدقاء قبل أن يكون ضحية الأعداء !

ويروى الرحالة أن الباشا كان شديد الشوق لمعرفة أثر التطورات الأخيرة فى حوادث أوروبا على العلاقة بين روسيا وبريطانيا وفى نيات الأخيرة نحو مصر . وحين حاول الرحالة إزالة مخاوف محمد على وشكوكه من جانب انجلترا وإقناعه بسلامة نيتها نحو الدولة العثمانية ونحو مصر بالذات أبى الباشا أن يستجيب له ، وهز رأسه فى إنكار وهو يقول : إن السمكة الكبيرة تأكل السمكة الصغيرة ؛ ومصر ضرورية لانجلترا ، فكيف أطمئن على نياتها نحو مصر ؟ أنا لا أخاف من السلطان ، فأنا أعرف كيف أتفوق عليه فى المكر والدهاء ، ولكنى أخشى على مصر من انجلترا وأطماعها .

ولاحظ بركارت فى لهجة محمد على حماس الشاب الولهان ، وغيرته على زوجه الصغيرة الحسناء من الغرباء ، بالرغم من تأكده من حبها وإخلاصها .

عند ذلك يرد محمد على على محدثه وهو يقول فى حماس شديد كلمته الخالدة : « حقاً أنا أحب مصر ، أحبها حب العاشق المتيم الولهان ، ولو كنت أملك سوى روحى عشرة آلاف أخرى ، لضحيت بها فى سبيلها » .

أفلا يحق للقارئ — وقد انتهى من هذا الحديث الخالد — أن يهتف من أعماق قلبه : « حقاً ، لقد كان رجلا عبقرياً ؟ »

كان وهو يحارب الوهابيين فى بلاد العرب يفكر فى مصر وفى أهلها ، وفى علاقتهم بولده إبراهيم وقد تركه حاكما عليهم ، فيسأله الرحالة عن مدى حب الأهالى لولده وعن رأيهم فيه ؟ ألم يكن بهذا أول حاكم يبنى علاقة الحاكم بالمحكوم على أساس متين من المحبة الصادقة ؟ فى الوقت الذى كان فيه الاستبداد من الأصول

من ظرفاء العصر العباسى :

أبو دلامـــة

توفي سنة ١٦١ هـ

للأستاذ صبحى إبراهيم الصالح

— ٣ —

عرف أبو دلامة بخل المنصـور ، وأنه لن ينال منه العطاء إلا بعد تعب طويل ، فكان ينتهز الفرصـة في إرضائه بما يعلم أنه يستريح إلى سماعه . فهو مثلا يعرف أن المنصـور — بعد قتله أبا مسلم الخرسانى — كان يحب من الناس أن يبرروا عمله ويعتبروا أبا مسلم مستحقاً لتلك المأساة التى ختمت بهـا حياته ، فلينتهز أبو دلامة هـــذه الفرصة ولينشد المنصور فى محفل من الناس :

أبا مســـلم خوفتنى القتل فانتحى
عليك بما خوفتنى الأسد الوَرْدُ

أبا مسلم ما غـــير الله نعمة
على عبـده حتى يغيرها العبد

وإنك لتجد فى هذين البيتين قوة فى السبك تشعرك بأن أبا دلامة لم يكن فى القصيد شيئاً يستهان به أو يستخف بوزنه . لذلك سر المنصور بهذه القصيدة وقال لأبى دلامة : احتكم ، قال : عشرة آلاف درهم . فأمر له بهـا : فلما خلا به قال له مازحاً : إيه ! أما والله لو تعديتها لقتلتك ! [1]

بل لقد أعطاه المنصور داراً وكسوة لإعجابه بقصيدة وصف له فيها سوء حاله وقلة ماله وجوع أهله ، ومدحه فيها وأثنى على بنى العباس واسمع إذا شئت هذه القصيدة :

هاتيك والدتى عجـــوز همة [2]
مثـل البليلة دِرعها فى المِشجب [3]

(١) الأغانى ج ١٠ ص ٢٣٥

(٢) الهمة : العجوز الفانية .

(٣) المشجب (ومثله الشجاب) خشبات موثقة منصوبة توضع عليها الثياب وتنشر . يريد أن أمه فنيت حتى أشبهت خشبات المشجب .

الرعية لدى الحكام والمحكومين ؟

ألم يتابع — وهو فى عزلته — تطور الحوادث العالمية مقدراً ما سيكون لها من أثر على مستقبل مصر ؟ ألم يدرك بثاقب فكره وحسن تقديره ، ونفاذ بصيرته ، حقيقة العلاقة بين انجلترا ومصر؟ وأن واجب مصر يحتم عليها الأخذ بأسباب القوة حتى لا تلتهمها تلك السمكة الكبيرة ؟

ولقد فعل فلم تكشف انجلترا عن نواياها ، حتى إذا تركنا الأخذ بأسباب القوة ، وتنكبنا الطريق التى رسمها ، هب إعصار الإنجليز ، فاكتسح استقلالنا ، ومسخ قوميتنا ، وشوه تاريخنا ! حقاً ، لقد أيدت الحوادث صدق نظر محمـد على وسذاجة الرحالة السويسرى !

وهكذا تفتحت عبقرية محمد على الكبير وهو بعد لما يزل والياً صغيراً !

لقـد أحب مصر لدرجة العشق والهيام ، وتمنى أن لو كان لديه أكثر من روح واحدة حتى يقدم الآلاف فى سبيلها .

ولقد ضحى فعلا بأبنائه بإسماعيل وبطوسون وبإبراهيم ، وأخيراً بروحه هو نفسه .

وهكذا أعطى مصر أكثر مما أعطته ، ومنحها أكثر مما منحته وأصبح اسمه علماً على نهضتها وعظمتها فى تاريخها الحديث .

لقد أخلص محمد على فى حبه لمصر لمشوقته الحسناء ، وفتاته الهيفاء ، حتى الرمق الأخير ...

فلا عجب إذا احتفلت قلوب المصريين بذكرى المؤسس الأول الخالد فى سجل الخالدين وهى تهتف بلسان واحد :

حقاً لقد كان عبقرياً !

كمال السيد درويش

مدرس بالرمل الثانوية — اسكندرية
ليسانسيه الآداب بامتياز ودبلوم معهد التربية العالى
وعضو الجمعية التاريخية لخريجى جامعة فاروق

مهزولة اللَّحيين(١) من يرها يقلْ
أبصرتُ غولاً أو خيالَ القُطرب(٢)

ما إن تركتُ لها ولا لابن لها … مالاً يؤمل غير بَكْر أجرب
ودجاجةً خمساً يُرحن إليهمُ … لما يبضن، وغير عَير(٣) مغرب
كتبوا إليَّ صحيفة مطبوعة(٤) … جعلوا عليها طينة كالعقرب
فعلمت إن الشر عند فكاكها … ففككتها عن مثل ريح الجورب
وإذا شبيه بالأفاعى رُقشتْ … يوعدنني بتلمُّظ وتثوب
يشكون أن الجوع أهلك بعضهم … زَرَباً(٥) فهل لك فى عيال زُرَّب
لا يسألونك غير طل سحابة … تغشاهمُ من سيلك المتحلب
يا باذل الخيرات يابن بذولها … وابن الكرام وكلّ قرم منجب
أنتم بنو العباس يُعلَم أنكم … قدماً فوارسُ كل يوم أشهب
أحلاس(٦) خيل الله وهى مغيرة
يخرجن من خَلَل الغبار الأكهب(٧)

وكانت الدار التى أعطاها المنصور أبا دلامة قريبة من قصره، فأمر بأن تزاد فى قصره بعد ذلك لحاجة دعته إليها. فدخل عليه أبو دلامة فأنشده قوله:

يا بن عم النبى دعوة شيخ … قد دنا هدم داره ودمارُه
فهو كالماخض التى اعتادها الطلـ … ـق فقرّت وما يقر قراره
إن تحزْ عسره بكفيك يوماً … فبكفيك عسره ويساره
أو تدعه فللبوار وأنى … ولماذا وأنت حى بواره ؟
هل يخاف الهلاك شاعرُ قوم … قدُمت فى مديحهم أشعارُه ؟
لكم الأرض كلها فأعيروا … شيخكم ما احتوى عليه جداره
فكأنْ قد مضى وخلّف فيكم … ما أعرتم وأقفرت منه داره

فاستعبر المنصور، وأمر بتعويضه داراً خيراً منها ووصله.(٨)

ولو لم يتأثر بمعانى الشعر أبو جعفر، لما دمعت عيناه فاستعبر ولما عوض عليه تلك الدار بأحسن منها وطيب خاطره وأجزل صلته مع علمه بأنه أكثر إجادة للتمثيل منه لوصف حقيقة حاله. وانظر إلى تمثيل أبى دلامة واستخدامه الأساليب التى ترقق من قلب المنصور تارة، وتضحكه حتى تبدو نواجذه تارة أخرى، يوم دخل عليه فأنشده قصيدته التى يقول فيها:

إن الخليط أجدّ البَيْنَ فانتجعوا(١)
وزوّدوك خبالاً بئس ما صنعوا
والله يعلم أن كادت لبينهمُ … يوم الفراق حصاة القلب تنصدع
عجبتُ من صبيتى يوماً وأمِّهمُ … أمِّ الدلامة لما هاجها الجزَع
لا بارك الله فيها منْ منبهة … هبت تلوم عيالى بعد ما هجعوا
ونحن مشتبهو الألوان أوجهنا … سُودٌ قباح وفى أسمائنا شَنَع
أذابك الجوع مذ صارت عيالتنا … على الخليفة منه الرِّىُّ والشبع(٢)
لا والذى يا أمير المؤمنين قضى … لك الخلافةَ فى أسبابها الرُّفع
ما زلت أخلصها كسبى فتأكله … دونى ودون عيالى ثم تضطجع
شوهاء مشنأةٌ فى بطنها بَجَلٌ … وفى المفاصل من أوصالها فدع(٣)
ذكَّرتها بكتاب الله حرمتنا … ولم تكن بكتاب الله تنتفع
فاخرَنطمتْ(٤) ثم قالت وهى مغضبةٌ
أأنت تتلو كتاب الله يا لُكعُ
أخرجْ لتبغ لنا مالاً ومزرعة … كما لجيراننا مال ومزدرَعٌ
واخدع خليفتنا عنها بمسألة … إن الخليفة للسؤال ينخدع

ولقد انخدع أبو جعفر حقاً بهذه المسألة فإنه ضحك ثم قال: أرضوها عنى واكتبوا له بمائتى جريب عامرة ومائتى جريب غامرة فقال له: أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب غامرة

(١) اللحى عظم الحنك وهو الذى عليه الأسنان.
(٢) القطرب هنا: ذكر الغيلان أو الصغير من الجن.
(٣) العير: (بالفتح) الحمار. والمغرب: الذى اشتد بياضه حتى تبيض محاجره وأرفاغه. (٤) مطبوعة: مختومه
(٥) الزرب ضيق العيش (٦) أحلاس الخيل هنا: الملازمون ظهورها (٧) الكهبة: غبرة مشربة سواداً.
(٨) الأغانى جـ ١٠ ص ٢٥٩

(١) راعى فى ضمير الخليط اللفظ فأفرد (أجد البين) والمعنى فجمع (انتجعوا) وهذا جائز لغة على حد قوله تعالى (مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ماحوله ذهب الله بنوره) أى كمثلهم كمثل الفريق الذى ... والفريق كالخليط كلاهما من الأسماء التى يدل معناها على الجمع
(٢) ويروى هذا البيت:
إذا تشكت إلى الجوع قلت لها … ما هاج جوعك إلا الرى والشبع
وما رويناه أجود.
(٣) البجل: عظم البطن واسترخاؤه. والفدع: الاعوجاج
(٤) إخرنطمت: رفعت رأسها واستكبرت

فيما بين الحيرة والنجف ، وإن شئت زدتك . فضحك وقال : اجعلها كلها عامرة[١]

ولعلك تذكر أن قدمر بك — حول الجريب العامر والجريب الغامر — محاورة شبيهة بهذه بين أبي دلامة والسفاح فلا تسرع إلى اعتبار إحداها موضوعة ، فكثيراً ما يستطيب اللاحق نكتة للسابق فيتناقلها استمتاعاً بها ورغبة في سماع جواب جديد عليها . وجواب أبي دلامة للمنصور هنا — وإن أشبه جوابه للسفاح — إلا أن الرد الجديد أكثر طرافة . فقد قال هناك : قد أقطعتك أنا يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة من فيافي بني أسد ، ولم يكتف بفيافي بني أسد مع المنصور فقد أبعد الشقة فقال له : أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب غامرة فيما بين الحيرة والنجف ، وإن شئت زدتك .

ولأبي دلامة في مسألة المنصور والوصول إلى عطائه أسلوب أدعى إلى الغرابة من كل ما سبق ، فقد تطوع له نفسه تلفيق الرؤيا ، وهو يعلم أنه متهم بالكذب فيطلب من الخليفة تصديقه كأنه يريد أن يشهده على خداعه .

دخل على المنصور يوماً فأنشده :

رأيتك في المنام كسوت جلدي ... ثياباً جمة وقضيت دَيني
فكان بنفسجيُّ الخز فيها ... وساجٌ[٢] ناعم فأتم زيني
فصدقْ يا فدتك النفس رؤيا ... رأتهـا في المنام كذاك عيني

فأمر له بذلك وقال له : لا تعد أن تتحلم[٣] على ثانية ، فأجعل حلمك أضغاثاً ولا أحققه[٤]

ونديم يجد في نفسه الجرأة على تلفيق الرؤيا إمام الخليفة له من الدلال عليه ما يشفع له ، وإلا لالتمس لنفسه أسلوباً أسلم . ونعرف دلال أبي دلامة على المنصور من إعفائه إياه من السواد والقلانس دون الناس : فقد أمر أبو جعفر أصحابه بلبس السواد وقلانسَ طوال تدعم بعيدان من داخلها ، وأن يعلقوا السيوف في المناطق ويكتبوا على ظهورهم (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) . فدخل عليه أبو دلامة في هذا الزى فقال له أبو جعفر : ما حالك ؟ قال : شر حال ، وجهي في نصفي ، وسيفي في أستي ، وكتاب الله وراء ظهري ، وقد صبغت بالسواد ثيابي . فضحك منه وأعفاه وحده من ذلك ، وقال له : إياك أن يسمع هذا منك أحد[١] .

وفي هذا يقول أبو دلامة :

وكنا نرجي من إمام زيادة ... فجاد بطول زاده في القلانس
تراها على هام الرجال كأنها ... دنان يهود جللت بالبرانس[٢]

فهل كان الخليفة يعفيه من ذلك اللباس من دون الناس لولا دلاله عليه ؟ ...

(يتبع) صبحي إبراهيم الصالح

(١) الأغاني ج ١٠ ص ٢٣٧

(٢) الساج : الطيلسان الأخضر وقيل الأسود وقيل المقور ينسج كذلك . وفي الأساس : «ولبسوا السيجان وهي الطيالسة المدورة الواسعة»

(٣) تحلم فلان : قال حلمت بكذا وهو كاذب

(٤) الأغاني ج ١٠ ص ٢٥١

(١) الأغاني ج ١٠ ص ٢٣٦ . وفي معجم الأدباء ج ١١ ص ١٦٦

(٢) البرانس : جمع برنس قلنسوة طويلة ، أو كل ثوب رأسه منه

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

عتاب وطنى كريم من السودان :

... ...

تحية طيبة وتقديراً عظيما ، وشكراً على هذا الأدب الحار الذى تمتعنا به فى « الرسالة » كل أسبوع ...

وبعد ، فقد ذكرت فى كلمتك بعدد « الرسالة » (٨٣٣) تحت عنوان « بين نعيم الديمقراطية وجحيم الشيوعية » كلمات مدحت بها الإنجليز فى حفاظهم على مبدأ الحرية وتأثرهم بالحياة الديمقراطية الحرية حينما تقارنهم بالأمريكيين أو الروس .

وكاتب هذه السطور يحتقر الشيوعية ، كما يكفر بكل هذه النظم الغربية الفاشلة . أما الذى دعانى إلى الكتابة إليك ، فهو أنى أستكثر جداً ذلك المدح المعمم الذى أضفيته على الإنجليز حينما قلت إنهم « أصحاب ديمقراطية يؤمن بها الحاكم ويستشعرها المحكوم ، ويلتقون جميعاً فى رحابها كما كرم ما يلتقى الإنسان الكريم بالإنسان الكريم » ...

إذ كنت تقصد يا سيدى أنهم يسيرون وفق هذا المبدأ فى انجلترا وحدها فهو صحيح ، ولكن الإنجليز لا يستحقون على ذلك كل هذا المدح ، بل يجب أن نقول إنهم أنانيون وغير إنسانيين ، وإنهم لم يؤمنوا بعد بمبدأ الحرية الذى يجعل الناس سواسية كأسنان المشط مستعمرين أو مستعمَرين . فالإنجليز خارج انجلترا حكام إرهابيون بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ، وأظنك قد سمعت بالقنابل التى فتكت بمواطنيك من أبناء الجنوب فى شهر نوفبر الماضى فى « عطبرة » و « بورسودان » ، وبمئات الجرحى ومئات الذين ضربوا بالعصى المليطة فى « الخرطوم » ، ومئات الذين زجوا فى سجون البلدان الأخرى بالسودان لشئ بسيط هو أبسط مايسمح به للفرد فى ظل الحكومة الديمقراطية ، هو إعلان الرأى سواء بالكتابة أو الخطابة أو المظاهرة السلمية العزلاء !

وأظنك تسمع بسلسلة المحاكمات الجارية اليوم تحت المادة (١٠٥ من قانون عقوبات السودان) ، لأن فلاناً كتب مقالا ، أو أدلى بتصريح من شأنه أن يسبب كراهية الإنجليز أو حكومة السودان ، وغير ذلك ... فما رأى الأستاذ فى هذه الديمقراطية المزيفة ؟ ! أقول لن يستطيع الإنجليز أن يحصلوا على مدحك هذا عن جدارة واستحقاق حتى يتساوى المحكوم فى (الخرطوم) بالمحكوم فى (لندن) فى كل الحقوق الديمقراطية ، وحتى يؤمن الإنجليز ببيتى فيلسوف العرب المعرى :

ولو أنى حبيت الخلد فردا لما أحببت بالخلد انفرادا
فلا هطلت على ولا بأرضى سحائب ليس تنتظم البلادا

وإنى لفى انتظار ردك الكريم .

(السودان) ج . ح الوشير

هذا هو العتاب الوطنى الكريم الذى تلقيته من الجنوب وأشرت إليه فى عدد مضى من « الرسالة » ... إن كلماته الملتهبة بصدق الوطنية وحرارة الإيمان لتهزنى هزاً عنيفاً ، تهزنى لأنها تحمل إلى من أعماق النفوس الأبية نفحات ونفحات ، وتنقل إلى من سجل الجهاد النادر سطوراً هى فى حساب الشعور صفحات ...

أما العتاب — وإن كنت لا أستحقه — إلا أننى أنزله من نفسى منزل الود الخالص والأخوة المتسامية ، الأخوة التى استروحت أنسام الأرض الطيبة على ضفاف نهر واحد وتحت سماء وطن واحد!

يا أخى ، يا أخى فى الله والدين والوطن ... إن الأرض التى جمعت بين قلبى وقلبك لتجمع بين جراح وجراح ، وإن النيل الذى ربط بين روحى وروحك ليربط بين كفاح وكفاح ... أنا هنا وأنت هناك ، ويابعد الشقة فى منطق الظلم البغيض ، ويا قربها فى منطق الحب المتغلغل فى طوايا الوجدان ... نحن يا أخى فى ميدان الجهاد يد تمد إلى يد ، وفى معرض التضحية قدم تسعى إلى قدم ، وفى مجال الوفاء عاطفة تقبس من عاطفة ... فكيف تعاتبنى على كلمات قلتها فى سياق الحديث عن قوم يؤمنون بالديمقراطية فى أرضهم ، ويكفرون بها فى أرض الناس ؟ !

أجل ، ياصديق ، لقد كنت أتحدث عن الإنجليز فى بلادهم ، إنهم هناك أصحاب ديمقراطية يؤمن بها الحاكم ويستشعرها المحكوم ، ويلتقون جميعاً فى رحابها كما كرم ما يلتقى الإنسان الكريم بالإنسان الكريم ... حقيقة نسجلها فى اطمئنان ويسجلها

التاريخ ، حتى إذا ما سجلنا النقيض كنا أمناء على الحق سواء أشدنا بالعدل أم أشرنا إلى الظلم والطغيان !

من الحق أن ننعت الإنجليز بأنهم مثاليون فى بلادهم ، مثاليون فى قيم النزاهة ومعايير الخلق وموازين الإنسانية والضمير!

ومن الحق أيضاً أن ننعتهم بأنهم مثاليون فى غير بلادهم ، مثاليون فى الأنانية والجشع ، وضـيمة الضمير والخلق ، وانتفاء العدل والإنصاف . وتلك هى العناوين الضخمة التى يسطر تحتها التاريخ كلماته الخالدة حين يعرض للحكم البريطانى فى أرضه وكل أرض سكنها الأحرار فى كل زمان ومكان !

يأخى ، يأخى فى الله والدين والوطن ... إن الأنشودة الرائعة التى بدأناها فى شمـال الوادى ، أنشودة الجهاد التى انطلقت من قيثارة الأحرار ، قد أذن الله أن ترسل أنغامها فى جنوبه . وكل نغم إلى فناء ، وكل نار إلى رماد ، وكل ذكرى إلى نسيان ... ولـكن أنغامنا ستظل إلى الأبد ترن فى مسمع الزمن ، ولـكن نارنا ستظل إلى الأبد تضئ الطريق للسالـكين ، ولـكن ذكرانا ستظل إلى الأبد قصة تروى وعطراً يفوح !

ولا عليـك يأخى من تلك القيود ... إن معدنها الرخيص سيذوب يوماً تحت وهج النار المتأججة فى حنايا الضلوع !

ولقد قال أبو العلاء ما قال لأنه إنسـان ، ولـكن أين من يستمع لنداء الإنسانية وقانون السماء ؟ ألا ليت الطغاة قد جعلوا شعار حكمهم هذه الـكلمات التى انطلقت من أعماق بطل الحرية إبراهام لنـكولن : « إن ضـوء الشمس لا يفرق فى يد الله بين أحرار وعبيد ، فلم يفرق ضوء الحرية فى أيدينا بين أنصار وخصوم» ! ومع ذلك فنسير يوماً جنباً إلى جنب ، وقلباً إلى قلب ، وعيوننا أبداً إلى الأفق البعيد !

ضجة أدبية حول كتاب لأرتير رامبو :

أرتير رامبو شاعر من شعراء الرمزية فى الأدب الفرنسى توفى فى أواخر القرن التاسع عشر عام ١٨٩١ ... ولقد كان رامبو صديقاً حميماً لشاعر الرمزية الأول بول فرلين ، حتى لقـد تعرضت تلك الصداقة الوطيدة لتجريح بعض النقاد من ناحية السلوك الأخلاق!

ونترك هذه الناحية الشائـكة لنقول إن إحدى دور النشر الـكبرى فى باريس قد أعلنت فى الأيام الأخيرة عن حصولها على مجموعة شعرية لرامبو ، وأنها على أهبة طبعها لتـكون بين أيدى القراء ... ولقد كان معروفاً أن هناك أديباً فرنسياً كبيراً يمتلك هذه المجموعة التى كتبها رامبو بخط يده وتركها بعد موته دون أن تأخذ طريقها إلى المطبعة . ومن هنا أحدث الخبر ضجة كبرى فى الأوساط الأدبية الفرنسـية ، حتى لقد تهافت المعجبون بفن رامبو على ألوف النسخ المطبوعة فنفذت فى مدى يومين !

أما النقاد الفرنسيون ، فقد استقبلوا الـكتاب بحفاوة بالغة دفعت أحدهم وهو « باسكال بيا » إلى أن يكتب عنه كلمة مستفيضة رفع فيها شـعر رامبو إلى القمة من الأدب الفرنسى الحديث ... وحين فرغ الـكاتب الفرنسى الـكبير « فرانسوا مورياك » عضو الأكاديمية الفرنسية من مطالعة المجموعة تناول قلمه ليكتب مقالا يصب فيه إعجابه البالغ بفن رامبو، ذلك الإعجاب الذى فجر الدموع فى عينيه وهو ينصت لهمسات الشاعر فى كل قصيدة من قصائده!

وفى الوقت الذى هم فيه مورياك بأن يبعث بمقاله إلى جريدة « الفيجارو» أذاع أحد الـكتاب الفرنسيين وهو « بيير بريسون» خبراً فحواه أن هناك خدعة كبرى وقعت فيها « المار كيردى فرانس» حين أقدمت على نشر كتاب لا يمت إلى الشاعر الفرنسى بصلة من الصلات ، مؤكداً أن النسخة الخطية التى طبعت لم يكتبها رامبو وإنما كتبها شابان عابثان يسعيان إلى جمع المال عن طريق غير شريف ! واهتزت الأوساط الأدبية الفرنسية تحت وقع الخبر ، وبخاصة حين أعلن الـكاتب السريالى الـكبير « أندريه بريتون » أن النسـخة الخطية التى كتبها رامبو بين يديه ، وأن تلك التى نشرت ما هى إلا تقليد بارع ! وانقلبت الضجة إلى خصومة عنيفة انقسم بسببها الأدباء الفرنسيون إلى فريقين : فريق ينتصر لباسكال بيا وفرانسوا مورياك حين يزعمان أن التقليد لا يمـكن أن يسمو إلى مثل هذا الأداء الفنى الرفيع ، وفريق آخر ينتصر لأندريه بريتون وبيير بريسون حين يؤكدان أن الأمر لم يكن إلا خدعة نسجت خيوطها بمهارة !

وأخيراً انتهت الخصومة العنيفة إلى مهزلة ليس لها نظير ... لقد اعترف الأديبان الناشئان بفعلتهما الجريئة ، ذاهبين إلى أنهما لم يهدفا إلى الحصول على المـال عن طريق غير شريف ، ولـكن هدفهما هو أن يحصلا على شهرة أدبية لا يستطيعان أن يصلا إليها عن طريق إسمين غير معروفين ، ولقد دانت لهما تلك الشهرة عن جدارة أيدها بقلبه وقلمه عضو من أعضاء الأكاديمية الفرنسية ... هو فرانسوا مورياك !

قصة فريدة نهديها إلى أدبائنا الناشئين ممن تعرض عن إنتاجهم دور النشر وتوصد المجلات الأدبية أبوابها في وجوههم .. نهديها إليهم اندلهم على أقصر طريق يصـلون منه إلى الشهرة الأدبية وقلوب الناشرين !!

بعض الرسائل من حقيبة البريد :

رسالتان من « العراق » وكلتاهما من « بغداد » ، أما الأولى فمن الأديب الفاضل عمر عيسى السامرائي بمعهد التربية البدنية وبها سؤال عن بعض ماجاء بكتاب « على هامش السيرة » من آراء متناقضة للدكتور طه حسين ، وأما الثـانية فمن الأديب الفاضل إسماعيل محمد السامرائي وبها سؤال آخر عن بعض ماجاء بمسرحية « شهر زاد » من فلسفة لفظية تخـالف منطق الواقع للاستاذ توفيق الحكيم ، وسأجيب عن السؤالين في العدد القادم من « الرسالة » . وهذه هي الرسالة الثالثة من « عمان — شرق الأردن » تحمل إلى معلومات طريفة صبت في قالب من التهكم اللاذع على ذلك القصاص العامي النابغ الذي قلت عنه إنه درس فن القصة في كتاب القرية ، ولقد كنت أود أن أثبت هذا التهكم غير أني تذكرت أن المقصود به أهون من أن يشار إليه بأي لون من ألوان الذكر ، ولذا أعتذر للاديب الأردني الفاضل أحمد عزيز بيتوغن شاكراً له كريم تقديره . والرسالة الرابعة من « المحرق — البحرين » أشـكر لمرسلها الأديب الفاضل مبارك راشد الخاطر حسن ظنه ، وأجيبه بأن رأيي في شـعره هو أن أداءه اللفظي لا بأس به وأن كل ما ينقصه هو العناية بالأداء النفسي ، وتلك ناحية سأعرض لها بالنقد والتحليل في عدد مقبل من « الرسالة » تحت عنوان « الأداء النفسي في شعر المهجر » . والرسالة الخامسة من « عدن » يأخذ علي فيها الأديب الفاضل علي باذيب ذلك الرأي الذي سبق أن أبديت فيه إعراضي عن إخراج كتاب مادام الجمهور القارئ معرضاً عن شراء الـكتب ، يا صديقي أنا شاكر لك ثناءك العاطر وثقتك الغالية ، أما الإعراض عن التأليف فهو إلى حين ، وليس بمستبعد أن تنتهي أزمة القراء ويتجدد الأمل !

وأنتقل بعد ذلك إلى الرسالة السادسة وهي من « عطبرة — سودان » لأقول لصاحبها الأديب الفاضل مكرم سعيد إنني مقدر له هذا الشعور النبيل المتدفق من كلمـاته ، ولست أملك إلا أن أستجيب لرغبته في الأيام المقبلة . وإلى الرسالة السابعة وهي من « الخرطوم — سودان » أيضاً لأقدم خالص امتناني للأديب الفاضل عبد الرحيم محمد أحمد على تحيته الصـادقة ، ولأجيبه عن رغبته في أن أخص الأدب السوداني بشيء من العناية بأنه يؤسفني حد الأسف ألا يكون بين يدي من نصوص هذا الأدب ما يمكنني من الـكتابة عنه ، وحبذا لو بعث إلي كتاب السودان وشعراؤه بإنتاجهم الأدبي مطبوعاً لأقوم بدراسته وتقديمه إلى القراء . أما الرسالة الثامنة فمن الأديب الفاضـل عبد الرحمن السيامي بهيئة الإذاعة البريطانية « بالخرطوم — سـودان » ، وفيها يرد على الأستاذ محمد غنيم بمناسبة تخطئته لي حين قلت « لم أكن أعرف » مستشهداً بالآية الـكريمة من سورة المدثر « ولم نك نطعم المسكين » إن تعقيبي على هذه اللفتة الموفقة بمدخالص الإعجاب هو أن الأستاذ غنيم معذور لأنه « لم يكن يعرف » : أن التعبير صحيح لا غبار عليه

وتبقى بعد ذلك أربع رسائل مصرية ... الأولى من الأديب الفاضل السيد على الشوربجي الطالب بكلية الحقوق ، وفيها يناقشني نقاشاً طويلا حول الـكلمة التي كتبتها عن أبي العلاء ، يا صديقي أرجو أن تعود مرة أخرى إلى ما كتبت لأن هناك بعض معان قد خفيت عليك ولعلها تتكشف لك بعد التأمل والمراجعة . والثانية حول أبي العلاء أيضاً وهي من جندي فاضل بالجيش المصري رمز لنفسه بتلك الحروف الأولى من اسمه (م . ف . ا) ... أنا شـديد الإعجاب بأن يكون بين جنودنا البواسل من يقرأ « الرسـالة » ويعشق الأدب ، ويغوص بفـكره فيما كتبت عن أبي العلاء ، ويخاطبني بقوله « سيدي طبيب الأدب ، أنا مؤمن بما جئت به عن الحرمان النفسي والجسدي عند أبي العلاء ، ولـكن ماذا تقصد بالحرمان القلبي حين قلت إن قلب أبي العلاء كان يشكو الحرمان من العاطفة مع أن هذا القلب كان عامراً بالعاطفة الانسـانية » ؟ ... عزيزي أديب الجيش ، أنا أقصد العاطفة الأنثوية لا العاطفة الانسانية ؛ تلك التي تنسب إلى المرأة وكان يمكن أن تملأ بعض الفراغ في حياة أبي العلاء . أما الرسالة الثالثة فمن الأديب الفاضل (م . م س) بمعهد أسيوط الديني ، إن ردي عليه هو أنه يستطيع أن يدرس اللغة الإنجليزية وهو باق في دراسته الأزهرية ، وذلك عن طريق بعض الدروس الخاصة من أحد المدرسين الأكفاء ، وهذا هو الطريق الوحيد الذي يحقق له ما يصبو إليه . وأنتهي إلى الرسالة الرابعة أو الثانية عشرة والأخيرة لأشكر لمرسلها الأديب الفاضل محمد فتحي سعيد بدمنهور هذا الإخلاص الرائع للمثل العليا الفـكرية ، أما شعره الذي بعث إلي به فأود أن يتعهده بالصقل لأرضى عنه في المستقبل القريب .

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

لسنا أوربيين ولا حالمين :

كتب الأستاذ إبراهيم المصرى فى العدد الأخير من « أخبار اليوم » حديثاً جرى فى مجلس حضره ، بين رجل أجنبى يستوطن مصر وبين شاب مصرى جامعى . حمل الرجل الأجنبى على الثقافة الشرقية ، واتهم العقل الشرقى بالهوس الدينى والتواكل القدرى والتجرد المطلق من الروح العملية ، وزعم أن العلم المادى التجريبى كما تفهمه الحضارة الحديثة دخيل على العقل الشرقى المولع منذ القدم بالأخيلة الدينية .

وقد رد عليه الشاب الجامعى بالتفرقة بين الشرق الإسلامى وبين الشرق الأقصى والعقائد الأسيوية التى تنفر من الحياة وتحتقر العمل وتنادى بخنق الرغبات البشرية ، وقال الشاب إن الحضارة الإسلامية استمدت قواها من الغرب أكثر مما استمدتها من الشرق ، فالعلم العربى مدين للاغريق أكثر مما هو مدين للهند أو للصين أو للشرق الأقصى . إلى أن قال : « فالشرق الإسلامى إذن ليس هو الشرق الذى تزعم . ونحن فى الحقيقة لسنا بالشرقيين الأسيويين الحالمين . نحن من الغرب . نحن أوربيون » .

أعجبنى تفريق الشاب بين الشرق الإسلامى وبين الشرق الحالم المغرق فى العقائد البعيدة عن الحياة العملية ، كما أعجبنى إرجاعه التأخر الملحوظ علينا اليوم إلى سياسة الأجنبى المستعمر وسياسة بعض الإقطاعيين من رجالنا . ولكن الشاب لم يعرّف الشرق الإسلامى تعريفاً صحيحاً ، فليس استمدادنا من أوربا بالذى يجعلنا أوربيين ، كما أن أوربا لم تصبح من الشرق الإسلامى لأنها أخذت منه فى بعض العصور . ونحن لسنا بحاجة إلى ثبات اتصالنا بأوربا أو نسبتنا إليها لننفى عن أنفسنا ما نتهم به من الإغراق فى الخيال والبعد عن الحياة المادية وما يسمونه الهوس الدينى . والواقع أن بعض الذى يرموننا به هو الذى ينفى عنا هذه التهم ، وهو النزعة الدينية ، فالدين الإسلامى لم يفصل فى شؤون الحياة بين مادى وروحى يدعو إلى هذا وينهى عن ذاك ، بل هو ينظر إلى الحياة باعتبارها وحدة كاملة ، وليس هو دين عزلة ، بل هو نظام حياة إنسانية وتشريع مجتمع كامل .

والعقلية العربية هى كذلك عقلية عملية ، إلى جانب تمسكها بالقيم الإنسانية والمثل العليا ، فقد كان العربى يصنع الصنم فإذا جاع أكله ، وهذا يدل على العقلية العملية البعيدة عن العقائد الحالمة .

فنحن لسنا من الحالمين ولسنا أوربيين ، وإنما نحن . . . نحن عرب مسلمون ، لم تؤخرنا نزعة دينية ولا فلسفة روحية ، وأنا لم يأخذنى أبداً رنين الكلمة السائرة التى قالها أمين الريحانى وهى : « أنا الشرق عندى فلسفات ، فمن يبيعنى بها دبابات ؟ » فالشرق العربى الإسلامى لم تعقه فلسفات عن دبابات ، وإنما العائق ، كما جاء فى مقال الأستاذ إبراهيم المصرى سياسة الاستعمار والإقطاع ، وبالتخلص من هذين يشترى الشرق العربى الإسلامى الدبابات ، لا بما لديه من فلسفات .

فى مسابقة المجمع اللغوى :

أعلن المجمع اللغوى عن مسابقة فى نقد الشعر العربى من منتصف القرن التاسع عشر إلى اليوم .

فهل يريد المجمع الشعر العربى فى جميع البلاد الناطقة بالضاد الممتدة من المحيط الأطلسى غرباً إلى الخليج الفارسى شرقاً ، ومن جبال طوروس شمالا إلى خط الاستواء جنوباً ، بالإضافة إلى إنتاج الشعراء الذين يقيمون فى أمريكا وأوربا ؟

أرجو التكرم بالإفادة ولكم جزيل الشكر .

محمد سيد كيلانى

رجعت لنص المسابقة وهى مسابقة سنة ١٩٤٩ — ١٩٥٠ فوجدته يتضمن أن يجاز بمائتى جنيه « أحسن بحث فى نقد الشعر العربى فى الفترة التى تبدأ فى النصف الثانى للقرن التاسع عشر إلى اليوم — ولا ينقد شعر الأحياء » والواقع أنه موضوع مترامى الأطراف ، وهذه الفترة بالذات زاخرة بالإنتاج الشعرى المتنوع

المذاهب والمختلف الألوان، بل هي تشمل الشعر العربي الحديث كله وهذا الشعر ليس من السهل الحصول عليه أو على نماذج لمذاهبه ومواطنه ، ومراجعه نادرة ، وطرقه متشعبة . وهو الموضوع الذى قررت الجامعة إنشاء كرسي له يسمى باسم « شوقى » ولا تزال حائرة فى اختيار أستاذله . فكيف يوفى ذلك الموضوع فى بحث يقدم فى مثل هذه المسابقة ؟ إن المجمع ينظم هذه المسابقات لتشجيع الإنتاج الأدبى، ولكن الأمر يكاد يخرج فى هذا الموضوع إلى التعجيز عن الإنتاج الأدبى ..

لقد حاولت أن أفهم أن المقصود من الموضوع بحث جزئى لا يخرج عن نطاق الفترة المحددة حتى يكون معقولا ، ولكنى رأيت النص لا يساعد على هذا الفهم ، ولو كان هذا هو المراد لما أعيا بيانه لجنة الأدب بالمجمع .

المرأة :

تعيش فاطمة مع أبيها المقعد فى الاسكندرية . يتهدم المنزل الذى يقطنانه وهى فى المدرسة ، فيذهب بأبيها ولا عائل لها سواه ، فتتوجه إلى القاهرة حيث أمها متزوجة من رجل آخر . يرحب بها زوج أمها ويتودد إليها تودداً مريباً ، ولما تقف على حقيقة

كشكول الأسبوع

□ جاء فى مجلة المصور أن خليل مطران أول من دعا إلى إقامة أول حفلة تأبين وأول حفلة تكريم فى مصر ، وكان ذلك فى تأبين البارودى فى اليوم الأربعين من وفاته ، وفى تكريم الشيخ سلامة حجازى . ومما يؤسف له أن أحداً لم يفكر فى إقامة حفلة لتأبين مطران وقد مضى على وفاته أكثر من أربعين يوماً ، فأين الذين كانوا يقيمون له حفلات التكريم فى حياته ؟

□ ظهر « البلاغ » مساء الخميس الماضى وعلى رأس صفحته الأولى العنوان التالى بالثلث : « بريطانيا وأمريكا تؤيدان رفع الحظر على إصدار السلاح إلى الشرق الأدنى لأنه أصبح غير ذات موضوع » ويخيل إلى أن المحرر الذى اقتبس « غير ذات موضوع » من تعبير لطفى السيد باشا عن المعاهدة ، مزهو ببراعته فى هذا الاقتباس من المؤنث للمذكر دون تغيير !

□ من أنباء (روتر) بباريس أن السيد مصباح صلاح نائب رئيس المجلس الجزائرى أعلن أنه يدعو فرحات عباس محرر صحيفة الجمهورية الجزائرية إلى المبارزة لأن مقالة بالصحيفة تضمنت طعناً فيه .

وأذكر بهذه المناسبة ما حدث بمصر منذ شهور فى مبارزة السيف العالمية ، إذ تقدم اللاعب الإيطالى الفائز من اللاعب الفرنسى المنهزم ليصافحه ، فصفع الثانى الأول . ولم يذع نبأ هذا الحادث إذ ذاك لا روتر ولا غير روتر .

□ نشرت « آخر لحظة » أن محمد محمود خليل بك رئيس جمعية محبى الفنون الجميلة فى مصر ، عهد إلى خمسة من المثالين الفرنسيين أن يصنع كل منهم تمثالا لمحمد على باشا الكبير ، على أن يختار أحد التماثيل الخمسة ليوضع فى ميدان محمد على بالقاهرة ، ويأخذ كل من المثالين أجره من الحكومة المصرية سواء اختير تمثاله أم لا . وهى مجاملة مؤسفة على حساب الممول المصرى والفن المصرى .

□ أهم المعروضات الفنية التى أخذت من مصر لعرضها فى « معرض مصر — فرنسا » من الآثار الفرعونية ، وهذه ليست فى حاجة إلى دعاية ، فقد شبعنا من تنويه الأجانب بها ، أما الجدير بالاهتمام فى هذا المجال فهو الأعمال الفنية المصرية الحديثة .

□ تفتتح الإذاعة العربية الباكستانية يوم ١٤ أغسطس الحالى ، وهو يوم عيد استقلال الباكستان ، وقد أعد له برنامج حافل يحتوى على كثير من المسجلات فى مصر

□ رأت رابطة الأدباء من الإنسانية أن تريح الناس من محاضراتها فى هذا الحر ، عملا باقتراح وكيلها الأستاذ مبارك إبراهيم .

□ تذيع محطة الشرق الأدنى فى برنامج المرأة ، مختارات مقتطفة من كتاب جديد مرتين فى الشهر .

□ تناقلت الصحف والمجلات المصرية فى هذا الأسبوع ، أن كاتبين يابانيين سيقومان برحلة فى الشتاء القادم إلى الشرق العربى ، ومن أغراضهما اختيار بعض المؤلفات المصرية الحديثة لترجمتها إلى اليابانية ونحن بدورنا ننقل هذا الخبر ، والعهدة على الأصل .

نواياه، تغادر منزله ليلا ، وتنقذها الحاجة محروسة من يد الشرطى الذى اشتبه فيها ، وتأخذها إلى منزلها وتكرمها . والحاجة محروسة هى « ملكة البسبوسة » التى تبيع هذا الصنف من الطعام وأمثاله لعمال مصانع الزجاج الأهلية . تعيش فاطمة فى منزل الحاجة محروسة الملاصق لمنزل يسكنه أخوان من عمال المصانع هما محمود وفريد، يشاهد كل منهما فاطمة وهى تغنى فى نافذة مقابلة لنافذتهما ، فيحاول كل منهما أن يظفر بها ، يخطبها فريد من الحاجة محروسة ، ولكنها تحب محموداً . ولما يعلم محمود بالخطبة يحزن ويذهب إلى مرقص ليتسلى هناك ، وتأتى إليه نجمة الراقصة ويشربان معاً ، وتوصله إلى منزله وهو ثمل ، ويراها عنده أخوه فريد، ويدور حديث بين الأخوين يقول فيه فريد لمحمود إنه تنازل له عن فاطمة لما عرف أنها لا تحبه ولم يكن فريد صادقاً فى ذلك وإنما كان يدبر أمراً ، اتفق مع نجمة الراقصة على أن تذهب إلى أخيه محمود بحيث تراها عنده فاطمة . ويظل الأخوان يتنازعان إلى أن ينتهز فريد فرصة صعود أخيه على آلة عالية فى المصنع فيعبث بأسفلها حتى يسقطه ، وينقل محمود إلى المستشفى ، وتذهب

إليه نجمة الراقصة ، فتدرك من حديثه إليها أن أخاه هو الذى دبر إسقاطه ، فتصر على إبلاغ (البوليس) ويسممها فريد ، فيلقاها فى ممر بالمستشفى ويطعنها بسكين ، ويفر ثم يقبض عليه . ويشفى محمود وتأتى إليه فاطمة فيخرج بصحبتها من المستشفى مسرورين .

ذلك هو ملخص قصة فلم « المرأة » الذى عرض لأول مرة فى سينما أوبرا بالقاهرة ، والقصة من وضع عبد الفتاح حسن ومحمود السباع ، والأول هو مخرج الفلم ، واشترك الثانى فى التمثيل وهو فى الفلم (فريد) ومثل كمال الشناوى (محمود) وأحلام (فاطمة) وسميحة توفيق (نجمة) ومارى منيب (الحاجة محروسة) .

والقصة كما ترى تدور على نزاع أخوين على امرأة ، وهى قصة عريقة فى القدم ، قصة ابنى آدم هابيل وقابيل . ولننظر كيف عولجت فى هذا الفلم ، ولكن أرانى أمام أمر آخر هو ولا شك أهم من موضوع القصة فى نظر العاملين فى إعداد الأفلام المصرية ، ذلك هو استخدام مميزات فى الممثلين وتطويع الحوادث لإبراز هذه المميزات ، ممنا الآن : صوت أحلام ، ووسامة كمال الشناوى وظرف مارى منيب ، ورشاقة سميحة توفيق . أما أحلام (فاطمة) فنراها فى أول الفلم تلميذة فى مدرسة ، فلا بد إذن أن تكون مدرسة موسيق لتغنى فى (الفصل) أغنية تتضمن التنديد بظلم الرجل للمرأة ، وهى أغنية لا مناسبة لها ، وهى أيضاً تافهة فهى تلخص ظلم الرجل للمرأة فى أنه يريدها عالة عليه ! ثم تقول إنها لا بد أن تطالب بحق الانتخاب ، وهنا تضم أحلام أسفل قبضة يدها اليمنى على كفها اليسرى وتحركها لغيظ الرجال وإشعارهم بحرقة الفلفل ! وهى حركة غير لائقة ، وهى كذلك بائخة .

وفى أحد المناظر يقال إن فاطمة ذهبت إلى أمها بحلوان ، ثم تظهر فاطمة فى حلوان لا مع أمها ولا فى منزلها بل فى حديقة كبيرة ، وذلك لتغنى أحلام بين الأشجار والأزهار فى حديقة حلوان التى خلت لها ... أرأيت حديقة عامة تخلو لمطربة كى تغنى فيها وحدها .. ؟

وأحلام مغنية ذات صوت جميل ، ولكنها فى الفلم تغنى بطريقة واحدة فى المواقف المختلفة ، ولا ينسجم غناؤها مع الحوادث ، فتشعر كأنها تغنى ريثما يتيسر تتابع المناظر . وقد أجادت تمثيل البنت المسكينة ، وهى تصلح للادوار التى تستحق فيها العطف لا الحب .

أما كمال الشناوى فله نصيب الأسد فى هذا الفلم ، فقد طغى على من معه من الممثلين ، وهو الفتى الأول فيه ، وتسير به القصة على أنه البطل الجميل المحبوب الخير ، وأخوه مكروه لا تستخف البطلة ظله فلا بد أن يكون مرذولا يدبر الأذى حتى يقع فى شر أعماله . قد يقع هذا فى الحياة وقد لا يقع ، ولكنه لازم فى أكثر أفلامنا المصرية .

وأما مارى منيب فقد اختيرت « ملكة للبسبوبة » وملجأ لفاطمة ، ولكثرة قيامها بمثل هذا الدور فى الأفلام المختلفة أصبحت ذات شخصية تتميز بالظرف الشعبى الأصيل ، وهى كذلك فى هذا الفلم ؛ أما علاقة فاطمة بها فهى عجيبة ... امرأة ترتزق من صنع البسبوبة والكنافة والمهلبية ، تؤوى فى بيتها فتاة لا عمل لها إلا الغناء فى الشرفة ، كأنها تعدها خاصة لمنازلة محمود إياها وليتنازع عليها الأخوان !

وأما سميحة توفيق فقد قامت بدور الفتاة اللعوب فأجادت فى هذا الدور أكثر من تأديتها لدور الفتاة المحبة المضحية ، فقد كانت متكلفة فى هذا ، كما كانت متكلفة فى الأغنية التى غنتها ، والأغنية نفسها سخيفة ، فهى تغنى لحبيبها فتقول : « يا خرابى عليك ! » وفى هذه الفتاة حيوية وقدرة على التعبير ، ويلمح المشاهد مواهب فيها لم تظهر ، لأنها لم تستغل ، فى هذا الفلم .

وأظهر شىء فى الفلم مجافاته للواقعية ، فحياة العمال ومساكنهم وملابسهم وسائر مظاهرهم لا تقل عن أمثالها فى حياة العمال بأمريكا ! وتصور أن منزل الحاجة محروسة بائعة البسبوسة به أشجار وأزهار تغرد بينها أحلام !

وعهدنا بالمراقص الكبيرة أن تكون مراداً للاغنياء والوارثين ولكنا نرى رواد المرقص الفخم فى هذا الفلم ، ومحط أنظار حسانه الفاتنات ، من عمال مصانع الزجاج الأهلية ..

ومن مآخذ القصة أن والد فاطمة بدا فى أول منظر شيخاً ضعيفاً مقعداً ، فهو لا يكسب شيئاً من عمل يزاوله ، ويدل منظره وحالته فى المنزل وأثاثه على معيشة لا بأس بها ، فلا بد أن يكون له إيراد ما ، وتهدم المنزل لا يذهب إلا بالرجل وأثاثه ، ولكنا نرى ابنته شريدة لا تجد قوتها ، فأين مصادر الإيراد التى كان يستمد منها أبوها ؟

عباس خضر



نعى خليل مطران فى جريدة الهدى التى تصدر فى نيويورك :

رب القريض وســيد القلم   وفيت قسطك للعــلى فنم

هذا البيت الجامع الذى عبر به المطران عن شعور العالم العربى نحو اليازجى يصح فيه .

بل إن الشعور بفقد خليل مطران أوفر شمولا وامتداداً لأن العالم العربى أصبح أعظم اتساعاً بعد أن انتشر أبناء العربية فى مشارق الأرض ومغاربها وهم لما يزالون أوفياء بعهد أوطانهم الأولى ، والرعيل الأول منهم شديد التمسك والمفاخرة بوطنه الأم ومعظم المهاجرين من متكلمى اللغة العربية هم من اللبنانيين .
وخليل مطران يمت إليهم بصلة نسب ؛ لأنه رأى النور فى ظلال بعلبك : مدينة الشمس ومهبط الوحى العلوى فى مسارح الفن والجمال . إلا أن خليلا من الهبات التى جاد بها لبنان على العالم ، فصار لا شاعر القطرين فقط بل شاعر الأقطار العربية . وكان للقطر الشقيق مصر الفضل الأكبر فى إفساح المجال لإنماء مواهبه وتجلى عبقريته . فأفضلت مصر بذلك على عالم العروبة بأجمعه .

وقد رأينا من شواهد المنزلة العليا التى يحتلها خليل مطران فى عالم العروبة بشتى فروعه ما كان من إجماع الرأى فى العالمين : القديم والجديد على تكريمه فى ذكرى يوبيله الذهبى الذى وافق الاحتفال به فى السنة ١٩٤٧ . ففى مصر جرى الاحتفال الرائع فى دار الأوبرا الملكية برعاية جلالة الملك ، وأقيمت فى نفس الموعد احتفالات متشابهة فى سائر الأقطار العربية ، كما أقيمت حفلة فى نيويورك برعاية جريدة الهدى وبحضور الأستاذ إميل زيدان صاحب الهلال ومندوب لجنة التكريم المركزية فى القاهرة ، وبمشاركة عدد كبير من رجال الأدب من مقيمين وزائرين ، ومن ساسة العرب وفى مقدمتهم فارس بك الخورى .

وما دمنا قد أكرمنا خليل مطران حياً ، اعترافاً برفيع أدبه وعميم فضله فأحر بنا أن نشارك العالم العربى فى تكريم ذكراه برهاناً على شدة شعورنا بألم خسارتنا إياه . وحقاً إن الخسارة بليغة والألم شديد ، وإذ نحن نقوم بواجب الذكرى فإنما نقدم على ذلك عن شعور صميم .

وما هذه بالمرة الأولى التى تنهض بها جريدة الهدى للقيام بالواجب نحو أدباء أفذاذ أفضلوا على عالمنا بما خلفوا فيه من آثار خالدة من نتاج الأدب . وإذا نحن لم نذكرهم جميعاً فنكتفى بالإشارة إلى شوقى وحافظ والبستانيين عبد الله وسليمان الذين كانت حفلة تكريم ذكرى كل منهم مجلى لأينع نتاج الأدب وأجمل مظاهر الشعور الصافى بين المهاجرين .

وقد خاطبنا فى أمر الحفلة التأبينية لخليل مطران طائفة من الأدباء فأجمعوا على إقامتها فى موعد الأربعين الموافق اليوم العاشر من شهر آب القادم . وكان فى طليعة المحبذين الأديب المصرى الكبير المقيم بيننا الآن فى نيويورك الدكتور أحمد زكى أبو شادى الذى كتب إلينا فى الموضوع يقول :

« إن فجيعة العالم العربى فى شاعره العبقرى النبيل لأعظم من أن تصور . وما الغاية من التأبين إلا الاعتراف بالجميل واستخلاص العظات والدروس الملهمة من حياة مجيدة ، وإذا كانت مصر ولبنان تتنافسان فى نسبة الفقيد العزيز إلى ربوعهما فلا مشاحة فى أن لبنان — مسقط رأس مطران — أحق برعاية تأبينه وإن كانت مصر قد تصدرت لطبع آثاره ودواوينه » .

وقد تلطف الدكتور أبو شادى بقبول تولى سكرتيرية لجنة حفلة التأبين ، كما كان قد تلطف بتولى عرافة حفلة التكريم التى أقيمت للفقيد فى نيويورك منذ سنتين يقيناً بأن علينا جميعاً واجب التآزر والتعاون فى تكريم النبوغ فى ذويه وقد كان الخليل فى الطليعة .

فى النقد الأدبى :

تتجه مراقبتنا إلى الناقدين فى هذه الآونة ؛ فلم نجد صراحة التنزه عن المالأة ، فإفاضة الإطراء تفيض على النتاج ما يباعد بينه وبين المؤاخذة ، وإذا كان العمل الأدبى الفذ أساسه « التعبير عن الحياة » ؛ فقد نأى التذوق عن تبيانه على أسلوب قوام مقسط بعيد عن التحامل والدَّخل !

وإن منهج « النقد الأدبى » يقوم على « الفهم ، والأناة ، والإلمام والموازنة » ، لكن أداته لم تعد ذات جلال لانحرافها عن القصد إلى الغاية ؛ فالوساطة قد تغلغلت فى حياتنا حتى شملت حاسة الضمير فأبدلته وأثرت فى حكمه ، وألفت رقابته التى لها القول

الفصل فى الحكم على الأمور .

وأدب القصة لون يلون « التجربة والخبرة » ؛ لأنه يصور الحياة تصويراً دقيقاً ؛ فينقل المشاهدات فى عبارات تختلف قرباً وبعداً على قدر الملابسة « النفسية » لموضوع القصة .

ورسالة القاصّ يجب أن تلم إلماماً شاملا بمعنى « التجربة » حتى يجىء عمله الفنى صورة حية مشخصة أمام باصرته ، على ألاّ يوغل فى الخيال الجزاف أو الاسترسال المسرف ، استدناء لميول « شعبية » ، أو استثارة لغرائز بدائية .

نقول هذا بعد قراءتنا قصـة للرجل الملهم الأستاذ « توفيق الحكيم » ... أسمـاها « ليلة الزفاف » . وحسبك أن ترى فى العنوان سمة استمالة الغريزة ، لـكنك سترى تصويراً لرجل « مثالى » أضفى عليه الخيـال الحـكيم ما باعد بينه وبين البشرية ، حتى كاد أن يلحقه بالتجريد ، ويدنيه من خلائق النبوة ! وإن تلك الصورة — الوهمية — على ما فيها من تجاف عن الواقع « فى الحياة » ، تدلنا على مدى رغبة القاص فى السمو بالمعانى الروحية ، ومجانبة المـاديات ، لـكنها فى الوقت نفسه تثير الغريزة الفوارة بالجسدية عن طريق أسلوب العرض القصصى استجابة للميول « الشعبية » التى أشرنا إليها .

ولقد صوّرت لنا صورة « البطلة » أنها تنـام على وجهها (كذا !) ثم تحتضن الوسادة . فهل يرضى الفن الرفيع أن يعبر رجل أصيل فى التعبير الأدبى السامى : « وطوقته وضمته .. وإذا هو يجد نفسه فى مكان الوسادة التى اعتادت أن تحتضنها ليلا ! »

كان يمكن للحكيم أن يقول : « ودنت منه ... ثم سبحت روحاهما فى سماء الحب القدسى » ... لـكنه تعبير شـعبى آثره ، وليس هذا فيما نعتقد الرمز الصادق لما يسمونه « الأدب الواقعى »

« بور سعيد » أحمد عبد اللطيف بدر

تعليم اللغة بدراسة الأساليب :

حضرة المحترم الـكاتب النابه الأستاذ عباس خضر

قرأت كلمتـكم السامية بالرسالة الغراء عن تعليم اللغة بدراسة الأساليب . وقد كنت أرقب من حين إلى حين الـكتابة عن هذا الموضوع الحيوى الذى يتصل بقوميتنا وحياتنا إتصالا قوياً .

ولقد راقتنى جداً الإحاطة بالموضوع من جميع أطرافه ، فشفيت نفسى ، وأثلجت صدرى ، غير أنى أحب أن أزداد فهماً لمعرفة استخلاص قواعد اللغة العربية من الأساليب ؛ فإنك مع تعليقك عليها لم تشف غليلى ، وتنقع غلتى ، لأنك أتيت بتفسير من عندك وكان ينبغى لك أن تأتى البيوت من أبوابها ، تسأل حضرات المفتشين عن المراد من تعليم القواعد بالأسـاليب ؛ لأنى رأيتك تتـكلم عن القواعد باعتبار ما كان . حتى أنك قلت : « ولا تزال مناهج المدارس فى اللغة العربية مثقلة بهذا النحو ، وخاصـة فى المدارس الابتدائية . فالطفل فى السنة الثانية مكلف أن يعرف الفاعل والمفعول به والمبتدأ والخبر ومطالب بتكوين جمل ... » .

وفاتك أن تعلم أن تلميذ السـنة الثانية غير مكلف بمعرفة الفاعل والمفعول به ولا بمعرفة تـكوين الجـمل ، فقد حذف النحو من منهجه ، وصار يتعلم اللغة بالأساليب من غير استخلاص القواعد

والواقع أن اللغة العربية فى أمر مريج وقلق شديد ، فمناهجها فى تغيير دائم ، فقد يغير المنهج فى العام الدراسى الواحد مرتين أو أكثر — كما حصل فى هذا العام — وبجوارها اللغة الإنجليزية لا تغير مناهجها إلا فى فترات مختلفة متباعدة .

ومنهج اللغة العربية لو اطلعت عليه لوجدته عجيباً غريباً يدعو للسخرية والابتسام ، فالمدرس مكلف -- كما تعلم — أن يستخرج القواعد من الأمثلة أو بتعبير أدق من الأساليب ، ولـكن الكتب المقررة لا تفيد الطلوب ، ولا المنهج نفسه يعين على الاستخراج والاستنباط .

فتلميذ المدارس الابتدائية حدد له منهج فى اللغة العربية يبدأ بمعرفه المبتدأ والخبر فـكيف يستنبط المبتدأ ويعرف أنه اسم وهو لم يعرف الاسم والفعل والحرف ؟ ثم يطالبه المنهج بالمطابقة بين الخبر والمبتدأ وهو لم يعرف علامات الإعراب : الأصلية والفرعية ثم يطالبه بالإعراب والتلميذ قد حماه الله من المعرب والمبنى ، ثم يطالبه بالمطابقة بين الحال وصاحبها والصفة والموصوف ، وهو لم يطالب بمعرفة النـكرة والمعرفة ، ليفرق بين الحـال والصفة ، إذ الحال ينبغى أن يكون صاحبها معرفة إلى غير ذلك من الأشـياء المتناقضة المتمادية ، فليس يكفى أن تقول استخلاص القواعد من الأساليب ونسكت ، بل يجب أن يبين لنا الأستاذ العميد الطريقة فالأبواب المقررة على التلميذ معلقة بين السماء والأرض . لا تستند إلى شىء ، ولا تقف على أساس .

وما تلك الأساليب ؟ أهى أساليب عصرية أم قديمة ؟ فاللغة المصرية الموضوعة أمام التلميذ إما مفتعلة متكلفة وضعها الواضع للصغار وقد خلت من الرونق والبهاء وإما مختارة من شعراء وكتاب كشوقى وحافظ والمنفلوطى ، ولغتهم أعلى من إدراكه ، وإذا كانت الأساليب المشار إليها قديمة فتلك أدهى وأمر ، فأنت أيها الأستاذ فى حيرة منى ، فالنحو فى المدارس قد بتر بتراً ، والأساليب غير كافية وغير شافية . فماذا نصنع للابقاء على تلك اللغة والمحافظة على رونقها وبهائها ، لقد أبغضنا النحو والإعراب وحيل بين التلميذ والرياضة الذهنية — كما كان يقال — فماذا يقدّم له حتى يجد من نفسه لنفسه دافعاً يدفعه إلى العناية بها ، والتعلق بآدابها ؟

أما أنا فتشائم ؛ لأن إهمال النحو سيعطى للتلميذ فكرة خاطئة بجانب فكرة خاطئة سابقة فهو سيعتقد أن اللغة محفوظات ومطالعة وإنشاء لا بالمعنى الذى نفهمه نحن ، وإنما بالمعنى الذى يفهمه التلميذ ، فأى قصيدة تكفيه ، والمطالعة فيها تسامح ، والإنشاء أى كلام ينفع لأن اللغة العامية لغة عربية ، وصدقنى أن بعض المدرسين لا يتورع من وضع الدرجة على اللغة العامية ما دام المعنى مستقيما . وبجانب ذلك قد تعلم اللغة الأوربية تعلما صحيحاً ودرسها بعناية ، واهتم بها ليله ونهاره ، فهو يتلقاها نقية من العامية ، ويتمرن عليها بجد واجتهاد ، أما اللغة العربية فتأتيه بعاميتها ، ويقبل عليها من غير اهتمام ؛ لأنه سينجح فيها اهتم بها أو لم يهتم ، وهذه نهاية محزنة ، وخطب جسيم يجب أن نتحاشاه فالواجب إذاً أن يوضع المنهج وضعاً جديداً يلائم بين أبواب النحو حتى يفهمها التلميذ فهماً تاماً ونقدم إليه أساليب جيدة تختار بعد تمحيص وتنقيب .

فاليك أيها الأديب الغيور كلمتى راجياً منك أن تعاود الكتابة فى ذلك الموضوع حتى تصل إلى حل يرضى المفتش والمدرس والتلميذ .

السيد حسين فروية

المدرس بسوهاج الابتدائية للبنات

رد على معترضه :

قرأت فى العدد (٨٣٣) من الرسالة الزاهرة كلمة فى البريد الأدبى بتوقيع السيد راتب يحيى الشامى . يعترض بها على فقرتين من كلمة سبقت لى فى الرسالة بعنوان « ثلاثة جاهدوا فصدقوا » .

وفيما يتعلق بتينك الفقرتين أنبه المعترض الكريم إلى أنه حين يدقق النظر فى الكلمة نفسها يجد جواب ما يتساءل عنه فى ثنايا الكلام .

على أن الذى عجبت له أن يعرف هذا السيد (الشامى !) أننى من « الساحل من شرق الأردن » ثم لا يعرف إلى جانب هذه الحقيقة — التى لم أنكرها يوماً — أننى مواطن فى فلسطين منذ ما ينيف على الأربعة عشر عاماً أساهم فى التوجيه الثقافى طيلة هذه الفترة من الزمن . ولقد طوفت فى مختلف أنحاء البلاد زائراً أو محاضراً ، فتعرضت إلى النفر المثقف من أبنائها . ولعلى لا أبالغ حين أزعم أن الكثيرين من هذا النفر الطيب يعدوننى فى معارفهم إن لم أكن فى أصدقائهم .

ولقد عجبت أيضاً أن يفوت هذا السيد (الشامى !) — إلى جانب ماعرف — أننى منذ سبع سنوات أحاضر من محطتى القدس والشرق الأدنى ، ثم من محطتى دمشق وبغداد (بعد ذلك) عن الأدب والأدباء فى فلسطين من قديم وحديث ، حتى انتهيت من ذلك كله إلى أن أضع كتاباً بعنوان « الأدب فى فلسطين » وأن أنشر فى مجلة الرسالة الزاهرة ما يزيد على عشرة فصول منه ، دون أن أجد من يعترض على ما كتبته أو حاضرت به من أدباء البلاد وأبنائها !!

ثم لا أدرى أخيراً كيف فاته أن يعلم أن إدارة المعارف الفلسطينية انتدبتنى للعمل فى معاهدها بفضل هذه المواطنة التى أشرت إليها آنفاً .. فهل ترى يا أخى المعترض بعد ذلك كله ؟ «أن معرفتى بجغرافية فلسطين وأهلها (على رأيك) محدودة جداً »

فإن كان (خطبك !) — يا أفادك الله — يقف عند حدود الإشفاق على جغرافية فلسطين (وليس غير ؟) فليفرخ روعك ، ولتعلم أنى ما تحدثت عن مكان إلاوقد وطئته قدماى ، ولا ترجمت لأديب إلا بعد روية وتبصر واطلاع على ما تصل إليه يدى من آثاره . ثم إن الذى نشرته (أو أذعت به) فصول من كتاب ، وأن فى الكتاب ما يفتقده من تتبع تلك الفصول .

ومع ذلك فلن يضيرنى أبداً أن أجد من يأتى بأوفى مما أتيت به ، ويصنع أكمل مما صنعت . فما أنا وذاك إلا خادماً حقيقة ، لا نستوفى عما نصنعه أجراً ، إلا أن يكون من مثل هذا الإعجاب الذى كتمه فؤادك ونم عليه قلمك !

محمد سليم الرشدان

الكتب

البلاغة العربية فى دور نشأتها

تأليف الدكتور سيد نوفل

بقلم الأستاذ على العمارى

هذا الكتاب يؤرخ الدور الأول للبلاغة العربية ، وقبل أن أتحدث عنه أحب أن أقول إن البلاغة العربية تنوء بظلم فادح ، فكل فن ينال قسطاً غير يسير من عناية العلماء ، وهى وحدها التى ظلت قروناً عديدة تضطرب فى دائرة ضيقة من قواعدها السكاكية ، فدراستها فى معاهد التعليم على اختلاف أنواعها فى مصر وفى غير مصر لا تبعد كثيراً عن هذا المنهج القديم ، والتأليف فيها مشدود إلى هذا المنهج نفسه بأمراس كتان ، حتى الطريقة الأدبية التى عنى بها بعض العلماء ، وخصوصاً قبل عصر السكاكى لا تنال حظها من الدراسة والتأليف ، ولهذا فكل كتاب يؤلف فى علوم البلاغة على نمط جديد نعتبره خدمة جليلة لهذه العلوم ، والكتب المؤلفة فيها محدودة تعد على أصابع اليدين وبعضها لا غناء فيه ، فلا تزال البلاغة العربية مجاهل يسلكها طلاب المعرفة من غير دليل ، ويتعسفون مثانيها ومحانيها على غير هدى ، ولا بد من جهود جبارة ومن عمل دائب ، مع إخلاص وصدق حتى أن تقعد على أسس قويمة خالصة من تلك الشوائب الكثيرة التى تعقد مسائلها ، وتعكر مناهلها .

والكتاب الذى نحن بصدد الحديث عنه عالج شأناً من شئون البلاغة المهمة ، عالج البلاغة فى إبان نشأتها ، وتحدث عنها وهى فى لفائف المهد ، تبار كها أيد قليلة ، وتربت عليها برفق وحنان ، وتغذيها بما تستطيع أن تقدمه لها فى تلك العهود البعيدة . والكلام فى تاريخ نشأة البلاغة ليس حديث عهد بالدراسة ، ولكن أقلاماً تناولته ، وأظن أن أول من تناول هذا التاريخ صاحب المعالى الأستاذ الشيخ على عبد الرازق فى كتاب أسماه (الأمالى) ومن الذين كتبوا فيه الأستاذ الشيخ أمين الخولى أستاذ البلاغة العربية فى الجامعة المصرية فى كتابه (فن القول) . وقد قرأت رسالة فى هذا الموضوع للأستاذ الشيخ أبى الوفا المراغى مدير المكتبة الأزهرية . غير أن الدكتور نوفل زاد على هؤلاء أنه ركز موضوعه فى البلاغة عند الجاحظ ، والكتاب مقسم إلى قسمين : القسم الأول تحدث فيه عن البلاغة قبل عصر الجاحظ ، وقد سجل فيه جهود العلماء والأدباء والمتكلمين والمعلمين ومجالس النقد فى نشأة البلاغة ، والقسم الثانى تحدث فيه عن جهود الجاحظ فى البلاغة ، وهذا القسم يعتبر جديداً ، ويا حبذا لو اقتصر المؤلف على هذا القسم ، فإنه موضوع بكر ، وقد بسط القول ووفاه ، ولو سمى كتابه (البلاغة عند الجاحظ) لأصاب المحز ، وطبق المفصل — كما يقولون — على أن القسم الأول من كتابه جاء تكراراً لما كتبه العلماء ، وفيه بسط يعتبر من فضول القول ، فقد أخذ الأستاذ على نفسه أن يترجم لكل من له حكمة فى البلاغة أو إشارة إليها من قريب أو بعيد ، ترجم لأبى بكر وعمر ومعاوية ، وترجم للعتابى وسهل بن هرون وشبيب بن شبة وعبد الحميد وابن المقفع ، وجعل كلا منهم فى فصل مستقل ، وكان يمكن أن يكتب فصلا يذكر فيه آراء هؤلاء فى البلاغة ، ومدى تأثير هذه الآراء فى نشأة علومها ، وهل يترجم لواصل بن عطاء لأنه ألف كتابين يحتمل أن يكونا فى البلاغة ، أو لأن الجاحظ نسب إليه العلم بأن الخطابة فى حاجة إلى البيان التام واللسان المتمكن والقوة المتصرفة ؟ فإذا تجاوزنا الرجال إلى الموضوعات وجدنا فصولا لا حاجة بالكتاب إليها كالفصل الذى عنوانه (العصر الجاهلى) ولو نقل منه كلمة أكثم بن صيفى ، واصطناع الكهان للسجع إلى الفصل السابق لاستغنى عن هذا الفصل ، وكذلك الفصل الذى يليه لا حاجة إليه ، وما دخل حديث القرآن أو الرسول عن البيان فى نشأة البلاغة وليس فيه مما يمس البلاغة إلا الحديث عن مذهب الرسول فى القول ، وهو كلمات ، ولو أنه صح لنا أن نرسم للمؤلف المنهج لقلنا : إن القسم الأول الذى ينتهى بصفحة ٩٢ كان يكفى فيه عشر صفحات ، فصل يجمل فيه القول عن أثر النقد فى البلاغة ، وأظن المؤلف لن يزيد شيئاً

عما كتبه الدكتور طه ابراهيم فى كتابه (تاريخ النقد عند العرب) — كما فعل — مع شيء كثير مما لا حاجة إليه ، وفصل يتحدث فيه عن المدارس التى درجت البلاغة فى ظلها ، ويكتفى فى هذا الفصل بجهود المتكلمين واللغويين والنحاة والأدباء . أما الفصل الثالث فيتتبع فيه آراء السابقين للجاحظ فى البلاغة ، ويترجم لاثنين منهم أو ثلاثة كأبى عبيدة ، ثم يتحدث عن كتابه ، وكل هذا لا يستغرق عشرين صفحة ، وقد استغرق فيه المؤلف تسعين صفحة !

على أن المؤلف فاته أن ينوه بأثر عالمين جليلين فى البلاغة ، وهما من أوائل العلماء قولا فيها ، أحدهما الخليل بن أحمد وقد تحدث عن الجناس والمطابقة والاستعمال المجازى ، والآخر سيبويه وقد تحدث فى (الكتاب) عن مجاز الحذف ، وعن التأخير والتقديم ، إلى مباحث أخرى تمس البلاغة .

أما القسم الثانى ، فهو لب الكتاب ، وقد جعله المؤلف بيت القصيد فى كتابه ، فإنه قال فى المقدمة : « ولما كان الجاحظ هو مؤسس علم البلاغة العربية وجامع مسائلها لم يكن مناص من اتخاذه الأساس الأول لهذه الدراسة » . وقد وفق كل التوفيق فى دراسة البلاغة الجاحظية وبلغ الغاية ، ولا نملك إلا الثناء المستطاب على هذا الجزء من الكتاب ، ولو أردنا أن نصور عمله لما وجدنا أوفى من تصويره هو لجهوده قال : « ولما كان — يريد الجاحظ — أكثر معاصريه استطراداً ، وأبعدهم عن مراعاة النظام فى التأليف ، فقد كان من العسير على من يبحث موضوعاً عنده أن يركن إلى كتاب معين ، وكان لا بد لدارس بلاغته من قراءة جميع كتبه ، وجمع المتفرق فيها ، والمقابلة بينه وتفسيره ، إذ كثيراً ما يبدو متناقضاً ، وهذا ما صنعت ، قرأت ما بأيدينا من كتبه ، وجمعت النصوص التى ورد فيها ذكر البلاغة أو أى اصطلاح من اصطلاحات علومها ، أو لفظ من ألفاظها ، أو معنى من معانيها ، وحاولت أن أصور هذه الاصطلاحات كما تدل عليها تلك النصوص المبعثرة » . ولم يفته أن يتحدث عن بعض معاصرى الجاحظ وعن بعض الذين جاءوا بعده ، وإن كان حديثه إشارات عابرة .

وقصارى القول فى جملة هذا الكتاب أن الجزء الأول منه سابغ فضفاض ، وكان من الواجب أن يركز ويقتصر فيه على الأغراض الرئيسية فى الموضوع . أما الجزء الثانى ، فقد بلغ فيه الغاية ، أجاد وأفاد ، لكن بقيت لنا تفصيلات نحب أن نراجع المؤلف فيها ونطرحها للبحث والدراسة ، وسنغض الطرف عن الأغلاط الجزئية ، وإنما نتناول مسائل ذات أهمية :

١ — تحدث المؤلف عن قصة نقد النابغة لحسان بن ثابت فى بيته المشهور :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

وما كان من قول النابغة له : أقللت جفانك وأسيافك ، وقلت يلمعن بالضحى ، ولو قلت يبرقن بالدجى لكان أبلغ فى المدح ؛ وقلت يقطرن من نجدة دما ، ولو قلت يجرين لكان أكثر لانصباب الدم ؛ ثم يقول المؤلف : « وقد يقال إن هذه الروايات ضعيفة — على ما قرران رشيق من شهرة حديث النابغة ، لكنها تلائم طبيعة الحياة الفنية ، فيمكن الاطمئنان إلى وقوعها » .

ونقول إن الحديث مشهور ، ومشهور كذلك أنه موضوع ، ولسنا نلف وندور ، ولكنا نضع هنا قول الدكتور طه ابراهيم فى هذه القصة ، فلعل فيه بلاغاً ؛ قال بعد ذكر هذه القصة واختلاف وجوه النقد فيها : « وكل ذلك تأباه طبيعة الأشياء ، وكل ذلك يرفض رفضاً علمياً من عدة وجوه :

١ — فلم يكن الجاهلى يعرف جمع التصحيح ، وجمع التكسير ، وجموع الكثرة والقلة ، ولم يكن له ذهن علمى يفرق بين هذه الأشياء ، كما فرق بينها ذهن الخليل وسيبويه ، ومثل هذا النقد لا يصدر إلا عن رجل عرف مصطلحات العلوم ، وعرف الفروق البعيدة بين دلالة الألفاظ ؛ وألم بشيء من المنطق .

(البقية فى العدد القادم)

على العمارى



الأحـــلام

مسرحية للكاتب الانجليزى ارك براوول (١)

ترجمة الأستاذ على محمد سرطاوى

أشخاص المسرحية :

إيف (حواء) وهى فتاة جميلة فى الثامنة عشرة من العمر
الجد : وعمره فوق الثمانين
روح
طبيب
أمير
امرأة

منظر المسرحية :

(منزل الجد : غرفة مريحة كسيت جدرانها بألواح من خشب البلوط قد عبث بها الدهر . فى طرفها موقد كبير يتأجج فى ناره حطب جزل . ضوء الغرفة شاحب مضطرب ، يتألف معظمه من لهيب النار . هى غرفة تتراقص فيها الأشباح ويتراخى فيها هدوء عميق شامل . جلس الجد أمام الموقد ، وقد أحنت ظهره السنون ، وقد راح ينفث الدخان من غليون يماثله فى القدم . ويبدو فى مطلع المسرحية هادئاً لا يتحرك إلا قليلا .

وجلست إيف أمام الموقد ، منحرفة عن النار قليلا ، وقد تراقصت على وجهها ظلال اللهب ، وتدل نظرات وجهها على القلق والحيرة . وكلما امتد شوط المسرحية يبدو معنى اسمها (حواء) واضحاً جلياً . أما لباسها فيترك لذوق المخرج وفنه وكل مايتصل بحوادث المسرحية نفسها فإذا أخذ نصب عينيه أن يقلل من أهمية الزمن للمشاهدين فقد يوفق كثيراً

وحينما ترتفع الستارة ، تقف إيف ناظرة إلى الباب . ولا داعى مطلقاً لقطع الصمت الذى تستغرق فيه . وعند ما يبتدئ الحوار يجب أن يكون هادئاً وبطيئاً)

الجد : فيمَ تفكرين يا بنيتى ، وماذا يدور فى خلدك ؟

إيف : (فى بطء) أفكر قليلا فى أمور خطيرة ، وكثيراً فى أمور تافهة !

الجد : أصحيح ما تقولين ؟ إذا لم تخنى الذاكرة ، فقد كانت أمك كذلك ، وكانت أمها مثلها .

إيف : نعم ! إننا من طينة واحدة . ما أغرب ذلك . ألا يدعو أمر من هذا النوع إلى العجب !

الجد : لا يدعو إلى الغرابة إلا السر المجهول ، وحتى ذلك لا يبدو غريباً إذا اتصل بعلم الإنسان !

إيف : (متنهدة) نعم يا جدى !

الجد : لماذا تتنهدين يا وردتى العابقة !

إيف : لماذا تتنهد كل امرأة ؟

الجد : حقاً ... لماذا ... ؟ لقد حيرنى هذا الأمر طويلا !

إيف : آه .. ترى لو قيل لى اختارى شيئاً واحداً بمفرده من الدنيا بأسرها ، فهل يمكنت أستطيع ذلك ؟

الجد : لا تتعلقى بأمل واحد ، مخافة أن تمر بك آمال أخرى فلا تتلفتين إليها فى سير الحياة !

إيف : لست أعرف بالضبط أملا واحداً أهفو إليه .

الجد : أكان هذا سبب تنهدك ؟

إيف : نعم ... إنه لكما تقول . بربك حدثنى عن ماضيك البعيد يا جدى ؟

الجد : إنه عمر حافل ، تكاد صوره تفلت من ذاكرتى . (يتنهد) والذى أعرفه أنه كان طويلا جداً .

إيف : إذن فى مقدرك أن تخبرنى عن أثمن شىء فى الدنيا ؟

الجد : إن أثمن شىء فى الحياة يا بنيتى ، هو الشىء الذى لا تصل إليه يد الإنسان ، والإخفاق هو أساس التقدير . لا تتعبى خيالك المرهف بأفكار معقدة من هذا النوع .

إيف : لست أنا التى تضطرب فى مهب هذه الأفكار ، ولكنها هى التى تدفعنى إلى الاضطراب دفعاً عنيفاً فى تيارها .

الجد : إن كل إنسان فى الدنيا يتمنى أن يحصل على الصحة والثروة والسعادة .

إيف : (مفكرة) الصحة ... والثروة ... والسعادة .

الجد : لا أعرف إنساناً اجتمعت عنده هذه الأمانى الثلاث ، وقلما أدرك أحد أمنيتين منهما ؛ وإذا كان فى استطاعتك الحصول على واحدة منها فإن حظك لسعيد .

---

(١) المؤلف : كاتب انجليزى معاصر كتب هذه المسرحية ونشرها عام ١٩٣٠ وهو فى نيوزيلندا

إيف : (فى رقة) نعم ... يا جدى . (تشير فجأة إلى النار) آه ! انظر !

الجد : ماذا ؟

إيف : لقد تلاشى . آه .. آه .. لقد خيّل إلىّ أننى أرى شبحاً صغيراً يرقص فى اللهيب .

الجد : إنك مرهفة الإحساس ، وكثيراً ما يرى صاحب هذا الإحساس أحلاماً غريبة .

إيف : وكثيراً ما أراه هناك حينما أفكر كثيراً (بسذاجة) لعلنى أحلم دائماً بالآمال .

الجد : (ملاطفاً) إن الأحلام لا تضر أحداً .

إيف : أحب أن أغنى الثروة لأننا فقراء ...

الجد : لكن لا تنسى أن الثروة كثيرة ما تسير فى ركابها التعاسة !

إيف : إذن سأغنى السعادة .

الجد : هل فى استطاعتك أن تكونى سعيدة بغير صحة ؟

إيف : آه . لقد فاتنى أن أغنى الصحة التى هى أثمن شىء فى الحياة (فى تصميم) نعم ... نعم سأغنى الصحة . ولكن إذا لم أغن الثروة فسنظل فقراء ، ولم أعرف أن الفقر حمل السعادة لنا فى الماضى ، فأريد أن أغنى الثروة أيضاً . وما دمت ترى أن الثروة لا تجلب السعادة ، فأود أن أغنى السعادة أيضاً . (بحرارة) آه .. يا أبت ... لقد تمنيت الثلاثة مجتمعة بدلا من واحدة !

[يداعب النعاس عينى الجد ، فيأخذ رأسه فى حركة بطيئة يميل إلى الأمام ، ويستقر على صدره ... وترتخى يده الممسكة بالغليون فيسقط على صدره أيضاً . تخمد النار فجأة .. يمر بالغرفة تغيير مفاجىء تتراقص فى جوها الأشباح ... تحلق أيضاً فى اللهب مبهورة ... وعلى غير توقع تسمع من ورائها ... من الظلام صوتاً يقول :]

الروح : ولكن ليس فى مقدورك الحصول على الثلاث معاً .

إيف : لماذا ؟ من أنت ؟

الروح : أنا روح اللهيب الذى لا يفنى ... أنا الذى يمنح الأمانى النادرة للذين يستطيعون الاختيار .

(ترى إيف الروح الآن فى الظلام الذى يعتصم به غير جلى ... وقد بدا كتلة من السواد لا تستطيع تبيان شكله . فى استطاعة المخرج أن يطلق لفنه العنان فى الترتيب)

إيف : (فى شىء من السرور) يا للسماء ؟ لقد رأيتك ترقص فى اللهيب .

الروح : آه .. نعم . إننى أُرى فى كل نار ... فى نار الشباب ... وفى نار الحب ... وفى نار الطموح .. !

إيف : ولماذا أتيت إلى !

الروح : لأحضر لك هدية !

إيف : (تدق يداً بيد) ما أجمل ذلك . ما هى ؟

الروح : أثمن شىء فى الدنيا !

إيف : (فى لهفة) ولكن ما هو ذلك الشىء ؟

الروح : إن اختياره يتوقف عليك .

إيف : (باكية) ولكننى لا أعرف .

الروح : يجب عليك أن تختارى .

إيف : (فى شك) كيف فى استطاعتك إعطائى ما أختار !

الروح : أستطيع أن أعطيك شيئا واحداً ... أىّ شىء ... على أن يكون من اختيار نفسك ومن غير إيحاء الآخرين .

إيف : ولكن جدى الذى تراه يغط فى نومه أمام النار يقول إن أثمن ثلاثة أشياء فى الدنيا هى الصحة والثروة والسعادة كيف أستطيع اختيار واحد منها ؟

الروح : هنالك أشياء أخرى (محذراً) ولكن تذكرى أنك لا تمنحين إلا شيئاً واحداً فقط .

إيف : يبدو لى الأمر أكثر صعوبة مما توقعت . علىّ أن لا أكون متهورة فى الاختيار .

الروح : (بعد صمت) هل اخترت ؟

إيف : واأسفاه ! لم أستطع . أليس فى إمكانك مساعدتى؟

(يتلاشى خيال الروح مبتعداً فى الظلام)

إيف : أرجوك البقاء ! لما أختر ! أريد أن أكون أكثر روية وحذراً !

الروح : أوه ! أود مساعدتك ! سأريك الصحة والثروة والسعادة . ولكن اذكرى دائماً أن هنالك أشياء أخرى غيرها فى الحياة . .

إيف : كيف ؟ أيمكننى أن أرى ذلك ؟

الروح : (فى غضب) سأريك ذلك. لا تسأليني كيف؟

إيف : إننى لشديدة الأسف ! (بعد صمت) أرجو أن لا أكون قد أسأت إليك .

(لا تسمع جواباً . تفتش الغرفة . لقد اختنق)

إيف : (مضطربة) أرجو أن لا أكون قد أسأت إليه .

(قرع عنيف على الباب)

إيف : آه .. من الطارق ؟

(تقترب من جدها لتوقظه ، ولكنها تتوقف عن ذلك ... تتراجع إلى الباب ماشية على رؤوس أصابع رجليها . تفتح الباب . يدخل شاب جميل يبتسم)

الطبيب : عمى مساء . أرجو أن تغتفرى لى تطفلى بالمجىء إليكم فى مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل . لكنها زيارة لم أجد بداً منها .

إيف : هل طلب ذلك إليك أحد ؟

الطبيب : لم يطلب إلى ذلك ! الفرق طفيف ... أكرر اعتذارى مرة ثانية ؟

إيف : آه .. لم نرسل فى طلبك أبداً ! أتريد أن تقابل جدى ؟

الطبيب : رغبة من هذا النوع لم أفكر فيها !

إيف : إذن لماذا أتيت ؟

الطبيب : أتيت لأراك !

إيف : أرجو أن توضح ذلك !

الطبيب : إننى طبيب كمعظم الأطباء ، غير أننى أختلف عنهم قليلا .

إيف : فى أى شىء تختلف عنهم !

الطبيب : إننى لا أعالج مرضى .

إيف : لا تعالج مرضى ! ألا يبدو كلامك غريباً !

الطبيب : غريباً ! لماذا يبدو لك غريباً !

إيف : (بصراحة) حسناً ! إذا كان ما تقوله صحيحاً فإنك طبيب غير ماهر لا يستعمل معرفته وفنه .

الطبيب : لكننى من طراز نادر من الأطباء .

إيف : إذن لماذا لا تعالج المرضى ؟

الطبيب : لا أعالجهم لأننى لا أستطيع شفاء أمراضهم !

إيف : (فى لهجة قاسية) فلست طبيباً أبداً !

الطبيب : ما الذى يدعوك إلى هذا الظن ؟

إيف : لأنك لا تستطيع شفاء المرضى .

الطبيب : (فى لطف) لا أستطيع شفاء المرضى لأننى لا أراهم ولعلك تلاحظين الآن الفرق جلياً .

إيف : بالتأكيد . هنالك فرق عظيم .

الطبيب : وإن حزناً غريباً ليعتادنى من وقت إلى آخر .

إيف : قد يكون ذلك صحيحاً .

الطبيب : لا تبصر عيناى المرضى على كثرة عددهم . لا ترى عيناى غير الصحة فى أجمل وأروع مظاهرها .

إيف : إن ذلك يبدو غريباً محيراً .

الطبيب : لقد مر ألف عام على ، لم أجد فيها مريضاً واحداً أجرب فنى فى معالجته .

إيف : (غير مصدقة) ألف عام ؟

الطبيب : (متلطفاً) هل بدا لك ذلك مخيفاً ؟

إيف : أه . ربما ... لا ... لا

الطبيب أتظنين أن ملامح وجهى تدل على عمرى

إيف : أبد . أنك تبدو قوياً ، جيلا ، فاتناً

الطبيب : شكراً لك . إن هذه النقطة مهمة جداً

[يتململ الجد ويسمع لاستيقاظه صوت]

الجد : (يعتدل فى جلسته) لقد غلبنى الكرى على أمرى

إيف : نعم يا أبت

الجد : من هو هذا الشاب يا إيف ؟

الطبيب : عم مساء يا سيدى الشيخ الوقور

إيف : إنه طبيب يا أبت . هكذا اخبرنى

الجد : (مرتجفاً) طبيب ! هل نحن فى حاجة إلى طبيب ؟ أكرر قولى هل نحن فى حاجة إلى طبيب يا إيف ؟ (إلى الطبيب) لماذا أتيت ؟

الطبيب : أتيت لأشاهد جمال حفيدتك الساحر الذى تحدث به الركبان فى كل مكان ذهبت إليه فى البر والبحر .

الجد : وماذا تريد ؟

الطبيب : أريد أن أطلب يدها للزواج

الجد : أتمنى ما تقول ؟ إن هذا أول طلب أسمعه . هل فى استطاعتك إسعادها ؟

الطبيب : كيف تريد أن تكون سعادتها

الجد : بمتاع الدنيا

الطبيب : لا أحب متاع الدنيا وما فيها من وهم وغرور

الجد : (بلهجة جافة) ولكن حفيدتى تحب ذلك . ما هى ثروتك ؟

الطبيب : أتريد ثروة الجسد ، أو ثروة الروح ، أو ثروة المادة البراقة الخادعة ؟

الجد : لا تدر حول الحقائق . أريد المادة . وأعنى الثروة

الطبيب : إننى لا أملك يا سيدى شيئاً من ذلك أبداً . إن مهنتى قد علمتنى أن لا أقيم وزناً لأمور تافهة من هذا النوع . إن الجمال فى حاجة إلى الصحة ، وفى مقدورى أن أمنحها ذلك ، كما فى استطاعتى منحها أموراً أخرى .

إيف : ما هى الأمور الأخرى ؟

الطبيب : لا أعطى ما عندى إلا لأولئك الذين يغمروننى بالحب ورغماً عن طلبى يدها للزواج فأريد منها الحب قبل أن أمنحها أى شىء . وسوف ترى كيف يصنع الحب المعجزات وينيل السعادة

إيف : انتهى كل شىء بيننا . لا أحب هذه الصفقة . إننى راغبة عنها . إن التوفيق بنقصها .

الطبيب : إننى أعطى الصحة ولكننى أفتش عن الحب .

إيف : (غاضبة) اذهب إلى غير رجعة أيها الذى يطلب الحب ولا يشعر به ، ولا يعطى إلا الصحة ... الصحة ليس إلا ، لا أريد صحتك ... إن مرض الجسم ليس شيئاً بالقياس إلى مرض الروح إننى أرضى عن طيبة خاطر أن تهاجم الأمراض جسدى فى سبيل المحافظة على هناءة روحى . إذهب ... إذهب ... إذهب .

الطبيب : ما دام الأمر قد انتهى إلى هذه النتيجة ، فمن العبث الاستمرار فى الحديث . لن تتكرر هذه الفرصة التى أتيحت لك فرغبت عنها . أتمنى لك يا آنستى مساء سعيداً .

(يختفى الطبيب قبل أن يتلاشى صدى كلماته)

الجد : (يعود إلى كلماته) . شاب غريب الطباع . ما رأيت على شاكلته أحداً قبل اليوم .

إيف : إنه لكما تقول . ويخيل إلى الآن اننى كنت متهورة . لقد كان جميلا جذاباً رائعاً . (يتسلط النوم على الجد فيغفو مرة ثانية) لا أستطيع أن أصدق أنه عاش ألف سنة ، ولعله لم يكن جاداً فى حديثه يا أبت . كم يكون جميلا أن تكون لإنسان صحة رائعة ثم لا يموت ، وأن يكون إلى جانب ذلك رائعاً فتاناً . ليتنى لمست فى بعض حديثه معنى من معانى الحب . لقد ساومنى على جسدى فاحتقرته . من يدرى ! لعله يعود مرة أخرى .

(يظهر الروح مرة ثانية بين الظلال المتراقصة فى الغرفة)

الروح : إنه لن يعود إليك أبداً

إيف : أهو أنت مرة أخرى ! لقد روعتنى !

الروح : ألم تتوقعى حضورى ؟

إيف : لا

الروح : تقولين لا ... أن الانتظار يحمل فى ثناياه معنى الشك ، ويخيل إلى أن ليس لديك شك أبداً . لعلى مصيب فى رأيى !

إيف : لم أفهم معنى ما تقول

الروح : إننى أتكلم كما أعيش

إيف : بالكلام الذى لا يفهم

الروح : أليست الحياة لغزاً ؟ ألم تجديها كذلك ؟

إيف : إن جميع ما تحدثنى عنه غير واضح بالنسبة إلى أليس كذلك ؟

الروح : ليس فيه شىء غامض مطلقاً

إيف : أستميحك المعذرة !

الروح : هل احتفلت بالزائر الذى أرسلته إليك !

إيف : أأنت أرسلته ؟

الروح : نعم ألم تعرفى ذلك ؟

إيف : ربما ... لم أكن متأكدة !

الروح : وهل أجبته ؟

إيف : (مذعورة) ... لست ... حقيقة ...

الروح : (بصراحة) كما توقعت تماماً

إيف : (بهدوء) أبداً ... كيف عرفت ما كان يدور فى خواطرى !

الروح : هل كانت مهمته إذن غير موفقة

إيف : (فى حنان) بالتأكيد ... كما تقول

الروح : إن الأشياء فى حد ذاتها لا قيمة لها ، وإنما ترتفع تلك القيمة حينما تتلاقى الأضداد . إن التناقض أساس الانسجام فى الحياة . إن الانسجام هو الذى يولد السعادة

إيف : لقد أحسنت التعبير . لا فض فوك !

الروح : لست في حاجتك إلى معرفة التناقضات ودراستها ، ليكون حكمك صحيحاً على طبائع الأشياء .

إيف : كيف ؟

الروح : (محتداً) لا تسأليني أسئلة في هذا النوع

إيف : (بهدوء) آسفة جداً . عفواً

الروح : سأريك الثروة ، ولست أدري كيف يكون موقفك منها ؟

إيف : ولست أدري أيضاً

(تسمع أصوات أبواق خارج المنزل . يختفي الروح مرة ثانية . يبقى الجد مذعوراً من الأصوات)

الجد : ماذا تسمع أذناي ! يا للسماء !

(أصوات في الخارج تردد الأمير الأمير الأمير تسمع إيف الأصوات فتسرع إلى مرآتها تصلح هندامها . ينهض الجد متثاقلا إلى الباب ويفتحه)

الأمير : (من طرف المسرح) أهذا منزل إيف ؟

الجد : إن لي حفيدة بهذا الاسم !

الأمير : (يدخل) إذن أرجو أن تحضرها أيها الشيخ . أريد أن أقول لها كلمة .

(يبدو الأمير في ملابس حريرية مزركشة بالحجارة الكريمة النادرة قصير وضخم الجثة . يتلفت حواليه في قلق ظاهر)

إيف : (تشير إليه) إنني إيف التي تسأل عنها .

الأمير : (يحس بشعور من الحب مفاجيء نحوها) آه . رحلة موفقة . إنها جميلة .

إيف : ماذا تريد أيها الأمير ؟

الأمير : (مرتبكا قليلا) أتيت لأحملك معي الآن !

إيف : تحملني معك !

الأمير : نعم . فماذا تقولين ؟

الجد : لا ... إن هذا الأمر مستحيل . لقد مضى الموعد الذي تأوي فيه إلى فراشها .. قد مضى ... عليها أن ....

الأمير : (في غضب) أغرب عن وجهي أيها الأثر القديم . داعب شعر لحيتك أمام النار .. إياك أن تنبس ببنت شفة !

(يتراجع الجد مذعوراً دون أن يقول شيئاً)

إيف : (في غضب) كيف تجرأت على قول هذه الكلمات القاسية لجدي .

الأمير : تقولين تجرأت أيتها الشابة . ومن غير الأمير يفعل ذلك ويأمر الناس ؟

إيف : (بجرأة) أنت تعتقد ذلك .. وربما ...

الأمير : إنني أعجب بجرأتك التي تماثل جمالك البديع .

إيف : (ببساطة) الجمال ؟ أتراني جميلة في عينيك ؟

الأمير : جميلة ورائعة أكثر مما أصف ، وهذا الجمال هو الذي جذبني إليك .

إيف : هذا شيء يحيرني تماماً .

الأمير : لقد سمعت كثيراً عن جمالك وسحرك وجمال عينيك فأحببت أن يكون كل ذلك لي من دون الناس جميعاً .

إيف : لأية غاية تريد هذا الجمال ؟

الأمير : (مقهقهاً) إنك تحملين عقل طفل بريء ، وهذا من حسن حظي ويمن طالعي . وهو مما يزيد في رغبتي فيك وحبي لك وتلمسي العزاء والراحة بالقرب منك .

إيف : هل الأمير في حاجة إلى مواساة من أحد ؟

الأمير : (في سرور زائد) إن لها لساناً ساحراً أيضاً ومنطقاً سليماً .

إيف : وماذا تريد مني ؟

الأمير : أريد ... نفسك وحسبي ذلك . (يحرك يداً قد أثقلتها الجواهر اللامعة) أنظري . إنني أدفع ثمن ما أريد منك غالياً . من هذا الجوهر الثمين . سيكون كل ذلك لك ... ولك وحدك !

إيف : الثروة ؟

الأمير : طبعاً !

إيف : (في هدوء) يخيل إلي أنني قد بدأت أدرك الحقائق .

الأمير : يسرني جداً أن أساعدك على ذلك .

إيف : كيف تساعدني ؟

الأمير : في فهم الأمور على وجهها الصحيح .

إيف : ليبدو لي أننا نتحدث عن أمرين متناقضين ، ونرى عن قوسين مختلفين .

الأمير : إن الثروة فصيحة لا تحتاج إلى لسان .

إيف : (بحرارة) إن الحياة مع أمير لا تروق لي .

الأمير : (بلطف) معذرة يا آنستي ، لم يدر بخلدي أن أجملك أميرة .

إيف : لـكن ... لـكن ظننت أنك قلت ....

الأمير : قلت إن ثروتى ستكون تحت تصرفك . وهى كما ترين صفقة رابحة بالنسبة إليك وبالنسـبة إلى ما ستقدمين لى من جمال وحب .

إيف : أوه ... الحب !

الأمير : لقـد نسيت أن أذكر لك ذلك . أعطيك الثروة وتمطينى الحب.

إيف : أتعنى أنك تريد أن تتزوجنى ؟

الأمير : (ينفد صبره) كلا ، كلا . أحسب أننى قد أوضحت لك ذلك بصراحة لا غموض فيهـــا . إننى أقدم لك الثروة والملابس الفاخرة والجوهرات .

إيف : وماذا تريد منى عندئذ ؟

الأمير : (بقهقهة) أريد منك أن تحبينى كما تفعل كل فتاة جميلة

إيف : لنتحدث الآن بصراحة مهما تكلفنا ذلك !

الأمير : إذن فقد اتضحت لك مقاصدى

إيف : تماماً بالضبط

الأمير : هل أنت راغبة فيها

إيف : كلا . بكل أسف .

الأمير : ولـكن لماذ ؟

إيف : إن الزواج يتراءى خيالا جميلا ساحراً أمام عينى

الأمير : لماذا تثرثر النساء كثيراً عن الزواج فى مناسبات من هذا النوع ؟

إيف : ألا توافقنى على ذلك ؟

الأمير : إن الزواج حيلة اخترعتها المرأة لترفع من شأن نفسها . دعينا من هذه الأمور السخيفة وامضى معى . لا أستطيع الزواج لأن زوجتى أميرة ولى محظيات غيرها

إيف : ما أقبح ذلك بك أيها الأمير

الأمير : ليس قبيحاً ما يبدو لك . إنما هى عادة اعتدتها . لقد وجدتها بعد التجربة متعبة

إيف : إذن لماذا تحدثت إلى باسم الحب

الأمير : إننى أبحث عن الحب فى كل مكان . إنه الشىء الذى لا تستطيع ثروتى الحصـول عليه . جربت أن أطلبه بثروتى فى محاولات متنوعة ، ولـكننى عدت منها بخفى حنين . كثيراً ما يبدو لى هذا الأمر غريباً لأننى أدفع ثمن هذا الحب غالياً فلا أعثر عليه .

إيف : مرد ذلك الفشل إلى أنك لا تمطى من قلبك ثمن الحب ولـكن مما تملك يداك

الأمير : أخشى أن يكون ذلك مستحيلا

إيف : (تنظر إليه) إنك لتجده حتما لو دفعت من قلبك ثمن الحب

الأمير : إذن ما الفائدة من الثروة إذا لم تكن وسيلة للحصول على شىء فى الحياة ؟

إيف : لست أعرف من الثروة ولا من فوائدها شيئاً

الأمير : تمالى ... لتعرفى كل شىء عنها

إيف : إننى آسفة لا يمكننى أن أفعل ذلك

الأمير : ولـكن لماذا لا تريدين ؟ (فى لهجة منكسرة) لا بد من سبب دعاك إلى الرفض

إيف : لأنك سمين جداً وغير جميل

الأمير : (فى مرارة) كنت أظن أن بريق الجواهر سيذهب بنور عينيك فلا تبصرين عيوبى . وا أسفاه . إن المرء لا يستطيع أن يملك كل شىء .

إيف : ربما كان ذلك . ولـكننى لم أجد صعوبة كثيرة فى اكتشاف ما فيك من العيوب

الأمير : إذن ترفضين طلبى !

إيف : رفضاً قاطماً

الأمير : (فى لهجة حزينة) هذا ما كنت أخشاه . لقد رضيت بالغاية وكرهت الوسيلة . إن الثروة هى أحبولة الشيطان للمرأة ، ولم أجد غيرك امرأة لم تقع فيها .

إيف : إن ما تقوله صعب التصديق

الأمير : لقد ولدت أحلام الحب ميتة بيننا . لقد أخفقت وانتهى كل شىء

إيف : أما أنا فلقـد ربحت المعركة التى كنت أحسبنى مدحورة فيها

الأمير : نعم . إن ذلك يدعو إلى التفكير

إيف : فـكر ملياً فى سبب إخفاقك ، واملـل ذلك يعود

عليك بالخير الـكثير

الأمير : (متذمراً) لا أجد شيئاً يبعث الراحة إلى قلبي غير الحب الذي أضناني التفتيش عليه . لقد أخفقت فيما كان يداعب قلبي من أمان وأحلام . كم أتمنى أن أنام نوماً عميقاً في الليل ، وأترك الثروة التي لا تنيل الحب ، طائماً مختاراً

إيف : أوه . أتجد النوم صعباً بالنسبة إليك

الأمير : إنه سوء الهضم أيتها الآنسة . إن الثروة لا تسير جنباً إلى جنب مع الصحة لقد دفعت ثمن الثروة غالياً من راحة جسدي . إنني ضعيف الإرادة .

إيف : إذا أصبحت إرادتك قوية فماذا تفعل ؟

الأمير : لعل الأمور تختلف آن ذاك . إرادة أي إنسان تقوى على الصمود أمام جمال فتاة ساحرة . إن الثروة تفتح أبواباً كثيرة ولا نعرف — إلا متأخرين — أن أبواباً أخرى لا تستطيع فتحها . لا أريد أن أعترف لك كثيراً ، ولـكنني أندفع إلى ذلك تحت تأثير جمالك . أود لو أنني فقير بائس جميل الصـورة فنجد السعادة بدلا من الحب .

إيف : أتحسب أن الفقر والحب لا يجتمعان ؟

الأمير : قد يكون ذلك صحيحاً أو غير صحيح . إنما مرد كل إلى طبيعة الإنسان .

إيف : (في هدوء) كل رأي مرده إلى طبيعة الإنسان ! والآن أرجو أن تذهب ، فإن بقاءك حتى الآن إلى جانبي لما يؤلم جدي إذا استيقظ .

الأمير : (بدون احتشام) ألا تعاودين النظر في أمري !

إيف : أبداً . أبداً ... جد آسفة . لن أرغب فيك مطلقاً .

الأمير : (متذمرا) إنني لا أحسن الهجوم . وهـذا ذنبي (مبتهجاً) لـكن الجواهر لا تزال معي . ما أقبح الحياة إذا لم يجد المرء فيها ما ينسـيه الإخفاق في حب امرأة . (صوت أبواق من الخارج) استمعي ! إن رجال حاشيتي قد قلقوا لتأخري . الوداع أيتها العذراء الطاهرة . أذكريني ... لا تجعلي ذكرياتي في نفسك مرتبطة بما تـكرهين واذكري ... إنني قدمت إليك أحسن ما عندي . (يخرج) .

إيف : ما أثقل ظل هذا المخلوق القميء !

الروح : (يظهر) لقد بدا لي أنك لم تحتفلي به أبداً .

إيف : أبداً .. أبداً .

الروح : ألا يدعو ذلك إلى الأسف ؟ لقد كان لديه الشيء الـكثير من الذي يتهالك الناس عليه في الحياة وكان راغباً في تقديمه إليك .

إيف : لقد تعلمت من ذلك أيضاً أن لدي ثروة نادرة أغلى من الدر والجوهر والذهب يطلبها الناس .

الروح : نعم . نعم . صدقت .

إيف : وعلي أن أكون حريصة على هذه الـكنوز فلا أمنحها من لا يستحقها .

الروح : صحيح مرة أخرى . لـكن الذي أريد معرفته : ما هو اعتراضك على صديقي الأمير ؟

إيف : إنني لأحس في قرارة نفسي بالأسف على خيبته ، وإنه إحساس يملأ نفسي بالزهو أن أشعر بالأسف على فشل أمير لقد وجدته قد فقد الإدراك الصحيح لموازين الأشياء ومقياس الحقائق .

الروح : أما صديقي الزائر الأول ، أفلم يفقد إحساسه بالزمن ! ألا وبك خبريني : أيهما وجدت أكثر أهمية أإدراك الزمن ، أم إدراك حقائق الأشياء ؟

إيف : إنك تسأل أسئلة محيرة أيها الروح !

الروح : إن الأسئلة المحيرة تغلب على أجوبتها الطرافة .

إيف : اسمح لي أن أقول لك إنني تعلمت كثيراً من صديقك وكثيراً جداً .

الروح : وماذا تعلمت أيتها الآنسة ؟

إيف : تعلمت أن الصحة لا تقيم وزناً للثروة ، وأن الثروة كثيراً ما تطلب الصحة .

الروح : يا للأسف ! هل اكتشفت ذلك ؟

إيف : ذلك ما تأثرت به على الأقل . وخيل إليَّ أنهما يفتشان عن السعادة . وقد يكون مبهجاً — إن لم يكن مغرياً — أن يعرف المرء ما هي السـعادة . (تضم يديها) السعادة ! ترى أتـكون السعادة أثمن ما في الدنيا ؟ لست أدري

الروح : أراك تتعجبين ؟ إن كثيراً من الناس على شاكلتك

إيف : أتستطيع أن ترينى السعادة يا صديقى ؟

(يختنق الروح . تتلفت إيف حولها تسير إلى الموقد وهى تتفكر تفكيراً عميقاً ، يفتح الباب ، تدخل امرأة قصيرة الجسم يبدو على محياها الشحوب والإعياء)

إيف : (مذعورة) آه . لا شك أن هنالك خطأ ..! ماذا تريدين أيتها السيدة ؟

المرأة : (فى لهجة حزينة) أسفاً يا بنيتى ! ألا تعرفيننى ؟

إيف : (تهز رأسها) لا

المرأة : (فى حنان) إننى أمك

إيف : أمى ؟ أمى ! لقد ماتت أمى !

المرأة : ألا تتذكرين تلك الأم ؟

إيف : لقد ماتت منذ زمن بعيد ، ومحا الزمن صورتها من خيالى .

المرأة : لقد مات جسدها ، أما روحها فلم تمت . إنها الشىء الذى لا يموت .

إيف : ولماذا رجعت من العالم الآخر ؟

المرأة : لا تقولى هذه الكلمة فما بارحتك أبداً

إيف : وما هى غايتك من هذه الزيارة الآن ؟

المرأة : أتيت لأحملك معى . لقد بلغ جدك من الكبر عتياً، ولسوف يسير جسده فى الطريق التى تسير فيه الأجساد إلى نهايتها . سنذهب معاً وهناك تمتادين على حبى، وسنجد السعادة معاً

إيف : ولماذا غبت عنى طويلا !

المرأة : لم أعرف أن الفراق كان طويلا إلا الآن .

إيف : أمى ! أرى حديثك غريباً . ماذا تريدين منى !

المرأة : أريد حبك ولا شىء آخر .

إيف : وماذا تمطينى إذا أنا منحتك هذا الحب ؟

المرأة : حنان الأم وحبها العميق . لا شىء ، غير ما لك فى قلبى من حنين ، ومالى فى قلبك من لهفة وشوق . لك منى الاطمئنان والسكينة والسعادة .

إيف : كيف أسعد الآخرين وأنا لا أجد الطريق إلى السعادة

المرأة : السعادة بين يديك إذا كان فى مقدورك أن تحملى بين جوانحك حب الفتاة لأمها .

إيف : لقد سمعت الناس يتحدثون كثيراً عن الحب ؛ إنهم دائماً يطلبون ولا يعطون .

المرأة : أما بالنسبة إلى فإنك ستأخذين وتعطين . هذا هو السر . إن البساطة هى الطريق المعبد إلى السعادة .

إيف : إن البساطة مفتاح القناعة . لكن أين السعادة الحقيقية من ذلك . هل هنالك شىء يطلق عليه هذا الاسم ؟ هل السعادة حديث خرافة يا أم عمرو ؟ يخيل إلى أنها شىء معقد جبار يتألف من ألف فكرة ، ومن ألف عاطفة ، ومن ألف زخرة ، ومن ألف عذاب . إنها ليست شيئاً واحداً إننى لن أجد السعادة الحقة معك

المرأة : ولماذا لا تجدينها معى أيتها الابنة الفيلسوفة !

إيف : لأن ليس فى استطاعة الإنسان أن يتذوق السعادة الخالصة إلا إذا شرب كؤوساً مترعة بالشقاء من يد الزمن . إن السعادة شىء بعيد جداً عن مجرد القناعة ، والسكون إلى حقائق الواقع المريرة . ليس فى استطاعتنا الحكم على حقائق الأشياء دون الغوص إلى أعماقها .

المرأة : إن هذه الأفكار القوية لا تدور بخلد فتاة فى عمرك

إيف : (ببساطة) أصحيح ما تقولين ؟

المرأة : بعد أن يتعبك السير فى الطريق الذى سترسمه لك الحياة ، وبعد أن تبدد اليقظة أحلامك الجميلة ؛ وبعد أن يتحطم الطموح فيك على صخرة الفشل — تعالى إلى — فستجديننى فى انتظارك

إيف : أتحسبين أنى آن ذاك فى حاجة إليك . ومع ذلك فإن السعادة هى الحلم الجميل الذى لا يستحيل إلى حقيقة ملموسة. ويبدو لى أننى سأحلم كثيراً ؛ وأتملم كثيراً ؛ وأعطى شيئاً ليس بالقليل من عواطفى .

المرأة : سأنتظرك . سوف تمر بك ساعة تدركين فيها أن السعادة لا تتعلق بزمان ومكان . إنما هى سعادة الروح

إيف : ألا تحبين الصحة والثروة ؛ ما رأيك فيهما ؟

المرأة : أية قيمة للصحة حينما يموت الجسد ؟ وما نفع الثروة إذا لم يستطع الإنسان استعمالها . وماذا يبقى بعد ذلك غير السعادة؟

إيف : نعم إنك على حق . ولكن هل هنالك أمور أخرى فى الحياة ؟

المرأة : (فى لهفة) الأمر المهم بالنسبة إلى ذهابك معى

إيف : (تهز رأسها) كلا . لن أذهب معك ! أن العجز والهزيمة من الحياة أمر سهل جداً . أريد أن أحل ألغاز الحياة بنفسى . لن تهزمنى الحياة أبداً . سأصمد لزوابعها

المرأة : سأكون فى انتظارك اذكرى ذلك جيداً .

إيف : سوف أذكر ذلك

(تقف إيف مفكرة ومحملقة فى النار ، بينما تعود المرأة أدراجها من حيث أتت وتختفى)

إيف : هلم إلىّ يا صديقى ! إلىّ يا مانح الهبات ! ساعدنى !

الروح : (يظهر) لبيك ! لقد حان الوقت . هل اخترت !

إيف : واآسفاه ! لم أستطع ، لأننى لا أريد الصحة ولا الثروة ولا السعادة . لا أريد هذه فى حد ذاتها بعيدة عن المعانى الإنسانية

الروح : يخيل إلى أنك لم تتوقعى رؤيتها على الشكل الذى بدت لك فيه .

إيف : نعم

الروح : لا تنسى أن هنالك أشياء أخرى فى استطاعتك اختيار منحة منها

إيف : نعم هنالك أشياء أخرى . أنك على صواب !

الروح : (فى سأم) إنما عليك أن تختارى واحدة منها

إيف : لقد لاحظت أن الأشياء الثلاثة التى عرضتها على ، كان كل واحد منها يزعم أن فى مقدوره إعطائى كل ما أريده ، ومع أن كل واحد منها كان يمنح شيئاً يختلف عن الآخر ، إلا أنها جميعاً كانت تطلب منى ثمن ذلك

الروح : وما هو ذلك الثمن ؟

إيف : أنه الحب . أنها جميعاً كانت تفتش عن الحب فيخيل إلى أن الحب أثمن شىء فى الوجود .

الروح : إننى لا أستطيع تقرير ذلك .

إيف : لقد ظهر لى ذلك واضحاً جلياً لا غموض فيه

الروح : إذن هل تختارين الحب كأغلى منحة !

إيف : كلا . لن أختار الحب . لأنه إذا كان من جانب واحد لم يكن حباً ، وإنما هو خداع الطبيعة لاستدامة النوع ومد جذوره إلى المستقبل فى وجه مستمد من شهوة الجسد . ليس الحب إلا امتزاج روحين ، وتقارب قلبين وفناء جسدين فى هدف لا يدرك . إننى لن أطلب الحب . ينبغى أن يأخذ الحب طريقه إلى القلوب بعيداً عن الأرادة والتوجيه . أن الحب الصحيح لا يطلب ، ولكنه كالجوهر النفيس تكتشفه القلوب فى مسارب الحياة

الروح : إذن أى شىء تختارين

إيف : إذا كان لابد من الاختيار فأختار العقل . أنه ينجدنى فى الشدة ؛ فاختار اختياراً صائباً ، وأعيش حياة متزنة ، وأحب حباً صحيحاً . نعم سأختار العقل

الروح : (مقهقها) ها … ها … لا يختار العقل إلا إنسان مدرك عاقل . وأنت باختيارك لم تطلبى شيئاً جديداً . لقد طلبت ما هو لديك . أهذا كل ما تطلبين ؟ (يقهقه بصوت مسموع) إنك يا آنستى العزيزة فى غير ما حاجة إلى من يقدمه إليك ! … ها .. ها .. ها .. ها ....

(يتلاشى الروح)

إيف : (مفكرة) إننى لا أشك فى سلامة عقلى

(ترجع إيف إلى وضعها الأول ، جالسة أمام الموقد ، محملقة فى اللهب ، تتلاشى الخيالات تدريجياً ويتوهج لهب النار ، وبعد فترة تفرك عينيها ، بينما يأخذ غطيط الجد يخفت ، ثم يفتح عينيه)

الجد : لقد غلبنى الكرى على أمرى

إيف : لقد أغضيت طويلاً يا أبت

الجد : ماذا كنت تصنعين أثناء نومى يا إيف ؟

إيف : كنت أفكر

الجد : تفكرين ! هل أضعت كل ذلك الوقت فى التفكير؟

إيف : نعم يا أبت

الجد : لا أحسب أنك فعلت ذلك ! ربما يخيل إليك أنك كنت تفكرين !

إيف : إننى واثقة من ذلك وثوقك بأنك كنت نائماً

الجد : إنك تفكرين كثيراً يا بنيتى ؛ بماذا كنت تفكرين !

إيف : أفكر قليلا فى أمور هامة ، وكثيراً فى أشياء لا أهمية لها ! أليس كذلك يا أبت !

الجد : إن أساليب النساء تعجز الفهم ، هلمى إلى فراشك

إيف : (تنهض) سمعاً وطاعة يا أبت وشكراً

(أصوات ضحك تنبعث من بعيد)

(يهبط الستار)

(المسيب) علي محمد سرطاوي

مطبعة الرسالة



العدد ٨٤٢ — الاثنين ٢٢ اغسطس ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

١٥ ٠ ٣٣

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 ème Année No. 842

Lundi — 22 — 8 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مصر

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٣٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٤٢ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٧ شوال سنة ١٣٦٨ — ٢٢ أغسطس سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

إبرهيم عبد القادر المازني



موجة من الأسى غمرت شعوري كله وأنا أقرأ نعى الأستاذ ابرهيم عبد القادر المازني منذ أيام... ألأنه ودع الحياة وفارق أصدقاءه ومحبيه على غير ترقب وانتظار، أم لأني قد رأيته وجلست إليه ساعة أو بعض ساعة كانت هي اللقاء الأول والأخير، أم لأني قد هاجمته مرتين على صفحات «الرسالة» هجوماً عنيفاً راعيت فيه جانب الحق وأهملت كل ما عداه؟!

ليس من شك في أن تلك الأمور جميعاً قد تركت في نفسي إحساساً عميقاً بالأسى لفقده؛ ومن دواعي الأسف حقاً أن يمسي الأحياء ويصبحون فلا يجدون المازني يملأ مكانه، وأن ألقاه أنا منذ قريب فيتحدث إليّ وأتحدث إليه، ثم يشاء القدر أن أهاجمه هجوماً عنيفاً دون أن أعلم أنه قد شدّ الرحال ومضى في طريقه... إلى لقاء الله!

لقيت المازني أول لقاء وآخر لقاء بمكتب الأستاذ توفيق الحكيم في «أخبار اليوم»، وكان ذلك منذ شهور... وحين دخلت الحجرة لم يكن بها غير بضعة أشخاص ما لبثوا أن استأذنوا مودعين وبقينا نحن الثلاثة: المازني وتوفيق الحكيم وأنا... ومضينا نطرق من أبواب الحديث ما شاءت السياسة والأدب والفن، متفقين حيناً ومختلفين حيناً آخر، ثم شاءت الظروف أن نعرض لمشكلة طال حولها الجدل بيني وبين المازني حيث قنع توفيق الحكيم بالإنصات ومضى يرقب نهاية الشوط بصبر لا ينفد.

كان — رحمه الله — إنساناً جم الأدب في نقاشه، مهذب العبارة، مشرق اللمحة، لبقاً في التخفيف من حدة الجدل بالبسمة العذبة والنكتة البارعة، ولكن القضية كانت قضية بعدت فيها الشقة بين نظرتين: نظرة الشيوخ ونظرة الشباب، أو نظرة الأمس ممثلة في الماضي القريب، ونظرة اليوم ممثلة في الحاضر المشهود. وكأنما ضاق المازني بحجج محدثه فراح يسأل عنه توفيق الحكيم!...

ونظر إليه توفيق الحكيم في شيء من الدهشة وهو يقول: لقد ظننتك تعرفه حق المعرفة، ومن هنا لم يخطر لي أن أقدم كلا منكما إلى الآخر... هذا «فلان» كاتب «التعقيبات» في الرسالة.

ورأيت المازني — رحمه الله — يمد إليّ يده مصافحاً في حرارة، مصافحاً للمرة الثانية وهو يقول: معذرة، فأنا أقرأ لك ولا أراك!

ومن العجيب أنك ثائر هنا وثائر هناك ! ولكن لماذا تهاجم بعض من أعزهم من حين إلى حين ... لماذا تهاجم العقاد مثلاً وفضله على الثقافة والأدب لا ينكر ؟ !

وأجبت وعلى فمى ابتسامة تسجل للمازنى معانى الوفاء : ومن قال لك إنى أنكر هذا الفضل ؟ أنا أول من يعترف به ، وإذا كنت قد هاجمت العقاد يوماً فلأننى أقدره ، وكذلك الأمر بالنسبة إلى طه حسين وتوفيق الحكيم !

وكأنما أعجب المازنى بهذا الجواب فارتسمت معالم السرور على وجهه ، ثم قال وهو يغرق فى الضحك ونغرق معه : هل أفهم من هذا أن ليس لى عندك منزلة هؤلاء السادة لأنك لم تهاجمنى حتى الآن ؟ !

نقلت معقباً على اللفتة الرائعة : معاذ الله يا صديقى ، إنك سترغمنى إرغاماً على أن أقول عنك ما فى نفسى إثباتاً لتقديرى لك !

ويهتف المازنى والابتسامة العذبة لا تفارق شفتيه : أنا أدرى الناس بما يمكن أن تقوله عنى ... ستقول إن المازنى كان بالأمس خيراً منه اليوم ، وإنه ترك زمرة الأدباء وانضم إلى زمرة الصحفيين، وإنه يكتب فى كل مكان ، ويكتب فى كل شىء ، حتى أصبح تاجر مقالات يهمه ملاحقة السوق أكثر مما تهمه جودة البضاعة ، أليس كذلك ؟... ولكن لا تنس أن الأديب فى « بلدكم » مجبر على أن يسلك هذا الطريق ليكسب عيشه وعيش أولاده ، وليستطيع أن يحيا حياة كريمة تشعره بأنه إنسان ... ترى هل بقى شىء يمكن أن تقوله ؟

فأجبت وأنا مأخوذ بصراحته المحببة وتواضعه الجم : نعم ، بقى أن أقول إن المازنى لم يهتد حتى الآن إلى خير ملكاته ، خيرها على الإطلاق ... لو عرف المازنى أن معدنه القصصى من أنفس المعادن لأفسح الطريق لملكته القاصة ، ولغدا فى ميدان القصة وهو قمة من القمم ... لقد قلت ذلك لتوفيق الحكيم أكثر من مرة فكان يوافقنى كل الموافقة !

وضحك المازنى وهو يقول : هذا حق ، ولكنك تريدنى على أن أكون منافساً يسد الطريق فى وجه توفيق الحكيم ... لا يا سيدى ، أنا لا أحب أن أقطع أرزاق الناس !

ويهتز توفيق الحكيم من الضحك وأهتز معه ، ويمضى الوقت حافلا بأسباب الأنس الأنيس والمتعة التى تغمر آفاق النفس والروح!

ويستأذن المازنى فأنهض لتوديعه قائلا له : أنا سعيد بلقائك !

ويشد المازنى على يدى بكلتا يديه قائلا لى : ويسعدنى أن يتكرر هذا اللقاء !

ولكن اللقاء لا يتكرر ، ثم تشاء الظروف أن يثيرنى رحمه الله مرتين فأهاجمه مرتين : أهاجمه وأنا لا أعلم أنه شد الرحال ومضى فى طريقه ... إلى لقاء الله !

لقد كان المازنى عالماً من خفة الظل وعذوبة الروح ، وعالماً من سماحة الطبع ونقاء السريرة ، وعالماً من كرم الخلق وندرة الوفاء ، وكان المازنى وكان ... وأصبح كل شىء فى عداد الذكريات!

هذه كلمة عابرة تحدد مكان المازنى من نفسى ونفوس عارفيه ؛ أما مكانه من تاريخ الأدب العربى المعاصر فله حديث غير الحديث ، ومناسبة غير المناسبة ...

وأهتف مع العقاد فى غمرة حزنه ووهج أساه : سلام على إبرهيم ، وسلام على الدنيا ! !

(أ . م)

ترميم الجامعة العربية

للأستـــــاذ نقولا الحداد

تقرر أن تجتمع اللجنة السياسية للجامعة العربية فى ٢٠ أغسطس الحالى . وقد نشرت جريدة المصرى مجموعة الاقتراحات التى تقدمت بها الحكومات العربية وستكون جدول أعمال اللجنة . وهى مستخلصة فى ١٢ مادة . وبالاطلاع على هذه المواد رأيت أن المقصود من التعديلات المقترحة هو ترميم الجامعة كترميم منزل آيل إلى السقوط وتلا فى سقوطه أو تأجيل سقوطه إلى أجل قصير ، كالبت فى موضوع الأمانة العامة وربما كان هذا أهم موضوع عند المرممين . ثم يليه فى الأهمية الروابط الاقتصادية والثقافية والمواصلات . ثم مشروع الدينار العربى وبنك الجامعة إلى غير ذلك مما لا يمكن أن يتقرر ما دامت الجامعة متداعية إلى السقوط . ليس فى هذه الاقتراحات والتعديلات المطلوبة ما يبنى جامعة عربية . بل ستبقى الجامعة فى تداعيها وتزعزعها بحيث يستحيل أن تتعدل هذه التعديلات والجامعة فى هذا الوهن المتناهى والتقلقل المنذر بالهبوط العاجل .

قبل أن تفكروا يا قوم بالأمانة العامة والدينار والاقتصاديات الخ يجب أن تهدموا هذه الجامعة إلى الحضيض وتقذفوا بأنقاضها إلى البحر أو إلى الصحراء ، ثم أن تبنوها من جديد على أساس متين بمواد قوية وبنيان راسخ .

والمقترحات المقترحة آنفاً إنما هى مقترحة على هيئة سياسية إدارية غير موجودة ولا وجود إلا لظل لها — فظل جامعة أو جمعية لا يمكن أن ينشىء بنكا ولا يقرر ضريبة ولا ينظم علائق اقتصادية الخ — لابد من وجود الجامعة أو الهيئة أولا . والجامعة غير موجودة . كانت خيالا وقد امحى الخيال حين طلعت شمس الحقيقة

شمس الحقيقة التى طلعت وتحت الظل هى انخذال ٣٠ مليون عربى أمام ٣ أرباع مليون صهيونى وقيام دولة إسرائيل أمام الدولة العربية المزعومة وتشرد مليون عربى أمام ٣ أرباع مليون يهودى وانصباغ فلسطين بالصبغة اليهودية أمام كلة فلسطين عربية وستبقى عربية للعرب . ولم يبق للعروبة إلا استجداء حقوق عرب فلسطين من أيدى اليهود . واليهود لا يتكرمون إلا بعودة مائة ألف من المليون عربى اللاجئين إلى فلسطين ممن ينتقيهم اليهود لكى يكونوا فعلة وخداماً عند اليهود وعبيداً وإماء .

هذه هى الحقيقة التى طمست معالم الجامعة العربية .

الجامعة العربية صارت فى خبر كان ، والزائل لا يرمم ، والذى مات لا يقوم من الموت قبل يوم الحشر . نحن الآن فى حاجة إلى جامعة عربية جديدة توجد مادة وروحاً وقوة .

* * *

الجامعة لا تكون باجتماع وفود من الدول العربية تحت رئاسة أمين عام ما هذه جامعة . هذه جمعية لا تمثل إلا الأشخاص المجتمعين فيها . الجامعة العربية ليست الجماعة التى لا تمثل إلا أشخاصها ولا التى تمثل الدول التى أرسلتها . الجامعة العربية هى التى تمثل الأمم العربية أنفسها تمثيلا حقيقياً بمعنى أن يجوز لكل فرد عربى أن يقول إنى ممثل شخصياً فى جامعة العرب (لا حكومتى بل أنا شخصياً) .

الجامعة العربية الحقيقية هى التى تجمع أفراداً عرباً ينتخبهم العرب لا التى توفدهم دولهم كما حدث فى الجامعة الحالية التى حبطت وامحى ظلها .

الجامعة العربية الحقيقية هى برلمان عربى أعلى والنواب فيه يمثلون الأفراد العرب . كل نائب يمثل مليوناً أو نصف مليون . ينتخبه أفراد العرب من مثقفين أكفاء خبيرين لا من ذوى الأملاك أو ذوى الثروات .

ويكون لهذا البرلمان (الجامعة العربية) السلطة العليا الدفاعية على جميع الدول العربية المشتركة فيه . وليس للدولة مهما كانت عظيمة وقوية سلطة على هذا البرلمان أو الجمعية .

يقتصر اختصاص هذا البرلمان على الإدارة الدفاعية عن جميع الدول العربية . ولهذا يجب أن تنتقل قوى الدفاع الجندية من أيدى الدول إلى يد هذا البرلمان . ولا يبقى للدولة من القوى الجندية سوى قوة البوليس وقوة الجندية (الميليشيا) المحدودة اللازمة لحفظ الأمن فى الدولة .

بناء على هذا يجب أن يكون تحت أمر البرلمان الدولى العربى المذكور لا أقل من ربع مليون جندى وإذا لزم الأمر فنصف

مليون أو أكثر حسب اللزوم . تؤخـذ هذه الجنود من الأمم العربية بالنسبة العددية المعلومة .

ثم هذا البرلمان يجبى من جميع الدول بنسبة عدد السكان المال اللازم للدفاع من وجوهه بحيث لا يقل عن مائتى مليون جنيه . وإذا لزم أكثر فأكثر يجبيها هذا البرلمان من جميع الأمم العربية من غير اعتراض ولا تمنع أو نقاش . هذا المال هو حق للدفاع عن الأمم العربية قاطبة وهو واجب على هذه الأمم .

تـكون سلطة هذا البرلمان نافذة لا مرد لها . وهو ينفـذ مقتضياتها بما له من السلطة المسلحة .

يتولى هذا البرلمان سياسات الدول العربية الخارجية .

هذا البرلمان يفض الخلافات الدولية العربية وينفذ أحكامه بقوة السلاح .

يكتسب هذا البرلمان هذا الحق لأنه يمثل جميع الأمم العربية

قد يُعترض عليه بأن لبعض الأمم كمصر مثلاً نصف البرلمان تقريباً ولهذا تـكون أحكامه متحيزة لمصر . ولتلافى هذا التحيز يختار مجلس شيوخ إلى جانبه لا يكون أعضاؤه بنسـبة عدد الأهالى بل كمدد الأمم الممثلة فيه عضو أو عضوان عن كل أمة صغيرة كانت أو كبيرة على حد مجلس الشيوخ الأمريكى .

هذا البرلمان الشامل المجلسين يعتبر « الجامعة العربية » القانونية النافعة الذى يستطيع أن يحمى ذمار العرب ويدافع عن العروبة .

هذا البرلمان سيختار قيادة الجيش العليا ومجلس أركان الحرب وهو يقرر الحرب أو الصلح . وليس لأية دولة حق التـدخل بشئونه . يكفى أن يكون لـكل أمة ممثلون فيه يحرصون على حقوقها وحياتها .

إذا شبت الجامعة على هذا النحو أمكن الأربعون مليون عربى أن يرغموا أنف مليون إسرائيلى أو مليونين وإلا فالمليون إسرائيلى يستعبدون الأربعون مليون عربى .

فى أقل من خمس سنين يتم هذا الحلم الإسرائيلى فليفتح العرب عيونهم وآذانهم قبل يروا أنفسهم أمام هذا الأمر الواقع .

فى عشرين الجـارى سيجتمع أعضاء الجامعة العربية لـكى يفضوا هذه الجامعة ويبددوا أنقاضها فنطالبهم بما يأتى :

١ — أن يطردوا الخونة من بينهم سواء كانوا وفوداً أو دولاً أو ممثلى دول .

٢ — عليهم أن يقدموا حساباً عن كل ما دخل إلى خزينة الجامعة تبرعاً أو اشتراكات دول — حساباً صريحاً واضحاً من داخل وخارج بالتفصيل وأن يعلن فى الجرائد العربية .

متى تـكونت الجامعة على هذا الشكل يشرع البرلمان العربى الأعلى الذى يعتبر جامعة العرب — يشرع أن يعمل الإصلاحات المطلوبة المقترحة على اختـلاف أنواعها من بنوك واقتصاديات وثقافيات وجمركيات و ... الخ

هذا العمل الإنشائى يجب يشرع به حالا وأن ينجز حالا لأن اليهود لا يصبرون . فهم قد وضعوا عيونهم على جبال أراراط وأعالى النيل وما بينهما .

نقولا الحداد

طفيلى من النـــاس

ما ذا سألنى . . وكيف أجبته ؟

للأستاذ راجى الراعى

كنت أسبح فى أفق من آفاق الخيال والتفكير فخطر لأحدهم أن يتطفل على نفسى وهى تخوض عباب الأثير وينهال علىّ بالأسئلة .. وإليك ما دار بيننا :

— لماذا تحلم ؟

— لأتعرى من الدنيا .

— ولماذا تكتب ؟

— لأهرق دمى فى القراطيس .

— ولماذا تنشد المجد ؟

— لأنجو من سخرية النجوم .

— ولماذا ترحم ؟

— لأننى أتألم .

— ولماذا تصمت ؟

— لأن موجة التفكير أغرقت بيانى .

— ولماذا تنظم الشعر ؟

— لأن أبياته هى الأصابع التى أبسط بها يدى فى الوجود .

— ولماذا تحب ؟

— لأننى أحب .

— ولماذا تفكر فى الغد ؟

— لأننى لا أرى أمامى سواه وقد فرّ الأمس من يدى وأضعت يومى .

— ولماذا تدوس القبور ؟

— نكاية بالموت الذى يدوس الأحياء .

— ولماذا تحاول أن تخترع ؟

— لأدنو من الخالق .

— ولماذا تشمخ بجبينك ؟

— لأنه نطح الأفق ولم يجرح

— ولماذا تلجأ إلى الهيولى ؟

— لأفر من هولك .

— ولماذا تأوى إلى الظلال ؟

— لأتحدى الشمس .

— ولماذا تنشق الزهر ؟

— لأنه سينبت فى ترابى .

— ولماذا تهوى الفجر ؟

— لأن فيه من (قطرات ندای)

— ولماذا تصلى ؟

— لأصطلى بإيمانى .

— من أنت ؟

— كلمة نطقت بها الحياة .

— وما هى مهنتك ؟

— حفار يحفر فى نفسه ليستكشف دفينها .

— وما تلك التى بيمينك ؟

— عصاى .

— ولمن أعددتها ؟

— لأمثالك أيها الوقح الثرثار الفضولى المتطفل على هيا كل النفوس المنساب بين قلم الكاتب ودواته .

ورفعت عصاى ففر الثقيل فتنفست الصعداء وقمت أخط ما وقع بيننا فى هذا المقال .

راجى الراعى

القراءة وأصول الثقافة

للأستاذ إيليا حليم حنا

القراءة والحياة :

القراءة فن يربط بين الكتب والحياة ويفتح أبواب التفكير والتصور . وهى وسيلة لتوسيع عقولنا وتنمية تفكيرنا الحر وإيجاد ملكة النقد عندنا وزيادة ثقتنا بأنفسنا وبقيمة آرائنا الشخصية .

ويخطئ شبابنا المتعلم عند ما يظن أن أيام الدراسة هى مرحلة القراءة والاطلاع . إننا عند ما نقطع أكبر مرحلة دراسية لا نكون قد قبضنا على زمام الحياة بل نكون قد بنينا لأنفسنا أساساً صلباً يمكننا أن نثبت عليه أقدامنا لنسير فى الحياة نحو الكمال حتى الشوط الأخير فيها . ولا يمكننا أن نساير روح العصر الذى نعيش فيه فى مرحلة عمرنا إلا بالقراءة المستمرة والوقوف على أسرار الحياة المختلفة التى يميط العلم اللثام عنها كل يوم ويظهر منها شيئاً جديداً كان مجهولا . ويموت الشخص عقلياً عند ما يقف عند حد محدود من ثمار العقل البشرى ويتخلف عن قافلة زمانه الذى يعيش فيه .

والقراءة ليست غاية فى ذاتها وإنما وسيلة للعيش عيشة إنسانية سعيدة عند ما ننتفع بما نطالع انتفاعاً عملياً يقودنا إلى عمل متقن وحياة أفضل . ولا فائدة من القراءة التى لا نبغى من ورائها إلا حشو رءوسنا لنظهر أمام الناس أننا ملكنا ناصية العلم والثقافة

والكتاب وحده لا يصل بنا إلى النمو العقلى والنفسى إلا إذا مزجنا قراءاتنا بتأملاتنا وخبرتنا وتجاريب الغير وما يجرى ممنا وحولنا كل يوم وكل ما نراه فى الطبيعة ويقع تحت حسنا وإدراكنا . فكل هذه كتب مفتوحة يجب ألا نهملها عند ما نقرأ ونفكر . قال جونسن : « من يتصور أن الأفكار لا توجد إلا فى الكتب وأن فى الكتب كل الأفكار ، فما هو إلا واهم . والأفكار تجرى مع الأنهار والمجارى ، وتطفو على وجه البحر ، وتتكسر على شواطئه ، وتسكن التلال والجبال ، وتسطع مع نور الشمس ، وتنسدل على أجنحة الظلام . إن الأفكار موجودة فى كل مكان وزمان » .

وتصديق كل ما هو مكتوب والأخذ به دون تأمل وبحث عن حقيقة دلالة على جهل القارئ وموت العقل فالقارئ الحى اليقظ المتوثب لا يترك كتاباً دون أن يقتله درساً وتأملا ونقداً . يقول جون ستوارت مل (يجب على طالب الثقافة أن يشعر بأنه حر الفكر ، له أن يجارى الغير فى معتقداتهم ، وله أن يخالفهم فيها . عليه إذا شك فى صحة أمر أن يبحث وينقب جهده ليقف على ما يروقه ويقنعه . وعليه أيضاً ألا يلقى الكلام على عواهنه ، وألا يأخذه دون روية وإعمال فكر) .

هذه القراءة الحية التى تقترن دواماً بالتفكير والتأمل والتجرد من أهواء النفس وعدم التعصب للعادات العامة والآراء المتواترة والعقائد الشائعة تخلق منا الإنسان الحى الكامل الذى يتأثر بثقافة عصره ويؤثر فيها بعد أن يكون قد أرضى من البحث حاجته وشفى غليله وأحس الحياة وأمعن فيها إمعاناً بانصرافه إلى التفكير والملاحظة والاستنباط .

القراءة والثقافة :

الغرض الأول من القراءة هو التهذيب الكامل للنفس وليس تعبئة الذهن بالمفردات والتراكيب أو الحقائق مستقلة منفردة . والقراءة الحية تنمى القوى والمواهب الإنسانية وترقيها . فإن ما نكسبه من معلومات ونهضمه ونجعله جزءاً من حياتنا الفكرية وتفكيرنا الخاص يكسبنا قوة ذهنية تتجه بنا نحو الإصلاح بأنواعه وتؤهلنا إلى الاندماج فى مشاكل المجتمع الذى نعيش فيه وإنهاض ذلك المجتمع وتجديده ، ويزودنا بقوة فكرية مهمتها البحث عن الحقيقة أياً كانت والسعى لرقى الإنسان عقلياً وروحياً

هذه هى الثقافة المنتجة التى تمكننا أن ننعم بالحياة ، نسرح فيها ونمرح ، ننشط ونستنبط فتنتعش قوانا العقلية وتظهر كفاياتنا المغمورة وتزهو مقدرتنا فى أعمالنا أو فى أى نشاط ابتكارى تغذيه ميولنا .

هذا كله فعل القراءة الثقافية المجدية التى قال عنها (بيكون) إنها تجعل العقل البشرى ينطلق من عقاله لنقبل على كل مجهول ونفكر لنعيش ونعيش لنفكر .

التثقيف الذاتي :

يمكن للقارئ العادي أن يثقف نفسه لو توافر له الميل إلى القراءة المفيدة المحبوبة التي تهدف إلى غرض ثقافي واضح وليست تلك التي يقصد بها التسلية وقطع الوقت .

وقد طرق كثير من المفكرين والفلاسفة موضوع التثقيف الذاتي فقال (لوك) للتهذيب الذاتي ثلاثة طرق تبتدئ الواحدة من حيث تنتهي الأخرى :

الأولى : قراءة الكتب وإدراك معانيها :

الثانية : التفكير والتأمل في تلك الأفكار والمعاني .

الثالثة : التحدث مع الناس بها واختبار سقيمها من صحيحها وسليمها من فاسدها .

ويرى الفيلسوف النفساني وليم جيمس ثلاثة طرق أخرى للتثقيف الذاتي وهي :

١ — إتقان اللغة القومية إتقاناً يمكن الفرد من التعبير عما يدور برأسه من أفكار وآراء تعبيراً صحيحاً . ويقول (باوند) عميد هارفارد في هذا الخصوص : (الرجل الذي لا تبلغ غرائزه اللغوية النضج لا يمكن أن يفكر تفكيراً متقناً أو يصل إلى نتائج دقيقة) .

٢ — استيعاب ما يمكن استيعابه من أنواع المعارف المختلفة حتى يمكنه مسايرة الثروة العقلية التي وصل إليها عصره .

٣ — تكوين مبادئ وعادات تخلق منه رجلا كاملا خليقاً بما استوعب من ثقافة . ويعرض (أرنولد بنيت) اقتراحين عامين لتثقيف النفس بالقراءة وهما :

١ — عين اتجاه جهودك ومداها واختر فترة معينة أو موضوعاً معيناً أو مؤلفاً واحداً وقل لنفسك مثلا : أريد أن أعرف شيئاً عن الثورة الفرنسية أو عن اختراع السكك الحديدية أو ... وتفرغ في زمن معين لما وقع عليه اختيارك فإن متعة عظيمة تستفاد من التخصص .

٢ — فكر واقرأ في آن واحد ، فإني أعرف أناساً يقرأون ويفكرون كثيراً ولا يستفيدون شيئاً ... ذلك لأنهم يجوبون أقاليم الأدب في سيارة وكل همهم الحركة ويفتخرون بعدد ما قرأوا من كتب في العام .

ويقول (أندريه مورو) : لا تهمل آراء الأجيال التي سبقتك بل يجب أن تمنى عناية خالصة بالكتب القديمة الخالدة ولنثق بما اختارته القرون السالفة من روائع الكتب ، فقد يخطئ الاختيار رجل واحد وقد يخطئه جيل واحد ولكن الأجيال لا تخطئ جميعاً فشكسبير وموليير جديران بما نالا من مجد خالد على الدهر ... ومن الضروري أيضاً أن نهتم بالكتاب المعاصرين لأننا بدون شك نجد فيهم أصدقاء يشعرون بما نشعر ويحتاجون لما نحتاج إليه » .

فيما تقدم آراء مختلفة تصلح جميعاً أن يعمل بها للتثقيف الذاتي وأرى بالإضافة إليها أن تدرس كاتباً من كبار الكتاب المعاصرين وتتابع مؤلفاته وآراءه ثم تدرسها دراسة وافية فإنك ترتقي معه ذهنياً وتصل إلى مستواه وتقف على أساليب التفكير المنظم في جيلك . وبذلك تكتسب عصارة قلبه وفكره وتفكر مع إنسان يحسن التفكير ولكن لا يجب أن تنساق معه بدون تفكيرك الحر . حاول أن توسع دائرة اطلاعك واجعل ما أنتجه المفكرون أساساً لتكوّن لك رأياً على ضوئه . وبذلك قد تكتشف نقصاً تكمله في رسالة زميلك الكاتب فتعلو عليه في هذا الزاد العقلي وترقى بالإنتاج الثقافي .

فند آراء كبار الكتاب وحللها وقارن بين ما احتوت عليه مؤلفاتهم . ولا تكتف بهذا ، بل كرس جهودك في ناحية من نواحي الثقافة واقتلها بحثاً وتمحيصاً وتتبع جميع ما يكتب عنها في اللغات التي تعرفها . ولكن مع هذا لا بد أن تعرف أشياء كثيرة دون أن تتعمق فيها .

القراءة للاستلهام والابتكار والاختراع :

هذه هي أرقى أنواع القراءة التي تعمل عملها المظيم في حياة الفرد والمجتمع وتدفع الأمة نحو حضارة أرقى بما يتبع هذه القراءة البارعة من التفوق العلمي والأدبي والروحي .

ويقبل على هذه القراءة أصحاب العقول الممتازة الذين يرون مع الفيلسوف العالم (إسحق نيوتن) : « أن الناس مع كل ما بلغوه من المعرفة وتوصلوا إليه من الاكتشافات ، ليسوا إلا أولاداً صغاراً يلتقطون الاصداف والأعشاب التي ينبذها ويقذف بها بحر الحقائق وخضم المجهولات من حين إلى آخر » .

ويؤسفنا أن المضمار العلمي عندنا يخلو من مثل هذا القارئ المبقري ونسأل أنفسنا ما الذي جعل الاختراع والاستنباط والتفوق العلمي وقفاً على أبناء الغرب ! ليس السبب في عقولهم أو ذكائهم ولكن لأنهم عرفوا لذة القراءة وانغمسوا فيها وجعلوا شعارهم (اقرأ وفكر واعمل) فمكنهم ما اكتسبوه من محصول من فهم العالم الذي حولهم وضبطه والكشف عن قوى الطبيعة المجهولة وإخضاعها لفائدة البشر . وهؤلاء القراء البارعون هم حملة المشاعل في الأمم النواهض واجبهم ملاءمة التطور والعون على التقدم والسبق .

والقارئ المبقري يقرأ ويهضم ويفكر ويجرب ليستخلص شيئاً جديداً يضيفه إلى تراثنا وحضارتنا ويعمل على تغيير حياتنا وتكييفها . وكلما أكثر من هذه القراءة المركزة المنظمة كلما وجد نفسه يقترب من هدفه فيزداد تفكيراً . وأثناء حرارة التفكير والانغماس فيه بعقله وكل حواسه تنقدح في ذهنه الأفكار الملهمة فيزداد محصوله العقلي ويزداد هو استحواذاً على العالم الخارجي وإدماجاً له في حياته العقلية .

ومثل هذا القارئ يتبع في قراءته طريقة التفرغ والاستيعاب أي طريقة أخذ الشيء مفصلا والتمكن من كل جزء من أجزائه فتظل أفكاره في حركة دائمة تتحرك حول غرض عملي محدد واضح وتتحرك هذه الأفكار إلى ملكة . يقول « هربرت سبنسر » : المعرفة لا يكاد يمسها الواعي حتى تتحول عنده إلى ملكة ، وتظل بعدها تمينه على التفكير عامة » . ويأخذ هذا القارئ المفكر ينمو في نشاطه العقلي يبني المقدمات بالخبرة والمشاهدة والاستقراء والقياس حتى يصل إلى النتائج التي يهدف إليها .

وهذه القراءة المركزة المنظمة سبب قوي في توجيه حياة الأفراد الممتازين إلى نواح معينة وحفزهم لتحقيق غايات جليلة سامية عاد عليهم تحقيقها بالصيت الخالد والجاه والثروة . وأذكر على سبيل المثال أمثلة حية خالدة لما توحي به القراءة عند ما تقترن بالتفكير العميق واليقظة المستمرة والرغبة القوية وتحديد الهدف وحشد الجهود .

اشترى لورد كلفن كتاباً عن الحرارة تأليف عالم طبيعي اسمه « فورييه » وانغمس في قراءته واستيعابه . فكان لهذا الكتاب أكبر الأثر في حياة الرجل بما أوحى إليه من الاختراعات .

وقرأ « بت » كتاب « ثروة الأمم » تأليف « آدم سميث » فاستطاع أن يرسم للأمة الإنجليزية سياستها الاقتصادية الرشيدة في وقته . وقرأ « سسل رودس » كتاب « الامبراطورية الرومانية » تأليف « جيبون » فذهب إلى إفريقية يوسع نطاق الإمبراطورية البريطانية .

وقرأ « فورد » مقالا في مجلة عن العربات التي لا تجرها الخيل ؛ فأوحى إليه هذا المقال بالتفكير في صنع السيارة ودأب على تحقيق هذا الحلم الجميل حتى كان له ما أراد .

كل من هؤلاء عرف كيف يستفيد مما يقرأه ، وهضم ماقرأه فأصبح جزءاً من كيانه العقلي وحجراً أساسياً لابتكار أو خلق أو عمل شيء جديد .

والأديب الفنان كالمخترع ورجل العلم يقرأ للابتكار والاستلهام وليس ليشبع جشمه الثقافي فقط ؛ بل لتوحي إليه الفكرة المقروءة بفكرة جديدة ، وهو في قراءته يحلق في الآفاق العليا منطوياً على نفسه ، لا يتقيد بمكان أو زمان ، بالغاً المكانة التي يستشرف منها للالهام ويتعرض فيها بروحه وبصيرته لنبضات الوحي فيمزق حجب الأشياء وينفذ تواً إلى صميمها ، ويصل إلى أعمق الأغوار من الفكر الإنساني الأصيل .

هكذا يقبل القارئ الأديب على القراءة لتفتح لذهنه آفاقاً جديدة فتنهال عليه الخواطر التي تضطرب في نفسه وتريد أن تظهر ، وتملأ قلبه وتريد أن تفيض ، وتكرهه على أن يأخذ القلم ويسجل ما تمليه عليه تلك الأصوات الخافتة التي يسمعها داخل عقله وقلبه ويلمسها بإحساسه المرهف في جوه السحري الصامت . إنه لا يقرأ لينقل ولكن ليحس نبضات الفن والإلهام والبصيرة .

(أسيوط) إيليا حليم حنا

مدرس أول للغة الإنجليزية والآداب

مدرسة النهضة الوسطى : الأبيض — سودان

صور من الحياة :

يقتـــل أخاه . . . !

« مهداة إلى الأستاذ كامل محمود حبيب »

للأستاذ عمر عودة الخطيب

درج الناس في القرية على أن يستقبلوا صباح اليوم الأول من العيد في المقبرة ، فيزوروا الأموات قبل الأحياء ، ويضعوا على قبورهم أكاليل الزهر ، وفروع النخيل ، وباقات الورد ، ويواسي بعضهم بعضاً ، ويخفف الخلي مصاب الشجي ، ويجفف الغريب دمع القريب ... وذهبت صباحاً مع القوم ، وبدأت بزيارة ذوي القربى والأصحاب ، أقرأ للجميع آيات من القرآن ، وأستلهم الله لهم الرحمة والرضوان ، وما لبثت أن فوجئت — خلال تطوافي — بصيوان كبير فوق ضريح أبيض قد ازدان بالأقمشة الحريرية الزاهية والورود ، كأنه عروس مجلوة ليلة الزفاف وقد تدلت على صدرها أجمل العقود ، وكما يزدان رأس العروس ووجهها بالأصباغ والعطور ، قد أفعم رأس هذا القبر بأوراق الآس وأكمام الزهور ، فوقفت — من بعيد — أنظر إلى هـذا القبر ، وقد استهواني ما فيه من بهرج وزينة ، ألهاني عما يعاني ذووه من حزن ولوعة ، فسألت صاحبي عن أهل هذا الميت ، ولم يخامرني ريب في أنها (عروس تزف إلى قبرها[1]) ، وقد أقام لهـا أهلها وزوجها المفجوع هذا المأتم الحافل ، وهذا الزفاف الباكي ... أو خيل إليّ أن هذا صنيع حبيب رزئ قبل العيد بحبيبته ... أنس نفسه ، وروح فؤاده ... فدعاه الهوى — والهوى ذو أعاجيب — إلى ما أرى من عناية وتكريم ، ولم يفته أن يهدي إلى القبر — برهاناً على وفائه وصدق حبه — أجمل الورود وأشذى العطور ، إذ فاته أن يضع بين يدي حبيبته أزهى الثياب وأروع الحلى ... وكادت عيني تبض بقطرات من الدمع ، حزناً وأسى ، لولا أن صاحبي أخذ بيدي قائلا : هلمّ نزور هذا الضريح ونواسي هؤلاء المحزونين! وانحدرت معه إلى الصيوان ، فرأيت — على جوانبه — نسوة نائحات ، ورجالا باكين ، ولفت نظري أن الجمع — وكان كثيراً — كان يبكي بحرقة لاعجة وحزن شديد ... وليسوا كلهم أهلا للميت أو إخواناً له ، فاعتراني خشوع ملك عليّ نفسي ، وهز ما بين جوانحي ، فمالجت دمعي فلم يذرف ، فجلست مطرق الرأس ، أستمع — بحزن صامت — إلى هذا النواح المتواصل ، وهذا البكاء الطويل ، ورأيت — والله — أن هذا الدمع الغزير يغسل من النفس أوزارها ، ويشيع فيها الصفاء والنور ، ويجعلها بيضاء نقية ، وادعة كالحمَل ، عذبة كالماء ، جميلة كالزهر ، فواحة كالعطر ... ونظرت بعيداً بعيداً ... إلى ما وراء الأبد ...

وقلت لنفسي : لو أن هذا الإنسان القاسي الذي يسعى إلى المال الكثير والجاه الوفير ، والسيطرة والطغيان ، متخذاً لذلك أعنف الأسباب وأقسى الوسائل ... لو أنه يختلف كل أسبوع ، أو كل شهر ، إلى هـذه المقابر ، ليتلقى منها دروس الرضى والقناعة ، والمحبة والصفاء ... لسكن هذا الضجيج ، وهدأ هذا العجيج ، وعاش الناس سعداء هانئين ، تظللهم المحبة ، ويرفرف عليهم السلام ...

ووثب إلى ذهني حينذاك جواب ذلك الفيلسوف الصيني العظيم (كونفوشيوس) حين كتب إليه بعض تلاميذه : (إني أرى للناس أخوة وليس لي أخ) ! فأجابه بقوله : (إن الإنسان الكامل ينظر إلى جميع من يسكنون بين المحيطات الأربعة كما لو كانوا اخوته ...)

قلت لنفسي بعد أن رددت هذا الجواب كثيراً : لو أن الناس جميعاً كانوا هكذا لاختفت من الدنيا هذه الحروب ، وانطوت — إلى الأبد — هذه المآسي والكروب ... ووثبتْ إلى ذهني — مرة أخرى — محاورة ممتعة بين (بوذا) وتلميذه (برنا) ، تصور ما كان يحوبه هذا من نفس طيبة ، وخلق كريم ، وتسامح عظيم ، وحب للانسانية ، ورحمة لها وعطف عليها :

بوذا : إنك يا برنا مرسل إلى شعب غضوب قاس متوحش سفيه ، فلو أنهم بادروك بالسب واللعن ، فماذا يكون رأيك فيهم؟

برنا : أرى أنهم أناس طيبون ، لأنهم شتموني ولم يضربوني بيد ولا بحجر !

— فإن ضربوك بيد أو حجر ؟

— أرى أنهم أناس طيبون ، لأنهم ضربوني باليد والحجر ، ولم يضربوني بعصاً ولا بسيف !

— فإن ضربوك بالعصا أو بالسيف ؟

— أرى أنهم أناس طيبون ، لأنهم ضربوني بالعصا أو بالسيف ولم يقضوا على حياتي !

(١) للرافعي (عليه رحمة الله) مقال بهذا العنوان في « وحي القلم »

— فإن قضوا على حياتك ؟

— أرى أنهم أناس طيبون رحماء ، لأنهم خلصوا روحي من هذا الجسم الملىء بالأدناس بأقل ما يمكن من الألم !

— هذا حسن يا برنا ! وإنك لخير من يستطيع أن يباشر تلك الشعوب البربرية … اذهب يا برنا أنت الخالص تخلص غيرك وأنت المعزّى ، فعز غيرك ، وأنت الواصل إلى (النرفانا)[1] ، فاذهب وادع إليها الآخرين !

وانصرفت بهذه الوثبات الذهنية عمن حولي ، ولم أعد أبصر التياع الباكين والباكيات ، أو أسمع صوت النائحات الحزينات ، ولم يردني إلى الواقع الدامع ، إلا امرأة معفرة الوجه بالتراب ، ممزقة الثياب والحجاب ، يمشي خلفها شاب دامع العينين ، قد اتشح بالسواد ، فجثا على أحد جانبي القبر يبكي ويمرغ به وجهه ، وجثت المرأة على الجانب الآخر تنتحب وتولول ، وكان مشهداً محزناً رأيت فيه عيني تسحان بالدموع .. وبعد قليل رأيت المرأة وقد غابت عن وعيها ، وفقدت صوابها ، ونظرت إلى ذلك الشاب بعينين دامعتين جاحظتين قد اختلطت فيهما نار الحقد بدموع الأسى … ونهضت إليـه ، وأهوت بيدها عليه تضربه ، وهو ساكت ساكن لم يرفع بصره إليها ، ولم يحاول أن يفر من أمامها ، ونظرت إلى صاحبي ومن حولي ، فإذا بهم جميعاً يبكون ، وألسنتهم تتمتم قائلة : (لا حول ولا قوة إلا بالله …)

أخذت بيد صاحبي ونهضت والدهشة ملء نفسي ، والألم يحز في فؤادي ، ولم يغب عن فكري أنها مأساة باكية ، بيد أني لم أفهم منها شيئاً ، وبقيت صامتاً أمشي بين القبور رويداً رويداً وأبو العلاء يصيح في أذني :

سر إن اسطعت في الهواء رويداً لا اختيالا على رفات العباد
رب لحد قد صار لحداً مراراً ضاحك من تزاحم الأضداد

وما إن ابتعدت عن المقبرة ، وغاب عن بصري مرأى الصيوان ، وانقطع عن سمعي صوت البكاء والنواح حتى التفت إلى صاحبي قائلا :

— يبدو أن ما رأيته فصـل محزن من مأساة دامية وقصة باكية ؟!

(١) من تعاليم بوذا : أنه كما أن الأرض تحمل ما يلقى فوق ظهرها من خبائث الأشياء دون ضجر وتتقبلها قبولها للطيبات ، كذلك يجب على البوذي أن يحتمل باسماً احتقار الناس وإهاناتهم ، وأن يتقبلها بنفس الروح التي يتقبل بها الإجلال والتشريف . وكما أن الماء يتخلص عن التراب ليروى الظمآن ، كذلك يجب على البوذي أن يشمر أعداءه بنفس الخيرية التي يشمر بها أصدقاءه .

فتنهد صاحبي وجفف بمنديله دموعه … ثم قال :

— لعلك — يا صاحبي — لم تشهد من هذه المأساة إلا أقل فصولها ألماً ، وأيسرها أسى وحزناً … أتذكر — يا صاحبي — ذلك الشاب الوادع الهادئ الظريف الذي كان يملأ المجالس أنساً وصفاء ، والذي كان زهرة عطرة بين أترابه ، ونجمة لامعة بين أصحابه … جميل ؟

وسكت صاحبي ثم قال : نعم … جميل الذي …

فقاطعته قائلا : كان زينة القرية وبهجتها ، وأنسها وأمنيتها ، ما ذا أصابه ؟!

فقال وكأنه يتحاشى النبأ :

— أسفاً على شبابه الغض ! هو — يا صاحبي — هو … (القتيل) الذي رأيت على قبره الصيوان والأحزان … وتلك التي رأيتها تولول وتنوح (أمه) ، وذاك المتشح بالسواد الذي كانت تضربه فلا يتحرك هو (أخوه) !

— قتيل … ومن القاتل ؟!

وهنا تململ صاحبي وهمس بأذني والدمع قد بلل وجهه :

— حقاً إنها مأساة ! لقد قتله (أخوه) … يا صاحبي !

— وكيف قتله ولما ذا ؟!

— ذلك هو حكم القدر !

وهنا تمثل لي (بوذا وبرنا وكونفوشيوس) باكين محزونين ، يلقون على هذه الإنسانية نظرة إشفاق ورثاء ، وقد نظر كل واحد منهم إلى صاحبه — والألم يمض نفســه — كمن يذكره بمصير تعاليمه ، ومآل مبادئه …

ولقد أثار حديث صاحبي كوامن الألم في نفسي ، والأسى في لبي … فقلت : عليه رحمة الله … ولم أشعر — قبل أن أترك يد صاحبي إلا ولساني يتلو قوله تعالى :

(واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبـل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين . لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسـط يدى إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين . إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين) .

(دمشق — المزة) عمر عودة الخطيب

من ظرفاء العصر العباسي :

أبو دلامـــة

توفى سنة ١٦١ هـ

للأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

— ٤ —

وما ترك المنصور أبا دلامة يتدلل محققاً له كثيراً من رغباته إلا لأنه كان يحب العبث به وسماع نوادره ، ولا يريد أن ينقطع عنه : بل كان يحاول أن يجعله قريباً منه فى مقره . وكان كلما سأل عنه قيل له : إنه فى بيوت الخمارين لا فضل فيه . فعاتبه على انقطاعه عنه . فقال أبو دلامة : إنما أفعل ذلك خوفاً أن تملنى . فعلم أنه يحاجزه[1] . فأمر الربيع[2] أن يوكل به من يحضره الصلوات معه فى جماعة فى الدار . فلما طال ذلك عليه قال :

ألم تريا أن الخليفة لزّنى   بمسجده والقصر مالى وللقصر !
فقد صدنى عن مسجد أستلذه   أعلُّ فيـــه بالسماع وبالخمر
وكلفنى الأولى جميعاً وعصرها
فويلى من الأولى وويلى من العصر
أصليهما بالكَرْه فى غير مسجدى
فمالى من الأولى ولا العصر من أجر
يكلفنى من بعد ما شبت توبةً   يُحَطُّ بها عنى الثاقيل من وزرى
لقد كان فى قومى مساجدُ جمّةٌ   ولم ينشرح يوماً لغشيانها صدرى
ووالله مالى نية فى صـــلاته
ولا البرُّ والإحسان والخير من أمرى
وما ضره — والله يغفر ذنبه —   لو أنّ ذنوب العالمين على ظهرى ؟

فبلغته الأبيات فقال : صدق ، ما يضرنى ذلك ، والله لا يصلح هذا أبداً ، فدعوه يعمل ما يشاء[1] .

وقد لا ترضى عن هذا التساهل صادراً من الخليفة المنصور ، إذ تراه يدَع أبا دلامة وشأنه فلا يعاقبه على تهاونه بشعائر الدين أو على اعترافه بشرب الخمر وإتيان المنكر : ولكنك تنفر للمنصور كثيراً من تساهله إذا حاولت أن تعرف كيف كان فهمه لأبى دلامة : كان يفهمه على أنه مخلوق لا بد منه ليسد فى هذه الدنيا فراغاً لا يسده إلا أمثاله من الظرفاء ، وأن هؤلاء كثيراً ما يطغى هزلهم على جدهم فليس من الحكمة أن تحمل كل بادرة منهم محمل الجد ، وإلا لخرست ألسنتهم فما تنطق ، وسكنت حركاتهم فما تداعب ، وانطووا على أنفسهم فما يضحكون ولا يُضحكون : وبذلك نفقد هذا العنصر من المرح الذى لا نكاد نجده على حقيقته إلا لديهم ، والذى ننظر بدونه إلى الحياة بمنظار أسود كئيب . ولا ريب أن المنصور لم يلزّ أبا دلامة بمسجده فى القصر لمجرد حمله على الصلاة ، وإنما أراد قبل كل شىء — كما أفهم — أن يظفر منه بين الحين والحين بشىء من نكاته الطريفة ، ومداعباته اللطيفة . حتى إذا وجد أن إلزامه بالصلاة فى مسجده سيرهقه من أمره عسراً حتى ليوشك أن تغيب بديهته الحاضرة ، وترقد دعابته اليقظة ، عاد يعفيه من ملازمة الجماعة ؛ ويقال فى رواية أخرى أنه أحلفه أن يصلى فى مسجد قبيلته .

بيد أن دلال أبى دلامة على المنصور ولطف محله منه لم يحولا دون تطبيق حكم الشرع عليه أحياناً وإن كان هذا التطبيق مشوباً بشىء من التساهل وقابلاً للتعديل السريع : شرب أبو دلامة فى بعض الحانات فسكر وانصرف وهو يميل . فلقيه العسس فأخذوه وقيل له : من أنت وما دينك ؟ فقال :

دينى على دين بنى العباس   ما خُتم الطينُ على القرطاس
إنى اصطبحت أربعاً بالكاس   فقد أدار شربها براسى
فهل بما قلت لكم من باس ؟

فأخذوه ومضوا ، وخرقوا ثيابه وساجه وأُتى به أبو جعفر المنصور — وكان يؤتى بكل من أخذه العسس — فحبسه مع الدجاج فى بيت . فلما أفاق جعل ينادى غلامه مرة وجاريته أخرى

---

(١) يحاجزه : يتخلص منه وينتحل المعاذير الباطلة لانقطاعه عنه .

(٢) هو الربيع بن يونس آخر وزراء المنصور كان أحد أجداده أبو فروة كيسان مولى عثمان بن عفان من سبي الخليل وظل فى خدمة المنصور إلى موته .

(١) الأغانى ج ١٠ ص ٢٤٧ .

فلا يجيبه أحد، وهو في ذلك يسمع صوت الدجاج وزُقاء الديوك. فلما أكثر قال له السجان: ما شأنك؟ قال: ويلك من أنت وأين أنا؟ قال: في الحبس وأنا فلان السجان. قال: ومن حبسني قال: أمير المؤمنين. قال: ومن خرق طيلساني؟ قال: الحرس. فطلب منه أن يأتيه بدواة وقرطاس ففعل، فكتب إلى أبي جعفر:

أمير المؤمنين فدتك نفسي علام حبستني وخرقت ساجي؟
أمن صفراء صافية المزاج كأن شعاعها لهب السراج؟
وقد طبخت بنار الله حتى لقد صارت من النُّطف[1] النضاج
تهش لها القلوب وتشتهيها إذا برزت ترقرقُ في الزجاج
أقاد إلى السجون بغير جُرمٍ كأني بعض عمال الخراج
ولو معهم حُبستُ لكان سهلاً ولكني حبست مع الدجاج
وقد كانت تخبرني ذنوبي بأني من عقابك غيرُ ناجي
على أني وإن لاقيتُ شراً لخيرك بعد ذاك الشر راجي

فدعا به وقال: أين حُبست يا أبا دلامة؟ قال: مع الدجاج. قال: فما كنت تصنع؟ قال: أقوق معهن حتى أصبحت. فضحك وخلى سبيله وأمر له بجائزة. فلما خرج قال له الربيع: إنه شرب الخمر يا أمير المؤمنين. أما سمعت قوله «وقد طبخت بنار الله» — يعني الشمس — فأمر برده ثم قال: يا خبيث شربت الخمر؟ قال: لا. قال: أفلم تقل «طُبخت بنار الله» تعني الشمس؟ قال: لا والله ما عنيت إلا نار الله الموقدة التي تطلع على فؤاد الربيع. فضحك المنصور وقال: خذها يا ربيع ولا تعاود التعرض[2].

فقد رأيت — في هذه القصة — أن المنصور أراد أن يطبق حكم الشرع على أبي دلامة، فعزره على شرب الخمر بالحبس، ولكنه لم يشأ أن يحبسه مع الناس، وإنما ابتكر له سجناً مع الدجاج لعله يسمع منه كلمة تضحكه: فالخليفة كان يتنازعه عاملان: عامل الدين الذي يأمره بمساواة نديمه بغيره من الناس في كل حكم شرعي، وعامل المنادمة الذي يدخل السرور عليه كلما أطلق العنان

(١) النطفة: الماء الصافي قل أو كثر
(٢) الأغاني ج ١٠ ص ٢٥١.

لأبي دلامة: ولعل العامل الثاني كان أغلب على المنصور مع مثل هذا الظريف.

وإذا كنا قد أطلنا الحديث على نوادر أبي دلامة مع المنصور فلأنه حضر خلافته كلها — وقد دامت اثنتين وعشرين سنة — وكان مقرباً منه، مكرماً لديه. حتى إذا توفي أبو جعفر وبويع بالخلافة من بعده لابنه المهدي ثم علم أبو دلامة بقدومه من الري سارع إليه فورد عليه ببغداد وأنشده:

إني حلفت لئن رأيتك سالماً بقرى العراق وأنت ذو وفر
لتصلينّ على النبي محمد ولتملأنّ دراهماً حجري!

فقال: صلى الله عليه وسلم، وأما الدراهم فلا. فقال له: أنت أكرم من أن تفرق بينهما ثم تختار أسهلهما. فأمر بأن يملأ حجره دراهم[1].

وقد لا تحمد لأبي دلامة مسارعته إلى المهدي — بعد وفاة أبيه — وإنشاده هذين البيتين اللذين لم يزد فيهما على أن طلب المال بأسلوب طريف، وترى أن قد كان جديراً به أن يعزيه بوفاة أبيه ويهنئه بالخلافة ثم يؤخر مسألته إلى وقت أكثر ملاءمة ومناسبة: لكنك تعذر أبا دلامة متى علمت أنه ورد على المهدي بعد مضي زمن غير قصير على وفاة المنصور فأعفى نفسه من التذكير بما طوته الأيام لئلا يكون كمن ينكأ الجرح بعد اندماله؛ ثم إن له من حب المهدي ما يشفع له، فكثيراً ما كان يداعبه — وأحياناً ما كان يعذبه — في حياة أبيه؛ وقد قالوا — وصدقوا —: من لم يوقرك صغيراً لا يوقرك كبيراً.

فأبو دلامة أراد أن يذكر المهدي حين قدم عليه لأول مرة بما كان بينهما في حياة أبيه من دعابة ومزاح ليحتفظ عنده بما كان له من مكانة، وليستشعر بنفسه مدى موقف الخليفة الجديد من ظرفه وهزله، فإن غيرته الخلافة فعبس في وجهه لزم صاحبنا الصمت ووجد الخير فيه، وإن بقي على مرحه وأنسه به زاده من المداعبة ألواناً وظل نديمه الظريف.

ولتهنأ يا أبا دلامة، فما قطب لك المهدي وجهاً، ولا غل عنك

(١) الأغاني ج ١٠ ص ٢٥٣ وتجدها في شذرات الذهب في ترجمة هذا الظريف.

يداً ، ولا رد لك طلباً ، بل ملأ حجرك دراهم منذ أول يوم قدمت فيه !

وكان هم أبى دلامة الأكبر أن يكسب بمنادمته كثيراً من المال : ويأخذه فى قصر الخليفة منه ومن أقربائه وممن يتردد على الخليفة من الأمراء والوزراء ، بل كان يأخذه من الموالى أنفسهم ؛ فإن أمسك أحد منهم يده عنه تنادر به ليفضحه !

دخل على المهدى وبين يديه سلمةُ الوصيف واقفاً ، فقال : إنى أهديت إليك يا أمير مُهراً ليس لأحد مثلُه ، فإن رأيت أن تشرفنى بقبوله . فأمره بإدخاله إليه . فخرج وأدخل إليه دابته التى كانت تحته ، فإذا به برذون محطم أعجفُ هَرِم . فقال له المهدى : أى شىء هذا ويلك ! ألم تزعم أنه مُهر ؟ فقال له : أو ليس هذا سلمةُ الوصيف بين يديك تسميه الوصيف وله ثمانون سنة ، وهو عندك وصيف ! فإن كان سلمةُ وصيفاً فهذا مُهر ! فجعل سلمةُ يشتمه والمهدى يضحك . ثم قال لسلمة : ويلك ! إن لهذه منه أخوات ، وإن أتى بها فى محفل فضحك . فقال أبو دلامة : والله لأفضحنه يا أمير المؤمنين ؛ فليس من مواليك أحد إلا وقد وصلنى غيره ، فإنى ما شربت له الماء قط قال : فقد حكمت عليه أن يشترى نفسه منك بألف درهم حتى يتخلص من يدك . قال سلمة : قد فعلتُ على أن لا يُعاود . فقال المهدى لأبى دلامة : ما ترى ؟ قال : أفعلُ ، فلولا أنى ما أخذت منه شيئاً قط ما فعلت منه مثل هذه فمضى سلمة فحملها إليه[1] .

فانظر كيف لم يرض أبا دلامة إلاحملُ سلمةَ ألف درهم إليه كانت أشبه بضريبة لم يستطع أن يتخلص منها أحد من موالى الخليفة فكيف بأهل بيته وذوى قرباه ؟

وقد صرح الظريف فى هذه القصة بأنه لولا أنه ما أخذ من سلمة شيئاً قط ما تنادر به ، ففى هذا إنذار لكل من يدخل قصر الخلافة سيداً كان أو مولى بأنه معرّض للفضيحة إذا هو لم يرضخ شيئاً لأبى دلامة !

فما كان أعجب هذا الظريف !

(يتبع) صبحى إبراهيم الصالح

(1) الأغانى ج ١٠ ص ٢٧١ .

من صور النكبة :

رقـــية ...

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

تدلّت عن الأفق أمُّ الضياء ملفّعةً باصـــفرار كئيبِ
وقد لمت عن صدور الهضاب وهـام التلال ذيول الغروب
وجرّت خطاها رويداً رويداً وأومتْ إلى شرفات المغيب
فأطبقن دون رحاب الوجود وأغرقنه فى الظلام الرهيب
وغشّى الدجى مهجات نبضن بشوق الحياة ، بوهج اللهيب !
وأخرى تلاعب ثاج السنين بها نخبت فى حنايا الجنوب !
وأوغل فى حاليات القصـــور ، وأوغل فى كل كوخ سليب
فمدّ الجناح على بسمات الشـــفاه ، وفوق جراح القـــلوب
وضمّ الســـعيد بأحلامه ،
وضمّ أخا البؤس نِضو الكروب

* * *

وفى وحشة الليل ، ليـل المواجع ، ليـل المواجد ، ليـل الهموم
وللريح ولولة فى الشـــعاب وللرعد جلجـلة فى الغيـوم
وللبرق خفـق توالى دراكاً يشـق حجاب الظـلام البهيم
بدا (جبل النار) ترب الخلود له روعة الأزلىّ القـــديم
تمـــالى أشمَّ أمام السماء يجـاذب منها حواشى الأديم
كأنّ ذراه رُفعن هناك ، على الأفق ، متكأً للنجوم
وكان وراء غواشى الدجى رهيب السكون ، عميق الوجوم
تحس به رجفـــة الكبرياء الجريحة والعنفوان الكظيم
وفى قلبه النـــار مكبوتة الزّفير ، فيــالهيب الكظيم !

* * *

هنالك ، فى سفح مهد البطولات ، والمجد ، والوثبات الكُـبَر !
هنالك ، تحت الضـــباب المسفّ والأرض غرقى بدفق المطر
كأن الرحاب العلى بعيون السحائب تبكى شقاء البشر . .
هنالك ضمّ (رُقيّة) كهفٌ رغيب عميق كجرح القـــدر

تدور به لفحات الصقيع   فيوشك يصطك حتى الصخر

ويجمد حتى عروق الحياة   ويطفأ فيها الدم المستعر

(رقية) ؛ يا قصة من مآسى الحمى سطرتها أكفّ الغير

ويا صورة من رسوم التشرد ، والذل ، والصدعات الأخر ...

طغى القرُّ ، فانطرحت هيكلاً   شقىّ الظلال ، شقىّ الصور !

* * *

تعلّق شئٌ كفرخ مهيض   على صدرها الواهن المرتعدْ

وقد وسّدت رأسه ساعداً   وشدّت بآخر حول الجسد

ولو قدرت أودعته حنايا الضلوع ، وضمّت عليه الكبد !

عساها تقيه بدفء الحنان   ضراوةَ ذاك المساء الصّرِد

وعانقها وهو يصغى إلى   تلاحق أنفاسها الطّرِدِ

وكانت خلال الدجى مقلتاه   كنجمين ضاءا بصدر الجلد

تشعّان فى قلبها المدلهمّ   فيوشك فى جنبها يتّقد

وغمغم : أمٌّ ، وراحت يداه   تميثان ما بين نحرٍ وخد

فأهوت على الطفل تشمّ فيه   روائح فردوسها المفتقد

* * *

وفى مثل تهويمة الحالمين   وغيبوبة الأنفس الصافيه

أطلّت على أفق الذكريات   وفى عمقها لهفة ظاميه

تعانق بالروح طيف الديار   وتلثم تربتها الزاكيه

وتبصر فى سبحات الخيال   ملاعبها الرحبة الحانيه

وأفياءها الدافئات وتلك الدهاليز فى الروضة الحاليه

ومن ههنا ظلّة الياسمين   ومن ههنا ظلّة الداليه

وإلفُ الحياة يُشيع الحياة   بأجواء جنتها الهانيه

فيا دار ما فعلته الليالى   بأشيائك الحلوة الغاليه ؟

وربُّك ... كيف تهاوت به   يدُ البغى والقوة الجانيه !

* * *

ومرّ على قلبها طيف يوم   دجىّ الضحى ، عاصف مربد

وقد نفرت فى جموح الإباء   نسور الحمى للحمى تفتدى

دعاها نفير العلى والجهاد   فهبّت خفافاً إلى الموعد

تذود عن الشرف المستباح   وتدفع عنه يد المعتدى

وتقتحم الهول مستحكماً   وتسخر باللهب الموقد

فتنقضّ مثل القضاء المتاح   وتهبط كالأجل المرصد

وليست تبالى وجوه الردى   كوالح فى الموقف الأربد

فياللحِمى ! كم حمىٍّ أبىٍّ   تجدّل فيه ... وكم أصيد !

أباحوا له المهج الغاليات   واسقوا ثراه دم الأكبد

* * *

وطالعها فى رؤى الذكريات   فتاها ، نجىُّ العلى والطماح

إباء الرجولة فى بردتيه   وزهو البطولة ملء الوشاح

يشدُّ على الناصب المستبد   ويضرب دون الحمى المستباح

ويلقى عراك المنايا وجاهاً   ويكتسح الهول أىَّ اكتساح

وتعرف منه الوغى كاسراً   قوىَّ الجناح عنيد الجماح

يخط على صفحات الجهاد ،   سطور الفدا بدماء الجراح

نبيل الكفاح إذا الخصم راغ .   ومن شرف الحرب نبل الكفاح

فيا من رأى النسر بجناحه   وتلوى به بغتات الرياح

تهاوى صريعاً وأرخى على   حطام أمانيه ريشَ الجناح !..

* * *

وفاضت لواعجها ، لا أنيناً   جريحاً ، ولا عبرة زافره

ولكن ذعافاً من الحقد والبغض والضغن والنقم الثائره !

متى يشتفى الثأر ؟ يا للضحايا   أتهدر تلك الدما الطاهره

ويا للحمى ! من يجيب النداء   نداء جراحاته النافره

وقد أغمد السيف ، لا رد حقاً   ولا أطفأ الغلة الساعره !.

* * *

تململ فى حضنها فرخها   فضمته محمومةً ثائره ..

ومالت عليه وفى صدرها   مشاعر وحشيّةٌ هادره ..

لترضعه من لظى حقدها   ونار ضغائنها الفائره ..

وتسكب من سم خلجاتها   بأعماقه دفقةً زاخره !.

* * *

هنا (جبل النار) كان يطوف   حُلمٌ بأجفانه الساهره

تناديه فيه طيوف نسورٍ   تفلّ بأفق العلى طائره

مخالبها راعفات ... وملء   جوانحها نشوة ظافره ..

وبرد التشفىّ بثاراتها   وراء مناسرها الكاسره !

(نابلس — جبل النار)   **فدوى عبد الفتاح طوقان**

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

مقاومة الفكرة بالفكرة فى المبادئ الهدامة :

من رأى معالى مصطفى مرعى بك وزير الدولة أن مقاومة الفكرة بالفكرة هى أنجع الوسائل فى سبيل القضاء على المبادىء الهدامة ... ذلك لأن التربة الصالحة لنمو الأفكار المنحرفة هى رءوس الطبقة المتعلمة قبل الطبقة الجاهلة ؛ فإذا حاربنا تلك الرءوس بنفس السلاح الذى تلجأ إليه ، كان ذلك أجدى على طلاب الحقيقة سواء أكانوا من الداعين إلى الانحراف والساعين إلى الخراب ، أم كانوا من هواة التصديق الذى يعقبه التصفيق لكل رأى جديد يغرقهم فى تيه من المظاهر الخداعة !

الحجة بالحجة والفكرة بالفكرة والدليل بالدليل ، وتلك هى الأضواء الثلاثة التى يجب أن تسلط على الأوكار الفكرية التى يعيش أصحابها فى الظلام ... رأى يحمل كثيراً من الصواب ما فى ذلك شك ؛ لأننا لو جندنا بعض الأقلام لمثل تلك الغاية لأتينا بخير النتائج ولظفرنا بالكثير ، ولأزهقنا باطل الدعاة حين يذيعون على الملأ أننا قد لجأنا إلى منطق الإرهاب فى محاسبتهم حين عجزنا عن منطق الإقناع ... وتلك نغمة خبيثة يرددها اليوم أعداء النظام كما كان يرددها بالأمس أعداء الإسلام ، حين نادوا بأن الدين الجديد قد فرض على خصومه بقوة السيف لا بقوة الدليل والبرهان !!

نحن مع وزير الدولة فى هذا الرأى الصائب الذى يدعو إليه .. وإنه لمن أيسر الأمور أن ندلل على فساد بعض المبادىء وفساد العقول التى تؤمن بها عن غير روية ولا تفكير ، وتتخذها فى بعض الأحيان تجارة لتصل من ورائها إلى كثير من الأغراض! ولكن لا بد لذلك من حملة تجند لها القوى الفكرية ولا بد للحملة من هيئة تشرف عليها فى شتى السبل والميادين ، ولا بأس من أن تخصص وزارة من وزارات الدولة لهذا الهدف وحده دون سواه ... هناك كتب تكشف عن مساوئ الشيوعية وتنزع عن وجهها الدميم كل نقاب ، فلم لا يمهد إلى بعض الأقلام بترجمة هذه الكتب لتوزع على طبقات الشعب بالمجان ؟ تلك هى إحدى الوسائل المثلى ليطلع الناس على تصوير الأفكار المنحرفة تصويراً صادقاً ، يكون بالنسبة إليهم أشبه بالأمصال الواقية من جراثيم المبادىء الهدامة ! ...

قد يعترض معترض بأن هناك لوناً من الاستحالة المادية فى طبع الملايين من الكتب لتوزع على الملايين من الأفراد ، فضلا عن التكاليف الباهظة التى ترهق الميزانية وفضلا عن الوقت الطويل الذى ينفق فى سبيل الترجمة والمراجعة والنشر ... إذا تحقق شىء من هذا فلا بأس من التلخيص والتركيز لنقدم إلى الشعب فصلا صغيرة تقوم مقام النشرات ، وعندئذ ينتفى الاعتراض إذا ما تفادينا إضاعة الوقت والجهد والمال !

وهناك فضلا عن ذلك ميادين الصحافة اليومية والأسبوعية ومحطة الإذاعة اللاسلكية ؛ ففى تلك الميادين تستطيع وزارة الدولة أن تكرس الجهود عن طريق المقالات والمحاضرات ، لتغلق كل نافذة يمكن أن تهب منها الرياح التى تزكم الأنوف المريضة ، وتهز العقول الفارغة ، وتعصف بنفوس السذج ممن يصدقون كل ما يقال !

وقد يعترض معترض آخر بأن هناك مشكلة ستظل رغم تلك الحلول وهى مشكلة المشكلات ؛ وخلاصة المشكلة الكبرى هى أن هناك أناساً سيبقون على إيمانهم بالأفكار المنحرفة مهما جاهدنا فى مكافحة الفكرة بالفكرة ومحاربة الدليل بالدليل ، ذلك لأنهم تجار مبادىء وأصحاب أهواء وأغراض ... وتلك فئة قد عاهدت الشيطان على أن تسد منافذ السمع دون صوت الحق ومنطق الضمير ، فلا وسائل الإقناع بمجدية ، ولا بنافعة طرائق التوجيه والإرشاد ! ...

إذا واجهتنا تلك المشكلة الخطيرة فلدينا العلاج الحقيقى للقضية كلها ، أو قل إنه السلاح الرئيسى الذى يرد أسلحة الدعاة وهى مفلوله لا تقطع ولا تدفع ... إنهم ينفثون سمومهم فى كل بقعة يلوح لهم منها شبح الفقر وتبدو معالم الحرمان ، وفى كل مجموعة

من الأحياء تجار بالشكوى منادية برفع غبن أو مطالبة برد حق مهضوم . وإذن فلنعمل جاهدين على تحقيق العدالة الاجتماعية التى لا تفرق بين فرد وفرد ولا بين فريق وفريق ... علينا أن نهيء العلم للجاهل ، والعمل للعاطل ، والدواء للمريض ، والحياة الكريمة التى توفر الاستقرار للموظف والعامل والفلاح ، وعندئذ تذهب دعوة السوء صرخة فارغة فى واد عميق وتكسد البضاعة الزائفة حين تغلق فى وجه تجار المبادىء المنحرفة كل سوق من الأسواق !

لحظات مع توفيق الحكيم فى « شهرزاد » :

ورد الحوار التالى فى مسرحية « شهر زاد » للأستاذ توفيق الحكيم ... المنظر السابع ص (١٧٢) :

شهر زاد — لا أظن أنها تقارعك أو تتكافأ لك . ما أنت إلا شعرة فى رأس الطبيعة .

شهر يار — كلا (ابيضت) نزعتها .

شهر زاد — إنها تكره الهرم .

شهر يار — نعم .

شهر زاد — تنزعها كى تعود من جديد .

شهر يار — (فتية قوية) !

والشعرة البيضاء إذا انتزعت لا تخرج محلها إلا شعرة بيضاء لا فتوة فيها ولا قوة ، ضعيفة كأصلها واهية كأصلها ... فهل ترى أن الأستاذ الحكيم قد وفق فى تكوين هذه الصورة البيانية أم أنه قد أعجم علىّ الفهم ؟ نرجو أن تبينوا لنا هذا فى تعقيباتكم ودمتم ذخراً للأدب .

إسماعيل محمد السامرائى
بغداد — العراق

هذه اللمسة من الأديب العراقى الفاضل لمسة جد موفقة . وإنه ليستحق عليها خالص الإعجاب ... ذلك لأن الواقع الحس يؤيده كل التأييد فيما ذهب إليه ! إن الصورة الفكرية هنا تبدو مهزوزة ، أندرى لماذا ؟ لأن توفيق الحكيم يعمد أحياناً إلى الفلسفة اللفظية ؛ الفلسفة التى تعتمد على ظاهر اللفظ دون أن تنبع من أغوار النفس ، وهذا هو المأخذ الذى نستطيع أن نعثر عليه فى كثير من قصص الأستاذ الحكيم ومسرحياته !

صراع الأفكار لا صراع النفوس ، هو السمة الغالبة على فن توفيق الحكيم ، ومن هنا تهتز الصورة الفنية أحياناً وتهتز معها الصورة الفكرية ... إن صراع النفوس حين ينقل عن واقع الشعور ينتفى معه كل تناقض لمنطق الحياة ، وعلى العكس من ذلك تجد صراع الأفكار ؛ لأنه صراع جدلى فى أغلب حالاته يهمه مقارعة الحجة بالحجة ، لتنتصر فى معركة الألفاظ فكرة معينة نبتت فى رأس الفنان فوضعها على لسان شخص من الشخوص ، ولا بد لها أن تنتصر على سنان قلمه ؛ لأنه يريد لها أن تنتصر ، ولو كان ذلك على حساب الحقيقة النفسية التى تعبر عن الواقع فتصدق فى التعبير !

إنك لو رجعت مثلا إلى « أوديب الملك » لوجدت أن إغراق توفيق الحكيم فى الفلسفة اللفظية قد أفسد الجانب الواقعى من المسرحية فى فصلها الأخير ؛ ذلك الفصل الذى كان يجب أن يعالج علاجاً نفسياً ليستقيم مع منطق الحياة والأحياء ... ولكن منطق الفلسفة اللفظية قد ارتضى لأوديب أن ينظر إلى نهاية الكارثة نظرة لا تتفق وطبيعة البشر ولا تتفق وجلال المأساة ؛ لأنها نظرة قوامها الرضا عن الحاضر بما فيه من قسوة ومرارة ، ونسيان الماضى بما فيه من شرور وآثام ، وهذا هو الطريق إلى السعادة : سعادة المستقبل الذى يكفر بهناءته عن حاضره وماضيه ... ولا بأس من أن يقضى أوديب ما بقى من حياته إلى جانب جوكاست ، على الرغم من أنه قد اكتشف أن تلك التى يريد أن يعيش معها من جديد هى أمه ، أمه التى عاشرها معاشرة الأزواج وأنجب منها عدداً من الإخوة يقال عنهم إنهم أبناء ؟ !

إن هناك فارقاً كبيراً فى القيم الفنية بين الصراع الفكرى والصراع النفسى ، وحسبك أن ترجع إلى مسرحية فرنسية عرضت لها بالنقد والتحليل فى عدد مضى من « الرسالة » ، وأعنى بها مسرحية « بنت بين أبوين » ... تلك التى نقلها الأستاذ أحمد الصاوى محمد إلى العربية فى كتابه الجديد : « بنات » ، حسبك أن ترجع إليها لترى كيف تعبر الألفاظ عن دخائل النفوس ، وكيف تستحيل الكلمات إلى ظلال نفسية موحية ، وكيف يصب الحوار فى قالب من اللمحات الشعورية المشرقة ، وكيف تضىء الصورة الفكرية تحت إشعاع الحياة !

لحظات أخرى مع طه حسين فى « هامش السيرة » :

ينقل لنا الدكتور طه حسين فى كتابه « على هامش السيرة » الجزء الثالث ، حديثاً يدور بين ورقة بن نوفل وصديقه نسطاس حول رواية سمعها ورقة من السيدة خديجة بنت خويلد عن الرسول الكريم فراح يقصها عليه ، وعند ما فرغ الدكتور من سرد هذا الحديث عقب عليه بهـذه العبارات فى ص (٥١) : « ثم سكت ورقة فلم يقل شيئاً ، وكف نسطاس فلم يكتب شيئاً ... وظل الرجلان فى هذا الصمت والسكون ساعة ، كأنما كانت نفساهما قد فارقتاهما وجعلتا تسموان إلى أفق بعيد ليس من هذا العالم الذى يحيط بهما شىء . ولو قد رآهما راء على هـذه الحال لخيل إليه أن قد اشتمل عليهما النوم ، وآية ذلك أن الحس عاد إليهما فجأة فذعرا من هذا الصمت كأنما هبا من نوم عميق . ونظر كل منهما إلى صاحبه نظرة طويلة صامتة ، ثم مد كل منهما يده إلى صاحبه فصافحه مصافحة طويلة ... الخ »

ثم يعود الدكتور فى الفصل نفسه فيقول فى ص (٥٣) : « وكان ورقة يقص هذا الحديث هادئاً مشرق الوجه باسم الثغر وكانت يد نسطاس تجرى على قرطاسه بتفسير ما يسـمع فى لغة يونان » !

كيف تتفق هذه الفقرة الأخيرة ياسيدى مع الفقرات السابقة ألا ترى أن هناك شيئاً من التناقض بين القولين ، التناقض الذى يتمثل فى أن نسطاس قد كف عن الكتابة هناك بعد أن سكت ورقة ، وفى أنه قد عاد هنا لتجرى يده على قرطاسه بتفسير ما يسمع ! أرجو أن أسمع رأيك ، وما جئت إليك أسألك إلا لأن رأيك هو الصواب ، ودمت عوناً لطلاب المعرفة .

عمر عيسى السامرائى

العراق — معهد التربية البدنية

عند ما اطلعت على رسـالة الأديب الفاضل قلت لنفسى : تناقض لا شك فيه ... وعند ما رجعت إلى كتاب الدكتور طه حسين وجدت الأمر على غير ما صوره لى الأديب الفاضل فى رسالته ، لأننى وقفت عند صفحة بين الصفحتين اللتين نقل عنهما صاحب السؤال تلك الفقرات التى بدا له أن فيها رأيين متناقضين وقفت عند هذه الصفحة لأخرج من سطورها بحقيقة ملموسة ، وهى أن الأديب العراق الفاضل قد مر بها معجلا فيما يظهر ، فلم يتنبه لتلك القصـة الأخرى التى قصها ورقة على نسطاس بعد فراغه من القصة الأولى ... الواقع أنه لا تناقض هناك على الإطلاق ففى ص (٥١) كان ورقة ينقل إلى نسطاس أول قصة سمعها من السيدة خديجة عن الرسول الكريم ، وعند ما انتهى ورقة من قصته تلك « سكت فلم يقل شيئاً وكف نسطاس فلم يكتب شيئاً وظل الرجلان فى هذا الصمت والسكون ساعة ... وعند ما ذعرا من هذا الصمت وكأنما هبا من نوم عميق » بدأ ورقة فى ص (٥٢) يقص على نسطاس قصـة أخرى عن الرسول الكريم ، وعند ما انتهى ورقة من قصته الثانية كان فى ص (٥٣) « هادئاً مشرق الوجه باسم الثغر ، وكانت يد نسطاس تجرى على قرطاسه بتفسير ما يسمع فى لغة يونان ... » ومن هنا يرى الأديب الفاضل أنه قد ظلم الدكتور طه حسين بلا ذنب ولا جريرة ؟

نهضة أدبية موفقة فى عدن :

من دواعى الغبطة أن هناك نهضة أدبية مباركة فى عدن ، يشرف عليها ويرعاها نخبة من الشباب المخلصين لرسالتهم فى الحياة ومن دواعى الغبطة أيضاً أن أطلع على دعائم هذه النهضة فيما يرسل إلى من إنتاجهم ، ممثلا فى مجلة شهرية هى مجلة « المستقبل » ، وفى بضعة آثار فنية أهمها الشعر ... الله يشهد أننى سعيد بهذه النهضة ؛ لأنها وثبة رائعة من وثبات الشباب العربى فى جنوب الجزيرة ، ومتفائل بها كل التفاؤل ؛ لأننى أومن كل الإيمان بأن النهضات الأدبية ما هى إلا مقدمات طبيعية لنهضـات أخرى ، ولو قلبت صفحات التاريخ فى كل أمة من الأمم لرأيت أن كل وثبة فى ميدان السياسة والعلم والاجتماع قد مهد لها الطريق على أكتاف رجال الأدب والفن ؛ لأنهم كانوا وما يزالون حملة المشاعل فى الصفوف الأولى من ركب الإنسانية فى سيرها الطويل

أنا مقدر للشبيبة العدنية تلك الجهود الموفقة راجياً لهـا من الأعماق كل مزيد من التوفيق .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

المازني :

فجعنا بوفاة الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني يوم الأربعاء الماضي (١٠ أغسطس الحالي) ، وأقول « فجعنا » وأنا أشعر بألم الفجيعة في واحد من أساتذنا الذين تعلمنا وما زلنا نتعلم مما يكتبون وليس من السهل أن نرى كاتباً كالمازني يسلم الروح بعد عشرة روحية طويلة ، وقد كان رحمه الله يصدر في كتابته عن ذات نفسه يحدثك حديث الإنسان المجرد من الزهو والتصنع والرياء ، كان يصور نفسه ، وما ينعكس على صفحتها الصافية من صور ، وما يضطرب فيها من أحاسيس ، تصويراً طبيعياً صادقاً ، فيشعر القارىء أنه إزاء إنسان صديق ممتاز . وكان من أقرب الكتاب إلى النفوس ، لأنه كان قريباً إلى نفسه ، وإلى حياة الناس ، يأخذ مادته من الواقع ، ويصوغها في أسلوب يستمد حياته من الواقع أيضاً ، أسلوب عربي متين ، ومع ذلك يطابق به لغة الخطاب في روحها وسياقها ، ويخيل إليّ أنه حين كان يكتب يتمثل الحديث العادي في الحيـاة الواقعة ، فيترجمه إلى أسلوب يجمع قوة البيان العربي وروح الطبيعة الصادقة ، وكثيراً ما كان يتوخى الكلمات العربية السائرة في العامية أو المحرفة فيهـا التي تكتب ويمكن قراءتها على أصلها العربي ، فيقول مثلا : « ربنا يجازيك » مؤثراً هذا التعبير على « جزاك الله » لأن الأول يستعمله الناس في خطابهم مع سلامته في العربية بتصحيح نطقه . وأنا أميل إلى هذا المذهب في الكتابة ، وأحب أن أتابع فقيدنا المازني فيه .

وكان الفقيد الكبير من النقاد الأوائل القلائل الذين بدؤوا حياتهم الأدبية بالثورة على المناهج الأدبية القديمة ، فدعا فيمن دعا إلى تجنب التقليد وتزييف الشعور ، وأن ينظر الأديب في حياته وإلى ما يحيط به ، فيصدر فيما يكتب عن صدق وأصـالة . وقد نشّؤوا جيل الأدباء الحاضر على تلك الأفكار التجديدية ، وردّدها تلاميذهم وطبقوها على إنتاجهم ونقدهم ، حتى استقرت في الأذهان وأصبحت حقائق أدبية مسلمة .

وفي أدب المازني إنسانية تتجلى في تحليله للضعف البشري الذي يشعر به من نفسه ومن الناس ، فتراه فيما يصور من أمر نفسه صريحاً ظريفاً ممتعاً ، وتراه عطوفاً كريماً في عرض عيوب الناس ومقابحهم ، يلتمس العذر لأهله ، وينظر إلى المخطىء والمسىء نظرة الطبيب إلى المريض .

أراني استطردت إلى شيء من قبيل النظرة الدراسية التي لا يتسع لها المجال ، وإنما أردت أن أبين أثر فقيدنا الراحل في هذا الجيل الأدبي وفي واقع حياة الناس . ولست بحاجة إلى بيـان صفاته الإنسانية التي هي صفات الأديب المطبوع ، المتسامي عن سفساف الناس ، الساخر من غرورهم ، الزاهد في زخرف الحياة ، العازف عن أباطيلها .

تخرج المازني في مدرسة المعلمين العليا ، واشتغل بالتدريس حيناً في مدارس الحكومة ، ثم تمرد على تسلط المستعمرين وأذنابهم في ذلك الحين ، فاستقال ، واشتغل بالتدريس أيضاً في بعض المدارس الأهلية ، ثم خلص للكتابة والصحافة فقضى فيهما أطول مرحلة من حياته العلمية ، وكان يكتب في الأدب والاجتماع والسياسة ، وقد تميزت كتابته في السياسة بالكياسة والنظرة القومية .

وقد لقي المازني عنتاً وشـقاء في بعض أيامه الأولى ، حتى اضطر إلى بيع الكتب التي تحويها مكتبته . وابتسمت له الأيام في العهد الأخير ، ولكن هذا الابتسام كان افتراراً يسيراً مقتصداً فقد كان الرجل يحمل عبء العيـال ، وكان يضطر إلى كثرة الكتابة ليواجه تبعاته ، حتى كان يكتب بعدة صحف ومجلات في وقت واحد . ولم يكن شيء من ذلك يبلغ حد التقدير الذي يستحقه هذا الرجل العظيم الذي عزف عن المناصب الحكومية التي ارتقى إليها مَن دونه ، وظل يكافح ويستنبط رزقه بقلمه حتى أسلم الروح .

إن الفجيعة بفقد المازني ، هي فجيعة الأدب في الأديب الحر الصادق ، وفجيعة الحيـــاة الإنسانية في الإنسان الكريم ، وفجيعة مصر وسائر أقطار العروبة في الكاتب العظيم .

أبو شادي العجيب :

كتب الأستاذ مصطفى أمين بك صاحب «أخبار اليوم» بعد رحلته في أمريكا — أن الدكتور أحمد زكي أبو شادي الطبيب والشاعر المصري الذي يقيم الآن في نيويورك ، نشر سلسلة مقالات في جريدة «الهدى» التي تصدر في نيويورك هاجم فيها مصر هجوماً عجيباً ! وأنه تقدم إلى الحكومة الأمريكية يطلب التجنس بالجنسية الأمريكية ..

وأبو شادي هذا سافر إلى أمريكا منذ سنوات ، معلناً أنه لن يعود إلى مصر وأنه سيبقى هناك حتى توافيه أم قشعم [1] . وقد طهرت منه مصر منذ ذلك الحين ، وتنفس الجو الأدبي الصعداء ، وشرع بعض الشعراء الذين أفسد سليقتهم الشعرية في إصلاحها ، ولا يزال بعضهم على ذلك الفساد .

وقد مكث أبو شادي دهراً ينظم كلاماً فارغاً ويقذف به ديواناً وراء ديوان ، وهو يحاول أن يقنع الناس بأنه شاعر ، فأخفق ، ولم يفلح إلا في إفساد المذهب التجديدي في الشعر العربي الذي دعا إليه العقاد والمازني وعبد الرحمن شكري ، وكان من رواده خليل مطران حتى لقد نفر أبو شادي بعض الشعراء المجيدين من لفظ التجديد وأصبح مثار التندر في مجالسهم فلا غرابة أن يأتي إلينا نبأ انحراف ذلك الرجل عن الكرامة الوطنية ، ومصر لا تستحق هجومه عليها إلا لسبب واحد هو أنه من أبنائها .. وإن كانت كفرت عن ذنبها بلفظه وقذفه إلى ما وراء البحار ...

(1) كنية الموت

كشكول الأسبوع

□ اختير معالي الأستاذ لطفي السيد باشا رئيس مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، عضواً بالمجمع العلمي العراقي .

□ تجتمع اللجنة الثقافية للجامعة العربية بالأسكندرية يوم ٢٢ أغسطس الحالي . ومما تنظر فيه برنامج المؤتمر الثقافي الثاني وموعد انعقاده وتنظيم الاحتفال بالذكرى الألفية لابن سينا .

□ ابتدأت جلسات حلقة الدراسات الاجتماعية ببيروت يوم الاثنين الماضي (١٥ أغسطس) وهي الدراسات التي دعت إليها هيئة الأمم المتحدة ، الدول العربية ليتناقش مندوبوها في شؤونها الاجتماعية ، ويرأس وفد مصر فيها وكيل وزارة الشؤون الاجتماعية ، ويمثل جامعة الدول العربية فيها سعادة محمد العشماوي باشا .

□ جاء إلى مصر وفد هيئة الندوة الشعبية بأمريكا ، وهو يتكون من ثمانية وعشرين من قادة الرأي الأمريكي ، وهم يقومون برحلات إلى مختلف البلاد لتبادل الرأي مع المختصين المحليين في المسائل الثقافية والاقتصادية في اجتماعات يسجل ما يقال فيها لإذاعته على الشعب الأمريكي ليدرك حقيقة مشاكل الدول الأخرى ، ليتجه إلى التعاون معها .

□ أمر معالي وزير المعارف بإلغاء الرقص التوقيعي في مدارس البنات . وقد كتب أحدهم في جريدة الأساس يقول إن الرقص التوقيعي ينقض الوضوء لأنه يحدث انتعاشاً باطنياً .

□ عاد من أوربا الأستاذ زكي طليمات عميد معهد التمثيل العالي بعد رحلة فنية قام بها متنقلا بين فرنسا وإيطاليا وإنجلترا ، ودرس في خلالها الاتجاهات الحديثة في فنون التمثيل لاقتباس ما يلائم منها الحياة الفنية في مصر وخاصة الدراسة بمعهد التمثيل ، وكان موفداً لذلك الغرض من وزارة المعارف .

□ كتب الدكتور ابراهيم ناجي مقالا في « النداء » قال فيه إن السادية (وهي التلذذ بتعذيب الغير) ليست مسألة جنسية فقط ، بل تكون كذلك في الأدب ، وضرب أمثلة لذلك ، ولكن فاته أن يذكر من هذه السادية الأدبية محاضراته في رابطة الأدباء .

□ وافقت وزارة المعارف على إرسال مجموعة منتقاة من إنتاج مدرسة الفن الشعبي بحدائق القبة ، إلى مكاتب البعثات المصرية في روما وباريس ولندن ، وذلك لإقامة معرض متنقل بين هذه العواصم الثلاث تعرض فيه نماذج فن النحت والتصوير الشعبي في مصر .

□ الأستاذ محمد بدران المراقب بالإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف ، معروف بنشاطه الفائق في ترجمة الكتب الأدبية والثقافية . وذات مرة كان عند الأستاذ شفيق غربال بك وكيل الوزارة ، فأمسك بدفتر التليفون وجعل يقلب صفحاته ، فقال له شفيق بك : أتريد أن تترجمه ؟

□ وصلت الحال ببعض المجلات إلى أن تعلن عن نفسها في الصحف بأنها مجلات البهجة والترفيه ... وهي صراحة لا تحمد عليها .

حمير الإذاعة :

سمعت في هذا الأسبوع حديث « ندوة الحيوانات » ببرنامج الأطفال في الإذاعة المصرية . خارت البقرة وافتخرت بأن الشعراء يشبهون بعينيها العيون الجميلة . فما كان من الحمار إلا أن نهق وقال : حتى أنا يذكر الشعراء صوتي في أشعارهم فيقولون : إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ! ولا لوم عليه في اعتقاده أن هذا من كلام الشعراء فهو حمار ..

إنما السبيل على من أنطقه !

وقديماً قرأنا في نوادر الحمقى والمتوهين بكتب الأدب ، أن أحدهم قام يخطب في الحث على الجهاد فقال : قال الله تعالى : كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول

تعليم اللغة باللغة :

قرأت كلمة الأستاذ السيد حسن قرون المنشورة بالعدد الماضي من « الرسالة » تعليقاً على ما كتبته في عدد مضى بعنوان : « تعليم اللغة بدراسة الأساليب »

وأقول للأستاذ أولاً : إن مؤتمر مفتشي اللغة العربية انعقد باعتباره هيئة فنية تنظر فيما يتعلق بأعمالها وتبدي الرأي في المسائل المتصلة بها ، على أنه رأي فقط ، يصح أن تأخذ به السلطة الرئيسية في الوزارة أولاً . وأنا كتبت في موضوع تعليم اللغة العربية بمناسبة ما قرره المؤتمر فيه ، لا لعرض ما انتهى إليه ، والواقع أن المؤتمر لم ينته إلى أمر ذي خطر يغير واقعاً ، فقد رأى أن تدرس اللغة العربية عن طريق نصوصها وأساليبها لتستخلص منها القواعد من غير إسراف في الاصطلاحات النحوية المطولة . وهذا متبع فعلاً ، فالمدرس يعرض الأمثلة على التلاميذ ويستنتج منها القاعدة ، والذي يمكن أن يعد جديداً في قرار المؤتمر هو عدم الإسراف في الاصطلاحات النحوية المطولة ، وهذا هو ما يطلق عليه « تيسير النحو » على أن هذا أيضاً هو ما اتجهت إليه لجنة تيسير تدريس اللغة العربية بوزارة المعارف في منهج اللغة العربية الجديد الذي يوشك أن يأخذ طريقه إلى التطبيق والتنفيذ في المدارس .

وما ذكره الأستاذ من اضطراب منهج اللغة العربية في المدارس صحيح ، وقد ذكر أمثلة له . وأنا أريد أن أعدى عن هذا فما هو بذي شأن فيما أريد أن أحصر الكلام فيه ، وهو تعليم اللغة بالكلام الفصيح ، وقد تساءل الأستاذ قرون عن المقصود باستخلاص اللغة من الأساليب ، فإن كان يبغي ما عند المفتشين والوزارة فقد تقدم بيانه ، وإن كان يريد ما رميت إليه بكتابتي السابقة في الموضوع فهو ما قلت « أن يترك الناشىء سنوات يسمع فيها اللغة ويقرؤها ويعالج التعبير بها ، بحيث يشعر بالحاجة إلى ضوابط لها ، وعند ذلك ننتهز فرصة تشوقه إلى الضوابط ، فيعرف بها بطريقة سهلة ميسرة »

وتفصيل ذلك أو تطبيقه أن تحذف القواعد من المدارس الابتدائية ، لا أن تؤخر فقط من السنة الثانية إلى الثالثة ، وليس معنى ذلك أن تظل الحال في المطالعة والمحفوظات والإنشاء على ما هي عليه الآن ؛ ولا ندع التلميذ يفهمها على أن أي قصيدة تكفيه ، والمطالعة فيها تسامح ، والإنشاء أي كلام ينفع له ولو كان عامياً ؛ ولا ندع حصص القواعد لصنع الصلصال وشؤون الفلاحة والبساتين .

وإنما يجب أن يعنى بالمطالعة على أنواعها من جهرية وسرية ومدرسية ومنزلية ، ويجب أن يكون أكثر ما يطالع قصصاً مناسباً لعقول التلاميذ من حيث الأسلوب السهل والفكرة المستساغة الواضحة والموضوع الشوق المأخوذ مما يدور في بيئاتهم وتقع عليه حواسهم ، ويجب أن تشجع الوزارة على تأليف ذلك كما يجب أن تستعين بالأدباء المعروفين بالإنتاج للأطفال والناشئين . وكذلك ينبغي الاهتمام باختيار ما يحفظ ووضعه ، وبالتعبير الذي يسمونه الإنشاء ، من شفوي وتحريري ، بحيث يتجه فيه إلى الاستفادة مما يقرأ ومما يحفظ .

وبذلك نهيء للناشيء فرصة طويلة يستطيع فيها أن يتذوق اللغة من كلامها الفصيح ، ويعيش في جوها ، فتنطبع ملكته بأساليها ، دون أن نفسد عليه ذلك بربكه باستخلاص القواعد ، لأننا عند ما نقدم له القطعة أو القصة ولا نتركه يهنأ بجمالها ومتعتها فنطالبه على أثرها بالمبتدأ والخبر والفاعل في جملها ، ونأخذ منها ما يكمله بمفعول أو ظرف — عند ما نفعل ذلك يحار التلميذ في المراد من القطعة أو القصة ، وقد يذهب به الفكر الغض إلى أن المقصود من هذه الحكاية بيان جملها الاسمية والفعلية ...

وبعد ذلك ، أي بعد أن يتصفح التلميذ أساليب اللغة ويكتسب ملكتها ويدركها إدراكا كلياً ، نمده به إلى التحليل والتعليل ، ويكون قد جاوز المرحلة الابتدائية وبدأ التعلم الثانوي فنعلمه القواعد الميسرة مع الاكتفاء بالضروري منها . وهذا ينطبق على القاعدة التربوية المعروفة وهي الانتقال من الكلي إلى الجزئي . وسيشعر التلميذ بالحاجة إلى القواعد في أثناء تجاربه اللغوية الابتدائية ويتشوق إلى معرفتها للانتفاع بها ، وهنا أيضاً يتحقق ما يراه علماء التربية من إثارة شوق التلميذ ودفعه إلى طلب المعلومات بنفسه .

ونجني من كل ذلك غاية أخرى جليلة الشأن ، هي أن نعود الناشيء القراءة والاطلاع منذ الصغر ، فإذا شب وكبر طلب من زاد الفكر ما يناسبه .

عباس خضر



ديوان أبي فراس الحمداني

للأستاذ أحمد أحمد بدوي

لم يجمع أبو فراس أشعاره بنفسه ، وإنما كان يدفعها إلى أحد أساتذته المعجبين به ، أبي عبد الله الحسين بن خالويه ، وهو من أشهر علماء البلاط الحمداني ، ولعله بهذا ، كان يريد أن يلقيه بين يدي أستاذ يذيعه في الناس ، ويشرح لهم ما غمض عليهم منه ، ويبين ما فيه من إشارات تاريخية يدركها ، بحكم اتصاله بأمراء الأسرة ؛ ولهذا أستبعد صحة تلك الرواية التي تدعي على أبي فراس أنه حظر على أستاذه نشر شعره ، فلو أنه كان يقصد حقاً حظر هذا النشر لكفى نفسه مئونة إلقائه إلى أستاذه ، بل مئونة إنشائه وكيف ومن هذا الشعر ما أرسل به إلى أقربائه وأصدقائه ، ومنه ما قصد به إلى تسجيل مفاخره ومفاخر أسرته ، ولا معنى لهذا التسجيل إذا لم يشع بين الناس ، ويجر على الألسنة ، ويحفظ في الصدور ، ويحل به الكتب ، وكان أبو فراس يعد الشعر ديوان العرب ، وعنوان الأدب ، لا شيئاً يحط من قدره ، ويرغب في إخفائه ، بل لقد كانت قدرته البيانية من أسباب فخره ، وإذا كان قد نفى عن نفسه أنه شاعر حين قال :

نطقت بمدحي ، وامتدحت عشيرتي ... وما أنا مداح ، ولا أنا شاعر

فإنما كان يرمي إلى أنه ليس من هؤلاء الشعراء الذين ينسبون إلى ممدوحيهم ما ليس فيهم رغبة في الصلات والعطايا .

وإن في مقدمة ابن خالويه ما يدل على أنه كان يلقيه إليه ، ثقة منه بحفظه إياه ، إذ يقول : وما زال ، رحمه الله ، إيجاباً لحق الأدب ، ورعاية للصحبة ، وعلماً بأهل المحافظة ، يلقي إلى دون الناس شعره .:. فجمعت منه ما ألقاه إلي ، وشرحته بما أرجو أن يقرنه الله ، عز وجل بالصواب ، والرشاد ، بمنه وطوله ، وقوته وحوله ؛ ولا ينبغي أن يفهم من كلمة ابن خالويه أنه شرح الديوان ببيان معاني أبياته ، وإنما ذكر أحياناً الظروف التي قيلت فيها القصائد فحسب ، كما شرح الحوادث التاريخية ، لقصيدة الفخر الرائية ، من غير تعرض لشرح لغوي ، أو تفسير غامض .

لست أدري الترتيب الذي اختاره ابن خالويه لديوان أبي فراس وربما كان يضم الحدث الذي كان الشاعر يلقي به إليه ، ويضيفه إلى القديم الذي عنده ، فيكون بذلك أقرب إلى الترتيب التاريخي .

أما النسخ الباقية لنا من الديوان فغير متفقة في ترتيب قصائده ، وقد شوه نساخها شعر أبي فراس ، فحذف بعضهم بعضه ، حتى لم تبق نسخة واحدة تجمع كل شعره ، فضلا عن المسخ الذي أصيب به كثير من ألفاظه حتى صار من العسير فهم النص في كثير من الأحيان ، والوصول إلى حقيقة معاني الشاعر ، ولم تخل من هذه العيوب النسخ المطبوعة للديوان ببيروت سنة ١٨٧٣ وسنة ١٩٠٠ و سنة ١٩١٠ م .

ومن العجيب أن شارح ديوان أبي فراس ، وهو عبد اللطيف البهائي ، أحد فقهاء القرن الحادي عشر ، وأحد قضاة بلغراد ، كما حقق ذلك ناشر الديوان الحديث الدكتور سامي الدهان — عثر على إحدى هذه النسخ المشوهة فشرحها ، وجره الخطأ إلى شرح خاطىء ، وقد أشار ناشر الديوان إلى أمثلة كثيرة من هذا الخطأ ، ومنه أن أبا فراس قال بيتين ، لما مضى سيف الدولة يطالب قتلة عامله على قنسرين بدمه ، ثم كف عنهم بتوسط أبي فراس ، ولكنهم قصروا في شكره ، وهما :

وما نعمة مكفورة قد صنعتها ... إلى غير ذي شكر بمانعتي أخرى

سآتي جميلا ما حييت ، فإنني ... إذا لم أفد شكراً أفدت به أجرا

فوقع للشارح البيت الأول محرفا إلى :

وما نعمة مكفورة قد صنعتها ... إلى غير ذي شكر بما تبتغي أخرى

فلم يحقق النص ، بل شرح البيتين بقوله : « يقول مخاطباً لسيف الدولة : إن النعمة التي صنعتها بعفوك عن قاتلي الصباح الذي وليته قنسرين ، لكونها مكفورة ، لا تقتضي أن تعاد عليهم مرة أخرى ، لكن عادتي أن أفعل الجميل مدة حياتي ، فإن لم

أستفد منه الشكر استفدت منه الأجر » ؛ وهو بهذا الشرح لا يلحظ أن الشاعر يجعل الأمير حينئذ فى منزلة أقل من منزلته ، إذ يخبره بأن نعمته ما دامت مكفورة لا يجدر به أن يسدى للمنكرين يداً أخرى ، بينما أبو فراس من عادته فعل الجميل دائماً شكر أم كفر .

كما شرح قول أبى فراس :

وفارق عمرو بن الزبير خليله وخلى أمير المؤمنين عقيل

فقال : « يعنى هذا شأن الدنيا وشأن أهلها من الغدر وعدم البقاء على الصحبة ، كما فى قصة عمرو بن الزبير مع خليله وتخلية أمير المؤمنين سيف الدولة قبيلة عقيل الذين قادهم ندى بن جعفر كما ذكر سالفاً » . وهذا شرح يدل على جهل بالتاريخ ، أما أبو فراس فيشير إلى عداوة عمرو بن الزبير لأخيه عبد الله وقيامه ضده ، وإلى عقيل بن أبى طالب الذى فارق على بن أبى طالب أخاه فى خلافته ، ومضى إلى معاوية .

وعن شرح هذا الفقيه أخذ نخلة قلفاط فى حل بعض أبيات الديوان عند ما طبع ببيروت وكثيراً ما يوجز ويختصر .

لم يعثر النهائى على ديوان أبى فراس كاملا ، بل ينقصه الكثير من قصائده ، ولم يقف فى شرحه عند الإشارات التاريخية التى فى الديوان يوضح المراد بها ، ولم ينقل ما أورده ابن خالويه فى توضيحها بل كان التفسير اللغوى وجهته ، فيذكر النص ، ويشرح ما فيه من ألفاظ لغوية ، ذاكراً بعض ما لكلمه من مشتقات وجوع ، ومبيناً ما فى الكلام من أنواع البيان والبديع ، ومتبعاً ذلك بذكر المعنى الإجمالى للنص ، وكل ذلك فى إيجاز ، دفعه إليه إسراعه فى هذا الشرح الذى أتمه فى عشرين يوماً ، وكثيراً ما كان يعفى نفسه من عناء الشرح ، فيقول عن البيت من الشعر : « ظاهر غنى عن الشرح » وربما كان خفياً غامضا .

ظل ديوان أبى فراس على ما وصفنا من النقص والتشويه حتى هيء له أحد العلماء الناشرين ، وهو الدكتور سامى الدهان ، فأخرجه متبعا أمثل طرق الإخراج ، ووقف عليه حقبة من عمره ، حتى استطاع أن يخرج أصح وأكمل ما استطاع أن يظهره لديوان أبى فراس ، وإن من يعانى مثل ما عاناه الناشر ليقدر ما بذله من جهد مضن فى التنقيب والتحقيق والاختيار ، ولا يسعنا إلا أن نشكر له هذا الجهد الموفق .

ورغم التحقيق الدقيق الذى بذله الناشر الكريم لم يدع أنه وصل إلى المثل الأعلى الذى يبغيه ، وطلب من النقاد أن يوافوه بآرائهم فى عمله المثمر إذ قال : « غير أنى لم أظفر بمن يقرؤه من الدفة إلى الدفة يسجل نقده وأسجل يده .. وأملى أن يحظى بالناقد الحكيم والقارىء الكريم فيرد إلى معايبه ، ويبصرنى زلله » ؛ وعلى هذا الأساس أبدى بعض ملحوظات عنت لى بعد قراءة الديوان كله قراءة دارسة ناقدة ، من غير أن تقلل هذه الملحوظات اليسيرة من قيمة هذا الجهد المشكور ، والعمل الصالح .

وأول ما ألحظه على الديوان ترتيبه فقد اتبع نهجاً صناعيا لا فنيا فى هذا الترتيب ، إذ قسمه على نظام حروف القوافى ، وإنى أوثر على ذلك النظام نظامين آخرين ، هما الترتيب التاريخى ، والترتيب الموضوعى ؛ ذلك أن الترتيب على حسب القوافى ليس له قيمة فنية ما ، وليس له من فائدة سوى سهولة العثور على القصيدة فى الديوان ، ويغنى عن ذلك فهرس يوضع فى آخر الكتاب لتسهيل المراجعة ، أما الترتيب التاريخى فيساعد على تتبع التدرج الفنى للشاعر ، ويعين على معرفة أثر الزمن فى نفس الشاعر ونظراته إلى الحياة ، وربما كان الترتيب الذى سار عليه ابن خالويه أقرب إلى الترتيب التاريخى كما ذكرنا ، فإذا عز علينا الترتيب التاريخى ، فالأفضل أن نرتب الديوان على حسب موضوعاته ، فنجمع قصائد كل باب متجاورة ، فذلك خليق بأن يبرز لنا خصائص الشاعر فى كل فن من فنونه فى سهولة ويسر ، فإذا جمعنا بين الترتيب الموضوعى والتاريخى معا فذلك هو المثل الأعلى للجمع والترتيب ؛ أما وقد سار الناشر على هذا الترتيب الصناعى فإنى كنت أرجو أن يؤرخ القصائد إذا استطاع الوصول إلى تاريخها .

وكنت أوثر أن لو أضاف الناشر إلى جهده الضخم شرح غريب الديوان فى ذيل الصفحات حتى يكون بذلك قد خلى بين القارىء والشعر لا يحول بينهما تحريف فى عبارة ، ولا غرابة فى لفظ ، ولم يكن أبو فراس مغرماً بالغريب أو مستكثراً منه ، فكان من السهل على الناشر شرح هذا القليل حتى يصبح كتابه مستغنياً بنفسه عما سواه ، كما حمدنا له جهده فى شرح الإشارات

الجغرافية الواردة فى الديوان .

وقد تحرى الناشر أقرب الروايات إلى الصحة من بين الروايات المختلفة فى النسخ ، ولـكنى أرى أن قد اختار ، فى أحيان قليلة ، رواية أراها مرجوحة ، كما آثر أن يروى هذا البيت :

وهل لقضاء الله فى الخلق غالب   وهل لقضاء الله فى الخلق هارب

وإنى أوثر رواية الشطر الثـانى بمن بدل اللام فيـكون :

وهل من قضاء الله فى الخلق هارب .

وآثر أن يروى هذا البيت ، وهو فى خطاب سيف الدولة :

دعوناك ، والهجران دونك ، دعوة   أتاك بها يقظانَ ، فـكرُك ، لا البرد

وأوثر رواية العاملى : البحران بدل الهجران الذى لا معنى له هنا ، ولعـله يقصد بالبحرين نهرين يفصـلان بينه وبينهم . وروى البيت :

ياطلعة الشمس لما صادفت حللا   من السحاب على أرض من الزهر

وأوثر خللا بالخاء ، أى منفرجاً بين السحب ، لأن طلعة الشمس إذا لبست حلل السحب لا ترى ، ولا تفرح بها أرض الزهر . وروى البيت :

أخو الثمرات فى جِدٍّ وهزلٍ   أخو النفقات من سعة وضيق

وأفضّـل رواية : فى سـعة وضيق ، أو فى جد وضيق ، إذ أنه ينفق من سعة ولـكن لا يقال ينفق من ضيق . وروى البيت :

ولـكنَّ دهراً دافعتنى خطوبه   كما دفع الدين الغريم المماطل

وأفضل : كما دافع الدين الغريم المماطل ، لأن الغريم المماطل يدافع الدين ولا يدفعه ، وروى البيت :

خليلَّ شدَّا لى على ناقتيـكما   إذا مابدا شيب من العجز ناصل

ولا معنى للعجز هنا ، وأختار رواية الفجر . وروى البيت :

وإنَّ مقيما منهج العجز خائب   وإنَّ مريغاً خائب الجهد نائل

وأفضل على ذلك رواية : وإن مقيما منجح العجز ، خائب. فإن أبافراس يوازن بين رجلين أحدهما مقيم لايطلب ، عاجز عن الجهاد ، غير أنه قد نجح ، وثانيهما طالب مجدٌّ ولـكن جهده قد خاب ، فأبو فراس لا يعد نجاح الأول نجاحاً ، ولا فشـل الثانى خيبة وإخفاقاً ، ورجح رواية البيت :

لقد ظننتك بين الجحفلين ترى   أن السلامة من وقع القنا تصم

والأفضل رواية : لقد رأيتك . لما فيها من اليقين الذى يناسبه التوكيد . وآثر رواية البيت :

ومن لقى الذى لاقيت هانت   عليـــه موارد الموت الزؤام

ثناء طيب لا خلف فيه   وآثار كآثار الغـــمام

وأنا أوثر الرواية الأخرى وهى : ومن أبقى الذى أبقيت هانت لأنه فسر ما أبقاه فى البيت الثانى ، وبدون ذلك يبقى هذا البيت منقطماً عن صاحبه . وروى البيت :

فيغلظ قلبي ساعة ثم ينثنى   وأقسو عليه تارة ويلين

والأفضل عندى رواية : وأقسو عليه تارة وألين ؛ حتى يكون المتحدث عنه واحد فى الشطر الثانى ، كما هو واحد فى الشطر الأول

هذا ، ويخيل إلى أن أبياتاً ثلاثة قد تسـللت إلى القصيدة رقم ٣٣٢ ص ٤٠٦ من غير أن تكون هذه الأبيات فيها ، أوأن موضعها فى القصيدة ليس هو الموضع الذى اختير ، وذلك حيث يقول أبو فراس :

مالى جزعت من الخطوب بعدما   أخذ المهيمن بعض ما أعطانى

ولقد سررت كما غممت عشائرى   زمناً ، وهنأنى الذى عزانى

وأسرت فى مجرى خيولى غازياً   وحبست فيما أشـملت نيرانى

فأنت تراه هنا يتحدث عن حاضره المؤلم ، متسلياً بماضيه ، ولـكن ينتقل من ذلك إلى مدح سيف الدولة فيقول :

يرمى بنا شطر البلاد ومشيع   صدق الـكريهة فائض الإحسان

بلد لمعـــرك لم أزل زواره   مع سيد قوم أغر هجانِ

إنا لنلقى الخطب فيك وغيره   بموفق عند الخطوب معـان

ثم يعود مرة أخرى إلى الحديث عن حاله اليوم والأمس فيقول:

أصبحت ممتنع الحراك ، وربما   أصبحت ممتنعاً على الأقران

مما أرجح معه أن هذه الأبيات قد دست بين الغرض الواحد دساً ، فضلا عن حديثه عن بلد غير مذكور فى القصيدة ، وعن غموض المعنى وضعف الأسـلوب فى قوله : إنا لنلقى الخطب فيك وغيره .

وفى الديوان عنـوان خاطئٌ هو : وقال فى ابنته زوجة أبى المشائر (ص ٣٧٥) ، فأبو المشائر لم يتزوج ابنة أبى فراس ولـكن أخته ، والصواب أن هذه القطعة قالها أبو فراس فى زوجته وهى ابنة أبى المشائر ، والشعر نفسه يدل على ذلك يقول :



ابن زنبل الرمال :

تحت يدى نسخة من كتاب له تحت اسم :

« كتاب تاريخ السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان مع قانصوه الغورى سلطان مصر وأعمالها » تأليف الشيخ أحمد ابن زنبل الرمال المحلى رضى الله تعالى عنه على التمام والكمال والحمد لله على كل حال وبه نستمين . وفيه نهايته .

« تم طبع هـــذا الكتاب فى أوائل شهر ربيع الآخر سنة ١٢٧٨ »

ولم أعثر على ترجمة لابن زنبل فى الكواكب السائرة ولا في شذرات الذهب ، وإنمــا وجدت فى كتاب تاريخ آداب اللغة العربية للمرحوم جرجى زيدان بك أنه توفى بعيد ٩٦٠

وهوأحمدبن أبى الحسن بن أحمدنورالدين المحلى الشافعى بن زنبل الرمال كان ضمن موظفى نظارة الجيش إلى سنة ٩٦٠ .

(لا أعتقد بأن نظارة الجيش استمرت إلى هذا العهد)

وكان يتعاطى ضرب الرمل والنجامة . ولم يذكر جرجى زيدان من أين استقى هذه المعلومات وعرض لمؤلفاته وهى :

١ — فتح مصر : أو أخذها من الجراكسة على يد السلطان سليم من غلبة قانصوه الغورى ٩٢١ إلى فتح مصر ٩٢٢ منه نسخ خطية فى المكتبة الخديوية فى ٢١٨ صفحة وطبع فى مصر على الحجر سنة ١٢٨٧ (وصحتها ١٢٧٨ﻫ) وعبارته ركيكة ومنه نسخ فى فينا وليدن وباريس . ومن هذا الكتاب نسخة مختصرة اسمها «واقعات السلطان سليم خان والجراكسة فى فينا» . وعليه ذيل إلى وفاة السلطان سليم سنة ١٩٢٦ . وذيل آخر ينتهى إلى فتح رودس ومالطة كلاهما فى غوطا .

وسيرة السلطان سليم والجراكسة وماجرى بينه وبين قانصوه الغورى ، يشبه فى موضوعه وأسلوبه الكتاب المتقدم ، نسخة منه فى المكتبة الخديوية ٢٥٦ صفحة .

٢ — تحفة الملوك والرغائب فى أكسفورد .

٣ — المقالات فى حل المشكلات فى السحر والرمل .

وأدبية اختـــرتها عربية تمزى إلى الجد الكريم وتنتمى محجوبة لم تبتذل ، أمارة لم تأتمر ، مخدومة لم تخدم

لو لم يكن لى فيك إلا أننى بك قدغنيت من ارتكاب المحرم

فواضح أن التى أغنته عن ارتكاب المحرم زوجته لا ابنته .

وهناك — وإن كان ذلك نادراً — بعض جمل غير مفهومة مما يدل على أننا لم نصل إلى النص الصحيح . وذلك مثل قوله :

حملت على ورود الموت نفسى وقلت لصحبتى : موتوا كراما

ولم أبذل لخـوفهم مجناً ولم ألبس حذار الموت لاما

فلا معنى لكلمة أبذل هنا .

وأشعر بقلق فى كلمة صباح من هذا البيت :

يئول به الصياح إلى صـباح ويسلمه الظلام إلى ظلام

فالشاعر فى الشطر الثانى يريد أن يقول : إن ظلام الليل يسلمه إلى ظلام فى نظرته إلى الحياة ، وإلى متاعب قلبية يظلم بها عيشه ، ومن هنا لا أجد لكلمة صباح موضعاً .

وعنى الناشر بأن يستدرك ما أخطأت فيه المطبعة من الشكل ، ولكن لم يزل هناك بعض لم يشر إليه ، فمن ذلك زَمَّت أباعره ، والصحيح زمت بضم الزاى (ص ١٨١) وينسُون (ص ٢٧١) والصواب ينسَوْن ، و تُمال (ص ٢٨٤) وصوابها تمال بفتح التاء . وو لُوا (ص ٢٨٥) والصحيح ولوْا . وتوْضع (٣٧٩) وصحيحها توَضع . ولكن الكلامِ والصواب : ولكن الكلامَ (ص ٣٧١) .

هذا وكنت أوثر للناشر أن ينقل إلى العربية آراء المستشرقين فى الشاعر ، كما نقل إلى الفرنسية ، موجز ما كتبه العرب عنه ، حتى يقف من لا علم عنده بالفرنسية ، على آراء المستشرقين فى الشاعر العربى .

وبعد فهذه ملحوظات لا تقلل شيئاً من قيمة جهد الناشر الكريم ، الذى أحيا بجده ديوان أبى فراس ، وقد ذكرناها أمانة للعلم ، وسعياً للوصول إلى الكمال .

أحمد أحمد بدوى

مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

القانون فى دنيا النجامة . منة قطعة فى برلين »

انتهى كلام المرحوم جرجى زيدان بك .

وقد اشتهر فى هذا العصر سنبل مقدم المماليك . وقد تتبعت تاريخه فانتهيت به إلى ترحيله ضمن أعيان المصريين الذين سافروا إلى استانبول سنة ٩٢٣ ، ثم انقطعت أخباره . ولا أجزم للآن بأن هذا كتب تاريخاً ؛ ولكنى أشير بطبع إحدى النسخ الخطية المطولة وأرى ألا تهمل الأشعار والملاحم فإنها تمثل حقيقة مشاعر الشعب المصرى أيام الفتح العثمانى . وقد يكون بعضها زاد عليه الرواة من عندهم .

أحمد رمزى

١ — أعداد من الرسالة خاصة بالأقطار العربية :

فى عام سنة ١٣٦١هـ أصدرت مجلة « الرسالة » الغراء أعداداً خاصة بالأقطار العربية الشقيقة ساهم فى تحريرها نخبة من كبار الأدباء فيها ، وكان لصدورها فى ذلك الوقت الذى لم تولد فيه « الجامعة العربية » ولم يكن فيه للعرب التضامن الذى يكفل لهم الحرية والسيادة ؛ صدى ذو نتائج طيبة فى الأوساط الأدبية والسياسية . كما كان له أكبر الأثر فى التعريف بالأدب العربى المعاصر على اختلاف أنواعه فى شتى أقطاره .

ولكم وددت — والله — لو سارت « الرسالة » على هذا النهج مرة فى كل عام ؛ مسجلة بعملها هذا ، التطور الذى يمر عليه الأدب العربى الحديث فى كل قطر من أقطاره الشقيقة وما أظن — غير الرسالة — مجلة تستطيع القيام بمثل هذا العمل الجليل : ذلك لأن للرسالة كتابها الذين — إذا ما ذكر كتاب العرب — كانوا فى مقدمة من يذكرون . هذه كلمة أرجو أن يكون لها صدى طيب لدى أستاذنا عميد الرسالة .

٢ — نسبة بيت :

أورد الأستاذ الكبير راجى الراعى فى مقاله عن « المتنبى » المنشور فى العدد (٨٣٧) من الرسالة الغراء : هذا البيت ونسبه لأبى الطيب :

لى النفوس وللطير اللحوم وللـــوحش العظام وللخيالة السلب!

والبيت — كما أعرف — لعنترة العبسى من قصيدته التى يتوعد بها النعمان بن المنذر ومطلعها :

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلى من طبعه الغضب

وبهذه المناسبة أكرر للأستاذ الراعى شكرى وتحياتى راجياً منه أن لا يضن على قراء الرسالة — المعجبين بأدبه — بما لديه من قصائد رائعة ، وبحوث قيمة .

محمد عامر الرميح

المدينة المنورة — ٣ . ع . الرميح

١ — مباع ومباعة :

جاء فى (لغة الجرائد) بعد الكلام على الأفعال التى يزيدون الهمزة فى أولها خطأ ... ويقولون سلعة مباعة

وهذه التخطئة خطأ فقد جاء فى المخصص ج ١٤ص٢٢٧ — ٢٢٩ فى الكلام على باب (فعلت وأفعلت) بمعنى واحد ما نصه باع الرجل متاعه بيعاً وأباعه بمعنى ، قال النحويون أباعه عرضه للبيع والمعنيان متقاربان وأنشد ابن السكيت .

فرضيت (آلاء) الكميت فمن يُبِع

فرســاً فليس جـــوادنا بمباع

آلاؤه نعمه ، هذه رواية أبى أسحق ، وروى غيره (أفلاء) الكميت جمع فلو هـ .

وجاء فى المصباح : باعه يبيعه بيعاً ومبيعاً فهو بائع وَبيِّع ، وأباعه بالألف ، لغة قاله ابن القطاع اهـ .

أى فى كتاب الأفعال والمصريون يستخفون استعمال مباع ومباعة ، ولكنهم لا يستعملون الفعل الرباعى أباعه أصلا .

٢ — أبحاث :

أنكر أحد الكتاب جمع بحث على أبحاث فى مجلة الرسالة الغراء ، وهذا ليس بصحيح فقد جاء فى (معيار اللغة) ما نصه :

بحث عن الأمر بحثاً كنفع فتش وتفحص واستقصى .. ثم استعمل المصدر (البحث) إسماً (للبحوث) وجمع على أبحاث كبعض وأبعاض اهـ .

ولم يجمعه على بحوث مع أنه الجمع القياسى المشهور ويجعله إنما ساغ جمعه لأن المصدر لا يجمع لأنه يصدق على القليل والكثير

وللصرفيين فى جمع (فعل) المفتوح الفاء على (أفعال) كلام شاذ ، لا مستند له لنا فإنه المأثور عن العرب من منظوم ومنثور وإنى أستطيع أن أذكر للقراء مئات من الجموع كبحث وأبحاث وقد لاحظت أن كل اسم ثلاثى مفتوح الأول وثانيه واو يطرد جمعه على (أفعال) مثل ثوب وأثواب . أثوار . أحواض . أحوال . أدوار . أذواق . أزواج . أشواط . أشواق . أشواك . أطواد . أطوار . أطواق . أفواج . أقواس . أقوال . أقوام . أكوام . ألواح . ألوان . أمواج . أنواء . أنوار . أنواع . أنوال . أهوال وهكذا .

وجمع هذا شأنه يجب أن يكون قياساً ، ومن المضحك المبكى أن ننتظر من العرب أن يوردوا لنا كل شيء وإنما :

نبنى كما كانت أوائلنا   تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

على حسن هلالى
بالمجمع اللغوى

تصويب (أبحاث) :

كتب الأستاذ رياض عباس كلمة فى بريد الرسالة الأدبى عدد (٨٣٧) تحت عنوان (من صميم العربية) جاء من عناصرها قوله : إن من الأخطاء الشائعة على ألسنة الكتاب جمع بحث على أبحاث ثم قال : وهو خطأ لا يجيزه القياس ، وكتب اللغة لم تذكره . اللهم إلا «أقرب الموارد» . ثم سأل الكاتب الفاضل عن مصدر صحة هذا الجمع الذى استقى منه صاحب أقرب الموارد .

وإجابة عن هذا السؤال أذكر له قاعدة النحاة الكوفيين العامة ، ومنهجهم فى القياس على المسموع من كلام العرب . وهى تتلخص فى جواز القياس على ما ثبت ورود نوعه عن العرب ولو كان هذا الوارد قليلا . بينما تزمت النحاة البصريون ويتشددون فى أمر القياس ، فلا يقيسون إلا على المسموع الكثير : سواء فى ذلك التراكيب والمفردات .

وقد ثبت أن العرب جمعت وزن (فعل) المفتوح الفاء الساكن العين الصحيحها على (أفعال) .

من ذلك حَمل وأحمال ، وفَرخ وأفراخ ، وزند وأزناد . قال الله تعالى : « وأولات الأحمال » . وقال الحطيئة :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ[1]   زغب الحواصل لا ماء ولا شجر؟

وقال الأعشى :

وُجدت إذا أصلحوا خيرَهم   وزندك أثقب أزنادها[2]

يرى البصريون أن هذه الجموع ونحوها مما شذ عن القياس فهى من النادر الذى لا يجوز القياس عليه . فأبحاث ونحوه جمع خطأ ؛ لأن العرب لم تنطق به بذاته .

ويرى الكوفيون احترام المسموع ولو كان قليلا . فأبحاث ونحوه عندهم جمع صحيح لا غبار عليه ؛ لأن العرب نطقوا بنوعه وإن كان قليلا .

وبعد فلعل هذا الرأى هو المصدر الذى استقى منه صاحب أقرب الموارد ما أورده . وأكبر الظن أن ليس له مصدر سوى هذا

أما ترجيح أحد الرأيين على الآخر فالذى أميل إليه فى هذا النزاع بذاته رأى الكوفيين ؛ إذ قد ورد فى اللغة الفصحى مع مع ما ذكرت أولا : أفراد وآلاف وآراء . وفى هذا قلب مكانى وأنجاد وأنهار وأنحاء . وكثر هذا الجمع فى واوى الفاء ومضعف اللام . مثل : أوقاف وأوقات وأوصاف وأوكار وأوعار وأوغاد ؛ وبمثل : أجداد وأعمال وأبرار وأفذاذ . وربما كان فى اللغة غيرها. وهى طائفة صالحة للقياس عليها . وهذا يدل على أن العرب طردوا هذا الوزن (أفعال) فى جميع أوزان الإسم الثلاثى المجرد العشرة بلا قيد ولا شرط . نعم إنهم لم يكثروا منه فى جمع المفرد المفتوح الفاء الساكن العين الصحيحها . ولكن هذا لا يمنع من القياس على ما سمع منه كما ذهب إليه نحاة الكوفة . وبهذا ظهر أن قول الأستاذ رياض : « وهو خطأ لا يجيزه القياس » إن أراد قياس البصريين فسلم ، وإن أراد قياس الكوفيين فلا . كما عرفت ، وأن مصدر « أقرب الموارد[2] » اللغوى هو الاعتماد على هذا القياس ، لأن كتب اللغة فى الغالب لا تذكر الجموع القياسية اتكالا على معرفة القواعد . فهذا جواب السائل الفضال.

« وفوق كل ذى علم عليم » .

عبد الحميد عنتر
الأستاذ بكلية اللغة العربية

---

(١) واد بالحجاز .
(٢) أثقب : أضوأ . من قولهم : ثقبت النار أتقدت .



البلاغة العربية فى دور نشأتها

تأليف الدكتور سيد نوفل

بقلم الأستاذ على العمارى

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

٢ — ولو أن هـذه الروح جاهلية لوجدنا أثرها فى عصر البعثة . يوم تحدى القرآن العرب وأفحمهم إفحاما ، فقد لجأوا إلى الطعن عليه طعناً عاماً ؛ فقالوا سحر مفترى ، وقالوا أساطير الأولين ، ولو أن لديهم تلك الروح البيانية لـكان من المنتظر أن ينقدوا القرآن على نحوها ، وأن يفزعوا إليها فى تلك الخصومة المنيفة التى ظلت نيفاً وعشرين عاماً ، هذا إلى أن تلك الروح فى النقد لا أثر لها فى العصر الإسلامى ، لا عند الأدباء ولا عند متقدمى النحاة واللغويين .

٣ — على أن من نحاة القرن الرابع من لم يطمئن إلى ماسبق ؛ فأبو الفتح بن جنى يحكى عن أبى على الفارس أنه طعن فى صحة هذه الحـكاية . هذه الزيادات لا تثبت للروح العلمية ، ولا للتاريخ . وبعيد كل البعد أن توجد ملـكة الفـكر فى النقد الجاهلى ، وأن توجد على هذا النحو الدقيق ، الذى يحلل ويوازن ، ويفرق بين الصيغ تفريقاً علمياً .

٤ — وردت القصـة فى الجزء الثانى من نقائض جرير والفرزدق ، وليس فيها إشارة إلى شىء من ذكر النابغة أو النقد الذى قيل فى عكاظ .

وهكذا يسوق صاحب تاريخ النقد عنـد العرب الأدلة التى لا تدع مجالا للاطمئنان إلى صحة هذه القصـة ، ولـكن المؤلف يكتفى بقوله أنها تلائم طبيعة الحياة الفنية ، ويرى ذلك داعياً إلى الاطمئنان إليها ، أما ما هى الحياة الفنية فى ذلك العصر ، وكيف

الاعتبار بالحرفة !

يرى الأستاذ محمد منصور خضر أن « الاعتبار بالُحرقة » فى كلام الجنيد خطأ وأن صحته « الاعتبار بالِحرفة » بمعنى المهنة أو الصنعة لأن التصوف الحق هو العمل والعمل عندهم هو الحياة .

وأرى أن «الاعتبار بالُحرقة» هو الصحيح هنا ومعناه الحب والتشوق ذلك الحب الذى يشغل الإنسان عما سوى الله ويزداد حُرقة وحرارة بازدياد القرب ومعنى قول الجنيد إنه ليس الاعتبار بالظاهر من إتخاذ الشارات ولبس الصوف وأكل الخشن وإنما الاعتبار بالباطن وما وقر فى الصدور من الإخـلاص والصدق والحب والمراقبة ... والمواجيد الأخرى .

ومن ناحية سلبية يمكن القول أن التجرد عند الصوفية أسمى من التعلق بالاسباب ولـكن الصوفى قد لا يتأتى له من الاجتهاد ورفع الهمة حتى يتحقق بالتجرد فيأخذ بالأسباب ويدعو السالكين فى بدء دخولهم فى الإرادة إلى ذلك . فرفع الهمة والأخذ بالأسباب معاً فى نفس الصوفى يجنى تزايد هذا من تناقص ذا . ولـكن غاية الصوفى التجرد ورفع الهمة حتى قال أحدهم « من تزوج أو تحدث أو سافر فى طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا» وشاور أحد المريدين الخواصى فى أن يعتزل الناس ويعتكف فى المسجد فقال « إن كنت على إيمـان إبراهيم الخليل فاعتـكف » وفى حكم ابن عطاء الله « إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك فى الأسـباب من الشهوة الخفية وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك فى التجريد إنحطاط عن الهمة العلية » .

فالاعتبار بالِحرفة أمر لا يتفق والروح الصوفى الذى ينزع إلى الخروج إلى الله والتجرد من الأسـباب والتحرر من رق الآثار والأكوان .

أحمد الكاشف

ليسانس فى التاريخ

تلاقمها هذه القصة ، فلا خبر ، ولا أثر ؟

٢ — ذكر مذهب الجاحظ في إعجاز القرآن ، فقال إنه في نظم القرآن ، ولكن الله صرف العرب في الوقت نفسه عن محاولة محاكاته خشية الفتنة . ومر سريعاً ، واكتفى بنقل أثبته من كتاب الحيوان والمؤلف في نشأة البلاغة في حاجة شديدة إلى أن يتحدث عن مذهب (الصرفة) وما كان له من الأثر في نشأة هذه العلوم ، والمؤلف في بلاغة الجاحظ على الخصوص لا يقبل منه أن يلصق هذا المذهب بالجاحظ ثم يمر كأن الأمر من الهوان بحيث تكفي فيه الكلمات . بل كان الواجب أن ينقب في كتب الجاحظ عن هذا المذهب ، ويحققه ، ويبين مدى تأثر الجاحظ به ، ومدى تأثيره في علماء عصره ، وقد رجعت إلى النص الذي نقله من كتاب الحيوان ، فبدا لي فيه أمر أنا ذاكره بعد أن أثبت هنا ما يقوله الرافعي رحمه الله في نسبة مذهب الصرفة إلى الجاحظ قال عن هذا المذهب أولا « وهو عندنا رأي لو قال به صبية المكاتب وكانوا هم الذين افتتحوه وابتدعوه لكان ذلك من تخاليطهم في بعض ما يحاولونه إذا عمدوا إلى القول فيما لا يعرفون ليوهموا أنهم قد عرفوا » ثم قال ثانياً عن مذهب الجاحظ نفسه : (أما الجاحظ فإن رأيه في الإعجاز كرأي أهل العربية ، وهو أن القرآن في الدرجة العليا من البلاغة التي لم يعهد مثلها ، وله في ذلك أقوال تشير إلى بعضها في موضعه ، غير أن الرجل كثير الاضطراب ، فإن هؤلاء المتكلمين كأنما كانوا من عصرهم في منخل ... ولذلك لم يسلم هو أيضاً من القول بالصرفة ، وإن كان قد أخفاها ، وأومأ إليها عن عرض، فقد سرد في موضع من كتاب الحيوان طائفة من أنواع العجز وردها في العلة إلى أن الله صرف أوهام الناس عنها ، ورفع ذلك القصد من صدورهم ثم عد منها « ما رفع من أوهام العرب ، وصرف نفوسهم عن المعارضة لقرآنه بعد أن تحداهم بنظمه » وقد يكون استرسل بهذه العبارة لما في نفسه من أثر أستاذه ، وهو شيء ينزل على حكم الملابسة ، ويعترى أكثر الناس إلا من تنبه له ، أو نبه عليه ، أو هو يكون ناقلا ولا يدري » .

قلت وفي كلام الجاحظ ما يؤيد الشطر الأول من هذا الكلام وهو أنه يرى في الإعجاز ما يراه أهل العربية ، فقد قرأت في كتابه البيان والتبيين تصريحاً بأن العرب يعجزون أن يساموا الرسول في البلاغة ، قال « فإذا رأت مكانه — يريد النبي صلى الله عليه وسلم — الشعراء ، وفهمته الخطباء ، ومن نعيد المعاني ، وتمود نظمها ، وتنضيدها وتأليفها وتنسيقها ، واستخراجها من مدافنها وإثارتها من أماكنها علموا أنهم لا يبلغون بجميع ما معهم مما قد استفرغهم ، واستغرق مجهودهم ، وبكثير ما قد خولوه قليلا مما يكون معه على البداهة والفجاءة من غير تقدم في طلبه ، واختلاف إلى أهله » . فإذا كان هذا رأيه في بلاغة الرسول ، فلا يمكن أن يكون رأيه في بلاغة القرآن ما يفهمه العلماء من مذهب الصرفة ، وهو أن العرب قادرون على الإتيان بمثل القرآن ، ولكن الله صرفهم عن أن يعارضوا على أنه في ذاك الموضع[1] من كتاب الحيوان التصريح بعجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن قال : « وفي كتابنا المنزل الذي يدلنا على أنه صدق نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد . الخ » .

هذا . والذي يظهر — والله أعلم — أن القائلين بالصرفة لم يكونوا يقصدون إلى أن العرب قادرون على الإتيان بمثل القرآن ، وأن الله صرفهم عن هذا الإتيان ، حتى يثبت أن القرآن في متناول البشر ، كما فهمه طائفة من العلماء ، وأطالوا الرد عليه ، وبدهي أن هذا لا يشمل آراء أولئك الذين صرحوا في مقالاتهم بأن القرآن غير معجز وأن الناس يقدرون على مثله ،وعلى أحسن منه ، من أمثال الجعد بن درهم — وإنما الذي أفهمه من مذهبهم أن الله منع العرب أن يأتوا بمعارضة للقرآن ، مع أنهم غير قادرين عليها ، وإنما صرفهم لئلا تكون فتنة ، وهذا صريح في كلام الجاحظ حيث يقول : « وصرف نفوسهم — يعني العرب — عن المعارضة للقرآن بعد أن تحداهم الرسول بنظمه ، ولذلك لم نجد أحداً طمع فيه ، ولو طمع فيه لتكلفه ، ولو تكلف بعضهم ذلك لجاء بأمر فيه أدنى شبهة لعظمت القصة على الأعراب وأشباه الأعراب ، والنساء وأشباه النساء ، ولألقى ذلك للمسلمين عملا ، ولطلبوا المحاكمة والتراضي ببعض الأعراب ، ولكثر القيل والقال » وهذا كلام واضح جداً وصريح في أن الجاحظ لا يجعل الصرف عن المعارضة هو السر في الإعجاز ، وإنما يجعل الصرف

(١) ج ٤ ص ٣٢

أمراً ثانوياً جاء بعد التحدى والعجز ، وأنهم لو عارضوا لوجدوا من يستجيد وكما يقول فى موضع آخر « فلم يرم ذلك خطيب ، ولا طمع فيه شاعر ، ولو طمع فيه لتكلفه ، ولو تكلفه لظهر ذلك ، ولو ظهر لوجد من يستجيده ويحامى عليه ، ويكابر فيه ، ويزعم أنه قد عارض وقابل وناقض ، فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم واستجابه لغتهم ، وسهولة ذلك عليهم ، وكثرة شعرائهم وكثرة من هجاه منهم ، وعارض شعراء أصحابه وخطباء أمته لأن سورة واحدة وآيات يسيرة كانت أنقض لقوله وأفسد لأمره ، وأبلغ فى تكذيبه ، وأسرع فى تفريق أتباعه من بذل النفوس ، والخروج من الأوطان ، وإنفاق الأموال » ونحن يعنينا الشطر الأول من هذا الكلام ، أما الشطر الثانى فسقناه لأنا نلمح فيه أن الجاحظ يرى أن المعارضة كانت ميسورة للعرب ، ولكن بعد التدقيق فى كلامه يظهر أنه لم يجعل هذا العجز سراً من أسرار الإعجاز ، بل جعله دليلا على أن المعارضة لم تكن ، ولم يكن ميسوراً لهم أن يأتوا بسورة ولو مفتراة ، وليس أدل على عجزهم عن المعارضة من أنهم تركوها وهى — لو أمكنت — كانت أفسد لأمر الدعوة ، وأسرع فى تفريق أتباعها ، ومما يؤيد ما ذهبت إليه ، أن لكل من الجاحظ ، وأستاذه النظام — وينسب إليه مذهب الصرفة — رأياً فى الإعجاز غير الصرفة ، فالنظام يرى أن الإعجاز كان من حيث الأخبار عن الأمور الماضية ، والآتية ، والجاحظ يرى الإعجاز فى النظم ، على أن ترديد العلماء فى ماهية المذهب يقوى جانبنا (انظر الطراز ج ٣ ص ٣٩٢) . ومها يكن من شىء فأنا أستبعد أن يكون الجاحظ قائلا بالصرفة على ما فهمها العلماء ، وأرجح أن يكون ذكرها على المعنى الذى أشرت إليه ، وفوق كل ذى علم عليم .

٤ — فى حديثه عن السجع ذكر عبارتين تؤديان إلى حكمين متناقضين وهما يتعلقان بأمر ذى بال ، قال : « وليس من شك فى أن معارضة المتنبئين للقرآن ، واصطناعهم السجع فى هذه المعارضة كان له أثر كبير فى كراهية النبى والخلفاء له ، وخشيتهم الفتنة به » ومعنى هذا الكلام أنه كان للمتنبئين معارضات ، ثم قال : « وقد روت كتب السيرة نماذج من سجع مسيلمة وطليحة وسجاح وغيرهم قصد روايتها — فى أغلب الظن إلى تسخيف أولئك المتنبئين » ومعنى هذا أن هذه المعارضات من وضع الرواة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فإن مسيلمة تنبأ فى آخر حياة الرسول ، فهل بلغت معارضاته حداً جعل الرسول يكره السجع؟ أما طليحة ، فإنه وإن كان تنبأ فى حياة الرسول ، إلا أن أمره لم يعظم إلا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكر الرافعى أنه لم يدع لنفسه قرآناً لأن قومه من الفصحاء ولم يتابعوه إلا عصبية ، وإنما كانت له كلمات يزعم أنها أنزلت عليه ، ولم نظفر منها بشىء ، ففى أى كتب السيرة وجد المؤلف معارضة لطليحة؟ أما أنا فقد عثرت على كلمة له نشرت فى مقال سبق من الرسالة ولكنى لم أظفر بها فى كتب السيرة ، وأما سجاح فتنبأت بعد وفاة الرسول ، ولم تدع قرآناً وإنما كانت تزعم أنه يوحى إليها ، أفليس من حق العلم على المؤلف أن يحرر عباراته ، ويحققها ، ولا يلقى القول هكذا . . ؟!

٥ — وقد سبق أن ذكرت أن فى الكتاب مآخذ كثيرة جزئية ، وأنى سأعرض عنها ، وسأفى ، ولكنى لا أجد مندوحة من ذكر بعض أغلاط ، ربما لبست على الناشئة من قراء كتابه : ذكر أن الخطبة التى لم تشتمل على شىء من القرآن تسمى (بتراء) وذكر مثلا لذلك خطبة عمران بن حطان ، وليس الأمر كذلك فالخطبة البتراء هى التى لم يحمد الله فيها ابتداء ، وذكر كذلك الجاحظ فى أول الجزء الثانى من البيان ، وذكرته معاجم اللغة ومثلت له بخطبة زياد بن أبيه ، ولا محل للاطالة ، وأما خطبة عمران وأشباهها مما لم يشتمل على شى من القرآن فتسمى (شـــوهاء) .

وذكر قوله تعالى (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً) وقال إن فى الآية استعارة ، والذى نعرفه أن فى الآية مجازاً مرسلا ، والفرق بينهما معروف للمؤلف .

ولا يسعنا فى النهاية إلا أن نثنى على المؤلف ، ونرجو أن نتبع محاولته هذه محاولات ، وأن يكون — كما يقول — بداية تنتهى إلى غاية .

على العمارى

مطبعة الرسالة



العدد ٨٤٣ — الاثنين ٢٩ أغسطس ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

١٧ ه ٣٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 ème Année No. 843

Lundi — 29 — 8 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد «٨٤٣» القاهرة فى يوم الاثنين ٥ ذو القعدة سنة ١٣٦٨ — ٢٩ أغسطس سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

كانتـــا أمتين ..!

في عيد الباكستان (*)

لحضرة صاحب المعالى إبرهيم دسوقى أباظه باشا

كانتا أمتين انبثقت إحداهما عن الأخرى، ثم حثت الأولى خطاها إلى مستقر الخلود، وظلت الأخرى وستظل تصعد فى مراقى الحرية والكرامة، مدفوعة بما ينبض فى تجاليدها من حرارة الإيمان وصدق الجهاد اللذين تحدرا إليها من الأمة الماثلة فى الرجل الخالد محمد على جناح.

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد كان، أجزل الله مثوبته، أمة وحده حقاً، خلق أمته من حلم رف فى يقينه، وخاطر استبد بخلده؛ ثم نشأها على معان عالية من العزة والكرامة، فكانت بين عشية وضحاها خامس دولة بين دول العالم، وأول دولة بين دول الإسلام.

إن محمد على جناح الزعيم المسلم يقف وحده بين عظماء التاريخ وزعمائه فوق قمة لم يطاولها ولن يطاولها عظيم من عظماء الرجال وأفذاذهم، فقد تميز بسمات وخصائص لم تتوفر لسواه.

رجل تمخضت حركته عن إنشاء دولة وبناء أمة.

ولو تراخى الزمن بفيلسوف الضاد وشاعرها المعرى، ورأى كيف تسنم جناح هضبة المجد بأمته الباكستان وأحلها أعلى قممها وأرفعها سموقاً وعظمة ما قال هذا البيت:

وزهدنى فى هضبة المجد خبرتى … بأن قرارات الرجال وهودها

ومن هنا طاب لى أن يدور حديثى فى تحية عيد استقلال الباكستان على صاحب الفضل الأول والأخير فى هذا الاستقلال الضخم المتيد.

فالحديث عن جناح إذن هو الحديث عن الباكستان، فهما اسمان مترادفان يتواردان على مدلول واحد من العمل الخالد والمجهود المظيم.

سمعت عن منشئ الباكستان المعجب المجاب من أحاديث البطولة والتفوق، ثم أتيح لى شرف الصلة الوثيقة به، وأسعدنى بزيارة كريمة فى بيتى، فشهدت عن كثب هذه الشخصية الفريدة؛ وتحدثت إليه وتحدث إلىّ فى فنون شتى من ألوان الحديث لست خلالها تلك المثل العالية فى الوطنية الممتازة، والسيرة العامرة بمعجزات الجهاد.

إيمان عميق، وعزيمة غلابة، ونضال كريم، يترجمها مع حديث القائد الأعظم هذا البريق الحاد المتدفق من عينيه النفاذتين، ثم هذه التجاعيد المرسومة على وجهه الدقيق التى تلخص جهاده الطويل المرير فى جمع شتات قومه ودعم استقلال دولته.

عامان مرا على ميلاد هذه الأمة الفتية؛ ففى ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٧ أشرقت الباكستان فى الأفق الدولى دولة مستقلة

(*) ألقيت هذه الكلمة فى الاحتفال الكبير الذى أقامته جمعية الشبان المسلمين احتفالا بعيد استقلال الباكستان.

ذات سيادة . ولقد كانت الدعوة الدينية التي اضطلع بها القائد الأعظم عدته وعديده في بناء صرح الباكستان وجعلها قوة ملحوظة الجانب مرهوبة الشأن .

ولقد ثارت العواصف حول هذه الدولة إبان قيامها ، واكتنفتها الهزاهز تريدها على أن تحني الهام وتعود إلى الوحدة ، فأبى لها جناح الخنوع والذلة قائلا : « نحن نعلم المصير الأسود المهيأ لنا إذا اضطررنا يوماً إلى الركوع وطلب المغفرة والعودة إلى الوحدة ؛ ولذلك وطدنا العزم على ألا نفعل مهما نقاسي ومهما نشقى . امنحونا سنتين ولن يستطيع أحد بعدئذ أن يرغمنا على الركوع »

ولقد صدق القائد الأعظم حين صدق الله وعده له ، فها هي ذي دولة الباكستان تسير بخطى فسيحة متوثبة طموحة إلى أبعد الغايات وأسماها في الوطنية والقومية والاجتماع .

هيأ الله للباكستان من أمرها رشدا ، وشد أزر رجالها العاملين ليؤدوا رسالة قائدهم الأعظم التي تركها أمانة في أعناقهم . وسيكتب الله للباكستان الظفر بحقوقها كاملة والغلبة على ما يعترضها من صعاب ، لأنها شعب عميق الإيمان بشريعته السمحة ، عظيم الثقة برب السماء .

وفقنا الله جميعاً لما فيه خير الإسلام والمسلمين .

ابراهيم دسوقي أباظة

من معجزات الإسلام في القرن الرابع عشر الهجري :

بين مهاجري قفقاسيا الجنوبية

قالت السيدة : « هذه الأرض الطيبة فليباركها الرب لأهلها »

للأستاذ أحمد رمزي بك

إن القوة الإسلامية التي بعث بها الخليفة عثمان بن عفان[١] وكانت من عرب الجزيرة وأهل الشام تحت قيادة حبيب بن مسلمة الفهري إلى أرض الشمال لازمها الحظ في الحروب حتى أخضعت ما وراء أرمينية ونفذت إلى بلاد القوقاز ، ولما طلبت الإمداد جاء إليها جيش من عرب الكوفة عليهم سلمان بن ربيعة الباهلي[١] وهو سلمان الخيل وكان ذلك المدد من المنمية عن طريق أذربيجان التي يتحدثون عنها اليوم .

وانضم الجيشان حتى أتوا إلى بلاد الكرج وجاء صاحب فتوح البلدان بكتاب الأمان الذي أعطى إلى أهل تفليس وقال صاحب معجم البلدان إنها أي تفليس بقيت قروناً بيد المسلمين ثم خرجت من أيديهم ثم عادت تخضعت لآل سلجوق ثم لأهل خوارزم وأخيراً لملك التتار ولا تزال بأيديهم .

فهذه البقعة من أراضي القوقاز بجبالها العالية ومروجها الخضراء وغاباتها وثلوجها ومياهها العذبة روتها دماء الفاتحين من المسلمين ، وطالما سرحوا خيولهم فيها كما أنها استظلت بأعلام العروبة والإسلام في عهود الراشدين وبني أمية وبني العباس وفي يوم قريب من الأيام القادمة سنعثر حتما على بقايا الآثار الإسلامية وسنقرأ ويقرأ من يأتي بعدنا ما نقشه السلف على الأحجار تأكيداً لتلك الفتوح وإثباتاً بأن هذه الأرض لشعوب أسلمت ودخل أهلها في دين الله أفواجاً .

ومن حوادث القرن السابع الهجري أن الأمير بدر الدين الخازندار كان على ولاية يافا من قبل المصريين في عهد الملك الظاهر بيبرس وكان لا تشرد منه شاردة فأتاه الخبر بأن ملكا من ملوك الكرج قد دخل عكا عن طريق البحر في زي الرهبان بقصد بيت المقدس للزيارة فبعث إليه وقبض عليه وسيره للسلطان بدمشق فأنزله ببرج من أبراج قلعتها حتى بعث بنفرين إلى بلاده ليعرفهم بأمره حتى إذا تأكد السلطان من حقيقته أعاده معززاً مكرماً .

وكانت الصلات قائمة على أهل تفليس وبقية سكان من جهة جورجيا وبلاد المسلمين من جهة أخرى وأطلعني صديق لي على صور لبعض المساجد هناك وعلى المنائر وقد ظهرت بغير أهلة وقال الصديق

(١) ذكر صاحب مقالة باكو في دائرة المعارف الإسلامية اكتشاف بعض القبور الإسلامية بشواهد تحمل ٨١٨ هجريا في قصر شروان شاه وتقع في شمال باكو . أرجو الاطلاع على المراجع في نهاية الحديث

(١) لم نتمكن من التوسع في ذكر الفتوحات ومقتل سليمان الباهلي لحاجتنا إلى تحقيق الأماكن الجغرافية والقارى. يعذرنا لتغير المعالم والأسماء والاختلاف قائم حولها بين المستشرقين أنفسهم . ولكن اكتفى بنقل ما جاء في المسعودي عن سبب تسمية سليمان بن ربيعة الباهلي ص ٢٧٠ جزء ٤ : حدث محمد بن عبد الله الدمشقي أن الذي سماه بذلك هو عمر بن الخطاب إذ قال له : أنت سليمان الخيل ، وساق قصة جاء فيها ذكر المتقي بالله وورد فيها أن سليمان بن ربيعة الباهلي كان يهجن الخيل ويعديها في زمن عمر بن الخطاب .

هذا إن الناس يؤكدون أن زعيم روسيا من جورجيا والحقيقة أن والدته كرجية أما والده فهو من الشمال من أقليم « استونيا » وهو الذي يطلق عليه الجبليون « قوشحا » وهذا الصديق من أهل هذا الأقليم ويقول إن غالبية « الأساتين » مسلمون ويقلب عليهم التشيع وأن والد الزعيم البلشفي كان مسلماً شيعيا وأمه كرجية مسيحية ولما مات أبوه أرادت أن تجعل منه قسيساً فادخلته مدرسة دينية : تخرج منها يدعو إلى الثورة.

كنت في أواخر عام ١٩٢٨ بمدينة استانبول بين القارتين أوروبا وآسيا على ضفاف البوسفور ومرمرة حيث يلتقى البحران وكان قد مضى تسعة أعوام أو عشرة على إمضاء هدنة الحرب الأولى ، ومر أكثر من ذلك على قيام الثورة الروسية الكبرى التى حررت الملايين من البشر فى زعمها وسببت تشتيت الآلاف من الناس ففر المرء من موطنه ومن أمه وأبيه والتمس الخلاص من الموت ، فكانت استانبول أول مرحلة من مراحل الهجرة الطويلة التى بدأت عام ١٩١٨ ولم تنته بعد .

وكان المهاجرون يفضلون العاصمة التركية القديمة لا لأنها بقعة من أجمل بقاع الأرض فحسب بل لأن من بينهم من هم من أصحاب العقول أى الفكر ومن هم من أصحاب القلوب أى العاطفة ، فالأوائل يفضلون مركزاً قريباً يرابضون فيه للمراقبة وتلمس الأخبار فى بلادهم أما أصحاب العاطفة فهم الذين لا يصدقون بوقوع ما قد حدث ولا يسلمون بما قد رأته أعينهم ولمسته أيديهم، إذ ليست الثورة عندهم إلا كحلم من الأحلام ، فمثلهم ممن طالت به الغربة كمثل أهل الكهف « إذ يتساءلون بينهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم» كذلك هم تمر بهم الأيام والشهور والسنوات وهم فى حلم دائم ينتظرون اليقظة لتأتى إليهم بالحقيقة أو هم يسرح بهم الوهم فيقولون : « سنفتح أعيننا يوماً لنعود إلى بلادنا وأعز شىء لدينا ولن نترك استانبول أبداً لأننا الطليعة الأولى التى ستترك أرض المهجر وتستأنف حياتها الأولى بأرض الوطن يوم يزول حكم البلاشفة وليأت من بعدنا من يشاء » .

تلك كانت أمانيهم وهذه كانت آمالهم تقرأها مرسومة واضحة فى عيون الفريق الأكبر من مهاجرى روسيا سواء من موسكو أو شبه جزيرة القريم أو بلاد القوقاز . رأيتهم وعاشرتهم وصادقتهم وأنست بهم فى العاصمة القديمة للدولة العثمانية ، كانوا من أجناس وأعمار مختلفة ولم يكونوا من طبقة أو فئة واحدة فنقول النبلاء مثلا أو الرأسماليين أو التجار أو الصناع أى الذين أضرت بهم الثورة بل كان بينهم العمال والزارعون والخدام ، لم يكونوا من جنس واحد أو وطن واحد أو دين واحد بل كانوا يهوداً ونصارى ومسلمين كانوا شيعة وسنية . فهم مع اختلاف أديانهم وطبقاتهم وأجناسهم ومراتبهم يمثلون دنيا بأكملها لا وطناً واحدا بل يمثلون قارة من القارات .

وكانوا مع اختلافهم هذا وتباين مذاهبهم السياسية والفكرية تجمعهم عقيدة واحدة وأمل ثابت وفكرة راسخة : هى أنهم مهما طال بهم الزمن وأن تقطعت بهم الأسباب سيعودون يوماً ما إلى تلك الأرض الشرود التى ولدوا عليها ونشأوا بها ، والتى ذهبت من بين أيديهم فصارت حلماً فى أذهانهم يمثله الحنين الدائم والذكريات الحائمة على صدورهم وخفقات القلوب لدى أى خبر يأتى من عزيز فى بلاد لا طريق للوصول إليها .

***

وكانت الحكومة التركية قد أمضت مع الحكومة السوفيتية الروسية اتفاقاً للجنسية جعلت فيه نصاً يخول كل مسلم من مسلمى روسيا يلجأ إلى الأراضى التركية الحق فى اختيار الجنسية التركية وحرمت على اللاجئين من غير المسلمين هذا الاختيار فكان من نتيجة ذلك أن حصل المسلمون من المهاجرين على تبعية البلاد التى استوطنوها وتمتعوا بحقوق المواطن التركى بينما بقى الآف غيرهم يحملون جوازات السفر التى أطلقوا عليها اسم « نانسن » والتى تجعلهم عرضة للنفى والتشريد فى أى وقت — وبمرور الزمن تبين لفريق كبير من المهاجرين هذا النص فقالوا لأنفسهم إن كل مهاجر من أصل رومى أو من الأجناس التى خضعت لروسيا ينشرح صدره للاسلام ويشهر اعتناقه له ، يكتسب تواً الجنسية التركية ويصبح عالقاً بتلك الأرض الطيبة التى تفيض عسلاً ولبناً حيث المناظر الخلابة والمياه العذبة والطيور المغردة وحيث الحياة اللينة السهلة التى تعطى ما نشتهى، وأهم من كل ذلك العيش فى عالم قريب

من الأرض التي نحن إليها — فلم لا نقدم على ذلك ؟

وكان أن دخل عدد من المهاجرين فى دين الله أفواجاً منهم اليهودى والارثوذكسى والحر المقيدة ، وفيهم التاجر والمالى والفنان ، منهم من آمن بحق ومنهم آمن ظاهرياً وبقى على دينه الأصلى ولكنهم جميعاً تسموا بأسماء تركية وأخرى إسلامية وسجلوا ذلك على أنفسهم فأصبحت معاملاتهم وتصرفاتهم خاضعة لصفتهم الجديدة وشخصيتهم التى أخذوها وبهذا ضمنوا كاخوانهم المسلمين البقاء فى تركيا والحصول على تبعية خاصة وتنازلوا عن أوراق « نانسن » وقواعدها ومضايقاتها وفى ذلك كله راحة كبرى واستقرار لهم .

ومن العائلات التى قذفت بها ثورة ١٩١٧ إلى الهجرة عائلة من أشراف مدينة تفليس تعرفت إليها بمدينة استانبول وارتبطت منها بروابط الصداقة والمودة الدائمة وكان تركها لموطنها الأصلى شاملا أى كان بالخدم والاتباع صغاراً وكباراً وكانت إقامتها فى مدينة استانبول ثم نقلت إلى ضاحية على الشاطىء الأسيوى . وكان منزل هذه الجماعة قطعة صغيرة من أراضى جورجيا الشهيدة يجمع كل مافى الروح القوقازية من مرح وسرور وحيوية مع أدب جم وحساسية متناهية وعطف على الفقير وتواضع مع الناس بغير تبذل وكانت مظاهر الكرم والرغبة فى إدخال السرور وإراحة على الضيوف من الأمور الثابتة الراسخة التى يقوم بها الصغير قبل الكبير أو الخادم عند غياب السيد ، وتفليس ملتقى الشرق مع الغرب بل هى قطعة من هذا الشرق الأوسط ارتبطنا بها خلال القرون الماضية ، لا يفصلنا عنا فاصل .

ومن منا لم يسمع بمدينة مراغه وعلمائها أو برذعة[1] وما كان عليه فى الماضى وهذه الأنهار المنحدرة من جبال قفقاسيا أو من جبال آسيا الصغرى يعرفها مؤرخو العرب ويتحدث عنها مؤلفوهم ويشاء القدر أن تلتقى الأنهر وتصب فى بحر قزوين . فالصلات بيننا وبين تفليس كانت قائمة مستمرة ولم يقطعها إلا مجيء الروس فى غفلة من الزمن وقطعهم لهذه البلاد وحرماننا منهم وحرمانهم منا .

فالوصل حالة طبيعية والقطع الروسى حالة غير طبيعية : نتساءل إلى متى تدوم ؟ ولذلك تشعر أنك لست غريباً عن هؤلاء القوم من أهل تفليس حيث تطل جبال قفقاسيا من الشمال وحيث تظهر فى أحيائها المنابر وبقايا المساجد التى كانت يوماً ما عامرة .

لقد أنسنا بالأيام والليالى التى قضيناها مع القوم بل سعدنا بها وكان بالمنزل الذى يقع على شاطىء بحر مرمرة وكيل يدعى قافترانز نشأ أرثوذكسياً على مذهب كنيسة جورجيا وانتهى به المطاف أن دخل وتسمى باسم تركى ، وكان يعامل كأحد أفراد العائلة ، لا يرد له طلب ولا يجنح بطبعه إلى شدة أو إلحاح ؛ فهو جزء من البيت الذى اعتاد عليه فى تفليس واستمر على العيش فيه بتركيا لا فارق بين الحالين سوى السنوات تمضى سراعاً .

كان محدثنا ابقاً له مكانه على المائدة الرئيسية : يشرب الأنخاب ويحضر لكل ضيف كلمة طيبة يلقيها بأسلوبه الخطابى مرحباً بالضيف هاتفاً باسمه ولا تنسى أن الموائد تبدأ من الثامنة ولا تنتهى إلا عند انتصاف الليل ، كانت تمد بالردهة الكبرى شتاء ، وفى الحديقة تحت ظلال الأشجار المطلة على البحر صيفاً ، حيث تكشف وأنت جالس مناظر جزر الأمراء (برينكبو) ، ومرت الأيام واعتدنا اللغة الكرجية وألفاظ التحية بها ، وأعقب الصيف شتاء وجاءت السنوات تترى . وفى يوم أيام الصيف ١٩٣٤ توفى هذا الرجل الذى أمضى حياته مع أهل هذا البيت الكريم .

وكانت السيدة الفاضلة تعرف قدر إيمانه وتمسكه ، فأمرت بأن يؤتى بقسيس أرثوذكسى وأن يقيم مراسم الصلاة ليلا ، وأوقدت الشموع وسهر أهل البيت يرتلون الصلاة وينشدون ترانيم بلاد الكرج بلسان أوطانهم ، حتى انتهى الأمر عند مطلع الفجر ، وانصرف رجال الدين وقد نفحتهم بمبلغ لا يستهان به . وكان خروجهم من المنزل تحت جنح الظلام فى قارب أعد لهم لينقلهم إلى المرسى المجاور حتى لا ينتبه لمقدمهم ومسيرهم أهل القرية .

وفى الصباح المبكر جاء مختار القرية ومعه الهيئة الاختيارية من أهل بوستنجى ومعهم الخطيب والإمام ، وتسلموا جثمان الوكيل وتولوا غسله وتكفينه على سنة النبى العربى وتعاليم الإسلام ،

(١) ذكر صاحب تجارب الأمم فى حوادث سنة ٣٣٢ هـ خبر مجي الروس واحتلالهم برذعة ثم طردهم منها وتسمى الآن على الخرائط Berada ويسمى نهر الترثور Terter

وساروا به فى جنـازة محمولاً فى نعش على الأعناق ، حتى أتوا المسجد فصلوا عليه صلاة المسلمين ، وقاموا بدفنه فى قبور المسلمين وانصرفوا بعد أن قدموا تعازيهم لأهل الفقيـد والسيدة الفاضلة

وكانت السيدة على شيء كبير من مكارم الأخـلاق ، يغلب عليها الحيـاء وتخشى أن تجرح الناس فى عواطفهم وأفـكارهم ، فاستعملت الحيلة مع مختار القرية وإمامها ، ووسطت من حادثهم برفق وتؤدة ، وطلبت إليهم أن يعلموها عن رسوم الحكومة وتكاليف الجنازة ، وما يطلبه أهل المسجد الذى أقيمت الصلاة فيه ، وما تكلفته البلدية من ثمن للكفن والغسل ومكان للدفن فدهشت السيدة حينما تقدم كبير القرية وقرر أمامها : أن القرية لاتطلب شيئاً وأن الجماعة من الرجال الذين حملوا النعش متطوعون وأن ما قام به إمام المسجد وخطيبه إنما هو واجب عليهم إزاء كل مسلم ، وأن هذا البلد ليرحب بأن يدفن فى ثراه رجل نطق بالشهادتين وأتى إلى بلادهم لاجئاً لحباه الله بنور الإسلام والهداية .

ونظرت السيدة الفاضلة إلينا نحن معاشر المسلمين وقد أتمت حديثها ، وقامت من مقعدها وأخذت حفنـة من تراب الحديقة وقالت : هذه الأرض الطيبة فليباركها الله ، لقد حمتنا بعد جور وأنقذتنا من ظلم ، أما إن أر ما رأيت من أهل الإسلام وما بذلوه لغريب ليس منهم ، فإنى لولا قدم الإسم الذى أحمله لأعلنت اليوم إسلامى ودخلت بينكم . إننى أفهم لماذا لاتدخل الشيوعية بينكم ...

أحمد رمزى

المراجع :

(١) راجع فتوح البلدان فى باب فتوح أرمينية ص ١٩٨ وفتح أذربيجان ص ٣٢١

(٢) راجع دائرة المعارف الاسلامية فى مادة أذربيجان .

(٣) يقول بارتولد كاتب مقالة ترك فى دائرة المعارف الإسلامية :

« إن أهالى ترك أسلموا فى القرن الثامن الهجرى » . ونهر ترك فى شمالى جبال القوقاز تقع على جانبيه جمهورية القاباردای .

(٤) ذكر ابن خلدون فى تاريخه ص ٣٨٣ الجزء ٢ طبعه :

كان الترك والخزر يعتقدون أن المسلمين لا يقتلون لما رأوا من شدتهم وظهورهم فى غزواتهم . فكانوا يفرون منهم حتى كمنوا لهم فى بعض القيافى فقتلوا منهم فتجاسروا على حربهم .

(٥) اليعقوبى جزء ٢ ص ١٤٥

كتب عثمان إلى سلمان بإمرته على أرمينية فسار حتى أتى البيلقان ، فخرج إليه أهلها فصالحوه ومضى حتى أتى برذعة فصالحه أهلها على شىء معلوم . ونفذ سلمان إلى شروان (على بحر قزوين) فصالحه ملكها ، ثم سار حتى أتى أرض مسقط وصالح أهلها وفعل مثل ذلك ملك اللكز (وقد يكونوا Lesginky) .

(٦) المسعودى ص ١٧٢ ج ١

كانت الأبخاز والخزرية يؤدون الجزية إلى صاحب ثغر تفليس منذ فتحت تفليس وسكنها المسلمون إلى أيام المتوكل .

وفى ص ٧٣ ج :

وهؤلاء الضبارية (من سكان جنوب القوقاز) يزعمون أنهم من العرب من نزار بن معد بن مضر وأنهم فخذ من عقيل سكنوا هنالك فى قديم الزمن وهم هناك مستظهرون على كثير من الأمم

جيوفانى بوكاشيو

للسيدة الفاضلة ماهرة النقشبندى

١٣١٣ – ١٣٧٥

ولد جيوفانى بوكاشيو فى باريس عام ١٣١٣، حينما كان والده فى زيارة لتلك المدينة فى مهمة تجارية . فقد أحب الوالد فتاة فرنسية تدعى « جان » ، وكان جيوفانى ثمرة هذا الحب الجامح ، ولم يعرف من حنان هذه الأم أو ذكرياتها سوى بعض الحروف المتشابهة التى يحملها اسمه من اسمها ، إذ عاد به والده إلى فلورنسا بعد سنة من ولادته ، وتزوج مباشرة بفتاة اسمها « مرغريتا » ولدت له ولداً شرعياً سماه « فرنسسكو » . لقد كانت طفولته خالية من الحنان والرحمة والرعاية ، فماتت فى نفسه الغضة المعانى الإنسانية فى الحياة لأنه لم يشعر بها ، وهذا يفسر من ناحية نفسية قسوته الشديدة وتهكمه المرير وعبثه بالفضائل المعنوية التى يعلم أن البشر لا يعرفونها أبداً ، فى قصصه ، وفى الأشخاص الذين تتصل بهم تلك القصص من قريب أو بعيد .

وقد قضى وقتاً غير يسير من طفولته فى تسكانيا ، ووقتاً فى مسقط رأس والده ، وحيناً فى ضواحى فلورنسا ، وخاصة فى التلال حول فيزول ، حيث كتب كتابه العظيم « دى كامرون » وأعماله الأدبية الأخرى . وأرسله أبوه إلى « نابولى » وهو لا يزال شاباً فى الحادية والعشرين من عمره ليتعلم مهنة تكون عوناً له على حياته المقبلة . وهناك فى تلك المدينة الساحرة ، لقى صبيحة يوم السبت — المقدس فى كنيسة القديس لورنزو — فياميتا الإبنة غير الشرعية لملك روبرت ملك نابولى الملقب « بالعاقل » ، فأحبها من النظرة الأولى حباً ملك عليه قلبه وحياته وجعله مسلوب اللب لا يعيش إلا لأجلها مدة اثنتى عشرة سنة ، حتى ماتت عام ١٣٤٨ فى الوباء المعروف فى التاريخ الأوربى بالموت الأسود .

كان حبه يشابه فى شدته حب بترارك للورا ، وقد أوحى إليه هذا الوله المنيف جميع أعماله الأدبية الأولى ، ومن بينها أول قصة سيكولوجية فى التاريخ سماها « فياميتا المحبوبة » .

وظهر ميله الأدبى المبكر وهو فى نابولى ، فرأى والده أن يوافق على رغبته فى تعلم القانون ، وأن يترك ما كان فيه ، ولكن إفلاس والده المالى ، وعودته مضطراً إلى فلورنسا عام ١٣٤١ ، أعاده إلى الأدب وحال بينه وبين المضى فى دراسة القانون .

وبدأ فى نابولى آثاراً أدبية أتمها فى فلورنسا منها « فيلوكولو » و « فيلوستراتو » و « تسيد » ؛ وزاد على تلك الآثار « اميتو » و « فياميتا » و « نتفال فينسالانو » . وعاد بعد ذلك إلى نابولى . أما فياميتا ، فقد كان قلبها يخفق بحب غيره حتى قبل مغادرته نابولى . والمعتقد أنها توفيت سنة ١٣٤٨ فى وباء الموت الأسود المروع الذى يعتبر نهاية العصور الوسيطة فى التاريخ ، فقد أهلك ثلاثة من كل خمسة أشخاص فى فلورنسا ونابولى ومختلف بقاع أوربا وانجلترا ، فكان موتها ضربة أليمة لقلبه المعذب . وقد خلدها فى الفصل الأول الذى يفتتح به كتابه العظيم « دى كامرون » إذ يعترف أن هذا الحب هو الذى دفعه إلى كتابة هذا الأثر الخالد ، وفى القصص التى كتبها سابقاً يعود إليها فصلا فصلا ، فيشيع فى جوها حب فياميتا واللوعة على فراقها والحنين إليها .

لقد كان حبه لفياميتا الأساس لجميع أعماله الأدبية ، حتى رأى بترارك فنشأت بينهما مودة متبادلة كانت عوناً له على تناسى بعض آلامه وعلى شفاء بعض الجراح العميقة التى سببها موتها .

لقد مات الحس المرهف فى خياله ، وخبا النور الذى كان يشرق على بصيرته فى شمس الحب ، فتبلد حسه ، وتحجرت عواطفه ، وانتهت أجمل فترة من فترات الإلهام ، فكتب بعد « دى كامرون » كتابه « كاربا كشيو » وهو مجموعة من الهجاء المقذع ما رأته لغة من اللغات ، صب جام غضبه فيه على الدنيا التى حرمته الحب وعذبته بقسوتها ...

ثم هدأت الثورة قليلا فى عواطفه ، ومال من تلقاء نفسه وبتشجيع من صديقه بترارك إلى نوع من الاستقرار وتناسى الماضى ، فأخذ يدرس الآداب اللاتينية والإغريقية ، وكتب كتابه « تاريخ حياة دانتى » ، وأهدى نسخة من « الكوميديا الإلهية » إلى صديقه بترارك ، وأهدى إليه بترارك فى مقابل ذلك مجموعة خطية من إلياذة هوميروس .

لقد رأى بترارك للمرة الأولى فى ربيع عام ١٣٥١ فى مدينة

بادوا ، حيث ذهب إليه يرحب به باسم مدينة فلورنسا ليعود من منفاه . فشاهد حماسه الشديد للآداب الكلاسيكية أو الدراسات المقدسة ، وعدم رضاه عن الأدب الإيطالى ، وقد كان لذلك ، لسوء الحظ الأثر الفعال فى نفس بوكاشيو ، فترك العناية بالأدب المعاصر ، وقصر مجهوده الأدبى على دراسة آداب اللغة اللاتينية وكل ما يتصل بها .

لقد كان بوكاشيو أديباً أصيلا ، وفناناً مبدعاً ، وفلتة نادرة من فلتات الذكاء التى تراها الإنسانية فى سيرها الطويل فى فترات متباعدة جداً ، وفى أشخاص تخلقهم القدرة المبدعة لعمل يحمله الزمن إلى ذروة الخلود . لقد خلق فى كتابه « دى كامرون » عالماً جميلا يموج بالحركة والإحساس العميق . فهو يجلس فى عالم الخلود الأدبى إلى جانب دانتى وتشوسر وشكسبير . وقلما عرف التاريخ الأدبى فناناً مرهف الحس يجمع إلى فنه علماً غزيراً وجلداً على دراسات مضنية تتطلب صبراً جميلا . ليس فى مقدورنا أن نزعم أن بوكاشيو كان من هذا الطراز النادر ، كما أنه ليس من الإنصاف أن نبخس مؤلفاته فى اللغة اللاتينية حقها من التقدير ، فقد كانت دائرة معارف الأدباء ومعجمهم فى أوائل عصر النهضة ، وهو وإن لم يبذل فى تأليفها أكثر من مجهود الجمع والترتيب ، كان بجلده الرائع وصبره وأناته الوحيد الذى حفظ للعالم قصائد هوميروس .

إن إيطاليا وأوربا مدينتان لبوكاشيو بحفظ آثار أعظم شاعر تفخر به الأجيال ... لقد بذل بترارك مجهوداً فى جمع تلك القصائد التى لم يكن فى مقدور أحد فى أوربا قراءتها فى اللغة اليونانية ، ولكن بوكاشيو هو الذى أخذ تلك القصائد وراح يراجعها كلمة كلمة ويعيد كتابتها مستعيناً بليون بلاتوس الذى كان يلفظ له حروف الكلمات اليونانية ، وبذلك تمكن بوكاشيو من ترجمتها بأسرها إلى اللسان اللاتينى .

كانت حياته الخاصة سلسلة من الآلام والعذاب ، ولم يكن يخفف من قسوتها عليه غير العطف الذى كان يغمره به بترارك وزيارته لأسرة هذا الصديق . كان معدماً ينغص عليه الحياة القاسية خوف وتشاؤم من الموت ومن المصير المجهول فى العالم الآخر ، ذلك الخوف الذى استطاع بترارك أن يخفف شيئاً من وقعه عليه ويهدئ قليلا من سواد أفكاره . كان مهملا فى زمانه لا يعرف أحداً . وابتسم الحظ له فى أخريات أيامه ، فاختير لملء أول كرسى فى جامعة فلورنسا أسس باسم دانتى ، وكأنما جاء تكريم دانتى فى الوقت المناسب لتخفيف وطأة الفقر ، وراح يحاضر عن « الكوميديا الإلهية » ويدافع عن شعر دانتى ، ذلك الشعر الذى أحبه وتعصب له حتى مع صديقه بترارك . وألقى محاضرته الأولى فى شهر تشرين الأول من عام ١٣٧٣ ، وكان فى الستين من عمره ، واستمر يحاضر حتى بلغ النشيد السابع عشر من الجحيم فى الكوميديا الإلهية ، فداهمه مرض شديد أقعده عن العمل ، وبقى يعانى سكرات الموت حتى اليوم الحادى والعشرين من شهر كانون الأول سنة ١٣٧٦ ، فأراحه الموت من عذاب الحياة بعد أن ذاق حسرة موت صديقه بترارك فى صيف ١٣٧٤ .

***

لقد ذكرنا فيما مضى أن جميع ما كتبه بوكاشيو فى اللغة الإيطالية كان من وحى فياميتا التى أحبها ، ففى الصفحات الأولى من كتابه « دى كامرون » نرى أنه لم ينس حب تلك الفتاة بعد أن كتب عنها — أو متأثراً بها — ستة مؤلفات نثرية ، فافتتح ذلك الكتاب العظيم بالإشارة إليها دون أن يذكر اسمها ، وختمه بنفس الطريقة والأسلوب . إن جميع الأسماء التى قص على لسانها فى كتابه مائة قصة فى عشرة أيام خيالية محضة ما عدا اسمها « فياميتا » . أما بوكاشيو ، فإنك لا تجد له ظلا فى تلك القصص المائة . إن العجب ليأخذ الناقد الحصيف وهو يرسل رأيه ويتأمل كتابه الخالد « دى كامرون » الذى يمثل نبوغه ومجونه وتسامحه الكثير ومحبته العميقة للانسانية ، إذ يجده على النقيض فى مؤلفاته الأخرى التى كتبها باللغة الإيطالية الدارجة ، لا يعبر كما عبرت عن حوادث حياته الخاصة ، وآرائه فى الحياة وحبه وكرهه وسخطه.

إننا نتلاقى مع بوكاشيو فى هذا الكتاب مرة أو مرتين ، ولكن فى غير القصص التى يبدو غامضاً جداً فى حوادثها وأشخاصها ورسم أهدافها .

إن تصميمه الفنى لهذه القصص يدل على فن أصيل وعبقرية فذة وذكاء مفرط ، استطاع أن يشيع فيها عالماً تضطرم فيه الحياة بكل ما فيها من أحزان ومسرات ، وظواهر وأسرار . لقد نفذ

بعبقريته الفذة إلى ما وراء مظاهر الأشياء ، نفذ إلى أسرار النفس الإنسانية فصور أفراحها وأحزانها ، صفحها وانتقامها ، رحمتها وحقدها ، كرمها وبخلها ، تصويراً عميقاً شاملاً ، لم تشذ عنه النفس ، ولم يتوار عنه ضمير ؛ فكان بذلك « شكسبير » عظيم الأثر في عصره ، وفي العصور التي حملها فجر الزمن من بعده ، يقرأها المرء فيجد فيها وصفاً لما يضطرع بين جنبيه من ألم وعذاب ، ومرح وسرور ، في أي عصر كان ، وهذا عمل العباقرة الخالدين !

إن كتاب ألف ليلة وليلة يتوارى خجلا أمام دي كامرون إذا وضعا في ميزان التقدير وتحت ضوء النقد . إن كتاب ألف ليلة وليلة لا يقوم في مجموعه إلا على ملك مستبد يقتل زوجاته لألم في نفسه من النساء ، وعلى شهرزاد الفتاة الأديبة التي تقص عليه تلك القصص ، ولا تهدف إلى غاية غير استبعاد الكارثة وإطالة أمد المقاومة والتعلق بآمال الغيب ، لعل المعجزة تتم فتنجو بحياتها ، ولكن هذا القلق لا يلبث أن يتلاشى رويداً رويداً من نفسها بحكم ما تثيره قصصها من اللذة في نفس الملك شهريار . أما دي كامرون ، فتقوم حوادثه على ثلاثة من الفتيان وسبع من الفتيات ولوا هاربين إلى سفوح تلال الفيزول من الموت الذي أباد مدناً بأسرها ... يروون تلك القصص تناسياً للآلام وتوارياً خلفها من خيال الموت !

تعتبر مقدمة اليوم الأول من قطع الوصف الخالدة في الآداب الإنسانية عامة صور فيها مدينة فلورنسا في قبضة الوباء المهلك عام ١٣٤٨ وقد أقفرت شوارعها من الحركة وتكدست الجثث هنا وهنالك وقد فاحت منها الروائح المنكرة ، تصويراً لا يلحقه فيه لاحق ... صور ذلك الصمت الشامل الذي يغشى المدينة فلا يسمع فيها غير قهقهات خافتة من بقايا أجساد حطمت الكارثة كل ما فيها من حس إنساني وشعور نبيل ، وغير مجموعات أخرى تتحرك وقد خولطت عقولها وعبث بها الرعب ففدت كأشباح الموتى .

وفي صبيحة يوم من أيام الثلاثاء تلاقت في الصلاة سبع فتيات في كنيسة القديسة ماريا فلورنسا ، فاقترحت عليهن كبراهن بامبينا أن يرافقنها إلى الريف هرباً من الموت ، حيث يعشن في أحضان الطبيعة ، في قصر ريفي لإحداهن عيشة الفضيلة والانقطاع عن الناس فلا تصل إليهن يد الموت وتشاء المصادفات أن يدخل الكنيسة في تلك اللحظة ثلاثة شبان يتصل أكبرهم ببامبينا بصلة القرابة ، فاقترحت عليهم الانضمام إليهن فوافقوا مغتبطين .

وفي فجر اليوم التالي كانوا في طريقهم إلى ذلك الريف ، فاستقربهم النوى في قصر جميل وارته الأشجار وقامت على جوانبه الحدائق الوارفة . واقترحت بامبينا أيضاً أن يختاروا في كل يوم رئيساً عليهم يكلون إليه أمرهم بحيث يكون كل منهم مسؤولاً بدوره . وتم انتخاب بامبينا في اليوم الأول فوضعوا على رأسها أكليلاً من أغصان شجر الغار . وبعد غروب الشمس أخذوا طريقهم إلى حقل غطى العشب الأخضر أرضه ... وهنالك جلسوا في دائرة وطلبت بامبينا ملكة ذلك اليوم أن يقص كل واحد قصة في كل يوم ، وقد رأوا في اقتراحها طرافة فوافقوا عليه ... وتلفتت بامبينا إلى بامفيلو الذي كان يجلس على يمينها وأمرته أن يبتدىء بقصة ، وهكذا تأخذ هذه القصص طريقها إلى الوجود .

من هذا النوع من التصميم تنبع قصص بوكاشيو في دي كامرون ، وهي تشابه قصص ألف ليلة وليلة في بقاء القاصين في مكان واحد في حقل العشب الأخضر في تلال الفيزول ، وفي غرفة الملك شهريار في بغداد . وهو جمود يضفي على قصص الكتابين لوناً من الكسل والخمول . أما قصص كانتبارى تشوسر فتتسم بالحركة والنشاط والحياة ، فالحجاج الذين يقصون القصص لهم سمات الأحياء تميزهم وتتعرف شخصياتهم في سهولة ويسر .

والضعف الذي نلمسه في قصص ديكامرون حين نقارنها بقصص كانتبارى لا يتصل بالخطوط الرئيسية في بنائها وإنما يتصل في الأشخاص . فأشخاص قصص كانتبارى يتحركون فيمثلون الحياة الاجتماعية الإنجليزية في القرن الرابع عشر ، لكل منهم شخصيته مستقلة واضحة المعالم . أما أشخاص بوكاشيو فليس في المقدور تمييز الواحد عن الآخر . وليس هنالك فارق بين لورتا وفيلومينا ، وربما حسبناهما ديونيو أو فيلستراتو . أما فياميتا أقوى أشخاصه فإننا لا نراها وإنما نستمع إليه يصف جمالها وذكرياتها ويقحمها في مجال القصص من وقت إلى آخر .

(البقية في العدد القادم) ماهرة النقشبندي

على هامش (دراسات عن المقدمة) :

رأي ابن خلدون عند الحصري

للأستاذ محمـــد سليم الرشدان

— ١ —

كتب الأستاذ أبو خلدون (ساطع الحصرى بك) فى العددين (٨١٩ و ٨٢٠) من الرسالة الزاهرة ، بحثاً فيما أورده جواباً على سؤال تقدم به إليه الأستاذ الكبير (صاحب الرسالة) وكان مؤداه : « هل الشقاق طبع فى العرب ؟ » . وقد تطرق الأستاذ الحصرى فى جوابه إلى الحديث عن ابن خلدون وعن رأيه فى العرب الذى جاء فى مقدمة تاريخه . ثم تدرج من خلال ذلك إلى الحديث عن كتابه (دراسات عن مقدمة ابن خلدون) واستشهد من هذه الدراسات (بنموذجين من البراهين المسرودة فيها) . كان أحدهما من القسم الأول عن المقدمة ، والثانى من القسم الأخير منها .

فأغرانى حديث الأستاذ هناك أن أصطحب (دراساته) تلك ، لأجعلها شغل فراغى فى المصيف الذى جنحت إليه ، فكانت خير مشغلة ، وكانت نعم الرفيق . وهأنذا أتقدم بهذه الكلمة المتواضعة ، تعليقاً على هامش تلك (الدراسات) فأقول :

لقد كان الوازع الذى حفز الأستاذ الحصرى لإصدار هذا الكتاب — كما أحسست من دراسته — أنه أعجب بابن خلدون إعجاباً جمله يتسكنى باسمه ، ولذلك يدافع عنه فى رد هذا المأخذ الذى أخذه الناس عليه من رأيه (فى العرب) . ولقد حاول جهد طاقته أن يظهره بمظهر الحدب الشفيق ، وأن يلبس أقواله زخرفاً يخضد معه كثيراً من هذه الأشواك التى يلمسها (ناتئة وخازة) كل من ينصرف إلى دراسة آراء هذا المؤرخ الفاضل فى الأمة العربية منذ أقدم أزمانها إلى أيامه .

وإنك لتجد الأستاذ الحصرى فى (دراساته) يبذل غاية الجهد فى هذا السبيل . فهو لا يدع حجة تلوح له من قريب أو بعيد إلا ساقها . فيستشهد بنص يورده كاتب فرنسى . كما يشير إلى آخر يورده كاتب تركى . ويقبل بعد هذا على كلام المؤرخ يستقرئه حيناً ، ويحمله فوق ما يحتمل أحايين . ثم لا يقف عند هذا الحد ، بل يلجأ إلى كلام تواطأت عليه العامة ، فيدور حوله طويلاً حتى يكاد يبرزه بين معظم هذه السطور التى أعدها للدفاع عن ابن خلدون . وهأنذا أسوق للقارئ الكريم طرفاً من دفاعه ، وأظهر مبلغ تساوقه مع الحقيقة ، مستشهداً — ما وسعنى المقام — فى استجلاء ما أشكل وانبهم ، بكلام المؤرخ نفسه كما أورده فى مقدمته .

يقول الأستاذ الحصرى عن كلمة العرب عند ابن خلدون ما يلى :

« إن كلمة العرب فى مقدمة ابن خلدون من الكلمات التى ولدت أغرب الالتباسات وأنتجت أسوأ النتائج . ذلك لأن ابن خلدون استعمل الكلمة المذكورة بمعنى البدو والأعراب ، خلافاً للمعنى الذى نفهمه منها الآن ، كما يتبين من الدلائل والقرائن الكثيرة المنبثة فى جميع أقسام المقدمة ... (١) »

ويتحدث بعد هذا طويلا عن دحضه أقوال الكثير ممن تحاملوا على ابن خلدون بسبب خطئهم فى فهم ما يقصده من كلمة (العرب) . ومن هؤلاء — على حد تعبيره — مدير المعارف العراقية الذى دعا إلى « حرق كتبه ونبش قبره باسم القومية ، زاعماً أنه من الكافرين بالعروبة ... (٢) »

ثم يورد بعد ذلك ما يذكره علماء اللغة فى تعريف كلمتى (العرب والأعراب) فيعقب عليه بقوله : « يظهر من ذلك أن مدلول كلمة العرب تطور تطوراً كبيراً خلال أدوار التاريخ . ويمكننا أن نعين اتجاه هذا التطور بالصفات الثلاث التالية :

أولا : كان مدلول كلمة العرب يختص بالبدو وحدهم .

ثانياً : صار يشمل هذا المدلول من يسكن المدن والأمصار من غير أن يقطع صلاته بالبادية ...

ثالثاً : (وهنا موضع الشاهد) صار يشمل مدلول كلمة العرب سكنة الأمصار أيضاً ، بقطع النظر عن صلاتهم بالبادية ، أو رجوع نسبهم إلى البادية ... (٣) »

وهكذا يحدد الحصرى مدلول هذه الكلمة فى صفات ثلاث

---

(١) ص ١٠٧ س ٣ ج ١ من كتاب (دراسات ..)

(٢) دراسات ص ص ١٠٧ س ١٤ ج ١

(٣) ص ١٠٨ س ١٥ ج ١

تطورت — كما يقول — مع أدوار التاريخ . ودعنى أيها القارئ الكريم أقف بك عند كل واحدة منها ، مبتدئاً — حسب الترتيب الذى سار عليه — بالأولى حيث يقول : « كان مدلول كلمة العرب يختص بالبدو وحدهم . . » و (كان) هذه تحتمل من الإمكان ما نعيدها معه إلى إبان صدر الإسلام وما قبله ، حيث جعلها الأستاذ بداية التطور خلال أدوار التاريخ . ولو تساءلنا على ضوء هذا التحديد ، عما إذا ورد فى القرآن الكريم — وهو قاموس العربية — ما يؤيد قول الحصرى ! لألفينا الجواب بأن القرآن الكريم لم يخصص كلمة (العرب) للبدو ، وإنما خصص لهم غيرها حين يقول : (الأعراب أشد كفراً ونفاقاً ...[1]) و (قالت الأعراب آمنا ...[2]) . وهذا النبى صلوات الله عليه يقول : « ليس لعربى على عجمى فضل إلا بالتقوى ...[3] » وما أظنه يقصد بالعربى (هنا) من كان مقيما فى البادية دون سواه ! وهذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه يقول يوم السقيفة : « نحن المهاجرون ، أول الناس إسلاما وأكرمهم أحسابا ... وأكثر الناس ولادة فى العرب ... » وهو يقصد بالعرب أهل (مكة) . وهى حاضرة الجزيرة يومذاك .

وبما أن الأستاذ الحصرى لم يحدد زمناً يربط به تطور مدلول هذه الكلمة ، فالاعتراض عليه لا يتجاوز حد الافتراض . ولذلك فإننا نقف بهذا الذى أوردناه إلى جانب أول وصف لمدلول هذه الكلمة عنده ، ثم نترك للقارئ الكريم الحكم عليها . . وننتقل إلى الصفة الثانية فنجده يقول فيها : « صار يشمل هذا المدلول من يسكن المدن والأمصار من غير أن يقطع صلاته بالبادية . . » ولا أظنه يقف ابن خلدون عند هذا التعريف . وإنه لو فعل ذلك لأقام الدليل بنفسه على بطلان ما يقوله فى دفاعه عنه . ولأثبت عندئذ أن ابن خلدون إنما قصد أهل الأمصار من العرب بقوله ، وهو عكس ما يريده ويبتغيه . . إذن فلم يبق أمامنا غير التعريف الثالث ، وهو الذى يقول فيه : أن مدلول كلمة العرب « صار يشمل . . سكنة الأمصار بقطع النظر عن صلاتهم بالبادية . . » وفى هذا الوصف ثالثة الأثافى ! فهو إن كان قد تطور خلال أدوار التاريخ ، فلا بد من أن يكون قد عاصر ابن خلدون أو تقدم عنه أو جاء بعده . فإن كانت الأولى أو الثانية ، فقد جعل قوله حجة عليه ، ولم تبق هنالك حاجة لإقامة برهان . وإن كانت الثالثة ، فقد أنطق ابن خلدون بالغيب ، وجعله يتحدث بلسان الزمن قبل أن يجيء . وهيهات أن يكون ذلك كذلك ؟!

وإليك أيها القارئ ما يجيبنا به الأستاذ على كل ما تقدم حين يقول : « ومما تجب ملاحظته أن هـذا التطور لم يكن تاماً ولا قاطعاً . . لأن الطور الأول لا يزال مستمراً فى استعمال العوام . . فقد تعود الناس فى جميع البلاد العربية استعمال كلمة (العرب) بمعنى البدوى والفلاح ...[1] »

ولا أدرى كيف (تطور تطوراً كبيراً خلال أدوار التاريخ) ثم نجد تطوره بعد ذلك (لم يكن تاماً ولا قاطعاً) !! بل يستمر الطور الأول منه فى استعمال العوام إلى يوم الناس هذا !! وإنه ليلذ لى أن اتساءل فى هذا المقام : لماذا لم يظهر مثل هذا الالتباس فى مدلول كلمة العرب على أقلام المؤرخين ممن سبق ابن خلدون أو تأخر عنه ؟ ! ولماذا لم يظهر كذلك فى شعر الشعراء ممن تقدموه أو عاصروه ، ما دام هذا هو مدلول الكلمة منذ طورها الأول الذى كان فى بداية أدوار التاريخ ؟ !

ويورد الحصرى بعد ذلك — تأييداً لابن خلدون — مثلاً شعبيا كثيراً ما تلوكه ألسنة العامة من أهل الحواضر ، فيوردونه شاهداً على فساد ذوق البدوى ، وهو قولهم : « الكل عند العرب صابون ... » وأشهد لقد سمعته كثيراً ولكن بتحريف بسيط ، فذكرنى بـ (غير عزيز !) ، وأعاد للنفس ذكريات مفزعة من الماضى الرهيب الذى توالى على الأمة العربية فصبرت عليه صبر الجبال ... أجل لقد سمعت هذا القول كما سمعه الحصرى فذكرنى بشيء غاب عنه تذكره ، ذكرنى بذلك الاستعباد الطويل الذى تقلبت هـذه الأمة بشتى مطارفه ، يوم كان العربى فى حاضرته يضطر — كارهاً أو مختاراً — أن يتشبه بذلك المتسلط القاهر فيحاكيه فى عجمته ، ويماثله فى بزته . يوم كان العلج فى عنجهيته يقف أمام هؤلاء الأعراب الذين يردون الحواضر ، فيتأذى بصره المترف برؤية شقائهم البادى من فتوق أسمالهم ، فلا يجد شتيمة يحقرهم بها ، فتوصل إلى قرارة نفسه الرضوان ، أكثر من أن

(١) س التوبة آية ٩٧ (٢) س الحجرات آية ١٤
(٣) من خطبته فى حجة الوداع

(١) الجزء الأول من كتاب (دراسات . .) ص ١٠٩ س ٣

ردد على ملأ منهم قائلا : « عرب ! عرب ! » .

وإن كنت فى ريب من ذلك فسل من شئت : هل عسيت إن شاكسك رجل من أهل هذه الدساكر حتى بلغ منك ما تكره ثم أردت أن تثأر لنفسك منه ، فهل رأيتك تغمغم بأكثر من أن تقول له : « فلاح ! فلاح ! » إلا أن هذه قرينة تلك ، وكلتاهما مما خلفته لنا عصور الاستعباد الطويل ، وتلقفناه عن أفواه أولئك المستعبدين ، بعد أن يورد الأستاذ الحصرى هذا الشاهد يعلق عليه طويلا ويتحدث عن مبلغ تفشيه بين العامة فى شتى الأقطار ، وهذا أمر سلمنا له به ، ولعل فى ردنا عليه الكفاية . ثم ينتقل إلى الاستشهاد بأقوال كبار المؤرخين والباحثين ، ملتمساً فى ذلك ما يقوله شاهداً على صواب ما يورد . وإننى أتنـاول واحداً من هذه الأقوال الـكثيرة ، فاتخذه شاهداً على عكس ما يقول ، وأؤكد له أن (الثعالبى والقالى وابن السكيت وابن الأثير) وغيرهم ممن استشهد بهم ، لم يخرجوا قيد أنملة عما تآلف عليه الناس منذ أقدم الأزمنة إلى اليوم . إنهـم حين لا يفرقون بين باد وحاضر يقـولون : (عرباً) وإذا ما أرادوا أهل البادية دون سواهم قالوا : (أعرابياً) أو (بدوياً) . وهذا نص يورده الأستاذ يؤيدنى على ذلك ، وهو قوله : « وإننا نجد فى المثل السائر .. لابن الأثير .. ما يلى : (فإن قيل إن ذلك البدوى كان له ذلك طبعاً وخليقة ... فالجواب على ذلك أنى أقول : إن سلمت إليك أن الشعر والخطابة كانا للعرب بالطبع والفطرة فماذا نقول فيمن جاء بعدهم من شاعر وخطيب[(١)]

أرأيت كيف يقفك عند قوله : (البدوى) حين أراده قبل أن يهجر باديته ، ثم يطلقها بعد ذلك حين لا يريد مثل هذا التحديد؟!

وليت شعرى كيف يرتضى الأستاذ الحصرى أن (يحصر) مثل هذا العدد الوافر من كرام المؤرخين ، وأن (يحصر) نفسه أيضاً فى حدود هذه الدائرة الضيقة حين يؤكد أنهم أرادوا جميعاً بقولهم (العرب) أهل البادية فقط ؟! وبمـاذا سموا إذن — لله أبوهم — أهل الحواضر من عرب الشام والحجاز ومصر والعراق والمغرب والأندلس ؟! هل قالوا حاضرى أم حضرى أم كيف ؟! لقد توقعت أن أجد للأستاذ قولا مثل هذا ، فـكنت أجد منه مولجاً للاعتراض ، ولـكنه لم يفعل بل ترك الأمر غامضاً ملتبساً ! وأن الأستاذ الحصرى بعد ذلك يتحدث عن ابن خلدون بما يؤكد

(ما ذهبت إليه) غاية التأكيد . وذلك حين يقول : « لم يستعمل ابن خلدون فى المقدمة كلمـة (الأعراب) و (الأعرابى) ، إلا قليلا جداً . فإنه قد استعمل كلمة (العرب) أو (العربى) فى نحو (٣٣٠) موضعاً ، فى حين أنه لم يستعمل كلمة (الأعراب والأعرابى) إلا فى بضعة مواضع ... [(١)] »

هو ذاك ! لأن الرجل أراد أن يسير على نهج زمانه ، وهو منهج كل زمان من أزمان العربية ، لذلك يطلق كلمة العرب على كل عربى من غير ما تخصيص ، ويخص أهل البادية — حين يريد أن يميزهم عن سواهم — بقوله : (الأعراب) . وهذا القرآن الكريم — وكان وما يزال (قرآناً عربياً غير ذى عوج) — وقف عند هذا التحديد بعينه ، وسار الناس بعد ذلك على مناهجه و (أرى) أن ابن خلدون ما تجاوز ذلك إلى سواه . .

ويأخذ الأستاذ الحصرى بعد هذا فى اقتباس الشواهد من المقدمة ، للتدليل على ما ذهب إليه ، فيقول : « لنبدأ من الفصل الذى يتضمن أقسى الأحكام وأعنف الحملات على (العرب) . فلنلاحظ الفصل الذى يقول فيه ابن خلدون : « إن العرب إذا ما تغلبوا على أوطان أسرع إليهـا الخراب » ، ولننعم النظر فى الأدلة التى يذكرها لتعليل وتأييد رأيه هذا : (فغاية الأحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتغلب ... فالحجر مثلا إنمـا حاجتهم إليه لنصبه أثافى للقدر ، فينقلونه من المبـانى ويخربونها عليه ... والخشب أيضاً إنما حاجتهم إليه ليعمروا به خيامهم ...) ومن البديهى أن مدار البحث هنا لا يتعدى البدو الذين يعيشون تحت الخيـام ، فلا مجال للشك فى أن ابن خلدون عند ما كتب هذه العبارات لم يفـكر قط بأهل دمشق أو القاهرة ... بل إنما قصد أعراب البادية وحدهم ... [(٢)] »

والذى أقوله ، ويقوله ذلك الفصل بعينه ، يغاير ما أورده الأستاذ الحصرى ، ويؤكد أن ابن خلدون أراد البـدو وغير البدو ، وأقول بتعبير آخر : إنه أراد العرب على اختلاف مشاربهم . ونتبين ذلك من قوله الذى يكمل به ذلك الفصل بعينه . فهو يقول بعد الـكلام الذى استشهد به الحصرى (مباشرة) ما يلى : « فهم متنافسون فى الرئاسة ، فيتعدد الحـكام منهم والأمراء ، وتختلف الأيدى على الرعية فى الجباية والأحكام ، فيفسد العمران وينتقض ،

(١) الدراسات جـ ١ ص ١١١ س ١٤

(١) الدراسات جـ ١ ص ١١٣ س ٣

(٢) الدراسات جـ ١ ص ١١٣ س ١٧

وانظر إلى ما ملكوه وتغلبوا عليه من الأوطان ، كيف تقوض عمرانه وأقفر ساكنه ، فاليمن قرارهم خراب ، وعراق العرب كذلك قد خرب عمرانه الذى كان للفرس أجمع ، والشام لهذا العهد كذلك وأفريقية والمغرب [١] » . فهل نتبين من ذلك كله أنهم البدو فقط ؟ ! وإذا كان الذين عمروا اليمن والشام والعراق وأفريقية والمغرب هم (البدو) ، فمن هم (العرب) إذن ؟ ! ثم يخطو الأستاذ الحصرى بعد ذلك خطوة لا تخلو من تمسف ، وهى أنه يصدر بحكم مبرم مؤداه أن ابن خلدون لم يقصد بقوله (العرب) فى سائر فصول المقدمة غير (البدو) ، ولم يتجاوز ذلك إلى غيره قط . فيورد هذا بأن يقول : « إن ابن خلدون لم يستعمل كلمة (العرب) بمعنى البدو فى فصول الباب التى ذكرتها فحسب ، بل استعملها على نفس المنوال فى فصول الأبواب الأخرى أيضاً [٢] »

وهكذا يحملنا الأستاذ فى حل ، لنلتمس ما يناقض ما بناقض دفاعه (فى سائر الفصول) ، بعد أن أكد — كما رأيت — أن ابن خلدون لم يقصد بقوله (العرب) فى سائر الفصول سوى البدو وليس غير! ويستشهد بعد هذا ببعض كلام ابن خلدون مقدماً له بما يأتى : « يوجد فى الباب الرابع أيضاً فصل خاص بالعرب ، وهو الفصل الذى يقرر : (أن المبانى التى كانت تختطها العرب يسرع إليها الخراب إلا فى الأقل) [٣] » . ثم يأتى على ذكر ما قاله ابن خلدون عن العرب فى هذا الباب فيقول : « والعرب إنما يراعون مراعى إبلهم خاصة ، ولا يبالون بالماء طاب أو خبث ... ولا يسألون عن زكاء المزارع والمنابت والأهوية ، لأن الرياح إنما تخبث مع القرار والسكنى وكثرة الفضلات [٤] » .

ويعلق على ما سلف بما يلى : « يظهر من ذلك بكل وضوح أن العرب المقصودين فى هذا الفصل هم البدو الذين يعيشون فى القفار ولا يوجد فى هذا الفصل كلمة واحدة تنطبق على أهل الأمصار [٥] » وفى هذا المقام أيضاً استشهد من الفصل عينه ، مؤكداً أن فى هذا الفصل أكثر من (كلمة واحدة) تنطبق على العرب الأولين الذين خرجوا من الحجاز واليمن ، من مكة والمدينة والطائف وصنعاء وظفار وغيرها (وهى أمصار كلها !) بل خرجوا

(١) المقدمة مط مصطفى محمد سنة !! ص ١٥٠ س ١٦

(٢) دراسات ج ١ ص ١١٥ س ٨

(٣ ، ٤) دراسات ج ١ ص ١١٥ س ١٢ ، ١٨

(٥) دراسات ج ١ ص ١١٥ س ٢١

جميعاً من مدرسة محمد (ص) بعد أن قذف فى قلوبهم هذا الإيمان الراسخ ، فإذا هم يملون الحضارة لأهل الحضارة .

أجل ، تنطبق على هؤلاء بعينهم ، ويتضح ذلك مباشرة بعد آخر كلمة يوردها الأستاذ الحصرى فى النص الذى استشهد به من كلام ابن خلدون ، وذلك حين يقول : « وانظر لما اختطوا الكوفة والبصرة والقيروان ، فقد كانت مواطنها غير طبيعية للقرار ، ولم تكن فى وسط الأمم فيعمرها الناس [١] » .

ألا ترى — يا أخى القارئ — صدق ما أشرت إليه من خلال هذا النص الذى (بُتر) أوله ليؤدى معنى غير معناه الذى أراده له صاحبه ؟ ! وهل اختط الكوفة والبصرة والقيروان إلا رجال أفذاذ من أقران (عمر ومعاوية وابن العاص) وغيرهم ممن ساسوا البدو والحضر فأحكموا السياسة ؟ !

ثم يتدرج الأستاذ الحصرى بعد كلام طويل إلى قوله : « ومما يزيد الأمر وضوحاً وقطعية أن ابن خلدون يعود إلى هذه القضية (أى أن العرب بمعنى البدو) فى بحث العلوم أيضاً ، إذ يقول بعد أن يشبه العلوم بالصنائع :(وقد كنا قدمنا أن الصنائع من منتحل الحضر ، وأن العرب أبعد الناس عنها ، وصارت العلوم لذلك حضرية ، وبعد العرب عنها وعن سوقها) ... يلاحظ أن ابن خلدون يذكر هنا كلمة (العرب) مرتين مقابلا لكلمة (الحضر) بشكل لا يترك مجالا للشك فى أنه يقصد منها (البدو) [٢] » .

والذى أقوله : إن كلام ابن خلدون لا يدع مجالا للشك فيما يقصد . ويوضح لنا فى كلمات تلى(ما استشهد به الأستاذ الحصرى) ما يقصده من الكلمتين (العرب والحضر) . وهأنذا أورد قوله ليتضح وجه الصواب : « والحضر لذلك العهد هم العجم أو من هم فى معناهم من الموالى الذين هم يومئذ تبع للعجم فى الحضارة وأحوالها من الصنائع والحرف [٣] » .

أرأيت كيف كان يقصد بقوله (الحضر) غير العرب ، وأن العرب لديه هم العرب سواء سكنوا البادية أم الحاضرة ؟ !

ولما كان المقام لا يتسع لمناقشة جميع الشواهد التى أوردها الأستاذ الحصرى من كلام ابن خلدون ، لذلك أكتفى بهذا القدار الذى أوردته منها ، ملمحاً إلى أن جميع ما جاء فى هذا الصدد

(١) المقدمة الطبعة السابقة ص ٣٥٩ س ١٢

(٢) دراسات ص ١١٦ س ١٩ ج ١ ط بيروت

(٣) المقدمة ص ٥٤٤ س ٧

من ظرفاء العصر العباسي :

أبو دلامـــة

توفي سنة ١٦١ هـ

للأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

— ٥ —

ونلاحظ أن أبا دلامة لم يكن يصله — غالباً — شيء من المال إلا بنادرة كما رأينا في قصة سلة الوصيف ، أو بحيلة كما سنرى الآن في قصته مع العباس بن محمد — عم المهدي — الذي كان من أبخل الناس :

دخل أبو دلامة يوماً على المهدي ، فحادثه ساعة وهو يضحك وقال له : هل بقي أحد من أهلي لم يصلك ؟ قال : إن أمنتني أخبرتك ، وإن أعفيتني فهو أحب إلي . قال : بل تخبرني وأنت آمن . قال : كلهم قد وصلني إلا حاتم بني العباس . قال : ومن هو؟ قال : عمك العباس بن محمد . فالتفت إلى خادم على رأسه وقال : جَـأْ[1] عُنق الماص بظر أمه . فلما دنا منه صاح به أبو دلامة : تنحَّ يا عبد السوء لا تحنث يمين مولاك وتنكث عهده وأمانه . فضحك المهدي وأمر الخادم فتنحى عنه ، ثم قال لأبي دلامة : ويلك ! والله عمي أبخل الناس .. فقال أبو دلامة : بل هو أسخى الناس . فقال له المهدي : والله لو مت ما أعطاك شيئاً . قال : فإن أنا أتيته فأجازني ؟ قال : لك بكل درهم تأخذه منه ثلاثة دراهم. فانصرف أبو دلامة فخبر للعباس قصيدة ثم غدا بها عليه وأنشده :

قف بالديار وأيَّ الدهر لم تقفِ ... على المنازل بين الظهر[2] والنجف

وما وقوفك في أطـــلال منزلة ... لولا الذي استدرجتْ من قلبك الكلف

إن كنت أصبحت مشغوفاً بساكنها ... فلا وربك لا تشفيك من شغف

(١) جأ : اضرب .

(٢) الظهر : موضع . والنجف (بالتحريك) موضع بظهر الكوفة وهو دومة الجندل بعينها ، وبالقرب منه أمير المؤمنين علي بن طالب .

لايعدو ما ذكرته في مكانته من الحقيقة . وحسبك — في كشف الغطاء عنه — أن تواصل قراءة تلك النصوص في المقدمة عينها لينطق لك ذلك الكلام (المبتور) بأن ابن خلدون إنما عنى بقوله (العرب) ، العرب الذين يعرفهم الناس منذ خلق الله العرب في الناس !

وأما الكاتب الفرنسي الذي أشرت إليه في بداية هذه الكلمة وقلت إن الأستاذ الحصري استشهد به ، فهو الأستاذ (المرباني[1]) البارون (دوسلان) ، وقد ترجم مقدمة ابن خلدون إلى الفرنسية قبل ثمانين عاماً ، وقال فيها عن مدلول كلمة العرب عند ابن خلدون ما يلي :

Les arabes (Jbni Khaldoun) sont les arabes nomades (٢)

وترجمة ذلك : « أن عرب ابن خلدون هم الأعراب .. » . كما أن الكاتب التركي الذي أشار إليه الأستاذ الحصري هو المؤرخ (جودت باشا) . وقد ترجم كلمة عرب — كما يقول الأستاذ في (دراساته) اعتماداً على ما فهم من كلام ابن خلدون ، فأثبتها « في مواضع كثيرة على شكل (قبائل عرب) . . (١) » .

ومن هنا (أكاد) أجزم بأن الأستاذ الحصري إنما جاءه نبأ هذا الرأي الجديد نقلا عن هذين الكاتبين . وإنني لا أجد تعليلا (لوهمهما) هذا إلا أنهما أبصرا في بعض المواضع اقتران كلمة العرب بالإبل والخيام فحسبا أن عرب ابن خلدون ليسوا سوى أهل البادية من الأعراب . غير أن الحقيقة التي لا تغيب عن باحث هي أن ابن خلدون لم يكن يدقق في التمييز بين أهل البادية وأهل الحاضرة من العرب ، فكان يسميهم جميعاً (عرباً) على أنه كان يستعمل كلمة (الأعراب) أو (البدو) حين يريد أن يحصر مدلول كلامه في حدود معينة . وهذه الحقيقة مشاهدة في مقدمته ، وظهورها أعم وأبين في دراسات الأستاذ الحصري عن ابن خلدون ، وذلك حين يحصي عدد ما أورده ابن خلدون من كلا التعبيرين فيقول أنه ذكر العرب (كذا) مرة ، وذكر الأعراب (كذا) مرة . وقد ذكر ذلك وعلقت عليه في خلال ما أسلفت .

(البقية في العدد القادم)

محمد سليم الرشدان

ماجستير في الآداب واللغات السامية

(١) استعمل هذا اللفظ بمعنى (المستشرق) المرحوم النشاشيبي

(٢) Les Prolegomenes d.ibni klaldoun'vol 3 rag488

(١) دراسات ص ١٢٣ س ٢٠ ج١ ط بيروت

دَعْ ذا وقُلْ في الذي قد فاز من مُضر ... بالمكرمات وعز غير مقترَف[1]

هذي رسالة شيخ من بني أسد ... يهدي السلام إلى العباس في الصحف

تخطها من جواري المصر كاتبةٌ ... قد طالما ضربت في اللام والألف

وطالما اختلفت صيفاً وشاتيةً ... إلى معلمها باللوح والكتِف

حتى إذا نهد الثديان وامتلأا ... منها وخيفت على الأسراف والقرف[2]

صينت ثلاث سنين ما ترى أحداً ... كما يصون تجارٌ درة الصدف

فبينما الشيخ يهدي نحو مجلسه ... مبادر الصلاة الصبح بالسدف[3]

حانت له لمحة منها فأبصرها ... مطلة بين سجفيها من الغرف

فخر والله ما يدري غداتئذ ... أخر منكشفاً أم غير منكشف

وجاءه الناس أفواجاً بمائهم ... ليغسلوا الرجل المغشى بالنُّطف[4]

ووسوسوا بقُران في مسامعه ... مخافة الجن والإنسان لم يخف

شيئاً ولكنه من حب جارية ... أمسى وأصبح موقوفاً على التلف

قالوا : لك الويل ما أبصرت ؟ قلت لهم ... تطلعتْ من أعالي القصر ذي الشرَف

فقلتُ – أيكم والله يأجره – ... يمين قوته فيها على ضَعف

فقام شيخ بهيٌّ من رجالهمُ ... قد طالما خدع الأقوام بالحلِف

فابتاعها لي بألفي درهم فأتى ... بها إليَّ فألقاها على كتفي

فبتُّ ألثمها طوراً وألزمها ... طوراً وأصنع بعض الشيء في اللحف

فبين[5] ذاك كذا إذا جاء صاحبها ... يبغي الدراهم بالميزان ذي الكفف

وذكر حق على زند[6] وصاحبه ... والحق في طرف والطين في طرف

وبين ذاك شهود لا يضرهمُ ... أكنت معترفاً أم غير معترف

فإن يكن منك شيء فهو حقهمُ ... أو لا فإني مدفوع إلى التلف

(١) مقترف : مكتسب .

(٢) القرف : التهمة . (٣) السدف : الظلمة .

(٤) النطف : جمع نطفة (بالضم) وقد من أنها الماء الصافي قل أو كثر .

(٥) المشهور في مثل هذا أن يقال : فبينا ذاك كذا أو (بينما) وقد جاء بها أبو دلامة هنا على الأصل .

(٦) زند هو اسم أبي دلامة كاملا .

فضحك العباس وقال : ويحك أصادق أنت ؟ قال نعم والله . قال : يا غلام ادفع إليه ألفي درهم ثمنها . فأخذها ثم دخل على المهدي فأخبره القصة وما احتال له به . فأمر له المهدي بستة آلاف درهم وقال له المهدي كيف لا يضرهم ذلك ؟ قال : لأني مُعدِم لا شيء عندي . وفي رواية : إن العباس بن محمد قال له : شاركني في هذه الجارية يا أبا دلامة . قال : أفعلُ ولكن على شريطة . قال : وما هي؟ قال : الشركة لا تكون إلا مفاوضة[1] فاشتر معها أخرى، ليبعث كل منا إلى صاحبه ماعنده ، ويأخذ الأخرى مكانها ليلة وليلة . فقال له العباس : قبحك الله وقبح ماجئت به ! خذ الدراهم لا بارك الله لك فيها وانصرف[2] .

وإنما أوردنا هذه القصة بتمامها لكيلا نمسخها إذا اختصرناها فتفقدها كثيراً من جمالها : ولعلك تذكر أننا استشهدنا بها على وصول أبي دلامة إلى المال بأسلوب الاحتيال ، ولاسيما مع البخلاء من الناس .

والواقع أنه كان لا ينجو من تنادر أبي دلامة وهجائه إلا من أعطاه فأجزل عطيته . وإنه ليكون المرء أبغض الناس إلى قلبه ، فإن هو وصله بشيء أضحى أحبهم إليه . وكان الناس يفرون من هجاء أبي دلامة فرارهم من تنادره بهم ، فإذا تجرأ أحدهم على النيل منه أو ذمه عرف كيف يسلقه بلسانه الحاد .

دخل أبو دلامة على المهدي وعنده مُحرِز ومقاتل ابنا ذؤال يعاتبانه على تقريبه أبا دلامة ويعيبانه عنده . فقال أبو دلامة :

ألا أيها المهدي هل أنت مخبري ... وإن أنت لم تفعل فهل أنت سائلي ؟

ألم ترحم اللحيين من لحيتيهما ... وكلتاهما في طولها غيرُ طائل ؟

وإن أنت لم تفعل فهل أنت مكرمي ... بحلقهما من محرزٍ ومقاتل ؟

فإن يأذن المهدي لي فيهما أقلْ ... مقالاً كوقع السيف بين المفاصل

وإلا[3] تدعني والهموم تنوبني ... وقلبي من الملحين جمُّ البلابل

فلم يدعه الخليفة للهموم تنوبه ، وإنما ساعده على الملحين فقال له يتمم أسئلته : أو آخذ لك منهما عشرة آلاف درهم يفديان بهما أعراضهما منك ؟ قال ذلك إلى أمير المؤمنين . فأخذها له منهما وأمسك عنهما[4] .

(١) شركة المفاوضة هي الشركة العامة في كل ما يملكه الشريكان .

(٢) الأغاني ج ١٠ ص ٢٦٥ .

(٣) فعل الشرط محذوف — أي وإلا تفعل تدعني .

(٤) الأغاني ج ١٠ ص ٢٦١ .

فلا يُرضى المهدىّ إذاً أن يسمع من أحد تجريحاً بشخص أبى دلامة لأنه واجدٌ فيه أنسه ومرحه ، وقابلٌ إياه على ما فيه من عيب ومنقصة ... ولا يُرضى أبا دلامة ويُسكتُ لسانه السليط إلا المالُ يُعطاه وفيراً !

وكما يهجو أبو دلامة مخلوقاً أملاً فى الوصول إلى بعض ماله ، تراه يمدح آخر للغرض ذاته . وقد ينتظر مطلوبه من سواه كما حدث يوم دخل أبو دلامة على المهدى وعنده شاعر ينشده . فقال له : ما ترى فيه ؟ قال : إنه قد جهد نفسه لك فاجهد نفسك له فقال المهدى : وأبيك إنها لكلمة عذراء منك أحسبك تعرفه ! قال : لا والله ما عرفته ولا قلت أنا إلا حقاً . فأمر للشاعر بجائزة ، ولأبى دلامة بمثلها لحسن محضره[1] .

ولقد صدق أبو دلامة ، فما كان أطراؤه للشاعر عن معرفة سابقة به أو بعد وقوف على شىء من شعره — وإنما هى كلمة تعجب المهدى وتسر قلبه ، وهى — بعد ذلك — وسيلة هينة للوصول إلى شىء من المال الذى يجزى به الخليفة من كان لبقاً حديثُه ، حاضرة بديهته ، سديداً جوابه .

وكما درس أبو دلامة نفسية المنصور فاستطاع أن يأخذ منه الجوائز السنية — على بخله — عرف كيف يفهم المهدى حق فهمه لكى ينال منه — فى مختلف المناسبات — أكثر مما يحلم به . ونجده لذلك يحرص على إضحاك الخليفة الذى تفيض يداه كلما تهلل وجهه : خرج المهدى وعلى بن سليمان إلى الصيد ، فسنح لهما قطيع من ظباء ، فأرسلت الكلاب وأجريت الخيل ، فرمى المهدىُّ ظبياً بسهم فصرعه ، ورمى علىّ بن سليمان فأصاب بعض الكلاب فقتله . فقال أبو دلامة :

قد رمى المهدى ظبياً ... شك بالسهم فؤادَهْ
وعلى بن سـليما ... نَ رمى كلباً فصاده
فهنيئاً لهما ، كل امرىء يأكل زادَهْ !

فضحك المهدى حتى كاد يسقط عن سرجه ، وقال : صدق والله أبو دلامة ، وأمر له بجائزة سنية . ويقال : إن على بن سليمان لقب منذ ذلك اليوم « صائد الكلاب » وعلق به[2] .

(١) الأغانى ج ١٠ ص ٢٦٤ .
(٢) الأغانى ١٠ ص ٢٥٩ .

وما دام الخليفة يملأ عين أبى دلامة ويشبع بطنه ويعطيه من المال ما يجعله مغموراً بفضله ، فما على الظريف إلا الإخلاص فى طاعته ، والصدق فى محبته ، وإدخال السرور عليه ولو لم ينتظر منه شيئاً ، لأن فضله سابق عليه : لذلك كان أبو دلامة ينتهز الفرصة ليثبت أن تقريب الخليفة له مصيبٌ موضعه ، فهو الذى ينفس عنه كربه ، ويسرى عنه غمه ، ولو كان هو نفسه مغموماً .

مر أبو دلامة بنخاس يبيع الرقيق ، فرأى عنده منهنَّ من كل شىء حسن ، فانصرف مهموماً ، فدخل على المهدى فأنشده :

إن كنت تبغى العيش حلواً صافياً ... فالشعرَ أعزبْه وكن نخاسا
تنَل الطرائف من ظراف نهّد ... يحدثن كل عشية أعراسا
والربح فيما بين ذلك راهنُ ... سمحاً ببيعك كنت أو مكاسا[1]
دارت على الشعراء حرفة نوبة ... فتجرعوا من بعد كأس كاسا
وتسربلوا قُمص الكساد فحاولوا ... بالنخس كسباً يذهب الإفلاسا

فجعل المهدى يضحك منه[2] .

وليضحك الخليفة ما شاء فما قص عليه أبو دلامة هذه القصة ولا نظم ذاك الشعر إلا ليضحكه ويسرى عنه ، ويحيطه بجو مشبع بالأنس والسرور !

(يتبع) **صبحى إبراهيم الصالح**

(١) مكس فى البيع يمكس (من باب ضرب) نقص الثمن والمراد هنا المشاحة فى البيع والشراء ..
(٢) الأغانى ج ١٠ ص ٢٥١ .

قلب يتحدث... على أي شيء؟!

للأستاذ محمد رجب البيومي

تباطأت عني بعد طول تسرع ... على أي شيء كل هذا التمنع
تصنعت هجراً فاستحال طبيعة ... فيالك طبعا قد أتى من تصنع
يخادعني شوق فأحسب أنني ... أراك تناجيني بمرأى ومسمع
أحاديث يحسوها الفؤاد كأنما ... تعاطى بها كأس الرحيق المشعشع
ويدهشني أني أرى كل ليلة ... خيالك عندي لا يبارح مضجعي
تذكرت ما قد كان بالأمس بيننا ... من الود فانهلت على الفور أدمعي
عشية تلقاني ببشر كأنما ... نزلت بروض ضاحك الزهر مونع
أراك على بعد فأقفز عاجلا ... إليك وقلبي خافق بين أضلعي
تجاورني جنباً لجنب كأنما ... أتيت إلى الدنيا لتبقى بها معي
وكنا إذا نمشي يقولون إخوة ... تغذوا أماً في المهد من ندى مرضع
فكيف غدا روض الصداقة بلقعاً ... تصيح به الغربان في كل موضع
أمر على ناديك كل عشية ... وبي غلة إن أقترب منك تنقع
أحدث نفسي أن أجيئك زائرا ... وأحذر ما عودتني من ترفع
فأرجع حران الجوانح صاديا ... وقد كنت من عيني على قيد أصبع
أنقل خطوي فوق شوك من الأسى كأني أمشي إذ أسير لمصرعي
ويرهقني التفكير فيك فأنثني ... إلى مكتبي كالحائر المتصدع
تمر فلا تلقي علي تحية !! ... وتلك التي تدمي فؤادي بمبضع
وتقرئ أعدائي السلام ودونهم ... مهامه أعيت ناظر المتطلع
فياليت شعري هل توهمت أنني ... أمامك تمثال من الصخر لا يعي
ويا ليت أني حين أخجلت موقفي ... تسترت حتى لا تراني ببرقع
أتعرض عمن كان ظلا مجاورا ... فأين تسر في رقعة الأرض يتبع
هنيئاً لأرباب الوشاية بيننا ... فقد حققوا في أمرنا كل مطمع
أطأطئ رأسي إن قدمت تزلفا ... وإن كان في جنبي مهجة أروع
وفاء بعهد قد تغيب في الثرى ... وشيعته عمداً ولما أشيع
إذا هاج بي وجدي أقول لعلها ... سحابة صيف آذنت بتقشع
ولكن أرى الجو الرحيب ملبدا ... بغيم متى يشخص لعيني تهمع
تمر الليالي وهو في القلب راسخ ... رسوخ الأسى في قلبي المتوجع
تهيج بي الذكرى فأطرق جازعا ... ومن يذكر عهد الصداقة يجزع
وأخفض للغبراء رأسي كأنما ... أقول لها: إني أمامك فابلعي
فيا كبدي صبراً جميلاً على النوى ... ويا مهجتي بالله لا تتقطعي
ويا من نأى عني بغير جريرة ... ولم يبق غير النار تلهب أضلعي
نصحتك بالحسنى وأنت مخير ... فدونك فافعل ما بدا لك واصنع
فإن تقترب عني إلى غير رجعة ... فبين يدي السم فلأتجرع

(الكفر الجديد) **محمد رجب البيومي**

وداع ...

عن الإنجليزية للشاعر «كوفنتري باتمور»

ترجمة الآنسة «ن. ظ. ع»

رغم إحساسي وطوع الـ ... عقل لبيت الوداع
قد بدا الآني وما لي ... من عزاء في الصراع

رغم إعيائي سأمضي ... في خطاي الواهيه
لست أدري كيف أخطو ... من دموعي الهاميه

وجهتي للغرب هيا ... أنت نحو الشرق
لهف نفسي كيف أنا ... بعد هذا نلتقي

حين يخبو حزننا الفا ... ني ويتلوه الهجوع
حين نجلو عن مآقيـ ... ـنا غمامات الدموع

سوف نلقى الليل مزدا ... نا بأسراب النجوم
والأماني عاودتنا ... بعد إعصار الهموم

رغم ما تبدين من صد ... ق وأبدي من إباء
وارتحالي في طريق ... لا يؤدي للقاء

نلتقي وجهاً لوجه ... في ذهول قاهر
لست أدري كيف سرنا ... في طريق دائر

بعد ذاك النأي والتجـ ... ـوال في وادي الشقاء
سوف نحيي ما حيينا ... ذكر هذا الالتقاء

«ن. ظ. ع»

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

واقعة حال مع المازني :

وقعت هذه الواقعة من نحو ثلاثة عشر عاماً ، وكنت طالباً في مطلع الشباب . كان الأستاذ كامل كيلاني قد أصدر كتاب « أساطير ألف يوم » فكتب الأستاذ المازني نقداً له في جريدة « البلاغ » وكنت قد قرأت الكتاب فسررت من قصصه وأعجبني أسلوب المؤلف في سياقتها . فلما قرأت نقد المازني له بدت لي أوجه في الرد عليه ، فكتبتها وبعثت بالرد إلى « البلاغ » فنشرته ونشرت معه تعقيب المازني عليه . وقد ساءني من التعقيب أنه لم يتضمن تفنيد شيء مما أوردته في الرد ، ولو أنه سفه كلامي وبين فيه وجه فساد أو قال مثلا إنه يدل على عدم الفهم أو نحو ذلك ، لكان الأمر أهون عليّ مما وقع ...

ذلك أنه ألمع إلى أن للأستاذ كامل كيلاني يداً في الرد إن لم يكن هو كاتبه ، وزاد على هذا أن ذلك مما يزهده في نقد الكتب وأنه سيمسك عن هذا النقد ...

كدت أجن من ذلك ، وامتلأت نفسي سخطاً على المازني، فكتبت رداً على ذلك التعقيب ناقشته فيه مناقشة عنفت فيها ، ومما قلته إنه لا ينبغي أن يكتب ما يكتب ثم يعتصم مني في « قلعة التقديس » وأذكر أن كلمتي تضمنت هذا اللفظ بعينه ، وتوجهت إلى دار البلاغ ، وقصدت إلى مكتب المازني حيث ألقيته ، فدفعت إليه الرد وأنا أنظر إليه نظرة معناها : هأنذا فهل تريد أن تعرف أني صاحب الرد الأول ؟

وتناول المازني ردي وألقى عليه نظرة خاطفة ، ولم يزد على أن قال : « طيب حاضر » فسلمت بالإشارة منصرفاً كما فعلت مقبلا . ورضيت نفسي بأن أبلغته الرد ، وقلت يستوي بعد ذلك أن ينشره أولا ينشره ، المهم أني جابهته بما أريد .

وفي اليوم التالي رأيت كلمتي منشورة في البلاغ بحذافيرها وفيها ما فيها من العبارات القاسية الموجهة إلى فقيدنا اليوم . اغتبطت بنشر الرد ، ولكن خاطراً قلل من قيمة هذا الاغتباط في نفسي : أيكون الرجل قد استهان بي وأراد أن يدلل على أنه لا يحفل بمثلي مهما كتب ؟ ولكن ألا يكون ذلك من قبيل الإفساح لحرية الرأي ؟ ترددت بين هذا وذاك ، ولكن الأمر المحقق الذي لا شك فيه أني أكبرت المازني منذ ذلك الحين وصنعت له في نفسي تمثالا سيبقى ما بقيت .

وبعد أن مضت سنوات على ذلك الحادث ، التقيت بالأستاذ كامل كيلاني ، وقال لي غير مرة : أنا لا أنسى أنك هاجت الأسد في عرينه ! ولكني لم أغتر بكلمة الأستاذ كيلاني ، لأن الذي قرّ بنفسي أن الأسد أكبر نفسه من أن يصغر في مدافعتي ، فكن لي من المهجوم عليه ...

المازني والإذاعة :

على أثر ما وجهه بعض الكتاب إلى إدارة الإذاعة من اللوم على تقصيرها في تسجيل مسرحيات الريحاني أعلنت الإذاعة في مجلتها أن همتها لم تقعد عن تسجيل أصوات العظماء وأعلام الأدب والفكر والفن في مصر ، وأنها قامت بذلك فعلا ، حتى أصبحت لديها هذه المسجلات .

ثم توفي المازني ، وظهر أن الإذاعة الهامة ليس لديها أي تسجيل لأحاديثه ... ولا أظن المشرفين على الإذاعة لم يسمعوا بأن المازني أديب كبير ، فلماذا لم يسجلوا شيئاً من أحاديثه ؟ لقد قالوا إنهم سجلوا أصوات أعلام الأدب وأريد أن أصدقهم، فلم إذاً لم يسجلوا له فيمن سجلوا لهم ؟ أليس هو من أعلام الأدب ؟

ولم يظفر المازني من عناية الإذاعة بعد وفاته ، بغير نعي قصير في نشرة الأخبار ، في الوقت الذي نسمع فيه المحطات العربية من خارج مصر تتحدث عن المازني وتفيض في الحديث عنه .

فلم كل هـذا يا إذاعة ؟ ألأنه غضب من الفوضى المتغلغلة في أعمالك ، ولم ترضه تصرفاتك غير اللائقة معه ، فانقطع عن مواصلة أحاديثه ؟

وأريد بعد ذلك أن أسأل : هل الإذاعة مرفق عام من مرافق

الدولة العامة تعرف للناس أقدارهم كيفما كانت علاقة موظفيها بهم أو هي ملك خاص لهذه الفئة المشرفة عليها، من رضيت عنه قربته وكالت له، ومن لم يحظ برضاها أعرضت عنه وأهملت شأنه مهما كان مكانه؟

عيد الباكستان:

احتفلت سفارة الباكستان بالذكرى الثانية لاستقلال الباكستان يوم الإثنين ١٥ أغسطس الحالي بدار جمعية الشبان المسلمين. وقد اشتمل الحفل على برنامج حافل من الخطب والقصائد والموسيقى والغناء، وتجلى فيه روح المودة والإخاء بين الدولتين الإسلاميتين الباكستان ومصر، تجلياً رائعاً بعث الأمل في استعادة تماسك البنيان الإسلامي، ولقد كان سرورنا نحن المصريين لا يقل عن سرور إخواننا الباكستانيين بعيدهم وعيدنا عيد استقلال الشقيقة الناشئة الكبيرة: الباكستان.

وقد تحدث الخطباء وأنشد الشعراء فعبروا جميعاً عن ذلك الشعور وأشادوا بما يجمع بيننا من التراث الإسلامي والثقافة الإسلامية، ومن هؤلاء الخطباء والشعراء الدكتور حسين الهمداني الملحق الصحفي بالسفارة وأصحاب المعالي إبراهيم دسوقي أباظه باشا وحافظ رمضان باشا وصالح حرب باشا والأستاذ إبراهيم اللبان والدكتور إبراهيم ناجي والأستاذ محمد عبد المنعم إبراهيم الهامى.

وقد أفاض حافظ رمضان باشا في الكلام على الاسلام من حيث هو عقيدة ونظام، وبدأ حديثه بالإعراب عن شعوره حينما دعى إلى هذا الحفل، فقال إنه لبى هذه الدعوة، وقد جرى أخيراً على رفض الدعوات إلى الحفلات الكثيرة التي تقام لمناسبات وأغراض مختلفة، لأن رجال الباكستان أعلنوا أنهم يضعون دستور بلادهم على أساس التعاليم الإسلامية، وقال إن الإسلام هو دين العدل والحرية والمساواة والإخاء، وإنه لا يوافق الديمقراطيات الحديثة فحسب بل إن هذه الديموقراطيات لم تستطع أن تخالف مبدأ واحداً من مبادىء الإسلام.

ولما جاء دور الأستاذ إبراهيم اللبان شرع في بيان تاريخي لتطور الدولة الإسلامية في الهند، واسترسل إلى إجادة المثقفين الباكستانيين للغة الإنجليزية، ذاهباً إلى أن هذا يتيح لهم التقريب بين الإسلام والعقلية الأوربية. والأستاذ اللبان عالم مستقيم

كشكول الأسبوع

▫ وافقت وزارة المعارف على إنشاء معهد للثقافة الإسلامية في إسبانيا يحمل اسم الفاروق من أغراضه تنظيم التعاون الثقافي بين مصر وإسبانيا، وتمكين دارسي الأدب العربي والثقافة الإسلامية من الاستعانة بما خلفه العرب في إسبانيا من آثار وخاصة المخطوطات العربية التي تزخر بها المكتبات الإسبانية.

▫ كان الأستاذ علي محمود طه قد أصيب بمرض حاد منذ شهر تقريباً، ومنع الأطباء زيارته، مما زاد القلق عليه. ويسرنا أن نذكر أن الأستاذ قد تماثل من علته وتقدم نحو الشفاء.

أسبغ الله على شاعرنا الكبير ثوب الصحة والعافية.

▫ قررت الحكومة المصرية تأليف وفد رسمي يمثل مصر في مهرجان «كان» السينمائي الدولي — من محمد الشريف بك ومحمد رشدي بك ويوسف وهبي بك وسليمان نجيب بك وأحمد سالم.

▫ وافق معالي وزير المعارف على ندب الدكتور محمد عوض محمد بك المدير العام للثقافة بوزارة المعارف، لحضور اجتماع الدورة الرابعة لهيئة اليونسكو التي ستعقد بباريس من ١٩ سبتمبر إلى ٥ أكتوبر المقبل.

▫ أوشكت اللجان المشكلة بمجمع فؤاد الأول للغة العربية لمراجعة المعجم اللغوي الوسيط، على الانتهاء من مراجعة أصوله، وسيستأذن مجلس المجمع عند اجتماعه في شهر أكتوبر المقبل في طبعه. والمعجم يقع في نحو ألف صفحة من القطع المتوسط، وقد حوى أهم ما يحتاج إليه المثقف من ألفاظ العلوم والفنون والآداب إلى جانب المواد اللغوية العامة.

▫ أوصى أحد الكبار بقبول مغن في الإذاعة، فلما رأى المشرفين عليها مترددين في قبوله قال لهم: خذوه، وعلى كل حال إذا رأيتم أن المستمعين سروا منه فافصلوه!

▫ صدر أخيراً كتاب «الوساطة الروحية» للأستاذ عبد اللطيف محمد الدمياطي، وهو يبحث في الوساطة الروحية من النواحي المختلفة: في التاريخ، ومن ناحية العلم والعمل، والعلاج الروحي، وما إلى ذلك. وقد سلك فيه المؤلف مسلكا واضحاً يقف منه القارىء على ما يهمه من هذه الأبحاث.

▫ قرر استديو مصر المضي في إنتاج فلم محمد علي بعد رفض اللجنة المالية بمجلس النواب ما اقترحته وزارة الشؤون الاجتماعية من اعتماد ثلاثين ألف جنيه لمساعدة الاستديو في إنتاج هذا الفلم. وقد رفع «السناريو» إلى الجهات العليا، فإذا ما وافقت عليه أخذ في الإخراج والتصوير.

▫ صدر السجل الثقافي لسنة ١٩٤٨ الذي أعدته إدارة التسجيل الثقافي بوزارة المعارف. وقد طبع منه ألفا نسخة، وافق معالي وزير المعارف على أن يهدى منها ١٥٠٠ نسخة إلى الشخصيات والهيئات التي لها صلة بالثقافة العامة، وأن يباع الباقي بسعر النسخة ٤٠٠ مليم.

الفكر ، ولكنه لم يراع مقتضى المقام فى حفل يتعاقب فيه خطباء كثيرون ، فأطال مع خلو كلامه من العناصر الخطابية المشوقة ، فنال أكبر حظ من تصفيق الحاضرين ... حتى اضطره هذا التصفيق إلى أن يقطع كلامه ويجلس ساخطا على المصفقين المحتجين .

وكم كان جميلا وظريفاً أن تمتلى المطربة ملك خشبة المسرح ، وقد ارتدت « الساري » ثوب المرأة الباكستانية ، فغنت « نشيد الباكستان » الذى نظمه الأستاذ عبد المنعم إبراهيم ، وهو نشيد جيد حبذا أن تتخذه الباكستان نشيداً دائماً ، على أن يلحن تلحين الأناشيد ، فقد « غنت » فيه ملك على طريقتها المعروفة بصوتها الجميل ، فأطربت ولكنها لم تؤده باعتباره نشيداً ، فقد كانت تلين وتطرو عند ما تنشد أو تغنى مثلا :

عيد باكستان أضحى عيد مجد المسلمين

وكسَّرت « المسلمين » وأنثته برقة صوتها ، وهو جمع مذكر سالم ...

الباكستان تتجه نحو العروبة :

التفت هذا القلم إلى دولة الباكستان الفتية منذ أشرقت عليها شمس الاستقلال ، واتجهت مشاعر أهلها وأنظار قادتها إلى توطيد العلاقات بالبلاد العربية وإحياء اللغة العربية وآدابها وثقافتها بين مسلمى الهند الذين أصبح لهم كيان مستقل بالباكستان . وقلت مرة : إننى أرصد هذه الدولة الفتية كما يرصد الفلكى حركات نجم جديد . وهأنذا اليوم أنظر إلى هذا النجم فيسرنى أن أراه صاعداً فى السماء ...

إن حضارة الأمة الباكستانية ولغتها وعاداتها وتقاليدها ، مستمدة من الحضارة العربية الإسلامية ، ولم يستطع الزمان أن أن يمحو ميلها الشديد إلى العرب بسبب الروابط الدينية والتاريخية الوثيقة التى تربطها بهم ، ولم يمنع اكتمال عروبتها إلا الظروف والأحداث التاريخية فى القرون الأخيرة إذ حكمها الترك والمغول ثم الاستعمار الإنجليزى فى آخر المطاف . ورغم هذه الظروف والأحداث لا تزال الصبغة الإسلامية باقية ، ولا يزال الأثر العربى بارزاً فى مظاهر الحياة المختلفة ، فاللغات المحلية كالسندية وغيرها تحتوى على ألفاظ لا حصر لها من اللغة العربية كألفاظ الجبل والنهر والخطر والقلم والعلم والمدرسة والكاتب والحكيم والمدير وغيرها ، واللغة السندية تكتب حتى اليوم كتابة عربية . ويقال إن اللغة الأردية لو أسقطت منها الكلمات العربية استحال استعمالها .

وقد تخلصت الباكستان من الاستعمار البريطانى ، وأصبحت بلاداً حرة ، فجملت تقوى صلاتها بالعرب ، وكان من ذلك ما أبدته من المؤازرة فى قضية فلسطين أمام هيئة الأمم المتحدة ، ثم هذه الأريحية العظيمة التى جادت بنحو خمسين ألفاً من الجنيهات للاجئين من عرب فلسطين ، وهو مجموع ما تبرعت به دولة الباكستان وشعبها .

ولاشك أن الإسلام والعروبة صنوان ، والباكستان الإسلامية تتجه الآن إلى العروبة اتجاهاً ظاهراً ، لا بتعزيز علاقاتها بالدول العربية فحسب ، بل كذلك بما شرعت فيه من العمل على نشر اللغة العربية بين أهلها والبدء باتخاذها لغة ثقافية لها ، إلى ما تدعو إليه الضرورة الدينية من فهم لغة القرآن الكريم ، وسيفضى ذلك إلى اتخاذ العربية لساناً قومياً لا تقاً بأكبر أمة إسلامية ، وإن توحيد لغة التفاهم بين المسلمين كفيل بالتقارب وتبادل الآراء بينهم . وحكومة الباكستان جادة فى تعليم اللغة العربية بمدارسها ، وهى تتجه فى ذلك إلى مصر كما تتجه إلى الأزهر خاصة للتوسع فى التعليم الإسلامى . وقد افتتحت الإذاعة العربية من الباكستان يوم الاحتفال بعيد استقلالها ، وبرامج هذه الإذاعة حافلة بالإنتاج المصرى فى الفنون والثقافة ، وقد اختير لإدارة هذه الإذاعة شبان مصريون مثقفون .

وبعد فإنى أريد — مع اغتباطى بكل تلك المظاهر — أن أهمس فى آذان زعماء الباكستان وقادتها ، أن يبدؤا بأنفسهم فيتعبوها قليلاً بتعلم اللغة العربية ، لتكون لساناً لهم ، بدل الإنجليزية فى البلاد العربية على الأقل .

عباس خضر



حياة الريف فى الأدب :

إن الخضرة المترامية التى تكسو الوادى الخصب لتبدو رائعة حينما تأتلق بين أعطافها الإشعاعات الحانية المرسلة من شمسنا الوادعة ، والأبصار تختلب حينما أيجذب أحداقها مرائى الصور الخلابة فى مرامى الأحاسيس الشاعرة ؛ فأين تصوير حياة الريف بعد الانفعال بمظاهر روائعه الأخاذة ؟.

لقد صعد بنا الخيال إلى أقاصى الصعيد ، ومتعنا رؤية المرئيات التى شاهدت بها عواطفنا أسمى ما يصل بين الخالق والمخلوق ، وعلى الرغم من معاناتنا التأزم النفسى لم يتقلص شعورنا بل كانت الباصرة تطل من نافذة الإيمان على مشاهد الوجود ، فتأنس إلى الوحدة ، وتستأنس الوحشة ، ويقال : إن نقد الشىء أيسر من وجوده ؛ ونحن لا نتطاول فى نقدنا إلى درجة التعجيز ، أو تدفعنا غرة الغرور إلى الاستصلاف ، وإنما نبغى التنويه عما يجب أن تتجه إليه المشاعر ؛ فالأدب مقفر من معالم « البيئة » ، لانصراف الأذهان عن الاتصال بالحياة الأصيلة الفطرية إلى الصنعة الوافدة الراكدة !.

لقد بلغت الجهود الاكتفاء بأوصاف أجزاء الأجسام « العارية » عن الإنسانية ، فيكد الشاعر خياله ، وديباجته ، ولغته فى تصيد الألفاظ التى تكشف سيئاتها عن سوآتها ! ، وهو يكون رائعاً إذ يصف الثغر ، والنهد ، والساق ، والشعر وما « يلى ..! » ، وقد تناسى تلك المتهادية فى خفر الأنوثة حاملة جرتها على رأسها تناغى مع مناغاة ماء النيل أعذب غنوة من أطهر شفة !. ، يذهب بالتغنى « بالعوامة » إلى تجاهل روعة « المركب الشراعى » الذى لا زال وفياً بعهده ، باقياً على وده !.

إن أدبنا فقير فى تصوير « البيئة » ، وطفت موجة التقليد للصحف البعيدة عن حياتنا وعاداتنا ، وطبيعة بلادنا ، حتى كاد يغمرنا طوفان ننسى معه قوميتنا !

لا نعنى بالأدب المنثور والمنظوم من الكلام ، وإنما نقصد كل لون فنى يسمو بالمعانى الإنسانية ، كالتصوير والنحت والخيالة ذات التقصير المعيب ! . ولا ننسى أن أديبة ملهمة موفقة كالسيدة « بنت الشاطىء » قد كتبت عن الريف ، ولا زالت تنتهز الهزات « للتمريف » به لمن جحدوه وجفوه وأنكروه لكن صوتاً واحداً مهما تبلغ جهارته لن يكون بعيد الأثر إذا لم يكن من دخائل الطباع ما يحثها على تعرف مواضع الجمال فى هذا الريف وتمجيده ، والتباهى فى مقام المفاخرة ، والإشارة بما يرسمه الفن على صفحة النفس من الانفعالات التى ترتفع بمعالم الوطن إلى مواطن الخلود !

(بور سعيد) **أحمد عبد اللطيف بدر**

من لحن القول :

١ — دأب الكتاب على جمع باسل على بواسل ، وتردد هذا الجمع فى هذه الأيام وصفاً لجنودنا . ويعلم السادة الأفاضل — الكتاب — أن الجنود رجال أبطال وقوم عقلاء فلما يضعونهم — من الوجهة الصرفية — بين ربات الجمال وفاقدى العقول .

وهذا الجمع غريب شاذ ، فلا المعاجم تذكره ولا القياس يبرره ولا السماع يؤيده ، فلما لا نقتله ونحيى لفظين رشيقين صحيحين يستعذبهما الذوق ويستلهمهما القلم وهما بسل وبسلاء .

وقد ورد هذا الجمع فى تعقيبات الأستاذ أنور المعداوى فى العدد (٤٨١) من الرسالة .

٢ — ومما يقلبه الكتاب — عامتهم — قلباً ويمسخونه مسخاً ويسلخونه سلخاً استعمالهم تواً بمعنى « الساعة وحالاً » فيقولون ذهب تواً وذهب لتوه .

وهذا المعنى تلفظه المعاجم وتنبذه اللغة وما قالته هو التو بمعنى الفرد ، فذهب تواً أى فرداً أو لم يلوه شىء والصواب توه .

٣ — ويقال التحق بالجيش وبالمدرسة ، وهذا غير فصيح وليس بالصريح ، بل هو عامى مولد كما جاء فى تاج العروس والصواب لحق وألحق .

هذا ما أردت إثباته ، ثبتنا الله على الفصيح والسلام ...

(المنصورة) **عبد الجليل السيد حسن**

نقد وتعقيب :

كان الأستاذ أبو حيان جائراً أشد الجور في نقده لكتاب .. « الهجاء والهجائين » ولو كان محقاً فيما قاله لقبلناه منه وحمدناه له برغم ما في المقال من ألفاظ التهكم التي لا تليق بكبار الكتاب ولكنه مع هذا كان مجانباً للصواب في بعض ما أخذه على المؤلف الكريم ...

فالأستاذ الناقد يقول في البيت الأول : « كيف يحدى أبو بكر بالرماح .. فالحادي يحدو الإبل بغنائه فتنساق خلفه وتطرد وراء حدائه .. فكيف يمكن أن تكون الصورة حين يضع الرماح في موضع الحداء .. وفات الناقد أن الحدو أو الحداء ليس الغناء فقط ، وإنما هو سوق الإبل والغناء لها .. وللرماح — حالة إرسالها .. صوت يشبه الترنم والغناء قال الشماخ :

إذا نبض الرامون فيها ترنمت ترنم ثكلى أوجعتها الجنائز

وعلى هذا فالصورة الشعرية واضحة لا تعقيد فيها ولا التباس ..

أما قوله بأن يحذى بالذال المعجمة بمعنى يطمن فدخلها التحريف. فلا حاجة إليه بعد أن اتضح المعنى على التخريج الذي ذكره المؤلف ورضيناه .. فضلا .. عن أنه لم يُسمع حذا بالذال بمعنى طعن لكذ وحذق وحذف .. وأنني أود أن يكون الناقد رفيقاً فيما يتناوله بالنقد ...

(أسيوط) كيلاني حسه سند

إلى الأديب الأستاذ الكبير راجي الراعي :

أعجبتني خطرات فكرية رقيقة ، وأضواء ذهنية مشرقة دبجتها براعتكم بالعدد ٨٤٠ من الرسالة . ولقصوري عن الإحاطة بالمراد من العبارتين الواردتين في مناجاة الشمس وهما « يا ابنة الله » « يا عين الله » أرجو التفضل بجلاء ما غمض منهما خدمة للحقيقة والأدب ولكم منا عاطر الثناء ، ومن الله أحسن الجزاء .

(المنيا) دسوقي إبراهيم حنفي

حول تصحيح :

طالعت تعقيب الأستاذ « غازي » على شرح الأستاذ « أبي حيان » لبيتي الحطيئة بن أوس — ومع تقديري لرأي الأستاذين رأيت أن أدلي بدلوي في الدلاء ، فأقول : كلمة « الرجال » في البيت الثاني قد تكون محرفة من « الرحال » جمع رحل والمقصود بها الأنحاء وكذلك كلمة « هبنه » محرفة من « هجنه » بمعنى أفزعنه وأثرنه ، فلا يبقى محل لتخطئة الأستاذ « غازي » للشاعر : فيكون البيت هكذا :

ولكن يدهدى بالرحال فهجنه إلى قدر ما إن يقيم ولا يسرى

وبذلك يستقيم معنى البيت والله أعلم .

(كفر الدوار) أبو جمارة



الشـــقاء المقدّس ...! (*)

[إلى اللائى يعشن فى مأتم الروح ... عزاء من الحياة]

للأستاذ أنور المداوى

كانت أجمل امرأة فى عصرها ، وكانت أشقى امرأة ... أما جمالها فحسبه أنه كان وحياً لأمير النثر الفرنسى شاتوبريان ، وأمير الشعر لامرتين ، وسيد كتاب القصة الذاتية بنجامان كونستان . وأما شقاؤها فلو قدر لفنان أن يصنع تمثالا للجمال البائس ، أو يرسم لوحة للأمل اليائس ، لما وجد لفنه خيراً من قصة مدام ريكامييه !

عندما وفدت إلى باريس عام ١٧٩٣ ، كانت الثورة الفرنسية المجنونة تلتهم أبناءها فى غير رفق ولا هوادة . وكانت نفس الصغيرة جولييت برنار تفيض أسى ولوعة لمنظر الذاهبين إلى المقصلة : نساء ورجال ، فى ميعة الصبا وفجر العمر ... يذهبون إلى غير رجعة . وشعب يصفق للدماء المراقة تجرى هنا وهناك ، وهو أبداً ظمآن لا يرتوى ! ... أية نفوس تلك التى خلت من معانى الرحمة وأية قلوب تلك التى تحجرت فلا ينبض فيها عرق بعاطفة ، وأية عقول تلك التى أذهلتها القسوة فلا تصغى لصوت برئ ولا تحفل بشكاة مظلوم ؟! ... كانت جولييت الفاتنة تحدث نفسها بهذا كله وهى تصبح وتمسى على منظر واحد : مقصلة ، ودماء ، وشعب يلهو بضحاياه كما يلهو عالم التشريح بحيوان بائس ، يئن تحت أطراف مبضعه ... ولكم ودت أن تفر من هذا العذاب إلى بلد آخر ، تنعم فيه بالهدوء والصفاء والأمن ، وتلتقى بنفسها فى أحضان الطبيعة الحانية : تشبع عينيها من النهار المشمس والليل المقمر ، وتملأ رئتيها من الهواء النقى ، يحمل إليها رائحة الزهر لا رائحة الدم ، وغناء الطير لا أنين الضحايا ، وتلتقى نفوساً لم يدنسها حقد ولا ضغينة ، بل يجمع بينها صفاء ووفاء ، ووداعة وقناعة ، ولكن أين هى من هذا كله ؟ ... لقد قدر لها منذ أن فتحت عينيها على الوجود ، أن تعيش فى العذاب : إحساساً ورؤية !

كانت فى ربيعها الخامس عشر حين كان مسيو ريكامييه يتردد على بيت أبويها ، وكان أبواها يدركان أن ريكامييه الثرى وصاحب المصرف الشهير ، لا يتردد على بيتهما إلا لأنه يحب ابنتهما كل الحب ، ويعجب بها كل الإعجاب ... وما أكثر الذين كانوا يتهافتون على جمالها النادر فيرتدون على أعقابهم إلا ريكامييه ، فقد وصل . وصل بماله إلى قلب الأم والأب ، ولكنه لم يصل إلى قلب جولييت ... وحين خطبها إلى أبويها ألحا على ابنتهما أن تقبله زوجاً فقبلت على مضض ! كان فى الأربعين من عمره ... خمسة وعشرون عاماً تفصل بين قلبين ، ومزاجين ، وشعورين . وهنا يلتقى الخريف بالربيع ، ربيع حياتها بخريف حياته ! وعاشت فى قصر ريكامييه كما تعيش الملكات ، ولكنها كانت تحس القفر فى كل مكان تطؤه قدماها ... لقد مضت بها الأيام قلقة متشابهة ، لا يشع فيها أمل يبدد من ظلام القلب والروح . أى شباب هذا الذى تقذف به المقادير فى خضم من أعاصير الحيرة ، فلا يدرى على أى شاطئ ترسو سفينة أحلامه وأوهامه ؟! ... لقد مرت شهور ومدام ريكامييه لا تزال عذراء كما كانت . حياة كلها غموض وأسرار ، ولقد كان الحياء وحده هو الذى يمنعها أن تسأله عن سره ... سره الذى طال ! أى إنسان هذا الذى يحوطها بعطفه وحبه وحنانه ، ثم لا يقربها كما يقرب الأزواج ... ؟! كانت تتعذب فى صمت ، وتبكى للجمال يذوى بين يدى الحرمان ، ولا تجد الجرأة على أن تفاتحه يوماً بما يعتلج فى نفسها : أليس رجلاً ؟ أليس زوجاً ؟ ألا يهزه هذا الجمال ؟ ألا يصير راهباً إلا حين تربط بينهما المقادير ؟! وتتلظى الكلمات على شفتيها كصفوف جيش أعدت للهجوم ، وتلتهب الأفكار فيما بينها التهاب القنابل ... ولكنها حين تلتقى بزوجها وجهاً لوجه ، تموت الكلمات ، وتخور العزيمة ، وتخمد الجرأة ، ولا يبقى إلا الحياء يشل منها اللسان ، ويجعل منها إنسانة ضعيفة مسلوبة

(*) عن كتاب « مدام ريكامييه » للسياسى الفرنسى الكبير إدوار هريو ، ومراجع أخرى .

الإرادة ! كانت تتلهف إلى شيء واحد ... هو أن تعلم سره . ولكن سره الرهيب كان أمنية بعيدة المنال ، وعاشت مدام ريكاميه وماتت ، دون أن تعلم شيئاً . لقد عاشت عذراء ، وماتت عذراء !!

ثلاثة هم الذين كانوا يعلمون سر ريكاميه : الله ... وهو ... وأمها ! أكان يمكن أن يبوح مسيو ريكاميه بسره إلى زوجته ألا ما أقسى سخرية القدر ! ... أيقول لها إنه أبوها ، وإنها ثمرة حبه من أمها ؟! أمن الممكن هذا ؟ زوج وأب ؟ وتريد ابنته أن يباشرها كزوج ؟ ... إنه يحنو عليها كما لم يحن على إنسان ، ويؤثرها بحبه وعطفه ورعايته ، لينسيها على مر الزمن هذا الذي تفكر فيه ، ويرمض جوانحها بالعذاب ! واستطاع مسيو ريكاميه على الأيام أن يحل الروح من نفسها محل الجسد ، وأن يزيح عن كاهلها كثيراً مما تعانيه .

أما لماذا تزوجها وهو يعلم أنها ابنته ، فذلك سر آخر ... كان ريكاميه من أنصار الملكية ، وكان ينتظر يومه الذى لا مفر منه على أيدى الثوار . وكان يدرك أن المقصلة فى انتظاره ، وإذا كانت قد أخطأته اليوم فلن تخطئه غداً ، فلمن يترك ملايينه بعد مصرعه ؟ ليس هناك من يستحقها غير ابنته .. جولييت برنار ! ومن هنا تزوجها ليكفل لها حياة هنيئة ، يسعد فيها هذا الجمال الذى ينتسب إليه . كان يخشى أن يثير الظنون إذا ما ترك لها ثروته دون علاقة تربط بينها وبينه ... ولكن المقصلة تخطئه ، والثوار يغفلون عنه ، ويقدر لمسيو ريكاميه أن يعيش ليتعذب وأى عذاب أكثر من هول الشعور الذى كان يرزح تحت أثقاله .. الشعور بأن زوجته هى ابنته ؟! لكم ود أن يطلقها ولكنه لم يستطع ، إنها ابنته ومن حقها وحدها أن تنعم بثروة أبيها . وماذا يقول الناس ، وماذا يقول زوجها الآخر إذا ما قدر لها أن تتزوج من بعده ، حين يكتشف أنها خرجت من بيته وهى عذراء ؟ ! أليس فى ذلك ما يجرح كرامته كرجل يعتز برجولته ؟ أليس من المحتمل أن يكشف سره فيتهامس به الناس ، فلا يلبث أن يكون حديثاً تجهر به الشفاه ؟ ! ... ويلح عليه العذاب حين يخلو إلى نفسه ، ويشعر أن زوجته ، تلك الزنبقة النضة ، قد أرغمت على أن تعيش بسببه بين سفى الرمال ولفح السمائم ! شىء واحد كان يعجب له مسيو ريكاميه ولا ينتهى له عجب ، هو ما تتحلى به ابنته من طهر وعفاف ، على الرغم من أن حياتها الزوجية قد خلت من الرجل ! ... لقد كانت مدام ريكاميه محط أنظار الشباب وحديث أمانيهم ، يتهافتون عليها فى كل مكان من أجل نظرة أو ابتسامة . وما أكثر ما كانت تنظر إليهم وتبتسم لهم ، وتضن عليهم بما دون ذلك ... إنها امرأة ، وجميلة ، فلم لا تفيض على ركب المعجبين من هذا النبع الفياض ، وهم الذين يشعرونها فى كل لحظة بأنها إنسانة ساحرة ، تنطق بذلك وجوههم فلا حاجة بها إلى مرآة ؟! من هنا كان ريكاميه يعجب بها ويعجب لها ، ويزداد حبه لزوجته وتقديره لابنته ... وكانت مدام ريكاميه تنسى مرارة الحرمان حين ترمقها نظرات المعجبين ، وحين تنادى شفتيها شفاههم الظامئة ، فتمتنع وفاء للزوج ، واستجابة للضمير ، وإرضاء للدلال ! ... جمال تتقاذفه أمواج الحرمان فحرم من نعيم الحياة وحرم معه الناس ، وزهرة ندية بالعطر فواحة بالأرج ، عاشت فى تربة من عفاف وصون فعزت على القاطفين !

كان قصرها فى « كليشى » أشبه بندوة عامرة يؤمها رجال السيف والقلم بين حين وحين ، وصالوناً من تلك الصالونات الفخمة التى كانت تزخر بها باريس ويقصد إليها المترفون من الرجال والنساء لتغذية العين والفكر والخيال ... وفى يوم من أيام قصرها الحافلة بالترف والإيناس والمتعة ، يقع لمدام ريكاميه حادث يهز كيانها هزاً عنيفاً ، وتتذوق فى ظلاله طعم الرى ، وتنسى حرقة الظمأ ، وتشعر كما لم تشعر من قبل .. بأنها امرأة ! كان ذلك فى حديقة القصر حين ركض وراءها ابن أخت ريكاميه ، وكان شاباً جميلا من ذلك النوع الذى يخلب ألباب العذارى ... وكانت هى تنفر منه فى دلال ، وتضحك من عجزه عن اللحاق بها ، ولكنه يلحق بها ويحتويها بين ذراعيه ... وكادت تصعق من هول المفاجأة ، فراحت تقاوم فى عنف ، ولكنها أحست بوجهها يلتهب تحت أنفاسه المحترقة ، وبشفتيها تذوبان فى شفتيه ، وبكيانها يتلاشى فى كيانه . وفى غمرة النشوة رأت نفسها تغيب معه فى حلم جميل ، وتطوق عنقه بذراعيها ، وتدفن وجهها فى صدره ، وتنظر فى عينه نظرة طويلة حالمة ... نظرة امرأة استيقظ فى أعماقها الرجل ! وحين أفلتت من بين يديه تطلعت إليه كغزال مذعور ، وانطلقت تجرى إلى القصر ... كانت تريد أن تخلو إلى نفسها لتستعيد الحلم الجميل مرة أخرى !

حرك هذا الحادث فى نفس مدام ريكاميه كل عاطفة خامدة ، وأثار كل شعور كامن ... وراح الفكر الحيران يسبح فى خضم الوجود ، باحثاً عن أمنيات ضلت طريقها من طول ما لقيت من ظلام وضباب . والذهن الكليل يحلق فى أجواء الخيال ، يبنى من قصور الأوهام ما شاءت فنونه وشجونه . والقلب الثائر يرسل أنّاته فى نبضاته ، فلا يسمع لها صدى من عطف حبيب أو رفيق ، والروح الشاردة تعبر عالم الأسى والأنين مرتاعة ملتاعة ، تنشد الرى فلا تجد إلا الظمأ ، وتترقب النشوة فلا تحس إلا الألم ، وترجو الفرحة فلا تلقى إلا الشجن ، ولا تعود من عالمها هذا إلا بأشتات المنى تحتضر !

وتمضى الحياة فى طريقها تطوى الأيام حتى تقف بمدام ريكاميه عند يوم لا ينسى ... لقد رآها نابليون فى ذلك اليوم فى حفلة من تلك الحفلات الصاخبة التى كان يعج بها قصر أخيه لوسيان !

كان لوسيان يهيم بها ، ويتقرب إليها ، ويلقى إلى الصيد الجميل بكل ما شاء من شباك ، ولكنه لم يكن يظفر إلا بابتسامة عذبة تحمل إليه كثيراً من المعانى ... ولوسيان من هو ؟ جمال تحلم به كل فاتنة ، ووزير الداخلية ، وأخو القنصل الأول والحاكم بأمره ! وعلى كثرة الوجوه الفاتنة التى كانت تزخر بها حجرات القصر وردهاته ، فإن نظرات بونابرت النفاذة لم تستقر إلا على وجه مدام ريكاميه ، وحين مرت به لموباً كما مرت بغيره ، راح يسأل الجنرال برنادوت عن هذا الجمال الذى لم يحفل بنظرات القنصل الأول :

— برنادوت ... أتعرف هذه الفاتنة ؟

— أية فاتنة يا مولاى ؟ !

— تلك التى تتحدث إلى أخى لوسيان ...

— أتعنى مدام ريكاميه يا صاحب الجلالة ؟ !

وهتف بونابرت فى صوت حالم : مدام ريكاميه ... يالها من امرأة ... !

وغادر المكان وفى رأسه ثورة تحتدم ... لقد قرر أن ينالها مهما يكن الثمن ، وأن يخوضها معركة حامية ... ضد امرأة !

ويالها من معركة كانت أسلحتها من أهداب وجفون ... معركة لم يكن يقدر لها أن تطول ، وأن تنتهى بهزيمته ! لقد جرب القائد الشجاع كل سلاح ، واستنفد كل خطة ، وحارب فى كل ميدان ، وحين باء بالخذلان راح يصب نقمته على الجمال النادر ... وابتدأت حياة العذاب ، تلفح بنارها الوجه المشرق ، والثغر الباسم ، والعينين الساحرتين ... وعلى مر السنين ، وتحت وطأة الشجن ، ذبل الشباب النضر ، وسكت الصوت العذب إلا من أنات !

لقد بدأ النضال بين بونابرت ومدام ريكاميه فى ذلك اليوم الذى قبض فيه على أبيها ، أعنى زوج أمها ، ليحاكم فى اليوم التالى بتهمة الخيانة العظمى ... كان الرجل مديراً عاماً للبريد ، وكان من الذين يدينون بالولاء للنظام الملكى ، فاشترك فى إيصال بعض المكاتبات للحزب الملكى الذى كان يعمل فى الخفاء ضد الحكم القنصلى ... لقد خارت قواها فى ذلك اليوم من هول الصدمة ، ومضت تنشد العون عند كل صديق ، لتبعد شبح المقصلة عن الرجل الذى كانت تظنه أباها . وبتوسط لها الجنرال برنادوت ، ويصحبها إلى قصر التويلرى لمقابلة القنصل الأول ، وكانت هذه هى المرة الثانية التى يرى فيها بونابرت مدام ريكاميه ... وخضع الجبار لسطوة الجمال القاهر ، فأمر بحفظ الدعوى والإفراج عن الرجل ! وخيل إلى الصقر الفرنسى أنه بهذا الصنيع الذى أسداه إلى الحمامة الوديعة ، خيل إليه أنه يستطيع أن يدنيها منه حين يشاء ، وأن يخضعها لرغباته !

وتدور عجلة الزمن ، ويصبح القنصل الأول امبراطوراً تدين له فرنسا وما حولها بالطاعة والولاء . وعلى الرغم من المهام الكثيرة الملقاة على عاتقه ، وما يشغل فكره من أمجاد وأطماع ، فإن صورة مدام ريكاميه ما فتئت تداعب أحلامه وأمانيه ... عرض عليها أن تكون وصيفة لزوجته الإمبراطورة فاعتذرت عن قبول هذا الشرف فى لطف ولباقة ! كانت خطة محكمة رسمها القائد العظيم لينهى بها المعركة التى طالت ، وكان يهدف من ورائها إلى أن يدنى منه مدام ريكاميه ... وحين ألح عليها أن تقبل ما عرضه عليها ، اعتذرت مرة أخرى فى عزم وإباء ... كل شىء قد خضع لنابليون إلا مدام ريكاميه ! ومن هنا أعلنها حرباً سافرة لا تبقى ولا تذر ... وتحت ضرباته الرهيبة المتوالية ، هوى الجمال النادر من قمة الثراء إلى حضيض الفاقة ... وفقدت مدام ريكاميه كل صديق ، وانطلقت الأراجيف تنال من سمعتها كل منال ، ولقى كل من ينتسب إليها أعنف ألوان الاضطهاد والتشريد ... هذه صديقتها الكاتبة الفرنسية الشهيرة مدام دى ستايل يلقى بها بونابرت بعيداً عن أرض الوطن ، ولا يلبث أن يلحق بها صديقها الآخر بنجامان كونستان ! أما مسيو ريكاميه

فقد أمر بونابرت بأن يقطع عنه بنك فرنسا كل معونة مالية ، وأسرع الناس يسحبون ودائعهم من مصرفه ، وحين أوشك على الإفلاس ، لم تجد مدام ريكامييه بداً من أن تتوسل إلى الجنرال مينو حاكم باريس ليشفع لها لدى الإمبراطور ... ورفض بونابرت ، وبصيح بشماته صارخاً في وجه صديقه :

قل لمدام ريكامييه إننى لست عشيقاً لها حتى أنتشلها من مهاويها ... وهكذا تردّى مسيو ريكامييه إلى هوة الفقر والشقاء ، وذاقت معه مدام ريكامييه طعم البؤس والحرمان كما لم يذقه إنسان

وحين فقدت أمها وهى آخر أحبابها وأعز أمانيها ؛ قررت أن تهجر فرنسا أرض العذاب ، لتلحق بصديقتها الوفية مدام دى ستايل ... وهناك على شاطئ بحيرة ليمان فى سويسرا ، التقى قلب بقلب ، وتصافحت روح بروح ، وامتزجت دموع بدموع ! وفى رحاب صديقتها وعلى مر الأيام استطاعت مدام ريكامييه أن تنسى بعض آلامها وأن تجد لقلبها بعض العزاء ... لقد التقى بها أحد الأمراء البروسيين ، وكان له من جماله وشبابه ونبل محتده ما ألهب عواطفها الخامدة . وحين صارحها بحبه ، تفتح له قلبها المغلق كما تتفتح الزهرة تحت أنداء الفجر ... وراحت تكتب إلى زوجها مسيو ريكامييه ، طالبة إليه أن يطلقها لتتزوج من الرجل الذى أحبها وأحبته . وعند ما تلقت رد زوجها من باريس لم تملك إلا أن تبلل سطوره بالدمع ! ومضت تقرأ وهى لا تكاد تتماسك من الأسى واللوعة : « عزيزتى جولييت ... لم أكن أنتظر أن أفقد كل شىء فى دنياى حتى زوجتى الحبيبة ... ذلك الأمل الأخير الذى كان يسطع فى أفق حياتى فينير لى الطريق ... ما أقساك يا جولييت ؟ ... إنك لا ترحمين وحدتى وغربة روحى . أتريدين أن تتخلى عنى لأننى أصبحت فقيراً ؟ ... أنا الذى ضحيت بمالى فى سبيل إسعادك ! ... إن كان ذلك يسعدك يا جولييت ، فلا يسعنى إلا أن أفسح لك الطريق ... وإلا أن أدعو لك الله ... دعاء تباركه الدموع » . وحين فرغت من تلاوة رسالته الحزينة ، تطلعت إلى الأمير أوجست وهى تقول له : يا صديقى ، أرجو أن تغفر لى ... لقد عدت إلى قلبى أسأله ، فوجدت أن زوجى هو الرجل الوحيد الذى أحببته ... لك دعواتى ، ووداعاً ! وشدت رحالها مرة أخرى إلى فرنسا ... إلى أرض العذاب ، فما عادت تطيق البقاء فى ذلك المكان الذى لف حبها فى أكفانه .

وإلى جانب مسيو ريكامييه راحت فى مأتم الأحلام تقتات على بقايا الذكريات ... ولكن الذكريات تلح على القلب الحزين فيطول ليلها ويطول أرقها فى رحاب الشجن . ويشير عليها الأطباء بتناول بعض المخدرات لتمنع عن نفسها الأرق فلا يفلح الدواء ... ويخطر لها ذات يوم أن تضع حداً لهذه الحياة المريرة ، فتتناول زجاجة فيها سائل مميت ، وحين تهم بوضعها على شفتيها يسرع ريكامييه وهو لا يملك نفسه من الفزع ... ويختطفها من بين يديها وهو يصيح صيحة ملتاعة : ابنتى ... ابنتى ! . وتطلعت إليه فى ذهول كمن أفاق من حلم مروع ، وأخذت تنظر إلى عينيه كأنما تريد أن تستل من أعماقها سر ما نطق به لسانه ... وحين أوشك ريكامييه أن يفضى إليها بسره الرهيب ، دخل أبوها برنار! وانتابها شعور خفى لم تدرك له كنها ، شعور فيه حيرة تجلت فى عينيها تساؤلا ولهفة ، ومضت تنقل بصرها بين الرجلين ، وصاحت وهى ترتمى فى أحضان برنار : أبى ... أحبك يا أبى ! أما ريكامييه فكان يغالب دموعه !! وعلى الرغم من كل هذا العذاب ، فقد أمر نابليون بنفيها إلى خارج فرنسا حين علم أن بعض الرسائل تصلها من مدام دى ستايل ، تلك الكاتبة التى أصلته بقلمها ناراً حامية ، هى وصديقها بنجامان كونستان ... ومرة أخرى يممت شطر صديقتها الوفية ، والتقى قلب بقلب ، وتصافحت روح بروح ، وامتزجت دموع بدموع !

وحين دالت دولة الجبار ، عادت من جديد إلى أرض العذاب لتقضى بقية أيامها فى أحد الأديرة ... بعيداً عن الناس . وفى مكانها هذا المنعزل يقضى إلى جانبها أمير النثر الفرنسى شاتوبريان أكثر أوقاته ، ويضفى عليها من عذوبة روحه ، وسحر حديثه ، وذوب قلبه ، ما يعزيها عن فقد الأحباب ، ولكن أين من يعزيها عن فقد الشباب ؟.. لقد أطفأت الأيام بريق عينيها ، وعبثت بنضارة وجهها ، وحكمت على شبابها بالأفول !

وقالت له وهو يعرض عليها أن تكون شريكة حياته : يا صديقى ... إن حبك لى هو آخر واحة ترسل ظلالها فى صحراء حياتى ... ولكن أصوات من سبقونى إلى الله ، تهتف بى أن أظل كما كنت ... مدام ريكامييه !.. ومع ذلك فماذا يجدى من التقاء قلبينا وضم جسمينا ، ونحن نحث الخطى إلى القبر ؟!.

وهكذا عاشت مدام ريكامييه ... وكانت حياة كلها شقاء ... شقاء مقدس !!

أنور المعداوى

رسالة النقد

موسيقى الشعر

تأليف الدكتور إبراهيم أنيس

بقلم الأستاذ إبراهيم الوائلي

تفضل أستاذنا الدكتور إبراهيم أنيس أستاذ فقه اللغة بكلية دار العلوم فأهدى إلى نسخة من كتابه « موسيقى الشعر » وقد أخرجه أوائل هذا الصيف دارساً الأوزان الشعرية عند العرب ومقدار تعرض الباحثين لهما مؤيداً تارة ومخالفاً تارة أخرى . وقد بنى بحثه على قواعد علم الأصوات وخصائص الحروف من حيث الجهر والهمس والشدة والرخاوة . وقد استأثر بآراء جديدة فى التنافر وعيوب الشعر والأوزان الإضافية الزائدة ، وابتداع تفاعيل جديدة .

والكتاب يتألف من أحد عشر فصلا تنوعت إلى مواضيع مختلفة ، وسنشير إلى الفصول ذات الأهمية ، كما أننا سوف لا نكتم ما نجده من ملاحظات على هذه الفصول .

يتحدث الدكتور فى الفصل الأول عن الإحساس الأدبى وعلاقته بالفطرة والتجارب المكتسبة ، ثم عن أثر النغم فى حفظ الشعر ، وعن أبرز صفات الشعر وهي الموسيقى ، وعن التجديد فى هذه الموسيقى التى هى عبارة عن الوزن والقافية وينعى على الشعراء المحدثين عدم تجديدهم فى الأوزان ويعزو ذلك إلى البطء فى تطور الأوزان وأن هذا البطء طبيعي « لأن الناس عادة لا يقبلون الطفرة فى تطور موسيقاهم أو أوزان شعرهم » ثم يضيف إلى هذا إهمال الإنشاد فى عصرنا الحديث ، وهذا الإهمال « أفقدنا إلى حد كبير تذوق الموسيقى الشعرية ». هذا رأى سديد ، ولكن لماذا لا نضيف إليه التزام شعر المناسبات : من مدح ورثاء وغيرهما من الأوزان التى لا تزال آخذة بتلابيب كثير من الشعراء ؟ . وآية ذلك أن الشعراء الذين تحرروا من كلاسيكية المناسبات أخذوا يجددون فى أوزانهم وقوافيهم كما عند المهجريين واللبنانيين وبعض العراقيين . وقد أشار الدكتور إلى هذا التجديد عند المهجريين وذكر لهم بعض شواهد ، ولكنه لا يريد أن يبقى ذلك مقصوراً عليهم بل يجب أن يشيع فى البيئات العربية .

وفى الفصل الثانى يتحدث عن «الجرس فى اللفظ الشعرى» وأهم ما فيه تعرضه للتنافر وتعريف علماء البلاغة له وهو يتفق مع القائلين بأن التنافر إنما يكون إذا تقاربت الحروف فى مخارجها ، ولكنه يشترط لذلك ألا يفصل بين الحرفين حركة من الحركات لأن الحركة صوت كسائر الأصوات الأخر ، وعلى هذه القاعدة يجب أن تنظر فى الشواهد التى ساقها البلاغيون للتنافر .

ثم يتحدث عن طبيعة الأصوات وصلتها بموسيقى الشعر ، فالأصوات المهموسة وأصوات الأطباق وبعض أصوات الحلق لا تستسيغها موسيقى الشعر كما تستسيغ الأصوات المجهورة ، والشديدة أسهل من الرخوة فعدم استحسان كلمة « اطلخم » يرجع إلى الطاء والخاء لأن الأولى من أصوات الأطباق والثانية من أصوات الحلق وكلاهما مهموسان .

وفى هذا الفصل يتحدث عن « جرس الألفاظ فى البديع » ويناقش عبد القاهر الجرجانى مناقشة عنيفة لأن الجرجانى لا يهتم بجرس الألفاظ بل يعزو الجمال فى التعبير — إذا كان هناك جمال — إلى المعنى وحده .

يقول الدكتور فى صفحة ٤٤ : (ولا شك أن عبد القاهر قد بالغ فى هذا مبالغة غير محمودة ، فجمال الجرس أمر معترف به بين أهل الأدب ونقاده ولا معنى لإنكاره) .

ثم يقول فى الصحيفة نفسها : (وتظهر مبالغة الجرجانى حين نتذكر أن نقاد الأدب ، قديمهم وحديثهم ، قد أجمعوا على أمر واحد وهو وجوب إخضاع اللفظ للمعنى) . وإلى هنا يبدو شىء من التناقض بين التعبيرين ، ويظهر أن الدكتور أراد أن يقول : إنهم يجمعون على إخضاع المعنى للفظ حتى يتناسب هذا مع إنكاره لرأى الجرجانى ، وإلا فأية مبالغة تظهر عند الجرجانى وهو الذى لا يقيم لجرس الألفاظ وزناً : « فإذا رأيت البصير بجواهر الكلام يستحسن شعراً ويستجيد نثراً ثم يجعل الثناء

عليه من حيث اللفظ ... فاعلم أنه ليس ينبئك عن أحوال ترجع إلى أجراس الحروف وإلى ظاهر الوضع اللغوى بل إلى أمر يقع من المرء فى فؤاده(١) » . ويقول معلقاً على الجناس والسجع : (وعلى الجملة فانك لا تجد تجنيساً مقبولاً ولا سجعاً حسناً حتى يكون المعنى هو الذى طلبه واستدعاه وساقه إليك (٢)) .

والجرجانى يستحسن سجع الجاحظ لأنه خال من التكلف والصنعة وزيف كثيراً من التجنيس عند أبى تمام ومن نحا نحوه لأنه مصطنع متكلف ، ويسوق لذلك أمثلة كثيرة فى أسرار البلاغة للحسن والقبيح .

نعم إننا لا نريد أن نزركش الثياب على جسم ناحل متداعى الأوصال كما أننا لا نريد من الزهرة أن تبتسم وهى بين الأشواك والصخور ، وامل الجرجانى لا يند عن هذا الرأى .

أما الفصل الثالث فإنه يبحث فى الأوزان وأنواعها وبحث القدماء لها وفيه نقد للقدماء على إغراقهم فى خصائص الأوزان ومصطلحاتها وإتيانهم بأوزان لم يرد عليها من الشعر العربى شىء وإذا ورد فلا يكاد يتجاوز البيت أو البيتين ، ولعل أكثرها موضوع . كذلك ناقش القدماء فى بعض الأوزان التى افترضوا لها أصولاً ثم سقطت منها بعض التفاعيل مع أنه لم يرد لهذا الأصل الذى افترضوه شاهد من الشعر العربى . ونحن مع الدكتور فى مناقشته لهذا التمحل الذى شغل العروضيون به أنفسهم فلا داعى للافتراض لأن الدوائر العروضية لم توضع اعتباطاً وإنما وضعت وفق ما جاء من الشعر العربى . وفى أثناء بحثه تعرض لبحر المقتضب بشىء من الحذر لأنه نادر الشواهد وذكر قطعة للحسين بن الضحاك شاهداً عليه وأولها :

عالم بحبيـــه مطرق من التيه

ومنها :

لا وحق ما أنا فيـــه من عطف أرجيه

وآخرها :

تائه تزهـــده فى رغبتى فيه

فقال : إننا مضطرون إلى منع كلمة « عطف » من الصرف حتى يستقيم الوزن . والحقيقة أن الوزن لا يستقيم حتى مع هذا الاضطرار بل يكون الشطر الثانى من المزج على كلتا القراءتين ، ويخيل إلىّ أن البيت مصحف ولا يستقيم إلا إذا قلنا فيه هكذا :

لا وحق ما أنا فيـــه فلا أرجيه

وإن اختلف المعنى وقال : إن الشطر الأخير من القطعة لا يستقيم له وزن ، والصحيح أن الوزن مستقيم بتشديد « فىّ » وهذا ما يقتضيه المعنى كذلك .

وعالج فى هذا الفصل نسبة شيوع الأوزان فى الشعر مقدماً بعضها على بعض حسب هذا الشيوع وابتدأ بالطويل وذكر ما فيه من التفاعيل الشاذة التى تأباها الأذن الموسيقية ونحا باللوم على العروضيين الذين أقروها لمثل أو مثلين قد تكون من أخطاء الرواة أو من التصحيف . ومن هذه التفاعيل ورود « مفاعيل » و « مفاعل » حشواً فى البيت ومن الأول قول امرىء القيس :

ألا رب يوم لك منهن صالح ولا سيما يوم بدارة جلجل

ونحن نوافق الدكتور على هذا ونعتقد أن البيت مصحف إذ تكاد تكون أمثلته نادرة جداً وقد يكون هو وحده الذى روى بهذه الصورة ولذلك روى هكذا :

ألارب يوم لى من البيض صالح ولا سيما يوم بدارة جلجل

فراراً من هذا الشذوذ . ومن الثانى قول امرىء القيس أيضاً :

ويوم عقرت للمذارى مطيتى فيا عجباً من رحلها المتحمل

وقد افترض الدكتور قراءة : « عقرنا » فراراً من الزحاف . كما افترض لبعض الأبيات التى ساقها شاهداً لهذا النوع قراءة تتفق مع الوزن الصحيح ، وإلى هنا لا نستطيع أن نوافق الدكتور على تخطئة الرواة أو التصحيف ؛ لأن هذا النوع شائع عند العرب فى الجاهلية والإسلام وفى العصر العباسى وشواهده كثيرة فى الشعر الجاهلى ، ويكثر عند الأخطل فى صدر الإسلام ومنه قوله :

لجـــاء بها كأنما فى إنائه بها الكوكب المريخ تصفو وتزبد

وعند البحترى فى العصر العباسى ومنه قوله :

جديد الشـــباب كبره لفعاله وبعض الرجال كبره بسـنيه

---

(١) أسرار البلاغة ص ٩ مطبعة الاستقامة .

(٢) أسرار ص ١٥

ومثل هذا كثير لا يتسع المقام لذكره . ولعل مرجع ذلك إلى طبيعة الغناء فى العصر الجاهلى فإن معظم الشعراء كانوا يترنمون بأشعارهم حين ينشدون وهذا الإنشاد قد يطيل المقاطع والحركات فلا يحس الشاعر بنبوة أو شذوذ . وإطالة الحركة شائعة فى الشعر قال لبيد :

فبنى لنا بيتـــاً رفيعاً سمكه فسما إليـه كهلها وغلامها

فوزن البيت يقتضى إطالة الكسرة فى هاء « إليه » وعلى هذا فلا يبعد أن امرأ القيس كان ينشد بيته هكذا :

ويوم عقرت(و) للعذارى مطيتى فيا عجبــاً من رحلها المتحمل

أما شيوعه فيما بعد العصر الجاهلى فلأن الشعراء وجدوه شائعاً فنسجوا عليه . على أننا مع الدكتور فى أن هذا النوع من التفاعيل يجب الابتعاد عنه .

وفى استعراضه لبحر البسيط ذكر شواهد لمجىء « متفعلن » بدل « مستفعلن » فى حشو البيت . ومن هـذه الشواهد بيت للنابغة وهو :

سراته ، ماخلا (لبانه) ، لهق وفى القوائم مثل الوشم بالقار

وآخر لأعشى باهلة وهو :

طاوى المصـير على (العزاء) منجرد بالقوم ليـلـه ، لا ماء ولا شجر

وقد وضعنا كلتى (لبانه) و (العزاء) بين قوسين إذ فيهما يرد احتمال الشذوذ . أما القراءة الصحيحة فإنها تجعل البيتين مستقيمى الوزن ، فصحة الـكلمة الأولى : (لبّاته) بياء مشددة وتاء جمع لبّة وهى موضع القلادة . وصحة الـكلمة الثانية (العزّاء) بتشديد الزاء وهى السنة الشديدة وهذا ما يقتضيه المعنى أيضاً .

تعرض الدكتور فى ص ٩٤ لبحر المديد وذكر أنه وزن قديم جداً هجره الشعراء وليس فى القدماء الجاهليين من نظم عليه ما يستحق الذكر إلا بضعة أبيات نسبت للمهلهل بن ربيعة .

ولا أدرى هل يوافق الدكتور على رواية أبى تمام فقد روى هذا قصيدة ذات ٢٦ بيتاً لتأبط شراً وأولها :

إن بالشعب الذى دون سلع لقتيلاً دمه ما يطـــل

ولعل رأى الدكتور فى بحر المديد أرجح لأن الأصمعى نفسه شك فى أن تـكون هذه القصيدة جاهلية لبعض المعانى والتعابير التى وردت فيها ؟ وقد أشار إلى هذا التبريزى فى شرحه للحماسة وبيّن الآراء التى قيلت فيها .

وقد جمع الدكتور بين الهزج ومجزوء الوافر فى بحث واحد وسرُّ هذا الجمع كون البحرين يلتقيان فى تفاعيلهما ويفترقان فى بعض التغييرات . فالهزج يأتى فيه « مفاعيل » أحياناً بدل « مفاعيلن » ولا يجوز ذلك فى مجزوء الوافر . كما أن هذا الأخير تأتى فيه « مفاعلتن » ولا تأتى فى الهزج . وقول الدكتور : (فإذا جاءت الأبيات مكونة من مكرر مفاعلتن وحدها فذلك هو مجزوء الوافر) قول صحيح لا غبار عليه . أما قوله : (وإذا رويت من مكرر « مفاعيلن » وحدها فهنا يلتبس الأمر بين مجزوء الوافر والهزج) فهذا ما لا نستطيع أن نؤيده بل نقول : إنه الهزج بصورته الأصلية القديمة ، وكان على الدكتور أن يبرئ الهزج من « مفاعلتن » ليستريح من كل هـذا العناء ، والذى جعله يمزج بين البحرين هو هـذا الخلط العجيب الذى درج عليه بعض المحدثين فلم يفرقا بين الهزج ومجزوء الوافر بل تأتى القطعة وهى خليط من هذا وذاك . فالقطعة التى نقلها الدكتور من ديوان (الملاح التائه) شـاهداً على الهزج لا يقرها الوزن الصحيح لأنه يقول فيها :

هنـــاك على ربى الوادى لنـــا مهد من العشب

فإن الشطر الأول من مجزوء الوافر حتما لمجىء « مفاعلتن » فيه

وقال : (ويظهر أن الهزج تطـور لمجزوء الوافر جاءت به عصور الغناء أيام العباسيين ولم يكن معروفاً أيام الجاهليين) وقد بنى رأيه هذا على ندرة الشواهد وعدم اعتماده على الرواة فى معظم الأحيان . ولو أنه اعتمد على رواية أبى تمام لما أنكر وجود الهزج فقد روى أبو تمام فى الجزء الأول من الحماسة قطعة نسبها إلى الفند الزمانى من شعراء بكر بن وائل ومنها :

صـــفحنا عن بنى ذهل وقلنا القوم إخوان

والدليل على أنها من الهزج قوله فيها :

ولم يبق سوى الأعداء دنّاهم كما دانوا

وقوله :

بطامن كفم الزق غذا والزق ملآن

فقد وردت « مفاعيل » فى البيتين الأخيرين وهى من خصائص الهزج .

هناك شىء يجب أن أشير إليه بإيجاب وهو التفاعيل التى استنبطها الدكتور لتبنى منها الأوزان الشائمة بعد ترك الأوزان التى لم يرد عليها شاهد صحيح ، وهذه التفاعيل ثلاث : فعولن ، فاعلن ، مستفعلن . ثم يضاف إلى كل تفعيلة مقطع ساكن فيتولد ثلاث تفاعيل أخر : وهى فعولانْ ، فاعلانْ ، مستفعلانْ . ومن هذه التفاعيل الست يمكن بناء عشرة أبحر ماعدا الكامل والوافر والهزج . وعذر الدكتور فى استثناء هذه الثلاثة أنها قد تشتمل على مقطعين قصيرين متواليين فيتعذر بناؤها . وكان على الدكتور أن يضم الهزج إلى هذه البحور العشرة ويبنيه من « فعولانْ » مكررة بعد أن قلنا : إن الهزج لا تأتى فيه مفاعلتن ، أما الكامل والوافر فإنه يمكن أن تجرى فيهما على قواعد الصرفيين . ونقول : إن الحرف المتحرك لا ينافى أن يقابله الساكن فى التفعيلة لأن الصرفيين كثيراً ما يقابلون الساكن فى الكلمة بالمتحرك فى الميزان الصرفى ؛ فيقولون : اشتد على وزن افتعل . وإن كان فى هذا مجال للبحث .

وفى الفصل الرابع تعرض لتحليل المستشرقين للأوزان واتخاذ نظام المقاطع بدل التفاعيل . ولعل هذا يحتاج إلى دراسة شاملة ؛ لأن نظام المقاطع مبنى على دراسة الأصوات اللغوية وهذه لا تزال فى بداية مراحلها .

وفى الفصل الخامس تحدث عن غناء الشعر وإنشاده وعلاقة هذا بجودة الشعر وموسيقاه ونبه على ضرورة العناية بالإنشاد فى المدارس لتؤدى رسالة الشعر غير منقوصة . ولدى الحقيقة أن إهمال الإنشاد فى العصر الحديث قد أفقد الشعر ميزة كبرى لا تقل عن العاطفة والتعبير .

واختص السابع بدراسة أوزان المولدين كالمستطيل والممتد والمتوفر وغيرها وشيوع الأزجال المبنية على نظام البحور القديمة وقد ذكر لهذا عدة شواهد من مقدمة ابن خلدون ومن الأزجال المصرية الحديثة وحاول جهد الطاقة بناءها على البحور الشائعة .

والحق أن الأزجال فى البلاد العربية كلها أو معظمها موزون كالشعر الفصيح ولكن الوزن يختلف باختلاف اللهجات والأغانى فى الشعوب العربية ؛ لأن الشقة قد أصبحت بعيدة بين البيئات العربية فى تأدية الكلمات العامية .

وفى الختام لا يسعنى إلا أن أثنى على المؤلف الجليل لما بذله من عناية وجهد فى هذا الكتاب فجاء تحفة رائعة تغنى عما كتبه العروضيون وتمكن من يريد درس العروض دراسة صحيحة يستطيع بواسطتها أن يعرف النسج الشعرى دون مشقة أو عناء ويتجنب العيوب الشعرية من علل وزحافات وغيرها .

ابراهيم الوائلى

مطبعة الرسالة



العدد ٨٤٤ — الاثنين ٥ سبتمبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٣٠١٩

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 eme Année No. 844

Lundi — 5 — 9 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــــدد ٨٤٤ « القاهرة في يوم الاثنين ١٢ ذو القعدة سنة ١٣٦٨ — ٥ سبتمبر سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

أقول بصراحة . . !

أقول بصراحة : إن الجامعة العربية فى محنة ، وإنها تجتاز مرحلة ينظر إليها العقلاء بعين الرثاء حيناً وبعين الإشفاق حيناً آخر ... مرحلة سبقها ماض لم يخل من الشوائب ، ويصحبها حاضر لا يبرأ من التنابذ ، وينتظرها مستقبل لا يبشر بالخير ... وهى خطوات يشيع فيها التعثر والانحراف على كل حال ، والذنب — كما يقرره الواقع — ذنب الأفراد الذين يسمون أنفسهم ساسة وقادة ، وليس ذنب الأفراد الذين يكوّنون الشعوب والجماعات !

الشعوب العربية فى ميزان التعاطف والسلام والوئام والحب ، أيادٍ متحدة وقلوب مؤتلفة .. ولو ترك لها الأمر لتعبر عن دخائل النفوس ومكامن الشعور لاقتربت الآمال المتفرقة ، وتوطدت الأواصر المفككة ، وتركزت الجهود المشتتة بفعل الفردية المتأصلة فى بعض الضمائر والقلوب !

وماذا ينقص الساسة فى غمرة الأزمات وزحمة المشكلات ؟ ماذا ينقصهم ليقيموا بناء الجامعة العربية على دعائم جديدة تقيها الزلزلة فى مهب الرياح والأعاصير ؟ !

ينقصهم الكثير فى هذا المجال ، ومن هذا الكثير شىء من الصراحة أولا ، وشىء من خلوص النية ثانياً ، وشىء من الثقة ثالثاً ، وأخيراً أشياء من التضحية والإيثار وإنكار الذات ، وأمانة التعبير عن أهداف الجماعة الكبرى ممثلة فى شعب بأكمله ، شعب يضم صوته إلى أصوات جيرانه لتنطلق الصيحة الواحدة من أعماق حنجرة واحدة ... هى حنجرة الأمة العربيـة فى كل بقعة من البقاع ، وكل قطر من الأقطار !

تجتمع اللجنة السياسية من حين إلى حين ، تجتمع ثم تنفض ، ثم لا يعلم أحد أى قرار اتخذت ، ولا أى طريق رسمت ، ولا أى هدف من الأهداف سمت إليه فى طوايا الظلام ...

لو ملكنا الصراحة لكشفنا للشعوب عما دار من حديث بين أربعة جدران ، ولو وُهبنا خلوص النية لبدت الوجوه سافرة بغير قناع ، ولو طبعنا على شىء من الثقـة بالنفس والثقة بالغير لما اختلفنا على التافه وقنعنا باليسير ، ولو فطرنا على التضحية وإنكار الذات لما تفرّق الشمل وتصدّع البنيان ، ولو حرصنا على أن نعبر فى صـدق عن التيارات النفسية التى توجه الشعوب لما بعدت الشقة بين رأى ورأى فى حديث الساسة وذهب كل فى طريق ! !

غموض وحيرة وقلق ... وهـذا هو العنوان الوحيد الذى يجب أن يعلو كل مقال يشير إلى حاضر الجامعة العربية ومستقبلها . ولست أدرى ما هى المعجزة التى يمكن أن تطمس تلك الكلمات لتحل محلها كلمات أخرى تبرز لنا عنواناً آخر يضفى على الحاضر

المظلم من إشراقه ما يملأ جوانب النفوس بالنور ، ويرسل إلى المستقبل المجهول من أقباس ضيائه ما يطمئن الحيارى على مواطئ أقدامهم فى مقبل الأيام !

أليس من المخجل أن نتلق الدروس فى كل حين من تلك الدولة التى نحيط بها من كل ناحية إحاطة السوار بالمعصم ؟

لقد كان الأمل أن نحيط بها لنزهق بأيدينا المتحدة أنفاس هذا الوليد اللقيط الذى اعترف العالم بشرعية مولده ، ولكننا وا أسفاه قد أحطنا به لنتلق عنه آخر الأمر كثيراً من الدروس .. الدروس التى تنقصنا وتكتب للشعوب معانى الحياة والبقاء ! !

(أ . م)

أنــــا . . . والقمر !

للأستـــاذ راجى الراعى

لقيت القمر أمس ، وكان بدراً ، وإليك ما دار بيننا :

— من أنت أيها القمر ؟ !

— أنا ... أنا هو القمر !

— ولم هذه الغطرسة ؟ !

— ألا ترى أين أنا ؟ إنى أتوسط الأفق ... !

— ولكنك مع علائك لست بالمصابى ، فأنت تستعير نورك من الشمس ...

— وهل ترى فى ذلك ما يشير إلى الضعف ... من هو الذى لا يحتاج ولا يستعير ولا يستجير ... أتحسب أن فى الأرض والسماء حراً مستقلا غير الله ؟ ... الإنسان مدين لدمه ، ودمه مدين للأرض التى غذته بثمارها ، والأرض مدينة لعناصرها التى تصون كيانها ، وقلب الأرض مدين لقلب الأفق الذى يسقيه ويحييه ... الغمامة التى تراها عالقة بأهداب السماء ، مدينة للبحر الذى قذف بها إلى سمائها ... البحار مدينة للأنهار ، والأنهار للينابيع ، والينابيع للجبال ، والجبال لذراتها التى تضامنت فكونتها ... نعم ، أنا مدين للشمس ، والشمس مدينة لدائنها ، ودائنها مدين لدائنه ... الحياة مدينة للأرحام التى تقذف لها بالأجنة ، والموت مدين للحياة التى تملأ لحوده ... القرون مدين بعضها لبعض ، وكلها مدينة للرجل الأول ... الموسيقى والغرام والتصوير والنقش والشعر فنون مدينة للخيال ، والخيال مدين للمرأة ، والمرأة مدينة للحب والجمال ... الليل مدين للشمس التى غابت ، فلولاها لم يضرب خيامه فى الأرض ، والفجر مدين لليل ، فلولاه لم يطلع ... أنا مدين للشمس أستعير نورها ، ولكن الليالى مدينة لى ، وأنت مدين لى ساعة تتسكع فى الظلمة ، وساعة أثير صدر حبيبتك النابض فى ظلى فتضمك إليه ، إن فى كل قبلة من قبل حبك شيئاً منى ... أنا هو القمر ... أنا القمر .. أنا البدر وكفى ...

— ما عهدتك يا صاحبى فصيحاً إلى هذا الحد وفزراً ... ولم أر قبلك من يدافع عن نفسه بمثل هذه البلاغة ... حقاً إنك لنقيب المحامين ، وإنك لجميل ، وأجمل مافيك وضوحك وجلاؤك ! عبقريتك عبقرية الوضوح والجلاء ... ليس فيك شيء من الإبهام والقلق والاضطراب ، وهى نعمة أحسدك عليها ...

— لا ، لا تحسبها نعمة ولا تحسدنى ... أرأيت تلك النجمة التى تقلق الناظرين إليها وتدفعهم إلى السؤال عن وجهها ، إنها أجمل منى ، لأنها تحجب بعض ما فيها عن الخلائق ولا ترفع الحجاب عن محياها فيبدو بكل ما فيه ، ولا تقف مثلى على ملتقى الطرق لتهدى بوضوحها التائهين ... إنها تتشبث بسرها ، وتخفى عنك ضميرها ، فهى ليست عارية مثلى ، وعيبى الذى تحسبه جمالا هو أننى نزعت كل ثيابى وانبطحت أمامك فأريتك نفسى ... أنا رجل ساذج أبله ... وهل يتعرى أمام الناس إلا الساذج الأبله .. أنا رجل صريح سره فى وجهه وقلبه على لسانه ، ولكن صراحتى وسذاجتى ووضوحى صور لا يعرضها الجمال الحقيقى على لوحته ، فهو يرتاح إلى ما تفتش عنه العيون ، إلى الأسرار ، إلى الإبهام الذى يهز أعماق النفوس ويثيرها .. انظر إلى الموسيقى كيف تؤجج النار فى نفسك كلما زادت إبهاماً ، وانظر إلى الليل كيف يقلب صفحات قلبك وأنت تتلمس فيه طريقك ، وإلى المستقبل كيف يجذبك إليه وأنت محجوب عنه ، وإلى الشعر كيف يطربك وأنت لا تدرى لذلك من سبب ، وإلى الحب المفعم باللذات لأنك

لا تعرف له بداية ولا نهاية ... حبذا لو كان لى وشاح واحد من أوشحة هذا الليل الذى يكتنفنى !

– ما الذى تراه فيك جميلا أيها القمر البدر ؟

– رأفتى بالمتسكعين فى الظلمة !

– ولمن أنت ؟

– أنا لاحي الشمس

– من هو عدوك الأكبر ؟

– الفجر

– من يقيم فى دارك ؟

– العاشق والفيلسوف والشاعر

– ومن أيضاً ؟

– المرأة ... المرأة ... المرأة !

– كيف تحتجب أيها القمر ، وكيف تغضب إذا ما طفحت كأسك وضاق صدرك ؟

– بخسوفى

– هل جاءك يوماً جارك النسر وهمس فى أذنيك من كلامه ؟

– أنا فى رأفتى بالعبـاد أكره منقاره الذى ينقض به على الفريسة ...

– كيف أنت والنجوم ؟

– القوى والضعيف لا يتحابان ولا يتصافيان ...

– هل أنت راض عن الليل ؟

– لى معه يومان : يوم ولاء ، ويوم عداء !

– ألم تسأم من العلياء ؟

– ومن يسأم منها ؟

– ألم تحدثك نفسك يوماً بالتخلى عن عرشك ؟

فضحك القمر البدر حتى ضحكت لضحكه ، وما زلنا نضحك فى أعالى الفضاء حتى أقبل علينا الفجر متململا من ثرثرتنا وانقض على جنون البدر وجنونى ، وأعادنا من سمـاء الخيال الرفيع إلى الحقيقة الكثيفة ...

راجى الراعى

خواطر مسجوعة :

قد يقتل الألم الشعـــر !

(إن القوة التى تشد الأوتار هى التى تمزقها ، والنار التى تشد الدفوف هى التى تحرقها .
فإلى من تمزقت أوتارهم ، واحترقت دفوفهم ، أهدى رماد النار ، وتراب القيثار !!)

يقال إن الألم يوقظ الحواس ، ويشـد أوتار الإحساس ، ولهذا القول من الصواب خلاق ، لـكن على غير الإطلاق . فإن القوة التى تشد الأوتار هى التى تمزقها ، والنار التى تشد الدفوف هى التى تحرقها ، والقسر الذى يضغط الشغاف حتى يلهبه ، ليس أقتل منه للموهبة ! فالشاعر كالطائر يعبر عن كل آلامه بالبكاء ، إلا ألم القسر فقد يموت به من غير اشتكاء . والأملاق ضرب من القسر والإذلال ، والإذلال غل من أبغض الأغلال ! فإذا حصر الشاعر فى عيشة محدودة ، ودراهم معدودة ، كبت القسر إحساسه ، وكتم العسر أنفاسه !

وقد قيل إن البؤس أسدى إلى حافظ إحساناً ، وأضفى على شـعره إتقاناً ، فلم يأت بالنفائس ، إلا وهو بائس ، وأنه لما لمس بعض السعادة ، أخلد إلى البلادة ، ولما ارتاح باله ، قل فى الشعر مقاله ، فهل استراح هذا الشاعر إلا بعد أن هدت الأيام قواه ، وأشرف من العمر على منتهاه؟ وحسبنا البيت الذى قاله ، مصوراً حاله سعيت إلى أن كدت أنتعل الدما   وعدت فما أعقبت إلا التندما لقد كان فعل الآلام قوياً متماسكا ، عند ما لاذ الشاعر بالغاية لاهثاً متفككا ، فلم يصمت مؤثراً الصمت ، وإنما كان يتاهب للموت ، ومن قطع جل عمره فى لأواء ، ناء فى منتهى الشوط بالداء العياء !

وإذا كان البؤس هو الذى جعل حافظاً شاعراً كبيراً ، فبماذا كان شوقى للشـعر أميراً ؟ وقد نشأ فى أنعم دار ، ولعب باللؤلؤ والنضار ، وتربى فى أحضان البلهنية ، ولم تعز عليه أمنية ؟ أعتقد أن البحبوحة ، هى التى أطلقت روحه ، فنبغ فى ظلال النعمة ، والعيشة المنعمة

حامد بدر

القاهرة الإسلامية :

جامع الأشرف جانبلاط

مدرسته وضريحه

للأستاذ أحمد رمزى بك

كتب الجبرتى فى تاريخه عن حوادث شهر ذى الحجة الحرام سنة ١٢١٥ هجرية « وانقضت هذه السنة بحوادثها وما حصل فيها، فنها توالى الهدم والخراب، وتغير المعالم وتنويع المظالم، وعم الخراب خط الحسينية، خارج باب الفتوح والخروبى، فهدموا تلك الاخطاط والجهات والحارات والدروب والحمامات والمساجد والمزارات والزوايا والتكايا وما بها من الدور والقصور المزخرفة، وجامع الجنبلاطية بباب النصر، وما كان به من القباب العظام، المعقودة من الحجر المنحوت المربعة الأركان الشبيهة بالأهرام، والمنارة العظيمة ذات الهلالية، واتصل الهدم خارج باب النصر وباب الفتوح وباب القوص إلى باب الحديد، حتى بقى ذلك كله خراباً متصلا وبقى سور المدينة الأصلى ظاهراً مكشوفاً » .

لماذا أقدم الفرنسيون على هذا التدمير والتخريب وإزالة هذه العالم ؟ .

وما الذى جنته الآثار الاسلامية لكى تسوى بالأرض وتزال من الوجود ؟ .

واستمر الجبرتى يحدثنا عن المساجد والمدارس والدور والآثار التى هدمت، والنفس تفيض أسى وحسرة، ثم ختم بقول « قصدوا بذلك إنشاء عدة قلاع ومتاريس وتحصينات لحماية القاهرة » .

كنت أسمع للمؤرخ المصرى وكأنه ينتزع بكلامه عن كل أثر قطعة منى لأنى قاهرى مولداً ونشأة، وأرى فى القاهرة مدينة حية خلال العصور الماضية إذا أصابها سوء فكأنه أصابنى. وأعجب لقوم لايشعرون بشعورى، ولايقدرون عظمة القاهرة الاسلامية ! وقمت مسرعاً فى سيارة وقد حملت فى يدى خريطة الحملة الفرنسية وأخرى مفصله لتلك الناحية، ونظرت إلى باب القصر وإلى باب الفتوح، وقلت من هنا مر صلاح الدين وبعده نابليون، وهذا جامع الحاكم : ترى لو كان مع غيرنا هل يتركونه على حالته ؟ أم كانوا يعيدون إليه رونقه، ويجعلونه بيتاً للعبادة ؟

وفتحت أطالس الفرنسيين وعثرت على جامع الأشرف ورسمه وشكله فإذا بى أكون فكرة عما كان عليه المسجد قبل هدمه، ومن نظرة واحدة تعرفت على ركن قائم منه فى زاوية من سور القاهرة فى الجهة الشرقية من باب النصر .

ونظرت إلى الباقى منه أنادمه منادمة من يصبو إلى بانيه وواضعه، ورثى لسقطة هادميه ويقول ألم يجدوا لقلاعهم وخنادقهم غير حجارة هذا المسجد !

وما الذى كسبوه بإزالة معالمه ؟ لقد أصبح مكانه فضاء كساحة خالية، فأخذت أسير فيها وقد تملكتنى رهبة، ثم مر بخاطرى المنظر الآتى :

كيف جاء صاحب المسجد بعد زيارته لقبر قايتباى فكشف عن عمارة هذه المدرسة، ثم دخل من باب النصر وشق المدينة فكان آخر عهده بها إلى أن أحضرت جثته من الأسكندرية فى شوال سنة ٩٠٦ فى عهد الغورى فدفنت بتربة الأشرف قايتباى ثم تقدمت مماليكه « فقالوا لا ندفن أستاذنا إلا فى تربته التى بباب النصر » فنقل إليها وهذه ثالث نقلة لجثمانه .

ومرت منذ مدة فإذا الركن الذى كان عالقاً بالسور عند باب النصر وبقى من هدم جيوش نابليون قد أزيل بدوره . وذهبت المدرسة وضاع الضريح. ويقول حارس الأضرحة إن جماعة يسكنون فى جهة تحت الربع كانوا يدفنون موتاهم فى أرض المدرسة ويقولون إنهم من سلالة الأشرف جانبلاط الرابع والأربعين من ملوك الترك، والثامن عشر من ملوك الجراكسة بالديار المصرية. قلت نعم وهو الذى تولى إمارة ركب المحمل المصرى سنة ٨٩٤ وكان قاصداً (سفيراً) لدى بنى عثمان سنة ٨٩٦ هجرية ثم نائب مصر بحلب ثم بالشام ثم أتابك العساكر المصرية بعد الأتابكى أزبك

وانتهى أمره وأمر مدرسته وعهده وضاعت معالم قبره وتذكرت أبا الطيب المتنبى وقوله .

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها
وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه [1]

(شارع الأهرام بالجيزة) **أحمد رمزى**

---

(١) ذكر الترى فى الكواكب السائرة أن جثمانه لم يتغير (ص١ جزء أول)

على هامش (دراسات عن المقدمة):

تحامل ابن خلدون على العرب

للأستاذ محمد سليم الرشدان

— ٢ —

(في الفصل السابق من هذا البحث برهنت على أن دفاع الأستاذ الحصري بك عن ابن خلدون في تحامله على العرب (بكتابه دراسات عن المقدمة) لم تكن تؤيده أقوال ابن خلدون نفسه، واستشهدت بنصوص (المقدمة) التي اعتمد عليها، مثبتاً أن الاستمرار بتلاوة تلك النصوص ينطق بعكس ما يريده الحصري، ويقوم حجة على أن ابن خلدون تعمد ذلك التحامل، وأراد به العرب في أمصارهم وبواديهم ... وها هنا أكمل التعليق على هامش تلك (الدراسات)، مبيناً وجوه الرأي في ذلك التحامل وأسبابه المحتملة. فأقول:)

لعل سائلا يسأل، ما سبب تحامل ابن خلدون على العرب بهذه الصورة التي لفتت أنظار الباحثين، حتى من غير العرب؟! فجعلت البعض يظنون في حقيقة نسبه شتى الظنون، وجعلت البعض الآخر يتهمونه في قوميته. كما جعلت هذين الكاتبين، وأعني بهما (بارون دوسلان الفرنسي) و (جودت باشا التركي) يتلمسان له وجه العذر بهذا التأويل الذي أولا به كلمة (العرب) عنده كما مر آنفا.

فهل كان حقيقة دعياً في (نسبه)، فهو يحمل في نفسه موجدة على العرب الذين هدموا مجد أسلافه — فيما إذا كانوا من غير العرب! — وسلبوا حريتهم. فهو من أجل ذلك موتور، وصاحب الترة كثيراً ما يجنح به الخطل، ويميل مع الهوى كل الميل دون روية أو تبصر.

أم كان حقيقة متهماً في (قوميته)، فهو من أجل هذا الالتواء والشذوذ، يتحامل على العرب شر تحامل، ويرميهم بهذه العيوب التي أحاطهم بها، وينسب إليهم أسوأ الصفات، وأية صفات أسوأ من هذا الذي وصف به العرب وبالغ في وصفه؟! هذا ما نقف للاجابة عليه، وأنه لموقف عسر شائك، لا يخلو صاحبه من أن يتحكم به هواه، أو يضل طريق الصواب في اجتهاده. على أنني سأحاول — جهد الطاقة — أن أتقي ذلك «بالشمال وباليمين» وأن أقف عند حد الاعتدال فيما أعرض له. فأقـول:

إن اتهام ابن خلدون في وجه من الوجوه التي ذكرت، والتي يمكن أن تفترض كذلك، ليس بالأمر البسيط الهين. وإن ابن خلدون لو لم يكن له من الفضل إلا أنه المبتكر الفذ الذي سبق الأولين والآخرين من سلفه، في استنباط فلسفة علم التاريخ وفلسفة علم الاجتماع لكفاه ذلك فخراً. وحسب هذا الذي تراوده نفسه أن يتهم ابن خلدون في أية ناحية (فكرية أو نفسية)، أن يضع بين يديه شيئاً من أقوال عظماء الأجيال فيه، في شتى العصور ومختلف الأمم. وحينذاك — بعد أن يعرف ابن خلدون حق المعرفة — يستطيع أن يتحدث عنه بالكيفية التي يطمئن إليها. وأن تلك الأقوال التي أثرت عن كبار الباحثين في (ابن خلدون) لوافرة جمة يضيق عنها الحصر. على أنني برغم ذلك استشهد بشيء منها تأييداً لما ذكرته عن ذلك المؤرخ العالم الفيلسوف.

يقول (البارون فون كرايمر) المرباني النمسوي، في رسالته (ابن خلدون وتاريخه لحضارة الدول الإسلامية) أن ابن خلدون يؤرخ الحضارة الإسلامية وهو: «من بين المؤرخين المسلمين أول من خصص فصولاً ضافية للتحدث عن النظم السياسية وأنواع الحكم[1] ...».

ويقول الأستاذ (ثميث) الإنجليزي، وهو أحدث من درس ابن خلدون ونقده ما يأتي: «إذا وجب — مع بعض التحفظ — أن نعتبر ابن خلدون مؤرخاً للحضارة الإسلامية، فيحسن أن نتدبر ما إذا لم يكن قصد ابن خلدون الحقيقي، هو أن يقدم لنا أمثلة إيضاحية، ومجموعة تبين لنا ما يعتبره موضوع التاريخ وجوهره ... ولقد كانت هذه الفكرة العظيمة المستنيرة في فهم التاريخ بأنه سجل لتطور الإنسان الاجتماعي مترتباً على العوامل الطبيعية، وناشئاً عن تأثير الوسط وتفاعل الفرد والجماعة، خليقة بأن تجعل كتابه مفتتح عهد جديد[2] ...».

(١و٢) ابن خلدون حياته وتراثه لعنان. طبعة أولى القاهرة ج ٢ س ١٤٧و١٤٨و١٤٩ ثم ج ١ ص ١٣ س ١.

ويعتبر الأستاذ الهولندى (دى بور) ابن خلدون فيلسوفاً «ويضمه فى ثبت الفلاسفة المسلمين إلى جانب ابن سينا والغزالى وابن رشد وابن الطفيل، وينوه بقيمة المنطق فى صوغ نظرياته. ويصفه بأنه مفكر متزن[1] ... ».

ويعبره آخرون كثيرون فى مكانة لا تقل عن هذه المكانة التى وضعه فيها هؤلاء الباحثون. ويصرحون بذلك على مرأى ومسمع من أساطين العلم والفكر، دون أن يجدوا من يعارض قولهم، أو ينتقص قيمته من حيث الحقيقة، أو يتهمهم بالمبالغة فى سرد هذه الحقيقة.

ونحن حين نعرف ابن خلدون عن هذا الطريق، نقف حيال آثاره موقفاً لا يزايلنا معه أجلاله وإكباره، وتقدير اللائق بمكانته العلمية الرفيعة ... على أنه من الجدير بنا فى هذا المقام إلا نمتهن رأينا وتفكيرنا، فيصور لنا احترامنا لابن خلدون سقطاته التى وقع فيها حسنات كلها. وهيهات! فالحق أبلج والباطل لجج، وأن الحقيقة التى لا نرتاب فى صحتها هى أن ابن خلدون قسا فى حكمه على العرب قسوة بالغة، وحكم عليهم حكماً كان من القمين به وبمكانته العلميـة أن يتبصر كثيراً فى إصداره والمجاهرة به.

وأما أنه أصدر هذا الحكم لأنه كان دعى النسب فى العرب، فذلك أمر يحتاج البت فيه والجزم فى صحته إلى كثير من التدقيق. ولا أدرى هل كان ابن خلدون دعياً فى نسبه حقاً؟! وأنى لنا معرفة ذلك معرفة لا تخالطها ريبة، ولا يمازجها شك!!

يقول الرجل (أعنى ابن خلدون) عن نفسه أن يرجع فى أصله إلى العرب اليمانية فى حضر موت، «ونسبه إلى وائل بن حجر، ويعتمد فى ذلك على رواية النسابة الأندلسى ابن حزم (توفى سنة ٤٥٧هـ) غير أنه يشك فى صحة هذه السلسلة، ويعتقد أن أسماء منها قد سقطت. لأنه إذا كان خلدون هو جده الداخل إلى الأندلس عند الفتح، فإن عشرة أجداد لا تكفى لقطع ستة قرون ونصف التى انقضت منذ الفتح حتى مولده. وفى رأيه أنه يجب لقطعها عشرون، باعتبار ثلاثة أجداد لكل قرن. وأما نسب جده خلدون الداخل إلى الأندلس، فهو كما روى ابن حزم أيضاً: خالد، المعروف بخلدون بن عثمان بن هانىء بن الخطاب بن كريب بن معد يكرب بن الحارث بن وائل بن حجر. فابن خلدون – طبقاً لهذه النسبة – سليل أصل من أعرق الأصول العربية اليمانية[1] ... ».

هـذا ما يقوله ابن خلدون عن نفسه مستق من تلخيص الأستاذ عبد الله عنان المحامى الذى يقول فى تعليقه على هذا النسب ما يلى: «ولكن هنالك ما يحمل على الشك فى صحة هذا النسب البعيد، الذى يدونه ابن حزم لأول مرة فى القرن الخامس الهجرى. ويقوي هذا الشك لدينا ما نعرفه من ظروف الخصومة والتنافس بين العرب والبربر فى الأندلس ... وكانت العروبة فى الأندلس شرفاً يرغب فى الانتساب إليه، لما كان لها من السيادة والنفوذ، ولكن الشك كان يحيق بأنساب كثير من أهل العصبية والرياسة. بل لقد تطرق هذا الشك إلى أنساب زعماء الفاتحين أنفسهم، فقيل عن طارق بن زياد أنه من البربر، وقيل إنه فارسى من موالى العرب[2] ... ».

ويلتفت الأستاذ عنان بعد هذا التعليق إلى نسب ابن خلدون، التفاتة بارعة، مستقرئاً ذلك من الحقيقة الراهنة مع ابن خلدون. فيقول: «وهنالك أيضاً ما يبعث على التأمل فى تعلق ابن خلدون بهذه النسبة العربية، وهو أنه فى مقدمته يضطرم نحو العرب بنزعة قوية من الخصومة والتحامل، بينا نواه فى مكان آخر من تاريخه يمتدح البربر ويشيد بخلالهم وصفاتهم[3]».

وهـذا الذى يقوله الأستاذ عنان يكاد يقره الكثيرون، وذلك حين يؤكدون: أن مثل هـذه الخصومة البادية فى تحامل ابن خلدون على العرب، لا يمكن أن تصدر عن مؤرخ استهدف الحقيقة، وزاملته النزاهة، وصحبته الاستقامة. كما أنه من البعيد المستهجن أن لا تكون الأمة استطاعت أن تتغلب على دولتين من أقوى دول الأرض يومذاك، وأن تشـيد على أعقاب ملكهما ملكاً تزدهر فيـه الحضارة ويعم الرخاء، ويستبحر العمران، ويقوى على مقارعة الخطوب ومصاولة الأيام سنين طويلة وعصوراً مديدة.

(١) المصدر السابق.

(١) المصدر السابق.

(٢) ابن خلدون حياته وتراثه – ١ص١٢ س ١١ ط أولى القاهرة.

(٣) ابن خلدون حياته وتراثه لعنان ج ص١٤ س٢ ذات الطبعة.

أجل ، إنه من المستهجن حقاً ألا يكون لهذه الأمة من المزايا ما يجعلها فى نظر ابن خلدون فى مصاف الفرس والرومان ، أو فى مصاف (البربر) على الأقل !! الذين امتدحهم كثيراً ، وأطنب فى مدحهم ، وذكرهم فى كثير من المواطن التى كان للعرب ما يفوقها ، فضلاً عن أن يماثلها ويسير فى نهجها . وأن ذلك عجيب يستفز الريبة !!

إذن فلم يبق أمامنا إلا أحد وجهين : إما أن ابن خلدون كان اتهامه فى نسبه حقيقة راهنة ، حتى بدر على لسانه هذا الذى بدر من الشك فى ترتيب ذلك النسب ، ثم هو يدعيه ويتظاهر به ، حرصاً على مكانته لدى الملوك والأمراء ، إذ كانت العروبة — كما يذكر الرواة — « شرفاً يرغب فى الانتساب إليه » . إلا أنه ينم عليه قلمه ، ويكشفه تعصبه ، فإذا هو عدو فى ثياب صديق ، وإذا هو يحمل ضغينيين :

أولاهما : هذا الداء الموروث الذى كانت تنطوى عليه تلك الأقوام المختلفة من دعاة الشعوبية فى شتى الأقطار التى دخلها العرب غزاة فاتحين .

وأخراهما : هذا الحقد المرير الذى يضطرم فى دخيلة نفسه ، كلما الفاه محمولاً على أن يتظاهر بالانتساب إلى غير أهله ، حرصاً على مكانته بين الناس !

ومن جراء هذه وتلك ينبرى ملتمساً المثالب فى كل باب ، ومقتنصاً المعايب من كل سبيل ، ومنقباً عن أسباب الخيبة والفشل وانتقاض العمران ، ليلبس ذلك كله للعرب ويسنده إليهم ، ويلحقه بهم غير مستنكف ولا متورع .

وإما أن يكون ابن خلدون على النقيض من ذلك ، أى أنه عربى محض ، وأن تحامله على العرب كان وليد تأثره بأوضاع شخصية ، وظروف خاصة أحاطت به فى شتى أطوار حياته وتشتت بها شمله ، وتغرب عن بلده ، وقاسى من العناء والمشقة الدسائس وحسد الحاسدين ، ما جعله يسىء الظن بأقرب المقربين إليه ، فيميد هذا الفساد الخلقى إلى نقص موروث ، تناقله الأبناء عن الآباء .

أضف إلى ذلك أنه كان يعيش فى زمان كثرت فيه الدويلات ، وانتقصت فيه ممالك الإسلام من أطرافها . فهذا (تيمور لنك) يكتسح الممالك الإسلامية من الشرق فتخربين يديه دولة أثر دولة ... وهؤلاء الأسبان فى الأندلس ، يدحرون المسلمين أمامهم ، وينتزعون منهم بلداً أثر بلد . وهنالك الثورات والقلاقل التى كانت لا تخبو نارها ، ولا يخمد أوارها . ثم هو لا يزال يشاهد من أهوالها ما يحمله ذاهلاً حائراً ، لا يدرى إلى أية فئة ينحاز ، ولا إلى أى قبيل يلتجىء !!

وإذا ما التزم العافية عاش عالة على سواه ، وبقى هملاً لا قيمة له ولا أثر ، وهيهات أن يرتضى ذلك ابن خلدون ، وهو سليل السادات وحفيد الأمجاد . إذن فلا بد من أن يخوض هذه المعمعة ، ويصيبه من شرورها شتى الألوان .

ومن ظن ممن يلاقى الحروب بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

فابن خلدون إذن حين يحمل على العرب هذه الحملات ، إنما يتحدث عن عرب زمانه ، ومن يدرى ، فلعلهم — شأن من يؤثرون الشقاق على الألفة ، ويظاهرون العدو للايقاع بأخوانهم !! — جديرون بهذا الذى نتهم به ، بل خليقون بأكثر منه ... وهو حين يتجاوزهم إلى من سبق من أسلافهم لم يزد على أن يأخذ البرىء بجريرة العاصى ، وتلك سنة من جمح به هواه .

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدى المساويا

هذا ما عن لى أن أقوله فى تعليق على رأى ابن خلدون فى العرب ، وذلك (على هامش دراساب الأستاذ الحصرى) . ولعلى أميل فى تعليل تحامله إلى الرأى الثانى وهو فى يقينى أقرب إلى الحقيقة والواقع .

وهنا أختم كلامى بتعبير كان يكرره ابن خلدون كثيراً — وذلك على سبيل التيمن والبركة — فأقول : والله تعالى أعلم !

(زحلة — نزل إلياس ثابت) **محمد سليم الرشدان**

« ماجستير فى الآداب واللغات السامية »

مصادر البحث :

١ — العددان (٨١٩و٨٢٠) من مجلة الرسالة الزاهرة .
٢ — مقدمة ابن خلدون — المطبعة التجارية الكبرى لمصطفى محمد . لم يذكر رقم الطبعة . ولم يذكر تاريخ الطبع !
٣ — دراسات عن مقدمة ابن خلدون تأليف الأستاذ ساطع الحصرى بك . جزءان . الأول طبع سنة ١٩٤٣ فى مطبعة الكشاف ببيروت . والثانى سنة ١٩٤٤ بالمطبعة عينها .
٥ — ابن خلدون — حياته وتراثه الفكرى . تأليف الأستاذ عبد الله عنان المحامى . طبعة أولى دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٣ .
٦ — فلسفة ابن خلدون الاجتماعية . تأليف الدكتور طه حسين وعربه عن الفرنسية الأستاذ محمد عبد الله عنان المحامى . الطبعة الأولى سنة ١٩٢٦ القاهرة .

الفلســـــفة الصامتة

للأستاذ عبد المنعم عبد العزيز المليجى

(تتمـة)

الحياة أعظم الشرور :

تحدثنا الحكمة الهندية[1] أن الأمير السعيد (ساكيامونى) وهو من نعرف باسم (بوذا) خرج فى عربته وهو شاب قد خفى عنه العلم بالمرض والشيخوخة والموت . فوقعت عيناه على رجل مسن مفزع ، تحطمت أسنانه وسال لعابه من فمه . فدهش الأمير الذى خفى عنه حتى اليوم العلم بالشيخوخة ، وسأل سائق عربته عما رأى ، وكيف آل هذا الرجل إلى مثل هـذه الحال الزرية المقززة . ولما علم أن ذلك هو المصير المألوف للناس جميعاً ، وأن تلك الحال عينها تنتظره بغير مناص — وهو الأمير الشاب — لم يستطع أن يواصل السير ، وأمر السائق أن يقفل راجعاً إلى البيت كى يتدبر الأمر . ثم حبس نفسه وأخذ يفكر . وربما وجد فى نفسه ما يعزيه ، لأنه خرج بعدئذ فى العربة مرة أخرى وهو مرح سعيد . غير أنه رأى هذه المرة رجلاً مريضاً : رأى رجلا هزيلا شاحب اللون قاتم العينين يرتعش من شدة الهزال . فوقف الأمير الذى خفى عنه العلم بالمرض ، وسأل عما رأى . ولما علم أن ذلك هو المرض الذى قد يتعرض له أى إنسان ، وأنه هو نفسه — وهو الأمير الصحيح البدن الهانئ القلب — قد تصيبه العلة فى غده ، عاد إليه ذلك الاكتئاب الذى يحرمه المتعة بحياته وأمر سائقه أن يقفل راجعاً إلى البيت . وبحث عن العزاء مرة أخرى ، وربمـا وجده ، لأنه خرج فى عربته للمرة الثالثة قصد النزهة . ولـكنه فى هذه المرة الثالثة رأى مشهداً آخر جديداً : رأى جماعة تحمل شيئاً فسأل :

« ما هذا ؟ » فقيل له :

« هذا رجل ميت » . قال :

« ما معنى كلمة ميت ؟ » فقيل له :

« إن المرء حين يموت يمسى كذلك الرجل » .

واقترب الأمير من الجثة ، ورفع عنها الغطاء ، ونظر إليها ، وسأل :

« ما الذى سيحدث له الآن ؟ » فقيل له :

إن الجثة ستوارى التراب .

« لماذا ؟ » .

« لأنه بالتأكيد لن يعود إلى الحياة ، ولن يصدر عنه غير النتن والدود » .

« وهل هذا هو مصير الناس أجمعين ؟ هل يحدث لى نفس هذا الشيء ؟ هل يدفنوننى ؟ وهل تصدر عنى الرائحة الكريهة ويأكلنى الدود ؟ » .

« نعم » .

« إلى البيت ! لن أركب عربتى للنزهة ، ولن أفعل ذلك مرة أخرى » .

ولم يجد ساكيامونى فى الحياة ما ينطوى على أية قيمة وانتهى إلى فلسفته التى تقرر أن الحياة أعظم الشرور ، وأن الخير يقضى بالتحرر منها ودعوة الناس للتحرر منها بكل ما يملكون من طاقة روحية . وهذه القصـة ترمز إلى فلسفة الهند الزاهرة فى الحياة ، المتعلقة بالروحانية . [1] وهى عين الفلسفة التى يعبر عنها سليمان الحكيم فى الكتاب المقدس إذ يقول :

« باطل الأباطيل — كل شيء باطل . ما فائدة الإنسان من أى عمل يتولاه تحت الشمس ؟ جيل يتولى وجيل يقبل إلى الأبد . إن ما كان سوف يكون . وما حدث سوف يحدث ، وليس تحت الشمس جديد ؟ هل هناك شيء نستطيع أن نقول عنه : انظر ! هذا جديد ؟ كلا . إنه من قديم الزمان الذى سلف . ليس لما سلف ذكرى ، ولن تكون لما يُقبل ذكرى . أنا الذى أعظكم كنت ملكا على بنى إسرائيل فى بيت المقدس ، ولقد وهبت قلبى للتنقيب والبحث عن طريق الحكمة فى كل ما حدث تحت السماء ... وناجيت قلبى وقلت له : هيه ، أنا مالك لضيعة كبرى وعندى من الحكمة أكثر من كل من سبقنى ببيت المقدس — أجل ، إن قلبى مفعم بكثير من تجارب الحكمة والمعرفة . ولقد

---

(١) نقلا عن كتاب (اعترافات تولستوى) ترجمة الأستاذ محمود محمود

(١) راجع مقالينا « الفكر الشرقى القديم » فى العددين : ٨١٣ و ٨١٤ من الرسالة .

وهبت قلبي لإدراك الحـكمة ولمعرفة الجنون والحماقة ، فرأيت أن ذلك يبعث على الحزن العميق . ومن يزدد علماً يزدد أسى .

قلت لنفسي : الآن انطلق ، ولسوف أمتحنك بالمرح . وإذن فلتنعم بمختلف المتع . فـكان ذلك باطلا كذلك ... شيدت لى بيوتاً وزرعت الـكروم ، وأنشأت الحدائق والبساتين ، وغرست فيها الشجر من كل الثمار ، وحفرت البرك أروى من مائها الغابة التى تنمو بها الأشجار ، واستخدمت الخـدم والإماء ، وولدت الخدم فى بيتى ، وامتلـكت من قطعان النعم والماشية أكثر من كل من سبقنى فى بيت المقدس . وجمعت كذلك الذهب والفضة ونوادر الـكنوز من مختلف الملوك والأقاليم . وظفرت بالمغنين والمغنيات ، وبكل مايلهوبه ابن آدم ، كآلات الموسيقى وما إليها. وهكذا كنت عظيما ، وتوفر لى ما لم يتوفر لـكل من سبقنى ببيت المقدس . وبقيت حكمتى معى كذلك ، ولم أحرم عينى من كل ما اشتهتا ، ولم أبعد قلبى عن أى لون من ألوان السرور ... ثم نظرت إلى كل عمل عملته يداي ، وإلى الجهد الذى بذلت ... فرأيت أن الـكل باطل يبعث على حنق النفوس ، وليس من ورائه جدوى تحت الشمس . وهناك حدث واحد يقع للطيبين كما يقع للاشرار ولمحبى الخير ومحبى الشر ، وللطاهر والدنس ، ولمن يضحى ومن لا يضحى ، والطيب كالخبيث ، ومن يقسم بالباطل ومن يخشى القسم . إنه شر يتخلل كل ما يقع تحت الشمس ، وكل شيء يتعرض لحدث واحد . نعم إن قلوب بنى الإنسان كذلك مليئة بالشر ، والجنة فى قلوبهم ما داموا أحياء ، وبعد ذلك يذهبون إلى الموتى . »(١)

شوبنهور وسقراط :

لندع أسطورة بوذا وموعظة سليمان فهما من الحكمة الشعبية الصامتة ، لنتأمل قليلا رأى كل من سقراط وشوبنهور الفيلسوفين يقول سـقراط وهو يتأهب للموت : « إننا نقترب من الحقيقة كلما أشرفنا على مفارقة الحياة ؛ إذ ما الذى نجاهد فى سبيله نحن محبى الحقيقة ؟ إننا نجاهد فى تحرر أنفسنا من الجسد ! ولما كان الأمر كذلك ، فلماذا إذن لا نفرح حينما يأتى إلينا الموت ؟ إن الرجل الحـكيم يبحث عن الموت طوال حيـاته ، ولذا فالموت لا يفزعه » .

ويقول شوبنهور : « إذا ما أدركنا أن طبيعة العـالم الخفية ليست سوى (الإرادة) (١) ، وأن كل مظاهر الطبيعة — من الحركة اللاشـعورية لقوى الطبيعة الغامضة إلى عمل الإنسان الـكامل الوعى — إن هى إلا مظاهر لهـذه الإرادة ، لم يعد لنا ما يبرر التخلص من هذه النتائج : وذلك أنا إن نبذنا الإرادة وتخلينا عنها طـائعين ، ألفينا كذلك كل تلك المظاهر — ذلك التيار الدافق والجهد الذى لا يكل ولا يهدأ فى كل مرحلة من مراحل المظاهر الطبيعية التى منها وعن طريقها يتألف العالم ؛ وتلك الصور المتعددة التى تتلو إحداها الأخرى فى تدرجها ، وستختفى مع هذه الصور كل دلائل الإرادة ، وستختفى كذلك فى النهاية الصور العالمية لتلك الدلائل — الزمان والمـكان ، والصور النهائية الأساسية ، أى أن كل ما هو ذاتى وكل ما هو موضوعى سوف يتلاشى . إذا لم تكن هناك إرادة فلن يكون هناك مظهر لشيء ، ولن يكون هناك عالم . إنه لا يبقى أمامنا بالتأ كيد سوى العدم »

وقف تولستوى(٢) أمام هذه الأقوال الأربعة فوجدها جميعاً تجيب عن سؤال واحد عرض لـكل منهم بصدد مشكلة الحياة ، وتنتهى إلى نتيجة واحدة :

يقول سقراط : « إن حياة الجسد شر وأكذوبة . وإذن فتحطيم حياة الجسد نعمة ، يجب أن نتمناها . »

ويقول شوبنهور : « الحياة هى مالا ينبغى أن يكون — هى شر ، والانتقال إلى العدم هو وحده ما فى الحياة من خير . »

ويقول سليمان : « كل ما فى الحياة — من حماقة وحكمة وثراء وفقر ومرح وحزن — باطل وعدم . يموت المرء ولا يبقى منه شيء وهذا سخف » .

ويقول بوذا : « يستحيل على المرء أن يعيش وهو يدرك أن الألم والضـعف والشيخوخة والموت أمور لا مفر منها — يجب أن تتحرر من الحياة الممكنة كلها » .

ويعلق تولستوى على هذه الأقوال بما يؤيد دعوانا التى سبقت

---

(١) نفس المصدر .

(١) أرادة الحياة

(٢) « اعترافات تولستوى » ترجمة الأستاذ محمود محمد ص ٤٢

الإشارة إليها وأعني انتساب المذاهب الفلسفية إلى الحكمة الشعبية فيقول :

« وما ذكره أصحاب العقول الجبارة فكرت فيه وأحسست به وعبرت عنه ملايين الملايين من أمثالهم من البشر . وقد فكرت فيه وأحسست به أنا كذلك »..

كتاب الحياة :

لعل قارئي العزيز قد اقتنع بعد هذا العرض لنصوص الكتاب والحكماء أن حس هؤلاء الدقيق يكفل لهم في كثير من الأحيان النفاذ إلى كنه الحياة ، وأن حكمهم السليم المبرأ عن الهوى وسيلة من وسائل المعرفة الفلسفية ، وأن إنتاجهم لا يخلو من نظرات عامة في الكون لم تفسدها الصنعة ولم يعوزها الصدق في التصور ولعله قد تبين أن كتب الفلاسفة ليست وحدها المصدر الذي نستقي منه الفلسفة ، فقد نستقيها من حكمة الشعب كما بينا في مقال سابق ، وقد نستخلصها من الأدب الروائي أو الشعر والأساطير وقد نهتدي إليها في مسلك كثير من الناس ، وبالجملة قد نتعلمها في مدرسة الحياة . وقد تنبه ديكارت إلى هذه الحقيقة فأنحى باللائمة على العلوم التي تدارسها في المدرسة ، واتهم بالقصور والتفاهة المعارف التي تلقاها على أساتذته . فألقى بالكتب عرض الحائط ، وعول على أن يبدأ حياته الفكرية من جديد بقراءة « الكتاب الكبير » كتاب الحياة . فأقبل على الناس يضطرب وإياهم في مناكب الحياة ، وأنفق بقية أيام شبابه في الارتحال ورؤية القصور ، وتعلم صنعة الحرب على يد أشهر جندي في أوربا في ذلك الحين وهو الهولندي « موريس دي ناسو » . ثم رحل إلى ألمانيا ، وهناك ساهم إلى جانب بافاريا في مقاتلة بوهيميا الثائرة في الحرب المعروفة بحرب الثلاثين ، وخالط مختلف الأجناس والشخصيات . وهكذا طفق يستمد فلسفته من مصدرين : نفسه حيث « النور الفطري وحيث تكمن الحقيقة كمون النار في الحجر الصوان » والعالم حيث الحقيقة حية بسيطة لم يفسدها التجريد والجفاف ، فجاءت فلسفته متلألئاً للوضوح والإشراق والتكامل الذهبي ، واستحق بجدارة لقب « أبو الفلسفة الحديثة » .

الأبراج العاجية :

إن المتفلسفين الأكاديميين ليكشفون عن غرور أحمق — إذ يزدرون هذه المصادر الكبرى ويعتزلون في أبراج عاجية شاهقة بمعزل عن الحياة التي تلفهم جسداً وعقلا ، يقضون العمر فيها يجترون أفكاراً جامدة لا حياة فيها ، فارغة خلوا من المعنى ، متوهمين أنها الحق في حين أنه هنالك عند أقدامهم : في عقول المحنكين ، ذوي الحس الدقيق والبصيرة النافذة من العامة والكتاب ، ممن لم يفسد تفكيرهم التعمل . إلى هؤلاء أسوق سخرية عمر الخيام من الفلاسفة ليطامنوا من كبريائهم :

« طالما خضنا غمار الفلسفة وسمعنا من صواب وسفه
وخبطنا في مضل مَعسفه[1] ثم صرنا حيث كنا أولاً
لم نسر نحو الهدى قيد ذراع

كم بذرنا حكمة الفكر البصير وسقيناها حيا[2] العقل الغزير
ما جنينا غير بهتان وزور ما علمنا غير أنا في الملا
شغل البرق خبت بعد التماع[3]

ولا يفوتني أن أعيد إلى الأذهان سخرية باسكال[4] من فلسفة أفلاطون في عبارته الشهيرة « أراد أفلاطون أن يعلو على الطبيعة فسقط إلى الحضيض . » إذا كان أفلاطون العبقري الفذ مهدداً بالسقوط إلى الحضيض فما رأى المتفلسفين الذين يقيمون بينهم وبين البصيرة الشعبية سداً منيعاً ؟ لقد كان لأفلاطون من تماسك مذهبه أسس مكينة تحميه من السقوط فبماذا يتشبث أصدقاؤنا هؤلاء وهم يحتمون بأبراج من خيوط العنكبوت ؟!

خاتمة :

بعد كل ما تقدم أخشى أن نسف في فهم الفلسفة ونظن كل نظرة عابرة فلسفة كبرى ، وصاحبها فيلسوفاً كبيراً ، فنخدع عن أنفسنا ، ويركبنا الغرور . ولذلك أنبه القارىء إلى أن تلك النظرات ليست سوى محاولات للنظر الفلسفي يأتيها الحكيم الشعبي أو الروائي ، ثم إنها محاولات تلونها الانفعالات والأمزجة

(١) المضل المعسفة هو المجهلة من الأرض يخبط فيها المرء غير هدى .
(٢) الحيا المطر .
(٣) الرباعيات ترجمة الأستاذ محمد السباعي .
(٤) فيلسوف ورياضي سويسرى .

الخاصة ، ولا تكاد تنفصل عن السلوك العملي وشئون الأخلاق ، وقلما تتعرض لمسائل ما بعد الطبيعة . فلسفة الشعب مزيج من القول والفعل والنقل ، مصدرها تجاريب العيش وصروف الأيام ، أفراح الحياة وأتراحها ؛ ويقين الشعب بفلسفته أشبه باليقين الديني لا يحتاج إلى دليل أو برهان ، وذلك ما يخلع عليها حرارة تعوز مذاهب الفلاسفة التي تتميز ببرود المنطق وجفاف الجدل . وأداة الفلسفة الشعبية ليست المنطق الصوري ، ولكنها ملكة الحكم السليم التي يدعوها الفرنسيون (bon sens) ويسميها الإنجليز (Common sense) ، وأثرها في نفسية الشعب عميق غاية العمق : تثبت فؤاده ، وتعزيه عما يصادف من محن ، وتبرر كثيراً من تصرفاته . أما صورتها العامة فيعوزها التكامل لأنها نظرات مبعثرة وخواطر متفرقة يندر أن تأتلف كلا واحداً .

أما الفلسفة بالمعنى الخاص فبريئة من أمرين : النظرة السطحية ، والنظرة الجزئية .[١] فلسفة الخاصة (أي فلسفة الفلاسفة) تهدف إلى تفسير عام شامل للكون في مجموعه ، ولذلك كنا نجد تفسيرات الفيلسوف لمختلف نواحي الكون تنتظم كلا واحداً متناسقاً هو « المذهب » . نواة المذهب الفلسفي نظرية كبرى تتشعب منها أو تدور في فلكها نظريات فرعية صغرى في المعرفة والوجود والأخلاق ، بل والسياسة والجمال أحياناً . نواة مذهب أفلاطون مثلا « نظرية المثل » ، وأرسطو « الهيولى أي المادة الأولى والصورة » ، وأفلوطين « الفيض الإلهي » ، وشوبنهور « إرادة الحياة » الخ ...

وللمذاهب الفلسفية قيمة كبرى فهي الوسيلة التي ينمي بها العقل الإنساني أعمق نظراته وتفسيراته . إنها تعينه على تعمق كنه الحقيقة ، وتعطي الأفكار المبعثرة حياة وحركة وقوة . مثل المذهب مثل البلورة تلم شتات الأشعة ، وتركزها في نقطه ضوئية صغيرة ، ولكنها أكثر التماعاً والتهاباً من الأشعة المتفرقة . وبدون هذه الجهود التي يحتملها الفلاسفة من ذوي المذاهب المتكاملة ، فإن الأفكار الإنسانية المتفرقة قد تومض في لحظات من التأمل المتكاسل المتراخي وسرعان ما ينطفىء الوميض .

وأضيف أخيراً أن الفيلسوف أقدر من المفكر العادي على التحرر من شطحات الخيال ، ونزوات الانفعال ، أكثر منه فردية وابتعاداً عن تيار الحياة الجارف الرتيب . لا يوقن بأمر قبل أن يتناوله بالنقد ، ولا يسلم برأي دون تمحيص ؛ لا تراوده فكرة إلا قبلها على جميع الوجوه ؛ تلقي إليه بالرأي فيطلب الدليل ، وتنقل إليه الخبر فيلتمس البرهان ، وتقدم إليه التفسير فيسعى إلى تفسير لذلك التفسير . منهجه الشك قبل اليقين . الشك في كل شيء حتى في عقله ، وشعاره النقد قبل التسليم . الاستسلام للعاطفة عنده خطأ مبين ، والرضا بالمزاعم الجارية إثم لا يغتفر . عقل مستديم القلق ، وذهن لا نهائي التساؤل ، وفكر لا يني عن التمحيص . النظرة العابرة لا ترضيه ، واستكشاف الجزئيات لا يكفيه ، فميدانه الكون في مجموعه ، وهدفه الحقيقة كاملة غير منقوصة .

(الإسكندرية) عبد العزيز المليجي

---

[١] أرجو أن أوفق في مقالات قادمة إلى الحديث عن الفلسفة بالمعنى الخاص .

جيوفانى بوكاشـــيو

للسيدة الفاضلة ماهرة النقشبندى

١٣١٣ – ١٣٧٥

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

ان المقارنة بين الكتابين تدفعنا إلى المقارنة بين الفن الأدبى فى اللغة اللاتينية وبينه فى اللغة الإنجليزية . يقوم الفن فى اللاتينية على التصميم فى القصة وعلى رسم حوادثها وعدم الاهتمام بأشخاصها. أما فى اللغة الإنجليزية فيعتمد على الأشخاص وجعل الفن متصلاً بهم وموسوماً بما فى نفوسهم وطبائعهم من خير أو شر وتعاسة ونعيم . وعلى هذا الأساس يجد القارئ ما يبعث السأم فى نفسه وهو يقرأ قصص كانتبارى ، ولكن أشخاصها يبعثون فى سأمه ما فيهم من حياة وحركة . أما فى قصص دى كامرون ، فإن القصص رائعة والأشخاص أموات لايتحركون . فالأشخاص فى دى كامرون غير مسؤولين مطلقاً عمايدور على ألسنتهم من حوار وقصص قد لا يتفق فى كثير أو قليل مع احتشام الفتاة التى تقصها ، حينما تتصل المعانى بالأدب الجنسى المكشوف الذى ضرب فيه بوكاشيو بسهم وافر . وليس فى استطاعة الناقد إلا أن يسقط هذه الشخصيات من اعتباراتها الشكلية التى وضعت مرغمة فيها وعلى وجهها أقنعة مستعارة لا تتصل بها ولا تمثلها ... وناقل الكفر ليس بكافر ، إذا أراد أن ينصفها ويدلل على مكانها من الحقيقة ...

لكن هذه الشخصيات فى بعض أحاديثها خارج القصص تصورلنا المناظر الجميلة حول فلورنسا ، والقصور المترفة ، والمروج التى تجرى فيها الأنهار تصويراً رائعاً ...

لم تقع حوادث القصص المائة فى مكان واحد، وإنما وقعت فى ثلاثة أماكن : أولها يبعد ميلين عن فلورنسا ، وهو قصر باذخ تقوم على أطرافه حدائق غناء ، وسواق جارية ، وحقول خضر ، وتلال منطاة بأشجار الفاكهة ، وموقعه الآن على مقربة من قرية ستجنانو التى كانت تصلها طريقة ضيقة تبعد ميلين عن ضاحية بورنالا كروز، وكان هذا القصر يقع فى مزرعة تدعى بوجيو جراردو وهى حصة مارجريتا زوجة أبيه من إرثها من أسرتها .

وفى نهاية اليوم الثانى بعد أن تم اختيار نيفيل ملكة لليوم الثالث اقترحت عليهم أن يزوروا مكاناً جديداً بالغت فى مدحه ، وهو قصر فخم على سفوح تلال الفيزول ويسمى فيلا باليرى ...

وفى مساء اليوم السادس ، وكان يوماً من أيام الربيع ، وبعد الانتهاء من القصص ، وكانت قصيرة ، وبينما كان الرجال الثلاثة منهمكين فى لعبة النرد ، أشارت أليسا من طرف خفى إلى صواحبها الست ، فتجمعن واقترحت عليهن الذهاب إلى مكان جميل جداً يدعى لافلا ويلدون . وبعد مسيرة ميل واحد وصلن إلى مجرى يسيل منه ماء عذب رقراق كالبلور ، وكان السهل الذى يجرى فيه ذلك المجرى عبارة عن دائرة قطرها نصف ميل تحيط بها ستة تلال وينبع من بين تلين ، ويكون فى طرف السهل بركة لا يزيد عمقها عن بضعة أقدام وقد أغراهن صمت المكان والماء فنزعن ملابسهن وابتدأن في الاستحمام ، ولا تزال هذه البقعة تدعى بالإسم نفسه حتى الآن ...

ونعود الآن إلى القصص نفسها فنرى أنها تعود فى أصولها إلى المصريين القدامى والعرب والفرس والفرنسيين . ومن المحقق أن بوكاشيو لم يعرف مصادرها ، وإنما سمعها فى نابولى وأنحاء إيطاليا ، ولعل ثلثها يعود فى أصوله إلى المصادر الفرنسية وقسما إلى الهنود والفرس ، والقليل إلى المصادر اللاتينية . إننا نستطيع توجيه التهمة نفسها إلى شكسبير وتشوسر ونتهمهما بالنقل وعدم الإبداع . ولكننا حين نوجه التهمة نفسها إلى بوكاشيو نقول واثقين إنه لم يعرف تلك المصادر ، وإنما رأى فيها عملا إبداعياً أصيلا ...

إنه كتاب يتصل بالناس كما تتصل بهم الحياة ، يتصل بهم فى الجد واللهو، فى الفضيلة والرذيلة ، فى الشر والخير، فى التهكم والمجون ، وهو إلى جانب ذلك مفعم بالمجازفات والمآسى والأفراح والنهايات التى يلعب الحظ فيها دوراً كبيراً ، وهو فى تفصيله مجموعات من الحقائق الصحيحة أضفت عليها عين الفنان اليقظة ثوباً قشيباً تراءت فيه أعمال الناس وعاداتهم وطبائعهم فى ذلك العصر واضحة جلية ... إنه البؤرة التى انعكست عليها الحياة بكل

ما فيها من مظاهر ... فهو كتاب قريب إلى الإنسانية أكثر من أى كتاب آخر لدانتى أوتبرارك ، حتى قصص شوسر ، فإن الإنسانية فيها غير كاملة حينما تتصل بالحب وما يدور وراء النفس الإنسانية من شعور مكبوت ...

وتتسم هذه القصص بتنوع صور الحياة التى عبرت عنها ، فهى تكشف لنا القناع عن عدد من المتهورين المجازفين ، وعن الحياة الخاصة التى يحياها وراء الستار عدد آخر من الناس تعرفهم على حقيقتهم المعرفة الصحيحة ، وهذا هو فن بوكاشيو ، لأن هذه القصص لم تكن عملا إبداعياً ولا دراسة للأخلاق ، وإنما هى قصص تختلف فى طولها وقصرها باختلاف الموضوع الذى تتصل به عن مجازفات ، أو حب غير مشروع ، أو راهب ، أو امرأة ؛ إما للتسلية أو إثارة الضحك وإشاعة السرور ، أو جواب مختصر لتوبيخ شخص ، أو لدفع خطر جسيم . ومهما كان نوع هذه القصص، على روعتها وشهرتهافإنها ليست الدافع الوحيد الذى يدفع الولعين بديكامرون إلى قراءتها المرة بعد الأخرى فى رغبة وسرور.

إن سر خلود هذا الكتاب هو الجماهير الحية التى تتحرك فيه . هنالك شخصيات أخرجها فنه فيه حية وبقيت كذلك وستبقى إلى يوم يبعثون تثير فى قرائها الدهشة والإعجاب إثارة لا تقل عما تفعله شخصيات شكسبير الخالدة فينا ... لقد عاشت للأبد لأن الفن الخالد حملها إلى عالم الخلود ...

إنه صورة مصغرة للدنيا ، ومرآة انعكست عليها حياة الناس فى ذلك الزمن ، إلا أن المثالية والهدف السامى الذى يرفع الأعين إلى النور ، ويجعل للعمل الفنى قيمته التى لا ينكرها أحد ، لا توجدان فيه .

أما الأدب المكشوف والتعابير الجنسية الساخرة التى تفيض بها القصص فرده إلى الأصول الفرنسية التى نقل عنها وهذبها كثيراً ... ومن المحقق أن التعبير عن الأدب الجنسى المكشوف فى ذلك الوقت ، كما هو الآن غير مألوف ولا مستساغ ... لكن بوكاشيو جعل منه فناً أبدع فيه أيما إبداع ، وأخرجه من مكانه المستور من حياة الأفراد والجماعات ورجال الدين إلى الحياة اليومية وجعله ملموساً مألوفاً يتحدث عنه متهكما كأنه يتحدث عن شىء لا يتعارض مع قيم المجتمع الروحية والخلقية .

إن كل ما فى الكتاب مبالغ فيه ، وخصوصاً الموضوع الجنسى الذى أسرف فيه إسرافاً عظيما ، فصور الشبان والشابات غارقين فى الإثم والفجور والخلاعة إلى أبعد الحدود ، وصور الزوجة تلهو ما شاء لها اللهو والزوج غير مكترث بما يدور حوله ، وصور رجال الدين لا يعملون شيئاً عدا الانقياد للشهوات والسير وراء مطالب الجسد ... يصور كل ذلك فى تهكم لاذع وقسوة متناهية ... !

والدافع الأساسى الخفى الذى دفعه إلى ذلك — كما أعتقد — هو طفولته الأولى ، فعندما فتح عينيه فى الحياة وجد أنه ابن غير شرعى لأبيه ... وحينما فهم ما يدور حوله من حقائق ، وأدرك قيود الكنيسة والمجتمع ، وإنه غير مسؤول عن خطأ أبيه ، جرد القلم لينتقم لأمه جان ، فجعل نساء عصره ساقطات ، وتلفت إلى رجال الدين فتأثر منهم بما يضطرم فى قلبه من ألم وحقد وحرمان .

وعلى هذا الأساس ، لا يجمل بنا أن نحكم على نساء عصره بالحكم الجائر الذى أصدره عليهن فى قصصه ، ولا يصح كذلك أن نتصور رجال الدين من الرهبان والقساوسة غارقين فى الفجور كما أرادهم أن يكونوا ، ومع ذلك فلا يعنى أننا ننفى نفياً باتاً عن المجتمع فى عصره بعض الصور المخجلة التى صور فيها الرهبان والنساء ... لقد كان فناناً لا يشق له غبار فى « الكوميديا » ، وتربة صالحة من هذا النوع تنمو فيها بذور التهكم والمجون والعبث .

ويجدر بنا أن نشك كثيراً فى صحة هذه القصص . إن الرذائل تثير عادة ضجة أكثر من الفضائل ، ورجال الدين فى القرن الرابع عشر فى إيطاليا كانوا يعدون أنحاء الكرة الأرضية بالمبشرين الذين تلهبهم الحماسة والعقيدة لنشر دينهم بين الشعوب ، وإيطاليا نفسها كانت المكان الوحيد الذى اشتهر بالقديسين ، فلا يعقل — والحالة هذه — أن يسوء سلوك رجال الدين إلى هذا الحد دون أن يكون له رد فعل سيئ على الكنيسة فى إيطاليا وخارجها . ولكن هذا لا يمنع من وجود طبقة غير نقية السمعة اختلطت برجال الدين فشوهت سمعتها لأنه لم يسبق لأحد أن يشك فى أخلاق الناس فى القرن الثالث عشر بسبب جحيم دانتى، وتمشياً مع ذلك ، لا يجوز أن نحكم على أخلاق الناس فى القرن الرابع عشر بسبب قصص ديكامرون .

إن هذا الكتاب والكوميديا الإلهية يعبران تعبيراً صادقاً محكم ما فيهما من قوة وحيوية ونشاط عن العصر الذي ولدا فيه ، وعلى ما كان عليه ذلك العصر من حركة ووعى .

إن انتشار دى كامرون وحماس الناس له ، لم يحولا دون النقد الشديد الذي وجه إليه فى ذلك الزمان ، ونجد دليلا على ذلك فى مقدمة اليوم الرابع وفى نهاية الكتاب . لقد قاومته الكنيسة مقاومة عنيفة ، لكن سلطانه غلب سلطانها ، فكان ينتشر فى أوربا وانجلترا ، كما تنتشر النار فى الهشيم . ويعتبر فى نظر النقد أعظم أثر نثرى كتب فى اللسان التسكانى ، وأسلوبه غاية فى الجمال وغاية فى التعقيد ... ولكن من يستطيع أن يهاجمه ؟ لقد مكن لنفسه فى عصور التاريخ فى نفوس البشر ، لأنه صرخة مدوية من أعماق الإنسانية على ممر العصور !

إن مخطوطات الكتاب الأصلية قد نفدت ، وإن أقدم مخطوطاته تلك التى كتبها فرنسسكو مانيلى فى سنة ١٣٦٨ . والنسخة الخطية المحفوظة فى برلين باسم هملتن هى المعتمد عليها .

لقد أعيد طبع هذا الكتاب عشر مرات فى القرن الخامس عشر وسبعة وسبعين طبعة فى القرن السادس عشر ، ولم ينشأ أديب فى إيطاليا إلا وتتلمذ على هذا الكتاب فى عصور أدب هذه اللغة ...

أما نصيبه من الذيوع خارج إيطاليا فكان عظيما جداً ، فقد تتلمذ عليه موليير ولافونتين وهانس ساكس ولوب دى فيجا . أما فى انجلترا ، فقد نقل عنه كثير من الأدباء والشعراء ، وكان الوحى الذى استوحوا منه أدبهم الخالد ، منهم تشوسر وسدنى وشكسبير ودريدن وكيتس وتنسون ، الأمر الذى يظهر مقدار ما تدين به انجلترا لبوكاشيو !

إن أدب اللغة الإنكليزية لا يعرف كتاباً نثرياً أصيلا ، ويرجع ذلك إلى أن التوراة قد أصبحت جزءاً من الأدب المنثور فى هذه اللغة ، ولكن « إشام » يقول : « إن كثيراً من قصص ديكامرون كانت تنتشر بين الناس أكثر من قصص التوراة نفسها » .

لقد ظهرت كثير من قصص ديكامرون مترجمة إلى الإنجليزية فى القرن السادس عشر . وفى عام ١٦٢٠ ظهرت الترجمة الكاملة لهذا الكتاب منقولة عن اللغة الفرنسية ترجمة أنطيون لاما كون ، لكنها لم تكن دقيقة كما يجب ، وقد قام الناشر إسحاق جكارد بطبع هذه الترجمة فى مجلدين ، ولم تكن تحمل اسم المترجم ، وأعيد طبع هذه الترجمة خمس مرات فى القرن السابع عشر .

ولم تظهر الترجمة الدقيقة الوافية لهذا الكتاب إلا عام ١٨٨٦ ، فقد نقلها المستر جون بن لجمية فلون .

أما الترجمة التى تتداولها الأيدى وانتشرت فى الأسواق ، فقد قام بها المستر « ج . م . رج » ، وهى دقيقة ، ولعلها أقرب الترجمات إلى روح هذا الكتاب القيم .

(بغداد) ماهرة النقشبندى

من ظرفاء العصر العباسي :

أبو دلامة

توفى سنة ١٦١ هـ

للأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

— ٦ —

وأبو دلامة — مرحه وهزله — كان يلتزم مع المهدى الجد ، فيسرى عنه بغير الدعابة إذا وجد الموقف يستدعى الوقار : وما ذاك من هذا الظريف إلا دليل جديد على حسن تفهمه لنفسية الخليفة ومهارته فى استخدام الأساليب المرضية له حسب الظروف والمناسبات :

كان عند المهدى رجل من بنى مروان ، فدخل إليه وسلم عليه . فأتى المهدى بعلج(١) فأمر المروانى بضرب عنقه ، فأخذ السيف وقام فضربه فنبا السيف عنه ، فرمى به المروانى وقال : لو كان من سيوفنا ما نبا . فسمع المهدى الكلام فغاظه حتى تغير لونه وبان فيه . فقام يقطين(٢) فأخذ السيف وحسر عن ذراعيه ثم ضرب العلج فرمى برأسه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إن هذه سيوف الطاعة لا تعمل إلا فى أيدى الأولياء ، ولا تعمل فى أيدى أهل المعصية . ثم قام أبو دلامة فقال : يا أمير المؤمنين ، قد حضرنى بيتان أفأقولهما ؟ قال : قل . فأنشده .

أيهذا الإمام سيفك ماض   وبكف الولى غير كهام(٣)
فإذا ما نبا بكف علمنا   أنها كف مبغض للامام

فسرى عن المهدى وقام من مجلسه ، وأمر حجابه بقتل المروانى فقتل .

وهذه المواقف التى كان يقفها أبو دلامة جاداً على هزله ، ووقوراً على مرحه ، حببت تصرفاته إلى المهدى فرضى عنه ودلله مثل أبيه أو أكثر : فإذا كان المنصور قد أعفاه من صلاة الجماعة بالقصر ومن لبس السواد والقلانس دون الناس وأخرجه من حبس الدجاج رغم سكره — فإن الخليفة المهدى عجل جائزة كان قد أمر له بها حين كتب إليه رقعته يشكو فيها أذى الحر والصوم ، وهى :

أدعوك بالرحم التى هى جمعت   فى القرب بين قريبنا والأبعد
ألا اسمعت ، وأنت أكرم من مشى   من منشد يرجو جزاء المنشد
جاء الصيام فصمته متعبداً   أرجو رجاء الصائم المتعبد
ولقيت من أمر الصيام وحره   أمرين قيسا بالعذاب المؤصد(١)
وسجدت حتى جبهتى مشجوجة   مما يناطحنى الحصا فى المسجد
فامنن بتسريحى بعطلك بالذى   أسلفتنيه من البلاء المرصد

فلما قرأ المهدى رقعته غضب وقال : يا عاض كذا من أمه أى قرابة بينى وبينك ؟ قال : رحم آدم وحواء ، أنسيتهما يا أمير المؤمنين ؟ فضحك وقال : لا والله ما نسيتهما . وأمر بتعجيل ما أجازه به وزاد فيه(٢) .

فنفهم من القصة أنه لولا شديد عطف المهدى على أبى دلامة لما أحسن جزاءه رغم شكواه من الصوم ، ونفهم منها أن أبا دلامة كان رقيق الدين ، فهو يلقى من أمر الصيام وحره أمرين لا يعيشهما إلا بالعذاب المطبق ، وهو يتضجر من كثرة ما سجد حتى ليدعى أن جبهته قد شجت مما يؤثر فيها من الحصى المنتثر فى أرض المسجد : وما كان ليعترف بهذا مظهراً ضجره وملاله لولا رقة دينه وضعف يقينه .

وكيف لا يكون رقيق الدين ضعيف اليقين وهو مدمن على شرب الخمر لا يكاد يصل إلى شىء من المال حتى يسكر به . وكثيراً ما كان يعطى المال ليقوم بفريضة دينية يستغفر بها من ماضيه ، ويصلح بها حاضره ، فلا ينثره إلا فى المعصية التى أحاطت به ورانت على قلبه واستحوزت على فؤاده !

عزم موسى بن داود بن على الهاشمى(٣) على الحج . فقال لأبى

---

(١) العلج : الرجل من كفار العجم .

(٢) هو يقطين بن موسى البغدادى .

(٣) الكهام من السيوف الكليل الذى لا يقطع

(١) المؤصد : المطبق .

(٢) الأغانى ج ١٠ ص ٢٥٤ .

(٣) هو ابن عم السفاح ، كان أبوه داود أمير مكة والمدينة ، واستخلف حين احتضر على عمله ولده موسى . فاستعمله السفاح خاله زياداً على مكة ، وموسى بن داود هذا على امرة المدينة .

دلامة : أحجج مني ولك عشرة آلاف درهم . فقال هاتها ؛ فدفعت إليه ، فأخذها وهرب إلى السواد فجعل ينفقها هناك ويشرب بها الخمر . فطلبه موسى فلم يقدر عليه ، وخشي فوت الحج فخرج . فلما شارف القادسية إذا هو بأبي دلامة خارجاً من قرية إلى أخرى وهو سكران ، فأمر بأخذه وتقييده وطرحه في محمل بين يديه ففعل ذلك به . فلما سار غير بعيد أقبل على موسى وناداه :

يا أيها الناس قولوا أجمعون معاً صلى الإله على موسى بن داود
كأن ديباجتي خديه من ذهب إذا لك في أثوابه السود
إني أعوذ بداود وأعظمه من أن أكلف حجاً يا ابن داود
خبرت أن طريق الحج معطشة من الشراب وما شربي بتصريد[1]
والله مالي من أجر فتطلبه ولا الثناء على ديني بمحمود

فقال موسى : ألقوه لعنه الله عن المحمل ودعوه ينصرف ، فألقي وعاد إلى قصفه بالسواد ، حتى نفدت العشرة آلاف درهم[2] .

ولا ريب أن أبا دلامة لم يكذب في وصف نفسه ، فما فيه أجر فيطلبه أحد ، وليس الثناء على دينه بمحمود ، فعلام يكلف بالحج وسواه من الفروض ؟

لذلك قال صاحب الأغاني في وصفه : « كان فاسد الدين ، رديء المذهب ، مرتكباً المحارم ، مضيعاً للفروض ، مجاهراً بذلك . وكان يعلم هذا منه ويعرف به ، فيتجافى عنه للطف محله »[3]

وهو — لفساد دينه — لم يكن يكتفي بشرب الخمر والعربدة ، وإنما كان يقضي أكثر أوقاته في أسواق النخاسين الذين يبيعون الرقيق ، ليستمتع برؤية الجواري الحسان . وكان كثير الزيارة للجنيد النخاس ، إذ كان يتعشق جارية له ويبغضه ، فجاءه يوماً فقال : أخرج لي فلانة . فقال : إلى متى تخرج إليك ولست بمشتر؟! قال: فإن لم أكن مشترياً فإني أخ يمدح ويطري . قال: ما أنا بمخرجها إليك أو تقول فيها شعراً . قال : فاحلف بعتقها أن ترويها إياه وتأمرها بإنشاده من أتاك يعترضها ولا تحجبها . فحلف لا يحجبها .

فقال أبو دلامة :

إني لأحسب أن سأمسي ميتاً أو سوف أصبح ثم لا أمسي
من حب جارية الجنيد وبغضه وكلاهما قاض على نفسي
فكلامها يشفي به سقمي فإذا تكلم عاد لي نكسي[1]

فما قولك بهذا الشيخ الذي لم يمنعه العجز والكبر من خروج الجواري الحسان إليه ليملأ عينيه من جمالهن الجذاب ، وسحرهن الخلاب ؟

وإنك لترى صورة من أخلاق أبي دلامة في مسلكه مع الناس ومعاملته لهم — ولا سيما العادبين منهم — فهو يقسم كاذباً ، وهو يلفق الأحلام ، وهو لا يبالي بأية وسيلة يصل إلى مبتغاه : مر أبو دلامة بتمار (بالكوفة) فقال له :

رأيتك أطعمتني في المنام قواصر[2] من تمرك البارحة
فأم العيال وصبيانها إلى الباب أعينهم طامحه !

فأعطاه جلتي[3] تمر وقال له : إن رأيت هذه الرؤيا ثانية لم يصح تفسيرها . فأخذهما وانصرف[4] .

وللتمار الحق في ألا يصدق منامه مرة ثانية ، فإنه مستعد للتحلم وتلفيق الرؤى في كل يوم ما دام يأخذ جلات التمر وقواصره ، ومستعد للكذب أمام كل مخلوق ما دام ينتظر من ورائه منفعة ، لأنه كان نفعياً بكل ما في الكلمة من معنى ، ولم يكن يخجل من التماس المنفعة والعمد إليها حتى مع الذين لا ينتظرون أن يخدعهم ولو خدع الناس جميعاً .

دخل أبو دلامة على إسحاق الأزرق يعوده ، وكان إسحاق قد مرض مرضاً شديداً ، ثم تماثل منه وأفاق ، فكان من ذلك ضعيفاً ، وعند إسحاق طبيب يصف له أدوية تقوى بدنه . فقال أبو دلامة للطبيب : يا ابن الكافرة ! أتصف الأدوية لرجل أضعفه المرض ! ما أردت والله إلا قتله . ثم التفت إلى إسحاق فقال :

---

(١) صرد شربه : قطعه .

(٢) الأغاني ج ١٠ ص ٢٤٦ وقوله (العشرة آلاف درهم) لغة ضعيفة ، وإنما أثبتناها نقلا عن الأصل ، وأفصح اللغات : عشرة الآلاف درهم

(٣) الأغاني ج ١٠ ص ٢٣٥

---

(١) الأغاني ج ١٠ ص ٢٦٩

(٢) القواصر : واحدها قوصرة ، وهي وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البوادي

(٣) الجلة (بالضم) قفة كبيرة للتمر

(٤) الأغاني ج ١٠ ص ٢٥٢

إسمع أيها الأمــير منى . قال : هات ما عندك يا أبا دلامة . فأنشأ يقول :

نح عنك الطبيب واسمع لنعتى ... إننى ناصح من النصاح
ذو تجاريب قد تقلبت فى الصــنعة دهراً وفى السقام المتاح
غاد هذا الكباب كل صباح ... من متون الفتية السحاح (1)
فإذا ما عطشت فاشرب ثلاثاً ... من عتيق فى الشم كالتفاح
ثم عند المساء فاعكف على ذا ... وعلى ذا بأعظم الأقداح
فتقوى ذا الضعف منك وتلغى ... عن ليال أصح هذى الصحاح
ذا شفاء ودع مقالة هذا ... ...

ونسكت عن الشطر الثانى من البيت الأخير لأن فيه ألفاظاً ينبو عنها الذوق ، وننزه عنها القلم . لكنها — على كل حال — أضحكت إسحاق وعواده فأمر لأبى دلامة بخمسمائة درهم . وكان الطبيب نصرانياً فقال : أعوذ بالله من شرك يا ركل (يريد يا رجل) ثم قال الطبيب لإسحاق : إقبل منى أصلحك الله ولا تسألنى عن شىء قدامه . فقال أبو دلامة : أما وقد أخذت أجرة صفقتى وقضيت الحق فى نصح صديق ، فأنت له الآن أنت ما أحببت (2)

فهل من النصيحة أن يدعو المريض إلى مجانبة الطبيب وأكل الكباب والعكوف على شرب الخمر وهو مازال ضعيفاً يطلب أن يتقوى ، أم رغبة أبى دلامة فى إضحاك إسحاق وعواده هى التى حملته على هذا النعت العجيب ، ليصل إلى شىء من النفع القريب ؟

ولكن لا تنس أن الناصح ظريف ، وبمثل هذا ينصح الظرفاء !

(النهاية فى العدد القادم) صبحى إبراهيم الصالح

(1) السحاح : السمان ، وأحدها ساح وساحة بالحاء المشددة
(2) الأغانى ج ١٠ ص ٧٢٠

ظهر حديثا
وحى الرسالة

لن يقعد الأحرار عن ثأرهم

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

يا وطنى ، مالك يُحنى على ... روحك معنى الموت ، معنى العدم
أمضّك الجرح الذى خانه ... أساته فى المأزق المحتدم !؟
جرحك ، ما أعمق أغواره ... كم يتنزّى تحت ناب الألم
أين الألى استصرختهم ضارعاً ... تحسبهم ذَراك والمعتصم
ما بالهم قد حال من دونهم ... ودون مأساتك حسٌ أصم
قلبت فيهم طرفَ مستنجد ... فعزك النــدفع المقتحم
واخجلتا ، حتام أهواؤهم ... تفرقهم فى لجهـا الملتطم !
همُ الأنانيون ... قد أغلقوا ... قلوبهم دون البلاء الملم
لا روح يستنهض من عزمهم ... لا نخــوة تحفزهم ، لا همم
أحنوا رقاب الذل ، يا ضعفهم ... واستسلموا للقادر المحتكم

يا هذه الأقدار لا ترحمى ... فرائسَ الضعف ، بقايا الرمم
بالمعول المحموم أهوى على ... تلك الجذوع الناخرات الحطم
كونى أتيّاً عارماً واجرفى ... كلّ ضعيف الروح واهى القدم
كونى كما شئت ، لظى يمتلى ... أو عاصفاً يقذف حمر الحمم
واكتسحى أنقاض هذا الحمى ... من كل ركن خائر ، منهدم
اكتسحيها وانفضى أمتى ... مما علاها من رماد القدم
ستنجلى الغمرة يا موطنى ... ويمسح الفجر غواشى الظلم
والأمل الظامئ مهما ذوى ... لسوف يروى بلهيب ودم

فالجوهر الكامن فى أمتى ... ما يأتلى يحمل معنى الضرم
هو الشباب الحر ذخر الحمى ... اليقظ المســتوفز المنتقم
غلوا جناحيه وقالوا انطلق ... وشارف الأفق وجز بالقمم
واستنهضوه لاقتحام اللظى .. ... والقيد ، ياللقيد ! يدمى القدم
لكن للثأر غداً هبّةً ... جارفة الهول ، عصوفاً عمم
فالضربة الصماء قد أنبتت ... فى كل حر جذوة تضطرم
لن يقعد الأحرار عن ثأرهم ... وفى دم الأحرار تغلى النقم !

(نابلس) فدوى عبد الفتاح طوقان



الوقت

للأستاذ محمد فتحي عبد الوهاب

يقابلك زيد من الناس فى الطريق ، ويسألك عن الوقت . فتنظر إلى ساعتك لتجيب قائلاً : « إنها الثالثة بعد الظهر » . ولكنه يهز رأسه ويقول إنما يقصد بسؤاله تعريف الوقت . فتتولاك الحيرة ولا تجيب. ثم تسير وأنت تتساءل : ما هو الوقت؟ وتذهب وتبحث فى الكتب والمعاجم فتخبرك بأن الوقت : هو الذى تتميز به الحوادث بالدلالة إلى « ما قبل » أو « ما بعد » أو « البداية » أو « النهاية » فلا يساعدك هذا التعريف فى شىء . وتذهب إلى صديقك العالم لتسأله عن معنى الوقت ، فيفكر ملياً قبل أن يقول لك « إنه الفترة التى بين حادث وآخر » فتزداد حيرتك . فيتبسم صديقك ويخبرك أنه لا يوجد حتى الآن تعريف صريح للوقت . ولكن أقرب تعريف إليه هو الذى أخبرك به .

والوقت فى الواقع أحد الأشياء التى لا نستطيع تعريفها تعريفاً صريحاً كالحياة والموت والكهرباء وما إلى ذلك من تلك التى لا ندركها إلا عن طريق تأثيرها علينا .

وقد يقول قائل إنما الوقت هو حركة عقربى الساعة . ولكنه قول غير صحيح . فإن هذه الحركة هى أسهل طريق لمعرفة مسار الوقت ؛ فالساعة لا تساعدنا على الدلالة على مقدار الوقت الذى مرّ منذ أن وقع حادث من أمد طويل . إنها لا تصنع الوقت ، بل كل ما تعمله أن تسجل لنا الوقت فى الحاضر .

والشمس أكبر حارس للوقت فى العالم ، ولو أنها لا تخلو من أخطاء طفيفة . فطول النهار فى منطقة خط الاستواء يعادل طول الليل خلال سنة ، أما فى القطبين فهناك ستة أشهر من النهار تعقبها ستة أشهر من الليل ، بينما تختلف أوقات شروق الشمس وغروبها فى المناطق الوسطى باختلاف الفصول .

والأرض تدور حول محورها فى ٢٤ ساعة . والفترة التى تمر بانتهاء دورة كاملة تسمى باليوم . ثم إن الأرض ترحل حول الشمس فيما يقرب من ٣٦٥ يوماً ، وهذا ما نسميه بالعام . هـذا هو التقسيم الطبيعى للوقت . بيد أننا — للسهولة — نقسم كلا من اليوم والسنة إلى فترات صغيرة . فاليوم يقسم إلى ساعات ودقائق وثوان ، والسنة إلى شهور وأسابيع

والناس يقيسون الوقت عن طريق الشمس . فعند ما نقول إنها الساعة السادسة مساء نعنى أنه مرت ست ساعات منذ أن وصلت الشمس إلى أعلى نقطة فى السماء ، وتسمى نقطة السمت ، أو الظهر . واليوم هو الفترة التى انقضت منذ ظهور الشمس فى السمت وظهورها مرة أخرى .

وهناك دورتان للأرض : دورة بالنسبة إلى نجم معلوم ، وتستغرق مدتها ٢٣ ساعة و ٥٦ دقيقة ؛ ودورة بالنسبة إلى الشمس وطولها حوالى ٢٤ ساعة . والدورة الأولى تسمى اليوم النجمى ، والدورة الثانية تسمى اليوم الشمسى . واليوم النجمى لا يهم سوى الفلكيين . أما اليوم الشمسى فنظراً لأنه يمثل حالة الأرض بالنسبة إلى الشمس فأنه أهم عندنا من اليوم النجمى . على أنه لا ينطبق تماماً على دورة الكرة الأرضية حول محورها .

وبينما تدور الأرض حول محورها ، تدور فى الوقت نفسه من حول الشمس . والوقت الذى يمر لدورة كاملة يسمى بالسنة الشمسية ، وهو الذى نشير إليه عندما نتحدث عن « سنة » . وهذا هو العام الذى نحاول أن ندونه فى نتائجنا الزمنية . وطوله على وجه الدقة ٢٤٢٢ و ٣٦٥ يوماً ، أو ٣٦٥ يوماً و ٥ ساعات و ٢٨ دقيقة و ٥١ و ٤٥ ثانية .

وكان الناس من قديم الأزل يستعملون القمر فى قياس الوقت . والشعوب الاسلامية تدون نتائجها الزمنية بالشهور القمرية والسنة القمرية تتكون من ١٢ شهراً قمرياً ، يحتوى كل شهر منها على ٣٠ أو ٢٩ يوماً على التتابع .

وكانت سنة قدماء المصريين تتكون من ١٢ ، كل شهر منها يحتوى على ٣٠ يوماً . وكان يضاف إلى كل سنة خمسة أيام ، فينقدون بهذه الطريقة يوماً كاملاً كل أربع سنوات مما يسبب

اختلافاً فى مواعيد الفصول بمرور الوقت .

وقد حاول الناس منذ آلاف السنين ضبط نتائجهم الزمنية حتى تنتظم مواعيد الفصول سنة بعد أخرى .

كان الرومان يقسمون السنة إلى عشرة أشهر . وكانت الشهور السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة تسمى على التعاقب سبتمبر وأكتوبر ونوفبر وديسمبر ، ومنها اشتققنا حالياً أسماء الشهور الأربعة الأخيرة ولو أنها تعد فى نتائجنا الزمنية الشهور التاسعة والعاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة . ثم أضيف بعد ذلك شهران : يناير وفبراير .

ولما كان متوسط الشهر القمرى ½ ٢٩ يوماً ، فقد أدى ذلك إلى أن تكون السنة ١٢ شهراً قمرياً أى ٣٥٤ يوماً .

وتشاءم الناس من كون هذا العدد زوجياً ، فأضافوا إليه يوماً منعا للتشاؤم وأصبحت السنة ٣٥٥ يوماً . ومع ذلك كانت تنقص السنة عشرة أيام مما أدى إلى اختلاف فى مواعيد الفصول، ولذلك أضاف الرومان شهرا إضافيا سموه مرسيدرنياس . ولكنهم لم يقرروا عدد أيامه ، بل تركوا ذلك للكهنة فاستعملوه للاستفادة بتحديد أيامه حسب أغراضهم ، حتى يستطيع أصدقاؤهم المطالبة بديونهم فى وقت أقل من ميعاد استحقاق دفع الديون ، أو مد أجل الدين فى حالة استدانتهم .

وفى عام ٤٦ قبل الميلاد استنبط يوليوس قيصر نتيجة زمنية سميت النتيجة الجوليانية . وجعل الشهور الفردية ٣١ يوماً ، والشهور الزوجية ٣٠ يوماً ، ماعدا شهر فبراير فقد جعله ٢٩ يوماً فإذا مرت أربع سنوات صار ٣٠ يوماً .

وهكذا جعل عدد أيام السنة ¼ ٣٦٥ يوماً ، أى أطول من السنة الحقيقية بمقدار ما يقرب من ٢٣ دقيقة .

ثم جاء أغسطس فأخذ يوماً من فبراير وأضافه إلى شهر أغسطس بعد أن سمى باسمه (وكان يدعى قبل ذلك سكستيليس — أى الشهر السادس ، كما أن الشهر الخامس « كوينتيلس » سمى باسم يوليو بالنسبة إلى يوليوس قيصر عم أغسطس) . ولكى يتجنب أن تكون الثلاثة أشهر يوليو وأغسطس وسبتمبر ذات أيام عددها ٣١ يوماً — منعاً للتشاؤم — أخذ يوماً من شهر سبتمبر وأضافه إلى أكتوبر ، ويوماً من شهر نوفبر وأضافه إلى ديسمبر . وهذه هى النتيجة المتبعة حالياً ، إلا أنه فى السنوات البسيطة أى التى لايقبل عددها القسمة على ٤ يكون شهر فبراير ٢٨ يوماً ، وفى السنوات الكبيسة أى التى يقبل عددها القسمة على ٤ يكون شهر فبراير ٢٩ يوماً .

وانتشرت هذه النتيجة فى أنحاء أوروبا . ومع ذلك كان الخطأ البسيط بينها وبين السنة الحقيقية وهو لايتعدى ٠٠٧٨ و . من اليوم ، يتراكم بمرور الزمن ويصير عدداً من الأيام .

وفى عام ١٥٨٢ استنبط البابا بوس الثالث عشر «جريجورى» نتيجة زمنية سميت النتيجة الجريجورية . فصحح خطأ الأيام العشر بأن دعا اليوم الذى يلى اليوم الرابع من أكتوبر ، اليوم الخامس عشر من نفس الشهر . وجعل سنى القرون التى تقبل القسمة على ٤٠٠ سنين كبيسة . فالسنوات ١٦٠٠ و ٢٠٠٠ و ٢٤٠٠ تعد سنوات كبيسة ، أما السنوات ١٧٠٠ و ١٨٠٠ و ١٩٠٠ و ٢١٠٠ تعد سنوات بسيطة . وبذلك جعل السنة صحيحة تقريباً .

وفى الواقع ، تعد النتيجة الجريجورية من الدقة حتى أنه يجب أن تمر ٤٠٠٠ سنة قبل أن يتراكم الخطأ ويصير يوماً واحداً .

وطريقة يوليوس قيصر تدعى الطريقة القديمة ، أما الطريقة الجريجورية فتدعى الطريقه الحديثة ، وأحياناً ما يؤرخ المؤرخون حادثاً ما بالطريقتين معاً .

***

ويعد العلماء الصفر القياسى للوقت ، اللحظة التى تعبر فيها السمت فى مكان ما . وقد اختارت انجلترا بلدة جرينتش مكاناً لقياس الصفر الزمنى . واعترفت به جميع البلاد الأخرى ؛ ثم استنبط الفليكون صفر القياس الزمنى ، أى بدء اليوم ، من منتصف الليل ، ومع ذلك لم تعمل به انجلترا بل ظلت تقيس الصفر الزمنى من الظهر .

وتسبق أوقات أوروبا الوسطى وقت جرينتش بساعة واحدة . ثم يزيد الفرق عن ذلك كلما بعدت البلدان عن جرينتش .

محمد فتحى عبد الوهاب

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

كلمات عن الإذاعة موجهة إلى الوزير المسئول :

نقلت الصحف أن معالى الدكتور محمد هاشم وزير الدولة سيخص محطة الإذاعة المصرية بجزء من وقته وجهده ، عسى أن تفلح العناية والرعاية فى تخفيف شىء من سخط الجمهور المستمع فى كل مكان ... هذا الخبر إذا تخطى مرحلة التصديق إلى التحقيق كان حرياً أن يبعث فى النفوس اليائسة من إصلاح الأمور فى الإذاعة ، أملا كبيراً مبعثه الإيمان الصادق بأن الشباب فى أكثر خطواته ... عمل وأمل !

أعرف وزير الدولة الشاب منذ تسع سنوات على التحديد ؛ أعرفه معرفة هيأتها قاعة المحاضرات فى كلية الآداب ، يوم أن كنا نجلس متجاورين لنستمع إلى محاضرات الدكتور طه حسين بك عن الأدب المصرى الحديث ... ولو علم القراء مبلغ عشق الوزير الشاب للأدب ومدى تعلقه به لبدا لهم الأمر عادياً لا غرابة فيه ، فيما لو قدر لهم أن يروا الدكتور هاشم المدرس بكلية الحقوق فى ذلك الحين وهو يترك محاضراته ليأخذ مجلسه بين الطلبة فى كلية الآداب ! كنت أدخل إلى قاعة المحاضرات فأرى الدكتور هاشم وقد سبق الطلاب إلى التبكير بالحضور ، حتى لقد كان فى الكثير الغالب من الأحيان أول « طالب » يلقى على القاعة تحية الصباح . وآخذ مكانى إلى جانبه دون أن أعرف شيئاً عن هذا الذى أجاوره ؛ فكثيراً ما كان يقع فى الظن أنه زائر غريب أقبل من خارج الجامعة ليستمع إلى الدكتور طه حسين ، شأن أولئك الزائرين الغرباء الذين كانوا يسعون إلى محاضراته ليروه رأى العين والفكر فى وقت معاً !

ولكن هذا الزائر الغريب كان يثير اهتمامى بشخصيته ، تلك الشخصية التى كنت ألمح فى سماتها مظهر العلماء ... جلسة هادئة متزنة فيها الكثير من الوقار ، ونظرة نفاذة ساهمة تزن حقيقة المحاضر على ضوء كلماته ، وأذن مصيخة واعية تحتشد للحديث لتلتقط كل مايقال ، ووجه مشرق القسمات يعبر عن امتلاء النفس والعقل والشعور ... هذا كله دفعنى يوماً إلى أن أسأله عن اسمه شغفاً بمعرفته ، ولشد ما راعنى أن أعرف أنه الدكتور محمد هاشم المدرس بكلية الحقوق . ومنذ ذلك اليوم وأنا أحمل له فى نفسى كثيراً من معانى الإكبار والإعجاب !

واليوم ، وبعد تسع سنوات من اللقاء الأول فى قاعة المحاضرات بكلية الآداب يصبح الدكتور هاشم وزيراً للدولة .. أنا سعيد بأن يكون فى كرسى الوزارة هذا الشاب العالم الأديب فليس من شك فى أن كل عمل ينتسب إليه إنما ينتسب إلى همة الشباب ، ويصطبغ بصبغة الخلق ، ويطبع بطابع الآفاق الرحيبة التى تحلق فيها أجنحة ممتازة من الثقافة والعلم والأدب ... ولهذا أود أن أخاطب فيه كل تلك الصفات مجتمعة ، حين أسوق إليه بعض الحقائق عن الإذاعة المصرية وهو على أهبة النهوض بها من وضع إلى وضع كما يقال .

يعلم وزير الدولة أن الإذاعة فى كل أمة من الأمم ما هى إلا وسيلة من وسائل الترفيه والتثقيف والإصلاح ... الترفيه عن طريق تغذية النفوس بالتسلية الرفيعة التى تهدف إلى مثل عليا وغايات ، والتثقيف عن طريق إمداد العقول بكل مفيد فى ميدان الآداب والعلوم والفنون ، والإصلاح عن طريق تنوير الأذهان بعرض كل مشكلة فى نطاق صلة الفرد بالمجتمع الذى يعيش فيه ولن يتحقق هذا كله إلا إذا تحقق التوفيق فى الاختيار ... اختيار المشرفين على أقسام الإذاعة ، واختيار المشتركين فى برامج الإذاعة ثم أولئك الذين يوجهون دفة الأمور فى كل شأن من الشئون .

المراقب العام للاذاعة يجب أن يكون من صفوة المثقفين ، وكذلك المشرفون على الأقسام والمشتركون فى البرامج ؛ ولست أطالب هنا بأن يكون هؤلاء السادة من حملة الإجازات العلمية كالدكتوراه والماجستير ، كلا فليست العبرة بما يحمل الإنسان فى يده من شهادات ولكن بما يحمل فى رأسه من ثقافات . هؤلاء جميعاً هم المسئولون عن سخط الجمهور وتذمره وضيقه بما يسمع فى الصباح والمساء : محاضرات دينية يقف الجهد فيها عند سطحية السرد وسذاجة العرض ، فهى أشبه بتلك القصص التى تلق على

الأطفال ، ومحاضرات أدبية تخلو من عمق الفكرة وإشراق اللمحة فهي ترديد وتقليد ، ومحاضرات سياسية وعلمية واجتماعية تنقل نقلا عن الصحف ، فإذا قرأت هذه أمكنك أن تستغنى عن سماع تلك ! وتمثيليات تافهة مسفة قصد بها إلى ملء الفراغ الذى تحسه البرامج لا الفراغ الذى تحسه الأذهان ، وغناء مريض يدغدغ الغرائز ويرضى هواة الانحلال ممن يعانون مركب النقص فى صفات الخلق والرجولة ، ومقرئون يسيئون إلى روعة الترتيل بأصواتهم المنفرة التى يقع عليها اختيار الآذان الصم والأذواق الفاسدة !

وأعجب العجب أن الأسماء التى تطالعك اليوم من وراء المذياع هى الأسماء التى طالعتك بالأمس القريب والأمس البعيد ، وستطالعك فى الغدالقريب والغد البعيد ، أتدرى لماذا ؟ لأنها أسماء فرضت فرضاً وكأنها ضريبة يدفعها الجمهور المستمع من وقته الضائع وأعصابه المرهقة ! وإذا رجعت إلى بعض دعاة الإصلاح فى الإذاعة قالوا لك : لقد حاولنا فضاع الجهد وتبدد الأمل وذهب التوجيه مع الريح .. إذا رغبنا فى هذا « الفلان » رغب غيرنا فى ذاك ، وإذا رأينا الرأى هنا صدر الأمر بالنائه من هناك ! أسماء مفروضة ولو شكت رءوس أصحابها من أزمة الخواء ، وأسماء مرفوضة ولو ناءت رءوس أصحابها بنعمة الامتلاء ، وهذا هو مصدر الداء الذى يجب أن يعالج ليستقيم كل معوج من الأمور وكل منحرف من الأوضاع !

إذا أراد الدكتورهاشم أن ينهض بالإذاعة فليس أمامه إلا أن يعيد النظر فى تلك الفئة من المشرفين على الإذاعة ، فإذا خطر له أن يبقى كلا منهم فى مكانه فلا بأس من تكوين لجنة من العقول الممتازة فى ميدان الأدب والعلم والفن ، تكون مهمتها الإشراف على هؤلاء المشرفين حتى لا يخطوا خطوة يمليها الهوى والغرض أو يمليها الجهل الأصيل بقواعد الذوق السليم ... وعليه بعد ذلك أن يراجع تلك الجهات التى تصدر أمرها وتفرض رأيها على الإذاعة فى مسألة تلك الأسماء المعروفة التى ملتها النفوس ومجتها الأسماع ، فإذا حقق تلك الغاية فلا بأس مرة أخرى من تكوين بضع لجان تقوم بتنظيم البرامج فى كل قسم من الأقسام ، وانتهاج خطة دائمة يسير عليها العمل وتجنبه الركود والجمود ، ولها أن تختار من يصلحون للاذاعة من الأدباء والعلماء والفنانين على ضوء الكفاية الشخصية لا الكفاية الحزبية !

هذا هو الطريق ... ونحن فى انتظار الخطوة التالية لوزير الدولة ووزير الشباب ، وعهدنا بالشباب دائماً إذا اهتدى بنور العلم ونور الخلق أن يتخطى السدود ويحطم القيود ! !

جائزة أدبية والمقال مسروق من « وحى الرسالة » :

جريدة « بيروت المساء » اللبنانية جريدة عزيزة على نفسى حبيبة إلى قلبى ... عزيزة وحبيبة لأنها من لبنان ، ولأن محررها الفاضل الأستاذ عبد الله المشنوق صديق كريم ، وما أكثر أصدقاء القلب والروح فى لبنان الشقيق .

ولست أدرى ما هو رأى الصديق الكريم فى هذه القضية التى يشترك فيها بنصيب ... ولعله قد جهر بهذا الرأى على صفحات « بيروت المساء » ، ثم لم يقدر لى أن أطلع عليه ، لأن الجريدة العزيزة الحبيبة قد انقطعت عن الوصول إلىّ منذ أمد بعيد ، انقطعت على الرغم من وعود الأستاذ سهيل إدريس بأن « بيروت المساء » و« الصياد » فى طريقهما إلىّ من أسبوع إلى أسبوع... وها هو شهر قد مضى وأعقبته شهور ولم أر وجه الصحيفتين الحبيبتين ، ولا أدرى ... أأعتب على الصديق سهيل إدريس ، أم أعتب على الصديقين عبد الله المشنوق وسعيد فريحة ؟ !

مهما يكن من شىء ، فحسبنا أننا نستروح أنسام لبنان ونتسقط أخباره من مصادر أخرى تحمل إلينا مما نريد قليلا من كثير .. هذه جريدة « صدى الأحوال » اللبنانية تطالعنا فى عددها الصادر يوم السبت ٦ آب بمقال افتتاحى أشارت فيه إلى سرقة أدبية وقعت بين جدران كلية المقاصد الإسلامية ببيروت ، أما تلك السرقة ، فمن كتاب « وحى الرسالة » للأستاذ الكبير الزيات ، وأما الذى أقدم عليها فى رابعة النهار فهو طالب جرىء من طلاب كلية المقاصد لم يجد حرجاً فى السطو على أدب الأستاذ الزيات من جهة ، وعلى مال الأستاذ محى الدين النصولى من جهة أخرى !

هذه القصة الغريبة أشارت إليها « صدى الأحوال » بهذه الكلمات : « نشرت جريدة بيروت المساء بعددها الصادر فى ١٩٤٩/٥/٣٠ مقالا بعنوان (مقارنة خلقية بين بريطانيا وفرنسا) مهد له قلم التحرير بهذه المقدمة : منذ اثنين وعشرين عاماً والزميل الكبير الأستاذ محى الدين النصولى يقدم بانتظام جائزة مالية سنوية

توزع على الفائزين من طلاب كلية المقاصد الإسلامية فى مباراة خطابية إنشائية . وقد امتازت مباراة هذا العام بالمستوى الرفيع الذى بلغه المتبارون فى ناحيتى الكتابة والخطابة ، وكان المحكمون الأساتذة : حسن فروخ ، وموسى سليمان ، والدكتور جميل ما نوق موفقين فى أحكامهم . ويبدو فى الصورة المحكمون الثلاثة وخلفهم الطلاب الفائزون الثلاثة ، ونحن إذ نشكر الأستاذ النصولى على هذه الأريحية المتيقة (عمرها ٢٢ سنة) يسرنا أن ننشر فيما يلى الخطاب الذى كتبه وألقاه الشاب الأديب السيد ظافر تميم الفائز بالجائزة الثانية وعنوانه (مقارنة خلقية بين بريطانيا وفرنسا) ... »

بعد هذا يعقب الأستاذ يوسف أبو عبد الله محرر « صدى الأحوال » قائلا : « إن المقال الذى فاز بتلك الجائزة منقول نقلا أميناً عن مقال لأحد مشاهير الكتاب وهو الأستاذ الزيات تحت عنوان (انجلترا هى المثل) فى الجزء الثانى من (وحى الرسالة) ، منقول بنصه وفصه ، فلا تحريف ولا تأويل ولا استيحاء ولا اقتباس ! ... ولقد عدت إلى نفسى متسائلا : كيف جازت هذه السرقة على لجنة من المحكمين الجهابذة ! وكيف لم يفطن لها الأستاذ الكبير عبد الله المشنوق ، بل كيف لم يتمكن أحد من كبار الأدباء ممن يساهمون فى تحرير الزميلة (بيروت المساء) من معرفة ذلك ؟ ! .. لقد ذهب قسم من الجائزة إلى من لا يستحقها ، إلى مختلس جازت حيلته على المحكمين ! إننى أقترح على الأستاذ النصولى أن يبدى رأيه فى الموضوع وفيما عساه أن يفعل بالجائزة التى تمكن منها من هو غير أهل لها ، وفيما إذا كان مستعداً للتعويض على من يجىء بعده من المتبارين ، ومكافأة الفتى زهير لاوند مكتشف السرقة الأدبية ... أما كلتى للجنة (الموفقة) ، فهى أنها دون شك لم تكن مطلعة على الاختلاس ، ولم يخامرها ريب فى أن الموضوع هو من وضع الطالب ، وسوى ذلك لما جازفت بنشره فى الجريدة كأداة جرمية تدين المجرم والمتواطئين معه ، فهى غير ملومة من هذا القبيل ، ولها من حسن نيتها خير شفيع ، إنما يمكن نعتها بالقصور وعدم الاطلاع الكافى لتكون أهلا لضبط مثل هذه المهمات البسيطة » !

هذه هى الكلمات التى عقب بها المحرر الفاضل على السرقة الجريئة ، وإنك لتلمس فيها غيرة كريمة على القيم الأدبية والأوضاع الخلقية يستحق عليها صاحبها كل ثناء وكل تقدير .

حول الفن والحياة مرة أخرى :

يذكر القراء تلك الرسالة التى بعثت بها إلى شاعرة فاضلة فى العدد (٨٣٩) من « الرسالة » ، ويذكرون أنها سألتنى عن صلة الفن بالحياة وعما إذا كانت الثقافة الناضجة يكفى فيها الكتاب وحده عن كل ما عداه ... ولقد رددت عليها فى ذلك الحين بهذه الكلمات : « إن جوابى عن هذا السؤال هو أن الكتب لا يمكن أن تكفى لسبب واحد هو أن ثقافة من هذا الطراز يشوبها النقص ويعتريها القصور ؛ لأنها تفقد عنصراً خطيراً هو عنصر التطبيق على الحياة ! كيف تستطيعين أن تتذوقى آثار الفن وأنت بعيدة عن منابعه ؟ وكيف تستطيعين أن تحكمى على نتاج القرائح وليس بين يديك قاعدة ولا ميزان ؟ إن الثقافة يا آنستى ليست قراءة فحسب ، ولكنها فهم وهضم وتذوق واستيعاب ... وحياة من وراء هذا كله تعين الذهن على الإحاطة ، وتسعف الحواس على التوهج ، وترفع من قيم المواهب والملكات » !

قلت هذا فعقب الدكتور طه حسين فى « الأهرام » على ما قلت ، وكذلك فعل الأستاذ توفيق الحكيم فى « أخبار اليوم » ، وذهب الأول إلى أن الإنسان يستطيع أن يكون مثقفاً عن طريق القراءة والاستماع فلا حاجة به إلى الحياة ، وأكد الثانى أن الكاتب يستطيع أن يخرج فناً ولو حبسته فى جب وأغلقت عليه بسبعة أختام وتركته الأعوام ... إلى آخر هذا الكلام العجيب الذى يفتقر إلى سلامة المنطق وقوة الدليل كما أثبت ذلك فى حينه !

واليوم أعود إلى الموضوع بمناسبة مقال ظهر فى « الرسالة » منذ أسبوعين تحت عنوان « القراءة وأصول الثقافة » للأستاذ الفاضل إيليا حليم حنا ... فى ذلك المقال أورد الأستاذ إيليا كلمات قالها « جونسن » ، وهى كلمات تؤيد الواقع الذى ناديت به ، وتغنى عن كل تعقيب ! .

يقول جونسن : « من يتصور أن الأفكار لا توجد إلا فى الكتب ، وأن فى الكتب كل الأفكار ، فما هو إلا واهم ... الأفكار تجرى مع الأنهار والمجارى ، وتطفو على وجه البحر ، وتتكسر على شواطئه ، وتسكن التلال والجبال ، وتسطع مع نور الشمس ، وتنسدل على أجنحة الظلام ... إن الأفكار موجودة فى كل مكان وزمان » !

فإلى الكاتبين الكبيرين اللذين خالفانى فيما ناديت به ... أهدى هذه الكلمات ! !

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

بعثات البنات والرقص التوقيعي :

نشب الجدل أخيراً فى الصحف والمجلات حول ما رآه معالى وزير المعارف مرسى بدر بك وقرره ، من منع بعثات البنات إلى الخارج ، وإلغاء الرقص التوقيعى فى مدارس البنات ، وقد انقسم الكاتبون والمعقبون إلى معارضين ومؤيدين ، واتخذت بعض المجلات هذا الموضوع مجالا للفكاهة والتندر . وقد اشتملت حملة المعارضين لمنع البعثات على مغالطات واندفاعات وجانبت القصد وجاوزت الاتزان .

لقد أفضى معالى الوزير بوجهة نظره فقال : إنى لا أوافق على إيفاد بعثات بنات إلى الخارج ما عدا لندن لوجود بيت خاص للطالبات بها وتقوم بالإشراف عليهن مربية فاضلة ترعى مصالحهن وتشرف على تصرفاتهن ، أما إلى أى بلد آخر فلا أسمح بذلك مطلقاً . وإذا كنت أنا وزير المعارف لا أسمح بأن أرسل ابنتى إلى سويسرا أو فرنسا بمفردها دون رقيب ، فلهذا لا أسمح بإرسال فتيات للخارج أنا مسئول عن سلوكهن دون أن يوجد من يشرف عليهن .

هذا كلام « رجل » يمسك الزمام ويقدر المسئولية العامة كما يقدر المسئولية الخاصة . ولا شك أن الذين يعارضون — ولندع السيدات جانباً — إنما يسترسلون فى حملتهم غير شاعرين بشعور الرجل الحر المسئول عن أخواته وبناته ، وإلا فكيف يتفق هذا الشعور وأن يرسل الرجل ابنته إلى بلاد كفرنسا أو سويسرا لتعيش هناك كالغزال الشارد فى مجتمع يستبيح كثيراً مما نحظر ؟ وإذا كنا لا نسمح للفتاة التى تأتى إلى جامعة فؤاد من غير القاهرة ، أن تعيش وحدها من غير رعاية أقارب ورقابتهم لها ، فكيف نرسلها إلى باريس مثلا بمفردها دون رقيب أو موجه ؟ أخشى — إن فعلنا — أن تعود إلينا فتتحدث عن مغامراتها هناك كما يتحدث الفتيان ...

وأعجب العجب أن يذكر أولئك المعارضون فى هذا الصدد ، التقدم والرجعية والعلم والجهل ، ويبدون خجلهم مما يقوله عنا الأجانب ... إلى آخر هذا الكلام المعروف . ولست أدرى ما الذى جرى للعلم والتقدم بهذا الإجراء الذى لا يقصد منه إلا تنظيم الخطة والحفاظ على الكرامة والأخلاق ؟ هذه مدارس البنات وكليات الجامعة التى يتعلم فيها البنات ، لا تزال قائمة تتيح للبنات من العلم والتثقيف ما تتيح للبنين ، ومنع بعثاتهن إلى أوربا ليس عاماً ولا دائماً ، فالبعثات إلى انجلترا لم تقف ، والمانع منها إلى سائر البلاد سيزول بتدبير مثل ما فى انجلترا من بيت ورعاية ، فلا بأس على العلم ، كما أنه لا بأس على التقدم إلا إن كان يراد به الإباحية والإفساد . وجدير بهؤلاء أن يخجلوا من بيغاويتهم ومن فراغ نفوسهم من الشعور بكرامة الأسرة ، أكثر مما يخجلون من أى شيء آخر .

أما الرقص التوقيعى فما أرى به بأساً ، على أن يكون محصوراً فى بيئة المدرسة بعيداً عن أنظار الرجال ، فإن الناس يبعثون بناتهم إلى المدارس ليكن فى صيانتها ، إنما البأس فى إظهار الفتيات بالحفلات العامة ليبدين هذا الرقص التوقيعى ، أو ليقمن حتى بالألعاب الرياضية — وفيهن فتيات ناضجات الأنوثة — على نحو ما يقع فى حفل الجزيرة . والبأس كل البأس فى التمكين للمجلات المصورة من أخذ صور الفتيات بالمدارس فى أثناء قيامهن بالألعاب الرياضية فى أوضاع تظهر فيها العورات والسوءات ...

أما الرقص التوقيعى من حيث هو رياضة موسيقية مرحة فلم يعلق به الغبار إلا من كلمة « الرقص » وهو لا يزيد على رياضة تفيد الجسم وتكسبه الجمال والرشاقة ، وحركاته المنسقة مع الموسيقى تبعث السرور والسعادة فى نفوس البنات فيقبلن عليه أكثر مما يقبلن على الألعاب الرياضية الأخرى .

تسعير الأدب فى الإذاعة :

وقعت إدارة الإذاعة أخيراً فى مشكلة عمقها شبر ... وإن كانت تبدولها مغرقة .. وذلك عندما أرادت أن تقدر أجر الأستاذ محمود أبو الوفا على ما ألقاه من شعره بالمذياع . فهى تحسب أجور

الأدباء والشعراء وسائر المحدثين، الموظفين بالحكومة، على حسب درجات وظائفهم، وأبو الوفا موظف باليومية فى دار الكتب المصرية، وهو مع ذلك شاعر معروف متمسك بكرامته اللائقة بمكانته الأدبية، فلن يرضى أن يوزن قدره بميزان الوظيفة.

وحدث كذلك عندما أرادت إدارة الإذاعة محاسبة الأستاذ محمود حسن إسماعيل على إذاعة شعره — أن كتب الموظف الذى طلب إليه تقدير أجره، مشيراً بأن يعتبر الشاعر كمدرس « حرف ا » وهى رتبة جديدة اخترعها هذا الموظف .. ولولا الخوف على وزارة المعارف من عدوى الإذاعة لاقترحت عليها أن تضم إليها هذا المخترع الفذ لاستخدام عبقريته فى تقدير المدرسين ... وذلك كله مع العلم بأن الأستاذ محمود موظف بالإذاعة نفسها !!

ولا أدرى إلى الآن كيف حل عباقرة الإذاعة تينك المعضلتين، وإن كان ذلك يجرنا إلى النظر فى هذا الموضوع العجيب، موضوع تقدير الأدباء فى الإذاعة على حسب درجات الوظائف، لا على القيمة الأدبية، ويخيل إلى أنها تلجأ إلى ذلك لتخلص نفسها من ورطة الحكم على هذه القيمة، وعلى هذا يمكن أن نعتبر هذه الطريقة أسلم مما كان يحتمل أن يقع، فقد يحسبون حديثاً جيداً، أو يظنون آخر رديئاً، والأمر على خلاف ما يحسبون ويظنون.. فلا مناص إذن من القياس على درجات الوظائف، فمن كان يشغل إحدى الدرجات العلا فهو أستاذ كبير، ومن يشغل الدرجة السادسة أو الخامسة مثلا فيحال إلى ذلك الموظف العبقرى ليختار له حرف ب أو ج ...

ولست أدرى هل هم ينظرون أيضاً فى أحوال أولئك الأدباء الموظفين، من حيث من يكون منهم عزبا، أو متزوجاً ليس له أولاد، أو متزوجاً وله أولاد، وكم عدد الأولاد، وهل يعول أقارب آخرين، وهل هو من « المنسيين » أو ممن أدركهم « التنسيق » وما إلى ذلك ... ومن يدرى؟ فقد تتألف جمعية من زوجات محدثى الإذاعة المغبونين كتلك الجمعية المؤلفة من زوجات الموظفين المنسيين ...

من طرف المجالس :

فى ندوة الأستاذ كامل كيلانى بدار مكتبة الأطفال، قال فؤاد شيرين باشا محافظ القاهرة إنه دخل مرة بابنته الصغيرة محلاً

كشكول الأسبوع

▫ قرر المجمع العلمى العراقى انتخاب سعادة الدكتور عبد الوهاب عزام بك وزير مصر المفوض بالحجاز — عضواً به .

▫ أعلن القصصى العراقى عبد المجيد لطفى انصرافه عن الكتابة، لأنه مرض منذ شهور ودخل المستشفى فلم يجد فى جيبه من النقود ما يواجه به نفقات العلاج فاضطر إلى بيع أثاث بيته ومع ذلك لم يكف ثمنه للعلاج المطلوب .

▫ أغلقت الحكومة العراقية نحو ٢٤٠ صحيفة بين مجلة وجريدة لأنها لم تكن تصدر بانتظام، وكثير منها لم يصدر غير عدد أو عددين لبعض المناسبات .

▫ شرعت وزارة المعارف فى تغيير مناهج التاريخ والجغرافية فى المدارس الابتدائية والثانوية والعمل على وضع كتب دراسية جديدة فى هاتين المادتين . ومما يؤسف له أن الطالب المصرى يتلقى فى الجغرافية — على المنهج الحالى — معلومات عن جميع بلدان العالم ما عدا البلاد العربية التى يكاد يجهل جغرافية أكثرها .

▫ أعلن أحد الذين يؤلفون قصصاً للسينما بالأهرام أنه كنز زاخر وأن خياله مرهف وقدرته فائقة فى تأليف القصص، وذلك مع صورته المنشورة فى الإعلان ... وهكذا ينافس مؤلفو القصص العرافين وقارئى الكف .

▫ قال الدكتور زريق مندوب سوريا فى حلقة الدراسات الاجتماعية المنعقدة ببيروت : إن روح التضامن الاجتماعى متأصل لدى العرب، وإن نظام الأوقاف خير دليل على ذلك .

وقال المستر كليلاند الأمريكى فى تعقيب له بالحلقة : إنه لا يجب الاعتقاد بأن كل تفاوت بين الأفراد أو بين الشعوب سيختفى أثره فى هذا الجيل .

▫ جاء من شيكاغو أن السيدة نادية عبود أستاذة اللغة العربية فى المعهد الشرقى بجامعة شيكاغو، أعلنت أنها تملك صفحتين من أقدم طبعة لكتاب « ألف ليلة وليلة » وتقول السيدة إن أصل العنوان « الليالى الألف » . وإن دينازاد كانت مربية شهرزاد لا أختهـا .

▫ يؤخذ من تقرير عرض على اللجنة الثقافية للجامعة العربية عن تعليم اللاجئين الفلسطينيين، أن المدارس المصرية قبلت نحو ٨٥٠ طالبا فى التعليم العام و٣٠ فى التعليم العالى ونحو مائة فى جامعتى فؤاد وفاروق عدا من ألحقوا بالأزهر .

▫ افتتحت اللجنة الثقافية للجامعة العربيـة دورتها الخامسة بالأسكندرية يوم ١٢ أغسطس الماضى، وألفت لجانا فرعية للموضوعات التى هى موضع نظرها، وتواصل هذه اللجان اجتماعاتها إلى حين كتابة هذا .

▫ قال الدكتور أحمد أمين بك فى الكلمة التى افتتح بها اجتماع اللجنة الثقافية : إن المجهود العلمى هو خير الجهود فى بناء التعاون بين الأمم، ولو أمكن وضع سياسة ثقافية موحدة بين الدول العربية لأمكن التغلب على كثير من الصعاب فى الميدان السياسى .

لبيع (الشكولانه) بإحدى مدن ألمانيا ، وكانت التي تبيع فيه سيدة، وبعد أن اشتريا منها وخرجا قالت الابنة لأبيها : لماذا تبيع المرأة (الشكولانه) ولا تأكلها ؟

قال الأستاذ كامل كيلاني : هذا بعينه هو معنى الخيام في رباعياته إذ يقول : هل يشترى الخمار بما يبيع به الخمر أثمن منها ؟

وكان المجاهد الأمير عبد الكريم الخطـــابي حاضراً ، فانتقل الحديث إلى الاستبسال في الحروب وأثر الإيمان فيه ، وهنا انبرى أحمـد حلمي باشا رئيس عموم حكومة فلسطين ، لجمل يقص روائع مما شاهده من حسن البلاء في المواقع التي اشترك فيها ، قال: سقط أحـد الجنود المسلمين في حرب الأتراك مع الانجليز سنة ١٩١٤ — جريحاً ولم يستطع الكلام ، فأخرج ورقة من جيبه وتناول عوداً من الأرض وجعل يغرزه في جرحه الفائر برقبته ويكتب في الورقة بالدم ، فكتب أولاً : أين القبلة ؟ فدلوه عليها ، فاستقبلها ، ثم كتب : فليأخذ جيشنا بثأري . وأخيراً كتب : لا إله إلا الله محمد رسول الله . ثم فاضت نفسه ! وقال حلمي باشا : وهذه الورقة محفوظة بأحد المتاحف بتركيا .

قال الأستاذ كامل كيلاني : لم أر في هـذا المجال أبدع مما قالت أم حكيم زوجة قطري بن الفجاءة وهي تتقـدم في الحرب ولا أدل منه على الصدق في الجهاد ، قالت :

أحمل رأساً قد مللت حمله
وقد مللت دهنه وغسله
ألا فتى يحمل عني ثقله ؟

فأين جان دارك وغير جان دارك من هذه الروعة ؟

قال شيرين باشا : وهل تعرف جان دارك أن تقول مثل هذا ؟

السنة المدرسية :

نشرت بعض الصحف أن وزارة المعارف تفكر في أن تجعل بدء الدراسة بالمدارس من أول سبتمبر وأن تجري الامتحانات في ابريل بدلا من مايو ويونيه ، حتى لا يرهق الطلاب بالامتحان في أوقات اشتداد الحر . وهذا اتجاه حسن ، وإن كانت الفكرة لم تنضج في الوزارة ، على ما يظهر فلم يمكن تنفيذها في هذا العام . ولا شك أن الجو في شهر سبتمبر معتدل وملائم للعمل المدرسي وخاصة حين تبدأ الدراسة هينة خفيفة في أول السنة ، فليس من الحكمة أن يضيع هذا الشهر ويترتب على ضياعه تراخي الدراسة إلى الصيف ثم إجراء الامتحانات في القيظ الذي يصيب شره الطلبة والمدرسين جميعاً ، وإن فترة الامتحانات التي تقع في أوائل الصيف كل عام لهي مأساة الشباب في مصر ، تنهك فيها أبدانهم وترتهك أعصابهم وتكل أذهانهم وتضطرب أفكارهم .

والمدرسون لو رأيتهم وقد حشدوا في الحجرات للتصحيح وجلسوا على مقاعد التلاميذ حتى ضاقت بهم ، يتصببون عرقاً يجففونه تارة ، وتارة يمسكون بالأقلام الحمراء ويهوون بها على أوراق الاجابة — لو رأيتهم على هذه الحال لأشفقت عليهم وعلى الطلاب الذي وضعت مصائرهم بين أيديهم في هذا الجو المنهك المرهق .

وأذكر بذلك أن وزارة المعارف في السودان تنظم زمن الدراسة في العام تنظيما موافقاً للبلاد الحارة ، فالسنة المدرسية تبدأ في أول يناير ويستمر العمل إلى آخر ابريل ، ثم تكون بعد ذلك إجازة الصيف التي تقع في خلال السنة الدراسية ، وتستأنف الدراسة بعدها في يولية (يبدأ فصل الخريف في السودان من يولية) وتستمر حتى أول ديسمبر ، ثم يجري الامتحان النهائي في أوائل ديسمبر وبذلك تنتهي السنة المدرسية .

أما المدارس المصرية في السودان فتجري على مواعيد المدارس

□ وقال أيضاً : إن الإدارة الثقافية لم تتمكن من تنفيذ ما كانت تريده من استخدام السينما والإذاعة في نشر الثقافة الأدبية والعلمية والفنية ، لضيق ميزانيتها وعدم استيفاء أنصبة الدول .

□ تفق رأي اللجنة الثقافية في إحدى جلساتها على إقامة مهرجان لذكرى ابن سينا ببغداد في خريف سـنة ١٩٥٠ أو ربيع سنة ١٩٥١ ، تدعى إلى الأشـتراك فيه الدول الشرقية وكبار المستشرقين والمنظمات العلمية وهيئة اليونسكو ووزارة المعارف الفرنسية لاهتمامها بدراسة آثار ابن سينا على يد الأستاذ ماسنيون .

□ وتقرر أن يعهد إلى الإدارة الثقافية بإنشاء جائزة سنوية باسم ابن سينا تعطى لأحسن مؤلف في العلوم أو الفلسـفة ، كما تقرر توصية البلدان الأعضاء بإنشاء كرسي لابن سينا في جامعاتها .

□ أبلغ مندوبا لبنان اللجنة الثقافية أن الحـكومة اللبنانية ستنشىء جامعة علمية بقصر اليونسكو باسم « جامعة ابن سينا » .

□ ووافقت اللجنة مبدئياً على أن يعقد المؤتمر الثقافي الثاني للبلاد العربية بالأسكندرية في العام القادم .

□ ونظرت اللجنة في تقرير اللجنة الخاصة بالتعاون العلمي بين البلاد العربية ، فرأت أن ينشأ بالإدارة الثقافية لجنة دائمة لدراسة المشكلات العلمية المختلفة في الميادين الزراعية والاقتصادية والعمرانية بوجه عام ، ووضع ما تراه من تدابير لتنسيق التعاون بين البلدان العربية في معالجتها .



فطرة فى قطرة :

تلقى صديق الأستاذ أنور المداوى رسالة حملتها إليه « حقيبة البريد » من السيد حسنى الشريف وفيها أن قطرة من قطرات نداى سببت له مشكلة يرجو لها حلاً ، وخير القطرات عندى تلك التى تثير المشكلات . أما القطرة فهى إننى خفت على الذين يقضون السنوات فى المطالعات ولا يكتبون أن يصابوا وقد غصت النفس بما فيها ولم تجد لها منفذاً ، بالاستسقاء الذهنى والاختناق ودعوتهم إلى الكتابة والتعبير عما يجيش فى نفوسهم بين الحين والحين ، ويقول المراسل إنه لا يستطيع أن يعبر بما يرضى الأديب الكبير فهل يكف عن المطالعة وهو يحبها ؟

أنا حين أقول للسيد حسنى الشريف وأمثاله الذين يطالعون ولا يكتبون : إكتبوا كلما قرأتم لكى لا تصابوا بالاختناق وبما سميته الاستسقاء الذهنى لا أطلب إليهم أن يأتوا بما يأتى به هوميروس وشكسبير وهيجل وملتن فللتعبير ألف وجه ولون وأسلوب ويكفى أن يعبر المرء عما يجول فى صدره بالطريقة التى تلائم مزاجه وذهنيته وقالبه الوراثى وما انتهى إليه عقله وقلبه بحيث يأتى التعبير صدى للصوت الخارج من أعماق النفس ولكل نفس طبقاتها وأعماقها ولونها وهيكلها وحدورها وهواتفها وأرحامها ، ومتى عبر المرء بطريقته الخاصة نفس عن نفسه وظهر بوجهه الذى خلق له ولم يستعر وجه غيره وأقبح الوجوه الوجه المستعار وأمن شر ذلك الداء ، داء الاستسقاء .. كل يعبر بلسانه وأسلوبه فللأسد زئيره وللعصفور تغريده وللحمام هديله وللأقواس حنينها وللورود شذاها وللرعد هزيمه وللبركان حمته ، وليست القرائح كلها براكين ، ومن الخير أن لا تكون كلها براكين ليظل للعبقرية ندورتها وللموهبة مكانتها ، وفى كل قريحة تنفجر شىء من البركان وإن كانت لا تطلق المعجزات والروائع .

وإنى لأعجب لمن يسلخ الساعات الطوال من نهاره وليله فى المطالعة كيف لا يثير فيه ما يقرؤه ويتمثله قوة التعبير ويوقظ ما رقد فى نفسه وتلك الخواطر والرسوم التى يلقى بها المؤلفون فى ساحات النفس وأعماق العقل والخيال والشعور بذور صالحة للنمو وكائنات حية لها أعصابها وطرقها وأيامها وحيويتها التى تأبى إلا أن تشق لها المنافذ إلى أهدافها ...

إن الذى يغنم من كنوز المطالعات ما يغنم ولا يكتب بدوره سطوراً يقدمها للحياة وللناس يقف موقف من ينعم بمال الدائن ولا يفى الدين وليس ذلك بالموقف الكريم المستحب ... إن من أخذ يجب أن يعطى ، هكذا تقول لنا الطبيعة ..

ولا شك أن تاجرنا المراسل الذى يهوى الأدب ويحب (الرسالة) يعرف من تجارته أنها استيراد وتصدير ، وكذلك هو الأدب ، وإنى لأدعوه إلى الكتابة بالشكل الذى يراه وقد تكون فيه وراء شغفه بالمطالعة قوة كامنة لم يهتد إليها بعد ولم يسمع صوتها .. إن فينا من القوى الخفية ما يعوق بكثير ما يطفو على بحورنا من القوى الظاهرة . وكم من أديب قضى الحياة والقلم فى يده خائف متردد والينبوع كامن راقد فى أعماقه ينتظر حريته ويومه ...

راجى الراعى

فى مصر ، ويلاقى الطلبة والمدرسون هناك فى الامتحان عنتاً أكبر مما يلاقيه زملاؤهم فى مصر .

ويمكننا الانتفاع بنظام الحكومة السودانية مع شىء من التحوير الذى يناسب جو مصر . يمكن أن تبدأ السنة وتنتهى كما تبدأ وتنتهى هناك ، على أن تكون أجازة الصيف شهرى يونية ويولية فقط ، ولا ضير من العمل فى أوائل الصيف وأواخره ، لأن الامتحان لا يقع فيها وإنما يكون فى ديسمبر . والمزية الكبرى لهذا النظام هى إجراء الامتحان فى الشتاء وقت النشاط والعمل .

أما المدارس المصرية فى السودان فيجب أن ينظم أمرها بحيث تكون مواعيدها موافقة للنظام السودانى الملائم للبيئة الطبيعية هناك .

عباس خضر

ليس فى كلام العرب :

نقرأ كثيراً فى هذه الأيام تصحيحات لغوية لبعض الكاتبين فى الصحف والمجلات وعلى كثرة هذه التصحيحات لم نجد إلا القليل منها سلم من التصحيح ، مما يدلنا على أن الكاتبين لا يتعمقون فى البحث والاستقراء . وليست اللغة ضيقة المادة ، حتى يتمكن كل من تحدثه نفسه بأن يقول هذا خطأ . وهذا لم يرد عن العرب ، بل الواقع أن لهجات العرب كثيرة متشعبة ، ولذلك قالوا : عجبت لنحوى يخطىء ، ومجال التوسع فى الاستعمال فسيح ، الاستعارة والمجاز ، والاشتقاق ، كل ذلك مما يجعل مهمة (المخطّىء) شاقة وعسيرة .

وقديماً ألف الحريرى كتابه [درة الغواص فى أوهام الخواص] وأطال فيما أعتقد أنه من الأوهام ولكن الشهاب الخفاجى تتبعه فى [شرح الدرة] ورد أكثر ما كتبه .

وبين أيدينا كتاب (ليس فى كلام العرب) لابن خالويه ، وهو كتاب مملوء بالفوائد العلمية ، وقد أثنى عليه ابن خلكان ثناء مستطاباً ، غير أنه جاء ناقص الاستقراء ، والقارىء للجزء الوجود بين أيدينا من الكتاب يجد فيه مواضع كثيرة فيها نظر ، وقد اعتمد بعض مؤلفينا الكبار على هذا الكتاب فتابعوه فى الخطأ ، وأريد أن أذكر أمثلة مما قصر فيه ابن خالوية حتى يطيل الناشئون التريث قبل أن يقدموا على الحكم فى المواد اللغوية :

١ — يقول : ليس فى كلام العرب اسم جمع ست مرات غير الجمل ، فقد جمع على جمال وأجمل وجماله وجمالات وجامل وأجمال لأنه أكثر ما يكون الجمع مرتين أو ثلاثا وهذا ست مرات فهو نادر ، يقولون نعم وأنعام وأناعيم وقوم وأقوام وأقاويم لا يجاوزون ذلك . وينقل الرافعى رحمه الله هذا القول بنصه فى كتاب « تاريخ آداب العرب » ، ويزيد أنه وجد صاحب القاموس عد للجمل جموعا ثمانية .

وهذا كله غير صحيح ؛ فإن هناك أسماء جمعت أكثر من هذا الجمع ، ولنذكر على سبيل المثال (الدار) فقد ذكر لها صاحب القاموس أحد عشر جمعا ، وكذلك ذكر للفظة (الشيخ) . وذكر لبعض الكلمات جموعا ستة ، وعبارة الرافعى الأخيرة غير صحيحة لأن صاحب القاموس ذكر للجمل أثنى عشر جمعا ، فإنه قال : وجماله وجمالات مثلثين ، ومعنى ذلك أن هذين اللفظين مع الضبط ينتجان جموعاً ستة .

٢ — ويقول : ليس فى كلام العرب أفعلت أنا وفعلته لأنه ضد كلام العرب غير أكب وأقشع ، ولكن فى كتب اللغة من ذلك أفعال ، وقد أوصلها بعضهم إلى ثلاثة عشر فعلا ، ومنها أنقض وألام وأظأرت الناقة وأزفت البئر وأمرت الناقة ، وأسبق البعير وقلعه الله فأقلع ، وحجمه فأحجم وأنسل ريش الطائر ونسلته .

٣ — ليس فى كلام العرب اسم على فعال ليس بمصدر إلا كلمة واحده وهي قولهم أدخل الفعال فى خرق الحدثان فأس له رأس واحد ، والفعال خشبة الفأس ، فأما المصادر تطرد على الفعال فى باب فاعل نحو ضارب مضاربة وضراباً وهو منقوص بنحو زمام الناقة وسوار المرآة وصوان الثوب وملاك الأمر ووجار الضبع ... الخ .

على العمارى

أخطاء مطبعية :

تقع أحياناً رغم التصحيح والمراجعة بعض الأخطاء المطبعية التى لا تغيب عن فطنة القراء ... ومن هذه الأخطاء ما جاء بمقال الأستاذ أنور المداوى عن فقيد الأدب الأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى فى العدد (٨٤٢) من الرسالة حيث ورد هذا التعبير : « ومن دواعى الأسف حقاً أن يمسى الأحياء ويصبحون فلا يجدون المازنى يملأ مكانه » وصحته : « ومن دواعى الأسف حقاً أن يمسى الأحياء ويصبحوا الخ » . كما ورد فى مقال الأستاذ المداوى أيضاً عن « مدام ريكامييه » فى العدد الماضى من الرسالة هذه الكلمات : « وتنادى شفتيها شفاهم الظامئة ... وتصافحت روح بروح » وصحتها : « وتنادى شفتيها شفاههم ... وتصافحت روح وروح » .

وفى العدد (٨٤٠) من الرسالة ورد هذا البيت فى قصيدة الأستاذ محمد على الحومانى :

جددى يا مصر فينا الخيلاء نخف الأرض ونحتل السماء

وصحته :

جددى يا مصر فينا الخيلاء نخسف الأرض ونحتل السماء

وفى العدد الماضى ورد هذا التعبير فى مقال الأستاذ ابرهيم الوائلى عن كتاب « موسيقى الشعر » : « والذى جعله يمزج بين البحرين هو هذا الخلط المجيب الذى درج عليه بعض المحدثين فلم يفرقا بين الهزج ومجزوء الوافر » وصحته : « ... فلم يفرقوا بين الهزج ومجزوء الوافر » كما ورد هذا البيت : لاوحق ما أنا فيه فلا أرتجيه وصحته : فلا أرجيه .

« الرسالة »



عاصفة في قلب (*)

للاديب يوسف يعقوب حداد

الحب ، والأمومة ، اتفقا على الصراع فى قلب زوجة ... فاذا تراها فاعلة ؟!

كنت قرب النافذة أتلهى بشغل الأبرة ، واستروح آخر نسمات الربيع ، وألقى على الطريق نظرات متباعدة لعلى أرى طفلى وهما فى طريقهما من المدرسة إلى البيت . وفى آخر نظرة لم تقع عيناى على وجهى طفلى ، وإنما رأيت زوجى يجتاز آخر مرحلة من الطريق إلى البيت ، فألقيت على الساعة نظرة وجلة ، فإذا زوجى قد عاد اليوم مبكر بنصف ساعة على غير عادته !

واستولى على القلق ، فألقيت ما فى يدى ، وأسرعت إليه خافقة القلب ، وسألته — ما بك يا عزيزى ؟

فأجابنى بصوته الهادئ النبرات — لا شىء .

ولكنه كان يخفى عنى الحقيقة ، فقد كان وجهه شديد التجهم والانقباض . وحين دلفنا إلى داخل المنزل ، جلس « جان » على حافة المقعد ، وقال :

— الحقيقة أننى استلمت رسالة اليوم ، أثارت اهتمامى . هى من ابن عمتى « دك برنت » ولعلك تتذكرين مقابلتك له فى الشمال ، يوم كنا نقضى شهر العسل .

فأمنت على قوله — نعم ... أتذكره جيداً ، وقد استلطفته كثيراً . ثم قلت مازحة — كان يومئذ يجتاز أخطر أدوار الشباب وقد أولع بى فكان ولعه هذا مصدر سخريتنا منه . لعله اليوم فى الرابعة والعشرين ... أليس كذلك ؟ !

ولكنه لم يهتم بحديثى ، ومضى يقول — استطاع الحصول على عمل فى المطار المجاور لنا ، وأنه يتساءل فيما إذا كنا نقبله عندنا ريثما يجد له مكاناً آخر .

وبدا عليه أنه يسألنى رأيى ، فقت له — لم لا ؟ . لدينا غرف كثيرة ، يستطيع أن يشغل إحداها ... ثم أننا هنا نشكو الوحدة ، فلا قريب ولا صديق يزورنا ونزوره فسيخفف عنا «دك» هذه الوحدة ... والأطفال ؟.. تصور وقع الخير عليهم.

* * *

وسرعان ما أولع الطفلان بدك ، وسرعان ما انسجم دك معهما ... وكثيراً ما كانوا يتحدثون عن الطيران ، حتى أصبح كل من فى المنزل خبيراً بأموره وما يتعلق به ! . . ولكن ولع دك بالطفلين لم يكن أكثر من اهتمامه بى !

ومرت الأيام ، فإذ زوجى يتغير . لم يعد يدير دفة الحديث كما كان يفعل من قبل ، وبدأ ينفرد بنفسه كثيراً ... وازداد اهتمامه بالصيد وكان الصيد هوايته المفضلة . وكنا ذات مساء نجلس حول مائدة العشاء ، فبدأ الطفلان سلسلة أسئلتهم الساذجة .

قال جاك — كيف كان طيرانك اليوم يا دك ؟

— لا بأس به يا عزيزى .

وقال « بل » محدثاً شقيقه — ألم تر مغامرته اليوم فوق بناية المطار ؟

فتحدث جان زوجى من بعيد ، وقال لبل وفى حديثه الشىء الكثير من العتب واللوم : إذن فقد ذهبت اليوم إلى المطار وقد وعدتنى بالأمس ألا تذهب !.. أنسيت أننا اتفقنا على تنسيق طوابع البريد معاً ؟ فهتف الطفل فى أسف قائلا — والله ... لقد نسيت ... معذرة يا أبى .

ثم عاد إلى دك يحدثه عن الطيران ، فاستطعت أن أرى نظرات الحقد والغضب فى عينى زوجى جان !

وصعد جان إلى غرفته لينام ، وجلسنا أنا ودك والطفلان نصنع نموذجاً لطائرة دك من الكارتون ، ومضى الوقت ونحن لاهون ، وشعرت وقتئذ بسعادة الشباب تعود إلى تخدير حواسى مرة أخرى ...

دك الشاب المرح ... وهذا المرح الصبيانى ... أعادا إلى ذكريات الشباب .

وسمعت زوجى يقول وهو واقف على باب مخدعه فى الطابق

(*) مترجمة عن مجلة « تورستورى »

الثانى — لقد حان موعد نوم الأطفال ... الساعة الآن النصف بعد العاشرة !

ثم عاد إلى فراشه . وصعد الطفلان إلى فراشيهما ، وبقينا أنا ودك الذى قال لى ضاحكا — ألم يحن موعد نومك أنت الآخرى ؟

فضحكت ، وأدرت عينى إلى النافذة ، فإذا أنا أرى القمر الساطع يتوسط كبد السماء ، نخيل إلى أن القمر يشاركنى سعادتى!

قال دك — ألم تجربى الطيران فى ليلة مقمرة ؟

— إنها خسارة ... أليس كذلك ؟

— عندى طائرة جاهزة فى أى وقت .

شكراً ... إنى متعبة الآن .

لا شك أن دك كان يدعونى لنزهة ليلية ... ولكنه لم يجسر على توضيح رغبته ... ولكننى فهمتها ... مسكين دك !

وصعدت درجات السلم متخاذلة ، وفتحت باب مخدع زوجى فإذا هو غارق فى نومه . فاقتربت منه أمشى على رؤوس أصابعى ، وانحنيت عليه أقبله ، ولست أدرى لماذا جاءتنى تلك الفكرة . فكرة المقارنة بين وجهه الذى دبت فيه معالم الكبر ، ووجه دك الريان بالشباب !

وسرت إلى النافذة حزينة متألمة ، فطالعنى القمر بوجهه الضاحك ... فإذا أنا أعود إلى دك ... وما هى إلا لحظات ، حتى كنا نشق طريقنا مسرعين إلى أرض المطار .

قلت لنفسى وأنا أسبح فى الجو إلى جانب دك — يالها من سعادة ! وتمنيت لو أن هذه النزهة الجوية لا تنتهى أبداً .

— أأعجبتك هذه النزهة ؟

— بل أحببتها كل الحب .

— وأنا ؟

فى هذا السؤال كان بل جاداً كل الجد ، وخيل إلى أن الحب يصرخ فى عينى : دك — أوه ! دك .. لا تكن .

ولكنه لم يمهلنى ، وعاجلنى بذراعين قويتين ، وشفاه ملتهبة.

— أحبك يا روث .. أتذكرين أول مرة قابلتك فيها ... وكنت تقضين شهر العسل ؟.. منذ ذاك اليوم أحببتك ، ولكنى لم أجد فرصة لأعرب لك عن حبى .

* * *

كان زوجى شديد الولع بطفليه ... لم يكن يعاملهما كما يعامل الأب أولاده ، وإنما كان يعاملهما كما يعامل الصديق صديقه . لا يكاد يدخل البيت حتى يأخذ طفليه ليشغل كل وقته معهما . واعتاد الطفلان هذه الحياة ، حتى أنهما كانا يدعوان والدهما باسمه المجرد ، حتى خلا البيت كلمة من « بابا » أو « ماما » وكنت أنتقد هذه الطريقة فى تربيته لولديه . ولكن رأيه لم يكن ليتأثر برأيى أنا .

وذات يوم أخذ زوجى يعد معدات السفر مع طفليه ... مع طفليه فقط !.. وتوسلت إليه أن يأخذنى معهما ، ولكنه أبى على هذه الرغبة . — جان ... خذنى معك . ستحتاج لمن يطبخ طعامكم ، ويغسل ملابسكم ... جان ، ربما مرض الطفلان ، فماذا تفعل وحدك ؟

ولكن السيارة ابتعدت بهم عن عيونى ، فوقفت وراء النافذة أسكب دموعى فى حرقة ولوعة .

وسمعت دك يقول لى فى تأثر شديد لماذا تحاربين حبنا يا روث ؟ إن الحب لأسمى من هذه القيود البغيضة التى تقيد عاطفتك بالأغلال وأمطرنى بسيل منهمر من قبلاته .

وكتبت لجان رسالة طويلة أطلب حريتى ... وانتقلت مع دك إلى منزل صغير أحلناه إلى جنة صغيرة . ولكن حبى لدك لم يكن كل شىء بالنسبة لسعادتى ... حب دك لم يستطع أن ينسينى طفلى ، فأنا فى منتصف الليل استيقظ من نومى ، فإذا وسادتى مبللة بدموعى ... كنت أحلم بهما .

وأقف أمام المرآة فأرى جمالى يعتريه الذبول ... إننى أكبر من دك بعشرة أعوام ، ومعنى هذا أننى أسبقه إلى الشيخوخة بعشرة أعوام ... وفى هذه المدة من يدرى ماذا سيكون ... ربما انصرف دك عن حبى إلى حب امرأة أصغر منى وأجمل !.. وربما هذا لن يكون . وربما كبر طفلاى فيدركان معنى الأمومة ، فيعودان إلى ... من يدرى ماذا يخبىء لى المستقبل . على كل حال ، فإننى أتمنى لو أننى أستطيع إعادة عقارب الساعة إلى تلك الأيام التى سبقت دخول دك منزلنا الهادىء لأول مرة .

(البصرة . عراق) يوسف يعقوب حداد



العدد ٨٤٥ — الاثنين ١٢ سبتمبر ١٩٤٩ — السنه السابعه عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٣٠٢١

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 eme Année No. 845

Lundi — 12 — 9 — 1949

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

ـــه

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٣٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٨٤٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٩ ذو القعدة سنة ١٣٦٨ — ١٢ سبتمبر سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

رحم الله صديقى المازنى !

لقد كان رَجُلُ وَحْـدِه فى طراز عيشه ونظام عمله ونمط تفكيره وأسلوب كلامه . والتفرد فى الحياة والعمل والفكر والعبارة معناه فى دنيا الأدب الشخصية الممتازة التى لا يغنى عن وجودها وجود ، ولا يَجزى عن جهدها جهود ، ولا يسهل من فقدها عِوض . فإذا أُضيف إلى ذلك أن المازنى كان أحد الكتاب العشرة الذين يكتبون لغتهم عن علم ، ويفهمون أدبها عن فقه ، ويعالجون بيانها عن طبع ؛ وأن هؤلاء العشرة البررة متى خلَت أمكنتهم فى الأجل القريب أو البعيد ، فلن يخلفهم فى هذا الزمن الثائر الحائر العجلان من يحمل عنهم أمانة البيان ويبلغ بعدهم رسالة الأدب ، أدركنا فداحة الخطب الذى نزل بالأمة العربية يوم توفى هذا الكاتب العظيم .

عرفت المرحوم المازنى فى خريف سنة ١٩١٤ يوم دخلنا المدرسة الأعدادية الثانوية معلمين ، وكان يومئذ فى مرح شبابه وميعة نشاطه يتوسط باحة الأدب ويطرق باب الشهرة ويحاول هو وصاحباه العقاد وشكرى أن يشقوا طريقهم إلى المجد فى أرض غليظة صلدة يقوم فى بدايتها عقبتان : صاحب (الشوقيات) بشعره الرائع ، وصاحب (النظرات) بنثره البليغ . ولكنهم كانوا أصحاب معول ومسطرين : يهدمون بالنقد والثلب والتجريح ، ويبنون بالتجويد والتجديد والدرس ؛ فلم يفعلوا فعل ضعفاء الملكة اليوم ، يخفضون مستوى البلاغة ليصعد القمئ ، ويقربون غاية الفن ليلحق البطئ ! !

وكان المازنى على هذه الثورة وهذا الطموح خافض الجناح لأنه قوى النفس ، راكد السطح لأنه عميق الغور ، فما كنت تراه يوماً ذاهباً بنفسه ولا متبجحاً بعلمه ولا مباهياً بعمله . ثم كان على ضآلة جسمه ووهن عظمه مهيب الجانب لذكاء قلبه ورجاحة عقله ، فلا يعبث فى درسه تلميذ ولا يجرؤ على كرامته معلم . ثم توثقت بينى وبينه أسباب المودة ، فزاملته فى التعليم ، وصادقته فى الأدب ، وعاملته فى الصحافة ، فلم أجرب عليه شهد الله لؤماً فى زمالة ، ولا غشاً فى صداقة ، ولا سوءاً فى معاملة.

كان أدب المازنى أداة عيشه ووسيلة رزقه . لذلك كان يكره أن يعرضه لكيد الخصومة وعنت النقد . وكان سبيله إلى هذا أن يغض هو من قدر فنه ، وأن يقلل من قيمة نتاجه ، حتى يفوّت بذلك على خصمه لذة التجنى عليه فلا يجد ما يقوله إذا أراد أن ينتقصه بنقده أو حقده . وتصغيرك لشأنك فيه معنى التواضع ، ولكن تصغير غيرك لك فيه معنى الضِّعة . على أنه كان إذا أُكرِه على الخصومة شديد العارضة حديد القلم يقرع صاحبه بالتهكم أكثر مما يقرعه بالحجة . ولو كان المازنى مكفول الرزق من طريق غير طريق الأدب لما قصر أكثر جهده على الصحافة . ومن مساوئ الصحافة أنها تفرض على الكاتب

الظـــمآن . . !

للأستاذ راجي الراعي

في ذلك المساء كنت عائداً إلى بيتي لأطرح على عتبته أعباء اليوم وأنا أمسح العرق الذي يتفصد به جبيني وألتقط حجارة البؤس وأرجم بها الدنيا ، فشعرت بيد ناعمة تمتد إلى ونظرت فإذا بشبح في عينيه ألف شماع انتصب أمامي وبادرني قائلا : أنت من البائسين ولكن خفف عنك فالحياة التي ترجها تدعوك الليلة إلى جلسة شراب تقيمها لك ولأمثالك في القصر القائم على تلك الرابية التي تراها فاذهب واشرب وتمتع ، فسألته : ومن تكون أيها الشبح المشع؟ فاجاب : أنا الرحمة ، وماهي إلا طرفة عين حتى حملة النسيم وتوارى عني فقلت لنفسي : هل لمثلي أن يتمتع بشيء في هذه الدنيا ؟ هي ولا شك مهزلة جديدة فلأذهب إليها لأشهد فصولها وواصلت السير إلى حيث ألقيت بأحمالي على عتبة البيت ، وخرجت والليل يشتملني ، أهبط الوادي وأتسلق الجبل حتى بلغت القصر فإذا هو يعج بالخلائق يتدافعون بالمناكب ليستمعوا إلى الكلمات التي كانت تعيدها عليهم امرأة توسطت المكان ، طويلة القامة بدينة ، ورحت أشق الصفوف المتواصلة حتى دنوت من تلك المرأة فسمعتها تقول : أنا الحياة ... أعرف أنكم البائسون من أبنائي الذين طالما عبست في وجوههم وقد رأيت أن أجمعكم منذ اليوم مرة في العام لأعرض لكم أثمن ما لدي من الكؤوس وأسكب لكم منها فتبتل شفاهكم الجافة ببعض ما حرمتموه من دناني ... أنا الحياة ، ولي كؤوس وأنخرها وأجلها وأعزها ثلاث:

ورفعت بيدها الكأس الأولى وقالت : هذه هي الكأس الصفراء، كأس الثروة من شربها اتسع أمامه مدى العيش وأقام القصور الناطحة السحاب واقتنى الأرض الفسيحة الرحاب ونال ما يشتهيه من الطيبات وتحدى الأقدار ، ورفل بالدمقس والحرير وبسط الموائد المثقلة بما لذ وطاب من الطعام والشراب ... ورمت الحضور بقبضة من الدنانير فهجموا يلتقطونها وصبت خمرة الثروة فشربوا جميعهم ... أما أنا فلم أشرب ...

ثم رفعت الكأس الثانية وقالت : هذه كأس الكؤوس ، كأس المرأة يحفها الحب والجمال ، من شربها فرشت له الجنات تجرى من تحتها الأنهار وتدفقت عليه قبل الحسان وحملته أجنحة القلب إلى آفاق الغبطة والنعيم وتنشق الرياحين وسجع له الحمام وانتقل بين الزهر والورد وذاق الشهد ... وأطلقت في تلك القاعات فتاة غضة بضة سمراء الوجه دعجاء العينين رشيقة القد يفوح منها عبير الحسن وتشع عيناها بالإغراء والفتنة فتخاطفت وجنتيها وتنافست في ثغرها القبلات ... وصبت الحياة خمرة المرأة فشرب الجميع .. أما أنا فلم أشرب ...

ورفعت الكأس الثالثة وقالت هـذه هي الكأس الحمراء ، كأس المجد ، كأس الفاتحين الغزاة من شربها دقت له الطبول وخفقت في سمائه الرايات وسارت في ركابه الجيوش واكتسح البلدان وأخضع الشعوب وثمل بخمرة النصر ونصبت له التماثيل والعروش ... ودارت على الناس بأكاليل من الغار فزينوا بها رءوسهم ، وصبت خمرة المجد فشرب الجميع ... أما أنا فلم أشرب ...

كنا عشرة آلاف من بائسي (هيجو) يغص بنا القصر ، وكان الجميع من حولي يهللون للحياة ويترنحون بخمرها ويثنون على كرمها وحنانها إذ جادت عليهم وهم المحرومون بساعة من ساعات نعيمها .. وكانت الحياة تطرب لبنيها وهم يطربون ولكن ساءها أن لا أكون من دعاتها المهللين وسكاراها الطروبين وراحت تسأل عني وقد جرحت كبرياءها وما لبثت أن أقبلت على والعيون تحدق إلينا والقوم يتهامسون وسألتني : من أنت ؟ فأجبتها : أنا الظمآ .. الظمأ القامح ، الظمأ كله ! فقالت : ولم لا تشرب من كؤوسي التي أدرتها على رفاقك ؟ فقلت : أنت تجهلين نفسك أو تعرفينها ولكنك تخدعين فالكؤوس التي عرضتها وسكبت فيها

الموضوع وتحمله على السرعة . وموضوع المازني القصص وفنه الوصف . فلو أنه خلص لهذين البابين لأتى فيهما أعجب العجب .

* * *

هذه بعض صفات الصديق الراحل ذكرتها مجملة في مقام الحزن على فقده والجزع لمصابه . أما سائر صفاته وتحليل ملكاته وترجمة حياته فلها في تاريخ الأدب فصل طويل سأكتبه بعد قليل .

(المنصورة) أحمد حسن الزيات

فى الأدب المهجري (*)

للأستـــاذ حبيب مسعود

ليس من شأنى فى هذا الحديث أن أعرض عليكم صورة عن الأدب العربى فى كل أنحاء العـالم الجديد . فذلك يقتضى وقتاً طويلاً ودراسة مستفيضة ، وإنما أقتصر فى حديثى على أدبنا فى البرازيل ؛ ومتى ذكرت هـذا القطر الـكبير بمساحته وشعبه فلا يسعنى إلا أن أحيى فيه رمز الكرامة والسماحة ، وموطن الحرية والضيافة ؛ فقد فتح صدره لقومنا وغمرهم بعطفه ومتعهم بشرائعه الحرة فأصابوا فيه من نعمه ما أصابو وكان لهم هذا المقام الذى يحتلونه .

لقد بلغـكم ولا شك الشىء الـكثير عن مآتى قومنا فى البرازيل وسمعتم عن المـكانة المادية والأدبية التى وصلوا إليها بعد جهاد سبعة عقود من الزمن وفروا له من العزيمة والجلاد ما تضؤل عنده بطولة الأساطير .

ولست معيداً فصول المآسى والبطولة فى حياتهم المهجرية فهى أبعد من أن تستوعبها الـكلمة العجلى فأحصر كلامى فى الناحية الأدبية لعل فيها جلاء للذين يعتقدون أن المغتربين أصحاب بيع وشراء وحسب ، أو أن الأدب العربى المهجرى أدب مسيخ لا يمت إلى الفصحى بنسب .

الأندلس الجديدة لقب أطلقوه على البيئات العربية (وكلها من سوريا ولبنان وفلسطين) التى تكتلت فى العالم الجديد وكونت عنصراً له قواه المادية والمعنوية ، تشبهاً بالأندلس القديمة التى فتحها العرب وأنشأوا فيها تلك الدولة التى لم يجل ما قيل فيها حتى الآن حقيقـة كيانها ، فإن كل ما كتب فى التاريخ الأندلسى من دوزى و كونده ودلريو إلى بروفنسال و كودرا وربيرا وبالاسيوس وغيرهم من الأفرنج والعرب لم يسبر غور تلك الحقبة الطويلة من الزمن وهى تناهز الثمانمائة من السنين . أما نحن فإننا نستقى تاريخ الأندلس من مناهل مؤرخى الغرب وعلمائه ونعتمدهم فى دروسهم الاستقرائية ومباحثهم التحليلية فنستشهد بما قاله دوزى الهولاندى وربيرا الأسبانى .

إن بين الأندلس القديمة والأندلس الجديدة فرقاً من وجهة وشبهاً من وجهة أخرى . فالفرق هو أن العرب دخلوا الأندلس فاتحين ففرضوا سلطانهم ونشروا هيبتهم وحموا بسيوفهم مؤسساتهم ومعاهدهم وثقافتهم فدرج الأدب والعلم فى ظلال أعلامهم وزها الشعر

(*) محاضرة ألقاها الأستاذ فى الجامعة الأمريكية ببيروت .

أيتها الضالة المضللة كؤوس وهمية خداعة لا تجدى ولا تروى .. إنك لا تستطيعين أن تمطى أكثر مما عندك ، وما عندك ليس بالشىء الـكثير ولا هو بالترياق لعليل مثلى فلو أعطيتنى كل ما لديك من الذهب ونفحتنى بكل ما لديك من النساء وصور الحب والجمال وزينت رأسى بكل ما لديك من أكاليل الغار ووهبتنى الدنيا بأسرها لما اكتفيت ولا هدأت نفسى .. ما الفائدة من الـكأس إذا لم ترو شاربها ؟ أنا هو الإنسان ، أنا هو الظمأ المستديم وليس فى كؤوسك ما يروينى ، أنا لسـان من اللهيب يندلع وليس فى وسعك أن تقطعيه ، أنا نار ليس فى يدك رمادها .. إن بينك وبين نفسى منذ تعرف أحدنا إلى الآخر لفلوات شاسعات كتب لى أن أظل مكتوياً بضرامها حتى يفتح الله لى شرفة من دارك على الآخرة حيث آمل أن أرى وجه الله وأذوب فيه وأرتوى . . أنا الظمأ وأنت لا ترويني ، أنا الإنسان الـكبير وأنت الحياة الصغيرة وما هو ذهبك ، ما هى نساؤك وما هو مجدك إذا جاشت الجائشات فى صدرى وأطلقت خيالى ... أنا ظمآن ، ظمآن إلى الله وأنت كافرة ظمآن إلى الحق وأنت الباطل ، ظمآن إلى الوفاء وأنت الخيانة ، ظمآن إلى الخلود وفى كأسك ثمالة الموت ! أنا ظمآن خلقت ظمآناً من قوم ظامئين وأجتاز صحاريك ظامئاً وسأموت ولسانى جاف وشفتاى الرتمشتان تتلمسان الغيب وتلتهبان شوقاً وحنيناً إلى الماء الذى هو الماء والخمرة التى هى الخمرة .. ومن أجل ذلك أنا واجم كئيب وبائس يائس فلا ترأفى بى أيتها الحياة ، إن رأفتك لا تجدينى ولا تفخرى بكؤوسك بعد اليوم ولا تسـكبيها فهى تؤلمنى ولا تـكفينى ...

راجى الراعى

فى خمائل مجدهم ، فى حين أن قومنا دخلوا أرض كولمبس مسترزقين طالبين عطفاً وسائلين عدلا . أما وجه الشبه فى هذه الدولة الأدبية التى بناها قومنا هناك شأن العرب فى الأندلس .

إن لانتقال العربية إلى الوطن البرازيلى ونشرها بين عشيرتنا المغتربة بالصحف والكتب حكايات لا تقل غرابة عن حكايات ألف ليلة وليلة ، فالصحافة العربية كانت فى أول عهدها ضرباً من الاستشهاد ، ومزاولة الأدب العربى فى تلك البيئة الغربية كانت نوعاً من الانتحار . ذلك لأن مغتربينا الأوائل كانوا فى معظمهم أميين أو شبه أميين ، ولم يكن همهم الأوحد إلا اقتناص الرزق وادخار الكسب . فما يجرى فى عروقنا قد ورثناه عن أولئك الذين قذفوا بأول قارب إلى البحر وعرفوا العالم الجديد قبل كولمبوس وأميركو بآلاف السنين ، وعن أولئك الذين توغلوا فى قلب آسيا وفتحوا بلاد القوط من مغامرة مغتربنا الأول الذى ركب البحر إلى ديار بعيدة يجهل حتى اسمها أسست دولة ضخمة بصناعتها وتجارتها لا يدرك عظمتها إلا من خبرها ، ومن مجازفة ذلك الأديب الذى أنشأ أول نشرة عربية قامت الدولة الأدبية التى دعيت الأندلس الجديدة .

فالأندلس الجديدة هى نشيئة الأديب المغترب الذى استشهد فى سبيل قومه ومن أجل لغته . زهد فى كل شىء ما خلا وطنه ، وقنع بالبلغة لكى يحافظ على لسانه . وليس الفضل أن تصون لغتك وأنت قابع فى ديارك وبين عشيرتك ، وإنما الفضل كل الفضل أن تصونها وتحضنها وتشقى من أجلها وأنت فى بلاد غريبة عنك لساناً وعادة وعرقاً .

على أن هذا المناضل الذى ذكرت لم يسلم من افتراء بعضهم حتى أن أحدهم وهو من أدباء دمشق عرض بأدباء المهجر عامة وتنقص شعراءه . وقد يكون عذره الوحيد أنه ألقى كلامه جزافاً أو أنه وقع عرضاً على بضاعة تافهة ، ومثل هذه البضاعة كثير هنا وهناك وفى كل مكان . ولو تروى ومحص وكشف الرغوة عن الصريح لأدرك أن فى المهجر عناصر لها مكانتها الرفيعة فى اللغة والأدب والشعر، وأن أمثالها قليل فى أى قطر من الأقطار العربية. لست مفاخراً ولا مغرقاً فسأورد لكم بعد قليل أمثلة من نتاج أدبائنا المغموطين ولكم أن تتخذوا منها حجة لى أو على

تقلب الأدب العربى فى البرازيل بين مد وجزر ، وتنازعته عوامل البقاء والفناء مراراً ، ولد فقيراً بين حفنة من البشر نزحت عن وطنها طلباً للرزق، ودرج هزيلاً لسوء غذائه المادى والأدبى ، وشب نشيطاً يجرى فى عروقه دم استمده من قافلة أدبية جديدة لحقت بالقافلة الأولى ، وتمطف عليه بيئة ارتفع مستواها العقلى وباتت تتذوق الأدب وتقبل على جيده . أما اليوم فقد دخل فى طور كهولته فأينعت ثماره وطاب شرابه . عندنا اللغوى المدقق ، والشاعر المنطلق فى أجواء الإبداع ، والمنشىء الناصع الديباجة ، والكاتب الذى يجمع بين روعة الأسلوب وعمق التفكير

وعندنا المدارس التى تعلم العربية وقد طالما أخرجت الألوف من نشئنا وعلى ألسنتهم لغة قحطان ، وفى قلوبهم صبوة لوطن آبائهم ، وعندنا الأندية التى ما برحت سوقاً يتبارى فيها فرسان الشعر والأدب . ما انطوى علم من أعلام الأدب أو الوطنية إلا مجدت ذكراه بمهرجان أدبى . فى تلك الأندية شهر فضل محمد عبدو ، وفرح أنطون ، وسليمان البستانى ، ومصطفى المنفلوطى ، والحسين ، وفيصل ، وعبد الله البستانى ، وفوزى المعلوف ، وجبران ، ورشيد أيوب ، والريحانى ، ورشيد نخلة ، وميشال المعلوف ، ونعمة يافث ، وشكرى الخورى ، وعقل الجر وغيرهم ممن تفوتنى أسماؤهم . أما الحفلة الكبرى التى أقامتها العصبة الأندلسية لذكرى المتنبى الألفية فقد بزت بروعتها وبما قيل فيها من الشعر كل ما ألقى فى الحفلات الأخرى ، ولقد حلق شعراؤنا فى سماء الإبداع حتى جاوروا شاعر العرب الأكبر .

أما الصحف العربية التى ظهرت فى البرازيل منذ بدء الهجرة حتى يومنا فتجاوز الخمسين ، وقد بلغ عددها قبيل الحرب العالمية نحواً من خمس وعشرين صحيفة بين مجلة وجريدة لم يبق منها إلا مجلتان وثلاث جرائد .

لم تكن الصحافة العربية فى المهجر إلا مدارس نقالة تحمل إلى قومنا الثقافة والأدب ، ورسولاً ينقل إليهم أخبار أوطانهم وذويهم ، وبوقاً يذيع مآثرهم ، وصديقاً يواسيهم فى أتراحهم ويشاركهم فى أفراحهم ومعلماً يلقنهم القراءة والكتابة .

بيد أن ظهور العصبة الأندلسية كان أكبر أثر أدبى فى تاريخ الأدب العربى بالبرازيل . ففى عام ١٩٣٣ وقد استفحلت

فوضي الأقلام ، شعر نفر من أدبائنا على رأسهم الطيب الذكر ميشال بك معلوف بافتقارهم إلى رابطة تجمع شملهم وتصون أدبهم فتنادوا وتعاقدوا وأجمعوا على إنشاء مؤسسة أدبية دعوها العصبة الأندلسية تيمناً بالعصر الأندلسي الزاهر. وفى عام ١٩٣٥ قر رأيهم على إصدار مجلة تنقل نتاجهم الأدبي وعهدوا إلى هذا الحقير الواقف أمامكم فى رئاسة تحريرها . وليس لى أن أقول شيئاً فى هذه المجلة فالرأى والحكم لمن رافق حياتها وبينكم منهم كثيرون ، وإنما لى كلمة أقولها وفاء لحرمة الأدب وهى أن « العصبة » كانت وما تبرح الصحيفة التى لم تمن لتأثير شخصي مهما كان حوله وطوله ، ولم تمن بغير الأدب والثقافة ، فمن الأدب الذى لا يؤمن إلا بالكفاءة والنزاهة والصراحة والتضحية نشأت ، ولأجل هذا الأدب وحده تعيش .

تحمل « العصبة » شهرياً فى المائة والعشرين من الصفحات نتاج الأدباء المنضمين تحت لوائها وغيرهم . ورسالة « العصبة » أن تنقل إلى الشرق العربى أدب المهجر، وإلى المهجر أدب الشرق ، وهى رسالة وقفنا لها قلوبنا ودفعنا إليها هيامنا بهذه اللغة التى حضناها فى جوانحنا . ورسالة « العصبة » أيضاً أن تطلع العالم العربى على بدائع الفكر الغربى ولا سيما البرازيلى . ها كم مثالاً ، هذا المقطع عن الشاعر البرازيلى الكبير كاسترو ألفس وقد نقله شعراً شفيق معلوف رئيس العصبة الأندلسية وعنوانه «العبقرى» :

هو لو طوف فى الدنيا وجابا مدن الأرض ذهاباً وإياباً
لقضى العمر يند الناس عنه

كفه فارغة ، والأرض ملأى ولئن قرب ، والأحشاء ظمأى،
فمـه للنهر ، فر النهر منه

لم يصب مأوى على وسع الفيافى لا ولا ظلا ، وظل الغاب ضاف
لا ولا ضمة تحنان وعطف

ولئن لوح فى عرض الطريق بيديه ناشداً كف صديق
لم يفز إلا بتصفيق الأكف

سار فى قفر بعيد الدرب وعر ينقل الخطوات من نصر لنصر
حاملا من مجده زاداً وقوتاً

قيل هـذا عبقرى لا يموت فمضى يسأل : هل يوماً حييت
يا بنى قومى لأخشى أن أموتا

ودونكم هذه القطعة للشاعر البرازيلى فيسنتى دى كارفاليو وقد ترجمها نثراً أخونا فى العصبة الأندلسية يوسف البعينى وعنوانها « اختراع الشيطان » :

« تقاسم الله والشيطان هذا العالم فكانت حصة الله الأفلاك ، وحصة الشيطان العالم الموبوء بالمعاصي والشرور الذى لا ينبت إلا العوسج ولا يلد سوى الأفاعى والغيلان . وخرج الشيطان مرة من وكره الناغل بالعفاريت وصعد إلى السماء حيث يرتكز عرش الآلهة . وفيما هو يتهادى مخلوباً بمناظر النعيم شاهد حواء مستلقية بجسمها العارى فى ضوء القمر فحسبها فى أول الأمر قطعة من المرمر الشفاف . ولكنه دهش إذ علم أن صاحب هذا الهيكل البض امرأة تتمشى فى أعضائها حرارة مبهمة — هى حرارة كل كائن حى .

وما كاد يفكر قليلاً حتى تجسدت فى مخيلته صورة اختراعه الفذ فاقترب من حواء وسكب فى فمها الوردى الجميل كأساً من السم . عند ذلك تبسم بخبث ودهاء ومضى مسروراً لأنه اخترع قبلة المرأة ! . . . »

ولا أزيدكم ، ففيما أوردت كفاية للدلالة على بدائع الأدب البرازيلى

وقعت أخيراً على بحث لأحدهم فى أدب المهجر عزا فيه روح التجدد إلى أدباء الشمال يوم كان جبران يتزعمهم ، واتهم إخوان العصبة الأندلسية بالمحافظة على الأساليب القديمة . أقول إذا كان جبران وبعض إخوان الرابطة القلمية قد فتحوا بتفكيرهم جواء جديدة فهذا لا يعنى أن كل أديب فى أميركا الشمالية بلغ شأوهم ، أو أن أدباء العصبة محافظون لأنهم لم يسبحوا فى تلك الجواء . أما إذا كان المراد من الأساليب القديمة الصيغة اللفظية والمحافظة على ضوابط اللغة فليس فى ذلك موضع للغمز واللمز . ألم يخلق جواً جديداً فوزى المعلوف فى بساط ريحه ، وأخوه شفيق فى عبقره ، والشاعر القروى فى حضن الأم ؟ أما إذا كان التفكير الجديد يقتضى أسلوباً جديداً ، والأسلوب الجديد يقتضى خروجاً على اللغة وبلبلة فى التركيب ورطانة فى التعبير ، فلست مبرئاً إخوانى من التهمة بل أعلن على رؤوس الاشهاد أنهم محافظون أكثر من تشرشل وأعوانه .

ثم لا أدرى ماذا يقصد بعضهم بالتجدد وقصة التجدد طويلة عالجتها الأقلام وتناولتها مساجلات عنيفة بين مقدسى الأدب القديم ، ومحقرى تراث الغابرين . وكلا الرأيين فى شرعي مغال ، فليس فى الأدب قديم ولا حديث ، وإنما فيه جيد وسقط ، والجيد يظل جيداً مهما قدم ، والسقط لا قيمة له سواء كان قديماً أو حديثاً. بعد ألف عام ما ننفك نطأطىء الرأس احتراماً لخرائد المتنبى ، وبعد أحد عشر قرناً ما يزال ابن المقفع والجاحظ أميرى القلم وسيدى البيان وإمامى المنشئين.

والتجدد ليس علماً يلقن أو قواعد تدرس ، إنما هو نزعة خلاقة فى الفكر ، وصبوة فى النفس إلى الإبداع ، وملكة فى الطبع تأبى الانقياد . والمجددون هم صنف من العباقرة أوتوا موهبة الفتح والقدرة على الخلق ، وليس فى طاقة كل أحد أن يكون مجدداً ، وإنما فى طاقته ألا يكون مقلداً .

وسألنى بعضهم هل لأدب العصبة الأندلسية اتجاه خاص أو طابع معروف به ، فكنت أجيب : لا أعرف للأدب اتجاهاً واحداً ولا طابعاً خاصاً ، وإنما أعرف أن الأدب فن كسائر الفنون الجميلة يمكنك من التعبير عن مشاعرك وتصوير ما يرتسم بأفكارك وتدوين ما يجرى فى أيامك وتعريف ما يقع تحت نظرك من المشاهد وغير ذلك من الأغراض . وأعرف أيضاً أن لكل أديب اتجاهاً وطابعاً لميوله وثقافته وبيئته . أما هذه الأنماط التى يعرفونها تارة بالمدرسية وطوراً بالوجدانية ومرة بالرمزية فهى أشبه شىء بالأزياء التى يستحدثها هواة الطرافة يقبل عليها الناس زمناً ثم يهملونها . قالوا إن هوجو وجماعته ابتدعوا المذهب الرومانطيقى الذى يعتمد المشاعر والخيالات والصور الطبيعية ، والواقع أن هذا المذهب قديم جداً نلقاه فى التوراة وفى أدب الهند والأندلس وغيرها ، فهو لا يخرج عن زى قديم ، كما أن الرمزية التى يريد دعاتها اليوم أن يرفعوا علمها على أنقاض الرومانطيقية ليست سوى الصوفية بعينها .

أنا لا أستنكر المذاهب الكتابية مهما كان شأنها لأنها تحمل روح الابتكار ودلائل الحياة ؛ فالركود آخرته العفن والجمود معناه الموت ، لكنى لا أعتبرها من الأدب أسسه وأركانه ، فالمذاهب تتغير أما الأدب فباق . لقد كانت الموشحات فى عصرها بدعة استهوت الألباب ، ثم خمل شأنها مع الزمن حتى كادت تهمل فى أيامنا على انتشار الغناء وهى فى أصلها ابتدعت للغناء والطرب . أما أدب امرىء القيس وعمر بن أبى ربيعة والمتنبى وابن المقفع والجاحظ وابن خلدون وأضرابهم فراسخ كالطود مهما تنوعت المذاهب وتجددت طرق التعبير .

وهذه بعض قطع لشعرائنا لم أخترها وإنما وقعت على أكثرها هنا فى بضعة أجزاء من « العصبة » . ابتدىء بقصيدة « ساعى البريد » وقد نظمها شاعرنا شفيق معلوف فى أثناء الحرب الأخيرة تخيل فيها أماً فى وطننا تترقب ساعى البريد لعله يحمل إليها خبراً من ابنها فى المهجر :

ساعى البريد وما ينفك منطلقاً	وكل باب عليه غير موصود
يسعى بأكداس أوراق مغلفة	تفوح منهن أطياب المواعيد
خلف النوافذ أجفان مشوقة	إليه تخفق من وجد وتسهيد
بدا فهز عقود الغيد مقدمه	هز النسيم لحبات المناقيد
كم قبلة من فم المشتاق يحملها	على يديه ويهديها إلى الغيد
يا ساعياً بابتسامات توزعها	على الشفاه بلا من وترديد
كم وجه أم عجوز إن برزت له	لم تبق من أثر فيه لتجعيد
تلقى إليها كتاباً إن يصب يدها	شدته باليد بين النحر والجيد
كأن كل غلاف منك ملتحف	بابن إلى صدر تلك الأم مردود

وهذه قطعة لشاعرنا رشيد سليم خورى المعروف بالشاعر القروى عنوانها « الغفران » :

قمت قبل الطيور أشدو حبوراً	لا أرى باعثاً لفرط حبوراً
مؤنساً وحشة الفضاء كأنى	نبأ طيب سرى فى الأثير
أتهادى بين الغصون كغصن	وأناغى العصفور كالعصفور
وعلى وجنتى للورد ظل	عائم فوق موجة من نور
قلت ربى أزال عهد شقائى	أم أراني فى عالم مسحور
وإذا زهرة كوجنة طفل	جنبها شوكة كناب هصور
فتذكرت ليلة الأمس رؤيا	باح لى وردها بسر سرورى
إن كف الرحمن تحت سكون	الليل بالعفو غلغلت فى سريرى
فرمت نفحة من العطر فى قلبى	وعادت بشوكة من ضميرى

وهذه مقاطع من قصيدة « النغم الأخيرة » لشاعرنا شكر الله الجر :

وقفت ... وقد نفث الدجى فى وجنتيها نجمتين

وأذاب حبة قلبه فى شـــعرها والحدقتين

وتفتقت فى الأفق أكمام الغمام عن القمر

فبدا لها كالوردة البيضـــاء فتحها السحر

والنهر كالديباجة الخضراء جعـدها النسيم

ينساب مثل اللوعة الخرساء فى صدر الـكريم

والحور عند ضـــفافه مما ألم به أرتبك

ألق شـــباك ظلاله فاصطاد أخيلة السمك

وأقتطف هـذه الأبيات من قصيدة نظمها شاعرنا نصر سمعان فى « الصدور » :

تزيف دم أرقت به شـبابك أصاب الأرض منه ما أصابك

أقبـل الموت تنثره وتشقى به فى كل آونة ترابك

ملأت مسامع الدنيـا أنينا أذعت به على الدنيا مصابك

وما لك يا حليف اليأس إلا حديث اليأس عن ألم أذابك

تحس الـكف كف الموت فيها إذا لمستك أو مست ثيابك

وهذه أبيات من قصيدة « مخازن الأظلال » لشاعرنا المدنى قيصر سليم الخورى :

يا دهر كم لك منة عندى وكم من منة للدهر رهن زوال

نأوى البيوت إذا استهلت ديمة ونفر منهـــا ساعة الزلزال

متع الليـالى لا تدوم وطالما حـــذر المحاذر جره لوبال

ينجو المغفل وهو فى حدق الردى ويصاب فى عينيه حين يبالى

وهذه أبيات لشاعرنا حسنى غراب من قصيدة يدفع فيها ما اتهم به العرب أحد كتاب الأجانب :

قل للألى حملوا علينا حملة شعواء شبت نارها الأهواء

ما نحن ما رسمت لـكم أوهامكم بل نحن مما تزعمون براء

نهتز عجبـــاً واختيالاً كلما عصفت بنا من ريحكم هوجاء

وتظل أعراض الـكرام نقية بيضاء مهما عابها السفهاء

وأخيراً ها كم هذه الأبيات من قصيدة لفقيد الأدب العربى عقل الجر بعنوان « أمى » :

ذكرت ولـكن لحلم عبر أموراً تقضت زمان الصغر

غـــداة أدب دبيب النمال وحولى تدب صروف القدر

أتمتم لا مفصح كلمـــة فتحسب أمى كلامى درر

وأعبث فى البيت مستبسلاً فأى إناء أصبت انـكسر

وأبـكى فيضجر بى والدى وليس يلم بأمى الضـــجر

فتلهب خـــدى فى لمسها وتمسح عن مدمعى ما انهمر

فديتك أماً تسام العـذاب النهار وفى الليل ضنك السهر

هذا مثال خطيف من أدب الأندلس الجديدة اقتصرت فيه على النظم دون النثر . هذا من شعر المهجر الذى أبى أحدهم أن يتعرف إليه لأنه ليس شعراً عربياً . وهذا أيضاً شىء من نتاج العصبة الأندلسية وقد قال فيه آخر إنه من طراز الجاهلية .

لا هذا ولا ذاك ، بل هو شعر جمع إلى فخامة الديباجة دنيا من الألوان والصور والرقة والفتنة ، فليس فيه ميعة الشـعر الأندلسى ولا خشونة الشعر الجاهلى .

أقول مجاهراً فى هذا المعهد العلمى الذى يحترم حرية الرأى : إن أديب المهجر مغموط حقه ، وإن أديب الأندلس الجديدة مبخوس فضله . ولـكن إن لم تقدر الأقوام العربية اليوم شأنه فسوف يقدرونه غـداً بعد أن تفقد الأندلس الثانية ويقيمون له ضريحاً رمزياً يحمل هذه الـكلمات : « هنا يرقد الأديب العربى المجهول » .

حبيب مسعود

رئيس تحرير مجلة العصبة الأندلسية

ركن المعتزلة :

فــكرة الله عند المعتزلة

للدكتور ألبير نصرى نادر

نزل القرآن الكريم يتحدث عن الله تعالى خالقاً للكون مدبراً له . والتوراة والإنجيل يتحدثان عن الله وعن صفاته . والكون بأثره وما فيه من نظام يدل على وجود كائن أول متعال ، والمعتزلة لا تشك أبداً فى وجوده تعالى ولكن جل همها كان البحث فى ماهيته وعلاقته بهذا العالم المخلوق .

نفى صفات الله :

تفخر المعتزله بأنهم أهل توحيد . ولكن كل مؤمن موحد أيضاً — ولما كان التوحيد اعترافاً بوجود إله واحد نجد المعتزلة على حذر كبير فى التحدث عن صفاته تعالى خوفاً من أن يؤدى الكلام فى هذا الموضوع إلى شرك يقضى على كل توحيد . لذلك نفت الصفات عن الله .

والأصل الأول الذى كان يقول به واصل بن عطاء رأس المعتزلة (المتوفى سنة ١٣١ هـ) هو نفى صفات البارى تعالى من العلم والقدرة والإرادة والحياة [١] . لأن واصل أراد أن يرد فكرة الأقانيم [٢] عند النصارى ، وكان يرى فيها ثلاثة آلهة ، إذ أن الثلاثة قديمة . نخشى أن تؤدى فكرة الصفات حتى الأزلية إلى شرك عند المسلمين ؛ لذلك جنح إلى التنزيه البحت وبه نفى أن يكون لله تعالى صفات غير ذاته .

كانت هذه المقالة فى بدئها غير نضيجة . وكان واصل بن عطاء يشرع فيها على قول ظاهر وهو الاتفاق على استحالة وجود إلٰهين قديمين أزليين ، لأنه من أثبت معنى وصفة قديمة فقد أثبت إلهين .

ثم شرع أصحاب واصل فى هذه المقالة بعد مطالعة كتب الفلاسفة وانتهى نظرهم فيها إلى رد جميع الصفات إلى كونه عالماً قادراً ثم الحكم بأنهما صفتان ذاتيتان هما اعتباران للذات القديمة [١] والمعتزلة حجة قوية فى نفى الصفات وردها إلى اعتبارات ذهنية للذات .

حججهم :

يقول المعتزلة : لو قامت الحوادث بذات البارى لا تصف بها بعد أن لم يتصف ؛ ولو اتصف لتغير ، والتغير دليل الحدوث إذ لا بد من مغير [٢] . فإذا ما تكلمنا عن علم الله مثلاً لا يجوز أن نعتبر العلم صفة قائمة بذاته تعالى ؛ لأنه إما أن تكون هذه الصفة أزلية كالذات ، وإما أن تكون حادثة . فإذا كانت أزلية فكيف يمكنها أن تحل فى الذات ؟ وإذا حلت فيها كان هناك أزليان ... وإذا كانت حادثة وحلت فى الذات فكانت الذات قد تغيرت من حال (حال عدم العلم) إلى حال (حال العلم) والتغير دليل حدوث ؟ فتكون الذات حادثة فى صفاتها . وهذا ما لا يتفق وكماله تعالى .

تعريف المعتزلة لله :

نجد فى كتاب « مقالات الإسلاميين » [٣] للأشعرى تعريفاً كاملاً شاملاً لله حسب رأى المعتزلة . فيقول : « أجمعت المعتزلة على أن الله واحد » (ليس كمثله شىء [٤] وهو السميع البصير) .

وليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا شخص ولا جوهر ولا عرض ولا بذى لون ولا طعم ولا رائحة ولا مجسة ولا بذى حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة ولا طول ولا عرض ولا عمق ولا اجتماع ولا افتراق ولا يتحرك ولا يسكن ولا يتبعض . وليس بذى إبعاض وأجزاء وجوارح وأعضاء ، وليس بذى جهات ولا بذى يمين وشمال وأمام وخلف وفوق وتحت ولا يحيط به مكان ولا يجرى عليه زمان ولا تجوز عليه المماسة ولا العزلة ولا الحلول فى الأماكن .

(١) الشهرستانى : الملل والنحل على هامش الفصل لابن حزم جزء أول صفحة ٥٣

(٢) الأقانيم ثلاثة : الآب وهو الوجود ، والابن أو الكلمة وهو العلم ، والروح القدس وهو الحياة (شرح المواقف لجلبى ج ٤٢٦)

(١) الشهرستانى : المصدر نفسه .

(٢) الشهرستانى : نهاية الأقدام ص ١١٥ من طبعة لندن وترجمة جيوم

(٣) كتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تأليف الإمام أبى الحسن على بن إسمعيل الأشعرى المتوفى سنة ٣٢٤ هـ ، عنى بتصحيحه هـ ريتر طبع استانبول سنة ١٩٢٩

(٤) سورة الشورى ٤٢ الآية ١١

ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حدثهم ، ولا يوصف بأنه متناه ، ولا يوصف بمساحات ، ولا ذهاب فى الجهات ، وليس بمحدود ، ولا والد ولا مولود ، ولا تحيط به الأقدار ، ولا تحجبه الأستار ، ولا تدركه الحواس ، ولا يقاس بالناس ، ولا يشبه الخلق بوجه من الوجوه ولا تحل به العاهات ، وكل ما خطر بالبال وتصور بالوهم فغير مشبه له .

لم يزل أولاً سابقاً متقدماً للمحدثات ، موجوداً قبل المخلوقات ، ولم يزل عالماً قادراً حياً ، ولا يزال كذلك ، لا تراه العيون ولا تدركه الأبصار ولا تحيط به الأوهام ولا يسمع بالأسماع .

شيء لا كالأشياء . عالم قادر حى لا كالعلماء القادرين الأحياء ، وأنه القديم وحده ولا قديم غيره ولا إله سواه ولا شريك له فى ملكه ولا وزير له فى سلطانه ولا معين على إنشاء ما أنشأ وخلق ما خلق . لم يخلق الخلق على مثال سبق ، وليس خلق شيء بأهون عليه من خلق شيء آخر ولا بأصعب عليه منه . لا يجوز عليه اجترار المنافع ولا تلحقه المضار ولا يناله السرور واللذات ولا يصل إليه الأذى والآلام . ليس بذى غاية يتناهى ولا يجوز عليه الفناء ولا يلحقه العجز والنقص . تقدس عن ملامسة النساء ، وعن اتخاذ الصاحبة والأبناء .

فها نحن بصدد تعريف جله نفى كل صفة عن الله ؛ ونتيجة لهذا التعريف لا يمكننا أن نكوّن عن الله فكرة حقيقية وواقعية أى موضوعية ، ولا يمكننا أن ندرك فكرة اللاألوهية حتى ولا بالمشابهة مع المخلوقات ، لأن فكرة اللاألوهية متعالية عن كل مخلوق مجردة عن كل صفة يتصف بها المخلوق — وهذا ما جعل المعتزلة تقول بأن الخلق لا يستمد ماهيته من الله ، لأنه لو كان الأمر كذلك لوجد تشابه فى الماهية بين الله والخلق ؛ ولكن ماهية الخلق لا تشارك البتة ماهية الله التى نجهلها تمام الجهل — وتنتهى المعتزلة إلى القول بأن الله لا يمنح سوى الوجود للخلق ، وكل ما عدا الوجود فلا يوجد أى تشابه بينه وبين الله .

أن هذه النقطة فى غاية الأهمية لما يترتب عليها من أقوال ونظريات تتعلق بمسألة خلق العالم وماهيته .

تحليل هذا التعريف :

إذا نظرنا إلى هذا التعريف نظرة تحليلية وجدنا أنه رد على اعتقادات مختلفة إسلامية كانت أو مسيحية أو مجوسية ؛ كما أنه رد أيضاً على نظريات فلسفية كانت منتشرة فى عصر المعتزلة أى فى القرنين الثانى والثالث للهجرة .

كانت الرافضة تقول وهى معتقدة أن ربها جسم ذو هيئة وصورة يتحرك ويسكن ويزول وينتقل ؛ وأنه كان غير عالم ثم علم ، وأنه يريد الشيء ثم يبدو له فيريد غيره[1] .

ومن جهة أخرى تقول المشبهة بأن البارى تعالى يشبه الخلق فى شعوره وإحساسه وتفكيره وإرادته حتى أن بعضهم قال بأن له أعضاء كأعضائنا تماماً محتجين ببعض آيات مثل (يد الله فوق أيديهم)[2] . (وقالت اليهود يدُ الله مغلولة)[3] . (ويبقى وجهُ ربك ذو الجلال والإكرام)[4] (الرحمن على العرش استوى)[5] والمشبهة تأخذ بهذه الآيات حرفياً بدون أى تأويل .

لذلك نفت المعتزلة الجسمية عن الله كما نفت كل ما يتعلق بالجسم من حركة وسكون وصورة ولون الخ . . كما هو واضح فى الجزء الأول من التعريف . وكذلك نفت عنه تعالى كل ما يتعلق بالنفس الإنسانية من شعور ومعرفة (بمعنى الرور من درجة إلى درجة أسمى فى المعرفة) وإرادة (بمعنى الاختيار) ، وقالت إنه تعالى « لا يقاس بالناس ولا يشبه الخلق بوجه من الوجوه » ولا نعلم شيئاً عن ماهيته سوى أنه الواحد ، فتكون المعتزلة لا أدرية . agnostiques

وبينما يقول النصارى بثلاثة أقانيم فى الله نجد المعتزلة يرفضون كل فكرة عن الأسرار ويعلنون بأن الله « لا والد ولا مولود ولا شريك له فى ملكه » .

ونجد أخيراً فى هذا التعريف رداً على المثل الأفلاطونية[6] التى كما يقول أفلاطون قد أنشأ الله الخلق على صورتها . ولكن المعتزلة ترى فى هذه المثل الأزلية شرك لله وتقول أن لا معين على إنشاء ما أنشأ وخلق ما خلق . ولم يخلق الخلق على مثال سبق » .

---

(١) كتاب الانتصار للخياط المعتزلى ج ٨ وص ١٠٧
(٢) الفتح ٤٨ آية ١٠
(٣) المائدة ٥ آية ٦٤
(٤) الرحمن ٢٥ آية ٢٧
(٥) طه ٢٠ آية ٥
(٦) تيماوس لأفلاطون .

ما يترتب على هذا التعريف :

تقول المعتزلة بأن الله واحد ومتميز تمام التميز عن الخلق ، هو الأصل الوحيد الذي بمقتضاه يفرقون بين ما هو حق وما هو باطل في التوحيد ؛ ويعتبرون أنفسهم بأنهم هم فقط « أهل توحيد » . وعلى هذه الفكرة بنى المعتزلة مسألة الخلق وهي مسألة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمبدأ نفي كل مشابهة بين ماهية الله وماهية العالم المخلوق . وبما أن هاتين الماهيتين مختلفتان ومتباينتان تماماً في عرف المعتزلة قالوا إن الماهية المحدثة المخلوقة ليست حاصلة من الماهية القديمة ؛ لذلك قالوا بالعدم واعتبروه شيئاً وذاتاً وعيناً وحقيقة يمنحه الله الوجود ليصير كائناً(١)

مصدر هذه الفكرة :

إنا نجد في القرآن الكريم هذه الآية (ليس كمثله شيء)(٢) وكذلك (لا تدركه الأبصار) (٣) ولكن كم أيضاً من الآيات التي تتحدث عن أعضاء الله وعن الشبه بينه تعالى وبين الإنسان ؟

هل تكفي آية أو آيتان حتى تبنى عليهما المعتزلة هذا التعريف المنفي لله ويصبح تعالى كائناً متميزاً تمام التميز عن خلقه ؟ لا شك في أن المعتزلة استرشدت أيضاً بمصادر أخرى .

كان واصل بن عطاء متصلاً بالنصارى . ولكنه رأى في سر الثالوث الأقدس (وهو سر إله واحد في ثلاثة أقانيم) شركا لله ؛ فأخذ يرده بقوة حتى يصل إلى فكرة عن إله واحد في غاية البساطة ومميز تماماً عن خلقه . وابتداء من أبي الهذيل العلاف أخذت المعتزلة تطالع كتب الفلاسفة اليونانيين التي ترجمت إلى السريانية والعربية في ذلك العهد . فكانت محاورة تيماوس لأفلاطون قد ترجمت إلى العربية (٤) والله في عرف أفلاطون لا يكوّن العالم على صورته بل على صورة المثل الأزلية . فساعدت هذه الفكرة المعتزلة على القول بأن العالم المخلوق لا يشبه الله الخالق أعني (في لغة المعتزلة) المانح الوجود لماهيات مختلفة ومميزة عنه ؛ كما أنهم نفوا أن الله يخلق الخلق على مثال سبق .

ومن جهة أخرى يقول أرسطو إن الله ليس بالعلة الفاعلية للعالم وإنما العالم يجتهد بأن يحيي بقدر المستطاع حياة مماثلة لحياة الله، ولكنه لا يستطيع ذلك لسبب مادته ، فيقلد الحياة الإلهية بحركة مستمرة وأزلية وهي الحركة الدائرية (انظر ارسطو كتاب الطبيعة ص ٢٦٥ ب ١) التي هي العلة الغائية للعالم — فإذاً لا توجد أي مشابهة بين الله والعالم ، والله على رأي أرسطو لم يبدع ماهية العالم ولا وجوده ؛ إنما المعتزلة مع نفيها كل مشابهة بين الله والخلق تقول إن الله منح الوجود فقط للعدم حتى صار كائناً .

وعندما أغلقت مدارس أثينا الفلسفية لجأ سمبلقيوس الفيلسوف إلى كسرى ملك الفرس وصديق الفلاسفة . وترك سمبلقيوس Simpliciws عدة شروح لنظريات أرسطو وكان أغلب المعتزلة على صلة بالفرس حتى إن بعضهم كان من أصل فارسي مثل أبو علي الأسواري .

فهذه الترجمات العربية لكتب الفلاسفة اليونانيين التي قام بها السريانيون من جهة ، والترجمات التي قام بها الفرس من جهة أخرى ، ساعدت المعتزلة على مطالعة الفكر اليوناني وقدمت لهم ما يلزمهم من براهين للدفاع عن التوحيد كما فهموه .

لكن هذا لا يعني أن المعتزلة وجدت الأفكار التي تدافع عنها وقامت بها جاهزة كاملة — أن فضلهم لكبير ، لأنهم اقتبسوا من الفكر اليوناني ما رأوه مناسباً للرد على المشبهة ودفع كل شرك مفاخرين بأنهم « حماة التوحيد » .

* * *

نفي المعتزلة لصفات الله تعالى لا يمنعهم من البحث في بعض الصفات على زعم أنها اعتبارات ذهنية فقط وليست حقائق تتصف بها الذات الإلهية .

وهذا ما سنتطرق إليه في مقالنا القادم إن شاء الله .

ألبير نصري نادر
دكتور في الآداب والفلسفة

---

(١) الشهرستاني : نهاية اقدام ص ١٥١ الملل والنحل على هامش الفصل لابن حزم ج ١ ص ٨٥
ابن حزم ج ٤ ص ١٥٣ — البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٩٥
الاسفرائيني : التبصير في الدين ص ٣٧

(٢) الشورى ٤٢ آية ١١ (٣) الأنعام ٦ آية ١٠٣

(٤) ترجمة يحيي بن البطريق في عهد المأمون وراجع الترجمة حنين ابن إسحق (١٩٤ هـ إلى ٢٦٤ هـ) وطالع هذه الترجمة شيوخ المعتزلة المتقدمون مثل أبو الهذيل العلاف وإبراهيم النظام الذي عرف حنين بن إسحق في بغداد .

من ظرفاء العصر العباسى :

أبو دلامـــــة

توفى سنة ١٦١ هـ

للأستاذ صبحى إبراهيم الصالح

« تتمة »

لا ريب أن شذوذ هذا الرجل قد بلغ أشده ، فعلى الرغم من كثرة ما كان يصل إلى يده من المال من الخلفاء والأمراء والأغنياء كنت لا ترى عليه إلا سيماء الفقر ، إذ لا يعنى بملبسه ، ولا يكترث بمظهره ، بل ربما بدا أمام الناس بثياب لا تليق إلا بالمتسولين : وقد رأى عليه أبو عبد الله المقيلى مرة فروة فى الصيف ، فقال له : ألا تمل هذه الفروة ! قال : بلى ، ورب مملول لا يستطاع فراقه . فنزع المقيلى فاضل ثيابه فى موضعه فدفعها إليه[(١)] .

وما كان ليعجز عن فراق فروته فى الصيف على رغم ملله منها وضجره مما تحمله من الحرارة لولا أنه كان يعيش عيشة المحتاجين ، وإن أعطى عطاء المترفين . لكنك عرفت أنه كان ينفق أكثر ما يأتيه من المال فى شرب الخمر وإتيان المحرمات ، فلا غرابة إذا بدا أمام الناس بهذا المظهر الخشن البغيض !

ومع أن رداءة المظهر تصم صاحبها بالازدراء فى أعين الناس — فإن لسان أبى دلامة كان من الطول والسلاطة بحيث يمنع الأذكياء من الاستخفاف بشأنه ، بل يدعوهم إلى الحذر منه والخوف من طعنه فى أعراضهم :

أدلى أبو دلامة بشهادة لجارة له عند أبى ليلى[(٢)] على أتان نازعها فيها رجل . فلما فرغ من الشهادة قال اسمع ما قلت فيك قبل أن آتيك ثم أقص ما شئت . قال : هات ؛ فأنشده :

إذا الناسُ غطونى تغطيت عنهم وإن بحثوا عنى ففيهم مباحث
وإن حفروا بئرى حفرت بئارهم ليعلم يوماً كيف تلك النبائث

ثم أقبل ابن أبى ليلى على المرأة فقال : اتبيعيننى الأتان ؟ قالت: نعم . قال : بكم ؟ قالت : بمائة درهم . قال : ادفعوا إليها ففعلوا . وأقبل على الرجل فقال : وهبتها لك . وقال لأبى دلامة : قد أمضيت شهادتك ولم أبحث عنك وابتعت ممن شهدت له ، ووهبت ملكى لمن رأيت . أرضيت ؟ قال : نعم . وانصرف[(١)]

وهكذا أمضى القاضى شهادته ولم يبحث عنه ولم يطلب تزكيته خوفاً من لسانه الفضاح الذى استبان بعض شره فى بيتين من الشعر . وقد ترى — من هذا — أن أبا دلامة كان جريئاً لا يخاف أحداً . والحق أن هناك فرقاً عظيماً بين جراءة اللسان وثبات الجنان ، فقد كان هذا الظريف جباناً من الطراز الأول يكاد يخاف من ظله ولو خاف جميع الناس لسانه .

أهدى للمهدى فيل ، فرآه أبو دلامة فولى هارباً وقال :

يا قوم إنى رأيت الفيل بعدكم لا بارك الله لى فى رؤية الفيل
أبصرت قصراً له عين يقلبهـــا فكدت أرمى بسلحى فى سراويلى[(٢)]

ورجل يخاف من رؤية الفيل — وهو الحيوان الأليف الذى لا يجزع من ركوبه الأطفال — جبان ما فى ذلك ريب . وهو — لجبنه — كان يفر من مبارزة الرجال فراره من الأسود !

كان أبو دلامة مع أبى مسلم فى بعض حروب مع بنى أمية . فدعا رجل إلى البراز ، فقال له أبو مسلم : أبرز إليه . فأنشأ يقول :

ألا لا تلمنى إن فررت فإننى أخاف على فخارتى إن تحطما
فلو أننى فى السوق أبتاع مثلها وجدك ما باليت أن أتقدما

فضحك أبو مسلم وأعفاه[(٣)] .

ولقد حدث أبو دلامة عن نفسه — وفى حديثه إثبات لجبنه وخوره — قال : أتى بى المنصور أو المهدى وأنا سكران فحلف

---

(١) الأغانى جـ ١٠ ص ٢٦٤

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى قاضى الكوفة . أول من استقضاه على الكوفة يوسف بن عمر الثقفى واستقضاه بعد ذلك بنو العباس

(١) الأغانى جـ ١٠ ص ٢٣٨ .

(٢) وقد روى البيتان فى شذرات الذهب وتاريخ بغداد ولسان الميزان مع اختلاف يسير فى اللفظ والقصة .

(٣) الأغانى جـ ١٠ ص ٢٦٨ .

ليخرجنى فى بعث حرب ، فأخرجنى مع روح بن حاتم المهلبى [١] لقتال الشراة [٢] . فلما التقى الجمعان قلت لروح : أما والله لو أن تحتى فرسك ومعى سلاحك لأثرت فى عدوك اليوم أثراً ترتضيه . فضحك وقال : والله العظيم لأدفعن ذلك إليك ، ولآخذنك بالوفاء بشرطك . ونزل عن فرســه ونزع سلاحه ودفعهما إلى ، ودعا بغيرهما فاستبدل به . فلما حصل ذلك فى يدى وزالت عنى حلاوة الطمع قلت له : أيها الأمير ، هـذا مقام العائذ بك ، وقد قلت بيتين فاسمعهما . قال : هات ، فأنشدته :

إنى استجرتك أن أقدم فى الوغى لتطاعن وتنـازل وضراب
فهب السيوف رأيتها مشهورة فتركتها ومضيت فى الهراب
ماذا تقول لما يجىء وما يرى من واردات الموت فى النشاب

فقال : دع عنك هذا وستعلم . وبرز رجل من الخوارج يدعو للمبارزة ، فقال : أخرج إليه يا أبا دلامـة . فقلت : أنشدك الله أيها الأمير فى دمى . قال : والله لتخرجن . فقلت : أيها الأمير فإنه أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا ، وأنا والله جائع ما شبعت منى جارحة من الجوع ، فمر لى بشىء آكله ثم أخرج . فأمر لى برغيفين ودجاجة ، فأخذت ذلك وبرزت عن الصف . فلما رآنى الشارى أقبل نحوى عليه فرو وقد أصابه المطر فابتل ، وأصابته الشمس فاقفعل [٣] وعيناه تقدان ، فأسرع إلى . فقلت له : على رسلك يا هذا كما أنت ، فوقف . فقلت : أتقتل من لا يقاتلك ؟ قال : لا . قلت : أتقتل رجلاً على دينك ؟ قال : لا . قلت أفتستحل ذلك قبـل أن تدعو من تقاتله إلى دينك ؟ قال : لا ، فاذهب عنى إلى لعنة الله : قلت لا أفعل أو تسمع منى . قال : قل . قلت : هل كانت بيننا قط عداوة أو ترة ، أو تعرفنى بحال تحفظك على ، أو تعلم بين أهلى وأهلك وتراً ؟ قال : لا والله. قلت : ولا أنا ، والله لا أحفظ لك إلا جميل الرأى ، وإنى لأهواك وأنتحل مذهبك وأدين دينك وأريد السوء لمن أراده لك . قال : يا هـذا جزاك الله خيراً فانصرف. قلت: إن معى زاداً أحب أن آكله معك وأحب مؤاكلتك لتتوكد المودة بيننا ، ويرى أهل المعسكر هوانهم علينا . قال : فافعل . فتقدمت إليه حتى اختلف أعناق دوابنا وجمعنا أرجلنا على

(١) هو روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة ، ولى أفريقية والبصرة وغيرهما ، وكان جليلا شجاعاً جواداً
(٢) الشراة : الخوارج (٣) واقفعل : تقبض

معارفها والناس قد غلبوا ضحـكا . فلما استوفينا ودعنى . ثم قلت له : إن هذا الجاهل أن أقمت على طلب المبارزة ندبنى إليك فتتعبنى وتتعب ؛ فإن رأيت ألا تبرز اليوم فافعل . قال : قد فعلت . ثم انصرف وانصرفت. فقلت لروح : أما أنا فقد كفيتك قرنى ، فقل لغيرى أن يكفيك قرنه كما كفيتك ، فأمسك . وخرج آخر يدعو إلى البراز ، فقال لى : اخرج إليه ، فقلت:

إنى أعوذُ بروْح أنْ يُقدمنى إلى البراز فتخزى بى بنو أسَـدِ
إن البراز إلى الأقران أعلمه مما يفرّق بين الروح والجسد
قد حالفتك المنايا إذ صمدت لها وأصبحت لجميع الخلق بالرَّصَـد
إن المهلب حبَّ الموت أورثكم وما ورثت اختيار الموت عن أحد
لو أن لى مهجة أخرى لجدت بها لـكنها خُلقت فرداً فلم أجُـدِ

فضحك وأعفانى [١]

فأبو دلامة يعترف هنا بجبنه ، بل يصفه فيبدع فى وصفه ؛ وكأنى به لا يجد فيه غضاضة ، أو يريد بذكر قصته ما يريده أمثاله من الظرفاء من إضحاك الناس ولو اتهموا أنفسهم بمـا لا يرضاه مخلوق لنفسه . والجبن خلق قديم فى طبع أبى دلامة ، فهو حتى فى أيام شبابه — والشباب زمن التهور والحماسة — كان لا يخجل من الفرار من الأقران . وإليك اعترافه بذلك فى هذه القصـة :

كنت فى عسكر مروان [٢] أيام زحف إلى سِنانٍ الخارجى . فلما التقى الزحفان خرج منهم رجل فنادى : من يبارز ! فلم يخرج إليه أحد إلا أعجله ولم يُنهنهْـهُ [٣] فغاظ ذلك مروان وجعل يندب الناس على خمسمائة ، فقُـتِل أصحاب الخمسمائة ، فزاد مروان وندبهم على ألف ، ولم يزل يزيدهم حتى بلغ خمسة آلاف درهم . وكان تحتى فرس لا أخاف خونه ؛ فلما سمعت بالخمسة آلاف [٤] ترقبته واقتحمت الصف ..فلما نظرنى الخارجى علم أنى خرجت للطمع ، فأقبل إلى متهيئاً وإذا عليه فرو قد أصابه المطر فابتل ، ثم أصابته الشمس فاقفعل ، وإذا عيناه تقدان كأنهما من غورهما فى وقبين . فلما دنا منى أنشأ يقول :

(١) الأغانى ج ١٠ ص ٢٤٣ — وتجد الأبيات أيضاً فى معجم الأدباء ج ١١ ص ١٦٧ — كما تجدها فى وفيات الأعيان لابن خلكان مع اختلاف يسير فى اللفظ واختصار فى القصة .
(٢) يعنى آخر خلفاء بنى أمية مروان بن محمد .
(٣) نهنهه : كفه وزجره . وسياق الكلام يقتضى أن يكون (ولم يمهله)
(٤) أشرنا من قبل إلى أن هذه لغة ضعيفة ، وأن الأفصح : (بخمسة الآلاف) .

وخارجٍ أخرجه حبُّ الطمعْ   فرّ من الموت وفى الموت وقع
من كان ينوى أهله فلا رجَعْ

فلمـا وقرت فى أذنى انصرفت عنه هارباً . وجعل مروان يقول : من هذا الفاضح ؟ ائتونى به ، فدخلت فى غمار الناس فنجوت[1] .

فهذه القصة التى يرويها أبو دلامة عن نفسه كانت فى أيام شبابه لأنه لم يجاوز عهد الشباب حتى أواخر الخلافة الأموية ، ففيها دليل أقوى على جبنه وخوفه . وقد تشم فيها رائحة الوضع لأنّ فيها صِيَغاً وأوصافاً تقارب ما فى القصة السابقة مع روح المهلبى ، حين صور الخارجى المبـارز بأن « عليه فرواً قد أصابه المطر فابتل ، وأصابته الشمس فاقفعل ، وعيناه تقدان ... » الخ . ويمكننا القول بأن الحادثة قد تعددت على هذه الصورة مصادفة ، أو أن أبا دلامة أعجبته هذه الأوصاف التى صوَّر بها مبارزه فى المرة الأولى فأعادها فى وصف مبارزه الثانى ليبرر موقفه فى هربه أو فزعه من هذا المنظر الذى يملأ قلوب الجبناء رعباً .

ونحن — على كل حال — لا نريد أن ننفى كثيراً من أخبار أبى دلامة من ضعف الرواية ، فقد لاحظنا بعض التضارب فى قصصه ، إذ رأينا مثلاً أن الخيزران هى التى وعدته جارية فاستنجزها بشعر ، مع أننا نجد فى الأغانى (ص ٢٦٨ جـ ١٠) أن ريطة هى التى وعدته ، ورأينا أن أبا دلامة طلب من السفاح كلب صيد ثم تدرج فى الطلب إلى أشياء كثيرة ، مع أننا نجد الجاحظ يروى القصة على أنها فى زمن المنصور لا السفاح ، ورأينا أبا دلامة يداعب السفاح فيقطعه خمسمائة ألف جريب غامرة على حين أننا نجده فى موضع آخر قد أقطع أمثالهـا مازحاً للمنصور — وانتحلنا هناك لمنع التضارب علة لعلها غير مقبولة — لـكن هذا كله لا يمنعنا من قبول أخبار أبى دلامة — على ما فيها من ضعف فى الرواية — لأننا نجزم بأن مثل هذا الظريف لا بد من الزيادة فى نوادره ، والمبالغة فى دعاباته . ومن المعروف أن الرجل إذا اشتهر بالظرف نسب إليه الناس كثيراً مما يستظرفون عمداً أو عفواً ؛ بل إن الظرفاء أنفسهم كثيراً ما يجدون رغبة فى اختلاق الروايات المعجبة وابتـكار الأخبار المدهشة التى تدل على خيال خصيب ، وذكاء عجيب ، وتدل فى الوقت نفســه على ميل إلى إرضاء السامعين والظفر بإعجابهم ...

ومن هنا لن نعجب إذا وجدنا فى ترجمة أبى دلامة فى كتاب (شـذرات الذهب) : « إنه مطعون فيه ، وليست له رواية » ولن نعجب إذا قال مثل ذلك الحافظ الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد والحافظ ابن حجر التمسقلانى فى (لسان الميزان) .

وهـكذا شابه أبو دلامة أبا العيناء الذى سبق أن كتبنا عنه فى الرسالة[1] فى الطعن فى روايته وعدم الثقة بأخباره . والفرق بين الظريفين من هذه الناحية أن أبا العيناء كان أحياناً ما يروى السنة فـكان ضرورياً أن يطيل الحفاظ فى بيان ضعفه تحذيراً منه بينما اكتفى أبو دلامة برواية أخباره ووصف نوادره التى تضحك الثكلى .

هذا هو الفرق بينهما من ناحية الرواية ، وأما من حيث الشخصية فإننا نرى أن قد كان لأبى العيناء نوع من الفلسفة الخاصة فى هذه الحياة ، فقد كان ممتزاً بنفسه إلى أبعد الحدود ، يرى أن الله قد عوضه عن عماه لساناً سليطاً وشعراً متيناً وذكاء نادراً ، بينما نرى أن أبا دلامة كان يعيش على هامش الحياة عيشـة لاهية ، فـكثيراً ما كان يحقر نفسه ويبذل كرامته ليضحك سواه رغباً فى عرض أدنى يناله . ثم إن أبا العيناء كان ينتقد مجمعه ويتهـكم بأهل زمنه تهكماً يدل على أن الألم كان يعصر قلبــه على حين كان أبو دلامة لا ينتقد عيباً ولا يكاد يتألم من شىء ، وإنمـا كان يعيش عيشة فردية همه فيها إرضاء شهواته ، وبلوغ مآربه .

ولا شك أن رقة الدين ورداءة المذهب وارتـكاب المحارم وتضييع الفروض والمجاهرة بالإثم — من الأوصاف التى توشك أن تجعل من الظريفين شخصاً واحداً لشدة التشابه بينهما فيها . ولا ينتظر الناس من ظريف يضحكهم أن يكون ملاكا أو قديساً ، فإذا كان بعض القدامى قد صرح بأن (أعذب الشعر أكذبه) فإن كثيراً من المحدثين لا يعجزهم أن يزيدوا على ذلك (وأعذب الدعابة أكثرها فضحاً عن المستور ، وكشفاً للمحجوب) .

والطريف فى أبى دلامة — وما رأيت فيه إلا طريفاً — أنه عاش حياته كلها ضاحك السن لا يتألم ولا يبكى ، ثم مات سـنة إحدى وستين ومائة وهو ما زال ضاحكا لا يتألم ولا يبكى !

فهل كتب الظريف عهداً على نفسه ليضحكن مدى الحياة ؟ لعله فعل ... فما أكثر شذوذ الظرفاء !

صبحى إبراهيم الصالح

(١) الأغانى جـ ١٠ ص ٢٤٥

(١) الأعداد ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ من الرسالة .

أساليب التفكير :

فلسفة الشعب

للأستاذ عبد المنعم المليجى

— ٢ —

يقول حكيم الشعب : « اعمل خيراً وارمه فى البحر » . فما ذا يملى عليه هذا القول ؟ إنه يرى فناء كل حى ، وزوال كل نعمة ، وضياع كل مجد ؛ ويرى إلى ذلك أن ذكرى العمل الصالح تبقى حية فى الأذهان والقلوب والضمائر ، وأن لفعل الخير حلاوة تجعل منه غاية جديرة بأن تُطلب لذاتها وكفيلة وحدها أن تحقق السعادة فى نظره ليست فى جاه نبلغه ، أو صيت نذيعه ، أو مال نصيبه ، إنما هو فى راحة الضمير وهدوء النفس ، ولا سبيل إلى ذلك بغير سلامة النية وصفاء الطوية وهما لا يتفقان مع طلب الخير لغير الخير . إعمل خيراً وألق به فى البحر ، وترقب السعادة بعد ذلك تأتك طوعاً من حيث لا تدرى ولا تحتسب .

أيختلف هذا الاتجاه المثالى فى شىء عن اتجاه الشاعر الفيلسوف « جوته » فى قصة « فاوست » ؟ . لقد جاهد فاوست جهاداً طويلا مريراً دون أن يظفر بشىء ، ولكن حياته لم تضع هدراً إذ رفعه المؤلف إلى جنات ربه ، وما ذلك إلا لأنه قد أحس بالحق والخير والجمال لجاهد فى سبيلها وكان فى جهاده هذا خلاصه . نعم إن معنى تلك الحياة والأثر الذى خلفته خطى فاوست على صفحات الزمن هو أنه علينا أن نداب ما استطعنا فى سبيل المثل العليا ، وسيان بعد ذلك أأصبنا نجاحاً أم إخفاقاً ، فالجهاد نبل فى ذاته »[1] . ذلك هو الاتجاه الفلسفى الذى تنطوى عليه قصة فاوست وهو نفسه الاتجاه الذى تنطوى عليه عبارة حكيم الشعب « اعمل خيراً وألق به فى البحر » . أى هدوء تحس به النفوس الخيرة إذ تتمثل هذا الدرس فتغالب بقوته السحرية تيار الجشع والاستهتار . حقاً إن الفلسفة الشعبية الساذجة لتتسامى مع الفن والدين فى التخفيف من أعباء الحياة .

وبعد ، أليس ما ذهب إليه الشعب فى حكمته أو « جوته » فى قصته ، من اعتبار الخير غاية تُقصد لذاتها ، هو فى جوهره عين ما ذهب إليه الفيلسوف الألمانى العظيم « عمانوئيل كنط » فى مذهبه الأخلاق الذى يرى أن الخير الأسمى الذى يتعين علينا أن نخضع له هو «الواجب» المجرد الذى يمليه علينا «أمر مطلق» يصدر من تلك القوة الذاتية الخفيفة التى ندعوها « الضمير » ، تلك القوة التى تعتبر صورة الله فى نفوسنا ، فالله فى الأبدية والضمير فى أعماق النفس البشرية ؟ إن السعادة فى نظر كنط إنما هى فى الخضوع للأمر المطلق الصادر من الضمير ، والعمل للواجب لذاته وأمر يتفق تماماً مع ما ذهب إليه كل من جوته والحكيم الشعبى ...

ويعرض أرسطو لنفس المسألة فيحصر الخيرات فى ثلاثة : إما اللذة ، وإما المجد ، وإما الحكمة . ويُعمل عقله أيها يختار على اعتبار أنه الخير الأسمى ؟ فيرى اللذة شعوراً نفسياً يصاحب فعلا من الأفعال أو وظيفة من الوظائف ، وعليه فلا يمكن أن تكون غاية فى ذاتها ؛ وإنما هى عرض يزول بانتهاء الفعل أو الوظيفة ، ويرى المجد لمال نصيبه ، أو شهوة ننالها ، أو تكريم نحصل عليه ، فليس المجد هو الغاية القصوى ، إنما الغاية المال أو الشهرة أو التكريم . وهكذا تنتهى فلسفة أرسطو الأخلاقية إلى اعتبار الحكمة هى الخير الاسمى الذى ينبغى أن نطلبه ونعمل وفقاً له ، وما الحكمة إلا تغلب قوى العقل على قوى الحس ، وتفضيل السعادة الدائمة على اللذات المؤقتة ، ونشدان الاتزان النفسى وراحة الضمير — وهل لأحدهما أو كليهما أن يتحقق ما لم « نفعل الخير ونلقه فى البحر » كما يفعل الحكيم الشعبى ، وما لم « نداب ما استطعنا فى سبيل المثل العليا » كما فعل « فاوست » ، وما لم نصغ لصوت الضمير الكامن فى أعماق نفوسنا شأن « عمانوئيل كنط » ؟!

فهم السعادة :

حلا للأستاذ الزيات أن يسأل قروية ساذجة : « كيف ترضى بالحياة وهى فقيرة ، وتبسم للدنيا وهى منهوكة » ؟ فأجابت : « الماء فى الكوز والعيش مخبوز » . ثم مضى أستاذنا يحاورها

---

(١) نماذج بشرية تأليف الدكتور محمد مندور .

حتى ينتزع من فمها درساً غالياً فى فن السعادة . قالت أم عامر :

« نشأتُ كما تنشأ القرويات الفقيرات ، على التلول كالدجاج وأنا طفلة ، وبين الحقول كالذئاب وأنا صبية ؛ آكل الجشب وأستمرئه ، وأشرب الكدر وأستسيغه ، وألبس الخشن وأستلينه ، وأفترش المدر وأستوطئه ، وأعالج الصعب وأستسهله . والذى أحلى المر فى فمى ، وجمّل القبيح فى عينى ، وألان الغليظ لجانبى : صحة كصحة الظبى الشادن لم تجنح يوماً لراحة ، ولم تحتج يوماً إلى دواء؛ ومرانة على عنف الطبيعة لا تفرق طاقتها بين صبح ومساء، ولا بين صيف وشتاء ؛ ونفس راضية تقنع بميسور العيش وتخضع لمكتوب القضاء ... »[١] .

لقد استطاعت صاحبتنا بجهد ذاتى أن تنتصر على أقسى ظروف الحياة وتنعم بالرضا والهدوء ، ذلك أنها « مرنت على عنف الطبيعة ، وقنعت بميسور العيش ، وخضعت لمكتوب القضاء . » هى إذن ببصيرة نافذة وبملكة الحكم السليم ترى السعادة أمراً شخصياً وليس رهناً بالظروف الخارجية ، هى شأن من شئون الذات بمقدور كل إنسان أن يحققها على رغم قسوة الظروف الخارجية .

تلك فلسفة نستشفها من ثنايا العبارات الصادقة على سذاجتها يفوه بها نفر من البسطاء وهى لا تفترق فى جوهرها عن فلسفة الرواقيين التى سادت الفكر اليونانى فى القرن الرابع قبل الميلاد وسيطرت على العقلية الرومانية بعد ذلك ، وكان لها أثر فعال فى الفلسفة المسيحية ، وتقترب هذه الفلسفة من الفلسفة البوذية . عرض لجميع هؤلاء سؤال واحد : « كيف السبيل إلى السعادة رغم قساوة الظروف الخارجية ، وهل يمكن بلوغها مع ذلك ؟ » واتفق الجميع على إمكان الوصول إلى السعادة رغم قساوة الظروف ورسموا طريقاً واحدة ، وجاء تعريفهم للسعادة واحداً فى معناه رغم اختلاف الألفاظ . فقالت أم عامر : هى « مرانة على عنف الطبيعة ونفس راضية تقنع بميسور العيش وتخضع لمكتوب القضاء . » وقال الرواقى : هى أن تمتلك نفسك امتلاكا حراً ، وتتحرر النفس من قيود الظروف الخارجية ، وتخضع إرادتك الجزئية لإرادة الكون الكلية ، تلك الإرادة الكلية الخيرة المنبثة فى أرجاء الكون جميعاً . » وقال البوذى : « هى أن تعرف كل شىء ، وتفهم كل شىء . تنطلق من عبء الحدث وعبء الوجود ، لا تشعر بأية حاجة ، تسافر منفرداً لا يعنيك اللوم ولا المديح ، تقود الغير ولا يقودك أحد .

دعوة مخلصة :

قد يعجب البعض كيف أقارن بين الحكمة الشعبية وبين المذاهب الفلسفية الكبرى ، وقد يرى بعض المهتمين بالدراسات الفلسفية من القحة والتهجم على قدسية الفلسفة أن أحاول التقريب فى مجال الأخلاق بين الحكمة الشعبية وبين المذاهب الفلسفية الكبرى . فلهؤلاء أؤكد أن بذور التفكير الفلسفى مغروسة فى جميع العقول تقضى عليها لدى البعض ظروف معينة ، وتنميها لدى آخرين ظروف مواتية . ليست الفلسفة ركاماً من المعارف المختزنة، إنما هى اتجاه فكرى ، إحساس بمشكلة تعترض الذهن وتأملها تأملا حراً بغية الاهتداء إلى سرها عن طريق العقل والمنطق . وإذا فهمت الفلسفة على هذا النحو قرّ فى نفوسنا أن الواجب يقضى علينا أن نتعمق حياة العامة ونغوص على حكمهم السائرة ، ونجيل البصر فى كتب الشعراء والأدباء ، لنبرز بدايات التفكير الفلسفى . ويقضى علينا أيضاً أن نكشف عن بساطة المذاهب الفلسفية وكيف أنها تنبع على نحو طبيعى من نفس المنابع التى تنبع منها الحكم الشعبية مع فرق فى درجة الإتقان والتوفيق . حينئذ يتحقق الوئام بين الحكمة الشعبية والفلسفة المذهبية برفعنا من مقام الأولى وردنا الحياة إلى الثانية ، وتندمج عقول العامة وعقول المباقرة فى وحدة فكرية نبيلة لا تنفصم عراها .

تلك رسالتى أدعو إليها بكل ما أوتيت من قوة ، وأجهد فى سبيلها حتى تتلاشى الحواجز الصناعية التى يقيمها نفر من المثقفين . وأؤكد لهؤلاء أن أعقد المذاهب الفلسفية لا يفهم بفهم الألفاظ التى تنقله إلينا ، ولكن تفهم المذهب عند ما تلمس المشكلة التى اعترضت ذهن صاحبه وتتمثل الكفاح الفكرى الذى قام به حتى توصّل إلى حل المشكلة وتفسيرها بمذهبه ، أى عند ما تعيش اللحظات الفكرية التى عاشها حينئذ تكتشف أن المشكلة ذاتها قد تعترض أى ذهن ، حتى ليمكننا فى أحوال كثيرة أن نوفق فى

(١) « قروية فيلسوفة » مقالان للأستاذ الزيات بالعددين ٨١٣ ، ٨١٤ من الرسالة .

٣٣ ٠ ٢٢

رد بعض المذاهب الكبرى إلى أصول فى الحكمة الشعبية . إن الفلسفة حركة فكرية طبيعية قبل أن تكون معرضاً لفظياً لمصطلحات مبتسرة ، وهى بهذا المعنى بسيطة كما رآها ديكارت وغير واحد من فلاسفة الفرنسيين .

وفيما أنا مشغول بالتفكير فى هذه المحاولة ، أقرأ رسالة صغيرة أهداها إلينا أستاذنا الدكتور عثمان أمين [1] يحلل فيها خصائص العقلية الفرنسية ، إذا بى أجد ما يؤيد محاولتى . وكم كان سرورى عظيما عند ما بلغت قوله : « ليست عبقرية الفلاسفة والمفكرين الفرنسيين إلا كمال ذلك المعنى الذى نجده متحلياً عند فلاحى فرنسا ملموساً فى أعمالهم اليومية . » [2] وعند ما ردد مع « برجسون » « ليس هنالك فكرة فلسفية مهما يكن حظها من العمق والدقة إلا ويستطاع — بل يحسن — التعبير عنها بلغة الناس المتداولة البسيطة . » ومع « بوالو » :

« إن ما أجد تصوره استطعنا أن نعبر عنه تعبيراً واضحاً ، وجاءتنا الألفاظ عنه طائعة مختارة . » وعند ما علق على قولى برجسون وبوالو بعبارة ساخرة تحفزنى إلى المضى فى طريقى وتعتبر خير سند لفكرة التقريب بين عقول الفلاسفة وعقول المستنيرين من البشر : « ليست كل المياه الملوثة بالطين مياهاً عميقة ، ولا كل المياه الصافية مياهاً سطحية » . [3]

لست إذن أدعو إلى المستحيل ، ولا أنا أطلب بدعاً ، فالفلاسفة الفرنسيون أنفسهم مهدوا السبيل أمامنا فلم يشحنوا مؤلفاتهم بتلك المصطلحات الفنية التى تعتبر ستاراً صفيقاً يحول بين الكثيرين وبين فهمها ، بل عرضوا أفكارهم فى بساطة ووضوح ، ولم يعمدوا إلى غموض هو كما قال برجسون : « فى منزلة القناع يلقيه المؤلف على فكر لم يوفق بعد إلى أن يستبين ذاته تمام الاستبانة . » وتوجهوا بفلسفتهم إلى الجمهور كله بل إلى الإنسانية جمعاء ؛ ذلك أن الفلسفة فى رأيهم حق للبشر جميعاً ، وليست امتيازاً لطبقة على أخرى . وعلىّ بيان ذلك فى العدد القادم إن شاء الله .

(الاسكندرية) عبد المنعم المليجى

---

(١) خصائص الروح الفرنسى

(٢) صفحة ١٦

(٣) صفحة ١٩

دخـــان ولهب

للأستاذ إبراهيم الوائلى

لا تخلها — وهى تذكو شعلاً — بنت كرم إنها كانت ضراما
كلما أفرغتها فى كبدى غادرتها بين أضلاعى حطاما

قد عصرت الروح فى الكأس ومن
قلبى المشبوب ذوبت الحبب
وحبست اللحن فى صدرى أسى فإذا اللحن دخان ولهب
وتراميت على وقد الجوى مثلما يلقى على النار الحطب
أترانى — ولقد ودعت أمسى
ودفنت اللحن فى ظلمة يأسى —
أبعث الأنغام أو تعذب كأسى ؟

لا وعينيك فما تجرى سوى قطرات لم تكن إلا ضراما
وغنائى لم يكن إلا صدى لرنين صيَّر القلب حطاما

يا حبيبى إنَّ لحناً مرَّ فى شفتى بالأمس قد عاد خيالا
وربيعاً كان مفتان الرؤى لا أرى منه على السفح ظلالا
وغديراً كم بشذاه الهوى كفنته الريح شوكاً ورمالا
أترانى — ولقد بات نشيدى
همسة ترقد فى الماضى البعيد
أحتسى الخمر على رنة عُودى

لا وعينيك فما لحنى سوى قطع ينفثها الصدر ضراما
وشعاع الكأس ما كان سوى لهب قد صيَّر القلبَ حطاما

إيه يا أيامى اللائى مضتْ وتلاشتْ فى زوايا الأبد
هل يعود اللحن مرنان الصدى وتمسُّ القدح المذب يدى ؟
كلما قلتُ : ستخبو جذوة أيقظتها أختها فى كبدى
آه ما كأسى ، ما عُودى وفنّى
غير أحلام توارتْ خلف دجن
يا حبيبى لا تسلنى أينَ لحنى ؟

إنَّ أنغامى فى ليلِ الأسى لم تكنْ إلا دُخاناً وضراما
وبقايا الكأس ما كانت سوى حرق صيَّرتِ القلبَ حطاما

ابراهيم الوائلى

غب النـــوى ...

للآنسة الفاضلة (المطوقة)

مضيتَ ؟ إلى أين ؟ هلاّ تعود   إلىّ ، إلى روحىَ اللاغبِ
حنانك ، ضقتُ ، وضاقت حياتى
يهـــدنا الصدى المحرق اللاهب
بأشواق العاتيات تزلزل صـــدرىَ فى عنفها الصاخب
حنانك ، قلبي يذوب وراءك ، أواه من قلبي الذائب
تلفّتْ ، وراعِ بقاياه تذوى   وتفنى مع الأمـل الغارب

مضيتَ ؟ وكيف ؟ ألا رجعة   ترد إلى القلب دنيا رؤاه ؟
لقد اقفر الكون فى ناظرىّ   وغشى الظـلام مجالى ضياه
وكيف أحس جمالَ الوجود   ووجهك عنى توارى سـناه
فما أقبح العيش يا موحشى   ويا ما أشد ســواد الحياه
وأنت بعيد بعيد هناك ...   وقلبي وحيـد يعانى أساه

مضيتَ ؟ فيا لحنينى إليك   وواهاً لأمسى القريب البعيدِ
زمان أمرِ بدرب الكروم   وللدرب نفح جنان الخلود
ويشرد طرفى ويطوى المدى   ولقياك غاية طرفى الشرود
وفى القلب نار جموح الوقود   ينادى بها الشوق : يا نار زيدى
وطرفى قرير بذاك الشرود   وقلبي سـعيد بذاك الوقود

ويفجأنى وقع خطو بعيد   ورائى ، أصغى إليـه طويلا
ويهتف قلبي : هـذى خطاه   أرى فى صداها عليه دليلا
خطى العنفوان،خطى الكبرياء،   تنم عليـه عظيماً نبيلا
وتختطف الروحَ غيبوبةٌ   وقد رحتَ تدنو قليلاً قليلا
وأغرق فى حلم ساحرٍ   أحال حيــاتى فناً جميلا

وفى غمرات الذهول العميق   تطالعنى القامـة الفارعه
فأشخص ، ثم أغضّ حياءً   وأكسر من لهفتى الجـائعه
وأبدى جمودَ الخلىّ كأن لم   ترج دمى الطلعة الرائعه
وتحت جمودى اضطراب عصوف   أداريه مغضيةً وادعه
وتحت جمودى من العاطفات   أعاصير جارفة دافعه

وتنهب عيناك وجهى وقد   عرا مهجتي منهما ما عرا
فيمحى بعينىّ كل الوجود   ويمحى بعينىّ كلُّ الورى
وما لفتة النسر يا فتنتى   تطلع من عاليات الذُّرى
وسلّط لحظاً على إلفِـه   عنيفَ التوقد ، مستكبرا
بأروع منك وعيناك فىّ   أوارٌ تلظى وسحر سرى

وتغضى ، وأمضى مع العابرين   وما بيننا غـير نجوى النظر
وطيف ابتسام على شـفتيك   ووهْجُ هيام بعمق استعر
وقد هبط الليل حلوَ الغموض   خلوبَ الرؤى،عبقرىَّ الصور
وماجت مع الريح خضر الكروم   مشعشعةً بضياء القمر
وفاض الوجود شعوراً وشعراً   وذاب من الوجد حتى الحجر !

سل الدرب كم جئت غبَّ النوى
أجرُّ الخطى فى الغروب الحزينْ
وحولى من الذكريات الخوالى   طيوف تثير لهيب الحنين
أخاف تكرُّ عليهـا الليالى   وتدفن تحت ركام السنين
فيبسط قلبي جناحىْ هواه   عليها ويحنو حنوَّ الضنين
وأنت بأعماق روحى صلاة   يسبح باسمك روحى الأمين

مضيت ؟ إلى أين ؟ هلاّ تعود   لروحى اللهيف ، لقلبي الغريب ؟
توحدتُ بعـــدك يا موحشى
على الدرب ، درب الكروم الجديب
أسير إلى غير ما غاية   وكفى على جرح قلبي الخضيب
وفى مقلتىّ غـيوم حزانى   وفوق جبينى وجوم كئيب
وصمتك فى خاطرى ماثل   يهيج الحنين ويذكى اللهيب

إلى أين؟ رحماك يا ابن الصحارى   وبرد ظماء الفؤاد العميدْ
فما برمال عطاشى تمسّكَ   كهذا الغليل الملح العنيد
إلى أين ؟ يا لك طيفاً ألمّ   وعانق روحى بحلم سـعيد
ويا لك وهْمَ سراب تألق   فى قفر عمرى لقلبي الشريد
حنانك ، عد ، كيف أحيا الحياةَ
وأنت هنـــاك بعيد ، بعيد

(المطوقة)

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

« تحت المبضع » للأديب السورى محمد روحى فيصل :

كتاب فى بضع وثمانين صفحة ، ولكنه يقدم صاحبه خير تقديم ؛ يقدمه فى معرض النقد الأدبى حين يكون للذوق المرهف أثره الملحوظ فى اللمحة الفنية التى تغنى عن لمحات ، وفى اللمعة الفكرية التى تهدى إلى لمعات ... أما الكتاب ، فهو « تحت المبضع » ، وأما الكاتب فهو الأستاذ محمد روحى فيصل رئيس قلم المطبوعات فى « حمص » .

هذه كلمات يجب أن تقال قبل أن أقدم للأستاذ روحى فيصل خالص الشكر على هديته ، وقبل أن أضع مبضعه تحت المبضع ، فأتفق معه حيناً ، وأختلف معه حيناً آخر ... ولا بأس أبداً من أن نلتقى هنا لنفترق هناك ، ما دامت السطور الأولى من هذه الكلمة النقدية تحمل إلى القراء حكما صادقاً وأخيراً على شخصية الكاتب وما كتب !

فى هذا الكتاب فصول أفردت لنقد الشعر والنثر ممثلين فى مهرجان أبى العلاء ... ومرة أخرى نعود إلى فيلسوف المعرة لننظر فيما قاله الأستاذ روحى فيصل عن هؤلاء الذين اشتركوا فى إحياء ذكراه ، وبخاصة تلك النخبة من الشعراء أمثال الأساتذة : عمر أبى ريشة ، وبدوى الجبل ، وشفيق جبرى ، ومحمد البزم ، ومهدى الجواهرى ... شعراء خمسة تقدم كل منهم إلى المهرجان بأبيات من الشعر تفاوتت فى سبحات الخيال ورفات الجناح ، وكاتب يقف منهم جميعاً موقف العارض فى أمانة ، المحلل فى أناة ، الناقد فى ثقة واحتشاد .

أول شىء أود أن أشير إليه هو تلك الكوى الفكرية التى أطلت منها رءوس الشعراء والناثرين لتنفذ إلى أغوار الشخصية العلائية ... بما ذا خرجت تلك الرءوس من ذلك الفكر المسجى على فراش الأجيال والعصور ؟! كاد أقول لا شىء ! ... لا شىء غير تلك القصة المكررة التى ترويها كتب القدامى والمحدثين ، ولا شىء غير ذلك « الفلم » الذى تعرض مناظره على « شاشة » الشعر والنثر دون أن تتجدد الزوايا العديدة فى الصور النفسية ، وكأن أبا العلاء على كثرة « المخرجين » و « المصورين » نسخة واحدة أبرز فصولها مخرج واحد ، والتقط مشاهدها مصور واحد، وكأنى كنت أمد عينى إلى مهرجان أبى العلاء ، وأرهف سمعى إلى ما يقال عنه يوم أن قلت فى عدد مضى من « الرسالة » : « لو قال الباحثون عن أبى العلاء إنه إنسان قلق لعبروا عن الواقع أدق التعبير ، ولأحاطوا بكل جانب من جوانب شخصيته بهذه الكلمة الواحدة ، ولكنهم ركزوا كل عنايتهم فى جانب واحد انتهوا منه إلى حكم عام ما لبث أن استقر فى الأذهان ، واطمأنت إليه النفوس ؛ هذا الحكم العام محوره « التشاؤم » فى شخصية الرجل وفى فلسفته على حد سواء ! ... من الخطأ فى رأيى أن ينسب الباحثون أبا العلاء إلى نزعة نفسية بعينها ليتفرد بها وليقف عندها لا يكاد يتعداها إلى غيرها من النزعات ؛ ذلك لأن أبا العلاء قد مال إلى التفاؤل كما مال إلى التشاؤم ، ونصح بالإقبال على الحياة كما نصح بالإعراض عن الحياة ، وآمن بالبعث كما أنكر إيمانه بهذا البعث ، وأوصى بالزهد فى نعيم الدنيا كما أوصى بالإغراق فى هذا النعيم ، ونادى بفكرة الزواج والنسل ، كما نادى بنبذ هذه الفكرة مقدماً من نفسه مثالاً لهذا الحرمان ! ... أبو العلاء إذن لم تكن له « لافتة » واحدة « يعلن » فيها عن رأى واحد تتميز به شخصيته الفلسفية والإنسانية ، ولكنه كان أشبه بالتاجر الذى يعلن كل يوم عن « صنف » جديد من أصناف « بضاعته » عقب وروده بلحظات ؛ وكل تلك السطور المتناقضة يمكنك أن تضمها تحت عنوان كبير مكون من كلمة واحدة واحدة هى : القلق » !

ولقد فسرت هذا القلق على ضوء علم النفس الأدبى تفسيراً جديداً ، حيث قلت بعد كلام طويل فى هذا المجال : « الفراغ فى حياة أبى العلاء ، ولا شىء غير الفراغ ، وعلى هديه نلتمس العلة الأصيلة لتلك الذبذبة النفسية ممثلة فى هذه الذبذبة الفكرية ... ولنا بعد ذلك أن نسأل : أى لون من ألوان الفراغ كان يشكو أبو العلاء ؟ إنها ثلاثة ألوان : فراغ النفس ، وفراغ القلب ، وفراغ الجسد ... ولك أن تردها جميعاً إلى الحرمان ، فنفس

أبى العلاء كانت تشكو الحرمان من العطف ، وقلب أبى العلاء كان يشكو الحرمان من العاطفة ، وجسد أبى العلاء كان يشكو الحرمان من المرأة ... وقفْ طويلا عند هـذا الحرمان الأخير ، فهو مصدر الحرمان كله ، ومركز الفراغ كله ، وعلة هذا القلق الذى وجه أبا العلاء ألف وجهة ، وحيره بين ألف رأى وعقيدة ، وقذف بعقـله إلى ألف درب من دروب الفـكر ، حيث يتجلى التناقض والتضارب والاختلاف ! هذا الجدب العاطفى فى القلب الإنسانى ، وهذا الـكبت الطويل العنيف للغريزة الجنسية ، هما فى رأيى — ولا شىء غيرهما — مركبا النقص الخطيران فى شخصية أبى العلاء ، ولا حاجة بنا إلى الحديث عن مركب النقص وأثره فى توجيه العقول والأفكار » ! !

قلت هـذا بعد أن تعرضت لآراء الباحثين ممن وقفوا عند الآفة الجسمية فى حياة أبى العلاء مفسرين على ضـوئها معالم الاضـطراب فى نظراته وآرائه ... فليرجع القراء إلى ما قلت ، لأن تلك السطور التى نقلتها هنا لا تغنيهم عن البحث كاملا مرتبط الفصول ، متماسك الأجزاء ، مسلسل النقلات ، بين النتائج والمقدمات ... قلته بالأمس ، وأعود اليـوم فأذكّر به ، لأن الأستاذ روحى فيصـل يتفق معى فى أن خطباء المهرجان لم يأتوا بجديد حين يقول فى مقدمة كتابه : « فأما إن أبا العلاء المعرى نفسه قد استبان لنا على غير ما كنا نعرف من صورته ، فذلك لا يقوله أديب له شىء من مشاركة فى فهم الأدب على العموم ، وفى فهم الأدب العربى على الخصوص . فما شع من هذا المهرجان الذى انقضى ضـوء نظرية جديدة من شأنها أن تنير ناحية من أبى العلاء كانت مجهولة أو مظلمة ، ولا انبثق عرض شامل ينظم هذا الرجل الـكبير فى شتى مجاليه » !

وأقف هنا وقفة قصيرة لأهمس فى أذن الأستاذ فيصل قائلاً له : لقد كنت أرجو ألا يكون ناقداً فحسب ، وإنما كنت أرجو أن يكون ناقداً وباحثاً فى وقت معاً ... أعنى أننى كنت أود ، وقد أشار إلى هـذا الاجترار الممل فيما قيل عن أبى العلاء ، أن يحاول هو من جانبه أن يضع شخصية الرجل تحت المبضع عسى أن يخرج من دراسته بنظرات جديدة . ولـكن الأستاذ فيصل قد ترك أبا العـلاء إلى هؤلاء الذين تحدثوا عنـه من الـكتاب والشعراء ، مقتصراً على الإشارة العابرة إلى كلمات الفريق الأول ، والنقد المفصل لقصائد الفريق الأخير !

وأنتقل بعد هذه اللفتة إلى الفصول النقدية الخمسة التى أفردها الأستاذ فيصل لشعر أبى ريشه والجبل وجبرى والبزم والجواهرى .

فى تلك الفصول لمسات تنبئ فى الـكثير الغالب عن سلامة التقويم ، ونزاهة التقدير ، وعرض موفق للشخصية الأدبية على مدار الحقل الشـعرى واتساع مداه ... هناك حيث تبحث عن معدن المـلـكة الناقدة فيشع فى اللمحة الفنية التى تغنى — كما قلت لك — عن لمحات ، وفى اللمعة الفكرية التى تهدى إلى لمعات ... انظر مثلا إلى هذين البيتين من قصيدة بدوى الجبل حول مشكلة الآفة الجسمية فى حياة أبى العلاء ، واحكم — بعد ذلك — على الذوق الأدبى عند روحى فيصل :

من راح يحمل فى جوانحه الضحى ... هانت عليه أشـعة المصباح

وجلا المصون من الضمائر فانتهى ... همس النفوس لضجة وصياح

« فاقرأ هذين البيتين كما قرأتهما أنا ، وأعد تلاوتهما على نفسك ، وانفذ إلى مطاويهما ، وتذوق حلاوتهما ، فستجد أنك حيال لون من الشعر المجنح الجميـل طالما رغبنا فى مثله ، وطالما حرصنا على أن يسحب الشعراء على ذيله . وسترى عمل البيان فى الخروج بخوافى النفس إلى دنيا النور أو دنيا الضجة والصياح كما يقول البدوى ؛ وإنما يعجبنى البيت الأول لأن صـورة « الضحى بين الجوانح » من أرق الصور وأدناها إلى الخيال وأعلقها بالجمال ... ويعجبنى البيت الثانى لأن كناية « الضجة والصياح » من أروع الـكنايات فى الدلالة على الـكشف والإعراب » .

هنا ذوق رائع فى فهم الشعر ورفع الغطاء عن أسرار مراميه ، ولـكننى أختلف مع صاحبه حين يزن هـذا البيت بميزان الأداء اللفظى فى الوقت الذى أنادى فيه بإقامة الميزان للأداء النفسى فى الشعر العربى الحديث ... يقول بدوى الجبل فى مجال الحديث عن موقع المرأة من شعور أبى العلاء :

يا ظـالم التفاح فى وجناتها ... لو ذقت بعض شمائل التفاح !

ويقول روحى فيصل فى مجال التحليل والنقد : « فهنا عتاب ناعم يوجهه الشاعر لأبى العـلاء فيما يجنى على المرأة من نقد ، وهنا إغراء جميل على محاسن الأنوثة ، وهنا فوق ذلك ، ألفاظ خفاف ،

ومصرى حلو ، ونغم لطيف ، وشعور — على أنه سطحي وابتدائى وجاهيرى — لا يخلو من شيء من الإحساس بفتنة المرأة وسحر الجمال » .

معذرة إذا قلت للأستاذ فيصل : إن هذا الشعور الذى يصفه بأنه سطحي وابتدائى وجاهيرى ، هو وحده الذى أكسب بيت بدوى الجبل ذلك الأداء النفسى الذى أدعو الشعراء إلى أن يطرقوا أبوابه ... إن كلة « لو ذقت » هى التى أوحت إلى الأستاذ فيصل بهذا الوصف ، ولكنه لو نظر إلى الظلال الفنية التى أسكنها الشاعر بناء التعبير ممثلة فى تلك الكلمة ، لتكشف له عمق الحركة النفسية فى ذلك الصدق الشعورى المنبعث من بساطة الأداء.

ولقد كنت أود أن أطيل القول فى مشكلة الأداء النفسى فى الشعر ، لولا أن هناك بحثاً يدور حول هذا الموضوع فى انتظار العرض على صفحات « الرسالة » فى الأيام المقبلة .

ويبدو لك من كتاب الأستاذ روحى فيصل أنه يفضل قصيدة عمر أبى ريشه على غيرها من الشعر الذى ألقى فى المهرجان ... وهنا أختلف معه مرة أخرى ما دام هو يضع الشعر أحياناً تحت مجهر الحركة اللفظية ، ومادمت أنا أضعه أبداً تحت مجهر الحركة النفسية.

يقول أبو ريشه مثلاً :

أتربد الوجود منتهك الستر	يرينا أسراره عريانا
ويفض الفدام عن قلبه السمح	ويجريه للعطاش دنانا
لو بلغنا ما نشتهى لرأينا الله	فى نشوة الشعور عيانا

هنا معرض ألفاظ يعج بصور فكرية عادية التلوين مألوفة الأضواء ، كل ما يهزك منها هو هذا الإطار التعبيرى الذى يحيط بالصورة ، ويضفى عليها شيئاً من الجمال ، الجمال الذى يطالع الأنظار والأسماع ولا يطالع المشاعر والنفوس ! ولكن الذوق المرهف يعود إلى محرابه الأصيل عند روحى فيصل عند ما يهتز طرباً ، واهتز معه لهذا التصوير النفسى الموفق فى هذين البيتين لمهدى الجواهرى حول قسوة القدر على حياة أبى العلاء :

على الحصير و كوز الماء يرفده	وذهنه ، ورفوف تحمل الكتبا
أهوى على كوة فى وجهه قدر	فسد بالظلمة الثقبين فاحتجبا

ولمحة أخرى للأستاذ فيصل تبلغ الغاية فى الإشراق ، لمحة أصافح عليها يقظة النقد عند هذا الناقد الذواق ... بيت من الشعر فى قصيدة عمر أبى ريشه مأخوذ من بيت آخر فى شعر شوق ، ويشهد الله أننى وقفت عند هذا البيت ورددته إلى منبعه الأصيل وتحدثت عنه منذ عام إلى بعض إخواننا من الأدباء ، وكان ذلك يوم أن تلقيت من لبنان ذلك الديوان الجديد الذى أخرجته دار مجلة « الأديب » للشاعر أبى ريشه ، والذى حوى إلى جانب ما حوى من شعره قصيدته التى ألقاها فى مهرجان أبى العلاء ...

يقول شوق فى « مجنون ليلى » :

قد يهون العمر إلا ساعة	وتهون الأرض إلا موضعا

ويقول عمر أبو ريشه :

قد تجف الحياة إلا وريدا	ويضيق الوجود إلا مكانا

ويقول روحى فيصل : « ... والتقى شاعرنا مع شوق فى بيت لا أدرى كيف أخذه فى رابعة النهار » ! ثم يسكت عن الموازنة ، تاركا الحكم للقراء ، حيث يقول : « أى البيتين أجمل وأروع ؟ لا أريد أن أقطع أنا بالجواب الواضح ، فالترجيح متروك لذوقك وفطنتك ، ولفهمك فن البيان وفلسفة اللفظ ، وحسبى الآن أنى أثرت شوقك إلى البحث والموازنة ، على ضوء مزاجك وثقافتك وصراحتك » ...

سكت الأستاذ فيصل عن الموازنة ، ولكن هذا السكوت أفصح من كل كلام ... ولو كان فى المجال متسع للافاضة لقدمت أنا إلى القراء نقداً مفصلا فى مجال الموازنة بين البيتين ، نقداً ينتهى فيه الحكم الأخير إلى هذه الكلمات :

لقد حاول أبو ريشه أن يقف من شوق موقف سلم الخاسر من بشار فلم يبلغ شيئاً ... إن الفارق بين بيت أبى ريشه وبيت شوق ، هو الفارق بين الجميز البلدى والتفاح الأمريكانى ! !

وتبق بعد هذا كله كلة أخيرة أوجهها إلى الأستاذ روحى فيصل ، وهى أن كثيراً من النقاد المتذوقين قد خلا منهم الميدان منذ أمد طويل ، وحبذا لو تفرغ للنقد الأدبى ليضم جهده إلى جهود هذه القلة التى تعمل مخلصة على سد هذا الفراغ !

مصرع الكاتبة الأمريكية مرجريت ميتشل :

أسفت كل الأسف وأنا أطالع فى الصحف منذ أيام نبأ مصرع الكاتبة القصصية الأمريكية مرجريت ميتشل ...

ومرجريت ميتشل كما لا يخفى على القراء هى مؤلفة تلك القصة الرائعة التى قرأها الملايين وشاهدوها على الشاشة ، وأعنى بها قصة « ذهب مع الريح » . إن مصدر أسفى على مصرع هذه الكاتبة العظيمة هو أنها استطاعت بقصتها تلك أن تخرج أثراً فنياً لا يمكن أن تقاس إليه آثار كاتبة أخرى مثل چورج صاند ، وأن تقدم الدليل على أن الأدب الأمريكى الحديث على تفاهته لا يخلو من الروائع ، وأن قدرة المرأة على استكناه حقائق الحياة واستكمال أدوات الفن تفوق قدرة الرجال فى بعض الأحيان !

ومن دواعى الأسف أيضاً أن تختم حياة هذه الفنانة بمثل هذا الختام الذى يثير الأسى والشجن ... لقد كان من الممكن لو لم يقض القدر القاهر بانطفاء الشعلة المتوهجة فى الخيال الخلاق ، أن يفيض النبع أكثر مما فاض فيظفر عشاق القصة الطويلة بأثر فنى آخر يضاف إلى ذلك الأثر الوحيد الفريد ، وأعنى به « ذهب مع الريح » ! مهما يكن من شىء فحسب مرجريت ميتشل أن يدرج اسمها فى سجل كتاب القصة الأفذاذ بهذه التحفة اليتيمة التى كانت فى حساب الفن كل رصيدها المدخر ، وإنه فى ميزان النقد لرصيد عظيم ... ومهما يكن من شىء أيضاً ، فإن طريق الخلود لا يسلكه السالكون بكثرة ما قدموا إلى الناس من نتاج القرائح وعصارة الأذهان ، وإنما يسلكونه بقيمة هذا النتاج ومدى تمثيله لصور الحياة وتصويره لحقائق النفوس على اختلاف الميول والأذواق وتفاوت الأجيال والعصور . الكيف لا الكم فى ميزان الفن هو وحده أساس الخلود والبقاء ؛ وإلا لما استطاع كاتب مثل بنجامان كونستان أن يأخذ مكانه فى صفوف الخالدين بقصة واحدة هى أدولف تلك القصة التى قال عنها بول بورجيه : « إن أدولف لتعد مثلاً أعلى للقصة الذاتية ، ولقد بقيت من كل تلك القصص التى ظهرت فى القرن التاسع عشر وهى أحفلها بالحياة ، وأكثرها إنسانية ، وأشدها أسراً للشعور ، ولا توجد قصة أخرى تهزنى كما هزتنى هذه القصة » ... كما قال عنها فردينان برنتيير : « إن أدولف قصة إنسانية لا يمكن أن ترق إلى حقيقتها التحليلية قصة أخرى

ينظر بورجيه إلى الفن من ناحية القيم الإنسانية ، وينظر إليه برنتيير من ناحية القيم التحليلية ، وبهذين الجناحين معاً يحلق الفن فى أرحب الآفاق ، فإذا ما نال منه الجهد فهبط ليستريح فإن مكانه هناك ... فى أعالى القمم ! أما الإنسانية فى « ذهب مع الريح » فهى فى تلك الدفقات العاطفية العميقة المنبعثة من قلب امرأة حائرة بين رجلين : رجل جدير بحبها ومع ذلك فهى لا تحبه ورجل غير جدير بهذا الحب ومع ذلك فهى تحبه ، وهكذا كان حال « سكارليت » وهى موزعة الفكر والشعور بين « أشلى » و « بتلر » ! ... وأما التحليل فهو فى تلك الصفحات الزاخرة بقصف المدافع ودوى القذائف وأنات الضحايا وزفرات الثكالى وعصف الحديد ، هناك حيث تقدم مرجريت ميتشل للحرب الأهلية الأمريكية صورتين لا مثيل لهما فى متاحف الفن ومتاحف التاريخ ! ...

بعض الرسائل من حقيبة البريد :

بين يدى وأنا أكتب هذه الكلمات كثير من رسائل القراء فى مصر والأقطار العربية ... أما الذين يبعثون إلىّ برسائلهم معبرين عن حسن الظن وكريم التقدير فلهم خالص الشكر وعاطر التحية ، وأما أصحاب الأسئلة التى يوجهونها إلى فى محيط الأدب والفن فبودى أن أوجه إلى بعضهم رجاء خاصاً ، هو أن يراعوا فى أسئلتهم مدى الفائدة التى يمكن أن تعود على القارئ وهم فى انتظار الجواب ؛ وذلك بأن تكون الموضوعات التى تثار جديرة بخلق قضية من القضايا الأدبية يهم القراء وضعها على بساط البحث والمناقشة . وإلى الأعداد المقبلة حيث أتناول بالتعقيب بعض هذه الأسئلة ، ولا بأس من تسجيل الشكر فى مجال الرد على بعض التحيات ...

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

سلامة موسى يعارض التعليم الديني :

منذ أسابيع أصدر معالي وزير المعارف قراراً بجعل التعليم الديني مادة إجبارية في المدارس الابتدائية بعد أن كان مادة اختيارية لا يجب تحصيلها لاجتياز الامتحانات ، فأصبح من المواد الأساسية التي لا بد من الامتحان فيها لبلوغ النجاح . وقد كان لهذا القرار موقع حسن في النفوس ، اغتبط له كل من يقدرون أثر الدين في طبع الناشئة بطابعه ، وتشرُّب نفوسهم روحه ، وتبصيرهم بحقائقه ، ليكونوا مواطنين متعاونين على الخير ، متمسكين بالفضائل ، متهجين نحو المثل العالية .

ولكن في مصر — مع الأسف — مفكراً حرا ، أو هكذا يقولون ، لم يغتبط لذلك ، بل ابتأس له ، واعتبره تخلفاً ورجعية ... ذلك المفكر الحر المزعوم هو سلامة موسى ، كتب مقالا في جريدة « النداء » بعنوان « الرجعية تتحدى الزمن » قال فيه : « ونحن نقرأ هذه الأيام عن حركات يراد منها تقييد التعليم في الجامعة ، وبعث التعليم الديني في المدارس على الرغم مما سوف يحدثه من خلاف بل شجار بين المسلمين والأقباط » ولست أدري أين قرأ عن الحركات التي تقيد التعليم في الجامعة . وقال « ... وعباس العقاد أيضاً يقول بأننا نكون شيوعيين حين نقول بفصل الدين عن الدولة ، فهل فهم نهرو ذلك أيضاً ؟ وهل كان شيوعياً عند ما فصل دولة الهند من ديانتها الهندوكية ؟ إن لنهرو مذهباً في الوطنية وللرجعيين في مصر مذهباً آخر ، فأيهما أصح ؟ » ثم قال « وأعود فأطلب المقارنة بين الساسة الهنود والساسة العرب في أقطار الشرق العربي كله ، وأعود فأتساءل : هل نحن المصيبون وهم المخطئون أو العكس ؟ لقد فصلت الهند الدين من الدولة في حين أننا شرعنا في تعليمه بالمدارس وجعلناه مادة أساسية » .

وسلامة موسى ، إذ يقول هذا الكلام ويفكر ذلك « التفكير الحر » إما أن يكون سيء النية نحو الدين الإسلامي متعصباً ضده ، وإما أنه يجهل حقائق هذا الدين فهو يكتب عن جهل ويدس أنفه فيما لا يعنيه ، وقد يجتمع الأمران ولكني أوثر الإغضاء عن الأمر الأول ، فحسبه جزاء عليه ، إن كان ، ما يجد من الغيظ في نفسه ، وإذن لا أجد مناصاً من الأمر الثاني وهو جهل مفكرنا الحر حقائق الإسلام .

إن الإسلام ليس دين عزلة ، وإنما هو نظام حياة وتشريع مجتمع ، وتعليمه في المدارس يهدف إلى التهذيب والتثقيف وتطبيق شريعته على مسائل الحياة المختلفة . فهو يختلف عن الديانة الهندوكية ، وأظن أن سلامة يعرف الهندوكية ويعرف ما يبرر فصلها عن الدولة في الهند ، ولكن الذي لا يعرفه — على أحسن الفرضين السابقين — أن الإسلام ليس كالهندوكية في ذلك . فلا محل للمقارنة ، التي بدأها وعاد إليها ، بين ساسة الهنود وساسة العرب ، وما كان أحراه أن يمسك بزمام « فكره الحر » فلا يدعه يخبط ذلك الخبط العجيب .

ومن جهل سلامة موسى أنه لا يعرف أن المجتمع الإسلامي عاش قروناً على الجمع بين الدين والدولة ، وأن الأزمان التي أصابه فيها الضعف هي التي كان فيها الساسة يبعدون عن الدين ، وأن المجتمع الإسلامي والدول الإسلامية كانت تحتضن علماء ومفكرين من غير المسلمين وتكرمهم وتحلهم المكان اللائق بهم ، وأن هؤلاء وغيرهم من سائر المخالفين في الدين كانوا يعيشون مع المسلمين عيش المواطنين المتضامنين ، فلم نسمع عن خلاف أو شجار حدث بسبب التعليم الديني بين المسلمين والمسيحيين ، ولم نسمع أن أحداً من المسيحيين خرج على مقتضى الترابط الاجتماعي فآذى أحداً أو أطلق « أفكاراً حرة » كالتي يطلقها سلامة موسى في آخر الزمان ...

وبعد فإن سلامة موسى يقول دائماً ، ويردد مريدوه ، إنه صاحب دعوة جديدة في الكتابة ، تلغي العاطفة وتحكم العقل وتقوم على الاطلاع والبصر بالأمور ، فهل ينطبق هذا على ما كتبه عن تعليم الدين الإسلامي بالمدارس ومقارنته بالهندوكية ؟ لقد بينت أنه في ذلك إما صادراً عن التعصب أو الجهل أو كليهما ، وفي التعصب « عاطفة » الكراهية ، وفي الجهل جهل ... فهل

هـذا من مقتضيات تلك الدعوة ؟ أو هى « أفـكار حرة والسلام ! » ؟

القصر الإذاعى :

تحدثت السيدة تماضر توفيق الذميمة ، إلى محرر مجـلة « الاستديو » بعد عودتها من انجلترا حيث كانت تشترك فى دراسات إذاعية بمحطة لندن ، فجاء فى حـديثها عن الإذاعة البريطانية أنه لو حدث أن أذيع هناك حـديث يخالف المنهج المرسوم لأحاديث الإذاعة فإن المقالات تـكتب فى نقد هـذا التصرف ولوم المشرفين على البرنامج الذين يهتمون بهـذا النقد ويعملون على تحقيق ما يوجه إليه .

قرأت ذلك وقارنته بما يحدث عندنا فشعرت بالأسف . هناك الجمهور راض عن برنامج الإذاعة فى جملته لأنه مرض فعلا ، فإذا حاد منه شىء عن الجادة دفعه الحماس والغيرة إلى اللوم والنقد وهو يثق أن هناك من يصغى إليه . وهنا اعتاد الناس أن يسمعوا الإذاعة تخبط كما تشاء ، لا منهج لها ولا غاية ، وإنما هو الاعتساف والفوضى وسـوء الاختيار، وما ينشأ عن كل ذلك ذلك من تقديم بضاعـة ليس لأ كثرها من فائدة إلا تزجية الوقت وسد الفراغ ، فإذا كتب ناقد أو صاح غيور ذهبت الكتابة والصيحة مع الريح، ولا تجد لها صدى إلا ما تنشره مجلة الإذاعة من أشباه البلاغات الرسمية التى تقول فيها إن ما تنشره الصحف والمجلات جميعاً عن الإذاعـة غير صحيح ...

وعلى ذكر مجلة الاذاعة أذكر أن محطة الشرق الأدنى للاذاعة العربية تصدر مجلة أول ما تقرأ فيها نقد برامج المحطة، وقد وزعت أبواب البرامج من أدبيـات وتمثيليات وموسيقى على كتاب يتتبع كل منهم ما يذاع فى بابه ويتناوله بالنقد . أما مجلة إذاعتنا فهى تشبه بعض صحف الأحزاب السياسية المتطرفة فى الحزبية ، لا هم لها إلا الدفاع عما هى لسان حاله ورمى المعارضين بكل الصفات الذميمة .

وقد أفضى كل ذلك إلى أن انصرفت قـلوب الناس عن الإذاعة ، وأيأسهم من صلاحها ضياع صيحاتهم مـع الهباء ، ولم يسعهم إلا أن يسكتوا مسلمين أمرهم إلى الله ، وقد وطنوا أنفسهم على احتمال الأذى وسماع جانيه صباح مساء ... وأخذوا أنفسهم بالصبر على إسـتبداد الإذاعة بهم وإسماعهم ما يكرهون

كشكول الأسبوع

□ بعث وزير المعارف بسوريا برقية إلى الأستاذ الـكبير ساطع الحصرى مستشار اللجنة الثقافية بالجامعة العربية ، يستدعيه فيها إلى دمشق لتنظيم الشئون التعليمية هناك ، وقد لبى الأسـتاذ الدعوة فسافر يوم الأربعاء الماضى .

والأستاذ الحصرى من رجال الفكر والثقافة المبرزين فى العالم العربى ، ويمتاز بالإخلاص لفكرته وتحريرها من المؤثرات الغريبة عنها ، فهو ربع لـكل عمل يسند إليه ، وهو غيث أينما نزل .

□ أعدت اللجنة الثقافية للجامعة العربية برنامج المؤتمر الثقافى الذى يعقد فى خريف العام القادم ، وسيكون مدار البحث فيه مسألتين ، الأولى : هل من الخير للدول العربية أن تبيح التعليم الجامعى لـكل من يطلبه أو تقتصر على قبول المتفوقين . المسألة الثانية تحـديد الأغراض العليا التى ينبغى أن يتجه إليهـا التعليم فى البلاد العربية

□ صرح الدكتور أحمد أمين بك بأن مصر وسوريا شرعتا فى العمل بتوجيهات المؤتمر الثقافى الأول التى تتضمن توحيـد برامج العليم بالبلاد العربية فى اللغة العربيـة والجغرفية والتاريخ والتربية الوطنية ، وذلك فى البرامج الجديدة للموسم الدراسى القادم .

□ قال الدكتور زكى مبارك فى « البلاغ » : إن سلامة موسى مفكر حر على طريقة القرود .

□ فى برنامج الإذاعة ليوم الأربعاء الماضى ، حديث اقتصادى وصف فى البرنامج بأنه « فى متناول الفهم » وهذا يدل على أن مراقب البرامج قد فهم الحديث ... ولذا لزم التنويه .

□ تلقى زميلنا الأستاذ أنور المعداوى كتاباً من أحد إخواننا فى السودان ، يطلب فيه العمل على إلحاق ولده بإحدى المدارس الثانوية فى مصر ، وأرفق الـكتاب بالمؤهلات الدراسية وشهادة الميلاد . وقد بنى طلبه على ما يشعر به من المودة والإخاء إزاء الأسـتاذ المعداوى لما يقرؤه له فى الرسالة كل أسبوع . ولا يزال الأستاذ أنور مجداً فى السعى والبحث عن المدرسة المطلوبة .

□ تفتتح الفرقة المصرية موسمها القادم بالأوبرا الملـكية فى أوائل أكتوبر المقبل . ولدى الفرقة الآن ثلاث روايات جديدة ، هى « اليوم خمر » لتيمور و « شـجرة الدر » لعزيز أباظة « ألف ليلة وليلة » لبيرم التونسى . ولم يتقرر بعد بأيها تبدأ الفرقة

□ فى فلم « العيش والملح » ينـادى بائع الصحف : الأهرام والمصرى وأخبار اليوم ... ألا يعلم المخرج أن هذه الصحف الثلاث لا تصدر مجتمعة فى يوم واحد ؟

□ ينعقد الآن فى لندن مؤتمر ثقافى مصرى ينظمه مكتب البعثات المصرى بلندن ، ويدرس المؤتمر شئون التعليم والثقافة والفنون المتصلة بمصر ، ومما يذكر أن لغة الإلقاء والخطابة فيه هى اللغة العربية.

□ جاء من نيويورك أن الأسـتاذ أحمد فراج مندوب مصر فى اللجنة الخاصة بالمعلومات الثقافية عن المناطق التى تتمتع بالاستقلال الذاتى ، حمل على سياسة الفرنسيين فى فرض اللغة الفرنسية على سكان شمال إفريقية الذين يتكلمون لغة واحـدة هى اللغة العربية التى تتخذها البلاد العربية باعتبارها أداة ثقافة عالية كان لها أثر كبير فى الحضارة الإنسانية .

وفرض راجحها عليهم ضريبة ثانية إلى جانب الضريبة المالية السنوية .

والعادة المتأصلة فى المصريين أن ينفسوا عن أنفسهم وينتقموا من المستبد بهم بالفكاهة والتندر عليه ، وما أكثر وأظرف ما نسمع من ذلك عن الإذاعة . ولباحث اجتماعي أو تاريخي أن يرجع هذه الظاهرة إلى أن الفترة التى تمر بها الإذاعة الآن تشبه عصور الاستبداد الماضية ، فقد تسمى هذه الفترة بعد ذلك « العصر الإذاعى » نسأل الله الخلاص والسلامة ..

الموضوع فى فنوننا :

أقصد بهذه الفنون السينما والغناء والموسيقى ، وأعنى بالموضوع فيها فكرة التأليف ، وهى تكاد تكون معدومة فى هذه الفترة من زماننا . والملاحظة أن تلك الفنون قد تقدمت وارتقت فيما عدا الموضوع ، وخاصة السينما ، فالتمثيل فيها جيد على العموم وكذلك ما يسمونه (حرفية السينما) وعندنا بعض المخرجين الذين يجيدون فنهم ، وإن كان بعضهم يفرض نفسه على التأليف فيأبى إلا أن يكون مخرجاً ومؤلفاً فى آن فلا يكون شيئاً ... أما القصة فهى بيت الداء فى السينما المصرية ، وتسعة وتسعون فى المائة من قصص الأفلام المصرية لا موضوع لها ، فهى حوادث يتخللها غناء ورقص وإضحاك ، وأحسنها ما كانت هذه الأشياء فيه ممتعة بعيدة عن السخف ، ومن اللوازم التى تتكرر فى معظم الأفلام أن تنزل بالبطلة كارثة ، أو تقع فى أزمة ، فتضطر إلى كسب رزقها ، ولا بد أن تكون مطربة ، فتلتجىء إلى ملهى تغنى وترقص فيه ، وهنا تجىء الفرصة الذهبية لتقف حوادث القصة ريثما يستمع المشاهدون ببرنامج الملهى الطويل ... وبعد ذلك وعلى مهل يعثر الأب على ابنته والأخ على أخته والحب على حبيبته حيث تعمل فى الملهى ، بعد أن يشبع الناس من السماع والنظر والضحك . وهذا كله قد يكون لا بأس به ولكن على أن يغلف شيئاً ، أما أن يكون فارغاً فإنه لا يدل إلا على الفراغ الماثل فى ذهن المؤلف .

ومن المضحك أن بعضهم يحاول أن يجمل لقصته موضوعاً « تلبية لرغبة الصحافة والنقاد » وقد قرأت هذه العبارة التى بين الأقواس على الشاشة فى تقديم أحد الأفلام ، يحاول المؤلف أو المخرج ذلك فيدس فيها شيئاً من قبيل الوعظ الخلقى أو بعض العبارات الوطنية الجوفاء ، فلا تزيد الفلم إلا برودا وسماجة ، وذلك للتكلف وإيراد الشىء فى غير موضعه . ومما يدعو إلى الضحك والأسف معاً أن يقولوا فى الدعاية عن الفلم إنه يعالج مشكلة اجتماعية ، وليس فيه عن المشكلة إلا بعض مناظر عابرة أو كلمات متناثرة لا تبرز ناحية ذات شأن من المشكلة فضلا عن معالجتها .

ويدعى هؤلاء المؤلفون أنهم ينزلون إلى مستوى الجمهور ، وهذا ليس صحيحاً ، لأنهم ليسوا فى مستوى أعلى ينزلون منه ... والنزول إلى مستوى الجماهير لا يكون مفيداً إلا إذا كان مع النازل شىء يقدمه إلى من ينزل إليهم بالاحتيال على إساغتهم إياه .

هذا وفى وزارة الشئون الاجتماعية لجنة للنهوض بالسينما ، لست أدرى ماذا تعمل لهذا النهوض إن لم يكن فى مقدمة ما تعمله العناية بهذا النقص فى الأفلام . وهناك رقابة تمنع ما يخالف الآداب العامة أو يمس الأمن العام ، ولست أدرى لماذا لا تكون هناك رقابة تمنع ما يفسد الذوق العام .

أما الغناء والموسيقى والأغانى الفكاهية (المنلوجات) فهى كذلك فى مجموعها ، ينقصها الفكرة والموضوع ، وقد كانت الأغانى الفكاهية تدور حول موضوعات وطنية واجتماعية ولكنا الآن صرنا لا نكاد نسمع من الإذاعة غير «ورد عليك فل عليك» وأشباه ذلك . وأغانى الأفلام تصلح بصلاحها إن صح العزم على ترقيتها . أما الأغانى التى تقدمها الإذاعة فالله المستعان عليها وعلى الإذاعة .

عباس خضر



بين الأدب والوطنية والأخلاق :

تفضلتم فى عدد (الرسالة) المؤرخ ٢٢ أبريل سنة ١٩٤٦ بأمنياتكم الودية لى وأنا فى طريقى إلى أمريكا ، وكان تلطفكم هذا تعليقاً على رسالتى إليكم التى هى آخرة ما كتبت إلى أصدقائى الصحفيين فى مصر ، فجعلتكم رمز من أقدرهم من رجال المهنة التى لست غريباً عنها ، ولذلك أحرص على ألا تشوب مودتنا أية شائبة، ولذلك يؤسفنى — وأنتم تعلمون مبلغ إعزازى الشخصى لأدبكم ، ومهما يكن مبلغ تقديركم لحرية النشر — أن تنشروا ما نشرتم ضدى فى عدد الرسالة رقم ٨٤٢ المؤرخ ٢٢ أغسطس سنة ١٩٤٩ دون أن تقابلوا مودتى المحررة لكم بكلمة استفهام خاصة توسلونها إلى قبل أن تسمحوا لمنبركم العالى بترديد مطاعن جارحة فى أخلاق وفى محبتى لمسقط رأسى ، اعتماداً على كلمة يذيعها صاحب جريدة اشتهرت بتلفيق الأخبار كما اشتهرت بمجانبتها حرية الرأى ، وقد بلوتها من قبل تكراراً ، ولا ينبئك مثل خبير

إن كاتبكم الفاضل على غير علم — على ما يبدو — بقانون الجنسية المصرية ، كما أنه لا يعرف مدلول « الجنسية المزدوجة » التى يتمتع بها آلاف الأفاضل بل العظماء والمتفوقين من اللبنانيين فى أمريكا حتى يتمكنوا من الانتفاع بحقوقهم المدنية بهذه البلاد أولئك الذين تمجدهم الحكومة اللبنانية ذاتها وتفتخر بهم بأعلى صوتها ، وقد صفق لهم حافظ ابراهيم بك وهتف بمديحهم وبالدعوة إلى التشبه بهم ، فهتف المتعلمون من المصريين ، بل ومن جميع أقطار الضاد بعده وأمنوا على مديحه . ولست إلا أحد القلائل من المصريين الذين جاروهم ، ولن أستفيد من هذا الحق إذا شئت إلا بعد استئذان حكومتى المصرية .

وأن ما نشرته (أخبار اليوم) ضدى ليس إلا مثالا من الجحود الظاهر المقيت جزاء لخدماتى لوطنى الأول فى شتى البيئات ابتداء بهيئة الأمم المتحدة وانتهاء بجامعة نيويورك فضلا عن منابر الصحافة الحرة الراقية وفى مقدمتها (الهدى) و (السائح) و (النيويورك هرالد تريبيون) بعد أن حال الرقيب دون نشر آرائى الحرة فى مصر ، ولحمتها وسداها الدفاع عن صوالحها العليا وعن عاملها وفلاحها وعن حرياتها العامة وعن عرش مصر .

أما ادعاء انحرافى عن الكرامة الوطنية والقول « بأن مصر لا تستحق هوى عليها إلا لسبب واحد هو أنى من أبنائها ، وإن كانت كفرت عن ذنبها بلفظى وقذفى إلى ما وراء البحار » ، فجوابى على هذه الفلسفة الباطلة من أساسها أن مصر ذاتها أكرم من أن تصنع ذلك برجل خدمها طول حياته وبسليل أسرتين عريقتين لم تعرف عنها إلا محبة مصر والتضحية لها ، وما تركت مسقط رأس إلا وأنا المحب له والباقى على محبتى . أجل ، من الظلم توجيه هذه التهمة إلى مصر الخالدة التى اتسع صدرها وحلمها لآلاف المرتزقة والوصوليين وشذاذ الآفاق وقليلى الأدب .

بقيت الأوصاف الكريمة التى نعت بها أدبى وشعرى ، وهذه من حق ناقدكم التلفظ بها وتدوينها وسأعمل على اطلاع أدباء المهجر عليها حتى لا يقعوا فى نفس الغلطة التى وقع فيها زملاء لهم بمصر وفى غير مصر من أقطار الضاد ، فيتجنبوا المغالاة فى تقديرى وقد يرون حينئذ أنى غير أهل لأى تقدير ... كذلك سأعمل على اطلاعهم على الآراء النيرة الأخرى ليعرفوا مصادر عبقرية خليل مطران بك وعلى من تتلمذ فى مصر !

وإنى إذ أرجو إليكم التفضل بنشر رسالتى هذه أهدى إليكم تحيتى واحترامى .

المحامى
(نيويورك) **أحمد زكى أبو شادى**

(الرسالة) التعليق للأستاذ عباس خضر

حول (أبو شادى العجيب) !

قرأت بالرسالة الغراء عدد (٨٤٢) كلمة للأستاذ عباس خضر عن (أبو شادى العجيب) . وقد آلمنى حقاً الأسلوب الذى تحدث به الكاتب الفاضل عن رجل كان له فى الحياة الأدبية أثر لا ينكر . وإذا تركنا قيمة أبوشادى كشاعر جانباً لأنه يحتاج لنقد دقيق ودراسة كاملة تخرج منها إما للشاعر أو عليه ، فلا يستطيع منصف أن يذهب معه إلى أن أبو شادى (حاول أن يقنع الناس بأنه شاعر فأخفق ولم يفلح إلا فى إفساد المذهب التجديدى فى الشعر العربى الذى دعا إليه العقاد والمازنى وعبد الرحمن شكرى وكان من رواده خليل مطران (فأولا من المعروف أن أبو شادى بذل مجهوداً صادقاً فى خدمة الأدب الحديث وأقل ما ينسب إليه

من فضل أنه جمع جمهور شعراء العربية وحفز هم الشباب منهم بنوع خاص. ومن ينكر نشاط جماعة أبولو التي كان رئيسها شوقي ووكيلها أحمد محرم وسكرتيرها أبو شادى ؟ وأعتقد أنه قبل مجلة أبولو وهى مجلة خاصة بالشعر ودراساته مما لم يسبق له نظير فى عالم الصحافة العربية كان القارىء العربى لا يعرف شيئاً عن هذا العدد الكبير من شعراء الشباب بنوع خاص نذكر فى طليعتهم الشاعر أبو القاسم الشابى ... فهل أفسد سليقته أبو شادى ؟

وأعجب لقول الكاتب عنه (وقد طهرت منه مصر منذ ذلك الحين وتنفس الجو الأدبى الصعداء وشرع بعض الشعراء الذين أفسد سليقتهم الشعرية فى إصلاحها) .

ونقطة أخرى نحب أن نصححها لوجه الله والتاريخ ... أظن أن من المعروف أن خليل مطران كان إمام المذاهب التجديدى للشعر العربي الحديث قبل أن يدعو إلى ذلك العقاد والمازنى ، وعبارة الكاتب تقول إن خليل مطران كان من رواد المذهب الذى دعوا إليه ... فكيف يستقيم هذا مع التاريخ الأدبى الصحيح ؟

أما الخبر الذى ساق الأستاذ عباس خضر لهذا التجنى على أبو شادى وعلى التاريخ الأدبى فلم يحفل بالتحقق منه وما كان يصح أن يستق مصادر (الأدب والفن فى أسبوع) من غير مصادرها و (الهدى) جريدة عربية وإن صدرت فى نيورك ولا يعدم معرفة مهاجر هناك أو قارىء عربى لها هنا ... إن لم تكن تهدى للرسالة .

وهل تأكد الأستاذ من أن ما كتبه أبو شادى كان فى غير مشا كل مصر ؟ وقليلون فى مصر هم الذين يجدون الحرية والشجاعة للكتابة عنها ..؟

وهل يعرف الأستاذ أن الدكتور أبو شادى آثر أن ينجو بكرامته حتى لا تمتهن وإن فقد بذلك مصدر عيشه وإن ضاق به وطن عاش من أجله فى خدمة الأدب والعلم ... لا مهرجاً فى الأسواق السياسية وكان من قبله أبوه أحد أعلام الحركة الوطنية.

عز على الرجل أن يهمل ويقدم عليه من هم دونه .

لقد هضم حق أبو شادى فلم يذكره أحد فى محنته بكلمة حق وهاجر فما ذكره أديب ممن كانت له عليهم أياد ...

(دمنهور) عبد الحفيظ نصار

١ — بواسل ليست من لحن القول :

كتب الأستاذ « أنور المداوى » فى بعض تعقيباته يقول : « أنا شديد الإعجاب بأن يكون بين جنودنا البواسل من يقرأ الرسالة ويعشق الأدب » وقد حسب الأستاذ « عبد الجليل السيد حسن » أن جمع باسل على بواسل من لحن القول الذى شاع استعماله فى هذه الأيام بين عامة الكتاب فكتب فى البريد الأدبى كلة يعلم بها « السادة الأفاضل الكتاب » صواب هذا اللحن ، قال فيها « وهذا الجمع غريب شاذ ، فلا المعاجم تذكره ، ولا القياس يبرره ، ولا السماع يؤيده ، فلم لا نقتله ونحيي لفظين رشيقين صحيحين يستعذ بهما الذوق وهما بسل وبسلاء »

وهذا قول كما تعوده بعض المصححين من جرأة بالغة على اللغة وعلى مالا يعلمون . إن « بواسل » كلة عربية رشيقة فصيحة صحيحة ، مسموعة عن العرب الخلص منذ الجاهلية الأولى ، قال باعث بن صريم اليشكرى يذكر يوم الحاجر :

وخمار غانية عقدت برأسها أصُلاً وكان منشراً بشمالها
وعقيلة يسعى عليها قيم متغطرس أبديت عن خلخالها
وكتيبة سُفع الوجوه (بواسل) كالأسد حين تذب عن أشبالها
قد قدت أول عنفوان رعيلها فلففتها بكتيبة أمثالها

وتمر الأبيات فى ديوان الحماسة ١١/٢ وقال الحاربى كما روى ابن الشجرى فى حماسته ص ٧٣

أيا راكبا إما عرضت فبلغن خداشا وعبد الله ما أنا قائل
فلا توعدونا بالحروب فاننا لدى الحرب أسد خادرات (بواسل)

٢ — ذهب توا :

وكما جانب المعقب الصواب فى إنكار « بواسل » فقد جانبه كذلك فى إنكار « ذهب توا » حيث يقول «ومما يقلبه الكتاب عامتهم قلباً ويمسخونه مسخاً ويسلخونه سلخا استعمالهم توا بمعنى الساعة وحالا فيقولون ذهب توا وذهب لتوه . وهذا المعنى تلفظه المعاجم وتنبذه اللغة ، وما قالته هو : التو بمعنى الفرد فذهب توا أى فرداً أو لم يلوه شيء . والصواب توه » وهذا الذى قاله غير

صحيح أيضاً ، قال الزمخشرى فى الفائق : « ومنه قولهم سافر توا إذا لم يعرّج فى طريقه على ما كان » وفى القاموس : « التو الفرد والحبل ، وبهاء الساعة ، وجاء توا : إذا جاء قاصداً لا يعرجه شىء فإن أقام بيمض الطريق فليس بتو » .

هذا وإنى أنصح الأستاذ المعقب بنصيحة خالصة نصحنى بها منذ أكثر من عشرة أعوام صديق الراوية الأستاذ « محمود محمد شاكر » ونحن نقرأ حماسة ابن الشجرى ، قال لى عند ما قرأت قول باعث اليشكرى : وكتيبة سفع الوجوه بواسل : « وهذه كلمة أغفلتها المعاجم فيما أغفلت من أوابد اللغة وشواردها ، ومن ثم أنصح لك ألا تقطع برأى فيما لا تجده فى المعاجم إلا بعد تثبت ؛ فإن كثيراً من ألفاظ اللغة موجود فى الشعر الجاهلى والشعر الإسلامى ولم يقيده الرواة فى معاجم اللغة ، واقتصروا أيضاً فى شرح بعض الكلمات على ما ورد فى أبيات يعينها مما رووه ، وفيما لم يرووه ولم يشرحوه كثير مما ينبغى أن يشرح مرة ثانية بدلالة هذا الشعر » .

هذه نصيحة صديق الأستاذ « محمود محمد شاكر » وهى نصيحة قيمة تعصم من اتبع هداها من التردى فى مهاوى العثرات . وإنى لأرجو من المعقبين اللغويين أن يلقوا إليها أسماعهم ليجنبوا القراء متاعب « الجماجع » الفارغة التى يثيرونها كل حين باسم الحفاظ على العربية ، وما بالعربية إلا قلة بصرهم بها ، وذهابهم توا إلى إنكار مالا يعلمون من ألفاظها ، ونضر الله وجه الشافعى إذ يقول :

« ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً ، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبى ، ولكنه لا يذهب منه شىء على عامتها حتى لا يكون موجوداً فيها من يعرفه » .

السيد أحمد صقر

حول « زعيم الجامعة العربية » :

الأستاذ نقولا الحداد فى هذا المقال قد سما به تفكيره الاصلاحى إلى غاية قصوى فوضع أمامنا سياسة رائعة للجامعة العربية وما ينبغى أن تكون عليه فى الواقع ، ورسم لنا صورة خيالية أخاذة للجامعة المنتجة التى يراها جديرة بالحياة ...

وفكرة الأستاذ جميلة من حيث هى مجرد فكرة ولكنها مستحيلة من حيث هى منهاج لتنفيذه فى الواقع ، فأنا لا يمكننى أن أتصور الدول العربية تنزل عن سلطتها الدفاعية لبرلمان الجامعة ، كما أنه من العبث أن أتخيل الدول العربية تستطيع أن تدفع من ميزانيتها ذلك المبلغ الضخم الذى يقترحه الأستاذ والذى لا يقل مائتى مليون جنيه يجبيها هذا البرلمان من جميع الأمم العربية من غير اعتراض ولا تمنع أو نقاش ، وأخيراً أرى خيالى قاصراً عن إدراك ذلك المطمح البعيد الذى يدرك الدول العربية وقد أسلمت سياستها الخارجية لذلك البرلمان يتولاها وينفذ رأيه بماله من السلطة المسلحة ويفرض أحكامه بقوة السلاح ...

لو فكر الأستاذ الفاضل بعقلية الواقع لأدرك استحالة فكرته لأن ذلك البرلمان الذى يقترحه لا يمكن أن يحقق كل ما نصبو إليه من آمال وأهداف ، فغاية الدول العربية ليست واحدة فى جميع النواحى ومصالحها غير متفقة تماماً وظروفها الخارجية ليست موحدة تمام التوحيد ، وعلى ذلك لا يمكن أن تسلم الدول العربية سياستها الخارجية لبرلمان من هذا النوع مكون من أفراد لا يدركون جميعهم مصلحة الدول الممثلة فيه كما أنهم قد يرون رأياً يخالف ما أجمع عليه شعب من الشعوب ويكون فى تنفيذه نكال بهذا الشعب ، والعذر لهم فى ذلك لأن الغريب عن بلد لا يمكنه أن ينظر إلى مصلحته بعين المواطن الذى يدرك مصلحته تمام الإدراك ويبذل من نفسه مخلصاً فى سبيل تلك المصلحة ، وعلى فرض أن الغايات توحدت — واعتبرت مصالح الجميع هدفاً واحداً للجميع — فإنه لا يمكن أن تتفق الأساليب فى إدراك ذلك الهدف والعمل له . وهذه الحقيقة الواقعة تواجهنا فى مجال الدولة الواحدة ممثلة فى أحزابها ، فكل حزب له أسلوب خاص يتبعه ، ومن هنا نشأت الخلافات والمشاحنات وانقلبت الأحزاب إلى جبهات مختلفة متعادية تقف كل واحدة أمام الأخرى لتحاربها مخلفة وراءها الأهداف التى قامت من أجلها ...

ولا شك أن ذلك سيحدث فى مجال البرلمان الجامع المقترح إذ يقف ممثلو كل دولة للدفاع عن وجهة نظرهم التى تخالف وجهات النظر الأخرى فينقلب البرلمان إلى ساحة فوضوية تتكسر فيها المصالح على صخرة الخلاف ، ولقد حدث ذلك الأمر تماماً فى الجامعة

الكتب

صـــــــــور من الريف

تأليف الأستاذ محمد زكي عبد القادر

بقلم الأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

لقد استحفزت همة الكاتبين بعد أن أهمني إغفال «الريف»، وما فطر عليه من وداعة تبدو على قسماته، والعمل الفني يجب أن يسحق إلى غاية عالية، بخلوده إلى الحياة الملابسة لوجوده.

وليست المهابة فى استبهام البيان على الأفهام، وإنما الإبانة المستدنية التى تداخـل العواطف، وتماطف القلوب، وتناجى الآمال هى التى تكشف جوانب الجمال مع صدق التعبير.

واللفظ الشعرى فى مبناه ومعناه له إيقاع عجيب إذا اتسق مع سواه، لأن موسيقاه لها صدى يتردد فى أعماق النفوس، والمصـور الفنى فى تصويره المقتدر على تدانى مشاهد الحقائق حتى تتجسد فى مرأى الأبصار كأنها تجسمها بين الألفاظ.

وخصوصية الكاتب تظهر فى لمة ذهنه، وبراعة إلماعه، وروعة تفرده مع رصانة الأداء، وجاذبية العرض، وسلاسة الوحدة التعبيرية! لهذا أردت تقديم «صور من الريف» فى الرسالة الزهراء؛ فقد استبنت فيها ما استبانه الإحساس الإنسانى على تفاوت درجاته، وإن عمل القاص عسير إذا أراد الإلمام بالفطر الإنسانية، والتنويه بتناقض الحياة على اختلاف تخالف الأحياء!

وإن تلك الصور الرائمة قد وضحت فيها ناحيـة جميلة تغيب عن تقدير متناولى الأسلوب القصصى لأنها تدور مع الحوادث ثم تعود إلى التلاقى مع «وصف الريف ...» فى كل خطرة منها؛ فالقصص لا تورد لذاتها، وإنما يقصد منها تبيان السذاجة الريفية فى عواطفها، ومشاعرها، وعقائدها وإيمانها، وقناعتها، واستسلامها، ورضاها بالمقدور.

العربية الحالية عنـدما كانت فى أوج عظمتها فى أول الحرب الفلسطينية، ذلك أنه رغم أن هدف العرب جميعاً كان تحطيم الدولة اليهودية الزعومة وتطهير فلسطين من أرجاس الصهيونية إلا أنه حدث نفس الخلاف عندما أمر مجلس الأمن بوقف القتال وتنفيذ هدنة مؤقتة، وبذلك انقسم المجلس إلى جهتين إحداهما ترى رفض الهدنة والأخرى تحبذها، ثم كان أن تنازل الفريق الأول عن مبدئهم إشفاقاً منهم على وحدة العرب فى ذلك الوقت الحرج وقبلت الهدنة التى كانت الغلطة الكبرى فى حرب فلسطين والتى تسبب عنها هزيمة العرب فى تلك المعركة.

هذا فضلاً عمـا نراه من انصياع بعض الدول العربية إلى السياسة البريطانية انصياعاً تاماً، ولا يشك أحد فى أن بريطانيا التى تعمل جاهدة على تحطيم وحدة العرب بشتى الوسائل والأساليب يمكنها أن تقف مكتوفة الأيدى إزاء هذا الأمر بالنسبة للدول التى تسيرها على الأقل.

هذه الدول العربية المتخمة بالمشاكل والأدواء لا يمكن أن تجتمع فى برلمان. هذا وإنه لا يمكننى أن أتخيل العراق أو شرق الأردن أو غيرها من الدول العربية تقبـل أن تضحى بشبابها وجنودها لتخرج الانجليز من مصر أو السودان، كما أننى لا أقدر على أن تصور جيشاً مصرياً يستطيع اجتياز الحدود ليذهب إلى تركيا فيحاربها فى سبيل مصلحة سوريا التى تنازع تركيا إقليم الإسكندرونة. ومن العبث أخيراً أن نتوهم جيش الجامعة وقد أعلن الحرب على سوريا ولبنان وفيه جنود من أبناء سوريا ولبنان — ليكون بذلك سوريا الكبرى أو الهلال الخصيب، أليس ذلك المشروع من مصلحة شرق الأردن والعراق والجامعة تعمل لمصلحة الجميع

أرى أن تتجه كل دولة إلى تقوية جيشها وإعداده لتحقيق أهدافها وإدراك استقلالها التام وحريتها الكاملة، ويوم تتحقق للدول العربية آمالها وتصبح دولا قوية فتية مستقلة لها كيان محترم غير مزعزع ... يومئذ يجوز أن تتجه أنظارنا إلى تنفيذ مشروع كهذا.

السيد على الشورنجى
كلية الحقوق

يقول المؤلف المقتدر فى « العيد » : « هذا الريف صنعه الله ، والله أيضاً هو الذى صنع هؤلاء الريفيين ، والله طهارة ونور وقداسة » .

ثم يسكت الكاتب الرائع تاركا نتيجة هذا « القياس » ... المنطق التعبيرى تلمع فى خاطر قارئه المأخوذ بروعة بيانه .

ويقول فى موضع آخر : « العيد فى الريف ذكرى ، وخشوع ، وإيمان مطلق لكنه فى المدن قطعة من اللهو والعبث والاستهتار » .

وليس المصور فى هذا التعبير متجنياً على المدنية ؛ فالواقع أن جنون المظاهر تلعب ، فالانطلاق على غلواء الأهواء لا يعترف بزمام التؤدة والوقار ! وبدعى المدنيون أن ضيق نطاق القرية يدعو إلى التحفظ وتكلف التجمل لكن الواقع يناقض دعواهم : « فالعيد فى الريف نور وجمال له قدسيته وجلاله الذى يستمده من الدين » ، وقد أبدع الوصاف فى تلك القولة الموجزة ، لأنه صور بها قوة عاطفة الإيمان لدى القروى الذى يبصر فى نهاره وليله دلائل القدرة تتجمع فى الآفاق ؛ فتوحى إليه بتقدير القدرة العالية ! وفى قطعة « ورقة النصيب » : « صورة ممتعة حقاً لأنها تجمع إلى قناعة الريف المتواضع الراضى طعم الحياة الإنسانية » .

ويمقد المؤلف بين خيبة المؤمل وحب الأمل فيقول : « لم يربح لكنه سعيد بالأمل ، سعيد فى خياله ورجائه ، ولا بد أن يواتيه الرجاء والخيال يوماً » .

***

إن فى « صور من الريف » نواحى متعددة تصور لك كما قلت حقائق الحياة فى نطاق التجربة ، وإنما عمدت إلى « وصف العيد » و « ورقة النصيب » لأنهما يصوران حقيقة النفوس ، ويدلان على تلهفها بما يستحقها أو يدفعها إلى السكينة والدعة .

ولقد تهادت بين أعطاف هذه الصور ، أطياف من الحب الريفى القائم على التكتم واعتصار الفؤاد ، من دون الإفصاح عن الانفعال حيث تضغط المشاعر بضغط القسر والإرغام ، ويصور إحساس عذراء القرية حينما تفاتح فى الزواج : « سألونى هل تتزوجين ؟ فعقد الحياء لسانى ولم أستطع أن أتكلم ، وإنما أجبت بالدموع ، ألحوا فى السؤال فألححت فى البكاء ، ولو كانوا يفهمون أو يريدون أن يفهموا لأدركوا ماذا تعنى دموع عذراء » .

إن الأستاذ محمد زكى عبد القادر يحب الاستدلال على ما يصدر بقول غيره توكيداً لمراده ، ونلمح دائماً حبه الاستشهاد بأقوال الفرنجة ، والأدباء ملهمون يصدرون المعانى الإنسانية المشتركة على تباين الأديان والأقطار ، وقد نقل عبارة عن « واشنجطن أرفنج » فى قطعة « على قبور أعزائنا ترمز إلى أن زيارة القبور مدعاة إلى التوبة والندم ، ومع اعترافى بحسن اختياره ورشاقة ترجمته أوثر الاستدلال بما ورد فى لغتنا إيناساً لها ، وتقريباً لموضوع الكتاب الداعى إلى تمجيد البيئة .

هذا ، ولست فى إيرادى مؤاخذاً ، وإنما أقصد أن يكون هذا السفر الجليل خالياً من الكلف فى وجه البدر .

(بورسعيد) أحمد عبد اللطيف بدر



العدد ٨٤٦ — الاثنين ١٩ سبتمبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 ème Année No. 846

Lundi — 19 — 9 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد «٨٤٦» القاهرة في يوم الاثنين ٢٦ ذو القعدة سنة ١٣٦٨ — ١٩ سبتمبر سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

أخي صاحب «الرسالة»

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

أخرتني الأسفار والأشغال عن الاطلاع على الكلمة الكريمة التي قفَّيتَ بها على الفصول الأربعة عشر التي كتبتُها لقراء الرسالة؛ فلعلك قابل عذري في تأخير الجواب والشكر.

فأما رأيك في الكاتب وفي فصوله فقد سرَّني وحفزني إلى أن أصدّق ظنك بي ورجاءك فيّ. وناهيك بشهادة الزيات، وإعجابه بمقالات، وحسبك صاحب الرسالة كاتباً وشاهداً.

وقد عجبتَ وأَلِمتَ من الناس لا يُبالون « بكلام يُشرق فيه الحق، وعلاج يهدي إليه العقل »، وأعجبُ من هذا أن كثيراً من كتابنا وممن يتصدرون للتفكير والتحرير، يسيرون في أقوالهم وأفعالهم سيرةً أصدقُ أسمائها أنها « الاستسلام للتيار »؛ فهم يرضون بكل بدعة، ويسايرون كل ضلالة، جرياً مع التيار، وسيراً مع الحياة، وخضوعاً للشهرة (المودة). وإنَّ من نكد الدنيا أن تتقلب العقول والآراء مع المودة كما تتقلب أثواب النساء في هذا العصر.

وشدَّ ما يُؤلم العاقلَ الناقدَ أن يتسمى هؤلاء المسايِرُون المستسلمون أحراراً وأن يهزءوا بكل من يدعو إلى رشد، أو ينذر قومه ألا يسيروا إلى الهاوية.

وأشد إيلاماً من هذا أن الناقدين المتثبتين الداعين إلى المحافظة على ما عندنا من خير، ورد ما يأتينا من شر، تأخذهم أحياناً رهبة هذا الموكب، موكب العصر في صخبه وضوضائه، ودعاويه وأهوائه، وفتنه وزخارفه، ويرهبون أحياناً هؤلاء المسايرين للموكب يصفقون له، ويهتفون به، ويسخرون بكل من يعترض طريقه أو يتجنب السير فيه.

إن الخارجين على سنننا وآدابنا ليسوا في حاجة إلى المطالبة بالحرية، فهم يظفرون بها في كل مكان؛ إنما يطلب الحرية فلا يظفر بها هؤلاء المستمسكون بتاريخهم وآدابهم. أضرب مثلاً المرأة التي تسبح في البحر وترود على شاطئه عارية أو كالعارية، لها الحرية أن تسبح وترود أينما شاءت ومتى شاءت؛ ولكن المسكينة التي تريد أن تستمتع بماء البحر وهوائه وشمسه وتأبى أن يراها الناس في لباس البحر، لا تجد حريتها ولا تمكَّن مما تريد، ولا يحميها القانون ليدبر لها الاستمتاع بالبحر، ولا يخصص لها مكان أو زمان لتستمتع بحريتها وتستمسك بأخلاقها.

والأمثال في هذا كثيرة والقياس يسير والخطب جليل.

رأى بالأمس وزير معارفنا أن يصون بنات الأمة بما يصون به بناته، فصاح به دعاة الحرية من كل جانب، وأخذه هزؤ النساء والرجال على أساليب شتى. وما نجد في بلدنا داعياً يملك عقله وقلبه فيدعو إلى ما يراه حقاً وخيراً إلا كان أحدوثة الساخرين والساخرات واتخذته الصحف تفكهة لقرائها ومُضحكة.

وقد كتب كاتب من كبار كتابنا يسمي هذا الوزير وزير

التقاليد ويسخر به ، ويتحدث عن الحياة وقضيتها ، ويتكلم عن الأيام والساعات والدقائق والثواني ، وهي ماضية سراعاً ، ونحن ماضون معها لا نستطيع لها رداً . فلانستطيع لأمر وقفاً ولا تغييراً

لست أدري فيم عِلمنا وفكرنا إن حملنا تيار الساعات والدقائق راضين بكل واقع مستسلمين لكل حدث . إنما يذهب التيار بالأجسام الجامدة أو الميتة ، فأما الحي فلا يستسلم للتيار وبه قوة ، ولا يرضى الغرق وفيه رمق .

إن علينا أن نسيطر على الخليقة ونسخرها كما نشاء جهد طاقتنا ، وإن علينا أن نسيِّر الحياة بعقولنا وعلومنا ، وأن نقهرها لإرادتنا ما استطعنا . فما هذه الدعوة إلى الاستسلام بل المضيُّ إل الموت ؟ وما هذا الخنوع للعبودية باسم الحرية ؟

إن الاستعباد قبيح في كل صوره ؛ ولكنه أقبح ما يكون حين يصيب النفوس ، فتخنع للواقع ، وتحتج بسير الزمان . إن الحر يفكر ويقول ويفعل كأن إرادته من قضاء الله ، وجهادَه من قدرة الله ، ساخراً بسلطان الزمان والمكان — ليخلق تاريخاً ، وينشئ جيلا ، ويغير الزمان والمكان . وهل خلد في تاريخ البشر إلا من تصدى للباطل يدمغه بالحق ، وللشر يغلبه بالخير ، وللفساد يمحوه بالصلاح ؟ وهل دعا نبي أو نادى مصلح إلا بصد التيار الجاري ، ورد الأحداث السائرة ، وتغيير السيرة الفاسدة .

إن الذي يريح نفسه وعقله من تكاليف الإصلاح ومشقة الجهاد يساير الزمان ، ويحتج بالمكان ، ويمضي مع الماء أو الريح ؛ ولكن لله خلقاً يحملون كل عبء ، ويعانون كل مشقة ، ويستصغرون كل هول ، ويسخرون من كل سخرية ، ليثبتوا بالحق وفي الحق على مضي الأيام والساعات والدقائق والثواني كالطود في مجرى السيل ، والحق في معترك الأباطيل .

يا أخي الزيات : إنها لفتنة ، وإنها لمحنة . وسيمضي الأحرار لا العبيد ، يقولون ويفعلون ويجاهدون حتى يبلغوا غايتهم أو يقضوا نحبهم على السبيل قاصدين وعلى الله متوكلين .

وإني لأدعوك وأمثالك من الفئة القليلة الغاضبة للحق ، الناصرة للخير، إلى الكتابة ، والصدع بالدعوة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأداء الأمانة ، على رغم الزمان ، وعبيد الزمان .

« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » .

(الاسكندرية) **عبد الوهاب عزام**

صور من الحياة :

جنـــة الشيطان !

للأستاذ كامل محمود حبيب

> « يا لحوم البحر ... سلخك من ثيابك جزار ! »
> مصطفى صادق الرافعي

لشد ما شاقني أن أقضي ساعة من العمر إلى جوارك — أيها البحر — ساعة أفزع فيها عن وقدة القيظ إلى ريعك الغض الرطيب ، أسعد بالراحة من عناء العمل ، وأسكن إلى الهدوء من صخب الحياة ، وأتحلل من دواعي العيش ، وأنفض وعثاء الطريق! فأنا — دائماً — أجد فيك هدوء البال ، وراحة النفس ، وصحة البدن ... إنني ما زلت أذكر يوم اللقاء الأول — أيها البحر — يوم أن كنت فتى غضَّ الإهاب ، ريّق العود ، بسّام الخواطر ، لا تشغلني نوازع الحياة ، ولا ترمضني سفعات الرزق ، لا أرى الدنيا سوى متعة الروح ولذة القلب وفرحة النفس ... ورأيتك — لأول مرة — فراعني موجك الثائر وهو يتلاطم في قسوة ويتهارش في عنف ، وأزعجني هديرك الصاخب وهو يتصاعد في عنفوان لا يهمد ، وأخذتني روعة المنظر الهائل حين كلَّ البصر عن أن يحيط بنواحيك ، وحين عجز الخاطر عن أن يلم بأطرافك ، وسحرتني الشمس وهي تكاد تتوارى خلف الأفق ، فتندفع تبكي أفولها بعبرات من دم أحمر قان يتألق على صفحة اللجة التي توشك أن تتردّى فيها ... فوقفت أتأمل في صمت ، وقد غلبتني الحيرة ، وسيطر عليَّ الذهول ... فما استطاعت الكلمات أن تتحدث عن بعض خلجات فؤادي ، لأن عالمك أدهشني يوم اللقاء الأول ، أيها البحر ... وكنت حينذاك شاباً عزباً أحتال للأمر فأنفذ إليه في غير عناء وأبلغه في غير عنت . وللشباب أساليب شيطانية ماكرة تؤرثها عزيمة جياشة لا يعبث بها وهن ولا يقعدها ضعف ، فانسربت في مسالك الطيش أنعم بأفانين اللذة وأرشف رضاب السعادة ، هنا ... هنا على شاطئك الجميل الجذاب ، أيها البحر .

والآن — وقد انطوت سنوات وسنوات منذ يوم اللقاء الأول — ما زلت أحس بالذكرى الرفافة تتقد في خاطري ، لأنني كنت شاباً عزباً أحتال للأمر فأنفذ إليه .

واليوم جئت إليك بقلب الرجل وعقل الفيلسوف ، فماذا رأيت فيك ، أيها البحر ؟

وجلست بإزائك أياماً استشف حكمتك من خلال الموج وأقرأ خواطرك من ثنايا الزبد وأتسمع كلماتك من بين الصخب ، وإن قلبي ليفتقد جمالك الأول لأنه شاب فلم يعد يحس سحرك القديم .

وأخذ القوم يغدون إليك أرجالا خلف أرجال وزمراً من وراء زمر ، فغطى لغطهم على همساتك وتلاشت نبرات صوتك الرقيقة خلال الضجة المنيفة على الشاطىء . فغاظك أن تعجز — وأنت عظيم — عن أن تسكت هذا اللجب ، ففار موّارك واضطربت أمواجك ، ووقف الجمع حيالك ينظرون فى عجب ومن أمامهم (الراية السوداء) تنذرهم بالخطر العظيم . ثم استخفك الطرب حين رأيتك تظفر بهذا الجمع فتنفث فى نفوسهم الفزع والرهبة ، فعبرت أياماً تقهقه بضحكات ساخرة مخيفة ، وطالت ثورتك فرحت أحدث نفسى : « غداً ، حين ينفرط عقد الصيف ، يعود إليك — أيها البحر — الهدوء وتشملك السكينة لأنك تكون — إذ ذاك — قد نفضت عن نفسك همّ هذا المشهد .

وسمعتك — أيها البحر — تحدثنى من خلال ثورتك قائلا :

« هذا الشاطىء كان هاجماً يغط فى نومه فلما دبت فى جنباته أول سمات النشاط والحركة هب الشيطان من سباته العميق ينشر زخرفه على أعين الناس وهو يترنم بالنشيد الأرضى الساحر فانطلق الحشد صوبه يتهافتون على بضاعته فى غير وعى ولا عقل ، وما زخرف الشيطان إلا اللذة والشهوة والفجور ...

« هذا الشاطىء هو الجنة الشيطانية التى تضم ألف آدم وألف حواء ، ولكنها لا تبسم عن نبتة واحدة ولا تزدهر بثمرة ، إلا ورقة التوت ... ورقة صاغها الشيطان بيده الصناع ليتوارى خلفها ثم يندفع من بين ثناياها يبذر غراس الإثم فى القلوب الفاجرة فتؤتى أكلها — بعد حين — ندماً وحسرة . والشاطىء فى الصيف ملعب الفجور ومسرح الفسق ومرتع اللهو

« لا عجب ، فإن حرارة الشاطىء لا تصهر إلا الفضيلة والإباء ، وإن مائى — ماء البحر الملح — لا يغسل إلا الشهامة والكبرياء ، وأن نسماتى اللطيفة لا تزيح عن الأنفس سوى الأنفة والعفة ! ...

« هذه اللحوم البشرية العارية جاءت تطلب الصحة والعافية والجمام فارتدغت فى حمأة الرذيلة ، وتلك النظرات الزائغة تطوّف بأرجاء المكان وفيها نهم ما يشبع وبها قحة ما تترفع ، وهى — دائماً — لا ترعوى من حياء ولا ترتدع من خجل . وهذه المباذل الإنسانية تنحط إلى حيوانيتها حين تتعرى عن الدين والشرف

« إننى أتقزز من هذا الفتى الذى جاء يغسل قاذورات جسمه ليكشف عن أدران نفسه

« وأمقت هذه الفتاة الطائشة حين تنفلت — بين الحين والحين — من بين يدى الرقيب ، وهو هين لين ، لتسمر ساعة إلى فتى من فتيان الشاطىء ؛ تعرفت إليه فى نزوة من نزوات القلب ، واطمأنت إليه فى ثورة من ثورات الشباب ، فاغترها بحديثه ، وخلبها بشبابه . والتاث عليها الأمر فعميت عن أن تراه وهو يجرها إلى هاوية من العبث والخطيئة ، والشيطان من بينهما يُزوق الحديث ويمهد السبيل » . وقلت لى ، أيها البحر :

« أما هذا الرجل ، فهو قصة الشاطىء وروح الشر وبلاء الإنسانية . هو رجل جاوز سن الشباب ، فلمعت فى فوديه شعرات بيض علامة العقل فى رأس أحمق ، وعبثت أنامل الأيام بنضارته فسطرت خطوط الرزانة على جبين فارغ . هو أب وزوج ، ولكن أنانية عاصفة دفعت به إلى هنا ليعيش وحده عمراً من عمره يبتغى الفراغ من أعباء الحياة وينشد الراحة من قيود الأسرة ويطلب النجاء من أغلال الدار . ومن ورائه زوجته وأولاده يتلهبون فى لظى القاهرة ، ويتحرقون فى عذاب الوحدة ، ويتقلبون فى ألم الفراق

« وبهره منظر البحر وهو يموج فى آذيّه ، وخلبته هبات النسيم وهى عليلة ندية ، وسحرته الأجسام العارية وهى تتألق فى ضياء الشمس ، ووسوس له الشيطان فانطلق الرجل فى تبّانه يذرع الشاطىء وإن فى عينيه الظمأ والفجور

« يا لضعة الإنسان إن خلع إنسانيته ليصبح وحشاً كاسراً لا يؤمن إلا بشريعة الناب والظافر !

« واطمأن الرجل — بعد لأى — إلى فتاة من فتيات الشاطىء ... فتاة فى ريعان الشباب ورونق الحياة وجمال الأنوثة ، تقضى سحابة يومها بين طفلين تحت مظلة ، فهو يرمقها بنظرات شرهة جامحة ، وهى تختلس إليه نظرات متكسرة . وابتسم هو وابتسمت . ثم انطوت الأيام فإذا الفتاة قد أسهلت وانقادت ، وإذا هى إلى جانب صاحبها يتحدثان فى غير رقبة ولا حذر رغم أنها زوجة وأم ؛ زوجة موظف صغير طارت عن بيته لتنعم هنا بالحرية بين طفليها . لقد نبذت زوجها هناك فى القاهرة يذوق مرارة الوحدة والحرمان فى الدار ، ويعانى عنت العمل فى الديوان

ويقاسى لظى الهاجرة فى المدينة . نبذته هناك ليدخر للذاتها ثمرات جهده وكدّ عقله وراتب شهره .

« ليت شعرى ، ما ذا عسى أن تقول الخائنة لزوجها إن هى جلست إليه فى خلوة تحدثه حديث البحر؟ وما ذا عسى أن الزوج الوضيع لزوجته المسكينة؟

غداً تعود الزوجة إلى دارها وفى قلبها ذكرى ، ويعود الزوج إلى أهله وفى فؤاده هوى » .

ثم تلاشت همساتك — أيها البحر — بين صيحات الجمع الزاخر وهو ينادى : أن انقذوا الغريق . فنظرت فرأيت كهلاً من كهول الشاطئ تصفعه الأمواج فى غير رحمة ويجرفه البحر فى غير شفقة ، وقد خارت قوته ونفد جهده ، وأبناؤه على الشاطئ يصرخون فى لوعة وأسى : أبى .. أبى ! وزوجته تصك وجهها فى جزع وحزن . وتدافع الشباب يشقون أمواج البحر فى قوة وعزيمة ، ثم حملوا الرجل إلى الشاطئ بعد جهد فإذا هو جثة هامدة

يا لقلبى ! لقد جاء الناس يطلبون الصحة والعافية والجمام فإذا هم بين غريق فى الشهوات وغريق فى اليم ...

كامل محمود حبيب

فن القـــــــــــراءة

للأُســــتاذ إيليا حليم حنا

القراءة فن له أصوله وقواعده كأى فن آخر ، وهى أداة تثقيف واستزادة فى كل الفنون المنوعة الأخرى . وقد أصبح لها الآن عيادات ملحقة بالجامعات فى أمريكا اسمها (عيادات المطالعة) غرضها إصلاح عيوب القراءة والإرشاد إلى أصولها وقواعدها . هذا بالإضافة إلى آلاف الكتب والمقالات التى عالجت هذا الفن وما زالت تمدنا بخبرة رجال التربية وعلم النفس وتجاربهم فى ضبط أصول هـذا الموضوع الحيوى الذى لم يكتب عنه فى العربية إلا القليل من المقالات التى لا تتعدى أصابع اليدين .

إننا ما زلنا لا نولى درس المطالعة العناية الكافية فى مدارسنا . والذين يقومون بتدريس هذه المادة المهمة يرون أنها فرع تافه من فروع اللغة العربية ، ولذا تراهم كثيراً ما يشغلون وقتها بقواعد اللغة أو التطبيق ، وذلك لأننا لا نعد مدرس اللغة الإعداد الكافى لتدريس هذه المادة المهمة ، وإننا نجهل حتى الآن أن القراءة فن يجب أن يدرس على الأقل للذين نعدهم للتدريس فيعرف المعلم كيف يعلم الطفل القراءة فى مراحل نموه العقلى ومتى يقوم بتعليم القراءة الجهرية والقراءة السرية والقراءة البطيئة والقراءة السريعة ، ويعرف أن الغرض من المطالعة تعويد الأطفال على حب القراءة وتربيـة ملكة الانتباه وسرعة الإدراك وإنماء قوة التفكير والقوة المتخيلة .

ويتكلم (الدكتور نيل رايت) رئيس قسم علم النفس بكلية (جورج دانهل) عن أهمية درس المطالعة فى حياة الطالب فيقول (تعليم الطفل القراءة مهمة ذات مسئولية خطيرة تتطلب درجة عالية من المهارة فى فن التدريس والثقافة)

إننا لا نشترط فى مدرس المطالعة إلا أن يكون ملماً بفنون اللغة فيرهق التلاميذ الصغـار بضبط أواخر الكلمات والكبار بالإعراب فيرى كل منهما درس المطالعة عبئاً ثقيلاً لا لذة فيه ، وهى الطريقة العتيقة المسئولة عن تنفيرنا من القراءة وكراهيتنا لها أثناء مرحلتنا الدراسية وبعدها .

القراءة الناطقة :

القراءة قد تكون ناطقة ولكنها غير مسموعة وإليك ما قالته الدكتورة (ستلا سنتر) رئيسة عيادة المطالعة بجامعة نيويورك : « إذا أردت أن تعرف هل تقرأ بصوت أو لا فالمس شفتيك بخفة وأنت تقرأ ، فإذا كانتا لا تتحركان فالمس عنقك عند أوتار الصوت ، فإن وجدتها تختلج قليلا فأنت تقرأ بصوت » .

ويلذ للطفل حتى سن الثامنة أو التاسعة أن يقرأ قراءة منطوقة جهرية لأنه يدرك أثنـاءها نبرات صوته ويتذوقها ولذا يجب أن نستغل حبه هذا للقراءة .

وفى هـذه القراءة المنطوقة يستعمل الطفل عضلات النطق ويحرك شفتيه ويتوقف لفهم المنطوق وبوساطتها يكون معجمه اللغوى . وهذه القراءة لازمة لتعليم الطفل فى مراحل نموه الأولى لإتقان النطق وإخراج الألفاظ من مخارجها وضبطها بالشـكل وجودة الإلقاء ، كما أنها تساعده فى تلك المرحلة على محاولة فهم ما يقرأ لأن استعمال حاستين فى القراءة أقوى من استعمال حاسة واحدة ؛ ففى القراءة الناطقة تصل رسالتان إلى الدماغ فى وقت واحد فتصبح العبارة أقرب للفهم وأثبت فى الذهن ، أى أنها تترك أثراً أعمق فى طيات المخ . وهى تخلق الجرأة فى الطفل وتعوده على الخطابة والتكلم فى الجماعات . ولـكن القراءة الصامتة تفضلها

فى هجاء الكلمات لأنه فيها يكون غير مقيد بمستلزمات المطالعة الجهرية من جودة النطق وتنويع الصوت حسب المناسبات . والتلميذ فى المطالعة الجهرية قد يخشى النقد فيقرأ دون أن يعى ما يقرأه .

والقراءة الناطقة المسموعة فن لازم لبعض الناس ؛ فهى وسيلة لإسماع الغير ما نقول بصوت عال واضح ونبرات تتمثل فيها إحساساتنا وشعورنا . ويحتاج إليها الزعماء والخطباء والمحامون والمعلمون وأعضاء المجالس النيابية . ولكن هؤلاء لا يحتاجون إليها مطلقاً فى قراءاتهم الخاصة . إننا إذا أردنا الاطلاع على التقدم العلمى والثقافات المختلفة لنجارى فى التفكير العصر الذى نعيش فيه وننتفع بما نقرأ فى حياتنا العملية فإننا نستعمل القراءة الصامتة ، لأن القراءة الناطقة قراءة بطيئة لا تستعمل بعد التاسعة إلا فيما نرغب أن نسمعه لغيرنا. والسبب فى هذا البطء أنها تتقيد بالسرعة التى تنتج بها عضلاتنا الصوتية الصوت . ومعدل القراءة بها ١٢٠ كلمة فى الدقيقة للشخص العادى الكبير .

ولا يخفى أن القراءة الجهرية تجهد العضلات الصوتية ويشعر بهذا كل من يستمر نصف ساعة يقرأ بصوت مرتفع ، ويعجز الشخص عن القراءة بصوت عال مدة تزيد على الساعة مع أنه يستطيع مواصلة القراءة الصامتة ساعات متوالية .

القراءة الصامتة :

القراءة الصامتة قراءة بصرية دون نطق ، تتعطل فيها وظيفة الأوتار الصوتية والشفاه ، ومدارها البصر والتركيز الذهنى . وهى قراءة سريعة لأننا لا نتقيد فيها إلا بالسرعة التى يعى بها العقل معنى ما نقرأه . وقد دلت تجارب الدكتور استارك Stärch على أن سرعة القراءة الصامتة للطفل الذى فى الثامنة من عمره كلمة أو كلمتان فى الثانية ، أو ١٢٦ كلمة فى الدقيقة ، أى أنه يكون أسرع من الشخص الكبير الذى يقرأ قراءة منطوقة . والطفل الذى فى الثالثة عشرة من عمره يقرأ قراءة صامتة بمعدل أربع كلمات فى الثانية أى ٢٤٠ كلمة فى الدقيقة .

والقراءة الصامتة أكبر معين على فهم العبارات التى تقرأ والإلمام السريع بما تنطوى عليه من الآراء ، لأنه فيها ينطوى الإنسان على نفسه ويتجرد عن عالمه الخارجى ، ويكون مخه مصدر النشاط لا يشغله سماع اللفظ ورنين الصوت ومحاولة ضبط الكلمات بالشكل ، بل يشعر بحماسة ولذة لأن ما يقرأه يملأ عقله وشعوره وحسه .

والقارىء الصامت يقتنص المعانى من أطراف الألفاظ ويلتقطها من خلال السطور ويقفز ببصره قفزاً فوق حروف الجر والعطف ... والأفكار السهلة المعروفة لديه من قبل . وهو لا يرى الكلمات مركبة من حروف بل يراها صوراً يعرفها من مظهرها العام . وهو أثناء القراءة لا يحمل الكلمات إلى مخه بل يمر عليها بنظره فيقفز معناها إلى عقله . وتتوقف سرعة استيعاب معانى الألفاظ على مبلغ تمكن الشخص من لغته ومن الموضوع الذى يقرأه . وهو عندما يقرأ الجمل تتحول بسرعة إلى صور فى عقله . فمثلاً عندما يقرأ هذه الجملة (أسرع الأسد خلف الرجل فأدركه وألقى به على الأرض وأخذ يمزقه بأنيابه ومخالبه) يراها بعين عقله صوراً لا ألفاظاً ؛ يرى ثلاث صور متلاحقة تمر مروراً خاطفاً فى مخيلته ؛ يرى صورة الأسد يعدو مسرعاً وراء الرجل ، ثم الأسد يلقى بالرجل على الأرض ، ثم الأسد وقد جثم فوق الرجل يمزقه بأنيابه ومخالبه .

وعندما يجول القارىء الصامت بين بدائع الفن وآيات الأدب وحقائق العلم تنتقل نفسه لحظات إلى ما وراء عالم الحس وينكب على الفكرة إنكباب العالم فى معمله على أدواته يرصد الحقائق العارضة وتستيقظ فيه خصائص المخيلة ووظائف التفكير وتراه فى نوبة توقد يحس بمعانى الكاتب حساً ويشعر بالحياة والحرارة فى أفكاره.

ويتعود الطفل القراءة الصامتة إليه إن وضعنا بين يديه الكتب التى تمده بغذاء عقلى لا يثقل عليه هضمه ويتمشى مع معجمه اللغوى فى مرحلة النمو التى يمر بها ويثير ميوله ورغباته ويشبع غريزة حب الاستطلاع فيه كما يجب أن نعطيه الكتب الصغيرة التى لا تستغرق وقتاً طويلا فى القراءة حتى لا يسئمه طول الوقت وطول الموضوع فيلجأ إلى القراءة الجهرية ليتخلص من سأمه بسماع صوته الذى يساعده على التركيز الذهنى الذى أوشك أن يفقده بطول مدة القراءة .

القراءة البطيئة :

(ا) تطور السرعة فى القراءة :

يتدرج الطفل فى القراءة من بطىء إلى سريع ومن سريع إلى أسرع تبعاً لربط الكلمات بمدلولاتها ؛ وحينئذ يتمكن من أن

يقرأ الكلمة بدون أن يقطعها إلى حروف ويفهم معناها بدون تفكير . وتزداد سرعته فى القراءة بوفرة محصوله اللغوى والذهنى.

ونحن الكبار تزداد سرعتنا أيضاً بنضوجنا الذهنى وسعة اطلاعنا ووفرة معلوماتنا وتمكننا من اللغة ومفرداتها ومدى اطلاعنا فى الموضوع الذى نقرأه ؛ لذا نرى المبتدئين فى بعض العلوم لا يسرعون فى قراءتها لأن عدم الإلمام بها يلزمهم التوقف .

(ب) متى يلزم البطء فى القراءة :

لا تدل القراءة البطيئة على شىء إلا على قلة المحصول اللغوى للفرد وعدم نضوجه الذهنى . والقارىء البطيء غالباً ما يكون آلياً يحرك شفتيه عند القراءة أو سماعياً يقرأ بصوت مسموع لتنتقل الألفاظ من أوتار صوته إلى أذنيه .

والقراءة البطيئة من أكبر عيوب فن القراءة ولكنها تكون ضرورة لازمة فى الحالات الآتية :

١ — عند القراءة التى يقصد بها التحليل والنقد .

٢ — فى الكتب العلمية الدقيقة ككتب الطبيعة والفلك وعلم النفس .

٣ — فى الكتب التى تقرأ لإشباع لذة وجدانية كالشعر والنثر الفنى والأدب الراق وكل ما يقرأ للتذوق .

والقارىء فى هذه الحالات قد يقرأ بصوت مسموع بعض الفقرات أو الأبيات للاستمتاع بها ، وقد يعيد قراءتها عدت مرات للتمعن فيها أو استيعابها ولكنه يقرأ كل ما يراه مفهوماً قراءة سريعة خاطفة ليوفر الوقت لكل ما هو معقد يحتاج إلى الروية فى التفكير والاستيعاب .

(ح) القارىء الضعيف (البطىء) :

١ — يقرأ كتاباً سهلا بسرعة تتراوح بين ١٠٠ و ١٥٠ كلة فى الدقيقة .

٢ — يقرأ كلة ويقف عند كل لفظ تقريباً لأنه ضيق المعرفة كما أن محصوله اللغوى ضئيل .

٣ — يقرأ الكلمة أو الجملة مرات حتى يفهمها جيداً باستجماع كل مدلولاتها فى ذهنه .

٤ — يقرأ بعينيه وشفتيه ولسانه وحنجرته وأوتاره الصوتية

٥ — لا يركز تفكيره تركيزاً كاملا بل ينشغل كثيراً بالعالم الخارجى من ضوضاء ومناظر وحوادث لأنه يتلكأ ويتباطأ فى الوقوف عند كل كلة .

٦ — غالباً ما يترك ما يقرأه دون أن يتم قراءته وأقصى مايستطيع أن يقرأه فى المرة الواحده لا تزيد على اثنى عشرة صفحة

(٥) القارىء العادى :

أما القارى الوسط البالغ الذى يقرأ ٢٢٥ كلة فى الدقيقة فى الكتب فهو قارىء عادى فى حاجة أن يدرب نفسه لتزيد سرعته ومعدل سرعة القارىء العادى فى المدارس الثانوية ٣٠٠ كلة فى الدقيقة وفى المدارس العليا ٣٥٠ كلة فى الدقيقة . .

القراءة السريعة :

(١) متى يمكننا القراءة بسرعة :

كلما زاد عدد المفردات التى يفهم الفرد معناها الحقيقى المقصود منها ازدادت قدرته على التفكير والفهم بسرعة .

٢ — عندما يزيد النضوج الذهنى للشخص بوفرة المعلومات وسعة الاطلاع يكون أقدر على التفكير العادىء السريع .

(ب) القارىء السريع :

١ — يقرأ بسرعة لأنه يفكر بسرعة نتيجة لمحصوله اللغوى الوافى ومعلوماته الواسعة وقوة بصره .

٢ — يقرأ ٦٠٠ كلة أو أكثر فى الدقيقة فى المجلات أو القصص ومن ٤٠٠ إلى ٥٠٠ كلة فى الأبحاث العميقة الدقيقة .

٣ — يلتقط المعنى الكامل للجملة من نظرة واحدة ولا يقرأ كلمات منفردة ، ويتخطى الكلمات التى لا أهمية لها مثل حروف الجر وأدوات التعريف وحروف العطف والضمائر ... ألخ .

٤ — يستطيع قراءة الكتاب فى جلسة واحدة .

٥ — يتجه كل وعيه إلى ما يقرأ ولا يشغله عن ذلك مؤثر خارجى ، بل يركز فهمه ويحصر ذهنه ويشعر بلذة وحماسة تجعلانه يلتهم ما يقرأه التهاماً .

٦ — يفهم ما يقرأ ويتمشى تفكيره مع المؤلف ويوافقه أو يخالفه بسرعة .

٧ — يستوعب السطر العادى المطبوع فى حركتين أو ثلاث حركات للعين .

٨ — يمكنه أن يقرأ كتاباً أسبوعياً ما عدا ما يقرأ من الكتب التى تتعلق بمهنته والمجلات الأسبوعية والشهرية والدورية والصحف اليومية والنشرات .

(حـ) القراءة السريعة ضرورة لازمة :

إنها ضرورة ماسة لجميع رجال الفكر والأعمال لمجاراة العصر فى تفكيره وخاصة وإن الإنتاج العقلى لا يحده حصر وأعمالنا وواجباتنا لا تتيح لنا وقتاً كافياً للقراءة . وهى أشد ما تكون لزوماً فى الأحوال الآتية :

١ — عندما يكون أمامك مراجع كثيرة للبحث عن نقطة معينة .

٢ — عند قراءة الصحف اليومية والمجلات لأنك فى مثل هذه القراءات تريد الفكرة العامة بالإضافة إلى كون الأسلوب الصحافى فى غاية السهولة يفهم بدون بطء .

٣ — عند قراءة الأجزاء المعروفة لديك فى كتاب جديد أو مقال .

٣ — عندما تريد اكتساب نظرة طائرة عن الموضوع .

٥ — عندما تكون راسخاً فى الفن الذى تقرأه أو ملماً به ولست مبتدئاً فيه .

(ء) اختبر سرعتك :

اختر صفحة من كتاب لم تكن قد قرأتها من قبل بحيث لا تكون معقدة لغوياً ولا تحوى أفكاراً بعيدة عن مجرى تفكيرك اليومى ومحصولك الثقافى ثم اقرأها بسرعة كما تقرأ فى مجلة للتسلية وليس للفحص والتدقيق ، ثم وقت ما تفعل بدقة ثم اقسم عدد كلمات الصفحة على عدد الدقائق التى استغرقتها فى قراءتها فتعرف سرعتك فى الوقت الحاضر . لو وجدت أنك تقرأ ٣٠٠ كلمة فى الدقيقة فأنت فى حاجة إلى أن تزيد سرعتك . تمرن لمدة شهر واختبر مقدار سرعتك يومياً فى مذكرتك فتجد أنك فى نهاية الشهر تقرأ من ٤٠٠ إلى ٦٠٠ كلمة فى الدقيقة فإنه من الممكن أن تمرن نفسك على السرعة حتى تقرأ صامتاً ثلاثة أو أربعة أضعاف ما يقرأ الآن .

(هـ) كيف تحسن القراءة :

دلت التجارب على أن سرعة الفرد فى القراءة تزداد بمقدار ٣٥٪ بالتمرين اليومى . فاعمل نفسك على أن تقرأ ربع ساعة يومياً بأسرع ما يمكنك حاصراً كل ذهنك وانتباهك فيما تقرأ ، ثم سجل عدد الكلمات التى أمكنك قراءتها كل يوم . قد تجد أول الأمر أن السرعة تحول بينك وبين الفهم ، ولكن لا تلبث بعد التدريب اليومى أن تجد أنك تستوعب من المعانى أكثر فأكثر .

زد عدد الكلمات التى تقرأها كل يوم عن سابقه بالتدريج بحيث تفهم ما تقرأ . لا تقرأ كلمة كلمة واعتمد قراءة الجمل . وإذا كنت ترجع نظرك بين الفينة والفينة إلى كلمة أو كلمتين تريد استيعاب المعنى فاقض على عادة الرجوع هذه واستمر حتى تنتهى من الجملة على الأقل . ويمكنك تجنب إعادة القراءة بأن تجمل بالك إلى فكرة الكاتب .

تعلم أن تثب وثباً حكيماً لتقبض على الفكرة الرئيسية ، ولكن لا تتجاوز الكلام بل اعبره بأن تمر عليه بلحظك مراً سريعاً والتقط الألفاظ الرئيسية .

بعد قراءتك التدريبية يومياً لخص الأفكار الرئيسية التى خرجت بها من قراءتك السريعة ثم عد وتمعن فى قراءة نفس القطعة ، ولخص فى أثناء قراءتك هذه ، المعانى الرئيسية والفكرات الأساسية واعمل نسبة مئوية لمقدار استيعابك ما قرأت بسرعة .

وفق بين سرعتك والمادة التى تقرأها ، فمثلا فى قراءة الصحف والمجلات يمكنك أن تمر مراً خاطفاً على الأخبار مستوعباً معنى فقرة بأكملها فى نظرة واحدة وبعد ذلك تتمكن من أن تمر مراً خاطفاً بارعاً على الصفحة كلها مختاراً الفقرات والأفكار الدالة ، وفى الإمكان أن تصل إلى سرعة من ٨٠٠ إلى ١٠٠٠ كلمة فى الدقيقة فى القراءة الخاطفة فى الموضوعات البسيطة التى لا تحتاج إلى دراسة عميقة وإمعان كالقراءة فى الصحف اليومية .

ويدهشك أن توماس كارليل وثيودور روزفلت كان لهما قدرة عجيبة على قراءة صفحة بأكملها بنظرة واحدة . ويدهشك أكثر عندما تعرف أن السر فى إنتاج البروفسور لاسكى الإنجليزى فى عالم التأليف يرجع إلى قوته الغريبة وسرعته فى القراءة التى لا تفوقها سرعة إذ يستطيع أن يتصفح مجلداً ضخماً ويستوعب كل ما يستحق الاستيعاب بسرعة ٢٦٠ صفحة فى الساعة .

إيليا حليم حنا
مدرس أول للغة الإنجليزية والآداب
مدرسة النهضة الوسطى الأبيض ـ سودان

(أسيوط)

الشاعر فى الشارع

للأستاذ أنور لوقا

نشرت « الرسالة » فى أعداد سابقة بعض أقاصيص الأديب الفرنسى ألفونس دوديه . وألفونس دوديه كاتب ساحر ، حلو الحديث ، كبير القلب ، ساذج عميق ، أحبته النفوس على تنافر نزعاتها ، واستعذبته الأذواق على اختلاف مواردها ، والتف به الجمهور على تشعب مذاهبه وتناثر أهدافه ... سحر النساء والشعراء ، وسحر الكافرين بالشعور والضاربين فى طين المادة ، فتن أولئك المحلقين فى الخيال ، وفتن هؤلاء المحدقين فى الواقع ، راق المدنفين بالرقة ، وراع الهاتفين للقوة ، وأطرب الذين يجول الدمع فى عيونهم ، وأشجى الذين لا تفارق البسمات شفاههم ، ومزج فيض الحنان بمرح الفكاهة دائماً ...

كاتب ساحر نظر إلى الشئ الصغير نظرة كبيرة ، وكشف فى الشئ المبتذل ناحية طريفة ، وقرن المعنى القديم بالظاهرة الجديدة ، وصور الحقيقة الملموسة فى وشى من الوهم الجميل ...

وإذا حاولنا أن نقف على منبع هذا « السحر » فى أدبه ، رجعنا إلى شبابه ونشأته .

ليس من العبث أن يبدأ الأديب بالشعر ، ولا الفتى الشاعر يضيع وقته لأنه ينفقه فى الحلم والتأمل .

أو لا ينبغى للكاتب الناشئ أن يعيش فى برج من العاج قبل أن يهبط إلى الأرض ، ويخبط فى زحمة الشارع ؟

يقول الناقد « جول ليتر » فى سياق حديث له عن ألفونس دوديه : إن خير ما نفعله ، حتى نحسن تقدير ما تمج به الدنيا ، هو أن نلم أول الأمر بأطراف من جمال السماء ... وتلك ملاحظة خليقة بأن تسلط الضوء على وجه كاتبنا الساحر من زاوية ممتازة .

ومن هو الشاعر ؟

يجب أن نتفق أولاً على أنه ليس الذى ينظم الأبيات ، كما تظن العامة دائماً .

الشاعر قبل كل شيء — وما أصدق تسميته فى اللغة العربية — كائن مرهف الشعور ، يسره شيء صغير ، ويبكيه شيء صغير ، وتكاد تهتز أوتار حسه من لا شيء ...

إنه يستأنس الأشياء جميعاً ، ويندمج فى وجودها ، ويعيش فيها وتعيش فيه ، فيخفق قلبه إذا أسرعت ، ويهدأ إذا أبطأت ، وتلهث أنفاسه لضيقها وكربتها ، أو ينشرح صدره لبردها وسلامها ، وتصطبغ نفسه بلونها قاتماً كان أو زاهياً .

لكل شيء عنده قيمة شعورية ، وطاقة عاطفية ، ومعنى باطنى ، فهو يعنيه النبض والدبيب لا الحجم والمساحة ، هو يعى ألباب الأشياء وقلوبها قبل أن يعى أشكالها ومظاهرها . ولا يكاد ينظر إلى الصور ، وإنما يستقبل ما تلقى هذه الصور فى نفسه من أحاسيس ... ذلك أن البصيرة عنده أنفذ من البصر ، والوجدان عنده أقوى من العين ، وبهذا يمتاز الشاعر من المصور : ذاك تطغى عليه ملكة الشعور ، وهذا تطغى عليه ملكة الملاحظة .

وحين ينزل الشاعر من عليائه ويلتفت إلى دنيا الواقع ، ثم يتجه نحو سوق المجتمع ، ويريد هناك أن يخالط الناس ، ويتفهم الخلائق ، ويدرس الحياة ، إذن فسيهمل الشئ المبتذل ، والشئ الأجوف ، والشئ الرخيص . سيهمل فى الحياة كل ما هو حشو . سيصغى ويرى ويلمس ، ولكن هيهات أن يعلق بذهنه إلا كل طريف عميق ، ولن يسجل من كل ما يجد حوله إلا الجدير بالتسجيل ، ولن يقدم لنا فى آخر الأمر إلا مشاهد فنية غريبة رائعة استطاعت أن تستأثر بوعيه وتستغرقه استغراق خياله السابق .

وألفونس دوديه بدأ بالأحلام ، وإنا لنقرأ فى الصفحات الأولى من قصة حياته المؤثرة (الشئ الصغير) كيف كان طفلا رقيق العاطفة فى « نيم » ، يقضى نهاره فى حديقة الدار وفناء مصنع النسيج الذى أنشأه أبوه ، متخيلا أنه « روبنسون كروزو » فى جزيرته ، ثم كيف أحزنه فراق تلك الربوع عندما أفلس أبوه وهاجرت العائلة من المدينة . قال : « شهراً كاملا ، بينما كان أهل البيت يحزمون الأمتعة ، كنت أتمشى حزيناً وحيداً فى مصنعى العزيز . لم يكن قلبى لينصرف إلى اللعب فى تلك الأيام كما تقدرون ، لا ، بل رحت أجلس فى كل ركن ، أنظر إلى الأشياء من حولى وأخاطبها كأنى أخاطب أشخاصاً ... وكانت فى أقصى الحديقة شجرة رمان كبيرة قد تفتحت أزهارها الحمراء الجميلة للشمس ، سألتها واحدة من أزهارها فأعطتنى ، ووضعت الزهرة فى صدرى

تذكاراً لها ... لقد كنت بائساً شقياً ... ثم خرجنا ... وكلما ابتعدت قافلتنا من البيت كانت شجرة الرمان تشرئب ما استطاعت فوق جدران الحديقة لتنظر إلينا وتنظر إليها قبل أن تغيب ... وكانت الأشجار الأخرى تلوح لنا بأوراقها وتقرئنا الوداع ... وكنت شديد التأثر أرسل إليهم فى خلسة قبلات حارة على أطراف أناملى » ...

وفى ليون ، يفتقد الصبي شمس « نيم » المشرقة وهواءها الطيب ، فلا يجد إلا سماء قاتمة وضباباً كثيفاً ، ويُلحق بكتاب « سان بيير » ، حيث تستغرق الصلاة والترنيم معظم الوقت ، والدرس أقله ... وفى هذا الجو القابض ، جو البيت المفلس ، وجو المدينة القاتمة الموحشة ، سرعان ما يصبح ألفونس غلاماً عابثاً متمرداً شريراً ، فإذا أدخل المدرسة الابتدائية لم يرعو عن عبثه ، ولم يقتصد من لهوه ، بل مضى يطلق لنفسه العنان فى التخلف والتغيب والهرب ، ليجدف فى نهر السون حيناً ، ويهيم فى الريف حيناً ، ويعرج على المقاهى والحانات بين ذلك ... ولكنه يطلق لنفسه العنان أيضاً فى القراءة والمطالعة ، فيلتهم كتب القصص ودواوين الشعر ، ويعيش فى عالم مسحور بعيد من إبداع خياله ، يهرع إليه ويلوذ به كلما ضاق بالبيت والمدرسة والمدينة ... وفى الخامسة عشرة من عمره بدأ يقرض الشعر ، وأخذ ينشر الأبيات تلو الأبيات فى صحيفة محلية من صحف ليون ، وينضد فى دفتر أنيق مادة ديوان أنيق ...

ولكن الشعر لا يقوت أصحابه ... لا بد من كسب العيش ... ولا بد لهذا الفتى بعينه من الاعتماد على نفسه منذ سن مبكرة ، لأن مالية الأسرة ما زالت مضطربة ... هناك يأتيه نبأ وظيفة خالية ، وظيفة « مشرف » فى مدرسة « إلياس » الثانوية ، دفعته شجاعته إلى طلبها ، وأنعسه حظه بنوالها — كما يقول هو — فقد جرعته سنة مرة من العذاب القاسى فى جحيم تلاميذ خبثاء ، لم يطق بعدها صبراً ، بل انطلق إلى باريس يهلك فى سبيلها فرنكاته المائة التى كان قد ادخرها طيلة العام لمشروع رحلة دبرها طموحه إلى مونبلييه ، حيث أزمع أن يتقدم لامتحان البكالوريا ...

ويحط فى باريس فتى حالم العينين ، صبوح الوجه ، متهدج الصوت ، حيياً كأنه عذراء ... ولا يزال يستلهم الشعر والخيال فى غرفة عالية على سطح منزل فقير ، حتى يتصل — لنشر ديوانه — بصغار الأدباء والفنانين فى مجالسهم وحاناتهم ... إذ ذاك يرى ويلمس واقعاً من الحياة ساحراً نابضاً غريباً ، حافلاً بروائع كالتى أنسها فى أحلامه .. وها هوذا يقبل على تلك الحياة « البوهيمية » إقبال الظامئ على شراب عذب ، يعب ولكنه يتذوق ، ويرتوى ولكنه يستمتع ويتلذذ ... ويخرج يتسكع على أرصفة باريس ، ويضرب فى أحيائها ، ويغشى جميع أوساطها ، وينغمر فى عبابها المصطخب ، وحواسه المتفتحة المرهفة دائماً تتصيد الأطياف الخفية ، وتسجل الصور الظاهرة ، وتلتقط من الدقائق ما يغيب عن أعين الباريسيين التى اعتادت النظر وأعين المحترفين التى كلت من التحديق .

هناك وجد الشاعر بين يديه ما يجذب بصره الذى كان شارداً إلى الأفق البعيد ، وجد ما يسترعى حواسه كلها ، أشياء جديرة بأن ينظر إليها ويتأملها ويطيل تأملها والنظر إليها ، أشياء طريفة لاحظها وعلمته كيف يلاحظها ، أو لعلها أشياء عادية مبتذلة يهملها سواد الناس ولكن ملكات الشاعر فيه قد تنبهت إلى روعتها وطرافتها وامتيازها . ومن هنا كادت صور باريس ومفاتنها ومآسيها أن تصبح مادة جميع قصصه فيما بعد ، ومادة « أقاصيص يوم الاثنين » بوجه خاص .

ليس إذن أفضل للكاتب الذى يريد رسم طبيعة الحياة من أن يحظى ، قبل أن يخوض غمارها ، بخيال خصب وشعور خصب . ونحن نحس اليوم أن نفس ألفونس دوديه التى حرمت هناء الطفولة وأفراح الصبا ، فباتت تنشد السعادة والحنان أحلاماً عريضة يبسطها لها الأمل ويوشيها الخيال ويحدوها الشعر ، ما زالت ترفرف على أقاصيصه ، تضيف إلى دقة النظرة هزة التأثر ، وتؤلف من جزئيات الواقع وتفاصيل الحياة المتناثرة هنا وهناك صوراً فريدة صادقة ، لا يدخل فى نظمها من صنعة إلا سحر الاختيار الساذج ، ولكنها لا تحتاج إلى أكثر من ذلك لكى تثير فينا هذا الشعور الغزير بتدفق الخيال الترق من صميم الواقع والملموس ...

ولقد كان دوديه يعى عن نفسه هذا كله ، ويرى فى الشعار الذى اتخذه جوته — « الحقيقة والشعر » — حكمة غنية تشمل الحياة الإنسانية بأسرها .

أنور لوقا

مدرس منتدب بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

سحابة صيف

للأستاذ ثروت أباظة

على شاطىء البحر أرسل فيه ناظرى فينطلق لا يسوقه إلا الأفق البعيد ... تتهادى منه إلى الشاطىء موجات كل منها تتزين لملاقاة هذا الشاطىء بلون يختلف عما اتخذته صاحبتها ، وإذا هى مرتمية عليه فى إلحاح العاشق المشوق حاملة معها نسيماً يشتد حيناً ويلين أحياناً ... يشتد فالشوق عارم ، ويخفت فالشوق خفيف ... والشاطىء رابض يستقبل كل ما يرد ، لا تلمح عليه من التغير غير بعض الماء يعلوه من أثر الخجل ، ثم لا تلبث الرمال الظامئة أن تبتلع هذا الماء إلى غير رجعة وفى غير اكتفاء ... والناس بين ذهاب وأوبة منهم من يولى الموجات نظاره واهتمامه ، ومنهم من شغلته حوريات أخرى ، فهو غير حافل بشىء مما يدور حوله من غزل يرق ويحتدم ... ومن الناس من اقتحم على الموجات غزلها فافسد من زينتها وعاق من شوقها ... قاسياً عاتياً ... وهل كان الإنسان إلا كذلك ... فما الذى ساق صاحبى وأنا فى هدأتى هذه يقطعها على قائلا فى صوت أجش:

— سلام عليك !

— بسم الله الرحمن الرحيم ... لا أنزل الله عليك السلام أبداً ... من أين خرجت ؟

— أعوذ بالله ! أهذا لقاء ؟

— فليكن وداعاً

— خيراً ، ماذا بك ! ؟

— ليس بى غيرك ، فاجلس صامتاً أو انصرف مشكوراً.

— آه ... آسف ، لقد قطعت عليك خيالك ... آسف يا حضرة ...

لا فائدة إذن ، لقد آلمه لقائى فأراد أن يرده سخرية ، وحسبى الله ... لابد أن أقطع السخرية بمثلها واجعل الحديث كله مزاحاً ... ليجلس ... والبحر لن يغيض ، والشاطىء لن يفر ، والقسوة فى الناس لن تزول : —

— لا ... لا تأسف فهكذا أنت والله ... بل أنك عادة أكثر جوداً منك الساعة ، فها أنت ذا نحس فتأسف وما كنت فى يوم ذا إحساس ، إجلس ... وتكلم ...

— أذنت لى ... أى تنازل ... كيف حالك وما حال الصيف معك ؟

— أما حالى فالله محمود على كل شىء ؛ وأما الصيف فلا أدرى لماذا يمر بطيئاً . يخيل إلى أنه لن يزول ... أنا لا ألتذ شيئاً هنا ولا يسرنى غير وحدتى ؛ وما كنت فى يوم محباً للوحدة ... ولكننى أجدها أقل سوءاً من غيرها .

— سحابة من ملل الصيف تزول إن شاء الله .

— وأنت ... ؟

— أنا ماذا ؟

— متى تزول ؟

— أعوذ بالله ماذا جرى لك ؟ لقد أصبحت طويل اللسان إلى حد لا يطاق .

— أراك تطيقه

— فتى أراك ؟

— أمر عليك

— فأنت لا تريد أن ترانى ... ماذا بك ... لن أنصرف أو أحرف .

— لقد أحسنت التهديد ... مللت من قلة العمل والاسترخاء ، وكسلت عن العمل فى ذاته فاصبح حالى مزيجاً عجيباً من عمل أمامى أكسل عنه ، وملل من هذا الكسل ، وقعود عن إزالة هذا الملل

— كنودٌ ذلك الإنسان ... لقد رأيتك والعمل يتكاثف عليك فتناشد الله العون وترجو منه أن يسوق إليك الصيف يرفع عنك حملك ... وأجاب سبحانه الدعاء ، وأزال عنك كدرك وساق إليك الصيف فإذا أنت تستقبله فى هذا الفتور العابس وذلك الملل المصطنع .

— مرض ...

— أنت طبيبه ... إن نفسك هى أضرى أعدائك لخاربها ... تضع أمامك المسالك المسدودة وهى قديرة أن تفتحها لك ، وأنت قدير ... مر نفسك تطعك ، وامنعها أن تمل تمرح ، وازجرها أن تموج بك تستقم لك الحياة

أيهــا القمـــر

للشاعر الايطالى (جاكو موليبو باردى)

ترجمة الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

(صحب الشاعر فى إحدى رحلاته أحد الرعاة فأوحت إليه هذه الصحبة روائع من الشعر . هذه القصيدة إحداها . ويعد شعره نموذجاً للابداع والرقة والرشاقة الجذابة والعواطف المتأججة ، ولم يكن شاعراً فحسب ، بل كان عالماً فاضلا متقناً لعدة لغات (العبرية واللاتينية والأسبانية وغيرها) وقد ولد فى ١٨٩٨ بمدينة (ريكانتى) ومات فى نابولى ١٩٣٩ م) .

... أيها القمر ما عملك فى السماء ؟ خبرنى ماذا تعمل أيها الوحيد الصامت ؟ إنك تظهر ليلا وتسير مشاهداً البوادى ثم تختفى أما حل بك التعب من مرورك دوماً فى هذا الفضاء الخالد ؟ ألم يعترك الضجر والملل ؟ ألا زلت ترغب فى مشاهدة هـذه الوديان ؟

ما أشبه حياة الرعاة بحياتك ! إنهم يستيقظون فى تباشير السحر يسوقون أغنامهم إلى الحقول ، فيرون أمامهم قطعاناً ومروجاً واسعة وعيوناً نابعة ... فإذا ما حل بهم التعب من الطواف طول النهار ، ناموا فى المساء ولا أمل لهم غير الراحة .

أيها البدر ! خبرنى ماذا ينفع العيش وماذا تجدى الحياة ؟

ليت شعرى ما الفائدة من عبورنا السريع لهـذه الحياة ، وما الغرض من مسيرك المتواصل دائماً ؟

ها أنت ذا ترى الواحد من الرعاة شيخاً مسكيناً مموهاً يكاد ثوبه البالى لا يستر بعض جسمه ، حافى القدمين ، مشعث الشعر ، يحمل على عاتقه عبئاً ثقيلا لا يفارقه ... فهو تارة يتسلق الجبال العالية وطوراً تسوخ قدماه فى الرمال ، يخترق الخمائل الملتفة ويسير فى العواصف الهوجاء ، يقاسى قر البرد وهجير الحر ، يواصل جريه فلا يعوقه مستنقع يخوضه ولا صخرة يتسلقها . تراه يـكبو ثم ينهض فيسرع فى جريه دون توقف ليستريح ولو تمزق جسمه وانبثقت منـه الدماء إلى أن يبلغ نهاية الطريق التى حددها له النصب والعناء ، وهناك تتلقفه هاوية سحيقة يهوى فيها ، فينسى كل ما لقيه من هم وبلاء . هذا مثل الحياة الفانية أيها البدر المنير

أيها المتفرد فى عليائه ؛ يولد الإنسان بالتعب والعناء ، فيكون عرضة للمرض ، ثم طعمة للموت . يحس أول حياته الألم والشقاء ، فيبدأ أبواه يعزيانه عن ميلاده من يوم أن يوجد فى المهد ، فإذا نمـا وترعرع شرعا فى مساعدته حتى يـكبر ، فيبذلان جهدهما فى إعداده لما ينتظره من هموم الحياة ، بالأقوال والأفعال ، فإذا أصبح رجلا زكاه ليحمل نصيبه من أعباء الحياة .

أخبرنى لماذا نولد ونوهب الحياة مادمنا سنسلبُها ؟ وما دام الوجود هما وشقاء فلماذا نعمل على تقوية دعائمه ؟ هذه حالنا نحن الفانين . . .

أما أنت أيها القمر فلست عرضة للموت ، لذلك لا تحفل بما أفضيت لك به :

أيها السارى فى الليل ! ربما تعلم سر الحياة وسر ما ينتابنا من آلام وما نذرف من دموع . ربما تعرف سر الموت ، وشدة شحوب ألوان وجوهنا عندما تودع الحياة ، والحزن الذى يلم بنا عند مفارقة خلان أوفياء ومحبين أمناء .

إنك لتعلم علة الأشياء وتعرف فائدة الصباح والمساء ومسير الزمن الذى لا نهاية له .

أنت الذى تدرك سر تبسم الزهر فى الربيع وذبوله فى الخريف ،

— خطيب بارع ...

— لا فائدة منك اليوم . أنا آت إليك غداً ، وسوف أصحب معى رفقه ترتاح إليهم ، ولأحارب أنا نفسك ما دمت تضعف عنها ، سلام عليك .

— سلام !

ومضى وسيأتى غداً . . كم كنت فظاً معه ! ولـكنه الحبيب الذى لا يكلفنى اصطناعاً فى إظهار عواطفى ، فهو يقبلها كما أبديها ، وأبديها كما أحسها . . كم أحبه وكم تحمل ! . على أية حال إنه غداً آت وما أظنـه إلا متغلباً على نفسى ... نعم إنها كما قال ... سحابة صيف .

ثروت أباظه

وما فائدة الصيف المحرق والشتاء القارس . إنك تعرف آلافاً من الأسرار وتكشف فيها عن أشياء لا تخطر لنا على بال .

... إننى حينما أراك صامتاً محلقاً فوق السهول المقفرة والجبال العالية ، وكلما أراك تتبعنى أينما سرت خطوة خطوة ، وكلما نظرت الكواكب تتلألأ فى السماء ، أقول وأنا سابح فى بحار من التفكير لم هذا الضوء الساطع والنور الكثير ؟ وما معنى هذه الوحدة المظيمة ! ومن أكون أنا ؟

هذا ما يجول فيه فكرى ... أما المقام العظيم الذى لا تقاس مدته ، والكائنات التى اختلفت أنواعها وتعددت فضائلها ... والنشاط المستمر والحركات المتعددة التى تصدر عن الأجرام السماوية والأجسام الأرضية ، تدور بغير توقف وتسير بلا انقطاع ثم إلى مصدرها الأول ، فلا أستطيع أن أفهم أى غرض لها ، ولا أية فائدة تقوم بها .

أما أنت أيها المختال بشبابه ، المدل بجماله ، فإنك لا تجهل منها شيئاً . وأما أنا فجل ما يصل إليه علمى ، أن هذه الحركة المستمرة والدوران الدائم ووجدى الواهى ، ربما كان فيهما خير أو إرضاء شىء آخر ، ولكن حياتى كلها شقاء وشر

* * *

ما أسعدك أيتها الشياه فأنت سعيدة مستريحة ، لأنك لا تعرفين البؤس والشقاء ، ولا تحسين لذع الهموم والأحزان . وكثيراً ما نظرت إليك بعين الحسد ، كلما نزلت بى الهموم والأحزان ، لأنك لست عرضة لها .

إنك حينما تضطجعين تحت ظل الأشجار فوق العشب الأخضر النامى تكونين مطمئنة مسرورة ، تقضين معظم أيام حياتك خلية البال مرتاحة الفكر .

إننى أنام كما تنامين تحت الأفياء وفوق الكلأ ، ولكن لا يلبث الضيق أن يغمر نفسى ، ويخيل إلى أن أشواكا تخزنى وإبراً تغرز فى جسمى ، وأكون وأنا على هذه الحال بعيداً عن الراحة والدعة .

أما أنت فسعيدة على كل حال . وأنا قليل السرور وليس هذا كل ما أشكوه .

آه أيها الصامت إلى الأبد ! لوأنك تستطيع النطق لسألتك :

لم تستريح كل بهيمة كيفما تربد فى حالة السكون ، بينما أنا يكاد يقتلنى الضيق والسأم كلما ركنت إلى الراحة والهدوء .

آه أيها القمر الزاهر ! لو كان لى جناحان فأحلق بهما فوق السحاب وأعد النجوم واحدة واحدة والكواكب كوكباً كوكباً، وأطوف من ذروة لأخرى ، لكنت أسعد حظاً وأهنأ بالا أيها الكوكب الفضى .

وربما كنت أنعم بالحياة وأسعد بالعيش مما أنا فيه .

إن عقلى يكاد يضل كلما حاولت النظر فى حظوظ الكائنات .

إنه يخيل إلى أن يوم الميلاد يوم مشئوم لكل مخلوق من المخلوقات مهما كانت فصيلته التى ينتسب إليها والحالة التى يكون عليها سواء أكانت فى المهود أم فى الزرائب .

فهل جانبنى الصواب أيها الساحر على تعاقب الأجيال .

(أسيوط) **عبد الموجود عبد الحافظ**

من الأعمـــاق ...

للآنسة الفاضلة (المطوقة)

سرت وحدى فى غربة العمر، فى التيه المعمى، تيه الحياة السحيق
لا أرى غاية لسيرى ولا أبصر قصـــداً يوفى إليه طريق
ملل فى صميم روحى ينساب، وفيض من الظـــلام الدفوق
وأنا فى توحشى، تنفض الحيرة حولى أشـــباح رعب محيق

سرت وحدى فى التيه، لا قلب يهتز صدى خفقه بقلبى الوحيد
سرت وحدى، لا وقع خطو سوى خطوى على المجهل المخوف البعيد
لا رفيق، لا صاحب، لا دليل غير يأسى ووحدتى وشرودى
وجمود الحيـاة يضفى على عمرى ظلّ الفناء، ظلّ الهمود ...

والتقينا ... لم أدر أى قوى ساقتكَ حتى عبرت درب حياتى!
كيف كان اللقاء؟ من ذا هدى خطوك؟ كيف انبعثت فى طرقاتى؟
لست أدرى، لكن رأيتك روحاً يوقظ الشوق فى مسارب ذاتى
ويذرّى الرمادَ عن روحى الخابى، ويذكى نارى، ويحيى مواتى ...

حدقت مقلتاك فىّ، وآلاى يغشّى ضـــبابها مقلتيّه
لست أدرى ما استجلتاه ولا ما رأتا خلف وحـــدتى الأبديه ...
غير أنى أبصرت روحك تهتز انعطـــافاً، فى رقة علويه
وهنا خلتنى شـــعرت بروح الله رفت من السماء عليّه!

يا لعينيك! أى نفضة بعث أوجـدتها عيناك فى أعماق
فإذا بالحيـــاة عارمة النبض بفيض الحنين ... بالأشواق ...
وإذا بالجمال يعكس ألوان رؤاه على مـــدى آفاق
وإذا بى فى ظـل حب عظيم معجز السحر، مبدع، خلاق

نظرة فتحت لقلبى أبواب السموات والجنـــان العليه!
وجلت لى أفقاً يموج به الوحى وتستعلن الرؤى القدسيه ...
فيه سحر الألوان، فيه صدى الألحان، فيه منابع الشاعريه!
نظرة خلف عمقها رحت أستشرف عمق الخلود والأبديه!

ومضت بى الأيام، لا أنا صرّحتُ، ولا لهفتى الحبيبةُ تبدو
كم وكم راح يحتوينا مكان وأنا صبوة توارت ... ووجد ...
كم حديث حدثتنى، كم قصيد هز روحى وأنت تروى وتشدو
وبقلبى السعيد شىء كمنف الموج، يطغى تياره ويمدّ!

ومضت بى الأيام، والزمن العجلان يجرى كالهارب المجنون
وسكونى ما انفك يرخى سـدولاً فوق رعشات قلبى المفتون
وتلفّتُّ بغتـــة، وبعمق نشوة السحر والهوى والفتون
وإذا قلـــبى الرنم أشـــلاء على راحة الوداع الحزين!

وافترقنا، وملء نفسى — لو تدرى — أحاسيس هائمات حيارى
وهواى المكبوت يجهش فى صمت، وتهمى دموعه أشعارا
كم شجانى وداعك المرّ، كم ساءلت قلبى الممزق المستطارا
كيف كان الفراق؟ كيف ازوى وجهك عنى فى لحظة وتوارى؟

وافترقنا، وبين كفىّ رسم لم يزل كل زاد روحى المتيم
كم تلمستُ عمق عينيك فيه وبعيـــنىّ أدمع تتضرم
يا لقلبى، كم راح بين يديه يهتك الحجب عن هواه المكتم
أصغ، تسمع عبر الصحارى صداه يترامى إليك شعراً مرنم ...

(المطوقة)

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

إلى الأديب اللبنانى الصديق سهيل إدريس :

سألتنى أن أطالعك برأيى فى قصتك اللبنانية الطويلة « سراب » ، وتفضلت فبعثت إلىّ بعشرة أعداد من « بيروت المساء » فى كل عدد منها فصل من فصول القصة ، وهأنذا أطالعك بهذا الرأى على صفحات « الرسالة » بعد أن فرغت من قراءة فصلك الأخير ، ذلك الفصل الرائع اللائع الذى هزّ فى عينىّ قطرات الدموع !

إذا قلت لك إنك قد بلغت غاية التوفيق فثق أننى لا أجاملك ، وإذا قلت لك إننى أود أن أشد على يديك مهنئاً فثق مرة أخرى أننى لا أجاملك ! وأظنك تعلم حق العلم أننى ما جاملتك قط ، أنت بالذات ، بل لعلى كنت أقسو عليك أحياناً حتى لا أترك فى نفس قارئ أثراً للشبهات ولا موضعاً للظنون !

ولقد قلت لنفسى بعد أن فرغت من قراءة قصتك : ترى أى صدى خلفته هذه القصة بين جوانح القراء والأدباء فى لبنان ؟

أما القراء ، فأنا أعلم أنهم يعجبون بك ويعطفون عليك ، وأما الأدباء ، فلهم معك شأن آخر ؛ شأن أبرز سماته الحقد الذى يدفع إلى الظلم ، وملء الطريق بالحجارة لتتعثر أقدام الناجحين !

هذا هو الشعور الذى كان يخالجنى كلما خطوتَ إلى الأمام خطوة ، شعور بعطف القراء وحقد الأدباء ... هذا الحقد الذى كنت ألمسه كلما ظهرت لك مجموعة قصصية جديدة . لقد كان إخوانك فى لبنان يحرصون دائماً على أن يقدموك إلى الناس فى كفة تغلب فيها السيئات على الحسنات ، بل لعلهم لم يشيروا إلى حسناتك إلا فى القليل النادر ، ومع ذلك يقال عنهم إنهم حملة الأقلام وأصحاب الميزان ! وأشهد أنك كنت تلقى ظالميك دائماً وعلى شفتيك ابتسامة ، وعلى قسمات وجهك آيات من الصبر الجميل ... وتشهد رسائلى إليك أننى كنت ألومك أعنف اللوم على هذا المسلك الذى كان يثيرنى منك ، ذلك لأن أكثر الناس لا يفهمون ولا يدركون ... لا يفهمون سر الابتسامة على أنه من أثر الثقة بالنفس ، ولا يدركون أن الصبر الجميل مصدره الإيمان بالمستقبل ! وكم قلت لك إن بين يديك قلماً يستطيع أن يرد الطعنة طعنات ، وأن يدرأ عن صاحبه تلك الحملات الظالمة التى لا تستند إلى شرعة من إنصاف ولا إلى مسكة من ضمير ، فلم لا ترفع معول الهدم لتهوى به على الأصنام ، ولم لا تشق طريقك على أشلاء الجثث المحنطة فى توابيت الأدب ؟ !

وتزداد أنت صمتاً وأزداد أنا ثورة ، لأننى أريد لك ولكل إنسان ناجح أن يتخذ شعاره من هذه الكلمات التى نطق بها نيتشه : « حطم كل مأفون يعترض طريقك » !

ومع ذلك ، فقد مضيت فى طريقك لا تكاد تصغى إلى هذا الصوت الثائر الذى يهيب بك أن تلقى العنف بالعنف ، ولا إلى تلك الصيحات المنكرة التى كانت تتجاوب من حولك كلما قطعت مرحلة من مراحل الطريق ... لقد كانت البسمة على شفتيك وليدة الثقة ، وكان الصبر بين جنبيك ضريبة الإيمان ! وبهذين السلاحين النادرين استطعت أن تبلغ الغاية التى كنت أرجوها لك ... صدقنى إن الدموع التى اضطربت فى قلبى قبل أن تندفع إلى عينىّ ، كانت صدى صادقاً لهذا الفصل الرائع الذى ختمت به « سراب » ، وكانت — فوق ذلك — انعكاساً مباشراً لتلك الأضواء التى غمرت جوانب نفسى وأنا أراك تجنى ثمار الصبر والجهد والأيام المضنية !

لقد كنت آخذ عليك أحياناً ضعف النبض المنبثق من قلب الحياة خفاقاً على صفحات فنك ، وكنت آخذ عليك أحياناً أخرى عدم العناية بوضع التصميم الفنى الكامل قبل رص اللبنات الأولى فى بناء القصة ... وكأنك كنت تحشد تجاربك كلها وتشحذ أسلحتك كلها لهذه المعركة الفنية التى انتصرت فيها على وخزات النقد ، وإذا « سراب » قصة تصور فى جلاء مراحل هذه المعركة قبل أن تصور فى صدق حياة الجيل فى لبنان ... قصة تروى لقرائها قصة أخرى ، خير ما فيها أنك قد رسمت خط الاتجاه التفكيرى فى صبر وأناة ، فبدوت ثابت القدم إلى حد بعيد ... هذه واحدة ، أما الثانية ، فهى إكمال التصميم الفنى قبل الشروع فى البناء ،

ومن هنا ظهرت كل طبقة من طبقات القصة وهى فى مكانها الذى حددته المقاييس ، وتبقى بعد ذلك هذه الإنسانية التى تترجم فى صدق عن لغة الشعور ، وتلك الواقعية التى تنقل فى أمانة عن لغة الحياة !

ولقد كنت أود أن أقدم للقراء تلخيصاً كاملا لقصتك ولكننى عدت أخيراً فأحجمت ... أحجمت لأن التلخيص سيظلم «سراب» الطويلة كل الظلم ، وأنا لا أحب أن أظلم هذه القصة التى يجب أن تقرأ كاملة . هناك الأفق الذى رحب ، وهناك القلب الذى وجب ، وهناك رفات الجناح المحلق فى سماء جديدة ، وكل تلك القيم يجنى عليها التلخيص العابر والعرض السريع !

يا صديقى ، حسبك هذه الكلمات رأياً فيك وفى قصتك .. ويشهد الله أنها كلمات تمليها نزاهة النقد لا عاطفة الصداقة !!

مسرحية « الملك أوديب » بين الكتاب والمسرح :

... ...

قرأت تعقيبك حول الملاحظات التى توجهت بها إليك على على صفحات « الرسالة » من كتاب « الملك أوديب » لتوفيق الحكيم. وقد أعجبنى منطقك حقاً ، وأشهد أنه كان فى منتهى الروعة والدقة ، وإذا كان هناك أى خلاف بينى وبينك حول بعض النقاط ، فأحسب أنه يقتصر على التفاصيل والجزئيات فحسب . وقبل أن نوصد باب الحديث فى هذا الموضوع وددت أن أحتكم إليك فى مسألة جديدة هامة حول مسرحية أوديب . فقد لفت نظرى فى مسرحية « أوديب ملكا » لسوفوكليس أمر هام ، إذ لاحظت أنه فى الموضع الذى تخنق فيه الملكة جوكاستا نفسها ويطعن أوديب عينيه ، لا يصور المؤلف المشهد مباشرة ولا ينقلنا إلى المكان الذى حدثت فيه الفاجعة ، وإنما يسرد لنا خبرها وتفاصيلها على لسان خادم . وقد اتبع أندريه جيد نفس الطريقة فى معالجة المشهد المذكور وكذلك فعل توفيق الحكيم . ومعنى هذا أنه لو مثلت هذه المسرحية على المسرح فإن المتفرج لن يرى الملكة جوكاستا معلقة من رقبتها بالحبل ولن يرى أوديب يفقأ عينيه بالمشابك الذهبية ، وإنما يرى أمامه شخصاً واحداً استبد به الجزع فوقف يسرد تفاصيل الفاجعة . وأحسب أن هذه الخطوة تخل بالمأساة إلى حد بعيد ، وتنقص من قيمتها بدرجة محسوسة ، لأن ثمة فرقاً كبيراً بين عرض المشهد مباشرة على المتفرج وبين تصويره له عن طريق الرواية والسرد . وهذا الفرق يتعاظم دون شك إذا كان المشهد المقصود من أدق وأبرز مشاهد المسرحية كما هى الحال فى مسرحية أوديب .

لهذا فقد شككت كثيراً فى أن يكون جان كوكتو قد انتهج فى معالجته لهذا المشهد فى « الآلة الجهنمية » نفس المسلك الذى انتهجه أقرانه المشار إليهم فيما سلف من كلام . ومبعث الشك هو كون جان كوكتو فناناً مسرحيا خبر المسرح عن قرب ودرس مطالبيه ومطاليب رواده وألم من قريب بكل ما من شأنه أن يهيء للمسرحية النجاح أو يكتب لها الإخفاق . وبدافع هذا الشعور تحققت حاجتى إلى قراءة كتاب كوكتو عن أوديب ، ولكن الظروف لم تهيء لى ذلك ، ولم تيسر لى الحصول على نسخة من الكتاب فى لغته الأصلية . ولذا فقد جئت أسألك عن هذه النقطة آملا أن تغنينى إجابتك عن قراءة النص . وأرجو ألا تحرمنا بعد ذلك من تعقيبك حول هذه الملاحظة ، فيما إذا كنت تقرنى على رأيى أو تخالفنى فيه .

ولك جزيل شكرى وخالص امتنانى ووافر مودتى وتقديرى .

(بغداد) **فؤاد الونداوى**
ليسانسيه فى الحقوق

مرة أخرى يؤسفنى أن أختلف مع الصديق العراقى الفاضل فى هذه الملاحظة التى أبداها وفى ذلك الرأى الذى نادى به ... إن هؤلاء الكتاب المسرحيين الذين أشار إليهم قد نظروا إلى طبيعة المسرح وإمكانياته المادية ، حين خطر لهم ألا يعرضوا على النظارة ذلك المشهد الذى يرى الأستاذ الونداوى فى إغفال عرضه إخلالا بالمأساة وغضا من قيمتها التمثيلية ! الواقع أنه لا إخلال هناك ولا إفساد ، ما دام سير الحوادث فى المسرحية قد هيأ أذهان النظارة لوقوع الفاجعة وتلقى خبرها على لسان شخص من الشخوص ... ثم إن هناك لوناً من الاستحالة المادية فى إظهار الملكة جوكاست على المسرح وهى معلقة من

رقبتها بحبل وكذلك الملك أوديب وقد طعن عينيه بالمشابك الذهبية ، ذلك لأننا إذا أقدمنا على إخراج هذا المشهد كما يريد له الأستاذ الونداوى أن يكون ، لا نقلب الأمر من عالم التمثيل إلى عالم الواقع ، ولتحول من دنيا الخيال إلى دنيا الحقيقة . . أى أننا لو فرضنا على إحدى الممثلات أن تقوم بدور الملكة جوكاست ووضعنا الحبل حول عنقها ثم تركناها تتأرجح على المسرح ، فمعنى هذا أن الانتحار الذى نريده تمثيلاً يصبح آخر الأمر وهو حقيقة ماثلة ! .

هذه الاستحالة المادية فى إبراز مشهد الانتحار بالنسبة إلى الملكة جوكاست تتكرر مرة أخرى بالنسبة إلى الملك أوديب ... إن أى مخرج مسرحى لا يستطيع أبداً أن يعرض على النظارة منظراً رهيباً يتمثل فى رجل يفقأ عينيه بالمشابك الذهبية حتى لتتدحرج حدقتاه على خديه وسط فيض من الدماء ! استحالة مادية تقف فى وجه المخرج والممثل وتضيق بها طبيعة المسرح قبل أن يضيق بها شعور النظارة على التحقيق ... ولكن هذه الاستحالة يمكن التغلب عليها بسهولة إذا ما نقلنا القصة من خشبة المسرح إلى شاشة السينما ، لأن هناك من الحيل السينمائية ما يستطاع التغلب به على شتى المواقف والعقبات !

أما الكاتب المسرحى الفرنسى جان كوكتو فقد سار على نفس النهج فى « الآلة الجهنمية » مع العلم بأنه هو الذى يشرف على إخراج مسرحياته ، وليس من شك فى أن كوكتو مخرج مسرحى ممتاز يدرك طبيعة العمل المسرحى ومدى التفاوت بين حاضره وماضيه ، من ناحية القيم الفنية والتمثيلية .

هذا وللأستاذ الونداوى خالص الشكر على صادق تقديره وكريم مودته .

بعض الرسائل من حقيبة البريد :

هذه رسالة طريفة من الآنسة الفاضلة سعاد عبد الهادى بالقناطر الخيرية ، تستشيرنى فيها حول أمر يقلقها قليلاً كل مساء ، أما هذا الأمر فهو أنها كثيراً ما تقف وهى عائدة إلى البيت أمام واجهة إحدى المكتبات ، حيث يطالعها فى كل مرة كتاب يجذبها إليه اسمه وينفرها منه اسمه أيضاً ، وهو كتاب « صور من العشق » ... وتسألنى الآنسة الفاضلة : هل تقدم على شراء هذا الكتاب ؟ وهل مما يليق أن تقرأ فتاة كتاباً عن العشق ؟ « إن كلمة العشق رغم لذتها وظرفها فإنها أيضاً تخيف وتخجل وتضايق » ! إن ردى على الآنسة هو أنه لا بأس أبداً من قراءة هذا الكتاب لأنه كتاب يتحدث عن ألوان من الحب استخلصها المؤلف من زوايا التاريخ ، ومهما يكن من شىء فإن الفتاة التى تجد الشجاعة على أن تصف الحب بأنه لذيذ وظريف ، هذه الفتاة يمكنها أيضاً أن تجد الشجاعة على أن تقرأ كتاباً من هذا الطراز !! ... أما الرسالة الثانية فمن « بغداد — العراق » أشكر لمرسلها الأديب الفاضل عبد الله نيازى بمديرية التسوية العامة رقيق تهنئته ، وأجيبه بأنه يؤسفنى جد الأسف أن كتاب « نهاية حب » الذى تفضل بإرساله إلى قد وقع فى يد غير يدى على التحقيق ! وهذه رسالة ثالثة من « بغداد — العراق » أيضاً تحمل إلى من كريم التقدير ما يستحق خالص امتنانى لمرسلها الأديب الفاضل عبدالوهاب البياتى ، أما المسألة التى أشار إليها فهى موضع عنايتى . ورسالة رابعة من الشاعر الفاضل جعفر عثمان موسى « كوستى — السودان » تحوى بضعة أسئلة حول فن القصة وفنون أخرى ، كما تحوى عتاباً رقيقاً على سؤال قديم شغلت عن الإجابة عنه ، الواقع أن كثرة شواغلى قد ألهتنى عن هذا الصديق الذى سأكتب إليه رسالة خاصة تصله بعد أيام . ورسالة خامسة من « مدنى — السودان » أيضاً يطلب إلى فيها مرسلها الفاضل ع . عبد الله أن أكتب مرة أخرى عن الشيوعية البغيضة التى « يحاول المتشبثون بأهدابها تسفيه النصوص والآراء الدينية نابذين فى سبيل منطقهم المتهافت كل منطق قويم وكل برهان قاطع وكل حجة دامغة ، وأى منطق متهافت هذا الذى يتحدى القرآن » ؟! ... إننى أشكر للأديب الفاضل هذا الشعور الصادق نحو المبادىء الهدامة ، وأعده بالكتابة فى هذا المجال كلما حانت الفرصة . وتبقى بعد ذلك بضع رسائل سأشير إليها فى العدد القادم إن شاء الله .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

شاعر يثور على الطبيعة :

لكثير من الكتاب والشعراء — في القديم وفي الحديث — ولع بمشاهد الطبيعة والسكون إليها والتغني بجمالها ، حتى لقد صار ذلك تقليداً متبعاً يجرى عليه الناشئون في الأدب والمتطلعون إلى قرض الشعر ، تراهم يقصدون إليها ويسرحون الطرف في مغانيها ، عسى أن تزف إلى قرائحهم بنات الأدب والفن .

وقد قرأنا كثيراً من القصائد والقطع الجيدة في وصف مناظر الطبيعة والتفنن في التعبير عن جمالها ، وقد أوحت بها إلى أصحابها تأملاتهم تلك المناظر وسبحات أفكارهم في جوها ، ولعل هـذا النوع من الأدب أقل أنواعه رواجا في عصرنا هذا الذي يفضل الخوض في مسائل الحياة والتحدث عن الحقائق الإنسانية وتحليلها . فالأديب يذهب إلى الحدائق والشواطىء ليأخذ قسطه من الاستجمام والترويح عن النفس وصحة الجسم ، كأى إنسان آخر ، ثم هو مطلق الحرية في أن يأخذ موضوعه من أى مكان شاء ، لا يتقيد إلا بما يثير عقله وإحساسه من صور الحياة وشؤون الناس .

أثارت تلك الخواطر بنفسي ، قصيدة نشرت بالأهرام للاستاذ محمد مفيد الشوباشي ، عنوانها « شاطىء بلطيم » ذهب بهـا في الحديث عن هذا الشاطىء مذهباً إنسانيا طريفاً يعاكس مذهب شعراء الطبيعة المفتونين بها ، فهو لم يسكت عنها ويعدل إلى غيرها ، بل إنه استنكر السكون والروعة والجلال وما إلى ذلك من الأوصاف التي تجذب أولئك الشعراء إلى أماكنهم المحببة إليهم ، فلم يرقه شيء من ذلك بل شعر بالوحشة والملل فيها ، قال :

على الشاطىء المهجور قضيت حقبة ... من الدهر محزون الفؤاد وحيـدا

يباب خلا من كل أنس وبهجة ... يمر به الدهر الممل وئيدا

تمر به الأيام جرداء مثـــله ... فلست ترى فيما تراه جـديدا

ويمضى على هـذا النحو في التبرم بتلك الأماكن المقفرة ، حتى يقول :

حننت إلى الإنسان في خلواتها ... وإن كان شيطان الخصال مريدا

ألا ليتنى ألقى عدوى فارتمى ... على صدره سهل القياد سعيدا

فلم يعد الليـل الرتيب يشوقنى ... ولا البدر وضاح الجبين فريدا

ولا الريح تشدو ولا الموج راقصا ... ولا الشطر منداح الرمال مديدا

حننت إلى شـط يموج بأهله ... ترى فيه حفل الغانيات نضيدا

والذى استرعى انتباهى في هذا الشعر وأطربنى منه ، قيمة هذه المشاعر والصدق في التعبير عنها ، فالشاعر يضيق بالليل والبدر والموج ، ويحن إلى الإنسان مهما كان ، ويشتاق إلى لقاء عدوه ليرتمى على صدره ... لأنه إنسان !

هل يباح التعليم الجامعي لكل من يطلبه ؟ :

جاء في « كشكول الأسبوع » الماضي أن البحث في المؤتمر الثقافي العربي القادم سيدور على مسألتين ، إحداهما : هل من الخير للدول العربية أن تبيح التعليم الجامعي لكل من يطلبه أو تقتصر على قبول المتفوقين . والموضوع حقيق بالنظر . نحن الآن نقبل في التعليم الجامعي كل من يطلبونه تقريباً ، وهم كثيرون لا يرد منهم إلا القليل ، حتى ازدحمت الجـامعة ، وتعذر إشراف الأساتذة والمدرسين على العدد الكبير من الطلبة ، وتعذر قيام الملاقاة المرجوة بين الطالب والأستاذ . ويتخرج في كليات الجامعة كل عام مئات المنتهين منها ، قلّ أن تجد فيهم من تكون تكوناً جامعياً حقيقياً . ومعنى ذلك أن الجامعة لا تغربل المتقدمين إليها ، لتعرف ذوى الاستعداد للدراســة الجامعية من غيرهم ، وكل ما تقيس به هو « التفوق » في الشهادة التوجيهية ، وليس هذا القياس دقيقاً لأن هـذا التفوق كثيراً ما يكون في تحصيل المعلومات وحفظها ، أما العقلية الدراسية فشيء آخر ، وقد يتخلف صاحبها في التحصيل والاستظهار . ومن ثم أشير بأن يعدل تعبير اللجنة الثقافية بإبدال ذوى الاستعداد للدراسة الجامعية بـ « المتفوقين » .

وأذكر أن خطاب العرش لافتتاح الدورة البرلمانية في العام الماضي، تضمن أن الحكومة تهتم بإنشاء معاهد للتعليم الفنى العالى تقلب

عليها الصبغة العملية تقوم بجانب الكليات الجامعية ، ليحلق بها طائفة كبيرة ممن أتموا التعليم الثانوى . ولا شك أن هذه المعاهد تحل أزمة الراغبين فى إتمام التعليم العالى كما تحل أزمة الجامعة أو أزمة الدراسة الجامعية المنشودة إذ يتحول عنها إلى تلك المعاهد العدد الضخم من الشباب الراغب فى الشهادات العالية دون استعداد حقيق للحياة الجامعية .

الرد على الدكتور أبى شادى:

قرأت رسالة الدكتور أحمد زكى أبو شادى المنشورة فى العدد الماضى من « الرسالة » التى كتبها رداً على ما كتبته عنه فى العدد (٨٤٢) .

أما طلبه الجنسية الأمريكية الذى نفاه فى « الأهرام » و « البلاغ » وخرّجه فى «الرسالة» على مدلول «الجنسية المزدوجة» فليكن كما خرج . فأساس الموضوع هو طعن الدكتور أبى شادى على مصر فى حملات بجريدة « الهدى » وقد دافع عن نفسه بأن ما نشرته «أخبار اليوم» جحود للجهود التى يقول إنه بذلها فى خدمة «وطنه الأول» فى شتى البيئات بأمريكا وعلى منابر الصحافة الحرة . ومن العجيب إلا نعلم شيئاً عن هذه الجهود كأن الصحافة المصرية قد اتفقت على إغفالها حتى جاءت أخبار اليوم فعكست الوضع واتهمته بالتحامل على مصر .. ولم يتعرض الدكتور لبيان ما كتبه فى « الهدى » عن مصر ، وهو موضع التهمة ، ويؤسفنى أن أتفقد صحيفة الهدى فى القاهرة فلا أجدها .

ولا أستطيع إزاء ما نسبه الأستاذ مصطفى أمين بك — وجهوده الصحفية القيمة معروفة — إلى الدكتور أبى شادى من التحامل على مصر ، وإزاء نفى الدكتور هذا التحامل أن أرجح أحد الأمرين على الآخر وإن كنت أستريح إلى مبادرة أبى شادى بالدفاع عن نفسه وتكذيب ما نسب إليه . وبودى لو أستدل بذلك على اتجاهه نحو الوفاء للوطن ، كما يرجى من كل مصرى ينأى عن بلاده وإن هجر الإقامة فيها .

وكما صدر ما كتبته تعليقاً على اتهام أبى شادى بالخروج على مصر ، عن شعور وطنى كذلك ، صدر ما وصفت به أدبه عن رأيى فى هذا الأدب أو الإنتاج الذى يقل فيه الأدب . وقد لمحت دفاعاً عنه نشر أيضاً فى العدد الماضى من « الرسالة » قال فيه

كشكول الأسبوع

◻ وافق معالى وزير المعارف على تخصيص ألفى جنيه لشراء كتب ثقافية وعلمية توزع على النوادي والهيئات الثقافية فى السودان .

◻ رأت اللجنة الثقافية للجامعة العربية أن التعاون الثقافى بين البلاد العربية كان حتى الآن مقصوراً على النواحى الأدبية ، فقررت تنشيط التعاون العلمي بينها ، وألفت لجنة بالإدارة الثقافية لهذا الغرض ، من أعضائها الدكتور أحمد زكى بك وخليل عبد الخالق بك

◻ جاء من «الجزائر» أن شركة للنشر هناك سعت فى استجلاب كتب ومجلات عربية من المشرق ، فرفضت الإدارة طلبها ، جرياً على سياسة الاستعمار الفرنسى التي تعمل على إغلاق أبواب المغرب فى وجه الثقافة العربية المشرقية ، وقد علقت مجلة الأسبوع التونسية على ذلك بأنه يجب على الحكومة المصرية أن تقابل موقف فرنسا من صحفها بمثله ، فتمنع الصحف الفرنسية من الدخول إلى مصر .

◻ أمر معالى وزير المعارف بمنع استعراض السابحات الفاتنات الذى كان يقيمه الاتحاد المصرى للسباحة بحوض السباحة بمدرسة الصناعات البحرية بيور توفيق . والغريب فى هذا الخبر أن ذلك كان يجرى فى مدرسة من مدارس الوزارة

◻ يؤخذ من السجل الثقافى لسنة ١٩٤٨ الذى أصدرته أخيراً وزارة المعارف ، أن عدد الكتب التى ظهرت بمصر فى تلك السنة ٥٤٨ كتاباً منها ٤٨١ مؤلفاً و ٦٧ مترجماً ، وعدد الصحف اليومية ٢٢ والأسبوعية ١٨٣ ونصف الشهرية ١٦ والشهرية ٤٧ ، وعدد المحاضرات والمناظرات والإذاعات الثقافية ١٧٧٠ . وكان تسجيل المحاضرات شاملا لكل ما ألقى ، وقد رؤى ألا يسجل فى السجل الجديد لسنة ١٩٤٩ إلا المختار من المحاضرات والأحاديث الإذاعية .

◻ أراد مكتب الصحافة فى سفارة الباكستان ، أن يستعين بمدير الإذاعة المصرية فى سبيل الحصول على مسجلات فنية وثقافية من مصر للاذاعة الباكستانية العربية ، فلم يجد عند سعادته غناء ، وقد أمكن على رغم ذلك الحصول على مجموعة كبيرة من تلك المسجلات .

◻ قال الأستاذ زكى طليمات فى مقال له بمجلة الكواكب عن نجيب الريحانى : اليوم أقرر أننى كنت فى مهاجمتى الريحاني الكاتب المتحمس المتعصب ، ولم أكن الكاتب العارف المنصف ولعل هذا الاعتراف الذى لا أخجل من إتيانه جهاراً يكون بمثابة جديلة من الزهر أضعها على رأس الريحانى وهو ثاو فى مرقده الأخير .

◻ تقرر أن يبدأ موسم الفرقة المصرية يوم الأحد ٢ أكتوبر القادم بمسرحية « اليوم خمر » للأستاذ محمود تيمور بك .

◻ أخرجت مطبعة نهضة مصر ديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات ، وقد نشره وحققه وقدم له الدكتور جميل سعيد الأستاذ بدار المعلمين العالية ببغداد ، وأعانت على طبعه وإخراجه وزارة المعارف العراقية .

◻ ظهر الجزء الأخير من شروح سقط الزند الذى أعدته إدارة التراث القديم بوزارة المعارف .

كاتبه الأديب عبد الحفيظ نصار إنه يصحح لوجه الله والتاريخ ما قلته عن المذهب التجديدى ، فذكر أن مطران سلك هذا المذهب قبل أن يدعو إليه العقاد والمازنى وشكرى . وأنا لم أرتب ترتيباً تاريخياً ، وإنما ذكرت العقاد وزميله فى الدعوة ، وقلت إن مطران كان من رواد التجديد وأنا أعنى حظه العملى فى إنتاج الشعر . أما سائر ما تضمنه هذا الدفاع فلا أرى داعياً لمناقشته .

فرقة الكوميدى المصرية :

هى فرقة جديدة بدأت عملها فى الأسبوع الماضى على مسرح كازينو أوبرا ، وهى إحدى فرقتين محور كل منهما ممثل يقلد نجيب الريحانى ، وممثل هذه الفرقة هو نعيم مصطفى ، ويشترك معه بشارة واكيم وعباس فارس وكاميليا وآخرون . ويظهر أن اسم بشارة واكيم يستخدم للاعلان ، فإنه لم يظهر بالرواية الأولى إلا فى منظرين قصيرين تكلم فيهما بضع كلمات وكان يمكن أن يقوم بدوره أى ممثل من الدرجة الثالثة .

أما الفرقة الثانية فتتكون من بعض الممثلين والممثلات الذين كانوا يعملون مع الريحانى ، وممثلها الذى يقلده هو عادل خيرى ابن بديع خيرى زميل الريحانى فى التأليف ، وستبدأ عملها على مسرح الريحانى فى الأسبوع القادم .

بدأت فرقة الكوميدى المصرية برواية (خطف مراتى) وهى تأليف نعيم مصطفى ، ولا بد أنه أراد أن يظهر كخليفة للريحانى وأكثر .. فالريحانى كان يؤلف بالاشتراك مع بديع خيرى ، ولكن هذا ينفرد بالتأليف . بدأت الرواية بمنظر حمودة وزوجته ، مع الزوج إبريق والزوجة (قلة) يفضفض كل منهما ما معه على ما مع الآخر ، فالابريق فى نظر الزوج رمز الابن ، و (القلة) عند الزوجة كناية عن البنت ، وليس لهذا الحوار أى أثر فى حوادث الرواية بعد ذلك ولا ارتباط له بها . ولهذين الزوجين بنت (سامية) متزوجة من الدكتور عادل ، والجميع يشكون فى سيرته ويتفقون مع (مدام كاميليا) الخياطة لاختباره و (مدام كاميليا) هذه فتاة جميلة صغيرة متزوجة من رجل كبير فى السن ، ولا ندرى على أى أساس بنى هذا الزواج ، إن كان على غنى الزوج فلم إذن تعمل هى خياطة ؟ والمسلى المشوق فى الرّواية هو ظُهور الشخصية التى يُمثلها نعيم مُصطفى ، وهى (قراقيش) الصعلوك الذى يفرض صداقته على الدكتور عادل ويتقمص شخصيته فى علاج المرضى بطرق مضحكة . ويطلع قراقيش على رسالة من الخياطة إلى الدكتور عادل تستدعيه فيها لمعالجتها — تنفيذاً للخطة التى وضعتها لاختبار أمانته الزوجية — فيذهب قراقيش إليها على أنه الدكتور عادل ، وتحدُث مفارقات فى منزل الخياطة ، بسبب ادعاء قراقيش أنه الدكتور ، ويلتقى الجميع هناك فى مناظر مضحكة ، وتنتهى الرواية بأن يتزوّج قراقيش بمدام كاميليا.. وكيف ذلك وهى متزوجة ؟ لا ندرى! إنه يخطفها (والسلام !) .

والرواية محشوة بالمناظر المقصودة لذاتها لا لسياق الحوادث ، وقد كثر هذا الحشو المقصود حتى أخرجها عن الطبيعة إلى التكلف والافتعال . وعلى المناظر المتكلفة تعتمد الفكاهة فى الرواية ، وما كان هكذا فن الريحانى ، فن الفكاهة الراقية والنكتة الرائقة .

ومجموعة الممثلين والممثلات لابأس بها ، ولكن الرواية مبتذلة مسفة كنت أفضل الايبدؤا بها إن كان لديهم خير منها ، وأرجو أن يكون حظهم فى غيرها أحسن منها . وقد أجاد نعيم مصطفى فى تمثيل شخصية الصعلوك وهو ممثل خفيف الظل ، ولا أخشى عليه إلا أن يصر على التأليف فإنه يحتاج إلى تأليف قوى يظهر كفايته التمثيلية، وهو يشبه الريحانى فملافى صوته وطريقة كلامه وسخريته. ولا بأس أن يبدأ بهذا على سبيـــل الإعلان ، ولكن لا بد له أن يكون لنفسه شخصية مستقلة . وإنى لأعجب من أولئك الذين يتحدثون عمن يخلف الريحانى ، هل الريحانى منصب يبحثون عمن يشغله ؟ وهل كان هو صورة لأحد قبله ؟ إن الفنان الأصيل هو الذى يأتى على غير مثال سابق .

عباس خضر



للأستاذ السيد أحمد مصطفى

توماس مان :

عند ما وصل توماس مان الروائى الألمانى الأشهر لندن فى أواخر شهر مايو الماضى أخبره ناشر و كتبه Seckes and waeburg بأن متوسط ما يباع من كتابه الأخير (الدكتور فاوستس) يبلغ الثلاثمائة نسخة فى اليوم الواحد . هذا بالرغم من أنه ليس من الروايات التى يستطيع عامة القراء هضمها بسهولة ، وأن النقاد لم تجتمع كلمتهم جميعاً فى الإشادة به والثناء عليه .

وفى خلال إقامة الدكتورمان بانكلترا سجلت له دار الإذاعة البريطانية أحاديث أدبية متنوعة ، كما كلّف بإلقاء محاضرات عن (جوت) فى جامعة أكسفورد (باللغة الألمانية) وفى جامعة لندن (باللغة الإنسكليزية) وذلك قبل أن ينهى رحلته التى يقوم بها الآن إلى قارة أوروبة .

ومع أن الروائى الألمانى الكبير لم يكن يبغى زيارة ألمانيا فى بادئ الأمر ، إلا أن الدعوة التى وصلته من فرانكفورت ، وجائزة جوت (أرفع جائزة يمكن أن ينالها مؤلف أديب) التى أنعم بها عليه ، غيرتا رأيه فى هذا الخصوص . فقرر السفر إلى ألمانيا ، والاشتراك فى حفلات ذكرى جوت التى أقيمت هناك فى اليوم الثامن والعشرين من شهر أغسطس الماضى وذلك لمناسبة مرور مائتى عام على مولد هذا العبقرى الألمانى الفذ .

أريكا :

وترافق الدكتور مان فى رحلته الأوروبية هذه زوجته وكبرى بناته الثلاث ؛ أريكا المرحة الخفيفة الروح ذات الشعر القاتم والتى تجتاز أواسط العقد الرابع من عمرها الآن ، وتتكلم الإنسكليزية بطلاقة عجيبة .

وأريكا هذه هى التى تمكنت من إنقاذ النسخة الأصلية من رواية أبيها (يوسف وإخوته) وحالت دون وقوعها فى أيدى النازيين على أثر استيلائهم المفاجئ على مقاليد الحكم فى ألمانيا ، حيث صادف أن كان أبواها آنذاك يقضيان عطلتهما السنوية فى سويسرة .

وقد هرّبت أريكا هذه الرواية التى لم تكن حينذاك سوى مسودات تحسب إلى سويسرة بعد أن خبأتها فى صندوق الأدوات فى سيارة من طراز فورد .

أسرة أدبية :

وأريكا فى الوقت نفسه أديبة موهوبة ومؤلفة طائفة من الكتب الرائجة ... ومن آثارها الأدبية كتاب قامت بتأليفه بالاشتراك مع أخيها الأصغر منها سناً (كلاوص مان) صديق أندريه جيد المؤلف الفرنسى الذائع الصيت ومترجم حياته ...

ويقيم أفراد هذه الأسرة الأدبية فى سان ريمو بكاليفورنيا ، وعلى بعد مسافة قليلة منهم ، فى بيفرلى هيلز ، يقيم هنريخ مان الشقيق المؤلف الحائز جائزة نوبل .

القصة الطويلة :

أخذت القصة الطويلة تعود إلى الظهور مرة ثانية فى لندن على أثر انتهاء الحرب وعودة الأمور إلى مجاريها وزوال العقبات التى كانت تعترض طريق المؤلفين والأدباء فى الحصول على القدر الكافى من الورق لطبع مؤلفاتهم وإخراج كتبهم .

ويستطيع المتفرج والمتنقل بين مختلف مكتبات لندن ودور نشرها أن يشاهد بغير عناء أن الكتب التى تبلغ صفحاتها الخمسمائة فما فوق ليست بالقليل النادر هناك فى هذه الأيام .

فثمة كتابان ظهرا فى خلال هذا العام أربى عدد صفحات كل منهما على الـ (٧٠٠) صفحة ؛ هما (الفيل والقصر) للكاتب الإنجليزى (هتجنسون) و (العالم غير كاف) و (زوى أولد بنركس) كما أن هناك كتباً أخرى مماثلة آخذة طريقها إلى الظهور الآن .

ومن الكتب التى امتازت بحجمها الكبير أيضاً قصة (الدكتور فاوستس) لتوماس مان التى نقلت إلى الإنجليزية ونشرت فى لندن فى الربيع الفائت ، فقد بلغ عدد كلماتها (٣٠٠/٠٠٠) وصفحاتها (٥٢٠) ولكن فاقتها فى الطول قصة (العارى والميت) للكاتب الأمريكى نورمان ميلر التى أثارت عاصفة من النقد فى بريطانية عند ما ظهرت طبعتها الإنجليزية

هناك منذ عهد قريب . أما أطول الكتب فى هذه السلسلة فهو بلا نزاع كتاب (Raintree) بقلم روز لوكريدج الذى سيظهر قريباً والذى ستبلغ صفحاته أكثر من ألف صفحة كاملة .

كتب التراجم أيضاً :

ليست القصص وحدها التى أتيح لها أن تفوز بكل هذه الزيادة فى عدد صفحاتها بل أن الأمر شمل كتب السير والتراجم أيضاً ، فأخذت تنعم هي كذلك بما تنعم به أختها القصة من المجال الفسيح والمضطرب الواسع ... فترجمة (روزتى) الحديدة بقلم أحد أساتذة جامعة مدينة الكاب بجنوبى أفريقية تقع فى (٧٠٠) صفحة ، وترجمة (تولستوى) للأستاذ أرنست سيمون فى (٩٠٠) صفحة ، وكتاب المؤلف الإنجليزى هالدى وعنوانه (شكسبير وناقدوه) فى (٥٠٠) صفحة .

كتب « حرب » :

ذكرت مجلة (جون أولندن) الأدبية الإنجليزية أن الكتب التى تقوم حوادثها على أساس ما وقع فى الحرب الأخيرة من أحداث لم تعد تثير إهتمام الناشرين الإنجليز وتجلب انتباههم فى هذه الأيام مثلما كان عليه الحال فى الماضى القريب ، هذا بالرغم من أن هناك حرب « ضربت رقماً قياسياً فى الرواج والانتشار فى خلال الاثنى عشر شهراً الأخيرة ، مثل : قصة (العارى والميت) لنورمان ميلر ، التى لا تزال فى طليعة الكتب الرائجة ، وكتاب « Cry , the Beloved Country » لمؤلفه (آلان باتون) الذى ظهر فى الخريف الماضى وأعيد طبعه تسع مرات حتى الآن ... وكتاب « From the city from the Plough » للكاتب الإنجليزى الكسندر بارون . هذا ، وستظهر لهذا الأخير طبعة أمريكية فى نيويورك فى الخريف القادم .

أما فى أمريكا فالاقبال على كتب الحرب لا يزال على أشده . وقد نالت قصة (الأشبال) التى صدرت أخيراً لمؤلفها أروين شو استحساناً عاماً من النقاد ، كما أن الأديب الأمريكى المعروف (هيمنجوى) يعمل الآن بجد لوضع قصة جديدة تقوم على أساس اختباراته وتجاربه فى حملة نورماندى حيث كان مراسلاً حربياً هناك فى خلال الحرب العالمية الثانية .

ضعف الانتاج الأدبى فى تركيا :

قرأنا فى أحد أعداد مجلة (شادروان) الأدبية التركية التى يقوم بإصدارها الشاعر التركى المعروف (بهجت كمال جاغلار) ملخصاً لخطاب مستفيض ألقاه الروائى التركى الشاب موفق إحسان جاران فى حفلة افتتاح معرض (المؤلفين الأتراك الحديثين) الذى أقيم أخيراً فى استانبول ، ندد فيه بحالة الأدب والأدباء البائسة فى تركية ، وعدم استطاعة المؤلفين الأتراك إنتاج آثار أدبية تضاهى ما ينتجه زملاؤهم أدباء الأمم الأخرى المعروفين ، فى القوة والجودة . وقد عزا المؤلف الناشئ عدم ظهور أديب تركى يأخذ موضعه بين الخالدين العالميين حتى الآن إلى العوامل التالية :

١ — إن الذين يعرفون القراءة والكتابة فى تركية قليلون. (ولا يمكن اعتبار القارئ مشجعاً حقيقياً للأدب العالى الرصين إلا إذا كان مثقفاً ثقافة حقيقية) .

٢ — إن الذين يعتبرون أنفسهم من عشاق الأدب ومحبيه لم يتعودوا اقتناء الكتب الأدبية وجمعها وإنشاء مكتبات أدبية خاصة فى بيوتهم .

٣ — إن اللغة التركية ليست منتشرة انتشاراً كباقى اللغات العالمية ، وفى ذلك ما يثبط همم المؤلفين الأتراك من الناحيتين : المادية والمعنوية ، ويعرقل سيرهم قدماً إلى الأمام فى طريق الخلق والابداع .

٤ — إن المؤلف هو الشخص الوحيد الذى لم تتضاعف أرباحه فى موجة الغلاء التى اجتاحت المملكة بسبب الحرب الأخيرة (فعند ما تشترى كتاباً بـ (٢٥٠) مليما فإنك لا تدفع للمؤلف سوى ستة مليمات فقط ، وقد صادف أن يبعث حقوق مؤلف يزيد على مائة صفحة بأقل من جنيه مصرى واحد) .

٥ — حالة التوزيع سيئة للغاية ولا يمكن الثقة بالباعة الذين هم فى خارج المدن الكبيرة بأى حال من الأحوال ، فهم لا يهتمون ببيع الكتب ، وإن اهتموا فلا يسلمون أثمان الكتب التى يبيعونها إلى أصحابها .

٦ — الدولة غير سخية ولا متساهلة ، مع المؤلفين الوطنيين فهى تغدق عميم خيرها على المؤلفات الأجنبية التى تنتقل إلى اللغة التركية بغير حساب وتغل يدها إلى عنقها عند ما يأتى دور

المؤلفات التى يضعها الأدباء الأتراك .

٧ — ليس ثمة قانون يحمى حقوق المؤلف حسبما تقتضيه الظروف والأوضاع الجديدة (فالقطع التمثيلية التى تمثلها مختلف الفرق فى طول البلاد وعرضها لا تأتى للمؤلف بمليم واحد ، وقد يهمل أصحاب هذه الفرقة حتى سلوك مسلك الأدب واللباقة مع المؤلف ، ومجاملته فى الحصول على موافقته على تمثيل رواياته ، بل وقد يجهل المؤلف نفسه جهلاً تاماً أن رواياته تمثل هنا وهناك من أنحاء البلاد) .

٨ — لماذا يدفع الناشر أجراً للمؤلف ما دام هناك طريق ترجمة أرقى الآثار الأدبية العالمية — ولو ترجمة هزيلة — مفتوحاً أمامه بلا رقيب أو حسيب ؟ .. وما دام أن ليس ثمت أى تشريع يلزمه ولو بدفع مليم واحد لأصحابها الشرعيين ...

وقد أكد الروائى الشاب بعد ذلك أنه ما لم يعثر على علاج شاف لهذه الأدواء الثمانية ، فإن ظهور الأديب التركى العالمى المرتقب سيتأخر كثيراً إن لم يكن أمراً عسير التحقق ، بعيداً عن التصور .

(العراق — أربيل) السيد أحمد مصطفى



نظرات في كتاب الأشربة

للأستاذ السيد أحمد صقر

— ٦ —

يجمل بى قبل أن أستأنف كتابة الحلقة السادسة من هذا البحث أن أعرض بالنقد لما نقدت به فى بريد الرسالة .

أما النقد الأول ، فقد كتبه الأستاذ عدنان وجعل عنوانه « لفظة فى بيت » . قال : « فى مقال للأستاذ السيد أحمد صقر حول كتاب « نظرات فى كتاب الأشربة » للأستاذ كرد على بك » . وفى هـذه الجملة خطأ طريف ، فإنى لا أنقد كتاباً اسمه « نظرات فى كتاب الأشربة » للأستاذ كرد على بك ، وإنما أنقد كتاب « الأشربة » لابن قتيبة التى نشره الأستاذ كرد على ، ولكى يستطيع القارىء متابعة النقاش فى يسر وسهولة أنقل ما قلته أولاً ، وما عقب به الأستاذ عدنان ثانياً .

قلت (ع ٨٣١ ص ٩٦٣) « فى ص ٣٧ ، ٣٨ من الأشربة » وقد شهر المتماشرون على الشراب بسوء العهد ، وقلة الحفاظ ، وأنهم صديقك ما استغنيت حتى تفتقر ، وما عوفيت حتى تنكب ، وما غلت دنانك حتى تنزف ، وما رأوك بعيونهم حتى يفقدوك ، قال الشاعر :

أرى كل قوم يحفظون حريمهم ... وليس لأصحاب النبيذ حريم
إذا جئتهم حيوك ألفاً ورحبوا ... وإن غبت عنهم ساعة فذميم
إخاؤهم مادارت الكأس بينهم ... وكلهم رث الوصال سؤوم
فهذا ثباتى لم أقل بجهالة ... ولكننى بالفاسقين عليم

والصواب « فهذا ثنائى » كما فى العقد الفريد ٤/٣٢١ وليس للثبات هنا أى معنى يستقيم به نظم الكلام ويقوم عليه بناء معناه »

وقال الأستاذ عدنان فى تعقيبه « بل للثبات هنا معنى يستقيم به نظم الكلام وهو إلى الصواب أقرب مما ورد بالعقد ، وذلك لسببين : الأول أن الشاعر يقرر حالة هى إلى قدح القادح أقرب منها إلى « ثناء » المادح ، وأى « ثناء » ذلك الذى يوجه إلى قوم لا يحفظون الحريم وينقلبون بين الجيئة والذهاب من حب إلى بغضاء ومن وفاء إلى عداء . والثانى أن الأستاذ الناقد فهم من « الثبات » أنه الدوام والاستقرار ، ومن ثم كتب ما كتب معتمداً على رواية العقد وهى كما سبق رواية لا يزكيها واقع الحال . وإنما يقال فى مقام التصحيح أن « الثبات » بمعنى الحجة والبرهان تقول : لا أحكم بكذا إلا بثبت أو بثبات أى بحجة وبرهان ودليل » .

ليس فى كلام الأستاذ عدنان ما يحملنى أعدل عن رأيى فى أن الثبات ليس لها هنا أى معنى يستقيم به نظم الكلام ويقوم عليه بناء معناه ، وأما تفسيره له بمعنى الحجة والبرهان فتكلف وتمحل وتعمل ينبو عنه الذوق الشعرى . وهل يقول شاعر « فهذا ثباتى » ؟

وليس فى كتب اللغة التى بين أيدينا (ثبات) بمعنى الحجة والبينة ، وقد جاء فى اللسان : « الثبت بالتحريك الحجة ، وتقول أيضاً : لا أحكم إلا بثبت أى بحجة » ولست أدرى من أين جاء الأستاذ « بثبات » .

والذى حمل الأستاذ على أن يتكلف فى تصحيح « الثبات » هذا التكلف البعيد أنه لم يفهم معنى « الثناء » ، وعجب من أن أقول

إن الصواب « فهذا ثنائى » فقال « وأى ثناء ذلك الذى يوجه إلى قوم لا يحفظون الحريم الخ » . ولو قد عرف الأستاذ حقيقة الثناء لما قال ذلك بل لما كتب من نقده حرفاً واحداً . إن الثناء ليس مدحاً فقط بل هو ذم أيضاً ، يستعمل فى الخير والشر على السواء ، وقد ورد فى شعر زهير :

سيأتى آل حصن أين كانوا من المثلات ما فيها ثناء

وفُسر بالوجهين : فمن قال إن « ما » نافية قال : إن الثناء بمعنى المدح ، ومن قال إنها موصولة قال : إنه بمعنى الهجاء . جاء فى لسان العرب « الثناء ما اتصف به الإنسان من مدح أو ذم وخص بعضهم به المدح . الثناء ممدود : تممدك لتثنى على إنسان بحسن أو قبيح . أثنى يثنى إثناء أو ثناء يستعمل فى القبيح من الذكر فى المخلوقين وضده » .

وإذا كان الثناء يستعمل فى الذم فى أصل اللغة فليس هناك ما يدفع قولى إن الصواب « فهذا ثنائى » على أنى وجدت للبيت رواية أخرى حبت إليها نفسى وهى كما فى نهاية الأرب ٤ / ١٠٨

فهذا بيانى لم أقل بجهالة ولكننى بالفاسقين عليم

براع لا براعوا :

أما النقد الثانى ، فقد كتبه الأستاذ « عمر إسماعيل منصور » وجعل عنوانه « براعوا لا براع » وأنا أورد ما قلته وما قاله على نحو ما فعلت فى سالفه .

قلت فى العدد ٨٣٣ وفى ص ٣٨ من الأشربة : وقال آخر :

بلوت النبيذيين فى كل بلدة فليس لأصحاب النبيذ حفاظ
إذا أخذوها ثم أغنوك بالمنى وإن فقدوها فالوجوه غلاظ
مواعيدهم ريح لمن يعدونه بها قطعوا برد الشتاء وقاظوا
بطان إذا ما الليل ألقى رواقه وقد أخذوها فالبطون كظاظ
براغ إذا ما كان يوم كريهة وأسد إذا أكل الثريد فظاظ

وعلق الأستاذ محمد كرد على على هذه الكلمة بقوله فى ع : براعوا .

والصواب « براع إذا ما كان يوم كريهة » جاء فى لسان العرب « البراع : القصب واحدته براعة . والبراعة ، والبراع : الجبان الذى لا عقل له ولا رأى ، مشتق من القصب . أنشد ابن برى لكعب الأمثال :

ولا تك من أخدان كل براعة
هواء كسقب البان جوف مكاسره »

هذا ما قلته ولكن الأستاذ « عمر » لم يرقه قولى واتهمنى بعدم الفهم وقلة الإدراك بل بعدمه أيضاً وإليك ما قال : « وأقول إن براعوا هى الصواب ، وهى من الروع بمعنى الفزع ، قال قطرى ابن الفجاءة :

أقول لهـا وقد طارت شعاعا من الأبطال ويحك لن تراعى

ولو قرأ الأستاذ الفاضل هذه الأبيات لأدرك أن الكلام عن جماعة لا عن فرد ، وأن براعا بمعنى جبان لا تصدق على الجماعة إذ تأتى للمفرد فقط . قال فى الأساس « ومن المجاز قولهم للجبان الذى لا قلب له هو براعة وبراع قال : فارس فى اللقاء غير براع»

ولست أدرى كيف يكون « فاضلا » من ينقل أبياتاً لشاعر يقول فيها « بلوت النبيذيين ومواعيدهم ريح قطعوا بها برد الشتا وقاظوا » ثم لا يدرك « أن الكلام عن جماعة لا عن فرد » كما يقول الناقد ونضرب صفحاً عن هذا اللغو ونأخذ فى مناقشة كلامه فإن ذلك أخلق بنا وأحجى .

يزعم الناقد المدرك أن الصواب « يرعوا » من الروع بمعنى الفزع ولو كان يعرف أن يراعوا فعل مضارع ، وأن كل مضارع اتصلت به واو الجماعة يرفع بثبوت النون وينصب ويجزم بحذفها لما قال إن الصواب « براعوا » ولساءل نفسه : أين النون ؟ ولم ذهبت ؟ ويزعم الناقد صاحب المدارك الثاقبة « أن براعا بمعنى جبان لا تصدق على الجماعة إذ تأتى للمفرد فقط !! وهـذا زعم لا حقيقة له لم يقله أحد من علماء العربية ، ولكن الناقد افتراه وأوهم القارىء أنه اعتمد فى نفيه على الأساس حيث يقول : (قال فى الأساس ومن المجاز قولهم للجبان الذى لا قلب له هو براعة وبراع ». وأنا أنقل للقارىء نص كلام الزمخشرى فى الأساس ليعلم كيف دلس الناقد فى نقله وكيف فهم منه ما افتراه . قال الزمخشرى فى ص٥٦١ « وقم الحريق فى البراع : فى القصب ، قال المسيب ابن علس :

ومها يرف كأنه إن ذقتـه عانيَّة شُجّت بمـاء براع

أراد قصب السكر . ونفخ الراعى فى البراعة ، وكتب الكاتب بالبراعة ، قال :

أحنّ إلى ليلى وقد شطت النوى بليلى كما حن البراع المثقّب

أى المزامير . وغشى البراع الوجوه . وهو شبه البعوض . ومن المجاز قولهم للجبان الخ » .

وهذا النص صريح فى أن البراع : هو القصب ، وأن البراع المثقب المراد به المزامير ، وأن واحدة هذا كله براعة .

ولست أدرى كيف قرأ الأستاذ هذا الكلام ولا كيف طواه لئلا يناقض دعواه ، ولكن الذى أدريه أن الأستاذ لم يفهم كلامى

ولم يفطن إلى معنى النص الذى نقلته عن اللسان ، وكان فيه الغناء لو تدبره . لقد قلت إن الصواب « يراع » ونقلت ما فى اللسان من أن اليراع : القصب واحدته يراعة ، واليراعة واليراع الجبان الذى لا عقل له ولا رأى ، مشتق من القصب » .

ولكن الناقد المدرك لم يفطن إلى أن هذا النص صريح فى أن اليراع اسم جنس . واسم الجنس هو ما يفرق بينه وبين واحده بالتاء ، جاء فى المخصص ١٦/١٠٠ « باب دخول التاء فرقاً بين الجمع والواحد منه ، وذلك نحو تمر وتمرة وبقر وبقرة وشعير وشعيرة وجراد وجرادة فالتاء إذا ألحقت فى هذا الباب دلت على المفرد وإذا حذفت دلت على الجنس والكثرة ، وإذا حذفت التاء ذكر الإسم وأنث ، وجاء التنزيل بالأمرين جميعاً ... »

واليراع واليراعة كالزّباب والزّبابة جاء فى اللسان : « الزّباب : جنس الفار لا شعر عليه . قال الحارث بن حلّزة :

وهمُ زَبابٌ حائر لا تسمع الآذان رعدا

أى لا تسمع آذانهم صوت الرعد لأنهم صم طرش ، والعرب تضرب بها المثل فتقول أسرق من زبابة ، ويشبه بها الجاهل ، واحدته زبابة » .

على أن جو الأبيات يتطلب كلمة « يراع » ولو جاز أن يقع الفعل موقعها ؛ لأن الشاعر وصف النبيذيين قبل ذلك بأنهم « بطان » ووصفهم بعد ذلك بأنهم « أسد » وسبيل يراع فى المجاز كسبيل « أسد » ومع ذلك فإننا إذا نحينا المجاز جانباً ولجأنا إلى الحقيقة وسمينا الجبان باسم « يراع ويراعة » كان الجمع فيهما « يراع ويرعات » . ورحم الله الشافعى إذ يقول : « فالواجب على العالمين ألا يقولوا إلا من حيث علموا ، وقد تكلم فى العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه منه لكان الإمساك أولى به ، وأقرب إلى السلامة له » .

***

ونرجع إلى ما كنا فيه من بيان الأوهام فى كتاب « الأشربة » فنقول :

٤٥ — جاء فى ص ٢٤ : « قال عثمان رحمة الله عليه : ما تغنيت ولا تفتيت ، ولا شربت خمراً فى جاهلية ولا إسلام » .

وشرح الأستاذ كرد على معنى «ولاتفتيت بقوله : ولاتشبهت بالفتيان » ! ومعاذ الرجولة أن يقول ذلك عثمان عن نفسه ، ومعاذ الأدب أن يظن به ظان أنه يمكن أن يقوله ، وبمن يتشبه عثمان إذا لم يتشبه بالفتيان ؟ إن فى العبارة خطأ لم يفطن إليه الأستاذ ، وصوابه : « ما تمنيت ولا تمنيت » أى ولا كذبت جاء فى النهاية ٤/١١٩ « وفى حديث عثمان : ما تغنيت ولا تمنيت ، ولا شربت خمراً فى جاهلية ولا إسلام . وفى رواية : ما تمنيت منذ أسلمت ، أى ما كذبت . التمنى : التكذب ، تفعّل من منى يمنى إذا قدّر لأن الكاذب يقدر الحديث فى نفسه ثم يقوله . قال رجل لابن دأب وهو يحدث : أهذا شيء رويته أم شيء تمنيته ؟ أى اختلقته ولا أصل له » .

وقد كان ابن دأب هذا — واسمه عيسى بن يزيد — من أحسن الناس حديثاً وبياناً ، وكان شاعراً راوية وافر الأدب ، صاحب رسائل وخطب غير أنه كان يضع الأشعار ويزيد فى الأحاديث ما ليس منها . وناهيك برجل يسمه خلف الأحمر بالكذب ويصفه بأنه آفة ، وفيه يقول ابن مناذر :

ومن يبغ الوصاة فإن عندى وصاة للكهول وللشباب
خذوا عن مالك وعن ابن عون ولا ترووا حديث ابن داب
ترى الهلاك ينتجعون منها ملاهى من أحاديث كذاب
إذا طلبت منافعها اضمحلت كما يرفض رقراق السحاب

وقد توفى ابن دأب فى سنة إحدى وسبعين ومائة فى أول خلافة الرشيد . وترجمته فى لسان الميزان ٤/٨ . ٤ وتاريخ بغداد ١١/١٤٨ والمعارف ٢٣٤ ومعجم الأدباء ١٦/١٥٢ .

(يتبع) السيد أحمد صقر



مصحف من عهد عثمان بن عفان في روسيا :

هكذا نشرت الأهرام بعددها الصادر بتاريخ ٣٠ من أغسطس سنة ١٩٤٩ .

وإذا كان المشتغلون بالحفريات ، وبالتنقيب عن الآثار ، يسرهم أعظم السرور وأطيبه ، أن يجدوا قطعة حجر متآكلة ، قد نقشت عليها بضع كلمات ؛ رجاة أن يقدموا إلى العلم شيئاً ؛ وإن يكن تصحيحاً لتاريخ وفاة أمير ، أو ميلاد وزير ، أو نسب وليد ، فقدِّر كم يكون سرور المعنيين بالمخطوطات ، حين يجدون كتاباً ضخماً ، يحوي بين دفتيه كثيراً من العلوم والمعارف ، والآراء والنظريات ؟! خصوصاً إذا كان موغلا في القدم ، ويرجع تاريخه إلى ما يقرب من الثلاثة عشر قرناً .

وقدر كم يكون سرور المشتغلين بالإسلاميات على وجه العموم وسرور المسلمين على وجه الخصوص ، إذا كان هذا المخطوط ، هو المصدر الأول لعقائد المسلمين وثقافتهم ؟!

إنه لا يداخل المسلمين أدنى شك ، في صحة كتابهم ، ولا في شيء مما يحتويه من آيٍ هي غرر البيان ومعجزة الدهر ؛ تتقدم العلوم ، وتتسامى الفهوم ، وتتكشف الحقائق ، وتتجلى الغوامض ؛ ولا يزيده ذلك إلا ثباتاً ورسوخاً ، وانفهاماً ووضوحاً ؛ حتى لقد كان أن يعد لدى الباحثين على اختلاف مشاربهم ، وتباين ميولهم ونزعاتهم ، معيار الحقيقة ، يكون حظ الفكرة من القبول أو الرفض بمقدار ما تنال من القرب منه أو البعد .

ولكن هذا لا يمنع من أن يداخلهم سرور أي سرور ، حين يجدون لهذه النسخ التي بين أيديهم أصلا يرجعون إليه ، ويطابقونها عليه ، ليكون النسب متصلا .

وإذا كان المسلمون الذين امتزج الإسلام بطبيعة وجودهم ، وجرى منهم مجرى الدم في شرايينهم ، لا يحسون أن هناك فراغاً كان ينتظر هذا المخطوط ليشغله ، ولا أن هناك نقصاً جاء هذا المخطوط فكمله ؛ فهم على حق في حكمهم ؟ لأن العناية الإلهية قد تكفلت بحفظ الكتاب الكريم وصيانته من أن تمتد إليه يد بتحريف أو تبديل .

ولكنهم يكونون على حق أيضاً ، حين لا يغفلون ما عسى أن تمتلج به نفوس غير المسلمين ، أو حديثو العهد بالإسلام من تساؤل حول نسب هذه النسخ التي بين أيدينا الآن.

وحين لا يغفلون ما تمتلج به نفوس العلماء والباحثين ، من افتراضات واعتراضات ، تتطلب إجابات من نحو آخر ، غير تلك الإجابات التي تقوم على أساس من التفويض إلى ما تكفلت به العناية الإلهية .

وإن أنس لا أنس ذلك الحرج الذي شعرت به حين وجه إلينا — أنا ونفر من هيأة التدريس بكلية أصول الدين — ذلك الشاب الأمريكي المسلم ، الذي حضر إلى مصر بعامة ، وإلى الأزهر بخاصة ، منذ عامين تقريباً ، ليتأكد من صحة إسلامه ، بعرضه على الهيأة المختصة ، وليؤكده بإزالة ما عسى يكون في نفسه من شبه وشكوك حول العقيدة ، على يدي العلماء المختصين بهذه الشئون . أقول : لست أنسى ما شعرت به من حرج حين وجه إلينا ذلك الشاب هذا السؤال الذي لم يكن لدينا جميعاً جواب عنه :

« هل يوجد لديكم أصل من مصحف عثمان ؟ وكيف يطمئن الباحث الحر إلى أن ما بأيديكم الآن هو صورة طبق الأصل منه ؟ »

وقد شاءت إرادة الله أن نظفرنا بجواب هذا السؤال — وإن يكن بعد عامين — عن طريق هذا الأثر العلمي الجليل .

وإني لا أشك في أن فضيلة مولانا الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مأمون الشناوي شيخ الجامع الأزهر — بما عرف عنه من غيرة على الدين ، وحرص على خدمته ، وقصر الجهود على رفع شأنه — لن يدخر جهداً أو مالا في سبيل العمل للحصول على هذا الأثر العلمي الجليل ، الذي تكمل به مكتبتنا وتقوى به حجتنا .

وإني — ليشهد الله — لجد مشفق على هذا الأثر النفيس ، حين أنظر إلى صورته في الأهرام ، وهو بين يدي علماء التركستان ، يقلبون أوراقه ، ثم يبدءون القراءة فيه ويعيدون ، وأخشى أن لا يكونوا مقدرين لقيمته العلمية ، وأنه أسمى من أن يستعمل للقراءة والاستذكار ؛ فتسرع إليه يد العفاء ، إذ حسبنا منه أن يكون أصلا نرجع إليه عند الضرورة .

فاللهم وفق للعمل على اجتلاب هذا الأثر وصيانته ، وإحلاله من نفوس أولي الأمر وعنايتهم في المكان اللائق به .

سليمان دنيا
مدرس الفلسفة بكلية أصول الدين
ومبعوث الأزهر بجامعة لندن



قلب محـــــروم ..!

للأُستاذ غائب طعمة فرمان

[إلى صاحب القلب الكبير الذى كتب « من وراء الأبد » ... إلى صديق الأستـاذ أنور المعداوي أهدى هذه القصة] .

عزيزى ...

حين تصلك رسالتى أكون قد غادرت أرض الكنانة ميمماً شـطر وطنى ... وبين جوانحى قلب مضطرب ، ونفس مفعمة بشتى الأحاسيس ... قلب جريح تجرع كؤوس الأسى مترعة ، ونفس عصفت بها رياح صارمة خلفت أرض مصر زهوراً ذابلة هى ذكريات ليال وأيام؛ ستظل رؤى مرة فى فكرى لا يطردها النور ، وجـذوة مستعرة فى قلبى لا يخمدها تقاوم المهد ، وتطاول الأيام .

كنت تسألنى كثيراً والابتسامة على شفتيك عن سبب سكناى فى مصر الجـديدة ، والشقة بعيدة بينها وبين جامعتى ، فأقابل ابتسامتك بابتسامة ، ويظل سؤالك من غير جواب .

وأرانى الآن مدفوعاً بقوة صارمة صادرة من أعماق إلى أن أقص عليك طرفاً من تاريخ قلبى ، علك تشـاركنى آلامه ، وأشجان دنياى .

لست أدرى السر فى أن الإنسان يستطيع أن يكتم كل شىء إلا الحب والبغض ، حتى أصبح هذان الأمران محورين أساسيين للانسانية : الحب يبنى ، والبغض يهدم .

فلا جناح علىّ — إذن — فى أن أقول لك : إننى أحببت ... نعم أحببت حباً امتزج بدمى ، وطوق روحى ، وشغلنى عن كل

إلى معالى وزير المعارف:

مرحى يا معالى وزير المعارف والعلم والأخلاق ! مرحى أيها الرجل الغيور !

لقد أصبت إذ قررت أن ترتدى الطالبات والمدرسات ملابس طويلة تخفى معظم الجسد عملاً بالدين واحتراماً لمحاريب العلم والأخلاق . إننى إحدى المؤيدات من الطالبات آلمنى الضجيج الذى علا أخيراً فى الصحف بين « المتمدنيين » أنصار الإباحية وعجبت لمعارضاتهم التى لا تستند إلى حجة اللهم إلا « التقدم والرجعية » الـكلمتين اللتين بليتا من كثرة الاستعمال بالحق والباطل .

يامعالى الوزير : ناشدتك الله ألا تلتفت إلى هذر أدعياء المدينة فالعلم بدون أخلاق مدرجة للشر وسبيل للفساد .

الطالبة

(ف . أ . ع)

حول قصر الخورنق :

فى عدد سالف من الرسالة .. نشر الأستاذ كاظم المظفر .. تبحث عن « الخورنق » القصر المشهور بالحيرة .. وكانت طريقته فى تأليف تلك السطور طريفة .. غاية بالطرافة .. إذ دس بها أقوالاً حول آثار العراق التاريخية .. كانت قد نشرت بنصها فى مجـلة الاعتدال النجفية .. كما أشار هو إليها ، وأقوالاً مثلها حول قصر الخورنق نشرت هى أيضاً فى كتاب الحيرة للباحث القدير يوسف غنيمة ... ولـكنه لم يشر إلى هذا الـكتاب إلا قليلاً ... حيث شغله عنه ذكر بعض المصادر القديمة التى اعتمد عليها يوسف غنيمة من قبيل « المملكة الإسلامية » و « الألفاظ الفارسية المعربة » و « حمزة الأصفهانى » و « البرهان القاطع » ...

والطريف هنا أن يوسف غنيمة كان يصوغ النصوص القديمة بتعبيره الحديث ويشير إلى أصولها فى كتب القدماء ... فجاء كاظم فنسب هذه النصوص بألفاظها الحديثة إلى القدماء ليوهم أنه اطلع عليها رأساً . ولم يأخذها من كتاب الحيرة المطبوع . وإنا لو أردنا أن نبرز الـسطور التى أخذها من مصادرها ومن يوسف غنيمة خاصة لما ظل لـكاظم المظفر من هذا المقال الطويل شيئاً ... إذ هو جميعه مأخوذ من هنا ومن هنا .. وإن حاول أن يخفى ذلك بذكره لـكثير من المراجع التى لم ير أغلبها .

(بصره — عشار — عراق) قارئ

شيء ، فظللت أهيم فى زورق ، والأمل سد أقطار الحقيقة عنى ، ومنافذ النور عن بصيرتى ، ورحت أدنو إلى الشاطىء الثانى ، والضباب قائم من حولى ، وفى أغوارى الظلمة واليأس المرير .

إننى لأذكر أول لقاء لى بها فى أحد تلك المقاهى المخضلة الأضواء وقد عرفنى بها ضابط مصرى عشت معه فى دار واحدة زمناً طويلاً ... وقد كانت شعلة من إغراء ، وقد بدت لى صغيرة ... صغيرة جداً حتى عبق فى وجهى عطر الطفولة الآسر .. وكانت الابتسامة رب شفتيها كأنها تشجع القلب المحروم على أن يحب ...

... فتاة فى العشرين من عمرها أجمل ما فيها عيناها السودوان التألقتان كنجمتين فى سماء غسلتها دموع الملائكة .

وقد تحدثنا كثيراً ، وكان حديثها عذباً ، حلو النبرات ، وشعرت بأن عينيها تحدثاننى فأنصت إلى الإيقاع الروحى الصادر من الأعماق ... وبان لى أنها متذمرة كأنها تعيش فى سجن ، خائفة كأنها تتوقع شيئاً مؤلماً ، وكانت ثقافتها الفرنسية ذات أثر عظيم على نفسها ، بذرت فيها بذور الانطلاق ، ونسجت حول مخيلتها العوالم التى تخلقها قصص الحب ... والعاطفة الملتهبة .

ولما رجعت إلى بيتى لم أكن وحيداً ... فقد كان خيالها لا يبرح مخيلتى ، وما زلت أشم عطرها الآسر ، وألمح إبتسامتها الجميلة ... وكانت معى أحلامى المجنحة .. يا عجباً أبهذه السرعة تنبت ... فأشمر بظلالها تعمر فكرى ؟

ورحت أنتظر صديقى والنوم هجر أجفانى ، والرؤى ملأت عالمى ... ولما سمعت وقع أقدامه قفزت من فراشى ، وطفقت أتطلع إلى شفتيه المنفرجتين عن إبتسامة ماكرة .

قال :

— أتعرف ماذا تقول عنك ... إنك فى نظارها طفل غرير .

بالمكر المرأة يا صديقى ... هل أحست بنظراتى تضرعاً ، وباختلاج شفتى ظمأ لرحمة ؟!

ثم قال : ولكنها تريد مقابلتك مرة ثانية .

فقفزت فرحاً كأننى أبرهن على صحة نظرها ... وقلت :

رحماك يا صاح حدثنى عنها ... أقصص على أخبارها ... أى نوع من النساء هى ؟ فصاح صاحبى .

— يالك من طفل ... أتعلقت بها من أول لقاء ؟

لا ... لا ... لم أتعلق بها ... ولكنى أحس بظمأ يحرق روحى إلى أن التقى بها وأنظر إليها . وأتحدث معها ... وأتملى سحر وجهها ... وأتحدث إلى عينيها الساحرتين ... وأغمر قلبى فى وجهها الناطر .!!

* * *

وفى اليوم الثانى ذهبت إليها .

وجلسنا فى أحد مقاهى مصر الجديدة ، والأنوار فى ألوانها المختلفة تخلق لنا فى آفاق مخيلتنا عوالم غريبة ... والجو الساجى يرهف أعصابنا ، والنسيم المنبعث من وراء الأشجار الخضر ندىٌ كأنه يداعب أحلامنا ، ويشرق فى عالمنا بأطياف جميلة ... ومن خلف عالمنا السحرى تتألق النجوم من بعيد كأنها أشباح لدنيا مسحورة مختفية فى ضمير الأبد .

جلست إليها وهى أمامى ساحرة مشرقة القسمات ، وجفناها مسبلان بدلال على عينيها السوداوين ، وأنا أرتشف من كؤوس نشوتى .. ولاحت لى الأيام الماضية طلولا ينعق فيها غراب الوحدة ، وتصرخ فى جنباتها ريح اليأس المرير ... وحرقت ذكرياتى كلها فى نار وجدى ، وهمت فى الأجواء البعيدة التى تخلقها حواء .. أنا المحروم من ... العائش فى ضباب ، المسحور بتهاويل الأحلام .

وطال صمتنا ونطقت حواء أخيراً :

— ما بالك يا صاحبى ساهماً كأنك تفكر فى المستحيل ؟

ولمت عيناها ، ووقفت أمام سؤالها حائراً . . وأردت أن أصرخ فى وجهها :

— أقسم لك إنها هذا حق ... فأنا فى رحاب المستحيل .

ولكننى آثرت الصمت ، وانطلقت من شفتى ابتسامة هاربة كأنها جواب مبهم .

قالت : — إن الشباب دائماً يفكر فى المستحيل .. أتخالنى بعيدة عن عالمك الغامض ؟

— ولكن أية قوة قادتك إلى تلك الأبراج الشاهقة ؟!

— القوة التى تدفع الشباب إلى المستحيل ... ولكن لست أدرى لم يهيم الشباب بالمستحيل ؟

— لأنه كثير الآمال ... وكل أمل يخبو يزيد حياته ظلمة ، وينقلب فى سفر أيامه إلى ذكرى إخفاق ... مؤلم .

الآن بدأت أعرف لم يلف عمرى سحاب من الأحزان ... إن أشياء كثيرة تحزننى هى جراح أحلامى ... إن عمرى يذبل من غير غاية ... فأنا الآن فى العشرين من عمرى ولم يتحقق حلمى الجميل .

وأشفقت على حلمها الجميل الذى لم يتحقق وشعرت بيد من حديد تهصر قلبى وأردت أن أقول لها .

أيتها الهائمة فى الصحراء تفتشين عن حلمك الجميل ... أيتها الفراشة التى أصلتها نار الحرمان ، قلبى المحروم يناديك ... أتسمعين نداءه ؟.. إنه يدعوك إلى أن تتنكبى عن الماضى ومآسيه ، وتدخلى فى الجنة التى خلقتها عيناك له ... جنة أحلامه وأمانيه .

* * *

وافترقنا على ميعاد ... وظللنا نداف إلى عرائش أحلامنا مدة طويلة .

وجئت إليها مرة وفى قلبى همس ... قلت

— اسمعى يا « نادية » فى ضميرى سر يعذبنى قد تكون اختلاجاتى نمت عليه ... إننى أحبك !.. من أعماق نفسى ، وإنك قد دخلت دائرة حياتى ، ولا يمكننى أن أخرجك منها . ولا يمكننى أن أنساك ... إن آلامك آلامى ، وآمالك آمالى ، وقلبى يدعوك إلى أن نسير جنباً إلى جنب فى طريق الحياة .

فضغطت يدى وابتسمت عيناها ... ثم شفتاها ... وقالت : كأنك تقرأ أفكارى ... فأنا أخاف من طريق حياتى هذا القفر .

... وعندما رجعت إلى بيتى كنت إنساناً جديداً

أقسم لك يا عزيزى لقد تغيرت نظرتى إلى الحياة ... فقد تخيلتها إلى جنبى ملكاً حلالاً لى ... أنا وحدى ... أنا الذى قطعت حياتى فى صحراء الوحدة ... أنا الذى أذبل قلبى الحرمان والظمأ القاتل إلى الحنان ... إلى الصدر العامر بحبى والإخلاص لى . إلى القلب الذى يضمد جراحى ... إلى الروح التى تنشلنى من الأوحال ... دنياى المظلمة القاتمة المضطربة التى لا تستقر على قرار .

وبنيت فى مخيلتى بيتى المنتظر ... بيتاً بسيطاً لاثنين .. وتخيلتها إلى جنبى زهرة تغذى بالعطر ، وتملأ حياتى حبوراً ، وروحى قوة وحيوية ، وترد لى سعادتى الضائعة مع الأوهام .

كانت الدنيا فى عينى جميلة بهيجة ، حتى لقد أسفت على عمر قضيت شطراً منه فى عمى وجدانى من غير شعور ببهجة الدنيا وجمالها ... وشعرت بأن الناس يشاركوننى أفراحى فقد رنت فى أذنى ضحكاتهم ، وابتساماتهم الحلوة ، وانطلاق أساريرهم ، ودلائل السعادة فى محاياهم ... ووددت أن تكون معى لتشاركنى بما أشعر به من سعادة .

... ووصلت إلى البيت فرأيت بطاقة من صديقى الضابط يقول : إنه سافر إلى الأسكندرية لعمل هام يتطلب منه أن يغيب عشرة أيام ... أو أكثر .

... ولم أعر الخبر شيئاً من اهتمام لعلمى بما تقتضيه الحياة العسكرية من تنقل فجائى ... وفى أصيل اليوم ذاته سمعت أن « نادية » سافرت إلى « رأس البر » لقضاء أسبوع مع أقاربها . وقد تركت لى رسالة تخبرنى بذلك .

وظللت حائراً أمام هذه المصادفة العجيبة ... ورأيتنى فجأة وحيداً إلا من وساوسى وخيالاتى ، وأشواقى المضطرمة .

أنت تعرف — يا عزيزى — أن الوحدة لدى الإنسان العادى جحيم لا يطاق .. فكيف بوحدة الإنسان الممتلىء بالظنون ، المتأرجح فى الأجواء ، تتلاقفه الأهواء ، وتستبد به الخيالات ، ويحس بشوق إلى أن يكشف حجب المستقبل .

لقد تعذبت كثيراً وتحطمت أعصابى تحت أعباء الظنون القاسية ، وهزت نفسى هزات من القنوط ، وصرت صريع دياجير من أفكارى وتصوراتى .

وأخيراً رجع صاحبى ... ومعه زوجته

لست أعرف السر فى إخفاء خبر زواجه عنى أنا الصديق المقرب له .

وبعد يومين رجعت نادية ... وفى مساء اليوم ذاته ألتقيت بها ... وكانت معى « دبلة » تختنق فى حياء إحدى زوايا جيوبى .

ولكن رأيتها صورة ثانية ... كأننى لم أرها قبل عشر سنوات ولمحت على وجهها اكتئاباً عميقاً ، وفى عينيها شروداً وغموضاً ، وفى اختلاج صوتها رنة من العبرات المحبوسة .

تكلمت فى مواضيع مختلفة ، ولكنها لم تتطرق إلى موضوع

زواجنا ... أنسيته أم تناسته ، أم ندمت على ما قالته ؟.. لست أدرى فقد بلغ الغيظ منى مبلغاً عظيماً وأحسست بأن الأرض من تحتى تتحول إلى رمال هشة ، وتحاول أن تبلعنى .

قلت لها :

— أنسيت ما عاهدتنى عليه ؟

أى عهد ؟

— أى عهد ؟! نسيت أحلامنا وأمانينا ؟

سكتت وشردت ببصرها أثر النجوم التى تطل على عالمنا ساخرة كأنها تضحك من مآسينا ... ورأيتها تمسك يدى وتقول :

فلان ... أنت عزيز على ... إننى أشفق على حياتك أن تتحطم ، وعلى روحك أن يعصف بها إعصار ... لهذا فأنا لا أوافق على الخطبة ! !

... عزيزى الأستاذ لقد حدثتك عن الأحلام التى كانت تعمر فكرى ... وعجبت من سرعة إزدهارها . لقد ذبلت اليوم بسرعة أيضاً ... وها أنا أحس بقسوتها وضراوتها فى فكرى قالت :

— أنت الآن فى نظرى صديق عزيز أثق بقلبه ، واطمئن إلى إنسانيته ... لهذا سأقص عليك سراً كتمته عن جميع أصدقائى وأوثق الناس بى صلة ... الماثلة أمامك فتاة تجرعت صاب الخديعة ، ولقيت جزاء سذاجتها وبراءتها ، وطيبة قلبها ... لقد كنت أتصور الدنيا خالية إلا من الحب والطيبة فأوغلت فى دروبها منقادة بانطلاق حتى تعرفت على رجل ! صورته ليالى مهادى ملاكاً يمثل القدسية على وجه الأرض ، وانجرفت مع تيار تصوراتى إلى شاطئه ، فأحببته من صميم قلبى ، حباً جارفاً مجنوناً عاصفاً حتى رحت أهرع إلى صدره حين يستبد بى الضجر ، وتزرع الدنيا بذور الأحزان فى قلبى . . لقد كنت أقرأ كثيراً مما يكتبه الفرنسيون المصابون بهستريا الحب ، فأنصاع إلى آرائهم وأدخل فى جنائن تخيلاتهم ، وأهيم فى الأودية التى تخلقها أفكارهم .. وأمتص رحيق الحب المحرق من شفتى محبوبى !! كان صاحبى يمدنى بالزواج ، ويمنينى بالأمانى العذاب ، ويطفىء ظمئى بالتعلات ... ولكننى والحمد لله ما زلت محتفظة بجوهرتى الغالية على رغم إغرائه وتوسله ، وخورى أمام قوته الجارفة !!

ولكن الأيام والليالى تسير مسرعة غير متوانية ... وصاحبى صامت إلا من إحراق أزهار أحلامى ، حتى رأيت حبه لى يتحول إلى فتور ، وشوقه ينقلب إلى نفور ، وأرانى وحيدة إلا من حب يائس لم تصبه الأيام المضنية بوهن ... تلك الأيام التى قضيتها فى ظلال هجرانه لى ، وتنكبه عنى ، ونفوره منى .

وذات يوم سمعت أنه سافر إلى الأسكندرية للزواج من فتاة من أسرة محترمة ... وتوهج الحب فى قلبى ، وانقلب إلى شواظ من نار ... وقام فى نفسى ميل شديد إلى الانتقام ممن سلبنى قلبى ، وربطنى معه ، ثم ولى هارباً إلى الوجهة التى ليست وجهتى . فسافرت إلى الأسكندرية ، وعرفت البيت الذى سيظلل حبيبى ، فذهبت إليه ، ورأيت صاحبى مع عروسة يتألق ويفيض سعادة ، وتشرق الابتسامة فى فمه فى الجهة النيرة من الحياة كأنه نسى أن هناك قلباً يلهج بحبه ، ويتعذب فيشقى فى هوة سحيقة فى الجهة المظلمة العابسة من الحياة ... وأحسست بالعبرة تخنقنى ، وبكيانى ينهار كأنه جدار خاو ، وعدت أدراجى من البيت الذى سرق مصباح حياتى وتركنى أهيم فى الدجى وحدى ... إنه نكث عهده ، ولكننى ما زلت أحبه حباً عميقاً وأنا عارفة أنه سبب شقائى ، ولكننى لن أتنكب عنه ... أما أنت فلا أريدك تتعذب بسببى ، ولا تتجرع كأس الأسى معى ... وسأظل مخلصة لحبى اليائس حتى يضع الله حداً لحياتى التعسة .

وطفقت تبكى بدموع لم أتبين حقيقتها ... ثم قالت : — أعرفته ؟.. فأجبت : — لست غبيا إلى هذه الدرجة ... وامتلأ صدرى بالحقد على تلك العلائق التى تربط الإنسانية .

قلت : أتذكرين عندما التقينا ثانى مرة فى هذا المقهى ، وقلت : مالك ساهماً كأنك تفكر فى المستحيل ؟.. لقد أردت أن أصرخ فى وجهك : هذا حق ... فأنا الآن فى رحاب المستحيل . ذلك لأننى سمعت هاجساً يهجس بى أن حبك لى مستحيل ... لأن القوة التى صاغت حياتى كانت قاسية كتبت على أن أسير وحيداً فى طريق عاص بالأشواك .

ومددت يدى فى جيبى وأمسكت بالدبلة وحطمتها بين أصابعى بقوة ... ثم رميت حطامها بعيداً ... ومعها أحلام قلب محزوم .

غائب طعمة فرمان



العدد ٨٤٧ — الاثنين ٢٦ سبتمبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٥ ، ٣٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 em Année No. 847

Lundi — 26 — 9 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٤٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ ذوالحجة سنة ١٣٦٨ — ٢٦ سبتمبرسنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

مشكلة واحدة وعلاج واحد!

يقولون إن مشكلاتنا الاجتماعية ثلاث : هى الفقر والجهل والمرض ... وأقول إنها مشكلة واحدة : هى الفقر وحده دون سواه ! ولا أريد بهذا القول أن ألغى وجود المشكلتين الأخريين ، ولكننى أردهما إلى المشكلة الأولى حين نلتمس موضع العلة الرئيسية ، ونضع أيدينا على موطن الداء الأصيل ، ونبحث عن الحل الموفق والعلاج الناجع . وتستطيع فى حساب المنطق السليم أن تبرهن على صحة هذه القضية حين تقول إن الفقر يدفع بأصحابه إلى مهاوى المرض وظلمات الجهل ، ولا يستقيم لك هذا المنطق إذا قلت إن الجهل وحده أو المرض وحده يقود أصحابه إلى حومة الفقر الذى لا حيلة لهم فيه !

على هذا الأساس يجب أن ننظر إلى المشكلة ؛ المشكلة التى تخص السواد الأعظم من هذا الشعب ممثلا فى طبقات الكادحين من العمال والفلاحين ؛ فهنا الفاقة التى تحول بين الفرد وبين نور العلم ، وتحول بينه وبين نعمة العافية .. وماذا يفعل الفقير إذا أراد أن يتعلم وهو موزع الفكر بين مشكلتى الغذاء والكساء ، وماذا يقدم للجسد المنهك تحت عوادى السقم وهو لا يملك ثمن الدواء ؟! فى هذه التربة الخصيبة ينثر دعاة الشيوعية بذور المبادىء الهدامة ويشيمون دعوة السوء ، وفى ساحة الفقر وحدها يركزون هجماتهم فى الظلام بغية تمهيد الطريق لحملة المشاعل ... وفى غمرة الأمانى الكاذبة والدعوة الباطلة ، يصور الفقر لأصحابه أن الدجالين قادة ، وأن المستضعفين سادة ، وأن الشياطين ملائكة ، وأن المشاعل التى وعدوا بها ستحمل إليهم الإشراق كل الإشراق ، وما دروا أن فيها الإحراق كل الإحراق !

من العجيب حقاً أن يفطن دعاة السوء إلى موطن الداء الأصيل فى مصر ، ولا يفطن إليه المسئولون ومن بيدهم الأمر جرياً وراء التعلق بالروافد غافلين عن النهر الكبير ، نهر الفقر الذى يصب مياهه الملونة بجراثيم الجهل والمرض فى أودية النفوس والعقول ... ويقولون تبعاً لذلك إن مشكلاتنا الاجتماعية ثلاث ، ولا بأس أبداً من أن نبحث لكل مشكلة عما يلائمها من علاج . وتمضى الأيام والفقر هو الفقر ، والجهل هو الجهل ، والمرض هو المرض . . لماذا ؟ لأن الخطوة الواحدة قد أريد لها أن تكون خطوات ، ولأن الجهد الواحد قد قدر له أن يصير إلى جهود ... وهكذا تشتت القوى فى شتى الميادين بدلا من أن تركز فى ميدان واحد ، ولا ضير من أن نظفر ببعض النتائج فى عدد من السنين قد يستحيل إلى عدد من القرون ! ومن العجيب أيضاً أننا لا نزال نأخذ بسياسة الارتجال فى سبيل القضاء على المشكلة الخالدة ؟ ومن هذا الارتجال أننا نحاول مكافحة الفقر والمرض والجهل عن

الاســـــتقلال فى الأدب

للأســـتاذ راجى الراعى

الأدب قديم يعود إلى ذلك اليـوم البعيد الذى بدأ الدماغ ينسج فيـه خيوطه الأولى وله دولته ذات الهيا كل والأبراج والعروش وهى أعظم الدول وأضخمها وأجلها وأبعدها مدى وأغناها.

الأدب عظيم له كلمته الفيحاء الفينانة الخلابة الشاملة أتناولها فيعرض أمامى الأدب القديم مواكبه ويأتى امراؤه الذين ضخمناهم وأطلنا قاماتهم خلال القرون ويتربعون فى ساحتى قائلين :

نحن أرباب الأدب ودعائمه وأساطينه كتبنا الآيات الرائعات واحتللنا فى قصور التاريخ أفخم القاعات وغردنا فى جنان الأدب على كل غصن فيـه فلم نبق غصناً لطائر وحمنا حوماتنا فى جميع آفاق الفن واسـتقطرنا النجوم نجمة نجمة فلم نترك لغيرنا أفقاً ونجمة فى كأسها خمرة وحى وإلهام فما أنت كاتب بعدنا ؟ ماهذا الجنون فيك تأتى بالدواة وقد استنفدنا مدادها وتكتب المقال وترسـل الآية وتؤلف الـكتاب ونحن أمامك لم نبق لك جديداً ، أنسيت أن العالم قديم وأن الذين فـكروا وأحسوا قبل أن ولدت جيوش لو عرضت كلها أمام عينيك لسحقتك أمجاد القلم وأعماك غبـار العباقرة عما أنت فيه ، لقد عصروا رأس الأدب وقلبه ولم يدعوا لك قطرة .

نحن هنا أيها الدعى المغرور ولم نمت بعد وهذه أصواتنا المدوية فى الدهور فقل ، قل أنك تردد أصداءها .

أجل ، أجل ... أن لـكم ذهبكم الذى يبرق فى الأدب القديم ولـكن ليس كل ما أخرجتموه للناس ذهباً ففى جـواره نحاس كثير ، ولكم نفائسكم ولـكن ليس ما عرضتموه فى المتاحف كل ما يمكن أن يعرض فيها ، وأنتم أغنياء فى الأدب ولـكنكم لم تحتكروا الثروة الأدبية فهناك دنانير لم تضرب فى أيامكم وأسواق للأدب تعرض فيها بضاعة لم تعرفوا حريرها ... أجل ، لقد عصرتم رأس الأدب وقلبه وأسكرتم الناس ولـكن خمرة الروح لم تفرغ دنانها فهى دنان الزمان الذى لا تفرغ كأسـه ... أنت يا « هيجو » نسر فى الخيـال عظيم ولكنك لم تحتل الآفاق كلها ولم تقو على إخضاع أثير الشـعر لمشيئتك فلا يحمل غير روحك ولا يطرب لغير صوتك ... وأنت يا شكسبير لست الفن كله ... وأنت يا « روسو » لست رب النثر ... وأنت يا من نظار الأعمى إلى أدبك لست وحدك الذى ينظر إلى أدبه العميان ... أنتم ورفاقـكم القدماء موجات فى بحر الأدب والفن والخيال الذى لا ساحل له ، وفى وسعى أن آتيكم اليوم وغداً وبعد غد وأنا أصف هذه الشمس فى شروقها وغروبها بصورة جـديدة لم تخطر لـكم وأن ألبس ما أراه وأسمعه ثوباً جديداً ليس فيه خيط واحد من خيوطكم .

أن الوجوه التى أراها والأصوات التى أسمعها هى غير وجوهكم وأصواتكم ، والأدب ليس وقفاً على جيـل من الناس وإنما هو مرعى للانسانية لـكل أديب مفكر موهوب قطيعه فيـه ... أنتم فى الأدب بشر ونحن الذين ألهناكم وأقمنا لـكم الهيا كل وجعلنا الـكلمة لا صدى لها إلا إذا خرجت من أفواهكم .

نحن الذين خلقنا لـكم وجـوها لم يعرفها لكم معاصروكم ، لقد أقصاكم عنا تعاقب الأجيال فى لجة القدم فقام الخيال ينسج نسيجه ويلبسـكم الأثواب الفضفاضـة التى خاطتها الأساطير والأوهام ... أنتم أسياد فى الأدب ولكننا لا نعترف بكم طغاة مستبدين .

طريق الاستجداء وبيع أوراق اليانصيب ... فمن مشروع البر إلى مشروع الحفاء ، إلى مبرة محمد على ويوم المستشفيات ، إلى آخر تلك الأشياء التى يسخر منها منظر اللابين من المموزن والجهال والمرضى والحفاة !

لو نظرنا إلى الأمور بمنظار الواقع لعرفنـا كيف نسلك الطريق ... هناك مشكلة واحدة وعلاج واحد ، أما المشكلة فهى الفقر وأما العلاج فهو النهضة الصناعية . وبهذه النهضة نقضى على المشكلة الخالدة وتخضع من تلقاء نفسها بقية المشكلات . أما السبيل إلى تحقيق هذا الأمل الـكبير فهو أن تستغل الأموال المـكدسة فى المصارف كما يفعـل الرجل المصامى أحمد عبود فى سبيل تلك النهضة المنشودة ، وعندئذ تنتعش الثروات التى يعيش لها أغنياؤنا وينتعش المجتمع الذى يعيشون فيه !

(أ . م)

منازع الماضى :

على طريق الحملات المصرية فى لبنـــــان

أيام دولة سلاطين المماليك البحرية

للأســـتاذ أحمد رمزى بك

إن الطريق الموصـل بين بعلبك ومدينة طرابلس يعد أعلى طريق معبد فى الشرق الأدنى ، ويخترق مناطق من أجمل المناطق فى جبال لبنان ويمر قريباً من شجر الأرز الذى عاصر القرون الطويلة . وكلما اتجهت لزيارة هذه الجهة الخالدة واجتزت بلدتى بشرى وأهدن تواردت الخواطر تترى علىّ ، ومرّت أمامى ذكريات حوادث التاريخ ، ففى سـنة ٨٨٢ هجرية قام الأشرف قايتباى برحلته المشهورة إلى أقاصى الحدود المصرية فى الشمال حيث القلاع الإسلامية فى داخل الأراضى التركية الحالية .

كان وصوله إلى بعلبك فى يوم السبت ١٩ جمادى الآخرة وغادرها الأحد وقت الظهر متخذاً طريق طرابلس مخترقاً الجبال العالية فأمضى الليـل فى عقبة « ليمونة » على ارتفاع ١٩٦٠ متراً من سطح البحر . ويقول كاتب رحلة السلطان إن الطريق إليها كان وعراً وهى وسط الجبال تحيط بها أشجار الكمثرى .

ولما اجتاز العقبة اتخذ طريقه إلى الحدث (حدث الجبة) حيث صلى الصبح ومن هـذه إلى كفر قاحل ويسميها صاحب الرحلة قاهر . والطريق إليها يمر بحوالى ٣٦٠ لفته ، ثم انحدر السلطان إلى طرابلس فوصلها فى مساء الاثنين وأقام بها إلى الخميس ٢٤ جمادى الآخرة سنة ٨٨٢ .

وهذه الرحلة تعيد إلى مخيلتى الحملات التى وجهها جند مصر إلى هـذه النواحى فأنا لا أذكر للقارىء ما كتبه البطريرك اسطفانوس الدويهى عن تاريخ سنة ١٢٨٣ نقلا عن بعض كتب للصلاة عن فتح « جبة بشرى » وحصار «أهدن» كما لا أعرض لما كتبه صالح ابن يحيى فى كتابه عن تاريخ أمراء الغرب وما جاء

أن للأدب تاجاً يطمح كل أديب موهوب إلى درة فيه ، وهذا النير ، نير الأدب العتيق يجب أن نتحرر منه فليس فى الأدب أنيار وإنما فيه أنهار تتدفق من ينابيع الألهام الذى ينزله الله على من يشاء فى أى وقت شاء .

تلك هى اللغة التى يجب أن يخاطب بها أديب اليوم أديب الأمس ، إن ما نطلبه من أديب اليوم هو الجرأة فى التفكير والثقة بالقدرة على الإبداع والطموح بالعاطفة والخيال إلى آخر نجمة فى أقصى الآفاق وغمس القلم فى مداد حر ورفع البناء بحجارة جديدة فكم هو جميل أن تبنى بناءك وتقول : هذا حجوى ، وما الفائدة من القلم وأين جماله وجلاله إذا غمس فى دواة قديمة .

لقد اجتازت بنا قوة التفكير والإحساس مراحـل لا تعد واتسعت عيوننا وجباهنا فتكشفت لنا آفاق لا عهد للأمس بها ووعينا ما لم يكتب للأقدمين أن يقفوا عليه وغصنا إلى أعماق الوجدان وعرضنا مواكب السماء والأرض موكباً موكباً وجئنا بالكهرباء وما وراء الكهرباء ... أبعد هذا كله نظل أتباعاً لشاعر قديم أو ناثر مفكر موهوب بيننا وبينه ألف جيل .

أن ما نطلبه من أديب اليوم هو الاستقلال فى الأدب فلا وصاية ولا انتداب للأدب القديم على الأدب الحديث .

أن الاستقلال هرم له جوانبه الثلاثة فإلى جانب الاستقلال السياسى والاستقلال الاقتصادى يقوم الاستقلال الأدبى الذى لا رقابة فيه ولا قيود .

خلقت الفكرة طليقة شـامخة وولد الفن عزيزاً حراً وجمال الفكر والشـعور يطلع علينا فى كل صباح ومساء بوجه جديد واللا نهاية فى الآفاق هى فى الأدب أيضـاً فشموسه وكواكبه وسياراته ونجومه تشع فى الدهور وما وراءها .

أن هيا كل الأدب أوفر عدداً من النجوم والرمال والأمواج ولكل منا مذبحه الأدبى إذا كان فى روحه دم يهرق فلنرفع الرأس فى معابد الأدب والخيال أحراراً مستقلين ولننفض يدنا من الخانعين المستعبدين .

راجى الراعى

فيه نقلا عن النويرى والصلاح الـكتبى فى فتوح المصريين للـكسروان لأن العبارات الواردة فى كتابه صفحة ٢٩ هى بعينها التى أوردها ابن الفرات فى كتابه جزء ٨ صفحة ١٤٢ ممـا يدل على أنهم جميعاً ينقلون عن مصدر واحد حينما يتحدثون عن توجه الأمير بدر الدين « بيدار » قائد السلطنة بمصر ومعه العسا كر المصرية وصحبته أمراء الجند بقصد جبال كسروان فى شهر شعبان سنة ٦٩١ (١٢٠٢) ميلادية . وإنما اكتفى بالنوبات التى جاءت بعد ذلك وأولها الحملة التى قام بها جمال الدين آقوش الأفرم نائب الشام فى عهد الملك الناصر محمد . آقوش هذا ترجم له صاحب الدرر الـكامنة فقال عنه « آقش الأفرم الجركسى كان من ممـاليك المنصور (قلاوون) ذكر عنه أنه التمس من أستاذه ولاية الشام فأجابه السلطان « ما هو فى أيامى » وذكر صاحب الدرر نقلاً عن ابن فضل الله العمرى : إن الأفرم كان يتردد على فقير مغربى بالقرافة فى مصر فقال له الفقير : « ماذا تعطينى إذا صرت يوماً نائب السلطنة بالشام ، فقال الأفرم «ومن أناحتى تسند إلى نيابة الشام» قال الفقير : لا بد فى ذلك وإذا حصل هذا تصدق بألفى درهم عند السيدة نفيسة وبألف عند الإمام الشافعى .

وذكر الأفرم أنه نسى كل هـذا وفى يوم من الأيام وقد عاد هارباً من حروب غازان ملك التتار بعد نوبته الأولى وفتحه دمشق وصل القاهرة ، وبينما هو يتجول بالقرافة تذكر قول المغربى فأحضر الدراهم وفرقها فى الوضعين . ويقول صاحب الدرر « كان الأفرم فارساً بطلا عاقلا جواداً يحب الصيد وكان خليقاً للملك لما فيه من المهابة والحماية ، وكان خيراً عديم الشر والأذى يكره الظلم ولم يحفظ أنه سـفك دم أحد ولا لوجه شرعى ، وكان يباشر أهل العلم كابن الوكيل[1] وكان لأهل دمشق فيه محبة مفرطة ومدحه جماعة من الشعراء» . أما هو فبلغ تلهفه على دمشق وأهلها مبلغاً جعله يقول « لولا القصر الأبيض (الأبلق) والميدان الأخضر ما خليت بيبرس وسلار ينفردان بمملـكة مصر » . وهما مكانان بدمشق

ولذا أقام بدمشق إحدى عشر عاماً وأنشأ بها[1] جامعه المشهور سـنة ٧٠٦ الذى تولى الخطابة فيه قاضى القضاة شمس الدين محمد بن عطاء العز الأوزعى الحنفى .

ويعجبنى فى الأفرم هذا الود لمدنية دمشق وهذه المنزلة التى أوجدها لنفسه هناك حينما تولى نيابة السلطنة عن مصر فى ربوع الشام وما تم على أيديه من عظائم الأمور .

ذكر صاحب البداية والنهاية أنه عقب انكسار التتار وأخلائهم لدمشق حدث[2] : فى يوم الجمعة ١٧ رجب ٦٩٩ أعيدت الخطبة بدمشق لصاحب مصر . وفى يوم السبت ١٨ رجب ٦٩٩ نودى بأن تزين البلد لقدوم العسا كر المصرية وفى يوم الأحد ١٩ رجب ٦٩٩ فتح باب الفرج مضافا إلى باب النصر . وفى ١٠ شـعبان دخل الجيش الشامى وعلى رأسه نائب دمشق الأمير جمال الدين آقوش الأفرم . وفى يوم الجمعة ٢٩ شوال « ركب نائب السلطنة جمال الدين آقوش الأفرم فى جيش دمشق إلى جبال الجرد وكسروان وخرج الشيخ تقى الدين بن تيميه ومعه خلق كثير من المتطوعة والحوارنه لقتال أهل تلك الناحية بسبب فساد نيتهم وعقائدهم» .

« ولما وصلوا بلادهم جاء رؤساؤهم إلى الشيخ فاستتابهم » .

وفى يوم الأحد ١٣ ذى القعدة عاد الأفرم من طريق الجبال فتلقاه الناس بالشموع على طريق بعلبك وسط النهار .

وهذه هى النوبة الأولى فلننتقل إلى الثانية : —

وكان خطر التتار جاثماً على الصدور رغم انتصار المصريين فى

---

(١) الشيخ الصدر بن الوكيل : — هو العلامة أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الإمام مفتى المسلمين زين الدين عمر بن مكى بن عبد الصمد المعروف بابن الوكيل شيخ الشافعية فى زمانه ولد سـنة ٦٦٥ وتوفى بالقاهرة ١٤ ذى الحجة ٧١٨ كان منزله بجوار جامع الحاكم ، درس بعدة مدارس بمصر والشام ، كان يتكلم فى الحديث والطب والفلسفة وعلم الكلام .

ص ٨٠ جزء ١٤ ابن كثير . النجوم الزاهرة ص ٢٣٣ جزء ٩ والمنهل الصافى وطبقات الشافعية «صاحب كتاب الأشباه والنظائر» ولد=

= فى دمياط ودفن فى تربة الفخر ناظر الجيش بالقرافة .

ومن شعره :

أقصى مناى أن أمر على الحمى ويلوح نور رياضه فيفوح

حتى أرى سحب الحمى كيف البكا وأعلم الورقاء كيف تنوح

(١) راجع ثمار المقاصد فى ذكر المساجد ص ١٩٣ ، ابن كثير فى جزء ١٤ ص ٤٢ . هذا المسجد قائم الآن .

(٢) ابن كثير ص ١٢ جزء ١٤ .

البر والبحر ورغم حروبهم ضد الأرمن فى سيس ورغم أنهم فتحوا جزيرة أرواد سنة ٧٠٢ وكان بقلمة دمشق علم الدين «أرجواش» وهو من أقدر قواد مصر فصمد بالقلمة فاقتدت به بقية القلاع الشامية ، ومع كل هذا اشتد الجزع وقنت الخطيب فى الصلوات وقرىء البخارى بالمساجد حينما ظهرت طلائع التتار وأخيراً جاءت المركة ، أى وقعة شقحب المشهورة التى وقف فيها الناصر محمد مع خليفه الزمن ، وانتصر فيها جند مصر والشام ، وكان النساء والأطفال على أسطحة المنازل والمآذن يتتبعون مراحلهم وقد كشفوا رؤوسهم وارتفعت أصواتهم بالدعاء .

ومرت سنتان على تلك الحوادث فإذا بالأفرم يقوم من دمشق بقيادة حملة إلى الجبال بعد أن استراحت الجيوش الإسلامية واستعادت قوتها .

ذكر المقريزى فى السلوك هذه النوبة على الترتيب الآتى :

سنة ٧٠٤ توجه شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيميه فى ذى الحجة من دمشق ومعه الأمير بهاء الدين قراقوش المنصورى إلى أهل جبل كسروان يدعوهم إلى الطاعة فلم يجيبوا . فجمعت العساكر لقتالهم .

سنة ٧٠٥ سار الأمير جمال الدين آق كوش الأفرم نائب الشام من دمشق فى عساكرها لقتال أهل كسروان ونادى بالمدينة من تأخر من الرجال والأجناد شنق فاجتمع له نحو الخمسين ألف راجل ، وزحف بهم لمهاجمة أهل تلك الجبال ونازلهم وخرب ضياعهم وقطع كرومهم ومزقهم بعد ما قاتلهم أحد عشر يوماً ، قتل فيها الملك الأوحد شادى بن الملك الزاهد داوود وأربعة من الجند ، وملك الجبل عنوة ووضع السيف وأسر ستمائة رجل وغنمت العساكر منهم مالاً عظيما وعاد إلى دمشق فى أربع عشر صفر ٧٠٥

***

وفى المقريزى : أن السلطان أقطع فى جمادى الآخر جبال كسروان بعد فتحها للأمير علاء الدين ابن معبد البعلبكى وسيف الدين بكتمر عتيق بكتاش الفخرى(١) ، وحسام الدين لاجين ، وعز الدين خطاب العراقى ، فركبوا بالشربوش وخرجوا إليها فزرعها لهم الجبلية ورفعت أيدى الرفضة عنها .

وسنعود بعد قليل إلى هذا الاقطاع بالذات لأهميته .

ويظهر جلياً أن أهل الجبال كانوا السبب المباشر لشن الغارة على أراضيهم فقد ذكر صالح بن يحى : فى تاريخ بيروت ما يأتى عن النوبة الثانية نقلا عن النويرى :

« كان أهل كسروان قد كثروا وطغوا واشتدت شوكتهم وامتدوا فى أذى العسكر عند انهزامه من التترسنة ٦٩٩ (١٣٠٠ ميلادية) وتراخى الأمر عنهم وتمادى وحصل إغفال أمرهم فزاد طغيانهم وأظهروا الخروج عن الطاعة واعتزلوا بجبالهم المنيعة وجموعهم الكثيرة وأنه لا يمكن الوصول إليهم » .

وهكذا يتضح أن الفوضى عمت جبال كسروان وأن الاعتداء حصل على الجيش عند تراجعه من حملة التتار الأولى قبل موقعة شقحب ، وفى ذلك يقول أبو الفداء وهو معاصر أنه على أثر حملة الأمير أقوش الأفرم ٧٠٥ طهرت تلك الجبال الشاهقة بين دمشق وطرابلس ، وأمنت الطرق بعد ذلك ، وهذا يفسر اجتياز هذه الطرق بالذات بواسطة السلطان قايتباى بعد قرنين تقريباً من الزمن حينما اشتدت الحوادث بين مصر من جهة ودولة حسن الأكبر « اوزون حسن » ثم مع بنى عثمان من بعده وذلك للتأكد من أمن الطرق إذا قدر للجيوش المصرية أن تتراجع فلا تهاجم من الخلف .

ويستمر صالح بن يحيى يحدثنا فيقول :

فى ذى الحجة ٧٠٤ جهز إليهم (أى أهل كسروان) جمال الدين آقوش الأفرم نائب الشام زين الدين عدنان ثم توجه بعده تقى الدين (ابن تيميه) وقراقوش وتحدثا معهم فى الرجوع إلى الطاعة فما أجابوا إلى ذلك فعند ذلك رسم بتجريد العساكر إليهم من كل جهة وكل مملكة من الممالك الشامية » .

وهذه العبارة نقلها البطريرك اسطفانوس الدويهى فى كتابه وأخذها منه المطران الدبس فى كتابه مشيراً إلى أن الأفرم أمر الجبليين أن يصلحوا شؤونهم مع التنوخيين (أى أمراء الغرب فى لبنان حلفاء المصريين) وأن يدخلوا فى طاعتهم فلم يحصل اتفاق

(١) لما قتل الملك المنصور لاجين أجمعوا على سلطنته الفخرى فامتنع وأشار بعودة الملك الناصر محمد بن قلاوون ص ٢٤٤ النجوم الزاهرة

فاتقى الملماء حينئذ بنهب بلادهم لاستمرارهم على العصيان ولذلك جردت المساكر من جميع بلاد الشام ولم تزل الجموع تزداد من كل ناحية .

وفى كتاب صالح بن يحيى : أن أقوش الأفرم توجه من دمشق بسائر الجيوش فى يوم الاثنين ٢ المحرم سنة ٧٠٥ (وهو ما جاء فى ابن كثير ص ٣٥) وجمع جماً كثيراً من الرجال نحو ٥٠ ألفاً وتوجهوا إلى جبال الكسروانيين ، وتوجه سيف الدين أسندمر نائب طرابلس ، وشمس الدين سنقرجاه المنصورى نائب صفد ، وطلع اسندمر المذكور من جهة طرابلس ، وكان قد نسب إلى مباطنتهم فجرد العزم واراد بجهاده فى هذا الأمر أن ينفى عنه هذه الشناعة التى وقمت به ، فطلع إلى جبل كسروان من أصعب مسالكه واجتممت عليهم المساكر واحتوت على جبالهم ووطئت أرضا لم يكن أهلها يظنون أن أحدا يطأها ، وقطمت كرومهم وأخربت بيوتهم وقتل منهم خلق كثير وتفرقوا فى البلاد واستخدم اسندمر جماعة منهم فى طرابلس بجامكيته وخزائنه من الأموال الديوانية فأقاموا على ذلك سنين . وأقطع بمضهم (أخبازاً)[1] من حلقة طرابلس واختفى بمضهم فى البلاد واضمحل أمرهم وخمل ذكرهم »

وينقل المطران يوسف الدبس رئيس أساقفة بيروت المارونى عن ابن الحريرى وابن سباط « أنه فى يوم الاثنين ثانى محرم سار آقوش الأفرم نائب دمشق بخمسين ألفا بين فارس وراجل إلى جبل الجرد وكسروان التى حيال بيروت . فجمع الدروز رجال الجرد وكانوا عشرة أمراء بعشرة آلاف مقاتل والتقت الجموع عند عين صوفر وجرى بينهم قتال شديد وكانت الدائرة على الأمراء فهربوا بحريمهم وأموالهم وأولادهم ونحو ٣٠٠ نفس واحتموا فى غار غربى كسروان يعرف بمغارة نيبية فوق أنطلياس بالقرب من مغارة البلانة فداقوا عن أنفسهم ولم يقدر الجيش أن ينال منهم ثم بذلوا لهم الأمان فلم يخرجوا فأمر نائب الشام أن يبنوا على الغار سداً من الحجر والكلس وهالوا عليه تلاً من التراب وجعلوا الأمير قطلو بك حارساً عليهم مدة أربعين يوماً حتى هلكوا داخل الغار .

وفى أسباب هذه النوبة يقول صاحب كتاب أخبار الأعيان فى تاريخ جبل لبنان أن أهل كسروان والجبال قتلوا أميرين من التنوخيين حين تمرضوا المساكر الإسلامية فى واقمة جبيل .

وأن نائب الشام آقوش الأفرم أراد حقن الدماء وبعث الشريف زين الدين بن عدنان للتوسط فى الصلح بين الأمراء التنوخيين وخصومهم فلم يقبل هؤلاء » .

هذه صفحة أولى لتلك الحملات وسنرى كيف أثرت فى تاريخ لبنان وعلاقات أمرائه مع مصر الإسلامية التى خاضت أشد الحروب هولا وكتبت أعظم ملاحم التاريخ .

(يتبع) **أحمد رمزى**

(١) جاء فى ص ٣٣ تحقيق الأب لويس شيخو أخبار وصحته ما يذكر (أخبازاً) .

صور من الحياة :

ربة الشـــاطىء ...

للأستاذ كامل محمود حبيب

يا ويح قلب ينبض بالحب والهوى ويخفق بالصبا والغرام على حين قد جاوز سن الطيش وطوى أيام العبث ! ولكن ماذا عسى أن يضير المرء إن هو نفض عن نفسه أغلالها ساعة من الزمان ليستمتع برواء الحياة ورونق العمر ، هناك على سيف البحر ، حيث تضطرب الدنيا بالجمال والمرح وتموج الأرض بالشباب والحركة ؟

لشد ما راع صاحبي أن أستمرئ الوحدة وأستعذب الخلوة فأقضي صدر يومي وحيداً في ناحية من الشاطئ ، أستروح نسمات البحر في شغف ولذة ، وأنشق عبير الحياة في هدوء بعيداً عن نزوات الشاطئ ومباذله ، وأنطوي على نفسي أحدثها حديث عقلي حيناً وحديث قلبي حيناً آخر ، ثم أوفق خواطري بين أضعاف كتاب اخترته رفيقاً لي . ولشد ما آذاه أن ألصق في مكاني لا أريم إلا حين تدعوني حاجات الدار أو رغبات الابن أو شهوة البطن .

وإنه لنزّاع إلى اللذة وصاحبي فتى عذب تتدفق الحياة في قلبه مرحاً وسمادة ، وتتألق الدنيا في ناظريه حبوراً ودعة ، تجذبه الفكاهة ويستخفه الطرب ، لا تشغله الزوجة ولا يرهقه الولد ولا تثقله الدار .

وعجب صاحبي أن أفزع من حر القاهرة لأتخذ خلوة على الشاطئ ، فأراد أن يستشف ما وراء ... وحاول — مرات ومرات — أن يكشف عن سر صاحبه — أنا — وإنه ليرى فيه شغل البال وقلق الضمير ، فما كان ليظفر مني إلا بنظرة خاطفة أو كلمة عابرة ثم يضيق بي فينطلق من لدني ليتسكع على الشاطئ أو ليسبح في البحر أو ليملأ ناظريه من جمال الأجسام العارية الملقاة على الرمال .

ولكن صاحبي كان ضيق الصدر قليل الصبر فأصر على أن ينفذ إلى سر نفسي — كزعمه — في لباقة ومكر ، فجلس إليّ يحدثني قائلاً : هلا حدثتني عن بعض ما يفدحك ؟ « قلت » يفدحني ؟ يفدحني أنا ؟ ماذا بك ؟ « قال » لعلك جئت إلى هنا تريد أن تدفن همومك في رمال الشاطئ أو تطامع في أن تغرقها في لجة اليم ! فقلت له مقاطعاً « على رسلك ! يا صاحبي » ولكنه استمر في حديثه لا يعبأ : فلما أعجزك أن تغفل جلست في ناحية تبدئ فيها ثم تعيد فعميت عن أن ترى هنا غير خواطرك السود وتفهم الشاطئ والبحر معاً وتسدل بينك وبين الحياة ستراً ثقيلاً « قلت » ها ... ها ! وَيْ كأنَّ حاجة في نفسك دفعتك إلى أن توهمني بأن أعباء تثقلني لتبلغ غاية في نفسك ! « قال » فما بالي أراك ساكتاً في هموم تنضم على خطرات قلبك وتنطوي على دفعات نفسك تغضي الطرف عن الدنيا في قناعة وتكبت القلب عن المتعة في زهد ومن حواليك بسمات الشاطئ تتكشف عن نشوة ولذة « قلت » وماذا عساي أن أفعل وأنا من ترى ؟ ثم أشرت إلى شعرات بيض تلمع في فودي . فقال « أرى ؟ أرى ؟ أرى؟ » ثم جذبني وهو يضحك في سخرية ويقول « أراك شاب القلب واليد واللسان ! »

وألقيت السلم إلى صاحبي وفي رأيي أنني أهرب من سجني ... من المظلة والكتاب ، وخُيِّل إليّ أن المظلة هي سجن جسمي وأن الكتاب هو سجن عقلي ، فانطلقت إلى جانبه .

واندفع صاحبي ينشر أمامي تاريخ قلبه منذ أن فزعنا من لظى القاهرة إلى ربيع الاسكندرية ، ومنذ أن انطلق هو على سنته تدفعه حرية الشباب والعزوبة ، وجلست أنا تحت المظلة تقيدني أغلال الرجولة والأسرة . وقال فيما قال ... ورأيت هنا ربة الشاطئ ، وهي فتاة أشربت روح الخمر ، في جسمها نشوة ، وفي عطرها سكر ، وفي نظراتها سحر ، هي زهرة الشاطئ اليانعة وجماله الخلاب وروحه الرفافة ، وهي ... « فقلت مقاطعاً » كفى ! لقد أصبحت شاعراً وعهدي بك بليد اللسان بليد العاطفة . ولا عجب ، فالشاطئ الآن — في ناظريك — بلد ألف ربة « قال » لا تعجب فسأريكها .

وأقبلت ربة الشاطئ تتهادى في رقة وتخطر في دلال فتعلق بها بصري ما يطرف ، ورأيت فتاة تشع جمالاً يعصف بالقلب ويعبث بالفؤاد ، وهي تسير الهويني في تبّان أنيق حاكته يد صناع فبدت عليه سمات الذوق السليم والفن السامي ، وإنه ليكشف عن فتنة يقظى ويواري فتنة عارمة ، وإن نسمات البحر الهادئة تداعب شعرها الذهبي المرسل فيضطرب على كتفيها ويداري صفحة خدها الأسيل حيناً ويكشف عنها حيناً فتتراءى الروعة والبهاء

من خلاله . ورأيت فى نظراتها عزوفاً عن التطلع وفى مشيتها كبرياء الأنفة وفى حركاتها امتهاناً للنظرات النهمة وفى أذنيها وقراً من كلمات الإعجاب والملق ، كأنها تعيش فى عالمها هى ... عالم الجمال والسحر والفتنة ، عالم السمو الترفع والصلف . ومرّت بى فأحسست بقلبى يعربد بين ضلوعى فى شدّة وعنف وينشبث بها فى إصرار وعناد فوهى ما اشتدّ من عزمى ويحطم ما تماسك من قوتى ، وحاولت عبثاً أن أصرف عنها خواطرى لأن قلبى كان قد علقها على حين غفلة منى . ورأيتنى أندفع خلفها ، بالرغم منى ، وأنا أجرُّ صاحبى خشية يبتلعها الجمع الزاخر على سيف البحر .

وانتحت ربة الشاطئ مكاناً قصياً فى منأى عن أمواج البشرية المتلاطمة على سيف البحر عسى أن تسكن ساعة إلى نفسها . وهناك ، نزلت إلى البحر ثم اندفعت بين طيات الماء تصارع الموج فى عزيمة لا تخشى نصباً ولا رهباً .

وفى صباح اليوم التالى شهد الشاطئ أمراً عجباً ، شهد هذا الرجل الذى ظلّ أياماً طوالاً يعيش فى ثنايا فلسفته ، ينطوى على نفسه ويسكن إلى كتابه وحيداً تحت مظلة لا يمل الوحدة ولا يأنس إلى رفيق ... شهده — لأول مرّة — يذرع الشاطئ فى تبّانه وبرنسه ونظراته زائغة ما تستقر وعقله قلق ما يهدأ وفؤاده مضطرب ما يسكن .

وحين اندفعت ربة الشاطئ إلى البحر — كدأبها — اندفعت أنا من ورائها أغالب الموج وأنا أحس بفورة الشباب تتدفق فى عروق وتدفعنى — فى حرارة — إلى غاية . وشعرت الفتاة بى وأنا أتأثرها فى خفة وصمت فنظرت فارتاعت — بادئ ذى بدء — ولكن حديثى بعث فى نفسها الرضا والطمأنينة ، فانطلقنا معاً جنباً إلى جنب لا أستشعر الكلال ولا أحس التعب

وعدنا إلى الشاطئ صديقين جمعتنا أمواج البحر على الصفاء ساعة فيها لذة القلب وسعادة العمر ، عدنا لنتلاقى — بين الحين والحين — على ميعاد .

وأحسست بالسعادة تتسرب إلى قلبى وبالهدوء يتدفق فى فؤادى وبالنشاط يتألق فى عروق وبالشباب يفعم روحى ، وانطوت أيام ...

لك الله يا صاحبى ! لقد جذبتنى من خلوتى لأكون صديق روحاتك ورفيق غدواتك ، ففقدت فى الصاحب والرفيق حين دفعتنى إلى الفتاة التى سحرتك .. إلى ربة الشاطئ .

وعز على صاحبى أن تستشعر الدار فقدى ، وهو من ذوى قرابتى الأدنين ، وأن يحس هو منى الإهمال وإنه لذو دالة على ، فجاء يشكونى إلى نفسى . وأنصت إلى حديثه بأذنى وقلبى هناك . هنـاك عند الفتاة التى صرفتنى عن الزوجة والابن والدار جميعاً .

وبدا لعينيه أن الفتاة قد سيطرت على مشاعرى فغدوت مسلوب العقل مختلب اللب لا أجد النور إلا من خلال نظراتها الساحرة ولا ألمس السعادة إلا فى نبرات صوتها الوسيقى ولا أحس الدفء إلا إلى جانبها ، فأراد أن يبلغ غايته من بين خفقات قلبى ، فقال : « لقد شغلت — منذ حين — عنى وأنا أطمع أن أظفر ببعض وقتك لأصحبك فى نزهة جميلة » قلت فى جفوة « أى نزهة تريد؟ » قال « نقضى معاً سهرة الليلة فى كازينو كذا » قلت « ولكننى أمقت السهر لأنه عناء ينفث العلة فى الجسم ويبذر الضعف فى الشباب ويلد الخبل فى العقل » قال « إنك ولا ريب تحتال لتضنّ علىّ ببعض فراغك ، وأنا منك من تعلم » ثم نظر إلى نظرة فيها الرجاء والاستعطاف رق لها قلبى فما استطعت أن أرفض طلبته .

وهناك فى الكازينو شملنى جو المرح وسيطرت على روح البهجة فرحت أنا وصاحبى نعبث فى هدوء ونسخر فى أدب ونضحك فى رقة . وعلى حين فجأة قال لى صاحبى وهو يشير إلى المسرح « انظر ، ما أجمل هذه الراقصة ! » ونظرت ... نظرت فإذا الراقصة هى فتاتى ... هى ربة الشاطئ .

وأصابتنى الدهشة والذهول لما رأيت . إنها راقصة من بنات الهوى تنفث السم فى قلوب الناس لتسرق الرجل من رجولته وماله وتستلب الزوج من زوجته وأولاده . إنها عون الشيطان يريد أن يهدم الدار ويشتت شمل الأسرة .

وهدنى الحزن لما رأيتها — بعد حين — تتنقل بين موائد الشباب والشيوخ على السواء كذبابة خصّافة بها نهم فهى تسقط فلا تسقط إلا على القذر والنتن . وأوشك الأسى أن يعصف بى لولا صبابة من رجولة ما تبرح تتأجج بين ضلوعى .

وانطلقت إليها وفى نفسى ثورة مكفوفة ، ورحت أهزها فى عنف وأحدثها فى كد ثم دفعتها عنى وأنا أناديها وداعاً ... وداعاً ، يا ربة الشاطئ » .

يا ربة الشاطئ ! إن حب الابن فى قلب الرجل فوق حبك ، وإن هوى الزوجة فوق هواك ، وإن راحة الدار فوق رغباتك ! فوداعاً ... وداعاً يا ربة الشاطئ .

كامل محمود حبيب

أبو خليـــــل القبانى

باعث نهضتنا الفنية
وأثر رحلته إلى الديار المصرية

للأستـــــاذ حسنى كنعان

- ٥ -

كان هبوط القبانى مصر فى عهـد ساكنى الجنان المغفور لهم : (الخديو إسماعيل والخديو (توفيق) والخديو (عباس)) وكان هؤلاء يعطفون عليه عطف بعض ولاة الشام ويشجعونه حتى بلغ من شـدة عطف الخديو توفيق عليه أنه طيب الله ثراه ونضر ضريحه كان له فى مسرحه حجرة خاصة يؤمها كلما اقسمت نفسه وتاقت لمشاهدة فن هذا النابغ السورى العظيم .

ومما حببه إليه أن مدة إقامته الطويلة فى مصر صادفت هذا العهد التوفيقى الذى كتب له فيه النجاح والفلاح .

ولقد اشتهر نابغتنا فى هذا العهد وفى هذه البلاد التى تعرف قيمة الفن وأربابه نال شهرة فائقة لا تقاس بها شهرته فى وطنه حتى غدا مسرحه فى برهة وجيزة كعبة القصاد وقبلة أنظار عشاقه . وكانت شهرته فى سورية مقتصرة على هذا المحيط الضيق ، أما هنا فلقد طارت شهرته فى كافة أقطار العالم وأصبح بهذا مفناً عالياً عرف له أهل الخبرة من الفنيين المتكسبين من هذه الصناعة والمتلذذين قدره ولزموا مجالسه — وأقبلوا على مسرحه إقبالاً رائماً إن دل على شىء فإنما يدل على مقدار عظمة مصر وتقديرها للنابغين ، فأخذ عنه الـكثيرون منهم وتتلمذوا عليه — وناصروه وآزروه فانتعشت بذلك آماله وتجـددت همته فأرى أبناء الوادى من عظيم فنه وخوارق مواهبه ما صيره موضع الإكرام والإجـلال بينهم ، فنسى بهذا أيامه الـسود التى مرت عليه فى الشام مجفواً من السلطان ومنبوذاً من الأهل والخلان) . وكـان (عبـده الحمولى) المغنى المعروف والمطربة المبدعة (ألماظ) لا يتورعان عن حضور حفلاته ولا يبخلان على الجماهير بعرض بعض أدوارهما وقطعاتهما الموسيقية والغنائية فى فترات فصول رواياته ، ولهذا كان مسرحه يحوى العبرة والعظة فى التمثيل والفن والطرب والإبداع فى التغنى والإنشاد ...) وهنا أرانى ملزماً بإثبات بعض ما ورد عنـه فى كتاب الموسيقى الشرقى لأحد تلاميذه المرحوم (كامل الحلعى) من وصـف عام شامل يدرك القارىء منه مقدار المكانة الفنية الرائعة التى كان يتمتع نابغتنا بها فى مصر ومقدار تقدير المعاصرين له . قال بالحرف الواحد ما نصه .

فـكان مسرحـه مورداً عذباً يؤمه الـكبراء والأمراء والشـعراء والأدباء لمشاهدة رواياته وجلها من منشآته لما جمعت بين جزالة الألفاظ وعذوبتهـا ورقة المعانى ودقتها — أرهفت نواحيها بالتهذيب ، وطرزت حواشيها بكل غريب — شهد لحسنها الـكثير من أهل البلاغة ومنتقى صناعة الصياغة كما شهد من قبل أكابر الموسيقيين وفطاحل الملحنين — وكان بعد انتهاء كل رواية يلقى من القطع الموسيقية شذوراً تنزو لها الأكباد ، ويتحرك لحسن وقعها الفؤاد ، حتى أحرزت مصرنا من إقامته فيها فنوناً جزيلة وفضائل جليلة يقدرها حق قدرها أولو السجايا الحميدة والعقول الحصيفة — ولا ينكرها إلا ذوو الأغراض السافلة السخيفة اه) .

هذا وقد أفرد له تلميذه بحثاً خاصاً ذاكراً فيه مزاياه الفنية والأدبية والأخلاقية والعلمية يراه القارىء فى تراجم عظماء الموهوبين من رجالات الفن على الصفحة (١٣٧) من هذا الـكتاب التى أشرت إليه آنفاً ونقلت عنه هذه الفقره من الترجمة مدللاً بها على صحة ما أوردته من تقدير هذا النابغ فى مصر العزيزة وهى غيض من فيض ما كتب عنه فى هذا الفصل يراه الباحث المنقب الذى يريد أن يعرف عظمة القبانى يومئذ فى ربوع النيل السعيد ، وقد عرف عن الشيخ سلامة حجازى أنه كان يحضر رواياته وهو فتى حدث لم يبلغ الحلم بعد فلفت نظر القبانى هذا الفتى المداوم على مشاهدة رواياته كل ليلة فسأل عنه فقيل إنه منشد حدث ينشد فى الأذكار والموالد يدعى سلامة حجازى فدعاه لإسماعه فأسمعه إياه فسر به كل السرور وتنبأ له بمستقبل باهر وصيت بعيد . ولقد صدقت نبوءة القبانى فيما بعد وأرتنا الأيام أن الشيخ سلامة أمسى نابغة عصره فى فنه وأن الزمان قل أن يجـود بمثله فى عصر ضن بالأصوات الـكاملة التى تشبه صوته ، ولا بد أن يكون الشيخ سلامة بهذه المداومة على رواياته كل ليلة قد أخذ عنه الـكثير من

أصول التمثيل والفن وتتلمذ عليه لأن هذا الفن كان مجهولاً لدى المصريين كما أن أولاد عكاشه عبد الله وأخويه كانوا من تلاميذه المداومين، وعبد العزيز خليل وكامل الحلمى كانا من أنبغ تلاميذه المقربين إليه. وأول من ساعده فى عمله من المصريين «أنطون فرح» اشتغل فى جوقته بحديقة الأزبكية. ولما طبقت شهرته الآفاق طلب للذهاب إلى معرض (واشنطون) ليعرض بعض رواياته وقطعاته الفنية فيه، فأبحر مع أفراد فرقته إلى الدنيا الجديدة وكلهم أمل وغبطة لإطلاع زوار المعرض على الذكاء العربى ومقدار ما وصل إليه فنه — بيد أن الدوّار الذى اعتراه فى طريقه جعله يعدل عن السفر فعاد أدراجه من إيطاليا إلى القاهرة وسافر أفراد فرقته وحدهم إلى (واشنطون) وعرضوا على زواره بعض فصول من قطعاته الموسيقية وبعض روايات كانت موضع تقدير القوم وإعجابهم هناك.) رأى نابغتنا بعد عودته من إيطاليا أن ينقل مسرحه من الأزبكية إلى قرب دار (الأبرا) الملكية ففعل. وبعد مدة من الزمن احترق مسرحه وعاد الشؤم والنحس يصحبانه من جديد، وكان قد انتشر هذا الفن فى ربوع النيل وكشفت غوامضه مما أهاب بصاحبنا أن يهجر القاهرة لتفرق أفراد جوقته وقلة ذات يده ويؤم الأرياف متكسباً مع بعض أفراد جوقته المتخلفين عن السفر إلى (واشنطن) فزاول العمل مدة فى الأرياف ثم قل العمل وتاقت نفسه للعودة إلى بلاده التى دفن فيها أحلامه.)

وحببَ أوطان الرجال إليهم مآرب قضّاها الشباب هنالكا

وفى نزوة من نزوات النفس الأمّارة وموجة من موجات الشوق المبرح المضنى عاد القبانى إلى دمشق بعد أن نشر رسالة الفن فى القطر الشقيق، وكانت الحال قد تبدلت فى وطنه ومات من مات من عشاق فنه ورواد مجالسه، وهلك من هلك من حساده ومناوئيه. وكان المشيب يومئذ قد أشعل رأسه وكلل جبينه بهالة بيضاء من نور الشيخوخة والوقار فلم يجد فى نفسه الهمة الفتيّة والكفاءة للقيام بأى عمل فنى فأقام فى دمشق مدة كان معتزلاً العمل خلالها زاهداً فى بيته منقطعاً إلى صلاته ونسكه حتى أتاه رسول أحمد عزة باشا العابد) يدعوه باسمه للشخوص إلى الآستانة ليمهد له سبل المثول بين يدى الذات الشاهانية، فتجددت عزائمه بهذا الطلب وعاد الأمل يداعبه من جديد وقد نسى أن لكل زمان دولة ورجالاً، وقد هتف به هاتف من نفسه أن يعتذر عن هذه السفرة؛ بيد أن شبح (البوسفور) وآفاته التى تتبلع أشلاء الضحايا مثل أمامه ودفعه إلى إجابة الباشا إلى طلبه، وفور وصوله الآستانة استقبل من قبل الحاشية استقبالاً فخماً وحل ضيفاً على الوزير النابه صاحب الدعوة، وكان يتقن اللغتين التركية والفارسية فبقى هناك ضيفاً يتمتع بعطف مضيفه مدة من الزمن حتى احتال الوزير الداهية على المليك بوعد لمقابلة القبانى، وكان من شروطها الدخول على السلطان وهو محنى الرأس ومطرقاً إجلالاً وإكباراً مقبلاً الأعتاب بين يديه، وهى مراسيم كانت تطبق على كل من يريد المثول أمام هذا الطاغية الجبار، ومن يخالفها لا يكتب له الحظوة بهذه المقابلة. وعندما عرضت على صاحبنا القبانى رفضها بشمم وإباء قائلاً: أنا رجل نسيج وحدى لا أحنى رأسى لغير خالق الذى يميتنى ويحيينى ويطعمنى ويسقينى وبيده ضرى ونفعى؛ فإن شئت يا سيدى الباشا أن تكون مقابلتى لمولاى المعظم كمقابلتى لكل إنسان آخر من الناس فعلت، وإن أبيت إلا هذه الشروط فاعفنى من هذه الزيارة التى فيها المذلة والمهانة).

فلم يكد الباشا يسمع من صاحبه هذه العبارات حتى كاد يجن لشدة ما عراه من الغضب والحنق، فغض الطرف عن هذه الزيارة ثم صدف القبانى عنه قائلاً أرجوك رجاءً حاراً ألا تذكر ما دار بينى وبينك من حوار إلى أى مخلوق لئلا يصل ذلك إلى مسامع السلطان فتكون الطامة الكبرى علينا نحن الإثنين، كما أنى آمرك أن ترحل من هذه الديار على الفور دون أن يشعر بك إنسان، وقد خصص له بعد سفره معاشاً من خزينة الدولة يكفيه هو وأفراد أسرته.

بقى القبانى يتقاضى فى دمشق هذا الراتب منحة من الوزير المشجع لكل موهبة حقبة من الزمن كان فيها معتزلا الناس إلى أن اختاره ربه إلى جواره، فانطفأت بانقضائه تلك الشعلة الفنية التى أضاءت النور للشرق عامة ونفذ إشعاعها إلى ديار الغرب، وكانت السبب فى انبعاث هذه النهضة الفنية التى قامت فى ربوع الشام والنيل والتى لا يزال أثرها ماثلاً للعيان يذكرها أبناء هذا الجيل والأجيال القادمة كابراً عن كابر)...

وكانت وفاته فى دمشق سنة ١٣٢٠ هجرية ودفن فى مقبرة الباب الصغير. قضى كما يقضى عظماء الرجال دون أن يترك لأسرته من بعده سبداً ولا لبداً ولم يبق لأسرته سوى بيت للسكن تقطنه الآن ابنتاه السكهلتان . ومما يجدر ذكره هنا فى هذه الترجمة إقراراً بالجميل أن معاشه ظلت ابنتاه تتقاضيانه حتى موت الوزير العابد ولم ينقطع عنهما إلا فى عهـــد زوال الدولة العثمانية وظهور الدولة الكمالية .

هذا مابدا لى أن أكتبه خدمة للتاريخ والحقيقة عن القبانى المثل راجياً أن تتاح لى فرصة أخرى وأكتب نبذة عن القبانى الوسيقى اللحن الذى أضاف إلى رقصة السماح نوعاً آخر فى هذه الرقصة وهى الإيقاع بنقـل الأرجل وتقديم الصدر وتأخيره فى جولات الرقص . ولهذا النابغ موشحات وقدود وأنا دمج نبوية لا تزال متداولة بين المنشدين فى مسجد بنى أمية ومافتئت مستعملة حتى الآن يتبارى بها أرباب هذه الصناعة فى حفلات الأذكار — وفى المساجد فى ليالى رمضان وغيرها من الأيام المباركة كليلة النصف من شعبان وليلة القدر وغيرها وسنفرد لهـذا البحث صفحة خاصة .

حسنى كنعان

برلمـــان الأقلام

للأســـتاذ عمر عودة الخطيب

بعد أن امتحن العرب تلك المحنة القاسية بفلسطين ، فكانت لهم — وا أسفـاه — نـكبة ومأساة ، شطرت الأمة العربية اشطاراً متناحرة ، ودولاً متنافرة ، وقضت على شعب كريم بالتشريد والفناء ، وألقت به منبوذاً بالعراء ، يقاسى مرارة المهانة وألم الحرمان ، وينتظر رحمة الضمير الأوربى فى مؤتمر (لوزان) ، بعد هذا كله انصرفت الأقلام عن الـكتابة فى موضوع فلسطين ، وآثرت أن تجنح إلى الراحة ، وتثاءبت على أوراق الـكتاب ، أوعاد بعضها سيرته الأولى ، يـكتب مالا غناء فيه ، ولا طائل تحته ، ولا جدوى منه مما لايمس أدواء الأمة الخطيرة ، أو يصور مآسيها الدامية ، ونـكبتها الماحقة ... وكأن فلسطين — إبان المعارك فيها — كانت لبعض الأقلام الفارغة ، رفداً أنقذها من مسغبة ، وأحياها من موات ، ذلك لأن من خطل الرأى وفساد الذوق — ولا شك — أن تشغل (فلسطين) الدنيا كلها ، والعالم العربى خاصة ، ثم لا تشارك أقلامهم الناس فيما هم فيه ، ولا تبض — على الأقل — ببعض كلمات ، تنير السبيل ، وتبصر الضال ، وتهدى الحائر ... وكأنى بهؤلاء كانوا يضيقون ذرعاً بهذا الموضوع الذى طال الـكلام فيه ، والجدل حوله ، فـكانوا — كما أحسب — يتلمسون منه خلاصاً ، فلا يجدون منه مناصاً ، حتى إذا ما انقطع زئير المدافع ، ودوى النسور ، وأذعن العرب لهذه (الهدنة) المقوته ، هادنت أقلامهم هذه الوضوعات ورجعت إلى الشواطىء والحانات ، تصـف الأجساد العارية ، والأقداح الدافقة ، والرقص والابتذال ، ومسابقات الجـال ... ولولا أن (الرسالة) الغراء تنقل إلينا بين فترة وأخرى ، بعض المقالات الرائعة فى هذه الوضوعات الحية ، من كتاب مجيدين ، وأدباء يقظين ، لأوشك القارىء العربى أن تمظم محنته ، وتـكبر بليته ، فيرى اسم (فلسطين) يحتضر — الآن — على أسنة الأقلام ، كما احتضر — من قبل — على ألسنة بعض الحـكام .

ذكرت هذا حين قرأت ذلك المقال الرائع (البرلمان الشعوبى العربى والاستعداد للحرب مع اليهود)[1] للأستاذ نقولا الحداد ، عاد بى إلى مقالات مضت ، وأبحاث غبرت ، وكلمات قيمة نشرت ، للأستاذ الفاضل ، ولأستاذنا الجليل (الزيات) ولغيرهما من أعلام البيان ، ورجال الفـكر ... وعلى الرغم منى قارنت بين الأمس واليوم فألفيت بالأمس الغابر شعوراً دافقاً ، وحماساً لاهباً ، أحيا العزائم ، وأيقظ المشاعر ، وكان له — فيما أرى — أثر بالغ فى توجيه الأنظار ، وتنبيه الأفـكار .

أما اليوم فأننا — نحن شعوب العرب — بحاجة إلى أن نضم إلى إعدادنا الحربى والسياسى ، وإعداداً فـكرياً شعورياً آخر ، يصور لنا — بصراحة تامة — عوامل انخذالنا ، وأسباب انهزامنا ، كما يصف لنا عدونا كما هو بشره المستطير ، وخطره الوبيل ، ومكائده وأحابيله ومطامعه من الفرات إلى النيل ، حتى يدرك كل عربى معركة الغد ، فيأخذ لها أهبتها ، ويعدلها عدتها ،

(١) فى العدد ٨٣٦ من الرسالة .

لئلا يقع فى المستقبل ، – كما وقع بالأمس – صريع الغفلة والجهالة ، والضعف والاستسلام .

إذا أبى علينا – فيما مضى – طغيان أعدائنا من أوربيين وأمريكيين ، واستسلام إخواننا وأبناء عمنا من السادة اليعربيين ، أن نمضى فى جهادنا ، ونثابر على نضالنا ، ونتيح للشباب الظامىء المتوثب ، أن يروى ظمأه من دماء اليهود ، وينقع غلته فى الأرض المقدسة ، فلن يصل طغيان أولئك واستسلام هؤلاء ، إلى الأقلام الحرة ، فعليها أن تجدد حملتها ، وتعيد كرتها ، فتوقظ النائمين ، وتفضح الخائنين ، وتحيى فى نفوس الشباب تلك العزيمة التى أوهتها الصدمة ، وتذكى بين جوانحهم تلك الجذوة التى أخمدتها النكبة ، وذلك الحماس الذى أذهله مكر الماكرين وشله بغى الباغين . نعم نريد من هذه الأقلام – وهذه إرادة الشباب – أن ترأب الصدع ، وتجمع الشمل ، وتلم الشعث ، وتدفع فى تيار من الحياة جديد ، ذى قوة ومراس ، ورجولة واحتراس ، هذه القافلة التائهة وهذا الموكب الحائر ... وليس أجدى علينا من أن تكون هذه الأقلام – الأقلام الكبيرة – بريد اليقظة الكاملة ، والنهضة الشاملة ، لهذه الأمة العاثرة .

وأن لنا فى التاريخ ، لأمثلة حية من جهاد الأقلام ، فى أنهاض الأمم ، وإيقاظ الهمم ، وهذه كتب (روسو ومونتسكيو وفولتير) وغيرهم بين أيدينا ، تشهد على ما فعلته فى فرنسا أيام غفلتها ، وأبان رقدتها .

فإذا لم تسبق فكرة (البرلمان الشعوبى العربى) هذه الهزة الفكرية من (برلمان الأقلام) فى مصر وغيرها ، وقادة الرأى ، وأعلام الفكر فى الأمة العربية كلها ، حتى تتناجى الأرواح ، وتلتقى الأفكار ، وتتحدث المشاعر ، فلن نجد عند المعركة ، الأذن التى تسمع ، والقلب الذى يعى ، والعقل الذى يفكر ، والإرادة التى تعمل ، وإذا خسرنا هذه كلها ، فلن تنفعنا – حين ذاك – هذه (المؤتمرات) ولا تلك (البرلمانات) .

فلعل أدباءنا الأمجاد ، يعرفون هذه الحقيقة ، فيعطوها نصيباً من أقلامهم ، وقليلا من وقتهم ، ويسيراً من تفكيرهم ، وهم – دون شك – يعلمون بأن دولة الأفكار فى حصن مكين ، لا تنالها قوة ، ولا يصل إليها عدوان ... ولنذكر أخيراً كلمة شكسبير الخالدة (تستطيع أن تسلبنى مالى ، وأن تسجننى ، وأن تقبض روحى ، ولكنك عاجز عن قتل فكرة واحدة من أفكارى . إن الأفكار تستمد وجودها من الله .)

(دمشق – المزه) **عمر عودة الخطيب**

أوهـــــام في الزيتون

للآنسة الفاضلة فدوى عبد الفتاح طوقان

«فى السفح الغربى من جبل (جرزيم) حيث تملأ مفارس الزيتون القلوب والعيون ، هناك ، ألفت القعود فى أصيل كل يوم عند زيتونة مباركة ، تحنو على نفسى ظلالهـــا ، وتمسح على رأسى عذبات أغصانها ؛ وطالما خيل إلى أنها تبادلنى الألفة والمحبة ، فتحسن بإحساسى ، وتشعر بشعورى.

وفى ظلال هـــذه الزيتونة الشاعرة كم حلمت أحلاماً ووهمت أوهاماً » .

هنا ، هنا ، فى ظل زيتونتى   تحطم الروحُ قيودَ الثرى
وتخلد النفس إلى عزلة   يخنق فيها الصمتُ لغوَ الورى

هنا ، هنا ، فى ظل زيتونتى   فى عدوة الوادى ، بسفح الجبل
أصغى إلى الكون ولما تزل   آياته تروى حديثَ الأزل

هنا يهيم القلب فى عالم   تخلقه أحـــلامىَ المبهمه
لأفقه فى ناظرى روعـة   وللرؤى فى مسمعى هينمه

عالم أشـــواق سماوية   تطلق روحى فى الرحاب الفساح
خفيفةً ، لا الأرض تثنى لهـــا   خطواً، ولا الجسم يهيض الجناح

واهاً ! هنا يهفو على مجلسى   من عالم الأشواق روح حبيب
لم تره عينـــاى ، لكنه   فى خاطرى ، يا للبعيد القريب

أكاد بالـــوهم أراه معى   يغمر قلبى بالحنان الدفيق
يمضى به نحو سمـــاء الهوى   على جناح من شـعاع طليق

زيتونتى ، لله كم هاجس   أوحت به أشواقى الحائره ...
وكم خيالات وعى خاطرى   تدرى بها أغصانك الشاعره !

نجيتى أنت وقـــد عزّنى   نجىُّ روحى يا عروس الجبل
دعى فـــؤادى يشتكى بثّه   لعل فى النجوى شفاءً ، لعل

يا ليت شعرى إن مضت بى غداً   عنك يدُ الموت إلى حفرتى
تراك تنسين مقامى هنـــا   وأنت تحنين على مهجتى ؟

تراك تنسين فؤاداً وعَتْ   أسراره أغصانك الراعمات
باركها الله ، لكم ناغمت   وهدهدت أشواقه الصارخات !

زيتونتى ، بالله إما هفت   نحوك بعدى النسمة الهائمه
فاذّكرى كم نفحتنا معاً   عطورها الغامرة الفاغمـــه

وحين يستهويك طـيرُ الربى   بنغمة ترعش منك الغصون
فاذّكرى ، كم طائر شاعر   ألهمه شدوى شجىَّ اللحون !

تذكرينى كلمـــا شمشمت   أوراقك الخضراء شمس الأصيل
فكم أصيل فيه شـــيعتها   بمهجة حرّى ، وطرف كليل

إن يزوِها المغربُ عن عرشها   فالمشرق الزاهى بها يرجع
لكننى ، آهاً ، غداً تنزوى   شمس حياتى ثم لا تطلع !

ويحى ، أتطوينى الليالى غداً   وتحتوينى داجيات القبور ؟
فأين تمضى خفقاتُ الهوى   وأين تمضى خلجات الشعور ؟ !

ونور قلبى ، والرؤى ، والمنى   وهـــذه النار بأعماقيه ...
هـل تتلاشى بدداً كلها   كأنها ما ألهبت ذاتيه !..

أما لهذا القلب من رجعة   للوجد ، للشعر ، لوحى الخيال؟
أيخمد المشبوب من ناره   واشقوة القلب بهذا المآل ! .

يا رب إما حان حين الردى   وانعتقت روحى من هيكلى
وأعنقت نحـــوك مشتاقة   تهفو إلى ينبوعها الأول ...

وبات هذا الجسم رهن الثرى   لقىً على أيدى البلى الجائره
فلتبعث القدرة من تربتى   زيتونة ملهمة ... شاعره ...

جذورها تمتص من هيكلى   ولم يزل بعد طرياً رطيب
تمبُّ من قلبي أنواره   ومنه تستلهم سرَّ اللهيب !

حتى إذا يا خالق أفعمت   عناصرى أعصابهـا والجذور
انتفضت تهـــتز أوراقها   من وقدة الحس ووهج الشعور

وأفرعت غينـــاء فينانةً   مما تروّت من رحيق الحياه
نشوى بهذا البعث ، ما تأتلى   تذكر حلماً قد تلاشت رؤاه

حـلم حياة سربت وانطوت   طفاحـــة بالوهم ... بالنشوةِ
لم تك إلا نغماً شـــاجياً   على رباب الشوق والصبوةِ !

(نابلس)   فدوى عبد الفتاح طوقان

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

مشكلة الأداء النفسي في الشعر العربي :

مشكلة الأداء النفسى فى الشعر مشكلة تهم الشعراء المحدثين ، وتهم النقاد المحدثين ، وتهم القراء المحدثين . تهمهم جميعاً لأن نظرة الشاعر إلى النفس والحياة قد تفاوتت بين الأمس واليوم ، وكذلك نظرة الناقد ونظرة القارئ ... ويلاحظ هنا أننى أقصر الحديث على الشعر العربى وحده دون سواه .

إن رأيى فى الشعر العربى القديم هو رأيى فى مشكلة الأداء اللفظى فى هذا الشعر، وهى مشكلة شغلت الشعراء القدامى فأفرغوا فيها كل طاقتهم الشعرية لا الشعورية ، وشغلت النقاد القدامى فأقاموا موازينهم للألفاظ من حيث الدلالة المادية لا النفسية ، وشغلت القراء القدامى لأن فهمهم للشعر قد استمد أسباب وجوده مما بين أيديهم من نتاج شعرى يسير فى ركابه النقد الموجه لهذا النتاج ... إذا قلت لك إن الشعر العربى القديم كان فى جملته شعر « السطوح الخارجية » للنفس والحياة ، فلا تحمل هذا القول على التعصب للحديث والوقوف إلى جانبه . إن أمامك هذا الشعر ، فراجع فيه نفسك ، واستشر فى حقيقته ذوقك وحسك ، إنه شعر يشعرك بفراغ « الوجود الداخلى » عند قائليه ، لأنهم كانوا يعيشون خارج « الحدود النفسية » فى الكثير الغالب من الأحيان، فإذا عادوا إلى تلك الحدود فتغلبوا على مشكلة « الصدق الشعورى » قامت فى وجوههم مشكلة أخرى هى مشكلة « الصدق الفنى »... وهنا مفرق الطريق بين المشكلتين الرئيسيتين : مشكلة « الأداء النفسى » ومشكلة « الأداء اللفظى » ، فى معرض الموازنة بين الشعر العربى الحديث والشعر العربى القديم !

وأحب هنا أن أوضح الفوارق بين هذه القضايا الفنية فى حدود التعبيرات الاصطلاحية والنقدية... فما هو الصدق الشعورى أولا ، وما هو الصدق الفنى ثانياً ، حتى نستطيع أن نصل إلى الهدف الأخير حول مشكلتى الأداء فى الشعر ؟

الصدق الشعورى هو ذلك التجاوب بين الوجود الخارجى المثير للانفعال ، وبين الوجود الداخلى الذى ينصهر فيه هذا الانفعال . أو هو تلك الشرارة العاطفية التى تندلع من التقاء تيارين : أحدهما نفسى متدفق من أعماق النفس ، والآخر حسى منطلق من آفاق الحياة . أو هو ذلك التوافق بين التجربة الشعورية وبين مصدر الإثارة العقلية فى مجال الرصد الأمين للحركة الجائشة فى ثنايا الفكر والوجدان ... هذا هو الصدق الشعورى وميدانه الإحساس ، أما الصدق الفنى فميدانه التعبير ؛ التعبير عن واقع هذا الإحساس تعبيراً خاصاً يبرزه فى صورته التى تهز منافذ النفس قبل أن تهز منافذ السمع ، وهذه هى التجربة الكبرى التى تختلف حولها القيم الفنية للشعر فى معرض التفرقة بين أداء وأداء !

هناك شاعر يملك الصدق فى الشعور ولا يملك الصدق فى الفن ، لأنه لم يؤت القدرة على أن يلبس مشاعره ذلك الثوب الملائم من التعبير ، أو يسكن أحاسيسه ذلك البناء المناسب من الألفاظ ، ولا مناص عندئذ من الإخفاق فى إظهار الطاقتين معاً : الشعرية والشعورية ... وهنا يأتى دور الأداء النفسى فى الشعر ، وهو الأداء الذى يعتمد على اللفظ والجو الموسيقى : اللفظ ذو الدلالة النفسية لا المادية ، اللفظ ذو الظلال الموحية لا الظلال الجامدة ، اللفظ الذى يتخطى مرحلة إشعاع المعنى الجزئى الواحد إلى مرحلة إشعاع المعانى الكلية المتداخلة !

هذا هو مكان اللفظ من الأداء ، أما الجو فنقصد به ذلك الأفق الشعرى الذى ينقلك بصدقه إلى مكان الفن وزمانه ، ويحقق لك تلك المشاركة الوجدانية بينك وبين الشاعر ، ويحدث لك نفس الهزات الداخلية التى تلقاها وهو فى حالة فناء شعورى كامل مع « الوجود الخارجى » .

ويبقى بعد ذلك عنصر التنغيم فى مشكلة الأداء ، وهو عنصر له خطره البعيد وأثره الملحوظ فى تلوين الانفعالات الذاتية فى التعبير . وهنا يبدو الارتباط كاملا بين العناصر الثلاثة ، لأن « الحقل الشعرى » ممثلا فى عنصرى الألفاظ والأجواء لا غنى له بحال عن عنصر « الوسيقى التصويرية » التى تصاحب « المشهد التعبيرى » فى كل نقلة من نقلات الشعور ، وكل وثبة من وثبات الخيال !

ويظهر أثر الربط بين هذه القيم فى مشكلة الأداء النفسى حين نلتمس ذلك التناسق بين فنون الشعر المختلفة ... إن لكل فن من هذه الفنون طابعه الخاص المتميز فى مجال التصوير الفنى عن طريق اللفظ والجو والموسيقى؛ فمن أسباب الإخلال بالأداء النفسى أن نتخير اللفظ الهامس، والجو الهادئ، والموسيقى الحالمة مثلا فى شعر الملاحم، وأن نعكس القضية من وضع إلى وضع فنتخير اللفظ الهادر، والجو الصاخب، والموسيقى العاصفة مثلا فى شعر الغزل والرثاء!

نترك هذا التحديد لكل تلك القضايا الفنية لنقول إن أصحاب الشعر العربى القديم لم يفطنوا إلى قيم الأداء النفسى فى الشعر إلا فى القليل النادر الذى لا يحسب له حساب ... وإذا كانت هناك ومضات من هذا الأداء تطالعك فى هذا الشعر، فهى ومضات متفرقة يصعب أن تجمع بينها لتخرج من هذا الجمع برصيد يمكن أن ينسب إلى شاعر واحد، لتخلق من شخصيته الشعرية قمة من قمم الأداء النفسى! مصدر الداء أنهم نظروا إلى مظهر اللفظ أكثر مما نظروا إلى مخبره، وأنهم شغلوا عن «الذاتية النفسية» بتلك «الذاتية البيانية»، وأنهم عبروا عن الشعور المصنوع أكثر مما عبروا عن الشعور المطبوع!

على هذا الأساس سار الشعر القديم يبارك خطواته النقد القديم؛ ذلك لأن الأجيال قد دأبت على أن تخلق أبناءها فى ميدان الفن من طينة واحدة، وأن تصوغ ملكاتهم من معدن واحد: يقف الشاعر عند «الهياكل المظهرية» للألفاظ ويقف معه الناقد، وغاية الفن عند هذا وذاك أن يطلب الأول إلى صاحبيه أن يقفا لحظات ليبكيا معه، وأن يشير الثانى إلى أنه قد بلغ القمة لأنه وقف واستوقف وبكى واستبكى، أو لأنه مثلا قد وفق إلى تشبيه شيئين بشيئين فى بيت واحد!

لا أريد أن أذهب فى القول إلى أكثر مما ذهبت فى هذا المجال، لأن مشكلة الأداء اللفظى لا تحتاج إلى أن نستخلص لها الشواهد من الشعر العربى القديم، ولأن تلك الشواهد قد مر بها القراء والأدباء فى مطالعتهم لذلك الشعر، وهى بعد ذلك أوضح فى حساب الكثرة من أن يشار إليها أو تجمع فى حساب التسجيل والإحصاء!

حسبنا أن نقول إن الشعراء المحدثين قد خطوا بفهمهم لأصول الفن الشعرى خطوات جديدة، ووثبوا بالأداء النفسى وثبات أقل ما يقال فيها إنها ردت للألفاظ قيمها التعبيرية حين ردتها إلى محاريبها النفسية فغدت وهى صلوات شعور ووجدان. ويستطيع النقد الحديث أن يقول إنه قد وجد ضالته فى هذا الشعر الذى وجد نفسه ... وإذا قلنا الشعر العربى الحديث، فإنما نعنى ذلك الشعر الذى بدأت مرحلته الأولى بتلك المدرسة من بعض شعراء الشيوخ وعلى رأسهم «شوقى»، وبدأت مرحلته الثانية بتلك المدرسة الأخرى من بعض شعراء الشباب وعلى رأسهم «إيليا أبوماضى»، وفى شعر هذين الشاعرين تبدو ومضات الأداء النفسى أكثر لمعاناً منها فى شعر الآخرين! ..

ولقد قدمت إلى القراء نقداً تحليلياً لمشكلة الأداء النفسى فى الشعر، وبقى أن أقدم إليهم نموذجاً كاملا لهذا الأداء، حتى تتكشف لهم جوانب ذلك النقد على ضوء هذا المثال، وهو قصيدة للشاعر إيليا أبى ماضى، وقعت عليها دون أن أعمد إلى شىء من الاختيار ... عنوان القصيدة «وطنى»، وبناؤها هذه الأبيات:

وطن النجوم ... أنا هنا حدِّق ... أتذكر من أنا؟
ألمحت فى الماضى البعيد فتى غريراً أرعنا
جذلان يمرح فى حقولك كالنسيم مدندنا
المقتنى المملوك ملعبه وغير المقتنى
يتسلق الأشجار لا ضجراً يحس ولا ونى
ويعود بالأغصان يبريها سيوفاً أو قنا
ويخوض فى وحل الشتاء مهللا متيمنا
لا يتقى شر العيون ولا يخاف الألسنا
ولكم تشيطن كى يدور القول عنه: تشيطنا!

***

أنا ذلك الولد الذى دنياه كانت هاهنا
أنا فى مياهك قطرة فاضت جداول من سنى
أنا من ترابك ذرة ماجت مواكب من منى
أنا من طيورك بلبل غنى بمجدك فاغتنى
حمل الطلاقة والبشاشة من ربوعك للدنى

***

كم عانقت روحى رباك وصــفقت فى المنحنى
للبحر ينشره بنـــوك حضـــارة وتمدنا
لليـــل فيك مصلياً ... للصبح فيـك مؤذنا
للشمس تبطئُ فى وداع ذراك كيـــلا تحزنا
للبـــدر فى نيسان يكحل بالضياء الأعينا
فيـذوب فى حدق المهى سـحراً لطيفاً لينا
للحقل يرتجـل الروائع زنبقاً أو ســوسنا
للعشب أثقله النـــدى ... للغصن أثقله الجنى
عاش الجمـــال مشرداً فى الأرض ينشد مسكنا
حتى انكشفت له فألقى رحـــله وتوطنا
واستعرض الفن الجبـال فكنت أنت الأحسنا

هذا هو الأداء النفسى الذى أبحث عنه وأدعو إليه ، الأداء النفسى الذى يستمد صـورته التعبيرية من الصدق الفنى والصدق الشعورى ، ويعتمد على العناصر الثـلاثة التى حدثتك عن قيمها الفنية ، وهى اللفظ والجو والموسيقى : اللفظ الخاص ، والجو الخاص ، والموسيقى الخاصة ... وتعال نستعرض مواكب الألفاظ أولا فى شعر أبى ماضى :

قف عند البيت الأول لتتفيأ الظلال النفسية فى كلمة « حدّق » . وقف مرة أخرى عند البيت الثانى لتنفذ إلى أعماق الواقعية فى كلمة « أرعن » . وقف مرة ثالثة عند البيت الثالث لتتـذوق المعانى الحسية فى كلمة « مدندن » . وطبق هذه اللمحات واللفتات على الأبيات التالية حين تقف عند كلمة « يتسلق » و « يخوض » و « تشيطن » من ناحية الحركة المتدفقة فى ثنايا التعبير . وعندما تبلغ البيت العاشر قف طويلا لتطرق الأبواب الشعورية الضخمة فى كلمة « ولد » ... لو قال أبو ماضى مثلا « أنا ذلك الطفل » بدلا من « أنا ذلك الولد » لغدت اللفظة عادية لا تثير فى النفس شيئاً من المشاعر والأحاسيس . ولو قال مثلا « أنظر » بدلا من « حدق » لبدت اللفظة مغرقة فى المادية فلا إشعاع ولا إيحاء !

إن الألفاظ هنا قد اختيرت لتوضع في مواطنها الأصيلة لتؤدى دورها الأصيل فى إرسال الموجات الصوتية المعبرة عن واقع الهزات المنبعثة من الوجـود الداخلى ... وانظر إلى كلمتى « فاضت » و « ماجت » فى البيتين الحادى عشر والثانى عشر ، وإلى كلمتى « عانقت » و « صـفقت » فى البيت الخامس عشر لترى مبلغ الإثارة الوجدانية فى الصورة الوصفية . وقل مثل ذلك عن البيت الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين عندما تضع فى بوتقة الشعور كلمة « تبطئُ » و « يكحل » و « يذوب » ... وأقم الميزان كل الميزان لهـذا الحقل الذى « يرتجل » الروائع من الزنبق والسوسن ، ولهذا الجمـال الذى « شرد » فى شعاب الأرض يلتمس المأوى حتى إذا ظفر به « ألقى رحله » واسـتراح . ولا تنس ذلك الفن الذى « استعرض » الجبال ليختار أحسن الأوطان!

وتعال بعد ذلك أحدثك عن عنصرى « الجو والموسيقى » فى هذا الأداء ؛ الجو الذى قلت لك عنه إنه الأفق الشعرى الذى ينقلنا إلى مكان الفن وزمانه ، ويحقق لنا المشاركة الوجدانية بيننا وبين الشاعر ، ويحدث لنا نفس الهزات الداخلية التى يتلقاها وهو فى حالة فناء شعورى كامل مع الوجود الخارجى ...إن الشاعر هنا يصور ملاعب الطفولة البريئة فى رحاب الوطن الأول ، وهو بعد ذلك يستعيد ذكرى عهود ، عهود مرت بنا ونسيناها ، فإذا هى تعود إلينا من وراء الوعى حية نابضة ، وما هذا النبض وتلك الحياة إلا من أثر القدرة على البعث والإثارة !

إنك لتحس من هذا « الجو» الذى ترسمه ريشة الشاعر على لوحة الشعور أنك قد نقلت نقلا على جناح الخيال إلى هناك ، إلى ذلك الأفق البعيد الموغل فى طوايا الزمن ... وإذا أنت فى كل بيت من أبيات أبى ماضى تكاد تلمح طفلا يتوثب مرحاً ونشاطاً وحيوية ، طفلا يخيل إليك أن كل نقلة من نقلات الإيقاع الموسيقى هى وقع الخطى من قدميه الصغيرتين !

ولعلك تلاحظ أن الإيقاع هنا هو إيقاع الوسـيقى الحالمة ، ذلك لأن الجو الشعرى هو جو الأحلام الخالصة ، جو الذكريات التى يهمس بها الماضى الحبيب فى مسارب النفس الخفية ، فيرتد الصدى العميق من تلك الأغوار إلى ثنايا الـكلمات ، ممثلا فى تلك الوقدات الملتهبة من جيشان العاطفة . .

وهذا هو دور الموسيقى التصويرية التى قلت لك عنها إنها تصاحب المشهد التعبيرى فى الأداء النفسى ، وتعمـل على تلوين الانفعالات المختلفة تلويناً خاصاً يتناسب وطبيعة الألفاظ فى مجال القيم الفنية والنفسـية .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

تأبين المجمع اللغوى للمازنى :

أقام مجمع فؤاد الأول للغة العربية حفل تأبين للمغفورله الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى يوم الإثنين الماضى بدار الجمعية الجغرافية الملكية . وقد اقتصر الحفل على كلمة الأستاذ عباس محمود العقاد التى رؤى الاكتفاء بها تجنباً للتكرار والإملال ، وقد جاءت فعلا وافية بالغرض ، فقد ألم فيها بحياة الفقيد إلماماً إجمالياً حلل فى ثناياه أدبه وبعض صفاته الشخصية التى أثرت فى هذا الأدب . فأغنت عن كثير من خطب وقصائد مما يلق فى هذه المناسبة .

استهل الأستاذ العقاد حديثه عن صديقه فقيد الأدب الأستاذ المازنى بأنه كان « منذوراً » للأدب بكل ما نفهمه اليوم من معنى هذه الكلمة ، وقد كان الأقدمون إذا قيل لهم عن أحد من الناس إنه منذور لهذا المعبد أو لهذا الحرم ، فهموا من ذلك أنه قائم فى خدمة معبده طول حياته ، وأنه لا يملك أن ينحرف عن خدمته باختياره . وقد خيل للمازنى أن يعطى مطالب المعيشة حقها ، فلم يلبث حتى تبين له أنه للأدب وحده ، وأن الأدب يلاحقه أينما ذهب ، فلا يتركه حتى يعيده إلى جواره .

وبعد أن تحدث عن المرحلة التى لحق فيها المازنى بمدرسة المعلمين العليا وتخرج فيها ، قال : لقيت المازنى فى هذه الفترة ، ولقيت الأستاذ عبد الرحمن شكرى بعد ذلك ، فمن عجيب التوفيق أن يكون شكرى فى الأسكندرية ، وأن يكون المازنى فى القاهرة ، وأن أكون أنا فى أسوان ، ثم نلتقى على قدر وعلى اتفاق فيما قرأناه وفيما نحب أن نقرأه ، مع اختلاف فى حواشى الموضوعات من غير اختلاف على جوهرها ، وكان المازنى أكثرنا ولعاً بالقصة والمقالة الوصفية ، وكنا نلتقى فى ناحية واحدة من نواحى القصة على الخصوص ، وهى القصة الروسية ، وأحسب أن القصة الروسية من أقوى المؤثرات فى نزعته التى جنح إليها بقوته كلها بعد ذلك فيما نسميه بفلسفة الحياة .

وتحدث العقاد عن نزعة الاستخفاف عند المازنى فقال إنها ترجع إلى جملة أسباب بعضها ما كمن فى طبعه وأتى بعضها من عراك الحوادث ووحى الطالعة والتفكير . درج صديقنا رحمه الله على حب الدعابة منذ طفولته ، يسرى عن النفس ، ولا يضير أحداً ممن يمسه بتلك الدعابة ... كنا يوماً نركب الترام لأول مرة إلى ظاهر المدينة ، فلما وقف فى إحدى محطاته التفت المازنى إلى رجل واقف يغرى منظره بالمماكسة — والحق يقال — فحياه وألح فى تحيته والترام يتحرك ويبتعد ، والرجل واقف حائر حتى استخار الله وتغلب على شكه ورد التحية ، فما فعلها حتى أومأ إليه صديقنا بلسانه إيماءة ساخرة ولكنها غير جارحة ، وجعل يقول : والله إنه لرجل ظريف ، والله إنه (لجنتلمان) .

أما جانب التجربة فى نزعة المازنى إلى الاستخفاف ، فمنه النفسانى الذى خامره من إرساله الشعر خاصة بغير صدى يتلقاه ممن يعنيهم بشعره ، ومنه آلام الصدمات والشدائد التى كان يخفف ثقلها بما استكن فى طبيعته من نوازع الاستخفاف .

أما الجانب الذى أوحت به الطالعة فأحسبه راجعاً على الأرجح إلى كتابين من القصص الروسى أحدهما قصة « سانين » لمؤلفها « أرتزيباشف » والآخر قصة الآباء والأبناء لتورجنيف ، وكلتاهما تخلق الاستخفاف على الأقل حين قراءتها لمن لا عهد له بالاستخفاف .

ونحب أن نصف هنا هذا الاستخفاف بأصدق صفاته ، لأن المستخف قد يبدى قلة الاكتراث لسببين نقيضين : قد يبديها لقلة إحساسه ، وقد يبديها لفرط إحساسه . وقد كان فرط الإحساس هو الينبوع الذى يصدر عنه استخفاف المازنى .

ثم قال الأستاذ العقاد : ولقد كانت ملكات المازنى أول ما تناوله باستخفافه ، وكان الشعر أول ما تناوله من تلك الملكات ، ولكن استخفافه بشعره من قبيل استخفافه بكل شىء : فرط إحساس لا قلة إحساس . وإنه لمن الحظ السيئ للشرق العربى أنه لم يأخذ من المازنى كل ما كان قادراً على أن يعطيه من صفوة ملكاته ، وليست كلها مقصورة على الشعر ونقده ، فقد امتاز بملكة أخرى هى ملكة الترجمة المطبوعة ، أو ما يصح أن نسميه بعبقرية الترجمة ، فقد كان يترجم الكلام فى سليقته شعوراً قبل أن يترجمه لفظاً ومعنى . وختم الأستاذ العقاد كلمته الحافلة بتوجيه الخطاب إلى الفقيد الراحل قائلا : ما أنت ممن يحسن إليه الناس بذكره ، وإنما يحسنون إلى أنفسهم كلما ذكروك .

بين الفتى وأستاذه الشيخ :

قال الفتى لأستاذه الشيخ : سمعت أخيراً من الإذاعة المصرية حديثاً لأستاذ من أساتذة الجامعة عن شاعر عباسى فى سلسلة أعلام الأدب العربى ، ولأن الشاعر معروف ومدروس فى المناهج المدرسية وغيرها توقعت أن حديث الأستاذ عنه لابد أن يتضمن جديداً فى شأنه ، ولكنى وجدت الأمر على خلاف ما توقعت ، فإن الأستاذ تحدث عن الشاعر حديثاً مكرراً مقتضبا وشغل أكثر الوقت بأمثلة من شعره .

قال الأستاذ الشيخ : إننى يا بنى قد بلوت هذه الأحاديث فلم أر فيها غناء ، والإذاعة تختار أولئك الأساتذة لمناصبهم ، وهم يستندون إلى هذه المناصب فلا يشعرون بالحاجة إلى كد أذهانهم المترفة، لإحداث طريف أو إضافة جديد ، وقد لا يأتون بشىء إن كدوا .

قال الفتى : وماذا ترى لعلاج هذا الأمر ؟

قال الأستاذ الشيخ : العلاج يا بنى يسير جدا ، وهو أن يختار الأشخاص لا المناصب ، ويجب قبل ذلك أن يُختار من يَختار .

كل بيت له راجل :

هذا هو اسم الفلم الذى عرض

كشكول الأسبوع

□ يستأنف مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، دورته القادمة فى أوائل أكتوبر المقبل ، ولم يعين بعد موعد الجلسة الأولى ؛ ومن الموضوعات التى يبدأ مجلس المجمع بالنظر فيها ، الإعداد لاستقبال العضوين الجديدين الأستاذين أحمد حسن الزيات وابراهيم مصطفى ، وكذلك النظر فى الترشيح للكراسى التى خلت فى المجمع بوفاة الدكتور شرف بك والأستاذ المازنى والدكتور فيشر .

□ أذاعت وكالة الأنباء العربية من لندن ، أن المجلس البريطانى وجامعة لندن واللجنة الثقافية المصرية هناك ، تستعد لاستقبال الدكتور طه حسين بك عند وصوله إلى لندن . والمفهوم أنه سيلقى سلسلة من المحاضرات فى مدرسة اللغات الشرقية

□ أورد الأستاذ الصاوى فى « ما قل ودل » بالأهرام ، البيتين الآتيين ، وهما لاسماعيل صبرى :

يا رب أين ترى تقام جهنم   للظالمين غداً وللأشرار
لم يبق عفوك فى السموات العلى   والأرض شبراً خالياً للنار

وعلق عليهما تعليقاً روحياً لطيفاً ، غير أنه ذهب مذهباً معارضاً للمعنى ، إذ تساءل : هل للشاعر أن يطلب الرحمة لكل إنسان ؟ وما الفرق إذن بين البررة والطغاة ؟ وأقول إنما يقصد الشاعر إلى تصوير عفو الله ورحمته التى وسعت كل شىء . أما ضغط الأستاذ الصاوى على هذا الخاطر فهو من قبيل القسوة على الزهرة بدعكها وتمزيق أوراقها .

□ طلب مدير دار الأوبرا الملكية من وزارة المعارف زيادة الإعانة المقررة للموسم الفنى الأجنبى ألفى جنيه لكى يتسنى الاتفاق مع مغن إيطالى ليغنى بالأوبرا . والمأمول ألا يوافق معالى مرسى بدر بك على ذلك .

□ طلبت هيئة اليونسكو بباريس إلى وزارة المعارف موافاتها بأسماء الكتب التى ترجمت فى مصر من جميع اللغات الحية إلى اللغة العربية وأسماء المؤلفين والمترجين لنشرها ضمن الكتاب الذى تعده اليونسكو عن الحركة الثقافية فى الدول الأعضاء بها .

□ ثبت أن الرقص التوقيعى ضرورى لطلبة معهدى التمثيل والموسيقى وطالباتهما ، ولذلك رؤى ألا يطبق عليهم قرار معالى وزير المعارف الخاص بمنع الرقص التوقيعى فى المدارس .

□ قدم بعض خريجى معهد التمثيل الملحقين بالفرقة المصرية ، استقالاتهم من هذه الفرقة لأنها لا تسند إليهم إلا الأدوار التافهة ، ويعتزم باقى زملائهم أن يستقيلوا أيضاً على أن يؤلفوا فرقة خاصة بهم .

□ أرسل الناقد الأدبى الإيطالى بنيديتو كروتشى إلى مؤتمر نادى القلم الدولى المنعقد فى البندقية ، رسالة قال فيها : إن مصدر الشعر العبقرية والإلهام ، وليس عملية جمع ترص فيها الكلمات جنباً إلى جنب كما تفعل المدارس الحديثة .

□ انتهت جلسات المؤتمر الثقافى المصرى الذى عقد بلندن ، بعد أن اتخذ عدة قرارات تتناول كثيراً من الإصلاحات الجوهرية فى مختلف نواحى الحياة المصرية ، ومنها أنه ينبغى أن يقوم التعليم على أساس أكثر ديمقراطية مما هو الآن بحيث يكون التعليم الأساسى المجانى حقاً لكل فرد

لأول مرة فى هذا الأسبوع بسينما أوبرا . وتعالج قصة الفلم مشكلة عاطفية عرضت هكذا :

أمينة هانم لا تزال فى شبابها تعيش فى قصر زوجها المتوفى ومعها ابنتها « فاتن » وهى فتاة فى السابعة عشرة من عمرها ، وتبدو الأم فى المنظر الأول حزينة على زوجها الراحل ، فلا تكاد تسمع لحناً معيناً تعزفه ابنتها على البيان حتى تتأثر وتنهاها عنه ، لأنه اللحن الذى كان يعجب به زوجها حين تعزفه ابنته. ولكن رجلا يدخل المنزل فيغير مجرى الحياة فيه وتتحول إليه مشاعر الأم والبنت ، وهو محمود بك رامى الذى ندبته دار الآثار ليفحص مكتبة الزوج المتوفى كى تشتريها الدار أو تشترى بعض محتوياتها . ولم نعرف بناء على أى شىء حضر المندوب لهذه المهمة ويبدو من حديث الأم مع ابنتها عند حضوره أنهما لم تطلبا ذلك من دار الآثار . ولا أدرى لماذا لم يكن محمود بك موفدا من دار الكتب بدلا من دار الآثار !

يتبين محمود بك رامى فى أثناء فحص المكتبة بحضور أمينة هانم وبمساعدتها ، أنها سيدة مثقفة ، كما يتأثر بجمالها وشخصيتها ، فيثنى عليها ويبدى

لها إعجابه ويدعوها إلى حضور محاضرة له بمكتبة الأميرة فريال ، فتلبي ، وتعود إلى ابنتها فاتن التي تسألها عنه باهتمام ، ويتحدثان عنه حديثاً يدل على إعجابهما به بل على حب كل منهما له ، فقد شاهدته فاتن خلال حضوره إلى المنزل وعلقت نظراتها به . وتتطور علاقة محمود بك بأمينة هانم حتى يتكاشفا بحبهما ، وتمده بزواجه بعد زواج فاتن . وتسافر فاتن مع صاحبتها ميمى ووجيه بك أخى ميمى الذى عاد من أمريكا بعد أن درس فن الزراعة وإصلاح الأراضى البور — تسافر معهما إلى القرية التى بها أملاك أبيهما ، وفى أثناء ذلك يتودد وجيه بك إلى فاتن ولكنها تقابل تودده بتحفظ يدل على عدم حبها إياه . وتعود فاتن فتشاهد مظاهر الحب بين أمها وبين محمود بك ، فتحزن لذلك . وتتوالى حوادث تتخللها محاولات من جانب فاتن للظفر بحب محمود بك ولكنه يتخلص منها مع التلطف ، ويقبل على أمها كل الإقبال ، حتى يحدث أن تراه البنت يقبل أمها ، فتتأثر من هذا المشهد غاية التأثر ، وتلزم فراشها ؛ وعند حضور أمها إليها تبدى لها استنكارها وتثور عليها ثم يقول لها صوت الضمير الذى ينطق مسموعا : ما هذا يا فاتن ؟ إن أمك لا تزال فى شبابها ونضارتها ومن حقها أن تتمتع بالحياة ، ومحمود بك رجل فى سن والدك وهو يلائم أمك ، فكيف تحبينه أنت وتحرمينه على أمك ؟ وأنت يلائمك شاب صغير ينتظر إشارة منك ... فتعود إلى عقلها وتستصفح أمها . ثم نرى المشهد الأخير وقد تزوج محمود بك بك بأمينة هانم وفاتن تقول له : لقد أخطأت فى تكييف شعورى نحوك فأنا أحبك حقاً ولكنى أحبك كأبى ويظهر الجميع فى منظر يقدم فيه وجيه بك إلى فاتن على أنه عريسها وفجأة ينشأ الحب بينهما ويلتقيان فى ضمة وقبلة .

القصة سليمة فى أولها وتسلسل حوادثها ، وقد عرضت عرضاً طبيعياً جيلا ، وحددت سمات أبطالها وأشخاصها تحديداً دقيقا ، وصورت المشكلة فيها تصويراً واضحاً . ولكن ما كادت الوقائع تتقدم نحو الحل حتى ظهرت اللهوجة فهدمت البناء ، وقصم الحل ظهر القصة .

كيف يمكن القضاء على عاطفة أو تحويلها ، وإنشاء عاطفة أخرى مكانها ، فى لحظة واحدة دون تمهيد طويل أو قصير ؟ هل يكفى صوت ينطق بتلك الجمل لكى تغمض الفتاة عينيها وتفتحها فترى الحبيب أباً والفتى الجامد محبوبا ؟ لقد كان يمكن أن يكون وجيه بك شابا جذابا مغريا بالحب على أن يؤخر اتصاله بفاتن فى الوقت الذى يجهد فيه لتحولها عن حب محمود بك . ولكن الفلم يعرض هذا الشاب فى صورة جامدة كئيبة ثم يفرضه فى النهاية محبوبا لفتاة رائعة تحب أو كانت تحب غيره !

وكان لوحيد بك مشروع لإصلاح الأراضى البور فى القرية ، لم يأخذ حقه فى الإبراز ، فقد قالوا لنا فى الآخر إنه نفذ ونجح ولم نر علامة لذلك غير بضعة أشجار يغنى بينهما عبد العزيز محمود . والحق أنه أجاد فى غنائه وموسيقاه . وفى الفلم ظاهرة تتكرر فى معظم الأفلام المصرية وهى إظهار الفلاحين أذلاء خاضعين لسلطان السيد صاحب الضيعة ، وهى ظاهرة موجودة فى بعض الجهات ولكن تكررها فى الأفلام يدل على أن ذلك هو طابع الحياة فى القرى المصرية ، وليس الأمر كذلك إلا فى القليل .

وقد أخرج الفلم محمد كامل مرسى ووضع قصته مجدى فريد ، وهو فلم نظيف ، ومناظره متسقة ، وحواره جيد ، والقصة لا بأس بها بصرف النظر عن تلك المآخذ ، والتمثيل ممتاز ، فقد أجادت أمينة رزق (أمينة هانم) فى دور المرأة المحترمة المحبة ، وكذلك فاتن حمامة (الآنسة فاتن) وخاصة فى أثناء مصاحبتها لوجيه بك فقد مثلت دور الفتاة (الاسبور) المترفعة المتحفظة أحسن تمثيل ، وكانت ظريفة عند ما كانت تناقش نفسها فى خلوتها : أيهما ، هى أو أمها ، أحق بحب محمود بك . ومثل محمود المليجى دور (محمود بك راغى) وهو شخصية محبوبة فى الرواية ، وكان الشاهدون يتوقعون أن يكون شريراً لكثرة ما شاهدوا المليجى فى تمثيل الأشرار . ولكنه استطاع رغم ذلك — أن يقنع الجمهور بأنه رجل طيب ...

أما الوجه الجديد وجيه عزت الذى قام بدور (وجيه بك) فوضعه فى الفلم اقتضاه أن يظهر فى جد (زيادة على اللزوم) وهو يجيد فى مثل هذا الدور ، على ألا ينتهى بحب فتاة مثل فاتن حمامه .

عباس خضر



ديوان الـــوزير محمد بن عبد الملك الزيات

نشره وحققه الدكتور جميل سعيد

بقلم الأستاذ بدوى أحمد طبانه

يخيل لكثير من الناس أن إخراج كتاب أو نشره عمل يسير، يستطيع أن ينهض به كل من يستطيع أن ينسخ، ثم يستطيع بعد ذلك أن يقدم ما نسخه إلى المطبعة. هكذا يخيل لأكثر الناس، وكذلك كان يخيل إلىَّ أيضاً قبل أن أبتلى بهذا اللون من الجهد العلمى، حتى إذا كان ذلك تبين لى أن جهداً يبذل فى نشر كتاب وتحقيقه دونه بكثير كل جهد يبذل فى التأليف وإن كان عظيما؛ لأن المؤلف صاحب الموضوع الذى يؤلفه، اختمرت فى رأســه فكرته، وأعد له ما يعينه من المراجع. أما الناشر فما أكثر ما يصادف من عقبات لا يستطيع اجتيازها إلا الكفء الجلد، وناهيك بعقبات التمزيق والعث وما يقع فيه النساخ من أخطاء التصحيف والتحريف.

وفى المكتبة العربية نفائس لا يحصيها إلا الله، ولكنها مطمورة فى زوايا النسيان، لاتصل إليها الأيدى، ولا ينتفع الناس بما تحوى من علم وفن، حتى يتاح لهذه النفائس من ذوى الغيرة من يأخذ بيدها فينفض عنها غبار السنين، ويعم الانتفاع بها.

ونحن فى نهضتنا الحاضرة محتاجون أشد الحاجة إلى بعث هذه الكنوز من مدافنها؛ فإن فى هذا البعث خدمة قومية إلى ما يؤديه من خدمات علمية أو فنية، فإحياؤها فرض ليس لقادر عليه أن يكف عنه.

ولهذا لا يسعنا إلا أن نرحب بديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات، وإلا أن نشيد بفضل ناشره العالم الأديب الدكتور جميل سعيد أحد أساتذة الأدب فى دار المعلمين العالية فى بغداد، الذى أضاف إلى الأدب ثروة فنية تعين الباحثين ومؤرخى الأدب بنشره هذا الديوان، فعامة العلماء والأدباء يعرفون ابن الزيات كاتباً أكثر مما يعرفونه شاعراً، وهم يعرفون كيف سما الأدب بابن الزيات حتى كان الوزير والمصرِّف للأمور فى عصر من أزهى عصور الدولة العباسية، ولم يكن له من الحسب أو الجاه ما يرشحه لهذا المنصب الخطير، وهو زيات ابن زيات، سوى الموهبة الأدبية.

وقد قدَّم الدكتور جميل الديوان بترجمة موجزة لحياة الرجل ووصفت النسخة التى نقل عنها، ثم ذكر فى مقدمته عدة آراء فى ابن الزيات وشاعريته استخلصها من شعره، وأكثر هذه الآراء وفق فيه توفيقاً عظيما يشهد له بالأصالة والبراعة والحاسة الفنية المرهفة وكان سر هذا التوفيق أن صاحبه كان صادقاً، وكان ميزاناً عدلاً لنفسه، ولصاحب الديوان الذى نشره، فلم يفرط فى تقريظه والتنويه به؛ شأن كثير من الذين يعتدون بالموضوع الذى يدرسونه أو الشخصية التى يعالجون تحليلها ...

ومن أمثلة الإنصاف قوله عن الشعر الذى عثر عليه فى ديوان ابن الزيات: إنه (لا يمثل حياة ابن الزيات كاملة. وربما كان له شعر لم يجمعه جامعه[1]).

ثم تراه يقول: (إن أشـعاره التى فى ديوانه هذا لا تراها تضمه فى مصاف الشعراء المطبوعين، وقد لج الهجاء بينه وبين على ابن جبلة، والقارئ حين يقرؤه يجد الفرق واضحاً بين ابن الزيات وبين الشاعر المطبوع على بن جبلة[2]).

ومثل هذه الآراء سديد موفق، ومبعث السداد والتوفيق — كما قدمنا — أن صاحبها كان صادقاً فى قوله صدقه فى إحساسه الفنى.

ولكننا على الرغم من إعجابنا بهذه الآراء وتقديرنا للجهود الفنية التى بذلت فى نشر الديوان، لا نتفق مع الأستاذ الناشر فى فهم معنى ما أورده ابن رشيق فى العمدة نقلا عن الجاحظ فى

(١) المقدمة « ب »
(٢) « « و »

قوله : « طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه ، فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينتق إلا ما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والأنساب ، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات[1] » .

فقد فهم الدكتور جميل من هذه العبارة أن الجاحظ يفضل هذين وأضرابهما على سائر الشعراء تفضيلا مطلقاً ، وقد بنى على هذا الفهم مناقشة هذا الرأى فى قوله : (وبعد ، أفكان ابن الزيات من المكانة الشعرية بالمحل الذى ذكره به الجاحظ والصاحب وابن رشيق[2] .

إننا لا نستطيع أن نفهم هذا الفهم الذى تبادر إلى ذهن الدكتور جميل من هذه العبارة ، فإن سياق الكلام يدل على أن البحث فى فهم الشعر ، وتذوقه ، ونقده ، ومعرفة ما يسمو به وما يتضع .

يريد الجاحظ أن يقول : إنه لا يفهم الأدب — ومنه الشعر — إلا الأدباء ، وأما هؤلاء الأعلام الذين رددوا أسماءهم فهم علماء كل فى ناحيته التى يجيدها : فالأصمعى يحذق معرفة الغريب من ألفاظه اللغوية ، والأخفش رجل نحوى لا يعرف إلا الإعراب ، وأبو عبيدة قد تخصص فى معرفة السير وأيام العرب وأنسابهم . أما المتذوقون للشعر القادرون على نقده من الناحية الفنية فهم طائفة الأدباء الكتاب .

ودليل آخر يؤيد ما نذهب إليه فى فهم هذه العبارة هو قول الجاحظ فى أولها : (طلبت علم الشعر ..) والجاحظ عالم أديب يعنى ما يقول ، ويستطيع أن يفرّق بين الشاعر وبين العالم بالشعر ولو أراد الجاحظ الموازنة بين الشعراء لم يفته ، وهو الخبير ، أن يذكر أسماء فحول الشعراء لا أساطين العلماء .

ودليل ثالث : هو أن الباب الذى عقده ابن رشيق قد جعل له عنواناً (باب فى التصرف ونقد الشعر[3]) ونحن مضطرون لأن نورد من هذا الباب ما يؤيد قولنا .

(١) المقدمة « ا » والعمدة : ج ٢ ص ٨٤ مطبعة السعادة ١٩٠٧
(٢) المقدمة « و »
(٣) العمدة : ج ٢ ص ٨٣

حكى الصاحب بن عباد فى صدر رسالة صنعها على أبى الطيب ، قال : حدثنى محمد بن يوسف الحمادى ، قال : حضرت بمجلس عبد الله بن طاهر وقد حضره البحترى فقال : يا أبا عبادة أمسلم أشعر أم أبو نواس ، فقال : بل أبو نواس لأنه يتصرَّف فى كل طريق ويبرع فى كل مذهب إن شاء جدّ وإن شاء هزل ، ومسلم يلزم طريقاً واحداً لا يتعداه ، ويتحقق بمذهب لا يتخطاه . فقال له عبيد الله : إن أحمد بن يحيى ثعلباً لا يوافقك على هذا ، فقال : أيها الأمير ليس هذا من علم ثعلب وأضرابه ممن يحفظ الشعر ولا يقوله ، فإنما يعرف الشعر من دفع إلى مضايقه ، فقال : وريت بك زنادى يا أبا عبادة ! إن حكمك فى عميك أبى نواس ومسلم ، وافق حكم أبى نواس فى عميه : جرير والفرزدق ؛ فإنه سئل عنهما ، ففضل جريراً ، فقيل : إن أبا عبيدة لا يوافقك على هذا ، فقال ليس هذا من علم أبى عبيدة فإنما يعرفه من دفع إلى مضايق الشعر !

والخلاصة أن الجاحظ والصاحب وابن رشيق لم يفضلوا ابن الزيات وابن وهب وغيرهما من الكتاب على الشعراء فى إحكام صنعة الشعر ، وإنما فضلوهم على العلماء فى نقد الشعر .

وإن أردت المزيد فاقرأ قول ابن رشيق فى باب آخر أسماه : (باب فى أشعار الكتاب) قال : « وليس يلزم الكاتب أن يجارى الشاعر فى إحكام صنعة الشعر لرغبة الكتاب فى حلاوة الألفاظ وطيرانها ، وقلة الكلفة ، والإتيان بما يخف على النفس منها . وأيضاً فإن أكثر أشعارهم إنما يأتى تظرفاً لا عن رغبة ولا رهبة فهم مطلقون مخلون فى شهواتهم ، مسامحون فى مذهبهم إذ كانوا يصفون الشعر تخيراً واستظرافاً[1] » .

ولنا بعد هذه الملاحظة ملاحظة أخرى تلك هى مسألة القوافى وترتيبها فى الديوان ، فقد سلك فى بعضها مسلكا غير المتفق عليه عند العروضيين وعلماء القافية ، ووضع بعضها فى غير موضعه ، وقد يعتذر عنه بأنه نقل ألقاب القوافى وترتيبها كما وردت فى الأصل الذى اعتمد عليه ، ونقل عنه .

وهذا الخطأ فى أول الديوان وفى أواخره . من ذلك أنه جعل الشعر الذى أوله :

من يكن رام حاجة بعدت عنـ ... ـه وأعيت عليه كل العياء

(١) العمدة ج ٢ ص ٨٨

والذى أوله :

جمــع الله للخليفة ما كا ن حواه لسائر الخلفاء

من قافية الألف ، وهى ليست كذلك ، وإنما القافية المهمزة والقصائد تنسب إلى الحرف الذى بنيت عليه ، وهو الروى ، فيقال قصيدة دالية أو رائية أو ميمية وهكذا إذا كان الحرف الذى بنيت عليه دالا أو راء مثلا ، أما الألف هنا فهى ردف والردف هو حرف مد قبل الروىّ .

ومن هذا أن فى الديوان خلطاً عجيباً فيما سماه قافية الهاء فقد جعل منها كل شعر آخره هاء ، وإن لم تكن الهاء روياً ، ففى :

ما أعجب الحب فى مذاهبه ما ينقضى القول فى عجائبه

القافية الباء لا الهاء ، وقوله :

وعائب عابنى بشــيب لم يعد لما ألمّ وقتــه

قافيتها التاء لا الهاء وفى :

ظالم ما علمته معتد لا عدمتــه

كذلك ، وفى :

يا يمن يومى وغده ويمن ما بعد غده

القافية الدال لا الهاء . والقصيدة التى أولها :

يا ذا الذى لا أهجره وعلى القلى لا أغــدره

قافيتها الراء لا الهاء ، والتى أولها :

أبكى الفتى بعد الخليط مربعه وكاد وجد القلب منه يصرعه

قافيتها العين ، ومثلها :

قولا لأنف وقزعه أخطا كما وزن سبعه

والقصيدة التى كتبها إلى الحسين بن المرزبان النحاس :

فديتك إن انبساطى إليـ ـك على بأخلاقك الطاهرة

والتى أولها :

ألامن عذير النفس ممن يلومها على حبها جهلا ألا مَن عذيرها

كلتاهما هائية القافية . ومن قافية الفاء قوله :

من العين طرفه ومن الظبى ظرفه

وقوله :

قل لعيسى أنف أنفه أنفه ضعف لأنفه

وقوله :

إن الخلافة أصبحت سراؤها مجلوبة وشرورها مصروفه

ومن قافية اللام :

أخنى علىّ الدهر كلكله وعدا (على) عيشى فبدله

ومن قافية النون :

نزلت بالخائنين سنه سنة للناس مختصة

وقوله :

ما للغوانى من رأين برأسه يقفاً ملان وصاله وشنينه

ومن قافية الميم :

سقيا لنضر الوجه بسّامه مهذب الوالد قدامــه

ومن قافية الياء :

وللنفوس وإن كانت على وجل من المنية آمال تقويها

وقوله :

ما باله وابنه لم يزوجا عربيــه

وقوله :

الآن قام على بغداد ناعيها فليبكها لخراب الدهر باكيها

وقوله :

إنك منى بحيث يطرد النا ظر من تحت ماء دمعتيــه

والهاء فى كل أولئك القصائد التى ذكرنا مطالعها إنما هى وصل سمى بذلك لوصله بالروى ، والوصل كما عرفه علماء القافية حرف لين ناشئ من إشباع حركة الروى أو هاء تليه .

وأعتقد أن مثل هذا الأمر لا يخفى على فطنة الأستاذ الصديق الأديب ، وأعتقد أيضاً أن المجلة وحدها هى التى فوتت عليه الإشارة إلى الأخطاء التى وقع فيها جامع الديوان فى الشروح والتعاليق التى ذيل بها على شعر ابن الزيات .

وبعد ، فهذه هنات هينات ، لا تغض بحال من قيمة العمل الأدبى الجليل الذى اضطلع به الأستاذ الأديب .

بدوى أحمد طبانه



برلمان الأمم العربية :

يرى الأستاذ السيد على الشوربجى فى العدد الأخير من الرسالة أن فكرة برلمان الأمم العربية خيالية ومستحيلة . أما أنا فلم أخترع الفكرة بل اقتبست نظرية موجودة الآن بالفعل . وما من عملية إلا كانت فى الأصل نظرية .

ففكرة الحكم الجمهورى نشأت من قديم الزمان فى ذهن الإنسان وتصورها أفلاطون وجربها اليونانيون ففشلت ومازالت تجرب حتى تحققت ، وصار الآن معظم أمم العالم جمهوريات ، ولا ينقضى قرن حتى يعم الحكم الجمهورى العالم كله بلا استثناء ،وأخيراً يصبح كله جمهورية واحدة لأمم متحدة .

الولايات (المتحدة)الأمريكية لم تكن متحدة تحت الحكم البريطانى ولكن لما تحررت من هذا الحكم اتحدت فى ١٣ولاية والآن صارت ٥١ ولاية . وقس عليها سويسرا وكندا .

وما قول الأستاذ فى برلمان إحدى عشر دولة أوربية انعقد فى الشهر الماضى؟ — فهل يرى الآن أن ما استحال فى نظره صار ممكناً — وهل يتعذر عليه تصوره كما يتعذر عليه تصور برلمان دولى عربى ؟

أنا لم أقترح اتحاداً تاماً كاتحاد الولايات الأمريكية ، وإنما اقترحت اتحاداً عسكرياً حربياً فقط لا نجاة بدونه للدول العربية من غارات إسرائيل التى يهددنا بها إسرائيل من اليوم . وكل آت قريب . وإذا كنت قد اقترحت أن يتولى هذا البرلمان سياسة الدول العربية الخارجية فلأنى أخاف من تدخل الدول الأجنبية الذى كان ولا يزال سبب هزيمتنا الفاضحة فى حرب فلسطين

فإذا كانت سياساتنا الخارجية يتعذر عليها الخضوع لهذا البرلمان فى بادئ الأمر فلا بأس فى أن تبق كل دولة مستقلة فيها تحت شرط أن لا تسمح للدول الأجنبية أن تمد أحابيلها إلى هذا البرلمان وتفرتكه .

ثم إن الأستاذ لا يمكنه أن يتصور الدول العربية تنزل من سلطتها الدفاعية لبرلمان الجامعة . وأنا أقول له إن الدول العربية لا تقوم لها قائمة لدى الخطر الصهيونى المقبل إلا إذا تنازلت عن سلطتها الدفاعية لبرلمان يمثلها جميعاً، كما أن الولايات الأمريكية تنازلت عن سلطتها الدفاعية لوزارة الدفاع فى وشنطون . لا تستطيع أن تتصور هذا التنازل لأنك مأخوذ بحكم الحاضر. ولكن حكم المستقبل يسهل لك هذا التصور. وإذا أمكنك أن تتصور الخطر الهائل الذى يهددنا به وزير إسرائيل بن غريون أمكنك أن تتصور ضرورة اتحاد الدول العربية فى برلمان حربى دفاعى وإلا فاليهود ينفذون ما يقولون . ولا يردهم عن التنفيذ إلا قيام هذا البرلمان . وهم يقولون بصراحة إن ما يفعله العرب فى عام نحن نفعله فى يوم . فإذا لم نفعل نحن فى يوم ما يفعله اليهود فى عام تغدونا قبل أن نتعشاهم . فأرجو منك أن توسع دائرة تصورك حتى تشمل هذه الحقائق ولا تكن مثبطاً للعزائم .

ثم إن الأستاذ لا يمكنه أن يتخيل الدول العربية تستطيع أن تدفع من ميزانياتها ذلك المبلغ الضخم الذى لا يقل عن مائتى مليون جنيه (والمقترح هو مائة مليون أولا تزاد سنة بعد سنة حسب اللزوم) . ولكن إذا لم تدفع الدول العربية هذا المبلغ فستدفعه رغم أنوفها وتدفع أضعافه يوم يستوى الأمر فى دولة إسرائيل وتصبح سيدة العرب ومالكة رقابهم وبترولهم ووو الخ

وإذا كانت مصر قد أنفقت فى نصف سنة فى حرب فلسطين أكثر من ستين أوسبعين مليون جنيه أفلا تستطيع الدول العربية كلها أن تجمع مائة مليون للدفاع عن استقلالها واتقاء عبوديتها لإسرائيل ؟

تركيا تعد ١٤ مليوناً من النفوس وميزانية دفاعها تستغرق نصف ميزانيتها لأنها مجندة مليون جندى ولأنها رأت أنها إذا لم تفعل هكذا وقعت بين براثن روسيا وهى على مرمى حجر منها .

يا صاحبى لما وقعت الحرب الكبرى الأخيرة عبأت إنجلترا كل رجل وامرأة للعمل للحرب ورصدت كل إيراد الشعب الإنجليزى للنفقة . ولولا هذا لوقعت تحت سنابك خيل الألمان . فهذا المبلغ المائة مليون أو المائتان الذى اقترحته ليس ضخماً ياعزيزى بل هو قطرة من بحر النفقات الحربية . فكانت إنجلترا تنفق فى الحرب كل يوم ١٤ مليوناً من الجنيهات وأمريكا تنفق أكثر من ستين مليوناً منها .

إنها لمبالغ ضخمة حقاً كانت تذهب إلى دولة الشيطان . فلا تتعجب ياعزيزى . ولعلك لم تر بعد عبر هذا الدهر فلا تستطيع أن تتصور الآتى منها . وماذا تفعل والجنس البشرى قد بطر بل جُن ، فهو من باذخ مدنيته يقذف بنفسه إلى وادى الهلاك — المدنية تنتحر —

إن ما تراه يا سيدى مستحيلاً يجب أن يكون واقعاً . وإذا بقينا نتخيل الواجبات إلى أمامنا مستحيلات واليهود يتصورونها ممكنات فلا ريب أننا فاقدون استقلالنا وديننا وأخيراً حياتنا .

وأخيراً أقول لك إذا لم تعمل الأمم العربية كلها لهذه الغاية وتنشئ هذا البرلمان وتسلمه كل السلطة الحربية وتزيل من أمامه كل الصعوبات الداخلية والأجنبية فلا حياة لها . فلتؤبن نفسها منذ اليوم وتبكى حظها .

لو ذكرت لى من أسباب استحالة هذا المشروع الخيانات العربية التى شهدناها فى هذه الأيام وما نكبت به الجامعة العربية من خيانات وأشباه خيانات لصدقتك وقلت هذا المشروع مستحيل . نعم بهذه الخيانات يستحيل هذا المشروع . ولكن هل فقد الوجدان العربى قوة التقدير لإمكانيات المستقبل ؟ هذا ما يحيرنى ... والسلام عليك .

٢ ش البورصة الجديدة القاهرة — نقولا الحداد

ابنة الله وعين الله :

فى البريد الأدبى للعدد ٨٤٣ من « الرسالة » كلمة من الأستاذ دسوق ابراهيم حنفى يسألنى فيها جلاء ما غمض عليه فى العبارتين الواردتين فى مقال لى فى مناجاة الشمس وهما . « يا ابنة الله » و « يا عين الله » .

إن للنجوى لغتها التى تختلف عن لغة الناس ، وشررها الذى يتطاير من الوجد ، وضبابها الذى هو سر قوتها وجمالها ، وليس من السهل أن نهبط بها من سمائها إلى حيث نخضعها للمقاييس والموازين التى نعرفها ونضعها على مائدة التشريح نقطع ونحلل ما شاء التقطيع والتحليل ، فنفقدها الكثير من قوتها ومعناها . إن لها رعشة لها صورها التى قد لا نجد لها إطاراً توحى بها أطياف وأطياف لا نعرف من أمرها إلا أنها مرت بنا وأملت ما شاء لها خيالها أن تملى ...

كنت مأخوذاً بالشمس وسلطانها يوم ناجيتها ، وأصبت بدوار الإعجاب ، وتهافتت علىَّ الصور أشكالا وألواناً ، وبينها الصورتان اللتان حملهما إلىَّ السائل مستوضحاً ... فما ذا أقول له ؟ وكيف أوضح هذا الذى يراه غامضاً ؟ ... كل ما لدىَّ الآن للايضاح أن الكائنات — والشمس منها — تنبثق عن الخالق فهى مواليده . ولقد تخيل الله الخليقة قبل خلقها فكانت الشمس واحدة من بنات خياله . أما أن الشمس (عين الله) ، فإن لله عيوناً والشموس منها ترعى الوجود . وهل الرعاية إلا الرفق والرحمة يتجليان فى النور والشعاع . . إن الله هو النور لا يرى غير النور ، فكيف لا تكون الشمس عين الله ؟ !

راجى الراعى

اللغة فى الإذاعة :

إن المذياع مفصاح فضاح يرسل على الأثير الصوت مبيناً نغماته ونبراته فكان لا بد من الاتئاد قبل أن يئود اللسان الثقل ، وتراوده الخطأة ، فينزلق إلى الجهلة ! ونحن لا نتجنى على أحد حينما نشير إلى عدم العناية بضبط الألفاظ ، فى إفرادها ، وإغفال قواعد الإعراب ، وبخاصة إذا تنكب الجادة فيها « الخاصة » ! وما دامت مصر اللسان الناطق بالعربية الخالصة وجب أن تضرب المثل الأعلى فى المحافظة على حفاظها !

وإنا ليعجبنا صنيع مذيعى الإذاعات العربية فى الأقطار الشقيقة لشدة تمسكهم باللفظ الوغل فى عربيته ، من دون ارتضاخه بعجمة مدخولة ؛ فقد سمعنا مذيعاً يقول : لقد تقدم الجيش فى منطقه كذا بكسر الميم ، بينما يصر المصرى على فتح الميم وكسر الطاء بقدرة قادرة ! ...

ولا يغيب عنا قول أحدهم : نذيع (آذان) الظهر وخطبة الخطبة ؛ فيبدل الأسماع مكان الإسماع ! ويحيل الإعلام إلى المسامع !

أما لغة المحاضرات ؛ فبينها وبين الإبانة السليمة عداء مستحكم ، ما عدا الطبقة الممتازة من أدباء وعلماء العربية ؛ فما مرد هذه الظاهرة الأليمة ؟ لا نعتقد أن المحاضرين على غير علم بالضوابط اللفظية والإعرابية ، فالمفروض فيهم الثقافة التى تخول لهم على أقل تقدير إجادة ما يقرأون ، لكننا نرد هذا التقصير إلى عدم العناية ، أو إغفال الذهن حين القراءة ، أو إغفال أن هناك متسمعين إلى خطايا الأخطاء !

ومن المؤسى تفصح المذيع أو المحاضر إذا أراد التعبير بلغة ذات عجمة ، فإنه يرق الحروف ، ويدققها ، ويخشى أن تفلت من لسانه فلتة تكون سبة ، اعتقاداً منه أن التزامه مخارج الحروف يشير إلى سمة ثقافته !

إن اللغة الإذاعية يجب أن تنأى عن المؤاخذة ، فالأداء الصحيح سبيل الإيضاح ، وليس هناك ما يضير المذيع أو المحاضر فى معاودة قراءة محاضرته أو إذاعته ، وكل من فى الإذاعة مثقف ثقافة عالية ترتفع به عن الغثاثة والركة والأغلوطة ! ...

وبعد ؛ فليس لنا مطمع فى الإذاعة حتى نذيع عنها التقصير ، وإنما نعمل على التنويه فى مقام التنبيه حتى تصل إلى مرتبة الكمال .

(بورسعيد) أحمد عبد اللطيف بدر

إلى الدكتور م شهاب (باريس) :

قرأت كتابك يا صديقى رغم مشاغلى المتعددة ، ولكنى أرجأت الكتابة عنه ريثما أعود من سفرى ليتيسر لى الاستيثاق من بعض المراجع التى يتعذر علىّ الحصول هنا .

ولى بعض ملاحظات أرجو أن أرسلها فى خطاب خاص بعد أن توضح لى عنوانك بالكامل .

ولا يفوتنى أن أشكر لكم هذه الأريحية الكريمة التى أبديتموها نحوى ، وقد سرنى أن يكون لمقالاتى فى الرسالة خلال شهر مايو ويونيه من هذا العام عن (قضايا الشباب بين العلم والفلسفة) ، ذلك الأثر الحيد فى نفوس إخواننا الشرقيين . وما ذكرت من تغير عقيدة بعضهم وتبدل نظرتهم لتلك الفلسفة المنحرفة المتطرفة ... مما أثار صديقك الفرنسى وزملاءه لدرجة القيام بترجمتها و « العمل على نشرها فى فرنسا كمثال لما يمكن أن تستقبل به الفلسفات (الحديثة) فى الشرق العربى عموماً والإسلام على الخصوص ... » الخ

ولسنا نمانع فى ذلك يا صديقى — بل إنا نرحب به — مادمت تعرض علينا تلك الترجمات قبل نشرها أولا بأول .

أما سبب ذلك التركيز الذى رأيتم فى مقالاتى تلك فهو ضيق المقام ثم الظروف التى كتبت فيها ذلك البحث ؛ فقد لبيت به دعوة من كلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول وجهتها إلى جماعة الأبحاث النفسية بها « لإلقاء محاضرة عن الشك كاحدى المراحل النفسية » وعقب إلقاء المحاضرة فى يوم ٤ مايو الماضى — قام بعض أساتذة كلية الآداب من المتعصبين لسارتر وأثار جدالاً رأينا معه نشر البحث — من غير ما زيادة أو نقصان — لتعم فائدته من جهة وليكون المجال أرحب للأخذ والرد فيه من جهة أخرى ، ولم نر أحق بهذا وأجدر من حبيبتنا (الرسالة) منبر الشرق العالمى فآثرناها بتلك المقالات التى انتظمت محاضرتنا المذكورة .

وأظنك معى الآن فى أن المجال لم يكن مجال شرح وتفصيل بقدرما كان مجال إيجاز واستيعاب ، فإن هذا الموضوع من السعة والخطورة بحيث تضيق به المجلدات فضلا عن محاضرة أو بضع مقالات . إلا أنى قد راعيت ذلك وتلافيته فى كتابى (الاتجاهات الدينية فى الفلسفة الحديثة) الذى هيئ الجزء الأول منه للطبع فى أقرب وقت مستطاع .

هذا وأرجو أن يمينى الله سبحانه على تحقيق رغبتكم وسائر الأصدقاء بمواصلة الكتابة فى (الرسالة) عن هذا الموضوع عقب عودتى إلى مصر إن شاء الله وبقيت فى العمر بقية .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فلنسيه — إسبانيا ابراهيم البطراوى

دراسة الأدب المعاصر :

هل هناك برنامج محدد الأهداف موفق الخطوات لدراسة الأدب المعاصر؟ سؤال خطير يستأهل النظر والاهتمام . وخطورته تنجم عن المشاكل التى ستثار فى الكليات التى تعنى بدراسة الأدب العربى . فإن تلك الكليات لم تعن بدراسته فى وقت من الأوقات ، وقد مضى زمن كان حريا بأن نرى الأدب المعاصر قد أخذ حيزه فى مناهج تلك الكليات — ويرى كثير من الأساتذة أن هذه الدراسة لابد منها لأسباب : فأدباؤنا المعاصرون حريون بأن تدرس آثارهم الخالدة ؛ ذلك لأن عصرنا هذا يعتبر من أزهى عصور الأدب العربى ، وهم — بحق — دعامة النهضة الأدبية الحديثة . وأتقدم فى هذا المقام باقتراح وهو أن تنشأ شعبة خاصة لدراسة الأدب المعاصر فى كل كلية من الكليات الثلاث التى تعنى بدراسة الأدب العربى — اللغة العربية — دار العلوم — الآداب — وأرى فوق ذلك أن تكون الدراسة موحدة فى تلك الشعب . وجدير بعمداء تلك الكليات أن يدعوا الأساتذة الأعلام إلى إلقاء المحاضرات ليكون الطلبة على اتصال بالحركة الفكرية المعاصرة .

(دمبرة) على منصور عبد الرازق

الكتب

يوم وليـــلة

تأليف الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

بقلم الأستاذ صبحي ابراهيم الصالح

ليس الطريف في هذا الكتاب عنوانه المشوق ، وإنما الطريف فيه حقاً أسلوبه القصصي التاريخي الممتع الذي وصف به مؤلفه الفاضل الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل (*) خلافة ابن المعتز التي ضرب بها المثل في القصر .

وأحسب أن لو كان مؤلف هذه القصة التاريخية كاتباً معروفاً أو أديباً مشهوراً لأسرع النقاد يمدحونه ويتملقونه لتقرن أسماؤهم باسمه ، أو يلتمسون عثراته ويخالفونه ليشتهروا بذمه ؛ ولكن كتاباً ككتاب (يوم وليلة) وقد وضعه أديب غير مشهور ، لا يحظى من تحليل النقاد بحظ وفير !

على أن دار العلم للملايين في بيروت كانت أكثر تقديراً للكاتب الفاضل ، إذ تكفلت بكتابه فطبعته آنق طباعة وألطفها ، على أصقل ورق وأنعمه ، كما نشرت له منذ عام بحثاً طريفاً جامعاً حول (النكتة المصرية) كان له صدى في الأوساط الأدبية اللبنانية . وأريد اليوم لأكون أحد المعترفين بفضل هذا الأستاذ فأظهر الناس على أدبه الرفيع ، وأطلعهم على علمه الغزير ، وإن كنت لم أجلس إليه في ناد ، ولم أقابله في زيارة : فإن قلم الكاتب لسان عقله وتفكيره ، وروح قلبه وشعوره .

***

لا ريب عندي في أن هذا الكتاب الذي يمكنك أن تقرأه في جلسة واحدة وأنت مستمتع بجمال عرضه ، وجزالة أسلوبه ، ورصانة تعبيره ، قد كلف الأستاذ عبد العزيز عناء طويلاً وجهداً ثقيلاً ، فلقد حاولت من قبله أن أعلم شيئاً يغني عن خلافة ابن المعتز ، ففتشت بطون الكتب كما فتش ؛ واستقصيت في الطلب كما استقصى فلم أجد — كما قال الأستاذ في مقدمته — « كتاباً واحداً ولا كتابين ولا ثلاثة ولا عشرة تسعدني بما عنيت » وأدركني الملالة فانصرفت عن هذا الموضوع إلى سواه . أما الأستاذ فلم يعرف الضجر ، وإنما زاد في الاستطلاع وما انفك يزيد حتى أربى على الستين كتاباً ، ثم تتبع الأخبار المبثوثة في طوايا هذه الكتب فإذا هي متفرقة متمزقة كأنها الأشلاء المبعثرة بأطراف الصحراء !

وإني لواثق أنه ما كان لقصة ابن المعتز أن تستحكم حلقاتها لولا أن الأستاذ قد غاص فتنقل فعلاً « بين طوائف شتى من كتب التاريخ والطبقات والأدب والفقه والمُلَح والدواوين » فاستطاع بهذا التنقل الفكري المرهق أن يريح قارىء قصته ، إذ أوضح له خفيات الأمور ، وتطوع بنفض الغبار عن كثير من الحقائق ، حتى ليظن أولئك الذين تعودوا أن يقرأوا غير محتكمين إلى العقل والمنطق أن ليس في الكتاب عناء البحث ولا وعورة المسلك ، لاتخاذ الكاتب طريق القصص الذي يبدو سهلاً لمن يراه ، ولا يعرف صعوبته إلا من عاناه .

ومن المعروف لدى المشتغلين بأدب القصة ونقدها أن الأسلوب القصصي حين يعتمد على الخيال الخالق وحده في تأليف الحوادث وربطها ، أو حين يعتمد على التاريخ الصادق وحده في رواية الأخبار وجمعها ، لا يعترضه من العقبات ما يعترض القصاصي الذي لا غنى له عن الجميع في آن واحد بين ما ارتضاه من خيال وما صدقه من تاريخ . وأكثر ما يكون ذلك في القصص التاريخية التي تدور حول فتنة حمراء لعب المؤرخون فيها دور الجبناء ، خوفاً من سطوة القادر ونفوذ الحاكم وعنت الجبار .

وخلافة ابن المعتز التي تقرأ وصفها في كتاب (يوم وليلة) كانت فتنة اندلعت ألسنتها بسرعة وسكت غضبها بسرعة ، لكنها — رغم استحالة جمرها إلى رماد — أخافت كثيرين من التصدي لأخطارها لئلا يحترقوا بنارها ، ولتجدن أكثر الذين عاشوا في هذه الفتنة وبلوا أخبارها قد أفضوا بذات أنفسهم إلى معاصريهم

(*) المدرس الأول بوزارة المعارف المصرية ، ومندوبها للتدريس بالكلية العاملية في بيروت

لكنهم أبوا أن يدونوا لمن بعدهم شيئاً مذكوراً يكشفون به مسدل الأستار، ويذيعون به خفي الأسرار؛ ولولا كلمات مبثوثة هنا وهناك على ألسنة الوزراء والندماء والقواد والقضاة والتجار والسوقة لاندثرت معالم هذه القصة ولما استطاع الخيال أن يرتكز في في وصف حوادثها إلا على أسطر قليلة لا تغني من الحق شيئاً.

وهنا تظهر مقدرة الكاتب بوضوح، فلقد عرض القصة عرضاً فنياً، وسبح في جوها سبحاً طويلاً. وقد خاف أن يأخذ عليه النقاد ابتعاده بالقصة عن وجهها الحقيقي فقيد نفسه بقيود كثيرة، وألزم قلمه ألا ينطق إلا فيما تدعو إليه حلقات القصة لتكون قوية التماسك وثيقة الإحكام ...

***

وأشهد أن الأستاذ كان موفقاً في ما حبس به نفسه وفي ما أطلقها فيه؛ بل إن في ما زاده من حوار بين الأشخاص أو تمهيدات بين يدي الأحداث لبراعة نادرة تجعل القارىء يظن نفسه أمام قصة محبوكة الأطراف قد وثق الزمن ذاته عراها ولم يترك للخيال في نسجها يداً.

وإن كاتباً هذه مقدرته في خلق الحوادث خلقاً يوشك أن يكون طبيعياً حري أن يخرج لنا كتباً كثيرة عن بعض أدبائنا الأقدمين وعلمائنا السالفين الذين لم يسعدنا طول البحث بالتعرف إلى آرائهم وتحليل نفسياتهم. وإن هذه لخدمة جلى يستطيع الكاتب وأمثاله ممن أوتوا موهبته أن يسدوها إلى عشاق العربية من أبناء هذا الجيل.

وما برحت موقناً بأن جمال العرض وقوة الأسلوب عماد عامتا العمل الفني في حياتنا الأدبية: فبمقدار ما نُعنَى بهما تعلو قيمة إنتاجنا، وتستحق من الخلود.

وحين أذكر قوة الأسلوب ههنا لا يسعني إلى أن أهنىء الكاتب من صميم قلبي على تعبيره الرصين، وألفاظه الجزلة، وجمله المحكمة، وطول نفسه للاحتفاظ بوحدة الفكر. وتلك مزايا أدبية لا نكاد نجدها مجتمعة حتى في أساليب بعض المشهورين من كتابنا في مصر والشرق العربي؛ ومن خيل إليه أن في حكمي هذا شيئاً من المبالغة فليقرأ الكتاب بنفسه وليطالعني برأيه.

ولقد تأخذ على المؤلف بعض مآخذ فنية، فترى أنه أطال حواراً كان في مكنته اختصاره، أو أنه أوجز في فصل كان يستحسن فيه الأطناب، أو أنه اهتم ببعض الشيء بأشخاص ليسوا من أفلاذ الفتنة، أو بأحداث ليست في صميم القصة؛ لكن هذه المآخذ — لقلتها وضآلتها — لا تغض من قيمة هذا الأثر الفني الرائع الذي ما أشك في أن صاحبه أنفق عليه من الليالي الساهرة مثلاً كان ينفق الرسام الذي يبني الخلود، أمام لوحة ريدان يبهر بها الوجود.

وأنك لتستطيع أن تقرأ نظرة الكاتب إلى الحياة من خلال الأحاديث التي أنطق بها أشخاص قصته، فلقد أشفق على ابن المعتز في ضعفه، ولقد شمت به في غروره، ثم عاد يترحم عليه بعد مماته. وحِكَم الكاتب التي زين بها كتابه بدت طبيعية في أحاديث الأشخاص إلا في مواضع قليلة ظهرت فيها مقحمة كأن صاحبها يتكلف الموعظة، ويصطنع أداء الحكمة.

***

ولكن ... مهما يكن من شيء فهذا الكتاب الصغير الحجم عظيم الفائدة، حتى لا أظن متأدباً ولا أديباً يستغني عن اقتنائه إذا كان يريد أن يعلم معظم ما يمكن أن يُعلَم عن خلافة ابن المعتز.

ولا بد لي — قبل أن أختم مقالي — من الاشارة إلى هفوة نحوية لم أقع على سواها في سائر الكتاب رغم أمعاني في قراءته: فقد قال الأستاذ في ص ٧٩ (وهرب بعضهم إلى دار ابن المعتز لملوامره، الأمونس الحاجب وخاصة رجاله وغريب خال المقتدر) وواضح أن هذا سهو أو سبق قلم، وإن الصواب أن يقال: ألا مؤنساً .. وخاصةَ .. وغريباً .. لأن المستثنى بالا يجب نصبه إذا كان ما قبلها تاماً مثبتاً.

واغتنم هذه الفرصة لافتتح — صفحات الرسالة الزهراء — صداقة أدبية خالصة مع الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل مؤلف هذه القصة التاريخية، مهنئاً وزارة المعارف المصرية بجهودها الفاضل، راجياً من حضرته أن يسرع بإتحاف المكتبة العربية بكتابه الجديد (ابن المعتز أدبه وعلمه) الذي وعد بإصداره قريباً وفي انتظار كتابه الموعود لي كبير الأمل في إقبال قراء الرسالة على (يوم وليلة) ليعرفوا الأشخاص بالأدب، لا الأدب بالأشخاص.

(طرابلس الشام) صبحي ابراهيم الصالح

فن الخطـــابة

تأليف الأستاذ أحمد الحوفى

بقلم الأستاذ ابراهيم الجعفراوى

الأستاذ الحوفى ليس بمجهول لدى قراء الرسالة الغراء ؛ فقد قدمه إليهم الأستاذ محمود الخفيف منذ بضع عشرة سنة — وكان يومئذ طالباً بدار العلوم — منوها بباكورة أبحاثه وحى التسبيب فى شعر شوقى — ثم تخرج الأستاذ ، وتوالت الأيام ، وأخذت الرسالة تنشر له بعض الفصول عن شوقى .

وفن الخطابة الذى نقدمه اليوم ، هو باكورة أيضاً لعمل الأستاذ الجديد فى دار العلوم ، والكتاب ثمرة جهد عظيم بذله الأستاذ رغم عمله المرهق ، واشتغاله ببحث يعده للحصول على درجة جامعية .

وليس أدل على قيمة الكتاب مما سطره القلم البليغ — قلم الدكتور ابرهيم سلامة — فى تقديم الكتاب : ويمكن أن أقول إن الكتاب أول فى نوعه من بين المؤلفات الحديثة التى تعرضت للخطابة.. إلى أن يقول بعد أن تعرض لقارىء الاستفادة ، وقارىء الاستزادة : وما ينتظره كل منهما من المؤلف .

على أن قارىء الاستفادة ، وقارىء الاستزادة أمام كل مؤلف يحسب لقرائه وجودهم ، كلاهما يريد أن يخرج بجديد ، فالمستفيد من القراء يعلم مالا يعلم ، ويضيف جديداً إلى ما يعلم ، ويمحو خطأ مما علم ؛ ليحل الصواب محله بعد القراءة . والمستزيد يعرف فى سهولة ما سبق أن عرفه فى جهد ؛ لأن المؤلف عرض له مايعرف عرضاً فنياً فيه — زيادة — على المعرفة — الايحاء ، باستزادة ، والانتفاع باللذة العلمية ، فلذة المستفيد المعرفة المحضة ، ولذة المستزيد فى أن يلمح إلى جانب المعرفة الحياة ، وحركات الأفكار ؛ لأن للمؤلف فناً فى العرض وفناً فى الأسلوب ، وفناً من دقة البحث ، وفنوناً من الإثارة والإغراء تدفعه إلى أن يقرأ ما يعلم ، ويستلذ ما سبق له أن عرفه .

هذا سر المؤلفين الناجحين ، وهنا سر النجاح فى التأليف لمن يكتبون فى موضوع سبق البحث فيه . والاستاذ أحمد الحوفى قد كشف عن كثير من عناصر هذا السر .

وقارىء الكتاب يدهش لهذه المادة الغزيرة ، والأحاطة بكل أطراف الموضوع ، فهو مقدم بكلمة عن تعريف الخطابة ، يليها فصل عن الخطيب ، تحدث فيه عن الاستعداد الطبيعى . والوقفة والاشارة ، والسن ، والعلاقة بين الخطيب والشاعر والممثل ، وأتبع ذلك بفصل ضاف عن نشأة الخطابة ورقيها ، وآخر عن نفسية الجماعة وملك الخطيب نحوها ، ثم تعرض لأنواع الخطب ، وناقش التقاسيم المختلفة ، وأسهب فى الكلام عن الخطب السياسية والقضائية والحربية والحفلية ، والدينية . يلى ذلك فصل عن الأسلوب الخطابى وخصائصه ، استهله بالكلام على مذهبى الأسلوب والمعنى . والمقارنة بين أسلوب الخطبة ، وأسلوب المقالة ، ثم أعقب ذلك بفصل عن الارتجال والإعداد ، ومزايا كل وعيوبه ومواضعه .

وختم المؤلف كتابه بفصل عن الخطابة فى تصور الأمم : عند اليونان والرومان والعرب والمحدثين .

هذا عرض سريع لفصول الكتاب القيمة أردت منه أن يتعرف القارىء الكريم على مادة الكتاب ، وكيف يسير المؤلف فى بحثه متعمقاً مستقصياً مما يدل على أنه قد رجع إلى كثير من المراجع .

ولعلى أرجع قريباً إلى هذا الكتاب ، فأتحدث عن بعض فصوله بالتفصيل والنقد .

ابرهيم الجعفراوى

دبلوم معهد التربية العالى

مدرس بمدرسة الجيزة الابتدائية للبنات

مطبعة الرسالة



العدد ٨٤٨ — الاثنين ٣ أكتوبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٧ ٣٣ ٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 em Année No. 848 — Lundi — 3 — 10 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ـــــص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــــدد «٨٤٨» القاهرة فى يوم الاثنين ١١ ذوالحجة سنة ١٣٦٨ — ٣ أكتوبر سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

من المسؤول عن اللاجئين ؟

للأســـتاذ نقولا الحداد

قضى مليون لاجئ عربى مشرّدين عن منازلهم وأملاكهم إلى الآن نحو عام وهم يعانون زمهرير الشتاء وقيظ الصيف فضلا عن الأمراض والأوبئة ثم الموت بالجملة ، فهل يقضون أيضاً عاماً آخر ؟ !

واللجان الموفدة من قِبل مجلس الأمن وهيئة الأمم العربية تدرس وتباحث وتناقش ... وإلى الآن لم تصل إلى نتيجة حاسمة ولا نظنها تصل ! !

واليهود يسرهم كل هـذا ... وهم فى بيوت العرب آمنون مستريحون يستغلون أملاك العرب ... وتستمر الحال على هذا المنوال إلى أن يملّ العرب ، وثم لا يبقى أمام اللاجئين إلا أمر واحد ... هو الانتحار ! !

فمن المسؤول عن هذه الـكارثة ؟ !

المسئول الأول هو انـكلترا ، لأنها هى سبب هذه الـكارثة أولا وآخراً ... فهى الملزمة أن تفتح السبيل لعودة العرب الفلسطينيين إلى بيوتهم وأملاكهم وأرزاقهم ، وأن تجعل هـذا السبيل مأموناً من غدر هؤلاء اليهود الجوييم وهمجيتهم ، وحمايتهم مدة إقامتهم فى ديارهم ... وهذا يستلزم أولا أن تجرد اليهود من أسلحتهم تجريداً مطلقاً ولا تعترض على تسلح العرب .

ثم على انكلترا أن تعوّض العرب من خسائرهم الجسيمة التى خسروها فى مدة التشريد ...

ومن يقرأ هذين القولين يقل لك إنك تطلب المستحيل ، لأن انكلترا التى دللت اليهود منذ إعلان وعد بلفور ، وسكتت على تعديات اليهود المتعددة على الإنكليز — كما هو معلوم — لا يمكن أن تتحمل هذه المسؤولية ، وإن كانت حقاً صارخاً ، لأنها ، أى انكلترا ، خاضـعة لعون اليهود فى بلادها ، وهناك خمسة فى المئة من أعضاء البرلمان يهود ، وخمسة وزراء يهود ، وهؤلاء راكبون على خناق انكلترا وكاتمو أنفاسها ، لا نعلم بأى سحر تخضع لهم وهم يقهرونها !

هذا هو الواقع !

بقى أننا إلى الآن لم نفهم كيف أن الدولة التى لا تغيب الشمس عن أملاكها (أو كانت هكذا) تخنع هـذا الخنوع لزمرة من صعاليك الأمم !

وعلى أى حال يجب على بريطانيا العظمى أن تمسح هذا العار عن جبينها بأن تدبر أمر اللاجئين تدبيراً يوافق عليه العرب جميعاً ، وإلا فتاريخ انكلترا أسود بالقلم العريض حاضراً ومستقبلا ... !

ولـكن ... هل يا ترى يكترث الإنكليز لسمعتهم وتاريخهم؟

هنا نقف ونسأل وننتظر ... وإلى متى ننتظر ؟ !

يلى انكلترا فى المسؤولية أمريكا الانجلوسكسونية . فعليها أكثر من خمسين فى المئة فيها ، ولـكن أمريكا لا تتبجح بشرفها ،

ولا تحترم سمعتها ، ولا تكترث لتاريخها ، مادامت تلعب بالدولار .
ولعل اليهود هناك يعتقدون أنهم هم الذين سكُّوا الدولار المدنى وطبعوا الدولار الورقي . فهم يوسخون وعلى الشعب الأمريكى أن ينظف !

انكلترا وأمريكا مسؤولتان فى الدرجة الأولى ، ويهود العالم كله مسؤولون فى الدرجة الثانية ، فهم مسؤولون لأن يهود الصهيونية هم الذين نهبوا وفظَّموا وقتلوا وشرَّدوا العرب ، ولأنهم كانوا يموِّنون هؤلاء المجرمين بملايين الدولارات . ولكن من يرغم هؤلاء اليهود على التعويض وعلى العرب وعلى قبولهم رغم أنوفهم فى بلادهم ؟

قالوا : إن مجلس الأمن المسؤول عن الأمن العالمى هو الذى يرغم اليهود على التعويض وعلى القبول — قبول العرب .

ولكن المصيبة الأخيرة جاءت عن يد مجلس الأمن ، فإذا كانت انكلترا — وهي المسلَّحة — تجثو أمام سحر اليهود ، فمجلس الأمن — وهو بلا سلاح البتة — لا يستطيع أن يهز رمحاً فى وجه الصهيونيين، فهو كالدجاجة ، وهى بلا براثن ولا أنياب أمام السباع والذئاب ... فإذاً ، انكلترا أولا ، ثم أمريكا الانجلوسكسونية ثانياً — هؤلاء هم المسؤلون عن نكبة عرب فلسطين أمام الله ، وأمام التاريخ ، وأمام العالم ... ولكن إذا كانوا لا يخافون الله ، ولا يحترمون التاريخ ، والعالم كله مثلهم لا يخاف الله ولا يبالى بالتاريخ ... فلمن نشكو أمرنا ؟ !

لا نشكو أمرنا إلا للعرب أنفسهم ، فإن كانت عندهم بقية من مروءة العرب التى طالما تبجحنا بها فالنجدة يا قوم ... وإلا فليقرأ كل عربى — من الوزير إلى الصغير — ما لقنه أحمد الشقيرى بك مستشار الوفد السورى أمام لجنة التوفيق الدولية بعد عودته من لوزان لمندوب جريدة المصرى فى يوم ١٦ سبتمبر ، لكى يعلم مابيبته اليهود للعرب جميعاً من الشر . فلعلهم يتحمسون للدفاع عن أنفسهم قبل أن يحدث لهم ما حدث لعرب فلسطين ، ويتشردوا فى الصحارى والبحار فيموتون ظمأ ثم غرقاً ... وكل آت قريب ...

نقولا الحداد

٢ ش البورصة الجديدة بالقاهرة

منارة الماضى :

على طريق الحملات المصرية فى لبنـــــان

أيام دولة سلاطين المماليك البحرية

للأستـــــاذ أحمد رمزى بك

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

ثلاثة من سلاطين مصر العظام يبدو عملهم خالداً أمام الزمن فى هذه البقعة من الأرض : الملك الظاهر بيبرس صاحب الفتوحات الكبرى ، ثم المنصور قلاوون الذى حاصر مدينة طرابلس ستة وعشرين يوماً ثم فتحها بالسيف ، وأخيراً الأشرف خليل بن قلاوون صاحب الفتح الأشرفى من الممالك الساحلية والجبلية وهو الذى بقى لمدة قُرون والناس يُؤرِّخون فى لبنان الحوادث على ذكره وتأتى هذه الحملات فى عهد الناصر محمد تكملة لتلك الفتوحات .

ولكن الباحث فى تاريخها يسير دائماً فى المراجع التى بين أيدينا وهو يتلمس الأسماء والمواقع وسط الصعاب التى يُقيمها المعاصرون والمؤرخون والنساخ . فهناك طائفة من أسماء البلاد والمقاطعات تغيرت مواضعها مع الزَّمن أو تمدَّدت حدودها ، ومع اعتمادى على الخرائط التفصيلية التى وضعتها القيادة الفرنسية مدة عهد الانتداب ، ومع أننى زُرت أغلب المناطق لمدة مرَّات أرانى أحياناً وسط بحر واسع الأطراف فى المسائل التى تحتاج إلى تحقيق ، أرانى أخوض فأوفق فى بعض الشىء ولا أوفق فى البعض الآخر فأتركه ليتمكن غيرى من تحقيقه .

ويحصل الخطأ فى النقل من النسخ التى بين أيدينا ، أو فى عدم اعتناء المؤرخين عند كلامهم على الحوادث فيطلقون أسماء عامة مثل جبال الجرد والكسروان من غير تحديد .

فقد جاء ذكر بعض الحملات فى الجزء الشمالى الجبلى الواقع بين الممالك الساحلية والممالك البعلبكية : والمعروف أن كسروان هو

الاقليم الجبلي الذي تقع فيه مدينة «بسكنتا» وهي التي كانت تسمى قديماً باسم «العاصية» لصعوبة مسالكها والمرور إليها من وادي الجماجم . ومع أنها قسمان في التقسيم القديم داخلة وخارجة . فالداخلة حدها من نهر الكلب إلى نهر إبراهيم ، والخارجة حدها القديم من نهر الكلب إلى الحد الفاصل بينها وبين مقاطعة المتن: وتمتد الحدود من البحر إلى الجبال : ومع علمنا بهذا التحديد يطلق المؤرخون اسم كسروان تساهلاً منهم على بقاع تقع في الجزء الشمالي من هذه البقعة بالذات : ويتكرر هذا في معظم من كتب بعد حوادث الفتوحات التي تمت في عصر الملوك الثلاثة .

ولكن المدقق يجد أن الحوادث التي كانت مدينتا «أهدن» «وبشرى» مسرحاً لها تقع في مقاطعة كانت تسمى باسم «جبة بشرى» في هذا العهد ثم أصبحت «جبة الحدث» في عهد قايتباي : وفي هذه الناحية بالذات مقاطعة كانت تسمى الضنية وهي ترد في كتب المؤرخين باسم جبال الظنيين : ولقد اعتمدت في تحقيق هذا الاسم على مصدرين :

الأول : هو ما ورد في وثيقة الهدنة التي عقدها الملك المنصور قلاوون صاحب مصر مع جماعة الاسبتار وبيت طرابلس (٦٨١هـ ١٢٨٠ م[1]) .

الثاني : ما جاء في كتاب الشيخ طنوس بن يوسف الشدياق[2]

جاء في عقد الهدنة ذكر بلاد السلطان الملك المنصور : «ما هو مجاور لطرابلس ومحادد لها من المملكة البعلبكية جميعها وجبالها وقُراها الرحلية[3] والجبلية وجبال الضنيين»

وجاء في المرجع الثاني : «لما قدمت الفرنج من إنطاكية سنة ١٠٩٩ ، وفد إليهم أناس من المردة من جبل سير وصقع الضنية» . فجبال الضنيين هي إقليم أو صقع الضنية الذي أشرنا إليه والواقع في الجزء الشمالي من إقليم جبة بشرى وهذا الإقليم ينحدر من أرز لبنان إلى سير ثم إلى طرابلس.

ومن هذا نعلم أن ذكر «أهدن» و«بشرى» في إحدى الحملات لا يجعل لكسروان شأناً وبينها وهذه البلاد مناطق : أو قطاعات كانت تسمى باسم بلاد واقعة على الساحل أو في الجبال كما يتضح

(١) ملحق ٦ للسلوك طبع الدكتور زيادة :
(٢) طبع المعلم بطرس البستاني .
(٣) قولة ارحلية لايفهم وإنما أرجح الزحلية : أي قرى بلدة زحلة.

ذلك من وثيقة الهدنة نفسها .

فقد جاء فيها عند الكلام على بلاد الفرنجة أي الأبرنس صاحب طرابلس ما يأتي :

طرابلس وما هو داخل بها ومحسوب عليها . أنفة وبلادها . جبيل وبلادها . صنم جبيل وبلادها (وأرجح أم جبيل) . البترون وبلادها (وكلها على الساحل) وضع هذا النص عن قصد — ثم عرقاً وعدتها ٥١ ناحية .

وما هو للفارس روجار دي لالاولاي من قبلي طرابلس .

أقول إننا إذن في حاجة ماسة إلى جمع نصوص الوثائق المملوكية من عقود الهدنة والصلح الموزعة في الكتب وتحقيق كلماتها حتى تراجع مراجعة صحيحة لكي نستفيد من محتوياتها : هذا علاوة على المراسيم الخاصة بولاية العهد أو الصادرة بتولية الأمراء أو بالإقطاعات : ومن بعض هذه الوثائق يتضح مدى اتساع الأمبراطورية الإسلامية لمصر في أزهى عصورها بلا استثناء وقد جاء في نهاية عقد هدنة المنصور قلاوون «وما سيفتحه الله على يده ويد ولده وعسا كرهما وجنودهما من الممالك والحصون» .

وقد تمت الفتوحات جميعاً حتى ذكر ابن الفرات «ولم يتأخر بالبلاد الشامية غير فلاحيها وهم داخلون في الذمة» .

وأرجح أن الجزء الجنوبي من لبنان حيث كان يسكن أمراء الغرب من آل بحتر التنوخيين لم يتعرض لهذه الحملات ما عدا الجرد الشمالي، إذ المعروف أنهم كانوا حلفاء وأعواناً لملوك مصر[1] ابتداء من الدولة التركية المعز إيبك ، إذ جاء في كتاب صالح بن يحيى ذكر منشور المعز إيبك للأمير سعد الدين خضر ، وجاء فيه أن الأمير زين الدين بن علي وفد على السلطان قطز واشترك محارباً في معركة عين جالوت لما قهر المصريون التتار ، وجاء فيه ذكر عدة مراسيم أرسلها الظاهر بيبرس إلى الأمراء وقال عنهم «الأمراء الثاغرون على صيدا وبيروت» وكذلك ما صدر من ابنه الملك السعيد بركة خان ، ولم تكن صيداً وبيروت بيد المصريين في ذلك الوقت . ويبدو مؤرخو الحروب الصليبية في حيرة من موقف بعض الأمراء .

فالأب لويس شيخو يستخلص من حادثة معينة أن بعض الأمراء كان حليفاً للصليبيين فيقول إن أحد أعداء الأمراء المسمى

(١) هكذا تتكلم الوثائق وإن كان التاريخ يعيد هذه العلائق إلى الأيوبيين وقد تكون من عهد الفاطميين .

تق الدين نجا بن أبى الجيش سعى بهم زوراً إلى ملك مصر الظاهر بيبرس مدعياً أنهم حالفوا الفرنج وخانوا الدولة .

وأعتقد أن هذه الحادثة بالذات تحتاج إلى عناية المشتغلين بالتاريخ المصرى لأن المكاتبات التى صدرت من جهتهم لبلاط القاهرة وإجابة الملك الظاهر بإقرار أقطاعهم وبلادهم تكشف لنا عن ناحية فذة من عظمة الظاهر وسياسته .

ولا أعتقد بوجود سياسة للأمراء مرسومة للعمل على ناحيتين فى تلك الحقبة بالذات خصوصاً وقد بدأت طلائع الظفر والمجد والقوة تبرز بروزاً فى ناحية الجانب المصرى تحت عبقرية الظاهر ومن جاء بعده من الملوك العظام .

والظاهر أن العلاقات بين أمراء الغرب ومصر أقدم من ابتداء الدولة التركية بل كانت متأثرة دائماً بملك مصر بدليل أنه لما وقعت النفرة بين الملك محمود نور الدين زنكى ملك الشام والملك صلاح الدين يوسف الأيوبى ملك مصر كان هؤلاء الأمراء يوالون صلاح الدين وكانوا يعضدونه على محاربة الافرنج وكان ملك مصر يجعلهم أمام عساكره[1] .

وقد أبلى الأمراء كما رأينا فى حروب قطز وبيبرس ثم فى أيام قلاوون فى معركة حمص حين اشترك من جنودهم تحت قيادة الأمير قرقاز ما مقداره أربعة آلاف مقاتل هذا خلاف ما قاموا به فى صد هجمات التتار أيام الناصر محمد بن قلاوون ولعل هناك فترة غامضة فى تاريخ لبنان هى فترة الخمس سنوات التى أخلى فيها وادى التيم فلم تبق فيه غير حاصبيا مسكونة : ذلك حينما تقدم التتار فى زحفهم أيام الملك الناصر فاضطر الأمراء إلى التراجع أمامهم : لهذا أرجح أن المشاكل التى جاءت بعد حملات الأشرف خليل تحت قيادة بيدار أى حملات الناصر محمد تحت قيادة جمال الدين أقوش الأفرم كانت نتيجة للتقلقل والفوضى التى سادت الجزء الجنوبى من لبنان فى تلك الفترة من الزمن : أى بين ٦٩٨ و ٧٠٥ هجرية .

ويقول المطران الدبس فى الجزء السادس من كتابه « أما من هم الذين سماهم صالح بن يحيى الجرديين وسماهم الدويهى الجبليين فلاشك أنهم غير الكسروانيين ونرى أنهم سكان العمل المسمى إلى الآن الجرد ومن قراه رشميا وشارون وبتاتر ومجمدون وأنهم كانوا دروزا »

ويؤكد خروجهم عن طاعة الأمراء التنوخيين وأنهم كانوا يسطون على بلادهم وإن نذير جمال الدين أقوش أمرهم أن يصلحوا شؤونهم مع الأمراء ومع قلة المصادر أو صمت المراجع فالدلائل المنطقية تجزم بأن هؤلاء هم الذين انتهزوا فرصة إخلاء أراضى التيم من أهلها فاعتدوا على بعض أملاك الأمراء وهم الذين انسحبوا بعد ذلك إلى مقاطعة كسروان ويظهر أن الجرديين كانوا دروزا والكسروانيين كانوا موارنة فتخلفا أمام زحف المصريين : وهرب الدروز بعد أن دارت عليهم الدائرة فى معركة عين صوفر إلى غربى كسروان أى إلى نيبية وانطلياس التى كانت حينئذ من كسروان وكان نهر الجمانى الفاصل للمقاطعة من الجنوب[1] .

ويعجبنى صاحب البداية والنهاية[2] حينما يتكلم عن شيخ الإسلام ابن تيميه فهو يعرفنا بأن الشيخ خرج ومعه جماعة من أصحابه إلى جبل الجرد والكسروانيين فاستتابوا خلقا منهم وألزموهم بشرائع الإسلام ورجع مؤيداً منصوراً ومنه نعرف أن وسيط أو نذير الأمير جمال الدين أقوش المسمى زين الدين بن عدنان كان يشغل وظيفة نقيب الإشراف بدمشق وحدثت هذه الوساطة فى مستهل ذى الحجة سنة ٧٠٤ .

إذن سبقت الحملات بعثة سياسية دينية ، وفقت فى إقناع البعض ولم توفق فى إقناع البعض الآخر وهؤلاء الآخرين هم الذين أفتى العلماء بقتالهم . لأنه فى ثانى المحرم سنة ٧٠٥ خرج نائب السلطنة الأفرم جمال الدين أقوش وجنوده إلى بلاد الجرد والرفض والتيامنة (أى وادى التيم) السالف الذكر ويقول ابن كثير « فنصرهم الله عليهم وأبادوا خلقاً كثيراً » ثم أردف « وقد حصل بسبب شهود الشيخ هذه الغزوة خير كثير وأبان الشيخ علماً وشجاعة وقد امتلأت قلوب أعدائه حسداً له وغماً » .

وفعلا بدأ أعداؤه حملة الافتراء والأكاذيب والدسائس عليه شأنه شأن كل الرجال النافعين القادرين على العمل بإخلاص وشجاعة فى هذا الشرق .

وأعود إلى ما سموه جبال الجرد : فهذه نهايتها آخر حد ولايات الغرب شمالا وفيها بلدة المديرج الواقعة على طريق الشام .

وفيها نهر الصفا وبها كانت واقعة عين صوفر المشهورة : ويحدثنا صاحب كتاب أخبار الأعيان عن حملة الجرديين (سنة ٧٠٢ هجرية — ١٢٩٣ ميلادية) إنها بدأت بمنشور أرسله الملك محمد الناصر بن قلاوون إلى جمال الدين أقوش الأفرم نائب دمشق وإلى أسندمر نائب طرابلس وإلى سنقر المنصورى وإلى الأمراء

(١) يهمنا العثور على وثائق أيوبية فى هذه الناحية .

(١) نفس المصدر صفحة ٢٧٣ . (٢) جزء ١٤ ص ٣٥ .

التنوخيه يأمرهم بحشد الجيوش لمحاربة كسروان وأهل الجبال جاء فيه « من نهب امرأة كانت له جارية أو صبيا كان له غلاما ومن أتى منهم برأس مقتول كان له دينار لأن المذكورين كانوا نجدة الأفرنج » .

ويقول المطران الدبس نقلا عن الأسقف جبرائيل ابن القلاعى أن المركة دارت عند جبيل وأن المقدمين الذين نزلوا من الجبال كانوا ثلاثين مقدما منهم خالد مقدم مشمش . سنان وسليمان مقدما إبليج . سعادة وسركيس مقدما لحفد . عنتر مقدم الماقورة . بنيامين مقدم جردين . ويقول إنهم رتبوا ألفين مقاتلا كنوا على الفيدار وألفين على نهر المدفون .

ومن مراجعة وثيقة هدنة المنصور قلاوون يتبين لنا أن هذه البلاد واقعة خارج الجرد وكسروان بل هى داخل القطاع الواقع بين قطاع البترون وقطاع كسروان أو هى تكون ما أسميه قطاع جبيل الواقع بين موقع فيدار وبلدة البترون وتتوسطه مدينة جبيل ، ويرتفع إلى بلدة الماقورة فى الجبال وبلدة تنورين أمامها وكانت ضمن أملاك صاحب طرابلس ولما زال حكم الصليبيين أصبح فتح هذه البلاد هينا على المصريين ويقول صاحب تاريخ الأعيان بدون أن يذكر المصدر الذى استقى منه « حينئذ اندفقت سكان الجبال على جيوش الإسلام اندفاق الماء المنهمر » « واقتحم مقدم مشمش على قائد جيش الإسلام واحتز رأسه » « ووقعت الكرة على جيوش الإسلام وتمزقت منهم الكتايب والأعلام » .

ويصف ملاحقة الجبليين أمراء الغرب إلى عقر ديارهم وكيف قتل الأمير محمد وأخوه الأمير أحمد من أبناء محمد بن كرامة التنوخى وكيف أن المنتصرين زحفوا حتى أحرقوا بلاد عين صوفر وشمليخ وعين زوينة وبحطوش من قرى أمراء الغرب التنوخيين فى الجرد الشمالى .

تلك هى رواية المراجع المسيحية عن الحوادث التى تقدمت الحملة التى قادها الأمير جمال أقوش الأفرم سنة ٧٠٥ وانتهت إلى بما جاء فى هذه المراجع بالذات « ثم أحاطت المساكر بتلك الجبال المنيعة وترجلوا عن خيولهم وصعدوا فى تلك الجبال من كل الجهات فأخربوا القرى وقطعوا الكروم وهدموا الكنايس وقتلوا وأسروا جميع من فيها من الدرزية والنصرانية وزلت قلوب أهلها . » « ثم أمر جمال الدين أقوش أن تستقر التركمان فى ساحل كسروان » ونشأت بذلك أمارة آل عساف وسكن التركمان بلدة ذوق ميكايل وحفظوا الدروب والمسالك ، ونظم الأمير جمال الدين الأفرم طريقة الاتصال بالنيران بين الساحل ودمشق : إذ كانت تقام شعلة نارف رأس بيروت ومنها إلى جبل بوارش ومنها إلى بيرس ومنها لجبل بالصالحية ثم إلى قلمة دمشق حتى تصل الأخبار فى وقتها ، وترتب الحمام الزاجل بمحطاته وخيل البريد إلى دمشق عن ثلاث طرق ، وهكذا انقطع اتصال الأفرنج بأهل كسروان انقطاعا تاما ودخل أهل الجبال فى طاعة ملوك مصر فلما قامت الفتنة بين الظاهر برقوق والأميرين الناصرى ومنطاش انضم لمسكر الشام العربان والتركمان وأهل كسروان والجرد من أهل لبنان، ولما عاد برقوق للملك بعث بجند مصر إلى الساحل فأخضعت البلاد بأكلها وجاء فى أخبار الأعيان أن الظاهر برقوق توجه بنفسه إلى بلدة بشرى فأقام يعقوب ابن أيوب مقدما وكتب له صحيفة نحاسية ثم نزل إلى « دير قنوبين » حيث مدافن بطاركة الموارنة فأنعم على الدير المتيق بإعفائه من الأموال الأميرية بموجب صحيفة نحاسية .

وأعود فأقول بأن القطاع الشمالى من لبنان حيث يقع أرز لبنان كان خارجا عن نطاق الهدنة (بين قلاوون وصاحب طرابلس) كما قلنا ولذلك جاء فى كتاب البطريرك اسطفانوس الدويهى إنه وجد فى أرض الحدث بقرب دير القديس يوحنا كتابا للصلاة مدونا فيه ما يأتى عن فتح أهدن وبشرى :

إنه فى سنة ١٢٨٣ أى بعد هدنة طرابلس التى تمت فى أيام المنصور قلاوون بعامين « إن المساكر الإسلامية سارت إلى فتح جبة بشرى وصعدت إلى وادى حيرونا وحاصرت قريه أهدن وتم فتحها بعد أربعين يوما وأخربت القلمة والحصن الذى على رأس الجبل» ولم يكن بوسع الأفرنج فى طرابلس ولا جماعة الاسبتار تقديم المساعدة لأهل أهدن لارتباطهم بنصوص عقد الهدنة ولذلك أتم المصريون فتحها قبل سقوط القطاع — الكسروانى وقطاع جبيل فى أيديهم . وقد رأيت كيف تمكن الظاهر برقوق بلباقته بعد قرن من الزمن أن يجذب قلوب هؤلاء السكان الأشاوس وأن ينقلهم من معسكر أعدائه إلى معسكر الحلفاء الأوفياء : فلله دره .

أما الأمير جمال الدين أقوش الأفرم نائب السلطنة فبقى بنيابة الشام حتى دخلت سنة ٧١١ لما نقله الملك الناصر محمد إلى نيابة طرابلس بإشارة الإمام ابن تيمية فبقى بها حتى انضم إلى قراسنقر وذهبا سويا إلى بلاد التتار بعد أن أديا لمصر أكبر الخدم .

أحمد رمزي

صور من الحياة :

وفـــاء ..!

للأستاذ كامل محمود حبيب

قلت لصاحبي : ما لهذا الرجل يسير الهوينى يتخلع في مشيته وإن إهابه يكاد ينقد من أثر الخيلاء ، وينفض الشاطىء بالنظر الشزر وإنه ليتنزى ترفعاً وكبرياء ، ويزهى في تبّانه وبرنسه وقد ورم أنفه من صلف كأنه رب هذا البحر لا يلوى على أحد ولا ينزل إلى دنيا الناس ولا تتطامن عظمته ولا تهدأ غطرسته !

فقال صاحبي : آه إن في الناس رجلاً لو انشقّ عنهم ثوب الإنسان لتراءت من ثناياه صورة خنزير أو حمار . وإن لهذا الرجل حديثاً عجيباً لو اطلعت عليه لألفيته ذئباً لا يترفع عن أن يلغ في دم الإنسان حتى يرتوى . وإنه ليتصنع ما ترى ليوهم الناس بأنه شئ وما هو بشئ .

قلت لصاحبي : إن له حديثاً ؟ هاته ! فإن في النفس شوقاً إلى حديثك فأنا أحس فيه طلاوة ورواء وعقلاً .

قال : هذا الرجل ضابط كبير في الجيش ، والجيش دائماً رمز القوة والفتوة وعلامة الترفع والإباء ، وهو مدرسة تعلم الرجل كيف يصبح قوى القلب في شجاعة ، ثبت الجنان في حزم ، رابط الجأش في عزم ، شديد المراس في بأس . ليكون — حين يجد الجد — فتى الوطن الأول يذود عن حوضه ويحمى حوزته ، لا يقعد عن أن يغشى غمرات الموت في غير رهبة ، ولا يفزع عن أن يرد معضلات الردى في غير خوف ، فهو ذخر الوطن عند الجلاد وذخره في ميدان الجهاد . ولكن هذا الرجل تاه في نزوات نفسه فما لمس في الجيش معنى واحداً من معانيه السامية .

كان هذا الرجل — منذ سنوات — ضابطاً صغيراً في مقتبل العمر وزهرة الحياة يتوثب قوة ونشاطاً ويتألق فتوة ورواء ، يبسم للأمل ويبسم هو له ، ويسكن إلى أخيلة المستقبل وهى — في ناظريه — وضاءة مشرقة . ثم بدت له في ثنايا حياته فتاة كانت حلم قلبه ونور عينه وسحر فؤاده فما لبث أن انطلق إلى أبيها يخطبها : ورضى الأب الثرى بالضابط الفقير زوجاً لابنته الجميلة الفتانة حين رأى فيه الرجولة والصلاح وحين بدا له أن المستقبل يوشك أن ينفرج أمامه عن منصب في الجيش ذى شأن ؛ ورضيت الفتاة به حين خلبها شبابه وزيه وحين أسرها جماله وحديثه.

وعاشت الفتاة إلى جانب زوجها تسعد برفقته وتطمئن إلى رأيه ، وترعى شأنه ، وتصبر على شظف العيش وراتبه ضئيل تافه؛ وأبوها يرى ثم لا يقبض يده عنها . وعاش الزوج شقياً بجمالها تأكله الغيرة حين يراها تشع نوراً يخطف البصر ، وتصفعه الأنانية حين يلمس فيها معانى الشباب تخطف القلب . لطالما حدثته نفسه بأن يضرب بينها وبين العالم بحجاب لا تستطيع أن تظهره . ولكن أنى له أن يفعل وهو لم ير عليها من سوء ولم يحس فيها من عقوق . وتصرمت الأيام تبذر فيها معانى الإخلاص والمحبة ، وتورث فيه هو معانى الأنانية والغيرة . والفتاة تسبح في حمق عميق لا ينفذ بصرها — وهى في عمايتها — إلى بعض ما يتأجج في صدر زوجها .

ومضت سبع سنوات جنت الزوجة في خلالها ثمرتين من ثمار الحياة فيهما سعادة القلب وراحة البال وفيهما جمال الحياة وفرحة الدار .. ثمرتين هما الابن والابنة . واطمأنت الزوجة إلى حياتها وإلى ولديها ، فهى تقضى يومها بين حاجات الزوج ورغبات الطفلين لا تحس الضيق ولا تجد الملل .

وطمع الزوج الأحمق أن تنحط الأيام على الزوجة المسكينة فتتوزعها بين شغل الدار وشغل الابن وهم الزوج جميعاً فتستلبها من جمالها أو تعبث بسحرها . ولكن الأيام لم تزد الفتاة إلا إغراء وفتنة ، وغاظ الزوج ما رأى فاندفع يذيقها فنوناً من العنت والإرهاق امل الأمى يمد يده الجاسية إلى مفاتنها فيمسح سمات الجاذبية والروعة ويمحو آثار الحسن والرواء . غير أن الفتاة العاقلة لم تلق بالاً إلى حماقات يرتكبها زوجها عن عمد ليثير في الدار لظى من خلاف يعصف بها وبولديها في وقت معاً .

وضاق الفتى بصبر زوجته فانطلق ينفّس عن نوازع شيطانية تثور في نفسه ويكفكفها على كره منه . انطلق ينفس عن نفسه فتعرّف على فتاة من بنات الهوى ، وسوّلت له نفسه الوضيعة أن يدس لزوجه من يخبرها خبر حبه الجديد . وقالت الزوجة الحصيفة

للرسول « ويل لك ! لا إخال زوجي يرضى بأن ينحط في مهاوى الرذيلة بعد أن جاوز سن العبث ! » قال الرسول « لعلك ترميني بالكذب ! إنه يلقاها مساء كل يوم في مكان كذا من القاهرة » فقالت الزوجة « وماذا يعنيني ؟ سأدعه يتمتع بأي امرأة شاء ما دمت أرى بين يدي هاتين الزهرتين الجميلتين أجد فيهما اللذة والسلوة » وأحس الرسول بالخيبة والإخفاق فانفلت من لدنها لا يلوى على شيء . وأسرت الزوجة في نفسها أمراً ...

وفي المساء انطلقت الفتاة تسترق الخطى ... انطلقت لترى زوجها بين يدي فتاته التي أحب . وأحست بالدوار يكاد يغلبها على أمرها من عنف الصدمة وشعرت أن قلبها الطاهر يكاد ينشق عن صدع يتوثب من خلاله الضيق والكمد ، وأن عقلها يتضرم ناراً حامية توشك أن تلتهمها هي ، فأسرعت إلى الدار لتضع عنها إصرها في زفرات كاوية يتلظى الغيظ من جوانبها ، ولترسل الأسى من عينيها عبرات متدفقة هتانة ما تستطيع أن تكفكفها إلا حين تسمع وقع أقدام زوجها وهو يرقى درج السلم ، وإلا حين يهفو ولداها نحوها فتضمهما إلى صدرها في شوق وحنان .

يا لقلب الأنثى ! إنك صلب عنيد لا تضرب إلا أن تحس الخيانة من قلب رجل حملت أنت له الإخلاص والوفاء !

يا لقلب الأنثى ! إنك راسخ متين لا يعصف بك إلا أن تستشعر المهانة والاحتقار والإهمال من قلب رجل أحببته ساعة من زمان !

أما أنت أيها الرجل ، فلقد سفلت أسفل سافلين ، حتى بعت زوجك وأولادك بالثمن البخس بفتاة من عرض الشارع تستلبك من رجولتك ومن شهامتك ومن إنسانيتك في وقت معاً !

وانضم قلب الفتاة على أسى فتّاك تخر الجبال من هوله ، فما استطاعت أن تكشف عن حسرتها أمام أبيها ، ولا أن تحدث أمها بحديث كربتها ، فراحت تتلمس السلوة في ولديها وفي كلب صغير كان هملا في الدار من قبل ، فأخذت تدلله في رقة وتحدب عليه في عناية . وأحس الكلب بسليقته الحيوانية أن سيدته تحنو عليه ، فذهب يتمسح بها ويخضع لها ويقع عند قدميها . ورضى الكلب بأن يكون عبد السيدة حين أحس فيها الشفقة والرحمة !

* * *

ومضت الأيام والشهور تبذر في الدار غراس الشقاق والاضطراب ، والزوجة تصبر على ضيق وتغضي على مضض ، وهي تنظر إلى طفليها في عطف وتضمهما في حنان ... ثلاث سنوات عجاف والمسكينة في الميدان تجاهد الرجل وهو غليظ الكبد واهي الرجولة لا يرعوى ولا يرتدع .

يا عجباً ! أفيكون شيطان الكبر قد ركبه لأنه تدرّج في مناصب الجيش العليا في سرعة فأخذت نفسه تهوى إلى أسفل كلما سما منصبه إلى أعلى ؟

وضاق صدر الزوجة على رحابته ، ونفذ صبرها على سعته ... فجاء حكم من أهلها وحكم من أهله ، فما استطاعا أن يصلحا ذات البين ، واتفق الزوجان — بعد لأي — على الطلاق !

وخيل للزوجة أنها تهرب من سجن أرغمت على البقاء فيه سنوات ، فهبت تعد حاجاتها في نشاط ، وتلم شعثها في جد ، وإن قلبها ليضطرب اضطراباً شديداً كلما تراءى لها أن ابنيها سيعيشان في كنف هذا الشيطان الفظ ، وإن كلبها ليتبعها في خضوع ويتمسح بها في ذلة ... ثم انطلقت صوب الباب فاندفع الكلب على أثرها ، ولكنها صفقت الباب من دونه لتحول بينها وبين كلب هذا الرجل ... الرجل الجاثم في ركن تجذبه خواطره الأرضية إلى أسفل ، فلا ينبض قلبه بعاطفة ولا تخفق أفكاره بنسمة روحانية .

وأحس الكلب بسليقته الحيوانية أن سيدته قد خرجت من هذه الدار ولن تعود أبداً ، فانطلق إلى الطنف يريد أن يودعها الوداع الأخير . يا لله ! أفأصيب الكلب بمس من الجنون فراح يذرع الطنف في سرعة ، ينظر إلى الشارع من هنا ومن هناك وهو ينبح نباحاً عالياً فيه الشجو والبكاء ؟ ولذّ للسيدة أن تستمتع بقلق الكلب وحيرته ، فوقفت حيناً تشير إليه وتناديه وهي تبسم ، ثم همت أن تركب سيارة أبيها وهي تنتظرها لدى الباب ، فاراعها إلا الكلب وهو يقذف بنفسه بين يديها .

ووقع الكلب فانكسرت رجله ، ولكنه — برغم ما يقاسي من ألم — اندفع صوب سيدته وهو ينبح نباحاً فيه الشجو والبكاء ، اندفع ليدفن نفسه في حجرها .

وطفرت من عيني السيدة عبرة ... عبرة واحدة .. لأن كلباً حفظ عهد الود ورعى حق الوفاء على حين لم يفعل الرجل .

آه ، يا صاحبي ، إن في الناس رجالاً لو انشق عنهم ثوب الإنسان لتراءت من ثناياه صورة خنزير أو حمار أو ...

كامل محمود حبيب

غــروب

للأستاذ شكرى فيصل

« منذ عام حطمت أقلامى التى كنت ألنى بها الناس ، وعشت بين أحزانى وأصدقائى ... هذه تعزونى وأولئك يعزوننى ... واليوم أفيق على نحيب الذكرى ولوعة المصاب . وتختلط على الصور والأشياء ... فإلى الروح التى تسبح فى أعلى عليين ... إلى روح خالى الذى علمنى وأدبنى ... هذه النفحات » .

— ١ —

حين جزت ضفة النيل ... من هذه الخضرة الخضراء والبساتين المروجة إلى الضفة الأخرى التى تستريح على ذراعها الرمال الصفراء وتخفق على جنباتها الأمواج الزرق فى « رأس البر » كنت فى مثـل ذهول المأخوذ وغيبوبة المنتشى ... كانت الساعة قرابة السادسة ، والشمس تميل عن سمائها التى عاشت فيها ، وتنحدر فى شىء من البطء وفى كثير من الأسى نحو الأفق البعيد الذى يبسط لها جناحان من ضباب ونور .

ولم يكن فى وسع الإنسان ، إذ يتجرد عن كل ما حوله من حركة الناس ، أن يدرك أ كانت تلك ساعة من ساعات الصباح الفتى أو لحظة من لحظات المساء المتداعى ... فقد كانت هذه الأستار العريضة التى تلقيها السماء هنا وهناك علامة من علامات الظلمة ، وكانت الشعاعات الرضية التى تند عن الشمس شارة من شارات النور ... كان هناك هذا المزيج الذى يغشى بعضه بعضا من الليل والنهار ، وهذا الخليط المتشابك من الأخلاط والضباب ، وكان فى ذلك كله تناسق أصيل محبب .

— ٢ —

وألقيت أقدامى فى الطريق إلى البحر ... وأدرت ظهرى إلى الشارع الذى يطفح بالناس على ضفة النيل ، ولم أحاول أن أستجيب إلى شىء مما حولى من جلبة الأشياء وحياة الأحياء ، وخلفت من ورائى فى نظرة عابرة كل هذه الحركة التى يتحرك بها هذا الشارع الأنيق وهذه الزينة التى يزدان بها ... ولم يكن من بأس أن أخالف عن عادة الناس ، هنا فى رأس البر ، حين يقسمون وقتهم قسمة مناصفة بين البحر والنهر ... فإذا كان الضحى لجأوا إلى البحر ، وأحلد بعضهم إلى رماله وانتهى بعضهم بصارع أمواجه ... وإذا كان الأصيل لجأوا إلى النهر فانسابوا على شاطئه ، عين إلى صفحته الهادئة ، وعين إلى الصفحات الأسيلة التى لوحتها الشمس فى الصباح وخفقتها الأصباغ فى الأصيل

وجزت طريقاً من هذه الطرق المتعارضة وحدى ... كنت أشبه بالضال أو كذلك خيل إلى ... فقد كانت الأنظار التى تمر بى كأنما تتحدث إلى ، بعضها يتحدث مشفقاً على وبعضهـا هازئاً منى ... ولـكننى كنت أنا مشفقاً عليها دائماً رائياً لها أبداً . وإلا فـكيف يخلى هؤلاء الناس بينهم وبين هذه اللحظات التى لا تنسى من عمر الشمس ... كيف يبيحون أن يجلسوا إليهـا أ كثر النهار يستمدون منها القوة ويستجدون العافية ويتقلبون فى مهاد من أشعتها الحلوة ، حتى إذا غلبها على أمرها الفلك الدوار وانحنت تودع هذا الشاطىء انصرفوا عنها ... لم يكن فى وداعها إلا ثلاثة : شاعر حالم ، ومحب مستخف ، وحارس كهل من حراس الشاطىء ينتظر موعد الصلاة ؟ !

ولـكن ما ينفع العجب ؟.. وهل هذا إلا صورة من وفاء الناس للناس ، يتجاوز الأحياء إلى الأشياء .

... وانتهيت إلى البحر من أقرب طرقه — وكل الطرق إليه قريب — فأنا مع هذا القرص المتوهج الذى يبقى من الشمس على ميعاد ، فى كل يوم ، لا أخلفه إلا مكرها على إخلافه ، ولا أنصرف عنه إلا أن يحول بينى وبينه ما لا قبل لى بدفعه ، فإن فاتنى أن أراه عشت معه أتخيله ، حتى تعاويه لغة الأفق فى لحن سماوى من الألوان ، حزين .

— ٣ —

ورأيتنى أشهد الشمس الهاوية فى استغراق ، وغشى عينى دمع ثر ، كأنما استمار من الموج تدفقه ... ولم أحس لهذه الصورة التى أراها كل يوم مثل الذى أحسسته لها اليوم ... كنت أحس بعض هذا الاستغراق غير أنى لم أكن أضل ذاتى ... كان حاجز رقيق أو صفيق يحول بينى وبين الفناء ويبقى على شيئاً من كيانى، ولـكنى فى هذه اللحظات لم أعرف أين أنا ومن أنا فقد اشتملنى جناح رفيق رقيق ، وطار بى فى هـذا الأفق الموغل المترامى

ليتركني بين وجيب الشمس المحتضرة وثنايا السحب المنتصرة : كان من أمامي صراع ... الليل الزاحف كالموت ، والأفق الذي ينبسط في مهوى الشمس المنحدرة كاللحد ، والسحب الكثيفة التي تصرفها الريح فتطاني بهـا على النور كسكرات النزع ... ثم وجدتني في صميم هذا الصراع جزءاً منه ... كان يبدو لعيني من بعيد فآمى له ، أما الآن فأنا في ظلماته الطاغية وأنواره الخافتة أبكى منه ... كان حلماً مزعجاً يثيرني ، ولكنه اليوم واقع يأسرني ويدميني ... كان مشهداً أستمد منه ألوانه وأنغامه ، أما الساعة فألوانه من دم قلبي وأنغامه من أناتي .

— ٤ —

وفي صميم المعركة لا يملك المجروح أن يعي ما كان ... يفنى فيما حوله وتفنيه الأشياء التي حوله .. يستغرق فيها وتغرقه ... لا يدرك أكان هو الذي استوعبها أم هي التي استوعبته ... ولكنه حين يفيق ، يفيق على السكون الحزين الذي لا يفسده إلا نض الجرح بالدم ونبض الصدر بالأنين .

... وكأنما استيقظت ، حين نظرت من حولي فلم أجد شيئاً ولم أحس حركة ولم أبصر إنساناً ... لم يبق إلا سكون الموت وأنين الموج ... أما هناك ، في الأفق ، حيث كان الصراع فقد انطوى البحر على الحطام الباقي من الشمس ... لم تبق من الشعاعات الأخيرة إلا ظلالها . . ثم نحلت هذه الظلال فلم يبق إلا انطباعها على بعض السحب ... ثم محت أنفاس الظلمة المنتصرة هذا الانطباع فلم يبق شيء .

— ٥ —

لقد زايلتني كل هذه الصور التي كانت من حولي ، وخفتت كل الأصوات التي كانت في أذني ... هدأ الموج الذي كان يتكسر على الشاطىء ، واختفت الغلالات التي توشى السماء ، وركدت الريح التي كانت تطرز البحر ... لقد طمس الموت الصور فأحالها ظلالا ، وامتص الحركة فأحالها سكوناً وعمقاً ... فلم يبق إلا الذكريات أعيش بها وأعيش عليها ، ومن وراء هذه الذكريات أرى الألوان الزاهية والجوانب المتوردة والصفحات المشرقة ، ومن وراء هذه الذكريات أستمع إلى الأصوات النشيطة والحركة الحية ... السكون والظلام والذكرى كل ما أنا فيه ، وما أقسى ما أنا فيه .

— ٦ —

وارتددت إلى البيت ... كان في طريق حين استقبلت البحر شعاعات وظلال وأغصان خضر لها براعم توشك إن تتفتح عنها . كان في طريقي ، في هذه المرحلة ، أنوار وآمال ... أما الآن فأنا لن أرى ، حين أستقبل البيت إلا الأشباح التي تتشح بالسواد وبلى من هذا السواد ... لقد غام النور الذي كان هنا ، ولكنه ترك هذه الدفقة المتدفقة التي تتوهج في أعماقنا .

* * *

... غروب ومعركة وموت ... لقد غيب الليل كل شيء ، وتركنا للذعة الوحدة وصهر الآلام ... وما أطول الليل ... أما الشمس التي غابت عن عيوننا فكل عزائنا أنها دائماً في قلوبنا .

(القاهرة) شكري فيصل

من كتاب قصور العرب :

غمدان (١)

للأستاذ كاظم المظفر

يظن الكثير أن العرب في الجاهلية كانوا بدوا لم تكن لهم حضارة ولم يؤسسوا الدول والممالك ، ولم يقيموا الشرائع والأنظمة . ولكنا إذا درسنا تاريخ اليمن فقط ، نجد الأمر بخلاف ذلك ، لأن العرب في اليمن كانوا أصحاب دول منظمة ، حكومتها بيد ملوك يتمتعون بالسلطة المطلقة . لهم جيوش للتعمير وليست للتخريب. يجمعون الرجال لبناء المدن والقصور، وإنشاء السدود ، وحكومتهم وراثية لها نقود رسمية مزينة بالنقوش والصور كرأس الثور رمز الزراعة أو صورة الهلال أو الصقر ، وعلى نقودهم كتابة عربية بالخط المسند[٢].

واليمن من أقدم الأقطار التي نشأت فيها الحضارة ، فلو قام علماء العاديات بالحفر في أنحاء اليمن لأطلعوا العلم على آثار تلك الحضارة . وحضارة اليمن العربية القديمة بادية في بناء أسداد الري ، وتشييد القصور ، وتأسيس القصبات والمدن ؛ ففي اليمن حضارة عربية قديمة ، وخزانة الأقوام العربية المتدفقة[٣].

وكان اليمانيون طبقات ، منهم الجنود والفلاحون والصناع والتجار ؛ غير أن التجارة غلبت على البلاد لوقوعها على الطرق . وقد اشتغلوا بالزراعة لخصب تربة البلاد ؛ واشتهرت اليمن بمعادنها من الذهب والفضة والحجارة الكريمة . وهذا ما زاد في ثروة البلاد ، فأصبح أهلها أغنياء . بنوا القصور العالية ، وشيدوا المدن الكبيرة ، والقلاع المظيمة[٤]... وأشهر قصورها قصر غمدان في مدينة صنعاء . ذكر الهمداني وياقوت أن بانيه اليشرح يحصب[١] ؛ فإذا صح قولهما كان بناؤه في القرن الأول للميلاد ، وظل باقياً إلى أيام عثمان بن عفان[٢] في أوائل القرن الأول للهجرة فيكون قد عاش نحو (٦٢٠) سنة[٣].

وقد شاهد الهمداني بقاياه تلاً عظيماً كالجبل ؛ وقال في وصفه أنه كان عشرين سقفاً غرفاً بعضها فوق بعض أي عشرين طبقة[٤] مثل أبنية العالم المتمدن وأعلاها . بين كل سقفين عشرة أذرع[٥] وفي الإكليل[٦] أن محمد بن خالد رفع حديثاً إلى وهب ، فقال : لما بنى غمدان صاحب غمدان ، وبلغ غرفته العليا أطبق سقفها برخامة واحدة شفافة ، وكان يستلقي على فراشه في الغرفة فيمر به الطائر فيعرف الغراب من الحدأة وهو تحت الرخام . وكانت حروفه أربعة تماثيل أسود من نحاس مجوفة ، رجلا الأسد في الدار ، ورأسه وصدره خارجان من القصر ، وما بين فمه إلى مؤخره حركات مدبرة . فإذا هبت الريح دخلت أجوافها ، فيسمع زئير كزئير الأسد . وكان يصبح فيها بالقناديل ، فترى من رأس عجيب[٧]. وذلك حين تسرج المصابيح في بيوت الرخام إلى الصبح ؛ فكان القصر يلمع من ظاهره كلمع البرق . فإذا أشرف الإنسان ليلاً قال أرى بصنعاء برقاً شديداً كثيراً ، وهو لا يعلم أن ذلك من ضوء السرج[٨]. وكانت غرفة الرأس العليا

(١) غمدان : بضم أوله وسكون ثانيه وآخره نون ، وقد صحفه الليث فقال عمدان بالعين المهملة ، ويجوز أن يكون جمع غمد مثل ذئب وذؤبان . وغمد الشيء غشاؤه ولبسته فكان هذا القصر غشاء لما دونه من المقاصير والأبنية (معجم البلدان مادة غمدان ج ٦ ص ٣٠١)

(٢) تاريخ الأمة العربية لدرويش المقدادي ص ٢٣

(٣) جغرافية بلاد العرب للعميد طه الهاشمي ص ١٠١

(٤) تاريخ الأمة العربية ص ٢٤

(١) اليشرح . ويروى هذا الاسم بصور مختلفة . قال في تاج العروس في مادة غمد في كلامه عن باني قصره : بناه يشرخ . هكذا بالشين والخاء المعجمتين. وفي بعض النسخ بالمهملات (كذا والأصح بالمهملتين) وفي بعضها بزيادة اللام على التحتية (أي ليشرخ) . وجاء أيضاً (ذوشرح) كما في أبيات أبي الصلت التي سيأتي ذكرها . والأكثر أنه اسمه وهو يشرخ بن الحارث بن صيفي بن سبأ أجد بلقيس . والظاهر أن رواية هذا الاسم الفصيحة الصحيحة هي اليشرح أو ليشرح بن يحصب (راجع معجم ياقوت مادة غمدان ج ٦ ص ٣٠١ ، والعرب قبل الإسلام لجرجي زيدان ص ١٤٥)

(٢) مروج الذهب للمسعودي ج ص ٢٦١

(٣) العرب قبل الإسلام ص ١٤٥

(٤) وفي معجم ياقوت مادة غمدان : « وبنى على سبعة سقوف بين كل سقفين منها أربعون ذراعاً » وهذا أقرب إلى العقل من قوله : على عشرين سقفاً .

(٥) العرب قبل الإسلام لجرجي زيدان ص ١٤٥

(٦) ج ١ ص ٢٢ - ٢٣

(٧) عجيب : اسم جبل في اليمن قريب من صنعاء .

(٨) كتاب البلدان للهمداني طبعة ليدن ص ٣٥

مجلس الملك اثنى عشر ذراعاً . وكان للغرفة أربعة أبواب قبالة الصبا والدبور والشمال والجنوب ؛ وعند كل باب منها تمثال من نحاس إذا هبت الريح زأر ؛ وفيها مقيل[1] من الساج والآبنوس وكان فيها ستور لها أجراس إذا ضربت الريح تلك الستور تسمع الأصوات عن بُعد .

وكان غمدان على سبعة سقوف بين كل سقفين أربعون ذراعاً ، وهذا لا يمكن ؛ لأن أربعين ذراعاً بين كل سقفين كثير ، والثبت ما ذكرناه أنه عشرون سقفاً كل سقف على عشر أذرع ، فذلك مائتا ذراع ، ولن يتعذّر لقدرتهم على كل معجز من البناء[2] . وأن أبا شرح كان ملك غمدان ، وقد بناه على سبعة أسقف كل سقف منها على أربعين ذراعاً . وكانت له أربعة أوجه فى ترابيعه : وجهٌ مبنى بحجارة بيض ، ووجه بحجارة سود ، ووجه بحجارة خضر ، ووجه بحجارة حُمر . وكان فى أعلاه غُرفة لها لجٌ وهى الكوى . كل كوّة[3] منها بنساء رخام فى مقيل من الساج والآبنوس ، وسقف الغرفة رخامة واحدة صفيحة . وقال آخر : كانت الغرفة تحت بيضة رخام من ثمانى قطع مؤلفة ؛ وذلك أحرى لأنهم كانوا يقفبون فيها السرُج فترى من رأس عجيب ، ولا ترى فيها حُمرة النار مع الرُّخامة المبسوطة ، ويؤيد ذلك قول علقمة :

مصابيح السليط يلحن فيه إذا يمسى كتوماض البروق[4]

ويقال : إن غمدان أول قصر بنى باليمن ، ووجد فيه حجر فى بعض زواياه فيه مكتوب بالخط المسند : « بنساء غمدان » . وإنه البناء الذى ذكره الله عز وجل بقوله : (لا يَزَالُ بنيانُهمُ الذى بنوْا رِيبَــةً فى قُلوبهمْ)[5] . فلما نزلت هذه الآية أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فروة بن مُسيك ليهدمه ، فلما أراد هدمه لم يقدر عليه ، حتى أحرقه بالنار ، ولم يهدم إلاّ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عند وفاته . لأنه لم يهدم إلا بعد أن عمل فروة بن مُســيك وقيس بن هُبَيْرة المكشوح فى قتل الأسود بن كعب العنسى الذى ادعى النبوة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، وله خبر طويل ؛ وكان فى القصر فقتل فى السنة التى توفى فيها الرسول صلى الله عليه وسلم[1] وقيل هدم فى أيام الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه[2] ، فقيل له : إن كهان اليمن يزعمون أن الذى يهدمه يُقتل ؛ فأمر بإعادة بنائه ، فقيل له : لو أنفقت عليه خرج الأرض ما أعدته كما كان فتركه .. وقيل أيضاً وجد على خشبة لما خُرِّب وهُدم مكتوب برصاص مصبوب : « إسلم غمدان ، هادِمُكَ مقتول » فهدمه عثمان رضى الله عنه فقتل[3] . وهناك وجه آخر قال فيه ابن الكلبى : كان على كلّ ركن من أركان غمدان مكتوب « إسلم غمدان ، معاديك مقتول بسيف المدوان »[4] .

وقد اضطربت آراء المؤرخين فى بانيه ، وتشعبت أقاويلهم فى ذلك ، وذهبوا مذاهب شتى ، نذكر ما استطعنا أن نعثر عليه من أقاويلهم .

١ — سليمان بن داود عليهما السلام[5] ، وذلك أنه أمر الشياطين أن يبنوا لزوجته بلقيس أربعة قصور : غُمدان ، وصِرْواح ، وبينين ، وسَلحين . وكلها باليمن[6] . ومال إلى هذا القول كثير من المفسرين[7] ، ولعلّ سليمان أقدم من نسب إليه بناء غمدان .

٢ — جاء فى الروض الأنف : غمدان حصن كان لهوذة بن على ملك اليمامة[8] .

٣ — وجاء فيه أيضاً : ذكر ابن هشام أن غمدان أنشأه يعرب بن قحطان ، وأكمله بعده وائل بن سبأ بن يعرب[9] ، وكان ملكاً متوّجاً كأبيه وجدّه . وله ذكر فى حديث سيف ابن ذى يزن[10] .

---

(١) المقيل : ما يضجع ويوضع فيه الباب بخشبه أو الكوة بخشبها وهو الذى يسميه المولدون : اللبن بمحو الاطار الذى يماس الحائط من جهاته الأربع وينزل فيه خشب الكوة أو الباب .

(٢) الاكليل جـ ٨ ص ٢٣ — ٢٤

(٣) الكوة بالتشديد : فتحة فى الدار

(٤) وينسب هذا البيت إلى أبيات أخر إلى ذى جدن الهمدانى (العرب وأطوارهم ص ١٠)

(٥) سورة التوبة آية ١١١

(١) الاكليل جـ ٨ ص ٢٥

(٢) تاج العروس جـ ٢ ص ٤٤٦

(٣) معجم البلدان جـ ٦ ص ٣٠٣

(٤) نهاية الأدب للنويرى جـ ١ ص ٣٧١

(٥) تاج العروس جـ ٢ ص ٤٤٦

(٦) معجم البلدان جـ ٦ ص ٣٠٢

(٧ ، ٨) تاج العروس جـ ٢ ص ٤٤٦

(٩) نهاية الأرب للقريزى جـ ١ ص ٣٧١

(١٠) تاج العروس جـ ٢ ص ٤٤٦

٤ — سام بن نوح[1]

٥ — بيو راسب وقد بناه على اسم الزُّهَرة . وهذا القول ضعيف فلم يورده إلا النويرى فى نهاية الأرب ج ١ ص ٣٧٠

٦ — ليشرح بن الحرث (أو الحارث) بن صيفى . وقد رجح هذا القول جماعة من المؤرخين واعتمده صاحب القاموس[2] .

٧ — سيف بن ذى يزن . وقد انفرد بهذا القول الزمخشرى[3] . وقد أخطأ فيه لأنه سبق بناؤه قبل وجوده بقرون عديدة .

وقد ذكر الهمدانى أن الذى أسس غمدان وابتدأ بناءه واحتفر بئره التى هى اليوم سقاية المسجد الجامع بصنعاء « سام بن نوح » اجتوى[4] بعده السكنى فى أرض الشمال ، وأقبل طالعاً فى الجنوب يرتاد أطيب البلاد . حتى صار إلى الاقليم الأول ؛ فوجد اليمن أطيب مسكناً ، وارتاد اليمن فوجد حقل صنعاء أطيب ماء بمد المدة الطويلة ، فوضع مقرانه[5] ؛ وهو الخيط الذى يقدر به البنَّاء ويبنى عليه بناءه إذا مدَّه بموضع الأساس فى ناحية فج غمدان ، فى غربى حقل صنعاء ، فبنى الظَّبِر ، وهو اليوم معروف بصنعاء ، فلما ارتفع بعث الله طائراً ، واختطف المقرانة ، وطاربها ، فتبعه سام لينظر أين وقع ، فأقام بها إلى جنوب النعيم من سفح نُقم[6] ، فوضع بها ، فلما رهقه[7] طار بها فطرحها على حرجة[8] غُمدان ، فلما قرَّت على حرث[9] غُمدان علم سام أن قد أُمِر بالبناء هناك ؛ فأسس غمدان[10] ، واحتفر بئره ، وتسمى كرامة وهى : سفاء إلى اليوم ولكنها أجاج[11] .

(يتبع) كاظم المظفر

(١) نهاية الأرب ج ١ ص ٣٧١

(٢) العرب وأطوارهم ج ١ ص ٩ وتاج العروس ج ٢ ص ٤٤٦

(٣) فى ص ٨١ من كتابه « الجبال والأمكنة والمياه » ط المطبعة الحيدرية بالنجف .

(٤) اجتوى البلد : كره المقام فيه وإن كان فى نعمة .

(٥) ذكر العلامة الأب انستاس مارى الكرملى أن المقران بمعنى المطمار لم أجده فى كتاب ، لكن القياس لا يمنعه اسم آلة .

(٦) نقم : جبل مطل على صنعاء اليمن قرب غمدان .

(٧) أى لحقه

(٨) الحرجة : الموضع الذى يلتف شجره .

(٩) سكان هناك ويعرفون بنى حرث أيضاً .

(١٠) وفى معجم ياقوت فى مادة غمدان مثل هذه الحكاية .

(١١) الاكليل ج ٨ ص ٦

على ضريح خليل مطران

للأستاذ راجى الراعى

مسح الخلود جبينه إعظاماً ... فأفاق من بين العظام وقاما

وأزاح عنه ترابه وظلامه ... وعلا يصفق بالجناح وحاما

يا من تخيرك البيان لسحره ... لم يرض غيرك سيداً وإماما

كيف استطاع الموت أن يلقى على ... عينيك من ليل التراب ظلاما

ماذا دهاك فلم يحول وجهه ... سحر البيان فنال منك مراما

ما كان يعمى السحر عما تبتغى ... أتراه أغواه الردى فتعامى

ألقى الحمام وقد مررت بداره ... ما فى يديه وصادق الأرحاما

لما أحس بمجد من أودى به ... أخلى القبور من النيام وناما

* * *

هذا هو الجبار فى أحلامه ... تخذ المجرة فى السماء مقاما

يستنزل الآيات يرسلها على ... مر الدهور أشعة وسهاما

بخياله ضم العلاء وما حوى ... وبفنه أفنى الفناء فداما

أنَّى التفت رأيت من أمجاده ... علماً يتيه ومارداً يتسامى

وكتيبة فى الجو إثر كتيبة ... تعلو وتبسط باسمه الأعلاما

سل عنه رب الشعر من أعلى له ... بيت الصلاة وحطم الأصناما

جاءوه بالحجر الكريم المنتقى ... فبنى القباب وشيد الأهراما

وأتته جنات النعيم بحورها ... تشدو وفى أحضانه تترامى

خاض العباب ولم يبلل ثوبه ... وغزا الفضاء ولم يسل حساما

كم من رماد غاب فيه ضرامه ... فاستل من قلب الرماد ضراما

ما كان يحمل غير سيف لهيبه ... سيفاً يضىء محبة وسلاما

يمشى به فى موكب من روحه ... ويحيل حقد الحاقدين هياما

لا يستريح وفى المدينة بائس ... يشكو وجرحى للردى ويتامى

يبكى الوفاء به أعز رفاقه ... حفظ العهود وحقق الأقساما

لو كان يختار الوفاء رسومه ... ما اختار غير (خليله) رساما

* * *

صبت له الدنيا الكؤوس فلم يجد ... فى ما سقته من الكؤوس مداما

لم يكشف السر الدفين وعاش فى ... أيامه يستنطق الأياما

ويجاذب الغيب المصى لثامه ... والغيب يأبى أن يزيح لثاما

واليوم يسقى ما اشتهاه خياله ... فى الجنة الخضراء حيث أقاما

راجى الراعى

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

تعقيب على مقال فى (الثقافة) :

كتب الأستاذ أحمد أمين بك فى العدد (٥٦٠) من « الثقافة » مقالا طريفاً تحت عنوان « نظرية طريفة » . وخلاصة المقال ، أو خلاصة النظرية : أن هناك كتاباً للكاتب الصينى « لن يوتانج » يرى فى أحد فصوله : « أن لكل أمة مزاجاً ، وهذا المزاج يتكون من عناصر أربعة : عنصر الواقع ، أو بعبارة أخرى : النظر إلى الوجود كما هو موجود ، وعنصر الحلم أو الخيال أو المثالية ، وعنصر المرح أو روح الفكاهة ، وعنصر الحساسية أو قوة الشعور بالأحداث ... واصطلح الكاتب الصينى على أن يجعل كل عنصر من هذه العناصر الأربعة إذا بلغ درجة (٤) فشاذ ، أعلى مما يلزم ، وإذا بلغ (٣) فرتفع ، وإذا بلغ (٢) فمعتدل ، وإذا بلغ (١) فمنخفض ... وكل أمة لديها هذه العناصر الأربعة ولكن بأقدار مختلفة ، وهى تسير فى الحياة وتتصرف فى الأحداث وفق امتزاج هذه العناصر ومقاديرها . وعلل بعض مايبدو فى الأمم من مظاهر بهذا المزاج ؛ فالفرنسيون مثلا يميلون إلى النظريات المجردة وسعة الخيال ، كما يتجلى ذلك فى أدبهم وفنهم وكثرة حركاتهم السياسية ، وذلك ناشئ عن علو درجتهم فى المثالية ، والصينيون أعرق الناس فى الواقعية ، والألمان أحوج الناس إلى روح الفكاهة ، حتى لقد كدت أعطيهم صفراً . وهذا ما أتعبهم فى السياسة فى الماضى والحاضر ، ولو منحوا قدراً كافياً منها لتغير تاريخهم وتغير وجه الحرب ... ثم ذكر أن المثل الأعلى لأمة أن يكون قانونها : واقعية ٣ مثالية ٢ فكاهة ٣ حساسية ٢ ، وأقرب الأمم إلى هذا المثل الإنجليز » .

هذا هو رأى « لن يوتانج » الذى نقله الأستاذ أحمد أمين بك دون تعقيب أو مناقشة ... أما نحن فنقول عن تفسير الكاتب الصينى لإخفاق الألمان فى ميدان الحرب والسياسة بأنه من أثر النقص فى عنصر المرح والفكاهة ، نقول عنه إنه تفسير مضطرب يقوم على أسس تفكيرية منحرفة ؛ فلو اهتدى « لن يوتانج » بمنطق الحوادث ومنطق التاريخ لوضع النقص فى عنصر الواقعية مكان النقص فى عنصر الفكاهة ... ذلك لأن الألمان قد دأبوا على ألا ينظروا إلى الوجود كما هو موجود ، ولو أنهم كانوا واقعيين لما أثاروا حقد العالم فى ميدان السياسة بتلك النزعة العنصرية التى تنشد الغلبة والتفوق فى مجال الفخر والمباهاة ، ولو أنهم كانوا واقعيين لما تحدوا العالم كله فى ميدان الحرب بتلك النزعة البروسية التى تتمثل أمجاد الماضى البعيد فى مجال التطبيق على الحاضر المشهود ! ... ومن العجيب أن « لن يوتانج » قد منح الألمان ثلاث درجات لأنهم واقعيون ، وهى نفس الدرجات التى وضعها فى مواجهة الواقعية البريطانية !

بعد هذا ينتقل الأستاذ أحمد أمين بك إلى تطبيق هذه العناصر على المصريين منتهجاً نفس الخطة التى سار عليها « لن يوتانج » فيقول : « فى نظرى أن المصريين يغالون فى الواقعية ويقصرون فى المثالية ، ومن أجل هذا يغلب عليهم احتذاء التقاليد والأوضاع القديمة ، حتى التى كانت فى عهد قدماء المصريين التزاماً للواقع » .

يؤسفنى أن أعقب على هذا الرأى فأقول : إن نظرة الأستاذ الفاضل إلى الواقعية تتنافى مع الأساس الذى تعارف عليه الناس ومع الأساس الذى وضعه « لن يوتانج » حين فسر الواقعية بأنها النظر إلى الوجود كما هو موجود ، وعلى ضوء هذا التفسير المقبول لا يستقيم التطبيق الذى أورده الأستاذ أحمد أمين بك فيما يختص بالمصريين ، فلو مال المصريون إلى الأخذ بأسباب الواقعية لنبذوا تلك النزعة الخيالية التى تدفع بهم إلى التمسح بأنقاض ماض يفصل بينهم وبينه آلاف السنين ! ترى هل يمكننا أن نفسر احتذاء المصريين للتقاليد والأوضاع القديمة بأنه التزام للواقع كما يقول الأستاذ أحمد أمين بك ؟ أغلب الظن أننا لا نستطيع أن نفسره إلا بأنه التزام للخيال .

ولقد أعجبت بمنطق الأستاذ أحمد أمين بك حين تناول عنصر المثالية فى حياة المصريين بقوله : « .. وحتى الأدب

والفنون عندهم تنقصها الأحلام والخيالات ؛ ولذلك ضعفت القصة في أدبهم وكثرت الحكم ، لأن الحكم واقعية والقصة خيالية . والأدب المصرى يسير سيراً تقليدياً ، إما تقليداً للأدب العربي القديم أو للغربي الحديث ، وقل فيه الابتكار ، لأن الابتكار خلق والخلق يحتاج إلى تصميم والتصميم يحتاج إلى خيال أومثالية . ولعل هذا هو شأن الشرق بأجمعه لا المصريين وحدهم ، فإن صح هـذا وجب على المصلحين أن يؤسسوا إصلاحهم وبرامجهم على الإقلال مما يسبب الواقعية والإكثار مما ينمى المثالية » . ويلاحظ هنا أن الأستاذ أحمد أمين بك يدعو إلى الإقلال من الواقعية لأنه كما قلنا ينظر إليها نظرة خاصة تجعل منها أداة تأخر ورجعية ، ولو استخدم الأستاذ منطق « لن يوتانج » لأدرك أن الواقعية هى سر هـذا التوفيق الذى لازم الأمة البريطانية فى تاريخها الطويل ، ومن هنا استقام منطق الكاتب الصينى حين منح الإنجليز ثلاث درجات فى هذا المجال

أما فى مجال الفكاهة والحساسية ، فقد بلغ الأستاذ أحمد أمين فيه التوفيق ، وقد وقع فى شىء من التناقض حين قال : « أما روح الفكاهة فهى نامية عند المصريين ، وقد خففت عنهم كثيراً من متاعبهم ، بل وقد تكون حفظت عليهم وجودهم ، فما تحملوه من ضغط آلاف السنين كان يكفى للقضاء عليهم لولا روح الفكاهة ، فأنا أقدر روحهم الفكاهية بثلاث درجات على الأقل ... ثم إن المصريين كالفرنسيين ينالون ثلاث درجات فى الحساسية ، فهم سريعو الغضب سريعو الانفعال فى شدة ، وقد يلاحظ عليهم أنهم ينفعلون لدواعى الحزن أكثر مما ينفعلون لدواعى السرور » ! ... إن التوفيق هنا مرجعه إلى تقرير الواقع فى كثير من الدقة بالنسبة إلى أثر الفكاهة فى حياة المصريين ، ولكن التناقض يظهر عندما يقال إن المصريين ينفعلون لدواعى الحزن أكثر مما ينفعلون لدواعى السرور . كيف نوفق بين قول يسجل الغلبة لعنصر الفكاهة والمرح وقول يسجل هذه الغلبة نفسها لروح الحزن والاكتئاب ؟

ويمضى « لن يوتانج » فى تطبيق نظريته على الكتاب والشعراء ، ثم ينتهى آخر الأمر إلى تقدير بعض الشعراء بهذه المقاييس :

شكسبير : واقعية ٤ مثالية ٤ فكاهة ٣ حساسية ٤

هاينى : واقعية ٣ مثالية ٣ فكاهة ٤ حساسية ٣

شلى : واقعية ١ مثالية ٤ فكاهة ١ حساسية ٤

ويسلك الأستاذ أحمد أمين بك طريق الكاتب الصينى ليصل إلى حقيقة تلك العناصر عند المتنبى وابن الرومى فيمنحهما هذه الدرجات :

المتنبى : واقعية ٣ مثالية ٣ فكاهة ٢ حساسية ٣

ابن الرومى : واقعية ٢ مثالية ٣ فكاهة ٣ حساسية ٤

ونقف قليلا لنعترض على تقدير « لن يوتانج » لعنصر الحساسية عند شلى وهاينى وشكسبير ... إن الميزان قد اهتز فى يد الكاتب الصينى اهتزازاً شوه معالم الذوق الأدبى السليم وجنى على حقيقة القيم الفنية عند الشعراء الثلاثة ؛ ذلك لأن رفاهة الحس أو قوة الشعور عند الشاعرين الإنجليزيين لا يمكن أن ترقى إلى مثيلتها عند الشاعر الألمانى ... إن استكناه دخائل النفس واستشفاف حقائق الحياة شىء وتلقى الموجات الشعورية من أعماق هذه وتلك وصبها فى انعكاسات تعبيرية شىء آخر ، وهذا هو الخلط الذى يبدو لى أن الكاتب الصينى قد وقع فيه حين نظر إلى عنصر الحساسية عند الشعراء الثلاثة ، وهو نفس الشىء الذى وقع فيه الأستاذ أحمد أمين بك حين نظر إلى ملكة السخرية فى شعر ابن الرومى على أنها عنصر الفكاهة الذى يقصد إليه « لن يوتانج » إن هناك فارقاً كبيراً بين الفكاهة والسخرية من ناحية الدلالة اللفظية ، فقد يكون الكاتب أو الشاعر على نصيب وافر من روح المرح فى إنتاجه الأدبى ثم لا يستطيع أن يبلغ هذا المدى فى مجال السخرية ؛ السخرية التى تهدف أول ما تهدف إلى تناول مظاهر الحياة والأحياء بالتهكم اللاذع والتعريض المقذع والتجريح المرير ، وتستطيع أن تلمس هذا الفارق الكبير بين طابع الفكاهة وطابع السخرية فى إنتاج كاتبين كبيرين هما مارك توين وبرناردشو ، ذاك فى المجال الأول وهذا فى المجال الأخير .

ثم إننا لو منحنا ابن الرومى على عنصر الفكاهة ثلاث درجات لأضفناه إلى قائمة الظرفاء من أمثال أبى دلامة وأبى العيناء ، وهذا هو الأمر الذى لا يستطيع التاريخ الأدبى أن يهضمه حين يضع فى بوتقة النقد معادن الشعراء ... وإذا وافقنا على أنه يستحق

على عنصر الحساسية تلك الدرجات الأربع ، فإننا لا نستطيع أن نوافق على أن المتنبي مثلا يستحق على هـذا العنصر تلك الدرجات الثلاث

حرية الرأي العلمي بين طلاب الجامعة :

بالأمس شكا إلى طالب فى كلية الآداب ظلماً وقع عليه ، ظلماً يتمثل فى مظهر من المظاهر التى لا تتفق وطبيعة التعليم الجامعى كما يفهمه الجامعيون ، لقد فقد هذا الطالب الممتاز درجة امتيازه التى حصل عليها بجهده وعلمه لأنه أراد أن يكون جامعياً ، أى أن يكون حر الرأى مستقل النظرة فى بحث المسائل العلمية التى تعرض عليه فى صفحات كتاب وعلى لسان أستاذ ... وتتلخص قضية الطالب المظلوم فى أنه عارض آراء أساتذته فى ورقة الامتحان لأنه يثق بعقله إلى الحد الذى يحول بينه وبين الإيمان بكل مايقال ، وذنبه أنه لا يريد أن يكون ذلك « الإنسان الآلى » الذى يردد بعض الحروف والأرقام دون وعى أو إرادة ، ومن هنا ضاق الأساتذة المصححون بتلك العقلية التى تنشد حرية الفكر واستقلال الرأى فحرم صاحبها درجة الامتياز !

هذه هى القضية ، وهى ليست قضية هذا الطالب وحده فيما أظن ولكنها قضية الألوف من طلاب الجامعة ، أولئك الذين يراد لهم أن يخرجوا إلى الحياة مزودين بأسلحة فكرية مفلولة لا تقرها النظم الجامعية فى العالم ... إن المفروض فى التعليم الجامعى أنه مرحلة ينتقل فيها طالب المدارس الثانوية إلى آفاق علمية جديدة ، جديدة فى مناهج البحث وطرائق التفكير وحرية التناول العقلى لشتى المشكلات العلمية والأدبية والفنية . فإذا ألغينا كل هذه القيم ليكون الطلاب أبواقا للأساتذة فقد قضينا على المثل العليا الفكرية التى ينشدها كل نظام جامعى قويم !

نحن لا ننكر أن بين جدران الجامعة أساتذة ممتازين ، ولا ننكر أيضاً أن بين تلك الجدران أساتذة يعلم الله أين يجب أن يكون مكانهم ... ولقد قلنا من قبل إن العبرة ليست بما يحمل المرء فى يده من شهادات ولكن بما يحمل فى رأسه من ثقافات ! وإذن فن الظلم أن يحال بين الطالب المجتهد وبين حرية الرأى العلمى إذا أراد أن يجهر به ، وبخاصة إذا كان يتلقى معلوماته من هذا الفريق الأخير . لقد كنا ننتظر أن يظفر مثل هذا الطالب المجتهد بتقدير أساتذته بدلاً من أن يبوء منهم بمثل هذا الخذلان ، ولكن أساتذته غفر الله لهم قد نظروا إلى طبيعة عقليته الجامعية الأصيلة على أنها ضرب من الخروج على كرامة علمهم الغزير ... وفى سبيل هذه الكرامة المزعومة تلغى الكرامة العقلية فى حياة جيل جامعى ومن بعده أجيال .

لتكن الجامعة جامعة وإلا فلنعلن أننا ما زلنا نأخذ بنظام الكتاتيب ... إن وجه الشبه بين طالب الجامعة اليوم وطالب الكتاب بالأمس أن طالب الكتاب كان يئن تحت عصا الأستاذ إذا نسى منطق الترديد أو انحرف لسانه عن طريقة الببغاوات ، وأن طالب الجامعة يقف اليوم نفس الموقف وإن كان بلوغه مبلغ الرجال قد صرف عنه العصا وأحل محلها قلم الأستاذ فى أوراق الامتحان .

بقية الرسائل فى حقيبة البريد :

فى العدد (٨٤٦) من الرسالة كنت قد أشرت إلى أننى سأعرض بالتعقيب لبقية الرسائل التى تلقيتها من القراء فى العدد الذى يليه ، ولكن ضيق النطاق فى العدد الماضى قد حال بينى وبين هذه الأمنية ، وكذلك فى هذا العدد .. فإلى العدد القادم إن شاء الله حيث أعقب أيضاً على بعض الرسائل الجديدة .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

تأبين الصحفيين للمازني :

هنا في هذه القاعة ، قاعة فاروق الأول بنادي نقابة الصحفيين ، كان المازني يؤبن الريحاني من نحو ثلاثة أشهر ، وها قد أصبح هو اليوم يؤبن... هذا هو ماجال بخاطري وأنا آخذ مكاني في القاعة قبيل ابتداء حفلة التأبين التي أقامتها نقابة الصحفيين يوم الثلاثاء الماضي لتأبين المغفور له ابراهيم عبد القادر المازني . وقد كانت كلمته — رحمه الله — خير ما قيل في تأبين الريحاني ، فقد أبرز فيها فن الريحاني ممثلاً في صوته ، وحلل ذلك تحليلاً دقيقاً كما ذكرت ذلك في حينه ، واليوم في هذا الحفل الذي يقام لتأبين المازني لم نظفر بكلمة دراسية وافية دقيقة لأدب المازني .

تحدث الأستاذ فكري أباظه بك نقيب الصحفيين والأستاذ محمد عبد القادر حمزة ، عن الفقيد من حيث مكانته في الصحافة وزمالته في النقابة ، وأثنيا على شمائله ، ومما قاله الثاني أنه وقف إلى جانبه في تحرير « البلاغ » في وقت لم يكن من الميسور فيه أن تستوفي الجريدة حاجتها من المحررين والمترجمين والمخبرين ، لأزمة وقعت فيها « البلاغ » إذ ذاك ، فجمل الأستاذ المازني من نفسه محرراً ومترجماً ومخبراً بالجريدة ، ودلل الأستاذ بذلك على تواضع المازني ومرونته قائلاً : إن ذلك لم يزده في نظرنا إلا رفعة قدر ، وإنه على هذا التواضع كان من أحرص الناس على كرامته . وقد نبه في آخر كلمته على ما يجب على النقابة والحكومة نحو أسرة الفقيد التي ينبغي أن تشعر بنوع من عرفان الجميل .

وارتجل الدكتور محمد مندور كلمة عن مكانة الفقيد الأدبية ألمع فيها إلى مقال كتبه بجريدة البلاغ في « سخرية المازني » وقال إن هذه السخرية لم تكن حلوى تزجى إلى الجماهير إنما كانت عصارة نفسه ، كانت سخرية مرة يسوقها في أسلوب النكتة ، وكانت مرارتها مما لقيه في حياته ، فالكاتب في الشرق يجني من غرس القمح عشباً . وكان مع استهانته بكل شيء حتى نفسه ، يحرص على القيم الأخلاقية والاجتماعية ، وكان حين يكتب يعرف ما يقول وهو مالك زمام نفسه .

وألقى الأستاذ محمد الحناوي مرثية جيدة ، ولم يكن في حاجة إلى شاعر ينبيه كما قال :

أيها الراثون ، هل من شاعر عني أنيبه
إنني مما دهاني شارد اللب سليبه

ثم أجهش الشاعر وهو يقول :

دونكم دمعي فقد يغـ ـني عن القول صبيبه
ليس غير الدمع ماء لك من مات حبيبه

وألقى الأستاذ صالح جودت قصيدة مؤثرة ، تمتاز بمعانيها الرقيقة الهادئة وأدائها الطبيعي الصادق .

وفي ختام الحفل وقف الأستاذ أحمد المازني شقيق الفقيد ، فألقى كلمة شكر فيها الحاضرين والنقابة ، وقال إنه يزجي هذا الشكر على ما جرت به العادة وإن كان فقيدنا هو فقيدكم ، وأنتم كما نحن أسرته .

ولعل من المفارقات أنه في الوقت الذي يشيد فيه الخطباء والشعراء بفضيلة التواضع في المازني ، نرى أكثرهم يمدون إلى شيء من إبراز الذات . فقد قال الأستاذ صالح جودت في قصيدته إنه كان يقصد المازني ويسمعه شعره فيثني عليه ويشيد بشاعريته ، وقد يرخص للشاعر في الفخر ، ولكن ما أظن ذلك لائقاً في الرثاء . وقال الدكتور مندور : إن أحد الوزراء أرسل إليه كتاباً أثنى فيه على مقاله عن المازني ، أو لم يكفه أن نشر هذا الكتاب في البلاغ ؟ وقال الأستاذ النقيب إنه عرض النقابة على المازني فأبى لتواضعه وقال إن غيره أولى منه ... وقال الأستاذ محمد عبد القادر حمزة إن المازني كان زميلا له . فلماذا يكبر نفسه هكذا ؟ إنما كان المازني زميلا للمغفور له عبد القادر حمزة باشا .

ولم يعجبني ما أشار إليه الأستاذ صالح جودت في قصيدته ، والأستاذ محمد عبد القادر حمزة في كلمته ، من أن المازني تقام له حفلة تأبين وتلقى في رثائه خطبة وتنشد قصيدة ، ثم ينسى كما نسي غيره — لم يعجبني هذا وإن كانا يقصدان إلى ما جرت عليه هذه البلاد من إهمال ذكرى أعلامها الراحلين ، فالمازني لا ينسى ، لأنه إن كان قد انتقل جسمه إلى عالم الفناء ، فقد انتقل اسمه إلى الخلود في تاريخ الأدب ، ولن يستطيع هذا التاريخ أن ينسى واحداً من هؤلاء الأساتذة الذين نقلوا الأدب في مصر وفي سائر العالم العربي من حال إلى حال .

غزل البنات :

هو الفـــلم الجديد الذى عرض هذا الأسبوع بسينما استديو مصر ، فرأى فيه الناس نجيب الريحانى حياً بعد موته ، بعثه على الشاشة فنه الخالد ، فعاد يضحك الناس ويعتمهم بعد أن خالوا البكاء عليه آخر العهد به .

إن الريحـانى هو عصب هذا الفلم « غزل البنـات » ولولاه ما كان شيئاً ، فقد اشترك فى التمثيل به ليلى مراد ويوسف وهبي ، وأنور وجدى وسليمان نجيب وغنى عبدالوهاب ولـكن هؤلاء قاموا بأدوار قصيرة ، ما عدا ليلى مراد فهى بطلة الفلم أمام الريحانى . وقد أقحم أكثر أولئك الأعلام فى الفلم لاستغلال أسمائهم ، كما سنرى من عرض موضوع الرواية . ويخيل إلى أن انسجام الريحانى فى هذا الفلم من أسبابه أنه وضع له الحوار ، فضمنه فكاهاته الساخرة المعروفة ، وبعث به الحياة فى جسد القصة. ويقلل بعض النقـاد من قيمة الحوار فى الأفلام السينمائية ، ذاهبين إلى أنها مناظر وصور أكثر منها كلاماً وحواراً ، وأنا لا أوافقهم على ذلك ، فإن الصور والحركة إذا كانت من أدوات التعبير فالحوار هو الأصل فى ذلك ، وهو ذو أهمية فى السينما كما هو مهم فى المسرح .

ليلى (ليلى مراد) بنت مراد باشا (سليمان نجيب) تلهو بالغناء والرقص وركوب الخيل ، وترسب بالامتحان فى اللغة العربية ، فيحضرون لها معلماً بائساً طرده ناظر المدرسة الأهلية التى كان يدرس بهـا ، وهو الأستاذ حمام (الريحانى) فيستقبله الباشا وابنته استقبالاً مهيناً فى أول الأمر لبعض الأسباب الناشئة عن الغلط وسوء التفاهم ثم يسترضيانه ويكرمانه ، وما يكاد يبدأ فى التدريس لليلى حتى تبدأ هى فى مغازلته وإبداء حبها له وإحاطته بأسباب قوية من الإغراء ، فيستجيب لها فى تردد وتحفظ وإن كان قد أحبها فعلاً ويرى نفسه أخيراً قد وقع فى حرج من هذه العلاقة ، فيعتزم مبارحة الدار ، وكان الباشا قد أمر بإقامته فى القصر ، فتفاجئه ليلى وهو يهم بالرحيل ، وتمنعه وترغمه على مصاحبتها فى السيارة وقد أوهمته أنهما يفرّان معاً ، وتقف السيارة أمام مرقص تلتق فيه ليلى شاباً تحبه (محمود المليجى) وهو يريد الاحتيال عليها ، فيثور الأستاذ حمام محتجاً على هذا اللقاء ، فيطرد من

كشكول الأسبوع

◘ يفتتح مجمع فؤاد الأول للغة العربية دورته المقبلة يوم الاثنين ١٠ أكتوبر الحالى ، وسيحتفل فى جلسة الافتتاح باستقبال العضوين الجديدين الأستاذين أحمد حسن الزيات وابراهيم مصطفى . ويلقى الأستاذ فريد أبو حديد بك كلمة استقبال الأستاذ الزيات ، ويقدم الدكتور أحمد أمين بك الأستاذ ابراهيم مصطفى.

◘ كانت وزارة المعارف قد ألفت لجنة تحت إشراف الدكتور طه حسين بك ، لنشر كتاب « الشفاء » لابن سينا ، لمناسبة الاحتفال بذكراه الألفية . وقد تلقت الوزارة أخيراً من الدكتور طه أن المستشرقة دلفارنى أمينة المكتبة الأهلية بباريس ، لديها جزء من كتاب «الشفاء» مترجم إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادى ، وأنها تقوم بترجمته من اللاتينية إلى الفرنسية ، وأنها ترغب فى الحضور إلى مصر لتراجع الأصول المخطوطة وتعارض بها المترجم ، على أن تحتمل جمعية المستشرقين نفقات سفرها ، وأن تيسر لها وزارة المعارف الإقامة فى مصر لمدة ثلاثة شهور . واقترح الدكتور طه الموافقة على ذلك بحيث يعتمد لنفقات إقامتها نحو مائتى جنيه ولم تبت الوزارة فى الأمر بعد .

◘ سيقضى الدكتور طه حسين فى لندن أسبوعين من ٨ أكتوبر الحالى ، ويلقى فى مدرسة اللغات الشرقية خلال هـذه المدة ثلاث محاضرات باللغـة الفرنسية : محاضرتين فى الشعر العربي وترجمته ، والثالثة موضوعها الثقافة الغربية فى الأدب العربى الحديث .

◘ أبدى الأستاذ فكرى أباظة لمعالى وزير الشؤون الاجتماعية ، رغبته فى أن يتعاون مع المسرح الشعبي ، وذلك بأن يمثل مع الشعبة الرابعة التى تعمل وزارة الشؤون على تكوينها ، فرحب به الوزير وعرض على الأستاذ زكى طليمات أن يشترك فى التمثيل مع الأستاذ فكرى بالشعبة الجديدة .

◘ ذكرت « الأهرام » أن المدير العـام لتعليم البنات بوزارة المعارف ، يحتفظ بجزء من كتاب «إحياء العلوم» للغزالى ، يحتوى على وصف ما يجب أن تكون عليه ملابس المرأة المسلمة ، وذلك لتطبقه فى تنفيذ أمر معالى مرسى بدر بك وزير المعارف ، الذى يقضى بأن تكون ملابس الناظرات والمعلمات فضفاضة ومحتشمة .

◘ ذكر الدكتور زكى مبارك فى « الحديث ذو شجون » أنه تغزل بأبيات فى محامي خصمه بمحكمة أشمون ، وأنه أنشدها القاضى الذى أبدى خشيته أن يصير اسم المحكمة « محكمة أشمون الغرامية » .

◘ نشرت الفرقة المصرية إعلانات عن مسرحية « اليوم خمر » وفيها اسم يوسف وهبى بالخط العريض مع أنه لا يشترك فى تمثيلها ولا فى إخراجها ، وكل ما فى الأمر أنه المدير العام للفرقة !

◘ حصلت مصر من هيئة اليونسكو على بطاقات لشراء كتب من بلاد العملة الصعبة بمقدار ١٠ ألف دولار ، ولن توزع هذه البطاقات على الأشخاص أو المكتبات التجارية ، بل تستخدم أولا فى تلبية طلبات المعاهد العلمية والجامعات والمكتبات العامة لشراء كتب علمية وفنية وهندسية وطبية وقانونية . وستدفع الحكومة المصرية قيمة تلك البطاقات بالعملة المصرية .

الرقص . ويرى ضابط طيران (أنور وجدى وهو واضع قصة الفلم ومخرجه) داخلاً ، فيكلمه ويعرض عليه أن يدعى أنه ابن عم ليلى لينقذها من الشاب المحتال ، فيدخلان معاً ، وتحدث معركة يتدخل فيها الضابط فيضرب الشـاب ويستنقذ ليلى ويركبها السيارة إلى جانبه ويغازلها ، فيحتج الأستاذ حمام الجالس خلفهما ويعمل على وقف السيارة وينزل بليلى هرباً من الضابط الذى أحب ليلى وأحبته . . ويريد الأستاذ حمـام أن يضلل الضابط ، فيدعى أن المنزل المجاور هو منزل الباشا والد ليلى ، ويطرق الباب ويتبين أنه منزل الأستاذ يوسف وهبى بك (يوسف وهبى) فيستقبلهما الممثل الكبير ولا يلح فى معرفة السبب الذى من أجله طرقا بيته ليلاً ، بل يغازل الفتاة غير عابىء باحتجاج الأستاذ حمام ويقول لهما إن المطرب الكبير محمد عبد الوهاب موجود فى منزله وإنه سيغنى أغنية من قصة يضعها (يوسف وهبى) موضوعها تضحية المحب بحبه لإسعاد حبيبه . ثم يقصدون إلى حيث يغنى عبد الوهاب ، فيسمعون غناءه الذى يجرى فى موضوع التضحية بالحب فى سبيل إسعاد الحبيب ، فيتأثر الأستاذ حمام إذ يجد نفسه ذلك المحب ، فهو رجل كبير لا يُلائم ليلى التى أحبت ضـابط الطيران الشاب ، ثم يقبل هذا الضابط ٢ فنراه يأخذ بيد ليلى وهى تهش له مقبلة عليه ، والأستاذ حمام خلفهما راضياً بالموقف على سبيل التضحية ، ومنظره الحزين هو النهاية .

بدأ الفلم بمناظر ممتعة وظريفة ، تخللها نقد اجتماعى فكاهى ، فهذا الأستاذ حمام يقف فى (الفصل) بين تلميذاته يطالعن موضوعاً عن الأسد ، فتسأله تلميذة : هل يتكلم الأسد ؟ فيقول لها : وزارة المعارف تريده يتكلم ! وهذا هو يدخل منزل الباشا ويحدث مربى كلب الباشا ومعلمه فيعلم أنه يتقاضى ثلاثين جنيهاً ، فيقول : إنه لو كان يعلم الكلاب من زمان لأصبح من الأغنياء . ثم تجرى الحوادث بعد ذلك فى نطاق خاص بين الأستاذ حمام وبين تلميذته ليلى التى صارت حبيبته . وعلى أى أساس قام هذا الحب رغم الفوارق الكبيرة بينهما التى أظهرُها تفاوت السن؟ تقول له إنها استظرفته وهى فى نفس الوقت تحادث الشاب الذى تحبه بالتلفون ، فتنتقل من مغازلة هذا إلى ذاك ، وهى فتاة لاهية عابثة ، تذهب إلى المراقص وتجالس الشبان هناك وتشرب معهم وتراقصهم ، فليس مثلها بالذى يحب مثل الأستاذ حمام ، ولو لم تـكن كذلك لأمكن أن نفهم أنها فتاة عاقلة تلمس فيه صفات إنسانية وتقدر شخصيته .

وظاهر أن المؤلف يرمى إلى فـكرة التضحية بالحب من أجل سعادة الحبيب ، وهى التى قال يوسف وهبى إنه يعالجها فى القصص التى يؤلفها ! والتى تضمنتها أغنية عبد الوهاب . ولـكن هل تنطبق هذه الفـكرة على موقف بطلى الفلم ؟ إن فكرة التضحية يمكن استساغتها إذا كان الحب من طرف واحد ، والطرف الآخر لا يجد هذا الحب ، بل يحب شخصاً آخر . ولـكنا هنا إزاء اثنين يتبادلان الحب ، فانحراف أحدهما عن صاحبه بعد طول التهافت عليه ، يعد خيانة لا يستحق من أجلها التضحية الممزوجة بالرضى والغبطة لسعادته ...

والفلم ، رغم فخامة مناظره وما حشد فيه من ألوان المتعة ، مملوء بالمـآخذ ، فقد ظهر الباشا أول ما ظهر على فرع شجرة ... لأنه يهوى جمع الأزهار ، وليس فى الشجرة أزهار ! ويظهر أنه قصد بهذا التمهيد لمقابلته الأستاذ حمام وهو يحمل سلتين ، فلا يعرف أنه الباشا ، فيحدث سوء التفاهم المضحك ... وليلى فتاة كبيرة ولم يقولوا فى أى مرحـلة هى من مراحل التعليم ، ولـكن من الدروس التى تتلقاها نفهم أنها لا تزال فى السنة الثالثة الابتدائية !

وحدث أن خرج الأستاذ حمام من غرفته إلى الحديقة ليستمع إلى غناء ليلى ، فينبحه الـكلب ، فيتسلق الجدار إلى غرفتها هرباً من الـكلب ، ويضطر فى الغرفة إلى تمثيل الـكلب بالنباح مثله وهو مختف خلف قطعة من الأثاث ليدفع شك المربية فى وجود أحد ، فلم يكن تسلقه اضطرارياً لأنه كان يستطيع أن ينجو من الـكلب الذى يعرفه لأنه مقيم بالقصر . وعند ما تدخـل ضابط الطيران فى المرقص لإنقاذ ليلى بدعوى أنه ابن عمها وأنكرته هى ، صفعها وجرها من يدها إلى الخارج ، فركب بها السيارة ، ولم تنزل حتى كانت قد أحبته ، وكنا نسمع عن الحب من أول نظرة ، فهل هذا حب من أول صفعة ... ؟ ولا أدرى كيف دخل الضابط منزل يوسف وهبى دون أن يعلم به أحد . والفتيات اللاتى يرافقن ليلى فى ركوب الخيل ، كن يركبن الأفراس بطريقة مضحكة ، وكان يجب تدريبهن واختيارهن بحيث يتحقق المراد من المنظر وهو المظهر الجمالى .



سلف ولا خلف :

كتب الأستاذ الكبير الزيات في رثاء صديقه المازني يقول: « فإذا أضيف إلى ذلك أن المازني كان أحد الكتاب العشرة الذين يكتبون لغتهم عن علم ، ويفهمون أدبها عن فقه ، ويعالجون بيانها عن طبع ، وأن هؤلاء العشرة البررة متى خلت أمكنتهم فى الأجل القريب أو البعيد ، فلن يخلفهم فى هـذا الزمن الثائر الحائر المعجلان من يحمل عنهم أمانة البيان ، ويبلغ بعدهم رسالة الأدب ، أدركنا فداحة الخطب الذى نزل بالأمة العربية يوم توفى هذا الكاتب العظيم » .

وهـذا كلام سداه ولحمته الحق والأنصاف ، وأن كان يعبر عن خيبة الأمل فى الجيل الناشىء ، ويصور الواقع المؤلم فى هذا الزمن الثائر الحائر المعجلان .

أما يوسف وهبي فقد أقحم فى الفلم إقحاما أو وضعت له فيه قطعة يظهر فيها ، ليقال إنه اشترك فى التمثيل ، وهو يظهر باسمه الحقيق ، فيشبع ميله إلى العظمة الفنية التى تأبى إلا الظهور بمظهر المؤلف الذى يعالج الموضوعات فى رواياته .

والأغنية التى غناها عبد الوهاب كانت فاترة وأحسن ما فيها عادى ، وكذلك موسيقاها ، على خلاف بقية ألحان الفلم وموسيقاه التى وضعها عبد الوهاب نفسه ، فهذه جيدة . وقد أجادت ليلى مراد فى الغناء ، كما أجادت فى التمثيل ، وإن كان أكثر الأغانى غير معبر عن مواقف الفلم ، بل هو يصلح فى أى موقف !

إن الجهد الأكبر المثمر فى هذا الفلم ، لنجيب الريحانى ، فقد قام عبء التمثيل عليـه من الأول إلى الآخر ، ونهضت معه بهذا العبء ليـلى مراد ، ولعل الريحانى هنا فى خـير أدواره على الإطلاق .

عباس خضر

مات شوقي ، وتبعه حافظ ، فقال الناس خسرت مصر شاعرين عظيمين ، وليس فيها من يخلفهما ، ولكن هذا القول عز على بعض الشعراء ، وآلمهم . فراح المرحوم أحمد الكاشف يدفعه بقوة ، ويصيح :

قالوا قضى الشعر بعد الشاعرين ولم ... يعمر بمثلها ميدانه الخالى

ولست وحدى له فى مصر بعدهما ... فمصر ملأى بأشباهى وأمثالى

ولكنها كانت صيحة مكابر فى الواقع المر ، ولم يجد هذا الشاعر فى مصر كثيراً ولا قليلاً من أشباهه وأمثاله ، فإن مكان الشاعرين فى ميدان الشعر ظل خالياً ، وازداد ميدان الشعر فراغاً بموت الجارم ومطران ، ولم تجد مصر من يشغل هذا الفراغ الهائل من شعرائها ، وكان أكثر هؤلاء الشعراء كالفقاقيع ساعة وجودها هى ساعة عدمها كما يقول الرافعى رحمه الله .

ومات الرافعى فقال المعجبون بفنـه وعلمه ونبوغه ، قضى كاتب العربية ، وخلا مكانه فى دولة الأدب ، وهيهات أن يكون منـه عوض ، ولـكن بعض القائلين رأى فى تلاميذه ما يبشر بخير ، وما يقوى الأمل فى أن يكون من الرافعى عوض ، لـكن الزمن أيقظهم من أحلامهم اللـذيذة ، وردهم إلى الحقيقة المرة ، ولم تظفر دولة الأدب العربى بخلف للرافعى العظيم .

فى الشباب شعراء كثيرون ، وكتاب أكثر ، ولـكن أين النابغة العبقرى الذى تقول أنه سيخلف شوقى أو الرافعى ؟ !

نحن لا ننكر أن فيهم من يؤلف الـكتب ، ومن يكتب المقالة ، ومن يقرض الشعر ، ولـكن بين هؤلاء وبين شيوخهم فى الأدب مراحل بعيـدة الأطراف ، فليس فيهم من يـكتب بأسلوب الزيات ، ولا من يؤلف بعقلية أحمد أمين ، ولا من يجود تجويد طه حسين .

على أن الداء الدوى فى هؤلاء الشباب ، الغرور ، والادعاء ، والتنفج ، والتـكذب ، وهو — فى رأيى — ماعاقهم ، ويعوقهم ، عن بلوغ الغاية ، والوصول إلى الهدف ، فإذا عاش المازنى ومات متواضعاً ، خافض الجناح « وما كنت تراه يوماً ذاهباً بنفسه ، ولا متبجحاً بنبله ، ولا مباهياً بعمله » كما يقول الزيات ، فإن عندنا من الشباب من هو عنـد نفسه (شاعر الدنيا) ومن هو (نموذج وحده فى الآداب العربية ، وستظفر به الآداب إلى عليين)

وحسبنا أن ننظر فى ديوان هذا الشاعر الصغير الذى لم يسمع به إلا أصدقاؤه ، فنراه يقول :

قد صغت شعراً لو بعثت بدره للخلد لاستبقت إليه الحور
كم عـــز آبده على طلابه وكم ابتغاه متوّج وأمير
لم تُنشِ أحرفه اللغاتُ وإنما صنع الجمال حروفه والنـور

ولا نعـدم فى الكتاب كثيرين من أمثال هؤلاء ، فهذا الكاتب الصغير الذى لم تعرف الصحف اسمه إلا منـذ شهور (أرسى قواعد النقـد على أسس سليمة) وذاك الخامل المجهول (لا يتطاول النقد إلى آثاره) وهكذا غرور وإدعاء ، ووقاحة ، وتخلف .

وفى الشبان طائفة لا يكتبون ، وإنما هم أصداء لبعض كتاب الغرب ، يفكرون بتفكيرهم ويكتبون بأساليبهم ، وينهجون منهجهم فى كل شىء ، فلا ترى لهم شخصيـة فيما يطالعونك به وإنما هم عالة على أولئك الكتاب ، ينقلون عنهم ، فيصرحون حيناً ، ويدلسون فى أحيان كثيرة ، ويخدع الناشئون بهم ، ويظنونهم من كبار النقاد ، ومن عباقرة الفن ، وكل مالهم من فضل — إن كان — أنهم يحزقون على الشادين فى الأدب ويوهمونهم أنهم أساتذة الجيل ، وأن الكتاب جميعاً كبيرهم وصغيرهم يعترفون بفضلهم ويخطبون ودهم ، وفى الحق أنهم يفقدون صفة الحياء ، فهم يرفعون أصواتهم عالية بأنهم خلقوا للفن وخُلق الفن لهم ، فإذا ساء حظك وجلست معهم رأيت ما شئت من باب جهل قد فتحوه — كما يقول الجرجانى —

وإن تعجب فعجب أمر هؤلاء الشبان الذين قصرت خطاهم وطالت ألسنتهم ، فهم لا يزالون يدعون أن الطريق مسدود ، وأن هؤلاء الشيوخ هم الذين سدوه عليهم ، وما علموا — أرشدهم الله إلى الصواب — أن الجواد الأصيل يتخطى العقبات الكئاد ، ليصل إلى النهاية ، فإذا غلبتـه العوائق ، ووقف دون غايتـه رأى الناس فى وجهه وفى أعضائه وفى شياته ما يدل على أنه أصيل ، أصيل !

على الشبان أن يجاهدوا ، وأن يصبروا على لأواء الجهاد ، وعليهم ألا يتعجلوا الشهرة ، وألا تكون أكبرهمهم . ثم عليهم أن يسهروا الليالى الطوال يطالعون ويدرسون ويفهمون ، وعسى أن يكون فيهم بعد ذلك من يؤدى الأمانة ، ولو أيسر أداء ، أما إذا ظلوا على حالهم التى تراهم عليها ، يحاربهم الزمن ، ويعجل فأننا نترحم على دولة الأدب بعد هؤلاء العشرة ، أطال الله فى أعمار من بقى منهم ، وهدى الشباب إلى الجادة .

على العمارى

مسابقات مجمع فؤاد الأول للغة العربية لتشجيع الانتاج الأدبى سنة ١٩٥٠ — ١٩٥١ :

قرر مجمع فؤاد الأول للغـة العربية توزيع جوائز لتشجيع الانتاج الأدبى على النحو الآتى :

أولا — تخصص مائتا جنيه لـكل فرع من الفروع الآتية على أن يكون المتسابق من أدباء وادى النيل وحدهم .

(أ) قصة اجتماعية أوتاريخية ، جيدة الموضوع والأسلوب باللغة العربية الفصحى ، بحيث لا يقـل عدد صفحاتها عن مائتى صفحة من القطع المتوسط الذى لا تنقص كلمات الصفحة منـه عن ١٨٠ كلمة .

(ب) إنتاج شعرى باللغـة العربية الفصحى لا يقل عن ١٠٠٠ بيت من الشعر فى موضوعات متنوعة : فى الاجتماع أو وصف الطبيعة أو تحليل العواطف أو نحو ذلك .

(ج) بحث مستوفى مبتـكر فى موضوع لغوى أو أدبى يسير على المنهج العلمى الحديث وتظهر فيه شخصية الباحث ، ولا يقل عدد صفحاته عن مائتى صفحة من القطع المتوسط الذى لا تنقص كلمات الصفحة فيه عن ١٨ كلمة .

ثانياً : تخصص لأدباء وادى النيل وغيره جائزة قدرها مائتا جنيه لمن يترجم لابن سينا ترجمة وافية دقيقة تصور حياته ونواحيـه الفلسفية والعلمية والأدبية فى أسلوب رائق بحيث لا ينقص عدد الصفحات عن مائتى صفحة من القطع المتوسط الذى لا تقل كلمـات الصفحة منه عن ١٨٠ كلمة .

وعلى الراغبين فى الحصول على هذه الجوائز أن يرسـلوا إلى المجمع أربعة نسخ مطبوعة أو مكتوبة على الآلة الـكاتبة كتابة



نظرات فى كتاب الأشربة

للأستاذ السيد أحمد صقر

— ٧ —

٤٦ — ص ٧٦ : « ومن عجيب شأنهم أيضاً شربهم منه الغليظ الكاظ ، القبيح منظراً الردى مخبراً ، الذى نشوته سُدُد ، وعاقبته داء » .

وعلق الأستاذ على ذلك بقوله : « السُّدُد : بضمتين العيون المفتحة لا تبصر بصراً قوياً . وهي عين سادة ، أو التى ابيضت ولا يبصر بها ولم تنفق بعد كما فى القاموس » .

والصواب : « الذى نشوته سدَر » والسدر كما فى اللسان : هو ما يُصيب شارب الخمر من الدُّوار وتحيُّر البصر .

٤٧ — ص ٧٧ : « وقال أعرابى :

صلى فأعجبنى وصام فرابنى ... نح القلوص عن المصلى الصائم

وقال آخر :

شمر ثيابك واستعد لقابل ... واحكك جبينك للقضاء بثوم

وامش الدبيب إذا مشيت لحاجة ... حتى تصيب وديعة ليتيم

ورواية البيت الأول فى العقد « صلى فأزعجنى وصام فراعنى » وقد رواه الجاحظ فى البيان والتبيين ٣ / ١١١ كما هنا ولكنه ذكر سبب قوله وهو : « نظر أعرابى فى سفره إلى شيخ قد صحبه فرآه يُصلى فسكن إليه ، فلما قال : أنا صائم ارتاب به وأنشأ يقول : صلى .. الخ » .

ولم يسم ابن قتيبة قائل شمر ثيابك ، وهو مساور الوراق كما ذكر الجاحظ فى البيان والتبيين ٣ / ١١٥ ، ورواية البيت الأول عنه « واستعد لقائل » ورواية الشطر الأول من البيت الثانى

واضحة من الموضوع المقدم للحصول على الجائزة قبل أول أكتوبر سنة ١٩٥٠ .

وللمتبارين أن يذكروا أسماءهم أو يختاروا أسماء مستعارة ، وعليهم أن يكتبوا عنواناتهم واضحة وأن يوقعوا على كل نسخة يقدمونها .

ولا يجوز أن يدخل مسابقات المجمع الأدبية من سبق أن أجازه المجمع على إنتاج له فى فرع المسابقة المتقدم إليه ، ولا أن يعاد تقديم أى إنتاج أدبى سبق أن قدم للمجمع أو لأية مباراة عامة فى غير المجمع ، أو لمناقشة عامة للحصول على لقب أو درجة علمية .

ويشترط فى الموضوع المقدم لكل هذه المسابقات ألا يكون قد طبع قبل سنة ١٤٥ ، وسيحتفظ المجمع بنسخة من كل ما يقدم إليه من الإنتاج الفائز وغيره . وترسل الموضوعات بعنوان لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية شارع قصر العينى ١١٠ القاهرة .

أين مكتبة الأقصر ؟

استفهام انكارى يجول بخاطرى كلما استعرضت شؤون هذه المدينة العظيمة وبسطت بين يدى صفحاتها المشرقة وتأملت تاريخها الحافل بالمجد وذكرياتها المليئة بالفخار وإنى لأعجب كثيراً كيف تبقى هذه المدينة بلا مكتبة عامة يرتادها محبو العلم ويلجأ إليها الباحثون سواء أكانوا سائحين أم أبناء المدينة وسكانها ؟ وإذا كانت الحكومة تأخذ بكل الوسائل الممكنة لتجميل الأقصر وتحسين مناظرها فلا مندوحة إذا عن إنشاء مكتبة عامة بها لأن ذلك من ألزم وسائل تجميلها وهو عنوان على مبلغ حضارتها الحديثة وآية على سلامة شعور أهلها ومبلغ حسهم بالجمال الروحى ومدى تذوقهم لهذه المعانى السامية ولست أدرى والله لمن أتوجه بالرجاء لتحقيق هذه الرغبة ، وحسبى الرسالة وأثرها فى الرأى العام .

(الأقصر) على ابراهيم القنديلى

هكذا : « وعليك بالفتوى فاجلس عنده » ، وكذلك رواها أبو الفرج فى ترجمة مساور ١٧ / ١٦٨ . قال أبو الفرج :

« مساور بن سوار بن عبد الحميد من آل قيس بن عيلان ابن مُضر ، ويقال : إنه مولى خُويلد من عدنان ، كوفى قليل الشعر من أصحاب الحديث ورواته ، وقد روى عن صدر من التابعين وروى عنه وجوه أصحاب الحديث ...

وقال لابنه يُوصيه :

شمّر ثيابك واستعد لقائل واحكك جبينك للمهود بثوم
إن المهود صفت لكل مشمر دبر الجبين مُصفر موسوم
أحسن وصاحب كل قار ناسك حسن التمهد للصلاة سؤوم
من حزب حماد هناك ومسعر وسماك العتكى وابن حكيم
وعليكَ بالفتوى فاجلس عنده حتى تُصيب وديعة لتميم
تغنيك عن طلب البيوع نسيئة وتكف عنك لسان كل غريم
وإذا دخلت على الربيع مسلماً فاخصص شبابة منكَ بالتسليم

٤٨ — ص ٨٣ « وكان أيوب يلبس قلنسوة أفراب وقال : لأن ألبسها لعيون خير أحب إلىّ من أن أدعها لعيون الناس » .

وعلق الأستاذ على ذلك بقوله : « هكذا بدون نقط فى المخطوطتين المصرية والبغدادية » .

ولو علم الأستاذ من هو أيوب لاستطاع أن يهتدى إلى وجه الصواب فى هذه الكلمة . وهو أيوب السختيانى ، راجع ترجمته فى حلية الأولياء ٣ / ٣ — ١٤ ، روى أبو نعيم عن حماد بن زيد قال : قدم أيوب من مكة فخرج إلى الجمعة وعليه كة أفواف فقيل له فيها فقال : قدمت ولم يكن عندى غيرها فلم أر بها بأساً وكرهت أن أدعها لأعين الناس » وفى النهاية : أفواف جمع فوف ، وهو القطن . وعلى ذلك فصواب العبارة « ... قلنسوة أفواف وقال : لأن ألبسها لعيون الناس أحب إلىّ من أن أدعها لعيون الناس » راجع المعارف للمؤلف ص ٢٠٧

٤٩ — ص ٨٤ « قال حفص بن عتاب : كنت عند الأعمش وبين يديه نبيذ ، فاستأذن عليه قوم من طلبة الحديث فسترته ، فقال لى : لم سترته ؟ فكرهت أن أقول لئلا يراه من يدخل ، فقلت كرهت أن يقع فيه ذباب ، فقال لى : هيهات إنه أمنع [من ذلك] جانباً » .

والصواب : « قال حفص بن غياث » قال ابن قتيبة فى كتاب المعارف ص ٢٢٢ « حفص بن غياث طلق . هو من النخع من مذحج ، ويكنى أبا عمر ، وولاه هرون الرشيد القضاء ببغداد بالشرقية ، ثم ولاه الكوفة فمات بها سنة أربع وتسعين ومائة ... » وترجمته فى طبقات ابن سعد ٦ / ٢٧٣ وتاريخ بغداد ٨ / ١٨٨

٥٠ — ٨٤ « وحضر ابن أبى الجوارى بالشام ، وكان معروفا بالرقائق والزهد ، مائدة صالح العباسى مع فقهاء البلد ، فحدثنى من حضر المجلس وهو البحترى بن عبد الله أنه بعث إليه بقدح من نبيذ فشربه ابن أبى الجوارى ... » وابن أبى الجوارى : هو أبو الحسين أحمد بن أبى الجوارى من أهل دمشق توفى سنة ثلاثين ومائتين كما فى رسالة القشيرى ص ١٧ وأما البحترى ابن عبد الله فلم أعرف من هو وقد رجعت إلى العقد فألقيت فيه ص ٤/٣٤٣ « فحدثنى البحترى عن عبادة وكان ممن حضر المجلس » ويخيل إلى أن الاسم محرف فى الكتابين وأن صوابه « البحترى أبو عبادة » وقد كان البحترى معاصراً لابن قتيبة ، وكانت بينهما صلات ومراجعات وقد جاء فى عيون الأخبار ٣ / ١٦١ « وقال بعض الشعراء المحدثين ، وقيل : إنه للبحترى ، فبعثت إليه أسأل عنه ، فأعلمنى أنه ليس له :

فلو كان للشكر شخص يبين إذا ما تأمله الناظر
لبيّنتهُ لك حتى تراه فتعلم أنى امرؤ شاكر
ولكنه ساكن فى الضمير يحركه الكلم السائر

وبمناسبة ذكر « الرقائق والزهد » و « العقد » هاهنا أذكر أنها قد وردت فى الطبعة الجديدة من العقد وشرحت بغير المراد منها . قال ابن عبد ربه ٥ / ٢٨٥ « ومن شعراء الفقهاء المبرزين عبد الله بن المبارك صاحب الرقائق » وعلق عليها الناشرون بقولهم « يريد الرقائق من نسيبه وانظر ما سيأتى من شعره » فإذا نظرنا فى ص ٢٩٠ وجدنا فيها ما يلى : « ومن قول عبد الله بن المبارك ، وكان فقيهاً ناسكاً شاعراً رقيق النسيب معجب التشبيب حيث يقول :

زعموها سألت جارتها وتعرّت ذات يوم تبترد
أكما ينعتنى تبصرننى عمركن الله لمْ لا يقتصدْ
فتضاحكن وقد قلن لها حسن فى كل عين من تود

الموالى في العصر الأموى

تأليف الشيخ محمد الطيب النجار

بقلم الأستاذ على العمارى

هذا كتاب ألفه الشيخ محمد الطيب النجار ، وهو رسالة قدمها لينل درجة الأستاذية فى التاريخ الإسلامى .

ونحن يسرنا أن ينشر هؤلاء المتخرجون فى قسم الأستاذية بالأزهر الشريف ، رسائلهم ، ولكن نحب وننصح ألا ينشر منها إلا الصالح للنشر ، وأنا أعرف أن فى هذه الرسائل ما يعد فى مقدمة المؤلفات المصرية ، عمقاً فى البحث ، وسلامة فى الاستنباط ، ونصاعة فى الأسلوب ، ومع الأسف لم تظفر المكتبة العربية بشىء من هذه المؤلفات التى تشرف الأزهر والأزهريين ، وإنما أتيح النشر لبعض رسائل ليست أقوى تلك الرسائل بل ولا من أقواها ، وكنا نتمنى ، ولكن كما يقول البارودى :

يرى بصرى من لا أود لقاءه وتسمع أذنى ماتعاف من اللحن

وقد ترددت طويلا فى نقد هذا الكتاب خوفاً من تقولات إخواننا وأساتذتنا من الأزهريين وسترا لما يبدو من بعض مؤلفينا من نقص فى التفكير ، وضعف فى التأليف ، ولكنى — بعد التردد الطويل — رأيت من الواجب أن أنشر نقداً لهذا الكتاب ، حتى يكون نبراساً لمن يريد أن ينشر مؤلفه ، وحتى نبقى على سمعة الأزهر العلمية ، وحتى لا يقدم كل من تحدثه نفسه ، ويجد فى جيبه الساعدة على النشر أن ينشر ، بل يجب أن يتريث وأن يتريث طويلاً قبل أن يقدم ، فإن الناس لهم عقول ناقدة ، وعيون مبصرة .

وقد رأيت أن أبدأ بنقد شكلى أرفه به عن القراء ، وإن كنت أعتقد أنه ضرورة ، وأنه ربما كان فيه نفع كثير ، وسأبدأ بنقد الكتاب من غلافه ، فإذا انتهيت أخذت فى نقد موضوع الكتاب ، وأرجو أن أهيىء ذهن القارىء بهذا النقد الهامشى إلى ما يأتى بعده من نقد جدى فى صميم الموضوع ، فلمل أعون شىء على الجد ما يصحبه من بعض الهزل .

فى أعلى الغلاف كتب المؤلف هذه العبارة (صفحات من تاريخ الصراع بين العصبية والدين) ثم ذكر عنوان الكتاب ، والذى أعرفه أن هذه الكتابات الجانبية إنما هى من (تقليمات) كتاب المقالة ، ونظام الشعر من المحدثين ، أما المؤلفون فإنهم يكتفون بذكر عنوان الكتاب فى وسط الغلاف ، ويرون فى هذا بلاغاً ، على أن هذا التعبير لا ينطبق على حقيقة الكتاب ، فليس

حسداً حملنه من شأنها وقد كان فى الحب الحسد »

ولم يعلق الناشرون على هذا بشىء وكان خليقاً بهم أن يفعلوا فإن هذه الأبيات ليست لابن المبارك وإنما هى لعمر بن أبى ربيعة من قصيدة مشهورة مطلعها :

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد وشفت أنفسنا مما تجد

واستبدت مرة واحدة إنما العاجز من لا يستبد

ولقد قالت لجارات لها وتعرت ذات يوم تبترد

أكما ينعتنى تبصرننى عمركن الله أم لا يقتصد

فتضاحكن وقد قلن لها حسن فى كل عين من تود

حسد حملنه من أجلها وقديما كان فى الناس الحسد

وللقصيدة بقية تجدها فى ديوانه ص ١٤٦ وأما شرح الناشرين للرقائق بأنها رقائق النسيب فإنه شرح بعيد عن الصواب ، والرقائق جمع رقيقة وأصلها الأحاديث التى ترقق القلب وقد أفردها البخارى فى صحيحه بكتاب سماه كتاب « الرقائق » قال ابن حجر فى فتح البارى ١١ / ١٨٠ « والرقائق والرقاق : جمع رقيقة ، وسميت هذه الأحاديث بذلك لأن فى كل منهما ما يحدث فى القلب رقة ... » وقال الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ١٠ / ١٦٧ « ولابن المبارك كتاب اسمه الزهد والرقائق . قال نعيم بن حماد كان ابن المبارك إذا قرأ كتاب الرقائق يصير كأنه ثور منخور من البكاء » وقال أيضاً فى ترجمة ابن أبى الدنيا ١٠/٨٩ « صاحب الزهد والرقائق » وقال فى ترجمة ابن الخبازة الشاعر ٥ / ٤٢٥ « وله شعر كثير فى الزهد والرقائق » .

(يتبع) السيد أحمد صقر

موضـوع الموالى من موضوعات الصراع بين العصبية والدين ، وإلا ففى أى نفوس كان هـذا الصراع ؟ أفى نفوس العرب ؟ فما نعرف أن الذين قسوا على الموالى من الأمويين أو من غيرهم كانوا يجدون فى أنفسهم صراعاً بين الدين والعصبية ، وإنما كانوا يعتقدون أن العرب أفضل من الموالى ديناً ونسباً ، وأن هؤلاء الموالى يحاولون القضاء على الإسلام ، لو مد لهم الحبل ، ووطئت لهم الأكناف ، فمن الإسلام أن يضرب على أيديهم ، وأن يحال بينهم وبين ما يبتغون ، وبعد الشـوط فنقول أن بعض العرب كانوا يقسون على الموالى صادرين عن عصبية عربية ، وهؤلاء فيما نعتقد ونؤكد لم يكونوا يشعرون بسلطان الإسلام على نفوسهم حتى تكون هذه النفوس ميداناً للصراع بين العصبية والدين . أم كان هذا الصراع بين الموالى والعرب وهؤلاء متعصبون وأولئك متدينون ؟ فقـد أخطأ المؤلف التوفيق ، فإن دفاع الموالى عن أنفسهم ، وتحينهم الفرص ، وتربصهم الدوائر بالعرب لم يصدرشىء من ذلك عن تدين فى نفوسهم ، بل كانوا يصرحون بأن أصولهم وأنسابهم وماضيهم لا تتضاءل أمام أصـــول العرب وأنسابهم وماضيهم ، وإن كان للعرب ماض يفخرون به ، بل كانوا يرون أنهم أنق جوهراً ، وأعرق مجداً ، والمؤلف نفسه يصرح بهذا المعنى فى غير موضع من كتابه ، فالصراع إذن إنما كان بين عصبية فارسية ، وعصبية عربية ، حتى الذين تذرعوا بالدين وحاربوا به الأمويين لم يكونوا يحاربون العصبية العربية ، وإنما كانوا يحاربون الأمويين لأنهم اغتصبوا الخلافة من الهاشميين ، وهم أحق بها ، ومعروف أن المظهر الدينى فى محاربة الأمويين إنما كان يخفى وراءه عصبية فارسية قاسية ، وحقداً أعجمياً عنيفاً . وعنوان الـكتاب نفسه أضيق مدلولا ، وأقصر ذيلا عن موضـوع الـكتاب ، فالذى يرى العنوان يظن أن المؤلف قصر بحثـه عن حال الموالى فى عصر الدولة الأموية ، ولكن الذى يجد فى نفسه الرغبة ، فيقرأ الـكتاب يجد المؤلف تحدث عن الموالى منذ قيام الإسـلام وأفاض فى ذلك ، فقد تحدث عنهم فى عهد أبى بكر وعمر وعثمان وعلى حـديثاً مستفيضاً ، بل تعدى ذلك إلى العصر الجاهلى ، وإن كان اختصر فى هذا البحث ، وكان المؤلف — لو نُبّه أو تنبه — أن يجعل عنوان الـكتاب (الموالى فى العصر الإسلامى الأول) أو ما أشبه هذا العنوان مما يكون شاملا لـكل موضوعات الـكتاب ، وإلا فأى مبرر لأن يقصر العنوان على العصر الأموى فى حين أن ما ذكره عن الموالى فى عهد أبى بكر وعمر لا يقل استيعاباً عما ذكره عنهم فى العصر الأموى ؟.

ثم كتب المؤلف تحت العنوان (بقلم محمد النجار الحائز لدرجة الأستاذية فى التاريخ الإسلامى ، وأستاذ التاريخ بالأزهر الشريف) ونحن نحب أن نقف معه قليلا عند (الحائز) وتسأله كيف عداها باللام مع أن الفعـل متعد بنفسه ، فـكان الأحسن أن يقول : الحائز درجة ... ألخ فإذا تسامحنا وقلنا إن اسم الفاعل فرع فى العمل ، وأنه لذلك ضعيف فلا بأس أن نأتى باللام تقوى فعله وتشد أزره ، فـلا نتسامح مع المؤلف فى تركه الأفصح فى عنوان كتابه حتى لا يعطى للقارىء فى بادىء الأمر فـكرة غير جميلة عن إيثاره للضـعيف أو غفلته عن قواعد اللغة . على أن يقينى أن المؤلف لم يدر بخلده أن ذلك جائز . وإنما انساق مع عوام المؤلفين .

(يتبع) **على العمارى**

الكتب

العالم الذي نعيش فيه

تأليف جرترود هارتمان

تعريب الأستاذين عثمان نويه ومحمود حامد شوكت

بقلم الأستاذ ثروت أباظه

كتاب يعرض الجهود العبقرية التي بذلها أجدادنا الألون حتى أهدوا إلينا هذا العالم الذى نمرح بين جنباته اليوم ، لا يقف فى سبيلنا وعر أو موج أو ريح . ولا شك أن المترجين قد أحسنا الاختيار حين وفقا إلى هذا الكتاب . وهما بعد ذلك قد ترجماه فى لغة سهلة ميسورة عربية صريحة لا ضعف فيها ولا كلفة . وقد كانا بارعين فى هاته الترجمة إلى درجة نحس معها أنهما إنما يؤلفان لا يترجمان . وإن فى الكتاب مقياساً عادلاً لحبكة الترجمة فقد لاحظ الأستاذ عثمان نويه أحد المترجين وكاتب المقدمة ، لاحظ أن الكتاب الإنجليزى لم يلتفت إلى الحضارة الإسلامية وما طلعت به على العالم من تقدم . نعقد لها فصلاً لو لم يعترف الأستاذ عثمان فى مقدمته أنه هو الذى أضافه ، لاعتبره القارىء من أحسن فصول الكتاب جميعاً . فإن فيه إجمالاً تاريخياً كاملاً ، وعرضا لما دعمته الحضارة الإسلامية من أسس فى حضارة العالم . كل ذلك فى صفحات قلائل ، تطالعك فيها المعلومات فى حشد هائل ، يقفو بعضه بعضا وهى مع ذلك مبسوطة فى يسر ، تغريك بنفسها فتكاد لا تحس بما ينسرب إلى ذهنك من حقائق كانت جافة ، جرى عليها قلم نويه ، فسكب فيها الماء يندبها ويرسلها إلى ذهنك فى لطف القصة الشائقة .

والكتاب كله يترقرق بهذه المائية فى عرضه . فأنت مرتاح لما تقرأ دائماً ، مقبل عليه فى لذة . وتمتاز مؤلفة الكتاب بخاصية عجيبة ، تدرك بها أين يمل القارىء ، فهى منتقلة به إلى الجديد ، فتجدد عنده حب المتابعة . وهكذا تظل به واثبة من عصر إلى عصر ، ومن تقدم إلى تقدم .

وإنك لتلمح فى الكتاب ظلاً واسماً لفنانة مخلصة ، تتتبع نشأة الفن تتبعاً دقيقاً ، فتراها تلقى ضوءاً باهراً على أثر الفن فى حياة الأجداد ، ثم الأبناء فالأحفاد . كما تبين المصادر الأولى التى انبثق الفن من بينها . فكانت تركن حيناً إلى الحقائق التاريخية ، فإن انتقدتها وفقدتها عمدت إلى خيالها ، وتصورت الأسباب التى نشأ عنها كل فن من الفنون . ولكن يبدو أن الكاتبة ليس لها ولع كبير بالموسيقى ، فقد اكتفت بأن ألمت إليها فى عجالة يسيرة . وقد صورت الكاتبة حياة الإنسان الأول ، بل صورت الحياة الأولى كلها ، وكيف كان العالم ، ثم كيف تطولت فيه الجبال الشم ، وكيف انفرجت الأرضون فيه عن البحار والمحيطات ؛ ثم تنتقل بعد ذلك إلى الحيوانات وبدء خلقها ، وكيف تشكلت كل منها لقوائم الحياة التى تعيش فيها ، ثم كيف جاء الإنسان بعد هذا وتسلح بعقله ليقابل الأسلحة التى سبقه بها الحيوان الذى تقدمه فى الظهور ، واستطاع أن يشكل نفسه بما يبقى عليه حياته . ولكن الكاتبة تريك أن سلاح الإنسان كان أفتك وأشد قتلا ، وأنه به استطاع أن يعيش ، ويصل إلى ما هو عليه يتتبع الكتاب ما أحدثه هذا السلاح من تغير العالم ، وتظل تتابعه فى رشاقة وخفة ، حتى تصل به إلى منتهاه ، فترى الكاتبة وقد هالها ما فعل السلاح من أعمال مجيدة ، ثم هى تقف إليه رانية إلى مستقبله فى خشية ؛ فتراها تحذره مغبة التقدم إذا كان إلى شرها وقاء . وترى الكاتبة تتساءل عما سيفعله الإنسان بعد أن هيأ لنفسه هذا الفراغ العريض ، وبعد أن أرسل الآلات تأخذ مكانه فى كل عمل يقوم به . تتساءل ترى أيرد الجيل الحاضر جميل الغابر ... يرده بالخير والبركة على الأحفاد ، أم تراه سيتقدم ليقذف كل عود يستوى إلى أتون من الظلم ، فينصهر الشباب ، وتنحطم الآمال ، وتتوا كب الظلمات من عقول آسنة لا هم لها إلا الخراب والتدمير . تخاف الكاتبة ، فتناشد قومها — والعالم كله قومها — أن يملئوا فراغهم بالفن ، فهو سبيلهم إلى التحرر من الحيوانية ، وهو سبيلهم إلى التحرر من الآلية ، وقمة الرق إذا ارتقاها الإنسان فقد ارتقى .

هكذا تفكر كاتبة الغرب ، فهل قرأ الغرب أفكار ابنته ؟ وإذا كانوا ، أتراهم بها سائرين ؟ إلا فليتقوا الله فى إخوانهم من بنى الإنسان . وليتقوا الله فى آبائهم العباقرة . وليتقوا الله فى هذا العالم الذى نعيش فيه .

ثروت أباظه



متى يعـــود بابا ؟ !

للأستاذ شـــاكر خصباك

وأخيراً تحققت أمنيتي بالسكنى في ضاحية «مصر الجديدة». كنت قد زرتها مرة وأعجبت بأبنيتها المتشابهة الطراز والألوان، وسحرت بشوارعها النظيفة الهادئة. وتلك صفات لا تتوفر في «باب اللوق» الذي أقطن فيه. قصدت إلى «مكتب السماسرة» وعرضت على الموظف المختص شروطي. نقر الموظف على المنضدة متأملاً، ودس قلم الرصاص في شعره يعبث به مفكراً، ثم رفع رأسه وقال متسائلاً: غرفة هادئة في «شقة» تسكنها أرملة قبطية توفى زوجها منذ شهر مخلفاً بنتاً في السابعة من عمرها، والايجار خمسة جنيهات شهرياً ... أتعجبك ؟ !

— إتفقنا.

ونقلت متاعي إلى المنزل الجديد. وعلى بابه وقفت امرأة وطفلة. المرأة في مقتبل العقد الثالث متوسطة القامة على شيء من البدانة. عيناها السوداوان جميلتان، وكذلك أنفها الأقنى الصغير، لكن فمها يميل إلى الاتساع، والطفلة جميلة مرحة ذات وجه بشوش وهيئة ضاحكة.

— سعيدة.

— سعيدة ! أهلاً وسهلاً.

واجتزت الباب يتبعني الحمال. تلفت ورائي فرأيت الطفلة ترسل إلى نظرات فرحة. ابتسمت لها فقفزت نحوي وتعلقت بأذيال سترتي. ثم رفعت إلى وجهها الضاحك وهتفت جذلة:

— أنت طويل مثل بابا.

— صحيح ؟ !

وامتدت يدي إلى رأسها تلاطف شعرها في حنان. وفجأة انطلقت كالقذيفة. انحنيت على حقائبي أفرغ محتوياتها في الصوان والمكتب.

— يا أستاذ ... يا أستاذ ...

سمعت صوت الطفلة فتحولت بأنظاري إلى الباب أرقبها في شغف. تقدمت نحوي تتعثر في مشيتها وذراعاها تنوءان بحملها. «عروسة» عاجية وحصان خشبي وسيارة صغيرة، وضعتها على الأرض في عناية وشرعت تناولني واحدة بعد أخرى في زهو واعتزاز. قلت وأنا أقلبها بين يدي في إعجاب: من أهدى إليك هذه اللعب الجميلة ؟ !

فلمعت عيناها ببريق الغبطة وهتفت في حماس: بابا اشترى لي هذه اللعب كلها ... بابا يحبني كثيراً.

فربتّ على خدها في لطف وقلت: طيب ... غداً سأشترى لك لعبة جميلة.

فتطلق وجهها وبان السرور في عينيها وهمست في مودة: أنت تحبني كبابا.

ربما ! ... وبمضى الأيام اشتدت محبتي لها. ما سبب تلك المحبة ؟ ! الله أعلم. قد يكون مبعثها رثاء لطفلة يتيمة الأب. قد يكون مصدرها إعجاب بروحها الأليفة، روح يفيض حيويته على البيت فيملؤه بهجة وحركة ونشاطاً.

وفي كل مساء كنت أخرج إلى شرفة الدار وأتمدد على مقعد الراحة، «والترو» يزفر في الشارع تحتي كأنه يضيق بحمله. وكساري «الترام» ينفخ في زمارته بملل، ونفير السيارة يدوي بين حين وآخر، والناس يروحون ويجيئون، وفريدة تقبل على قفزاً بصحبة دُماها لتسألني مشاركتها في اللعب كعادتها كلما رأتني منفرداً في الشرفة.

— هالو ! فيفي.

وكومت لعبها على الأرض وتربعت إزاءها. ثم شرعت تملأ السيارة الصغيرة. وفجأة توقفت يدها عن الحركة وبدت كأن أمراً يشغل بالها، ماذا يقلقها ؟ ! رفعت عينيها إلى وسألتني في استعطاف.

— هل تشترك معي في اللعب عند ما يعود بابا ؟ ! سنلعب ثلاثتنا معاً.

سرت فى جسدى رعدة خفيفة وأنا أحدق فى وجهها البرىء وأصغى إلى سؤالها الساذج ، ألا تعلم بموت أبيها ؟ ! وسمعت لسانى يهمس فى تردد : حسناً ، سأفعل .

صفقت فرحة وهرعت إلى غرفة أمها وتركت السيارة الصغيرة تدور حول نفسها ، وترامى إلى مسامعى صوتها وهى تسأل الأم فى لهفة : ماما ... متى يعود بابا ؟ !

تأخر صوت الأم فى الرد ثم تناهى إلى يغمغم فى بطء : قريباً إن شاء الله يا فيفى .

وظهرت أمامى ثانية (تتنطط) كالعفريت !

— بابا سيعود قريباً من الأسكندرية وسنلعب ثلاثتنا معاً .

— إن شاء الله .

قضيت تلك الأمسية موزع النفس بين شتيت من العواطف والأحاسيس ؛ ألم وسخط وضيق وحزن . ثم أوت فريدة إلى فراشها فانطلقت إلى الأم .

— ألا تعلم فريدة بموت أبيها المرحوم؟ !

سألت الأم ، فأجابتنى بنغمة كئيبة تفيض بالحزن والألم : كلا . لقد بعثتها إلى بيت عمتها فى «المنصورة» أثناء مرض أبيها ، ولما توفى استدعيتها ثانية وزعمت لهـا أنه سافر إلى الأسكندرية لمهمة تتعلق بعمله .

وقرأت معاني التوسل العميق فى عينيها وهى تضيف قائلة : أرجو أن تساعدنى على إخفاء الحقيقة عنها ، فهى تحب أباها حباً عظيماً ، وأخشى أن تصيبها صدمة نفسية إن اكتشفت الحقيقة .

فى هذه المرة أدركت لماذا تضاعف حبى لها واشتد شغفى بها . وكالنهر حين تزدحم مياهه فتتدفق على جوانبه فاضت عواطفى على فريدة . فيفى ، إحتفظى بعلبة الشيكولاتة لك وحدك ... فيفى ، أعطينى قبلة فى عينك . . . فيفى ، أتعجبك هذه العروسة الصغيرة ؟ ! فيفى ، هيا نلعب لعبة القط والفار . فيفى ، سأصحبك غداً إلى مدينة الملاهي .

وسارت الحياة ، وانطوى الزمن ، وبدأت الأم تتخلى عن تحفظها شيئاً فشيئاً وتتقرب إلى . إشتركنا أول الأمر فى عاطفة واحدة ؛ حب فريدة . ثم تطور الاشتراك فى العواطف وتعددت جلساتنا وطال انفرادنا . فى الأسبوع الأول راحت تنتهز فرص غيبة فريدة لتجلس إلى وتحدثنى عن موضوع يتعلق بزوجها مبتدئة بعبارة تقليدية : لقد كان مثال الزوج المخلص رحمه الله . . الحمد لله الذى عوض فريدة بشاب مثلك يعوضها من حنان أبيها ومحبته

وفى الأسبوع الثانى تحررت من قيد البيت فتأبطت ذراعى وهمست فى حياء : هيا بنا يا سى زكى نقضى الأمسية فى أحد المقاهى .

وفى الأسبوع الثالث ، فى عصر ذلك اليوم دعتنى إلى السينما قائلة : فى سينما « كاررو بالاس » فلم ممتاز لتيرون پاور... فلنشهده هذه الليلة يا زكى .

وعدنا فى الساعة العاشرة والدار يغمرها الظلام وفريدة والخادمة الصغيرة ناعسان أو المفروض أنهما ناعسان . خلعت بدلة السهرة واستبدلت بها لباس النوم . ودسست جسدى بين طيات الفراش فتناهى إلى صوت فريدة تسأل أمها فى ضيق وقلق : ماما .. متى يعود بابا ؟!

وجمجم صوت الأم فى تردد وبطء : قريباً إن شاء الله يافيفى . خيم الصمت لحظة ثم ارتفع صوت فريدة فى لهجة الرتاب : ولكن متى يعود ؟ ! فى كل مرة تقولين قريباً ، وأنتظره فلا يعود!

— سيعود قريباً يا فيفى وسيجلب لك هدايا كثيرة . والآن يجب أن تنامى وإلا فإنه لن يحبك إذا علم أنك ظللت ساهرة حتى هذا الوقت المتأخر .

حل السكون ثانية فأغمضت عينى ومشاعر الألم والسخط والضيق والحزن تمور فى صدرى . إلى متى يستمر جهلها بمصير أبيها ؟ ! إلى متى يدوم تضليلها ؟ ! ما أحوجها إلى محبة تعوضها حنان أبيها وتلقى على ذكراه رداء النسيان .

فى اليوم التالى ابتعت لهـا (عروسة) كبيرة ذات عينين تُفتحان وتُغلقان كلما تحرك جسدها .

— فيفى ... تعالى هنا أبتك بهدية ظريفة .

دقيقة ودقيقتان وثلاث ... لماذا تأخرت ؟ ! ثم ظهرت على عتبة الغرفة تخطو فى تمهل وتردد .

— خذى هذه (العروسة) يا فيفى . . أتعجبك ؟

وحدقت فيها مليًّا والتردد يشيع فى صفحة وجهها النقية ، حركت الدمية يمينًا وشمالاً فانفتحت عيناها وأغلقتا . وفى لمح البرق اختطفتها من يدى وعدت خارج الغرفة .. ماذا أصابها ؟! خرجت وراءها مذهولاً فماجلنى بكاؤها منبعثًا من غرفة الاستقبال ، مددت رأسى من الباب فرأيتها منبطحة على الأريكة ورأسها مدفون بين الوسائد والدمية مضمومة إلى صدرها ، تهافت على الأريكة بجانبها ومررت بكفى على شعرها فى حنان وأنا أهمس فى رقة :

— لا تبكى يا فيفى .. ما الذى يضايقك ؟ !

فرفعت إلى عينين مخضلتين بالدموع ودمدت بصوت مخنوق وهى تشهق : ألا يعود بابا ليشترى (عروسة) كهذه ؟

— بالطبع سيعود يا فيفى .. سيعود بعد أيام قليلة .

ولم يعد الأب بعد أيام قليلة ، وأصبحت فى مقامه لدى الأم . اليوم نخرج إلى المنتزه وغداً إلى المقهى وبعد غد إلى السينما ، وفى (كازينو سفير) نالت إعجابنا مائدة منزوية فى الزاوية اليسرى المطلة على شارع عثمان بن عفان ، واعتادت فريدة أن تمر على رصيف هذا الشارع بصحبة الخادمة الصغيرة فى طريقها إلى منزل عمتها فترانا منهمكين فى الحديث أو الضحك . وتتوقف قليلاً وترمقنا بنظرات جامدة وتواصل سيرها مكفهرة الوجه . ثم تلتفت نحونا مرة ومرتين وثلاثًا حتى تختفى عن أنظارنا ! .

وأصبحت فريدة اليوم غيرها بالأمس ! كل شىء تغير فيها . أضحى الصمت طابعها المميز والكآبة سمتها الدائمة ! واختفى الضجيج والمرح من البيت ، وخيم عليه جو من الكآبة الثقيلة . فيفى ، لماذا لا تضحكين ؟! فيفى ، لماذا لا تجرين فى ساحة الدار؟! سلبت البيت بهجته ونشاطه ؟!

وتحمل فريدة لعبها وتتخير ركنًا منعزلاً وتنفرد بها وتمضى الوقت معها فى صمت ، وأقبل عليها ضاحكاً وأهتف مرحاً : أتسمحين لى بمشاركتك فى اللعب يا فيفى ؟

وتجمع دماها فى هدوء وتنسل إلى غرفتها فى سكون ... لماذا أضربت عن مشاركتى فى اللعب ؟ ما الذى يبعث فى نفسها الكآبة والصمت ؟ !

وفكرت هنيهة . دمية جميلة تعيد علاقتنا إلى صفائها . واشتريت (عروسة) كبيرة من الجبس تضع على رأسها طرطوراً وتجلس فى هيئة المتأمل؛ الرأس بين الكفين والمرفقان على الركبتين

— فيفى ... اشتريت لك (عروسة) عظيمة ... تفضلى .

— لا أريدها .

ولبثت ترنو إليها فى جمود دون أن تمد إليها يداً .

— كونى عاقلة يا فيفى . خذيها .

— قلت لك لا أريدها .

وانفلتت ذاهبة ، ثم عادت بعد حين . نظرت إليها مشدوهاً وهى تكوّم أمامى اللعب التى أهديتها إليها ووجهها عابس وشفتاها ملتويتان . واستدارت لتعود أدراجها فتشبثت بذراعها .

— ماذا بك يا فيفى ؟ ! لماذا خاصمتنى ؟ !

حاولت أن تتملص من قبضتى فخابت ، وعندئذ انفجرت بالبكاء . وصرخت فى غضب حزين :

— أنت كذاب . أنت لا تحبنى ... وأنا لا أحبك أيضاً . أنا أحب بابا . سيعود بابا وسيضربك أنت وماما .

وتركت قبضتها مذهولاً فرقت من الباب كأنها تفر من سجن : وتحولت إلى كوم الدمى أرقبه فى لوعة وأسف . ما الذى غير قلبها علىّ ؟! وما شأنى فى الأمر إن كان غياب أبيها مصدر لوعتها ؟! ولماذا باتت تحس نحوى بهذا النفور الشديد ؟ !

وأصبح مرآى يثير الاشمئزاز والكراهية فى نفسها ، ما تكاد عينها تنالنى حتى تفيض بنظرة مقت . وتتقلص ملامح وجهها ويغمره فيض من عواطف البغض . وبدأت تعيش كالغريبة فى الدار . ما تكاد تعود من مدرستها حتى تلجأ إلى غرفتها لتناجى لعبها فى صمت . ولم تعد تسأل أمها عن أبيها ، وأخذت تمضى معظم ساعات النهار فى بيت عمتها ، فأمسى المنزل كئيباً موحشاً . واقتنعت بتلك اللحظات القصيرة التى تتهيأ لى فيها رؤيتها حين تجلس إلى مائدة الفطور . وفى تلك الدقائق كانت تثبت عينيها المتألقتين ببريق الحقد على وجهى وتتأملنى فى وجوم . حاولت مرة أن أحدق فى عينيها لأستشف من ورائهما ما يدور فى فكرها . ولشد ما دهشت حين قفزت من مقعدها فى صمت وحملت كوب

الشاي وانسلت إلى غرفتها بهدوء . وجرت أمها خلفها لتعيدها إلى مقعدها فواجهتها بالصراخ والنحيب حتى أفلحت في الذهاب . وصار من المألوف أن تسبقني إلى الفطور ، فإذا رأتني مقبلاً على المائدة تركت الفطور واختفت في غرفتها بسكون .. لماذا تكرهينني يا فيفي ، لماذا ؟ !

ودب النحول في جسمها وغمر الشحوب وجهها وانطفأ بريق عينيها سوى بصيص من الحزن والمقت . والأم حزينة لحال ابنتها مسرورة بحبها الجديد . أنا مهموم محزون لا أدري ماذا أفعل وكيف أستعيد محبة الطفلة ثم حدث أن عدت من (السينما) ذات مساء في الساعة الثانية عشرة والنصف بصحبة الأم . فتحت الأم الباب فراعنا أن تبصر فريدة منطرحة على أحد مقاعد الصالة في وضع مهمل ، إتجهت إليها الأم وهزت جسدها في رفق فهبت من رقادها تصرخ في جنون . وحملتها الأم بين ذراعيها في اضطراب ، لكنها انطلقت ترفس الهواء برجليها محاولة التملص منها

— ماذا بك يا فيفي ؟ ... لماذا تبكين يا فيفي ؟ !

لا جواب سوى الصراخ . صراخ يصل عنان السماء . ثم انحلت عقدة لسانها واندفعت صائحة :

أنت تكذبين عليّ يا ماما . . بابا لن يعود إلاّ حين يترك مى زكى دارنا ... أنت بعثته إلى الاسكندرية لكي تحضرى مى زكى هنا ... لا أريد أن يمكث معنا . . لا أريد أن يمكث معنا ... لماذا يعيش في دارنا بدل بابا ؟. أنا لا أحبه ، لا أحبه .. بابا أحسن منه . بابا أحسن منه يا ماما ..

انسللت إلى غرفتي في صمت وأنا أشعر بقبضة قوية تعصر قلبي . وتهالكت على المقعد ووضعت رأسي بين كفي وأغمضت عينيّ مفكراً ، وقبل أن ألجأ إلى الفراش كانت حقائبي معدة للرحيل

وقفت الأم في الصباح التالي في ركن من ساحة الدار ترقب الحمال في وجوم وهو يروح ويغدو حاملاً متاعي . واختفت فريدة وراءها تختلس إلى النظرات في ابتهاج . وتمّ كل شيء فأقبلت عليهما مودعاً وابتسامة باهتة ترفرف على ثغرى شددت على يد الأم في حرارة فاستبقت كفي بين كفّيها وحدّقت في وجهى بعينين تحيرّت فيهما الدموع . ولم تفه بكلمة واحدة . وقبل أن أستدير مولياً الأدبار رنوت إلى فريدة بنظرات تجمعت فيها عواطف الحب والحزن والأسف ، فابتسمت في سرور وتشفّ ،

وهبطت السلم متمهلاً ثم توقفت حين سمعت فريدة تسأل أمها في فرح : ماما .. متى يعود بابا ؟!

وواصلت هبوطي ثانية ولساني يجمجم في أسىً : قريباً إن شاء الله يا فيفي !

(القاهرة) شاكر خصباك

جامعة فؤاد الأول

كلية طب العباسية — إعلان

تعلن كلية طب العباسية عن وجود وظيفتين لمعيدين خاليتين من الدرجة السادسة بقسم الفسيولوجيا بالكلية .

ويشترط فيمن يتقدم لإحدى الوظيفتين أن يكون حاصلا إما على :

١ — بكالوريوس العلوم بدرجة جيد جداً في الكيمياء والحيوان .

٢ — بكالوريوس في الطب والجراحة بدرجة جيد .

٣ — بكالوريوس في الصيدلة بدرجة جيد .

وأن يتفرغ لعمله بالكلية فلا يسمح له بمزاولة المهنة خارج الوظيفة بأى شكل ويمنح نظير ذلك بدل تفرغ قدره عشرة جنيهات مصرية شهرياً فوق الماهية إن كان طبيباً أو صيدلياً .

وتقدم الطلبات باسم حضرة صاحب العزة عميد كلية طب العباسية في ظرف أسبوعين من تاريخ النشر .

والموظفون يقدمون طلباتهم عن طريق المصالح التابعين لها .

وعلى من تقدموا لهاتين الوظيفتين قبل هذا الإعلان تجديد طلباتهم .

٢٩١٦ .

مطبعة الرسالة



العدد ٨٤٩ — الاثنين ١٠ أكتوبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٣٠٢٩

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 em Année No. 849

Lundi — 10 — 10 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــــدد ٨٤٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ ذو الحجة سنة ١٣٦٨ — ١٠ أكتوبر سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

صور من الحياة :

حكمة القـــــدر !

للأستاذ كامل محمود حبيب

يا لحكمة القدر ! أفتؤمن يا من تسخر من قوانين الحياة وأنت فى عنفوان الصبا ، وتهزأ بتقاليد الأسرة وأنت فى فورة الشباب ، وتعبث بقواعد الأخلاق السامية وأنت فى ريعان العمر ... أفتؤمن يا من تفعل كل ذلك غروراً منك وجهلاً بأن الحياة تمهلك حيناً لتنقضّ عليك كالصاعقة الهوجاء فتستلبك من شبابك وقوتك وتذرك وحيداً فى ركن من الدار تأكلك الحسرة على أن انطوت سنوات عمرك المشرق عجافاً لم تلذن السعادة فى الدار ولا اللذة فى الولد ، ولا الراحة فى الزوجة ؟

لقد ضننت بقلبك ومالك يوم أن كنت فى الشباب النضير ، والقوة العارمة ، فصفرت حياتك — وأنت تحبو نحو الشيخوخة الباردة — من قلب ينبض بحبك ، أو فؤاد يخفق بالعطف عليك !

* * *

نشأ الفتى فى كنف أبيه وهو يدلّله ، ونما واشتد غرسه فى رعاية أمه وهى تحنو عليه ، وعاش بينهما سعيداً ، رضىّ البال ، مطمئن الخاطر ، يبذل جهد الطاقة فى الدرس ، ويستنفد وسع النشاط فى المدرسة ، لا تشغله نوازع الحياة ، ولا تفزعه مسارب الرزق ، وأبوه رجل فيه العطف والحنان ، وفيه الثراء والمقل ...

وأحس الفتى بالعاطفة المشبوبة تتدفق من قلب أبويه فتفعم حياته بالنشوة والسعادة ، فأحب أمه وعلق بأبيه على حين قد حمل لأخيه الأكبر لوماً وعتاباً لأنه طاوع شيطانيته الطائشة ، فنبذ المدرسة ولمّا ينل من العلم إلا قطرات لا تغنى من جهل ولا تدفع من سفه .. نبذ المدرسة ليكون موظفاً صغيراً ينعم بالوظيفة الوضيعة ، ويستمتع بالراتب الضئيل ، ثم دفعه شبابه — بعد أن خلص من المدرسة — إلى أن يحدث أبويه حديث قلبه ، فما تلبث الأب ، ولا تموّقت الأم ، فإذا هو ينتظر الزوجة لتزف إليه ... والزوجة فتاة من بنات الجيل الفائت ، فيها أثر النعمة ، وعليها سمة الجمال ... ورأى الفتى الفتاة وهى تزف إلى أخيه الأكبر ... فاختلج قلبه ، وأخذته روعة المنظر ، وخلبته أنوار الزواج ، فتمنى أن تنطوى السنوات فى سرعة ليصبح هو الآخر زوجاً ورب أسرة . وأحس الأب بما يختلج فى نفس ابنه الأصغر ، فجلس إليه يحدثه بقلب الأب : « متى ... متى يا بنى

أسعد بزواجك أنت ؟ » فقال الفتى : « إن الزواج يا أبت يحول بين المرء وبين الدرس ، فما يستطيع العقل أن يفرغ للدرس والقلب مشغول بالزوجة ، وأنا أطمع أن أكون مهندساً كبيراً » قال الأب : « إن الأيام — يا بنى — تمر فى غير تمهل ، وغداً تنال الشهادة العالية . حينذاك أستطيع أن أحبوك بما لم أبذله فى سبيل أخيك » ...

واطمأنت نفس الفتى ، ودفعته عزيمته إلى أن ينكب على الدرس فى غير هوادة ولا لين ليخلص من الدرس إلى الزوجة ، وتأججت الفكرة فى خاطره ، فانطلق على سننه ليبلغ الغاية ... فبلغ ... ولكنه لم يصل إلى نهاية الشوط ... إلى دبلوم الهندسة الملكية ... إلا ليرى أباه يلفظ النفس الأخير !

لم يلمس الفتى فرحة النجاح ، ولا نشوة الوظيفة ، وإن قلبه لينتفض من أثر الأسى والضيق لموت أبيه ، وإن أمه إلى جانبه تحس فراغ القلب ، وفراغ الدار ، لأنها فقدت الزوج والعائل !

أما أخوه الأكبر ، فجاء يطلب نصيبه من ميراث أبيه ولما تجف العبرات فى محجرى أمه ... جاء يطلب نصيبه ويلح فى الطلب ليستعين به — كزعمه — على حاجات العيش وطلبات الدار ... !

وحاول الفتى أن يملأ فراغ الدار ، فلصق بأمه يمينها على أمرها ويهيئ لها رغباتها عسى أن يزيح عن قلبها بعض همه . وعز عليه أن يصر أخوه الأكبر على أن ينزع بعض تركة أبيه من بين يدى أمه ، فاحتقر الزواج احتقاراً انجابت له أخيلته القديمة ، وهى كانت لذيذة جذابة ... انجابت حين أحس أن الزواج وحده هو الذى قذف بأخيه إلى أن ينكأ جراح قلب أمه كلما أوشكت أن تندمل !

وأرادت الأم — بعد سنة — أن ترى ابنها الأصغر زوجاً ورب أسرة ، فتحس فيه فرحة قلب صفعه الخوف ، ولكن الألم كان ما يبرح يضرب الفتى ضربات قاسية كلما تراءى له الأخ الأكبر وهو ينزع بعض ميراث أبيه من بين يدى أمه ، ثم يهجرها لا يعبأ بنزعات قلبها ، ولا يرحم ضعفها . وخشى أن ترغمه الزوجة — يوماً — على أن يفعل ما فعله أخوه فيذر أمه وحيدة تحس فقد الزوج والابن فى وقت معاً !

وعاش الفتى ابن أمه المطيع ، وخادمها الأمين ، والأيام تمر سراعاً ، حتى عصف بها الحزن ، وقصمتها السنون فماتت ... ماتت وخلفت له — فيما خلفت — خادماً تقوم على راحته ، وترعى شأنه !

وأحس الفتى بفراغ داره ، وفراغ قلبه ، وفراغ حياته ، وهو يدلف رويداً رويداً إلى الكهولة الفارغة ، وإن الشعرات البيض لتأخذ طريقها إلى فوديه فى غير ريث ولا مهل ، وإن الضعف لينسرب إلى أوصاله فى غير ونا ولا بطء ... فانطوى على نفسه وفيه الخجل والحياء ، وسكن إلى عمله يجد فيه السلوة والهدوء ، والخادم إلى جانبه تدرج إلى الشباب والنضوج ، وهى فتاة من بنات الريف جاءت من القرية لتخدم سيدتها ، ولتتعلم هنا — فى القاهرة — أموراً لا يرقى إليها عقل ابنة القرية ... أموراً فيها اللهو والعبث ، وفيها الشره إلى المال ، والتكالب على الزينة ، وفيها المكر والخداع !

وتيقظت الأنثى فى قلب الفتاة ، فانطلقت تتودد إلى سيدها فى لطف ، وتتقرب منه فى رقة ، والدار خواء إلا منهما معاً ...

واستشعر هو الدفء يشع من شبابها ومن أنوثتها ، فهبت فى نفسه دواعى الرجولة المكفوفة منذ زمان ، فما ترفع عن أن يمد يده ولسانه على حين أنه يكبرها بسنوات وسنوات ...

وابتسمت الفتاة لسيدها فى لين ، ولصقت به فى تكسر ، وعقلها يحدثها بأنها توشك أن تحتله عن رجولته وماله ، وأن تسيطر على الدار التى عاشت فيها — زماناً — خادماً لا تظفر إلا بالتافه ، ولا تنال إلا الحقير .. وراحت الفتاة تمكر بسيدها وتخدعه عن نفسه حتى أسهل وانقاد ، وظلت إلى جانبه سنوات تسيطر على خواطره الحائرة وهو يستخذى ، وتملك نوازعه الفاترة وهو يتصاغر ، فتمادت فى غوايتها تذيقه ألواناً من الحرمان ، وفنوناً من الضيق لتدخر ماله لنفسها وتمتقده لحاجتها !

يا عجباً ! لقد أصبح الرجل مهندساً كبيراً فى وزارة الأشغال ،

له من منصبه الجاه والثراء ، وله فى عمله العزة والسلطان ، ولكنه يحس الضياع ويستشعر الضيق لأنه يعيش فى داره غريباً وهى خواء إلا من خادم لعوب تسيطر عليه فتسلبه المتعة فى ماله وتحرمه السعادة فى قلبه .

لقد طوت السنون كل آماله ، فمات الحنان فى قلب أبويه ، وطارعنه العطف فى قلب أخيه الأكبر ، وذوت أمانية جميعاً فغدا محروماً من أحبائه : الزوجة والولد والدار ، لا يجد السبيل إليهم وإن جهد .

وأرادت الأيام أن تسخر من المهندس الكبير مرة أخرى فسولت للخادم اللعوب أن تلصق به — ذات مرة — وتحدثه حديث أملها هى ، وتوحى إليه بأمر ، قالت . « وأنا أخشى أن تتناولك الألسن ، فتصبح مضغة فى الأفواه فتنهار كرامتك ، وينحط قدرك ، فدعنى أبحث عن عمل آخر » وأحس المهندس الكبير بالصدمة تكاد تذهله فهو لا يطيق أن يعيش وحده بعد أن حطمته السنون ، فقال « وأنا ؟ ... أفأعيش هنا وحيداً ؟ ؟ » قالت « فإن استشعرت الألم لفراق فدعنى أتزوج من فلان ، وهو خادم فى المنزل المجاور ، فأكون له زوجة بالليل وأكون لك خادماً بالنهار ! » وتهلل وجه الرجل للخاطر ، واطمأن قلبه .

وهم الرجل يهيىء لزواج الخادمين وينفق من ماله عن سعة ويبذل فى سخاء ، ثم زفت الزوجة — ذات ليلة — إلى زوجها ...

وفى الصباح بكر المهندس إلى دار الزوجين ، وبين يديه هدية ثمينة يطمع أن يخطف بها قلب الزوجة وأن يسترضى الزوج . ولكن لشد ما أصابه الذهول حين رأى الدار خاوية إلا من أشياء تافهة متناثرة هنا وهنالك . لقد طارت الزوجة بين ذراعى زوجها إلى حيث لا يعلم بعد أن سلبته ماله وقوته .

وارتد الرجل إلى داره يجرر أذيال الخيبة والحسرة . ارتد ليرى داره خالية إلا منه وهو يتهالك ضعفاً وفتوراً تأكله الوحدة وتلتهمه الوحشة .

فيا لحكمة القدر ... يا لحكمة القدر !

كامل محمود حبيب

إعـــلان

تعلن وزارة المعارف العمومية عن مسابقة فى تأليف كتب للمطالعة فى المدارس الابتدائية على النظام الآتى :

١ — كتاب فى جزأين للسنة الأولى يتألف كل منهما من ٨٠ صفحة .

٢ — كتاب فى جزأين للسنة الثانية يتألف كل منهما من ١٠٠ صفحة .

٣ — كتاب فى جزأين للسنة الثالثة يتألف كل منهما من ١٠٠ صفحة .

٤ — كتاب فى جزأين للسنة الرابعة يتألف كل منهما من ١٢٠ صفحة .

ويكون حجم الصفحة فى كتب السنتين الأولى والثانية ١٦/٥سم × ٢٣/٥ سم ، وتكون حروف الكتابة فى كتب هاتين السنتين وفقاً للنموذج المحفوظ بإدارة تقرير الكتب المدرسية للاطلاع عليه ، ويكون حجم الصفحة فى كتب السنتين الثالثة والرابعة ١٤/٥ سم × ٢١/٥ سم ، وتكون حروف الطبع من حجم ٢٤ عادة .

ويشترط فى هذه الكتب أن تحقق الشروط التى وضعتها الوزارة من حيث مادتها وطريقتها . وعلى كل من يرغب فى دخول هذه المسابقة أن يطلع على هذه الشروط بإدارة تقرير الكتب المدرسية بالوزارة وستكافىء الوزارة المؤلفين عن الكتب التى تختارها بمكافأة قدرها ٣٠٠ جنيه (ثلاثمائة جنيه) عن كل جزء وذلك نظير شراء حق التأليف لمدة ثلاث سنوات للمدارس الأميرية والحرة .

٢٨٤٨

صحائف مطوية في السياسة العربية :

هاشم الأتاسي

في سنة ١٩٣٩ وفي عام ١٩٤٣

للأستاذ أحمد رمزي بك

إن الانقلاب الذى قام به المندوب السامى الفرنسى المسيو جبريل بيو عند تعيينه مندوباً سامياً لفرنسا فى أوائل سنة ١٩٣٩ كان يرمى إلى إيقاف العمل بالمعاهدتين اللتين عقدتهما بلاده والعودة إلى النظام السابق .

وترتب على هذا إبطال الدستور فى سوريا ولبنان والعودة إلى تأكيد الاستقلال الذاتى أو الادارى الذى كان يتمتع به كل من جبل الدروز وإقليم العلويين .

وبنت فرنسا الأسباب المبررة لاتخاذ هذه الخطوة على تطرق الفساد إلى الأنظمة البرلمانية القائمة وتدهور الحكم الوطنى فى كل من البلدين وما سببه من انتشار الرشوة والتغاضى عن تنفيذ العدالة ، والأسراف فى إنفاق الأموال العامة وإضاعتها على الأقارب والمحاسيب ، ثم فيما أصاب الأقليات من ظلم واضطهاد جعل رجالها يستصرخون بممثلى فرنسا ويطلبون إغاثتهم مما هم فيه . وكانت هذه الحملات المغرضة موجهة بالذات إلى سوريا وإن كان أصاب لبنان رذاذٌ منها بحكم اشتراكه مع جارته فى إمضاء معاهدة تشبه أو تقارب المعاهدة التى أمضتها فرنسا مع سوريا . ولقد قام الحكم الوطنى فى سوريا على أساس دستورى سليم وخُيِّل إلى القائمين بالأمر أنه يكفى إمضاء المعاهدة ثم التصديق عليها لكف اليد الفرنسية عن التدخل فى أمرهم والسيطرة على الشئون الداخلية التى أصبحت من اختصاص الحكومة السورية وحدها ولا شأن لفرنسا فيها بعد أن سلمت السلطات إلى الرجال الذين جاءوا إلى الحكم بمقتضى قواعد الدستور الذى وضعته فرنسا أو وافقت عليه

ولم يتبادر إلى ذهن الوطنيين خطر الرجوع فى هذه الاتفاقات بعد إمضائها إذ كانوا على يقين من أن أغلبية الشعب السورى تؤازرهم وإن البلاد تؤيد بإجماع الاستقلال التام وتأكيد الحياة الدستورية .

وكان جيش الدولة المنتدبة يحتل البلاد وتخضع قوات الأمن العام وغيرها من القوات المسلحة لضباط من الفرنسيين ، وكان أعظم ما تظهر قوة العسكريين فى الأماكن المتطرفة على الحدود أو فى القاطعات التى تتمتع بإدارة ذاتية ، وكان ضباط الارتباط الفرنسيون يمثلون قوة الدولة المنتدبة الحاكمة . ولما كان أغلبهم تأتى به فرنسا من المناطق الخاصة للحكم العرفى من مستعمراتها فى شمال أفريقيا فقد جاءوا ومعهم عقلية وأساليب فرنسا فى مستعمراتها ، فتمادى بعضهم فى الاستهانة بممثلى الحكم الوطنى وظن أن من اختصاصه إقامة العدالة — كما يفهمها — وإيقاف تنفيذ الأحكام وإعفاء المحظوظين من دفع الضرائب .

وهكذا برهنت الحوادث على تعذر قيام السلطتين معاً وأن هذه الحالة لا بد أن تؤول إلى تغلب السلطة الأجنبية المنتدبة التى يدعمها جيش الاحتلال . فهل تعجلت الحكومة الوطنية فى تعيين ممثليها فى أماكن بعيدة اعتادت تجاهل وجود حكومة دمشق منذ قيام الانتداب ؟ وهل أحسنت صنعاً فى تسلم السلطات المباشرة فى القاطعات التى كانت تتمتع باستقلالها ؟ هذه أسئلة من الصعب الإجابة عنها ، ولكن الذى ظهر من أثر هذه السياسة أن رجال الحكومة المركزية تعرضوا للاهانات فى بعض الجهات خصوصاً بعد حادث اختطاف محافظ الجزيرة الوطنى فى داخل حدود القاطعة التى جاء ليحكمها وصعب على الحكومة الوطنية حمايتهم

وهكذا ضج السوريون جميعاً من تدخل سلطات الانتداب ومن سكوتها على هذه الأعمال ومن تشجيع بعض ممثليها واشتراكهم فى تدبيرها ، وألقيت فى البرلمان خطب حماسية شديدة اللهجة ولكن صداها لم يتعد الأماكن التى ألقيت فيها ، وكتبت مقالات قوية الحجة ولكن أثرها لم يتعد أعمدة الجرائد التى نشرتها

فى وسط هذه الظروف القائمة والهجمات المتتالية وجد رئيس الجمهورية هاشم بك الأتاسى بين قوتين لا قبل له بأن يوفق بينهما . ولما كانت آمال الشعب السورى وحرياته أمانة فى عنقه وكان يعتقد أن التساهل مع الفرنسيين ولو مرة واحدة سيؤدى إلى سلسلة لا نهاية لها من التفريط فى حقوق الوطن ، فضل الاحتفاظ

بكرامة البلاد واستقلالها كاملين وبادر بتقديم استقالته إلى مجلس النواب الممثل للأمة السورية . وسجل فى هذه الاستقالة احتجاجه على فرنسا التى بعد أن قبلت التعاون مع سوريا عادت إلى أساليبها القديمة ورجعت تطبق تجارب جديدة تناقض الاتفاقات التى وقعها ممثلوها وتعهدوا بتنفيذها . وهكذا جاء عمله هذا دليلا على وطنيته وإخلاصه وشجاعته ، وبندران نجد الكثير من أمثال هاشم بك الأتاسى فى تاريخ الأمم الشرقية فى القرن العشرين .

ثم قامت الحرب العالمية الثانية وجاء الجنرال فيجان وغيره من قواد فرنسا ، وسادت البلاد فترة هدوء وتعرضت سوريا ولبنان كما تعرض غيرهما لما مرَّ ببقية بلدان الشرق الأوسط من متاعب حتى عقدت الهدنة فازدادت هذه المتاعب الاقتصادية والتموينية ، ثم اشتبكت قوات الحلفاء مع قوات فيشى وانتهى الأمر بدخول الحلفاء وخروج فرنسا المهزومة ودخول ممثل فرنسا الحرة أو المقاتلة .

وقد قضى هاشم الأتاسى هذه المدة بأكملها معتكفاً بمدينة حمص لا يقوم بأى نشاط سياسى ولا يزوره أحد . وأذكر أننى مررتُ مراراً بهذه المدينة ولم أنس أن أترك له بطاقتى فى كل مرة ، إذ لم يكن فى هذا العمل ما يمكن المؤاخذة عليه ؛ ولكن موظفى إدارة الأمن العام الفرنسية ومن بينهم بالذات من أصبح موضع ثقة الحكم الوطنى بعد ذلك ، لم يتركوا هذه الفرصة تفلت من أيديهم دون أن يبنوا عليها من خيالهم الكثير من الظنون التى ضمنوها تقاريرهم السرية ، وهى التى طالما ضللت السلطات وأفقدتها الكثير من هيبتها فى كثير من بلاد الشرق الأوسط .

لابد أن القارىء يعرف ما حدث بعد دخول الحلفاء سوريا ولبنان، وكيف أعلن استقلال البلاد السورية ، وكيف نودى بالشيخ تاج الدين الحسنى رئيساً للجمهورية ، ثم اعتراف مصر بهذا الاستقلال ، ثم ما أعقب ذلك الاعتراف من اتصالات ومفاوضات كانت ترمى إلى دعم هذا الاستقلال وجعله متمشياً مع الأغراض العالمية الكبرى التى رسمها ميثاق الأطلنطى ونادى بها كل من روزفلت وتشرشل لكسب الحرب . ولو أن الكثير من مذكرات رجال السياسة والحكم قد نشر بمختلف اللغات وأصبح متداولا

بين أيدى الجمهور وفيه إشارات معينة إلى ما تم فى هذه الحقبة الدقيقة من حياة الأمم العربية والشرقية ، إلا أن موقف مصر الحاسم وأثرها الفعال وما قامت به من أعمال وما كان لوجهة نظرها وسياستها من احترام فى المحافل الدولية ، لا تزال حلقة مجهولة غير معروفة للناس ولا للمصريين خاصة. وليس فى نيتى أن أسردها فى هذه العجالة ، وإنما أكتفى بأن أقول إننى وجدت نفسى مجنداً فى هذه الناحية وعرضة لأحاديث ومفاوضات مع أصحاب الشأن من السوريين واللبنانيين ومع ممثلى فرنسا وبريطانيا وأمريكا ثم مع السلطات القائمة حينئذ فى سوريا وفى مقدمتهم المغفور له الشيخ تاج الدين الحسنى وغيره من الوزراء وأهل الرأى .

فى تلك الأثناء دارت مقابلات بمصر حضرها الجنرال كاترو وزعماء من السوريين واللبنانيين وعند نهايتها عدت إلى بيروت وكان من المفروض أن تبقى المباحثات تحت طى الكتمان ؛ ولكنى فوجئت فى يوم من الأيام بزيارة نجل هاشم بك الأتاسى الذى نقل إلى رغبة والده فى مقابلتى مفضلاً أن يتم ذلك فى فندق معين بمدينة بملبك . وقد تمت بهذه الزيارة فعلاً فى اليوم الذى حدّده الرئيس هاشم بك الأتاسى فجاءت كأنها مقابلة عرضية فى أحد صالونات الفندق المذكور . وفى أثنائها تحادثنا عما تم فى القاهرة من اتفاق على النقط الأساسية التى تمهد الفرنسيون الأحرار بإتمامها والتى ستكلل بعودة هاشم بك الأتاسى رئيساً للجمهورية السورية ليتولى إجراء الانتخابات الجديدة . وقد أبدى هاشم بك الأتاسى لى ارتياحه لهذه الفكرة ولم يعترض عليها وقتئذ .

وبعد يومين تلقيت دعوة من وزير العراق المفوض تحسين بك قدرى للغداء بفندق صوفر، وهناك وجدت دولة رياض بك الصلح الذى كان مدعواً معى فأخذ دولته أثناء الطعام يتحدث بلباقته المعروفة وذكائه الفائق عن اهتمام الرأى العام الوطنى بالمفاوضات التى تولتها مصر وما يُرجى لها من خير وعند نهاية تناول الطعام أبلغنى أن الكتلة الوطنية بالشام ترتب الآن شئونها وتجمع شملها كحزب منظم، وأنها قررت ألا ترتبط بشىء لا يأتى عن طريق رئيسها فخامة هاشم الأتاسى وطلب إلىَّ وإلى وزير العراق المفوض أن يبلغ كل منا حكومته هذا الإجراء الذى يتفق مع مصلحة البلاد القومية والاستقلالية .

ولا أدرى لماذا مرّ بخاطرى فى تلك اللحظة الكثير من الحوادث التى قرأت عنها طويلاً ، إذ عدت بمخيلتى إلى أعوام ١٩١٠ حينما كانت البلاد العربية جزءاً من الامبراطورية العثمانية فى الأعوام التى قام خديو مصر برحلته إلى الأقطار الحجازية وما أحيطت به رحلته فى مختلف البلاد الأوربية من تأويلات ثم مجىء كتشنر إلى القاهرة ووضعه حداً لسياسة الوفاق التى رسمها غورست وما تبع ذلك من مقابلات تمت فى دار العميد البريطانى مع بعض زعماء العرب سنة ١٩١٣، ثم برز أمامى النزاع القائم بين وزارة الخارجية البريطانية وحكومة الهند البريطانية فى قيادة السياسة العربية وما تمخضت عنه سنة ١٩١٦ من قيام الملك حسين بن على وحروب لورنس المعروفة والمناداة بفيصل الأول ملكاً فى دمشق ؛ ثم تمثلت اتفاقات سيكس — بيكو والتفاهم الذى تم على حصص البترول العراق ومجىء وعد بلفور وإنشاء الوطن القومى الصهيونى ومفاوضات الوسطاء[1] بين فيصل الأول والدكتور وايزمان العميد الصهيونى ، واستجمعت ذكرى الليالى الطويلة التى أمضيتها فى فندق الملك داود بمدينة القدس استمع فيها إلى أحاديث رجال من البريطانيين واليهود وأنصت إلى أنصار الهاشميين وأنصار الحاج أمين الحسينى . لقد أمضيت سنتين بفلسطين تمر أمام ناظرى الحوادث والمقابلات بين مختلف الرجال الذين يضعون الخطط ويجتمعون ثم ينفضون إذ كانت توضع أسس دولة إسرائيل ... على احتمالات الأخطاء التى سوف يرتكبها رجال السياسة من العرب — لقد مر كل هذا أمامى عند تناولى الطعام — ولقد نزلت من صوفر إلى بيروت وأنا غير مرتاح لمقابلتى هذه إذ كنت أشعر بأننا على أبواب مفاجئات جديدة ... وفعلا تحقق هذا الشعور الذى قلما أخطىء فيه ؛ إذ أطل علينا شهر مارس سنة ١٩٤٣ وهو الشهر المملوء بالحوادث التى جاءت متتابعة متلاحقة ، فبدأ الجنرال كاترو يجد فى تنفيذ ما اتفق عليه بالقاهرة فكثرت تنقلاته بين بيروت وحلب وحمص ، وكان يؤكد فى أحاديثه أنه ينفذ قرارات حكومة فرنسا المقاتلة الممثلة فى اللجنة الفرنسية بالجزائر ، وأن التعليمات التى لديه من شرائطها قيام معاهدة بين فرنسا ودولتى سوريا ولبنان . وكان يبدو لى من حديثى من أغلب الزعماء الذين قابلتهم أنهم يرحبون بعودة معاهدة سنة ١٩٣٦ بل قال بعضهم إن هذه المعاهدة أوسع نطاقاً من المعاهدتين اللتين عقدتهما بريطانيا مع مصر والعراق ، وأنه لو كانت بريطانيا فى مكان فرنسا لاستفادت سوريا كثيراً من تطبيق هذه المعاهدة . كنت أقابل هذه التصريحات بالصمت المؤذن بأن صاحبه لا يهتم بهذه الناحية ... ولا يود الخوض فى موضوعها بالذات .

وما دامت مفاوضات القاهرة لم تتعرض لموضوع المعاهدة لم يكن من المصلحة إثارة شىء عن ذلك ، ما بقى اسم مصر بعيداً عن هذه الدعاية القائمة . والحقيقة أن الفرنسيين أثاروا الموضوع حينما وجدوا شبه إجماع على العودة إلى إحياء المعاهدة السورية الفرنسية ، ولم يبدأ الزعماء فى التحرر من أقوالهم إلا عند ما ظهرت فى الأفق اتجاهات سياسية معينة ؛ ولكن الذى أعلمه تماماً أن هاشم بك الأتاسى كان أول من هاجم المعاهدة أمام الجنرال كاترو . وقد أبلغنى الجنرال أن هاشم بك لم يستطع شرح وجهة نظره وتقديم أدلة كافية على اقتناعه شخصياً بهذه الفكرة ... ونظر إلى مبتسماً .

وقد كنت على حق فى أن موضوع المعاهدة سوف يتخذ دعاية ضد مصر ، مع أن المراجع المصرية لم تتعرض بتاتاً لمسالة عقد معاهدة جديدة بين سوريا وفرنسا أو إعادة المعاهدة السابقة . ولذلك دهشت حين سمعت شكرى بك القوتلى يصرح فى منزله « أن مفاوضات القاهرة لم تمد أساساً يصلح للسير عليه » فهل كان يقصد بذلك عودة هاشم الأتاسى للرئاسة أم موضوع المعاهدة ؟ لم يترك لى الحاضرون الوقت الكافى لقراءة ما يجول بخاطره ، فقد تدخل بسرعة سعد الله الجابرى ، فاعتذر شكرى بك بأنه لم يطلع الاطلاع الكافى على تفاصيل هذه المفاوضات وأسرارها .

ولما توجهت بنظرى نحو جميل مردم بك قال إنه سيتولى تفصيلها وشرحها لشكرى بك . أما أنا فانتهزت الفرصة وأكدت أمام الحاضرين أن موضوع المعاهدة لم يكن محل بحث فى القاهرة . ولست مكلفاً بالدخول فى أى شأن يخص العلاقات بين سوريا وفرنسا من هذه الناحية . وقد استشهدت بجميل بك فأقرنى على ذلك

ولما عدت إلى بيروت علمت من المصادر المختصة أن الانجليز المحليين لا يوافقهم إبرام أى معاهدة بين الفرنسيين وسوريا ولبنان ، وأن رأيهم فيما يخص معاهدة ١٩٣٦ هو أنها تؤيد سيطرة فرنسا

(١) هؤلاء الوسطاء أسماؤهم معروفة مشتهرة .

مســــئولية الاحتلال الانجليزى لمصر

للأستاذ كمال السيد درويش

— ١ —

فى مثل هذا الشهر من عام سنة ١٨٨٢ تمَّ الاحتلال الانجليزى لمصر . ذلك الاحتلال الذى لم تستغرق حوادثه — منذ ضرب الاسكندرية فى الحادى عشر من شهر يوليه الى استسلام عرابى بالقاهرة فى الرابع عشر من شهر سبتمبر — سوى شهرين اثنين . ولموقعة التل الكبير أهميتها الخاصة بعد تحصينات كفر الدوار فى حوادث ذلك الاحتلال مع أنها لم تدم سوى عشرين دقيقة فرَّ بعدها عرابى إلى القاهرة ليستسلم فى اليوم التالى .

ولقد دعت السهولة التى تمَّ بها الاحتلال الانجليزى لمصر إلى الاختلاف حول تحديد المسئولية فى ذلك الاحتلال . أتقع المسئولية على عاتق عُرابى أم على عاتق الدّولة العثمانيـة أم على الإنجليز وجشعهم الاستعمارى ؟

وهكذا تأرجحت آراء الكتاب حول هذا الموضوع بين هذا الرأى أو ذاك .

عرابى هو المسئول الأول والأخير . لقد اعتنق بعض الكتاب هذا الرأى وأيدوه بحجج قوية .

ألم يدفع بسلوكه الخديو إلى الارتماء فى أحضان الإنجليز ؟ ألم يهمل الدفاع عن حدود مصر الشرقية ؟ أما كان من الحكمة أن يلجأ إلى سدّ القناة فيؤخر الزحف الإنجليزى على الأقل إن لم يمنعه ؟ يقول له دلسبس فى تلغرافه : « إن الإنجليز يستحيل أن يدخلوا القناة ، يستحيل » فينخدع بهذا التلغراف وبالتلغراف الذى يليه : « لا تعمل عملاً ما لسد قناتى ، فإنى هنا ولا تخش شيئاً من هذه الناحية ، إذ لا ينزل جندى إنجليزى واحد إلا ويصحبه جندى فرنسى ، وأنا المسئول عن كل ذلك » .

أى قائد هذا الذى يصدق مثل هذا التصريح الأجوف فيركن إليه فى تحصين بلاده ؟ ألم يقل فيه صديقه جون نينيه « إن بساطة

فى البلدين ، أما السفير الأميركى فاكتفى بأن قرأ على مجموعة من برقيات واشنجتون وكلهـا تشرح وجهة النظر الأميركية التى تتمسك بنصوص نظام ميثاق الأطلنطى وأنه يجبُّ كل ماعداه . ولا لزوم لعقد مثل هذه المعاهدات : ومن هنا فهمت سر التطور الجديد ضد فرنسا .

كثرت مقابلاتى فى شهر مارس سنة ١٩٤٣ مع الجنرال كاترو وتناولت أحاديثى معه عدة مسائل كان بعضها خاصاً بمركز القوات الفرنسية ومعسكراتها فى مصر . وفى إحدى هذه المقابلات أشار إلى المتاعب التى يلقاها لجمع شمل رجال السياسة السوريين وقال إنه دائم الاتصال بهم ويحاول جهده التغلب على المصاعب التى تبرز كل يوم أمامه . وكان مما ذكره أن عودة الدستور والحياة النيابية إلى سوريا ولبنان أمر مفروغ منه ، وهذا تنفيذ لما تم الاتفاق عليه بالقاهرة ، ذلك الاتفاق الذى اعتبره الجنرال خاصاً به ، ولذا فقد بذل الجهود حتى أقنع الجنرال ديجول ولجنة الفرنسيين الأحرار ، حتى وافقوا على تنفيذه ، وأن المشروع الذى أوحت به مصر يعد فى نظره الحل الوحيد المطابق لروح المبادىء الدستورية ، ولذا فهو الذى يسعى أن ينفذه فى كل من سوريا ولبنان على السواء . وعند اقتراب انصرافى أسر إلى بأن مركز فرنسا وديعة فى يده ولذلك فإنه سيحتفظ بالمصالح المشتركة لحين التفاهم على معاهدة التحالف بين البلدين . ولم أعلق على هذا التصريح بشىء علماً منى بأن الظروف قد بدأت تسير فى اتجاه آخر مضاد لفكرته ، وإن أساليب السياسة البريطانية قد بدأت تؤتى أكلهـا فى كل من سوريا ولبنان وتوجه القادة إلى وجهة نظرها .

وفى ١٣ مارس سنة ١٩٤٣ علمت من عدة مصادر أن الجنرال كاترو لم يعد يتعرض بتاتاً لمعاهدة ١٩٣٦ فى أحاديثه مع الساسة السوريين ، وظهر أن هذا كان نتيجة إبداء البريطانيين امتعاضهم . ولكنى علمت بأن شكرى بك القوتلى مصرٌّ على رفض رئاسة الوزارة إذا عرضها عليه هاشم بك الأتاسى . ولما أشير إلى خالد بك العظم أجمع الساسة على أن صحته سوف لا تمكنه من مواجهة الحالة القادمة وما تتطلبه من كفاح ومجالدة أمام مجلس النواب . وهنا بدأت المفاجأة الثانية .

(يتبع)

أحمد رمزى

عُرابى جملته يرتكب أغلاطاً كبيرة ظهرت عواقبها بعد ، فبمقدار ما بذل من الهمة فى الدفاع عن الإسكندرية وتحصين خطوط الدفاع فى كفر الدوار بحيث امتنعت على الإنجليز ، قد أظهر منذ ابتداء القتال غفلة بالغة إذا استمع إلى النصائح الكاذبة التى خدعه بها المسيو فردیناند دلسیبس حين زعم أن الإنجليز لايمكن أن يتعرضوا للعمل الفرنسى ، فامتنع عرابى عن سد القناة فى الوقت المناسب واستمسك برأيه رغم ما كانت تحتمه الخطط الفنية الحربية ، ورغم ما ارتآه زملاؤه وما ارتأيته أنا وكررته عشر مرات تارة بالقول القارس وطوراً بالكتابة فى وجوب سد القناة ؛ رغم كل ذلك أصرّ عرابى على رأيه فمهد للجنرال ولسلى نصراً من أسهل ما عرف فى تاريخ المعارك »[1] . ويحذره جون نينيه قائلا: « إن قناة السويس هى خط الدفاع الوحيد الذى لكم فى هذه الناحية ، وإذا لم تحتلوه فسيحتله العدو غداً ولن يجد صعوبة فى احتلاله »[2] ومع ذلك كله يأبى عرابى إلا أن يصمّ أذنيه ويقف مكتوف اليدين حتى تساءل كاتب تاريخ الحركة القومية بقوله : « فليت شعرى ما الذى جعله يعدل عن هذا الرأى الصواب ويمتنع عن سدّها حتى احتلها الإنجليز ؟ »[3] وموقعة التل الكبير !! كيف يخوض تلك الموقعة الفاصلة وهو بعد لم يستكمل وسائل الدفاع ؟ لقد أقيمت خطوط الدفاع على عجل ، ولم تكن هى فى ذاتها محكمة الوضع . يقول المستر بلنت فى التاريخ السرى للاحتلال : إن جيش عرابى بالتل الكبير لم يكن يزيد على عشرة آلاف أو اثنى عشر ألف جندى ، والباقون كانوا من الجنديين الأحداث الذين لم يسبق لهم إطلاق بندقية واحدة . أضف إلى ذلك أن خيرة الجنود لم يكونوا بالتل الكبير بل كانوا فى كفر الدوار أو فى دمياط ، وهؤلاء لم يشتركوا قط فى المعركة ، وكان من حسن التدبير أن يستدعى عرابى على الأقل الألاى المرابط فى دمياط لأنه كان يحتوى على خيرة الجند المدربين ، ولكنه لم يفعل . بل لقد عهد عرابى بالقيادة إلى على باشا الروبى لخضر قبل الواقعة بيوم واحد وهو وقت لا يكفى لتعرف مواقع القتال ووضع الخطط الصالحة .

وكيف لا يشتم رائحة الخيانة فى صفوف أعوانه ؟! أترسم خطة الموقعة ليلا فلا تستقر فى نفس الليلة إلا عند الأعداء ؟! ويتحرك الجيش الانجليزى إلى أن يصل إلى ميدان الموقعة مسافة تبلغ نحو خمسة عشر كيلومتراً دون أن تصادفه طلائع المصريين؟ أيوقع الإنجليز بالجند « على حين كان راقداً فدهشت العساكر وتولاها الانذهال حيث رأوا ضرب النار من خلفهم وأمامهم ، فألقوا أسلحتهم وفروا طالبين النجاة » على حد قول عرابى نفسه فى روايته عن تلك المعركة .

وأخيراً كيف يرتضى عرابى لنفسه أن يرخى لفرسه العنان ثم يستسلم بعد فراره هذا الاستسلام الذليل ؟ لقد قال الرافعى بك فى هذا الموقف الذى ختم به عُرابى فصول الثورة : « ولكن عرابى آثر الحياة على الواجب المقدس ففقد روح البطولة والتضحية ، ولم يكن هذا عهده للأمة قبل نشوب الحرب ، فقد كان يقول إنه لا يخشى تهديد إنجلترا ولا أوربا ولا تركيا وإنه مُصرٌّ على أن يدافع عن مصر حتى آخر رمق من حياته . فليت شعرى لم لم يف بعهده فيكون دفاعه على الأقل صفحة بطولة فى تاريخه وفى تاريخ مصر ، أما إذا كان معتزماً التسليم لمجرد الهزيمة فكان الأولى به أن لا يُغامر بالبلاد فى حرب أدّت إلى الاحتلال والهوان ، فهزيمة التل الكبير لم تكن هزيمة عرابى وحده أو هزيمة لجيشه بل هى هزيمة لمصر بأسرها إذ كانت نتيجتها الاحتلال البريطانى »[1] بل لقد ذهب الكاتب إلى أبعد من ذلك فى تفسير فرار عُرابى فقال إنه لم يفر من الموقعة ليواصل الجهاد ولكن لكى ينجو بنفسه ؛ ولو كان مجاهداً حقاً لظلّ يجاهد حتى آخر نسمة من حياته .

أفلا يرى القارئ العزيز إلى أىّ حد يذهب بعض الكتاب فى إلقاء مسئولية ذلك الاحتلال المشئوم على عاتق عرابى والعرابيين؟ إن الاتهام تلو الاتهام ينصب فى غير رحمة أو هوادة على العرابيين وعلى رأس عرابى بالذات .

ولكن مهلاً أيها القارئ العزيز فسنستعرض بقية الآراء حتى نعثر على الحقيقة فى ثنايا ذلك الاستعراض فتكون الحقيقة

---

(١) الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى . عبد الرحمن الرافعى ص ٤٣٢ نقلاً عن جون نينيه — عرابى باشا : ص ١٠٥

(٢) عبد الرحمن الرافعى بك . الثورة العرابية ص ٤٣٣ : نقلاً عن جون نينيه عرابى باشا ص ١٠٥

(٣) عبد الرحمن الرافعى بك . الثورة العرابية ص ٤٣٣

(١) عبد الرحمن الرافعى بك . الثورة العرابية . ص ٤٥٦ ، ٤٥٧

والحقيقة وحدها سبيلنا إلى تحديد المسئولية والمسئولين وحتى نستطيع استخلاص العبرة من تاريخ ذلك الاحتلال .

— ٢ —

لا ، ليس عرابي هو المسئول . ولكن المسئول الأول والأخير هو الدولة العثمانية . تلك الدولة التي دبّ الضعف والانحلال في جميع أرجائها فاستحقت بذلك لقبها المشهور « الرجل المريض »

ألم تقف الدولة العثمانية عقبة كؤودا في سبيل نهوض مصر؟ ألم تعمل السياسة العثمانية على إبقاء مصر ضعيفة ظناً منها أن هذا الضعف هو الوسيلة الوحيدة لبقاء مصر داخل نطاقها ؟ ! ثم هذا الموقف المضحك المزري الذي وقفته إزاء الثورة العرابية !

كيف ترتضى لنفسها الاشتراك في تمثيلية مؤتمر الآستانة ؟ ! وبأي حق تسمح للدول الأوربية أن تقحم أنوفها فيما لا يعنيها ؟!

وكيف تنخدع هي الأخرى بهذا المؤتمر وبسراب الخطب التي ألقيت فيه ؟ يضع مندوبو الدول في هذا المؤتمر ما أسموه : « ميثاق النزاهة » وفيه تتعهد الحكومات التي يوقع مندوبوها على هذا القرار بأنها في كل اتفاق يحصل بشأن المسألة المصرية لا تبحث عن احتلال أي جزء من أراضي مصر ولا الحصول على امتياز خاص بها ولا على نيل امتياز تجاري . . الخ »

أحقاً هذا ؟! أحقاً ينخدع الباب العالي ويؤمن بنزاهة الميثاق وتنجح السياسة الإنجليزية في اتخاذه مخلب القط أثناء الاحتلال . خطب اللورد دفرين سفير إنجلترا وممثلها في المؤتمر فعرض لتفاصيل الحالة في مصر قائلاً : « إن وزارة راغب باشا هي أداة في أيدي الثائرين ، وأن الخديو لا حول له ولا قوة . ثمّ أهاب بالدول أن تأخذ الثورة المصرية — على حدّ قوله — بالشدة حتى لا يستعمل نفوذها فلا يعود من السّهل استئصال شأفتها . وقال إن الوسائل الفعالية التي يجب اتخاذها لإعادة حكومة منتظمة إلى مصر يجب أن تصدر عن الحضرة السلطانية .

وهكذا نجحت إنجلترا في إقرار مبدأ التدخل في شئون مصر الداخلية . بل إن جمود الدولة العثمانية كان سبباً في تمكين الإنجليز من التدخل بمفردهم بعد أن خلقوا « الحالة القهرية » التي استدعت في زعمهم ضرب الإسكندرية .

ألم تكن مهزلة المهازل أن يتم ضرب الاسكندرية واحتلالها ومؤتمر الآستانة مع ذلك موجود ولا يستحي المندوبون فيه من مواصلة عقد الجلسات بعد أن تمّ ذلك العدوان ؟

ألا تكون الدولة العثمانية مسئولة عن هذا الاحتلال وهي التي مكنت – سواء بضعفها أو غفلتها أو جمودها — من التدخل الإنجليزي باسمها وباسم الخديو ؟ !

كيف ترضى الوقوف في جانب الإنجليز — وهي تعلم سياستهم ونياتهم فتؤيّدهم بنفوذها الروحي والسّياسي وتُجاريها في ذلك الخديو فيطعن الحركة العرابية في الصميم بإيقاع الانقسام بين رجالها وبالتالي في القضاء عليها ؟ كيف ترضى الدولة لنفسها هذا الموقف العجيب فتؤيد دهاقنة الإنجليز ضد عرابي ... عُرابي الذي كانت تعلم حق العلم حقيقة نواياه وأطماعه . أليس من العجيب أن يكون عرابي من الخطورة على الدولة العثمانية وعلى الخديو بحيث يضطرها إلى الاستعانة بإنجلترا في القضاء عليه ؟ أما كانت الدّولة العثمانية بتصرفها هذا كالمستجير من الرمضاء بالنار ؟ والله يعلم أن حركة عرابي والعرابيين كانت على الدولة وعلى مصر أبعد شيء عن الرمضاء ، وأن الانجليز كانوا على البلاد وعلى الدولة أشد خطراً من النار .

ألم يكن موقف الخديو من الحركة العرابيـة معولاً قوياً من معاول هدمها ؟ كتب الخديو إلى الأميرال سيمور بعد ضرب الاسكندرية يقول على لسان رئيس وزرائه : « كونوا إذن على علم بأن الجناب الخديو عزم على عزل عرابي من وظيفته ، فهو لذلك وحده المسئول عما يحدث » ويرسل الخديو تلغرافاً إلى عرابي بكفر الدوار يأمره بالكف عن الاستعدادات الحربية ويؤيد بذلك وجهة النظر الإنجليزية في ضرب الاسكندرية « اعلموا أن ما حصل من ضرب المدافع من الدونتمة الانجليزية على طوابي الاسكندرية إنما كان السبب فيه استمرار الأعمال التي كانت جارية بالطوابي وتركيب المدافع التي كلما يصير الاستفهام عنها كان يصير إخفاؤها وإنكارها »ثم يعزله في النهاية « لقد عزلناكم من نظارة الجهادية والبحرية ، وأصدرنا أمرنا هذا لكم بما ذكر ليكون معلوماً » ويكتب الخديو بعد ذلك منشوراً إلى الأمة يحذرها فيه من الانضمام إلى عرابي وإلى مناصرة الجيش الإنجليزي والامتناع عن معاونة العرابيين .

ركن المعتزلة :

علم الله فى مذهب المعتزلة

للدكتور البير نصري نادر

إن نفى المعتزلة لصفات الله لم يمنعها من البحث فى بعض الصفات كصفة العلم والقدرة والإرادة والعدل على زعم أنها اعتبارات ذهنية وملائمة لنا حسب قول أبى الهذيل العلاف الذى يقول : إذا تحدثنا عن علم الله أو عن قدرته مثلا فذلك لأننا ننظر إليه تعالى من أوجه مختلفة فى حين أنه تعالى ذات واحدة وأزلية[1] ونحن مخلوقات مركبة وحادثة ؛ لذلك نلجأ إلى هذه الاعتبارات وخصوصاً إننا عاجزون عن إدراك اللامتناهى .

ويزيد إبراهيم النظام قائلاً : معنى قولى إن الله عالم إثبات ذاته ونفى الجهل عنه . ومعنى قولى قادر إثبات ذاته ونفى العجز عنه . ومعنى قولى حى إثبات ذاته ونفى الموت عنه . وكذلك الأمر فى سائر صفات الذات[2] . فهكذا لا توجد سوى ذات واحدة أزلية ننظر نحن إليها نظرة تجزئية فى حين أن هذه الأجزاء أعنى الصفات غير موجودة البتة فيها ؛ فقط طبيعة عقلنا الناقصة العاجزة تلجئنا إليها . وأول هذه الصفات التى يبحثها المعتزلة هى صفة العلم.

(١) مقالات الإسلاميين للاشعرى ص ٤٨٦ — كتاب الانتصار للخياط ص ٧٥

(٢) مقالات الاسلاميين للاشعرى ص ١٦٦ و ص ٤٨٦ .

علم الله هو الله :

لما نفى واصل بن عطاء كل صفة عن الله تعالى رد جميع الصفات إلى ذات واحدة . وزاد أبو الهذيل توكيداً فى رد هذه الصفات إلى الذات قائلا : إن علم الله هو (أى الله) وإن الله يعلم نفسه وإن نفسه ليست بذى غاية ولا نهاية[1] فإذاً علم الله لا متناهى كما أن الذات لا متناهية . ويضيف أبو الهذيل قائلا إن الله يعلم حقيقة ، ليس بعلم أزلى (قديم) مميز عن ذاته كقول النابتة ، وليس بعلم مكتسب محدث كقول الرافضة ، بل إنه عالم بذاته[2] . حتى إن أبا الهذيل والنظام كانا يقولان : معنى قولنا عالم هو إثبات ذاته ونفى الجهل عنه . فالذات هى العلم والعلم هو الذات لا يمكن فصلهما وكذلك الحال فى الصفات الأخرى .

ويذهب معمر[3] وهو من أعظم المعتزلة مرتبة فى تدقيق

(١) الانتصار للخياط ص ٨ ؛ ٧٥ ؛ ١٠٨ ؛ ١٢٣ — مقالات الاسلاميين للاشعرى ص ١٦٥ ؛ ٤٨٤ .

(٢) الشهرستانى : الملل والنحل على هامش ابن حزم ج ١ ص ٥٧ .

(٣) معمر بن عباد السلمى من موالى بنى سالم توفى سنة ٢٢٩ كان معاصراً لأبى الهذيل والنظام . أخذ الاعتزال عن عثمان الطويل صاحب واصل ابن عطاء رأس المعتزلة . ومعمر أستاذ بشر بن المعتمر رأس معتزلة بغداد .

وهكذا نجح الإنجليز فى صبغ تدخلهم بالصبغة الشرعية تلك الصبغة التى أخذت تزداد كلما توالت المنشورات وهى لا تفتأ تردد عصيان عرابى وتتوعده هو ومن ينحاز إليه بالعقاب . وحين فتح الانجليز الجبهة الشرقية كان الخديو فى الوقت الذى يتوعد فيه عرابى يرسل كتب التهنئة إلى أركان حرب الجيش الإنجليزى بما يحرزون من انتصارات ! وهكذا مكن موقف الدولة العثمانية وموقف الخديو قائد الجيش الإنجليزى من أن يعلن المصريين بأن جيشهم إنما هو تجريدة عسكرية إلى القطر المصرى ليست إلا لتأييد سلطة الحضرة الخديوية ؛ وأن قائد الجيوش يُسرُّ جداً من زيارة مشايخ البلاد وغيرهم من الذين يودون المساعدة لردع العصيان الذى هو ضد الحضرة الخديوية الحاكم والوالى الشرعى على القطر المصرى المعين من لدن الذات الشاهانية .

وقد كان محمد سلطان باشا رئيس مجلس النواب نائباً عن الخديو فى مرافقة الجنرال ولسلى فى زحفه على العاصمة ، بل لقد كان الخديو قد أعطى للانجليز ترخيصاً باحتلال القناة .

وجاءت الدولة العثمانية فأعلنت عصيان عرابى والحرب قائمة ونشر ذلك الإعلان فى جريدة (الجوائب) التى كانت تصدر باللغة العربية بالآستانة ،وقام سلطان باشا بتوزيع نسخ تلك الجريدة بين الأهالى والأعيان بل وبين كبار الضباط .

حقاً لقد كانت الدولة العثمانية بتصرفاتها طابوراً خامساً طعن الحركة العرابية طعنة نجلاء ومهد لرسوخ قدم الاحتلال .

ولكن مهلاً أيها القارئ العزيز حتى نستعرض الرأى الثالث والأخير .

(البقية فى العدد القادم) كمال السيد درويش

القول بنفى الصفات إلى القول بأن الله تعالى محال أن يعلم نفسه لأن من شرط المعلوم عنده أن يكون غير العالم به ، وهكذا يكون العالم متميزاً عن المعلوم . ولكن معمر رد هذا التمييز بينهما خوفا من أن يؤدى بنا إلى الاعتقاد بأن علم الله مميز حقيقة عن ذاته فرفض القول بأن الله يعلم نفسه وقال بأن العالم والمعلوم واحد أى أن علم الله هو ذاته (أى ذات الله) وعلى ذلك لا يكون العلم منفصلا فى الله ولكنه دائماً فيه قديم وغير مميز عن ذاته[1] .

لذلك قال جمهور المعتزلة : إطلاق العلم لله عز وجل إنما هو مجاز لا حقيقة ، وإنما معناه أنه تعالى لا يجهل[2] فتكون المعادلة خالصة كاملة تامة بين ماهية الله وعلمه ، كما أن هذه المعادلة كاملة أيضاً بين الماهية وأى صفة من الصفات الأخرى والتى هى فى نظر المعتزلة اعتبارات ذهنية ليس إلا —

مصدر هذه الفكرة :

يقول أرسطو فى مقالته الثانية عشرة من كتاب ما بعد الطبيعة أن الله علمٌ كله ؛ قدرةٌ كله ؛ حياةٌ كله ؛ سمعٌ كله ؛ بصر كله . وقرأ أبو الهذيل والنظام فى بغداد ترجمة مؤلفات أرسطو وأفلاطون فيكون أبو الهذيل قد أخذ هذا القول عن أريسطو على حسب ما جاء فى مقالات الإسلاميين للاشعرى[3] وحسّن أبو الهذيل اللفظ من عند نفسه وقال : علمه هو هو ، وقدرته هى هو — ويؤكد الشهرستانى ذلك بقوله إن أبا الهذيل اقتبس هذا الرأى من الفلاسفة الذين اعتقدوا أن ذاته واحدة لا كثرة فيها بوجه ، وإنما الصفات ليست وراء الذات معانى قائمة بذاته بل هى ذاته[4] . والمعروف أن هذا هو قول أرسطو .

وهناك سبب آخر جعل أبا الهذيل أولا ثم المعتزلة ثانياً يردون الصفات إلى الذات . يقول أبو الهذيل : هناك فرق بين قول القائل إن الله عالم بذاته لا بعلم ، وبين قول القائل إن الله عالم بعلم هو ذاته ، وهو أن القول الأول نفى الصفة والثانى إثبات ذات هو بعينه صفة أو إثبات صفة هى بعينها ذات ؛ وإذا أثبت أبو الهذيل هذه الصفات (العلم والقدرة والحياة والعدل) وجوهاً للذات فهى بعينها أقانيم النصارى — لذلك نفى القول الثانى القائل بأن الله عالم بعلم هو ذاته حتى يرد الأقانيم عند النصارى .

قدم علم الله :

لما كان علم الله هو الله ، ولما كانت ذاته تعالى تتصف بالقدم، فإذاً علمه قديم أيضاً . وهذه نقطة فى غاية الأهمية عند المعتزلة . ولا ينفك أبو الهذيل والنظام يرددان القول بقدم العلم[1] . ويقول هشام الفوطى[2] إن الله لم يزل عالماً لنفسه لا بعلم سواه قديم ولا بعلم محدث وإن الله لم يزل عالماً بأنه سيخلق الدنيا ثم يفنيها ثم يعيد أهلها (فريق فى الجنة وفريق فى السعير)[3] .

تضيف المعتزلة على قولها إن الله لم يزل عالماً بنفسه قولها بأنه تعالى عالم لذاته أزلا بما سيكون (والمستقبل لا يوجد إلا بالنسبة لنا وليس له وجود عند الله) . وهناك فارق كبير بين علم الله وعلم الإنسان : فعلمنا بما سيكون هو علم بشىء جائز ، على عكس علمنا بما يكون فإنه علم بشىء متحقق واقعى . ولكن علم الله هو علم بشىء حقيقى لا بشىء جائز ، لأن الجائز يمكن أن لا يتحقق وعلم الله لا يتعلق به[4] .

اعتراض على هذا القول : اعتراض هشام بن الحكم :

بما أن الله لم يزل عالماً بالأشياء حتى قبل وجودها ولم يزل قادراً عليها فهل ما يعلمه الله وما يقدر عليه قديم أيضاً ؟ هذا سؤال وجهه هشام بن الحكم (الرافضى) إلى المعتزلة قائلا لهم : إن كان الله عالماً بدقائق الأمور وجلائلها لنفسه فهو لم يزل يعلم أن الجسم متحرك لنفسه لأنه الآن عالم لذلك وما علمه الآن فهو لم يزل عالماً به . فإن كان هذا هكذا فلم يزل الجسم متحركا لأنه لا يجوز أن يكون الله لم يزل عالماً بأن الجسم متحرك إلا وفى الوجود جسم متحرك على ما وقع به العلم[5] .

---

(١) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ١٤١ — الشهرستانى : الملل على هامش ابن حزم جـ ١ ص ٧٥ .
(٢) ابن حزم : الفصل جـ ٢ ص ٩٩ .
(٣) مقالات الاسلاميين للاشعرى ص ٤٨٥ .
(٤) الشهرستانى : الملل جـ ١ ص ٥٧ - الأسفرائينى : التبصير فى الدين ص ٤٢ .

(١) الخياط : الانتصار ص ٨ و ٧٥ و ١٠٨ و ١٢٣ — الأشعرى : مقالات الاسلاميين ص ١٦٥ و ٤٨٤ .
(٢) هو هشام بن عمر الشيبانى الفوطى المتوفى سنة ٣١٨ هـ أصله من البصرة دعاه المأمون إلى مجلسه فى بغداد وكان هشام من أشد المعتزلة تعصبا
(٣) الخياط : الانتصار ص ٦٠ .
(٤) الشهرستانى : نهاية الأقدام ص ٢٢٠ .
(٥) الخياط : الانتصار ص ١٠٨ .

من كتاب قصور العرب :

غُمْـــــدان

للأستاذ كاظم المظفر

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

وقد وصف الشعراء غُمدانا وصفاً يكاد القارىء أن يتوهم لأول وهلة أنه بعيد عن الحقيقة ، أو هو من نسج أخيلة الشعراء ؛ ولـكن عند التأمل والإمعان لا يرى فيه غرابة ، ولاسيما وإن كثيراً من المؤرخين الباحثين (المستشرقين) الذين أخـذوا على عاتقهم إحياء آثار العرب القديمة ، شاهدوا بعض أنقاض تلـكم القصور العظيمة ، وتحدثوا عن عظمة الأسلاف ، وما كانوا عليه من قديم العصور من رقى وتقدم فى مضمار الحضارة .

وفى غمدان وملوك اليمن يقول دعبل بن على الخزاعى :(١)

منازل الحى من غمدان فالنضد … فأرب فظفار الملك فالجَـنَد

أرى التبابع والأقيال من يَمن … أهل الجياد وأهل البيض والزَّرد

ما دخلوا قرية إلا وقد كتبوا … بها كتاباً فلم يُدرس ولم يبد

بالقيروان وباب الصين قد زبروا … وباب مرو وباب الهند والصُّغد

وقال أبو الصلـت يمدح ذا يزَن :(١)

أرسلتَ أسداً على بُقع الـكلاب فقد … أضحى شريدُهم فى الأرض فـلاَّلا

فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً … فى رأس غمدان داراً منك محلالا

قصر بناه أبوك القيل ذو شرح … فهل يُرى أحد نال الذى نالا

منطق بالرخام المســـتزاد له … ترى على كل ركن منه تمثـالا

تلك المـكارم لا قَـعبان من لبن … شيبا بمـاء فعادا بعدُ أبوالا

وأنشد لعصابة الجَرْجرَاى :(٢)

الدار داران إيوان وغُمـدان … والملك ملكان سا-ان وقحطان

(١) معجم البلدان ج ٦ ص ٣٠٢

(١) معجم البلدان ج ٦ ص ٣٠٢ ، ويروى المسعودى فى مروجه ج ١ ص ٢٨٤ أن هذه الأبيات لأبى زمعة جد أمية بن أبى الصلت الثقفى وفى الاكليل ج ٨ ص ١٧ أنها تنسب لأمية بن أبى الصلت ، ويقال إنها مصنوعة ، وأنه لم يقل عنها إلا ثلاثة أبيات أو أربعة .

(٢) كتاب البلدان للهمدانى طبعة ليدن ص ٣٦٥

رد المعتزلة :

يبدو هذا الاعتراض وجيهاً فى أول وهلة . ولـكن المعتزلة وجدت فيه نقصاً وضعفاً كبيرين — يوجد أولا نقص منطق فى الاعتراض نفسه لأن الله فى مذهب هشام بن الحكم جاهل بالأمور غـير عالم بها وهو يعلمها عند وقوعها . وهـذا تشبيه شنيع لله بخلقه يناقض كماله تعالى .

ثم هناك ضعف آخر فى الاعتراض وهو إن كان الله لم يزل عالماً بالأشياء قادراً عليها فهذا لا يعنى أن الأشياء المعلومة والمقدور عليها لم تزل موجودة منذ القدم — لأن الفاعل لابد من أن يكون قبل فعله عالماً بكيف يفعله وإلا لم يجز وقوع الفعل منه ، كما أنه إذا لم يكن قادراً على فعله قبل أن يفعله لم يجز وقوع الفعل منه أبداً . ألا ترى أن من لم يحسن السباحة أو الـكتابة لم يجز منه وقوعهما ؛ فإذا تعلمهما وعـلم كيف يكتب أو يسبح جاز وقوعُ الـكتابة أو السباحة منه . وهذا حكم كل فاعل : لا بد من أن يكون قبل فعله عالماً به وإلا لم يجز وقوعه منه[1] — وبناءً على ذلك تقول المعتزلة إن الله كان ولا شىء معه ، وأنه لم يزل يعـلم أنه سيخلق الأجسام وأنها ستتحرك بعد خلقه أياما وتـكن . وإنه لم يزل يعلم أنها متحركة إذا حلتها الحركة وأنها ساكنة إذا حلها السكون ؛ وهو لنفسه لم يزل يعلم أن الجسم قبل حلول الحركة فيه يتحرك ، وأنه فى حال حلول الحركة فيه متحرك — فلا ماض ولا مستقبل فى علمه تعالى لأن علمه هو ذاته وعلمه سابق للمعلومات . فتكون هكذا الأشياء أزلية فى علم الله ، محدثة فى الزمان المعين والمحدد لها من الله . وحدوثها فى الزمان لا يضيف ولا يبدل شيئاً فى علم الله لأن هذا العلم سابق لها .

تبقى مسألة جواز وجود ما يعلمه الله أنه لم يوجد ، ومسألة حرية الإنسان فى فعل المعاصى مع معرفة الله الأزلية لما يفعله الإنسان . وهذه المسألة الأخيرة فى غاية الدقة لأن المعتزلة تفخر بأنها ليست « أهل توحيد » فحسب بل أيضاً « أهل عدل » — وسنبحث إن شاء الله فى مقالنا القادم هذه المسألة الخطيرة .

(البقية فى العدد القادم)

ألبير نصرى نادر
دكتور فى الآداب والفلسفة

(١) الخياط : الانتصار ص ١٠٩ .

وقال علقمة بن ذى يزن :(١)

أبعد غُمدان حين أسقى | يسقى به الورد والرّياح
يا عين سلحين فاندبيه | إذ هاض من أهله الجناح

وقال أيضاً :(٢)

لا تهلكن جزعاً فى إثر من ماتا | فإنه لا يردُّ الدّهر ما فاتا
أبعد غمدان لا عين ولا أثر | أم بعد بينون يبنى الناس أبياتا

وقال أيضاً :(٣)

فذاك غُمدان محزئلاً(٤) | كأنهُ جبلٌ منيفُ
يسكنهُ ماجدٌ أبىٌّ | تُرغمُ قُدّامهُ الأنوفُ

وقال أيضاً :(٥)

هذاك غُمدان مُحزئلاً | بناؤُه المعجبُ المعجيب
أعلاه مبهمة رخام(٦) | عالٍ وأسفله جروب(٧)

وقال أيضاً :(٨)

وتكوّرت غُمدانُ من صرف الرّدى | من بعد مملكة وبعد تكبر
القيل من قحطان أبهم صخرها | وعمادها والقطر خير الأقطر

وقال أيضاً :(٩)

قد كان حسان فى ذؤابة غمدان | قريراً يعيش من رغدا

وقال أيضاً :(١٠)

ولم يخلد على الحدثان بانٍ | بنى غمدان تهممه الهموم

وقال ابن أبى عاصية السُّلمى :(١١)

فهل ناظر من بطن غمدان مبصر | قفا أُحد رُمت المدى المتراخيا
ولو أن داء اليأس بى فأعاننى | طبيب بأرواح العقيق شفانيا

(١) الاكليل ج ٨ ص ٦٠
(٢) الاكليل ج ٨ ص ٦٨
(٣) نفس المصدر ص ١٩
(٤) من أحزال الجبل : ارتفع فوق السراب .
(٥) الاكليل ج ٨ ص ١٩
(٦) المبهم : المغلق من الأبواب وذلك أننا رأينا فيما مضى أن بانى غمدان أطبق سقف الغرف برخامة واحدة فكأنها أغلقت بهذه الرخامة .
(٧) جمع جربة على غير قياس وهى المزرعة والقراح من الأرض أو المصلحة لزرع أو غرس .
(٨) الاكليل ج ٨ صـ ٢٠
(٩) الاكليل ج ٨ صـ ٢١
(١٠) كذلك صـ ٢٢
(١١) ذيل الأمالى والنوادر لأبى على القالى صـ ١٢٦

وقد ذكر الهمدانى فى بعض مخاطباته لأهل العراق ، وقد كانوا وصفوا بغداد فى مخاطبتهم له ؛ حيث يقول :(١)

أرض تخيرها سام وأوطنها | وأس غمدان فيها بعدما احتفرا

وقال الهمدانى أيضاً :(٢)

ما زال سام يرود الأرض مطلباً | للطيب غير بقاع الأرض يبتنيها
حتى تبوأ غمدانا وشيدها | عشرين سقفاً يناغى النجم عاليها
فإن تكن جنة الفردوس عالية | فوق السماء فغمدان يحاذيها

وقال ذوجدن الهمدانى :(٣)

وهذا المال ينفد كل يوم | لنزل الضيف أوصلة الحقوق
وغمدان الذى حدثت عنه | بناه مشيداً فى رأس نيق
بمرمرة وأعلاهُ رخام | تحام لا يغيب بالشقوق
مصابيح السليط يلحن فيه | إذا يمسى كتوماض البروق
فأضحى بعد جدته رماداً | وغيّر حُسنه لهب الحريق

وقد يقال عن غمدان بمأرب وفيه يقول الهمدانى :(٤)

من بعد غمدان المنيف وأهله | وهو الشفاء لقلب من يتفكر
يسمو إلى كبد السماء مصعّداً | عشرين سقفاً سمكها لا يقصر
ومن السحاب معصب بعمامة | ومن الرّخام منطق ومُؤزر
متلاصقاً بالقطر منه صخرة | والجزع بين صروحه والمرمر
وبكل ركن رأس نسر طائر | أو رأس ليث من نحاس يزأر
متضمناً فى صدره قطارة(٥) | لحساب أجزاء النهار تقطر
والطير والفتخة عليه وفودها | ومياهه قنواتها تتهدّر
ينبوع عين لا يصردُ شُربها | وبرأسه من فوق ذلك منظر
برخامة مبهومة فتى ترد | أربابه مدخولة لم يعسر

وقال الأعشى :(٦)

وأهل غُمدانُ حيثُ كانوا | أجمع ما يجمع الخيار
فصبحتهم من الدّواهى | نائحة عقبها الدّمار

(١) تاريخ اليمن للواسعى اليمانى طبعة السلفية بالقاهرة ص ١١٠ والاكليل ج ٢ صـ ١٢
(٢) الاكليل ج ٨ صـ ١٣
(٣) العرب وأطوارهم ج ١ صـ ١٠
(٤) الاكليل ج ٨ صـ ١٧
(٥) المراد بالقطارة هنا الساعة المائية . وكان هرون الرشيد أهدى إلى شرلمان قطارة بديعة ، ولا جرم أن مثالها كان على خلقة هذه القطارة الهمدانية .
(٦) الاكليل ج ٨ صـ ١٦

وقال آخر من حمير :(١)

وكان لنا غمدان أرضاً نحلها وقاعاً وفيها ربنا الخير مرشد

وقال ثعلبة بن عمر العبقسى بن سلمة وقيل بل هما لعبد القيس الأزدى :(٢)

ولو كنت فى غمدان تحرس بابه على أراجيل كمىّ وسانف
إذاً لأتتنى حيث كنت منيتى لعبء مخب لا يرى وهو قائف

وقال مالك بن عمرو بن قضاعة :(٣)

وفى الفرع من غمدان لوح عزنا يمى وفيه بالفلاح يصيح

وقال الربيع بن ضبع بن ذبيان :(٤)

أجار بجير النمل من عزّ ملكه
وأنزل سيفَ البأس من رأس غُمدان

وقال النعمان بن الأسود بن عمرو بن يعفر الحميرى يرثى بلقيس ابنة الهدهاد بن شرحبيل من قصيدة :(٥)

هدهد من طيور أرض بشام فرى فى الهوا على العرش نور
باقتضاء الهدى على ملك بلقيـ ـس بغمدان إذ أتاها النذير

وأنشد أسعد تبع بن ملكى كرب من قصيدة :(٦)

جدّى المتوّج عبد شمس ذو العلا شيخ الملوك ومحتوى غُمدان

وقال أسعد تبّع أيضاً :(٧)

وغمدان قصر لنا مشرق مآجله حوله زُهر
وكان معسكرنا دائماً أزال وعسكره عسكر

وذكر ابن عبد ربه فى العقد الفريد(٨) فى باب وفود قريش على سيف بن ذى يزن بعد طرده للحبشة قال : قال ابن عباس : لما ظفر سيف بن ذى يزن بالحبشة ، وذلك بعد مولد النبى صلى الله عليه وسلم أتته وفود العرب وأشرافها وشعراؤها تهنئه وتمدحه وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه فأتاه وفد قريش وفيهم عبد المطلب بن هاشم ، وأمية بن عبد شمس ، وأسد بن عبد العزى وعبد الله بن جدعان ، فقدموا عليه وهو فى قصر له يقال له غُمدان

وقال النويرى(١) : ويقال أن آثار غُمدان باقية إلى عصرنا هذا ، وإنه تلٌ عالٍ مطلٌ على صنعاء .

وقال الهمدانى(٢) : وقد بقى من خدّ غمدان القديم قطعة ذات خراب متلاحك عجيب ، فهى قبالة الباب الأول والثانى من أبواب الجامع الشرقية ، وباقى غمدان تلٌ عظيم كالجبل وكثير مما حوله من منازل الصفانيين .

وقال الواسعى اليمانى(٣) عند ذكره لدخول الجيوش التركية لبلاد اليمن : « وقد استولى قسم من الجيش على بقية المعاقل نحو قصر غمدان وأبواب صنعاء وهى عشرة »

وقال الأستاذ أمين الريحانى(٤) : قصر غمدان القديم دُرس والبناء قائم مكانه اليوم يدعى باسمه، ويختصرونه فى صنعاء فيقولون: القصر ، وفيه معمل الخرطوش ، والسكة ، والسجن .

وقال أيضاً(٥) عند ذكره للامام يحيى ملك اليمن وما لديه من الأخصائيين الذين يستشيرهم فى أعماله ويستعين بهم فى تمشية أموره : « وهذا السيد محمد زبارة أمير القصر ، قصر غمدان ، ومدير السكة والسجن فيه .

ويستنتج من هذا القول الذى ذكره الأستاذ الريحانى أن معالم غمدان لم يبق لها أى مشهد معروف ، وأن آثاره التى قال فيها الهمدانى أنها قطعة خربة بينة الأثر ، والتى قال فيها النويرى أنهـا تلٌ عالٍ مطلٌ على صنعاء ؛ لم تـكن كتلك الحال الأول ؛ وإنما جرى عليها الاضمحلال ، وتغيرت رسومها ، واستبدلت مكانها بناية أخرى تابعة لحكومة الإمام يحيى ، إلا أنها لا زالت تحتفظ بذلك الاسم القديم « غمدان » الذى فاخرت الأجيال بعظمة بنائه ، وجمال صنعه .

النجف — العراق

كاظم المظفر

(١) الاكليل جـ ٨ صـ ١٦
(٢) الاكليل جـ ٨ صـ ١٩
(٣) الاكليل جـ ٨ صـ ١٠٢
(٤) كذلك صـ ٢٢٩
(٥) كذلك صـ ٢٤٥
(٦) كذلك صـ ٢٩٣
(٧) كذلك صـ ٢٠
(٨) الجزء الأول صـ ٢٦٨ مطبعة الاستقامة بمصر .

(١) فى كتابه نهاية الارب جـ ١ صـ ٣٧١ .
(٢) الاكليل جـ ٨ صـ ٠٠
(٣) فى كتابه تاريخ اليمن صـ ١١٠ طبعة السلفية بالقاهرة
(٤) فى كتابه ملوك العرب جـ ١ صـ ١٣٧
(٥) ملوك العرب جـ ١ صـ ١٦١

الشيء الصغير

للأستاذ أنور لوقا

تحت هذا العنوان الساذج الغريب قص الأديب الفرنسي ألفونس دوديه تاريخ حياته في كتاب نشره سنة ١٨٦٨ ، وقد أطلق هذا اللقب على بطل القصة ، دانييل إيسيت ، ذلك الغلام النكرة المهمل الذي لا يعنى به أحد لأنه شيء صغير !

ألا يعبر هذا اللقب عن معنى بعيد عميق في نفس الكاتب ؟ أليست له قيمة رمزية أصيلة ؟ ألا يلخص ويعنون ناحية ممتازة من شخصية دوديه وفنه كما لخص وعنون شطراً من حياته ؟ ...

الشيء الصغير هو ما تراه أمامك ولا تلحظه ، ما قد تصطدم به ولا تلتفت إليه ، هو ما يجاورك ويلازمك في أكثر الأحيان ولكنك لا تعيره اهتمامك ولا تأبه له لأنك اعتدته أو لأنه .. شيء صغير !

وهذا « الشيء الصغير » هو قوام قسط كبير من سحر دوديه . فإن كل صفحة من أدبه عامرة بالتفاصيل الدقيقة المنتقاة ، والملامح الخفية الشاردة ، والكلمات القصيرة العابرة التي تترجم خليقة من خلائق الناس ، أو تبرز وضعاً من أوضاع الأشياء ، وتطبع في ذاكرتك إلى الأبد هذا المشهد أو ذاك مما يصف الكاتب

وليس أدل على ذلك من أن لدوديه « طاحونة » أصبحت علماً من أعلام الأدب الفرنسي منذ أن رسم صورة حية لها لا تفارق مخيلة من قرأ ديوان أقاصيصه الريفية « رسائل من طاحونتي » : فهناك قط ضاوٍ على نافذتها ، وبومة غبراء فوق سطحها المتهدم وشعاع من القمر الساجي يكسوها ليلاً ، ونور غامر يتفجر في أركانها نهاراً ، ونفحة من ريح الشمال تهب عليها ، وغابة من شجر الصنوبر تتدرج أمامها سفح الجبل ...

وقد نشرت « الرسالة » في ٤ / ٤ / ١٩٤٩ ترجمة لتحفة جميلة من أقاصيص ذلك الكتاب عنوانها « الشيخان » ، لا يقرؤها القارئ مرة إلا عاودته مشاهدها مراراً : أولاً مشهد الساعي القروي العجوز الذي يفتتح القصة مزهواً فخوراً إذ يحمل في يده رسالة واردة من باريس ، ثم منظر ميدان إيجوير القفر في هجير الظهيرة ، ثم بيت صغير يبزغ على الأرض كأنما كان من إشارة عصا سحرية ، ثم صوت نحيل متقطع ينطلق من هذا البيت ، صوت طفلة من تلميذات المدارس تقرأ كلمة كلمة وحرفاً حرفاً في كتاب أكبر منها : « حينئذ .. صاح .. القديس .. إرنيه .. إنني .. قمح .. المولى .. ويجب .. أن .. أطحن .. بأنياب .. هذه .. الوحوش .. » وإنها لعبارة خليقة بأن تبعث إلى مخيلتك المكان والزمان والوجوه التي طالعتها بل ودرجة الحرارة إذ ذاك ، فهي تمثل لك الشيخين ، والطفلتين ، وقفص العصافير ، والذباب العالق بالسقف ، والساعة المعتمدة على الحائط ، وقد أخذتهم جميعاً سِنة من النوم . ما ناسب كلام مقتضى الحال كهذه الجملة الوحشية من تاريخ الشهداء الأوائل الذي يشبه الأساطير ، تلقيها على مسمع شيخ سطا عليه الكرى في مقعده ساعة القيلولة صبية من بنات ملجأ الأيتام لا تكاد تجيد الهجاء . وأكبر الظن أن دوديه لم يبتدع هذه العبارة ابتداعاً ، وإنما اقتنصها أو اقتنص مثيلة لها على شفتي طفل يتعلم القراءة في بعض كتاتيب القرية أو بعض زوايا الريف ... ثم يلي ذلك مشهد الاستجواب الطريف ، والشيخ الذي يوشك أن يهذي وهو يسأل الفتى الزائر عن لون ورق الغرفة التي يسكنها حفيده العزيز ... ثم تلك المأساة الرهيبة التي تجري فصولها أمام الصوان العالي إذ تركب الشيخ نزعة الكرم فيحاول إنزال زجاجة الشراب المعتق من مكانها القصي على حين تقف زوجه مرتاعة تثنيه عن عزمه وهي باسطة ذراعيها المرتعشتين لتسنده إذا هوى ... ثم مشهد خروج الشيخ مع الفتى ممتداً بقوته ووقوف الشيخة على باب الدار تشيعهما في مقة ... هذا كله ، لا بد أن الكاتب قد رآه بعينه ذات يوم ثم وشاه بخياله المراح

ولدينا خير دليل على هذا الخيال المبدع في الحوار الذي أداره الفتى بين مهدي الشيخين في السحَر ، وخير دليل على مزج الواقع بالخيال في ملاحظته أن الشيخين متشابهان غاية التشابه لا يميزهما إلا اختلاف الملابس ، أو مطالعته في ابتسامتيهما الذابلتين صورة باهتة نائية لوجه حفيدهما العزيز ، صديقه موريس .

ولقد طار صيت ألفونس دوديه بأقصوصة « عنزة السيد سيجان » (نشرت « الرسالة » ترجمة لها في العدد التاسع من السنة الأولى ١٥ / ٥ / ١٩٣٣ ، فما من طفل فرنسي لا يعرف

هذه القصة ولا يرويهـا لك ؛ وإنك لتسمعها منه فى شغف ، ويروقك أن تستعيدها من حين إلى حين . ومع ذلك فليس أيسر من تلخيصها فى سطر واحد : عنيزة كرهت الحظيرة والقيد فانطلقت إلى الجبل حيث أكلها الذئب . ولكنها آية من « السهل الممتنع » لاشك تعجز عن تدبيج مثلها الأقلام المترفة الكبيرة . وإنها لتحقيق طيب لقولة راسين : « ما الفن إلا خلق شىء من لا شىء » .

وإذا ضاق المقام عن استعراض روائع التفاصيل فى كثير من قصص دوديه الممتازة ، فلن نستطيع أن نهمل حديث دوديه نفسه عن « الأشياء الصغيرة » وأسلوبه فى النظر إليها — فهو يقول فى سياق قصة شجية ، خالية تمام الخلو من الأحداث ، جعل عنوانها عبارة صاحبه « بثلاثمائة ألف فرنك وعدنى بها جيراردان ... » :

« هناك آلام غريبة عنا ، لا تربطنا بها وشيجة ، ولا نلمحها إلا مصادفة ، ونحن نعبر مكاناً ما ، فى دقيقة ، أثناء سعينا الحثيث وخلال زحمة الشارع ... تلك أجزاء من أحاديث متقطعة يتبادلها اثنان بين اهتزازات مركبة ؛ هموم عمياء تتكلم وحدها ، وبصوت مرتفع ؛ كتفان مكدودتان ؛ حركات مجنونة ؛ عيون محمومة ؛ وجوه شاحبة منتفخة من الدموع ؛ أو أحزان حديثة العهد لم يحسن أصحابها كفكفتها فى طيات ما يتدثرون به من سواد ... ثم ، أشياء صغيرة ، تفاصيل خاطفة ، ويالها من توافه ! زيق رداء ، أطالت الفرشاة حتّه ، بال ، يلتمس الظل . . صندوق من صناديق الطرب والموسيقى ، تحت باب مسقوف ، تديره يد متسول ولا يُخرج صوتاً .. شريط من المخمل فى عنق حدباء ، مشدود فى قسوة ، محكم العقدة مستقامها بين الكتفين الشائهتين ... وتمر بك جميع هذه المناظر ، مناظر البلايا المغمورة مراً سريعاً ، وتنساها وأنت سائر .. ولكنك فى آخر النهار تشعر بدبيب كل ما فى نفسك من التأثر والرثاء والمضض لأنك دون أن تدرى ، قد علقت ، عند منعرج طريق أو أسكُفّة باب بهذا الخيط غير المنظور الذى يربط تلك البلايا معاً ، ويرجها جميعاً إذا اهتز هزة واحدة » .

وكان ألفونس دوديه ممن يشكون قصر البصر . ولعل لهذه العاهة أثراً فى عنايته بكل شىء صغير . فإن الرجل المرهف الحس الذى لا تستطيع عينه أن تلم من بعيد بجميع خطوط المنظورات ، يحرص دائماً على أن يقترب من الأشياء ، ويحدق فى كل شىء من كل ناحية ، وينتهى به الأمر إلى أن يسجل المرئيات صوراً أدق وأصدق وأروع من الصور التى نلتقطها نحن بعيوننا السليمة . أضف إلى ذلك ما رأينا من اندماجه فى زحمة الشارع واعتزاله فى برج الشاعر (راجع عدد ٨٤٦ من « الرسالة ») . ولقد كان أديبنا الساحر ينشد سكون الريف أو الشاطىء أو الصحراء كلما دار رأسه فى باريس ، وكان يبى نعمة العزلة التى فيها تصفو ملكة الناظر وتصفو أحلام الشاعر وتصفوا عبارات الكاتب .

يقول برجسون ، وهو خير من فطن إلى معنى الفن وغايته وعلاقته بالحياة : « لقد انسدل بين الطبيعة وبيننا ، بل بيننا وبين إدراكنا ، حجاب صفيق عند عامة الناس ، رقيق ويكاد أن أن يكون شفافاً عند الفنان والشاعر . فالناس لابد أن يعيشوا ، وأن يكسبوا قوتهم ، والحياة تقتضينا أن نقدر الأشياء تقديراً مبنياً على مدى صلتها بحاجاتنا . فنحن لا نقبل من تأثير الأشياء علينا إلا التأثير النافع لنا ، ثم نلبى هذا التأثير بأعمال هى رد فعل خاص ، أما التأثيرات الأخرى للأشياء فإننا لا نفعل ، ولا بد أنها تظلم وتتم ولا تبلغنا إلا غامضة مبهمة مشوشة .

أنا أنظر وأظن أننى أرى ، وأصغى وأظن أننى أسمع ، وأختبر نفسى وأظن أننى أقرأ ما سطر فى أعماق قلبى ، على حين أن ما أراه وما أسمعه من العالم الخارجى ليس إلا ما تستخلصه حواسى لإرشاد سلوكى ، وعلى حين أن ما أعرفه عن نفسى ليس إلا ما يطفو على سطحها وما يشترك بنصيب فى حياتى العملية ... لقد صنفت الأشياء تصنيفاً غايته مقدار الفائدة الذى أستطيع أن أصيبه منها .. وهذا التصنيف هو الذى أراه أكثر مما أرى ألوان الأشياء وأشكالها .. إن شخصية الأشياء والكائنات تغيب عنا ما دام لا يعود علينا تمييزها بنفع مادى . فإذا لا حظناها فلن تكشف عيننا شخصية الشىء أى هذا الاتساق الخاص من الأشكال والألوان ، هذا الاتساق الأصيل كل الإصالة ، وإنما تكشف واحدة أو اثنتين من الملامح التى تيسر لنا معرفة الشىء عمليا .

جملة القول أننا لا نرى الأشياء نفسها ، وإنما نقتصر فى أكثر

الأحيان على قراءة بطاقات ملصقة عليها . وقد قويت هذه النزعة ، وهي وليدة الحاجة ، تحت تأثير اللغة … فاللفظ الذى لا يسجل من الشيء إلا وظيفته العامـة الشائعة ومظهره الغليظ المبتذل ، يندس بين هذا الشيء وبيننا فيقنع شكله عن عيوننا ، إن لم يكن ذلك الشكل قد احتجب من قبـل وراء الحاجات التى خلقت اللفظ نفسه » .

ويخلص برجسون من هذا إلى أن الفنان نفس منقطعة عن الحياة ، لا هذا الانقطاع المقصود المدبر المتعمد ، وإنما هو انقطاع طبيعي راجع إلى خليقة الحس ، يغمر الفنان فى حياة روحية خالصة كالأحلام والرؤى ، وتظهر آثاره مباشرة فى أسلوب البصر والسمع والتفكير بمـا يزيح الرموز والـكنايات والعموميات ذات النفع المادى ويوقفنا وجهاً لوجه أمام الحقيقة …

ولألفونس دوديه صفحات كثيرة تصل إلى هـذه الطبقة ، حسبنا هنا أن نقتبس فقرة قصيرة من حديث الراعى البروفنسى الذى بات يروى أساطير « النجوم » لابنة سادته . إنه يشعر شعوراً ساحراً فوق الجبل ، فهو يعرف ما الذى يجرى فيها أحسن مما يعرفه أهل السهل » . وهو مع ذلك لا يتكلم إلا كلاما ساذجا « لو أتيح لك أن تقضى الليل ساهراً ، لعرفت أن فى الساعة التى نرقد فيها ، يستيقظ عالم سحرى يغمر العزلة والسكون . هناك تغنى الينابيع غناء أصفى وأجهر ، وتوقد الغدران جذوات صغاراً ، وتذهب جميع الأرواح الهائمة فى الجبل ونجيء حسرة طليقة ؛ وإذا أنت تحس فى الهواء خفيفاً وأصواتاً خفيضة لا تكاد تدركها الأذن ، إن النهار دنيا الأحياء ، أما الليل فحياة الأشياء » .

وقد عاش دوديه مع الأشياء الصغيرة ، بل عاش فيها وعاشت فيه ، بالمعنى الحرفى لهذه الكلمات . هو ذا يصف أياما قضاها على شاطىء كورسيكا فيقول : « كنت إذا لم تعصف المسترال أو ريح الشمال آتى فأستلقى بين صخرتين قائمتين فى مستوى سطح الماء ، وسط الحمائم والشحارير والسنونو ، وأكاد أقيم النهار كله على هذه الحال من الشرود والاعتلال اللذيذ الذى يغدقه تأمل البحر . ألا تعرف هذه النشوة المذهبة التى تغمر النفس ؟ هناك لا يفـكر المرء ، ولا يحلم ، وإنما يشرد كل كيانه ، ويطير ، ويتشتت . فإذا أنت هذا الطائر الذى يغطس فى الماء ، وإذا أنت رذاذ هذا الزبد الذى يطفو فى نور الشمس بين موجتين ، وإذا أنت ذلك الدخان الأبيض الذى يتصاعد من تلك السفينة التى تبتعد ، وإذا أنت هذا الزورق الصغير الأحمر الشراع ، وأنت هذه اللؤلؤة من الماء ، وهذا الغشاء من الضباب ، أنت كل شيء ما عدا نفسك … »

وقد يكون من العبث الطريف أن نحاول إحصاء كلمة « الصغير » فى كتاب من كتب دوديه . إنهـا تتردد مراراً فى الصفحة الواحدة ، بل فى الفترة الواحدة … ولـكن الحياة المادية الحديثة التى أصبح المرء لا يبحث فيها إلا عن الـكسب ، والمتعة القريبة المباشرة ، قد انتهت بالحس الإنسانى إلى التبلد والمجون ، وصرفت النفوس عن الأشياء البعيدة والأشياء الصغيرة صرفاً يكاد يصل إلى إنـكار وجود هذه الأشياء … على أننا نستطيع أن نستعير من منطق المادية الغليظة دفاعا عن الشيء الصغير : فتلك البذرة الضئيلة التى لم تستوقف عينك لحظة هى التى أنبتت هذه الدوحة العظيمة التى تروعك بجذعها الضخم وأغصانها الملتفة ، وزهرها الوضاح وثمرها الغزير ؛ وبعض الغدد الصغيرة التى كان يجهل الطب القديم مكانها من جسم الإنسان أضحت اليوم فى ضوء الطب الحديث أهم وظيفة وأخطر شأنا من الأعضاء الـكبيرة الشهيرة ؛ بل حسبنا أن نذكر أن عصرنا هو عصر « الذرة » …

يرحم الله جوته فقد قال عن الشاعر إنه « من يستخلص المعنى الرفيع من الشيء الوضيع » ؛ ويرحم الله ألفونس دوديه ، فقد كان يقول لابنه ليون : « إن للاشياء معنى ، مكانا نستطيع أن نمسكها منه » .

أنور لوقا

مدرس منتدب بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

تســابيح وابتهالات ...

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

(صدقت من زعم أنه سلاها وراح يشبب بغيرها ، وعند ما استبد بها الحنين أقبلت عليه ، تعاتبه فما كان منه إلا أن زف لدنياها هذا اللحن الندى الهفهاف)

قالت معاتبةً ، وعيناها تُعاتبُ ناظري
وقد استبدَ بها الحنين إلى الحبيب الهاجر
وتنهدتْ عن خافق بِأسى الصَّبابة زاخر
أسلوتني !. أم لا يزال هواك لى يا شاعرى
فأجبتها والشوقُ ملتهبٌ يؤجُّ بخاطرى

لولا عيونك «ياهناء» لما أبحتُ السهد جفنى
ولما تسربلتُ الخيال محلقاً فى كل فن
ولما كرهت جحيمَ أحلامى وأنغامى ودنى
ولكنت أبقى حيث أغلالى وأوهامى وسجنى
كالبلبل المسحور لم تسمع بشجوى أى أذن

قسماً بعينك وهى ينبوع ابتهالات الحياة
قسماً بثغرك حين يتلو تحت ثغرى أغنياتى
قسماً بحبينا .. بتلك الأمسيات الخالدات
ما عشت إلا كى تبارك حبنا الزاكى صلاتى
أنت الهوى والشعر والإلهام لا بل أنت ذاتى

يا فتنتى أنا شاعر أهوى الجمال الشاعريا
كم رحتُ أستوحيه أنغاماً وشعراً عبقريا
وأذيعُه لحناً على العشاق هفهافاً نديا
يا جنتى يا من رأيت بعينها الأمل الشهيا
لولاك كانت هذه الدنيا جحيماً سرمديا

(بغداد) عبد القادر رشيد الناصرى

مواكب الصحراء ...

للأستاذ ابراهيم الوائلى

أترانى — وقد هجرت غنائى— مزجياً غير أنة خرساء ؟
ليس بدعاً إذا تحطم قيثـا رى وأمسى مبعثر الأشلاء
واتخذت الحنين فى موكب الليـل لحوناً شجية الأصداء
فأنا الطائر الذى فقد العـش وولى يهيم فى بيداء
تائه ضلَّ فى مسارب ليل مكفهر مطلسم الأرجاء
تترامى عن جانبيه رمال بعثرتها الرياح فى الصحراء
وكهوف تنمَّر الوحش فيها لاهثاً لا يعب غير الدماء
تائه ضل والعواصف هوج يتناوحن فى حشا الظلماء
والتهاويل كل سوداء تلقى ظلها فوق أختها السوداء
ياله من معذب فى الدجى شارد الفكر !
بين حشد من الهواجس مجنونة الصور
وحشة الليل حيث لا النجم يبدو ولا القمر
والخيالات أعين يتقادحن بالشرر
عالم يلتقى به أينما طاف أو عبر

جُنَّت البيد فالسكون هباء ذوَّبته الرياح بين يديا
كلما قلت : سوف يطلع فجر تخذ الليل قولتى سخريا
كلما قلت : سوف ألمح نجما قالت السحب : لن ترى ثم شيًّا
نم على الشوك فى القفار وحيدا وتنسم غبارها وتفيًّا
واسمع الريح إن أردت غناء وتجرَّع من الجلاميد ريًّا
ليس فى القفر غير دنيا من التيه يعيش الطريد فيها ويحيا
أتظن الأشواك مثوى رقيقاً أم تظن الرياح لحناً رخيًّا ؟
أم تخال الصخور تندى فتروى ظمأً أو تبل قلباً صديًّا ؟
عش كما شاءت الحياة غريباً واتخذ وحشة الظلام نجيًّا
إيه يا ليل لم تدع غير صمتى ولم تذر !
كل ما فيك مرعب من خيال ومن أثر
صور جهمة الرؤى ملء أذنىَّ والبصر
والطريق المخيف يزخر بالشوك والحفر
عالم يلتقى به كل من طاف أو عبر

ابراهيم الوائلى

تعقيبات

الأستاذ أنور المعداوى

قضية الأمانة العلمية بين أستاذين فى الجامعة :

... ...

هذه قضية يعرضها علينا الدكتور جمال الدين الشيال مدرس التاريخ الإسلامى بجامعة فاروق ، أما موضوعها فيدور حول محور الأمانة العلمية كما يفهمها الجامعيون طلاباً وأساتذة ، وكما يجب أن يفهمها الرأى العام الفنى ممثلا فى طبقات المثقفين ممن يقرأون « الرسالة » ، وهذه هى الحكمة التى نود أن نعرض عليها أدوار القضية ، القضية التى يريد الدكتور الشيال من جهته أن يتقدم بها إلى ساحة القضاء مطالباً بحفظ حقوقه الأدبية والمادية ... ونترك الدكتور الشيال يروى فصول القصة ، ونرجىء التعقيب حتى نهيىء بهذا الإرجاء فرصة الرد للدكتور محمد فؤاد شكرى أستاذ التاريخ الحديث المساعد بجامعة فؤاد :

« فى إبريل سنة ١٩٤٥ تقدمت إلى جامعة فاروق الأول برسالة عنوانها (تاريخ الترجمة فى مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر) أرخت فيها — ولأول مرة — لحركة النقل عن الغرب فى عهد الحملة الفرنسية وفى عصر محمد على ، وقد نوقشت هذه الرسالة أمام لجنة مكونة من الأساتذة : عبد الحميد العبادى بك ، ومحمد شفيق غربال بك ، والدكتور محمد مصطفى صفوت الذين أجازوها لدرجة الماجستير مع مرتبة الشرف الأولى ... ثم تقدمت بهذه الرساله إلى مسابقة البحث الأدبى لسنة ١٩٤٦ التى عقدها المجمع الملكى للغة العربية ففازت بالجائزة ، وكانت اللجنة التى قرأت الرسالة وأقرت أحقيتها بالجائزة تتكون من الأساتذة : المرحوم أنطون الجميل باشا ، ومحمد فريد أبو حديد بك ، ومحمد أحمد العوامرى بك ، والدكتور ابراهيم بيومى مدكور .

وفى صيف سنة ١٩٤٧ زارنى فى منزلى بالأسكندرية الدكتور محمد فؤاد شكرى أستاذ التاريخ الحديث المساعد بجامعة فؤاد ، وطلب منى أن أعيره رسالتى ليطلع عليها فبينت لحضرته أننى لا أملك إلا نسختى الأولى المخطوطة بيدى وقدمتها إليه بكل ترحاب ، فأخذها معه ، وأبقاها عنده أكثر من عشرة أيام قرأها كلها فى خلالها ، ثم أعادها إلى فلم يجدنى بالمنزل فسلمها لمن به ومعها بطاقة باسمه — لا زلت أحتفظ بها — قال فيها بالحرف الواحد :

« أهنئك على هذا المجهود العلمى الصادق ، وأرجو أن تتاح لك الفرصة لنشر هذه البحوث القيمة حتى يفيد منها المشتغلون بتاريخ مصر الحديث ، وأشكرك باعطائى هذا البحث الرصين لقراءته والإفادة منه ، وأرجو أن أتمكن من زيارتكم فى فرصة قريبة أخرى لإسداء الشكر الخالص » .

وفى صيف سنة ١٩٤٨ ظهر كتاب جديد فى ٨٤٠ صفحة من تأليف الدكتور شكرى وزميلين له من المدرسين فى المدارس الثانوية ، وعنوان الكتاب : « بناء دولة — مصر محمد على » وقرأت فى الصحف أن الكتاب يتضمن ترجمة كاملة لكثير من تقارير الأوربيين عن حكومة محمد على ، أمثال بورنج وبوالكمت وكامبل ..ولحاجتى الدائمة لهذه التقارير أسرعت فاشتريت نسخة من الكتاب . وتصفحتها فإذا بها تتكون من قسمين : قسم مؤلف فى نحو ٢٠٠ صفحة ، وقسم يحتوى الترجمات السابق ذكرها فى ٦٠٠ صفحة ، وقلبت صفحات القسم المؤلف فإذا بى أجد فصلاً فى ٢٠ صفحة كبيرة عن « الترجمة والطبع والنشر فى عصر محمد على » ، وقرأت هذا الفصل فرأيت وياهول ما رأيت ، رأيت الصديق والزميل الفاضل أستاذ التاريخ الحديث المساعد قد سطا على رسالتى سطواً تاماً فلخصها فى هذا الفصل تلخيصاً كاملاً !!

حتى المنهج — منهجى فى البحث — قد سطا عليه فقد التزمه عند التلخيص وتتبع أبوابه وفصوله باباً باباً وفصلاً فصلا، لم يحد عنه قيد أنملة : فهو قد بدأ بالكلام عن بواعث حركة الترجمة فى عصر محمد على ، وانتقل منها إلى الحديث عن المترجمين فقسمهم إلى مترجمين من السوريين ، ثم من خريجى المدارس والبعثات ، ثم من خريجى مدرسة الألسن ، ثم من الموظفين ... تماماً كما فعلت .

وترك هذا الفصل إلى الفصل الذى يليه فى رسالتى وموضوعه التحدث عن المحررين والمصححين ، فإذا فرغ منه انتقل إلى الحديث عن القواميس والمعاجم كما انتقلت أنا ، وترك هذا كله فتحدث كما تحدثت عن حركة الطباعة والنشر باعتبارها آخر مرحلة من مراحل حركة الترجمة ... حتى اللاحق — ملاحق الرسالة — لم يتركها لى ، فقد ألحقت بالرسالة مجموعة كبيرة من

الجـداول أحصيت فيها بعد جهود شاقة الـكتب التى ترجمت فى عصر محمد على ، مع بيانات وافية عن مؤلفيها ومترجميها وأوصافها الخ ، وقد قدمت لهذه الملاحق بالحديث عن المحاولات التى سبقتنى فى هـذا الميدان ، ورتبتها ترتيباً تاريخياً مع بيان نواحى القصور فيها لإيضاح قيمة الجديد فى جداولى ، وقد سطا الدكتور شكرى على هذا أيضاً فأثبته تماماً كما أوردته فى رسالتى !

ومن هنا ترى أن الدكتور شكرى قد سطا على الرسالة منهجاً وموضوعاً ، وإذا أنت قارنت بعد ذلك بينها وبين فصله لتبين لك فى وضوح تام أنه لم يسط على المنهج والأفـكار فقط ، وإنما قد سطا على العبارات والألفاظ كذلك ، فنحو ٨٠ ٪ من عباراته هى عباراتى بألفاظها وحروفها . ومع هذا كله لم يشر حضرته بحرف واحد — لا فى الهامش ولا فى قوائم المراجع على كثرتها البالغة فى نهاية الـكتاب — إلىّ أو إلى رسالتى ، لا بشكر ولا بما يفيد رجوعه إليها واعتماده عليها وحدها اعتماداً كاملاً تاماً عند كتابة هذا الفصل ... وهكذا ترى كيف يقيم أساتذة الجامعة لواء الأمانة العلمية !!

سلسلة من الأخطاء : هذه رسالة علمية لم تطبع بعد ، فالنقل عنها والرجوع إليها يستلزم أن يستأذن صاحبها أولا ، والدكتور شكرى لم يستأذنى فى هذا ، مع أن التقاليد الجامعية فى العالم كله تلزم الناس بهذا ، فكل بحث يقدم إلى أى جامعة تودع نسخة منه فى مكتبتها ، ولكن هذه النسخة تظل عشرة سنوات كاملة — ما دامت لم تطبع — ولا يمكن أن تعار لإنسان كائناً من كان إلا بإذن صاحبها الخاص ، وإذا اطلع عليها مطلع وأراد النقل عنها فى مؤلف له سيطبعه فلا بد أن يستأذن صاحب البحث فى هذا ، بل إننى أعرف كتباً استعمل أصحابها صوراً — صوراً شمسية لا أفـكاراً — موجودة فى كتب لمؤلفين آخرين ، فاستأذنوا أصحاب هذه الصور ، ونصوا فى كتبهم على هذا مع تقديم الشكر لأصحاب الصورر !

أما الخطأ الثانى فأغرب ، فالمعروف أن المؤلف إذا أفاد من جهود غيره نقل عنها فـكرة أو جملة ، أما أن يسطو على مؤلف بحاله فيلخصه تلخيصاً كاملاً ، وينقل معظم عباراته بحروفها فأمر لم أره إلا فى كتاب الزميل الدكتور شـكرى ! ... أما الخطأ الثالث فأغرب وأغرب ، فالمعتاد إذا استشهد المؤلف بأقوال غيره أن يضعها بين أقواس وأن يشير إلى المرجع فى الهوامش ، وأن يقدم الشـكر لمن ينقل عنـه وخاصة إذا كان مرجعه الوحيد فى الموضوع الذى يـكتب عنه ، والزميل الفاضل الدكتور شكرى أهمل الإشارة إلى بحثى إهمالاً تاماً ... قد يدعى حضرته بعد هذا أنه نسى أوتناسى ، أما كان يمكن أن يذكرنسيانه بالاشارة السريعة فى آخر صفحة من الـكتاب أو فى المقدمة ، وهى آخر شىء ، قدمه إلى المطبعة ، حتى هذا لم يفعله ، ولـكنه قال فى مقدمة كتابه : « وليس من سبيل إلى معالجة هذا الاضطراب إلا بمعاودة النظر فى ذلك التاريخ (تاريخ محمد على) لـكشف ما خفى من حقائقه ، وتفصيل ما أجمل من دقائقه فى حدود الأمانة العلمية » ... أجل ، فى حدود الأمانة العلمية كما يقول الدكتور شـكرى ، واقرأ معى واضحك ، وشر البليه ما يضحك !!

وأخيراً لعل الشك يساورك فيما أقول ، ولـكننى أعلن إليك أننى أحتـكم فى هذا الموضوع إلى حضرات الأساتذة الأجلاء الذين ناقشوا الرسالة فى الجامعة ، والذين رشحوها لنيل الجائزة فى المجمع ، فهم جميعاً قد قرأوها قراءة فهم واستيعاب ، وأمامهم كتاب الدكتور شكرى يقرأونه ويقارنون . . وإنى على استعداد لأن أقدم نماذج من المقارنات ، بين نصوص رسالتى الأصلية ونصوص الدكتور شـكرى الملخصة لتتبين فى وضوح صدق هذا الذى أقرره ! وقد فـكرت جدياً فى رفع الأمر للقضاء محافظة على حقوقى الأدبية والمادية ، ولـكننى رفقت أخيراً بسمعة الدكتور شكرى العلمية ، وآثرت أن أكتب إلى عميد كلية الآداب والدكتور شكرى أستاذ من أساتذة الـكلية ، وغاية ما أرجو أن يطلب إليه الأستاذ العميد :

١ — أن ينشر تصريحاً موقعاً عليه منه فى الأهرام ومجلة الرسالة ومجلة الـكتاب بنص فيـه صراحة أنه اعتمد — عند كتابة هذا الفصل من كتابه — على رسالتى اعتماداً كلياً ، ويعتذر عن عدم الإشارة إلى ذلك فى هوامش الـكتاب ومراجعه .

٢ — أن يـكتب لى كتاباً خاصاً يذكر فيه هـذه الحقيقة ويعتذر عما فعل . « دكتور جمال الدين الشيال »

هذه هى القضية كما يعرض أدوارها علينا الدكتور الشيال ، ومن حقه علينا أن نعرضها بدورنا على محكمة الرأى العام الفنى ، كما أن من حق الدكتور شـكرى علينا أيضاً ألا نتناوله بـكلمة

واحدة فى مجال التعقيب على ما حدث ، حتى نسمع دفاعه ... وهذا هو الانصاف الذى تفرضه علينا « الأمانة القلمية » بالنسبة إلى الأستاذين الفاضلين !

حول الموسيقار الايطالى الصغير فيرونتشو بوركو :

طفل إيطالى لم يتخط الحادية عشرة من عمره ، ومع ذلك فهو يفهم النوتة الموسيقية كما وضعها كبار الأساتذة ، ويؤديها أنغاماً كأدق ما يكون الأداء ، وتنم ذا كرته النادرة وذوقه الموهوب ألحان المباقرة من أمثال بتهوفن وموزار وشوبير وفردى وروسينى وتشايكوفسكى وبرامز وليست ... وهو بعد ذلك يقود فرقة موسيقية مكونة من ستين عازفاً من أشهر عازفى الموسيقى فى العالم . هذا الطفل النابغ هو فيروتشو بوركو الذى أذهل بنبوغه المبكر أقطاب الفن وهواته فى كل من إيطاليا وسويسرا وفرنسا وأمريكا ، والذى حل ضيفاً على مصر منذ أيام تصحبه فرقته الموسيقية الضخمه ليقيم فيها بضع حفلات موسيقية يترقبها الجمهور باهتمام بالغ ! .

ينحدر هذا الموهوب الصغير من صلب أبوين وهبا حياتهما للفن ونذرا له الإبن ؛ فأمه مغنية من مغنيات الأوبرا بذرت فى نفس وليدها بذور الموهبة الفنية عندما كانت تصحبه معها إلى المسارح وعمره سنتان ونصف، وهناك أخذ الطفل بسحر الموسيقى التى استولت أنغامها على مشاعره وهزت كل ذرة فى كيانه ، ولمح المحيطون به بوادر النبوغ ممثلا فى أذنه الموسيقية وإحساسه المرهف ، فأشاروا على أمه المغنية وأبيه المثال أن يدفعا به إلى من يتعهده بالتوجيه والرعاية ، وفى ظل أستاذه درس الطفل أصول الفن الموسيقى حتى أصبح على مر الأيام أعجوبة بهرت الأنظار والأسماع هنا وهناك !

هذا هو الموسيقار الإيطالى الطفل فيروتشو بوركو الذى تنافس شهرته الآن شهرة الموسيقار الإيطالى الشيخ توسكانينى ... وإذا كان لنا من كلمة نعقب بها حول هذا الموسيقار الصغير فهى أنه يقتصر على عزف موسيقى غيره من عباقرة الفن الذين أشرنا إليهم فى بداية هذه الكلمة أى أنه لم يملك القدرة بعد على التأليف الموسيقى الذى يتمثل فى وضع نوتة من صنع موهبته الذاتية ، ولكن ذلك لا يغض من قيمته لأنه لا يزال فى بداية حياته الفنية التى تنتظرها الأيام ويترقبها المستقبل ، ثم إن توسكانينى الشيخ ذا الشهرة الدوية والمكانة الرفيعة لا يفترق عنه فى هذا المجال ، مجال قيادة الأوركسترا وعزف ألحان الغير ! ... وإذا كان بعض النقاد يشيدون بهذه العبقرية المبكرة فى حياة هذا الطفل الفنان ، فماذا يقولون فى سيد المباقرة موزار ، ذلك الفنان الذى وهب القدرة على التأليف الموسيقى وهو فى الرابعة من عمره ، حتى أن بعض ألحانه الخاصة التى تنسب إليه وهو فى تلك السن يعزفها الآن كثير من قادة الفرق الموسيقية وفى جملتهم بوركو وتوسكانينى؟! هنا يقام الميزان الحق للعبقرية المتفردة !!

بقية الرسائل فى حقيبة البريد :

أقول لصاحب الرسالة الأولى الأديب الفاضل ص . م . ت « عطبرة — سودان » إن الموضوع الذى عرضته على سأكتب عنه فى فرصة مناسبة . وأقول لصاحب الرسالة الثانية الأديب الفاضل عمر عيسى السامرائى « بغداد — العراق » إن تعقيبك على ما رددت به عليك حول ما جاء بكتاب «على هامش السيرة» لا يغير شيئاً من الحقيقة التى أشرت إليها من قبل ، حين نفيت لك ما رميت به صاحب الكتاب من التناقض فى أقواله ، وإذا كنت قد قلت إن ورقة قد قص على نسطاس قصة أخرى فى ص (٥٢) فإنما كنت أعنى أنه قد أفضى إليه بمصدر القصة الأولى الواردة فى ص (٥١) أى أنه سرد له قصة أخرى هى قصة القصة ! وأقول لصاحب الرسالة الثالثة الأديب الفاضل م . س « قنا » إن الإقدام على الأمر الذى حدثتنى عنه خير من الإحجام وأقول لصاحب الرسالة الرابعة بعد شكره على كريم تقديره وهو الأديب الفاضل ابرهيم جوهر « قنا » إنه يؤسفنى ألا تكون « مذكرات إديسون » بين يدى حتى كان يمكننى أن أجيبه عن سؤاله . وأقول لصاحب الرسالة الخامسة الأديب الفاضل محمد المديسى « المديسات » إن مما يحول بينى وبين الكتابة عن الشاعر المصرى الذى أشار إليه هو أنه ليس بين يدى شىء من شعره . وأقول لصاحب الرسالة السادسة بعد شكره على حسن ظنه وهو الشاعر الفاضل محمود البكرى محمد « الكيمان » إن رسالته محل عنايتى . كما أقول ذلك أيضاً لصاحب الرسالة السابعة وهو الشاعر الفاضل محمد مفتاح الفيتورى « الاسكندرية » ... ولهؤلاء الأصدقاء جميعاً خالص التحية .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

اليوم خمر :

افتتحت الفرقة المصرية موسمها الحالي يوم السبت الماضي على مسرح الأوبرا الملكية ، برواية « اليوم خمر » للاستاذ محمود تيمور بك ، وقد أخرجها الأستاذ زكى طليمات المدير الفني للفرقة . وهى مسرحية (كوميديه) تصور حياة الشاعر امرىء القيس شابا لاهيا سادراً فى لهوه وعبثه نزاعا إلى حياة الطلاقة والتحرر مما يعرض له من الأمور الجسام ، حتى الحب الذى أثقله فى النهاية بثلاث نساء ، لم يستطع أن يواجهه ففر منه ...

وتمازج عرض تلك الشخصية صور إنسانية وقيم أخلاقية واجتماعية وقضايا فكرية ، تتخلل كل ذلك مفارقات وطرائف أضفت على جو المسرحية روحا فكهاً مرحا ، جعلها ملهاة من الأدب الرفيع .

وقد قرأت هذه المسرحية عند ظهورها مطبوعة منذ شهور ، ثم شاهدتها على المسرح ، فلاحظت أن المخرج الأستاذ زكى طليمات تصرف فيها تصرفا غايته الاختصار لطولها ، وتيسير بعض كلماتها توخيا للملاءمة بينها وبين الجمهور ، فقد وضعها المؤلف لتكون أثراً أدبياً يقرأ قبل أى شيء ، وقد جعل أسلوبها قريباً من عصرها ولم يبعد به عن ذوق عصرنا ، ومع هذا كان لا بد من أن يصنع المخرج ما صنع ، وهو مع ذلك لم يمس الأسلوب المتين والتركيب القوى . وقد بذل الأستاذ زكى طليمات من فن الإخراج فى هذه المسرحية ما جعل الفن الرفيع يتعاون مع الأدب الرفيع ، وما أظن هذا القول يتعارض مع ما سأتناوله بعد من الملاحظات والمآخذ .

تتكون المسرحية من خمسة مشاهد ، نرى فى الأول امرأ القيس وحاشيته من رفاق وخدم عند غدير دارة جلجل ، يلهون ويقصفون ثم توافيهم هناك الجارية الجميلة « أقحوان » حيث تلتقى بامرىء القيس لأول مرة ، وترقص أقحوان قربانا للصنم « هبل » الذى يتوسط المكان ، ثم تأخذ هى وامرؤ القيس فى مداعبة ومغازلة تنتهى بغضب أقحوان من امرىء القيس لانصرافه عن تقبيلها إلى إطراء عينيها ثم التوجه إلى مناجاة القمر فى السماء ، وتنصرف بعد أن تقول لرفاقه : إن صاحبكم ليتشدق بالطعن والضرب ، آخذاً للحرب أهبتها فى كل وقت ، فإن حانت ساعة العراك تبوأ مقعده يرقب السماء ويحصى نجوم الليل . وهكذا تظهره هراجا نفاجا ليس كمثله هراج ولا نفاج ، كما تقول له .

ثم يقبل سرب من العذارى ، قاصدات غدير دارة جلجل يبتردن ، فيخلون لهن المكان ، ثم يتسلل إليهن امرؤ القيس وحده وقد خلعن ثيابهن — يطفأ نور المسرح فى هذه اللحظة — ويجرى بينه وبينهن حديث طريف ينتهى بإصراره على ألا يدفع إليهن ثيابهن — وقد استولى عليها — إلا بعد أن يخرجن إليه متجردات .

ثم يقبل الملك حجر وبصحبته فاطمة بنت أخيه ، فيؤنب الوالد ولده على مسلكه وتحاول فاطمة أن تلطف من حدة الموقف وتتبين فى أثناء ذلك أن فاطمة فتاة طموح تريد أن تحث امرأ القيس على الأخذ بأسباب المجد ، وهما يتبادلان عبارات الحب والمودة .

وفى المشهد الثانى نرى امرىء القيس فى ناحية من سفح جبل دمون باليمن ، يلعب بالشطرنج مع أحد أصحابه ، وبقية رفاقه على مقربة منه يشربون الخمر وأمامهم قينة ترقص . ثم يقبل عامر ابن معاوية عضد الملك حجر ، متجهم الوجه ، وينعى إلى امرىء القيس أباه الملك ، فيستمر امرؤ القيس فى اللعب غير عابىء بالنبأ ، حتى يتم الدست ... ثم يعلن أن اليوم خمر وغداً أمر ، وينشد :

خليلى ما فى اليوم مصحى لشارب ولا فى غد إذ ذاك بالكأس نشرب

وتدخل عليه فاطمة وتستحثه على الثأر من بنى أسد قتلة أبيه ، فيبدى لها عزمه على المضى فى أخذ الثأر . ثم يأخذ فى تأمل عينيها وهو ثمل يترنح ، فتصده عنها ، فيبثها حبه ، فتعده بمبادلته الحب بعد أخذ الثأر .

وقبل المشهد الثالث نرى على المسرح منظراً عجيبا : سحبا متكاثفة تسير فى جو البادية ، ونسمع خلال سيرها صوت الأستاذ زكى طليمات يحدثنا حديثاً موجزاً عن حروب امرىء القيس مع بنى أسد وانتصاره عليهم وإيقاعه بهم ، وعودته إلى الشرب واللهو

بعد ما نال منهم ما عده ثأراً ، وتحريض ابنة عمه فاطمة له على الاستمرار فى حروبهم .

والواقع أن هذا الحديث إجمال لما حدث فى فصل حذف من أصل الرواية ، وكان ذلك ، مع منظر السحب الملائم للحوادث ، تجديداً رائعاً فى المسرح المصرى .

ثم يأتي المشهد الثالث وهو فى كهف بشمال اليمن حيث يجلس امرؤ القيس مهموماً ، ينتظر عامر بن معاوية الذى أرسله إلى رؤساء القبائل يستنجد بهم ، بعد أن خزلته قبيلتا بكر وتغلب ولحقته الهزائم . وتقبل عليه فاطمة ، فيغلظ لها فى القول ، ولكنها تحزن لمرآه وتتود إليه وتعبر عن ندمها على تحريضه حتى أوقعته فى هذه الحال ، وتنقلب إزاء تجهمه لها أنثى وديعة محبة مستسلمة ، وما تزال به حتى يلين لها ويعاهدها على الحب . ويقبل عامر وينهى إليه أن أحداً لم يستجب له ، ثم يشير عليه أن يتوجه إلى الحارث الغسانى بالشام ليستعين به ، وهو عدو المنذر الذى أعان بنى أسد وأهدر دم امرىء القيس .

ولكن صديقا لامرىء القيس « صمصام » عاد من رحلته التجارية وأقبل عليه فى هذا الموقف ، فأشار بالتوجه إلى قيصر بالقسطنطينية ، ويقول فيما يقول لامرىء القيس إنها عروس المدائن وتزخر بالحسان والخمر المعتقة ... ويعلن الرحيل إلى القسطنطينية .

والمشهد الرابع فى حانة ميخايلوس بالقسطنطينية حيث نرى أبا زبيبة وحنظلة خادمي امرىء القيس يشربان ويغازلان لاريسكا ابنة ميخايلوس ومينورقا الفتاة الخليعة بالحانة . ويظهر لنا من الحديث أن لاريسكا قد أحبت امرأ القيس ، وأن المدينة تردد نبأ العلاقة الجديدة بين الفتى العربى (قيس) وبين ابنة القيصر التى أحبته . ويقبل امرؤ القيس إلى الحانة . وفيما هو ولاريسكا يتبادلان عبارات الحب يقدم عامر بن معاوية وفاطمة ، فتنصرف لاريسكا وتتسمع حديثهم الذى يتضمن أن كسرى مستعد أن ينصر امرأ القيس الذى يتأبى أن يلجأ إلى عدو قيصر بعد وعده المعونة على أمره .

والمشهد الخامس فى الحانة أيضاً ، وبينا حنظلة يغازل مينورقا يقبل امرؤ القيس ، ثم تقبل فاطمة وعامر وصمصام ، وتقدم ابنة القيصر لتلوم امرأ القيس على غشيانه هذه الحانة

كشكول الأسبوع

▫ كان المقرر من قبل أن الدكتور طه حسين بك هو الذى سيستقبل صديقه الأستاذ أحمد حسن الزيات فى حفلة الاستقبال العلنية التى ستقام فى مجمع فؤاد الأول فى الساعة الحادية عشرة من يوم الإثنين المقبل ، ولكن تأخر الدكتور طه فى انجلترا لن يمكنه من حضور الحفلة ، ولذلك سيقوم باستقبال الأستاذ الزيات صديقه الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك .

▫ وافق مجلس الوزراء على إبرام اتفاق ثقافى بين مصر وبلجيكا ، ومن أهم ما يتضمنه هذا الاتفاق أن تبذل كل من الحكومتين قصارى جهدها لكى تلقى فى جامعاتها محاضرات فى لغة البلد الآخر وآدابه وتاريخه وغير ذلك مما يتصل به ، وأن تقوم الحكومتان بتسهيل وسائل البحوث العلمية والثقافية التى تجريها جماعة من البلدين

▫ عرف الدكتور ابراهيم ناجى الأسلوب بأنه أقصر خط بين قلب الكاتب وقلب القارىء .

▫ ينص قانون الإذاعة الجديد على ألا يكون أحد أعضائه عضواً بالبرلمان . ولهذا سقطت عضوية طراف على باشا وزكى على باشا والأستاذ عباس محمود العقاد ، ويعمل ولاة الأمور الآن على تعيين ثلاثة مكانهم .

▫ فاز الأمباشى خليل حسن خليل ، أحد جنود الجيش ، بشهادة (الليسانس) من كلية الحقوق مع درجة جيد ... وهو حدث اجتماعي ثقافي يجب أن يبرز ويأخذ مكانه من الاعتبار والتقدير .

▫ اعتنقت الأديبة الانجليزية فيلبس د . كرامن — الإسلام ، وهى تقول إن الإسلام أضمن طريقة لنشر الأخوة والعدالة الاجتماعية ومنع الحروب فى هذا العالم المضطرب .

▫ استمعت فى « ركن الريف » بالإذاعة ، هذا الأسبوع — إلى تمثيلية عنوانها « صوت الضمير » فعجبت لما تضمنته من الأذان لصلاة العيد ... والفلاحون يعرفون جيداً ما يجهله المؤلف والمخرج من أن صلاة العيد لا يؤذن لها .

▫ كانت الفرقة المصرية أعلنت بعض المسرحيات التى ستقدمها فى هذا الموسم ، ومن بينها « رصاصة فى القلب » فلما عاد مؤلفها الأستاذ توفيق الحكيم من باريس وعلم بذلك ، أبلغ الفرقة أن العقد المبرم بينه وبينها لتمثيل هذه الرواية قد انتهت مدته فى العام الماضى ، وقد كان الاتفاق أن يقوم ببعض الأدوار الهامة ممثلون معينون ، لقاء نسبة مئوية من الأرباح تدفع لهم وللمؤلف ، ولكن ذلك لم يتيسر . وترى الفرقة أن هذا لا يتفق وما تنتظره من معاونة كبار المؤلفين على تأدية رسالتها .

▫ تقدم عدد كبير من الطلبة والطالبات فى هذا العام إلى المعهد العالى لفن التمثيل العربي ، راغبين الالتحاق به . ومما يذكر أن ثلاثين فى المائة منهم حاصلون على شهادات عالية .

▫ جاء من روما أن قداسة البابا يدرس الآن اللغة العربية بإشراف ثلاثة من رجال الدين العرب فى الفاتيكان وأن قداسته تقدم فى هذه الدراسة وهو يشعر بلذة فى تعلم العربية .

الوضيعة . ويقف امرؤ القيس بين ثلاث محبات يتنازعنه : فاطمة وابنة القيصر ولاريسكا . وفجأة يدخل صاحب شرطة قيصر يريد القبض على هؤلاء البدو بتهمة التجسس لكسرى . ويتضح أن لاريسكا هي التي أبلغت أمرهم ، لتحول دون رحيل امرىء القيس ويتصدى امرؤ القيس للشرطة ويأبى أن يسلم فاطمة وعامر وصمصاماً ، ويستل سيفه وتدور بينه وبين الشرطة معركة يقضى عليهم فيها ، ويصيح بأهله أن يقفزوا من على سور الحانة إلى البحر ويلحق بهم ، يطلبون في البحر مهرباً .

الصورة الواضحة لامرىء القيس في الرواية هي أنه فتى عابث ماجن نفاج لا يعرف الجد ولا يتحمل التبعات ، ولكن امرأ القيس « الشاعر » لا يكاد يوجد فيها . نعم إنه أنشد أقحوان بيتين ، وروى خادمه أبو زبيبة الأبيات التي مطلعها :

سموت إليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالاً على حال

وأنشد بضعة أبيات بالمشهد الثالث . ولكن كان ذلك ضئيلا لا يكون للشاعر صورة ، وقد حذف جزء من الفصل الأول كان فيه ينشد أبياتاً ظريفة لمذارى الغدير . وكان هذا الجزء بسبيل إلى إبراز صفة الشاعرية . ومن تصرفات امرىء القيس القليلة الدالة على رقة الشاعر وإنسانيته ، موقفه أمام الغزال الذى اصطاده وأسفه على أن صرعه وقوله في ذلك : ألا يستطيع المرء منا أن يأكل دون أن يقتل ؟

ولم يكن تغزله بفاطمة ليلة نعى أبيه وهى مكتئبة حزينة باكية وإلحاحه في مداعبتها وعجاذبتها على هذه الحال ، مما يتفق والإحساس الدقيق النبيل الذى يتميز به الشاعر ، بل كان هذا الموقف أدنى إلى الحيوانية ، ولا يبرره السكر ، فإن الإحساس الأصيل لا يتغلب عليه شيء . والطبع الفنى الرقيق لا يخرجه العبث والمجون عن دائرة مشاعره الإنسانية العالية .

والفصل الثالث الذى اضطر المخرج إلى حذفه ، كان يحتوى أمرين مهمين ، أولهما بيان خلة امرىء القيس في حرصه على ألا يضيع حظه من اللهو والشراب طويلاً ، فما إن نال من بنى أسد بعض النيل حتى هرع إلى اللهو وإباحة الشراب .

الأمر الثانى تصوير فاطمة وهى تجد في العمل على مواصلة القتال وتحريض امرىء القيس ، وهذا التصوير ضرورى لكى يدرك المشاهد روعة انقلابها عند ما أعرض عنها امرؤ القيس وأغلظ لها فإن هذا الانقلاب الشعورى لمة في أثناء الحوادث يدل على حرص الأنثى على الناحية العاطفية مهما اشتدت وتطلعت إلى المجد . ولم يكن الحديث الموجز الذى نطق به الصوت المسموع كافياً لإبراز ذينك الأمرين .

وفى المشهد الثالث عند ما يئس امرؤ القيس من مساعدة من استنجدبهم نراه يستغرق في تأملاته وتفكيره استغراق المجرب الذى عرك الحياة وعلمته الشدائد ، فيتحدث عن تغير الأصدقاء ، وعن قيمة الحياة وهل هى المتعة بإشباع البطن وقضاء الشهوة يستوى فى ذلك الإنسان وغيره من الحيوان ، أولها أهداف ومقاصد يسمى إليها كل ذى عقل ورشد ، ويتحدث عن القدر وموقف الإنسان منه حتى ينتهى إلى أن القدر لا يستطاع دفعه ولكن للانسان تبعته ونصيبه ، فالأقدار يد تدفع ولكن إرادة الإنسان تغالب .

وقد كان هذا الموقف يثقل على المشاهدين لولا ما تخلله من مفاكهات الخادمين حنظلة وأبي زبيبة ، فالأول يرى أن القدر هو كل شيء فقد رمى الوعل بأسهم عشرات فما أصابت منه مقتلاً ، وشاء القدر أن يرتطم فى حفرة فناله بلا كد ولا عناء . ويرى الثانى أن الإنسان إن لم تكن له إرادة لم يتيسر له مطلب ، كيف استمتاعك بالمرأة إذا لم تسع جاهداً حتى يتبدل عسرها يسراً ويعود جماحها ميلاً وانعطافاً ؟

وهكذا نرى تلك الأفكار تساق فى مساق ظريف يندى جفافها على المشاهدين . ولكن فى بعض الفترات خلا امرؤ القيس إلى نفسه وأطال فى المناجاة حتى أمل ، وحدث ذلك مرتين ، أنهى الأولى دخول حنظلة ، وأنقذ الجمهور فى الثانية قدوم صمصام .

وقد كانت الخاتمة جيدة فى أمر ، ومضحكة فى أمر آخر ، فقد كان رائماً ألا يتخلى امرؤ القيس عن أهله ويقف بالسيف دونهم على رغم إغراء البيئة التى أغرق فيها . أما القفز إلى البحر والهرب فيه مجاهرة من قيصر وشرطته ، فلا أستطيع أن أتصور عجز الحكومة القيصرية عن اللحاق بأربعة من البدو متهمين بالتجسس للعدو ، يقلعون من شاطىء القسطنطينية أمام الأبصار .

وجهد الأستاذ زكى طليمات فى إخراج الرواية ، بارز عظيم ، وقد جسم الجو البدوى الملائم للحوادث على المسرح ، ووفق فى



الوعى الأدبى فى الرسالة !

١ — يعجبنى كتاب الرسالة وقراؤها الكرام ، فهم بحق وبلا منازع تلك الفئة المستنيرة التى تتذوق الأدب وتتعشقه ، وتتعرف فنونه وأساليبه ، وتتفانى فى خدمته ، فلا عجب إذا رأينا ألا تفلت منهم صادرة أو واردة من القول ، حتى يتعرفوا مصدرها ويسبروا غورها ؛ فهم تارة يظهرون عوار الكاتب إذا لحن أو زل قلمه فمزا قولا لنفسه ولم يرده إلى قائله ، أو نقل فكرة أو قصة ونسبها إلى قلمه زوراً .

وهاهى أقلام كتابها تتبارى ولا تفتأ تذكر أن تلك الفكرة لفلان ، أوأن هذه القصة من وضع فلان، أوأن هذا المقال قد نشر فى مجلة كذا للمرة الثانية ، حتى أصبحت الرسالة النيرة مضرب المثل فى التثبت والتحقيق والتدقيق والأمانة الأدبية الممتازة ، فهى لا تحابى صديقاً أو تغمط عدواً ، لأن مركزها الأدبى يحتم عليها أن تقوم بالقسطاس ، وهو الذى أهلها لتلك المنزلة الرفيعة بين زميلاتها.

أكتب هذه الكلمة البريئة — والأسف يملأ النفس — إذ أنظر إلى مقال قد نشر مرتين فى وقت واحد وفى قطر واحد تحت عنوانين مختلفين — وصلب المقال واحد لم يتغير — وذلك المقال قد نشر فى مجلة الأزهر الرسمية فى الجزء السادس ص٥٥٥ من المجلد الثامن عشر تحت عنوان « على قيثارة الذكرى » ثم نشر فى مجلة الأمانة فى العدد السابع ص ٢٦ من المجلد الأول تحت عنوان « ليلة كاملية » . وها قد مضى على نشر هذا المقال بصورتيه مدة طويلة وقراء الأزهر والأمانة فى سبات لم يحرك أحدهم ساكناً ، وفات الأستاذ الفاضل أن يشير إلى ذلك — حتى لا يعاتب أو يؤاخذ — على هامش أحد المقالين .

ولا أدرى السبب الذى دعا فضيلة الأستاذ وهو عالم ومدرس بالأزهر إلى ذلك ، بل ما سبب تغيير العنوان على هذه الصورة المريبة ؟ نريد جواباً !

وبعد فنحن فى عصر كثرت فيه الأقوال بلا ميزان ، وقلت بل عزت الأفعال ، وكثيراً ما تخطر الفكرة ويسطرها القلم ثم تحجم النفس عن إرسالها للنشر ، حتى لا تكون حجة أمام الله سبحانه وتعالى .

على أن العبرة ليست بكثرة الكتابة والتحبير فى الجرائد

توزيع الأدوار على قدر الإمكان ...

وقد مثل « امرأ القيس » أحمد علام ، فنهض بالدور وإن لم يكن نجاحه فيه كاملا ، وذلك أنه لم يعبر عن طبيعة امرىء القيس الماجنة ، لا بالصوت ولا بالحركات ، ولم يكن يظهر عليه المرح فى وقته كما ينبغى أن يظهر ، ولم يكن ثمة فارق كبير بين أحواله المختلفة فى الإلقاء ونبرة الصوت ، وأحمد علام أليق بالأدوار الجدية كدور مجنون ليلى منه بمثل هذا الدور العابث الماجن .

وقد تبين كسله فى حفظ دوره ، وهذا الكسل وإن كان ملحوظاً لدى أكثر الممثلين والممثلات ، إلى أنه كان ظاهراً فى أحمد علام الذى كان يعتمد على الملقن حتى إنه كان ينطق ببعض الجملة ويصغى إلى الملقن ليسعفه ببقيتها . ويبدو أن الممثلين والممثلات لم يمرنوا التمرين الكافى على سلامة النطق وتصحيح اللغة ، فقد عم التكسير فى الكلمات وضبطها ، ولم يكن ذلك منتظراً ولا لا نقاً بأستاذ كأحمد علام .

ومثلت « فاطمة » فردوس حسن ، فأجادت التمثيل وأدت دورها أداء باهراً ، ولم ينقصها غير النطق العربى الفصيح ، وهذا غير سلامة الضبط ، إنما هو اللهجة وكيفية إخراج الكلمات ، وأظهر ما فى نطقها دغم الكلام وعدم الإبانة . ومن المفارقات أن اللائى مثلن لا ربسكا (إحسان شريف) ومينورقا (زوزو حمدى الحكيم) وابنة القيصر (روحية خالد) كن ينطقن نطقاً عربياً — وهن يمثلن أعجميات — أحسن من نطق فردوس وهى تمثل فاطمة العربية .

أما فؤاد شفيق فأنا معجب به لظرفه وقدرته على أداء هذا الظرف باللغة الفصيحة ، وهو روح نابض فى الرواية ، وقد مثل « حنظلة » .

وقد وفق سائر الممثلين والممثلات فى الاندماج فى أدوارهم ، وخاصة فاخر فاخر « صمصام » وكان حسن البارودى فى دور « قبيصة بن نعيم » موفقاً فى التعبير بصوته وإلقائه إلى حد بعيد ، عند ما تكلم عن وفد بنى أسد إلى امرىء القيس .

عباس خضر

والمجلات على أية صورة ، وإنما تقاس قيمة الكاتب الناضج بمقدار ماينتج ممايفيدقراءه في حياتهم العاجلة والآجلة ، وإلا كانت الكتابة من الترهات التي هي وعدمها — في نظر العقلاء — سواء .

٢ — انقطعت الأخبار من مدة وزاد الحنين إلى الجار العزيز الأستاذ على الطنطاوى فهل نرى قلمه يصف « مأساة فلسطين » نرجو أن يفصح ويجيب مع قبول التحيات .

(شطانوف) **محمد منصور خضر**

التم وليس البجعة :

يكثر فنانو الغرب من تسمية بعض أعمالهم الفنية باسم الطير المائى المعروف بـ Swan ، واعتبارهم إياه مصدر وحى لهم .

ولعل السبب فى ذلك هو أن لهـذا الطير منظراً جذاباً ، ومنه استـوحى تشايكوفسكى رقصة (بحيرة الـ Swan) ومنـه استلهم تشيخوف تمثيليته ذات الفصل الواحد المعروفه بـ (أغنية الـ Swan) .

ومما يثير الدهشة أن أدباء مصر وفنانيها قد أجمعوا على تعريب كلمة Swan هذه بـ (البجعة) ، وهذا خطأ لغوى وفنى كبير لأن البجعة هى غير الـ Swan .

فالبجعة هى طائر مائى أيضاً لـكنه عريض المنقار طويله ، له حوصلة عظيمة تحت منقاره ، يخزن فيها كية من الأسماك .

وأما التم فهو طائر مائى له عنق طويل معقوف على شـكل حرف S ، عادى المنقار ، قصير اليدين وتقعان إلى القسم الخلفى من جسمه .

والتم طائر أبيض ، أرستوقراطى الشكل ، كان يعتبر فى كثير من الممالك الأوربية طيراً ملـكياً ، ولا يحق لأحد غير الملك أن يقتنيه إلا بإذن ملـكى خاص .

ومن التم ما يسمى بالمصفّر Whistling Swan ، فهو يصفر صفيراً ملحناً ، ويشدو بأنغام جميلة جداً ، ويشتد غناؤه إذا ماجرح أو وقع فى ضيق .

يروى أهل الغرب أسطورة عن هذا الطير بقولهم أنه يغنى اللحن الأخير قبل موته ، ومن هنا جاء قولهم (أغنية التم) أى آخر عمل يقوم به الفنان وهو مشرف على أبواب الأبدية ، ومن هنا جعل شكسبير أميليا تقول فى (عطيل) « سأمثل دور التم وأموت فى الموسيقى » .

فالبجعة هى طير الـ Pelican والتم هو طير الـ Swan فهل لنا أن نميز بينهما ؟ . .

(ليماسول — قبرص) **نجاتى صدقى**



انهيار جــــدار

مترجمة عن الانجليزية

بقلم الآنسة سلوى الحومانى

كان ضحى يوم من أيام نوار الضاحكة وقد أشرقت الطبيعة بابتسامة الربيع، فرفلت الحقول بحلته الزمردية المزركشة، وعبق الجو بأنفاس الزهور العطرة. وانطلقت الطيور صادحة تبنى أعشاشهـا على أفنان الشجر وبين العشب النامى فى مرتفعات الأرض التى بدت بانحداراتها كستائر من السحر أو كلوحات فنية هى أروع ما أبدعت يد عبقرى.

فى ذلك اليوم المشرق، وفى حقول قرية « هاثرتون »، كانت « جيزيا أنوين » القروية الحسناء تنحدر مسرعة إلى تلك القرية وقد حملت سلة بيض توصلها إلى السيدة « برسكاوف » العجوز كهدية من إنتاج طيورها التى تفننت فى تربيتها فى مزرعة أبيها الوسر.

كانت جيزيا تبدو آية من آيات الفن بثوبها الأزرق البديع الصق بقدها السمهرى بزهو وخيلاء، وقبعتها الباريسية الأنيقة التى علت رأسها الجميل تحاكى زهور الأرض روعة وجمالاً. فكأنما كانت تلك القروية مرآة للربيع الغض الزاخر بالحياة، فصاغت من ثراء أبيهـا حلل الأناقة والفن يعينها على ذلك ذوقها السليم وجمالها الفتان.

كان جمالها حديث أهل القرية ومطمح عيون الشـبان فيها ومعقد آمالهم، فتسابقوا عليها يطرحون بين يديها قلوبهم ومهجهم. فلم يرض واحـد منهم طموحها، فضاقت بهم ذرعاً وطغى بها غرورها فراحت تسخر منهم وتهزأ بعواطفهم المحمومة ثم بالغت فى القسوة حتى لم تتورع عن صب وعاء من الماء البارد على راس هائم جاء يشكو إليها لواعج قلبه فلم ترقها لعثمته ولهجته الحمقاء. وبعد أن استرد روعه من تأثير الماء طردته بلطف وهى تربت على كتفه باسمة وتقول بهزء: ظننتك محموماً تهذى يا عزيزى فأسعفتك بالماء البارد.

وكذلك قصتها مع « ريف بارامور » زميلها فى الدراسة ورفيق صباها الذى قطعت معه مرحلة الطفولة العابثة المرحة فلعبا الحلجة وفتشا أعشاش العصافير ركضاً معاً فى حقول القرية يمثلان لعبة « الاستخفاء » حتى إذا داعب الشباب قلبيهما بنسمات الحب، تعالمت الفتاة حولها حيرى، وسعى الشاب إليها يطرح بين يديها قلبه وماله ومستقبله. فصدمت بمنظره المتخاذل الذليل، وكلماته المترددة المتلعثمة، ولهجته البلهاء المتهـالكة، فطردته شر طردة هازئة ساخرة.

ولـكن هذه المعاملة لم تزد الفتى إلا حباً وهياماً. بل أن هذا الحب ظل يضطرم ويشب مع الأيام كلما ازدادت الفتاة حياله بروداً ونفوراً.

ولنعـد الآن إلى جيزيا وهى تقطع تلك الحقول مسرعة إلى قرية هاثرتون. ووقفت فى منعطف يؤدى إلى الطريق العام تفكر فى أى الطريقين أقصر إلى القرية. فرأت أنها إذا اتبعت الطريق العام فسيكون عليها أن تقطع مسافة ميلين لتصل إلى بيت السيدة برسكاوف فى تلك القرية. ولـكن إذا اختصرت فسلكت هذا الحقل الوعر الذى ستعترضها فيه انحدارات خطرة وكثير من النباتات المتشابكة وصفوف من الحيطان المترنحة الواهية البناء، بذلك تستطيع أن تصل إلى القرية فى أقل من ربع ساعة.

قالت: هـذه حقول ريف بارامور، وأعتقد أنه ليس فيها اليوم فسأغامر وأقطعها لأنى متضايقة من الحر فلا أستطيع المشى طويلاً فى الطريق العام.

ووضعت السلة من يدها وجعلت تزحف بين النباتات البرية النامية وخلال الأغصان المتشابكة حتى كانت بعد دقائق على ضفة جدول كبير تجتازها بحذر وتماسك لئلا تزل قدمها وتقع فيه. ووصلت إلى رأس منبعه حيث يتفجرمن خلال كومة من حجارة رملية فتسلقتها بخفة وقفزت إلى حقل قمح منبسط انطلقت تمشى فيه براحة واطمئنان يغمرها النبات المتطاول، حتى رأت أمامها حائطاً عالياً يعترض طريقها.

كان هذا الحائط صعب التسلق لضعف بنائه وتداعى حجارته . ولكن هذا لم يثبط من عزمها ولم يضعف همتها وهى الفتية النشيطة ، فلم يحفل أمامه ولم تحجم عن تسلقه . فوضعت سلة البيض على حجر ثابت فيه ، وبدأت تصعد بخفة ونشاط . ولكن راعها أن رأت خطر الصعود أشد مما كانت تتصور . فكانت نتوء حجارة الكلس تتفتت تحت قدميها حتى كادت تهوى إلى الأرض لولا جهد المستميت .

وكادت أن تصل أعلى الحائط عندما هلع قلبها وهى تراه قد بدأ يميد بها ويهتز تحت ثقلها فما أحست إلا وهى ترمى بنفسها إلى الأرض وقد انهار من ورائها .

ونهضت مذعورة فزعة ، ولكن سرعان ما زال خوفها وانبسطت أساريرها ولمعت عيناها بخبث وهى تنظر إلى الجدار المنهار ثم قالت بحقد وتشف : أنه سيكون شغلاً مناسباً لريف الأبله أن يعيد بناءه ، ولسوف أهدمه ثانية وثالثة ، أيضاً كلما بناه ، فالتعب هو أنجع دواء للحمق المائعين أمثاله .

ولدى آخر كلة قالتها إذا بعينيها تتسع ذعراً وتند عنها صيحة مكبوتة عندما حانت منها التفاتة فرأت من ورائها تماماً ريف بارامور .

لقد كان ريف بعينه جالساً إلى جذع شجرة منهمكاً فى صنع أوتاد خشبية . وكان ينظر إليها وعلى فمه ابتسامة الظفر .

فأسرعت جيزيا واختطفت سلة البيض وركضت هاربة . ولكن ريف قفز وراءها يتبعها بخطوات واسعة ويقول: لقد سمعت كل ما قلت يا جيزيا ، ولا أظن أنك بهذا العمل على شىء من النبل أو اللطف ، ولكن على أى حال فأنت تعرفين العادة فى قريتنا التى تحتم على من يهدم جداراً أن يبنيه بنفسه ، لذلك فأنت الآن يجب أن تبنيه كما هدمته .

فوقفت جيزيا تنظر إليه بازدراء وتتحداه قائلة: كلا لا أريد أن أبنيه.

فقال ريف بتهكم : ولكنك ستبنينه لأننى سأجبرك على ذلك.

فغاض لونها وقالت : إن سخرية الاقدار أن تكون أنت أول رجل يجبرنى على عمل لم يخطر لى على بال . تنح جانباً ودعنى أذهب .

قال كلا لن أفعل ، فأنت معتدية ، والمعتدى يجب أن يدان ، وأنا الذى سأدينك بأ كراهك على بناء الحائط بنفسك .

فقالت بصوت مختنق : إذا فعلت هذا فسأملأ الدنيا صراخاً.

فقال بتهكم : إصرخى ما شئت فلن يسمع صراخك فى هذا الحقل النائى أحد غيرى .

فلم تجد جيزيا بداً من التنازل عن كبريائها فقالت بلهجة المتوسل : ليس من النبل والرجولة فى شىء أن تجبر فتاة مثلى على هذا العمل الشاق يا ريف . فأنا لم أخلق لبناء الجدران .

وكأن لهجتها الرقيقة هذه قد حركت أوتار قلب ريف ، فتبدلت ملامح وجهه فجأة وجمل يتفرس فيها برهة ثم قال : إن بناءك للحائط سيكون لك درساً فى إذلال كبريائك كما أذللت كبريائى من قبل بطردى من بيتك ، أتذكرين ..؟ والآن هيا اشرعى فى البناء .

فراعها أن لا تخفف توسلاتها من عناده شيئاً . ولأول مرة فى هذه المناقشة رفعت رأسها إليه تتأمله بأمعان . فتصنع هو الصرامة والعبوس . وتقلصت عضلات وجهها إشمئزازاً من خلقته . يا لله ما أغلظ هذا المخلوق الواقف أمامها بوجهه الكالح المكفهر وقامته المتخاذلة وثيابه الشعثة التى تتصبب عرقاً ! إن ظنها لم يخب فى أنه أبشع رجل فى العالم ، وأقسى رجل أيضاً . ما أقسى هذا الجنس وأظلمه ، لقد اقتنعت الآن فقط أن الرجال أفظع المخلوقات وأنه لا يوجد واحد منهم جدير باسم رجل .

وأحست بأن أعصابها تكاد تنفجر غيظاً فأشاحت بوجهها عنه حانقة ، ولمعت عيناها حقداً ، وارتجفت شفتاها فى ثورة مكبوتة . ودمدمت بحدة قائلة : إننى أمقتك يا هذا ، أنت تريد أن تقضى على بهذا العمل ، فأنا لست رجلاً حتى أستطيع بناء الحائط .

فانفجر ريف ضاحكاً وقال : إنك تجورين على بهذه التهمة يا جيزيا . فما أردت باجبارك على بناء الحائط إلا تلقينك درساً عملياً فى احترام كبرياء الغير كما أخبرتك الآن . أما وأنت تصرين على الاعتقاد بأن هذا العمل سيقتلك حقاً ، فأنا لا أريد أن أحمل ضميرى وزر قتلك . لذلك فانى سأساعدك فى بنائه ، سأجنبك المهمة الشاقة فيه فأجمع الحجارة الكبيرة الثقيلة وأنت عليك جمع الصغير منها .

فلم تجب جيزيا بكلمة ، ولكنها جعلت تنزع قفازها الأنيق بألم وقنوط ثم بدأت تشتغل بتثاقل وصمت والدموع تترقرق فى مقلتيها.

وابتسم ريف بخبث وهو يرى عملها البطىء وأحجارها التى

لا يزيد أحدها عن حجم التفاحة .

واستمرا يشتغلان دون أن ينبس أحدهما ببنت شـفة حتى تم بناء صفين من الحجارة وكان الوقت قد صار ظهراً فقال ريف : يظهر أن بناء الحائط سيستغرق معنا يوماً كاملاً ، والآن قد حل وقت الغداء فهيا إلى ظل الشجرة لنتغدى معاً بما كنت أحضرته من خبز وجبن .

فقالت هامسة فى استنكار : أنتغدى معك تحت الشجرة . ؟ ولكن ماذا يقول الناس عنى إذا عرفوا . ؟ بربك أعفنى من هذا . فأجابهـا وقد عاد إلى تقطيبه : بل يجب أن نتغدى معاً فسوف لا أخبر أحداً بذلك .

ورأت جيزيا نفسها مجبرة على طاعته فانقادت له صاغرة . ولم تستطع ازدراد الطعام لانفعالها ، وأحست به يلتصق بحنجرتها فقامت متظاهرة بالشبع تبغى العودة لعملها .

ولـكن ريف استبقاها إلى جانبه قائلاً : أنا معتاد أن أدخن غليوناً بعد الوجبات . دعينا نستمد ذكريات الطفولة فى هـذه الأثناء . أتذكرين عندما كنت أتسلق أعالى الأشجار لأجلب لك العصافير من أعشاشها ..؟

فنفضته جيزيا بنظرة حانقة لهذا الأسلوب الكريه الذى يحاول أن يستعيلها به ثم مشت عائدة إلى عملها دون أن تنبس بكلمة .

ولاحظ عليها ريف أنها نشطت فى عملها عما قبل ، فراحت تسرع فى جمع الحجارة قلقة وجلة كلما انحدرت الشمس نحو المغيب. فقابل هو إسراعها ووجلها بالبرود والبطء فى عمله دون رحمة أو شفقة . حتى إذا ما قارب النهار الزوال ، ورأت الحائط لم يتم منه النصف ، نظرت حولهـا جزعة ، ثم ارتمت على الأرض تبكى بحرارة .

وفوجىء ريف ببكائها الذى لم يكن يتوقعه منها وهى العنيدة الصلبة . فشعر بخطئه فى تلك المعاملة القاسية لها فتألم واضطرب خوفاً من سوء العاقبة . وقال يخاطبها برقة : جيزيا ما بك . ؟ أعتقد أننى أتعبتك كثيراً . فى وسعك أن تذهبى الآن وأنا سأكمل بناء الجدار وحدى .

ولشد ما كانت دهشته عندما رآها تهب واقفة قبل أن يتم كلامه وتمسح دموعها بسرعة وتعود إلى عملها نشيطة فى جمع الأحجار أكثر مما كانت عليه . فردد فى نفسه : يا لهذه الفتاة الصلبة ! إن كبرياءها لم تتحطم بعد ، فهى تأبى مظاهر الضعف والذل فى بكائها الذى استدر عطفى .

وأحس بالشـفقة نحوها ، فراح يساعدها بهمة لا تعرف الـكلل حتى تم بناء الحائط بعد ساعتين .

عندئذ أسرعت جيزيا وقبل أن تلتقط أنفاسها ، إختطفت سلتها بحركة غضبية وراحت مهرولة فى طريقها إلى القرية . كانت صامتة واجمة شاحبة الوجـه تعتسف طريقها الشائك مستجمعة قواها المحطمة .

وشعر ريف بالندم وهو يراها فى هذه الحال المؤلمة ، وأنبه ضميره بشدة وعصر قلبه الألم فأسرع وراءها يصيح معتذراً : جيزيا إننى أسألك المعذرة .

فوقفت جيزيا ووضـعت سلتها على الأرض وبسطت أمامه يديها تقلبهما لتريه أصابعها الدامية وبشرتها التى شوهها العمل وملأها بالخدوش والجروح .

فاغرورقت عينا ريف بالدموع وقال : يا فتاتى المسكينة هلا صفحت عنى ..؟

وكأن لهجته الرقيقة المتوسلة قد لامست أوتار قلبها فمحت منه كل حقد واستياء وتبينت فيه الإعياء الشديد . فنظرت إلى وجهه المـكدود وجسمه المرهق من عناء العمل فشعرت بخطئها فى هدم الحائط وخلق هذه المتاعب لهذا الرجل البرىء . فنظرت إليه بعطف وقالت متلعثمة : وأنت أيضاً تعبت مثلى فى بناء الحائط ياريف ، وأنا كنت السبب ولـكن أعدك بأنى لن أهدم لك حائطك بعد . فاقترب منها ريف وأمسك بذراعها قائلا برقة : ما كنت لأضطرك لبناء الحائط لولا حبى لك يا جيزيا . إنها فرصة خلقتها للتمتع بقربك يا حبيبتى بعد طول نفورك .

وحركت مشاعر جيزيا لهجة ريف العذبة ، واستهوتها غايته تلك . استهواها هذا الحب المحموم وهذه العاطفة الجياشة حيالها . ورأت تلك الشخصية الضـعيفة المتخاذلة وتلك اللهجة المترددة الآثمة حين باح لها بحبه أول مرة فاستثار نقمتها حتى طردته ، رأت الآن كل هذا يتوارى خلف هذه اللهجة العذبة ممتزجة بهذه الشخصية القوية الجبارة التى فرضت عليهـا طاعته وأرغمتها على الخضوع لرغبته . رأت كل هـذا فأحست بأن هذه الشخصية القوية الرقيقة ، الناعمة الخشنة ، القاسية اللينة قد ملـكت قلبها . فأغمضت عينيها نشـوى ثم مالت عليه تدفن رأسها فى صـدره هامسة : لقد بدأت أحبك يا ريف .

فطبع ريف على فمها قبلة فاتحة عهد جديد .

سلوى الحومانى

مطبعة الرسالة



العدد ٨٥٠ — الاثنين ١٧ أكتوبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

٣٣٠٣١

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 em Année No. 850

Lundi — 17 — 10 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات
الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد «٨٥٠» القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ ذو الحجة سنة ١٣٦٨ — ١٧ أكتوبر سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

أنطون الجميل باشا :

خطبة الاستقبال

فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية

سيدى معالى الرئيس ، إخوانى ، سيداتى ، سادتى :

اسمحوا لى أن أتقدم بأجزل الشكر وأخلصه إلى إخوانى الذين تفضلوا فشرفونى بانتخابهم إياى زميلاً لهم فى هذا المجمع الوقر . وإنى أسأل الله أن يعيننى على استحقاق هذه الثقة الغالية ، وأن يُقدرنى على تكاليف هذا الشرف المظيم . ثم أخص بأجل الحمد وأطيبه صديقى الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك على استقباله الذى أشاع فيه من سراوة خلقه وسخى تقديره ما هز من عطفى وبسط من انقباضى . وإنى لأذاكره فى غبطة ولذة ما يحمل كلانا لأخيه من ذكريات عذاب نشأت منذ أكثر من ثلاثين عاماً فى ظلال الشباب وكنف الأخوة ، ولا يزال لها فى النفس إشراق وبالقلب نوطة . وأشهد لقد لابسته تلك السنين الطوال فزاملته فى جهاد العيش ، وآخيته فى نسب القلم : فى المدرسة الأعدادية ، وفى لجنة التأليف ، وفى تحرير (الرسالة) ، فلم أره تخلف يوماً عن مكانه بين أولئك الذين يعرفون كرامة النفس ، ويحفظون غيب الصديق ، ويقيمون قواعد العمل والمعاملة على أساس العلم والخلق .

ثم أرجو — أيها السادة — أن تشاركونى فى دعاء الله رب جميع الناس أن يتغمد برضوانه وغفرانه فقيدنا الكريم أنطون الجميل باشا . وإنى لأعترف أن خسارة المجمع فيه لن يعوض منها أن يكون خلفه مثلى . ولا أقول هذا مجاملة لسان ولا تواضع نفس ؛ فإنى صادقت الرجل خمس عشرة سنة بلوت فيها ما عنده . فأنا من أعرف الناس بفضله ومن أعلمهم بموضعه .

عرفت صديقى أنطون سنة ١٩٣٤ ، وكان لقاؤنا الأول فى دار صديقتنا المرحومة (مى) ، وكانت هى التى دبرت هذا اللقاء ودعت إليه ، فقد سمعته مراراً يذكرنى بالخير ويؤثر (الرسالة) بالثناء ، فجمعت بيننا فى مساء أحد من آحاد فبراير من تلك السنة ، وقالت بلهجتها الأنيقة وهى تعقد بينى وبينه المعرفة : - إن كلا منكما يعرف اسم صاحبه فى الأسماء ، ولعله يعرف وجهه فى الوجوه ، ولكنه لا يعرف أن ذلك الاسم لهذا الوجه . ومن سعادتى أن تكمل معرفتكما عندى .

فقال الجميل وهو يبتسم ابتسامته الرقيقة المعبرة : نعم ، إنى أعرفك وإن لم أرك . عرفتك مما قرأت لك وسمعت عنك فوجدت بينى وبينك مشابه فى استعداد الفطرة وأسلوب العيش هى التى حببتك إلىّ وجذبتنى إليك . فقد بدأتُ حياتى معلماً للأدب كما بدأت .

ثم حررت جريدة (البشير) فى بيروت دينية يشوبها الأدب ، وأصدرت (الزهور) فى القاهرة أدبيـة يهذبها الدين ، وهاتان النزعتان أجدها مجتمعتين فى (الرسالة) . ثم كرهت التحيز لأى حزب ، والتعصب لأى مذهب ، والإضافة إلى أى شخص ؛ فأنا أنشد الخير فى كل عقيدة ، وأؤيد الحق فى كل هيئة ، وأحب الجمال فى كل إنسان . ولولا أن (الأهرام) أمانة فى عنقى لقطعت ما بينى وبين السياسة . ويظهر لى أنك تنهج فى حياتك هـذا المنهج ، وتسلك فى عملك هذا المسلك ...

ثم تشاجن الحديث وأخذ ثلاثتنا بأطرافه ، فعلمت فى هذا المجلس وفى المجالس التى أعقبته ، أن الجميل — فضلاً عن وجوه الشبه التى رآها بينه وبينى — أزهرى مثلى ، يعرف قواعد اللغة كما يعرفها الأزهر ، ويفهم تاريخ الأدب كما تفهمه دار العلوم .

ولست أعنى بأزهرية الجميل ذلك التأثير القوى الذى يؤثره الأزهر فى كل كاتب وفى كل شاعر من طريق مباشر أو غير مباشر ، إنما أعنى بأزهريته ما أعنيه بأزهرية فقيدنا العزيز الآخر على الجارم ، وهو أن كلا الرجلين كان ربيب مدرسة اشتقت من مصدر الأزهر وتفرّعت من أصله . والأمر فى أزهرية الجارم أبين من أن يُبين ، ولـكنه فى أزهرية الجميل يحتاج إلى بسط قليل :

كان الأزهر فى أوائل النصف الأخير من القرن المـاضى لا يزال وحده يرسل أشعة الثقافة فى العالم الإسلامى كله . ولـكنه كان فى أثناء الغفوة العامة يحفظ علوم الدين ولا يجتهد ، ويدرس فنون اللغة ولا يطبق . وكانت معاهد العلم فى المغرب والشام والعراق تتعلم فى كتبه وتجرى على مناهجه ، حتى وقع فى سورية ومصر أمران خطيران كان لهما الأثر البالغ فى تطور المجتمع وتقدم التعليم ونهوض الأدب : حدوث الفتنة الدامية فى لبنان سنة ١٨٦٠ ، وولاية اسماعيل على مصر بعدها بثلاث سنين . كان من أثر تلك المذبحة الأهلية أن لجأ اللبنانيون من قراهم إلى بيروت فتجمعت فيها الحركة ، وأن وُضع للبنان نظامه الخاص ففتح بابه للأجانب ، فدخله المستعمرون والمبشرون من فرنسا وأمريكا ، وأنشـأوا فى ظل الامتيازات الـكلية الأمريـكية سنة ١٨٦٦ ، والـكلية اليسوعية سنة ١٨٧٤ . وكان اللبنانيون فى عهد بنى عثمان كالموالى فى عهد بنى أمية ، أبعدوا عن مناصب الدولة فاشتغلوا بالعلم ، وحيل بينهم وبين موارد الثقافة فى عاصمة الخلافة فاعتمدوا فى التعليم على أنفسهم . وكانت (المدرسة الوطنية) التى أنشأها المعلم بطرس البستانى سنة ١٨٦٣ أول مدرسة تخرج فيها صفوة من الأدباء كانوا عدة الـكليتين الأمريكية واليسوعية فى تعليم اللغة العربية . وكانت كتب التعليم فى هذه المدارس هى كتب الأزهر بعد أن بيّـض اللبنانيون أوراقها الصُّفر ، ومهّلوا أساليبها الوعرة ، وقرنوا قواعدها الجافة بالأمثـلة الشارحة والتطبيقات المدرّبة ، واحتذوا فى تنسيقها على مثال ما درسوه من كتب التعليم الفرنسية .

ثم كان من أثر جلوس إسماعيل على كرسى الخديوية أن بسط ظلال الأمن على ربوع مصر ، ومهد لرجوع المدنية إلى ضفاف النيـل ، فوفد علينا الأجانب للتبشير والتعليم والعمل والتجارة ، وفيهم جماعتا الفرير والجزويت . ثم فتح ما انغلق من المدارس ، ووصل ما انقطع من البعوث ، وأسس نظارة المعارف ، ووسع دائرة التعليم ، فاقتضى ذلك كله أن ينشئ مدرسة يتخرج فيها المعلمون ، فأنشأ دار العلوم فى سنة ١٨٧١ ليتخصص طلابها فى الآداب العربية ، ويشاركوا فى العـلوم الدينية والعقلية ، ويأخذوا بنصيب من الثقافة الأوربية . وكان أساتذتها يومئذ من نابغى شيوخ الأزهر ، وتلاميذها من متقدمى طلابه ، وكتبها من أمهات كتبه . ولـكن اتصال أهلها بالحياة المدنية ، وتأثرهم بالآداب الغربية ، واقتباسهم لطرق التعليم الحديثة ، جعلت لهم فى التفـكير والتعبير والسمت طابعاً خاصاً يميزهم من رجال الدين فى الأزهر وتوابعه . فمدرسة دار العلوم كانت فى القاهرة أثراً لسياسة إسماعيل العامة ، كما كانت المدرسة الوطنية فى بيروت أثراً لنظام لبنان الخاص . وكانت هاتان المدرستان — كما قلت — شُعبتين من أرومة الأزهر ، أمدّهما بالغذاء والرى ، ووصلهما بالروح والحرارة ؛ ولـكنهما لأسـباب متجانسة ، وعوامل متشابهة ، تميزتا منه بالشـكل واختلفتا عنـه فى الثمر . غير أن الاختلاف فى المدرسة المصرية كان ضعيفاً لقربها من الأزهر فى البيئة والعقيدة والعقلية والتقاليد ، فهى فرع طبيعى من أصله ، ونوع ممتاز من جنسه ؛ ولـكنه كان فى المدرسة اللبنانية شديداً لبعدها عن الأزهر فى المكان والدين والتربية والسنن الموروثة

والصلات الأجنبية ، فهى أشبه بالطعمة الغريبة أُدخلت فى جذعه فجاء ثمرها مغايراً للأصل فى طعمه ولونه ، ومختلفاً عنه فى قيمته وجداه .

سارت الدرستان على جانبى الركب الحثيث فى طريق النهضة ، مدرسة مصر بيمينية تتأنى وتتوزن ، ومدرسة لبنان يسارية تتسرع وتخف . وكان الزمام أول الأمر عندنا وعندهم فى أيدى المحافظين كحمزة وحفنى والمهدى والأسكندرى وشاويش ووالى هنا ، وكالبستانيين بطرسَ وسليم وسليمانَ ، واليازجيين خليل وناصيف وابراهيم هناك ، فكان التقاليد غالباً ، والتطور بطيئاً ، والفروق بين المدرستين قريبة . فلما أسرع الركب ، واتصل القديم بالحديث ، وامتزج الشرق بالغرب ، انشقت من مدرسة دار العلوم المحافظة مدرسة أخرى تتميز بالإيجاز والطبيعية والسهولة والحرية والمنطق ، هى مدرسة لطفى السيد ، ومن رجالها قاسم أمين ، وفتحى زغلول ، وعبد القادر حمزة ، كما انشقت من المدرسة اليازجية المحافظة مدرسة أخرى تتميز بالشاعرية والطرافة والانطلاق والتمرد ، هى مدرسة جبران ، ومن أتباعها ميخائيل نعيمه ، وأمين الريحانى ، ومارى زيادة .

وظلت المدرستان الشقيقتان المصرية واللبنانية تنتجان الأدب فى ضروبه المختلفة بأسلوبين مستقلين ، أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحاضر ، على ما كان بينهما من تفاوت فى الطاقة والمادة والصنعة والتقيد والتحرر ، وبقيت المدرسة الأزهرية الأمّ عاكفة على النظر المجرد والجدل المقيم بين أروقة الأزهر والزيتونة والأموى والنجف ، تنتج الخام ولا تصنع ، وتشحذ السلاح ولا تقطع ، فلم يكن لها فى ذلك المهد البائر أدب غير أدب الشواهد ، ولا أسلوب غير أسلوب الحواشى ، حتى إن شيخاً من كبار شيوخها كان ناظراً بحكم عمله على وقف خيرى ، فاضطر إلى أن يكتب رسالة إلى محافظة القاهرة فى شأن من شؤونه ، فلم يفهموا مما كتب شيئاً . فلما أعادوا الرسالة إليه يستوضحونه المبهم ، ضحك هزؤاً بالجهل ، ومصمص أسفاً على العلم ، ثم كتب على الرسالة حاشية على طريقة : قولى كذا معناه كذا ، وقولى كذا أريد به كذا ، ثم ردها عليهم . ولو أنهم ردوها عليه مرة أخرى لكتب — رحمه الله — تقريراً على الحاشية .

***

كان الفرق بين مدرسة القاهرة ومدرسة بيروت كالفرق الذى كان بين مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة . كان البصريون يقدمون السماع فلا يرون القياس إلا فى حال تضطرهم ، ويتشددون فى الرواية فلا يأخذون إلا عن الفصحاء الخلص من صميم العرب ، لكثرة هؤلاء بالبصرة وقربها من عامر البادية . أما الكوفيون فكانوا لخلاطهم أهل السواد والنبط يعتمدون فى أكثر المسائل على القياس ، ولا يتحرجون فى الأخذ عن أعراب لا يؤمن البصريون بفصاحة لغتهم . فالمصريون لقربهم من الأزهر واعتمادهم على القرآن ، وقلة اختلاطهم بالأجانب ، كانوا أشبه بالبصريين فى تقديمهم السماع ، وتشددهم فى القواعد ، وخضوعهم المعاجم ، ونفورهم من الدخيل ، وجريهم على أساليب القدامى ، واعتقادهم أن العربية لغة العرب الأولين ، فلا يملك المولدون أن يُنقصوا منها ولا أن يزيدوا فيها . واللبنانيون كانوا لبعدهم عن بيئة القرآن ، وتأثرهم بأسلوب الإنجيل ، وكثرة اختلاطهم بالفرنسيين والأمريكيين ، وشدة احتياجهم فى الترجمة والصحافة إلى تطويع اللغة وتوسيعها لتعبر عن المعانى الحديثة ، كانوا أشبه بالكوفيين فى تقديمهم القياس ، وقبولهم الكلماتِ المولدةَ والنصرانية والدخيلة ، واقتباسهم بعض الأساليب الأوربية ، وتساهلهم فى بعض القواعد النحوية والتراكيب البلاغية ؛ ولذلك رماهم الدّرعميون بضعف الملكة ، وسُقم الأداء ، وقصور الآلة ، فلم يقيموا لإنتاجهم وزناً ، ولم ينيطوا بمعاجمهم ثقة . ولكن الحق أن المدرسة اللبنانية كانت عملية تقدمية حرة ، واكبت الزمن فى السير ، وطلبت العلم للعمل ، وسخّرت الأدب للحياة ، ونظرت إلى اللغة نظر الوارث إلى ما ورث ، يملك عليه بمقتضى الشريعة والطبيعة حق الانتفاع به على الوضع الذى يريد ، وحق التصرف فيه على الوجه الذى يحب . وقد تطوّقت العربية منها أيادى مشكورة بما أمدتها به من مصطلحات الفنون المختلفة ، وأسماء المخترعات الحديثة ، عن طريق الترجمة والتأليف والتمثيل والصحافة والتجارة . ثم كان فى جانبها الزمن وفى مؤازرتها الطبيعة ، فعملا عملهما فى تطور المصرية حتى قل بينها وبين أختها الخلاف وكثر التشابه ، وجاء مجمع فؤاد الأول فأخذ بحكم قانونه يوفق غير عامد بين المدرستين ، فتسهّل فى القواعد ، وتجوّز فى الوضع ، وتسمّح فى الدخيل ، وسلّم بالواقع ، وأصغى إلى مذهب الإجماع اللغوى الذى يدعو

إليه الدكتور السنهورى ، وإلى مذهب القياس فى اللغة الذى يقول به الأستاذ أحمد أمين .

والمتتبع لتطور المدرستين أيها السادة يرى أن كاتبيهما قد مرت فى أطوار ثلاثة : طور التقيد والمحاكاة ، وطور التحرر والاعتدال ، ثم طور التمرد والانطلاق . ولكن الانتقال من طور إلى طور كان فى مصر متثاقلاً متداخلاً ، يرود قبل النجعة ، ويحوم قبل الوقوع ؛ على حين كان فى لبنان متسرّعاً لا يتأنى ، مصمماً لا ينخزل . فبينما نجد مراشا الحلبي فى (مشهد الأحوال) يقلد ابن حبيب الحلبي فى (نسيم الصبا) ، وناصيفاً اليازجى فى (مجمع البحرين) يقلد الحريرى فى المقامات ، وابراهيم اليازجى فى (لغة الجرائد) ينهج نهج الحريرى فى (درة الغواص) ، إذ نجد آل البستانى وآل الحداد وزيدان ومطران والخورى والجميّل وملاّط يتوخّون السهولة والابتكار والطرافة ، والجبرانيين والمهجريين يجنحون إلى الأصالة والإبداع والتطرف ؛ والزمن بين هؤلاء وأولئك متقارب ، والعوامل المؤثرة فيهم لا تكاد تختلف . وليس بسبيلنا اليوم أن نحلل العوامل فى كل تطور فى كل بلد ، ولا أن نعين الرجال فى كل مدرسة فى كل طور ، ولا أن نورد الأمثلة من أدب كل رجل فى كل فن . إنما سبيلنا أن نقول إن الجميل كان من خير من يمثلون اللبنانية فى طور الاعتدال ، وإن الجارم كان من خير من يمثلون المصرية فى مثل تلك الحال .

* * *

سيداتى وسادتى : ولد أنطون الجميل فى بيروت سنة ١٨٨٧ ، وبيروت حينئذ كانت ملاذ العلماء والأدباء من لبنان وسورية ، ومنتجع المبشرين والمستشرقين من فرنسا وأمريكا ، وكانت النهضة الأدبية فى عاصمة الجبل قد أثمرت بواكيرها ودنا جناها ، فنال الفتى أنطون ما تيسر له منه فى الكلية اليسوعية . والمارونيون كانوا يفضلون التعليم الفرنسى لصلتهم الدينية القديمة باليسوعيين ، وعلاقتهم السياسية الجديدة بفرنسا . وحذق أنطون على الأخص اللغتين العربية والفرنسية . والنبوغ فيهما كان فاشياً فى شباب لبنان ، لأن تعليمهما كان جارياً على الأسلوب اللاتينى فى تأليف الكتاب وإعداد المعلم واختيار الطريقة ؛ فالكتاب متعمق فى القواعد متنوع فى التطبيق ، والمعلم متضلع من العلم متقص فى التحقيق ، والطريقة قائمة على الحفظ معتمدة على التمرين . ذلك إلى أن الغالب على التعليم الفرنسى الأدب ، والغالب على التعليم الأمريكى العلم . واللبنانيون كانوا يومئذ يتهيأون للعمل الحر فى خارج لبنان ؛ لأن النصارى فى سورية كانوا كالشيعة فى العراق لم يكن لهم فى حكومة الترك مكان . والعمل الحر كان فى التعليم ، أو فى الصحافة ، أو فى الترجمة ، أو فى التمثيل ، أو فى التجارة ، وكلها أعمال تقتضى التبرز فى اللغات والتبسط فى الآداب . لذلك لم يكد الجميل يتخرج فى الكلية اليسوعية حتى عين معلماً فى مدرسة القديس يوسف ، ولكن ميله إلى الكتابة واستعداده للتحرير ، ساعدا على اختياره محرراً لجريدة (البشير) سنة ١٩٠٨ ، وقد كان يصدرها الآباء اليسوعيون فى بيروت ، ويجملون إدارتها لأب من صالحى الآباء ، وتحريرها لأديب من نوابغ الأدباء . ثم دعاه إلى الهجرة ما دعا أحرار لبنان من ضيق العيش وسمة الأمل وفساد الحكم ، فهاجر إلى مصر سنة ١٩٠٩ وحرر فى صحيفة الأهرام الفرنسية . ثم أعلنت وزارة المالية المصرية سنة ١٩١٠ عن حاجتها إلى مترجم ، فتقدم إلى المسابقة فى هذه الوظيفة ففاز بها . ولكنه لم يقطع صلته بالصحافة فأصدر فى تلك السنة نفسها مجلة الزهور أدبية شهرية . واتصلت منذ يومئذ أسبابه بالحكومة ورجال الحكم . وكان الجميل على طبيعة قومه عمولاً لا يدخر جهداً ولا يضيع فرصة ولا يستوطىء راحة ، فبان شأوه على أقرانه ، ودل فضله على كفايته ، فترقى فى المناصب حتى عُين سكرتيراً للجنة المالية . ثم اعتزل العمل الحكومي ليتولى رياسة تحرير الأهرام ، فسطع مجده ، وضخم أمره ، وانبسط نفوذه ، واضطرب فى مجال الحياة المصرية السياسية والاجتماعية والأدبية اضطراباً عجيباً ، ينبه ويوجه ويوفق ويشارك . عمل فى مجلس الشيوخ ، وفى مجمع فؤاد ، وفى جمعيات البر ، وفى جماعات الأدب ، وفى شُعب الثقافة ، وفى لجان الاقتصاد ، فلم تكن عضويته فيها جميعاً مظهراً من مظاهر الفخر ، ولا مورداً من موارد المنفعة ، وإنما كانت هماً من هموم الجد يستفرغ الوسع فيه ، ويتوخى النجاح له ، ويدفع العوائق عنه . وكان الرجل على حظ عظيم من الخلق الكريم والطبع المهذب والحلم الراجح ، فساعدته هذه المزايا على أن يكون له فى المجتمع هذه المكانة وفى العمل هذا البروز . كان أديب النفس واللسان والقلم ، فلم تكن

لنفسه جلافة تنفر ، ولا للسانه بادرة تُخشى ، ولا لقلمه سن يحز . وكان مرهف القلب والعقل والذوق ، فكان يشعر بقوة ، ويفهم بزكانة ، ويذوق بلذة . وكان دقيق العمل والوقت والأسلوب ، فلا يقدّر بالقياس الجزاف ، ولا يوقت بالزمن المبهم ، ولا يُعبر باللفظ المقارب ؛ إنما كان يتبين الغرض ثم يرميه بالذهن النافذ واللفظ المحكم فلا يُخطئه . ولعل كلماته السياسية فى الأهرام كانت على وجازتها أدل كلامه على خلقه وأدبه . كان يعالج مشكلات السياسة والحكم بأسلوب فيه صراحة الجبليين وكياسة اليسوعيين ونعومة الفرنسيين ، فيكشف عن الخبأ من غير فضيحة ، ويدل على الفساد من غير اتهام ، ويُوجه إلى السداد من غير استطالة . وهذا الأسلوب وما كان يقويه من صدق النظر وصحة الحكم جعله وهو فى مكتب الأهرام وندوته عضو شرف فى كل حزب ، ووزير دولة فى كل حكومة .

أما أسلوبه الأدبى فى الكتابة والخطابة فكان شعرياً فى صوره وأخيلته وألفاظه . كان يغلب عليه سلامة التركيب ووضوح المعنى وحسن الترسل ، ويكثر فيه تضمين الأبيات واقتباس الحكم وإيراد النوادر . وقد شغلته الجهود الصحفية والاجتماعية عن الفراغ للأدب المحض فما كان يكتبه إلا مدفوعاً إليه بإلحاح الطلب وإكراه الحاجة ، كأن يكتب مقدمة لديوان صديق ، أو بحثاً فى أدب شاعر ، أو محاضرة فى دار نقابة ، أو خطبة فى مجلس الشيوخ . ولقد كان له وهو فى عهد الاستشراف والطموح إنتاج أدبى متصل ، وعته جريدة البشير الدينية ومجلة الزهور الأدبية . ومن آثاره فى ذلك الحين روايتاه : (أبطال الحرية) وموضوعها الانقلاب العثمانى ، وبطلاها القائدان التركيان نيازى وأنور . و (السموأل أو وفاء العرب) وموضوعها وبطلها معروفان . وهاتان المسرحيتان لا تمتازان ببراعة الحوار ولا بقوة البناء ، وإنما تمتازان بفصاحة اللفظ وبلاغة الأداء .

وإذا كان لى أن أضيف إلى ما قلت كلمة فى وفائه لمصر وحبه للمصريين فحسبي أن أقول إنى لم أر فى الأدباء الذين توطنوا هذا البلد كاتباً قبل الجميل ، ولا شاعراً قبل مطران ، نالا الرضى المصرى بكل معانيه ومن جميع نواحيه ، بإخلاص العمل لهذا الوطن ، وإصفاء المودّة لأهله ، واعتقاد العرفان لجميله .

هذه — أيها السادة — بعض مزايا الرجل الذى كُتب علىّ أن أودعه بلسانكم فى رحلته الأبدية عن هذا المجمع . وإنى لأشعر وأنا أجلس فى مكانه الخالى أن كرسيه ينكرنى كما ينكر الفرس الجواد الراكب الغر . ولقد حدثتنى نفسى — شهد الله — حين تأدى إلىَّ خبر انتخابى لعضوية المجمع أن أستعفيه من هذا التشريف ، لا زهادة فى الشرف ، ولا رغبة عن العمل ، ولا فراراً من الواجب ، ولكن لعلة نفسية مزمنة كان من أخف أعراضها أنى أحسن العمل منفرداً أكثر مما أحسنه مجتمعاً . وربما جعلتنى — لعنها الله — أعلم الشىء ولا أقوله ، وأسمع الخطأ ولا أصوبه ، وأرى المنكر ولا أغيره . وتلك كانت حالى معها وظل الشباب وارف ، وعود الأمل ريّان ، وقوة النفس عارمة ؛ فكيف تكون حالى معها اليوم وقد بلغتُ المدى الذى بعده القصور ، والأملُ الذى بعده الذكرى ، والساحل الذى بعده القفر ؟

ولكننى استخرت الله والقيت بجهدى الضعيف بين جهودكم القوية . والرماد يحمَى إذا مسه من الجمر وهيج ، والجبان يشجع إذا لم يكن من العراك بُد .

أسأل الله أن يهدينا الطريق إلى خير العربية والعروبة ، ويرزقنا التوفيق فى خدمة الإسلام والشرق ، فى رعاية صاحب الجلالة الملك فاروق الأول أعز الله نصره ، وجمّل بالآداب والعلوم والفنون عصره .

احمد حسن الزيات

صور من الحياة :

زوج يضل !

للأستاذ كامل محمود حبيب

أتذكر – يا صاحبي – يوم أن نلت شهادة الدراسة الثانوية وأنت – إذ ذاك – فتى ريق فى العشرين من عمرك ، سمهري القوام قوى التكوين صلب العود مشرق الوجه بهي الطلعة ، تبسم المستقبل فى ثقة وتتنسم ريح الحياة فى استبشار؟ يوم أن جئت تزف البشرى لأبيك الشيخ فتلقاك فى سرور وربت على كتفك فى فرحة ، ثم حث ندل على رفاقك بالفوز وهو عظيم وتزهو بالتفوق وهو مبين . وسألك أبوك عن هدفك الذى تصبو إليه فقلت له « أريد أن أدرس الطب » فأطرق فى صمت وقد علت وجهه قترة ، وإن الأفكار لتصطرع فى ذهنه ، وإن الخواطر لتضطرم فى رأسه ، فما له طاقة بما تتطلبه دراسة الطب من جهد ومال ، وهو يحس لذع العوز والضيق ، وأراد أن يصرفك عن بغيتك فى لين فأصررت ، وانطلق ينشر على عينيك بعض ما يعانى من فاقة ومتربة ، فما وعى عقلك الغض مما قاله شيئاً لأنك شاب لم تصقلك تجارب الحياة ، ولا عركتك دوافع العيش ، فأصررت .

وراح هو يدير الرأى فى رأسه علّه يجد منفذاً أو يهتدى إلى حيلة.

ومضت أيام والشيخ يضطرب فى لجة من الهم ، فهو لا يستطيع أن يلقى السّلم إلى نزعاتك ، فيدفع بنفسه إلى هوّة من الدَّين والإملاق ، وما هو بمستطيع أن يحول بينك وبين أمنيتك ، فتستشعر الضعة والصغار بين أترابك .

وعلى حين فجأة انبسطت أساريره وانزاحت عنه غمة الأسى ، فجلس يحدثك « أحقاً يا بنى أنك تطمع فى أن تدرس الطب ؟ » قلت « نعم ، يا أبى ، ولا أبتغى به بديلاً » قال « إذن تتزوّج من ابنة خالك وهى فتاة يتيمة ، تجمعكما وشائج القربى وصلات النسب وهى ذات مال يشد عضدك ويمهد لك السبيل إلى غايتك » . وأزعجتك الفكرة ، بادى الرأى . فما كان لك أن تفرغ للزوجة والولد وهما مشغلة ، وأنت تهيء نفسك لجهاد عنيف بعيد المدى مجهول العاقبة . ولكنك ما لبثت أن أسلست لأنه تراءى لك أن الرفض حماقة تجذ حبل المستقبل ، وهو طيش يطفىء شعلة الأمل الوضاء . أسلست لتكون زوجاً ورب أسرة وأنت ما تبرح طالباً فى العشرين من عمرك .

وقال لك أبوك وقد تهيأتما معاً – أنت وزوجك – للسفر « يابنى ، هذه زوجتك تذر دارها لترعى شأنك وإن الدار لتشرق بالنعمة والخفض ، وتنأى عن أهلها لتأنس إلى حماك وإن قلوب ذوى قرابتها لتفهق بالحنان والعطف ، وتفزع إلى رجولتك وإن حواليها ألف رجل ورجل يفتدونها بالروح والمال ، وتنزل لك عن مالها وهو غمر لتهدأ جائشتك وتسمو إلى طلبتك ؛ فكن إلى جانبها رجلاً . والرجل إن ضاق بالمرأة زوجة لم يضق بها رفيقة ، وإن ضجر بها صاحبة لم يفزع عنها ربة دار وأماً . وإن الشهامة فى الرجل لتجمله – دائماً – يحس فى المرأة العجز والضعف ، وتدفعه – أبداً – إلى أن يجد اللذة والسعادة فى أن يحمى ضعفها ويناضل عن عجزها . وهذه الفتاة – زوجك – منك بالمكان الذى تعرف فكن لها عائلاً وأخاً وصاحباً ؛ واستشعر – دائماً – إلى جانبها الرجولة والشهامة والإنسانية »

ودوّت كلمات أبيك الشيخ فى صميمك فانتفض لها قلبك لأنك لمحت فيها نور السماء يتألق على لسان ملَك .

وجاءت الزوجة الريفية لتعيش هنا فى – فى القاهرة – سجينة فى دارك لا تجد السبيل إلى متعة المدينة ولا إلى نور المدنية وأنت طالب لا تملك فراغاً من الوقت ولا فضلة من المال . وراضت الزوجة نفسها على الصبر فهي تقضى صدر النهار فى غمرة من حاجات الدار : تعد لك الطعام وتهيء اللباس وتوطيء الفراش ؛ ثم هى تدعك – صدر الليل – تفرغ إلى درسك تنتظر أوبة قلبك وفراغ عقلك . وأنى لها ما تريد وأنت تسعى إلى غاية وتهدف إلى غرض ، والطريق وعر والمرتقى صعب .

وعاشت الفتاة إلى جانبك سبعاً شداداً لا تجد السلوة إلا فى صلاتها وإنها لمن بيت دين وصلاح فراحت تطوى ساعات الليل فى تهجد على غير علم وصلاة على غير أساس وتلاوة فى جهل ، واندفعت فى الطريق فى غير رفق فأصابتها لوثة دينية صرفتها عن أن تكون أنثى تبهر عين الرجل بزخرف من القول وبهرج من اللباس وزينة من الطلاء .

وشملتها موجة عارمة من الفرح يوم أن تخرجت فى كلية الطب فأقبلت إليك وإن إهابها ليكاد ينقد من شدة الطرب ... أقبلت تهنئك بالفوز المبين . ودوت كلمات أبيك الشيخ فى مسمعيك فانتفض قلبك وتيقظت مشاعرك فأقبلت أنت أيضاً تهنئها بنجاحك وبين يديك أولادك الصغار .

وانطوت السنون تدفعك إلى ذروة المجد وترفعك إلى قمة الثراء فما حدثتك نفسك مرة واحدة أن تطب لمرض زوجك ، وهو عنه دينى ، وأنت مَنْ بذرت غراسه فى نفسها حين أرهقتها الوحدة وأمضها الخلوة ؛ وأنت فى شغل لا تعبأ بما يعتريها من ضيق وملل ولا تلقى بالاً إلى ما يحتاجها من ثورات نفسية ، فانطلقت — وأنت طبيب — تقضى سحابة النهار فى المستشفى ، وتطوى هزيعاً من الليل فى العيادة يخلبك بهرج المال ويجذبك لألاء الغنى . والطبيب ساحر يعصر دماء المرضى فتتدفق فى جيبه سيلاً من الذهب .

ثم حالت حالك ؛ فأنت لا تدخل الدار إلا ثائراً تضطرم ، ولا تحدث أهلك إلا غاضباً تحتدم ، تفزع عن زوجك فى غير رحمة ، وتهر فى أبنائك فى غير شفقة . وتفتحت عيناك على أشياء كنت — من قبل — فى عمى عنها ؛ فأنت لا ترى فى الدار إلا القاذورات تتناثر هنا وهنالك فتبعث فيك الاشمئزاز ، وإلا الروائح النتن تفوح من نواحيها فتتقزز لها نفسك ، وإلا التشعث يملأ أرجاءها فينفث فيك الثورة والاضطراب ، ثم لا تسد أنت الثغرة فى رفق ولا ترأب الصدع فى لين .

ليت شعرى ، ما ذا دهاك فطمّ على رجولتك فما عدت تسمع كلمات أبيك الشيخ تدوى فى مسمعيك وإن فيها نور السماء يتألق على لسان مَلَك !

لقد عشت زماناً ترى فى عيادتك القد الأهيف والكشح المضيم والثوب الهفهاف، وتحس الابتسامة الرقراقة والخد الأسيل والشعر السبط ، وتتنشق شذى العطر الجذاب ؛ على حين لا ترى فى دارك سوى زوجة بلهاء فى ثوبها الأبيض الفضفاض تنتحى ناحية من حجرة وتنطوى على أورادها تتلوها فى حركة رتيبة يملها القلب وتضيق بها النفس .

وراح عقلك الكبير يقارن بين الفتاة التى ترى فى الشارع وفى العيادة وبين زوجك الريفية الجاهلة ، فسيطر عليك الأسى واستولى النفور على قلبك ، ونسيت يوم أن كنت فتى فى العشرين من عمرك ... ، فما استطعت أن تكتم نوازع نفسك فجلست إلى صديق لك تبثه لواعج الفؤاد ولوعة النفس فقال لك « لا بأس عليك ! إن فى الأرض مراغماً كثيراً وسعة » فقلت له « وماذا تعنى ؟ » قال « تتزوج من ابنة فلان باشا ، وهى فتاة فى روعة الجمال وأبهة العظمة وسمو الجاه ومنتهى الثراء ، تتوثب شباباً وظرفاً وتتألق أناقة ورقة ، فيها ثقافة الشرق وتربية الغرب، تتحدث فى طلاقة وتأسر فى لباقة » قلت فى دهشة « وابنة خالى، ابنة خالى ؟ » قال الرجل « ابنة خالك ؟ تذرها فى بيتها بين بنيها وأورادها ... إنها لن تجد فقدك فهى فى شغل عنك وإن لك من ثرائك ما يكفل لها عيشة راضية وحياة طيبة » قلت « ولكنها هى ... هى ربة نعمتى ! » قال « هذا حديث لفته السنون فى ملاءة النسيان ! » قلت « وأنا ؟ ... لقد قاربت الأربعين » قال « هذا وهم باطل فأنت ما تزال فى ربيع العمر تفور نضارة وشباباً » .

لشد ما أفزعتك الخاطرة — بادىء ذى بدء — فقضيت ليلتك تتقلب فى فراشك تدير الرأى علك تهتدى . والشيطان إلى جانبك يزين لك الأمر ويفترك عن زوجك وأولادك الأربعة . وقالت لك نفسك « هناك فى كنف ابنة الباشا تجد السعادة والرفاهية والثراء والجاه جميعاً » .

وانطوت الأيام والشيطان يوسوس لك وصاحبك من ورائه يزخرف القول وينمق الحديث . وعلى حين غفلة ارتفعت صيحات الشيطان فى قلبك فطمت على رجولتك فما عدت تسمع كلمات أبيك الشيخ تدوى فى مسمعيك وإن فيها نور السماء يتألق على لسان ملك .

وفى ذات ليلة ، انطلقت برفقة صاحبك إلى دار الباشا لتصبح زوج اثنتين ، ولتطامن قلب المرأة التى ضحت فى سبيلك بما لها وشبابها لتكون أنت طبيباً عظيماً تستطيع أن تتزوج من ابنة الباشا ، لتطامن قلبها طمنة قاسية تعصف بهدوئها وتهدم سعادتها .

آه ، يا صاحبى ، لو رأيت عبرات بنيك وهى تنهمر مدراراً ليلة عرسك . لقد كانت تساقط على قلبى — قلبى أنا الإنسان — قطرات من نار تتلهب لظى وشواظاً . أما أنت فقد فقدت — حينذاك — رجولتك وإنسانيتك فى وقت معاً

يا صاحبى ، إن الزوجة تلقى بنفسها فى رعاية الزجل لتتشبث منه بخيوط ثلاثة : الرجولة والشهامة والإنسانية .

كامل محمود حبيب

صحائف مطوية في السياسة العربية :

هاشم الأتاسي

في سنة ١٩٣٩ وفي عام ١٩٤٣

للأستاذ أحمد رمزي بك

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

لقد رأيت في العدد الماضي وطنية هاشم الأتاسي تتجلى أمام الفرنسيين حينما اعتزل الحكم بإرادته ، وقد أعجبت بهذا الموقف وقلت إنه ينـدر أن نجد الكثيرين من أمثاله في القرن العشرين وسط المشتغلين بالمسائل العامة في هذا الشرق ، وسأقص عليك في هذه الكلمة شيئاً من تردد السلطات الفرنسية ، وما ذا كان جزاء وطنيته وإخلاصه من بعض أولئك الذين فرض من المبدأ أن يكونوا من معاونيه وأنصاره ، فإذا هم الذين عناهم أبو الطيب بقوله:

كدعواك كل يدعى صحة العقل

ومن ذا الذي يدرى بما فيه من جهل

ولقد أشرت في الكلمة السابقة إلى مذكرات رجال السياسة والحكم التي نشرت بمختلف اللغات ، وكيف يحتاج إليها مثلى للوصول إلى ضبط الكثير من الحقائق ، ومن قبيل هذه المذكرات أو أهمها مذكرات الجنرال كاترو ، فقد أبلغني صديق كريم أن الجنرال بدأ ينشرها في جريدة الفيجارو الفرنسية ، وكان بودى أن أطلع عليها قبل كتابة هذه الكلمة ، فلم أستطع الحصول عليها كاملة بمصر ، وعليه قُدِّر عليّ أن أنتظر حتى يتم طبعها كاملة كما قيل لى ، فأبدى رأيى فيها كقارئ ، أو كرجل لمس عن قرب شيئاً من الحوادث التي تتناولها هذه المذكرات .

ولقد أشرت إلى تعدد مقابلاتي مع الجنرال طول شهر مارس ١٩٤٣ وكان أغلبها في دمشق التي كان يفضل الإقامة فيها ، بل وصرح مراراً أنه يعمل على نقل المفوضية العليا الفرنسية من بيروت إليها ، واعتقد أنه لولا ما صادف كاترو من اعتراضات معينة من بعض الفرنسيين الذين يعملون معه ، ولولا تأثير الوسط البيروتي لنجح في قصده هذا مدة وجوده بسوريا ولبنان على الأقل .

واذكر في إحدى هذه المرات التي قابلته فيها بمدينة دمشق وكان قد دعاني إلى قصر المفوضية بالمهاجرين ، فتعمد أن يضع على المدخل مفرزة من حرس الفرقة الجركسية لتحية ضيوفه ، على مثل ما كان يعمل الجنرال فيجان ، ولما قابلته أخذ يطوف بي في أنحاء الدار ويشرح لى محتوياتها ويشير بإعجاب إلى ما بذلته مدام كاترو في تهيئة حجراتها والحصول على الأثاث اللائق بها وكيف وفقت رغم ما يعترضها من صعاب في تنسيق الدار وجعلها صالحة لإقامة مندوب فرنسا الأعلى وقائد جيوشها .

والحقيقة أن الدار ظهر عليها في ردهاتها ومقاعدها وأركانها هذا الذوق الشامل الذي تفرغه يد السيدة إذا تولت بعنايتها تهيئة الدور الرسمية فتجعل منها بيوتاً تصلح للاستقبال .

لقـد كان الجنرال مرحاً في كلامه مع المدعوين ، ولما آن موعد انصرافهم أراد أن يتحدث حـديثاً خاصاً معى فاستبقاني لديه على انفراد ، والجنرال محدث لبق بدأ حـديثه عن القاهرة وعن منزل في لبنـان لشخص معين يسكن بيروت ويريد أن يؤجره للجنرال ومع ذلك يزج بأسماء معينة في مصر وضحك كثيراً من أساليب بعض الناس في حيـاتهم الخاصة والعامة ، والحقيقة أن ابتداء الحديث السياسي عن صفقة فيها منزل للايجار تحمل في ثناياها نكتة من أبداع النكت ، وفي كلامه عن خلق هذا الوجيه الثرى ما يجعل السامع يتجه اتجاهاً معيناً نحو حكمه على كثير من الأمور ، ولولا أن منافسة الجنرال من كبار القوم في بلادنا لما بدا أن لهذا الحديث موضعاً ، ولـكن الجمع بين هذا ووضعه في الإطار الذي فتح الجنرال حديثه به يجعلنى في حل أن أقول : أن الجنرال أعطى صورة وافية لما كان يدور في تلك الأيام وأراد بظرف ولباقة أن يعرفنى بالإشارة كما يقولون ما لم يرد أن يصرح به . ولـكنه حينما تحدث عن هاشم بك الأتاسي : أشاد بوطنيته وإخلاصه لبلاده وقال : « أنه على رأيه دائماً في أن قيام الدولة السورية وعلى رأسها هاشم بك أمر يرحب به ويكون من فخره إذا تم » .

إننا معاشر الشرقيين تبدو لنا بعض الأمور وكأنها لا تستحق عنايتنا واهتمامنا : كما تبدو لنا أمور أخرى ذات أهمية خاصة مع أنها قد لا تترك أثراً لدى الغير ، من قبيل هذا اعتزال هاشم بك للحكم فالأثر الذي يتركه في نفس الأوروبيين لا ينسى ، وقد حدثنى الجنرال فقال إنه دعى هاشم بك للغداء لديه وعلم إنه نزل في فندق أوريانت بالاس ولما انتشر خبر زيارته لدمشق تهافت الناس وذهبوا لرؤيته بالفندق وتحادثوا معه وأعربوا عن آمالهم في عودته ... فهو رجل يتمتع بمنزلة خاصة لدى الشعب .

ذكر لى هذا عند كلامه عما يدور بخلده من ضرورة إبدال

الوضع الذى قام مؤقتاً فى سوريا عقب وفاة المغفور له الشيخ تاج الدين الحسنى . ولكنى لمست هذا الإنصاف لهاشم بك فى صفوف الفرنسيين من أعداء الكتلة الوطنية نفسها...

وفى هذا الاجتماع الأخير لخص الجنرال ما قام به من جهود فى الفترة الأولى لشهر مارس ١٩٤٣ فقال إن دائرة أحاديثه اتسعت رويداً رويداً فشملت عدداً من السياسيين الممثلين لمختلف الأحزاب والدوائر فى سوريا وأبدى رأيه فى كل شخص وفى اتجاهات الأحزاب وتعاونها وتنافسها ، وقد اطلعت بعد أيام على ما نشرته المفوضية على الصحف وقد أشارت إلى أن الجنرال يوالى استشاراته ويستمع إلى رؤساء الوزارات ورؤساء المجالس النيابية فى الأحداث والأوضاع والحلول المقبلة — وزادت على ما سمعنا رؤساء الهيئات الاقتصادية والمالية وهذا مالم يرد له ذكر فى أحاديثه .

ولم يقتصر اتصاله على دمشق بل سافر إلى حلب وحمص ودعا إليه رؤساء العشائر والمناطق البعيدة وكان طول مدة شهر مارس فى عمل مستمر واتصال دائم وكلما تعجلت السياسة البريطانية أو الأمريكية الأمور كان رد الفرنسيين أننا ندرس ونبحث ونستشير ونحقق حتى يأتى عملنا مطابقاً للمصلحة العامة ولكسب الحرب .

كتبت فى كتاب الاستعمار الفرنسى فى شمال أفريقيا ص١٧ « أن الجنرال كاترو يجمع فى شخصه بين القائد والسياسى معاً وقد برهن على أنه صاحب عزيمة ودهاء ، وفكرة ومقدرة »ص٧٧ وأزيد على هذا أنه محدث من الدرجة الأولى لا تغادر الابتسامة وجهه ، وهو يشعرك من أول مقابلة أنك موضع ثقته وأنه يحدثك بصراحة تامة وهو لن يخفى عنك شيئاً مما يجول بنفسه ولكنه فى الحقيقة إذا تكلم لا يعطيك إلا ما يريد هو إعطاءه .

وإذا عرض لشخصيات معينة أعطاك عن كل واحدة منها صورة حية لا تذكرك فى الشخص المعين ، بل يرسم لك مزاياه فتخرج وتكاد تشعر بأن جميع الناس من أصدقائه وإنه معجب بالنواحى الطيبه التى لمسها فى كل واحد منهم .

ولا أخفى على القارئ أن الجنرال كاترو ترك أثراً عميقاً فى نفوس من اتصلوا به ، فقد جاءنى رجال لم يكونوا فى يوم من الأيام من أصدقاء فرنسا ، وأبدوا لى دهشتهم لهذا التطور الذى بدا من غير تهيئة فى جانب الفرنسيين حتى صرح أحدهم بقول : أنه يكاد يصدق أن هذا الجنرال راغب كل الرغبة فى أن يرى البلاد السورية متمتعة باستقلالها .

وقد ظهر لى جلياً أن الجنرال كاترو كان من بين الفرنسيين القلائل الذين أدركوا قبل الأوان صعوبة مركز فرنسا فى سوريا ولبنان مع وجود الجيوش البريطانية فيها ، وكان هناك فريق منهم يعيش سنوات ١٩٤٣ — ٤٤ — ١٩٤٥ على غرار ١٨ — ٢٠ ١٩٢١ حينما وجدوا البريطانيين قبلهم فى البلاد : وجاء كاترو فكان بين أمرين .

١ — أما التظاهر بالتعاون مع الحليفة إلى نهاية الشوط .

٢ — وأما التصادم من المبدأ معها

وقد فضل أن يجاريها فى سياستها وأساليبها مع احتفاظه بحقوق بلاده ، ولكنه لم يجد إخلاصاً ولا تعاوناً ولا فهماً من معاونيه ، ولذلك لم يلازمه النجاح الذى كان من المرجح أن يلاقيه

كنا ننتظر الوصول إلى نتائج حاسمة فى النصف الأول من نهر ما حينما جاء المولد النبوى الكريم فاضطر الجنرال الفرنسى إلى قطع استشاراته لحضور الاحتفال به فى بيروت ، حيث أقيمت احتفالات رأى فيها المسلمون فرصة للاعراب عن وجودهم ، ورأت فيه فرنسا فرصة لإعلان احترامها للنبى العربى .

ثم حدث تصادم لطائرة فرنسية مات فيها الكولونيل باريل وجرح فيها الجنرال ماسيت ، وقد أقيمت جنازة عسكرية شائقة للفقيد الفرنسى وسارت فيها وحدات الجيوش الفرنسية المختلفة وقد تسلمت الكثير من عتاد الحلفاء وملابسهم وأحذيتهم وألقى الجنرال كاترو قطعة رائعة فى رثاء الكولونيل القتيل كانت خير ما يمكن أن يعبر عن حداد فرنسا المقاتلة ... وآمالها .

لا أدرى إذا كانت بعض المصادفات تؤثر فى اتجاهات معينة وعلى كل فإنه بقدر تحمس الفرنسيين للوصول إلى هاشم بك فى تلك الفترة بقدر ماقامت الصعاب أمامه من ناحيتين : الطريقة التى سيعود بها إلى الرياسة هل تكون بناء على دعوة الجنرال وكيف تصاغ ثم الناحية الثانية : وهى ازدياد شقة الخلاف بينه وبين أنصاره .

ومرت الأيام وكان الجنرال قد ترك دمشق وعاد إلى بيروت تاركاً أمر المشاورات فى سوريا لمعاونيه : ثم عاد فى الفترة الأخيرة من مارس إليها .

وفى يوم ٢٤ مارس سنة ١٩٤٣ تلقيت منه كتاباً مطولاً يعرب فيه عن أسفه لأنه لم يوفق إلى إقناع هاشم بك الأتاسى بالعودة إلى وزارة الجمهورية مرة أخرى ويبلغنى فيه ما استقر عليه الرأى فى النظام الجديد الذى سيباشر التمهيد للانتخابات .

والحقيقة إننا جميعاً دهشنا لهذا الموقف الأخير ، وقد سافرت

الاتحاد الإسلامي

للدكتور السيد محمد يوسف الهندى

قد كنت ولا أزال من أشد المتحمسين لفكرة إنشاء اتحاد إسلامى عالمى يضم الشعوب المتجانسة والدول المتجاورة الممتدة من الباكستان شرقاً إلى تركيا ومصر غرباً ، وربما يتسع نطاقه فيما بعد فى الناحيتين الشرقية والغربية إلى أندونيسيا والمغرب الأقصى . وأزعم بالقول بأن المسلم الهندى أفعم قلبه إيماناً وإخلاصاً لهذه الفكرة التى ازداد طموحه إليها بعد أن نجح فى خلق أداة قوية فعالة ، ألا وهى دولة الباكستان المساهمة فى إبرازها إلى حيز الوجود .

ولكن نظرة المسلم الهندى إلى العالم الإسلامى إنما كانت إلى وقت غير بعيد نظرة عاطفية خيالية هى أبعد شىء عن الحقيقة والواقع؛ فإنه كلما حول وجهه إلى تلك الرقعة الشاسعة التى يقطنها المسلمون من العرب والعجم والترك رأى دولا قيل إنها مستقلة ، وتيجانا ربما ادعى أنها ترمز إلى مجد الإسلام الغابر ، وشعوبا مسلمة تؤلف الأغلبية الساحقة فى حدود بلادها — الصفة التى كانت تنقص المئة مليون من المسلمين فى الهند الموحدة والتى كان انعدامها مصدر جميع آلامهم وأخطارهم فى المستقبل . فلم يكن المسلم الهندى ليتصور أن يكون هناك أى مانع عند تلك الشعوب المتماسكة والدول المستقلة من الاتجاه إلى التضامن والاتحاد على أساس الدين الذى كان ولا يزال يعتقد — حسب فهمه هو — إنه ملك وسياسة قبل أن يكون صلاة ودعاء . ومما ساعده على هذا الظن — الخاطىء مع الأسف — تلك الألقاب الفخمة المشعرة بحماية الدين ونصرة الإسلام والمسلمين التى يتحلى بها بعض الأمراء والأعيان فى الأقطار المختلفة (كالهر يحكى انتفاخا صولة الأسد) ومظاهر أخرى مثل صدور الفتاوى من مشيخة الأزهر « إلى العالم الإسلامى كله » تلك الفتاوى التى عرفت الآن أنها لا تصدر عن شعور داخلى حر بخير « العالم الإسلامى كله » ولا عن دراسة وافية للأحوال والظروف الخاصة بالمسلمين فى الأقطار المختلفة . بل إنها ربما تستصدر لمصلحة عاجلة . ويا حبذا لو أن كبار العلماء تنازلوا عن سلطتهم المنتحلة هذه كما فعلت تركيا حينما ألغت الخلافة بعد ما رأت عجزها عن إسداء أى عون مادى أو أدبى إلى ما يسمى بالعالم الإسلامى .

كان من الطبيعى أن تتغير نظرة المسلم الهندى هذه فى الأيام الأخيرة على أثر التقارب عن طريق التمثيل الدبلوماسى وتبادل الزيارات . ولعله قد عرف أن المانع الحقيقى من التقدم نحو الاتحاد ليس عاملا خارجياً أجنبياً بل هو داخل نفوس إخوانه المسلمين الذين أصبحوا غير مستعدين لقبول هذه الفكرة . وقد اقتنعت أنا شخصياً بصدق ما صرح به الباندیت جواهر لال نهرو ، رئيس وزراء الهند ، عقب زيارته الأخيرة للقاهرة من أن أى اتجاه إلى التكتل على أساس الدين فى الشرق الأوسط أمر مستحيل ، فاستعنت باليأس على التغلب على ما غمرنى من القلق وبدأت أغتبط بواقعية رجال الحكومة الباكستانية حينما لا حظت فتوراً فى تصريحاتهم إزاء أى حلف رسمى ، وظننت أن الفكرة قد وضعت على الرف أو كما يقولون فى الثلاجة إلى أن تنبعث من داخل قلوب المسلمين فى جميع الأقطار الإسلامية على السواء حتى يجىء الاتحاد نتيجة لشعور عام صادق متدفق قوى .

ولكن ظهرت فى الأسابيع الأخيرة بوادر تنذر بأن يتم على أيد أجنبية خفية مالم يكن ليتحقق بالرغبة الذاتية فأثارت فى نفسى خواطر رأيت أن أدمجها حتى يتبين كل منا حقيقة فكرة الاتحاد الإسلامى من أى صورة ممسوخة له ربما تساور بعض الأذهان فى الوقت الحاضر .

إن فكرة الاتحاد الإسلامى فكرة دينية بحت ترتكز من حيث المبدأ على الشعور بالأخوة وواجب المساهمة فى الآلام نحو كل من يشارك الآمال وأهداف الحياة . ومن الواضح أن هذا الشعور داخلى شخصى اختيارى محض ولا يحتاج وجوده إلى أية مبررات من المصالح السياسية أو الاقتصادية مع أن تلك الفوائد لا بد وأن

إلى دمشق أنصت إلى كل ما قيل فى هذا الشأن وقيدت الكثير منه : ومع أن الكثيرين يلقون السبب على الفرنسيين فإن هؤلاء يشيرون إلى أعوان هاشم بك وأنصاره ورجال السياسة السوريين ويعدونهم المسئولين عن تردده أمدا أنا فاعتبرتها المفاجأة الثانية .

أحمد رمزى

تنتج منه وترافقه إذا أحكم تدبير الوسائل الفنية اللازمة لها . فالاتحاد الإسلامي بطبيعته يأبى إلا أن يكون اتحاداً بين الشعوب الإسلامية بعد أن تسترد هي الإيمان بالفكرة الدينية في تنظيم حياتها الداخلية وتدعيم علاقاتها الخارجية والدولية .

فما حال الشعوب الإسلامية في الآونة الحاضرة ؟ ليس الكلام عن تركيا بصعب ؛ فإنها جريئة صريحة تحدث ما تحدث عن علم . أما الممالك العربية فتكاد تجد لها ممثلين ومراقبين في جميع المؤتمرات مهما اختلفت أنواعها وتضاربت أهدافها ، وقلما تلاقي خطة واضحة مرسومة بعيدة المدى في تصريحاتها أو تصرفاتها . وقد خيل إلى فيما يتعلق بالموضوع الذي نحن فيه أنها حريصة على الاحتفاظ بالشرف الذي كان لها بحق من حمل لواء الإسلام في الماضي ولكنها في الوقت نفسه تتوق وتجتهد وتتكلف ما يسمونه « مسايرة الغرب » باحتضان كل ما جد من النظريات والاتجاهات السياسية كما أن النساء المتجملات يلهجن بكل ما تبتكره باريس من الأزياء — حتى الذيول الطويلة !! — كل صيف وشتاء ؛ أو لا ترى أنها ثارت مطالبة بالاستقلال والوحدة فكان من حظها الاستعمار والفرقة . ولا ضير في ذلك فإن الأمم كالأفراد كثيراً ما تخطىء حسابها وتفشل في خطتها ولكنها سرعان ما رضيت بالفرقة وبدأت تمتز وتباهي بالفوارق الوطنية فيما بينها كالأصل الفينيقي والحضارة البابلية والمدنية الفرعونية وما إلى ذلك مما نبشه الباحثون المستشرقون لتلهيتها « عن كل مكرمة » واستمر الحال كذلك طيلة الفترة ما بين الحربين إلى أن تغيرت الأوضاع الدولية وتدهورت الأحوال رأساً على عقب ، فهتف هاتف من الغرب بضرورة الاتحاد فارتجلوا اجتماعاً بين الملوك وإجماعاً بين الحكومات على ميثاق الجامعة العربية. ومنذ ذلك الحين و « العروبة » يخفق لها قلب كل عربي . وكلمة العروبة أو القومية العربية لم تكن واضحة المعالم أبداً وهذه هي نقطة الضعف لاشك فيه ، فإن زعماء الثورة الأولين لم يعنوا حينما نطقوا بها شيئاً يعارض الوحدة الإسلامية . وليس أدل على ذلك من أن طوائف معينة معروفة باعتمادها الاستعمار الأجنبي اعترضت سبيلها ولم تزل تقاومها حتى أرغمت الأكثرية العظمى على تلطيف ، بل تغيير مدلولها تغييراً جوهرياً بحيث أصبحت تعبر عن أهواء الذين يعادون الفكرة الدينية الإسلامية لا لشيء إلا لولائهم لدينهم ؛ كفى بذلك شاهداً ما جاء في كتاب نبيه أمين فارس المسمى بـ « العرب الأحياء » والمنشورات الأخرى الحديثة عن مقومات العروبة التي لا بأس بأن يدخل فيها كل شيء من عصور ما قبل التاريخ إلى العهد الحاضر ما عدا الدين الذي يراد إبعاده عن حياة الغالبية العظمى من العرب . وأخيراً نصادف أن فقدت هؤلاء الطوائف ربيبة الاستعمار عمادها أو القطب الذي كانت هي بمثابة المخلب له وذلك في وقت نجحت فيه فكرة فصل الدين عن السياسة بين المسلمين نتيجة لضعفهم وخيبة آمالهم ، فليست للحال الجديدة لباسها — لباس الوطنية الصادقة (ولكن مع ضمان وضع خاص فليتأمل !) — حتى جاء الاعتراف باستقلال لبنان الذي لم يرض به كثير من الوطنيين المخلصين إلى آخر لحظة ، رمزاً للتبرؤ من العون الأجنبي من جهة والفكرة الدينية من جهة أخرى . وبعد بضع سنوات أصبح هذا الوضع ، بفضل الجامعة العربية ، من البادىء الأزلية التي ربما ينطوي الإسهاب في الكلام عنها على مجازفة خطرة .

قامت الجامعة العربية فابتهج بها المسلم الهندي كما أنه ابتهج بميثاق سعد آباد أو أي مظهر آخر للتقارب بين المسلمين حتى زواج الأميرة فوزية من جلالة شاه إيران ، وربما عبر عن ابتهاجه بما ينبيء عن إعتقاده بأن الكتلة العربية أشد ارتباطاً بالمسلمين في الأقطار الأخرى من شقيقتها و (بترونها) الكتلة اللاتينية فتحفزت الجامعة مرات عديدة لإنفاذ سمعتها كهيئة إقليمية محضة ونفت اهتمامها بالدين وأهل الدين حتى لا تفسد عليه صفقة الأصوات . وهكذا مضت الجامعة في تنسيق السياسة الخارجية للدول العربية تتوخى كسب الأصوات وتبادل « المواقف » — الذي يستلزم في بعض الأحيان التهاون في الحق — تحاول تهدئة فرنسا في دورة للأمم المتحددة ومساومة أسبانيا في دورة أخرى حتى أثبتت حوادث فلسطين أنها لم تكن خلقت لغير هذا العمل ؛ وعلى كل حال فإن الجامعة العربية ، مع أنها لم تكن تصلح من حيث تراكيبها لمقاومة الاستعمار إلا إذا كان من نوع معين ، أيقظت شعوراً قوياً بين الشعوب العربية نحو التآلف والتآزر حتى أن هذا الشعور المتدفق ربما سبب متاعب للحكومات المصطنعة الغير الممثلة المتلكئة في الأمور ، ولكن يجب التصريح بأن هذا الشعور إنما كان مبنياً على أساس العروبة وتناسي الدين أعني الإسلام .

(البقية في العدد القادم) السيد محمد يوسف

ركن المعتزلة :

علم الله فى مذهب المعتزلة

للدكتور البير نصري نادر

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

إن الكلام فى علم الله يختلف كل الاختلاف عن الكلام فى المعرفة عند الإنسان ؛ لأن علمنا يتكون تدريجياً ونحن نصل إلى المعرفة بفضل مجهود فكرى مستمر نبذله فى فهم الحقائق والوقائع؛ ونمر هكذا بمراحل أدناها مرحلة الجهل وأسماها مرحلة المعرفة ؛ ولكن كم تصادفنا من مراحل نشك فيها ونتردد ونتمم التفكير ونجلى الأمور ونتخذ القرارات ثم نغيرها أحياناً ونتمسك بها أحياناً . وهذا التدرج فى تكوين المعرفة برهان قاطع على عجز العقل البشرى وعدم كماله .

وإذا ما تكلمنا عن علم الله فلا يجوز أن نقارنه بعلمنا ولا أن نحاول فهمه بتشبيهه بعلمنا لأنه لا توجد أدنى مشابهة بين المتناهى واللامتناهى ولا بين الكامل والناقص .

لذلك كان الجبائى[1] لا يسمى الله فهيما ولا فقيهاً ولا موقنا ولا مستبصراً ولا مستبيناً لأن الفهم والفقه هو استدراك العلم بالشيء بعد أن لم يكن الإنسان به عالما[2] واليقين هو العلم بالشيء بعد الشك ، وكل هذا يدل على التبدل والتغير فى مراتب العلم ولكن لا يوجد أى تغير فى الله وهو فى حالة ثبات كامل لأن علم الله هو هو أعنى هو ذاته وذاته أزلية كاملة لا تغير فيها ولا تبدل .

ولما كان الله لم يزل عالما بكل الأمور فعلمه منذ الأزل كامل شامل كل شيء حصل وسيحصل . ولكن هناك مسألة بحثها المعتزلة على النظر وجاء البحث مؤيداً لقولهم بثبات علم الله منذ الأزل ، وهذه المسألة هى :

(١) هو أبو علي بن عبد الوهاب بن سلام الجبائى المتوفى سنة ٣٠٣ هـ ولد فى جبي فى الجوزستان ثم جاء البصرة وتتلمذ للشحام المعتزلى شيخ المعتزلة حينئذ فى البصرة . ومن تلاميذ الجبائى الأشعرى رأس الأشاعرة لانظر الفهرست لابن النديم ص ٦ وكتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطى المتوفى سنة ٣٧٧ هـ

(٢) الأشعرى : مقالات الاسلاميين ص ٥٢٦ .

هل يجوز كون ما علم الله أنه لا يكون ؟

ترد المعتزلة على هذا السؤال بالنفى طبعاً . ولكن ذلك لا يمنعهم من تحليل السؤال تحليلا دقيقاً ليبينوا استحالته . فنجد مثلا على الأسوارى[1] يشطر السؤال شطرين هما أولا : يجوز كون شيء أعنى أن الله يقدر على الشيء أن يفعله ، وثانياً : الله عالم أن هذا الشيء لا يكون وإنه أخبر أنه لا يكون . ويقول الأسوارى إذا أفرد أحد القولين عن الآخر كان الكلام صحيحاً ؛ أما إذا افترق القولان كان ذلك مستحيلا . وذلك على عكس ما هو عند الإنسان ؛ لأنه ليس من المستحيل أن نلاحظ عند الإنسان فرقاً بين معرفته لعمل واجب أداؤه والامتناع عن أداء هذا العمل ؛ لأن الإنسان قادر على الضدين فى حين أن الله لا يوجد فيه تغير، وعلمه وإرادته وقدرته تعالى هى ذاته وذاته لا تتغير[2] .

وهناك رد آخر على هذا السؤال . فتقول المعتزلة : إذا علم الله أن حدثا أو عملا أو شيئاً لن يحدث لعجز أو استحالة فى الحدث أو العمل أو الشيء نفسه (مثل تربيع الدائرة أو إرسال المؤمنين إلى النار) أو لعجز من قبل الله على حدوث هذا العمل أو الشيء إذ أن حدوثه ينافى النظام والقوانين المسنونة للعالم منه تعالى ، فإن هذا الحدث أو العمل أو الشيء لم يحدث أبداً ما دام وجد العجز أو الاستحالة[3] .

فى هذا الرد نجد اعتقادين راسخين عند المعتزلة وهما أن العالم خاضع لنظام كامل تام مطابق لعلم الله ؛ وبما أن علم الله لم يزل ثابتاً فنظام العالم ثابت أيضاً لأنه لو تصادف وأصبح هذا النظام غير مطابق لعلمه تعالى فعلمه لم يعد كاملا . وبما أن علمه هو ذاته فتصبح الذات والحالة هذه غير كاملة أيضاً وهذا تناقض .

وتزيد أكثر المعتزلة على ذلك قائلين : ما علم الله أنه لا يكون لاستحالته أو لعجز عنه يجوز أن يكون على شرطين : أن يرتفع العجز عنه وإن تحدث القوة عليه . ولكن فى هذه الحالة كان الله لم يزل يعلم برفع العجز عن هذا الشيء وبحدوث القوة عليه .

(١) من أصل فارسى تتلمذ لأبى الهذيل العلاف وللنظام . توفى حوالى سنة ٢٠٠ هـ

(٢) الشهرستانى : الملل على هامش ابن حزم جـ ١ ص ٦٠ . الأشعرى : مقالات الاسلاميين ص ٥٥٩ و ٥٦٠ .

(٣) الأشعرى : مقالات الاسلاميين ص ٥٦٢ .

وهذا لا يناقض كماله تعالى .

فنلاحظ أنه مهما اختلف وضع المسألة فالحل واحد وهو أن المعتزلة تردد دائماً أن الله لم يزل عالما بالأشياء كلها ولا يجوز حدوث شيء إلا وهو لم يزل يعلمه .

***

لما كان الله لم يزل يعلم كل شيء فكيف يمكن أن نتكلم عن حرية الاختيار عند الإنسان لأعماله ؟ أهو حر فعلا أم مجبر ؟ إنها لمسألة فى غاية الدقه والأهمية وهاك رأى المعتزلة فيها .

علم الله ومصير الإنسان فى الآخرة :

يحدثنا ابن حزم عن رأى لهشام القوطى المعتزلى تشاركه فيه جميع المعتزلة لأنه يعبر عن أصل من أصولها فى علم الله . يقول هشام : إن من هو الآن مؤمن عابد ولكن فى علم الله إنه يموت كافراً فإنه الآن عند الله كافر . وإن من كان الآن كافراً مجوسياً أو نصرانياً أو دهريا أو زنديقاً ولكن فى علم الله أنه يموت مؤمناً فإنه الآن عند الله مؤمن[1] . فلا غرابة فى هذا القول إذ أن علم الله لا يتغير ؛ فإذا علم الله منذ الأزل أن فلانا سيموت كافراً ولو آمن وقتاً من الزمن فإنه عند الله كافر ؛ لأنه تعالى لم يزل يعلم أن بعد إيمان هذا الشخص كفراً . ولا يجوز أن يزيد كفر المؤمن شيئاً فى علم الله — هل يعنى ذلك أن لا قدرة للانسان على أعماله لأن الله لم يزل يعلمها ؟ نحن نعرف أن المعتزلة « أهل عدل » أيضاً أعنى أنهم يقولون إن الإنسان قادر على أعماله محاسب عليها — فكيف يكون التوفيق بين القولين إن الله لم يزل يعلم كل شيء ، وإن الإنسان قادر على أعماله ؟

هناك حل دقيق أتى به الجبائى ليوفق بين هذين القولين . فيقول : لنفحص الحالات الثلاث الآتية :

أولاً : يقول الجبائى إذا وصل مقدور بمقدور كانت النتيجة إيجابية صحيحة ؛ مثلا لو قلنا إذا آمن الكافر (شرط أول) وكان الإيمان خيراً له (شرط ثان) لأدخله الله الجنة (النتيجة الصحيحة لهذين الشرطين) والمقدوران هما : العودة إلى الإيمان بعد الكفر — الإنسان فى إمكانه أن يعود إلى الإيمان — وإذا لم تخير الله عما يناقض ذلك فتكون هذه الحالة الأولى صحيحة .

عند تحليل هذه الحالة نجد المعتزلة تعترف بقدرة الإنسان على الكفر وعلى الإيمان وذلك بمجرد اختياره ؛ ثم إن الله لم يزل يعلم هذا الاختيار . إننا هنا بدون شك بصدد نقطة صعبة وهى شعورنا بقدورنا على اختيار شيء أو حال دون الآخر ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى علم الله منذ الأزل بما نختاره .

وإذا تمسكت المعتزلة بالقول بقدرة الإنسان على أعماله كان تمسكها هذا صوناً لعدالة الله وإلقاء المسئولية على الإنسان وحده عند ما يعاقب أو يثاب . ففى هذه الحالة الأولى التى يعرضها الجبائى برهان كاف على حرية الاختيار عند الإنسان على شرط أن يأتى اختياره على شيء ممكن جائز مقدور .

الحالة الثانية : إذا كان هناك شيئان متناقضان فلا يمكن التكلم عن حرية الاختيار عند الإنسان واستحالت النتيجة — مثل قولنا أن يكون المرء مؤمناً وكافراً أو متحركا وساكناً أو حياً أو ميتاً فى آن واحد . إن الإنسان لا يقدر على ذلك وحريته مقيدة أمام التناقض . فالحرية لا تعنى إذن القدرة على عمل أى شيء أو ضده — وبما أن الله لم يزل يعلم مجرى الأمور حسب قوانينها فهو يعلم عجز الإنسان أمام التناقض كما أنه تعالى لم يزل يعلم قوانين العالم فكل ما يحدث فيه كان هو لم يزل عالما به .

وفى الحالة الثالثة : يقول الجبائى إذا وصل شيئان أحدهما جائز والآخر مستحيل فتكون النتيجة مستحيلة ؛ مثلا إذا قلنا إن الكافر يؤمن فى حين أن الله يعلم ويخبر أنه لن يؤمن فمن المستحيل أن يؤمن هذا الكافر فتكون إذن حرية المرء مقيدة بعلم الله وإخباره . ولكنها حالات شاذة تلك التى يخبرنا الله فيها عن علمه[1] .

أثر منطق أرسطو :

إن تحليل الجبائى لمسألة علم الله ومصير الإنسان هو تحليل منطقى لا شك أن لمنطق أرسطو أثراً كبيراً فيه . فقابلته القضايا الإيجابية أولا والقضايا السالبية ثانيا واستنتاجه النتائج الإيجابية أو السالبية كل ذلك يدل على أن الجبائى كان ملماً[2] بهذا المنطق

(١) ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ج ٤ ص ١٤٩ .

(١) أنظر الأشعرى : مقالات الاسلاميين ص ٥٦٠

(٢) تلمذ الجبائى للشحام الذى ألم بالفلسفة اليونانية عن طريق الترجمة التى قام بها حنين بن اسحق فى بيت الحكمة (أنظر ابن المرتضى المنية والأمل ص ٤٠ والملطى كتاب التنبيه ص ٣٢) .

مسئولية الاحتلال الانجليزى لمصر

للأستاذ كمال السيد درويش

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

— ٣ —

هل تقع مسئولية الاحتلال البريطانى على الإنجليز وجشعهم الاستعمارى ؟

ولم لا ؟

ألم يتعللوا للبقاء فى مصر بشتى المعاذير حتى واتتهم الظروف فكشفوا عن نيتهم الصريحة فى الاحتلال بإعلان الحماية على مصر سنة ١٩١٤ م

ألا يدل على ذلك قصة تلك الوعود الرسمية التى قطعها باسم إنجلترا ممثلوها الرسميون « إن رغبة حكومة جلالة الملكة هى أن تترك المصريين وشأنهم بعد أن تخلص مصر من الطغيان العسكرى »[1] قيل هذا سنة ١٨٨٢ م . وهذا تصريح آخر : « إن الشك الذى يخامر الرأى العام سببه رغبة بعضهم فى احتلال مصر احتلالاً مؤبداً وإدماجها فى هذه الأمبراطورية . وتلك غاية نحن مصممون على مدافعتها وعلى ألا نسعى إليها بحال من الأحوال »[2] بل لقد ذهبت إنجلترا إلى أبعد من ذلك فحددت تاريخاً معيناً للجلاء . وأى والله حدث هذا « إن حكومة جلالة الملكة تريد أن يكون سحب الجنود فى أول عام ١٨٨٨ م »[3]

لقد أورد المستر بلنت فى مقدمة كتاب (تاريخ المسألة المصرية) قصة هذه الوعود الرسمية ثم علق عليها بقوله « حقاً إنه ليس فى تاريخ جميع إجراءات إنجلترا الاستعمارية عهود كهذه بذلت ثم نقضت » .

إن قصة ضرب الاسكندرية لا تحمل فى طواياها إلا حجة الذئب حين أراد التهام الحمل . لقد كانت نية الاعتداء المتعمد واضحة منذ البداية. وإلا فلماذا أتى الأسطول إلى ميناء الإسكندرية وبأى حق يقف فى المياه المصرية ؟ وكيف يجرؤ فيتدخل فيما ليس من حقه التدخل فيه حين يطالب بوقف أعمال الترميمات فى الحصون والطوابى ويتخذ بذلك تلك الحجة الواهية لتبرير ذلك الاعتداء الوحشى .

لقد أجمع من كتب فى حوادث ذلك الاحتلال من المعاصرين أو ممن جاءوا فى أعقابه على أن نية الاحتلال كانت مبيتة لدى إنجلترا قبل ضرب الاسكندرية بكثير . وقد شاهد المستر بلنت بنفسه الاستعدادات الحربية تجرى فى إنجلترا منذ شهر يونية سنة ١٨٨٢ م .

إن إلقاء التبعة على إنجلترا مما لا يختلف فيه اثنان وهو ما حققته الحوادث فيما بعد .

ولكن مهلاً أيها القارىء العزيز فإن احتلال مصر جريمة أكبر من أن تقترفها يدٌ واحدة كيد عرابى أو كيد الدولة العثمانية أو الخديو أو حتى يد إنجلترا نفسها .

حقاً لقد أخطأ عرابى ؛ ولكن ، من ذا الذى لا يخطىء ؟ وهل يكون خطأ عرابى سبباً فى إلقاء تبعة الاحتلال بأسره عليه

(١ ، ٢ ، ٣) تاريخ المسألة المصرية — تيودور تشتيد — مقدمة مستر بلنت .

وحاول أن يستخدمه فى مسألة من أدق المسائل وأعقدها . إنها لمحاولة جريئة وهى ليست الوحيدة من نوعها فى فلسفة المعتزلة .

***

من هذا نستخلص أن جل هم المعتزلة هو رد الصفات ومن ضمنها صفة العلم إلى ذات الله تعالى . وبما أن هذه الذات قديمة لا متناهية ثابتة فيكون العلم أيضاً قديماً لا متناهياً ثابتا . ثم إن الله لم يزل يعلم كل الأمور وإذا كان العالم قديماً بالنسبة إلى علمه تعالى فإنه يتحقق فى الزمان تبعاً لهذا العلم — أما فيما يختص بمسألة قدرة الإنسان على أعماله فالمعتزلة تحلها بقولها إننا نشعر بحرية الاختيار وإننا نجهل علم الله وإن عدل الله يضطرنا إلى القول بهذه الحرية — وكل المسألة الأخلاقية متوقفة عليها .

ألبير نصرى نادر
دكتور فى الآداب والفلسفة

وفى تصويره بتلك الصورة التى لا تليق بهذا الزعيم الوطنى المصرى الصميم ؟ لقد أحس الأستاذ محمود الخفيف أن عرابى مظلوم وأن أعداءه بالغوا فى الكيد له والزراية عليه حتى قال : « والحق أنه قلّ أن نجد فى رجالنا رجلاً ضاعت حسناته فى سيئاته كما ضاعت حسنات عرابى فيما افترى عليه من سيئات . كذلك قلّ أن نجد فى رجالنا رجلاً كرهه أكثر بنى قومه مضللين ، واستنكروا أعماله جاهلين بقدر ما كره هؤلاء عرابياً »[1] .

ونحن نميل إلى هذا الرأى الأخير لا بدافع التعصب أو الرغبة فى إنصاف عرابى ولكن بدافع الرغبة فى إنصاف الحقيقة والتاريخ وكلاهما كما تبين لى ينصفان عرابى . وسأسوق من الأدلة التاريخية ما يقف إلى جانب ما كتبه صاحب كتاب « أحمد عرابى الزعيم المفترى عليه » عسى أن تتغير نظرة المصريين إلى زعيم المصريين .

ولكن ، ما هى تلك الحقائق التاريخية ؟

الواقع الذى كشف عنه البحث العلمى الحديث أن احتلال مصر كان شيئاً مقرراً ومرسوماً قد اتفقت عليه الدول الأوربية من قبل . لقد تمت حوادث الاحتلال خلال صيف سنة ١٨٨٢ م ولكن .. ولكن الاتفاق على فكرة الاحتلال نفسها كان قد سبق ذلك بكثير .

لقد كانت الوحدة الألمانية وكان ظهور بسمرك عاهل ألمانيا العظيم وأكبر سياسى سيطرت شخصيته على مجرى الحوادث الأوربية فى ذلك الحين . وكانت الحرب السبعينية (١٨٧٠) م فانتصر فون ملتكه ودخل الألمان باريس وخرت فرنسا جاثية على ركبتيها أمام جبروت بسمرك والألمان . ولكن بسمرك كان يجمع إلى القوة الحربية دهاء الساسة وحذقهم . فرأى بثاقب نظره أن حزب الانتقام يتكون فى فرنسا وينادى بأخذ الثأر من ألمانيا فلم يكن منه إلا أن فكر فى شغل أذهان الفرنسيين عن المناداة بالانتقام فوجه أطماعهم خارج القارة الأوربية وأوحى إليهم بتوسيع أمبراطوريتهم الإفريقية . وهكذا أخذ بسمرك يلوّح للفرنسيين بضرورة احتلالهم لتونس ، ولكن احتلال فرنسا لتونس سيترتب عليه اختلال توازن القوى بينها وبين إنجلترا فى البحر الأبيض .

وانتهز ساسة إنجلترا فرصة تساهل بسمرك فرحبوا بفكرة احتلالهم لمصر مقابل السماح لفرنسا باحتلال تونس .

« والواقع أن فكرة احتلال إنجلترا لمصر مقابل احتلال فرنسا لتونس إنما ترجع إلى أوائل عام ١٨٧٦ حين رأى بعض الساسة الإنجليز أن على إنجلترا انتهاز الفرصة واستغلال الفرص الذى قدمه بسمرك باستيلاء إنجلترا على مصر فى مُقابل تمكين فرنسا من احتلال تونس »

وبدأت الفكرة ؛ فكرة احتلال إنجلترا لمصر تتقدم منذ ذلك الحين على يد بسمرك لا لشىء إلا لأنه يريد أن يسكت إنجلترا حين تقوم فرنسا باحتلال تونس .

وفى ابريل سنة ١٨٧٨ نجد « مونستر » السفير الألمانى فى لندن يؤيد فكرة احتلال إنجلترا لمصر ويدعو لها كما يتحمس لها فى ذلك الحين أيضاً « سولسبرى » من الجانب الإنجليزى .

وهكذا تنمو فكرة احتلال إنجلترا لمصر مع فكرة احتلال فرنسا لتونس وتسيران جنباً إلى جنب يؤيدهما ويباركهما بزمارك عاهل ألمانيا برضائه وبتأييده ونفوذه .

لقد كتب مراسل التيمس إلى جريدته فى ٢٠ أبريل سنة ١٨٧٨ م يقول : « لقد روى لى بسمرك بنفسه أنه قال للورد بيكونسفيلد حين شاهده لأول مرة أن من صالح إنجلترا أن تتفاهم مع الروسيا على أن تدعها حرة فى القسطنطينية مقابل إطلاق يد انجلترا فى مصر » .

وهكذا أصبح مفهوماً من ضمن أحاديث الساسة أن الاتفاق قد تم على هذا التقسيم . وحين أراد ساسة فرنسا السير جدياً فى مشروع احتلال تونس سموا إلى الحصول على تأكيد كتابى من إنجلترا حتى لا تعود فتتنكر لما قطعه ساستها من عهود . وقد حصل الفرنسيون على هذا التأكيد الكتابى فى ٧ أغسطس سنة ١٨٧٨ م . ثم يسعى الإنجليز بعد ذلك بدورهم للحصول على تأكيد رسمى من فرنسا بموافقتها على احتلالهم لمصر فيثيرون المشاكل أمامها فى تونس ويقفون عقبة دون القيام باحتلالها . ويتساءل الفرنسيون : « لماذا تلجأ إنجلترا إلى إقامة العقبات أمامنا فى تونس؟ إن لها فى البحر الأبيض وسوف يكون لها مصالح كثيرة . وسوف نمد إليها يد المساعدة . ولكن هذا التلميح لا يكفى ؛

(١) محمود الخفيف . أحمد عرابى الزعيم المفترى عليه . مطبعة الرسالة المقدمة . هـ . .

فيضطر وزير الخارجية الفرنسى « سنت هيلير » إلى التصريح « بتفوق المصالح الإنجليزية فى نهر النيل وقناة السويس على المصالح الفرنسية » ثم يؤكد فى ديسمبر سنة ١٨٨٠ « أنه على استعداد دائم للتصريح بأن المصالح البريطانية فى مصر تفوق غيرها من مصالح أى دولة أوربية أخرى » .

وهكذا تقاسمت الدول الأوربية الأمبراطورية العثمانية وهي لا تدرى . وبدأ التضامن بينها في التقسيم ينمو منذ عام ١٨٧٦ م وقام بسمرك بدور القاضى يوزع بالعدل والقسطاس المستقيم ؛ يرضى فرنسا حيناً ويرضى إنجلترا حيناً آخر ، ولكن على حساب تلك الأمبراطورية التى كانت تسير بخطى سريعة إلى نهايتها المحتومة . ولقد لاحظنا كيف تبادل المندوبون التصريحات والتأكيدات حتى لا ينتطح فيها عنزان . بل لقد كانت الملكة فيكتوريا نفسها — كما يتبين من خطاباتها — من أكبر مُؤيدى مشروع احتلال إنجلترا لمصر وتثبيت أقدامها فى وادى النيل .

وبينما كانت الصحافة الإنجليزية تمهد الرأى العام فى الداخل لتقبل ذلك الحدث الجديد ؛ كانت السياسة الإنجليزية — وقد نالت تأييد بسمرك وفرنسا — قد انفردت بالتدخل فى شئون مصر لا سيما بعد أن تلقى ممثلو فرنسا فى مصر من وزير خارجيتها تعليمات سرية تدعوهم إلى الموافقة على ذلك الوضع الجديد .

وهكذا نجد أن وثائق التاريخ الحديثة قد أثبتت أن فكرة احتلال إنجلترا وُجدت منذ أواخر عهد إسمعيل . وأن إنجلترا بدأت تعمل جدياً لتحقيقها منذ سنة ١٨٧٦ ، وأن ما حدث من حوادث قبل الاحتلال لم يكن إلا من قبيل ذر الرماد فى العيون ، فاشتراك الدول فى مؤتمر الآستانة لا سيما فرنسا كان تمثيلية رائعة أريد بها التمويه على الدولة العثمانية ؛ وقد نجحت تلك التمثيلية نجاحاً باهراً ، وقل مثل ذلك فى انسحاب الأسطول الفرنسى من ميناء الاسكندرية قبل ضربها وترك الأسطول الانجليزى يصول ويجول وحده فى الميدان . ولماذا؟ ألم يدع الإنجليز فرنسا قبل ذلك بعام واحد تصول وتجول هى الأخرى بمفردها فى ميدان تونس ؟!

لذلك لا نذهب بعيداً إذا قلنا أن الاحتلال الإنجليزى لمصر كان سيتم سواء وُجد عرابى أم لم يوجد ، وسواء قام بحركته أم لم يقم ؛ فما كان من الصعب على إنجلترا أن تخلق سبباً مباشراً لتلك الجريمة التى اشترك فى إعدادها ساسة ألمانيا وفرنسا وأخيراً ساسة إنجلترا .

لقد كان الاحتلال الإنجليزى لمصر وليد السياسة الأوربية ولم يكن نتيجة للحركة العرابية .

فكيف يكون عرابى مسئولاً ؟ وكيف نتحامل عليه ؟ لقد بذل عرابى أقصى ما فى طاقته ؛ ولولم يظهر عرابى لظهر مكانه عرابى آخر ، ذلك أن عرابى كان يمثل الشعب المصرى وما كانت الحركة التى قام بها حركته هو بل حركة الشعب المصرى بحسناته ومساوئه فى ذلك الحين .

حقاً ، لقد آن لنا أن ننصف تاريخ عرابى — الزعيم المفترى عليه بحق — وأن ننصف تاريخ الثورة العرابية لا بدافع التعصب لقوميتنا ولكن لوجه الحقيقة والحقيقة وحدها .

إن مسئولية الاحتلال البريطانى لمصر لا تقع إلا على عاتق الدول الأوربية وعلى رأسهم بسمرك .

لقد كانت الدولة العثمانية أشبه بالرجل المريض أو الكهل الهرم . كان الداء قد سرى فى جميع أنحائها ؛ وكان الضعف قد دب فى جميع أوصالها . واتسع الخرق على الراقع فوقفت مكتوفة اليدين لا تنشد النجاة والخلاص إلا فى بقاء النزاع والاختلاف بين أعدائها .

فعلى من تقع مسئولية الاحتلال ؟!

ألست معى أيها القارىء العزيز فى أنها تقع على عاتق بسمرك ذلك الرجل الذى وفق بين المتنازعين فقاموا يتقاسمون بيركة نفوذه وسيطرته تركة الرجل المريض ومكن إنجلترا من احتلال مصر فخرجت من عملية البر بأحسن نصيب ؟!

(الاسكندرية) كمال السيد درويش
ليسانسيه الآداب بامتياز ودبلوم معهد التربية العالى
ومدرس بالرمل الثانوية
وعضو الجمعية التاريخية لخريجى جامعة فاروق

اقهر الحياة ...

للشاعر الفرنسي أندريه ريفوار

ترجمة الأستاذ علي محمد سرطاوي

انطلق في الحياة وامش على الشو ك قويا كالمارد الجبار
شامخ الرأس والعزيمة تمضي فوق نار الأخفاق كالاعصار
في رحاب الحياة عش شامخ الرو ح أبيا يدوس وجه النضار
احترق في الطموح والمثل الأعلى وما في العذاب من إسمار
احترق في الكفاح وافن نضالا في صميم الأهوال والأخطار
هكذا يغلب الحياة ويحيا ذو جنان في العز والأكبار
يثبت الباسل المظفر فيها وعلى ثغره ابتسام احتقار

***

إن تلاشت أحلام قلبك في يأ س فعاود ارجاعها من جديد
أو إذا أوهنت عزيمتك الدنيا فجدد عزيمة كالحديد
أو إذا ما طوى أمانيك إخفا ق فلا تأس وابتهج في الوجود
خذ جناحاً وطر بما فيك من خيبة سعي إلى طموح بعيد
احترق قوة وضعفاً وعزما وعذاباً في النار ذات الوقود
احترق صحة وسقما وبؤسا وتغلب على جميع القيود
احترق في العذاب فوق أمانيك وعش في الحياة عيش الأسود

***

كن صبوراً على المصائب والهو ل ولا تشك من قراع الخطوب
كن شجاعاً وحازماً واحذر البغي وفرج ظلامة المكروب
كن إلاهاً واذكر بأنك إنسا ن وإن عشت في ضمير الغيوب
احترق في تجارب الدهر واصبح فيلسوف الأوجاع والتعذيب
احترق في لظى الإرادة واحمل ضربات الأسى بقلب طروب

***

ربما دودة وجدت على اللقمة قد أفسدت مذاق الرغيف
وسموم في شربة الماء تبدو في ثرى كأسها معاني الحتوف
وفتاة في قلبها يذبل الحب ويذوي الوفاء في التزييف
انبذ الخبز واسكب الماء واهجر كل قلب في الحب غير عفيف
احترق صامتاً إباء وصبراً واحتمالاً على اللهيب المخيف
احترق عزة ولا تشك خطباً وأغلب الدهر في الصراع المنيف
احترق ظامئاً وعش تتلظى جائعاً في الحياة غير ضعيف

***

لن تلاقي الهوان إلا إذا عشت بغير الأناة في الكائنات
واحتقار الحياة لن يتراءى لأبي يعرف ما في الحياة
سترى الموت إن زحفت على الأرض
تلاق الحياة كالحشرات
فأدر وجهك الأبي ولا تنظر لغير الخلاق في الصلوات
وحبيب الفؤاد يصمت أحياناً ولو سرت في طريق الممات
احترق وحدة على لهب الآمال واصبر على عذاب الثبات
احترق في الصعاب صلباً وحلق بجناح الآلام في النائبات

***

وإذا ما حنت إليك تناديك حظوظ من الزمان السعيد
ملؤها العطف والمحبة والإكبار للباسل الأبي الودود
ومشى في ركابك المجد والدنيا تحييك في خشوع السجود
امش قدُماً وافتح مغاليق أسرارك
واحرق ما نلت من تمجيد
احترق ناظراً إلى الهدف الأسمى صبوراً على عذاب القيود
احترق ناظراً إلى مطلع الشمس صلاة على لسان الوجود
احترق ساعياً لتبلغ في الدنيا كالا يقول : هل من مزيد

(المنيب — العراق) علي محمد سرطاوي

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

حول مشكلة الأداء النفسى فى الشعر العربى :

ما كدت أنتهى من قراءة مقالك الرائع عن الأداء النفسى فى الشعر العربى حتى وجدتنى مدفوعاً إلى الكتابة إليك ، معبراً لك فى حرارة وإخلاص عن إعجابى الشديد بهذا المقال الفريد الذى بلغت فيه الذروة من حيث عمق الفكرة ، ورهافة الإحساس ، ودقة الشعور ، وبراعة الأداء . لقد أديت بمقالك هذا الرائع خدمة عظيمة لمن يريدون أن ينقدوا الشعر والأدب ، فدللتهم على الوجهة المثلى التى يجب أن يتجه إليها كل من شاء أن يتصدى للنقد الفنى المفيد ، وأديت به كذلك خدمة عظيمة لقراء الشعر والأدب ، فعرفتهم كيف يقرأون الشعر قراءة تأمل واستيعاب وتجاوب ، وأديت به فوق ذلك خدمة للشعراء المحدثين حين جعلتهم يدركون أن هناك ناقداً ممتازاً يرصد الطريق ، ليقيم العاثر ، ويوجه المنحرف ، وينبذ المعوق ، ويشجع المستقيم . وإنى لأحمد الله على أن ميدان النقد الأدبى — وهو ميدان خطير الشأن — لم يخل بعد أن انصرف عنه أمثال طه والعقاد والمازنى وهيكل ، من أمثال المعداوى وقطب ومندور ، مع ما امتاز به الأخيرون من التجاوب مع شعراء الشباب فى التفكير والشعور والإحساس .

وقد كنت أحب ألا تجعل كلامك مقصوراً على نموذج واحد لشاعر واحد ، فذلك من شأنه أن يغمط حقوق الآخرين . وكنت أحب كذلك أن تلتفت فى هذا المجال إلى الشعراء الشبان ممن تجد لديهم النماذج المنشودة للأداء النفسى .. كنت أحب أن تلتفت إلى هؤلاء الشعراء ، ليكون هذا الالتفات تحية وتشجيعاً لهم من جهة ، وتوجيهاً وإرشاداً من جهة أخرى ، ولأنهم عدة المستقبل ومعقد الرجاء . أما بعد فقد كنت مشغولاً عن القراءة والكتابة بظروف خاصة تتصل بكائنين عزيزين كل منهما أحب إلى من نفسى ، ولكن مقالك هذا قد استطاع أن يستأثر بى بعض الوقت فقرأته ، ثم استطاع أن يؤثر فى نفسى تأثيراً عميقاً فكتبت إليك

أعذرنى إذا لم أستطع أن أحدثك بكل ما لدى بسبب هذه الظروف الخاصة ، وتقبل أخلص آيات المودة وأعظم دلائل التقدير من المخلص :

ابراهيم محمد نجا

هذه رسالة شاعر يشهد الله أننى أقدره قبل أن ألقاه هذا اللقاء الفكرى الأول ، ويشهد الله أن تقديرى له قبل لقائه كان وليد تلك الومضات النفسية التى طالعتنى من شعره فيما قرأت له على صفحات « الرسالة » و « الكاتب المصرى » .. واليوم يزداد تقديرى له وإعجابى به لأن الشاعر الذى يجيد التعبير عن عالم النفس والحياة ، ثم يجمع إلى هذه الموهبة سلامة النظرة إلى عالم الأدب والنقد ، هذا الشاعر جدير بالتقدير والإعجاب !

هذه كلمات لا أريد بها أن تقوم مقام الشكر على كريم تقديره ، وإنما أريدها تقرير واقع تمثل بالأمس فى تحية من القلب ، حتى إذا دعت إليه المناسبة تمثل اليوم فى تحية من القلم ... لقد جاء ذكره مرة على لسان الدكتور طه حسين فأثنى عليه أمامى وأثنيت ، وجاء ذكره مرة أخرى على لسان الأستاذ الزيات فأثنى عليه أمامى وأثنيت ، وحسب الشاعر الفاضل مثل هذا الذكر الجميل !

بعد هذا أقول للأستاذ نجا إن مقالى عن مشكلة الأداء النفسى فى الشعر قد قصدت به إلى غاية ورميت به إلى هدف ، أما الغاية فهى عرض المشكلة من شتى نواحيها ومختلف زواياها مع الاستشهاد الذى يقرن بين النقد والمثال ، وأما الهدف فهو رسم الطريق لقارىء الشعر وناظمه وناقده على هدى ميزان أثقته وأومن به ، فمن شاء أن يأخذ به من هؤلاء جميعاً فليأخذ ، ومن شاء أن ينصرف عنه فلينصرف .. ولكننى أحمد الله مع الأستاذ الشاعر على أن ميدان الذوق الأدبى — وهو ميدان خطير الشأن — لم يخل من أمثال هؤلاء الذين يبعثون إلى برسائلهم الممتازة تعقيباً على ما أكتب ، وحسبى أن يكون من بينهم صاحب هذا الذوق اللماح ! .

هذا هو المجال الذى أردت أن أكتب فيه ، وهو مجال يحدد جوانب المشكلة وما فيها من قيم ، على أن يكون ذلك عن طريق العرض الفنى لتلك الجوانب ، لا عن طريق الاستعراض النقدى للشعراء ممن يمثلون هذه القيم ... وإذا كنت قد استشهدت

بأبيات لإيليا أبى ماضى فليس معنى ذلك أن إيليا يقف وحده فى ميدان الأداء النفسى الذى أدعو إليه ، وإنما جاءت أبياته كنموذج كامل لهــذا الأداء حتى يستطيع القراء والنقاد أن ينظروا إلى كل إنتاج شعرى على ضوء هذا النموذج بالنسبة إلى الشعر العربى قديمه وحديثه . ولعل الأستاذ نجــا قد لاحظ أننى أشرت إلى مدرستين تمثلان هذا الاتجاه فى الشعر المعاصر ، وذلك عند ما قلت إن المدرسة الأولى قدنهض بها بعض شعراء الشيوخ وعلى رأسهم شوقى ، وإن المدرسة الأخرى قد نهض بها بعض شعراء الشباب وعلى رأسهم إيليا أبو ماضى ... ومعنى ذلك أن هناك شعراء يقفون إلى جانب الشاعر الأول ، وأن هناك آخرين يقفون إلى جانب الشاعر الثانى ، ســواء فى مصر أو فى المهجر أو فى غيرهما من الأقطار العربية .

أما قول الأستاذ نجا بأن الاكتفاء بنموذج واحد لشاعر واحد من شأنه أن يغمط حقوق الآخرين فلا أوافقه عليه ... يأخى ثق أن الرأى العام الفنى بخير ، وأن أصحاب المواهب لابد أن يشقوا طريقهم إلى النفوس والعقول والأذواق ، ولابد أن يصلوا إلىنهاية الطريق وتحت أقدامهمأشلاء الفارغين والمطموسين وكل من تحدثه نفسه باعتراض القافلة ! ومع ذلك فقــد كنت أود أن أحقق هذه الرغبة الكريمة التى عرض لها الشاعرالفاضل فى رسالته ، ولــكن ضيق المجال قد حال بينى وبين هذه الأمنية من جهة ، ولأنى أشعر شعوراً عميقاً من جهة أخرى بأن مشكلة الأداء النفسى فى الشعر أجدر بأن يفرد لها كتاب من أن تفرد لها كلمات فى مقال ، وهذه هى الومضة التى تشع فى خاطرى منذ أمد بعيد ، وتدفعنى إلى التفكير فى إخراج هذا الـكتاب الذى أرجو أن أتناول فيه بالبحث والتحليل مشكلة الأداء فى الشعر العربى كله ، منذ أقدم عصوره حتى هــذا العصر الذى نعيش فيه ... وعندئذ يمكن أن نتحدث عن الأستاذ نجا وأمثاله من الشعراء المطبوعين .

مجلة «الصياد» اللبنانية تعقب على موضوع السرقة الأدبية:

فى العدد (٨٤٤) من الرســالة كنت قد كتبت كلمة عن السرقة الأدبية التى وقعت بين جدران كلية المقاصد الإسلامية ببيروت ، وموضــوع السرقه أن هناك طالباً من طلاب تلك الـكلية قد سطا على مقال للأستاذ الزيات ، فتقدم به لنيل جائزة مالية فى مسابقة سنوية تقام بين الطلاب فى ميدان الـكتابة والخطابة . أما الجائزة فيهبها للفائزين أحد رجال الصحافة المعروفين فى لبنان ، وهو الأستاذ محى الدين النصولى ... ولقد حدث أن جازت السرقة على لجنة من المحــكمين وظفر الطــالب بجائزة ، وخرج من المسابقة وهو يحمل وصمتين وينوء بوزرين ، هما السطو على أدب الزيات ثم السطو على مال النصولى !

هذا هو موضوع السرقة الذى عقبت عليه من قبل جريدة « صدى الأحوال » اللبنانية ، معربة عن بالغ دهشتها من الانفطن المحــكمون « الجهابذة » إلى أن المقال مكتوب بأسلوب الزيات ويحمل طابعــه فى التفكير وطريقته فى التعبير ، ناعتة هؤلاء المحــكمين بالقصور وقلة الاطلاع ! ... هذه هى الزاوية التى نظرت منها « صــدى الأحوال » إلى لجنة المحــكمين ، ولــكن مجلة « الصياد » قد نظرت إلى اللجنة من زاوية أخرى أكثر عمقاً وأوفرطرافة ، حين عقبت على الموضوع مستجيبة فى هذا التعقيب لما كتب فى « الرسالة » ، وإليك هذا التعقيب الرائع الذى جاء بالعدد الصادر فى ٢٢ سبتمبر الماضى تحت عنوان « محمد المبود أبلغ من الزيات !! » :

« فى منتهى العام الدراسى الماضى ، أقامت كلية المقاصــد الإســلامية فى بيروت مباراة إنشائية خطابية بين طلاب قسم البكالوريا لنيل جائزة الأســتاذ محى الدين النصولى السنوية . وقد جرت المباراة بسلام ، ووزعت الجوائز على مستحقيها الثلاثة. وكان الأول السيد محمد المبود والثانى السيد ظافر تميم . ونذكر أن أحد أفراد أسرة « الصــياد » كان بين الحضور فــكاشف اللجنة التحكيمية بعدم توفيقها فى إصــدار الأحكام ولا سيما فيما يختص بتفضيل السيد المبود على السيد تميم ! وكان الجواب أننا لم نشهد إلا شطراً من المباراة ، وهو الشطر الخطابى وقد وضعت العلامات على القدرة الخطابية وأضيفت إلى العلامات الموضوعة على القدرة على الإنشاء فــكانت النتيجة التى رأينا . ولما سألنا أ كانت الموضوعات الإنشائية غير تلك التى ألقاها الطلبة فى الحفلة الخطابية ، كان الجــواب لا . وعندئذ أصررنا على استغرابنا واستنكارنا ... وراحت الأيام تطوى الأيام ، إلى أن

قرأنا حديثاً صباحياً للزميل « شيخ بيروت » يميط فيه اللثام عن جريمة أدبية ... فقد ثبت أن السيد ظافر تميم زور فى المباراة الإنشائية ، وبدلا من أن يكلف نفسه عناء عصر الدماغ وتنميق العبارات والتعرض لأخطار النحو والإملاء ، أغار على المنشىء المصرى المعروف الأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب الرسالة فاختلس منه قطعة عنوانها « وإنما الأمم الأخلاق ... » ، طرز بها ورقة المسابقة وذيلها بإمضائه الكريم . وبوسعنا القول إن صاحبنا الفتى يحسن الاختيار حقاً فى مادة الأخلاق ! !

وبعد أن أماط « شيخ بيروت » اللثام عن هذه السرقة الأدبية — غير المؤدبة طبعاً — نصح للفائز الثانى بإعادة الجائزة المالية التى قبضها لتضاف إلى مبلغ الجائزة النصولية فى العام المقبل . ولئن انتهت المسألة عند هذا الحد فى نظر « شيخ بيروت » فهى لم تنته عند أحد محررى الصياد ؛ ذلك أن الفضيحة تتناول لجنة التحكيم أيضاً ، وكانت تتألف من الأساتذة حسن فروخ وموسى سليمان والدكتور جميل عانوتى . فإذا غفرنا للجنة تقصيرها فى كشف السرقة حين كانت تحقق وتدقق فى أوراق المسابقة الإنشائية ، فكيف نغفر لها تفضيل إنشاء الطالب محمد العبود على إنشاء الأستاذ الزيات ، وهو علم من أعلام البلاغة والبيان فى العالم العربى » ؟!

هذه « قفشة » بلغت الغاية فى الطرافة ودقة الملاحظة ، وإن كاتبها المحرر الفاضل ليستحق عليها كل تهنئة ، ومهما يكن من شىء فلا عجب أن يكون محررو « الصياد » من هذا الطراز وأستاذهم صديقنا الصحفى النابغ سعيد فريحة !

دراسة الأديب على ضوء حياته الخاصة :

هذه رسالة من « دمشق » يطلب إلى فيها مرسلها الأديب الفاضل عدنان المطيعى أن أكتب بضعة فصول نقدية عن بعض الشخصيات الأدبية فى مصر ، من أمثال الأساتذة العقاد والزيات وطه حسين والحكيم وتيمور وأحمد أمين والمازنى وهيكل ثم يحدد هذه الرغبة بأن تكون الدراسة النقدية غير مقصورة على شخصياتهم الفنية التى تطالعنا من انتاجهم الأدبى ، وإنما تنفذ إلى أعماق شخصياتهم التى تطالعنا من واقع الحياة ، حتى يستطيع القراء أن يربطوا بين الشخصيتين فى سبيل الكشف عن أثر الحياة الخاصة فى توجيه المواهب الذاتية وتلوين الملكات الأدبية عند كل كاتب من هؤلاء الكتاب ... إن ردى على رغبة الأديب الفاضل هو أن هناك عقبات تعترض طريق هذه الدراسة التى يود أن أقوم بها على صفحات « الرسالة » ، منها أن حياة بعض الناس الخاصة لا تخلو من جوانب يفرض علينا الذوق ألا نتعرض لها ما داموا على قيد الحياة ، قد تكون هذه الجوانب ذات أثر كبير فى تلوين المادة الفكرية ، ولكننى أرى — وقد يعترض بعض الناس — أن الكشف عن هذه الجوانب لا يحل لدارس الشخصيات وكاتب التراجم ، إلا بعد أن تنقطع الصلة بين أصحابها وبين الحياة ، ... عندئذ تصبح كل حياتهم حقاً مباحاً للدارسين ، وعندئذ يحل للتاريخ الأدبى أن يقول كلمته ! ومن هذه العقبات أيضاً أننى أعرف بعض هؤلاء الأدباء معرفة كاملة وأعرف بعضهم الآخر معرفة عابرة ، وفيهم من لا أعرفه على الإطلاق ، فأنا مثلاً أعرف من الفريق الأول الزيات وطه حسين وتوفيق الحكيم وأحمد أمين وتيمور ، وأعرف من الفريق الثانى العقاد والمازنى حيث لقيت العقاد أول لقاء وآخر لقاء فى جريدة « الأساس » وكذلك الأمر فيما يختص بالمازنى رحمه الله فى جريدة « أخبار اليوم » ، أما الكاتب الذى يمثل الفريق الثالث فهو الدكتور هيكل ! ... وإذا كنت أعرف بعض الجوانب الخاصة فى حياة هؤلاء الذين لم تهيىء لى الظروف مصاحبتهم ، فهى معرفة عن طريق الغير أى عن طريق النقل والاستماع ، ولعل الأديب الفاضل يوافقنى على أن الأمانة القلمية تفرض علينا ألا نطمئن كثيراً إلى هذا الفريق ، إذا ما أردنا أن نؤرخ الأدب على الأساس الذى أشار إليه !

بعض الرسائل من حقيبة البريد :

أقول للجندى الفاضل محمد عبد العال « بالقاهرة » إن مأساتك التى قصصتها على ليس مكانها « الرسالة » ولكن مكانها هناك فى « الأهرام » حتى يمكن أن تظفر باهتمام المسئولين ، فاكتب إلى الصديق الأستاذ أحمد الصاوى محمد ولك منى أن أوصيه خيراً بشكواك . وأقول للأديب الفاضل محمود أمين « بأسيوط » إننى فى انتظار مقالاتك . وأقول للأديب الفاضل عبد العظيم الجبلى « بالجيزة » إننى شاكر لك جميل عنايتك وصادق اهتمامك ومقدر لك هذه اللمحات الطيبة التى تبعث بها إلى من حين إلى حين . وأقول للأديب الفاضل حماد محمد أحمد « بفرشوط » إن الجنة التى سألتنى عنها فى رسالتك هى الجنة التى وعد بها المتقون !

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

استقبال العضوين الجديدين في مجمع اللغة:

احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية يوم الإثنين الماضي ، باستقبال حضرتي الأستاذين أحمد حسن الزيات وإبراهيم مصطفى ، اللذين انتخبا وصدر المرسوم الملكي بتعيينهما عضوين عاملين بالمجمع، مكان المغفور لهما أنطون الجميل باشا وعلي الجارم بك .

بدأ الاحتفال بإلقاء الدكتور أحمد أمين بك كلمة استقبال الأستاذ إبراهيم مصطفى ، وقد استهلها بالحديث عن بدء الصلة بينهما حينما كانا طالبين بالأزهر يحفظان المتون ويدرسان الأدب الذي كان يدرس في الأزهر على هامش العلوم في ذلك الزمان . وقد اهتم الدكتور أحمد أمين في هذه الكلمة بالتحدث عن النحو وجوده ، وبناء قواعد اللغة العربية على أساس « العامل » ورأى الأستاذ إبراهيم مصطفى في « هدم العامل » وعقب على هذا وذاك بأن عيب النحويين جميعاً أنهم يريدون أن يخضعوا اللغة للمنطق ، واللغة من وضع العاقل والأحمق والمتعلم الجاهل ، ثم جاء العلماء واهتموا بها على أساس المنطق فأتعبوا أنفسهم دون طائل . وضعها الصغار وتعب فيها الكبار ...

وبعد أن أفاض الدكتور في ذلك ، قال إن الأستاذ ابراهيم مصطفى ليس نحوياً فحسب ، وإنما هو قوي الأسلوب والخيال وله قدرة على وضع القصة الصغيرة ، إلا أن السلك الذي يربط بين ذهنه ويده مصاب بعطب ... ولم يبين ما يريد بهذا العطب .

وقد كان حظ النحو وما تبعه من الطرائف في كلمة الدكتور أحمد أمين أكثر من حظ الأستاذ ابراهيم مصطفى نفسه . فكل ما ذكره عنه حفظه المتون في الصغر ورأيه في نظرية العامل ، ثم الوصف الإجمالي الأخير الذي ختمه بتلك الإشارة التي لا ندري أهي دعابة أم نقد ، حتى النظرية النحوية هدمها !

ثم ألقى الأستاذ ابراهيم مصطفى كلمته ، فشكر الدكتور أحمد أمين وأشار بلباقة واختصار إلى بعض ما ذكره ، ثم تطرق إلى الحديث عن سلفه المرحوم علي الجارم بك ، وقد وجه معظم الحديث عنه إلى جهوده في النحو من حيث تيسيره وتقريبه . وهكذا كان الأمر فيما بين الدكتور أحمد أمين والأستاذ ابراهيم مصطفى أكثره نحو ... على ذلك النحو .

ثم وقف الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك فألقى كلمة استقبال الأستاذ الزيات ، فقال إنه التقى به لأول مرة من نحو أكثر من ثلاثين سنة ، زميلين في التدريس بمعهد أهلي ، فوجد فيه شاباً أنيقاً في زيه الشرقي ، حيياً يفيض علماً وأدباً ، وأشار بفضله في تجديد تعليم اللغة العربية وآدابها ، ومنهجه الجديد في تاريخ أدب اللغة بكتابه « تاريخ الأدب العربي » وأفاض الأستاذ أبو حديد في بيان أثر الأستاذ الزيات في أدب الجيل، ونوه بترجمته « آلام فرتر » و « رفائيل » قائلاً بأنها الترجمة المنشودة للمشاركة الأدبية العالمية . ثم حلل ناحية في أسلوب الأستاذ الزيات وهي الخاصة بوضع الكلمة في موضعها سواء في الترجمة والإنشاء . واستطرد بعد ذلك إلى بحث مستفيض في استعمال الكلمات في المقامات المختلفة ، وأتى بأمثلة من الشعر العربي وحللها مبيناً ما فيها من ظلال التعبير النفسية . وهذا الموضوع : مناسبة التعبير للحال وما يضفيه من ظلال نفسية خاصة ، موضوع قيم ، ولكنه شيء آخر غير الإتيان بالكلمة في موضعها .

وعلى أثر ذلك نهض الأستاذ الزيات فألقى كلمته ، ويراها القارئ في صدر هذا العدد من « الرسالة » ولست أقول فيها إلا أنها دلت عليه دلالة واضحة إذ قدم نفسه بها خير تقديم .

بقيت في النفس ملاحظات عامة ، أردت أن أتغاضى عنها ، ولكنها تلح علي ، متذرعة بأن لها هدفاً وأنها ذات موضوع ، على حد التعبير الذي ذاع عن معالي رئيس المجمع ، ذلك أن بعض

الأعضاء الذين تكلموا فى الحفل ، لم يراعوا الصحة اللغوية فى استعمال بعض كلمات وضبط أخرى ، ومثل هذا إن أمكن التغاضى عنه فى غير مجمع اللغة ، فإنه لا يقبل من أعضاء المجمع وهم رجال اللغة . مثال ذلك ماذكره الأستاذ إبراهيم مصطفى عن جهود الجارم فى أعمال المجمع ، ومنها « القاموس الوسيط » يقصد « المعجم الوسيط » والفرق بين المعجم والقاموس معروف .

أمينة :

هى امرأة فرنســـية ، تزوجها الشيخ إبراهيم ، وسماها « أمينة » على اسم المرحومة أمه لحبه إياها .

والشيخ إبراهيم رجل من أغنياء إحدى القرية المصرية ، يهتم بتربية الخيل ، ويقوم عليها عنده ابن خالته الشاب الوسيم « محمد » الذى يفتتن بجمال أمينة وتفتتن هى أيضاً به ، فهى فتاة فى ميعة الصبا وزوجها شيخ يكبرها بعشرات السنين .

وتعود ابنة الشيخ إبراهيم « عايدة » من القاهرة إلى القرية لقضاء العطلة المدرسية ، فلا تستريح أمينة زوج أبيها لقدومها ، ويضايقها انصراف زوجها إلى ابنته وعطفه عليها . وينشأ حب صامت بين عايدة وبين محمد ، ولكن هذا يستمر فى علاقته الآثمة بأمينة .

وتساور الشيخ إبراهيم الشكوك فى محمد . وتعمل عايدة على أن تجنب أباها الوقوف على حقيقة الصلة بين أمينة ومحمد ، منعاً لحدوث ما يخل بسمعته وشرفه ، ويؤدى ذلك إلى أن تظهر فى موقف مريب مع محمد فيطردهما من المنزل ، فيلجآن إلى منزل أخت الشيخ إبراهيم وزوجها الشيخ عبد المحسن ، فيتزوجان ويعمل محمد عند طبيب بيطرى بالقرية ، ويعيش الزوجان فى سعادة يظللهما الحب المتبادل ويسخط الشيخ إبراهيم على ابنته لمسلكها وزواجها من محمد السائس ، ويقبل على زوجته أمينة ويمعن فى تدليلها والإغداق عليها .

وتلتقى أمينة بمحمد فتعمل على إغرائه فيأبى أولا ثم لايلبث أن يعود معها إلى ما كانا فيه . وفى خلال ذلك يجمح جواد من جياد الشيخ ابراهيم فيجرى وراءه بالعربة التى تنقلب به فى الترعة فى مكان بعيد عن القرية بحيث لم يدر أهله أين مكانه . ويذهب محمد مرة إلى أمينة فيجدها جثة ، ويقبض عليه

كشكول الأسبوع

◻ يشتغل الشاعر الكبير الأستاذ عزيز أباظة باشا ، بوضع ممرحية شعرية عن « شجرة الدر » وقد أوشك أن يفرغ منها ، وسيبعث إلى « الرسالة » بأجزاء منها تنشر تباعاً . وهى فرصة طيبة يستمتع فيها القراء بأدب سعادة الأستاذ .

◻ تهتم بذكرى ابن سينا ، كل من البلاد العربية وإيران وتركيا ، وتنسبه كل منها إليها . وقد حسمت إحدى الصحف التركية هذه المسألة بقولها : إنه لا يصح أن يعد ابن سينا عربياً أو إيرانياً أو تركياً ، وإنما ينبغى اعتباره ثمرة من ثمار المدنية الإسلامية .

◻ جاء فى نشرة ثقافية لوزارة الخارجية المصرية ، أن هيئة اليونسكو قررت ترجمة روائع شكسبير وجوته وباسكال وغيرهم من أعلام الأدب الغربى إلى اللغة العربية ، لنشرها فى بيئات الشرق الأوسط ؛ وذلك كجزء من البرنامج الشامل الذى تعده اليونسكو لنشر الثقافة العالمية .

◻ قام الأستاذ آصف على أصغر الفيظى سفير الهند فى مصر ، بتحقيق كتاب « دعائم الإسلام » للقاضى أبى حنيفة النعمان المغربى ، وسيقدمه قريباً للطبع . والأستاذ الفيظى له نشاط علمى معروف ، ومن مؤلفاته كتاب عن الوصية فى التشريع الإسلامى . وقد أسس فى الهند سنة ١٩٣٣ جمعية للدراسات الإسلامية ، أصدرت أخيراً الكتاب التذكارى لمرور خمسة عشر عاماً على تأسيسها ، متضمناً أبحاثاً للأستاذ ستروتمان الألمانى والأستاذ برنارد لويس الإنجليزى والدكتور محمد كامل حسين الأستاذ بجامعة فؤاد الأول .

◻ توفيت أخيراً المستشرقة الإنجليزية ليليان آدم سميث ، وهى فى الثالثة والثمانين من عمرها .

◻ اختار الأستاذ ابراهيم الوائلى موضوع « الشعر السياسى المعاصر بالعراق » لرسالة يتقدم بها للحصول على درجة (الماجستير) من جامعة فؤاد الأول . واختار الأستاذ أحمد هيكل موضوع « الأدب الحديث فى السودان » لنيل (الماجستير) أيضاً . ومن هذا وذاك يتبين اتجاه جديد فى الجامعة نحو الدراسة الأدبية المعاصرة فى الأقطار العربية ، وهو اتجاه سديد نرجو لأصحابه التوفيق .

◻ يقترح بعض الأدباء اليونانيين بالأسكندرية إنشاء كرسى للأدب اليونانى بجامعة فاروق الأول ، على أن تنشىء جامعة أثينا كرسيا للأدب العربى فيها ومما يذكر أن من هؤلاء الأدباء من يكتب وينظم الشعر باللغة العربية الفصيحة

◻ من مكتبات القاهرة مكتبة كل كتبها من تأليف مؤلف واحد ، وهى مكتبة الأطفال للأستاذ كامل كيلانى .

◻ يطالب أدباء لبنان بإطلاق اسم الشاعر خليل مطران على أحد شوارع بيروت وإقامة تمثال له فى مدينة بعلبك مسقط رأسه .

◻ جاء من دمشق أنه قد أقيمت حفلة استقبال بدار الكتب هناك ، تكريماً للشاعر المعروف الأستاذ عمر أبو ريشة بمناسبة عودته إلى البرازيل .

ويتهم بقتلها ، كما يتهم أيضاً الخادم (ضبش) الذى كان يحبها وهى تنفر منه . وأخيراً يظهر الشيخ ابراهيم راقداً فى فراش عند أحد معارفه ، ويفضى إلى المحقق الذى ذهب إليـه بأنه اختفى على أثر الحادث الذى وقع له ، وجعل يتجسس على زوجته حتى تحقق أنها تخونه فقتلها . وبعد هذا الاعتراف فاضت نفسه .

تلك هى قصـة فلم « أمينة » الذى عرض أخيراً فى سينما رويال بالقاهرة ، والذى قالوا عنه إنه التقت فيه مواهب الشرق بمواهب الغرب . فقد أنتجه وأخرجه المخرج الإيطالى جوفريدو إليساندريني ، ومثلت فيه الممثلة الإيطالية آسيا نوريس (أمينة) ويوسف وهبى (الشيخ ابراهيم) ورشدى أباظه (محمد) وسميحة توفيق (عايدة) وسراج منير (الشيخ عبـد المحسن) وحسن البارودى (ضبش) .

والحق أن المخرج نجح فى تنظيم حوادث الفـلم ومناظره ، وتحريك الممثلين ، وإبراز مواهب بعضهم وخاصة سميحة توفيق ، فقد ظهرت هـذه الفتاة فى بعض أفلام لم يحسن المخرجون فيها تخريجها ، أما في هـذا الفلم ، فقد برزت ملـكاتها الفنية بحيث استطاعت أن تقف إلى جانب آسـيا نوريس ، لا تقل عنها إن لم تكن فاقتهـا . وقد أحسن باقى الممثلين تأدية أدوارهم ، وكان يوسف وهبي مندمجاً فى دوره ، هادئاً ، لم يقتل فى الفلم غير واحدة !

ثم ننظر فى قيمة هذا الفلم الذى تضافرت عليه جهود عالية ... لقد تزوج رجل مصرى قروى بفتاة أجنبية ، فلم يسـتغل هذا الزواج لاتخاذ موضوع منه ، فلم يصـور باعتباره زواجاً مخفقاً لاختلاف العادات والطبائع والأمزجة بين الزوجين ، بل جرى الأمر على أن الزوجة تعيش فى كنف زوجها مرتاحة إلى ما يغدقه عليها ، سادرة فى تنفله والارتماء فى أحضان الشاب الذى تبغى فيه عوضاً عما تفقده فى الزوج ، وهـذا لا يتوقف على أن تكون الزوجة أجنبية أو غير أجنبية . ويظهر أن المسألة لا تعدو تدبير دور لآسيا نوريس تظهر فيه مع يوسف وهبى . وكذلك لم أجد معنى لأن يحب الخادم (ضبش) الدميم المسن ، أمينة الفتاة الرائعة الحسن ، فالإنسان يدرك بغريزته وفطرته ما يلائمه وما لا يلائمه فى مثل هذه الأمور . ولـكن ذلك كان افتعالا غير طبيعى قصد به ترتيب الحوادث والتمهيد لأن يقتل الزوج زوجته فى النهاية .

والمخرج نجح حقاً من الناحية الفنية ، وأخرج الفلم نظيفاً من الهرج والإسفاف ، ولـكنه أخفق فى تصوير البيئة المصرية ، فهذه القرية التى تجرى فيها حوادث الفلم ، أهلها أشبه بحى من الأحياء البلدية فى القاهرة منهم بالفلاحين فى كل شىء حتى لهجة الحديث ، فلم أسمع أحداً يتكلم باللهجة الريفية غير أخت الشيخ ابراهيم . وقد اهتم المخرج بإبراز مناظر معينة ممـا يدل على الطابع المحلى ، فجاء بعضها غير صادق مثل منظر الهرمين اللذين يظهران بجانب القرية ، ولا نعلم قرية فى مصر بجانبها هرمان على الهيئة التى ظهرت فى الفلم وجاء بعض تلك المناظر فى غير مناسبة مثل الخيل التى تعدو براكبيها فى مفتتح الفلم واختتامه من غير ارتباط بحوادث البدء والنهاية ، وكل ما فى الأمر أن المخرج يريد إظهار فلاحين مصريين يجرون بالخيل ... ولا ضرر من ذلك غير أنه حشو لا فائدة منه .

ومهما يكن من شىء فإن الفلم أصغر وأتفه من أن يكون ثمرة لالتقاء المواهب العالمية ...

عباس خضر



الأمانة العلمية فى الجامعة :

قرأت ما أثاره الزميل الصديق الدكتور جمال الدين الشيال فى عدد الرسالة الغراء الصادر فى ١٠ أكتوبر سنة ١٩٤٩ حول الأمانة العلمية فى الجامعة ، ولم أعجب لما جاء به الزميل ، فقد عادت بى الذكريات إلى أيام تلمذتى بالجامعة ، فتذكرت ذلك الأستاذ المعمم وقد جاءنا يرفل فى جبته وقفطانه ، حتى إذا عدنا من عطلة العيد وجدناه قد ارتدى زى المطربشين ، وإن كانت ملامحه وسحنته تدل على أنه من الشيوخ المعممين ... ذكرت ذلك الشيخ وهو يطلب منا أبحاثاً علمية ليقرأها ويصححها ثم يعيدها إلينا ، وكنا فى ذلك الوقت حريصين أشد الحرص على أن نرضى الأساتذة بهذه الأبحاث العلمية ، فكنا نسعى إلى المكتبات ونبحث فى أمهات الكتب حتى نفوز برضى الأستاذ عن البحث الذى نقدمه له ، ولكن ذلك الأستاذ — حفظه الله — بخل علينا بأبحاثنا ولم يشأ أن يردها إلينا ، ولم نلبث أن رأينا هذه الأبحاث قد ضمت بعضها إلى بعض وقسمت إلى أبواب وفصول ، وأصبحت كتاباً يحمل اسم الأستاذ العزيز ، وإن كنا نحمد للأستاذ أنه غير أسلوب هذه الأبحاث وجعلها بأسلوب واحد . أما الآراء ، فقد بقيت كما هى آراؤنا والنصوص التى استندنا إليها فى أبحاثنا بمراجعها لم يتغير شىء منها ...

وذكرت أيضاً ذلك البحث الذى صدرت به مجلة إحدى الهيئات العلمية ، وكيف قام أحد الطلاب يصيح فى وجه أستاذه الذى نشر البحث باسمه قائلا : إنى أعطيتك هذا البحث منذ شهر ، فلم يسع الأستاذ إلا أن يعترف أمام الطلاب أنه استفاد من البحث الذى قدم له ، ولكنه أسر الأمر فى نفسه ، وانتقم من الطالب فى آخر العام فرسب الطالب المسكين !

وهذه زميلة تتقدم برسالة ماجستير وتعطى بحثها لأستاذها المشرف ، ومكث البحث زهاء ستة أشهر عند الأستاذ ، وأخيراً أخذته منه ، فإذا به يفاجئنا بأن آراءها تتفق تمام الاتفاق مع آرائه ، فلما سألته : أين نشرت آراؤه هذه ؟ أجاب باسماً : إن كتابى سيظهر هذا الأسبوع وفيه هذه الآراء ! فأجابته ساخرة : الحمد لله أنك اطلعت على آرائى ولم أطلع على آرائك !

وذكرت ذلك الأستاذ الذى كان عضواً فى لجنة امتحان إحدى رسائل الدكتوراه ، فإنه بعد المناقشة احتفظ بنسخة الرسالة لنفسه ، فإذا تقدم طالب آخر يعطف عليه أشد العطف ، أعطاه الرسالة الأولى التى لم تكن طبعت بعد ، فإذا بالطالب يستعين بهذه الرسالة استعانة كلية دون أن يشير إلى ذلك ، وأكبر دليل نفسه أن الرسالة الأولى كان الاعتماد الأكبر فيها على مخطوطات لم يرها أحد فى مصر لأنها فى حوزته ، ولم يطلع عليها أحداً ، ولا توجد هذه المخطوطات عند أحد سواه ، فإذا بالرسالة الثانية قد امتلأت بنصوص أخذت من هذه المخطوطات ... ونذكر كيف حضر صاحب الرسالة الأولى مناقشة الرسالة الثانية ، فلما رأى هذا السطو تحدث مع أعضاء لجنة الامتحان فى ذلك ، فكانت النتيجة أن هدده الأستاذ قائلا : أتريد أن تعمل على فشل الامتحان ؟ !

ولعله من المؤلم أن تحدث هذه المهزلة أمام اثنين من كبار المستشرقين ، ومن الطريف أن أحد أعضاء لجنة الامتحان استفهم عن هذه المشادة ، ومع ذلك لم يفعل شيئاً !

وأذكر أيضاً أن أستاذاً سافر إلى أحد الأقطار فدعى لإلقاء عدة محاضرات فى الإذاعة ، فأرسل برقية إلى أحد المعيدين ليكتب له سلسلة هذه المحاضرات ويرسلها له بالبريد الجوى ، وتقاضى الأستاذ مكافأته من الإذاعة فى حين أن المعيد قد لقى بعد عودته جزاء سنمار !

وأذكر هذا الأستاذ المشرف على بعض رسائل الماجستير يصرح فى مجلس الكلية أنه لم يقرأ هذه الرسائل ولكنه يوافق عليها ... وأذكر ذلك الأستاذ الذى سطا على أحد أعداد سلسلة « اقرأ » وأخذ يملى منه محاضرات على الطلاب دون أن يشير إلى الكتاب زاعماً أنها له ، ولم يفطن إلى أن الطلبة كانوا أسبق منه إلى قراءة هذا العدد !

ولعل أهم هذه الأحداث التى تتعلق بالأمانة العلمية فى الجامعة

أن أحد المدرسين إذ ذاك ألقى محاضرة بدار الجمعية الجغرافية الملكية عن رأى جديد فى النحو ، فإذا بهذا الرأى يظهر فى كتاب لزميل له دون الإشارة إلى صاحبه ، وإذا بهذا الأستاذ النحوى يغضب ويخاصم زميله ويستشهد بالآية القرآنية : « إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ، ولى نعجة واحدة » ... يشير بذلك إلى كثرة كتب زميله ...

ولاينسى الزميل الصديق الدكتور الشيال قصة هذه الكتب التى يوضع عليها اسم أستاذ من الأساتذة ومعه اسم تلميذ من تلاميذه على أنهما اشتركا فى تأليف هذا الكتاب أو ذاك ، فنحن نعلم من الذى ألف الكتاب ومن الذى استفاد منه ...

هذه كلها ذكريات يعرف بعضها الدكتور الشيال ، ويعرف بعضها زملاء الدكتور الشيال ، لعل فيها ما يخفف عنه ثورته للأمانة العلمية فى الجامعة ...

(أبو رشيد)

إلى الأستاذ أنور المعداوى :

نحن نتعقبك فى تعقيباتك الممتعة ، ويعجبنا فيك عاطفة متأججة ، وإيمان بما تكتب ، وصدق فنى فى تعبيرك ، ونكبر فيك صراحة واضحة ، وقلماً قوياً تقذف به فى صدر الزيف والبهرج والباطل ، فنزداد تعلقاً بك ، وحباً لقلمك ونشعر بهزة عنيفة تنفذ إلى مسامع القلب ، ومسارب الروح .

ومقاييس الشعر التى تحدثت عنها ، هى مقاييس صحيحة ، ومعايير صادقة ، ودراسة قصيرة « إيليا أبو ضي » على ضوئها كانت دراسة جميلة ، وأسلوباً فى النقد والتعليق يعد أسلوباً طريفاً لأنه ينصب على القيم والمعانى والأحاسيس والتجارب والظلال ، ولا يحفل بالشعوذة اللفظية ، والبهرج الزائف؛ ولكنى لا أوافقك بل أعتب عليك عتباً كثيراً حينما تصب حكمك القاسى على الشعر العربى القديم جملة واحدة ، هذا التراث الذى نفخر به على الزمن هذا التراث الذى جملته خواء من الروح والعاطفة . إنك بهذا الحكم تهدم حضارة ، وتبعثر أمجاد أمة ، وأنا أعيذك من هذه النظرة ، وأرجو أن تراجع نفسك ، وتستشير ذوقك وحسك مرة أخرى ، وأنا موقن أنك لن ترضى لنفسك ، أن تسم الشعر العربى بهذه السمات « شعر السطوح الخارجية » شعر يشعرك بوجود « الفراغ الداخلى » إن الشعراء كانوا يعيشون خارج « الحدود النفسية » .

لا لا يا أخى . ألم تقرأ شعر المتنبى ؟ اقرأه فى السيفيات والكافوريات فتراه شعراً منبثقاً من أعماق النفس ، هو فى ظاهره مديح ، ولكن وراء هذا معان كلها أثر للاحساس النفسى والانفعالات الحزينة تارة ، المريرة أخرى ، الساخرة كثيراً .

واقرأ شعر ابن الرومى فى رثائه ومدحه وهجوه فهو صادر عن نفس حساسة شاعرة ، وألفاظه شفافة موحية . واقرأ فى كل عصر من عصور الأدب ، فستجد شعر النفس ، وصدق الفن فى أكثر ما تقرأ . ولست الآن بسبيل الاستقصاء ، وضرب الأمثال من شعر الشعراء ، وكلام النقاد ؛ فإنما هى كلمة عابرة أكسر عليها قلمى حتى أسمع رأيك مفصلاً واضحاً .

هذا شىء ، وهناك شىء آخر ، لقد جعلت « شوقى » زعيم مدرسة فى حسن الأداء النفسى ، لأنه يملك الصدق فى الشعور وفى الفن ، وجعلته قريناً لشاعر آخر .

والمعروف أن المدرستين مختلفتان فى كثير من السمات والوجوه؛ فشوقى فى رأيى يحفل بالصدق الفنى ، ويتأنق فى عرض الصورة البيانية ، فطابع الصدق الفنى أغلب فى شعره من الصدق الشعورى ، وعلى النقيض من ذلك الشاعر « إيليا أبو ماضى » .

والذى يهمنى بعد ، أن توضح لى رأيك فى مكان شوقى بين الشعراء ، ومكانة شعره فى نفسك .

ولصديق الروح تحية ملؤها الحب والإعجاب والتقدير ...

(دمياط) عبد المنعم سليمان مسلم

أليس هذا مصريا ؟

كثيراً ما سمعت هذه الجملة تلوكها ألسنة الشبان وغيرهم عندما يعرض لهم شخصاً تزل قدمه فى الخطأ ، وترى الواحد منهم يرسلها بكل بساطة كأنه يعتبر بذلك المصرى علماً على الأخطاء .

هذا الأمر ليس شيئاً تافها ، إنما هو خطب جلل يأسف له كل وطنى يدرك ما ينطوى عليه من معنى فى نفوس الكثيرين من أبناء هذا الوطن .

إن ذلك معناه الشعور بالنقص بل معناه الإيمان بهذا النقص، معناه فقدان الكرامة الشخصية والإعتزاز القومى وانحطاط النزعة القومية إلى حد تصل معه إلى هذه الدرجة من الضعة .

إننا لو افترضنا جدلاً وجود بعض النقائص فى المصرى فليس لنا مطلقاً أن نتخذها مبعثاً للسخرية والتهكم ؛ لأن ذلك يعنى إيماننا بوجودها ؛ وإن مجرد إيمان كهذا يعتبر أخطر وأنكى من العيب نفسه إن لم يكن هو عين العيب ... إن الوهم فى ذاته من أخطر أسباب المرض ، فالواهم يخلق لنفسه المرض وهو صحيح . وهو بذلك يضاعف من مرضه بالوهم إن كان مريضاً ، ولعل معظم الأمراض العقلية والعصبية ترجع إلى ذلك الوهم الذى لا أساس له فى الواقع ، والمصرى إذ يتوهم فى نفسه النقص والضعة لا شك أنه بذلك سيخلق فى نفسه النقص إن كان منزها عنه وسوف يضاعفه إن كان مشوباً برشاش منه .

إن الفلاسفة الألمان يوم أعلنوا أن « ألمانيا فوق الجميع » وإن الإنجليز يوم اعتبروا عنصرهم أسمى العناصر ، وكمال أتاتورك يوم جعل شعبه يؤمن بأن الترك أطهر الأجناس ، كل أولئك لم يكونوا داعين إلى عصبية قومية عمياء ولم يعتبروا قط أنهم أسمى البشر فعلا ، إنما كانت غايتهم أن يبثوا فى نفوس مواطنيهم الشعور بالكرامة والعزة ليصلوا من ذلك الشعور إلى مراتب الكرامة والعزة الحقيقيتين .

وإن الله تعالى حين أعلن فى القرآن الكريم مبدأ « كنتم خير أمة أخرجت للناس » لم يكن — سبحانه وتعالى — بالطبع يدعو إلى عصبية دينية لأن القرآن نفسه قد حوى أسمى مبدأ فى المساواة التامة بين البشر جميعاً ، والقرآن فى ذلك يبتغى أن يجعل المسلم يعتز بنفسه ودينه ويشعر بالكمال والقوة فوق سائر الناس فيدفعه ذلك الشعور إلى العمل الذى يتفق معه ويؤدى إلى جعله حقيقة واقعة .

وهكذا تخلق الأمة القوية من مجرد الشعور القوى بالقوة والأنفة بينما تنحط الأمم مهما كانت قيمتها يوم يستولى عليها الشعور بالنقص ويبتليها الله بانحطاط الروح المنوية وضياع العزة القومية .

أخى المصرى ... إننا لم نصل بعد إلى هذه الدرجة المنحطة من الضعة والتفاهة حتى نوهم أنفسنا بذلك ، ومن الجرم أن يعتقد المصرى فى نفسه ذلك النقص ، فنحن بخير ويحق لنا أن نعتز بقوميتنا ، فإننا مهما بالغنا فى ذلك الاعتزاز فنحن أهل له . نحن شعب ناهض بلا شك ، وإن كان الاحتلال لا زال يعوق نهضتنا فليكن لنا من ثقتنا فى أنفسنا السلاح الذى نحطم به ذلك العائق حتى نحقق ما نراه فى أنفسنا من عزة وكرامة وقوة سجلها لنا تاريخنا الغابر وهى فى سبيل أن يسجلها لنا التاريخ الراهن ، إذا كنت ناقصاً فى بعض الشيء يا أخى فلتعمل لتكمل فى نفسك ذلك النقص ، ولا تستشعر النقص فى نفسك ، فالشعور بالنقص هو النقص عينه ، بل قل « مصرنا فوق الجميع » ولسوف تصبح كذلك إن آجلاً أو عاجلاً فليس سبيل السيادة بمقصور على أمة أو شعب إنما هو مشاع للعاملين .

السيد على الشوربجى
كلية الحقوق



زائرة العـــرافة

عن الانجليزية

ترجمة الأديب سيد أحمد قناوى

فى غرفة قليـلة الضوء تقع على جانب المعرض العام ... أثاثها ينحصر فى مائدة ومقعدين وبعض أشياء أخرى إن دلت على شىء فإنمـا تدل على ما يعانيه سا كنها من بؤس وفقر ... وعلقت فى واجهة الغرفة لافتة كتب عليها هذه العبارة « مدام لاسترا قارئة الـكف. استفسارات عن مسائل الحب والزواج والمال على أحدث القواعد العلمية » ... فى هذه الغرفة المتواضعة جلست السيدة « لاسترا » تنصت فى ضجر وضيق إلى أصوات الضحك والمرح التى كانت تنبعث فى أرجاء المعرض خارج غرفتها ... فقد كانت تلك الليلة رأس السنة الجديدة ، فأرسلت أفـكارها بعيداً تستعيد ماضى لياليها وتستعرض أيام بهجتها وسرورها ... حتى قادها تفـكيرها فى النهاية إلى ليلة تماثل هـذه الليلة فى البهجة والمتاع واللهو ... كانت هى فيها تختال بين الرجال حتى انتابتها نزوة غرام عارضة أطلقت فيهـا للشيطان العنان ... فـكانت ليلة فاصلة بين حياة الزوجيّـة السعيدة وحياة الشقاء التى تحياها الآن . فاجنت من وراء تلك النزوة العارضة — وا أسفاه — غير الحسرة والخيبة والمرارة .

لقد كانت السـيدة « لاسترا » فى أيام سعادتها على جانب كبير من الحسن والبهاء : كان لها شعر أسود وعينان عسليتان حالمتان قبل احتراف هـذه المهنة البغيضة إلى نفسها كما كانت زوجة لأستاذ علم الآثار الشهير « جيمس كارستيرز » تعيش معه فى بحبوحة ويسر ، لا تعرف معه للضيق معنى ، ولا تذوق من الفاقة ما تتجرع الآن غصتـه ... وعند وقوع حادث الغرام الطائش حملت على طلب الطلاق من زوجها فـكان لها ما أرادت ، وإن هى الآن لا تقاس منه غير العسر ومرارة الذكريات .

ولن تنسى ما عاشت قول « جيمس » لها وهو يجيب إلى طلب الطلاق :

« إن بحثت عن أبغض إلى قلبى ، تجدينه الطلاق منك ... ولـكن إذا كان فى الطلاق جلب لسعادتك وهنائك فواجبى يحتم علىّ أن أضحى بحبى وقلبى بلا تردد » .

وكم تنفجر عواطفها ، وتهتز أعصابها حينما تذكر أنه تزوج بغيرها طلباً للخلف ... فقد تزوج بعد طلاقه منها من فتاة تدعى « أليس دين » وهى فتاة آية فى الجمال وقد وصفها الناس بأنها شقراء الشعر نحيفة القد أنيقة الهندام .

جلست مدام « لاسترا » فريسة لهذه الذكريات تنهش قلبها وتستبد بنفسها فما أنقذها منها سوى قدوم زائرة جاءت لاستطلاع حظها ... وسرعان ما اعتدلت العرافة « لاسترا » فى مجلسها ، وسوت شالها فوق رأسها وشبـكت يديها وأسندت مرفقيها إلى المائدة فقد لاحظت فى السـيدة الزائرة من الهيبة والوقار ما حملها على الاهتمام بأمرها ، والتطلع إلى مكنون سرها . .

ومن عجب أن هذه «الزائرة» لم تدخل كغيرها فى اضطراب وعجلة ورغبة ملحة فى استطلاع مخبآت الغيب ، بل هى على النقيض من ذلك ، إذ أنها دخلت فى تؤدة ووقار وهدوء ، تظلل محياها الشاحب وشعرها الأشقر قبعة عريضة الأطراف ، ولم تلبث أن نزعت قفازها دون أن تبس بكلمة ، وكان الإطراق رائدها ، ومسحة من الحزن تعلو جبينها ... فدل مظهرها على ما تحمله من أمر عظيم وهم دفين . وأخيراً قدمت يدها اليسرى فإذا هى تتحلى بخاتم من الفضة مرصع بحجر من الزبرجد ... لم تـكد السيدة « لاسترا » تبصر هذا الخاتم حتى خفق قلبها عنيفاً حتى كاد أن ينخلع من صدرها وإن كتمت مع ذلك شعورها حتى لا تثير شك زائرتها . . فإن هذا الخاتم الزبرجدى هو قرين العقد الزبرجدى الذى تحمله هى حول عنقها ، وكلا الخاتم والعقد من مُقتنيات العالم الأثرى « جيمس كاستيرز » جلبها من تنقيبه فى الآثار المصرية القديمة ، وليس لهما فى عالم الحلى نظـير ؛ ولا ريب فى أنه أهدى الخاتم إلى زوجته الثانية كما أهدى العقد إلى زوجته الأولى ... بكل هذه

الخواطر رفعت السيدة « لاسترا » عينيها إلى وجه الزائرة تلتمس من تقاطيعها ما يؤيد ظنونها ويحقق خواطرها ... فإذا هي تتذكر أوصافها التي سمعت عنها :

شقراء الشعر دقيقة الملامح أنيقة الهندام ؛ في نحو الثامنة والثلاثين من العمر ، وبالإجمال لم يبق عندها من شك في أنها هي « أليس دين » المرأة التي انتزعت منها زوجها بعد طلاقها منه ... وهكذا مضت الزائرة « أليس » في مهمتها فبادرتها السيدة « لاسترا » بقولها :

— لقد كنت تمثلين على المسرح ... أما الآن فأنت قد اعتزلت التمثيل وأصبحت زوجة !! .. فأومأت الزائرة إيجاباً . فاستطردت السيدة « لاسترا » :

— وقد تزوجت منذ تسع سنوات فأومأت الزائرة مرة أخرى دون أن تبدى أدنى دهشة لما تسمع من دقة التفاصيل وقالت بصوت مشوب بالنحيب :

— إنه تزوجني لكي ينسى امرأة أخرى ، فلم يبق شك في نفس السيدة العرافة ... فهي الآن تواجه خليفتها عند زوجها ، فخارت قواها وتبددت أنفاسها ... واستسلمت للتفكير العميق الذي أبرز الآن صورة « جيمس » في أطواء الماضي ... ولم تلبث حتى قالت لمنافستها :

— لا بد أن تكوني سعيدة مع زوجك .

— إني سعيدة حقاً .

— إنه يحوطك برقة وحنو ندر أن يكون لهما مثيل في هذه الدنيا فيجدر أن تكوني لذلك أهلاً ، ولا تشكي في إخلاصه فهو مثال طيب للرجل الجدير بالحب والاحترام . فقالت الزائرة في صوت أقرب إلى الهمس :

— صدقت فيما تقولين !

— إن حياتك مشوبة ببعض المتاعب والقلاقل، وإن زوجك مشا كله الخاصة ، فإن وجدت منه بعض الهفوات أو ساءك منه شيء ، فاذكرى أن نوابغ الرجال لا يستطيعون أن يوفقوا بين نبوغهم وبين توافه الأمور ... إنهم ... ولكن السيدة كفت عن الاسترسال في حديثها خشية الإفتضاح بذكر هذه التفصيلات الدقيقة .

فردت « أليس » في حدة :

— لقد وجدت المتاعب التي تشيرين إليها ، ولكنها انتهت ومضت . انحازت العرافة « لاسترا » إلى التفاؤل قياماً بالواجب حيال زائرتها ثم اردفت :

— سيكون الخير .. وستسير الأمور على أحسن ما تكون .. ويومئذ لا تنسى أن تخبريني . وهنا وقفت الفتاة « أليس » بوجه متجهم وقالت :

— كل شيء بخير كما قلت لك .. وهذا هو سبب حضوري إليك ... إنه يريدك إلى جانبه يا « أنا كارستيرز » إنه لم ينقطع لحظة عن التفكير فيك وعن محبته لك .

فبهت السيدة « لاسترا » عند سماعها هذه المفاجأة التي لم تكن في حسبانها .. ووثبت واقفة كالمصعوقة وهتفت :

— كيف عرفت مكاني ؟ . . ولماذا جئت إلى — أيتها الماكرة — أنت من دون الناس جميعاً ؟ .

— لأنه يجب أن تعودي إليه ، فأنت ملاكه وأنت حياته .. ولا أستطيع أنا ولا أية فتاة أخرى أن تسد الفراغ الذي أحدثته في قلبه .

— لا يمكن .. لا يمكن هذا .. وأنت بلا شك تعرفين أن هذا ضرب من المحال !

— إنه الآن في مسيس الحاجة إليك أكثر من أي وقت مضى . فإن عدت له أديت إلى خدمة أذكرك بها على الأرض وفي السماء .

— لكن كيف أعود إليه وقد ربط بينك وبينه حبل الزوجية . محال أن أعود فأفرق بينكما ، وربما أنجنى بذلك عليك ، وأنا أحب أن أموت مضحية بحبي ، ولا أفرق بين زوجين سعيدين

فتراخت الزائرة «لاسترا» وسكبت دموعاً غزيرة وأخذت تنتحب طويلاً ثم رفعت رأسها وغمغمت وكأن صوتها صادر من مكان سحيق ...

— إنه يحبك يجب أن تعودي إليه..ولا أستطيع أن أقف بين قلبين متحابين .

— ولقد تحققت من أن « جيمس » سوف لا يكون سعيداً هانئاً إلا في ظل رعايتك ... فكوني له على حبه لك معينة ، ولتجملك الأيام عوناً له من بعدي ، فلم يبق لي الآن في دنيا الناس نصيب .. ثم صمتت قليلاً وحركت لسانها بكل تثاقل وهي تقول : وداعاً يا « جيمس » .. وداعاً يا سيدتي .. ثم خرجت تجر قدميها في سكون وصمت .

شعرت « لاسترا » العرافة بجو الغرفة بارداً ، فاظلمت الدنيا أمام عينيها وسقطت مغشياً عليها ... ولما استفاقت بعد ساعات طويلة أخذ جسمها يرتعد بشدة ... وساورها خوف شديد ... فقد كان صدى كلمات الزائرة « أليس » لا يزال يتجاوب في أنحاء الغرفة . وخاصة وهي تستحثها على العودة إلى « جيمس » .. وقد كانت ولا تزال هذه العودة أمنية قلبها ورجاءها الوحيد في الحياة ... ولكن كيف السبيل إلى هذه العودة وقد خالج قلبها هم جديد .. وهو أمر الزائرة « أليس » وفجأة سمعت طرقاً شديداً على باب حجرتها ... فظنته أحد الزوار فقامت متثاقلة وفتحت الباب ... وما أشد دهشتها حينما بدا « جيمس » بمحياه الباسم وبادرها بقوله :

— أهذه أنت يا « لاسترا » ما أسعدني من رجل ! .

وكان تفكير « لاسترا » لا يزال عالقاً « بأليس » بالرغم من رؤية « جيمس » فسألته قلقة :

— هل رأيت زوجتك « أليس » ؟

— حمقاء « أليس » فقد انتحرت منذ لحظة قصيرة ولست أعرف لذلك من سبب سوى نفور بدا عليها من أيام .

والآن فما أسعدني إذا قبلتني مرة أخرى لك زوجاً أعيش بقية أيامي في سعادة وهناء . ثم قبلها قبلة طويلة كانت فاتحة لحياته الزوجية الجديدة .

(عطبرة — سودان) سيد أحمد قناوي

مطبعة الرسالة



العدد ٨٥١ — الاثنين ٢٤ أكتوبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٣٠٣٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 e Année No. 851

Lundi — 24 — 10 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٨٥١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢ محرم سنة ١٣٦٩ — ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية :

خطبــة الاســـتقبال

للأستاذ محمد فريد أبو حديد بك

سيدى الرئيس . سادتى .

عندما علمت بأننى سأقوم مقامى هذا أستقبل حضرة الأستاذ أحمد حسن الزيات ، شعرت فى نفسى غبطة وارتياحاً ، لا لأنى سأجد فرصة للتحدث عن زميل كريم وأديب كبير بمناسبة اختياره عضواً فى المجمع فحسب ، بل لأنى ذهبت مع الذكرى إلى ماض بعيد أتأمل فيه صوراً عزيزة لاحت لى مع صورة هذا الصديق الذى عرفته ونحن بعد عند الأفق الشرق من الحياة وما زلت أنعم بصداقته إلى اليوم .

عرفت الأستاذ الزيات منذ خمس وثلاثين سنة ، وكنا عند ذلك زملاء فى التدريس بمعهد أهلى ضم نخبة من صفوة الأصدقاء الفضلاء هم اليوم من أعز من تفخر البلاد بهم .

رأيت منه أول ما رأيت شاباً أنيقاً فى ثيابه الشرقية الجميلة ، وكان وديعاً كما هو اليوم ، نبيلاً فى حديثه ، هادىء الصوت إذا تكلم ، يغضى حياء وهو يفيض جداً وعلماً وأدباً .

ثم زادت معرفتى به فعلمت أن لحياته قصة — قصة شاب اتجـه إلى العلم فى الأزهر الشريف وتعلق بالأدب فتلقاه على أعذب موارده ، ثم تعلم الفرنسية ودرسها على أكبر أساتذتها ، وتلقى دراسة الحقوق فى مدرسة الحقوق الفرنسية ، فكان إعجابى به لا يعدله إلا عجبى منه ، إذ كان مثالاً فذاً بين من عرفت من المعلمين . وجمعتنا الصداقة وقربت بين قلوبنا ، فكنا نجـد فى عملنا معاً من المتعة ما جعل صورة ذلك المعهد الأهلى عالقة على مر الأيام بقلوبنا .

وأنا إذ أنظر اليوم إلى الوراء عبر هـذه السنوات الطويلة كأننى مسافر وقف حينا على ربوة يتأمل الفدافد التى قطعها وهى تبدو تحت بصره غامضة يغطيها ستار من الضباب يحجب شعابها الدقيقة ومساربها الصغيرة ولـكنه يجمعها فى لحظة واحـدة فى منظر رائق يحرك القلب رواؤه .

وقد كان الأسـتاذ الزيات أحد أفراد قلائل خدموا البلاد أكبر خدمة فى التعليم وفى التأليف ، كما أنه واحد ممن أحدثوا فى اللغة العربية مناهجها الجديدة فى التفكير ، وأبدعوا لها أساليبها الطريفة فى الـكتابة والتعبير . ولن نستطيع أن نعرف مقدار ما أدى للبلاد واللغة من الخدمات هو وأمثاله من رواد الأدب والفـكر إلا إذا عدنا بالذاكرة إلى أوائل هذا القرن العشرين .

كانت مصر فى أول هذا القرن ما تزال خامدة راكدة من أثر ما أصابها من الصدمات فى القرن الماضى . ثم دب النشاط

فيها شيئاً فتحركت أول حركتها بطيئة ضعيفة وسرى فيها دم الحياة على هينة كما يسرى أول نسيم الفجر بعد ليلة طويلة من ليالى القيظ . وكان من أول مظاهر هذا العهد الجديد إعادة الكرامة إلى اللغة العربية الشريفة : بعد أن قضت ردحاً من الزمن غريبة فى ديارها قد غلبتها الأمية على أمرها ونحتها تفاهة الحياة عن عرشها .

وفى هذه الحقبة الخطيرة من حياة اللغة العربية كان الأستاذ الزيات وصحبه يجاهدون لنصرتها فى تلك الدار المتواضعة المطلة على ميدان بيبرس .

وجد أن الأدب يلقن لتلاميذ المدارس على طريقة لا غناء فيها ، إذ كانت الدروس لا تزيد على ذكر أسماء الشعراء والكتاب ، يساق أحدها بعد الآخر سرداً ، ويورد لكل منهم بيت أو بيتان مما قال ، وسطر أو سطران مما أنشأ ، ولعل هذا لا يكون من خير ما قال أو كتب ، ثم يوصف بعبارة مدح عامة تكاد تتكرر بعد كل من تلك الأسماء ، حتى لكأنى بالطلاب يخرجون من دراستهم على أن الشعراء والكتاب صور تعيش فى الوهم فى عالم لا علاقة له بهذه الحياة ، بل لقد حكم عليها بأن تنزوى فى معاهد التعليم ذاتها ، فكانت تدرس كمادة ضئيلة من مواد الدراسة ، على حين كانت اللغة الأجنبية تحتل مكان الصدارة فى سائر الدروس .

وبدأت الأنظار تتجه إلى اللغة الكريمة وارثة التراث العظيم نلتمس فيها ومنها غذاء الفكر ورى القلب ، ولكنها كانت فى حاجة إلى من يترجمونها .

كان لا بد للغة العربية عند ذلك من أن تجد من بنيها من يحملونها تستقل بنفسها ، وتضطلع بحملها ، وتؤدى رسالتها . فكانت أحوج ما تكون اللغة إلى من يطوعونها لأغراضها ، ويعيدون إليها مرونتها وقوتها . كانوا جميعاً أعظم الكتاب والشعراء شأناً وأعلام قدراً ، يغوصون على المعانى فيخرجون منها بالدرر ، ويبدعون فى البلاغة إبداعاً يجب على الطلاب أن يؤمنوا به وإن لم يروا آية تدل عليه . فلم يكن فيما يدرس من آداب اللغة ما يجعل لأحد منهم خصيصة تميزه فى فكره أو فى أسلوبه ، ولا ما يجعل لأحد منهم مسلكاً سلكه رائداً أو سار فيه مقلداً . بل لم يكن الطالب يعرف أى هذه الأسماء جاء أولا ، وأيها جاء أخيراً ، ولا أيها الذى ابتدع فكان له فضل السبق إلى الطريق ، وأيها الذى اتبع وتفنن فكان له فضل التهذيب والإبداع والتمام ؟ !

فكان للزيات فضل السبق إلى تأليف كتاب جديد فى الأدب العربى سار فيه على نهج واضح ، فبين معنى الأدب ومناهجه ومدارسه وتحدث فيه عن كل كاتب وكل شاعر حديثاً طريفاً يصوره فيه تصوير الأحياء الذين عاشوا على هذه الأرض وأصابوا من ضعف البشر وقوتهم ومن سموهم وإسفافهم .

ولست أنسى ساعة دفعنى إعجابى بذلك الكتاب إلى أن تحدثت عنه فى حماسة الشباب على مسمع من بعض الزملاء ، فحسب أحدهم — عفا الله عنه — أننى أقصد التعريض به وأكيل المدح لصديقى لكى أغيظ به لا لكى أعبر عن رأى خالص ، فهبت على منه عاصفة شديدة من الحنق كانت بمثابة احتفال رائع بميلاد ذلك الكتاب الجديد .

وقد مضى الأستاذ الزيات فى سبيله بعد ذلك يؤلف فى الأدب والنقد ، وكان له أثره المشكور فى توجيه دراسة الأدب ، وفى مقاييس النقد ، ومؤلفاته فى هذا الباب غنية عن أن أعيد ذكرها فى هذا المقام .

ولكن جهاده فى خدمة اللغة العربية من هذا الوجه لم يكن كل جهاده الأدبى ، بل لقد أحسب أنه لم يكن الجانب الأكبر من نشاطه ، فهو مترجم القصتين الخالدتين : « آلام فرتر » و « رفائيل » ، والأولى للأديب الألمانى العظيم جوت ، والثانية للأديب الفرنسى الكبير لامارتين . ثم هو صاحب القلم الدائب الذى يمتاز بالتجويد وحسن البيان يختص به صحيفة « الرسالة » منذ نشأتها سبعة عشر عاماً من عمرها الطويل إن شاء الله .

فإذا كنا اليوم نرى فى بلادنا حركة أدبية نامية ، ومواهب فنية تتطلع إلى الكمال وتسير نحوه قدماً ، فما ذلك إلا من آثار جهاد هذا الجيل العامل — جهاد الأستاذ الزيات وصحبه الذين شقوا سبيلهم ما بين الصخور الوعرة والصحارى الجدبة ، وأسالوا عصارة قلوبهم ليحيلوا الوعر الجدب إلى خصوبة وارفة الظلال ، وليهيئوا للمستقبل آفاقاً جديدة أرفق جواً وأعذب مورداً .

وإذا كان بعض شباب الأدباء يندفعون أحياناً مع القلق فى أحاديثهم عن شيوخ الأدب ، فإن عليهم أن يذكروا أن هؤلاء

الشيوخ قد أهدوا إليهم من الثروة الفنية ما لم يسعدهم الحظ بمثله في بدء حياتهم ، وأن على الشبان واجباً لا يستطيعون أن يتخلوا عنه ، وهو أن يبلغوا من الإجادة الفنية أعلى مرتبة ، إذ لا عذر لهم في التخلف وقد شق الشيوخ طريقهم من قبل ومهدوها لهم وعبدوها .

وقد أضاف الأستاذ الزيات بترجمته لفرتر ورفائيل أثرين عظيمين إلى التراث الفني للغة العربية . ولا أعدو الحق إذا قلت إنهما قد أصبحا قطعتين من الأدب القومي .

وقد نسأل أنفسنا : أكنا أشد حاجة إلى التأليف أم إلى الترجمة في مثل حالنا ؟ وقد يقال : إن الترجمة عن اللغات الأخرى تنقل إلينا مشاعر قوم غير قومنا ، وتعبر عن خلجات نفوس غير نفوسنا . وقد يقال : إن الشعوب الناهضة أجدر بأن تصور مشاعرها وتتعمق ضمائرها ، وأن تنشئ أدبها صغيراً حتى ينمو معها ويبلغ مع الأيام مرتبة التمام في التعبير عن آلامها وآمالها .

ولكن الأدب العالمي تراث مشترك بين الشعوب جميعاً ، والأديب النابغ لا يكتب لأمة من الأمم دون الأخرى ، فهو إنسان يكتب لبني الإنسان ، ومن حقه وحق الإنسانية عليه ألا يعد في أمة من الأمم أجنبياً . وقد كانت اللغة العربية في أمس الحاجة إلى جهاد الأستاذ الزيات في ترجمته ، بل إنها ما تزال إلى اليوم في حاجة إلى تأمل هذا المثال الذي ضربه في الترجمة والحرص على احتذائه عند نقل الآداب الأجنبية . ما زلنا إلى اليوم ننقل من تلك الآداب ولن نستغني عنها في يوم من الأيام ، بل إن حاجتنا إلى الترجمة تزداد كلما زادت ثروتنا الأدبية اتساعاً وغزارة ، وكلما زاد اتصالنا بالفكر الإنساني في أنحاء الأرض قوة ولكن هذا النقل لا يضيف شيئاً إلى ثروتنا الفنية إلا إذا توفر عليه من كان له أهلاً من خاصة الأدباء الذين يملكون ناصية البيان .

قال الدكتور طه حسين بك في مقدمته لترجمة آلام فرتر « والترجمة في الفن والأدب ليست وضع لفظ عربي موضع لفظ أجنبي ، إذ الألفاظ شديدة القصور عن وصف الشعور في اللغة الطبيعية فكيف بها في لغة أخرى . إنما الترجمة الفنية والأدبية عبارة عن عملين مختلفين كلاهما صعب عسير : الأول أن يشعر المترجم بما شعر به المؤلف وأن تأخذ حواسه وملكاته من التأثر والانفعال نفس الصورة التي أخذتها حواس المؤلف وملكاته إن صح هذا التعبير . والثاني يحاول المترجم الإعراب عن هذه الصورة والإفصاح عن دقائقها وخفاياها بأشد الألفاظ تمثيلا لها وأوضحها دلالة عليها .

وخلاصة القول أن المترجم يجب أن يجتهد ما استطاع لا أن ينقل إلينا معنى الألفاظ التي خطتها يد المؤلف بل في أن ينقل إلينا نفس المؤلف جلية واضحة تتبين فيها من غير مشقة ولا عناء ما أثر فيها من ضروب الإحساس والشعور » .

وقد وفى الأستاذ الزيات حق الترجمة بما لا مطمع بعده لمستزيد ؛ فكانت عنايته باللفظ ودقة أدائه ، لا يعدلها إلا عنايته بالتركيب وبلاغة تعبيره .

وهو ممن يعرفون للألفاظ حقها . وقد بين رأيه في هذا الأمر بياناً وافياً في كتابه (دفاع عن البلاغة) إذ قال :

« وفي اختيار الكلمة الخاصة بالمعنى إبداع وخلق ؛ لأن الكلمة ميتة ما دامت في المعجم ، فإذا وصلها الفنان الخالق بأخواتها في التركيب ، ووضعها في موضعها الطبيعي من الجملة ، دبت فيها الحياة ، وسرت فيها الحرارة ، وظهر عليها اللون ، وتهيأ لها البروز . والكلمة في الجملة كالقطعة في الآلة إذا وضعت في موضعها على الصورة اللازمة والنظام المطلوب تحركت الآلة وإلا ظلت جامدة .

وللكلمات أرواح كما قال موباسان وأكثر القراء ، وإن شئت فقل أكثر الكتاب ، لا يطلبون منها غير المعاني . فإذا استطعت أن تجد الكلمة التي لا غنى عنها ولا عوض منها ، ثم وضعتها في الموضع الذي أعد لها وهندس عليها ، ونفخت فيها الروح التي تعيد إليها الحياة وترسل عليها الضوء ، ضمنت الدقة والقوة والصدق والطبيعية والوضوح ، وأمنت الترادف والتقريب والاعتساف ووضع الجملة في موضع الكلمة ؛ وذلك في الجهاد الفني غير قليل » .

ولا شك في أن الأستاذ قد أصاب في هذا القول لب الحقيقة ووضع به أول حد للبلاغة .

وإذا كنت أحب أن أضيف إلى هذا القول شيئاً فذلك أن أخلص منه إلى نتيجة . فاللفظ كما قال لا يزيد على أن يكون جاداً ما بقي في المعجم ، ولن تدب فيه الحياة إلا إذا وضع في موضعه من العبارة فأدى المعنى الذي يقصده الكاتب منه . ولن يستطيع كاتب أن يقحم لفظاً على غير المعنى الذي تعود أن يمثله .

بل إنه لن يستطيع أن يعيد الحياة إلى لفظ إلا إذا كان قد اتخذ من قبل صورة بعد صورة جملته أهلا لأن يعبر عن المعنى الذى يريده الكاتب . فالاستعمال يخلع على الألفاظ هالة من المعانى التى لا تستطيع المعاجم أن تصورها ، وبراعة الكاتب إنما تظهر فى ترويض اللفظ حتى يلقى على العبارة كل ظلال معناه فيمكنه من إثارة الشعور الذى يريد إثارته فى نفوس القراء إذا ما أدركته الأبصار ووعته الأسماع .

ومن الألفاظ طائفة تقبع جامدة بين صفحات المعاجم قد حاول اللغويون أن يحددوا المعانى التى فهموها منها إذ كانت حية تؤدى واجبها فى التعبير والبيان . ولكنها بقيت هناك دفينة مدة عصور طويلة لم تنبعث فيها الحياة فى كتاب ولم يستخدمها أحد فى بيان معنى من معانى الحياة . فمن عمد إلى إعادة الحياة إلى هذه الألفاظ لم يأمن أن يقحمها فى غير مادتها فتبقى جامدة ميتة لا تبعث فى أحد معنى ولا شعوراً .

فأجدر الألفاظ بالتعبير الصحيح الفنى هى أقربها إلى الحياة فى استعمال أهل هذه الحياة .

ومن الكتاب من يذهب إلى أن من الألفاظ ما هو شريف ومنها ما هو مبتذل .

ولا شك فى أن هذا صحيح من وجه واحد ، فالسر فى شرف الألفاظ أو ابتذالها ما هو إلا تاريخ حياتها السابقة وما خلعه عليها الاستعمال من ظلال المعانى فى التراكيب التى استخدمت فيها والصور التى اختصت بادائها .

ولكن الشرف لا يقوم باللفظ من أجل غرابته أو ضخامة جرسه ؛ فاذلك سوى شرف زائف يشبه شرف السوقى الذى يعمد إلى غرائب الثياب ليخلع على صورته ما يجذب إليه الأنظار . فمن الألفاظ ما يعده بعض الكتاب كريما فاذا عمدوا إلى استخدامه فى بيانهم بقى فى عزلة لا يؤدى المعنى المقصود منه أو يبقى نافراً شامساً يضيع جهد الكاتب هباء .

والأديب إذا كان صادق الحس ممتلئ القلب من المعنى الذى يريد أن يعبر عنه لا يستخدم فى عبارته لفظاً إلا وهو يقصد من ورائه صورة.

وليس من السهل على المقلد أن يخلع على أسلوبه الجلال بأن يستعير ذلك اللفظ فى عبارته ، بل أن ذلك يعرضه لأن يخطىء البيان إذا لم يكن فى اختياره للفظ منبعثاً عن إحساس صادق يهديه سبيله . ففى هذا الإحساس وصدق التعبير عنه يكمن الإعجاز فى الأداء الفنى . هذا الاحساس الصادق هو الذى هدى شوقى إلى تعبيره الرائع إذ قال :

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان

فهذا البيت وإن كان يفيد فى جملته أن الحياة الإنسانية زائلة فانية يحمل فوق ذلك فيضاً من الأحاسيس الدقيقة التى تدرك من ظلال المعنى . فدقات قلب المرء لا تكون إلا مع العاطفة المشبوبة والأشجان الثائرة . ووحى الشاعر يحمله فى سرعة البرق إلى تأمل بطلان الحزن وإلى أن كل شىء زائل حتى هذه الآلام الشديدة التى تنزلها الكوارث الفادحة ، والحزن وإن كان شديداً عند فقد الأحبة يحمل معه خاطرة أخرى أكثر تحريكا للقلب من الحزن نفسه ، وذلك أن كل شىء فان ، وأن الوجود دائب على تقريب الإنسان من الفناء لحظة بعد لحظة فى غير توقف ولا هوادة .

وقال شاعر آخر :

وإنى لأستغشى وما بى نعسة لعل خيالاً منك يلقى خياليا
وأخرج من بين الجلوس لعلنى أحدث عنك النفس بالليل خاليا

فما بين هذه الألفاظ هالات مختلفة من المعانى وهى سر ما تحدثه من الأثر فى النفوس . فهذا المحب يستغشى وليس به نوم ؛ وهو يخرج من بين الجلوس فجاءة كما يفعل من كان مضطرب الخاطر لا يأنس إلى المجامع الصاخبة ؛ وهو يطلب خيال الحبيبة ليلاقى خياله ؛ وهو يحدث نفسه إذا ما خلا إليها — أليست هذه صورة رجل قد سلب لبه واختبل عقله ونسى كل شىء فى الحياة إلا صورة الحبيبة التى استولت على فؤاده ؟ فهو لا يخبر الناس بحقيقة يريد أن يطلعهم عليها ، بل يرسم صورة لما أصابه من الاضطراب والقلق والخبل .

ولأضرب مثلاً قصيراً آخر للدلالة على أن شرف الألفاظ كامن فى ظلال معانيها ، وأن هذه الظلال لا يستطاع نقلها فى تعسف من عبارة إلى أخرى .

قال الأبيرد اليربرعى فى رثاء صديق اسمه (بُريد) :

أحقاً عباد الله أن لست لاقياً بريداً طوال الدهر ما لألأ العفر

فهو يسأل فى لهفة أحقاً لن يرى صديقه مرة أخرى وأنه سوف

يقضى سائر أيامه وحيداً محروماً من صحبته وإيناسه . ولكنه لا يقول فى ذلك أنه لن يراه ما طلعت الشمس ولا ما هبت الريح ولا ما انعقد السامر فى الحى ، بل يقول إنه لن يراه طوال الدهر ما لألأت الظباء العفر بأذنابها . فأين وجه البلاغة هناك ؟ أليس ذلك أنه كلما تذكر صديقه عادت إليه ذكرى ساعات المتعة الصريحة القوية التى كان يحسها فى صحبته إذ يخرجان معاً إلى الصيد ، حتى إذا ما لاحت لهما الظباء العفر تحرك أذنابها وتب قلباهما طرباً وسددا إليها السهام حتى يظفرا بصيد منها ثم يجلسان معاً يطربان سائر يومهما بما أصابا من لذة الصيد والفتوة ؟ فلو أراد كاتب آخر أن يستعير ذلك اللفظ فى تعبيره عن الألم لفقد صديق حميم لم يكن يخرج معه إلى صيد الظباء فى الأيام الصافية لكان جديراً بأن يخطئه التوفيق . فليس هذه الألفاظ بعينها التى تخلع البلاغة على عباراتها وإنما هى ظلال المعانى الخفية التى جعلت لتلك الألفاظ دلالة وأكسبتها شرفاً . ومن الألفاظ الأخرى ما لا يقل فى الأداء روعة عنها إذا لم يزد عليها فى التعبير عن الحسرة للمتعة المفقودة فى مواطن أخرى . فالصديق الذى كان يحس المتعة فى صحبة صديقه إذ يمرحان على شاطىء البحر مثلاً لا يزيد على أن يكون سخيفاً إذا رثى صديقه قائلاً « أحقاً أنى لن أراك طوال الدهر ما لألأ العفر » وإنما البلاغة فى أن يقول مثلاً « ما لمت أمواج البحر الفاترة فى أيام الصيف الوديعة » فإذا كان الصديقان ممن يرتادون مجاهل الصحراء معاً أو يجولون بين الغابات العاتية ، كان الأجدر بمن يريد أن يعبر عن حزنه لفقد صاحبه أن يقول « أحقاً لن أرى صديقى ما هبت الرياح بين الأغصان ، أو ما غابت الشمس وراء الكثبان .

ويمكن أن نخلص من هذا إلى أن خير الألفاظ وأشرفها ما كان جديراً بتأدية المعنى واضحاً فى غير عسر ، وما كان فيه ظلال من المعانى توحى بالأثر النفسى الذى يريد الكاتب أن يبعثه فى نفس قارئه . وذلك لا يتأتى إلا إذا كان اللفظ حياً تحيط به هالة من المعانى يستمدها من الاستعمال فى الحياة . وإذا كانت الكلمات غريبة بعيدة عن الاستعمال كانت أحرى بالتقصير عن تأدية حق البلاغة فى التعبير .

وقد سار الأستاذ الزيات على هذه السنة فى أسلوبه سواء أكان ذلك فى ترجمته أم فى إنشائه . غير أننى أقول فى شىء من التردد أنه يحاذر أن يستخدم لفظاً يظنه سوقياً أو يظن أن القارىء يراه سوقياً . فهو إذا تحدث عن الماء البارد قال الماء الخصر ، وإذا ذكر عبوس الوجه قال ابتساره وهو يقول : لو عرَّفت لهذا الخطب لتبدد يأسها ، يقصد أن يقول لو صبرت للخطب وتجلدت ويقول : اليوم وجدت بى إنهاء عن الطعام ؛ وانماث قلبى كما يماث الثلج ؛ وفرقتهم عُدواء الدار . وإنى أرى للوزير صَوْرة إلى منذ زمن طويل . وما أظنه يعمد إلى هذا إلا لغاية مضمرة فى نفسه ؛ فقد رأى بعض الكتاب إذا ترجموا قطعة من آيات الفن أسفّوا فى اختيار ألفاظهم بدعوى التسهل ، وما هم من السهولة فى شىء سوى التقصير عن شأو البلغاء ؛ فإنهم لا يختارون السهل الفصيح ولا يجعلون اللفظ فى موضعه الذى خلقه الله له ، بل يقحمون الألفاظ فى غير مواضعها فتنفر منهم ولا تجود لهم إلا بصور تافهة تضيع لب المعنى وتشوه المشاعر العالية التى يدعون أنهم ينقلونها. فهذا التحرى الذى يتحراه الأستاذ فى اختيار ألفاظه ليس سوى احتجاج على من يقحمون أنفسهم فيما لم يكونوا له أهلا . على أن أسلوب الأستاذ الزيات مع هذا التخير لألفاظه سهل واضح عذب فى الإيماء دقيق الدلالة على معناه .

والآن أختم كلمتى كما بدأتها بالترحيب بالأستاذ الجليل والابتهاج بالعودة إلى مزاملته فى هذا المجمع الموقر . وأسأل الله تعالى أن يسدد خطاه وخطانا فى خدمة لغتنا العربية الشريفة .

والسلام عليكم ورحمة الله .

محمد فريد أبو حديد

صرخـــــة العبقرية !

للاستاذ راجي الراعي

هزّني أمس وأنا أتنقل في دنيا الجبابرة صراخ هائل عنيف كاد يمزق الأثير ويهتك حجاب الأفق فأسرعت إليه فإذا هناك ستة عباقرة يستجيرون بالسماء والأرض ، وكأنهم مجموعة آفاق ماطرة وبراكين ثائرة تختلط فيها الحمم المشتعلة بالسيول المتانة فسألت : ما بكم أيها المنتحبون الثائرون ومن أنتم ؟ فكشفوا لي صدورهم فإذا هي تحمل هذه الفظائع :

— أنا جائع واسمي (هوميروس) !

— أنا ظمآن واسمي (فرجيل) !

— أنا عريان واسمي (ديوجينس) !

— أنا أعمى سجين واسمي (المعري) !

— أنا مهشم الجسم واسمي (غاليله) !

— أنا يا عباد الله في الشارع وقد طردني المالك ولا بيت لي آوي إليه واسمي (سبينوزا) !

ففار دمي وأطلقت من أعماق الروح صرخة حمراء مخيفة اهتز لها ضمير الزمان ، وهجمت وفي جبيني حمى الانتقام على الخبازين ، وجمعت ما لديهم من الخبز وطرحته أمام (هوميروس) صائحاً : كل أيها الجائع ، إن خبز الخبازين هو لك لأنك تُغذّي الخلائق .

وهرعت إلى الجبال وأطلقت الينابيع أمام (فرجيل) صائحاً: اشرب أيها الظمآن فهذه الينابيع هي بعض ما تدفق بها وحيك وإلهامك . .

وتصديت للبلهاء المرتدين أفخر الحلل ونزعتها عنهم صارخاً : إن (ديوجينس) الفيلسوف عريان فتخلوا له عن حللكم أيها البله المتعصبون ..

ووثبت إلى الشمس وانتزعت منها ألف شعاع وأسرعت بها إلى (المعري) ليستعين بها ، ويرى بعينه الشمس التي تضطرم في عبقريته ..

ورجوت من الخالق أن يوقف دورة الأرض احتجاجاً على تعذيب (غاليله) الذي قال بها ولم يؤمنوا به ..

وشهرت سيفي على الملاّكين وحلقت مُزمجراً : افتحوا أبوابكم (اسبينوزا) ، إنه أحق منكم ببيوتكم فهو المالك الحقيق ، المالك الأكبر ، مالك العقول والقلوب ..

وتنفس أبطالي الصعداء وراحوا يقبلونني قبلة العبقرية والوفاء

أيها الناس ، أيها الناس ! إن أبطالكم يموتون من الجوع والظمأ والعري والظلم وهم مفاخر تاريخكم وعناوين أمجادكم ...

إن الأمة التي تقتل نابغها جوعاً لا يجوز أن ينبت الزرع في أرضها ..

إن الأمة التي يموت فيها الفن والفنان ظمأً لا حق لها في الماء

إن الأمة التي تبقى فيلسوفها عرياناً يمزق ثوبها التاريخ ..

أيها الناس إن الإنسانية التي تفخرون بها قامت على سواعد الكتاب والشعراء والفلاسفة والفنانين والمفكرين الذين تشق سيوفهم كثافة الدهور وترنح بذكرهم الأجيال ..

أيها الناس ، أيها الناس ! اعترفوا بالجميل وكونوا إنسانيين عادلين ..

راجي الراعي

صور من الحياة :

زوجة تنهـــــار !

للأستـــــاذ كامل محمود حبيب

هب الفتى من فراشـه — لدى مطلع الفجر — يستقبل هبّات النسيم اللينة الرقيقة ويستمتع بأنفاس الصبح الندية وهى تمايث فلول جيش الليل المتدافعة نحو الغرب فى رهبة وفزع . ووقف يتأمل ماء النيل وهو ينسرب متدفقاً إلى غير غاية ، ويرنو إلى الأشجار الباسقة على الضفة الأخرى وإن أغصانها المتعانقة لتترنح فى فتور وتراخ كأنما تجاهد لتاق عن نفسها لباس النوم الكثيف . وأحس الفتى — وهو فى مكانه — بالقوة تتدفق فى أعصابه وبالنشاط يمرح فى إهابه وبالنشوة تسرى فى دمه ، ونسى يوم أن كان طفلاً رطيب العود لين العظم مسلوب القوة واهى الإرادة وقد أصابه اليتم والفقر فى وقت معاً ، ففقد أباه صغيراً ليعيش إلى جانب أمه وحيدين فى ركن من دار ، ونسى يوم أن كان صبياً تضنيه المسكنة وتفريه الذلة ، يحس وطأة الشظف ولأواء الضيق، يتوارى — أبداً — عن أترابه خشية أن تقتحمه عين وهو فى أسمال بالية وضيعة ، وخيفة أن ينـاله لسان سليط وهو يقضم كسرة خشنة تافهة . ونسى يوم أن صار شاباً ينطوى على نفسه فى تخاذل وهوان لأنه لا يستطيع أن يتطاول إلى مكانة رفاقه وهو خاوى الوفاض صفر اليدين . لقد كانت أمه تستفرغ وسع الطاقة لتدفع ثمن مكانه فى المدرسة ثم يصيبها البهر والإعياء فلا تستطيع أن تحبوه بالجديد من اللباس ولا اللين من العيش ... فعاشت إلى جانبه تدفعه إلى الغاية التى تصبو إليها نفسها وتصبر هى على الجوع والعرى فى رضى وإيمان .

أما الآن فقد تخرج فى مدرسة المعلمين العليا وعين مدرساً فى مدرسة (كذا) الإبتدائية ، فهو يستطيع أن يحبو نفسـه بالـكريم من الطعام والشريف من اللباس فى غير عنت ولا إرهاق ، والدنيا رخاء . فراح يتأنق فى مأكله وملبسه ومسكنه ويغدق على نفسه من أفانين النعمة ما أعجزه أن يناله فى عمر الفاقة والتربة . وأحس اللذة والسعادة فى حيـاته الجديدة لا يشوبهما إلا أنه فقد أمه ... القلب الوحيد الذى يتوثب حناناً وعطفاً ويفيض شفقة ورحمة . فعاش من بعدها وحيداً ، لا يصحبه فى موكب الحياة إلا خادمه وهو فتى ريفى هرب من جفوة الحقل ليسكن إلى رخاوة المدينة ، وإلا بعض زملائه فى المدرسة .

واستشعر الفتى الوحدة توشك أن تقض مضجعه وتعكر صفو أحلامه وتقذف به فى بيـداء من الخواطر المضطربه ، فهو لا يحس عطف الأب وقد ضمه القبر منذ عمر طويل ، ولا حنان الأم وقد ودعته الوداع الأخير منذ سنوات خمس ، ولا رقة الأخ وهو وحيد أبويه . أما أهله فقد تنكروا له يوم أن كان فى شظف العيش ورقة الحال ، فآلى على نفسه ألا يزور ديارهم أبداً وإلا يعطف على فقير فيهم وإلا يستعين بذى جاه منهم أو يلجأ إلى ذى مال . ومضت الأيام على نسق واحد وقد أقفرت من قلب ينبض بحبه أو نفس تضطرب بالعطف عليه فذاق لذع الوحدة ومرارة العزلة.

وجلس الفتى — ذات يوم — إلى زميل له يحدثه حديثه وإن نبرات صوته لتـكشف عن أسى دفين عاش فى قلبه منذ أن كان طفلاً ، ونما على السنين وربا واشتد غرسه ، وإن عبراته المترقرقة لتنبئ عن شجو يقطع نياط القلب ويقد أوتار الفؤاد . ورق صاحب لصاحبه فقال الزميل « أرأيت — يا صاحبي — مرض نفسك وعلة قلبك ؟ إن لـكل داء دواء يستطب به ! » قال فى لهفة ، « وما دواء دائى ، وقد استعصى علىّ أن أطب له ؟ » قال « لا ضير عليك ، إن الزوجة والولد هما دواء قلبك وشفاء نفسك ، إنهما ولا ريب يمسحان على آثار الضيق ، ويمحوان علامات الضنا ، وينفثان فى الدار البهجة والنـور ، ويبعثان فى القلب السرور والنشوة » فقال الفتى « لا عجب ، ولـكن أنَّى لى أن أجد الزوجة وأنا أمقت أهلى وأبغض عشيرتى وأفزع عن ذوى قرابتى » قال « أخفاً أن تتزوج من أهلك وفى الدنيا مراد وسعة » قال « أما أنا فلا أعرف داراً أجد فيها شفاء علتى » قال « ماذا ترى فى ابنة الأستاذ فلان ؟ » قال « هى فتاة لا أستطيع أن أسـكن إليها : فأنا أرى فى أبيها الرجعية والتزمت وضيق العقل وسفاهة الحلم ، والفتاة فى كنف مثل هـذا الأب تستشعر السجن والغل معاً ، فإذا انفلتت من سجنها انفلتت من قيود الشرف والـكرامة »

قال « هذا وهم باطل ، ولكن نفس العزب تصور له خواطر تافهة مضطربة لتقعد به أن يكبل نفسه بالزواج » قال الفتى « لطالما طافت الفكرة بذهنى فما دفعني عنها إلا أننى لا أجد من يتحدث بلسانى ويكشف عن ذات نفسى » فقال الزميل « لا عليك ، فأنا – منذ الآن – رسولك ! »

وانطلق الرجل يمهد السبيل لصديقه الفتى ، فما لبث الأب أن اطمأن إلى الرأى وأسلس للخاطرة فسميت الفتاة على فتاها .

* * *

وذاق الفتى – لأول مرة فى حياته – لذة الحياة وهدوء النفس وراحة الضمير وسعادة العيش ، فزوجته فتاة فى ربيع العمر ورونق الجمال ، تتألق شباباً وبهاء ، وتشع نوراً وضياء ، وهى زوجة من طراز ممتاز ، ترعى شأن الزوج وتحفظ وده وتقوم على حقه ، فيها اليقظة والنشاط وفيها الرقة واللطف . فهى تبذل جهد الطاقة لتهيىء داراً أنيقة فيها النظافة والنظام وفيها الهدوء والراحة وفيها السعادة والطمأنينة . وعاش الفتى إلى جانب زوجته يسعد بها ويرتاح إلى لقياها . ثم أقبل الطفل الأول يملأ الدار بهجة ورواء ، ويشد قلباً إلى قلب ويضم فؤاداً إلى فؤاد ، وانطوت الأيام

وجاءت الحرب تنذر بخطر عظيم ، وجاء الغلاء يريد أن يحطم سعادة قلبين ، فملت وجه الفتى غبرة قاتمة حين رأى راتبه الضئيل يتداعى أمام صفعات الغلاء وهى قاسية عنيفة ويتهاوى أمام حاجات العيش وهى كثيرة ملحة . والحكومة تنظر ولا ترى ، وتتحدث ولا تفعل .

وأفزع الفتى أن يرى سعادته توشك أن تنهار لضيق ذات يده فانطلق إلى المدير يكشف له عن خلجات ضميره ويكشف أمامه عن حاجات نفسه ثم راح يستجدى عطفه ويسأله أن ينتدبه مدرساً فى السودان ليجد الحياة الطيبة والنعمة الوارفة . ورق قلب المدير للفتى الصريح فأجاب طلبته .

وعجل الفتى إلى زوجته يزف إليها البشرى ... بشرى راتبه الذى زاد ضعفين فى لمحة عين . وعجبت الفتاة أن يضاعف راتب زوجها مرة واحدة فسألته فى لهفة « وكيف ؟ » قال « لقد انتدبت مدرساً فى السودان » وابتسمت الزوجة فقال لها « أو يزعجك أن أفعل ؟ » قالت « حسبي أن أجد لذة الحياة إلى جانبك وأن أسعد بخفض العيش فى جوارك ، ومالى هنا مأرب ولا حاجة » واطمأنت نفس الفتى حين وجد الخلاص ، وحين فر – هو وزوجه وأولاده – من بين فكى الفاقة والغلاء والضيق قبل أن تعصره عصراً يهد من كيانه ويزعزع من سعادته .

يا لرجولتك أيها الفتى ! لقد فزعت عن دارك ووطنك لتكون أباً وزوجاً تستعذب الغربة وتستمرىء الضنا وتصبر على رمضاء الحر ولفحة الهاجرة ، لتهيىء لزوجك وبنيك حياة طيبة فيها الرفاهية والخفض .

وخرّ الفتى – بعد عامين – مريضاً تتناهبه الأسقام من وقدة القيظ وتتوزعه الأوجاع من لظى الحر ، فارتد إلى القاهرة يتلمس الشفاء من علته ويطلب البرء من سقمه وإلى جانبه زوجته ترف حواليه رفيفاً حلواً يخفف من ضنى نفسه ويمسح على آلام جسمه .

وطال به المرض والفتاة إلى جانبه يتقاسمها الفتور والملل ويفزعها السجن والمرض ، وإن فيها شباباً يصبو إلى الشارع ويهفو إلى السينما وينزع إلى المتعة فما تجد السبيل ، غير أنها لم تعدم تعلة تتعلل بها لتفر من الدار ساعة أو بعض ساعة . وبدا عليها الضيق على حين تتصنع بالوفاء ، وأصابها الخور وهى تتخلق بالنشاط . وللمريض عين نفاذة وأذن واعية وإحساس مرهف ، فأرخى الفتى لزوجته العنان علها تجد السلوة والمتاع .

واندفعت الفتاة إلى الشارع وإلى السينما ، لا تعبأ بالمريض ولا تعنى بشأنه ، وخلفته بين يدى الخادم تعبث به وتهمل أمره . وضاق الفتى بحماقة الزوجة الشابة حين رآها تسرف فى الزينة وتغرق فى التطرية وتفرط فى أمر الدار والزوج والولد ، فراح يحدثها حديث خواطره فى لباقة ولين . ولكن الزوجة كانت قد علقت شاباً آخر ذاقت إلى جواره حلاوة الهوى ورشفت رضاب المتعة ونقمت غلة الحرمان .

وعند الصباح انطلقت الخادم لتوقظ الزوجة فألفت فراشها خالياً ... لقد طارت الزوجة الخائنة مع شيطان من الناس ... طارت لتذر زوجها وحيداً على فراش المرض يقاسى ألم المرض ويعانى هم الزوجة .

ونظر الزوج إلى بنيه وهم يتدافعون إلى حجرة أمهم وينادون

« أمى ... أمى ! » فطفرت من عينه عبرة حرّى لأنه أحس — فى يوم ما — أن فقد الأم يحز القلب وخزات جاسية غليظة ، ولأنه استشعر لذع الخيانة يسم حياته بسمات الخزى والمهانة ، ويسربل أولاده بلباس السبة والعار .

آه ، يا لقلبى ! إن الزوجة حين ترتدغ فى حمأة الخيانة تعلن عن أن دمها لم يشعر يوماً بالمعانى السامية والشرف والكرامة .

كامل محمود حبيب

المـــــازنى فى عهدين

بين ابراهيم الكاتب وابراهيم الثانى

للأستاذ غائب طعمة فرمان

وصف المازنى ابراهيم الكاتب بقوله :

« إن أبرز مزاياه كانت أن أسلوبه صورة لنفسه الحية الحساسة المتوقدة ... وكان دأبه أن يدور بعينه فى نفسه ليطلع على كل ما فيها ، وأن يجيلها فيما هو خارج عنها ليحيط بكل ما وراءها ... ولكن قلما رأى شيئاً خارجها إلا من خلالها ... »

... ومن خلال هذا الوصف أعطانا المازنى صورة واضحة المعالم دقيقة السمات لنفسه ... تلك التى ترى الأشياء من مرآتها الخاصة وتبث من خلجاتها حياة فيها ...

والمازنى لا يفتأ يتحدث عن نفسه ، وينفذ إلى أعمق أعماقها ، ويسبر أغور أغوارها ، ويطلع على أخفى خفاياها ... ثم يرى العالم من خلالها ليتعرف على أسرارها !

فإذا بتلك السلسلة المتصلة الحلقات من التجارب الإنسانية تصبح مادة أدبه ، وإذا بذلك النهر المتجمع من قطرات أيامه وسنيه يمد المازنى بمعين لا ينضب من الأدب الرفيع .

وتحت معاول الهزات النفسية ، والجنبة فى رحلاته الطويلة فى عالم الفكر والشعور تربت نفسه ، وتهذبت ، وامحى بريقها الكاذب وبدت خالصة من الشوائب ، ناصعة الجوهر ... فإذا هو يعتز بها ، ويحيا لها ، وفى سبيلها يسعى ، وبها وحدها يعنى .

فاذا أسلمنا بهذا حملنا إلى الشك فى قول المازنى بأنه « ليس ابراهيم الكاتب الذى تصفه الرواية ؛ وإن هذا المخلوق ما كان قط ، ولا فتح عينيه على الحياة إلا فى روايته » فتلك مغالطة أعظم بها من مغالطة ، وتنكب عن واقع الحياة ، وهروب عن لذعات السنين الماضية ، وذكرياتها المريرة التى قد تكون شديدة الوطأ على نفسه ، قاسية الوقع على شعوره ... وما تلك الفروق بين ابراهيم المازنى وابراهيم الكاتب إلا ضرب من المخادعة واللف يلجأ إليه المازنى فى كثير من الأحايين .

وقد تغير المازنى السنون فيبدو لعينيه ابراهيم الكاتب- وهو يمثل طوراً من أطوار حياته — رجلاً غريباً « لا تعجبه سيرته ولا مزاجه ولا التفاتات ذهنه » . فينفر منه ، ويجفوه لاختلافه فى الاحتفال بالحياة والأعراض عن الدنيا ، والوعورة فى الأخلاق والنفور من الناس ، والمرارة من الواقع الأليم ، والرضى بما هو كائن ...

فالمازنى الشاب بنزوات قلبه ، وخفقات روحه ، وتسابيح خياله ، وإنسراح عواطفه قد مضى .. وخلف ذكريات مرة مسجلة على صفحات « ابراهيم الكاتب » .

ولست أدرى كيف استساغ المازنى أن ينفى كونه ابراهيم الكاتب بعد أن قال فى الصفحة الأولى من المقدمة :

بدأت هذه الرواية فى سنة ١٩٢٥ ثم عدلت عن إتمامها ، والمضى فيها وبها إلى غايتها ونسيتها إلى شتاء ١٩٢٦ فاتفق فى ذلك الوقت أن عرفت سيدة نمسوية تزاول الصحافة والتعليم فى آن معاً ، وتوثقت بيننا الصداقة على الأيام — فقد طال مقامها هنا — فأطلعتنى على صفحة من حياتها حافلة بالكروب والمتاعب ، ولما كنت لا أعرف لى ، مع الأسف ، تاريخاً يستحق الذكر ، أو حياة جديرة بأن يصغى إليها ، أو يطلع عليها السامع أو القارىء ، ولما كنت معها فى موقف يتقاضانى أن أجازيها بثاً ببث ، وأن أقول لها بشجوى ، كما قالت لى بشجوها ، فقد ركبنى عفريتى الذى استراح إلى كتفى ، واطمأن إلى استسلامى لقضاء الله فىّ معه فقصصت عليها حكاية الرواية — كما كنت أنوى أن أكتبها — وزعمت أن هـذه قصة حياتى !!! ولما كانت حياتى مستمرة فقد إحتجت وأنا أسرد عليها هذا التاريخ المبتدع أن أجعل الختام باباً مفتوحاً »

... ثم وصف المازنى لابراهيم الكاتب وصفاً لا أظن الذين رأوا المازنى رأى العين يفوتهم هذا التشابه الجسمى بين ابراهيم الكاتب وابراهيم المازنى ...

كل هذا يدفعنا إلى أن نقر بأن المازنى قد سجل فى ابراهيم الكاتب عهداً من عهود حياته ، عهداً مليئاً بالهزات النفسية ، عهداً بذر بذور التشاؤم فى نفسه ، وأسلمه إلى شيء يشبه القنوط، عهداً لم يخل من أخطاء ونزوات وزلات وهفوات ، حتى اضطره آخر الأمر إلى أن ينكر ذلك الرجل الذى يهرب من العقل ، ويغور فى كهوف العاطفة ، ويهوم فى مساربها العميقة ..

و « ابراهيم الكاتب » قصة رحلة ، تبدأ باخفاق ، وتنتهى باخفاق .. ويظل القلب الذى شهد فصولها يتألم من الحاضر ، ويتعذب بالماضى الدفين .

وتبدأ هذه الرحلة حين يذهب ابراهيم إلى الريف ، بعد موت زوجته ، وخروجه من المستشفى وهو مجروح القلب ، يعذبه حب مارى ... يذهب إلى الريف ليسلو ، وليقضى وقتاً فى أحضان السكون ، ومراتع الطبيعة الريفية الهادئة ، بعيداً عن ضوضاء المدينة ووساوس الحب وآلامه .. ولكنه لم يدر أن القدر يترصده؛ فيقع فى حب ثان أعنف وأشد ... هو حب شوشو بنت خالته ، تلك الفتاة الغريرة بنت السابعة عشرة ، وذات العينين العميقتين السوداوين المعبرتين عن طبيعة صاحبتها ، والمفصحتين عن حقيقة جمالها ، الحلوة النفس ، الخفيفة الروح ، الظمأى إلى المجهول .

ولكن المرارة دائماً تفعم قلب المازنى ، واليأس يصحبه ، والإخفاق يطارده ؛ فالحب الذى اضطرمت ناره فى صدر العاشقين ، وجريا معه فى مجاريه يتحطم على أعتاب تلك القوة الغاشمة ... قوة التقاليد ... فيسافر ابراهيم إلى الأقصر ليدفن هواه الجريح ، ويواسى قلبه المضطرب ، وليتسلى عما أصابه من إخفاق .

وكأن القدر يلذ له أن يحرك الأثار المرهقة من قلب ابراهيم ، فهناك يلاقى فتاة مصرية تدعى (ليلى) .. وسرعان ما يختلج فى فؤاده لهيب العاطفة التى تعذب بها ، وصلى نارها ، فينجرف فى تيارها إلى الشاطىء ذى الأشواك .. شاطىء الحب الصارم ، فيوغل فى حب ليلى ، ويندفع معها إلى جنائن الفاكهة المحرمة ! .

ولكن ذلك الشيطان الظالم ... الإخفاق ... دائماً يظلله بأجنحته السوداء ، فيصاب بالمرض ، أغلب الظن أنه أورثه تلف الأعصاب ، وخلق منه ابراهيم الكاتب .

وبعد تلك الرحلة الفنية يسلم نفسه إلى كآبة عميقة ، ويأس مرير ... وفى خلال صفحات الكتاب نرى نفسه الحساسة المرهفة كيف تتعذب ، وكيف تشقى باحساسها ... فالحياة لم تنر لها الطريق ، ولم تهدها إلى نعيم الاستقرار ، فظلت هائمة لا يثوب إليها الاستقرار ، ولا تركن بزورقها الحائر إلى شاطىء الهدوء .

فلا غرابة — إن أتجه ابراهيم الكاتب إلى التشاؤم بعد هول العاصفة ، يلوذ بكهوفه ، يرضى فيه نفسه الجريحة ، ويحاول أن يحسب الألم عنصراً من عناصر الحياة :

«اسمعى يا نونو ... لقد أهاب بنا نتشه أن نحيا حياة خطرة ... ولكنى أقول إنه ينبغى أن نحيا حياة مؤلمة ! . إن الألم لا سخيف ولا يشع ... إنظرى هذه الشمس التى تنحدر للمغيب ... إن للشمس بقعها ، والشمس على رغم من بقعها هى حياة الأرض ... هى وحدها الحياة ... والسعادة أيضاً لها بقعها ... ولك أن تسميها آلاماً ... ولكن هذه الآلام هى التى تجعلنا نقدر السعادة التى نفوز بها ، والحياة بالقلب هى الحياة الثامنة ، أما من يبلد قلبه ؛ من يخنقه فهذا إنما يحيا حياة هندسية فى ناحية واحدة » .

هذا الشاب المتوقد كم عذبه إحساسه ، وشقى بعاطفته ؛ فكان يحس فى قرارة نفسه بعد أن أنهى آماله ، وتحطمت أحلامه — أنه يحسن به أن يستقر ، ويهدأ ويلقى جسمه المنكود المتعب ، ونفسه المنهوكة المثقلة بأعباء الحياة فى ركن يستكن به .. فى بيت بربطه الرباط المقدس ، وتظلله ظلال وارفة من التآلف والحنان.. ولكن أنى له ذلك ؟! ألم يحاول أن يتزوج من ميمى الفتاة التى أحبها ، وأحبته واستغرق الإثنان فى حبهما ، حتى إذا أشرف على الزواج وقف ذلك الجدار المرتفع من التقاليد . حائلاً دونه ودون ما يصبو إليه .

وليلى ؟ . . الفتاة الظريفة الحركة الحلوة التعبير ، الناضجة الجسم ، السمراء اللون ، الدائمة التفكير ... لقد هام بهاء فجاء إليها مرة قائلاً « .. إن هذه اللحظة رهيبة فى حياتى فهل توافقين على الزواج منى ؟ .. » فتجيبه « يا حبيبى المسكين أجننت ؟! » .

وفى هذه اللحظة الرهيبة تتبين له حقيقة ليلى ، وتنكشف له

سطوراً من صفحات ماضيها القاتم ، وتزرع فى قلبه المفتون أشواكاً ، وتذر فى عينيه حفنة من رماد !

ويتحطم كل أمل له فى البيت المنشود ، ويظل الاستقرار بعيداً عنه ، نفوراً منه ، ويظل قلبه المرهف يتجرع الصاب فى صمت !.

وينظر إلى سجل أيامه الماضية من بعيد وهى متوارية خلف آفاق الماضى ، والدموع تملأ قلبه ، والغصة فى حلقه .

وذات مرة تسأله أمه :

— يا بنى ألم تفكر فى الاستقرار ؟

— الاستقرار ؟ ! . . إن البيوت الثابتة إنما اخترعت لأن الإنسان اشتهى السلامة وطلب الأمن ، وأراد أن يكون مطمئناً إلى ما يتوقع .. فإن الخيال لمنة .. والحياة تظل تجربة حتى يكون للانسان بيت ويشعر بأنه له ، ويصبح هو ملكاً لهذا البيت ، مشدوداً إليه ، مقيداً به ، والناس فى العادة يرتاحون إلى هذا الشعور ، ويحبون أن يكونوا على يقين من أن هناك وسادة يضعون عليها رؤوسهم كل ليلة ، وأن هناك إمرأة يسمونها الزوجة ترقد إلى جانبهم .. نعم فإن الإنسان إنما يطلب البيت لأنه يطلب الزوجة ، وهو يطلب الزوجة لأنه يريد أن يريح نفسه من متاعب الإحساس الجنسى ! ! كأنما هو يريد أن يفرغ من الأمر مرة واحدة وفى لحظة واحدة .. هذا هو الاستقرار .. وليس فيه ما يخدم الآداب والفنون أو يساعد على التقدم .

وهكذا يخلص ابراهيم الكاتب إلى هذه الفلسفة يحاول فيها أن يقنع نفسه ويرضيها بالتعلات ، ويسوغ إخفاقه بأشياء لا يرضاها إلا القلب الكسير !

فلا جناح أن يتجه المازنى فى ذلك الدور المضطرب ، إلى الكآبة يغرق فى لججها ، وإلى التشاؤم يتسلى فى قناعته ، وإلى الألم يستسيغه ، ويستمرى مره ، وإلى اليأس من كل شىء .

وخيل إليه « أن المرء لا يستطيع أن ينظر إلى الحياة بإخلاص إلا بعين يمتزج بها التشاؤم والتسامح ، وأن الدنيا حافلة بالسوء والقبائح ، وأن الحياة فنها — أقوى فنونها — التثبيط ، وأن الإنسان يعيش سنين وسنين ويتصل بمن لا يحصى عددهم من الناس ، ولكن ما أقل الوافق منهم ! . . وأن خاتمة كل حياة الأسف والندم .. وهما جبل ينمو ممنا طالما من أقدامنا ، وقلما نعرف اسمه فى صبانا ، وما أكثر ما نتوهمه جبلاً رائعاً جليلاً .. وإنه لرائع وجليل .. ولكنه مخيب للأمل .. ويعلو الجبل أمامنا ويتضخم ونحن نصعد فرحين بالحياة ، مغتبطين بالعيش ، ثم لا نلبث على الأيام أن نتمهل وندير عيوننا ، ونرجع البصر فيما خلفنا ووراءنا ، فتأخذ عيوننا شقوق الفضائح وفدافد اليأس ، وأودية السقوط . . ومع ذلك نظل نصعد فى جبل الندامة ، وماذا عسانا نصنع غير ذلك ؟. ويجىء يوم نهرم فيه ، وتكل أرجلنا ، وتجف أنسجتنا ، ونميا بالاصفاد ، فنقعد على قنة مريحة ، وننظر إلى جداول الحياة المنحدرة . . الحياة التى تظل تترقرق ، ويظل واديها خصيباً ، وإن أخفقنا نحن ، ونشفنا واحداً بعد واحد فنتعلل بذكرياتنا ، وتبدو لنا هذه الذكريات أجل وأسبى من الحوادث التى ولدتها ! » .

هذه الصورة الرمزية القاتمة الدقيقة التى رسمها المازنى ليمثل فيها أدوار الحياة الإنسانية تمثيلاً يحمل إلى النفس كثيراً من الأسى والحسرة . . هى خلاصة فلسفة ابراهيم الكاتب بعد أن ألقى رحاله فى أحضان اليأس ، والإخفاق ، يحسب أنه معذور إذا بكى إساره ، وحاول أن يتباهى بسجنه .. وبدت له الصور القاتمة فى خياته ، صور الذكريات الحلوة المرة ، الباسمة القاتمة « أجل وأسبى من الحوادث التى ولدتها » فى نظر اليائس على الأقل !

وإلا فماذا كسب من الذكرى ؟

أحب مارى ثم أراد القدر أن يسخر بمنطق الحب ، فافترق عنها . . ولكن ذكرياته معها ظلت حية تعمر مخيلته ، وصحبته إلى الريف موطن العزاء والسلوان . . حتى إذا أحب نوتو بقيت ذكرياته تملأ قلبه مرارة . . ثم تحول حبه إلى نوتو قبضة من إخفاق . . وبعضاً من ذكريات كانت تعذبه وهو غارق إلى أذنيه فى حب ليلى ! .

ومع ذلك فهو يحسب الذكريات « أجل وأسبى من الحوادث التى ولدتها » .

(البقية فى العدد القادم)

غائب طعمة فرمان

ماذا علمتني الحياة؟ (*)

تأليف الأسقف و. ر. أنبج

بقلم الأستاذ علي محمد سرطاوي

تقديم الكاتب :

(ولد عام ١٨٦٠ فى مقاطعة يورك شير . اشتغل محاضراً من ١٨٨٩ — ١٨٠٤ فى جامعة اكسفورد (كلية هـ تفورد) . ثم كان قسيساً لإحدى كنائس لندن بضع سنوات ، ثم أستاذاً للاهوت فى كلية ماجد ولين كبردج وعين عام ١٩١١ أسقفا لكنيسة (سنت بول) . ثم ترك الخدمة العامة ١٩٣٤ . ألف ونشر مايزيد على أربعين كتابا ومن بينها كتب قيمة عن الصوفية والمتصوفين) .

ماذا علمتني الحياة ؟ إن سبعة وثمانين عاماً يعيشها المرء كافية لتعليمه شيئاً .

كان ماركوس أوريليوس يقول : إن رجلاحصيفاً فى الأربعين من عمره يرى من الحياة ما يكفى لتعليمه الدور الذى سيمثله على مسرحها . ولعله مصيب فى قوله . إن العقل والضمير قد بدآ — إلى حد بعيد — يستيقظان فى القرون الوسطى . أحسب أن هذه المقالات لن تكون إلا يوميات مركزة على طراز أميل ، غير أننى ذكرت كل مايمكن قوله عن حياتى فى كتابى المسمى (وداعاً أيها الوادى) الذى كتبته للسادة لونجمان عام ١٩٣٤ وذلك حين تخليت عن كرسى المسؤولية فى التوجيه الروحى ، وأحسب أن طبعة ذلك الكتاب قد نفدت الآن ، لأن قاذفات الألمان قد دمرت مستودعات الناشرين . وأمل الأمل غير بعيد فى إعادة طبع ذلك الكتاب إذا كانت هنالك رغبة فى تسجيل حياتى المتواضعة إذ لم يبق شىء يتصل بها غير ما هو محفوظ فى سجلات الأكاديمية البريطانية عن تاريخ حياة الأعضاء والذى قد ينشر بناء على رغبتى . لذلك لا أجند مناصاً من المرور مر الكرام بما نشر سابقاً عن حياتى وأنا أكتب هذا المقال .

لقد تعلمت شيئاً واحداً بصورة لا تقبل الشك ، ألا أحسن الظن بنفسى كثيراً . وكلما أويت إلى فراشى تمر الحماقات وأعمال الطيش التى تتصل بالنصف الأول من حياتى ، كفلم متصل الحلقات ، أمام عينى تحملق فى مكشرة عن أنيابها . يقول الكونت كسرلنج : علينا أن لا نزعج أنفسنا بأمور حدثت قبل خمس عشرة سنة ، غير أننى لا ألقى اللوم عن نفسى . حينما أفكر فى الحنان الذى كان يغدقه على أبواى وأهلى ، وبعواطف الصداقة الخالصة التى كان يغمرنى بها الأصدقاء ، لا أجد مناصاً من اتهام نفسى بعدم المبالاة ونكران الجميل ، وهو خطأ فى حد ذاته جد خطير .

والذى يبدو لى أننا لا نتذكر من مثالبنا غير التى لا وجود لها فى أخلاقنا الآن . إن ذاكرتى تكاد تفيض بالحماقات التى لم أسجلها عن نفسى . وهنالك أسرار يحملها الموت منى إلى القبر وهى مزيج من القسوة والأخطاء والطيش .

هل نحن ملزمون أن نطبق على أعمالنا مبدأ (لا تحكم على نفسك) . قال سنت بول : (لا أستطيع الحكم على نفسى) . وقالت بورشيا : (نحن نطلب الرحمة من الله) . إن الله يغفرلنا الذنوب التى نتوب عنها توبة صادقة وإن كنا لا نغفر لأنفسنا بعض ما اقترفنا من ذنوب .

أتراني أستطيع تذكر المباهج الكثيرة التى مرت بحياة كان التوفيق الظاهرى حليفها فى الدنيا ؟ كلا . لقد كان نصيبى من أوجاع الحياة أكثر من مباهجها . لقد كان بيت القسيس فى القرن التاسع عشر — كبيت القسيس الاسكتلندى -- المكان الذى تترنى فيه المثل العليا للخلق والذوق : حياة رتيبة بسيطة تعنى بالعقل كثيراً ؛ لا فقر ولا غناء ؛ صحة وعمل مثمر ، وهى أمور لم يكن لها وجود إلا فى بيئة من هذا النوع فى ذلك الزمان .

(*) أصدرت مطابع السادة ادهام فى لندن عام ١٩٤٨ كتاباً قيما عنوانه (What Life Has taught me) تحدث فيه عشرون من الرجال والنساء ، وهم الصفوة الممتازة من أساطين الفكر فى بلاد الانجليز فى الوقت الحاضر ، عما تعلموه من الحياة ، وقد ترجمنا لقراء الرسالة المقال الأول فى ذلك الكتاب وهو بقلم الأسقف و . ر . أنبج

(المترجم)

كان أبى لاعباً مبرزاً فى « الكركيت » ، ومميداً فى الكلية التى تخرج منها فى أكسفورد ، وأبعد الناس عن الطموح . لقد اكتفى من دنياه أن يكون قسيساً مساعداً لجدى شورتون رئيس الشمامسة حتى بلغ الخامسة والأربعين من عمره . حتى لقد رفض أن يكون مطراناً لأبرشية سلسبورى ذات المكانة الممتازة عن طريق التواضع الرخيص والخمول النفسى . وكانت والدتى امرأة عالية الثقافة تعلمت فى ظلها تعليما مكننى من اجتياز الفحص لدخول كلية ايتون ، بعد دراسة فصل واحد فى مدرسة خصوصية ، وكان ترتيبى فى ذلك الفحص الثانى . لقد ابتسم الحظ لى فى ايتون وتتلمذت على أمهر أستاذ فى الآداب الكلاسيكية وهو فرانيس سنت جون ثاكارى ابن عم الروائى المظيم .

كانت تلك الفترة هى عصر الدراسات الكلاسيكية الذهبى فى ايتون . لقد ارتفعت دراساتنا فى تلك الآداب إلى مستوى لم تعرفه جامعة كمبردج فى تاريخها الحافل المجيد ، فحزنا درجات الشرف ، ولكن الحظ لم يداوم ابتسامه فعبس فى وجوهنا ونقل أستاذنا المظيم إلى أكسفورد .

لم يكن هنالك مكان لمحاضراتى فى كلية (كنج) ولذلك رحت أعلم اليونانية واللاتينية لطلاب ايتون الصغار — ذلك الأمر الذى لم يكن من واجبى . وبعد أربع سنوات مضنية مع أولئك الصغار ، نقلت إلى جامعة أكسفورد محاضراً فبقيت بها خمس عشرة سنة والسيادة ترفرف على رأسى . وحينما أخذ السأم يدب إلى نفسى من حياة الجامعة ، قدم لى صديق القسيس هنسون منزلاً يقع فى (وست أند) ، وقد صادف التغير الجديد أسعد حادث فى حياتى وهو الزواج .

لست أدرى هل من حسن الذوق أن أقول ذلك ؟ لقد طلب منى أن أذكر ما علمتنى الحياة ، وهذا الشىء هو أثمن وأروع دروسها . ليس الزواج السعيد هو أحسن ما فى حياة البشر ، إنما تعلمت إلى جانب ذلك أن الحب لا يختلف فى مقداره وإنما فى نوعه بالنسبة لنعم الله علينا . حينما قال سنت جونس : (إن الذى لا يحب لا يعرف الله لأن الله هو المحبة) ، كان يعبر بأبسط الكلمات عن الحقيقة المليا ، وهى أن الحب يقودنا إلى عالم الحقيقة عن أقصر طريق لا يعرفه إلا الذين يحبون .

هنالك يبدو الخالق مجسما فى الخير المطلق والصدق والجمال . إن هذه فى حد ذاتها ليست فى واقع الحياة غير مثل أفلاطونية إنها تخص عالم الروح ولا تصل إليها إلا عن طريق الإيمان ، كما تتراءى لنا الصورة فى المرآة على حد تعبير سنت بول . إن الحب هو الجناح القوى الذى يحمل أرواحنا محلقة إلى ملكوت الله . لقد أوضح تلك الحقيقة سنت برنارد كلارفو فيما يتعلق بحب الله ، لكن سنت جونس قال لنا إن الذى لا يحب أخاه وهو يراه لا يستطيع أن يحب الله وهو لا يراه .

كثيراً ما رددت وأنا أبارك زواج فتى وفتاة من على مذبح الكنيسة البيت الثانى من شعر شكسبير : « لا قيمة للروابط الظاهرية فى تمكن العلائق الروحية بين زوجين كريمين » . وهو من أروع ما قيل من الشعر .

لست أرى مانعاً من الخوض فى هذا الموضوع . ليس الضرر الاجتماعى فى انتشار الدعارة بأكثر من التساهل فى شأنها التساهل المعيب فى طبقات المجتمع العالية التى يُفرض أن تكون نموذجاً للفضيلة فى الحياة . لقد تدهور الخلق فى الخمسين سنة المنصرمة تدهوراً معيباً يدعو إلى الأسف الشديد .

إن السعادة الثانية لزواج سعيد أساسه الحب هى الأبناء . لقد كان أولادنا الخمسة مصدر سعادة خالصة لنا . مات اثنان من أولادى وهما صغيران ، وتبعتهما ابنتى بعد مرض طويل ، وقد مزق قلبى صوتها فرثيتها بأبيات أعتقد أنها كانت مصدر عزاء وسلوى لقلوب محزونه كثيرة . وتعلم ابنى الأصغر فى ايتون وفى كلية ماجد ولين من جامعة كمبردج ، وانتظم فى سلك الكهنوت وأحبه الناس كثيراً فى يوركشير . وكان ينتظره مستقبل باهر فى خدمة الكنيسة . كثيراً ما كنت أردد قول هكتور فى الياذة هوميروس حينما حمل طفله استيانكس بين ذراعيه وهو يقول : « سيقول الناس عنه إنه كان أحسن من أبيه » . لكن الحياة لم تمهله . لقد دفعه الواجب إلى التطوع فى قوة الطيران الملكية إبان الحرب العالمية الأخيرة ، وعين مدرباً ، وكان عمله يستوجب أن يطير مع المتمرنين ، وقد اضطرت الطائرة مرة إلى الهبوط ، وتخلص ابنى ريشارد منها ، ولكنه حينما حاول إنقاذ رفيقه وتلميذه من الطائرة المحترقة اختنقوا وماتا معاً .

علينا أن نحذر من الآمال الكثيرة فى الحياة الأخرى . إننا لا نستطيع تصورها إلا فى حدود الزمان والمكان ، ولكن إذا كنا من الذين يؤمنون بأن منقذنا المسيح قد ضمن لنا الحياة الخالدة فإن ذلك كاف لأن ننظر إلى الموت بغير ما يتراءى لنا . ولعلنا نوافق وليم بن على قوله : (إن الذين يحبون ما وراء الحياة ، لا تستيع الحياة فصلهم عما يحبون ، وليس فى مقدور الموت أن يقتل ما لا يمكن أن يموت ، ولا أن يفرق بين الأرواح التى جمعها الحب فى الحياة والتى سيجمعها ملكوت الله فترى نفسها فى المرآة الإلهية وتتحدث بأسلوب طليق ...)

لقد عينت عام ١٩٠٧ أستاذاً لكرسى اللاهوت فى كمبردج بعد إقامة تقرب من السنوات الثلاث فى لندن . كانت حياتى فى عملى الجديد رتيبة ، هادئة ، رضية ، وكنت أتمنى أن تستديم حتى نهاية عملى فى الخدمة العامة . ولكن التاج بوساطة المستر اسكويث عام ١٩١١ عرض على منصب مطران كنيسة سنت بول ، وقد رأيت أن اللباقة تقضى على أن أقبل مسؤولية هذا المنصب الخطير .

لن أذكر هنا كثيراً عن الثلاث والعشرين سنة التى قضيتها فى هذا المنصب ، لأن ذلك قد استغرق القسم الأعظم من كتابى المشار إليه عن تلك الذكريات . إننى مدين للصحافة بقسم كبير من التوفيق لعظيم ما تلقتنى به من الترحيب والتشجيع ... لقد لقيت كتبى رواجاعظيما ، ودعيت لإلقاء محاضرات لا يبلغها الحصر. قال لى رئيس الوزراء حينما سلمنى براءة التعيين : إنه يأمل أن أحيي تقاليد ذلك المنصب الروحى الخطير فى كنيسة انجلترا . لقد كانت تمر بخياله ذكريات رواد الكنيسة وبناة مجدها الأولين من طراز كولت ، ودون ، وتلستون ، وملمان ، ومانسل ، وشرك ، وأحسب أننى قد سرت على أثارهم كأحسن ما يكون ، ولكن ليس من حق أن أحكم على أعمال نفسى . ولا أرى أيضاً ضرورة لذكر الثلاث عشرة سنة التى قضيتها فى ريف بوركشير بعد اعتزال الخدمة . إن بلوغ الإنسان أرذل العمر تجربة خطيرة من تجارب الحياة . إننى لا أكاد الآن أشعر بأثر أى شىء فى عواطفى . تجرى الأيام والشهور والسنون وأنا أحسبنى فى حلم طويل . لم أجد شيئاً فى الحياة يستحق أن يتهالك الناس عليه ، لأن الدنيا بكل ما فيها من متاع وسرور ، ليست إلا خيالا يمر مرور سحابة صيف ، وليس فى حياة فانية شىء يستحق أن يرجى ويؤسف عليه . إلا أن فى رحمة الله ما يسع بلادى البائسة وأبناء وطنى المتعبين . إن تراخى رباط الحياة التدريجى من جسدى لا يخيفنى كثيراً ، ولن أبكى كما بكى شاعر الحب الأغريقى ممنرامس وتمنى أن يموت فى الستين من عمره ؛ وليس كما فعل هو راس الذى كبر فى غير أوانه ، وأصبح يحس بفقد مباهج الحياة واحدة بعد الأخرى . لا أريد أن أردد قول تنسون المرير : (إن السنين التى تجعل من الطيش اتزاناً فى الإنسان ، هى التى تأخذ ما تعطى وتترك الظلام فى البصيرة والعينين) ...

لعل فى استطاعتنا تجنب الإحساس بحالة من هذا النوع فى الشيخوخة ، وإن كنا لا نرى رأى السير توماس افربرى الذى يريد أن نشعر بشيخوختنا إحساساً تُنسى فيه أرواحنا بدلا من الإحساس بضعف أجسادنا ... أستطيع أن أقول إننى لست تعساً ... إن الراحة بعد النصب المرهق أمنية جميلة ، وإذا كنا نؤمن بصدق الديانة المسيحية فعلينا أن نؤمن بقول لويس نتلشب : (ليس للموت وجود) . إن المسيح يقول فى الإنجيل الرابع : « إن الذى يعيش ويتبعنى فلن يموت أبداً)

(البقية فى العدد القادم)

علي محمد سرطاوى

الفلســــفة الوجودية

للأستاذ عبد الفتاح الديدي

لم يصل المستوى الثقافى فى مصر إلى الحد الذى نستطيع معه أن نقول عن حركة فكرية بالذات أو نوع من الفلسفة بأنه قد شاع بين أبنائها وطبقات المتعلمين فيها ، ولكننا نستطيع مع ذلك أن نقول عن الفلسفة الوجودية إنها قد شغلت الأذهان وجرى اسمها على الأقلام والألسن واختلف الناس فى أمرها اختلافاً كبيراً بين محبذ لها ومندد بها . وهؤلاء يتلقفون أخبارها وينتظرون الأنباء عنها بفارغ الصبر . فيجدون يوماً من يذهب إلى باريس ليعود بعد ذلك فيقول عن مشايعيها إنهم فلاسفة الأندية والمقاهى (والمواصلات) . وينتظرون فإذا بأديب كبير من أدبائنا المعدودين يحمل نبأ خطيراً مؤداه أن الأستاذ الجليل أندريه لالند قد حكم عليها أمامه بأنهـا فلسفة العدم . فضلا عن أن الجرائد المصرية والأجنبية قد أخذت تنشر عنها أخباراً متصلة الحلقات : فرة تقول إن الشيوعيين قد صادروا كتاباً من كتب جان بول سارتر — الفيلسوف الوجودى المعروف — فى معظم المناطق الأوربية الخاضعة لحكمهم . ومرة يأتى خبر بأن البابا قد أصدر قراراً بتحريم كتب سارتر لخروجها عما توحى به الشرائع وما تنص عليه الكتب المقدسة . وفى مرة ثالثة يأتى خبر من أسبانيا يصف البوليس هنا لك وهو يطارد الوجوديين كما يطارد الهربين والخارجين على القانون . فهذه الأنباء المتواترة من شأنها أن تزعج القائمين بشئون الثقافة والأدب فى مصر وأن تدفعهم إلى إثارة موضوعها من حين إلى حين .

ولكن أحداً عندنا لم يناقش هـذه الفلسفة مناقشة عادلة صريحة ، أوقل إن أحداً عندنا لم يحاول أن يفهم المسألة فهما يؤهله لأن يقف منها موقف المؤيد أو المعارض . فما زالت الوجودية حديثة عهد بالنسبة إلى كثير من الذين يفكرون عندنا ولم تزل موضوعاتها غريبة عن عقولنا ولم تزل روحها غريبة عن مشاعرنا . ويمكن أن نذهب إلى حد القول بأن هذه الفلسفة ، وقد جاءت نتيجة لروح عامة أو لحركة معينة فى الفكر الأوربى لم تجد كثيراً

٣٣٠٣٤

من القبول لدى أدبائنا ومفكرينا ممن لا يستطيعون الخروج عن نطاق الذوق المصرى المتأثر بظروفنا الخاصة كشعب أولاً وكطبقة متعلمة ثانياً. والحق أنها لم تصادف هذا الموقف لدينا فحسب ، وإنما وجدت كثيراً من المعارضة ومن النقد فى معظم المجلات والصحف الانجليزية والأمريكية . وأغرب من هـذا كله وأدعى منه إلى الدهشة والتعجب أن أنصارها أنفسهم والمشايعين لها بأفكارهم وكتبهم ليسوا راضين عنها كل الرضا وأنهم لا يوافقون على نسبتها إليهم .

وأصل الإشكال فى هذه الفلسفة هو أنها تتطلب روحاً معينة لدى من يؤمن بها ويتعصب لها ، وتقتضى أن يكون فى نفس الإنسان صفات خاصة من أجل أن يصير واحداً من المعجبين بها. فليس كل إنسان بقادر على أن تجد فلسفة الوجود عنده موافقة ورضا وأن يقـدم على قراءتها بنفس مطاوعة ، فإن الكثير من النزعات الاجتماعية والتربوية والدينية — وهى الأكبر تأثيراً فى نفوس الناس — لا تتلاءم مع الوجودية فى أفكارها وميولها ؛ كذلك يلاحظ أن الفلسفة الوجودية أميل إلى الأدب والفن منها إلى العلم والحقائق المقررة ؛ ومن هنا كانت تعول دائماً على الذوق وعلى الإحساس أكثر مما تعول على المعرفة الأصولية المستندة إلى خبرة عملية واتجاه نامى .

وهناك أسباب موضوعية خالصة تدفع بالناس إلى كراهة هذا النوع الجديد من التفكير : فقد اتجه فلاسفة الوجود إلى العناية بظاهرة الموت مثلا وتفسيرها ، والكلام عن الشعور بالقرف ، والاهتمام بمسألة العدم وتقديمها على ماعداها وتحليل المواقف المعينة التى يوجدفيها المرء ويحتاج من أجل المرور بها إلى تجربة وجدانية من طراز فريد . فمن ناحيـة الموضوعات التى تدرسها الفلسفة الوجوديه نجد أنفسنا بإزاء جملة من الأفكار الغريبة التى إن لم تكن جديدة بالمرة ففى بعض التحليلات والتفصيلات ما يشعرك بأنك تجاه شىء لم يقع من قبـــل فى دائرة البحث أو فى مجال التفسير والتعليل .

والوجودية بعد هذا كله ليست إلحادية على طول الخط ، وإنما فيها فريق مؤمن يستهوى بكتاباته كثيرين ممن يريدون إشباع نزعتهم الصوفية بتحليل المشاعر الدينية والسلوك فى طريق

الروح . فكير كجورد وبرديائف ومارسل يأخذون جانباً معيناً فى التفكير الوجودى وبسيرون على نمط خاص يجعلنا نطلق عليهم اسم الشق الإيمانى ونفردهم قسماً واحداً . وقد كان من الممكن بالنسبة إلى هؤلاء أن يبعثوا الشوق فى نفوس قراء الأدب والفلسفة من المتدينين وأن يحببوا المذهب الوجودى إلى قلوب الناس؛ بيد أن تحليلاتهم الطويلة ، وأسلوبهم فى معالجة المسائل ، وتطرفهم فى ناحية الإحساس المرهف ، وتفصيلهم الدقيق عند شرح الحالات الوجدانية زهّد الكثيرين فيهم وجعلهم يحسون بالملل والضيق عند قراءة صنوف نتاجهم .

فهذه كلها من المسائل التى توضح لنا السبب المباشر فى أن الكثيرين من الأدباء والمفكرين لم تعجبهم فلسفة الوجود ، وتوقفنا على أصل الداء فى كراهية الناس لهذا النوع من التحليل العقلى ولكنها بغير شك لا تقنع الباحث ، ولا تصده عن مراجعة هذه الأفكار مراجعة الإنسان المسئول عن رأيه ، ولا توقفه عن قراءة ماينتجه فلاسفتهم من الكتب والمقالات والبحوث . وأغلب ظنى أن الإنسان الذى يحول بين عقله وبين هذا الزاد الفكرى الجديد سيخسر كثيراً من كونه قد حرّم على نفسه ضرباً من ضروب الإحساس بالحياة على نحو غير مألوف وأساء إلى فكره بأن أبقاه فى دائرة مقفلة من المذاهب التقليدية العتيقة .

فالفلسفة الوجودية إنما جاءت كرد فعل لطغيان التفكير الذهنى على عقول الناس وأرادت أن ترفع عن كاهل الفكر البشرى هذه الأثقال التى تركتها أحقاب من الفلسفة التجريدية الجوفاء . وبالإضافة إلى هذا كله غيرت من اتجاه التفكير واستبدلت بالموضوعات القديمة غيرها مما يُعدُّ داخلاً فى نطاق التحليل العادى وبطبيعة الحال أسقطت من حسابها فى هذه العملية مجموعة من الأفكار البالية التى كان سيستحيل على الإنسان أن يجد لها تفسيراً معقولاً وإن ظل يتأملها أجيالا بعد أجيال . وذلك كله بحكم خروجها عن نطاق البحث الفلسفى ، ومن باب أولى عن نطاق البحث العلمى . فهى مسائل معلقة ليس يتأتى الفصل فيها لطائفة من البراهين دون غيرها ويستحيل أن تخضع لمناقشة سليمة معقولة . ولذلك صار الموضوع الأساسى بالنسبة إليها هو الإنسان؛ وعدنا من جديد نحس أمام مفكريها بأن الوجود فى حد ذاته مشكلة على نحو ما أعلنها شكسبير على لسان هاملت فى يوم مضى

وفى الفلسفة الوجودية نزعة متافيزيقية واضحة ؛ ولكن لابد من أن نراعى دائماً فيما يتعلق بهذه المتافيزيقا أنها ليست مثل غيرها ، وأنها تنفرد بصفات خاصة ومعالم ذاتية هى وليدة التيار الفكرى السائد بعد الانحلال الحضارى الأخير فى الغرب ، وتتبدى مظاهر الانحلال فى تلك الحيـــاة الكسيحة التى انتهت إليها أوربا ، والانهزامات المتوالية على فرنسا وألمانيا والدويلات المجاورة لهما بالذات ، فضلاً عن المجاعات الحاصلة من يوم إلى يوم ومعاناة الجيل الجديد من الشباب الأوربى لألوان من العيش ولضروب من الحياة لم يألفوها من قبل . فالمراحل الفكرية القلقة التى مرّت بهم ، والحالات النفسية الشاذة التى خضعت لها شعوب الغرب المتقفة الحية كان لها أكبر الأثر فى مشاعر الشبان وآرائهم ، وكانت النتيجة أن آمنوا بالمذاهب ذات الصبغة الزاهية ، وذات الطابع الحاد ، وذات الميل المتطرف . وبعد هذا كله — أو قبل هذا كله — أبعدتهم كل البعد عن فلسفات الخيال والوهم ، والأفكار التى لها طابع روحانى زائف أوخصائص دينية كاذبة .

ومن هنا كانت المتافيزيقا عندهم غير متعلقة بشىء خارج الوجود ، ولا باحثة فى أمور تتعدى نطاق المحسوس . وبطبيعة الحال أنا لا أعنى الطائفة المسيحية من الوجوديين ، فهؤلاء لهم حكمهم الخاص . إذ أن فلسفة الوجود — كما قلنا — فيها شق مؤمن يدخل تحت لوائه من سبق أن ذكرناهم بالإضافة إلى مارتن بوبر وكارل بارث . أما الشق الآخر فالحادى متطرف مثل هيدجر وسارتر وسيمون دى بوڤوار ومارلو بونتى . وهؤلاء الأخيرون هم الذين نعنيهم كلما تحدثنا عن متافيزيقا الوجود . وهى متافيزيقا تخضع للتجارب الحية داخل الوجود ، وموضوعها الوجود فى العالم كما يقول هيدجر . ونجد التعبير عنها كاملاً فى كلمة سيمون دى بوڤوار إذ تقول : « فى الحق إنه لا يوجد أحد خارج الوجود . » وبهذا التصريح منها اعتقدت فى أنها قدحدت من الحلم الذى طالما خطر على أذهان البشر بوجود موضوعية غير إنسانية ، وأنها قد أثقلت الخيال بقيود وروابط تجعل من المستحيل بالنسبة إليه فيما بعد أن يخرج على ما هو ماثل أمامه وقائم من حوله . ويؤيدها سارتر فى هذا المعنى بقوله :

« ليس هناك أكوان أخرى غير كون إنسانى واحد هو الكون المنسوب إلى الذاتية الإنسانية » . ويعنى سارتر خصوصاً بأن يقدّم لنا تفرقة هامة حينما يتكلم عن الميتافيزيقا وهو يقدم عليها علم الوجود (ontobogie) بوصف هذا العلم تمهيداً للمتافيزيقا التى يأتى على عرضها فى كتبه . وينظر إلى هذا العلم كما لو كان بحثاً فى الحالة الراهنة للوجود ، والأقسام التى يمكن أن يرد إليها (كالموجود فى ذاته والوجود لذاته) . أما المتافيزيقا عنده فهى التى تضع المشكلة النهائية الخاصة بإمكانيات هذا الموجود على النحو الذى يوحى به علم الوجود .

فالمتافيزيقا الوجودية عند سارتر وأضرابه ليست بحثاً فى المجهولات ، ولا تخمينا فى مسائل الروح والعالم الآخر ، ولا هى عود إلى النظر فى مراتب الوجود وعالم الأفلاك ... ومن هنا حاول البعض فى انتقاده له أن يتهمه بأنه مادى (matériabiste) كما فعل روجيه تروافونتين (Troiafontaines) فى كتابه عن الاختيار لدى جان پول سارتر . وبذلك نلاحظ دائماً عند الكلام فى تاريخ المتافيزيقا ذلك التحول الذى أحدثه فلاسفة الوجود . وليست هذه المتافيزيقا — كما هو واضح — جديدة كل الجدة ولا غريبة كل الغرابة عن الفكر الفلسفى ؛ فلها إرهاصات من الفلسفات الباحثة فيما يدخل ضمن حدود الموجودات على الرغم من خروجه عن نطاق التجربة .

وإذا حاولنا أن نعود بأذهاننا إلى الوراء من أجل النظر فى الأصول التى نبعت منها فلسفة الوجود اصطدمنا بمشكلة أخرى لا تقل إعساراً عن أى مشكلة تصدت لها هذه الفلسفة . فالواقع أنه من الصعب جداً أن نعثر على خط واحد مرت به هذه التيارات المتلاحقة فى إبانة وانكشاف . بل يصعب فى الغالب أن نجد نقطة بدء واحدة لدى جميع الذين كتبوا فى هذا الموضوع . فبعضهم ردها إلى شخصية سقراط واعترافات القديس أوغسطين . وضد هؤلاء مباشرة من يزعم أن أصلها موجود فى فلسفة الحياة عند نيتشه وإلى شعر الحياة فى الحركة الرومانتيكية . ومعظم الذين كتبوا فى تأريخها يقررون بزوغها من محاولة كيركجورد الفلسفية عندما عارض هيجل فى إيمانه بالمطلق وبالروح الكلية . ولكن هذا لم يمنع الكثيرين من أن يجدوا لها مشابهات ومقابلات فى كتابات باسكال وقصص إبسن ودستويفسكى وفى أشعار بودلير وآرتور رامبو

أما عن سارتر نفسه فقد رجع بتفكيره إلى كل من هُسِرْل وهيدجر . وهذا واضح وطبيعى ؛ فعلى الرغم من أنه يصعب حتى الآن تحديد الموضوعات التى بحثها سارتر تحديداً ختامياً فمن الممكن أن نجد لديه نوعين من التفكير أحدهما نفسى والآخر متافيزيقى . وكلاهما راجع إلى الأبواب التى تفتحت على أيدى هذين الفيلسوفين لأول مرة فى تاريخ الفكر .

فلم يعد من الطبيعى بعد هذا كله أن نظل فى موقف سلبى بإزاء هذه الفلسفة التى شغلت أذهان الناس وقتاً طويلاً والتى لها من تاريخها ما يؤهلها لأن تعبر عن اتجاه معين فى المراحل الحاضرة من حياة الأفراد والجماعات . ولا بد من أن نحاول شيئاً بإزاء هذه الحركة الضخمة ؛ فإن لم يكن بد من شىء فلا أقل من أن نتأثر بها تأثرنا بالسحابة الماضية فى يوم صائف .

عبد الفتاح الديدي

من شـــــجرة الدر

لحضرة صاحب السعادة عزيز أباظه باشا

فرغ الشاعر الكبير عزيز أباظه باشا من مسرحيته الرابعة (شجرة الدر) فقدم بها إلى الشعر التمثيلي العربي الناشئ قطعة رائعة تزيد في ثروته وتدنيه من كماله . وقد تفضل فآثر (الرسالة) ببعض مشاهد هذه المسرحية ننشر اليوم مشهداً منها شاكرين .

الفصل الأول — المشهد السادس

شجرة الدر : الملكة .

عز الدين أيبك : قائد الجند .

أقطاى
بيبرس } من أمراء الجيش .
قلاوون

(يدخل بيبرس وقلاوون على الملكة شجرة الدر وكانت قد أرسلتهما في مهمة سياسية إلى أمراء الشام ، وكان في حضرتها عز الدين أيبك وأقطاى)

شجرة الدر : يا صـــاحبيَّ فنبّآ نى ما الذى
خلّفتما في تلكم الأمصــارِ

بيبرس : يا مَـلْـكة الوادى سلمتِ تقيَّـة
وتقينَ شـعبك عادىَ الأخطار
إن ندّ والٍ ، أو تخلّف حاكم
فـكِلى الأمورَ لعقلك الجبـــار
فإذا همو انتقضوا وثاروا فاقذفى
بالنــــار فوق مناكب الثوّار
ودعى حسابهمو المسيرَ لجيشك الـ
جرار يوفض بالقنـــا الخطار

شجرة الدر : أحسنت بيبرسُ العزيز فنى الذى
لمّحت لى عنه الجواب الشافى
فضلُ السـفير أداؤه في رقةٍ
ما ساء من نبأ وفى إلطاف
ابدأ بأسـوإ ما حملتَ فنى يدى
حسمٌ لـكل ملمـــةٍ وتلافى

بيبرس : مولاتى الأحداث حولك أوشكت
تنقض بين صبيحةٍ ومساء
جيرانك الأدنون ضمّوا شملهم
وتجمعوا لخيـــانةٍ نكـراء
حسدوك فانتقضوا عليك ... فهذه
حلبٌ تهم بغدرةٍ شـنعاء
والموصل امتشرى عليك عداوة
والحقد ملء جوانب الفيحـــاء

شجرة الدر : بيبرس في هذا الحماسِ يؤودنى
تمحيص ما تلقى من الأنباء
هلا هدأت ؟

بيبرس : سلى أجبك فإننى
قد طال في تلك الديار عنـــائى

شجرة الدر : ما يفعل « الملك الرحيم »(1) ؟

بيبرس : تركته
متحاملاً ومجاهراً بعداء

شجرة الدر : وحليفــهُ « الملك المظفر »(2)

بيبرس : مثـــله
يطوى أضالعه على بغضاء

شجرة الدر : والناصر(3) الملك الذى أصنى له
ودى ؟

قلاوون : كبير العصبة الحمقاء
جمعوا على جبْنِ النفوس صفوفَـهم
أفتحفلين بعُصبة الجبنـــاء

أيبك : أسألتهم ما الذى قد أنكروا
منها الغداة

قلاوون : أجل

أيبك : فـما ذا قالوا ؟

قلاوون : لغو من القول السـقيم وحجة
صالوا لتثبت فى المقـول وجالوا

أيبك : فاعرض لحججهم وسُـقها

قلاوون : أعفـــنى
فلـكل قول موقعٌ ومجال

أيبك : يا ملْـكة الوادى مُرِى تنثبق

---

(١) الملك الرحيم : هو بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل .
(٢) الملك المظفر : هو المنصور المظفر الأيوبى صاحب حماة .
(٣) الملك الناصر : صلاح الدين صاحب حلب .

شجرة الدر : لم تخفَ عنى هذه الأقوال

قالوا : فما حكم النســـاء بجائزٍ

شرعاً وقوَّام النســـاء رجال

بيبرس : هذا الذى زعموه

أيبك : وهمٌ باطل

ما كان جنس المرء خالق فضـله

ایٌ من الجنسين بالغ شأوه

— لا فرق بينهما — ببالغ عقله

لو قد رقيتِ الملك وارثةً له

قلنـا اعتراضٌ فى صميم محـله

لـكننا اخترناك رأياً واحـــداً

فنزلت أنت على مشيئة أهـــله

إجمـــاعُ شعبٍ راشد لم يجتمع

متضافراً من بعده أو قبـله

شجرة الدر : دع ذاك أيبك ولنعد لحديثنا الـ

مأثور عن أمرائنا الأعلام

هل أنكروا أسلوبنا فى الحـكم

بيبرس : لم

يتحـــدثوا فى ذاك قط أمامى

شجرة الدر : أفناقمون علىَّ أنى قبلتى الـ

شورى وأحـكامُ الـكتاب إمامى

أم غاضبون لأننى نكلت بالـ

غازى وصنت كنانة الإسـلام

صـــبراً بنى أيوب لا تتعجلوا

كالنافلين مصـــائرَ الأيام

أنا زوج عمـكمو أمرٌ إلىَّ بالـ

نجوى فقلت : اهدأ ونم بسلام

إنى لحـــافظةُ التراثِ لآله

عهدى إليه على المـدَى وزمامى

(ثم تلتفت لبيبرس)

اكمل حديثك

بيبرس(لقلاوون): هل لدينا غير ما

قلنـــا ؟

قلاوون : أجل فلهم لديك رجاء

شجرة الدر (فى استهزاء) :

بل قل لهم أمرٌ

قلاوون : أُتأمرُ مُدةٌ

عزت كما عزَّ السنا الوضاء

قالوا إذا أسرى الفرنجةِ[1] أطلقوا

وهمُو الملوكُ الصِّيدُ والأمراء

فالمسلمون ممالـكا وجحافلا

ضُربت عليهم ذلةٌ وعفـــاء

شجرة الدر (فى بسمة ساخرة) :

أكذاك قالوا؟ لن يكونَ على المدى

ما يبتغيه أولـئك الســـفهاء

(ثم تقول كمن تستأنس بالرأى) :

فإذا رأيتُ من السياسة والحجى

أن يطلقوا

أقطاى (فى دهشة) : أترينَ ذلك؟

شجرة الدر : ربمـــا

أقطاى (فى إصرار) :

أنخشى إذا هم أُطلقوا أن يشهروا

شعواءَ تُمطرنا الحديدَ الرزما

درج الصليبيون ألا يحفظوا

عهـــداً

شجرة الدر : أعيذك أن تزِل وتظلما

قد ينقضون ، وقد نقضنا مثلهم

لـكننا كنا أعفَّ وأكرما

لا تخش ، ربَّ ذرائع أحكمتُها

مهدن للوطن الطريق الأقوما

أقطاى : مولاتنا فالجيش لم يُعلم بمـا

يجـــرى

شجرة الدر : وهل من حقه أن يُعلما

أقطاى : هو حامل الأعباء غير مؤازرٍ

عن مصر إن خاضته يوماً أيوما

شجرة الدر : أدرى ولـكن السياسة مهنةٌ

إن راضها جيش هوى وتحطما

أقطاى دع ما لست تحسنه لمن

عرك الأمور وســـاسها فتعلما

عزيز أباظة

---

(1) إشارة إلى الملك لويس التاسع وقد كان ورهطه أسراء بالمنصورة فى ذلك الحين .

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

حول مشكلة الأداء النفسى مرة أخرى :

فى بريد العدد الماضى من الرسالة ، طالعت كلمة وجهها إلىَّ الأديب الفاضل عبدالمنعم سلمان مسلم حول مشكلة الأداء النفسى فى الشعر العربى ، ولا يسعنى قبل الرد عليه إلا أن أبادر بشكره على تلك التحية الكريمة التى شاء ذوقه ولطف مودته أن يخصَّ بها هذا القلم !

يقول الأديب الفاضل بعد تحيته : « ولكننى لا أوافقك ، بل أعتب عليك عتباً كبيراً حينما تصب حكمك القاسى على الشعر العربى القديم جملة واحدة ، هذا التراث الذى نفخر به على مرِّ الزمن ، هذا التراث الذى جملته خواء من الروح والعاطفة . إنك بهذا الحكم تهدم حضارة ، وتبعثر أمجاد أمة ، وأنا أعيذك من هذه النظرة ، وأرجو أن تراجع نفسك ، وتستشير ذوقك وحسك ، وأنا موقن أنك لن ترضى لنفسك أن تسم الشعر العربى بهذه السمات : « شعر السطوح الخارجية » ، شعر يشعرك بفراغ « الوجود الداخلى » عند قائليه ، لأنهم كانوا يعيشون خارج « الحدود النفسية » ...

ثم يقول الأديب الفاضل بعد ذلك : « ألم تقرأ شعر المتنبى ؟ اقرأه فى السيفيات والكافوريات ، فتراه شعراً مُنبثقاً من أعماق النفس ، هو فى ظاهره مديح ، ولكن وراء هذا معان كلها أثر للاحساس النفسى والانفعالات الحزينة تارة ، المريرة أخرى ، الساخرة كثيراً . واقرأ شعر ابن الرومى فى رثائه ومدحه وهجوه ، فهو صادر عن نفس حساسة شاعرة ، وألفاظه شفافة موحية . واقرأ فى كل عصر من عصور الأدب ، فستجد شعر النفس ، وصدق الفن فى أكثر ما تقرأ » ...

هذه هى الكلمات واللفتات التى تحفل بصدق الغيرة على تراثنا العربى القديم ممثلاً فى الشعر ، وهى غيرة من حقّ صاحبها علىَّ أن أحمدها له ، مهما بعدت الشقة بينى وبينه ، واختلفت وجهات النظر ... أما عن حُكمى على الشعر العربى ، فأنا لا أصدر حُكماً إلا وأنا مؤمن به ، ولا أسوق رأياً إلا وأنا مُطمئن إليه ؛ ذلك لأننى ما نظرت فى فن من فنون الأدب إلا وأنا أنشد الدراسة بغية التقويم ، وإطالة التأمل رغبة فى النقد ، وإنعام الفكر سعياً إلى كشف غامض أو جرياً وراء تقرير مذهب ؛ تلك هى عادتى كلما تناولت أثراً من آثار الفن وكلما لقيت رجلا من رجاله ، سواء أكانت اللقيا فى عالم الأحياء أم فى عالم الشعور والسطور ... من هنا أود أن أقول للأديب الفاضل إننى ما وسمت الشعر العربى القديم بتلك السمات ، إلا بعد أن صاحبته مُصاحبة كانت فى حساب الزمن خمسة عشر عاماً ، وكانت فى حساب الدراسة النقدية خمس عشرة مرحلة ، فى كل مرحلة منها ما شاء من إعادة النظر ، وما شاء من تقليب الرأى ، وما شاء من مراجعة النفس ، وما شاء من استشارة الذوق والحس والوجدان !

أنا يا صديقى لا أنكر أن فى الشعر العربى القديم لوامع رائعة من الأداء النفسى ، ولكنها كما قلت لوامع تطغى عليها تيارات الأداء اللفظى ، ذلك الأداء الذى يعنى بمادية التعبير أكثر مما يعنى بظلاله النفسية ... إن الأداء النفسى موجود فى شعر المتنبى كما هو موجود فى شعر ابن الرومى والبحترى وأبى تمام وما شئت من كبار الشعراء ، ولكن أى وجود ؟ إنه وجود لا يملأ سمع المتذوق لهذا اللون من الأداء ، ولا يحيط بمنطقة الشعور تلك الإحاطة الكاملة التى نلتمسها فى الإثارة الوجدانية .. عندهم إثارة ، نعم . ولكنها الإثارة التى تنبثق من ثنايا الذهن لا من شغاف القلب ، وتنطلق من وراء اللسان لا من حنايا العاطفة ؛ وتلك هى الإثارة العقلية التى دفعت بهم إلى خارج « الحدود النفسية » كما قلت ، وبعدت بهم عن أن يكونوا قمماً من قمم الأداء النفسى الذى أشرت إليه !

لقد كان الشاعر القديم لا يخلو إلى نفسه إلا فى القليل النادر ولقد كان مشغولا عنها بأغراض الحياة ومطالب العيش ومظاهر الغلبة على الأقران والتشوف إلى الوقوف بباب السلطان ، ولذلك ضرب بجناحيه فى كل أفق وبقى أفق واحد عزَّ عليه أن يحلق فيه ، وهو أفق الخلوة إلى النفس والتحدث إليها والتعبير عما يجيش بداخلها من شتى الانفعالات والخلجات ... لو خلص الشعراء القدامى لأنفسهم وخلصت لهم ، وتفرغوا للتأملات الذاتية فى شئ من الاستجابة الصادقة لدعاء الشعور الصادق ، لبدوا عمالقة فى

ميدان لم يطرقوه مرة إلا ارتدوا عنه مرات ، ولاغترفوا من نبع لم يحوموا حوله لحظة إلا وضلوا عن طريقه لحظات ، جرياً وراء السراب ؛ سراب الصنعة اللفظية والذاتية البيانية !

ومع ذلك يذهب الأديب الفاضل إلى أن المتنبي وابن الرومى ينفذان من نطاق النقد الذى أقمته حول بناء الشعر العربى القديم ، فهل يتفضل بتقديم قصيدة لهذا وأخرى لذاك يتخيرهما من روائع الشاعرين ، لنستطيع أن نضعهما فوق مشرحة الدراسة النقدية ، مستخدمين مبضع التحليل على ضوء الأصول الفنية التى عرضت لها فى مشكلة الأداء النفسى فى الشعر ؟ إننى على استعداد لتشريح أية قصيدة تقدم إلىّ من الشعر العربى القديم ، وعلى استعداد لأن أثبت لقدمها فى غير تجن ولا مغالاة ، أن أية ومضة نفسية يمكن أن تشم فى بيت من الشعر هنا ، ستقابلها عشرات الومضات اللفظية فى كثير من الأبيات هناك ... وهـذا هو الحد الفاصل بينى وبين من يختلفون معى فى الرأى حول الشعر العربى القديم !

نترك هذا كله لنرد على اللفتة الأخيرة فى كلمة الأديب الفاضل حين يقول : « لقد جعلت « شـوقى » زعيم مدرسة فى حسن الأداء النفسى ، لأنه يملك الصدق فى الشعور والصدق فى الفن ، وجعلته قريناً لشاعر آخر ... والمعروف أن المدرستين مختلفتان فى كثير من السمات والوجوه ؛ فشوقى فى رأيى يحفل بالصدق الفنى ، ويتأنق فى عرض الصورة البيانية ، فطابع الصدق الفنى أغلب فى شعره من الصدق الشعورى ، وعلى النقيض من ذلك الشاعر « إيليا أبو ماضى » . والذى يهمنى بعد ، أن توضح لى رأيك فى مكان شوقى بين الشعراء ، ومكانة شعره فى نفسك » .

إن القول بأن المدرستين مختلفتان فى كثير من السمات والوجوه غير صحيح فى جملته ، ذلك لأنهما تختلفان فى المظهر وتتفقان فى الجوهر ، ونعنى بالمظهر هنا ذلك الإخراج الفنى للصورة البيانية ، أما الجوهر فنعنى به ذلك العرض الصادق للصورة النفسية ؛ وهنا تتمثل نقطة الارتكاز فى الأداء النفسى حيث تلتقى المدرستان ... فاللفظ عند شوقى هو لفظ الدلالة الموحية ، الدلالة على الموجات الشعورية التى يندفع رشاشها من الداخل ليرطب مسالك التعبير ، وهو كذلك أيضاً عند إيليا أبى ماضى . الأداء نفسى هنا ونفسى هناك ، أما الاختلاف فهو فى تلك المعالم الخارجية لهيا كل اللفظية ، ولا بأس من توضيح هذا الاختلاف الذى يبدو فى المظهر لا فى الجوهر بأن نقول : إن شعر المدرستين أشبه بثوبين أخرجهما مصنع واحد من نسيج واحد ، ولـكن العامل الذى ابتكر تلوين هذا الثوب غير العامل الذى ابتكر تلوين ذاك ...

ولقد سبق أن قلت : إن الأداء النفسى فى الشعر ، لا بد أن يقوم على دعامتين لا غِنى لإحداهما عن الأخرى : دعامة الصدق الفنى ودعامة الصدق الشعورى ، ومعنى هذا أننا إذا قلنا إن شعر شوقى يغلب فيه طابع الصدق الفنى ، فقد أخرجناه بعض الإخراج من دائرة الأداء النفسى ، وكذلك ينطبق القول على أبى ماضى إذا ما حكمنا بالغلبة لطابع الصدق الشعورى فى شعره ... إذ لابد من المساواة بين الصدقين لتكتمل العناصر الفنية المتفاعلة لتكوين المزيج الأخير ، ونعنى به مزيج الأداء النفسى فى شعر الشاعرين أو شعر المدرستين !

أما عن رأيى فى مكان شوقى بين الشعراء ومكانة شعره فى نفسى ، فقد أبديت هذا الرأى من قبل ، هناك فى « تعقيبات » العدد (٨١٥) من الرسالة ، تحت عنوان « لحظات مع أمير الشعراء » ، ومهما يكن من شىء ، فإن رأيى فى شعر الرجل ، هو رأيى فى شعر الأداء النفسى ، ولعلى قد أشرت إلى مكانة شعره حين أفضت فى الحديث عن مكانة ذلك الأداء فى موازين النقد ... وللأديب الفاضل خالص الشكر وعاطر التحية .

الى الصديق الفاضل صاحب « بيروت المساء » :

قرأت فى آخر عدد تلقيته من جريدتكم منذ أيام ، مقالاً ثائراً تحت عنوان ضخم : « المداوى يتهجم على أدباء لبنان » ... وكان مصدر الثورة أننى قلت للأستاذ سهيل إدريس على صفحات « الرسالة » وأنا أتحدث عن قصته « سراب » ، مشيراً إلى حملات خصومه من كتاب لبنان على إنتاجه القصصى : « ... فلم لا ترفع معول الهدم لتهوى به على الأصنام ، ولم لا تشق طريقك على أشلاء الجثث المحنطة فى توابيت الأدب » ؟ !

قلت هـذا للأستاذ إدريس بالأمس ، فإذا أحد كتابكم يهاجمنى اليوم على صفحات « بيروت المساء » مؤكداً أننى قد

تهجمت على أدباء لبنان ... معذرة إذا قلت لك إن هذا القول تنقصه الدقة فى التعبير ، وتعوزه الأمانة فى تصوير الواقع . الحق أننى لم أتهجم على « أدباء » لبنان ، ولكننى تهجمت على « أنصاف الأدباء » فى لبنان ، ولهذا لم تثر كلمتى سخط الفريق الأول ، ولكنها أثارت سخط الفريق الأخير !! ...

ومعذرة مرة أخرى إذا وجهت إليك الحديث وأهملت ذلك الكاتب الذى كان يمتنى بكلماته ... إننى ما تعودتُ قط أن أخاطب المجهولين ! ولقد قلت لنفسى بعد أن فرغتُ من قراءة كلمته : كيف لم أسمع باسمه إلا اليوم ، أنا الذى تمر ذاكرتى المتواضعة أسماء رجال الأدب فى لبنان ، منذ أن وُجد فى لبنان أدب وأدباء ؟! ... اسم الكاتب الفاضل « على شرف » ، هل تسمح بأن تمدنى ببعض ما تعرف عن مؤهلات الكاتب الفاضل؟ لستُ أعنى مؤهلاته الدراسية ، وإنما أعنى مُؤهلاته الثقافية ، أتدرى لماذا ؟ لأننى حاولت أكثر من مرة — وذلك على ضوء كلماته — حاولت أن أنصف ثقافته حيث لم تنصف الأيام اسمه ... ولكننى لم أستطع !!

كل ما خرجت به من مقال الكاتب الفاضل ، هو أنه أراد أن يلقى علىَّ دروسه القيمة فى أصول النقد الأدبى ...

أرجو أن تنقل إليه هاتين الكلمتين : لقد هزلت ! ذلك لأننى — والحق يقال — قد تعلمت أصول النقد الأدبى قبل أن يتعلم الكاتب الفاضل حروف الهجاء العربية ... إن من المضحك حقاً أن يتوهم الكاتب الفاضل أننى قد تهجمت على « أدباء » لبنان ، وأشد من ذلك إضحاكاً أن يغضب علىَّ تلك الغضبة المضرية متوهماً مرة أخرى أنه من أدباء لبنان ، وقاتل الله مركب النقص حين يحلق بأصحابه على أجنحة الوهم فى كل أفق تهبط عليهم فيه عرائس الخيال !! ... إنه يسألنى أن أشرح له ماذا أعنى « بطبقات القصة » تلك التى « حددتها المقاييس » ، ويسألنى عن « اكتمال التصميم الفنى » وأهميته قبل الشروع فى البناء ، ويسألنى ويسألنى ؛ وقاتل الله الفراغ ... وبعد ذلك يفغر فاه من الدهشة ويخبط كفاً بكف من شدة العجب : كيف واتتنى الجرأة على القول بأن فى لبنان بعض الجثث المحنطة فى توابيت الأدب ؟ !

إن فى لبنان « أدباء » أقدرهم وأعتز بهم ، وكثيرون منهم يعطرون صفحات « بيروت المساء » بإنتاجهم الأدبى الممتاز ...

الـكرامة العقلية فى حفلة تكريم أم كلثوم :

تهافت كثير من كتابنا وشعرائنا على حفلة تكريم الآنسة أم كلثوم تهافتاً يدل على أن « الوفاء » و « عرفان الجميل » فى مصر بخير ، وأشاد بعضهم « بوطنية » الآنسة أم كلثوم و« فضلها» على أبناء الوطن إشادة تبشر أيضاً بأن موازين أصحاب القلم فى مصر بخير ، أما حفلة التكريم فقد أقيمت رغبة فى تسجيل كل هذه « القيم » بمناسبة عودة المطربة الكبيرة من البلاد الأوربية ... ولكننى أعلم مثلا أن الدكتور طه حسين قد سافر إلى الخارج وعاد إلى وطنه أكثر من مرة ، وكذلك عاد الأستاذ توفيق الحكيم من فرنسا منذ أيام ، ومع ذلك فلم يفكر أحد من هؤلاء السادة فى تكريم الرجلين . وأعلم أيضاً أن مطران قدمات وأن المازنى قدمات ، ومع ذلك فلم يتهافت أحد من هؤلاء السادة بعض هذا التهافت على تأبين الراحلين ... بل إن صوتاً واحداً من أصوات هؤلاء السادة لم يرتفع منادياً بمنح أولاد المازنى مجانية تعينهم على مواصلة التعليم ، بعد أن طرقوا كل باب وما من سميع ولا من مجيب ! !

معنى هذا أن رجلا كطه أو الحكيم أو المازنى أو مطران ، هؤلاء جميعاً فى ميزان كتابنا وشعرائنا ليس لهم من الفضل فى توجيه الجيل بعض ما للآنسة أم كلثوم ... بل إن صحافتنا الموقرة لم تكتب مثلا عن حفلة استقبال الأستاذ الزيات وزميله فى مجمع اللغة إلا سطوراً فى حين أنها خصصت من صفحاتها أعمدة كاملة لحفلة استقبال المطربة الكبيرة !

أيها الأدباء ، أيها الشعراء ، أيها الصحفيون .. شيئاً من الكرامة العقلية ! !

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

تكريم أم كلثوم :

في يوم الأربعاء الماضي احتفلت الهيئات الموسيقية في مصر بتكريم كوكب الشرق الآنسة أم كلثوم بدار معهد فؤاد الأول للموسيقى العربية ، لمناسبة عودتها من أوربا ، تعبيراً عن السرور بشفاء عينيها واطمئنانها على صحتهما بعد أن قلقت عليهما وامتنعت عن الغناء فشاركها الناس الأسف واكتأبوا لما نالها من الهم . فلما عادت سالمة قريرة إلى الوادي لتشدو في مغانيه ، انبعثت النشوة في جوانبه وسرت الفرحة في أرجائه ، ثم تبلورت ببعض الشاعر في هذا الحفل .

ولئن اجتمعت الهيئات الموسيقية على تكريم أم كلثوم ، لقد كرمت هي الموسيقى والغناء ، ورفعت شأن الفن وأهله في هذا العصر بفنها العالي وشخصيتها المترفعة . ولم يكن تكريم أم كلثوم قاصراً على الهيئات الموسيقية التي نظمت الحفل ودعت إليه ، وإنما كان تكريم مصر كلها لمهدية السرور إلى قلوب أبنائها ، تكلم بلسانها أعلامها من شعراء وخطباء ، وإن أم كلثوم لأهل لكل تكريم ، فهي ثروة فنية طائلة ، وإن اهتم الناس في مصر بتكريمها وتقاعدوا عن تقدير غيرها من الأدباء والفنانين ، فقد أدوا واجبهم نحوها وقصروا في حق من أهملوه .

ألقيت في الحفل كلمات مناسبة للمقام من ممثلي الهيئات الموسيقية ، وخطب الأستاذ توفيق دياب بك ؛ وألقيت قصائد للأستاذ عباس محمود العقاد والأستاذ عزيز أباظه باشا والدكتور ابراهيم ناجي والأستاذ كامل الشناوي ، وأزجال للأستاذ بديع خيري والأستاذ بيرم التونسي والدكتور سعيد عبده ، وختم الحفل بكلمة الشكر من المحتفل بتكريمها ، وما أبلغها كلمة ! غنت لمكرميها رداً للتحية ، فأعطت أكثر مما أخذت .

وتخلل ذلك غناء موسيقي ، وقد قدم الموسيقيون ألواناً من عزفهم وفنوناً من ألحانهم ، فردوا اعتبار الفن إليه بعد طول ما أساءت إليه الإذاعة بما تقدم من الغث الممجوج والمعاد المملول . ومما يذكر بالإعجاب قدرة الموسيقيين المصريين على عزف بعض القطع الرائعة من الموسيقى العالمية ، ولاسيما الذي عزف موسيقى الباليه . وقد أبدع « خماسي مجلس الإدارة » الذي يتكون أصحابه من خمسة أعضاء بمجلس إدارة نقابة الموسيقيين المحترفين ، وكانت موسيقى على فراج بارعة ، وقد نبغ هذا الفنان في الموسيقى التصويرية التي قدم منها قطعة « فرح القرية » فأجاد .

ونلتقي بعد ذلك — أيها السادة — نظرات إلى القصائد التي ألقيت في الحفلة . كانت قصيدة الأستاذ العقاد جيدة ، كان فيها شاعراً بخواطره ، وكاتباً بطبيعية السياق وسهولة الأداء واتساق الأفكار . قال في مطلعها :

هلل الشرق بالدعاء ... كوكب الشرق في السماء

ثم قال يخاطب أم كلثوم :

أنظري في وجوههم ... تعرفي نضرة الوفاء
كلهم ود لو يغني ... من البشر والصفاء
لو بقدر السرور نشدو ... غلبنـاك بالغناء !

ثم يصف صوتها بقوله :

فيه أنس لمن يشا ... ء وسلوى لمن يشاء
فيه للمرتجى سـلا ... م وللمشتكي عزاء
فيه حرز من الهمو ... م وعون على القضاء
أي نفس إذا ترنـ ... ـت لا تهزم الشقاء

وابتدأ الأستاذ عزيز أباظه باشا قصيدته بقوله :

سعيت في زحمة الأعـلام أسكب من ... قلبي الولاء ومن عليـا سرائره
في مهرجان حباه الفن روعته ... وزانه بالأوالي من عشائره
وقلت أدلف للتاريخ تفرضني ... على مشارفه كبرى منائره

وباقي القصيدة على هذا النحو من قوة التعبير ، وقد أخذ يفتن في معانيه وخواطره حتى قال :

ما أنت إلا اعتذار الدهر قربه ... لكل عان ومظلوم ومكلوم

ما أنت إلا ابتسام الله جادبه
ورحمة الله عمت كل محروم

وهى خواطر يفوح منها عبير الشعر .

وقد قال :

يا أم كلثوم بعض الشر ما برحت
آثاره تتجلى فى مآثره

ثم أعقب هذا بأبيات تحدث فيها عن اعتلال أم كلثوم والأسى له ، وحمد الله على أنه عاد للروض بهجته ثم قال :

ألم أقل لك إن الشر ما برحت
آثاره تتجلى فى مآثره

ولم أفهم آثار الشر ومآثره ولا موقعهما مما بين البيتين ، ولعله يريد بمآثر الشر فرصة التكريم التى كان أول سببها محنة المرض ، ولكن كيف تتجلى فيها آثاره ؟

أما الدكتور ابراهيم ناجى فيظهر أنه كد شاعريته فى هذه القصيدة حتى أتعبها لحرص على أن يحلق ، فحلق ، ولكن جناحيه لم يقويا كثيراً على التحليق ، فجاءت القصيدة أقل من مستوى شعره . ومن تحليقه قوله :

تسمى ، فى العلى همس وأغنية
أذاك صوتك أم فى الخلد تنزيل
على الثرى لك أكباد مصفقة
وفى السموات إكبار وتهليل

وقوله محدثاً عن الفن :

وحسبه وقطوف منك دانية
بأنه فى وجوه العيش تجميل
فما أبدع صورة الحياة مجملا وجهها بآيات الفن !

وقد قال عن النيل يرنو نحو أم كلثوم :

جرى النسيم على وجه الغدير به
كأنه فى شفاه الفن تقبيل

وأدع لفظ « الغدير » قلقاً فى موضعه هنا ، وأنظر فى جرى النسيم على صفحة الماء ، هل يصلح تقبيلاً فى شفاه الفن ؟ وما جدوى تمثيل الفن شخصاً له شفاه فيها تقبيل يشبهها النسيم ؟ لا أستطيع أن أخرج من ذلك بشىء .

وألقى الأستاذ كامل الشناوى قصيدة حاول فيها أن يخدع برنات كلماتها وقوافيها ، وهذا مطلعها :

فديتها منحة ، السحر أعطاها
والسحر والشعر شىء من عطاياها
وفيه ترى السحر من عطاياها وهى من عطايا السحر ... أى أنهما يتعاطيان ! وقد جانبه التوفيق « الذوق » فى مقارنته بين أم كلثوم وانقسام الذرة ... لأنهما يتنافسان على المجد فى هذا الأوان ! ويتساءل أيهما أولى بالمباهاة ، ويجيب :

الفن . أولى ففيه رحمة وهدى
الفن قنبلة تأسو شظاياها

كشكول الأسبوع

□ وافق يوم الجمعة الماضى (١٤ أكتوبر) الذكرى السابعة عشرة لأمير الشعراء أحمد شوقى بك والغريب أنى لم أر فى صحيفة من الصحف كلمة عن هذه الذكرى فى هذا العام ، أفلا يجدر بنا أن نسمى ذلك اليوم « يوم نسيان شوق » .

□ هذا وقد أذاعت وزارة الخارجية أنه سيقام مهرجان للاحتفال بمرور مائة عام على وفاة الموسيقار شوبان فى شهر ديسبر القادم ، وأنه ستقام مسابقة لمن يرغب من المصريين فى العزف على البيان ، يمنح المتفوقون فيها جوائز .

□ قرر مجلس المجمع اللغوى فى الجلسة الماضية فتح باب الترشيح لملء الكرسى الذى خلا بوفاة المازنى على أن يقفل بعد شهر هو والترشيح لملء الكرسيين الخالين من قبل بوفاة الدكتور شرف بك والمستشرق فيشر . وقد رشح إلى الآن اثنان هما واصف غالى باشا والدكتور أحمد عمار .

□ أذاعت وكالة الأنباء العربية من لندن ، أن الدكتور طه حسين بك ألقى محاضراته الثلاث فى معهد الدراسات الشرقية بجامعة لندن ، وقد أعرب فى مستهل المحاضرة الأولى عن تقدير الأوساط الثقافية المصرية للجامعات البريطانية . وقال إنها تلقن الناس حرية القول . ويقول النبأ إنهم يطلقون هناك على الدكتور طه « برناردشو الشرق » .

□ رشح الدكتور طه حسين بك للحصول على جائزة نوبل للآداب فى هذا العام ، وقد أيد ترشيحه الكاتب الفرنسى أندريه جيد الذى نال الجائزة فى العام الماضى ، وانضم إليه فى تأييد هذا الترشيح المسيو أدوار هريو والمستشرق ماسينيون

□ قال الأستاذ كامل كيلانى - ثلة الاحتفال بإلغاء المحاكم المختلطة : يقال اختلط الرجل أى جن وذهب عقله ، فهل كانت تلك المحاكم مجنونة ؟

□ وقال الأستاذ سامى العظم بك إنه لما كان وكيلا لوزارة العدل السورية ، لاحظ من الإحصاء أن كل القضايا التى تقدم بها الأجانب فى سوريا حكم لهم فيها ضد السوريين . فذكر ذلك أمام المعتمد الفرنسى وقال له : إنه لا داعى إلى وجود محاكم الأجانب فى سوريا ، ويمكن أن تحتمل وزارة المالية المبلغ الذى يطلبه الأجنبى من المواطن ، ولن يبلغ مجموع ذلك ما تنفقه خزانة الدولة على محاكم الأجانب فى سوريا .

□ أقام نادى الخريجين المصرى يوم الجمعة الماضى ، حفلة استقبال جمع فيها بين نخبة من سفارة الباكستان ولفيف من الأدباء والمفكرين المصريين . وقد تكلم الدكتور حسين الهمدانى الملحق الصحفى بسفارة الباكستان ، فعبر عن سروره بالفرصة التى تهيأ فيها هذا الاجتماع الثقافى ، وأشاد بالصلات الروحية التى تربط بين مصر والباكستان .

□ قال الدكتور أحمد أمين بك فى كلمته الأخيرة بالمجمع اللغوى : إن اللغة العامية لا تعترف بالفعل المبنى للمجهول ، إلا فى قولهم : « بتاع النيل يوكل » .

ولست أدرى كيف يكون الفن رحمة وهدى وقنبلة ذات شظايا .. ولا إخال الأستاذ إلا ممتزاً بأن جمل شظايا القنبلة تأسو ولكنا لا نأمنها ، وما انفجار الذخيرة فى جبل المقطم ببعيد .

وفى القصيدة أبيات لا بأس بها منها :

الصوت بعض هداياها وقد فتنت به الخلود فأمسى من هداياها

السندباد البحرى :

عرض أخيراً بسينما (ديانا) فلم « السندباد البحرى » وهو معرب بأصوات ممثلين وممثلات مصريين ، والفلم يقوم على أسطورة من أساطير « ألف ليلة وليلة » فيعرض مغامرات السندباد البحرى العجيبة ، وما تعرض له خلالها من أهوال ، وما بذله من جهود خارقة فى التغلب عليها ، فقد أغرق « الأمير أحمد » وأخذ (مداليته) السحرية التى مكنته من قهر خصومه وخاصة الأمير الهندى الذى ينافسه فى حب الأميرة الجميلة ، وأخيراً يدعى أنه الأمير أحمد ويذهب إلى أبيه — أبى الأمير — « اسكندر » كاتم سر « الكنز » الذى يبوح بالسر له وللأمير الهندى ورجل آخر يدعى « عبد الملك الحلاق » فيفرح هذان بمحتويات الكنز ولكنهما يموتان دون الانتفاع بشىء منها ، أما السندباد البطل المغوار فيفوز بالأميرة الفاتنة ولا يلقى بالا إلى المال .

ويقال فى تقديم هذا الفلم إنه يمثل سحر الشرق وعظمة الشرق ، وأنا — والله — لم أجد فيه للشرق رائحة ، فضلا عن السحر والعظمة ... ولكن أقول إنه يمثل الشرق الذى يتصوره أولئك الغربيون أو يحلو لهم أن يتصوروه ، لا فى هذا الفلم فقط بل فى أشباهه « كلص بغداد » و « ألف ليلة وليلة » من تلك الخرافات التى يحب الغربيون أن يتخذوا منها صوراً لحياة البلاد الشرقية فى العصور الماضية ، وكأنهم يهربون مع خيال هذه الأساطير من واقع الشرق نفسه فى تلك العصور ، كما يهرب من يزور مصر منهم من حاضرها وحياتها المعاصرة إلى الأهرام وأبى الهول

وليتهم يوفقون فى تصوير الروح الشرقية والجو الشرقى فى تلك الأفلام التى نرى فيها أشخاصاً وأشياء لا هى شرقية ولا غربية فهم يمسخونها كما يمسخ بعض المؤلفين والمخرجين عندنا الأفلام الغربية ويدعون أنها مصرية مؤلفة ، هؤلاء كأولئك ، حذو الفلم بالفلم .

وفلم « السندباد البحرى » يعرض بالألوان الطبيعية ، وهم يختارون أجمل الممثلات فى مثل هذا الفلم ، وأعترف بعبقرية المخرج إذ قدم لنا « الأميرة الفاتنة » كأى فتاة عصرية فى كل شىء ، تلبس الثياب (على آخر مودة) ! والممثلون يلبسون (البنطلونات) وأجسامهم الحمراء تنطق بـ (السكسونية) الصارخة ، يختلط كل ذلك بمناظر التعذيب المفزعة إذ تهوى السياط على الأبدان فتمزقها كما كان يصنع الشرقيون فى غابر الأزمان وسالف العصر والأوان !

ويظهر أن المشاهدين يصبرون على متابعة الفلم ، مستمدين الجلد عليها من القوة السحرية الخارقة التى يتمتع بها السندباد البحرى ، على الرغم مما يلاقونه من أهوال فى تلك المشاهدة ، كأهوال السندباد . ولكنه يخرج من أهواله بالأميرة الحسناء ، أما نحن — المساكين — فنخرج مصدعى الرءوس ، وقد يذهل الفتى عن فتاته التى دخلت معه متعلقة بذراعه .

حقاً إن السندباد خطب فى آخر الفلم ، مبيناً أن المال لا قيمة له فى سعادة الإنسان ، وإنما السعادة الحقيقية هى سعادة القلب والفكر ومن أجل ذلك داس جواهر الكنز ولم يعبأ بها مكتفياً بفاتنته الأميرة ، ولكن الفلم لم يعرض لنا ذلك عرضاً عملياً يجعلنا نستخلص العبر من الحوادث ولم يضعنا فى جو طبيعى ندرك منه ذلك ؛ وقد يقال إن القصة خرافة ، ولكن ما هدف هذه الخرافة غير قلب الدماغ بتلك الحوادث التى لا تحمل متعة فنية لذوق سليم ، وغير وقع القلب بالوعظ فى آخر الأمر ؟

والذى يؤسف له أن يكون ذلك هو ثمرة تعريب الأفلام (دبلجتها) وقد كتبت فى هذا الموضوع عند ما هب السينمائيون المصريون يمارضون تعريب الأفلام فى العام الماضى ، وبينت أن هذه المعارضة حركة تجارية ، وأن الفائدة التى نجنيها من تعريب الأفلام الجيدة محققة . وإذا كنا نعرب الكتب مقتنعين بفائدتها فلم تمنع تعريب الأفلام ؟ ولكن أى الأفلام نعرب ؟ هذه هى المسألة التى نراها تواجهنا الآن ، وكل ما يجب هو حسن الاختيار .

عباس خضر



حيـــوان أليف

للكاتب اليابانى شيمازاكى توسومو

بقلم الأستاذ محمد فتحى عبد الوهاب

لازمها سوء حظها منذ ولادتها . لقد أقبلت إلى العالم بشعر قصير أشهب ، وأذنين واقفتين ، وعينين تشبهان عينى الثعلب . إن كل ما يدعى حيواناً أليفاً يتحلى بصفات تجذب شعور الصداقة بينه وبين الناس . بيد أنها لم تـكن حائزة أية صفة منها . ولم يكن يبـدو على ملامحها ما يحببها إلى البشر . كانت تعوزها خواص الحيوان الأليف . وبطبيعة الحال ، أهملوا أمرها .

ومع ذلك ، كانت كلبة : حيواناً لا يستطيع أن يعيش منفرداً . وكان من المستحيل عليها أن تنبـذ عادتها الموروثة فى أن يجود عليها الناس بالطعام . ولذلك أخذت تبحث عن دار تلائمها .

وهام ذلك الـكائن المجهد فى ضيعة كن سان المزارع ، وكان قد انتهى من إنشاء الدار الجديدة ذات السقف الخشبى ، القائمة بجوار طريق قرية إكوبو بحيث يستطيع أى إنسان أن يقصد الطريق الرئيسى من خلال فنائها الخلفى . وكانت أرضيتها مرتفعة وتربتها جافة ، فضلا عن أنه كان بها فناء ضيق حالك ذو فرجة بين مدخله والحاجز القائم بين هذه الدار وتلك التى تليها ، تستطيع فيها أن تخفى نفسها فى الحال عندما يقضى الأمر ذلك . ولم تتوان لحظة فى احتلال هذا المخبأ الـكائن تحت الأرض .

ثم دعتها الحاجة الملحة إلى الحصول على الطعام . وأرشدها أنفها الحساس إلى الطريق صوب المطبخ . ولم يـكن لديها وقت للاختيار ، فقد كانت جائعة . فأخذت تأكل ما يصادفها : قشور الفاكهة ، وحساء بارد نتن الرائحة ، وأوعية من الطعام الفاسد . فإذا لم يكفها كل هـذا ، قامت تتشمم ما حولها ، حتى كومة الغبار ، وتصيد أقصى ما تستطيع تصيده . ووجدت هناك جوارب قذرة مشربة بماء الغسيل بجوار الحائط ، فجعلت تشرب الماء المتساقط منها فى سرور .

كانت هناك فى الحديقة شجرة قديمة ، فعزمت على أن تجعل من ظلالها موضعاً لراحتها ، فتمدد أقدامها الأربع على الأرض الدافئة من حرارة الشمس الساطعة خلال الأفنان . وتتثاءب أو تحك مواضع فى جسمها . وعندما يأتى المساء تدلف إلى ملجأها تحت الأرض وترقد على أجولة الفحم . وهكذا بدأت حياتها .

كانت عائلة كن سان تحتفظ فى ذلك الوقت بكلب أسمر اللون يدعى بوتشى . وكان الحيوان الوحيد الذى يقابل بالترحاب . وكان يبدو أنه ذو طبيعة اجتماعية ، فقد كان يتقرب إليها فى أدب وهو يحفر الأرض ، فترد عليه تحيته بهز ذنبها القذر .

بيد أن كن سان وغيره من أولئك الذين يعيشون فى ضيعته ، لم يرحبوا بها كما رحبوا ببوتشى . وصاح أحـدهم « أليس من الخسارة الـكبرى أن يكون الفرد قبيحاً حتى بين الحيوانات ؟ » فيرد آخر « لو كانت ذات مسحة من الجمال لاحتفظت بها ! » بيد أن كل هذا لم يكن له معنى عندها .

ودعاها هؤلاء الناس « بب » . وكانت لـكل دار « عمة » : لقب يضفى على ربة الدار . وكانت العمات والأولاد يشتركن فى كراهيتهم لها ويصرخون فيها . أما الأعمام فقد كانوا فظعاء . إن أقل إهمال أو انتباه تجعلها طريدتهم . وكثيراً ما ألقوا عليها الأحجار وكرات الطين وأسياخ المدفأة . وفى ذات مرة أصابها مقبض باب ، فسبب لها جرحاً فى إحدى مؤخرتيها .

وشيئاً فشيئاً ، أخذت تفهم العقلية البشرية : معنى زم الفم ، والقيام بالتقاط شىء ، وهز الأكتاف ، وعض الشفاه . كانت كل هذه الانفعالات الثائرة ضدها ، قد بينت لها مدى كراهية مطارديها . وكادت فى ذات يوم أن تساق لتغرق فى الخليج . ولا يستطيع أحد أن يعرف كيف وجدت سبيلها إلى الهرب ! كان الناس يصيحون « استحضروا الحبل . الحبل ! » وكانت يائسة ، فجعلت تعدو خلال الحديقة ، بين الشجيرات . وذهبت صوب الفرن ثم استدارت حول مخزن الغلال ، وأخيراً فرت إلى الحقول حيث تنمو الزهور التى تباع فى الأعياد .

وصاح أحد الأعمام : « لقد فرَّت أخيراً ! » فرد كن سان وهو يضحك ضحكة رجل طيب « أليست شيئاً متعباً ؟ »

وتكررت مثل هذه التجربة القاسية . ولكنها لم تكن بالتي تقهر من مثل هذه الأعمال . ينبغي لها أن تبحث عن طعامها في هدوء وفي مظهر من يقول « إن هذه أرضي » . وكانت تتقدم إلى المطبخ الجديد في شجاعة ، أو تذهب إلى الشرفة بأقدامها القذرة ، فتمزق الستائر ، وتلهو بما تغسله العمات من ملبوسات وتلطخها بالطمي والغبار ولم يكن لها اعتبار عند الأطفال . كان لهذه العائلة فتاة تدعى شوكان . وكانت تميل إلى اللعب في الفناء ، فكانت الكلبة تطاردها مداعبة . وكانت الفتاة أحياناً ما تستحضر معها قطعة من الكعك ، وتظهرها لها قائلة: « انظري ! انظري يا بب ! »

وسرعان ما تقفز على كوشان ، فيتعالى صراخ الفتاة « أوه ، ماماه ، إن بب شريرة ! » وكانت هذه دائماً صرخة كوشان في طلب المعونة . فتقبل عندئذ العمات مسرعات وينادين كوشان : « اهربي يا كوشان ! في سرعة ! » فتفر الفتاة باكية ولم يبق معها شيء من الكعك . لقد أخذته الكلبة منها ، وبذلك حصلت على الحلوى التي تأكلها الناس ، وبعد ما تنتهي من أكلها ، تلعق طرف أنفها بلسانها الأحمر

ومهما يكن من الأمر ، فقد كانت لا تتعمد ما تقوم به من حركات ، طيبة كانت أو شريرة . وكانت هذه الكلمات التي تسمعها من أفواه الأعمام والعمات لا تفهم لها معنى . فلم يكن لها طبيعة فهم تقاليد الناس المتمدينين وأحوالهم ، لم تكن سوى كلبة سواء أكانت أفعالها مؤدبة أو خالية من الأدب . إنها حيوان مسكين يعمل كما توحي إليه طبيعته

ومر الشتاء القارس البائس ، ولم تزل تتألم من هذه المعاملة ، معاملة طردها ، وكان من العجيب ألا تموت جوعاً في ذلك الشتاء لقد كانت المخلوقات البشرية في حالة محزنة ، فكيف إذاً يستغنون عن حفنات من أرزهم البارد لهذا الحيوان الجاهل ، تلك الكلبة المتعبة التي لا تنفع في شيء ؟ وكانت تهيم في الأماكن النائية ، فتبتلع بما تجده من أشياء ، حتى قشور البرتقال

ثم أقبل الربيع ، وأخذ الجليد في الذوبان ، وبدت الكلبة كأنما نما عودها ، وكانت كل الكلاب تتجمع حولها : بوتشي الذي يقطن دار كن سو ، وكورو الذي يعيش بدار الاستحمام ، وآكا الذي يحرس مسكن تاجر الخشب ، وذلك الكلب الضخم الذي يخص الجيران . وكان يتبعها ثلاثة أو أربعة منها أينما ذهبت وكان الموضع المريح في ظلال الشجرة الكائنة بالفناء مرتعاً لصدى هريرها وكأنها تود أن تهمس إليها بكلمات الغزل

ولاحظت ذلك المشهد عمة مقبلة نحو البئر الجانبية ، وقد حملت معها دلواً ، فقالت : « يا إلهي إن بب كلبة أنثى ! إني لم ألاحظ ذلك من قبل !

فردت عمة من الدار الجديدة شاهدت أيضاً ما يحدث « ولا أنا »

وضحكت العمتان وجعلتا تنظران إلى ذلك المشهد في اهتمام « يجب أن تنفى » . كان هذا منشأ الجدال الذي استمر في ضيعة كن سان بين أعضاء عائلتين من العائلات الأربع . ثم انقسموا إلى حزبين : حزب الأعمام ، وحزب العمات . كانت العمات يصرحن أن الأمر قد أصبح مختلفاً . أن حالتها الآن مغايرة لما كانت عليه في الماضي . وكن في جدلهن كأنما يقارن أنفسهن بها (وقد يكون هناك وجه للمقارنة) . وكان الأعمام يعارضون في إنجابها ذرية . إنه من الفظاعة أن تلد أولاداً على شاكلتها . وفي الحق ، لم يكن هناك من يهتم بمستقبلها . ولم تكن الكلبة تعرف شيئاً عن كل ذلك .

وما إن مر يوم حتى وقفت مركبة بجوار دار كن سان ، يعلوها صندوق بلا غطاء ، مغطى بقطعة قذرة من الحصير . وتشمم أنفها في سرعة ما الذي في المركبة .

وأقبل شرطي يتبعه رجل ذو نظرات مريبة . ودلفا إلى الدار . بيد أنها لم تكن تحوم في مثل هذه الأماكن الخطرة . وأخذ بوتشي وكورو وغيرهما من الكلاب في النباح . وأقبل الأعمام والعمات وكل سكان القرية . وصاحت كوشان « صياد الكلاب يا ماما ! » ثم اختبأت خلف والدتها .

وجرى الناس حول الحديقة . وشاركهم في العدو صبي من مدرسة متوسطة كان يرسم صورة بالألوان المائية ، وقد أمسك بحامل الرسم ، وابنة كن سان وكانت تقوم بري الزهور .

« لقد هربت من هنا ! لقد ولت من هناك ! » .

وارتبك القوم فى عجب . ثم قالت كوشان وهى ترجف « من المؤكد أن بب قد قتلت » .

وأخيراً استطاعت الهرب . وهز رجل ممسك فى يده هراوة غليظة فى غيظ . وقال الشرطى « لا فائدة ، لا فائدة » وضحك وهو يسير صوب الباب . ثم انسحب هو ورفيقه إلى المركبة الفارغة يجران وراءهما ذيول الخيبة .

لقد هربت على أية حال ، ونجت بجلدها . ومرت الأيام وتضخمت بطنها ، وأخذت عيناها تتلونان بلون غير ثابت من القلق . إنها لن تحافظ الآن على نفسها فحسب ، بل يجب عليها أيضاً أن تحمى أولادها فى بطنها . إن ظلال الشجرة لم تعد مأمونة ، وحتى عندما كانت ترقد على الأرض الندية ، وهى تلهث مما اعتراها من ألم . سرعان ما كانت تهب واقفة عندما تشاهد خيال إنسان ما ، يجب ألا تتهاون ولو لحظة واحدة ، وكان يلوح فى عينيها أنه ليس هناك من أشد قسوة وأقل رحمة من الكائن البشرى .

بيد أنه على الرغم من خوفها ، كانت لا تستطيع الابتعاد عن الدار . وقد يبدو فى عين الرائى ، أنها قد تسكون فى راحة تامة ، كغيرها من الحيوانات ، لو ذهبت إلى الغابة النائية ، ورقدت هناك بين الأشجار والحشائش ! ولكن ذلك لم يبد فى عينيها ، إنها لا تستطيع أن تغير من طبيعتها الوروثة

وفى أوائل شهر يونيو ، انتهت من القيام بواجبات الأمومة وظهرت أربعة جراء فى فرن كن سان ، اثنان منها جيلان يشبهان بوتشى فى لونه ، وواحد أسود فاحم ، والرابع يشبهها كثيراً .

وفى صباح يوم ولادتها ، تراءت لها المرة الأولى ابتسامة البشر تهش بها ، وفى ذلك الصباح أيضاً قدموا إليها لأول مرة الطعام

وأخذت عمة كن سان تناديها « بب ، تعالى ، تعالى » ثم أصبحت تناديها دائماً منذ ذلك اليوم ...

محمد فهمى عبد الوهاب

إعـــــــلان

عن مسابقات مجمع فؤاد الأول للغة العربية

لتشجيع الانتاج الأدبي سنة ١٩٥٠ — ١٩٥١

قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية توزيع جوائز لتشجيع الإنتاج الأدبي على النحو الآتي :

أولا : تخصص مائة جنيه لكل فرع من الفروع الآتية على أن يكون المتسابق من أدباء وادي النيل وحدهم .

(ا) قصة اجتماعية أو تاريخية ، جيدة الموضوع والأسلوب باللغة العربية الفصحى بحيث لا يقل عدد صفحاتها عن مائتي صفحة من القطع المتوسط الذي لا تنقص كلمات الصفحة منه عن ١٨٠ كلمة .

(ب) إنتاج شعري باللغة العربية الفصحى لا يقل عن ١٠٠٠ بيت من الشعر في موضوعات متنوعة : في الاجتماع أو وصف الطبيعة أو تحليل العواطف أو نحو ذلك .

(ج) بحث مستوفى مبتكر في موضوع لغوي أو أدبي يسير على المنهج العلمي الحديث وتظهر فيه شخصية الباحث ، ولا يقل عدد صفحاته عن مائتي صفحة من القطع المتوسط الذي لا تنقص كلمات الصفحة فيه عن ١٨٠ كلمة .

ثانياً : تخصص لأدباء وادي النيل وغيره جائزة قدرها مائتا جنيه لمن يترجم لابن سينا ترجمة وافية دقيقة تصور حياته ونواحيه الفلسفية والعلمية والأدبية في أسلوب رائق بحيث لا ينقص عدد الصفحات عن مائتي صفحة من القطع المتوسط الذي لا تقل كلمات الصفحة منه عن ١٨٠ كلمة .

وعلى الراغبين في الحصول على هذه الجوائز أن يرسلوا إلى المجمع أربع نسخ مطبوعة أو مكتوبة على الآلة الكاتبة كتابة واضحة من الموضوع المقدم للحصول على الجائزة قبل أول أكتوبر سنة ١٩٥٠

وللمتبارين أن يذكروا أسماءهم أو يختاروا أسماء مستعارة ، وعليهم أن يكتبوا عنواناتهم واضحة وأن يوقعوا على كل نسخة يقدمونها .

ولا يجوز أن يدخل مسابقات المجمع الأدبية من سبق أن أجازه المجمع على إنتاج له في فرع المسابقة المتقدم إليه ، ولا أن يعاد تقديم أي إنتاج أدبي سبق أن قدم للمجمع أو لأية مباراة عامة في غير المجمع ، أو لمناقشة عامة للحصول على لقب أو درجة علمية .

ويشترط في الموضوع المقدم لكل هذه المسابقات ألا يكون قد طبع قبل سنة ١٩٤٥ ، وسيحتفظ المجمع بنسخة من كل ما يقدم إليه من الإنتاج الفائز وغيره وترسل الموضوعات بعنوان لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية شارع قصر العيني ١١٠ القاهرة .

٣٠٧٩

مطبعة الرسالة



العدد ٨٥٢ — الاثنين ٣١ كتوبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٣٠٣٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 e année No. 852

Lundi 31 10 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٥٢ « القاهرة في يوم الاثنين ٩ من شهر محرم سنة ١٣٦٩ — ٣١ أكتوبر سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

من وحى الهجـــــرة (*)

بعث الله النبي الكريم على فترة من الرسل ، فى عصر غير ذى دين ، وجيل غير ذى خلق ، وبلد غير ذى زرع . فلقى صلوات الله عليه من سفه الجاهلية وكلَب المادية وكيد العصبية وحرمان الفقر وخذلان القلة ما لا يسعه طوق بشر إلا بروح من الله وسند من الإيمان وعون من الخلق .

حمل محمد رسالة الله وهو فقير ضعيف ، وحمل أبو جهل رسالة الشيطان وهو غنى مسلَّط ، فحوّل مكة الشركة جبلا من السعير سدّ على الرسول طريق الدعوة ، فكان يخطو فى طرقها وشعابها على أرض تمور بالفتون وتفور بالعذاب . وتفجرت عليه من كل مكان سفاهة أبى لهب بالأذى والهون والمعاياة والمعارضة . وكل قرشى كان يومئذ أباجهل أو أبا لهب إلا من حفظ الله . وافتن كفار مكة ومشركو الطائف فى أذى الرسول ، فعذبوه فى نفسه وفى أهله وفى صحبه ليحملوه على ترك هذا الأمر فما استكان ولا لان ولا تردد . وحينئذ تدخل الشيطان بنفسه فى (دار الندوة) فقرَّر القتل ، وتدخل الله بروحه فى (غار ثور) فقدَّر النجاة . وانطلق محمد هو وصاحبه ودليله وخادمه على عيون المؤتمرين فى الطريق الموحش الوعر حتى بلغوا طيبة . وهنالك بالصبر والصدق والإيمان والرجولة أثمر غرس الدعوة وتم نور الله .

كان يوم الهجرة الذى جعله عمر الحكيم العظيم تاريخاً للمسلمين يحسبون منه أيامهم ، ويؤرخون به أحداثهم ، خاتمة وفاتحة : كان خاتمة لثلاثة عشر عاماً من المحن الشداد والآلام الفوادح تظاهرت على الإيمان والصبر حتى قال الرسول وهو يلوذ بحائط من حوائط ثقيف : اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ؛ وكان فاتحة لثلاثة عشر قرناً من النصر المؤزر والفتح المبين ، أعلن العرب فيها كلمة الله ، وبلغوا رسالة الحق ، وحملوا أمانة العلم ، وأرشدوا الضال فاهتدى ، وحموا الذليل فعز ، وعلموا الجاهل فتعلم ، ومكنوا فى أرضهم الفسيحة ودنياهم العريضة لعناصر الجمال والخير فقويت فى كل نفس ، وازدهرت فى كل جنس ، وانبعثت فى كل مذهب ، وانتشرت فى كل أفق ؛ وحققوا لهذا الإنسان طريد العدوان وعبد الطغيان أحاديث أحلامه وهواجس أمانيه ، من الأخوّة التى يعم بها النعيم ، والمساواة التى يقوم عليها العدل ، والحرية التى تخصب بها المدارك ؛ لأن رسالة محمد لم يوحها الجوع ولا الطمع ، وإنما أوحاها الذى خلق الموت والحياة ، وجعل الظلام والنور ، وأوجد الفساد والصلاح ، ليدرأ قوة بقوة ، وينقذ إنساناً بإنسان .

كان يوم الهجرة إلى المدينة وما قبله تشريعاً من الله فى حياة الرسول للفرد المستضعف إذا بغي على حقه الباطل ، وطغى على دينه الكفر ، ليعرف كيف يصبر ويصابر ، وكيف يجاهد ويهاجر ، حتى يبلغ بحقه ودينه دار الأمان فيقوى ويعز .

وكان يوم العودة إلى مكة وما بعده تشريعاً من الله على لسان

(١) أذيعت في مساء الأحد أول المحرم من دار الإذاعة اللاسلكية بالقاهرة

الرسول وبده للأمة إذا اتسمت رقعتها ، واتحدت كلها ، واستحصدت قواها ، لتعلم كيف تنسى الضغائن إذا ظفرت ، وتحتقر الصغائر إذا كبرت ، ثم لا تحارب إلا فى الله ، ولا تسالم إلا فى الحق .

كانت المدينة وحدها بعد يوم الهجرة مجالا لسياسة الرسول يضم شتات الجماعة ، ويوثق عقدة الأمة ، ويجمع أهبة الحرب ، فألف بين الأوس والخزرج ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، وعاهد بين المسلمين واليهود ، حتى تكتّب فى يثرب جيش الله الذى فتح الدنيا بفتح مكة .

ثم كان العالم كله بعد يوم الفتح مشرقاً لوحى الله وهدى الرسول ، فطهره الإسلام من الأرستقراطية بالمساواة ، ومن الرأسمالية بالزكاة . ثم علم الناس حكم الشورى ، وألزمهم قضاء العدل ، حتى أخرجهم من الوطنية المحدودة إلى الإنسانية المطلقة .

إن هجرة الرسول ملحمة من ملاحم البطولة القدسية لا يفتر عن إنشادها الدهر ! استمدت إلهامها من وحى الله ، وروحها من خلق الرسول ، وعملها من صدق العرب ، واستقرت فى مسامع الأجيال والقرون مثلا مضروباً لقواد الإنسانية ، يعلمهم الصبر على مكاره الرأى ، والاستمساك فى مزالق الفتنة ، والاستبسال فى مواقف المحنة ، والاستشهاد فى سبيل المبدأ .

فاذكروا يا ساسة العرب وأنتم مجتمعون اليوم لتوثقوا روابط الجامعة العربية أن الرسالة المحمدية التى هاجرت مغلوبة من مكة إلى المدينة ، سافرت غالبة من الشرق إلى الغرب ، بفضل مبدئها الإلهى الذى قامت عليه ودعت إليه وفازت به ، وهو توحيد الله ، وتوحيد الكلمة ، وتوحيد الخطة ، وتوحيد الغاية .

اذكروا لماذا نذكر صاحب الهجرة فى كل أذان وفى كل صلاة من كل يوم . هل نذكر اسمه مع اسم الله تعبداً به ؟ معاذ الله فما يكون الشرك غير هذا . إنما نذكر الله ونذكر بعده محمداً كما نذكر القاعدة ومعها المثل ، أو النظرية وبعدها العمل؛ لأن الله يوحى والرسول يبلغ ، ويأمر وهو ينفذ ، ويشرع وهو يطبق ؛ فذكر الله استحضار لأوامره ونواهيه وتلك هى القدرة ، وذكر الرسول استحضار لأفعاله وأقواله وتلك هى القدوة .

اذكروا ذلك وقولوا للموقين منكم إن العصبية التى توسوس فى بعض الصدور بالرياسة والسيادة ، إنما كانت فى تاريخنا الحافل بالأحداث والعبر علة العلل فى انشقاق العصا ، وانقسام الرأى ، وانتشار الأمر ، وتعدد الدول ، حتى كان لنا فى الأرض ثلاثة خلفاء فى وقت واحد : عباسى على عرش بغداد ، وأموى على عرش قرطبة ، وفاطمى على عرش القاهرة ، ولكل خليفة منهم شأن يغنيه ، وعدوان مع الباغين على أخيه .

اذكروا ذلك يا ساسة العرب واستناروا بسيرة نبيكم فى السياسة ، واستنوا بسنته فى الحكم ، فإن محمد بن عبد الله الذى آثر أن يكون نبياً عبداً على أن يكون نبياً ملكاً ، قد ساس الناس فى عهده سياسة دينية لا وطنية ولا قومية ؛ لأن الوطن محدود والدين لا حد له ، ولأن القوم جماعة متميزة والدين إنسانية شاملة . أما وقد استشرت العصبية ففرقت شعبنا فرقاً لكل فرقة طرز ورسوم ، ومزقت وطننا مزقاً تفصل بينها مكوس وتخوم ، فإنا أحرياء بأن نصلح الأمر بما صلح عليه أوله : نخفت فى نفوسنا صوت الأثرة ، ونسكن فى رءوسنا عصف الهوى ، ونجدد فى أذهاننا ما انطمس من معانى الإيثار والإخاء والفداء والمروءة ، ونوضح فى أفهامنا ما انبهم من هذه المبادئ الإسلامية الصريحة : إنما المؤمنون إخوة . وأمرهم شورى بينهم . وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ... وتلك هى المثل العليا للسلام والنظام والحكم ، تطلبها الشعوب المكروبة المسخرة بالثورة بعد الثورة ، وبالحرب بعد الحرب ، فيحول بينها وبينها تصادم القوى وتعارض المنافع .

لا نطمع فى أن نجعل من الوطن العربى الذى قطّعه الغاصبون دويلات ليسهل ازدرادها ، وحدة كاملة . ذلك فوق الطاقة الآن ، لأنه عمل لم يقو عليه من قبل غير محمد ، ولن يقوى عليه من بعد غير رجل من رجال محمد ، هو الرجل الذى ينتظره العرب انتظار الأرض رجعة الربيع . وبحسبنا أن نمهد أمامه الطريق بهذه الجامعة العربية التى توافدتم اليوم إلى توكيد ميثاقها وتثبيت أركانها فى القاهرة . فإذا أقمتموها ياساسة العرب على الإيمان الصادق والنية الخالصة ، كانت إرهاصاً لظهور ذلك الزعيم المنتظر الذى يجمع الله لكم فيه الراعى الذى يطرد الذئب ، والخيط الذى يجمع الحب ، والدليل الذى يحمل المصباح ، والقائد الذى يرفع العلم ، والأستاذ الذى يعلمكم أن تصنعوا الإبرة والمدفع ، وتشقوا المنجم والحقل ، وتوفقوا بين الدين والدنيا ، وتلاءموا بين المنفعة الخاصة والمنفعة العامة . ويومئذ تعودون إلى منزلتكم من صدر الحياة ، ومكانتكم من قيادة الناس .

احمد حسن الزيات

صور من الحياة :

٢ – زوجة تهــــار !

للأســــتاذ كامل محمود حبيب

قال لى صاحبى : « مالك تغلو فى رسم صورة (زوجة تهار) فتزعم أن المرأة تفر من دار زوجها وتذر أولادها ، وهم حبة القلب ، ونور العين ، وفرحــة العمر ، وبهجة الحياة ... تذرهم لتعيش إلى جانب عشيق كائن من كان ؛ على حين نرى الحيوان الوديع يتنمر إن أحس بسوء يوشك أن يصيب صغاره ... فما بال الإنسان ؟ »

قلت : « أما هــذه القصة ، فهى من صميم الحياة ، قصها صاحبها على وعلى رهط من صحابه ... وقصها أيضاً على الأستاذ سعيد العريان ، وهو رجل ذو مروءة وإنسانية ، وذو مكانة وشأن ... فناله – مما سمع – الضيق والعطف ، فقدم لصاحب القصــة من إنسانيته ورجولته ما خفف عنه لأواء المصيبة ، وأزاح عنه بعض وطأة البلوى ... »

(كامل)

آه ... يا لقلبى ! إن الزوجة حين ترتدع فى حمأة الخيانة تعلن عن أن دمها الملوث لم يشعر يوماً بصفاء المعانى السامية فى الشرف والكرامة !

والزوجة الساقطة امرأة انتكست إنسانيتها ، واتَّضعت كرامتها ، ومات ضميرها ... امرأة برمت بهــا روحانية السماء فلفظتها لجذبتها ظلمات الأرض لتسفل إلى هوة الخسة والرذيلة ... وهى فى عين زوجها وباء ، وفى رأى أهلها داء ، وفى موكب الحياة عار وسبة ، وفى عمر الرجل ساعة لهو رخيص ، يستمتع بها حيناً ، ثم يطرحها إلى عرض الشارع ... وهى – دائماً – تتوارى عن الأعين المتلفتة لأنها خلعت ثوب العفة ، وتفزع عن الألسنة المتلطفة لأنها نزعت رداء الشرف !

يا فتاة الشارع : أرأيت الدار الخربة وقد انقض جدارها ، وانفتح بابها ، فأصبحت مثابة للص والشحاذ وابن السبيل ؟ !

أرأيت الرعى الخصيب وقد نام عنه المدافع وانصرف الحامى فأضحى مستباحاً ترده كل سائمة فلا تجد هناك إلا الأمان والخفض وإلا الرى والشبع ؟

أرأيت الجيفة – وهى ملقاة على الثرى – لا تملك أن تدفع عن نفسها ، ومن حواليها الــكلاب تتدافع فى نهم ، وتتهارش فى شره ، لينال كل واحد منها أوفى نصيب ، فلا تستطيع هى أن تمتنع على مَنْ يلغ أو يطعم أو يعبث ؟

ما أعجب ما أرى ! هــذا القانون الأرضى يكبل السارق بقيد من حديد إن سرق درهمات لا تغنى من فقر ، ولا تسمن من فاقة ، ولــكنه يذر اللص يستلب الشرف ، ويسطو على العِرض ، فلا يغلّه بأصفاد من الرجولة والإنسانية ...

هــذا هو القانون الأرضى حين يتشبث بالتراب ويرسف فى الوحل ! ...

***

لقد طارت الزوجة الخائنة مع شيطان من الناس ... طارت لتذر زوجها على فراش المرض يقاسى ألم الداء ويعانى هم الزوجة ويحمل – وحده – عبْ الأولاد . طارت حين زين لها الشيطان بأساليبه السفلية أن تنفلت من دارها فى هدأة الليل وسكونه ، فتخلف وراءها راحة الضمير فى الدار ، ولذة العيش فى ظل الزوج وسعادة الحياة بين مرح الأولاد .

وزعمت الزوجة الآبقة أنها ضاقت بهموم الدار ، وما فيها سوى زوج مريض مقدم ينفق من صبابة تــكاد تنضب وهى إلى جانبه يضنيها التعب – كزعمها – ويؤذيها السجن ؛ وسوى صبية صغار يلحون فى طلب الطعام واللباس ، والمدرسة من ورائهم تصر على أن يدفعوا ثمن العلم . ونسيت أن المرأة التى تفر من دار زوجها هى عاهر القلب فاسقة العقل فاجرة الضمير ، وأن المرأة التى تهرب من أولادها ، وهم ملء العين والقلب والفؤاد ، قد انحطت فأصبحت حيوانية النوازع أرضية المشارب .

لقد فزعت الزوجة عن دارها لتحتفظ لنفسها ببهجة الجمال ورواء الشباب ونضرة النعيم ، ولتستمتع بلذة الحياة فى كنف شاب وضيع وسوس لها فاغترها عن عزة النفس وشرف الترفع وسمو الإنسانية . وأرادت أن تسمد بالشهوة الرخيصة إلى جانب شيطانها لخسرت لذائذ الدنيا السامية فى الدار والزوج والولد .

وانطلق الفتى إلى جانبها ، وعيناه تشــمان فنوناً من الختل والخداع ، وحديثه يفيض ألواناً من المكر والمواربة ، وقلبه ينبض

بصنوف من الاحتقار والزراية ، وعقله يضطرم بضروب من الكراهية والمقت . لقد غطى الشيطان على عيني الفتى — حيناً — فاندفع يزخرف الحديث للزوجة ويختلبها بالمظهر البراق ، يوهمها أنه شيء وما هو بشيء ، وفي طبيعة المرأة ضعف وفي جبلتها خور فأسلست له وانقادت فهوت . ولكن عقل الفتى كان يخزه — بين الحين والحين — وخزات عنيفة توقظ في نفسه الندم أن اقترف الجريمة الشنعاء في ساعة من ساعات الطيش الجامح ، غير أنه يرى الزوجة الخائنة إلى جانبه تبسم له في رقة وتحنو عليه في عطف ، فيرق لها قلبه وتتحرك في فؤاده نوازع الرحمة يشوبها الاحتقار ، وتضطرب في نفسه دوافع الشفقة ممزوجة بالبغض .

أما هي فكانت تتملقه وهي ترى ثوب الرياء الذي تسربله حيناً من الزمن يتكشف أمام ناظريها عن ألوان من الضعة والسفالة والفقر ... ولكنها كانت تتملقه وهي تحس في نفسها ألماً يتصدع له قلبها وينقد فؤادها ... تتملقه لأنها لم تعد شيئاً سوى جيفة نتنة ملقاة على الثرى ، وهي تخشى أن يقذف بها صاحبها إلى عرض الشارع .

لا عجب ، فقد كان الشاب — في يوم ما — يحب الزوجة حباً براه فالقاً كبده ، ولكنه كان حب الحيوان يرنو إلى الأنثى ليقضي منها وطراً . فلما ظفر بمأربه بدأ الملل ينسرب إلى قلبه وضاق هو بحاجات المرأة ورآنيه ضئيل تافه . وخانته شجاعته فلم يقو على أن يكشف لها عن خواطر عقله ، فعاشا معاً زماناً .

وانطوت الأيام تمسح بيدها الرفيقة على قلب الزوج عسى أن تلتئم جراحه أو تسرى عنه بعض همه ، وترفقت به العناية الإلهية فتدفقت في مفاصله روح الصحة والعافية ، فإذا هو — بعد أيام — في مكانه في المدرسة يجد السلوة في عمله بين كراسانه ودفاتره وتلامذته . ولكن ستراً كثيفاً من الأسى ما زال ينسدل على جبينه فيبدو كئيباً ضيق النفس لا تنفرج شفتاه — أبداً — عن ابتسامة .

وسأله صاحب له — ذات مرة — عن ما أصابه فقال : « لقد ماتت زوجتي وخلفت لي صغاراً لا أجد من يكفلهم في غيبتي وإن عملي ليرغمني على أن أقضي ساعات النهار كلها في المدرسة » فقال له صاحبه « أحقاً ما تقول؟ » قال « نعم ، لقد ماتت من تاريخي أنا فقط » وتراءى للصديق أن حادثة اجتاحت الزوجة وطمّت على بشاشة الزوج في وقت معاً ، فقال له في لهفة وشفقة « وكيف ؟ » فجلس إليه يقص القصة كلها وإن عبراته لتتدفق هتّانة ثم قال : « وأنا الآن أضيق بالحياة فما أصبر على الوحدة ولا أستطيع أن أتزوج فأضرب أولادي باليتم والضياع . فلا معدى لي عن أحد أمرين : إما أن ألقي بنفسي في اليم فأخلص من عذابي بين أمواجه وإما أن أذهب إلى السودان مرة أخرى فأفقد روحي بين لظى الحر وقيظ الهاجرة » فقال له صاحبه في فزع : « وأولادك ؟ ... أولادك يا أحمق ؟ » واضطرب قلب الرجل فآثر أن يبقى بين أولاده يرعى شأنهم ، وهو يتشبث بالصبر والسلوان . وكان صاحبه ذا شأن ومكانة فجذبه من مشغلة التدريس إلى فراغ الديوان ليجد من وقته فراغاً للدار ومن قلبه سعة للولد .

وقضى الزوج سنة ذاق فيها غصة الحياة ومرارة الوحدة ، وأحس — هو وصغاره — حرقة اليتم ولذع الضياع ، واستشعر — وحده — قسوة القدر وغلاظة الأيام . على حين كانت الزوجة الخائنة تعيش بين ذراعي فتى يصغرها بسنوات ويضيق بعشرتها ، ويرى فيها فنوناً من الضعة والصغار ، ويخشى أن تعبث به كما عبثت بزوجها من قبل ؛ وما حاله بأحسن من حال زوجها يوم أن كان ، ولا هو أعز عليها من أولادها ... ثم ثارت به الشكوك وساورته الريبة !

وجلست الساقطة — ذات ليلة — إلى فتاها تطلب إليه أن يرتبطا معاً بالرباط المقدس ... الزواج ، وتلح في الطلب . ولكنه امتنع عليها وأعرض عنها !

يا لجهل الحمقاء ! لقد عزب عن عقلها الفج أن المرأة المهينة هي لعبة تافهة بين يدي الرجل يلهو بها ساعة ، ثم يحطمها وينبذها بالعراء ؛ لا يحمل لها في نفسه إلا المهانة والاحتقار ، وأن المرأة الصعبة هي في ناظريه كالطود الأشم ينحسر عنها البصر كلما اقترب منها لأنها تتراءى أمامه شامخة باسقة .

وألحت الحمقاء في الطلب فثار صاحبها ثورة قذفت بها إلى عرض الشارع وهو يقول « أفأتزوّج هذه العاهر .. هذه الفاسقة ؟ »

وخرجت الخائنة إلى الشارع في ليلة ممطرة وإن أسنانها لتصطك من شدة البرد وإن جسمها لينتفض من زمهرير الشتاء وإن عبراتها لتنهمر من خيبة الرجاء وضيعة الأمل .

واقتص القدر من الزوجة الخائنة حين قذف بها إلى الشارع لا تجد العون ولا المأوى ، فيا للقصاص العادل ... يا للقصاص !

كامل محمود حبيب

هل تستطيع روسيا غزو العالم؟

للأستاذ فؤاد طرزى المحامى

عندما أعلن كارل ماركس نبوءته بشر بثورة العمال الكبرى التى ستنهى المرحلة الرأسمالية وتقيم على أنقاض عالمها نظاماً شيوعياً، وقال إن الفقر سيكون الدافع الذى يعجل بهذا الانهيار. وقد حصلت الثورة فى روسيا وقام أبطالها بتطبيق نظريات كارل ماركس تمهيداً لإنشاء المجتمع الشيوعى الموعود. واليوم، وبعد أن مر أكثر من ثلث قرن على هذه الثورة، نسمع أن الجيش الأحمر حل محل ثورة العمال، وأن زعامة ستالين خلفت الفقر فى تولى قيادة التاريخ. وبهذا تعلق مصير الشيوعية بهذا الجيش وبهذه الزعامة ولم تعد تعنى تطوراً اجتماعياً محتماً لابد منه. وبناء على هذا التحول نتساءل الآن عما إذا كان فى إمكان الجيش الأحمر ومن وراء قوته روسيا غزو العالم وإقامة النظام الشيوعى؟

* * *

لقد اتضح بسرعة بعد الثورة الروسية أن هؤلاء الاشتراكيين البلشفيين أناس يختلفون فى نزعتهم عن أولئك البلغار الدستوريين والثوريين من اتباع كرينسكى. لقد كانوا من الشيوعيين المتعصبين، وكانوا يعتقدون أن تسلمهم للسلطة فى روسيا ليس إلا بداية للثورة الاجتماعية، فعملوا على تغيير النظام الاجتماعى والاقتصادى وإقامة نظام جديد بمقول لم تنضجها التجارب. وإن كانت الحكومة البلشفية قد نجحت فى كفاحها ضد التدخلات الخارجية والثورات الداخلية، إلا أن نجاحها كان أقل فى محاولاتها لإقامة نظام اجتماعى جديد يرتكز على المبادىء الشيوعية. فقد كان الفلاح الروسى، ذلك الفلاح الجائع صاحب الأرض الصغيرة، بعيداً عن الشيوعية فى آرائه وطرائقه فى الحياة بعد الحوت عن الطيران كما يقول ويلز. إن الثورة منحته أرضاً من تلك الأراضى التى كان يملكها الملاك الكبار، ولكنها لم تيسر له إنتاج غذائه لغير معاملات التبادل النقدية، بل إن الثورة دمرت من بين ما دمرت قيمة النقد ذاتها. يضاف إلى ذلك أن الفوضى كان قد سبق لها أن شملت الإنتاج الزراعى من جراء انهيار طرق السكك الحديدية أثناء المجهود الحربى فتقلص هذا الإنتاج تقلصاً انتهى به إلى أن غدا مجرد إنتاج للطعام يتعهده الفلاحون لاستهلاكهم الخاص. وجاعت المدن وفشلت فشلاً تاماً كل المحاولات الارتجالية الداعية لتحويل الإنتاج الصناعى وفقاً للمبادىء الشيوعية. وما إن حل عام ١٩٢٠ حتى كانت روسيا قد عرضت أول اتجاه من نوعه فى المدينة الحديثة إلى الانهيار التام. وأعقب ذلك انهيار خطوط السكك الحديدية وخراب المدن وسريان الدمار إلى كل مكان. وفى عام ١٩٢١ حل جدب عام وسرت بين الفلاحين المنتجين مجاعة كبرى دمرت المناطق الجنوبية وأجاعت الملايين من الناس.

ووسط هذه الظروف المؤلمة وضعت التصاميم لتنفيذ عملية الأعمار، ووضعت سياسة اقتصادية جديدة. وبمقتضى هذه التدابير منحت حرية لا بأس بها للمالك الفردى ولصاحب المشروع الخاص على عكس ما يتطلبه المنطق الماركسى. ولهذا لاح أن روسيا قد تخلت عن الاشتراكية وأنها أصبحت تعيش فى ظروف تشبه نوعاً ما تلك الظروف التى كانت عليها الولايات المتحدة فى المئات الأولى من سنى تاريخها. فقد ظهرت طبقة الفلاحين المرفهين من الكولاك الذين يشبهون الفلاحين الأمريكيين الصغار وتضاعف عدد التجار المستقلين. ولكن الحزب الشيوعى لم يكن يميل إلى ترك وسائله الخاصة فى سبيل السماح لروسيا أن تسير على النمط الذى سارت عليه اليقظة الأمريكية منذ مئات السنين.

وفى عام ١٩٢٨ بدأ مجهود ضخم جبار لإعادة البلاد إلى الطريق الشيوعى فى التطور الاجتماعى. فوضع مشروع الخمس سنوات وفق تصميم يروم دفع البلاد إلى الأمام لتحقيق توسع سريع فى ميدان التصنيع، وعلى الأخص، وبصورة كبيرة، فى مجال المصنوعات الثقيلة وإعادة تنظيم الإنتاج الزراعى حسب أسلوب الإنتاج الكبير الذى تتعهده المزارع التعاونية. وفى شهر يناير من عام ١٩٢٤ خسرت روسيا قيادة لينين البارعة، وكان خلفه ستالين صاحب يد قوية قاسية فعمل على تصنيع البلاد بالعنف ولكنه لم يصب أى تقدم رغم كل المحاولات. وما إن حل شتاء عام ١٩٣٣ ١٩٣٤ حتى وجدت روسيا نفسها دفعة واحدة تواجه نقصاً كبيراً

فى الطعام . وخلال كل هذه المراحل كانت بقية الدول فى العالم مشغولة فى اجتناء نظام الفائدة الخاصة ، مراقبة التجربة الروسية مراقبة يمتزج فيها الفضول بعدم الثقة والتهيب . ولكن هذه التجربة كانت تتحول من حال إلى حال ومن شكل إلى شكل . فإن الضغط العنيف على المارضة قد استمر على قوته مما اضطر كل أسلوب من أساليب المقاومة أن يعمل فى الخفاء والسر ، وبذلك كان الأمر ينتهى بالمارضة المضغوط عليها إلى أن تصبح معارضة دموية .

وأخذت دواعى الانفصال تأكل فى قلب النظام الجديد ، وأعقب وفاة لينين صراع طاحن من أجل السلطة ، بين تروتسكى الذى يعزى إلى قيادته المسكرية اللامعة النجاح الذى أحرزته الجمهورية فى المارك الدفاعية التى خاضتها عام ١٩١٩ — ١٩٢٠ وبين ستالين سكرتير الحزب الشيوعى سابقاً . إن التفاصيل الكاملة لهذا الصراع المعقد لا تزال غامضة لم يزح عنها النقاب ؛ فقد كان تروتسكى موهوباً ولكنه كان مغروراً ، أما ستالين فكان صلباً مستبداً برأيه . وأدى الصراع بينهما إلى تقسيم القوة الماركسية اليسارية فى جميع العالم إلى جبهتين متخاصمتين .

وشوهد فى روسيا نفسها الكفاح السرى الذى يوجهه المارضون من الموظفين والمستخدمين ضد ستالين فى إدارته ، ولكن أكثر قوى هذا الكفاح قد ضاع فى وسط شديد الغموض وفشت بين الجبهات المارضة بكل تأكيد بعض الخيانات والانشقاقات ، إلا أن هناك احتمالاً يقرب من اليقين يؤيد بأن المارضة كانت موجودة فى زمان لينين ؛ وأنها ازدادت نشاطاً وترابطاً بعد وفاته . وسلكت الحكومة الستالينية فى بادىء الأمر سياسة معتدلة مع هؤلاء المارضين لفترة من الزمن .

وقد سيق إلى المحاكمة عدد من الموظفين المسؤولين ومعهم عدد من الفنيين البريطانيين متهمين بأنهم يعوقون عن عمد المحاولات الجارية لتصنيع روسيا . وانكشف الستار بعد عدة محاكمات متتالية عن عناصر سياسية متآمرة . ولكن حتى مقتل واحد من أقرب المقربين إلى ستالين وهو وزيره (كيرون) الذى قتل أثناء قيامه بواجبه فى الكرملين فى أول ديسمبر ١٩٣٤ ، وإلى حد هذا التاريخ كان المتهمون يساقون إلى السجن أو إلى المنفى ؛ إلا أن الأمور بعد هذه الحادثة أخذت تتجهم وتزداد حلوكة . فى ربيع ١٩٣٤ فقد ستالين زوجته فى ظروف لا تزال إلى الآن غير معروفة بل وأن هناك من يظن أنها انتحرت بسبب الآلام التى قاساها الفلاحون عند تطبيق مشروع السنوات الخمس . وبعد أن نفض ستالين يديه من جميع معارضيه قتلاً وتشريداً وحبساً وجد نفسه بلا صديق حميم فراحت المحاكمات السياسية تتبع الواحدة الأخرى ، وأصبح الموت هو الشيء الوحيد الذى يتبع مجرد الاتهام ، وقتل القادة البولشفيك الواحد بعد الآخر ، ولم يبق منهم غير اثنين أو ثلاثة . وغدا ستالين طاغية لا يعرف معنى التسامح ولا أسلوب التسويات بل كان همه مكافحة المتآمرين على حياته ومصلحته .

هذه هى الحالة التى كانت عليها روسيا عام ١٩٣٨ ؛ فالحياة المادية فيها — كما يقول ويلز فى كتابه تاريخ العالم — كانت تعانى الإجهاد يصاحبها نقصان تدريجى فى الإنتاجين الزراعى والصناعى . وقد كان فى وسع الجيش الهتلرى لو وجه كل قواه منذ أول الحرب لغزو روسيا أن ينجح أكثر من نجاحه الذى حققه فى الغزو الذى شنه بعد أن استنزفت القوى الألمانية وبعد أن استطاع الإنجليز والأمريكيون أن يزيدوا مواردهم ويضاعفوا إنتاجهم .

ومع أن قوات الروس والحلفاء ظلت متعاونة قرابة أربع سنين إلا أن الهوة التى تفصل بين الأهداف الروسية والأهداف الأمريكية سرعان ما فصلت بين الحلفاء الغربيين وبين روسيا بمجرد انتهاء الحرب ، وعاد العالم — كما حدث فى كل مراحل التاريخ — لينقسم إلى معسكرين متعادين متعارضين ، وأخذت تتردد أحاديث الحرب الجديدة على الشفاه ، فيكتب عن هولها الملقون ، ويتنبأ بنتائجها الباحثون والكاتبون . ولا يمكن حتى لأشد الناس تفاؤلا أن يكتم يقينه بوقوع الواقعة يوماً ما ، لأن ستالين قد أعد جيشه الأحمر ليكون رسولا لمبادىء كارل ماركس ، كما سبق لهتلر أن أعد جيش الرايخ ليقيم النظام الجديد . فما هى الموارد التى تمون هذا الجيش الذى أضحى بديلاً من الثورة العمالية الكبرى ؟ أو بمعنى أصح ، هل روسيا قادرة على تحقيق حلم ستالين بإقامة قيصرية روسية كبرى مركزها الكرملين ؟

* * *

هل تستطيع روسيا أن تثير حرباً ؟ هذا هو السؤال الذى

المــــــازنى فى عهدين

بين ابراهيم الكاتب وابراهيم الثانى

للأستاذ غائب طعمة فرمان

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

فى نهاية رحلته ... يدلف إبراهيم الكاتب إلى المقبرة ... العالم الملىء بالذكريات ... لتذكره بالموت ... ويملأ عينيه بالرفات الباقى من حيوات كثيرة ... وما أشبه الرفات بالذكريات !.. أليست هى بمثابة رفات لحبه الماضى ؟!.

وهناك فى ذلك الجو الساكن الرهيب يفكر فى أمر هـذه الحياة العجيبة الغامضة الغريبة التى يمتزج فيها الصراخ بالغناء، ويختلط بها الألم بالطرب ... وهو يردد « لا شك فى أن الحياة عمياء صماء ... فليتها توهب البصر هنيهة لترى هذا الخليط من الحسن والقبيح، والخير والشر ! ويا ليت ! من يدرى ماذا تصنع إذن ؟.. أترى يثور الخجل بهـا، فتعصف بكل شىء وتمحوه، أم تأخذ فى إصلاحه وعلاجه فى صبر وأناة . » ... أما لو كنت أنا الحياة لتناولت ما أخرجت كفاى من طينة الأرض المحدودة، ودككته وحطمته، ثم ذررته لهذه الرياح .

وتلك فلسفة ابراهيم الكاتب التشاؤمية ... تلك الفلسفة القائمة التى تعتبر الحيـاة « قبضة ريح » و « حصاد الهشيم » و « باطل الأباطيل » وهى فلسفة الكتاب المقدس الذى أشربت نفسه حكمته — كما يقول الدكتور محمد مندور .

ويدركه الأعياء فيقول لنفسه :

« الموت على الأقل راحـة ... فليت الحادى يعجل بنا، فقد سئمت الحياة، وملت النظر فى وجهها الملطخ، وثوبها المرقع، واشتقت أن أرقد هنا إلى جانب ... » .

ولـكن صوتاً قوياً يصرخ من جانب القبر ... « لا ... » .

ويظل القول يعاتبه فيقتنع ابراهيم بذلك ويقول :

« حسن ... سأحيا من أجلك، وأتقى المهالك إكراماً لك، وظناً بك أن تلحق بالأموات جداً . »

يجابهنا اليوم، وفى الإجابة عنه نقول إن خطط روسيا الحربية يجب أن تبنى على اقتصادها الصناعى فى حين أن المعلومات عن هذا الاقتصاد غير متوفرة تمام التوفر . ومع ذلك فهناك عدد من الحقائق الأساسية يمكن التكهن بواسطتها . ولنبدأ أول ما نبدأ بالسكان ثم ندرس بعد ذلك مساحة البلاد نفسها . وفى هذا المجال من الخطأ الظن بأن روسيا إقليم ضخم ذو ثروة وإمكانيات غير محدودة . فمساحة روسيا تبلغ ما مقداره (٤٥) مرة بقدر مساحة ألمانيا ؛ إلا أن أكثر من نصف مساحتها غابات، وما يقارب خمسها صحراء أوشبه صحراء، ولا تتجاوز المنطقة الخصبة ثمن المساحة الحقيقية . وهذا يعنى أن قابلية روسـيا لإعاشة (١٨٢) مليون نفس لا تتجـاوز قابلية أمريكا لإعاشة (١٤٢) نفس، ويعنى أيضاً بأن الروس سيعانون دوما نقصاً فى غذائهم وستبقى روسيا مدة طويلة من البلدان التى تدركها المجاعات .

ويوجد حوالى خمسة ملايين من الروس مشتتين فى منـاطق بعيدة تشتتاً أضاعهم فى الغابات والمجاهل الواسعة، وكذلك فإن عدد السكان الروس العاملين لا يتجاوز عدد السكان الأمريكيين العاملين . وإذا أضفنا إلى ذلك أن أغلب المصانع الروسية متركزة فى المثلث الذى يمتد من « لينينغراد » و « أكرانيا » غرباً إلى المناطق الصناعية الجديدة فى وسط سيبريا وهى المنطقة الروسية المنتجة الوحيدة، وأن هذا المصدر الرئيسى المتركز داخل المثلث مكشوف تماماً، عرفنا مقدار انحطاط القابلية الصناعيه فى روسيا ومقدار تعرضها للخطر فى حالة نشوب حرب حديثة .

ويبلغ الإنتاج الروسى اليوم إنتاج الولايات المتحدة قبل ٤٨ سنة . ونحن نعرف أن الحرب قد أتلفت الكثير فى ألمانيا وإيطاليا واليابان وإنجلترا إلا أن التلف الذى حصل فى روسيا يفوق كل تلف سواه، فقد خسرت روسيا ٥٨ بالمائة من طرقها الحديدية و ٤٤ بالمائة من قوتها الـكهربائية و ٤٥ بالمائة من إنتاجها من الحديد و ٥٥ بالمائة من إنتاجها من المواد الغذائية، كما خسرت الملايين من البيوت والبنايات والجسور .

(البقية فى العدد القادم)

فؤاد طرزى المحامى

ولـكن ... من أجل مَنْ ؟.

« من أجل التي لها يحيا ، وفى سبيلها يسعى ، وبها وحدها يمضى طائعاً أو كارهاً ... من أجل نفسه ! » .

* * *

ويمر ذلك العهد ... عن العاطفة الصارمة ، والحب الجارف ، والاندفاع وراء القلب الرهف ... عهد كان أخوف مايخافه ويضجر من شقائه هو العقل ... العقل الذى لا يستسيغ تصرفات قلبه الجامح، ولا يطمئن إلى عاطفته الحارة ... فـكان ابراهيم الكاتب يقول:

« أوه ... العقل !. العقل !. ليت المقادير حرمتنا هذه النعمة التى لم نغن بها » ثم ينقضى عهد العواصف واليأس والقنوط .

وتنقلب صفحة مليئة بالأشجان ... لتطلع علينا صفحة ثانية تقص علينا قصة حيـــاة أكثر اطمئناناً ، ورضى بنصيبها ، وفهماً لديناها ... قصة تزول عنها حمى العاطفة ونزواتها وطيشها ، وتنقلب إلى حكمة ودراية واتزان .

تلك هى حيـاة ابراهيم الثانى .. أو إذا أردنا الدقة ... حياة ابراهيم الـكاتب بعد أن تغير تغيراً كبيراً ، أو كما عبر المازنى نفسه « ولو أمكن أن يلتقى الابراهيمان — ابراهيم الـكاتب وابراهيم الثانى — لاحتاجا إلى من يقوم بينهما بواجب التعريف »

فابراهيم الثانى اليوم فى العقد الخامس من عمره ... أورثته حياته المرهقة ، وإحساسه العميق ، وذكرياته الطويلة ، وسواساً قوياً يخيفه ، ويأخـذ بمجامع قلبه ، وقلقاً صارماً يستحوذ على فـكره ... « فقـد كان أخوف ما يخافه أن يكون قد شيخ ، أو أشفى على الشيخوخـة » فهذا الهاجس يعذبه دائماً ، ويحيل حيـاته إلى عذاب نفسى أليم ... وينغص عليه عيشه ... وكأنه يلمح على عتبة الحياة شبحاً مدبراً هو شبح شبابه حاملاً معه كل حلم من أحلامه ، وكل زهرة من زهرات ربيعه .

ويزداد هذا الوساس بعد موت أمه ، وقام فى خلده أنه شب عن الطوق جداً جداً ! ، ودخل مداخل الرجال الذين لا يحتاجون إلى تعهد ورعاية ... فهو يدلف إلى الشيخوخة بقوة لا يستطيع لها دفعاً ، ويخلص من نعيم الشباب وهو ممتلج القلب بالعواطف.

ولـكن ... مهلا ما الشـباب ... أليس هو إيحاء وشعور يستوليان على النفس ... وهل خلى ابراهيم من إيحاء الشباب والشعورية ؟!

ولـكن اليأس المضنى يدركه حين تصور له أوهامه ، وتلف أعصابه أنه موشك على الموت ، ذلك العالم المجهول لشد ما يخيفه ، ويفزعه ، وذكراه وحدها كفيلة بأن تقلقه ... « يا ويحه إذا رأى جنازة أو فاجأه عويل نسوة على ميت ... » .

غير أن شيئاً من الاطمئنان يسرى فى نفسه حين يتزوج ، ويرى من زوجته امرأة عظيمة الإخلاص ، حنوناً ترفق به ، وتحبه ، وتسهر على مرضاته ، وتقوم مقام الأم الرؤوم ، والصديقة الوفية ، والزوجة المخلصة .

ولـكن الإحساس بالشيخوخة والمرض لا يلبث يطارده ، فتنقلب عاطفة ابراهيم الـكاتب إلى برود ، وينسخ العقل والتفكير أحكام العاطفة ، وتتحول النار المضطرمة إلى رماد ! .

وتخلو حيـاته من العواصف ... فالاتزان عماد حياته ، فلا الحب يهزه — كما كان يهز خلفه — ولا الحزن يأخذ بأفكار نفسه ... فإذا قام الحب بينه وبين امرأة على رغمه ، وتصارحه امرأة بما فى صدرها من كامن الحب يقف كالشيخ الجليل أمام النار المتوقدة التى تطلب الوقود ... ويحاول أن يخمدها بحكمته .

دعنى أنقل لك موقفاً من مواقف حكمته لترى مقدار التغير الذى أصاب ابراهيم الـكاتب .

« عايدة » فتاة عزيزة تعانى الـكبت الشديد ، والحرمان من كل ما عسى أن يكون فيه إرضاء للأنوثة ، وتلطيف من حدة ثورتها الطبيعية ، وقلة الثقة بنفسها ، كثيرة الوسواس ، تنتابها الأزمات العصبية وتتركها مهدمة محطمة ... وهى مع ذلك ذات جمـال وفتنة وقوام رشيق ... تتعرف إلى ابراهيم ، فترى فيـه رجلا يملأ عينيها ، وترتاح إليه ، وتهرب إلى كنفه من رمضاء الحياة . وتجد فى صحبته ملاذاً من وساوسها وأوهامها ، وكهفاً تستكن إليه حين تعصف العواصف فى سماء نفسهـا القلقة الهشة ... وعلى مر الأيام يتسلل عطر الحب إلى صدرها ، حتى يضيق به ، فتصارحه بذلك :

— « أنت حبيبى ... نعم ... لا تفتح فمك هـكذا كأن فى

رميتك بحجر ... ما حيلتى ؟. كن منصفاً ... ألقاك كل يوم وأسمع حديثك ، وأشعر بقربك ، ولا أرى أو أسمع سواك ، وأحس عطفك ... لقد علمتنى أشياء ... وإنك لمسئول عنى ... ولا أمل لى فى الحياة ... وليس لى غيرك ... أنت عزائى فيها . »

نعم ... تلقاه كل يوم . وتتحدث معه ، وتشعر بقربه . ولكن قلبه لا يتحرك لها ، ولا يستجيب لنداء فؤادها ... ما خطبه ؟. لقد خمدت فى جوفه النيران !!. فيجيبها جواباً أشار به عقله ، ولم يستشر هواه :

— « اسمعى يا عايدة ... إنك عزيزة علىّ ، أثيرة عندى ... ولكن الحب شىء آخر !. لا ينبغى أن يكون بيننا هذا ... إنه يفسد كل شىء علىّ وعليك !!. أنت فتاة صغيرة عزيزة ومستقبلك كله أمامك ... وأنا رجل كهل قد خلفت صباى ورائى . ثم إن لى زوجة تحبك وتأنعك . إسمحى لى أن أقول إنى لا أصدق أن فتاة مثلك يمكن أن تحب رجلا مثلى ... كلا ... ليس هذا حباً وإنما هو فورة إحساس ... إنها حركة نفس مكبوتة ليس إلا ... نشوة عارضة تحسينها ، وتغلطين وتتوهمينها حباً . »

إنه صوت العقل ... العقل الذى ركن إلى الاتزان ، وابتعد عن صحراء الحب وعطشه ... وقد فطنت الصغيرة عايدة لذلك فصرخت فى وجهه قائلة : « إنك آلة مفكرة لا إنسان من لحم ودم ! »

وقد صدقت عايدة ... تلك التى ماتت وهى تعانى آلام الحب المجروح الذى وقف متضرعاً أمام هيكل العقل المكين ... وابراهيم الثانى يعرف مبلغ تحكم العقل فيه فقال يصف نفسه « ويعرف من يعرفونه أنه رجل عاطفة ووجدان ، وإحساس مرهف وأعصاب كالأوتار المشدودة ... ولكنهم كثيراً ما كان يخفى عليهم أن عقله مسيطر على عاطفته ، وأن زمام نفسه لا يفلت من إرادته ، وأن العواطف عنده تتحول إلى فكرة ... فهى غذاء لعقله ، كما يتحول الطعام قوة فى بدنه ... »

وأين هذه القمة الباردة من لهيب العاطفة ، وحرارتها فى ابراهيم الكاتب ؟. ابراهيم المندفع وراء قلبه ... إذا استقر الحب فى سره مدة عذبه ، وانقلب حسكا لا يجد الإرادة القوية التى تقف دون إفشائه .

ويلذ لابراهيم الثانى أن يكون طبيباً نفسانياً يدرس مرضاه ، ويسدى لهم النصح ويهديهم سواء السبيل ، ويقف أمام « المشرحة » وأمامه نفس تتعذب وتتلوى من الألم ... وفى صدره إرادة لا يقهرها أى قاهر .

وينفرط عقد القصة ، وتبدو الحوادث مفككة الأجزاء حتى ليخيل إليك أنك أمام مذكرات لطبيب نفسانى يسرد أعماله النفسية فحسب .

وتنطوى مع صفحة الشباب المندفع صفحة أخرى هى صفحة تشاؤمه وحزنه ويأسه وما يخيم فى سماء حياته من غيوم .

واستسلم القلب المنكوذ إلى القناعة ، والعقل المفكر إلى أحضان الواقع :

« إن الدنيا ليست بالجنة ، ولم تخلق على هوانا ، ولا كان لنا رأى فى خلقنا نحن ... وإنما جئنا لأن نواميس الحياة اقتضت أن نجىء ، فغير عجيب أن يكون ثم ما يسخطنا ولا يرضينا ، ولو ذهبنا نتسخط كل مالا يرضينا لما عادت الحياة محتملة ، فالصبر والحكم وتناول الأمور برفق وتسهل ، أوجب ما يجب ، وأدل شىء على حسن الفهم وصحة الإدراك ، وليس هذا من قبيل قولهم ليس فى الأمكان أبدع مما كان ... فإن كل ما فى الدنيا قابل لتحسين وإصلاح وتهذيب ... وإن لم يكن فى ذاته غاية فى السوء والفساد ...

... وأهرق كأس الحزن على أطلال الماضى ، ولم تشغله أشباح الزوال ، ولم تعمر فكره الرؤى القاتمة ، وتساوى عنده قصر العمر وطوله فى مقياس الفكر والإحساس ، والشعور والإدراك :

« إننا أعطينا الحياة ولم نعطها بشرط ، وقد أعطيناها لنحياها لا لنقطع نفوسنا حسرات على أنها لا محالة زائلة ... ولا قيمة لطول العمر أو قصره فإن العمر لا يقاس بعد السنين بل بمبلغ ما يعمره من الإحساس والفكر » .

وكفرحة الراهب برجوع الصابىء إلى ديره يفرح ابراهيم حين يرجع أحد مرضاه — أحد أشخاص روايته — إلى الطريق السوى ... فاليوم يعيش فى فكره ... أما قلبه فقد دفنه فى الماضى البعيد .

(بغداد) غائب طعمة فرمان

ركن المعتزلة :

قدرة الله في مذهب المعتزلة

للدكتور ألبير نصرى نادر

ردّت المعتزلة جميع صفات الله إلى ذاته . فإذا تحدثوا عن قدرته تعالى ، فهم ينظرون إليها كأنها وجه آخر من أوجه الذات يبحثونها على زعم أنها اعتبار ذهني ليس إلا وغير موجودة حقيقة في الذات .

ما يقدر الله عليه :

كما أن علم الله يشمل كل شيء ، كذلك قدرته تعالى منبسطة على كل شيء — وتميز المعتزلة بين قدرة الله وما يقدر الله عليه ؛ ويقول أبو الهذيل في هذا الصدد : إن لِما يقدر الله عليه غاية ونهاية في العلم به والقدرة عليه والإحصاء له ، ليس يخفى على الله منه شيء ، ولا يعجزه شيء منه[١] . ومن أدلته على ذلك قوله تعالى : (إنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ)[٢] . (وبكلِّ شيءٍ عليم)[٣] . (وأحصَى كلَّ شيءٍ عدَداً)[٤] .

كما أنه لا شيء يغيب عن علمه تعالى كذلك لا شيء يخرج عن قدرته تعالى ؛ ولو لم يكن الأمر كذلك لكانت قدرة الله عاجزة ضعيفة ، وعليه تكون ذاته ناقصة ؛ وفي هذا تناقض لأن علمه وقدرته تعالى هما ذاته .

وحين يقول أبو الهذيل ومعه المعتزلة أجمع : إن الله على كل شيء قدير ، هل يعني هذا القول أن قدرته تعالى لا يُمكنها أن تتعدّى حدود ما قدر عليه وأنها تحققت كلها فيما قدرت عليه كما أن علمه شمل كل المعلوم ولا يمكنه أن يتعداه ؟ وبمعنى آخر هل لقدرة الله حدّ هو هذا العالم المخلوق ؟ ولو انبسطت على ما ليس متحققاً أو ممكناً لكانت قدرة بدون مقدور ؟

(١) الخياط : كتاب الانتصار ص ٩

(٢) النحل ١٦ — ٧٦ ، والبقرة ٢ — ٢٠

(٣) البقرة ٢ — ٢٨

(٤) الجن ٧٢ — ٢٨

يحكي ابن حزم عن أبي الهذيل بهذا الخصوص قائلاً : وقال أبو الهذيل بن مكحول العلاف إن لما يقدر الله عليه آخر ولقدرته نهاية لو خرج إلى الفعل لم يقدر الله تعالى بعد ذلك على شيء أصلاً ولا على خلق ذرة فما فوقها ولا إحياء بعوضة ميتة ولا على تحريك ورقة فما فوقها ولا على أن يفعل شيئاً أصلاً[١] .

ويقول ابن حزم في مكان آخر : وكان على الأسواري البصري أحد شيوخ المعتزلة يقول إن الله عز وجل لا يقدر على غير ما فعل[٢]

إن هذين القولين اللذين يذكرهما ابن حزم لا يمطيان فكرة صحيحة عن قول أبي الهذيل والأسواري ولا عن قول المعتزلة فيما يختص بقدرة الله . ويكفينا أن نرجع إلى تعريف المعتزلة لقدرة الله لندرك أن في مذهبهم القدرة هي الذات وأنها غير متناهية . وإذا بدت لنا هذه القدرة بواسطة بعض الأشياء المتحققة فالمعتزلة لا يستنتجون من ذلك أن قدرته تعالى محدودة بهذه الأشياء لأنه زيادة على ما تحقق من الأشياء توجد أشياء ممكنة وغير متناهية في العدد تتحقق في الزمان أو خارجا عنه ، ولكنها لا تخرج عن قدرته تعالى لأن هذه القدرة لا متناهية كالذات . فعلى ذلك إذا كان ما تحقق وما يتحقق من الأشياء محدوداً في العدد والكم والإيماض فإن هذا شيء لا يعني أن قدرة الله تقف وتنتهي عند هذا الحد لأنها غير متناهية .

تجنب المعتزلة للمذهب الحلولي Pantheisme :

كما أنه لا يوجد عالِم بدون معلوم ولا قادر بدون مقدور عليه ، كذلك توجد موازاة بين الله والعالم . فمن جهة نرى علماً وقدرة غير متناهيين ولهما موضوع ؛ ومن جهة أخرى نرى موضوعاً لامتناهيا وأزليا نوعاً ما ، لأنه يقابل فاعلاً متحلياً بهاتين الصفتين : صفة العلم وصفة القدرة الغير متناهيتين ؛ ألا وهو الله الذي هو في مذهب المعتزلة كله علم وقدرة .

فيكفينا أن ندمج فكرة الله هذه (وهو الفاعل) في العالم (وهو الموضوع أعني موضوع العلم والقدرة) حتى ننتهي إلى المذهب الحلولي وهو خلط الله وإدماجه في العالم . ولكن المعتزلة تميز دائماً بين ماهية الفاعل وماهية الموضوع ، وهذا ما أدّى بهم

(١) ابن حزم : الفصل ج ٤ ص ١٤٦

(٢) المصدر نفسه ص ١٥٠

إلى التكلم فى العدم واعتباره شيئاً متميزاً تماماً عن ماهية الله . والعدم فى مذهبهم هو مادة العالم التى ينقصها الوجود والله يمنح هذه المادة الوجود ليكوّن العالم المخلوق .

العلاقة بين علم الله وقدرته تعالى :

قالت المعتزلة إن علم الله هو هو ، وإن قدرته هي هو ؛ فعلى ذلك تكون الذات هى العلم والقدرة . فإذاً علمه وقدرته تعالى يختلفان تمام الاختلاف عن العلم والقدرة عندنا لأنه كثيراً ما يقوم الخلاف بين العقل وهو عندنا ملكة المعرفة ، وبين الإرادة وهى عندنا ملكة التنفيذ والعمل . وكم من الأحيان ندرك الشىء الحسن ونميزه ولكنا بالرغم من ذلك نفعل العمل السىء — لكن فى الله العلم هو القدرة والقدرة هى العلم ؛ لذلك نجد عليًّا الأسوارى المعتزلى يشدد بحق على العلاقة بين علم الله وقدرته إذ يقول : إن من علم الله أنه سيموت ابن آدم ابن ثمانين سنة ، فإن الله لا يقدر على أن يميته قبل ذلك ، ولا أن يبقيه طرفة عين بعد ذلك . وإن من علم الله من مرضه يوم الخميس مع الزوال مثلا فإن الله تعالى لا يقدر على أن يبرئه قبل ذلك لا بما قرب ولا بما بعُد ، ولا على أن يزيد فى مرضه طرفة عين فما فوقها[(١)] .

يدهش ابن حزم كل الدهشة من هذا القول فى حين أن المعتزلة تجده قولاً صحيحاً معقولا منطقيا لأنهم يردون جميع الصفات إلى الذات : فعلم الله هو ذاته كما أن قدرته هى ذاته ، فما يعلمه الله فهو قادر عليه ولا يجوز خلاف ذلك ، وما يقدر عليه فهو يعلمه ، ولا يجوز خلاف ذلك فى مذهبهم — فهم لا ينظرون إليه تعالى كما نحن ننظر إلى الإنسان الذى يفكر ويعلم ويقرر ثم لا ينفذ أو ينفذ خلاف ما قرر . لا . لأن علم الله هو قدرته . وليس هناك أى مشابهة بين الله تعالى والإنسان . لذلك نجد أكثر مؤرخى الملل يدهشون لأقوال المعتزلة التى تبدو لهم غريبة ؛ ولكن عند ما ندرك أصل مذهبهم وهو رد جميع الصفات إلى الذات نفهم بسهولة هذه الأقوال ونجدها نتيجة منطقية للأصل الذى بنوا عليه مذهبهم .

(١) ابن حزم : الفصل ج ٤ ص ١٥٠

هل الله مكلف بفعل الأصلح ؟

تقول المعتزلة : أن الله مكلف بفعل الأصلح . وهذا القول نتيجة منطقية لرأيهم فى ماهية الله اللامتناهية والكاملة إذ أنهم يردون إليها العلم والقدرة . ولما كان الله كاملاً فلا يمكنه أن يقف عند ما هو غير كامل وإلا أصبح هو تعالى أيضاً غير كامل . وعلى هذا القول بنت المعتزلة رأيها فى التفاؤل . ويقول النظام والجاحظ والأسوارى والكعبى إن الله لا يوصف بالقدرة على ترك الأصلح من الأفعال إلى ما ليس بأصلح[(١)] . ونحن لا نعجب من رأى المعتزلة هذا لأن الله وهو كل الكمال لا يعزم على خير ثم يميل إلى خير آخر أسمى من الأول كأنه تعالى يتدرج فى مراتب الكمال . فإذا كان الأمر كذلك لم يعد الله كلى الكمال؛ إذ أن فى هذا الخير الأسمى الذى مال إليه الله تعالى بعد تركه الخير الأول يوجد كمال كان ينقص الأول وهذا الكمال كان سبباً فى تحرك الله من درجة فى الكمال إلى أخرى أسمى منها . وهذا التحرك دليل على النقص والنقص برهان على عدم الكمال . وبناء على ذلك يمكننا أن ندرك بسهولة لماذا كان أبو القاسم الكعبى المعتزلى يقول بإيجاب الأصلح للعبد وأن الإيجاب على الله تعالى محال لاستحالة موجب فوقه يوجب عليه شيئاً[(٢)] .

التفاؤل عند المعتزلة Optimisme :

ينوه ابن حزم بهذا التفاؤل عند المعتزلة حين يقول : وقالت المعتزلة كلها إن الله عز وجل ليس فى قوته أحسن مما فعل بنا وأن هذا الذى فعل هو منتهى طاقته وآخر قدرته التى لا يمكنه ولا يقدر على أكثر[(٣)] . ويدافع النظام عن هذه العقيدة الراسخة عند المعتزلة دفاعاً قوياً حيث يقول : إن الله لا يقدر أن يفعل بعباده خلاف ما فيه صلاحهم ، ولا يقدر على أن ينقص من نعيم أهل الجنة ذرة لأن نعيمهم صلاح لهم والنقصان مما فيه صلاح ظلم ؛ ولا يقدر أن يزيد فى عذاب أهل النار ذرة ولا على أن ينقص من

(١) الأشعرى : مقالات الاسلاميين ص ٥٥٥
البغدادى : الفرق بين الفرق ص ١٦٧
(٢) الاسفرائينى : التبصير فى الدين ص ٥٢
(٣) ابن حزم : الفصل ج ٤ ص ١٤٦

عذابهم شيئاً[١] . ثم زاد على هذا بأن قال إن الله لا يقدر أن يعمى بصيراً أو يزمن صحيحاً أو يفقر غنياً إذا علم أن البصر والصحة والغنى أصلح لهم ، ولذلك لا يقدر أن يغنى فقيراً أو يصحح زمناً إذا علم أن المرض والزمانة والفقر أصلح لهم[٢] .

فإذاً كل ما يحصل فى الدنيا وفى الآخرة هو أصلح ما يمكن للعباد . وهذه نتيجة منطقية لنفى جميع الصفات عن الله وردها إلى الذات . والذات غاية الكمال لا يعترضها أى عجز أو نقص ؛ لذلك يلزم أن يكون ما تعمله كاملا .

لكن الإنسان وهو محدود فى عقله يتساءل أحياناً أى خير يوجد فى بعض الأمور والحوادث التى لا يرى فيها سوى النقص والعجز والآفات . إن المعتزلة لا تحكم على الأشياء بجزئياتها ، وإنما تنظر إلى العالم بأسره وتبدى حكمها عليه بأكله . ويذهبون إلى القول بأن الصنيعة كاملة لأن الصانع كامل . فما يبدو لنا كأنه عجز أو نقص أو آفة ، فكل ذلك يساهم فى خير الدنيا العام ، ويصبح خيراً وصلاحاً .

هل يعنى هذا القول أن المعتزلة كانت تميل إلى صبر رواقى على الآلام والشدائد أم إلى صبر كصبر المسيحيين الذين يرون فى الألم طريقاً لكسب خير أعظم ؟ . لا يمكن الرد على هذا السؤال إلا بعد البحث فى مصدر فكرة التفاؤل عند المعتزلة .

مصدر فكرة التفاؤل :

بالرغم من أن النظام هو أول معتزلى تكلم بوضوح فى التفاؤل يقول الشهرستانى إن النظّام أخذ هذه المقالة من قدماء الفلاسفة حيث قضوا بأن الجوّاد لا يجوز أن يدخر شيئاً لا يفعله فما أبدعه وأوجده هو المقدور ، ولو كان فى علمه ومقدوره ما هو أحسن وأكمل مما أبدعه نظاماً وترتيباً وصلاحاً لفعل[٣] . ويرى هورروفتز أن النظام قد تأثر بفلسفة الرواقيين القائلين بأن الشرّ والخير يتبعهما حتماً عقاب أو جزاء ، وذلك حسب قوانين ثابتة لا يمكن

(١) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ١١٥
الخياط : كتاب الانتصار ص ١٧ و ٢٣
الشهرستانى : الملل ج ١ ص ٦١
(٢) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ١١٥
(٣) الشهرستانى : الملل على هامش ابن حزم ج ١ ص ٦١

تغييرها أو تحريفها . فعلى الإنسان يتحمل بصبر وسكوت المصائب والشدائد والآلام إذ لا يمكنه أن يغير مجرى الأمور وسننها . ولكن شتان ما بين رأى الرواقيين ورأى المعتزلة من فرق فى التفاؤل . إن هؤلاء يرون فيما ندعيه شراً سبيلا لخيراً كبير وأعم . فلا يمكننا أن نشاطر المستشرق هورروفتز رأيه هذا القائل أن المعتزلة قد تأثرت بالرواقيين ، لأن المعتزلة لا تنظر إلى الألم فى حد ذاته ، بل ترى فيه سبيلا للخير .

ويقول البغدادى من جانبه إن النظام تأثر بالمثانية القائلين إن الله إله الخير لا يمكنه أن يفعل إلا الخير ولا يمكنه أن يفعل الشر ، لأن الشرّ لا يصدر إلا عن إله الشر . ولكن النظام ردّ على المثانية قولها بالاثنين (إله الخير وإله الشر)[١] .

فتكون المعتزلة قد بحثت أقوال قدماء الفلاسفة وأقوال المثانية واستخلصت منها قولا يتفق وكمال الله تعالى . وجاء قولها متفقاً أيضاً وفكرة المسيحيين فى الألم كطريق لخير أعظم .

البير نصرى نادر
دكتور فى الآداب والفلسفة

(١) الخياط : كتاب الانتصار ص ٣١ ، ٣٢ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ٤٥ و ٤٨ ، ٤٩

ماذا علمتنى الحيــــاة ؟

تأليف الأسقف و . ر أنيج

بقـــلم الأستاذ على محمد سرطاوي

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

أرى من واجبى أن أذكر شيئاً عن آرائى فى الدين ، لأن دين الإنسان الصحيح هو ما يتعلمه فى مدرسة الحياة ، وكثيراً ما يختلف عن المتقد الذى يعتقده وهوصغير . لقد نشأ والداى فى مكان ناء عن المدن فى الريف ، وكانا من المشايعين والمتعصبين لعقيدة التركتاريين القدامى من اتباع بوسى وكبل (Pnsey—Keble) وهم فئة لا وجود لها اليوم ، يتركز معتقدها فى الصلاة وعدم الإيمان بطقوس الكنيسة . وهم يؤمنون إيماناً حرفياً بما فى الكتاب المقدس ، وبصورة خاصة بما نشره الحواريون من تعاليم لم تثبت تاريخياً . ولقد كانوا متقشفين على الطريقة البيوريتانية من حرمان النفس والبذل للمحتاجين . كان يوم الأحد مقدساً جداً ؛ لا ألعاب فيه ، ولا قراءة فى كتب دنيوية . ولسبب لا نعرفه كانت تحرم علينا قراءة الروايات ذات (الغلاف الأصفر) [1] حتى روايات ثاكارى وديكنز كانت تحرم علينا .

أما قصص شكسبير وولترسكوت فكانت تقرأ علينا بصوت جهورى ، لقد كانت ثقافة جيدة على عيوب الرقابة التى فيها .

لكننى سرعان ما تمردت على ذلك ، وأحسب أن أمى لم تغتفرلى تمردى طيلة حياتها ، ولم يسرها مطلقاً تقدى المطرد فى سلك الكهنوت لأن الرأى السائد فى ذلك الزمن كان يتلخص فى أن الرجل المفكر لا يصلح لخدمة الكنيسة . إننى لم أفكر مطلقاً فى المتقدات الدينية إلا عندما صرت محاضراً فى جامعة اكسفورد . لم يكن يسمح لنا فى إيتون بالتفكير فى مشاكل الحياة ، وحينما كنت طالباً فى الجامعة لم يكن لنا هم غير التنقيب عما تطلبه لجان الامتحانات . أما فى اكسفورد فإن أقل محاضر يجب أن يكون فيلسوفاً .

(١) قصص رخيصة داعرة ، تطبع على ورق أصفر وغلافها كذلك ، كانت شائعة فى منتصف القرن التاسع عشر . (المترجم)

لقد كان الصراع بين الدين والعلم — ذلك الصراع الذى أثار ضجة كبيرة فى القرن الماضى — يبحث من جميع وجوهه بحثاً مستفيضاً يبدولنا الآن سخافة مضحكة . أن المتقد الأرثوذكسى يعتمد فى أصوله على النبوءات والمعجزات المتواترة . ليس هنالك سبب يحملنا على الاعتقاد بأن فى مقدور البشر معرفة الغيب . إن المسيح نفســه قد اعترف بعجزه عن معرفة زمان يوم القيامة . والبحث فى صحة تحقيق النبوءات المزعومة يقودنا إلى سبل ثلاث : أما أن تكون النبوءة قد قيلت بعد وقوع الحادثة ، أو أنها حرفت لتوافق الحادثة فى سياق لا علاقة لهـا به أبداً ، أو أن الحادثة اخترعت لتوافق النبوءة . إن الافتراض الثالث يبدو واضحاً جلياً فى الانجيل ، والأمثلة على ذلك تتراءى لنا فى أسطورة الميلاد فى بيت لحم ، وفى أسطورة مذابح الأبرياء ، وفى الهرب إلى مصر .

أما مايتصل بحدوث المعجزات طبقاً لإرادة الله ، فأمر يرجع الإصرار عليه إلى ما تواتر فى المـاضى من رغبة اقتران وقوع المعجزات مع أحداث خاصة ، وهو فى ذاته لا يعـود على الدين بربح جزيل . لم يكن قول جوته : (إن المعجزة ابنة الإيمان العزيزة) إلا تفسيراً لمحاولة الناس ربط قوانين الطبيعة الباردة بتيـار من حرارة الروح ، والهرب من الواقع الجامد إلى الخيال الجميل .

إن الاستناد إلى رحمة الله ، وأنه يستجيب الدعوات وهو المعتقد الأساسى لكثير من الناس قد يكون فى الاستطاعة من جهة أخرى ، كما اقترح ، اختبار أثر دعاء المخلوق إلى الخالق ، بطريقة عملية ، كما اختبرت (التلباثى) وهى نقل الأفكار من شخص إلى آخر — وكما ثبتت فى الولايات المتحدة ، وفى هذه البلاد ، على رأى بعض الناس . والسخط البالغ الذى تقابل له تجربة من هـذا النوع ، يخفى وراءه الحقيقة المريرة وهى الفشل التام للتجربة . أن الإله الذى لا يعمل — كما يخيل لناس — أما أن يكون لا ظل له فى الوجود ، وإما أنه قانون مجسم من قوانين الطبيعة .

أما ما يتعلق بالعلم فقد كان الجدل فيه عقيما . لقد أنكر علماء العصر الفكتورى « المادة » ، وفسروا العـالم بأنه أنواع من (الكم) الميكانيكى ، ضاربين صفحاً عما سماه بسمارك « الأجسام التى لا ثقل لها » ، ووصلوا عن طريق ذلك إلى ما سموه « بالنظام

التماسك المتلاشى » . وما دعوه خطأ قانون النسبة لم يكن غير قانون الاستمرار الدائم .

أما العلم الصحيح فلم يكن غير الرياضيات . ليس بالصحيح القول أنها تبصرنا بحقائق لا قيمة لها ؛ لأن الحقيقة فى حد ذاتها قيمة مطلقة . إن الرياضيات تضرب صفحاً عن القيم النهائية ولا تؤمن بها ، وتغض الطرف عن قانون الحرارة والعمل الميكانيكى الثانى (ترموديناميك) والذى بموجبه تتحرك الدنيا فى اتجاه عقرب الساعة .

أما الدين ، والمثل العليا فقد أضاف هربرت سبنسر كل ما يدرك إلى العلم ؛ ومالا يدرك إلى الدين ، وخطا لبزلى ستيفن خطوة أكثر فتحدث عن الحقائق الثابتة والأحلام . لقد طفت (دنيا القيم) كالضباب على وجه العالم الملموس فى النجوم والذرات ، غير أنها احتفظت ببعض عتوها فيما يتصل بالأمور الخارقة للمادة والتى سميت بالمعجزات والتى لم يأبه بها العلم كثيراً . وعلى كل حال سواء كان سبب انتشار مرض الكوليرا الماء الملوث بالجراثيم كما هو الواقع ، أم إلحاد رئيس البلدة التى ينتشر فيها ذلك الوباء ، كما كان اعتقاد كثير من الناس آن ذاك ، فقد انتهت تلك الفصول الهزلية من مسرح الحياة .

عندما أفكر فيما كان يسميه وليام جيمز « التجربة الدينية » وما كان النوس يدعونه بالنور الداخلى أو الإيمان بالروح القدسى ، يروق لى أن أكرس كثيراً من وقتى لدراسة الصوفية والأفلاطونية ، شأن الكثيرين الذين كان يضطرم فى نفوسهم مثل هذا الاحساس أن الإيمان بالقديسين يكاد يكون أمراً مفروغاً منه ومجمعاً عليه ، وأولئك الذين أعطوا كل ما يملكون ليجدوا الجوهرة الثمينة ، لم يرجعوا صفر اليد ولم يكونوا جميعاً من المسيحيين . لقد كان بلوتونيوس أعظم فلاسفة التصوف فى القرن الثالث الميلادى وثنياً . وقد ابتدأنا ندرك الآن أن أشياء كثيرة نستطيع تعلمها من الهنود. وليس أصدق من القول الذى يزعم أن الديانة المسيحية والبوذية قد خسرنا بتدابرهما فى طرق الحياة . إن خيال التصوف يبدو لى غامضاً لأننى لم أحصل على معرفة كافية ، ولكننى من ذلك النوع من الرجال الذين لو حدثهم من يثقون به عن وصوله أعلى قمة من جبال العالم ، لاعتقدت إمكان الوصول إلى تلك القمة على رغم عجزى عن الوصول إليها . إن الديانة المسيحية كما يصفها سنت أغسطين ليست إلا الأفلاطونية ممزوجة بعقيدة حلول الروح القدسى فى المسيح . تكاد معظم الفلسفات تجمع على جعل الإنسان مندمجاً فى المثل التى تفهمها الحياة . لكن الديانة المسيحية لا تفصل مثل ذلك . الله هو المحبة . وكثيراً ما تورد المحبة صاحبها موارد الهلكة ، وحب الله العظيم للناس جعله يضحى بابنته فى سبيل إنقاذهم . إن التضحية هى قانون أولئك الذين يتبعون الله ويؤمنون به ويضحون فى سبيل الآخرين ويتحملون الآلام ، وكما عبر عن ذلك وليم بن بقوله (لأجزاء بلا تضحية) وكثيراً ما خيل إلى أن جماعة « الكويكارز » قد تأثروا بهذا الرأى كثيراً .

لم تتغير آرائى فى شخص المسيح إلا قليلاً. لقد تأثرت فى صدر حياتى بما كتبه عن المسيحيه شيلى وهارنك والبروتستنتيون من الألمان . لقد وجهت نقداً لاذعاً فى محاضراتى فى الجامعة لقول ليوزى (أن المسيح ليس إلا فلاحاً من منطقة الجليل فى الأرض المقدسة محدود الذكاء) . اعتقد أن استمرار إيمان الحواريين بالمسيح بعد صلبه لم يكن إلا انعكاساً من أنفسهم لما تأثروا به وهو بينهم . ومن غير المعقول أن تؤمن بما قاله ليوزى ونحن نرى الأثر الذى تركته حياة المسيح فى حياة الناس مدى الأجيال البعيدة . والاعتقاد بعودة المسيح ليس فى رأيى غير انعكاس عميق لحماس روحى لم يستطع الناس تفسيره بغير الأمل العظيم فى مستقبل قريب . ألم نجرب ذلك فى نفوسنا ونحن نعلق الآمال على وقت سعيد مقبل ، فهل يتغير ذلك الاعتقاد إذا ما أناخ بكلكله علينا وقت ملىء مفعم بالآلام ؟

أرى لزاماً على أن أبين الخطر الذى يكمن وراء ما يسمونه (عبادة المسيح) لقد أساء مارتن لوثر فهم معتقد سنت بول ، ذلك المعتقد الذى كان لا يعنى غير صوفية عميقة فى المسيح . إن المسيح الذى تعبده الديانة المسيحية هو الذى كان حياً ومات ، والذى لا يفنى أبداً . لقد آمنت بأن الأقسام الثلاثة التى قسم سنت بول بموجبها الطبيعة الإنسانية : الجسد والروح والنفس ، صحيحة من وجهة سيكولوجية . إننا نعيش فى عالم المادة ، والروح طليقة تعيش فى المادة وما وراءها ، فينبغى أن تكون حياتنا الداخلية تحولا مستمراً من المادة إلى الروح . إننا نكاد لا نؤمن بامكان تحويل الشخصية

المادية إلى شخصية غير مادية مطلقة . هذا هو الشرح لضرورة وجود الرمزية فى الدين . أما فى الحياة المادية فأننا نستطيع أن نرى — كما فى المرآة — عن طريق الرمزية . وحينما تمر كل يوم من المنظور إلى غير المنظور ، ومن الحقيقة إلى الخيال ، تكاد تتملكنا رغبة تدفعنا إلى محاولة رؤية المجهول فى عالم الزمان والمكان الذى نعيش فيه . لقد قلت فى إحدى مواعظى أن من أبسط واجباتنا نحن رجال الدين أن نساعد الذين فى بصيرتهم ضعف على رؤية ما لا يدرك بالحواس ، وهو عمل محفوف بالمصاعب . وإذا كان قولى صحيحاً ، كان التقليل من الغموض فى الدين أدعى إلى إنارة أذهان الناس وأدعى إلى بلوغ ذلك الهدف عن أقرب طريق . لست أريد أن أتجاوز أكثر من هذا فى حديثى لأننا كثيراً ما نسمح لأنفسنا بحرية أوسع فى التفكير والخيال .

لقد كان اهتمامى بالغاً بالفلسفة والدين ، وقد ملكا على جميع أوقات فراغى . ولم يمنع هذا الاهتمام أن تكون نواح أخرى صرفت لها بعض وقتى ورغبتى . إن من حق الفرد فى الحكومات الديمقراطية أن يعبر عن أفكاره تعبيراً صحيحاً ، ويقنع من حوله بما يدور فى رأسه من مثُل وآراء . وهذا يصدق على رجال الدين أيضاً ؛ غير أنه لا يجوز لرجل الدين وهو يحتل منصباً رسميا فى الكنيسة أن يجاهر بآراء خاصة قد لا يؤمن بها غيره من المسيحيين التابعين للكنيسة . لقد ظهرت محاولات عديدة ليكون للكنيسة صوت فى الحياة السياسية ؛ ولكن الكنيسة تجنبت ذلك تمشياً مع قول اللورد أكتون الذى يقول : (إن كل قوة مصيرها إلى الفســاد) . ولذلك احتفظت الكنيسة بحيادها ولزمت الجانب الروحي من حياة الناس .

كان أبواى من المحافظين ، وقد ابتدأت علاقة أتباع الكنيسة العليا بالاشتراكية عن طريق جور وسكوت وهولاند ، وكانوا يأسفون أن يكون المستر جلادستون خيراً من دزرائيلى من جهة الدين .

أما ما يتعلق بى ، فإنه ليضحكنى أن أذكر — حتى زمن حرب البوير — أننى كنت محافظاً متعصباً على طريقة رديارد كبلنج ، وقد أثرت تلك الآراء فى وفى الكثير من أمثالى ، ورأى القرن الجديد انكماش الأمبراطورية البريطانية وتقلصها ، وأصبح لزاماً على الانجليز أن تكون لهم آراء تتمشى مع التطور الجديد . لقد بلغت الذروة جميع الشعوب التى تقع على شواطىء الأطلسى ، وأصبح اتجاه التوسع الامبراطورى إلى الشرق ، وانتهى من ناحية الغرب . إننى لا أنسى قول اللورد هلدان فى مطلع الحرب العالمية الأولى : (لو ركن الألمان إلى السلم لنالوا كل ما يريدون) . لقد ألقوا بالجائزة مرتين من أيديهم . وقد أخذ عصر الاسترقاق يطل برأسه على الدنيا . إن المستقبل للشعوب التى لديها أرض واسعة ، ومستوى منخفض فى المعيشة ، واستعداد للعمل المرهق ، ونحن والفرنسيون لا ندخل فى نطاق هذه الشعوب .

كثيراً ما يتراءى لنا أن ثلاثة أخطار تهددنا : أولها حق التصويت العام . من المؤكد أن السياسة ستنحط إلى نوع من المزاد العلنى تباع وتشترى فيه أصوات الأغلبيات غير الممثلة . أقول غير الممثلة لأن المفروض أن أصحاب الحرف التجارية والمهن قد مثلتهم فى المجلس مائة مقعد ، إلا أن الواقع يظهر أن كثيراً من المناطق لا يمثلها أحد غير مدينة لندن والجامعات القديمة . لقد تدهورت معنويات العامل الانجليزى تدهوراً جعله غير مرغوب فيه عند الشعوب الأخرى .

والخطر الثانى : نمو سلطان الحكومة المركزى من أثر الحربين الأخيرتين ، وفى سبيل القضاء على الطغيان الفاشى ، قد جعلنا أنفسنا فاشيين : إن عبادة الدولة شر أنواع الوثنية . والشعب الانجليزى يضع قوته فى المجتمع لا فى الدولة . لكن الدولة الآن تصول وتجول وتتجاوز كل حق موضوع .

والخطر الثالث هو اكتشاف قنابل الذرة ، ذلك الاكتشاف الذى وضع سلاحاً رهيباً فى يد الدولة وقوى سلطانها . ليس هنالك ما يدعو إلى الخوف من القنبلة الذرية الآن . ولقد بدا ذلك واضحاً فى روسيا وألمانيا حيث عوملت الجماهير بأشد ما فى الظلم والهمجية من معان . نقول لأنفسنا أحياناً : « إن أعمالاً من هذا النوع لا تحدث عندنا » ، ربما كان ذلك صحيحاً .

لكن الخطر لا يزال موجوداً . إن الطبقات المتوسطة التى تحمى الحرية الشخصية آخذة فى الفناء ، والأحرار الذين كانوا فى زمن سابق يحمون هذه الحرية أصبحوا فى موقف سىء لا يحسدون عليه . حينما كنت طفلاً كان الأحرار يعيرون المحافظين بأنهم حزب بليد . لقد جنوا على أنفسهم وهم يفسحون المجال للامتيازات

٣٣٠٣٦

مع شاعرة «من الأعماق»

للاستاذ عبد المحسن الحكيم

الشعر الآن غيره قبل حين ... حيث كان لا يطلب منه إلا أن يسمو فى اللفظ أو فى المعنى على اختلاف فى فهم الشعر ووظيفته . أما الآن فإن أهم وظائفه أن يصدق فى نقل أحاسيس الشاعر وتأثره بالتجارب الشعورية التى تفيض بها الحياة ... وأحسب أن الشعر بلغ منتهاه من التطور ... حين تحرر من سلطان اللفظ وسلطان المعنى الذى لم يكن للشاعر به عهد ... وإنما هو تخيره من بين المعانى لأن غيره من قراء الشعر يعجب به ويدهش له ، وحين قدر له أن يكون وقفاً على صاحبه ... يعرض دقات قلبه لوجه جميل ، وحركات شعوره لمنظر جميل أو منظر قاتم ... تمثله الحيوات التى يحياها مواطنوه .

وجميل أن يطلب [1] من الشعر أن يكون نتيجة إحساس .. قبل أن يكون نتيجة فكرة .. تعرض على أنها حكمة خالدة أبدية .. فهو إذ ذاك يكون شعراً .. وشعراً فقط ... لا منبراً لوعظ وإرشاد وتنبيه إلى الحقائق .

(١) الطلب فيما أذكر للاستاذ سيد قطب

وإن هذا الذى قرأته فى عدد سالف من الرسالة ، للآنسة الفاضلة والمطوقة ، لهو شعر حقاً .. ينبع من الإحساس ويصدر عنه ... كما لو لم يكن غيره مصدراً لشعر فى القديم والحديث .

وليس أصدق فى نقل الأحاسيس إلى لغة الشعر من قول الآنسة الفاضلة تعلن وحدتها ... وهى إذ ذاك تقطع مفاوز الحياة .. دون أن تلق بين يديها من يؤنس وحشتها ويشعرها أن الحياة غير الملل والصمت والظلام ... لم تلف بين يديها هذا الإنسان ... وإذا الحياة عندها .. تيه معمى .. ليس فيه غير ظلام مطبق وملل وسأم ووحشة فهى تقول :

سرت وحدى فى غربة العمر ؛ فى التيه المعمى ، تيه الحياة السحيق
لا أرى غاية لسيرى ولا أبصر قصداً يوفى إليه ... طريق
ملل فى صميم روحى منساب ، وفيض من الظلام الدفوق
وأنا فى توحشى تنفض الحيرة حولى أشباح رعب محيق

سرت وحدى فى التيه ، لا قلب يهتز صدى خفقة لقلبى الوحيد
سرت وحدى لا وقع خطو سوى خطوى على المجهول المخوف البعيد
لا رفيق ، لا صاحب ، لا دليل غير يأسى ووحدتى وشرودى
وجمود الحياة يضفى على عمرى ظل العناء ... ظل الهمود

والإحساس الكبير هنا تتوزعه جميع هذه الأبيات .. ولكنه يظهر فى بعضها بصورة أكبر .. تكاد لا تملك نفسك من الإعجاب بها ... وقد لا تظفر منى أكبر قطعة موسيقية أو أبلغ

والآراء الحديثة . ويذكرنا ذلك بقول جلادستون (لن يمكن للشيوعية الاشتراكية إذا قدر لها أن تكون فى هذه البلاد غير حزب الأحرار) . وهربرت سبنسر كان يرى أن الاشتراكية ربيبة الأحرار أيضاً .

إننى أرجو أن يكون فى إنزال إله المال عن عرشه ، بعد أن أصبح صفر اليدين ، بعض النفع للطبقات التى هى خليقة بذلك وكانت وكانت محرومة . إن كل مايطلب هو إزالة ويلات الحرب ، وليس ذلك — فى اعتقادى — بعزيز . ومن يدرى فلعلنا فى مطلع عصر مظلم رهيب . حينما يوجد الأمل توجد الحياة . والغرب لم يفقد آماله . إننا نجتاز أعظم كارثة حلت بالبشرية ، ولكن كل تحد — ما لم يكن مدمراً — يترك رد فعل . وقد برهنا على أن فى استطاعتنا احتمال الآلام دون مضض أو تذمر أو تراجع .

ليكن هذا كل ما أريد قوله . لقد علمتنى الحياة ما كنت خليقاً بتعلمه منها . لقد كنت طموحاً ، ولا أذكر أننى قلت أو كتبت أى شىء لا يرضى عنه ضميرى ، فى سبيل إرضاء الآخرين .

يقول الناس عنى إننى كنت كثير الحركة ، وكثير الحركة تتوارى وراء روحه الثورة . إن الناجح فى الحياة هو ذلك الذى يطفو على ماء نهر الوجود كالكلب الميت؛ يتملق صاحبه وكأنه ينبض بالحياة . إن الصرخات التى لا معنى لها اليوم ليست إلا صدى أحلام الأمس غير البعيد .

آمل أن يكون جزائى ما كنت أحمله فى عواطفى من الصدق ، ذلك الصدق الذى لم أستطع خدمة بلادى به إلا قليلا .

(بغداد) علي محمد سرطاوي

(الرسالة) تلك تجارب رجل من رجال الدين المسيحى ؛ فمتى يكون للاسلام رجال كهذا الرجل فى سعة اطلاعه وطول باعه وحرية رأيه ؟

لوجة وجدانية من الإعجاب ما ظفرت به بعض التعابير هنا ... في هذه الأبيات ... من ذلك مثلاً . «غربة العمر» «التيه الممض» «جمود الحياة» . فإن الإحساس الكبير في مثل موقف الشاعرة لا بد أن يعبر عن نفسه بمثل هذه التعابير .. لأنه صادق ولأنه بعد ذلك عميق فائض نفاذ .

وموقف آخر ... هو أيضاً جميل ، يشيع فيه الإحساس باللحظة الكبيرة ... التي تغمر الشاعرة ... ولكنه لا يظهر بالتعبير عن نفسه وإنما بالعجز عن ذلك. وهو ما أسميه بـ«عي الإحساس» وعندي أن العي ليس وقفاً على اللسان فهو كذلك يصيب الإحساس كما يصيب اللسان على السواء ... وذلك في المواقف الكبيرة التي تضيق بها التعابير ويضيق بها الإحساس نفسه ... والشاعرة المجيدة حين تقول :

والتقينا ... لم أدر أي قوى سا   قتك حتى عبرت درب حياتي
كيف كان اللقاء؟ من ذا هدى خطوك ؟ كيف انبعثت في طرقاتي ؟
لست أدري، لكن رأيتك روحاً   يوقظ الشوق في مسارب ذاتي
ويذري الرماد عن روحي الخابي ، ويذكي ناري ، ويحيي مواتي

وحين تشيع الاستفهامات ... لأن اللحظة كبيرة غمرت الإحساس بفيضها ، وعب هو منها حتى ارتوى ، وزاد بعد ذلك من اللحظة كثيراً ... لم يحتوه الإحساس ولم يغمر ... فضاق وعجز ... وعبر عن هذا الضيق والعجز بهذه الاستفهامات الكثيرة في الأبيات القليلة ... وما ذاك إلا لأن الموقف كبير ... وكبير جداً ... فلنتصور فتاة هائمة ... قد أعياها البحث عن الشريك الذي يزيل لهفتها ، ويريها الحياة كما هي لا من وراء الوحشة والوحدة ... لعبور هذه الفتاة الهائمة تعبر الدروب وتجتاز المفاوز حائرة يائسة ... وإذا هناك في بعض الدروب ألفته ... أجل ألفته ... عن غير قصد ولا سابق وعد أو انتظار ... فسوف تدرك سر الاستفهام وجلاله وروعته ... وسوف تدرك أن الشاعرة كانت تحوم حينذاك في السماوات ... تبحث فيها عن الصورة التي تمثل هذا المشهد المفاجيء تمام التمثيل .. بعد أن فتشت عنه في الأرض ... وحين لم تلقه هناك ... ألقت حيرتها في الاستفهام وهي تدري أن قصاراها في هذا الموقف هو الاستفهام الذي يبدي عجزها ، في الموقف وبعده .

ولا يفوتني أن أدل على تعبير جميل تريد به الشاعرة الفاضلة مفاجأة اللقاء ... هو « كيف انبعثت في طرقاتي » ... أرأيت المشاهد كيف تنثال عليك ؟ ... مشهد الفتاة الهائمة في الطرقات ... ومشهد الطرقات وهي قفراء من الحبيب ، ثم مشهد الحبيب وقد نبض على غرة من الهائمة ... ومشهدها هي وقد فاجأها اللقاء ... هـذه المشاهد التي توحيها كلمات « كيف انبعثت في طرقاتي » مصدرها قسوة تـكمن في قلب الشاعرة النابض ... ومصدرها كذلك حاسة فنية عميقة .

ولأعبر ثلاثة أدوار من قصيدة « من الأعماق » لأقف قليلاً عند قولها البليغ :

ومضت بي الأيام ، لا أنا صرحت ، ولا لهفـــتي الحبيبة تبدو
كم وكم راح يحتوينـا مكان   وأنا صبوة توارت ... ووجد
كم حديث حدثتني ! كم قصيد   هز روحي وأنت تروى وتشدو
ولقلبي السعيد شيء كعنف الموج ، يطفي تيـــاره ... وعد

والبلاغة هنا تعني مطابقة الإحساس .. يضاف إليها الحاسة الفنية التي لا تـكاد تلتق بلحظة حياة .. حتى تحياها إلى حيـاة بعيدة المدى شديدة الإيحاء .. وأحب للقارئ أن يقف على هذا البيت بصورة خاصة :

كم وكم راح يحتوينا مكان   وأنا صبوة توارت .. ووجد

ثم يلمس بنفسه جمال الصورة التي توحيها هذه الألفاظ .. وليتذكر القارئ أبداً أنه أمام ألفـاظ لا قطعة موسيقية ولا تمثال جميل .

وهـكذا تسير قصيدة « من الأعماق » .. إحساس شديد صادق .. وحاسة فنية قوية .. وتعبير جميل موح .. وروح بعد ذلك كله شاعرة طليقـة .. وإن بدت أنها مقيدة إلى الأرض بأكثر من قيد .

وإني لأشبه الآنسـة المطوقة .. بالشاعرة العراقية المجيدة «نازك الملائكة» .. فقد كانت الشاعرة العراقية دائمة الشكوى من الحياة شديدة التذمر من أسبابها .. أما الآن فقد عطفها إلى الحياة طبيعة عريقة لا يمكن أن تفلت منها مهما حاولت ذلك .. وعلى أي حال .. فإني أريد قبل أن أفارق القـارئ أن أتلو معه خاتمة

إلى جـــوته . . .

للأســـتاذ نصرى عطا الله

احتفلت الدنيا بمرور مائتى عام على مولدك ، ومنذ أعوام قلائل احتفلت بمرور مائة عام على رحيلك عنها ... فهل رحلت حقاً وانتهت حياتك يوم غيبوك فى التراب كما يرحل عشرات الألوف من أبناء الفناء كل يوم ، أولئك الذين يفدون إلى هذا العالم ويتنفسون هواءه حقبة من الزمن ثم يرحلون عنه دون أن يكون لحياتهم هدف أو معنى أو مبررات ، أولئك الذين ينسون أنفسهم فى حياتهم فتتناساهم الدنيا ويموتون قبل أن تفارق الروح منهم الجسد ... هل مت حقاً مثلهم ؟

لا ، إنك لست منهم ، إن الدنيا ستظل تعتز بك وتتمسك بوجودك وتصر على بقائك فى الأحياء ، لأنك من بين أبنائها القلائل الذين تفخر بهم وتحس فى وجودهم كبرياءها وعظمتها ونفاستها . إننا — ومن بعدنا الأجيال — نحبك ونجلك ، ونحن نحبك لنفسك ولكننا نحبك أكثر من أجل معجزة الإله فيك ، فكم من أبواب الحياة ظل مغلقاً ، وكم من طرقاتها ظل مظلماً مجهولا حتى أتيت أنت فإذا بيدك الباركة تفتح الأبواب الموحدة ، وإذا بنور عبقريتك يبدد الظلام ، وإذا بالحياة متسعة الرحاب بعيدة الآفاق . لقد كانت الحياة بدونك فرضاً أو عبثاً أو واجباً فإذا هى بك فرحة ونضرة وتحمس لغاية وغايات .

لقد علمتنا أن نضع أنفسنا فوق الصغائر : فوق الحقد والحسد والغيرة والعناد وأن تطهر قلوبنا ونفسح فيها المجال لتاقى رسالات الخير والحق والجمال . أجل ، فى صحبتك يخجل الإنسان من الصغائر والصغار ويتطلع إلى الأعالى ، ينقى نفسه من أدرانها ويصلى لله بحرارة أن يهبه القدرة على السمو بحياته وتنمية مواهبه الخفية واستغلال قواه الكامنة حتى يصبح جديراً بصحبتك وبإنسانيتك الكاملة الناضجة .

إنك تستنهض ذاتنا العليا — وماذاتنا العليا إلا روح الله فى هيكلنا البشرى ، وتخلق لنا أجنحة نحلق بها فوق هذه الحياة ، فما نلبث أن نخجل من ذاتنا الصغرى ومن تصرفاتنا الأرضية وتفاهاتنا وحماقاتنا التى ، تمليها علينا فى هذه الأرض الشقية ما نسميه بالحكمة العملية ، أو يفرضها علينا ضعفنا البشرى .

أيها الحبيب . إن النور الذى تشعه عظمتك يهدينا إليك ويقربنا منك ويملأ قلوبنا فرحة بك وحباً وإجلالاً لك .

وإذا بالقلب وقد امتلأ حباً لك يشعر أنه لا يستطيع وحده أن يسع عظمتك كلها فيهيب بالعقل والروح والخيال أن يشاركوه العبء العظيم أو النعمة الكبرى .

وكم يسعد العقل إذ يجاهد فى توسيع دائرة أفقه ، وكم تنعم الروح وهى ترق معك إلى أعلى الذرى ، وكم يبتهج الخيال وهو ينشر أجنحته ويظل يصعد فى الأجواء البعيدة حتى يصل إليك ويحوم حولك .

كل قوى الإنسان وملكاته تلبى نداء القلب وتؤازره فى محاولة تفهمك وارتياد تلك المساحات الشاسعة من العالم النفسى ، التى سبق أن جبتها أنت ، رائداً ، ودليلاً ، وهادياً ، ومنشداً ، ومغنياً ! هكذا تهدينا إلى كنوز النفس الإنسانية وعواملها الواسعة الشاسعة التى تظل مجهولة أو كالمجهولة تحت ستار من غبار معركة الحياة بما فيها من خير وشر ، وسمو وإسفاف ، ونور وظلام ، وهدى وضلال .

إننا نتذكرك ونباركك ، لأنك تمنحنا من ذات نفسك ، عن طريق إحياء ما فى نفوسنا ما يبارك أيامنا ولياليها ، ويضاعف ويخصب معنى الحياة فى قلوبنا ، فكأنك تمنح عمرك مجدداً على مدى الأزمان كل من طرق بابك ورام صحبتك ونشد زمالتك . وعمرك — أيها العظيم — هو خلاصة حكمة الدنيا وفلسفتها وشعرها وما تنطوى عليه من حق وخير وجمال .

لذلك ستظل الدنيا تعتز بك وتتمسك بوجودك وتصر على وجودك فى الأحياء .

نصرى عطا الله

« من الأعماق » لتكون خاتمة هذا الحديث :

وافترقنا ، وبين كفى رسم | لم يزل كل زاد روحى المتيم
كم تلمست عمق عينيك فيه | وبعينى أدمع تتضرم
يا لقلبى « كم راح بين يديه | يهتك الحجب عن هواه المكتم »
اصغ تسمع عبر الصحارى صداه | يترامى إليك شعراً مرنم

« العراق — النجف » عبد الحسين الحكيم

الوتر الهامـــد

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

إن رأيتِ العود فى كفىّ مشلول النشيدِ !
كافر الأوتار مصلوب الصدى قوق وُجودى
لاهثاً يستنزفُ النغمة من جُرحٍ بعيد
ضارعاً للوهم إن مرّ ، وللحُـــلم الشريد
بيدىْ عبدٍ شقىٍ راســفٍ بين القيود
تتلوى ناره بين خبيح وهمـــود
ورماد مستجير من أباطيـــل الوعود
ورؤًى حمقاء لا تعرف أطـــلال العهود
لا ، ولا تحملُ عن أكفانهـــا زُور الخلود
وحكايات الهوى والوجد والنوح السعيد
والأغانى السارقات النبضَ من طير النهود ...
فاصمتى ، وامضى .. فنارى ضيعت كل الوقود
واتركينى واسخرى ما شئتِ من أنات عودى !

وإذا أبصرت للكون ظلالاً فى عيونى
ورأيت الفنّ طيراً هائماً حول جُفونى
كلما دفّ سقانى الريحَ من غاب الجنون ...
ورأيت الحيرة الرّمضاء تشوى فى يقينى
ورياح الشكّ يرتابُ صداها من أنينى
فتسوقُ الخطو للأعماق ، للسرّ الدّفين
تُنشب الأنياب فى بُقيا رمادٍ من حنينى ...
فاعــذرى هُلكى ، ويأسى وارحمينى
نزحتْ مرىَ أهوالُ الليالى والسنين
وانتهى دربى إلى ليـــل بنجواه ضنين
فتكتْ ظُلمته حتى بوهمى وظنونى ...
أنا من طـــير إلى القضبان مشدودٍ سجين
فى فلاةٍ تفزع الأوهامُ فيها من ســـكونى

محمود حسن اسماعيل

أين الســـعادة ؟!

للآنسة (ن . ط . ع)

قالوا الســـعادة والهنا ءة بين جدران القصور
حيث الحياة يسيرةٌ لا مطلبٌ فيها عسير
فإذا القصور تكشفتْ عن كل محزون كسير

قالوا الســعادة للفتـــا لبين عشاق الكمال
ومكارم الأخلاق وال إخلاص فى كلّ الفعال
سحر المعانى غرّنى فشددتْ من فورى الرحال

فإذا المثالىّ الكريـــم يضيع فى هــذى الحياه
وتظلُّ تلطمه الحقـــا ئق أينما ألقى عصاه
وإذا الدناءة أهلهـا بالأرض مرفوعو الجباه

قالوا السعادة بين أحضـــان الطبيعة والزهور
حيث الجمال العبقرى وذلك العيش النضير
فإذا بأهل الريف قد حُرموا السعادة والسرور

قالوا السعادة حيث تجـ ـتنبُ العدواة والشقاق
حيث العــدالة والأما نة والتآخى والوفاق
فإذا كبـــار الأرض لم يرفعهمُ غير النفاق

ربى تُرى أين السعا دة لم نجدها فى القصور
وبحثتُ فى الأكواخ لم أجد السعيد ولا القرير
ولـكم تصفحت الوجو ه وما تضنّ به الصدور

وعرفت أسرار الخلا ئق من عظيم أو شريد
وارتدتُ أحضان الطبيـ ـعة علنى أجد السعيد
فإذا بكل الناس دأ بهمُ التمرُّدُ والجحود

ن . ط . ع

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

خطبة الأستاذ الزيات فى مجمع فؤاد الاول للغة العربية :

قال لى بعض الأصدقاء متسائلين : لماذا لم تعقب على خطبة الزيات فى مجمع فؤاد الأول وقد كانت حديث الناس فى المجمع وخارج المجمع ؟ وقلت للأصدقاء رداً على التساؤل الذى يتطلب شيئاً من الإيضاح : أما التعقيب فقد أرجأته حتى يقرأ الخطبة هنا من لم يستمع لها هناك ، وكذلك الخطبة التى سبقتها فى الإلقاء وأعقبتها فى النشر .

والآن ، وبعد أن طالع الناس الخطبتين على صفحات الرسالة أود أن أقول كلمة عن الزيات الصديق ، والزيات الأديب ، والزيات الإنسان ... كلمة تتناول هـذه النواحى الثلاث جيماً ، ورائدها الضمير الذى يتفيأ ظلال الصدق ولا تلفحه حرارة الصداقة، ويستروح أنسام الحق ولا تعصف به رياح المجاملة !

أما الزيات الصديق ، فقد قدمته إليك نفحات من الوفاء تجلت فى عباراته ، وما أكثر ما تطمس يد الزمن سطور الوفاء من صفحة القلب نحو من تطول غيبته ، ثم لا ترجى بعد ذلك أوبته ... ولـكن الزيات فى موطن الذكرى الباقية نحو أنطون الجميل ، كان مثال الصديق الذى يعدد المآثر فى حساب الشعور لا فى حسابُ السنين والأيام . وتلك هى غاية الوفاء ؛ فمآثر أنطون الجميل فى حساب الزيات أو فى حساب شعوره ، تدفعه إلى القول بأن كرسى الرجل ينكره كما ينكر الفرس الجواد راكبه الغر ، أما حساب السنين والأيام ، فهو حساب تاريخ الأدب يوم أن يؤرخ الأدب ، يوم يكون للزيات فيه صفحات تنكر قوله بأن كرسى الجميل ينكره !

ما أكثر ما يظلم هذا الرجل نفسه إذا ما تحدث عن نفسه ! ولـكن الذين يعرفون الزيات كما أعرفه ، يعرفون فيه صفتين قل أن تجتمعا لرجل فى هذا العصر الذى نعيش فيه : الحياء ، والوفاء ... ومن هاتين الـكلمتين يمكنك أن تخرج بأصدق عنوان لـكتاب حياته ! ولا تعجب إذا قلت لك إننى كثيراً ما ضقت بحيائه ، وثرت على وفائه ؛ ذلك لأن وفرة الحياء قد تحول بين صاحبها وبين كثير مما يتطلع إليه أصحاب الطموح ، وقد تدفعه إلى الرضا عن الشئ وهو ضائق به ، وإلى السكوت عن الأمر وهو قادر عليه ، وفى ذلك يقول الزيات فى كلمته : « ولقد حدثتنى نفسى — شهد الله — حين تأدى إلىّ خبر انتخابى لعضوية المجمع أن أستعفيه من هذا التشريف ، لا زهادة فى الشرف ، ولا رغبة عن العمل ، ولا فراراً من الواجب ، ولـكن لعلة نفسية مزمنة كان من أخف أعراضها أنى أحسن العمل منفرداً أكثر مما أحسنه مجتمعاً ، وربما جملتنى — لمنها الله — أعلم الشئ ولا أقوله ، وأسمع الخطأ ولا أصوبه ، وأرى المنكر ولا أغيره ! »

هذا عن الحياء وهو عجيب ، وما أعجب الرجل بعد ذلك فى مجال الوفاء ... أعرف أناساً فتح لهم الزيات قلبه ، وسقاهم من نبع حبه ، ومنحهم من فيض ثقته ، وأخلص لهم فى السر والعلانية . ودار الزمن دورته فتنكر هؤلاء جيماً لصداقته ، وتجاهلوا ما كان من مودته ، وقطعت أحقاد النفوس كل ما كان بينهم وبينه من صلات . ومع ذلك فقد نسى الرجل الإساءة وصفح عن حاضرهم وحاضره ، وعاش بفكره وشعوره فى ماضيهم وماضيه ؛ ذلك لأنه لا يستطيب العيش إلا فى ظلال الوفاء ، ولو كان الوفاء وهماً يحلق على أجنحة الماضى البعيد فوق ركام الذكريات ... وأجادله فى موقفه من هؤلاء الناس فيبتسم ، وأدفعه إلى لقائهم بمثـل ما يلقونه به فيعتذر ، وأثور على هذا كله فيلوذ بالصمت !

وحين أخلو إلى نفسى وأذكر ما كان منه وما كان منى ، لا أملك إلا أن أخفض قلمى تحية لحيائه ، وأحد من ثورتى إجلالاً لوفائه ؛ ذلك لأن الإفراط فى الحياء ولو جنى على القيم ، والإغراق فى الوفاء ولو كان لغير أهله ، صفتان أقل مايقال فيهما إنهما ترفعان الغطاء عن حقيقة إنسان !

أما الزيات الأديب ، فيحدثك عنه اسمه اللامع وماضيه الطويل ، وإنما أريد أن أحدثك عنه اليوم على ضوء كلمته التى سمعها البعض فى المجمع ، وقرأها البعض فى « الرسالة » ... أدب وتاريخ أدب ونقد : فى الأول أسلوب وعرض ، وفى الثانى إحاطة وصدق ، وفى الثالث ذوق وميزان . وأبلغ الدلالة على هـذا كله أن يقول

الزيات فى معرض الموازنة بين المدرستين المصرية والابنانية : «وظلت المدرستان الشقيقتان تنتجان الأدب فى ضروبه المختلفة بأسلوبين مستقلين ، أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحاضر ، على ما كان بينهما من تفاوت فى الطاقة والمادّة والصنعة والتقيُّد والتحرر ، وبقيت المدرسة الأزهرية الأم عاكفة على النظر المجرد والجدل العقيم بين أروقة الأزهر والزيتونة والأموى والنجف، تنتج الخام ولا تصنع، وتشحذ السلاح ولا تقطع ، فلم يكن لها فى ذلك العهد الغابر أدب غير أدب الشواهد ، ولا أسلوب غير أسلوب الحواشى ... ولكن الحق أن المدرسة اللبنـانية كانت عملية تقدمية حرة ، واكبت الزمن فى السير ، وطلبت العلم للعمل ، وسخرت الأدب للحياة ، ونظرت إلى اللغة نظر الوارث إلى ما ورث ، يملك عليه بمقتضى الشريعة والطبيعة حق الانتفاع به على الوضع الذى يريد ، وحق التصرف فيه على الوجه الذى يحب ... والمتتبع لتطور المدرستين يرى أن كلتيهما قد مرت فى أطوار ثلاثة : طور التقيد والمحاكاة ، وطور التحرُّر والاعتدال ، ثم طور التمرُّد والانطلاق . ولـكن الانتقال من طور إلى طور كان فى مصر متثاقلاً متداخلاً ، يرود قبل النجعة ، ويحوم قبل الوقوع ، على حين كان فى لبنان متسرعاً لا يتأنى ، مصمماً لا ينخزل . فبينما نجد مراشا الحلبى فى (مشهد الأحوال) يقلد ابن حبيب الحلبى فى (نسيم الصـبا) وناصيفاً اليازجى فى (مجمع البحرين) يُقلد الحريرى فى (المقـامات) ، وإبراهيم اليازجى فى (لغة الجرائد) ينهج نهج الحريرى فى (درة الغواص) إذ نجد آل البستانى وآل الحداد وزيدان ومطران والخورى والجميل وملاط يتوخون السهولة والابتكار والطرافة ، والجبرانيين والمهجريين يجنحون إلى الأصالة والإبداع والتطرف ، والزمن بين هؤلاء وأولئك متقارب ، والعوامل المؤثرة فيهم لا تـكاد تختلف» ...

هذه فقرات يضيق المقام عن أن أنقل إليك من نظائرها الـكثير، ولـكنها تغنى عن هذا الـكثير لأنها تقدم إليك مفتاح الشخصية الأدبية فى كلمات ، ورب لمحة تغنى فى مجال التقديم عن لمحات ... أما فضل الرجل على اللغة والأدب وأثره فى توجيه الجيل ، فقد كشف عن هاتين الناحيتين الأستاذ فريد أبو حديد بك فى كلمته القيمة الصادقة التى ألقاها فى المجمع ونشرتها الرسالة ! بقى أن أقول كلمة عن ناحية أخرى من نواحى الزيات الأدبيـة ، وهى ناحية عرض لها الأستاذ فريد أبو حديد بك فى خطبته حين تحدث عن قصتى جوته ولامرتين .. كلمة عن قلم الزيات حين يترجم آثار الفن من لغة إلى لغة ، ومن ذوق إلى ذوق ، ومن أدب إلى أدب ؛ هناك فى «آلام فرتر» «ورفائيل» و «من الأدب الفرنسى» ثلاثة كتب لو قرأتها دون أن ترجع إلى أصولها الفرنسية لتبادر إلى ذهنك ووقع فى ظنك أن الزيات يضحى بأمانة النقـل فى سبيل رشاقة اللفظ وموسيقى العبارة . أشهد لقد خطر لى هذا وأنا أقرأ ترجمته لقصة قصيرة من قصص موباسان هى «الحلية La Parure» ، وأشهد لقد رجعت إلى النص الفرنسى لأراجع عليه الترجمة العربيـة فما رأيت عبارة قلقة فى ثنايا التعبير ، وما شهدت لفظاً فى غير موضـعه من الأداء ، وما لمست أثراً للتضحية بدقة المقابلة فى سبيل المحافظة على جمـال التعبير ... ولقد ذكرت هذه الظاهرة الفريدة ذات يوم للدكتور طه حسين فكان جوابه أن ما خطر لى قد خطر يوماً له ، وأن ما وقع فى ظنى قد وقع يوماً فى ظنه ، وكان ذلك حين قرأ «آلام فرتر» للزيات، ولـكنه حين رجع إلى القصـة فى أصلها الفرنسى لم يملك أمام حرفية الترجمة وبلاغة الأداء ، إلا أن يكتب مقدمتها الرائعة تحية إعجاب وتقدير !

•

قصة طريفة :

منذ عشرة أشهر على التحديد ، وفى إحدى المناسبات وأنا أنقد كتاباً فى مكان آخر غير الرسالة ، قلت عن الدكتور الشاعر ابراهيم ناجى: «...هذا شاعر رفيق مجدد ، ولـكنه شاعر فى حدود القصيدة التى لا تتعدى فى طولها عشرة أبيات من الشعر ، لأنه ضيق الأفق ، محـدود الطاقة ، لا يعينه جناحاه على التحليق فى الأجواء العالية ؛ الأجواء التى تتطلب جناحى نسر لا جناحى فراشة» !

قلت هذا عن الدكتور ناجى ومضت بعد ذلك أيام ، ثم حدث أن

لقيت شاعراً من شعرائنا الشبان يربطه بالدكتور سبب من صلات الود والصداقة ، وأبدى الشاعر الشاب رغبته فى أن يجمع بينى وبين الدكتور ناجى ، لأننى فى رأيه قد ظلمت شاعريته حين وصفتها بهذه الكلمات التى انتهت بجناح الفراشة... وكان ردى على الشاعر الشاب أننى لم أر صديقه فى يوم من الأيام ، وليس بينى وبينه ما يدفع الناس إلى شىء من سوء الظن إذا ما أشدت بحسناته أو أشرت إلى سيئاته ، ومهما يكن من شىء فليس هناك مايحول بينى وبين لقائه !

وحدث مرة أخرى أن كنا فى ندوة الرسالة فجاء ذكر الدكتور ناجى على لسان أديب شاب ، مالبث أن وجه إلى الحديث مذكراً بتلك الكلمات التى كتبتها عنه ، خاتماً هذا الحديث بقوله : إن ناجى سيقدم فى القريب دليلا فنياً يرد به على نقدى ...

أما هذا الدليل الفنى فهو ملحمة تحت الطبع بلغت فيها الطاقة الشعرية ثلاثمائة بيت من الشعر . وكان ردى على الأديب الشابّ أننى على استمداد لتقديم هذه الملحمة إلى القراء تقديماً يبرز مافيها من قيم ، على شرط أن يمينى الطبيب الشاعر على تحقيق هذه الأمنية !

وحدث مرة ثالثة — وكان ذلك منذ أيام — أن دق جرس التليفون فى مكتبى بوزارة المعارف ، وكان المتحدث ذلك الشاعر الشاب الذى طالما أبدى رغبتة فى أن يجمع بينى وبين صديقه ، وبعد دقائق من بدء الحديث أفهمنى أن الدكتور ناجى إلى جانبه وأنه يريد أن يتحدث إلىّ ... وتكلم الدكتور وتكلمت ، وكانت كلمات فيها كثير من الترحيب بلقائه ، انتهت بالتواعد على اللقاء فى حفلة التأبين التى أقيمت لفقيـد السينما أحمد سالم بدار نقابة الصحفيين ، ولقـد اختار ناجى هذا المكان بالذات لأستمع إلى قصيدته التى ألقاها فى الحفلة ، عسى أن أغير رأيى فى جناح الفراشة .

إلى هنا وأشهد الله أننى توجهت إلى نقابة الصحفيين رغبة فى الإستماع لقصيدة الطبيب الشاعر ، وأملا فى إنصافه ، وتحقيقاً لتسجيل هذا الإنصاف على صفحات الرسالة ... وجاء دور ناجى فى الإلقاء فددت عينىّ ، وأرهفت أذنىّ ، وحشدت الذوق كله والشعور كله لتلك الأبيات التى بدأها بمطلع لا يبشر بالخير ! ومضى الطبيب الشاعر فى إنشاده حتى فرغ من إلقاء قصيدته ، وقلت لنفسى ترى هل من الذوق أن أصارحه أم حسبه أن أصافحه ؟ اوبعد حساب طويل بينى وبين نفسى صافحته وانصرفت .

ومع ذلك فأنا فى انتظار الملحمة الكبرى ، وأرجو الله أن يهب الطبيب الشاعر من التوفيق مايعيننى على إنصافه ...

تقدير الأدب والأدباء عندنا وعندهم :

إياك أن تعجب إذا قلت لك إن الذين شيموا الكاتبة الأمريكية مرجريت ميتشل إلى مقرها الأخير بلغوا مائة ألف ... مائة ألف ذرفوا عليها من الدموع مابرطب ثراها إلى الأبد ! ولا تعجب إذا قلت لك أيضاً إن السائق الأرعن الذى دهمها بسيارته فقضى على الفن والنبوغ فى لحظات ، هذا السائق قد جن جنونه ولطم خديه حين علم أن تلك التى قضى عليها لم تكن سوى صاحبة الذهن المبدع الذى أخرج للملايين قصته الخالدة « ذهب مع الريح » ! ولا تعجب مرة ثالثة إذا قلت لك إن الصحافة الأمريكية قد طالبت بإعدام المجرم لأنه لم يقتل عابرة طريق ، وإنما قتل مرجريت ميتشل ... ولا تعجب مرة رابعة إذا قلت لك إن سكان الولاية التى أنجبت الكاتبة الأمريكية قد عهدوا إلى أحد نوابغ المثالين أن يصنع تمثالا ضخما للفقيـدة العظيمة ، ليقام فى القريب العاجل فى أكبر ميدان من ميادين العاصمة !!

هذا فى الولايات المتحدة التى يقال عنها إن دوىّ الآلات فيها قد طغى على صوت الفن ، وإن ضجيج المادة قد أخمد سبحات الروح ... وليس هذا فى الولايات المتحدة وحدها ولكنه فى فرنسا وغيرها من البلاد الأوربية ، أهل الأدب والفن لهم مكان الصدارة فى مواطن التكريم والتعظيم ، سواء أكانوا فى عداد الموتى أم فى عالم الحيـاة والأحياء ، وحسبك أن تعلم أن جنازة الشاعر بول فاليرى كانت أعظم وأروع من جنازة أى رئيس من رؤساء الجمهورية الفرنسية ، وحسبك أن تعلم أيضاً أنه مامن أديب فرنسى كبير إلا وله تمثال يذكرك به فى ميدان من الميادين ، أو شارع قد أطلق عليه اسمه ، أو دار قد حولت إلى متحف ينتسب إليه . هذا عدا وسائل التخليد الأخرى التى تقوم بها الهيئات والحكومات !

عندهم هذا كله .. وعندنا الأدباء والفنانون يتضورون من الجوع ، ويضجون من الغبن ، ويصرخون من الإهمال . وعندما يموت أحدهم تقام له حفلة تأبين فى نقابة الصحفيين ، لايتهافت عليها كرام القوم بمض تهافتهم على تكريم مطربة من صواحب الصوت الجميل ! !

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

طه حسين سفير مصر الأدبي في أوربا :

جاء من باريس أن الدكتور طه حسين بك غادرها عائداً إلى مصر ، وقد عرف الناس من أنباء رحلته في أوربا هذا الصيف ، أنه توجه إلى انجلترا تلبية لدعوة جامعة لندن إلى إلقاء محاضرات هناك ، وقد ألقى هذه المحاضرات التي دارت موضوعاتها على الأدب العربي ، وقرأ الناس أيضاً من أنباء هذه الرحلة ما قوبل به في تلك البلاد من الحفاوة والترحيب ، لا من المصريين هناك فحسب ، بل من الهيئات العالمية أيضاً ، كنادى القلم الدولي في لندن . وقد بهر أديبنا العظيم من لقيه هناك واستمع إليه ، حتى أطلق عليه بعضهم « برنارد شو الشرق » وما نعد نحن هذا التشبيه زيادة في قدره ، وإنما الدلالة الملحوظة أن ينزل هو من تقديرهم مثل منزلة أديبهم الكبير .

وفي العام الماضي دعى طه حسين إلى إسبانيا لإلقاء محاضرات في جامعتها ، فلبى الدعوة وقضى هناك أشهراً تحدث فيها إلى الإسبانيين عن الأدب المصري الحديث فيما تحدث . وكان من ثمرات تلك الرحلة فكرة إنشاء معهد مصري في إسبانيا ، التي اقترحها على وزارة المعارف ، والتي ترمي إلى دراسة الآثار العربية الفنية والفكرية في البلاد التي كانت تسمى بالأندلس في عهدها العربي ، دراسة تصلنا مباشرة بتلك الآثار التي لا نعرف عنها إلا ما ننقله من المستشرقين .

وأعود إلى طه حسين وهو يضطرب في فرنسا متنقلا بين عاصمتها ومصايفها ، يخالط الأدباء الكبار ويدارسهم ، يستمع إليهم ويستمعون إليه . وأكبر الظن أنه لا بد أن يرد في الحديث ذكر الأدب في مصر وأخواتها العربية ، وأقل ما يشعر به أولئك الأعلام العالميون أن بينهم أديباً عربياً يمثل الثقافة العربية الحديثة ، فيملي ذلك من شأن هذه الثقافة في نظرهم . وليس قدر طه حسين بين كبار الأدباء في فرنسا بالذي يحتاج إلى تبيين ، وقد رشحه أندريه جيد وماسنيون وأدوار هريو لنيل جائزة نوبل للآداب في هذا العام ، كما أشرت إلى ذلك في الأسبوع الماضي .

تلك هي السفارة الأدبية التي يقوم بها لمصر طه حسين ، وهي سفارة — كما ترى — ذات شأن وأثر كبيرين ، ففيها دعاية لبلادنا وفيها تعريف بأدبنا وثقافتنا ، إلى ما يستمده أديبنا الكبير نفسه من ثمرات الأفكار وما يستلهمه من صور الحياة ثم يفيضه علينا في أدبه المصفى .

وذلك هو طه حسين « مالىء الدنيا وشاغل الناس » . إنه يعود إلى مصر ، فليت شعري ، كيف تلقاه مصر ؟ هل يتوجه إلى داره ويذهب للتسليم عليه جماعة من الناس ، يحمدون الله على سلامته ، كأي واحد من آلاف الناس الذين يسافرون ويؤوبون ، في تجارة أو لهو ؟

قرأت في الصحف أن رجال التعليم الحر سيقيمون له حفلة استقبال ، هذا حسن ، وهؤلاء قوم يعرفون الواجب . ولكن الأدباء أين هم ؟ لا أريد أن أسبق باللوم ، فعسى أن يخطر الأمر على بالهم ، وليت « عسى » تنفع شيئاً !

ولكن أقول : إن الخطباء والشعراء يسارعون إلى المشاركة في الحفلات التي تقام لرجال السياسة وغيرهم ، وأراهم يتقاعس بعضهم عن بعض ، لا يكرمون أحداً منهم ولا يحيون ذكر موتاهم ، مع أن هذا هو الأكرم لهم والأجدر بهم ، ولكن قاتل الله التطلع والأثرة والمنافسة ...

ولست أدعو إلى تكريم طه حسين لذاته ، فالرجل غني بأدبه وصيته عن كل تكريم ، وإنما في ذلك معان منها إكرام النفس بعرفان الفضل ، وفي ذلك أيضاً مجال للأذهان والقرائح ، وتنشيط للحركة الأدبية ، وعرس للأدب والفن .

وتحيتي إلى الرجل العظيم الذي يذكر اسمه مجرداً ، فيغني عن كل ما تحلى به الأسماء ، وهو طه حسين .

من طرف المجالس :

كم في مصر من العبقريات ! هذه عبقرية من نوع آخر .. التقينا بصاحبها بفندق الكونتننتال في إحدى أمسيات هذا

الأسبوع وعبقرينا هذا هو الفيلسوف الاقتصادى ، أو قل زعيم الفلاسفة والاقتصاديين جميعاً غير منازع ، محمد مختار .. وتجريد اسمه من الألقاب لعظمة الاستحقاق ... كما أن تجريد اسم «طه حسين» للاستغناء .. وهكذا تتنوع الأسباب والتجريد واحد ..

قدم لنا الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى ذلك العبقرى ، وعرفنا به ولم يكن فى حاجة إلى تعريف ، فقد كانت « عظمته » بادية فى سمته ، كما هى كامنة فى اعتقاده .. وشاء ظرف معالى حلمى عيسى باشا أن يشير إلى ناحية من نواحى هذه العبقرية التى قلما يجود بمثلها الزمان .. تلك الناحية هى تجديد عبقرينا فى النحو ، بجر الاسم الذى يقع عليه الفعل وهو لا يعترف بالنصب إلا فى حالة واحدة ، عند ما يدخل على الاسم حرف جر ، فإنه يقف فى وجه هذا الحرف ليمنعه أن يؤثر شيئاً فى الاسم ، أو يحمله على نصبه حملا ! قال معالى حلمى باشا : كيف يقول الدكتور أحمد أمين فى خطبته بالمجمع اللغوى : إن النحو ظل جامداً لم يتطور ! ولكن له عذره لأنه لم يسمع مختار بك ، ولو سمعه يدحض مذاهب النحويين بالقراءة على غير مقتضاها لغير رأيه ..

ولكن الفيلسوف الاقتصادى الكبير لا يلقى بالاً إلى النحو ، فهو يتكلم بالسليقة ، وهو يوجه همه إلى الفلسفة والاقتصاد .

وقد أجمع أهل المجلس على الرغبة فى سماع شىء من إنتاج عبقريته ، فأخرج من جيبه مقالا عنوانه « فلسفة الحياة » وهو مقال صغير فى مبناه كبير فى معناه ... تتجلى روحه الفلسفية فى مستهله إذ يقول : « الله سبحانه جلت قدرته خلق الإنسان مكوناً من مادتى الجسد والروح » وتصل الفلسفة إلى قمتها عند ما يقول « إذا فقد شخص ما مكانته الاجتماعية إذ كان موظفاً وأحيل على المعاش شعر بنقص كبير فى شخصية مكانته الاجتماعية فيسعى لإظهارها بأن يعمل عضواً برلمانيا أو تجاريا أو محامياً » أرأيت مثل هذه الفلسفة فى « الحث على العمل » ؟

وقد أراد الأستاذ الزيات أن تتحلى الصفحة الأولى من «الأهرام» بذلك المقال . ولكنى ضننت به على الأهرام ، وأخذته لتحليله وعرض فكرته الماثلة فى «الرسالة» ولا يسعنى بعد ذلك إلا أن أنبه على وجوب اختيار هذا العبقرى الفيلسوف وزيراً لأى وزارة .. تحقيقاً لرغبة أصحابه ومجالسيه فى الكونتنتال ، وتحقيقاً لرغبته هو أيضاً فالتواضع لا يحسن فى كل حال .

كشكول الأسبوع

□ وافق معالى وزير المعارف على منح المستشرقة الفرنسية دلفارنى مائتى جنيه كنفقة لإقامتها بالقاهرة فى خلال المدة التى تقوم فيها بتحقيق الجزء الذى لديها من كتاب « الشفاء » لابن سينا ، طبقاً لما ذكرنا فى العدد (٨٤٨) وذلك على أن يطبع الكتاب لحساب الوزارة ، ويعتبر ذلك المبلغ أجراً على جهدها .

□ قررت وزارة المعارف تأليف لجنة لإخراج ديوان ابن الرومى ، من الأساتذة محمد خلف الله أحمد وطه الحاجرى ومحمد عبده حسن الزيات وعبد السلام هرون ، ومقر اللجنة بجامعة فاروق بالأسكندرية

□ نشرت « المصرى » أن الدكتور طه حسين بك استقبل فى فندقه بلندن ، مندوباً عن الحكومة العالمية التى يسعى إلى إقامتها فريق من المفكرين ، وعرض عليه أن يكون ممثل هذه الحكومة فى مصر ، فقبل قائلا : إنه لا يستطيع أن يمتنع عن المساهمة فى أية حركة من شأنها إزالة الخلافات بين البشر .

□ أخرج الأستاذ أحمد الصاوى محمد طبعة جديدة أنيقة من كتابه « التلميذة الخالدة » وهو قصة حياة العالمة الخالدة الذكر مارى كورى مستكشفة « الراديوم » التى بلغت أوج الشهرة والمجد وظلت نفسيتها كما كانت فى أول حياتها تلميذة فقيرة ، يطالعك من خلالها روح الإنسانة التى جاهدت لخير الإنسانية جهاداً خالصاً نافعاً خالداً .

□ كتب الأستاذ الصاوى فى الأهرام عن الخمر وأثرها فى إفساد الحياة ، واستشهد بقصة سكر وعربدة وقعت للشاعر العباسى ابراهيم بن هرمة .

ويقال فى العامية للماكر الخبيث (ابن هرمة) فهل هذا منحدر من ذاك على التشبيه مع التحريف فى الضبط ؟

□ شرعت دار الكتب المصرية فى طبع ديوان الأمير تميم الفاطمى ابن المعز لدين الله ، وقد قدمه إليها الأستاذ محمد حسن الأعظمى عميد كلية اللغة العربية بالباكستان ، وكان قد عثر فى إحدى المكتبات الهندية على نسخ مخطوطة لهذا الديوان ، فحققه بمقارنتها ، وشرحه ، وقدم له بدراسة مسهبة تضمنت نظرات فى أدب الفاطميين .

□ تعود مجلة « الميزان » إلى الظهور فى أوائل نوفمبر القادم ، وهى مجلة شهرية يحررها نخبة من الشبان الأدباء ، وتعنى بشؤون المسرح والسينما والأدب .

□ شكت مجلة « الاستديو » إلى (البوليس) والقضاء ، أنور وجدى مخرج فلم « غزل البنات » لأنه صفع محررها وحطم نظارته ، على أثر قراءته نقد المجلة للفلم .

□ نشرت الصحف السودانية أنباء تلقتها من جنوب السودان تتضمن أن الإرساليات الأوربية هناك قد نظمت حملة لمقاومة مشروع نشر اللغة العربية الذى تقوم به وزارة المعارف السودانية .

عقبال البكارى :

كان مخرجو الأفلام المصرية يعمدون إلى خلق المناسبات وأدنى الملابسات ليظهروا فى مناظرها الراقصات والمغنين والمغنيات والمضحكين والمضحكات ، ويُعد من الأفلام الجيدة ما تقدم هذه العناصر والمظاهر مع موضوعه الهزيل كى تستر نقصه وتغطى هزاله ... ولكن فلم « عقبال البكارى » حدث جديد فى هذا الميدان لم يسبق له مثيل . ذلك أنه لا ينتهز الفرص لتقديم الرقص وغيره ، وإنما هو يحاول أن ينتهز الفرص فى خلال الرقص لعرض قصة .. والمرة الأولى نرى القصة خرجت عن (السيناريو) وصارت شيئاً آخر إضافياً ، وأصبح « التقطيع » ينصبُّ على الرقص وما إليه ...

ولم لا ؟ أليست بطلة الفلم هى تحية كاريوكا ؟ وها هى ذى تظهر — واسمها فى الفلم تحية أيضاً — فى أول منظر أمام الرسام حمدى باعتبارها « مثالاً » للرسم ، وبينا هو يعمل فى رسمها ويسمع قطعة موسيقية من الحاكى إذا هى تتحرك على الموسيقى وتروح ترقص وترقص ... ولا بد من ذلك ليبدأ الفلم أو — على الحقيقة — ليرقص .. وتُنتهز فرصة فراغ تحية من الرقص لعرض مناظر يفهم منها أن حمدى الرسام تعلق قلبه بتحية الراقصة ، فذهب إليها فى (الصالة) التى تعمل بها ، وهنا يستأنف الفلم مجراه الطبيعى ، فيقدم ما تشتهى الأنظار من ألوان الرقص والغناء وفى حجرة تحية الخاصة نراها تستقبل حمدى ضمن زوار آخرين استقبال مجهول وتسأله عن اسمه .. فهل نسيت أو نسى المخرج أنها كانت عند حمدى فى مرسمه ، يرسمها وترقص ؟ ولندع هذا فما هى إلا برهة وجيزة حتى نرى تحية وحمدى وآخرين معهما يتعشون فى (كازينو نجمة الصبح) والحقيقة أن كلمة « العشاء » نسمعها من ألسنتهم فقط ، فلم نر عشاء على المائدة التى جلسوا إليها قليلا ثم نهضوا للرقص ..

ونرى بعد ذلك حمدى يصارح تحية بحبه إياها وهى تبادله الحب ، ويتفقان على الزواج ، بعد أن يقول لها إنه فقير ، وتقول له إنها ترضى به ، لأنها تحبه وقد كرهت هذا النمط من الحياة الذى تجرى عليه . ويبدأ فى البحث عن شقة يسكنانها ، هو وصديقه جميل ، ويعنى المخرج بإبراز هذا البحث ليشير إلى أزمة المساكن، ولكنه لا يوفق فى ذلك إذ أنه جعل من العسير عليهما أن يجدا أى شقة ، مع أن الشقق الآن موجودة فى كل مكان ولكن الأزمة فى ارتفاع أجورها ، اللهم إلا أن يكون الفلم أعد منذ سنوات وعرض الآن فقط .

وأخيراً يجد حمدى إعلاناً عن شقة خالية فى منزل المعلم عاشور الجزار ، ويذهب حمدى وصاحبه جميل إلى هذا المنزل ، فيحدث اشتباه مفتعل ظريف ، إذ يظن الجزار أن حمدى يخطب أخته العانس فيرحب به ، ويجرى الحوار بينهما مشبهاً ، يفهمه حمدى على الشقة ، ويأخذه الجزار على أنه فى الرغبة من زواج أخته ، ويضرب الموعد لكتابة « العقد » ... وأى عقد ؟ أهو عقد الإيجار ، أم عقد الزواج ؟ كل يفهم ما يريد ... ويعد الجزار لعرس أخته ، ويقبل حمدى ليؤجر الشقة ... ثم يرغم على الزواج ، إذ يهدد بالسكاكين إن لم يقبل ، حتى لا تتعرض سمعة العائلة للقيل والقال .

ويجرى كل ذلك سريعاً سريعاً ، ويدور الرقص فى الفرح ، وتعلم تحية فتعود إلى (الصالة) بعد أن تركتها وتستأنف الرقص . ثم يهرب حمدى من العروس التى أكره عليها ، ويحصل الجزار من (قسم البوليس) على أمر بالقبض على العريس أينما وجد . ولأول مرة — فكل ما فى الفلم أول — نرى أمر القبض على زوج هارب من زوجته ، والأمر من (عسكرى البوليس) لا من وكيل النيابة ! ولم هذا الأمر يا ترى ؟ ليذهب به الجزار إلى ميدان سباق الخيل بالأسكندرية حيث ذهب إلى هناك حمدى وتحية ومن معهما ليشاهدوا الحصان « سعد السعود » الذى خرجت باسمه ورقة النصيب التى معه ، فيطالبه بمؤخر الصداق وهو ألفا جنيه ، ويهدده بأمر القبض عليه ... وبعد أخذ ورد يتفقان على أن يتنازل الجزار عن ألفى الجنيه ويدفع خمسة آلاف أخرى لقاء ورقة النصيب التى أيقن أن حصانها سيسبق ويربح عشرة آلاف جنيه ، ثم يخفق الحصان . وينتهى الفلم بمنظر حمدى وتحية مسرورين بخمسة الآلاف

ويلاحظ أن الجزار يطالب بمؤخر صداق أخته ، ويساومه زوجها حمدى ، وهذا أيضاً تجديد نوجه إليه الأنظار ، فالمتبع ألا يطالب بمؤخر الصداق إلا عند الطلاق ، ولكن هنا لا يجرى للطلاق أى ذكر ، ومع ذلك يتساوم الطرفان على مؤخر الصداق ،

والسؤال الحائر هو : لماذا لم يطلق حمدى أخت الجزار ؟ وهل يكفى أن يوقع له أخوها بأنه تسلم مؤخر المهر لتكون هى طالقاً ؟

ومن العبث أن يتحدث الناقد فى مثل هـذا الفلم عن رسم الشخصيات ، فليس فيه شخصية مرسومة ، حتى الرسام الذى لم نجد فى مرسمه شيئاً من روائع فنه !

وقد عرض الفلم – لأول مرة – فى هذا الأسبوع بسينما الكورسال بالقاهرة ، وهو من تأليف أبو السعود الابيارى وإخراج ابراهيم عمارة . ومثل « حمدى » محمود المليجى ، وهو ممثل عرف بالإجادة فى أدوار الشر ، وكان بهذا الفلم فى دور البطل المحبوب ، وقد وفق فى القيام به ، غير أنه لا تزال تلازمه بعض الظلال والخلال التى كان يظهر بها فى الأدوار الشريرة . ومثل « جيل » إسماعيل يسن وهو فى دور إضافى يمكن الاستغناء عنه ، وإنما يقصد به الإضحاك ، وكذلك حسن كامل الذى مثل عم تحية ، وقد كانا فعلاً ركنى الفكاهة فى الفلم ، على أنه يمكن أن يقال إن كل من فى الفلم يمكن الاستغناء عنهم ... ما عدا تحية ...

عباس خضر



المازنى فى يافا :

كانت يافا العربيـة وقتئذ مركزاً هاماً للنشاط الأدبى والفكرى فى فلسطين ، ففيها الصحافة ، وفيها الأندية ، وفيها محطة الشرق الأدنى للاذاعة العربية .

وفى سنة ١٩٤٥ دعت محطة الإذاعة الأستاذ ابراهيم عبدالقادر المازنى تغمده الله برحمته ليحل ضيفاً عليها لمدة أسبوعين يبث فى أثنائها وجهات نظره إلى المذياع .

فحدثنا – رحمه الله – فى مواضيع شتى أذكر منها (رسالة الشباب) و (فن الترجمة) و (هل للأدب رسالة اجتماعية) و (التعاون الفكرى بين البلاد العربية) .

ورحبت بمقدمه أندية يافا مثـل النادى العربى ، والنادى الأرثوذكسى ، والنادى الرياضى الإسـلامى ، والمعهد البريطانى، وألقى فيها محاضرات قيمة فى الأدب والاجتماع .

وأذكر أن حدث للأستاذ المازنى فى يافا حادث عجيب ، فقد جاءه بعد ظهر يوم وفد يمثل نادى الشبيبة الإسلامية ، وكان الأديب الكبير ينزل فى (كايف أوتيل) وطلب مقابلته ، فأخبره صاحب النزل بأن الأستاذ يتناول دواء بعد كل غداء وينام مدة ساعتين على وجه التقريب ، وقد منع كل مقابلة له فى هذه الأثناء ، فأصر الوفد على مقابلته ، وعلا الهرج والمرج فى القاعة ، فاخترقت الأصوات باب حجرة الأستاذ وبلغت مسمعيه مصحوبة بترديد اسمه فنهض متدثراً فى قميص النوم ، وفتح الباب مستوضحاً الخبر ، فقال له رئيس الوفد : يؤسفنا جـداً أن نزعجكم فى مثل هذا الوقت ، فأعضاء نادى الشبيبة الإسـلامية مجتمعون فى ناديهم للاحتفاء بكم ، ويسرهم أن تقوم فيهم خطيباً .

فقال : إننى لم أعتد الخطابة بعد الظهر ، وهو وقت راحتى واستجمامى ... لكننى لن أرد لكم طلباً ، فأذنوا لى بدقائق معدودات لأغير لباسى .

واستقل الأستاذ المازنى والوفد سيارة إلى النادى .

لقـد توقع الضيف الكريم أن يرى وفداً آخر عند مدخل النادى ، ومرحبين يبتدئ طرفهم بأول درجة من درجاته وينتهى الطرف الآخر بالحفل ... ولكنه لم يلتق بأحد ، فامتقع وجهه قليلا ، وتبلبل الوفد المرافق .

وولج الأستاذ المـازنى القاعة ، وكان هواء البحر يداعب ستائرها ، فوجدها خالية إلا من قيم مكتبة النادى الذى دهش لمرأى الأستاذ المـازنى فى الثالثة بعد الظهر فهرع إليه يقول : أستاذنا الكبير ... أهلا بأديب العربية ... ما هـذه المفاجأة السارة ؟ ... لقد كنا نود أن تشرفونا بزيارتكم فى وقت غير هذا الوقت ... فالأعضاء متغيبون ، ومع ذلك فأهلا بكم !

فوقف الأستاذ المازنى حائراً ، ووقف الوفد مشدوهاً .

وبدأت الاعتذارات ممتزجة بتصبب العرق وفرك اليدين ، وساد النادى صمت رهيب ، ولم ينقذ الموقف إلا فرقة من الكشافة قد عرجت على النادى مصادفة لتستريح قليلاً من عناء رحلة شاقة فعلمت بوجود الأستاذ المازنى فى النادى وراحت تشق عنان السماء بالهتاف : يعيش المازنى . يا .. يايعيش ! .. نريد كلمة من المازنى!

ووقفت الكشافة فى صفين متقابلين ، فاستعرضهم الأستاذ المازنى ، وألهب نفوسهم بخطاب وطنى جارف .. وترك النادى بين هتافاتهم وتصفيقهم الحاد .

فلما روى لى رحمه الله هذا الحادث العجيب ، سألته مداعباً : أترون فى الأمر سوء تفاهم أم (مقلباً) ؟ ..

فأجاب وهو يضحك : والله لا أدرى .. ولكنه حادث طريف يصلح للكتابة !..

ليماسول (قبرص) **نجاتى صدقى**

ماذا ؟

فى البريد الأدبى فى العدد ٨٤٧ من الرسالة قرأت من الأستاذ راجى الراعى رداً على سؤال وجه إليه ... كان السؤال معقولاً ولكن الرد كان عجيباً .. لم يفهم الأستاذ دسوقى حنفى معنى لنداء بمثه الأستاذ الراعى إلى الشمس فقال لها «يا ابنة الله» ثم «يا عين الله» وأراد الأستاذ الراعى أن يجيب ولم يكن ثمة داع للاجابة .. فلم شط فى التعبير وكان الله غفوراً رحيما . ولكنه قال لنا إنها لغة غير لغة الناس ... إذن فقد كنت فى السماء مع الشمس ... أو هكذا يقولون هناك ! غير لغة الناس يا سيدى . فأى لغة هى ؟ حسبنا الله الواحد الأحد لم يولد ولم يلد ... هكذا نقول نحن الناس ... فهو إذن والد فى لغة غير لغتنا ... أستغفره لهذه اللغة وأسأله لها الرحمة والتوبة والهداية .

أما أن الشمس عين الله فهذا ما أراد أستاذنا الراعى أن يدلل عليه فقال إنها النور وإنها إحدى عيون الله التى ترعى الخلق . خسئت الشمس عيناً له جل جلاله ... أنبلغ عين الله من الضعف والهوان هذا الدرك ... أى عين الله تلك التى أذودها عنى بستاره أسدلها أو خشب نافذة أقفله ... إن عيون الله يا سيدى ... أى عين له هى أحد من ذلك وأقوى ... رحماك يا أستاذنا الراعى اعتذر فقد أخطأ من قبلك كل جليل وإن الحق قديم ... هكذا يقول الناس .

ثروت أباظة



الصورة ...

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

بقلم الأديب يوسف يعقوب حداد

سمعت من يقول لصديقه ، وهما على مقربة من مجلسي ... أنظر ... ها هو ذا ميليال !

واتجهت إلى هذا الذي يشيرون إليه بإعجاب ودهشة ؛ إذ أنني كنت في شوق للتعرف على هذا الرجل الذي تعبده النساء ... هذا الرجل الغريب ، الذي تتهالك عليه بنات حواء !

كان قد تجاوز سن الشباب بقليل ، يبدو للعين في هيئة غريبة ، غير مألوفة ، فشعره غزير ، ينسدل حتى كتفيه ، ويغطي رأسه حتى ليبدو وكأنه قبعة جلدية كتلك القبعات التي يلبسها أهل الشمال ! ولحيته ناعمة ، طويلة ، تداعب صدره ، وكأنها قطعة منتزعة من فرو معطف نسائي جميل !

رأيته يتحدث لامرأة ، وفي حديثه كثير من اللطف والرقة ، قد أحنى جذعه في احترام ، وهو يوجه إليها نظرات لطيفة إذا استطعت أن تدرك منها شيئاً ، فإنما أنت تدرك ، عاطفة فيها مزيج من الحنان والعطف والاحترام !

كنت قد سمعت طرفاً من حياة هذا الرجل ... وعرفت أن بضع نساء قد أحببنه حتى العبادة ، وتفانين في حبه إلى حد لا يتصوره العقل ، وسمعت اسمه يتردد في كثير من قصص الحب ، فكنت إذا ما سألت أولئك النسوة اللوائي كن يطنبن في مدحه ، ويندفعن في التحدث عن سجاياه ، وعن سر سحره الذي يسحرهن وجاذبيته التي تجذبهن ، كن يجبنني بعد تفكير عميق ، وتأمل طويل ، بأنهن لا يعرفن هذا السحر . ولا يدركن لهذه الجاذبية سراً .. كل ما يعرفن ، أنهن ينجذبن له لأول نظرة ، وينسحرن بسحره لأول لقاء !

وأستطيع الآن ، وبعد أن رأيته ، أن أؤكد أنه لم يكن جميلاً ، كما أنني أستطيع أن أقول ، وأنا لا أتجنى عليه ، أنني لم أجد فيه شيئاً من تلك الخصال التي يتصف بها عادة ، أولئك الرجال الذين يجتذبون إليهم قلوب النساء ، لذلك رحت أتساءل في دهشة عن سر هذه الجاذبية . أهو كامن في ذكاء الرجل ؟ ... ولكنني لم أسمع من يمتدح فيه الذكاء ! ... أهو مختف في مظهره ؟ ... ربما ! ... ألا يمكن أن يكون مكمن السر في صوته ؟ ... وإنما هنا لك غيره من يمتلك مثل هذا الصوت ، المشحون بالرقة ، والحنان ، والعذوبة !

ومر أحد معارفي ، فاستوقفته ، وسألته — أتعرف السيد ميليال ؟

قال في دهشة — نعم !

قلت في رغبة واندفاع — أرجوك ... قدمني إليه .

وبعد دقيقة ... دقيقة واحدة فقط ، كنا نتصافح ، ونتجاذب أطراف الحديث !

كان حديثه مرحاً ، هادئاً ، متزناً . وكان صوته جميلاً ، رقيقاً ناعماً . إلا أنني سمعت من قبل أصواتاً أكثر تأثيراً في أذن السامع ، وأشد وقعاً في نفسه ... سمعت أصواتاً تبعث السرور ، وتنشر في النفس الحبور ... سمعت أصواتاً لا تجهد في تتبع معانيها ، تنساب من الشفاه سهلة ، لينة ، غير معقدة ولا متشابكة .

وبدا لي حديثه طبيعياً . لا ينبه الشعور بالملل . والمتحدث إليه يشعر بأنه يبادله الحديث في سهولة وبساطة . وأن الألفاظ تنساب من فمه بسهولة ، ومن غير تفكير أو عناء !

ومع أن المدة التي مضت لتعرفي عليه لم تزد على الربع ساعة ، إلا أنني وجدت نفسي ، وكأنني أعرفه منذ ربع قرن ! ... شعرت نحوه كما أشعر نحو صديق قديم . أفكاره ، وحركاته ونزعاته ، لم تكن غريبة عني . في هذه الفترة القصيرة من الزمن ، شعرت وكأن كل ذلك التكلف والتحفظ ، وكل تلك الحواجز والعادات التي تقف عادة بين الناس ، قد انهارت كلها مرة واحدة ، وتداعت من أساسها ! ... والمعروف أن تلك الحواجز والعادات ، وذلك التكلف والتحفظ لا تسقط بين الناس مرة واحدة ، وإنما تسقط تدريجياً الواحدة بعد الأخرى . تسقط مع مرور الزمن . وتوطد أركان المعرفة ، وتوثق عرى الصداقة .

وافترقنا بعد أن أعطانى عنوان بيته، ودعانى لتناول الغداء عنده فى اليوم التالى. إلا أننى نسيت الموعد بالضبط حين ذهبت إليه فى اليوم التالى، ووصلت قبل الموعد فلم أجده هنالك. فاستقبلنى خادم صموت، قادنى إلى غرفة الاستقبال، حيث جلست على مقعد وثير وكأننى فى بيتى!

إن مشاعر المرء لتختلف بالنسبة للغرف التى يدخلها ... بعضها يشعرك بالضيق. وبعضها يشعرك بالكآبة، والبعض الآخر منها يشعرك بالبلادة! ... أن عيوننا كقلوبنا ترتاح لأشياء وتشمئز من أشياء أخرى!

وأخذت أنظر إلى مايحيطنى. وأتأمل فيما يدور حولى. فلم أجد ثمة شيئاً غير مألوف، فالأثاث بسيط يغلب عليه القدم. والستائر من حرير شرقى ناعم. وفى صدر الغرفة، فى مواجهتى صورة لامرأة متوسطة الحجم، يظهر منها الرأس والقسم الأعلى من الجسد ... وبيدها كتاب.

كانت المرأة فى مقتبل العمر حاسرة الرأس. وكان شعرها الناعم مرتباً فى بساطة، يبدو على شفتيها طيف ابتسامة حزينة كئيبة. والصورة طبيعية لاأثر للتكلف والتصنع فيها.

إن مارأيته من صور قبل الآن، كانت البهرجة تغلب عليها بوضوح، حلى، وجواهر، ولباس أنيق، وشعر مضفور فى عناية. فكانت تلك الصور تشعرنى لأول وهلة، أن صاحب الصورة قد تصنع كل ذلك التصنع لأنه كان يعلم سلفاً بأنه جالس أمام المصور ... وإنه يريد أن يرضى أحبابه وأصدقاءه الذين سيرون صورته. لذلك كرهت تلك الصور البعيدة عن الواقع، الشديدة التكلف والتصنع ... أما هذه الصورة، فأنا أعجز عن وصفها. ولا أحس بالخجل إذا قلت بأننى أعجز عن التعبير عن شعورى تجاهها.

كانت مثبتة فى مكان بارز، منعزلة، تبتسم ابتسامة باهتة يشوبها الحزن، ويخالطها الأسى. تماماً كما يبتسم بعض الناس حين يختلون بأنفسهم، ويتذكرون مامضى من حياتهم. فيبتسمون، يبتسمون لأنفسهم حتى إذا كانت تلك الذكريات مرة وحزينة!

كانت منفردة فى مكانها، غير شاعرة بهذه الأشياء التى تحيط بها. وهذه الصورة قد خلقت فى الغرفة جواً ساكناً، يشيع فيه الهدوء ... هذه الصورة هى الشىء الوحيد الذى يبعث الحياة فى هذه الغرفة!

من الممكن أن يقتحم هذه الغرفة جمع غفير من الناس يضحكون فيها ويعبثون، يشربون ويغنون، ولكنهم لن يستطيعوا أن يبعثوا هذه الحياة التى بعثتها الصورة نفسها!

وبدت لى نظراتها غريبة ... بدت لى مصوبة نحوى. إن كل الصور تقابلك بنظراتها، أما هذه الصورة فإنها لاترانى وإن كانت مصوبة نحوى بالضبط كما أنها لاتستطيع أن ترى شيئاً آخر أبداً. هى نظرات شاردة، تنظر ولا ترى، مما ذكرنى بقول الشاعر بودلير «آه من نظراتك ... إنهن يجذبننى كما تجذبنى نظرات الصور!».

نعم ... إن هذه الأعين المرسومة بالدهان على الورق الجامد لتبدو لى، وكأنها حية، وإنها ستحيا إلى الأبد.

آه ... ياله من سحر، يخدر الأعصاب، ناعم كرور النسيم كصوت القبلات، محرك للعواطف كلون السماء عند الغروب ... آه ... إن هاتين العينين لتشبهان الليل الذى يعقب الغروب ... وما أجمل الليل، وما أجمل الغروب!

من هذا الإطار العابس، تنظر إليك هذه العيون فى رقة وحنان ... نعم، إن هذه العيون التى أبدعتها يد الفنان على الورق بعدة حركات من ريشته، لتبدو لى هى الأخرى، مفعمة بالأسرار ... أسرار المرأة، الكامنة أو الظاهرة. إن هذه العيون لتحمل كل ماتستطيع المرأة التعبير عنه بنظراتها. هذه النظرات التى تنبه فى قلوبنا الإحساس الأول للحب!

وأخيراً، انفتح الباب، ودخل منه السيد ميليال، فاعتذر لى عن تأخره، فصافحته وأنا أعتذر إليه بدورى عن تبكيرى فى الحضور. ثم سألته أن يغفر لى تطفلى، ويجيبنى عن سؤالى عن صاحبة الصورة، ومن عساها تكون، فقال «إنها والدتى ... ماتت فى ريعان الصبا وميعة الشباب!».

وعند ئذ ... عند ئذ فقط انكشفت لى كل الأقنعة عن سر جاذبية هذا الرجل، وتأثيره على النساء!

يوسف يعقوب حداد

(البصرة: عراق) س. ب. رقم ١٥

سكك حـــديد الحـــــكومة المصرية

صرف تذاكر مشتركة إلى الوجه القبلي بأجور مخفضة للسفر بها بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم والإقامة فى الفنادق

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور أنه بموجب اتفاق مع شركة فنادق الوجه القبلي والفنادق الأخرى وشركة عربات النوم قد تقرر إعادة صرف التذاكر المشتركة بمعرفة مصلحة السكك الحديدية للحكومة المصرية ابتداء من أول أكتوبر سنة ١٩٤٩ لغاية ٣١ مارس سنة ١٩٥٠ بأجور مخفضة للسفر بالسكك الحديدية والمبيت في عربات النوم للدرجة الأولى فقط والإقامة فى الفنادق .

وتشمل هذه التذاكر الإقامة فى الفنادق المبينة بعد :

اسم الفنــــدق	درجــــة الفندق	الأجرة عن ٥ أيام و ٤ ليال من القاهرة (مليم جنيه)
فندق ونتر بالاس بالأقصر	درجـــة أولى ممـــتازة	٩٣٠ ر ١٦
فندق كاتاركت بأســوان	» » »	١٢٠ ر ١٩
الأقصر بالأقصر	درجة أولى والسفر بالدرجة الأولى	٠٨٠ ر ١٥
	» » » » الثانية	٣٢٥ ر ٩
فندق جراند أوتيل بأسوان	درجة أولى والسفر بالدرجة الأولى	٢٧٠ ر ١٧
	» » » » الثانية	٠٩٠ ر ١٠
فندق ســافوى بالأقصر	درجة ثانية ممتازة والسفر بالدرجة الأولى	٢٠٠ ر ١٤
	» » » » » الثانية	٤٤٥ ر ٨
فندق الماثلات بالأقصر	درجة ثانية والسفر بالدرجة الأولى	١١٠ ر ١٢
	» » » » الثانية	٣٥٥ ر ٦
فندق المحطة بالأقصر	درجة ثانية والسفر بالدرجة الأولى	١١٠ ر ١٢
	» » » » الثانية	٣٥٥ ر ٦

مطبعة الرسالة



العدد ٨٥٣ — الاثنين ٧ نوفمبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٧ ه ٣٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 eme Année No. 853

Lundi — 7 — 11 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٣٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٥٣ « القاهرة في يوم الاثنين ١٦ من شهر محرم سنة ١٣٦٩ — ٧ نوفبر سنة ١٩٤٩ السنة السابعة عشرة »

تحية القائد المغربي (*)

الأمير عبد الكريم الخطابي

للأستاذ أحمد رمزي بك

وقد بجمت تلك الخطوب قناته فزاد على عجم الخطوب اعتدالها
وما كان محروماً من النصر في الوغى ولكنها الحرب اعتدت وسجالها
ولو شاء إذ ترك الشبيئة سودد لأشوته يوم الهندوان نبالها
غداة يجاريه التقدم في الوغى أبو غالب والخيل تترى رعالها
كأنهما من نصرة وترافد يمينك أعطتها الوفاء شمالها

(البحتري)

بين مدينتي تور وبواتييه(١) حيث المروج الخضراء وفي قلب فرنسا شن الغرب علينا هجومه المضاد سنة ٧٣٢ هجرية ، ومنذ ألف ومائتين وخمسين سنة ، والقتال دائم بيننا ، لا هوادة فيه ولا حماية ولا تسليم ولا رحمة ...

ولكنك يوم دخلت مصر آمناً مطمئناً ، وعبرت مجمع البحرين(٢) : هللت العروبة في أفريقيا وآسيا لمقدمك ، وقالت اليوم انتهى هجوم شارل مارتل ، وانتقلت أمم المغرب والمشرق من خطط المدافعة إلى الهجوم ، نعم في الساعة التي نزلت فيها إلى أرض مصر العربية في تلك اللحظة أيها المجاهد المقاتل ، تراجعت القرون وانحنت أمام إرادة صامتة وقوة لا تقهر ، وبدأنا مرحلة جديدة من الكفاح في سبيل تحرير المغرب ونصرته وعودته إلى حظيرة الوطن الأكبر . فاذ كر ذلك اليوم . لأن وراءنا الأزمات تتحدث والنكبات تتوالى ، وملاحقة الشعوب الحرة في عقر ديارها في الجزائر وتونس وطرابلس ومصر ، لقد انتهى كل هذا بمقدمك ، وبدأنا صراعاً آخر نحو الحرية والمجد ، لا تراجع فيه ولا يأس وإنما هو دفعة تتبعها وثبة ، ووثبةٌ لا يقف أمامها في المعترك حائل . لقد نظرت إلى الشاطئ الأفريقي وقلت من ضفاف قناة السويس من هنا يبدأ يوم الفصل : نعم يبدأ (١) هجومنا نحن ، هجوم البطولة والجهاد تحت أعلام الحرية والعروبة والإسلام .

ويوم دخلت القاهرة ، قاهرة المعز لدين الله ، بلد صلاح الدين وبيبرس ، ضحكت واستبشرت ، وأتتك الجموع تترى إليك ، أتدري لماذا أيها القائد العظيم ؟

لأنها رأت في وجهك بقية من عبد الرحمن الناصر والمنصور ويوسف بن تاشفين وتطلعت لجبينك فتعرفت على وجوه المرابطين والموحدين ، ومرت بيننا فإذا بكل منا يحس بنفحة من نفحات

(*) كتبت يوم مقدمه ولم تنشر .

(١) مدينتان أوقف عندهما زحف العرب في فرنسا .

(٢) أقصد قناة السويس .

(١) يتصور الكاتب أن المعركة منذ ارتد العرب لا تزال قائمة وإن مراحل التراجع دامت قروناً حتى نزل الأمير عبد الكريم فانتقل العرب من موقف الدفاع إلى الهجوم مرة أخرى .

الأندلس وأرض الجزيرة الخضراء تغمر نفسه ، وخرجت إلينا فإذا بنا نتصور على جنبيك سيوف المجاهدين وازكم السجود من أهل المغرب فكأنك واقف ومئات السنين تنحنى أمام قوتك ونظرتك ، وكأنك تمثل شهداء معاركنا الخالدة فى ألف سنة مضت

عجبا أكلما مددت اليد إليك تمثلتك قائداً فى رداء الماضى ؟ رأيتك فى رداء أهل المغرب الذين انتصروا فى يوم الجمعة لثانى عشر خلت من رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، رأيت أعلام النصر فى الزلاقة(١) وكأنها ترفرف على رأسك : يوم صلى قائدنا ابن تاشفين صلاة الصبح فى ذلك السهل الذى شهد آيات البطولة والقوة والبطش فى قلب أسبانيا .

ورأيتك يوماً فى لباس الموحدين من أهل المغرب ، وهم الذين أسسوا الملك وقادوا الجحافل ودانت لهم الدنيا ، صرت أمام ناظرى وكأن الأعلام التى طويت يوم تور وبواتييه ، قد اخترقت ما وراء عالم الغيب والشهادة ، فإذا بها تنشر من جديد وعلى رأسك ترفع ، وكأن أصوات التكبير والتهليل التى ملأت جبال البرانس وصاحبت المسلمين فى معاركهم وملاحمهم بالأندلس ، قد تجمعت بقدرة القادر جل وعلا ، وعاد صداها يرن فى أذنى ويعيد على أرض مصر ذكرى تلك الأيام الخالدة .

لقد أمضينا بأرض الأندلس ثمانية قرون من الزمن ، كانت الحرب سجالا والدنيا قائمة علينا ، تلك عوائدها فهل عرفناها يوماً من الأيام على غير عادتها ، لا لم نعرف للراحة ولا للاطمئنان طعماً ، بل عشناها قروناً والسهام على الأقواس مسددة ، والدماء جارية ، والصدور تتاقى الطعنات ، والنصال تتكسر على النصال .

وتمثلتك يوماً فى موقف عبد القادر وهو يدفع المغتصب عن أرض الجزائر ، فقمت أحيى بطولته فى شخصك ، وأتمنى لو كنت جندياً أتاقى الأوامر منه .

وأعرض صدرى لرصاص الخصم العاتى ، فى سبيل هذا الركن الخالد من أرض العروبة ، ترى أكنت تدعونى لحمل السلاح كجندى من جنود المغرب ، فانضم لصفوف كتائبك على بطاح الريف ؟

إذن لوقفت على ربوة عالية أتحدى الأخطار والمهالك والحياة والموت ، لأحيى فيك البطل العظيم والقائد المنتصر رغم أنف المستعمر ... ستذكر القاهرة يوم قدمت إليها وحللت ضيفاً معززاً مكرماً فيها ، كيوم من أيامها التى لا تنساها .

والقاهرة لا تنسى من أحبها ، لأن المواطف المتدفقة فى قلوب أهلها ثابتة راسخة منذ أيام الفتح الإسلامى الأول ، منذ دخلها عمرو بن العاص . فهى حريصة على صداقتها ومعزتها ، بقدر ما هى قوية فى البأساء والضراء والشدائد ...

ولذلك سميت القاهرة : لأنها قهرت الحوادث والزمن ، وخرجت ظافرة من المعارك والمواقع الفاصلة ، منصورة فى المنصورة وحطين وعين جالوت ... ولذا تعرفت من أول يوم عليك ، وقرأت نفحاتها وروحها مرتسمة على جبينك وأصبح سكانها أهلك وعشيرتك

فإذا خطرت ببالك سنوات الغربة فى جزائر المحيط ، نخفف عنك هذا ، وذكر الخصوم أن أبناء القاهرة أسروا لهم ملكا يوم المنصورة . بالله مر فى قاهرة المعز ، وارفع ناظريك إلى قلعة الجبل ، وتأمل حجارتها : تحدثك أن اثنا عشر ألفاً من أسرى العدو فى المعارك والحروب التى انتصر فيها جند مصر الإسلامية ، قطعوا هذه الصخور ورفعوا هذه الحجارة . كانت مواكبهم تمر تحت بابى النصر والفتوح ، وأعلامهم منكسة وأيديهم فى السلاسل وأعناقهم فى الأغلال . أما أنت فقد جملت لموطنك مراكش حديثاً له دوى فى القرن العشرين اهتزت له الدنيا ، فقد هزمت دولتين وحاربت على جهتين ، وكنت موفقاً فى الهجوم والدفاع وبرهنت على أن قلوب أهل الريف أقوى وأثبت فى مقاعد القتال من قلوب أعداء الريف .

بل أشهدت العالم أجمع أنهم بحق سلالة المرابطين والموحدين وأبناء أولئك الذين كتب أجدادهم ملاحم الأندلس وأيامها .

أيها الأمير القائد !

من يحلق مثلك فوق شوامخ الجبال وقممها العالية تصغر الدنيا أمام عينيه فتتضاءل الصعاب ، ويبدو الجهاد أمراً سهلاً لأنك بطل من أبطال العروبة والإسلام ونفحة من نفحات بدر .

أحمد رمزى

(١) معركة مشهورة انتصر فيها المسلمون بالأندلس .

أزواج وزوجـــات

للكاتب الانجليزي يوسف أديسون

للسيدة الفاضلة ماهرة النقشبندي

أخبرني صديقي ويل هوني كومب منذ أكثر من نصف سنة أن في نيته أن يجرب الكتابة في جريدة السبكتاتور، وأنه يرغب أن تكون كتابته عن طريقي إلى القراء. وفي هذا الصباح تسلمت منه الرسالة التالية. وبعد أن صححت بعض الأخطاء الإملائية فيها، أقدمها إلى القراء.

عزيزي محرر السبكتاتور:

قبل ليلتين كنت في جماعة لطيفة من شباب الجنسين، وكنا نتحدث عن بعض مقالاتك التي كتبتها في موضوع الحب الزوجي، فنشب بيننا نزاع حاد حول عدم وفاء الأزواج في الحياة بالنسبة إلى الزوجات، وقد انبرى أحد المدافعين عن المرأة وقص علينا قصة حصار مشهور في ألمانيا، وقد وجدت إنني ذكرتها في معجمي التاريخي كما يلي:

عندما حاصر الامبراطور كونراد الثالث جولفيوس، دوق باڤاريا في مدينة هنسبورغ، واتضح للسيدات أن المدينة لن تثبت طويلا، التمسن من الامبراطور أن يسمح لهن بالخروج منها حاملات ما يستطعن حمله. ولما كان الامبراطور واثقاً من أنهن لا يستطعن حمل كثير من الأشياء، فقد أجاز لهن ما التمسن. ودهش الامبراطور من رؤية النسوة وهن خارجات يحملن أزواجهن على أكتافهن! فتأثر من هذا المنظر حتى طفرت الدموع من عينيه، وبعد أن أشاد بحبهن الزوجي، وهب لهن أزواجهن وعفا عن الدوق.

ولكن السيدات لم يطربن لهذه القصة وسألننا في نفس الوقت، إن كنا نعتقد في قرارة أنفسنا أن رجال أية مدينة في بريطانيا العظمى، لو كانوا في نفس الأزمة، ومنحوا نفس المنحة، هل كانوا يحملون نساءهم أو كانوا يسرون من هذه الفرصة التي أتيحت لهم للتخلص منهن؟ وقد أجاب صاحبي توم وابروت الذي جعل من نفسه محاميا عن جنسنا قائلا:

إنهم إن لم يفعلوا ما فعلت السيدات فسيستحقون أعنف اللوم مع اعتبار أنهم أقوى منهن وأحمالهم ستكون أخف كثيراً.

وبينما كنا نخوض في أحاديث من هذا النوع تسلية لنفوسنا وقتلا للوقت الذي أصبح مملاً قادنا الحديث، والحديث ذو شجون، إلى أن يتولى كل بدوره توجيه أسئلة يجب على الآخرين الإجابة عنها. ولما حان دوري أمرت كل السيدات حسب السلطة المخولة لي أن يخبرن الجماعة بصراحة تامة عن الشيء الذي يفعلنه لو أنهن كن في هذا الحصار المذكور وأجيز لهن ما أجيز لتلكم السيدات، فما الذي تأخذه كل منهن على اعتبار أنه جدير بالإنقاذ؟ وقد أجبن إجابات طريفة عن سؤالي أبهجتنا حتى وقت النوم. وقد ملأت هذه الإجابات رأسي بالأفكار المشوشة فحلمت بعد أن نمت الحلم التالي.

رأيت مدينة في هذه الجزيرة — ليس لها اسم — محاصرة من كل الجهات وقد أجبر ساكنوها وضويقوا حتى ضجوا يطلبون لهم ملجأ يحميهم. وقد رفض القائد أي حل سوى تلك المنحة التي ذكرناها في حكاية هنسبورغ أي أن كل سيدة لها الحق أن تخرج آخذة معها ما تراه يستحق الإنقاذ.

وعلى حين غرة فتح الباب فظهر صف طويل من السيدات تتبع إحداهن الأخرى يتمايلن تحت أحمالهن. وقد أخذت مكاني على مرتفع في مخيم العدو في المكان الذي عينه القائد لمقابلة النسوة للنظر فيما يحملن. وكنت شديد الرغبة في رؤية هذه الأحمال.

كانت أولاهن تحمل كيساً على كتفيها، فقد جلست لفتحه بكل عناية، وبينما كنت أنتظر أن أرى زوجها خارجاً منه، وجدته مملوءاً بالأواني الصينية. وبدت الأخرى بقوامها تحمل شاباً جيلاً على ظهرها وقد أكبرت هذه الصبية لحبها زوجها، ولكن دهشتي كانت بالغة أقصاها عندما اتضح أنها تركت زوجها المسكين في البيت وحملت صاحبها. وأقبلت الثالثة من بعد بوجهها الجاف، فنظرت إلى حملها الذي لم أشك في أنه زوجها، ولكن بعد أن أزلته عن كتفيها سمعتها تناديه بعزيزي بك فإذا به كلبها المدلل، إذ يبدو أن زوجها كان في غاية الضخامة فرأت في جلب هذا الكيوبيد الصغير تجنباً لكثير من المزعجات. وكانت التالية زوجة رجل فاحش الغنى، وقد حملت معها حقيبة مملوءة بالذهب،

ثورة الطبيعة وثورة المجتمع

للدكتور محمد يحيى الهاشمي

كم من تشابه بين حوادث الطبيعة وحوادث المجتمع ! وهل المجتمع إلا جزء من عالم الطبيعة وخلية من الخليات المتعددة التي تشكل هـــذا العالم الكبير الواضح بمظاهره والخفي بأسراره ومعمياته ؟ وكما يسـود التطور في نظام الطبيعة على اختلاف أشكالها وتباين أنواعها ، يسود في نظام المجتمع والهيئات البشرية هـذا القانون . هكذا نجد انتقالا وتصعداً في سلم الرقي خطوة فخطوة ودرجة فدرجة . أما الطريق ففي العالمين بعيد ، وليس من هدف ولا غاية ، وما المكان الذي نظنه بنهاية المطاف ماهو في الحقيقة إلا مرحلة انتقالية إلى مرحلة أخرى . الطبيعـة تمشي والمجتمع يسير ، لا يعرفان الوقوف ولا السكون ولا الراحة ولا الاستقرار ، وما الاستقرار الظاهري إلا دور يهيئ إلى دور آخر ؛ فكل ما يقع عليه بصرنا أو تدركه بصيرتنا ، يسطو عليه دوما ناموس الجريان والتغير الدائم .

إن هذه التغيرات لبطيئة جداً تدق حتى عن فهم الذكي ، ولكن لدى النظرة العميقة وتتبع الحوادث الطويلة نجد كل ماعلى سطح الأرض تابعاً للتغير والتبدل ، فلا شيء يبقى على حاله الأصلي فالجبال التي يضرب بها المثل في الثبوت لا تبقى مكانها ، بل بتعاقب الأحقاب الطويلة تتزلزل وتصبح سهولا وترتفع السهول فتصير وهاداً فنجاداً فهضاباً إلى أن تكون جبالا شاهقة تتخللها الوديان السحيقة ، وكثيراً ماتجف بعض المناطق البحرية ، فتصبح براً والبر يتحول إلى بحر ، وهكذا فإن التبدلات الجزئية التي تظهر للناظر السطحي كشيء تافه لا قيمة له ، تكون بتعاقب ملايين السنين انقلاباً خطيراً يدهش الأنظار ، ويكاد لا يصدق الانسان ما كانت عليه بعض المرتفعات الشاهقة في الماضي لولا الحيوانات البحرية التي بادت وتركت معالمها بين طيات الأحجار .

قياسا على مابينا فإن الأمم تتغير وتتبدل ، وبتأثير الأفكار الهادئة الرزينة تنتقـل من طور إلى طور وذلك بتعاقب الأجيال

وأخبرتنا أن زوجهـا قد بلغ من العمر أرذله ، وبحسب قانون الطبيعة لن يعيش طويلاً ، ولتريه عظم حبها له أنقذت ما يحبه المسكين أكثر من حياته . وكانت الأخرى تحمل ابنها على ظهرها، وقيل لنا إنه من أعظم الفجار الأشرار في المدينة ، ولـكن على مثل هذا الحنان جبلت الأمهات الرقيقات ، فقد تركت خلفها أسرة عامرة بالأمل ومؤلفة من زوج وبنين وبنات لأجل هذا المخلوق الشرير .

ولو تركت لقلمي العنان أن يسجل ما رأيت في هـذا الحلم الغريب لما انتهيت من السرد والوصف ، فقد امتلأ المكان حولي بحزم مربوطـة وحرائر مشجرة ومطرزات وعشرة آلاف من مواد أخرى كافية لأن تملأ شارعاً بمخازن مملوءة بالدمى . وأقبلت إحدى السيدات تحمل زوجها الذي لم يكن ثقيلا وتحمل في الوقت نفسه علاوة على ذلك ربطة كبيرة من الأشرطة الحريرية الهولندية ، وعندما ضاقت بحملها ووجـدت أنها لا تستطيع الاحتفاظ بكليهما أسقطت بعلها الصالح وحملت الأشرطة وتابعت سيرها . وبالاختصار لم أجد سوى زوج واحد مع هذه الأمتعة وكان إسكافياً نشيطاً . لقد كان يرفس ويهمز رجليه وهو محمول على أكتاف زوجته ، وقيل لي بعدئذ إن يوماً من أيام حياتها لم يمر دون أن يعاقبها بالضرب الشديد .

ولن أستطيع إتمام هذه الرسالة يا صديقي المحرر من غير أن أخبرك عن خاطر عجيب مر بي في رؤياي . فقد رأيت كما خيل إلي عشرات النساء منهمكات في سحب رجـل واحد لم أتبينه أول وهلة حتى اقترب مني وبانت ملامحه فإذا به أنت . وقد صرحن أن ذلك لأجل انتاجك الأدبي ، وليس لشخصك ، على شرط أن تستمر في تحرير السبكتاتور . فإذا وجدت في هذا الحلم مايلائمك فهو تحت تصرفك يا عزيزي المحرر ، وأنا صديقك في النوم واليقظة .

وبل هوني كومب

سيرى السيدات كما خبرتهن كثيراً ، أن (ويل) رجل من الطراز القديم في التهكم والمجون في المدينة ، وهو هنا يظهر مواهبه بالتهكم على الزواج كرجل جرب حظه مراراً عديدة في هذا المضمار وخاب . وعلى كل حال لم أستطع إهمال رسالته لأن القصة الحقيقية التي بنى عليها رسالته مما يرفع رأس المرأة عالياً ، وأنه في سبيل إيذائهن قد جنح به المنطق إلى الرؤى والخيال .

(بغداد) **ماهرة النقشبندي**

والعصور ، ولولا مادونه لنا التاريخ فى قرون مضت ، أو بعض الآثار الباقية عن الأمم الخالية ، لما عرفنا ما كانت عليه الشعوب والحضارات الماضية .

نعم إن بعض الأمم قد تدنت عما كانت عليه من قبل ، كاليونان الذين كانوا يحملون مشعل العلم والفن ، أو كالرومان الذين شيدوا الممالك وأوجدوا التشاريع ، أو كالأمة العربية التى أخذت عن الأمم السالفة ما أخذت وأبدعت من ذاتها ما أبدعت وساهمت فى تشييد صرح المدنية الحاضرة ، ولكننا إذا اعتبرنا البشرية بأجمعها أسرة واحدة ورثت كل أمة عن الأخرى ماورثت فعند ذلك نميل إلى الإعتقاد بالتقدم الدائم والتطور المستمر .

هذا التطور البطئ هو من سنة الكون ، ولكن بجانب ذلك نشاهد فى عالم الطبيعة وعالم المجتمع من انقلاب فجائى واندفاع آنى يدك الأرض دكا ويغير معالمها . إن هذه الغضبة تغضبها الطبيعة فى انفجار البركان وفى الزلزال الأرضى يذهب ضحيتها فى كثير من الأحيان كثير من الكائنات الحية . وفى عالم الاجتماع نشاهد ذلك أيضاً فى الانقلابات الاجتماعية التى تكون عند الاختراعات العظيمة أو عند اليقظة الفكرية . ولعل حاجتنا فى هذا العصر الذى قطعت فيه أوروبا فى سبيل الرقى والتقدم ما قطعت من الخطوات الواسعة ، إلى انقلاب فى جميع طرز حياتنا لأعظم من أى عصر ، لأن بلاد الغرب قطعت تلك المراحل فى قرون عديدة .

أما نحن ، فان حاجتنا أن نأخذ النتائج كما هى ، ومن بعد ذلك نسعى فى الإبداع وإظهار قابليتنا . فإذا أردنا أن ننتظر الزمن وتبدلاته البطيئة فلن نلحق بركاب الغرب . عند ذلك نبقى متأخرين عن الأمم الراقية أبد الآبدين . فالأرض تثور لتخرج ما فى جوفها من لظى مستعر ، والمجتمع يثور ليطلق ما فى قلبه من نار متأججة مبدلا بها معالم حياته . وكم من تشابه بين الطبيعة والمجتمع . تندفع المياه إلى النيران المستعرة فى جوف الأرض فتتشكل الأبخرة وتتراكم إلى أن تنطلق بقوة وعنف ، وكذلك تتجمع الأفكار فى الأدمغة إلى أن تنطلق بقوة فعالة فتدك المعالم القديمة لتبنى فوق أنقاضها عالما جديداً على أساس عميق . وما أعمق فور الإنسان ، وما أشد حاجته إلى أن يبنى بناء المجد الشامخ على أساس ثابت ! وكلما سمت الشجرة فى السماء تحتاج إلى جذر عميق فى الأرض، منبعث عن توق للتجدد واشتياق كامن فى النفوس إلى الحياة . ولا يعد من أبنائها إلا من تاق لها وقدر قيمها . أما من لم يتق إلا للفناء ففى قرارة نفسه على رأى بعض الأدباء المعاصرين فراغ رهيب وصدى فناء صارخ بصوت القبور ، ونشاط أجوف يبتلع القيم ، ناقم على الوجود . ويقاس الناس فى عمل كل إصلاح بالنسبة إلى إيجابيتهم وأهليتهم للبناء ومساهمتهم فى الفوضى . المدمرون كثيرون وأما البناؤون فقلائل . ودعاة الفوضى لايحصى لهم عدد ؛ أما الإيجابى فطريقه طريق الحياة ولو جاءت الحياة من طريق التدمير .

فى النهضة المنبعثة عن الحياة النابضة انطلاق وثاب ونفس ضاقت بما فيها فانفجرت فى قوة مكتسحة بناءة تتجه نحو الخير والجمال ، وتدوس فى سبيل بلوغها بقايا الفساد القائمة . شتان بين من يهدم ليهدم وبين من يهدم ليبنى ، ففى أحشاء الأول فناء وفى أحشاء الثانى حياة وارتقاء . يثور الأول ليحطم ، فلن يلبث أن يبتلع نفسه . أما الساعى للبناء ففى أحشائه امتلاء دفاق ، فيعطى عطاء سخياً ، ولا تكون الحياة إلا حيث يكون العطاء .

فى انطلاق البراكين مواد هامة لبناء القشرة الأرضية ، حتى أن دورة الماء لا تقف عند سطح الأرض ، بل ثبت أن الحياة الإندفاعية الباطنية لتشترك فى الدورة المائية ، وفى الأحقاب التى كان فيها اندفاع البراكين على أشده كانت المياه أشد غزارة . فى اندفاع الينابيع الفوارة إرواء للأرض وللكائنات الحية على سطحها ، وفى الفيضانات الطاغية سماد لها لتزداد قوة الانبات فيها ، رغم ماتجره تلك السيول الطاغية على الحقول والبساتين والمنازل من الأضرار والتخريب . حتى أن فى الزلازل المخيفة فائدة فى تكييف شكل الأرض .

إن فى النهضات الإجتماعية أيضاً والثورات الفكرية أضراراً جزئية لا يخلو منها انقلاب من الانقلابات ، ولكن الحوادث تتراءى لنا عكرة إذا نظرنا إليها بمنظار أنانيتنا ، أما إذا نظرنا إليها بمنظار المصلحة العامة والخير الشامل ، عند ذلك يتلاشى من نفوسنا حب الذات والأثرة وندرك أموراً خافية عنا .

قد يكون فى النور الشديد الظل المديد ، وجذر الانقلاب العميق هو فى النفس ، وإن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم .

(بغداد) **محمد يحيى الهاشمى**

شياطين الشـعراء (*)

للأستاذ أحمد محمد الحوفي

عبقر — شيطانا الشعر — شياطين بعض الشعراء — شياطين شعراء الإفرنج — العقل الباطن .

— ١ —

الشعر وحي وفيض وإلهام ، وهو إذا ما صدر عن عاطفة مشبوبة صادقة ، فمن لا أثر للارادة فيه ، أو أثرها فيه أضعف من تأثير التلق والطواعية والاستمداد من أغوار النفس واللاشعور .

وقد نسب العرب كل أمر عجيب إلى الجن ، وتخيلوا أن عبقر واديهم ومقامهم ، وقالوا فى الأمر العظيم عبقرى ، فلا عجب أن يصلوا الشعر بالجن ، ولا عجب أن يتخيلوا أن لكل شاعر شيطاناً يلهمه القريض . ولكن للشعر شيطانين : أحدهما مجيد واسمه الهوبر ، والآخر مفسد واسمه الهوجل ، وكانت عقيدتهم هذه معلومة فى العصر الإسلامى ، فقد روى أن رجلاً من تميم أتى الفرزدق وقال له : إنى قد قلت شعراً فاسمعه قال : أنشدنى فقال :

ومنهم عمر المحمود نائله كأنما رأسه طين الخواتيم

فضحك الفرزدق ، ثم قال : يا ابن أخى إن للشعر شيطانين يدعى أحدهما الهوبر والآخر الهوجل ، فمن انفرد به الهوبر فسد شعره ، وقد اجتمعا لك فى هذا البيت ، فكان معك الهوبر فى أوله فأجدت ، وخالطك الهوجل فى آخره فأفسدت(١) .

وقد سموا الشعر رقى الشياطين ، قال جرير :

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه وقد كان شيطانى من الجن راقياً

وقال آخر :

ماذا يُظن بسلمى إذ يُلم بها
مُرَجَّل الرأس ذو بُرْدَين وضّاح
خزٌ عمامته حلوٌ فكاهته في كفه من رقى الشيطان مفتاح

وصرح كثير منهم فى العصر الجاهلى وفيما بعده بأن شياطينهم تلهمهم أفانين القول ، قال الراجز :

إنى وإن كنت صغير السن وكان فى العين نبوٌ عنى
فإن شيطانى أمير الجن يذهب بى فى الشعر كل فن(١)

وقال حسان فى جاهليته يعزو إلى شيطانه أنه قائل بعض شعره:

إذا ما ترعرع فينا الغلام فما إن يُقال له : من هوه ؟
إذا لم يسد قبل شد الإزار فذلك فينا الذى لا هوه
ولى صاحب من بنى الشيصبان فطوراً أقول ، وطوراً هوه

وقال جرير :

إني ليُلقى عليَّ الشعر مكتهل من الشياطين

— ٢ —

ولم يكتفوا بنسبة شعرهم إلى الشياطين ، بل سموْها ، فكان لكل شاعر شيطانه المسمى . فشيطان الأعشى مسحل ، وشيطان فرو بن قطن جهنام ، قال الأعشى :

دعوت خليلى مسحلا، ودعوا له جهنام . بعداً للغوى المذمم(٢)

وشيطان المخبل السعدى عمرو ، قال الشاعر الإسلامى :

لقد كان جنىُّ الفرزدق قدوة ولا كان فينا مثل فحل المخبل
ولاقى القوافى مثل عمرو وشيخه ولا بعد عمرو شاعرٌ مثل مسحل

وشيطان عبيد بن الأبرص هبيد ، وهو نفسه شيطان بشر بن أبى خازم وينسبون إليه :

أنا ابن الصلادم أدعى الهبيد حبوت القوافى قَرْمى أسد
عبيداً حبوت بمأثورة وأنطقت بشرا على غير كد
ولاقى بمدرك رهط الكميت ملاذا عزيزاً ومجداً وجد
منحناهم الشعر عن قدرة فهل تشكر اليوم هذا معد ؟(٣)

وسأله الراوى : أما عن نفسك فقد أخبرتنى ، فأخبرنى عن مدرك ، فقال : هو مدرك بن واغم صاحب الكميت ، وهو ابن عمى .

وقالوا إن شيطان امرىء القيس لافظ بن لاحظ ، وشيطان زياد الذبيانى هاذر(٤) ونسبوا إلى أبى نواس أنه كان يستعين بإبليس فى نظم الشعر ، ورووا له أبياتاً منها :

دعوت إبليس ثم قلت له فى خلوة والدموع تنحدر :

(*) من كتاب « الحياة العربية من الشعر الجاهلى » الذى يظهر فى هذا الأسبوع .

(١) جمهرة أشعار العرب ٣٠

(١) رسائل أبى العلاء ١٠٥ (٢) رسائل أبي العلاء — ١٠٥
(٣) جمهرة أشعار العرب ٢٣ . (٤) الجمهرة ٢٣ .

أما ترى كيف قد بليت ، وقد قرح جفني البكاء والسهر ؟
إن أنت لم تلق لي المودة في صدر حبيبي وأنت مقتدر
لا قلت شعراً ولا سمعت غنا ولا جرى في مفاصلي السكر
فما مضت بعد ذاك ثالثة حتى أتاني الحبيب يعتذر[1]

ولم يقتصروا على نسبة الشعر للشياطين ، بل نسبوا إليهم الغناء أيضاً في العصر الإسلامي ، وقالوا إن الغريض كان يتلقى غناءه عن الجن ، وأن سماره سمعوا وهو يغنيهم ذات ليلة عزيفاً عجيبا ، وأصواتاً مختلفة أفزعتهم ، فقال لهم . إن فيها صوتاً إذا نام سمعه ، ويصيح فيبني عليه غناءه ، فأصغوا إليه فإذا نغمته نغمة الغريض فصدقوه[2] .

ولم يقنع أبو النجم أن يكون شيطانه كشياطين الشعراء ، فادعى أن شيطانه ذكر وشياطينهم إناث ؛ لأن الذكور أقوى من الإناث وأقدر :

وإني — وكل شاعر من البشر شيطانه أنثى — وشيطاني ذكر

وروى بعضهم بيت عمرو بن كلثوم في معلقته هكذا :

وقد هرت كلاب الجن منا وشذبنا قتادة من يلينا[3]

وقال إن الشعراء كانوا يسمون كلاب الجن ، فالمعنى أننا لبسنا الأسلحة فشرع الشعراء يذكروننا .

— ٣ —

ولهم مع شياطين الشعراء أقاصيص ومساجلات ؛ ومحاكات منثورة في كتب الأدب ، نذكر بعضها للتمثيل :

قال جرير بن عبد الله البجلي[4] : « سافرت في الجاهلية فأقبلت على بعيري ليلة أريد أن أسقيه ، فأبى أن يتقدم ، فدنوت من الماء وعقلته ، ثم أتيت الماء فإذا قوم مشوهون عنده ، فقعدت ثم أتاهم رجل أشد تشويهاً منهم ، فقالوا هذا شاعرهم ، وطلبوا منه أن ينشدني ، فأنشد :

« ودع هريرة إن الركب مرتحل » البيت

فلا والله ما خرم منها بيتاً واحداً ، حتى انتهى إلى هذا البيت:

تسمع للحَلي وسواساً إذا انصرفت
كما استعان بريح عشرقٌ زجل[1]

فأعجبه ، فقلت له : من يقول هذه القصيدة ؟ قال: أنا ، قلت : لولا ما تقول لأخبرتك أن أعشى بني ثعلبة أنشدنيها عاما أول بنجران. قال : فإنك صادق ، أنا الذي ألقيتها على لسانه ، وأنا مسحل صاحبه ، ما ضاع شعر شاعر وضعه عند ميمون بن قيس »

وقد لاقى الأعشى هاجسه مسحلا وسمع منه[2] ، وقد اعترف في شعره أن مسحلا يوحي إليه ، بل إنه مصدر وحيه ولولاه ما شعر:

وما كنت شاحوذاً ولكن حسبتني
إذا مسحل يسدي لي القول أعلق
شريكان فيما بيننا من هوادة صفيان : إنسيٌ وجنٌ موفق
يقول فلا أعيا بقول يقوله كفاني لا عَيٌ ولا هو أخرق[3]

وحاور عبيد بن الحارس جِنِّيًّا[4] بالشعر .

وذكر أبو العلاء أن أبا بكر بن دريد قص على أصحابه أنه رأى فيما يرى النائم أن قائلا يقول : لم لا تقول في الخمر شيئاً ؟ فقال : وهل ترك أبو نواس مقالاً ؟ فقال له : أنت أشعر منه حيث تقول :

وحمراء قبل المزج صفراء بعده أتت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفاً فسلطوا
عليها مزاجاً فاكتست لون عاشق

فقال له أبو بكر : من أنت؟ فقال : أنا شيطانك ، وسأله عن اسمه فقال : أبو زاجية ، وخبره أنه يسكن بالموصل[5] .

— ٤ —

وإذا كان العرب قد عزوا شعرهم إلى الجن وتخيلوا أنها تلهمهم ونسبوا كل أمر عظيم إلى عبقر فإن الفرنجة يشبهونهم في كثير من تخيلهم .

يعبر الإنجليز عن العبقرية بكلمة genius ومصدرها الذي

---

(١) عصر المأمون ٣ — ٢٣٣ .
(٢) الأغاني ٢ — ٣٧٣ الدار .
(٣) آكام المرجان .
(٤) الأغاني ٩ — ١٥٦

(١) العشرق : شجيرة في أكمامها حب صغير إذا جفت مرت بها الموج سمعت لحبها خشخشة .
(٢) خزانة الأدب ٣ — ٥٤٩
(٣) جمهرة أشعار العرب ٣٠
(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ — ٤٤٨
(٥) رسائل أبي العلاء ١٠٦

اشتقت منه كلمة genii ومعناها جن ، فبين العبقرية والجن علاقة فى اللغة الإنجليزية كالعلاقة التى بين عبقر والعبقرية فى اللغة العربية ، وقيل إن أصل الكلمة لاتينى يدل على معنيين متقابلين : ملك رجيم وشيطان رجيم ، يولد الواحد منهما أو يولدان معاً بمولد الشاعر ، ويقصون عن بعض شعرائهم قصصاً تشبه شبهاً قوياً ما روى عن شياطين شعراء العرب ، فمثلاً بدا الشاعر « كولردج » قصيدته « كوبلاخان » وأتمها لها جنى والشاعر نائم ، واستيقظ الشاعر « ماسفيلد » من نومه لينقل عن جنى قصيدته « المرأة تتكلم » وأغرب من هذين ما يرويه « وليم بلاك » عن نفسه إذ يزعم أنه مسكون ، وأن سا كنيه ملائكة وشياطين تطارده نهاراً ، وتوقظه ليلا ، لتوحى إليه بما ينظم وحياً لا يستطيع أن يصده ، ولا قدرة له على تنضج ما توحى به

ويقول « ريلكة » إنه ظل أسير الأرواح ثلاثة أيام لم ينقطع فيها نظمه ، وأخرج ديواناً من دواوينه الروائع ، وأعجبه ، وألح الجن أن ينشره ، فرضى على شريطة أن يكون النشر بعد وفاته حتى لا يتحمل تبعة شعر أملاه عليه جنى جالس قبالته[1] .

— ٥ —

ولكن علم النفس يعزو هذا كله إلى العقل الباطن ، وقد كشفت الدراسات التى قام بها علماء التحليل النفسى عن كثير من عمل العقل عند الفنان ، وانتهوا إلى أن الانتاج الفنى يصدر غالباً عن العقل الباطن كأنه حلم يقظة .

ويروى استيفنسن ، كيف بدأ هو نفسه يكتب قصته الفنية البديعة (دكتور جيكل ومستر هيد) فيقول : « إن العمل الحقيق يقوم به مساعد غير منظور ، أبقيه أنا داخل حجرة عليا مغلقة ... يقوم به أولئك الناس الصغار — فى الدماغ — الذين ينجزون لى نصف عملى وأنا مستغرق فى نومى وربما أنجزوا النصف الباقى وأنا مستيقظ تمام اليقظة حيث أظن أنى أنا القائم بالعمل ، وكثيراً ما يعلن لى أن أعتبر نفسى غير فنان ، بل مخلوقاً شأنه شأن بائع الجبن أو الجبن نفسه »

وهذا التصوير المستملح تؤيده إشارات من كتاب آخرين ، فهذا فولتير — وقد جلس مرة فى إحدى مقاصير المسرح يشهد تمثيل رواية من رواياته — يصيح متعجباً . أحقاً أنا الذى كتب ذلك ؟

وجورج إليوت — ولم تكن تعتقد فى قوى نفسية غير طبيعية — تصرح أنها قد خيل إليها وهى تكتب Abenapede أن عقلا آخر قد استحوذ على قلمها وسيّره ، ويقول جوته إنه كتب أحسن رواية له وهو فى غيبوبة حالة يشبهها بحالة النائم الماشى . وكثير من الأدباء الأحياء صرحوا بهذا ، فمثلا بروفسور هوسمان يقول فى طريقة إنتاج قصائده : أنا أظن أن إنتاج الشعر ليس عمليه فاعلة actiue قدر ما هى قابلة hosriue وغير اختيارية

— ٦ —

التحليل النفسى يعزو إلى العقل الباطن الإنتاج الأدبى الرفيع وقد عبر الشعراء من العرب والإفرنج عن هذا العقل بأنه قوى خفية تلهم ، وسموها شياطين .

وإذا كان الشعر يحلق بجناحين من الخيال فقد حق للشعراء أن ينطلقوا مع خيالهم فينسبوا شعرهم إلى قوى وراء حسهم ، وتصورهم هذه القوى شياطين ألصق بالخيال وأدنى إلى الشعر من التحليل النفسى الذى يرجع الإنتاج الأدبى إلى العقل الباطن للشاعر ، أى إلى الشاعر نفسه .

لست بهذا أهيم مع الشعراء وأجحد حقائق العلم ، وإنما أقرر أن الشعراء كانوا موفقين فى تخيلهم وفى دعواهم أن شياطينهم تلهمهم أو تملى عليهم ...

أحمد محمد الحوفى
المدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

(١) الأدب المقارن لنجيب العقيقى ص ٤٠

رائيــــة أبي فراس

في الشعر المعاصر

للأستــــاذ أحمد أحمد بدوي

لم تظفر قصيدة فى شعر أبى فراس من الشّهرة بما ظفرت به قصيدته الرّائية التى بدأها بقوله :

أراك عصى الدّمع شيمتك الصبر ... أما للهوى نهى عليك ولا أمر

فهى أكثر قصائده دوراناً على الألسنة ، وقد أغرت بعض الأدباء بتشطيرها حيناً ، وتخميسها حيناً آخر ، ومعارضتها مرة أخرى .

وممن شطر هذه القصيدة الأستاذ الكنانى الأبيارى (سنة ٩٨٦م) ، وليس فى تشطيره من جديد سوى زيادة عدد الأبيات ، وكان عمل المشطر أن كرر المعنى ، أو فصله بعض التفصيل ، وهاك نموذجاً لما فعل :

قال أبو فراس :

ولا خير فى دفع الردّى بمذلّة ... كما ردها يوماً بسوأته عمرو

فشطره الكنانى بقوله :

ولا خير فى دفع الرّدى بمذلّة ... إذا لم يكن عز فإن الردى خير

ومن يرتضى ردّ الرّدى بمعرة ... كما ردها يوماً بسوأته عمرو

وعلى هذا النسق يسير ، لا يأتى بمعنى جديد ، ولا يكمل معنى جاء به الشاعر الأول . ولا ريب أن ما جاء به الكنانى شديد الضعف بموازنته بما جاء به أبو فراس . ثم عاد الكنانى ، فشرح الأصل والتشطير ، يشرح الكلمات اللغوية أولاً ، ثم يعود إلى الشرح الإجمالى ، وسمى عمله « إيناس الجلاس ، بتشطير وشرح قصيدة أبى فراس » .

وخمس هذه الرائية الجنبيهى ، المعاصر للكنانى ، وهذا التخميس أقل قوة من تشطير معاصره ، وقد أضعف القصيدة ، وأنهك معناها ، وكثيراً ما كان يتلمس الوصول إلى البيت بمعان ليست فى الصميم ، كما ترى فى تخميس بيتى أبى فراس :

وإنى لنزال بكل مخوفــــة ... كثير إلى نزالها النظر الشزر

وإنى لجرار لكل كتيبـــة ... معودة ألا يخل بهـــا النصر

خمسهما الجنبيهى بقوله :

وليس لها ما بين لين وعطفة ... وبين الجفا والصد أدنى مسافة

لذا صرت منها فى ارتماد ورجفة ... وإنى لنزال بكل مخوفــــة

كثير إلى نزالهـــا النظر الشزر

فيا سعد مهلاً ، ليس نأيى لوحشة ... من الأهل ، لا بل مزعجات محبة

وإنى من قوم كرام أعزة ... وإنى لجرار لكل كتيبـــة

معـــودة ألا يخل بهـــا النصر

فأنت ترى ضعف التأليف ، وكيف كان الشاعر يلتمس المعانى التى تصل به إلى البيت لأدنى ملابسة ، وكيف إن الجمع بين الغزل والفخر أضعف كليهما ، ولكنك تحس بقوة القصيدة منفردة عن التشطير والتخميس .

وعارض البارودى وهو فى المنفى ، تلك القصيدة الرائية التى أنشأها أبو فراس وهو فى الأسر ، وافتخر الشاعران فى القصيدتين ، وبدآهما بالغزل .

كانت طبيعة الغزل فى القصيدتين مستمدة من موقف الشاعرين ، فاقتبس الحديث عن الحب من ذلك الموقف مشاعره وإحساساته . أما أبو فراس فقد أنشأ قصيدته فى أيام أسره الأولى ، عندما كان الأمل يملأ قلبه فى أن ابن عمه سيسرع إلى فدائه ، وهو من أجل ذلك يبدى الجلد والصبر ، وإن كان لا يستطيع بينه وبين نفسه أن يخفى اللوعة والأسى ، فهو أمام الناس جلد صبور ، حتى إذا جن الليل وانفرد ، بكى ما شاء له البكاء .

هذا الخاطر الذى كان يملأ نفسه ، هو الذى أوحى إليه بهذا الشعور عندما تحدث عن الحب فقال :

أراك عصى الدمع ، شيمتك الصــبر ... أما للهوى نهى عليــــك ولا أمر

بلى ، أنا مشتاق ، وعندى لوعة ... ولكن مثلى لا يذاع له سر

إذا الليـل أضوانى بسطت يد الهوى ... وأذللت دمعاً من خلائقه الكبر

تكاد تضئ النار بين جوانحى ... إذا هى أذكتها الصبابة والفكر

وتستطيع أن ترى أثر موقفه فى مبدأ الأسر جلياً فى غزل هذه القصيدة ، وأكاد ألمس فيها نوعاً من الرمز والإيماء ، وبهذا

نستطيع أن نفهم كيف إنها علّلته بالوصل حيناً إذ يقول :

معلّلتي بالوصل ، والموت دونه   إذا مت ظمآناً ، فلا نزل القطر

وكيف إنها تجاهلته حيناً آخر :

تسائلني من أنت ؟ وهي عليمة   وهل بفتى مثلي على حاله نكر

فقلت، كما شاءت وشاء لها الهوى   قتيلك، قالت أيهم ؟ فهمو كثر

فقلت لها : لو شئت لم تتعنّتي   ولم تسألي عنى ، وعندك بي خبر

فقالت : لقد أزرى بك الدّهر بعدنا

فقلت : معاذ الله ، بل أنت لا الدهر

وما كان للأحزان لولاك مسلك   إلى القلب، لكن الهوى للبلا جسر

وينتقل أبو فراس بعدئذ انتقالاً طبيعياً إلى الفخر بنفسه إذ يقول :

فلا تنكريني يا ابنة العم ، إنه   ليعرف من أنكرته البدو والحضر

ولا تنكريني ، إنني غير منكر   إذا زلت الأقدام واستنزل النصر

وهنا وجد المجال فسيحاً للحديث عن خصاله الحربية ، ومزاياه ؛ فتحدث عن أنه ميمون الطالع ، قائد مظفر ، لا يخشى المعارك المخوفة ، بل يخوض غمارها ، حتى ترتوي البيض ، وتشبع الذئاب والنسور ، لا يغتال عدوه ، ولا يفجؤه ، بل يرسل إليه النذر تخيفه وتحذره ، ثم يصور لك إقدامه في صورة بارعة إذ يقول :

ويا رب دار لم تخفني منيعة   طلعت عليها بالردى أنا والفجر

فهذا حصن منيع قد وثق بنفسه ، ولكن لم يلبث الفجر أن قاد إليه الهلاك عندما صمد إليه أبو فراس يحمل له الردى . وتحدث الشاعر عن احترامه المرأة ، حتى لا تستطيع شجاعته إلا أن تلقى بسلاحها أمامها ، فيعفو عن قومها ويرد إليهم أسلابهم . ثم هو رجل لا يطغيه الغنى ، ولا يثنيه الفقر عن الكرم ، وهو في كل هذا الحديث قوى يشيع في أبياته روح الأمل .

وانتقل بعدئذ إلى حديث أسره ، فلم ينسبه إلى ضعف بدر منه ، بل قضاء غلاب ، لا يستطيع امرؤ أن يفلت منه :

أسرت ، وما صحبي بعزل لدى الوغى

ولا فرسي مهر ، ولا ربه غمر

ولكن إذا حم القضاء على امرىء   فليس له برّ يقيه ولا بحر

وقال أصيحابي : « الفرار أو الردى »

فقلت : هما أمران ، أحلاهما مر

ولكنني أمضى لما لا يعيبني   وحسبك من أمرين خيرهما الأسر

ولعل أبا فراس صغّر الأصحاب هنا تقليلاً لعددهم ، وتحقيراً لشأنهم .

كان الأمل يملأ شعره في هذه القصيدة ، ولهذا رأيناه يستقبل الأسر بصدر رحب ، لإيمانه بأن قومه لابد ذاكروه وفادوه ، فليس عندهم من يملأ مكانه إذا غاب :

سيذكرني قومي إذا جدّ جدهم   [وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر]

ولو سد غيري ما سددت اكتفوا به

وما كان يغلو التبر لو نفق الصفر

ويختم أبو فراس قصيدته مفتخراً بقومه الذين يحتلون في قومهم مركز الصدارة ، ولا يقبلون دونه مكاناً ، ففي سبيلة تهون نفوسهم ، ويشتد شعور أبي فراس بهم وبعزتهم فيقول :

أعز بني الدنيا وأعلى ذوي العلا   وأكرم من فوق التراب ولا فخر

أما البارودى فقد كان غزله كذلك مستمداً من موقفه ، فإذا كان أبو فراس مؤملا يخفى آلامه ، فإن البارودي — وقد جفت آماله — لا يجد بداً من أن يتحدث ببعض ما يشعر به من أسى وحزن ، وإن كان يخفى في قلبه من اللوعة أكثر مما يبين ، فتلون غزله بهذا اللون ، فرأيناه يبوح بالحب لا ينهاه عن ذلك زجر ولا عتاب ، وهو يرى الحب ، وربما كان يرمز به إلى مصيره — أمراً مقدوراً ، ليس لامرىء فيه من نهي ولا أمر ، وإنه ليقاسي من هذا الحب أعنف ما يقاسيه إنسان ، ومع هذا لا يبدى كل ما يحمله صدره من الوجد ، ولا يترك دموعه تهمى ، لا صبراً في انتظار تحقيق أمل ، ولكن حياء وكبراً ، واستمع إليه يقول :

طربت وعادتني المخيلة والسكر   وأصبحت لا يلوى بشيمتي الزجر

كأني مخمور سرت بلسانه   معتقة ، مما يضن بها التجر

سريع هوى يلوى بي الشوق كلما   تلألأ برق أو سرت ديم غزر

إذا مال ميزان النهار رأيتني   على حسرات ، لا يقاومها صبر

يقول أناس : إنه السحر ضلة   وما هي إلا نظرة دونها السحر

فكيف يعيب الناس أمري ، وليس لي

ولا لامرىء في الحب نهي ولا أمر

ولو كان مما يستطاع دفاعه   لألوت به البيض المباتير والسمر

ولكنه الحب الذى لو تعلقت   شرارته بالجمر لاحترق الجمر

على أننى كانت صدرى حرقة من الوجد لا يقوى على حملها صدر
وكفكفت دمعـــاً لو أسلت شئونه
على الأرض ما شـك امرؤ أنه البحر
حياء وكبراً أن يقال: ترجحت به صبوة أو فل من غربه الهجر

فأنت ترى الغزل مستمداً من حاله ، ولو أنك جملت ما يهواه وطنه ، وأدرت عليه الحديث لم تبعد .

لم يطل البارودى بعدئذ فى الحديث عن نفسه كما فعل أبو فراس، بل اكتفى ببيت واحد يحمل خيبة الآمال ، إذ قال :

وإنى امرؤ لولا العوائق أذعنت لسلطانه البدو المغيرة والحضر

وكان المجال أمامه فسيحاً لتمداد مواقفه فى الحرب والسياسة ، ولـكن يبدو أن يأسه ساعتئذ قد تغلب عليه ، فصرفه عن الحديث ماض لا سبيل إلى استئنافه ، على عكس أبى فراس ، القوى الأمل فى أن يعود — كما كان — البطل المفدى . وكان المجال فسيحاً كذلك أمام البارودى للحديث عن نفيه ، والدفاع عن نفسه ، كما تحدث أبو فراس عن أسره ، ولـكنه لم يفعل ، ولعله اكتفى فى ذلك بما تحدث به فى قصائد أخرى كثيرة .

أما الذى أطال الحديث فيه حتى استغرق معظم قصيدته على عكس أبى فراس ، فحديثه عن آبائه . وقد ذكروا أنه ينحدر من المماليك الشركية ، فاتخذ من ذكراهم وسيلة يشبع بها عاطفته فى الفخر ، ويسلى نفسه بمصايرهم ، وسجل لهؤلاء الأسلاف شجاعتهم وكرمهم ، وهنا يستعير خيالاً بدوياً إذ يقول :

لهم عمد مرفوعة ، ومعاقل وألوية حمر ، وأفنيـة خضر
ونار لها فى كل شرق ومغرب لمدرع الظلماء ألســـنة حمر
تمـــديداً نحو السماء خضيبة تصافحها الشعرى ويلثمها الغفر

وختم قصيدته ختاماً يائساً حزيناً ، رثى فيه قومه وقد مضوا ، وسوف يمضى على أثرهم :

لعمرك ما حى وإن طال سيره يعد طليقـــاً والمنون له أسر
وما هـــذه الأيام إلا منازل يحل بها سفر ، ويتركها سفر
فلا تحسـين المرء فيهـا بخالد ولـكنه يسـعى ، وغايته العمر

أما أبو فراس فقد ختم قصيدته مالئاً شدقيه من الفخر بقومه الذين كانوا يومئذ قابضين على الملك والسلطان .

هذا ، وقد ظفرت قصيدة أبى فراس بشهرة فى العالم العربى الحديث ، كما رأينا ، وغنت أم كلثوم بعض غزلها ، وسارت على الألسنة بعض أبياتها كقوله :

ولـكن إذا حم القضاء على امرئ فليس له بر يقيه ولا بحر

وقوله :

سيذكرنى قومى إذا جد جدهم وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

وقوله :

ونحن أناس لا توسط بيننـا لنا الصدر دون العالمين أو القبر

وقوله : « ومن يخطب الحسناء لم يغلها المهر » .

وأما قصيدة البارودى فلم تظفر من الشهرة بنصيب .

أحمد أحمد بدوى
مدرس بكلية دار العلوم

٢ — من شجرة الدر

لحضرة صاحب السعادة عزيز أباظة باشا

المشهد السابع :

الملكة ، أيبك ، أقطاى ، بيبرس ، قلاوون . يدخل سنجر .

سنجر : هذا ابن مطروح
الملكة : أجاء ؟
سنجر : أجل
الملكة : فأد
خله ورحب بالوزير الشاعر
قد عاد آخر رسْلنا ولعلنا
نُهدَى بأنباء الرسول الآخر
(يدخل جمال الدين بن مطروح)

الملكة مستمرة:
خيراً جمال الدين
ابن مطروح : خيرٌ لم يزل
يندَى على الستر الرفيع(١) الطاهر
الملكة : ماذا وراكَ ؟
ابن مطروح : تركت الأمَ عصبة(٢)
فكأنما خُلقوا بغير ضمائر
الملكة : صفْ ما رأيت وقائعاً ومشاهداً
وانقل لنا — لا تقتضب — ما قيلا
ابن مطروح : أبلغت أنباء التمرد
الملكة : ساقها
أخواك قبلك
ابن مطروح : فاسمعى التفصيلا
لم يكفهم عصيانهم ومروقهم
بل أوسعوا أنصارنا تقتيلا

(١) لقب من ألقاب شجرة الدر.
(٢) إشارة إلى أمراء الشام .

(الملكة فى غضب)
أتمرضوا للصالحية(١) ؟
ابن مطروح : من نجوا
منهم تواروا فى البلاد فسلولا
أخذوهمو والليل ضارب ستره
فى غِرة أخذاً هناك وبيلا
الملكة : شرفاً شيوخ الصالحية مصر لن
تنسى لكم ذاك الدم المطلولا
من مات فى شرف الجهاد فإنهُ
حىٌ ، وأودى من يعيش ذليلا
(أقطاى فى تحمس)
ياملْكة الوادى جيوشك دوّخت
تلك البلاد وأهلها فتكلمى
فى كلّ موضع حافرٍ من أرضهم
أثرٌ لخيلك بالفوارس ترتمى
الملكة : صبراً أمير الجند ، إن لم نُحسم ال
أحداثُ بالحسنى إذن فتقدمِ
إيه جمالَ الدين فارجع للذى
تروى
ابن مطروح : نفضتُ لك الخطير
الملكة : فأتمم
ابن مطروح : خلفتهم عزموا على الُجلى
الملكة : فما
ت الرأى
أقطاى : استبق الحوادث واعزمى
ابن مطروح : وتركتهم قد أجمعوا أن يبعثوا
وفداً بشكواهم إلى المستعصم(٢)
الملكة : أإلى الخليفة يُهرعون ؟!
ابن مطروح : أجل
أيبك : فما
يبغون ؟

(١) الصالحية : فريق نسب للملك الصالح من الموالين لشجرة الدر .
(٢) الخليفة ببغداد .

المـلكة : يبغون اعتزالىَ فاعلم

أيبك : كيف السبيل ! ومصر حولك تفتدى

وتذود عن أستار عرشك بالدم

هذى بلادٌ نحن سادتها

الملكة : اصطنع

صبراً ولا يعجل لسانك تندم

(تبدو الملكة وكأنها عادت فتمالكت جأشها)

لو أنهم قصدوا الخليفة وحده

قلنا — وإن لم ينصفوا — لم يسرفوا

لكنهم ركنوا إلى أعدائنا

مستنصرين بهـــم ولم يتعففوا

(دهشة وتهامس من الجميع)

بيبرس : مولاتنا !

أيبك : إنعى الذى قلت

الملكة : اهدأوا

هذا اليسير النزر مما نعرفُ

أيبك : هل حالفوا أعداءنا ؟

الملكة : بل أوفدوا

شعراءهم فتوددوا وتلطفوا

أيبك : مولاتنا ، إن صح ذاك فإنه

عارٌ بجللهم فلا يتحرَّفُ

الملكة : إن كنت فى شك فهذى كتبهم

بالمخزيات وبالخيانة ترعفُ

وعدوا الفرنجة بمضَ مصر فقل لهم

الله مانع مصر مهما ترجفوا

(تخرج مكتوبين من صدرها وتطلع عليهما رجالها)

أيبك : أفتأذنين ؟

الملكة : أجل

أيبك : فكيف اسطعت أن

تصلى لهذى الكتب؛ هل نبأتنى؟

(الملكة بعد فترة صمت)

أفضت إلينا مرغريت مليكة الـ

افرنج بالأنباء ، قلت فبرهنى

لم يُرضها أنى شككت فأسرعت

وسعت إلينا بالدليل البين

فاذا بكتبهمو وتوقيعاتِهم

أيبك : يا للخيانة والصَّغار الممعن !

الملكة : لم تسألونى لم خُصصتُ بذلك السر الخطير

أمراؤهم كتبوا لإخوة زوجها الملك الأسير

قالوا لهم حتَّام صبركمو على ذلّ الدهور

لن تنقذوا الشرف الرفيع بغير جيشكمو المنير

فثبوا على مصر تهن ،وتذلّ فى الأمد القصير

قالوا وهل تقوى النساء على مصاولة الذكور

أيبك : أكذا ؟

الملكة : أجل فاسمع فلم تعلم سوى النزر اليسير

وعدوّهمو جنداً يؤازرهم مؤازرةَ الظهير

من أجل ذاك رأيت يا أقطاى إطلاقُ الأسير

سيرون بأس الغانيات وبأس ربات الخدور

ابن مطروح : أعداؤنا كثرٌ

أيبك : أمنا مكرهم

إن لم نبت بضغائنٍ وحقود

لو قد بقينا جبهة مصرية

لم نخش عادية الخطوب السود

أقسمتُ « بالمنصورة » العظمى التى

شهدت مجالى نصرك المشهود

وبكل شبر من ثراها خالد

بدماء علجٍ أو دماء شهيد

أقسمت ان تُجتاح مصرُ وأنت مِن

أبطالها فى شكة وجنود

(الملكة مخاطبة الموجودين)

سيجيئكم أمرى

بيبرس : أتأذن ربة الـ

تاج السنىّ

الملكة : أذنت

بيبرس : عز مكانها

الملكة : يا قوم ضبط النفس أكرم خلة

ونجاح كل سياسة كتمانها

عزيز أباظة

هل تستطيع روسيا غزو العالم؟

للأستاذ فؤاد طرزى المحامى

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

عند نهاية الحرب انخفض الإنتاج الاقتصادى فى الاتحاد السوفياتي من ٤٢ فى المائة بالقياس إلى الإنتاج الأمريكى إلى ٢٥ فى المائة بالنسبة لهذا القياس. وإذا ما سار كل شيء سيره الطبيعى فى روسيا فإن الكفاءة الصناعية فيها ستبلغ فى عام ١٩٥١ نفس الكفاءة التى كانت تتمتع بها أميركا عام ١٩٠٤ أى قبل ٤٤ سنة وفى عام ١٩٦٠! سيبلغ الإنتاج الروسى إنتاج أميركا عام ١٩١٨.

وحين قدم ستالين مشروع السنوات الخمس الرابع فى ٩ شباط عام ١٩٤٧ قال: « إن المهمة الأساسية تتركز فى استعادة مستوى ما قبل الحرب فى الصناعة والزراعة ثم بعد ذلك نزيد هذا المستوى بنسب متفاوتة معقولة. وربما تطلبت الزيادة ثلاثة مشاريع جديدة من مشاريع الخمس سنوات، ولكننا يجب أن ننجز ذلك ».

ويستطيع المتتبع أن يتأمل فى هذا المشروع جيداً، محللا أهداف ستالين، مقدراً الكفاءة الشيوعية تقديراً مسرفاً فى المبالغة، ومع ذلك فإن روسيا إلى الآن لم تنفذ مشروعاً واحداً من مشاريع السنوات الخمس المتعددة.

وقد أعلن ستالين بأن هدفه فيما يتعلق بإنتاج النفط أن يبلغ هذا الإنتاج (٦٠) مليون طن سنوياً عام ١٩٥١؟، بينما تعدت أميركا هذا الرقم منذ (٢٨) سنة مضت وأنتجت فى عام ١٩٤٧ وحده (٢٧٠) مليون طن. وإذا رجعنا إلى الحقائق وتركنا الآمال وجدنا أن إنتاج روسيا من النفط بلغ درجة من القلة اضطرها إلى استعمال الفحم وغيره من الوقود القليل الاحتراق عند عدم توفره.

ووجد المهندسون السويديون العاملون فى روسيا اليوم أن (٣٠) بالمائة من إنتاج الفحم قد استهلكته القاطرات. بينما استعملت كميات أخرى تقدر بـ(٣٠) بالمائة أيضاً من هذا الإنتاج فى إنتاج القوة الكهربائية، ولذلك فلم يبق سوى (٤٠) بالمائة من إنتاج الفحم يجب أن يستعمل فى كافة المصانع الروسية يشمل ذلك فحم الكوك المستعمل فى إنتاج الفولاذ.

ويريد ستالين من مشروع السنوات الخمس الحالى أن يوصل إنتاج الفحم إلى (٥٠٠) مليون طن سنوياً عام ١٩٥١، بينما تجاوزت أوربا والولايات المتحدة هذا الرقم منذ (٣٠) سنة مضت.

وطلب ستالين أن يصل إنتاج الفولاذ إلى (٦٠) مليون طن عند نهاية مشروع السنوات الخمس الجديد، أو خلال المشروع الذى يليه، بينما بلغ إنتاج القارة الأوربية وحدها ما مقداره (٥٠) بالمائة أكثر من هذه الكمية فى نهاية الحرب الأخيرة.

وينقص روسيا بعض المواد الصناعية المهمة فى الاستعداد الحربى منها « التانكستن » والمليدنوم والقصدير والأمونيا، وينقصها أيضاً ما هو أهم من هذه المواد وهو المطاط، إذ أنها لا تملك خطوط مواصلات إلى ما وراء البحار تجلب عن طريقها المطاط الطبيعى، كذلك ليست لها الإمكانيات اللازمة لبناء المصانع المعقدة التى لا بد منها لإنتاج المطاط الصناعى.

ويشكو الاتحاد السوفياتى شكوى واضحة من قلة طرق المواصلات، ولكن فيما يتعلق بعدد البواخر الموجودة الآن لديه فهو فى وضع لا بأس به، إذ أن بواخره التجارية التى كان يقدر عددها قبل الحرب بمقدار عدد بواخر السويد قد ضوعفت بما قدمته أمريكا للاتحاد السوفياتى من هدايا ومما حصل عليه من ألمانيا كتعويضات. ومع ذلك فإن سعة مساحة الاتحاد السوفياتى ترهق مواصلاته الداخلية المحدودة. فالطرق قليلة رخوة، والطريق الوحيد هو الطريق الذى يبدأ من موسكو إلى لننغراد شمالا وإلى « منسك » غرباً ونحو « كييف » و « خاركوف » جنوباً، بينما تستعمل العربات فى المدن استعمالا رئيسياً. ولهذا فإن روسيا تحتاج احتياجاً كبيراً إلى قنوات منظمة كالقنوات التى تقوم بالقسط الأكبر من أمور النقل فى أوربا الغربية. كما أنها لا تملك طرقاً مائية ما خلا عدة أنهار كبيرة تتجمد مياهها أغلب أيام السنة. ولذلك فإن أكثر من (٨٣) بالمائة من الشحنات الداخلية يجب أن تنقل بالسكك الحديدية، وأن روسيا حتى داخل مثلثها الصناعى لا تملك وسائل المواصلات الكافية، وكل مايبلغه طول طرق سككها الحديدية طول الطرق التى كانت فى الولايات

المتحدة منذ مائة سنة مضت، أى فى عام ١٨٤٦، إذ يبلغ مجموع طول طرق السكك الحديدية فى روسيا (٥٧) ألف ميل يقابل ذلك (٢٣٦) ألف ميل فى الولايات المتحدة الآن.

وهكذا فإن نقص طرق المواصلات الحديدية يشكل أعظم ثغرة فى الاقتصاد الروسى، وهو نقص سيحد من طاقة روسيا سنين عديدة مقبلة، وحتى وفق مشروع السنوات الخمس الجديد ستبنى روسيا (٤٥٠٠) ميل من خطوط السكك الحديدية الجديدة متركزة فى الجهة الغربية من البلاد وهى الجهة التى سيطر عليها النازيون مدة من الزمن. وروسيا مضطرة إلى تبديل مهمات السكك الحديدية فى حين أن هذا التبديل لا يمكن أن يتم عن طريق الإنتاج الروسى، ولذلك فإن السوفيات يستعملون الآن عربات قديمة ويجلبون التجهيزات أحياناً من ألمانيا والأقطار التابعة لها. ويعمل الاختصاصيون الروس والمهندسون السويديون الآن على تقليد العربات الأميركية وإنتاج أنواع منها.

إننا نستطيع أن نعرف الشىء الكثير عن روسيا من دراسة الصناعة الآلية السوفيانية. فالمصانع الروسية لا تنتج أى مبتكر خاص بها من تصاميم السيارات بل هى تنتج على منوال التصاميم الأميركية والبريطانية مع أحداث بعض التغييرات الطفيفة. ومع ذلك فإن المنتجات الروسية من السيارات لا تزال غير قوية جداً. ولا يزيد مجموع طرق السيارات المعبدة فى روسيا على ثمانية آلاف ميل.

كما أن الكلام عن استخدام الأيدى العاملة فى الاتحاد السوفياتى يقفنا بدوره على قدرة روسيا الحربية. فقد جاء فى مجلة «المشاكل الاقتصادية» الروسية أن قوة الكهرباء المستعملة فى إدارة المحطة الأمريكية فى ماهوس (نيوجرسى) تعادل القوة الكهربائية المستعملة فى محطة كيمرفو الروسية. وعلى الرغم من أن المحطتين تنتجان إنتاجاً متساوياً، فإن المصنع الأميركى فى المحطة الأولى يستخدم (١٥١) عاملاً، بينما تستخدم المحطة الروسية (٤٨٠) عاملا. ويستخدم المصنع الأميركى فى نفس المحطة (١٧) موظفاً لإنتاج الورق بينما يستخدم المصنع الروسى فى المحطة الروسية (٦١) موظفاً. وبصورة عامة يمكن القول بأنه يجب استخدام (١١) شخصاً لإنتاج ألف فولت من الكهرباء فى ظل النظام الروسى الاقتصادى بينما تحتاج الكفاءة الصناعية فى الولايات المتحدة شخصين فقط لإنتاج نفس القوة.

وإذا رجعنا إلى موضوع حقول النفط فى روسيا وجدنا أن وضع هذه الحقول ليس جيداً أيضاً. ففى الولايات المتحدة يستخرج أكثر من (٩٠) بالمائه من الفحم على شكل قطع، ثم ينقل ميكانيكياً، ولا يستخرج بالمسحاة والفاس غير مقدار قليل لا يتجاوز الأربعة بالمائه من مجموع الإنتاج. بينما تستخرج أكثر كميات الفحم فى روسيا باليد. وتشكو مناجم الفحم، ككل الصناعات الروسية من قلة الأيدى العاملة المنتجة. فقد وجد أحد مهندسى المناجم وهو سويدى زار منطقة الفحم فى روسيا مهندساً روسياً واحداً لا يزال على قيد الحياة وميكانيكياً وقوميسيراً سياسياً واحداً ومجموعات من العمال يحرس كل أربعة منهم جندى مسلح. فإن عدد العمال الذين يخضعون لنظام العمل الإجبارى فى روسيا يفوق أى عدد آخر من عمال المصانع الأحرار المستخدمين فى المصانع الروسية، إلا أن العامل المستعبد فى ظل النظام الروسى الاقتصادى لا ينتج بنفس الكفاءة التى ينتج بها العامل الحر فى ظل الأنظمة الاقتصادية. ولقد بذلت المحاولات فى مشاريع السنوات الخمس الأولى لتدريب العمال المهرة بواسطة المدارس الفنية الخاضعة للدولة، ولكن رغم ذلك عندما جاء عام ١٩٣٦ لم تجهز هذه المؤسسات غير حوالى مليون عامل وظل التقدم فى هذا الاتجاه بطيئاً. ويهدف مشروع ستالين الحالى تجهيز الصناعات الروسية بستة ملايين عامل مدرب، وعندما يتحقق هذا الهدف الذى يعتبر غاية آمال الروس يكون الاتحاد السوفياتى قد حصل على عدد من العمال يساوى عدد العمال الذين يشتغلون فى إنتاج السيارات فقط فى الولايات المتحدة.

والآن نتساءل عن القنبلة الذرية وعن الموعد الذى تستطيع فيه روسيا أن تصنع القنبلة بكميات كبيرة:

إن العلماء الأمريكيين والإنجليز مقتنعون بأن العلماء الروس يعرفون الطرق العامة لصنع القنبلة ولو أنهم لا يعرفون الخطوات الحقيقية التى «تفجر فيها القنبلة وترمى». إلا أن أغلب المشاكل الصعبة بالنسبة للروس هى بناء المصانع المعقدة التى لا بد منها

الجناح المهيض

للأستاذ إبراهيم الوائلي

دعيني وتهويمة الشاعرين وبجوى الطبيعة فى معزل
فإنى — متى هجع السامرون — بغير الهواجس لم أحفل
أراك ووحشة هذا الظلام تزيدين من همِّى المثقل
فهل تعلمين بأنى شربت أمر من الصاب والحنظل ؟
وأنى أذبت بقايا الفؤاد ترانيم تصخب كالمرجل
سلى الشهب عن سهرى فى الدجى تجبك متى شئت أن تسألى
خطوب يعج بها حاضرى وأخرى تهدد مستقبلى
وفى كل يوم أرى نَبوة من الزمن القلّب الحوَّل
أنا اليوم لست كما تعهدين وكاليوم شأن غدى المقبل
وما بات يخفق فى أضلعى حنين إلى عهدى الأول
دفنت الشباب وأحلامه وما فيه من متع حُفّل
وودعت أمسى بين الصخور فذاب على الشوك والجندل
وماتت بقلبي تلك الرغاب كما يحصد الزهر بالمنجل

دعينى وألحانى المعولات تنوح على الأرغن المعولِ
تريدين منى زفيف الطيور وأين الزفيف من الأعزل ؟
فلا زغب فى الجناح المهيض أهوِّم فيه على منهل
تفيض الينابيع عن جانبى وأُحرم من مائها السلسل
وأدرك فى الروض معنى الجمال وأُمنع من نظرة المجتلِى
وأشتاق أن أرد الضفتين فتُحجبُ عنى رؤى الجدول
وأهوى سنا الفجر خلف الغيوم فأقبع فى ليلىَ الأليل
وأهتاج أنسامه الحالمات فيرتد عنى سُرى الشمأل
وأصغى لهدل طيور الفضاء تطارح أنشودة البلبل
فأمضى ولا صوت فى مسمعى رن سوى خفقة الأجدل

تريدين منى غناء الطيور وليس سوى القفر من موئل ؟
حشدت الصخور إلى جانبى وشوك الطبيعة فى محفلى
وصوَّبتُ فى جنبات السهول وصعدتُ فى قمم الأجبُل
وهمهمت للوحش فى غابه وغمغمتُ للنعم الجُفّل
وعدت ولا شىء غير الرياح متى أرها فى الدجى تعول

ضللت الطريق ... وكم تائه أراح على جذوة المصطلى
وأبصر فى خلجات السماء نجوماً تُنوِّر أو تمتلى
ولكننى لم أزل حائراً أجوب الرمال على الأرجل
تواكبنى خطرات الدجى ثقالاً ينوء بها محملى
فمن هيكل سابح فى الطريق يلوح أمامى إلى هيكل
ومن شبح مدبر يستفز خيالى إلى شبح مقبل

تريدين منى انطلاق النسيم على الروض فى ثوبه المخمل ؟
وإشراقة الفجر بين الحقول وفوق أفانينها الميَّل
وما أنا ... يا هذه ... إننى برمت بمسالك الأمثل
دعينى ومابى ... فلولا الشجون تثير الحمائم لم تهدل

(القاهرة) ابراهيم الوائلى

لإنتاج القنبلة الذرية ، لأن إنتاجها يحتاج إلى مقدرة تفوق حد الوصف . فالبراميد يحتاج إلى عمليات معقدة والإشعاع الراديوى مثلا يحتاج إلى سيطرة آلية هائلة إذ أن إقامة مصنع للقنابل الذرية يجب أن يوضع وفق تصميم يستطيع أن يعمل بموجبه المعمل وحده بلا إشراف العمال عليه . وبالقياس إلى هذا المستوى العلمى الفائق فى القابلية العملية تعتبر روسيا متأخرة . فمن حيث الكفاءة الإنتاجية التى تعتبر مفتاح صنع القنبلة الذرية تتأخر روسيا عن الولايات المتحدة والدول الغربية بمعدل (٢٢) سنة إلى الوراء .

والخلاصة ، أن تهديد روسيا للعالم تهديد حقيقى لا شك فيه ، ولكن روسيا بدرجة من الضعف تستطيع معه القيام بحرب دفاعية بالقرب من بلادها ، ولكنها أضعف من أن تشن حرباً هجومية كالحرب التى شنتها دول المحور عام ١٩٣٩ .

فؤاد طرزى المحامى

مصادر البحث :

١ — تاريخ العالم : ﻫ . ج . ويلز
٢ — الاتجاه نحو نظام جديد : ﻫ . ج . ويلز .
٣ — تقرير المستر تايلور : الريدرز وايجست .
٤ — مجلدات مجلة الإيكونمست عام ١٩٤٦ ، ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ .
٥ — ولادة عالم جديد : المستر بتلر فى مجلة الشؤون الخارجية عدد تموز عام ١٩٤٨ .

انتظـــــار ...

للأسـتاذ عمر النص

أقبلي ... أقبلي ... فقد عسعس الليـ ل، وغام الفضاء في ناظريَّا
السماء الأكناء ترهق أنفا سي وتلقى النـذير في أذنيا
أقبلي ... فالظلام يوقر نفسي نزوات ... ويوقظ الشجو فيا
والرياح الغضاب تلطم شبا كي وتدوي خلف الزجاج دويا
والحيا دافق ... يطير مع الريـ ح وتجري به سخياً سخيا !
ونبـاح الكلاب يخنقه القـ ر وتعصى به الرياح قصيا ...
أقبلي ... فالظنون يا ليل تأبى أن أحس النعاس في جفنيا
وأنا في ترقبي ... أفتح البـا ب وأرنو ... عـلى أطالع شيا
أسأل الليل : ما وراءك يا ليـ ل ... وأصغي إلى الرياح حفيا
أنا في موقفي ... تحدق عينا ي ... ويسمى بي الخيال مليا
كلما مر في الدجى ذو جناح كدت أنى أضمه بيـديا
وكأني أراه يُشـــفق مني فيـكاد الفؤاد يصرخ : هيا !
... أي شيء تُرى أعاقك عني بعد ما أرهف الصدى أذنيا
أي درب سلكته فأضلت فيه أقدامك الطريق إليا ؟!
طال لبثي ... ولم أزل أفتح الصد ر وأستقبل الظلام العتيا
كلما صحت في القتام لسار ضاع صوتي ... ومات في شفتيا!
ليت شعري ألم يحن لفؤادي أن يرى في الحياة شيئاً رضيا
مزقتـه يد الفراق وصرت وهو ما زال بالفراق شقيا !

إيه ليلاي ... لم أعد أرقب الأفــق ... وإن كنت قد مددت يديا
أنا باق هنا أجاهـد إخفا ق وأخفى العياء في نظريا
طاش حلمي ... وكدت أفقـد صبري
وتجـلى الشحوب في وجنتيا ...
أنا باق هنا ... وقد نصل الليـل ... فردي لي الخيال الغويا
ودعيني لوحدتي ... أغلق البا ب وأبكي ... فلست آمل شيا !!

(دمشق) عمر النص

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

قصة الدموع التي شابت :

جاء إلى الحياة والدمع في عينيه ، ورحل عنها والدمع في عينيه ... وتلك هي قصته : قصة الدمع الذي شاب والشعر في سواد الليل ، والروح الذي اكتهل والعمر في ربيع الأمل ، والزهر الذي صوّح والعطر في رياض الشباب !

من هو؟ لا أحد يعرفه ... لقد عاش غريباً في دنياه : همسة تنطلق من فجاج الصمت لتتلاشى في سكون العدم ، وومضة تشع من وراء الأبد لتخبو في ظلام اليأس ، ولحن ينساب من أوتار الزمن ليشجي كل عابر سبيل !

يخيل إليّ أنه لم يكن بشراً من البشر ... لقد كان روحاً : روحاً شرب من خمرة الأسى المعتقة في دنان الشجن حتى ثمل ، وكأن الأيام حين طافت عليه بكئوسها قد ثملت معه فنسيت غيره من الشاربين . وكان طيفاً : طيفاً شفه الحزن حتى لكأن الوجود مأتم كبير ، ترملت فيه أحلامه ومنيت بالثكل أمانيه ، فكل تعزية في حساب الشعور وهم لا يجدي وسلوة لا تحين !

تسألني عنه ؟ ... لقد كان « قارئاً » من قراء « الرسالة » ، حدثني عن نفسه يوماً فكتبت إليـه ، وشكا إلى الحياة فأشفقت عليه ، ثم لم نلتق بعد ذلك إلا في عالم الرؤى والطيوف ! كل ما بقي منه سطور رأيته من خلالها رأي الفكر ، وصورة رأيته من ظلالها رأي العين ... وما تستطيع يدي بعد اليوم أن تمتد إلى رسائله ... وما تستطيع عيني بعد اليوم أن تنظر إلى صورته . رباه إنني لا أخشى أن تحرقني ناره إذا ما قرأت ، ولكنني أهاب نبش القبور إذا رقدت فيها الذكريات ... ولا أن يلوعني وهج نوره إذا ما نظرت ، ولكنني أفزع من رؤية الشموس إذا احتضرت على فراش الغروب !

لقد كانت كل رسالة من رسائله تحمل إلى معنى من معاني القبر

فى كلماتها كم شهدت مصرع الفكر ، وفى زفراتها كم شممت رائحة الموت ، وفى أناتها كم سمعت صوت النعاة . وكم أشفقت أن يصبح الظن حقيقة ... وأن أصحو يوماً على وقع أقدام المشيعين

ألا ما أعجب القدر حين يفرق بين الناس ويدفع بكل حى إلى طريق ... بسمة ترف على الشفاه هنا ودمعة تقرح الجفون هناك وحياة فى موكب الصفو تمضى وحيـاة فى موكب الشجو تقيم ، وكأس مزاجها الشهد للسكارى وليس فيهـا للحيارى نصيب ، وليل يقصر وليل يطول ... وندامى ... ويتامى ... وفرحة يهتز منها شعور وحرقة تلتهب منها صدور ، وياجرعة الصبر فى قلوب الصابرين ما أعمق مرارتك ، حين يصور لك الوهم أن فى التراب أكواباً من العزاء !

من حمرة الشفق حيث طوبت الشمس الغاربة ، يصطبغ اليوم وجدانى وأنا أستعيد ذكرى حياة ... حياة أشبه بحيرة الغريب دفعت به المقادير إلى دار غير داره ، فكل مافيها خواء يبعث على الشكوى ويغرى بالرحيل ! ... ولكم وقفت منه موقف الطبيب من مريض تبخرت قطرات الأمل فى شفائه : مبضعى الذى يفتش عن مكامن الداء قلم ، ودوائى الذى يأسو جراح الزمن كلمات . وكان هذا هو كل ما أملك ... أعالج بالقلم ودماء القلب تنزف ، وأسباب الرجاء تخيب ، وزورق العمر يمخر العبـاب والضباب إلى شواطئ الفناء !

رباه ، لقد كنت رحيما به حين أخذته ... لقد تحملت سنواته السبع والعشرون فوق مايحمل طوق الأحياء من عبادك !!

جيته بعد قرنين من ميلاده :

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ عباس محمود العقاد مقالا فى عدد أكتوبر من مجلة « الكتاب » جاء فيه : « كارل ياسبر هو أشهر فلاسفة الألمان المعاصرين ، وهو إمام الوجودية الألمانية غير مدافع ، وله آراء فى علم النفس وأدب السلوك تعد من مبتدعات المذاهب الأخلاقية فى القرن العشرين ، ومن أجل هذه الآراء يعول على تقديره لشاعر الألمان الأكبر جيته فى ذكرى ميلاده ، بعد انقضاء مائتى عام على ذلك الميلاد ... قال ياسبر عن منزلة جيته الأدبيـة : إنه وإن يكن أعظم الشعراء الغنائيين فى الألمان ، وعلى الرغم من التقدير العالمى العظيم الذى نالتـه روايته (فاوست) ، لا يقف فى عالم الأدب موقف الند من هومير أو دانتى أو شكسبير على أساس عمل خاص من أعماله . ولكنه منقطع النظير حين نقيسه بمجموعة أعماله وجوانب شخصيته ، وهى تلك الشخصية التى كان الشعر والبحث العلمى والجهـود العملية من عناصرها الأولية !

وتقدير ياسبر هذا يطابق تقديرنا للنابغـة الألمانى العظيم فيما كتبناه قبل سبع عشرة سنة ، لمناسبة الاحتفال بانقضاء مائة سنة على وفاته ، فقد قلنا عنه فى رسالة صغيرة : إن جيته من العبقريين الذين لاينبئ قليلهم عن كثيرهم لأنه لم يجمع نفسه فى قطعـــة واحدة ولا موضوع واحد . فهو كثير الجوانب كثير التجزئة : الموضوع الواحد عنده لايدل على كل موضوعاته ، والجزء الصغير لايدل على جملة الموضوع ، فكل فكرة له هى أصغر من الرجل فى جميع أفكاره » !

أود أن أقف قليلا لأناقش هذه الآراء ، وأول شئ يستوجب الوقوف ويدعو إلى التعقيب قول الأستاذ العقاد إن كارل ياسبر هو أشهر فلاسفة الألمان المعاصرين وإمام الوجودية الألمانية غير مدافع . وأظن أن تاريخ الفلسفة المعاصرة سيقرر أن الفيلسوف الألمانى هيدجر لا « ياسبر » هو أشهر فلاسفة الألمان المعاصرين وإمام الوجودية الألمانية غير مدافع ... وحسبنا فى مجال التدليل على صحة هـذا الرأى أن نقول إن الوجودية الفرنسية عند « سارتر » قد اتجهت فى تقرير مذاهبها إلى الوجودية الألمانية عند « هيدجر » ، وأن فلسفة هذا الأخير كانت المنبع الأصيل الذى تدفقت منه القطرات الأولى فى الوجودية السارترية ، أو الحقل الأول الذى استمد منه الفيلسوف الفرنسى بذوره الفكرية الضخمة ، تلك التى أينعت وأثمرت فى الوجود والعدم « L' être et Le néant » ...

أما عن رأى ياسبر فى منزلة جيته الأدبية فهو رأى عجيب ، ومصدر العجب فيـه تلك الموازنة بين أديب وأديب على أساس عمل خاص من أعماله الفنية ... إن الموازنة على هـذا الأساس باطلة ، لأن الميزان الحق لأقدار الأدباء لايقام على أساس فكرة واحدة أو رأى واحد أو كتاب واحد يضم بين دفتيـه عدداً من الآراء والأفكار ، وإنما يقام الميزان الحق فى مجال الموازنة بين

أديب وأديب بأن يوضع إنتاج هذا كله فى كفة ، وأن يوضع فى الكفة الأخرى إنتاج ذاك ... عندئذ يصح الحكم ويستقيم التقدير لأننا نضع عالماً من الفكر أمام عالم ، ونقابل فى ميدان الذهنية المبدعة بين حياة وحياة . إننا إذا وازنا مثلا بين فاوست والإلياذة ، أو بين فاوست والكوميديا الإلهية ، أو بين فاوست وهملت ، لنخرج من هذه الموازنة بأن جيته على أساس هذا العمل الخاص من أعماله لا يقف موقف الند من هومير أو دانتى أو شكسبير ، كنا كمثل من يوازن بين شارع فى برلين وثلاثة شوارع أخرى فى أثينا وروما ولندن ، لندلل على أن المدينة الأولى لا تقف فى مجال الضخامة أو الجمال أو النظافة موقف الند من المدن الثلاث الأخريات ... تلك ولا شك موازنة لا تليق ومنطق لا يروق !

ورب قارئ يعترض على نقدنا لهذا الشق الأول من رأى ياسبر بأن الشق الأخير يتفق وهذا التصحيح ، وهو الشق الذى ينادى فيه الفيلسوف الألمانى بأن جيته منقطع النظير حين نقيسه بمجموعة أعماله وجوانب شخصيته ... إن ردنا عليه هو أن جيته ليس منقطع النظير فى رأى ياسبر بمجموعة أعماله الأدبية وحدها ولكنه منقطع النظير بشخصيته المتعددة الجوانب والمواهب والملكات ، ويدخل فى ذلك أدبه وبحوثه العلمية وجهوده العملية !

وأعجب العجب بعد هذا كله أن ينظر الفيلسوف الألمانى ياسبر إلى الشاعر الألمانى جيته نظرة قوامها أنه لا يقف فى ميدان الأدب موقف الند من شكسبير ، وأن ينظر الكاتب الإنجليزى كارليل إلى الشاعر الإنجليزى شكسبير نظرة قوامها أنه لا يقف فى ميدان الأدب موقف الند من جيته ... ذلك لأن لكارليل فى شاعر الألمان الأكبر رأياً معروفاً سجلته من قبل على صفحات الرسالة ، وهو أن جيته أعظم أدباء العالم بلا استثناء !!

حديث لم يخطر لى على بال :

فى العدد (٢٣٥) من مجلة المسامرات ، وفى الصفحة الثامنة والعشرين يمكنك أن تقرأ مقالاً هذا عنوانه : « بين الشيوخ والشباب ما صنع الحداد » ... مقالا مهدت له المجلة بهذه الكلمات « هى معركة لم تنته بعد ، بين الشيوخ والشباب ... فأولئك يتهمون الجيل الجديد بالسرعة وعدم الاستقرار ، وهؤلاء يتهمون السالفين بالجمود والرجعية . وفيما يلى تعرض « المسامرات » مجموعة إجابات من الجيلين » .

وبعد أن سجلت المجلة عدداً من الآراء لفريق من شيوخ الأدب وفريق من شبابه ، بعد هذا جاء دور أنور المعداوى فقال : « إننا نقدر الشيوخ لأنهم فتحوا أعيننا على الكثير ، وهذا التقدير يقف حائلاً بيننا وبين إعلان سخطنا عن التواء بعضهم ... إن الكاتب ينبغى أن يكون إنساناً قبل كل شىء . وحينما يكون إنساناً تسقط عنه العصبية السخيفة ، فلا تجد فارقاً بين كاتب وكاتب ... وما أقل الكاتب الإنسان عندنا » !

أشهد أن حديثاً كهذا لم يخطر لى على بال ، وأشهد أن مجلة المسامرات لم تسألنى فى أى يوم من الأيام عن رأيى فى أى موضوع عرضت له ، ولو سألتنى لما أجبت ... لأن فى مثل هذه الأحاديث سخفاً لا أحب أن أشارك فيه ، ولكنها الصحافة المصرية تنطق الناس بما تشاء لا بما يشاءون ! صدقنى لو أنطقتنى « المسامرات » بما يمكن أن أنطق به لهان الأمر ولكنها — عفا الله عنها — قد جملت الشيوخ — مع احترامى لهم — يفتحون عينى على الكثير ، وجملتنى — سامحها الله — إنساناً بلغت به الإنسانية ذلك الحد من التسامح الذى لا أفرق عنده بين كاتب وكاتب ! .. إن مجلة « المسامرات » تذكرنى ببعض كتاب القصة والمسرحية فى مصر ، أولئك الذين ينطقون أبطال خيالهم بما لا يمكن أن تنطقهم به الحياة ! !

حول الأمانة العلمية فى الجامعة :

يذكر القراء تلك القضية التى عرضتها على محكمة الرأى العام الفنى فى عدد مضى من « الرسالة » ، وأعنى بها قضية الأمانة العلمية بين أستاذين فى الجامعة ، هما الدكتور محمد فؤاد شكرى والدكتور جمال الدين الشيال . ولقد سألنى الكثيرون لماذا لم يرد الدكتور شكرى على ما اتهم به من السطو على رسالة زميله وقد انقضت على ذلك أيام وأيام ؟ ... أما أنا فقد كنت على وشك أن أعقب على موضوع الأمانة العلمية ظناً منى أن الدكتور شكرى قد آثر السلامة فلاذ بالصمت ، ولكن أحد زملائه فى الجامعة قد أنبأنى بأنه متغيب عن وطنه منذ بعيد فى مهمة سياسية ، ولهذا أرجىء التعقيب مرة أخرى حتى يعود ونسمع دفاعه .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

ابن الحسب والنسب :

هذا هو اسم المسرحية التي قدمتها أخيراً الفرقة المصرية على مسرح الأوبرا الملكية ، وهي للكاتبين الفرنسيين إميل أوجييه وجورج صاندو ، وقد ترجمها محمد عبد المنعم سعيد بك ، وأخرجها الأستاذ فتوح نشاطي المخرج بالفرقة . وتجري وقائع هذه المسرحية في القرن التاسع عشر بفرنسا ، وهي تعرض ناحية من الصراع الاجتماعي بين طبقة الأشراف التي كان قد تضاءل نفوذها وانحسرت سيادتها عن المجتمع ، وبين الطبقة الوسطى التي يمثلها رجال الأعمال الذين وصلوا إلى الغنى بكدهم وارتقت بفضلهم التجارة والصناعة ، ويتجه سير المسرحية إلى السخرية من طبقة الأشراف وانتصار طبقة العاملين عليهم ، فكان الغرض واضحاً ، كما أن المنهج طبيعي والعرض طلي ، بحيث يشعر المشاهد أنه يواجه موضوعاً مهماً ، وفي نفس الوقت يحس بالطرافة والمتعة الفنية . وقد استطاع المترجم أن ينقل تلك المقاصد حية نابضة ، بأسلوب لابأس به ، غير أنه لم يراع السلامة اللغوية في بعض العبارات ، ولا تزال تطن في أذني كلمة «المايه» التي رددها أبطال المسرحية في قولهم « القرض بفائدة ستة في المايه » بفتح اليم الممدودة . .

وتتلخص المسرحية في أن « المركيز دي بريل » تزوج من « أنطوانيت » ابنة « المسيو بواربيه » التاجر الغني ، ويبدو هذا الزواج في المشهد الأول على أنه صفقة رضى بها المركيز المفلس ليستمتع بثروة صهره ويحيا حياة الترف والتبطل التي اعتادها ، كما اغتبط بها المسيو بواربيه ليستفيد من لقب المركيز وهو يطمع في أن يصل بهذه المصاهرة إلى عضوية الشيوخ ، وقد أنس من ابنته حبها للمركيز . ونعلم بغرض المركيز من هذه المصاهرة ، من حديث يجري بينه وبين صديقه « الدوق دي مونمران » الذي يعمل كجندي في الجيش بأفريقية ، وقد قدم في إجازة ؛ أما المسيو بواربيه فهو يعرب عن آماله لصديقه وشريكه « فرديله » وهو « عراب » أنطوانيت ، ويخيل إلى أن الجمهور لم يدرك معنى كلمة « عراب » والمقصود بها مايسمى في العرف الكنسي بمصر « الشبين » الذي يكفل الطفل من وقت « تمميده » أي يرعاه ويعطف عليه . والكلمة « عراب » لا تستقيم عربية ، ولعلها سريانية .

يلاحظ فرديله أن صديقه يغدق على المركيز المفلس المسرف المتبطل ، وأن المركيز يستهين بزوجته أنطوانيت ، فيحرض المسيو بواربيه على أن يضع حداً لهذه الحال فيطلب من المركيز أن يبحث له عن عمل . وما إن يفاتح المركيز في ذلك حتى يأبى في تشمخ واشمئزاز ، وتسوء العلاقة بين الصهرين ، ويشعر المسيو بواربيه أن زوج ابنته يحقره ، فيقابله بالمثل ويعنف به ، ويرتب الأمور على أن يطرده من القصر . ومرة يلين المركيز في مناقشة صهره حتى يستدرجه إلى البوح له بأنه يطمع أن ينال بجاهه عضوية الشيوخ فيهزأ به وتزداد الحال بينهما سوءاً .

وفي خلال تلك الحوادث نرى الفتاة الوديعة أنطوانيت تتودد إلى زوجها الذي يستخف بها أولا ثم لا يلبث أن يشعر نحوها بشيء من الحب .

ثم يتحرج موقف المركيز عندما يكشف الجميع عن علاقته بمدام « دي مونجيه » بوساطة رسالة منها إلى المركيز تقع في يد المسيو بواربيه فيفضها ويطلع أنطوانيت عليها فتكاد تصعق منها . ويهدد الرجل صهره برفع الأمر إلى القضاء ليفصل بينه وبين ابنته التي تحطمت سعادتها . فيغضب المركيز خوفا على سمعة خليلته ، ولكنه يخضع لصهره فيرجوه ألا يفعل ويعده بأن يقطع علاقته بها وأن ينزل عند رغبته في مزاولة عمل ، وتدخل أنطوانيت وتخطف الرسالة من أبيها معلنة أنها صاحبة الحق وأنها هي التي ستقاضي زوجها . ويفاجأ المركيز بما يدهشه من نبل زوجته ، إذ تمزق الرسالة وتلق بها . . ويتقدم إليها في احترام ، ولكنها تصده وتعلن أنها أرملة منذ اليوم .. ويحاول المركيز أن يستغفر زوجته . ويقبل عليها أخيراً وقد اعتزم مبارزة منافس له في « مدام دي مونجيه » فتمنعه أنطوانيت فيأبى التخلف عن المبارزة

ولـكنها تقول له إنها تعتبر عدوله عن المبارزة دليلا على حبه إياها ، فيعدل ، فتطلب منه أن يذهب إلى المبارزة محافظة على كرامته وشرفه ، فيهم بالذهاب فترد إليـه رسالة من منافسه بعدوله عن المبارزة .

وفى هذا الجو الصافى يعبر المركيز عن اقتناعه بضرورة أن يعمل عملا يعيش منه ، فيتقدم « فرديله » ويهدى إلى المركيز وزوجته قصر أجداد المركيز الذى كان قد اشتراه وما يحيط به من المزارع ليعمل المركيز فى استغلالهـا ، وبذلك تنتهى المشاكل كلها حتى تطلع المسيو بواربيه إلى عضوية الشيوخ .

وكنت أفضـل أن يظل المسيو بواربيه طامعاً فى عضوية الشيوخ ، فإن المركيز لم يقدم شيئاً ، بل هم الذين كالوا له وصفحوا عنه وإن كانوا قد أذلوا كبرياءه ، ولـكن لا يوجـد ما يجعل الرجل يتنازل عمـا يطمح إليه .

وأبطال القصة سماتهم واضحة ما عدا اثنين : صديق المركيز ، وصديق المسيو بواربيه ، وقد مثـل المركيز « فاخر فاخر » ومثل المسيو بواربيه « حسين رياض » وقد اندمج كل منهما فى دوره اندماجاً كليا حتى نقلانا إلى فرنسا فى القرن التاسع عشر وكان حسين رياض يعبر بكل لفظة وكل حركة ، حتى حركة قدمه التى كان رفعها فى وجه المركيز احتقاراً له .

ومثلت أنطوانيت « أمينة رزق » فأجادت تمثيـل الفتاة الرقيقة المتلطفة لزوجها ، ثم الفتاة الشموس التى تغضب لـكرامتها وتمزج هذا الغضب بالنبل الذى يصفع نبـــل «الأشراف» ولـكنها أسرفت فى مظاهر الغيرة بالبكاء والنحيب كدأبها ... ولست أدرى أهذه الغيرة الشديدة من امرأة فرنسية فى أصل المسرحية أم حدث تعديل يمكن لأمينة رزق من هذا الذى عرفت به ...

وأجاد فؤاد فهيم فى تمثيل الطاهى الذى يزدهى بعراقته فى فى فن الطهى ، وكان هـذا الدور من عام السخرية من الأرستقراطية إذ ينتسب إليهـا الطاهى ويفخر بأجداده وماضيهم فى المطابخ !

ومثل صديق المركيز « كمال حسين » ومثل فرديله « محمود رضا » والشخصية الأولى مائعة فلم تدل صفاتها وتصرفاتها على طبقة من الطبقتين ، والشخصية الثانية تافهة غير جديدة بما نسب إليها من التأثير فى أنطوانيت ولعل ضعف تمثيل الشخصيتين أتى من ذلك ...

كشكول الأسبوع

□ استأنف لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية عملها فى نقل هذه الدائرة القيمة النافعة إلى العربية ، وهى تصدر فى ليدن بالانجليزية والفرنسية والألمانية . وكانت اللجنة قد انقطعت عن هـذا العمل الجليل بعد أن ترجمت ثمانية مجلدات بها أكثر من ثلاثة آلاف مادة فى شتى الموضوعات الإسلامية ، وقد بدأت نشاطها أخيراً بإصدار ستة أعداد من الدائرة .

□ يشتغل الأستاذ محمود تيمور بك الآن بوضع مسرحية عنوانها «أنا ابن جلا» تدور حوادثها حول شخصية الحجاج بن يوسف الثقفى

□ تعتزم وزارة المعارف إنشاء ناد مصرى فى باريس وإلحاق مركز ثقافى به ، على غرار النادى والمركز اللذين فى لندن . وستقوم وزارتا المعارف والخارجية بتزويد هـذا المركز الثقافى بالمؤلفات والإحصاءات والرسوم البيانية التى تحقق أغراضه وأهمها تعريف العالم الأجنبى ببلادنا .

□ أبدت هيئة اليونسكو رغبتها فى أن يقام بدارها فى باريس ، معرض الفن الشعبى المصرى الذى تنظمه وزارة المعارف المصرية ، وأن ترعى هذا المعرض وتدعو إليه ، وقد وافقت وزارة المعارف على ذلك .

□ قال الدكتور يحيى الخشاب مدير المطبوعات فى حديث صحفى : يجب أن يتجه أصحاب الأفلام إلى الأدباء المتازين ، لـكتابة القصة ونظم الأغانى ، فإن ذلك يرفع مستوى الفلم المصرى .

□ من التصرفات العجيبة لبعض زملائنا الصحفيين ، أن أديباً كتب بإحدى الصحف مقالاً جاء فيه ذكر كتاب « صور من العشق » فحذف سكرتير التحرير اسم الكتاب من المقال ، فلما سأله الكاتب عن ذلك أجاب بأنه لا يتفق مع سياسة (الجورنال) فقال له الأديب ساخراً : ألا يكتب (الجورنال) شيئاً عن «محب باشا» ؟!

□ عهد إلى قسم خاص بكلية الطب فى إعداد بحث واف عن طب ابن سينا وما جاء به زيادة على طب اليونان ، وذلك لمناسبة قرب الاحتفال بالذكرى الألفية لابن سينا

□ يشتغل الدكتور محمد هاشم وزير الدولة بوضع مشروع هام لإصلاح الإذاعة وبرامجها .

□ وضع الكاتب الفرنسى أندريه جيد مؤلفـاً باسم كاتب من الكتاب المجهولين ، ليرى رأى النقاد والقراء فيه غير متأثرين باسم المؤلف ، فـكانت نتيجة التجربة أن أخفق الـكتاب وأهمله النقاد واكتفى بعض الصحف بمجرد الإشارة إلى ظهوره .

□ وضع الأستاذ كامل عجلان مسرحية باسم « سلطان العلماء » تدور حوادثها حول «العز بن عبد السلام» شيخ الإسلام فى مصر لأول عهد المماليك . وسيمثلها فريق الأزهر للتمثيل قريباً .

□ فى صباح يوم من الأيام التقى أحد « أولاد البلد » بالأستاذ شوقى أمين سكرتير معالى رئيس المجمع اللغوى ، فقال الأول : «صباح الفل يا ميت نرجس» قال الأستاذ اللغوى رداً على التحية : « صباح الإذخر يا مائة عرار ! » .

العربية بين الباكستان والبلاد العربية :

قدم إلى مصر فى الأسبوع الماضى السيد شودرى خليق الزمان (لا خالق الزمان كما ذكرت بعض الصحف) رئيس الرابطة الإسلامية بالباكستان . وزيارته لمصر جزء من برنامج رحلته فى البلاد العربية التى يقوم بها لبث الدعوة إلى اتحاد إسلامى عام تتكتل فيه جميع البلاد الإسلامية .

وقد دعت الجالية الباكستانيــة فى القاهرة يوم الأربعاء الماضى ، طائفة كبيرة من رجال الفكر والصحافة وعلماء الدين ، إلى الاجتماع بدارها حيث تحدث إليهم السـيد خليق الزمان ، وقد بين فى حديثه ضرورة تكتل المسلمين وتعاونهم على الأخذ بوسائل التقدم وأسباب القوة ،وأبرزفكرة «الجنسية الإسلامية » التى تقوم على الترابط والتواد بين كافة المسلمين فى مختلف ديارهم ، ومما قاله أن بعض المفكرين يدعون إلى الاقتداء بالغرب ، وبعضهم يقول بالنظر إلى الشرق ، ولكنى أقول : يجب أن ننظر إلى ذاتنا وإلى إلهنا .

وكان الزعيم الباكستانى يتحدث باللغة الأردية ، وهى لغـة التخاطب السائدة فى الهند والباكستان ، وترجم عنه إلى العربية الأستاذ الأعظمى عميد كلية اللغة العربية فى كراتشى . وقد شعر الجميع بالتقارب الفكرى والوجدانى بينهم وبين الضيف الكبير الكريم ، على رغم الاختلاف فى اللغـة ، ولا شك أن لاتحاد اللغة شأناً كبيراً فى جمع المتكلمين بها على المودة والأخوة ، وأنا أعتقد أن الباكستان تدنو من أخواتها الإسلاميــة التى تتكلم العربية ، وتحقق هدف الاتحاد المنشود ، باتخاذها العربية لغة لها . ولا يقل هذا شأناً — إن لم يزد — عن الوسائل الأخرى من الدعوة المباشرة وغيرها .

ولا أريد أن أثقل على إخواننا الباكستانيين بتكرار ذلك الذى قلته فى مناسبة سابقة ، وإنما أستبشر بما تنقله إلينا الأنباء عن حركة تعلم العربية فى الباكستان ، وما تبذله الدولة فى هـذا السبيل ، وهى لاتزال فى أوائل سنتها الثالثـة ، وأستشرف إلى المستقبل القريب الذى نرى فيه الباكستان أمة مسلمة متعربة .

وقد لاحظت كثيراً من الكلمات العربيــة فى خلال حديث السيد خليق الزمان ، ويقال إن اللغة الأردية تحتوى من الكلمات العربية ما يقدر بنحو خمسة وستين فى المائة من مجموع ألفاظها ، ولذلك لم يجد الباكستانيون الذين أقبلوا على تعلم العربية صعوبة فيها ، وقد تقرر تعليم اللغة العربية فى مراحل التعليم ابتداء من السنة الأولى الثانوية . وهناك « الجمعية العربيـة العامة » التى يرعاها وزير المعارف ويرأسها شيخ الإسلام ، ولهذه الجمعية سنة طريفة فى الحث على التخاطب باللغة العربية ، فهى تفرض على من يتحدث فى دارها أن يدفع عن كل لفظة غير عربيــة ما يعادل خمسة مليمات مصرية . .

وقد جرى حديث بينى وبين باكستانى كبير فى موضوع نشر اللغة العربية فى الباكستان ، قلت له : لماذا لاتكثرون من بعثات الطلاب إلى مصر ، ليتعلموا فى معاهدها باللغة العربية ، ويكتسبون القدرة على هذه اللغة من البيئة المصرية ؟ وجهت هذا السؤال وأنا غافل عن خرق واسع فيه . . قال : إن طلابنا الموجودين فى مصر يشكون من اللغة العامية التى تتحدثون بها لا فى الأسواق فحسب ، بل كذلك فى دور التعليم ومجالس المتعلمين فكيف يكتسبون القدرة على الحديث بالعربية من هذه البيئة ؟

سمعت ذلك فلم أستطع إلا أن أهز رأسى آسفاً على هذه الحال وذكرت ما وقـع لأحد المستشرقين ، وقد جاء إلى مصر لأول مرة بعد أن درس اللغة العربية فى بلده هو وزوجته حتى أصبحا يتخاطبان بها ، فلما نزل بأحد الفنادق بالقاهرة وجاءه الخادم ، قال له : أريد طعاماً . فانصرف الخادم ثم عاد يحمل إليه (طعمية) فقال له : ماهذا ..؟ أريد شواء . قال خادم الفندق : (مش قلت إنك عاوز طعمية !) فبهت الرجل .. وكتب إلى زوجته يقول : لقد نزلت بالقاهرة زعيمة العواصم العربية ، فلم أجد بهـا من يتحدث باللغة العربية غير زوجك العزيز !

والعجيب أو المخجل أن كثيراً من « المثقفين » المصريين الذين يجتمعون بهؤلاء الأجانب المتعربين ، لايبادلونهم الخطاب بالعربية ، بل يحدثونهم بالعامية فلا يكادون يفهمون منهم شيئاً ، ويتضايقون من المجالس ، مجالس المتعلمين ، التى يدور فيها الحديث بالعامية .

وأعود إلى الموضوع ، فأقول مع ذلك : إن تفشى عاميتنا فى



بواسل من لحن القول :

١ – حمل إلينا بريد الرسالة الأدبى فى العدد (٨٤٥) كلاماً للأستاذ الفاضل السيد أحمد صقر فيه سب وسخط على المقبين اللغويين ، ورد ما كتبناه فى العدد (٨٤٣) نخطىء فيه استعمالهم بواسل صفة لجمع مذكر عاقل ، وتواً بمعنى الساعة أو حالاً ، وذكر أن بواسل مسموعة عن العرب الخلص منذ الجاهلية الأولى ، وأورد شاهدين لذلك ، الأول ؛ قول باعث بن صريم اليشكرى من شعراء الحماسة يذكر يوم الحاجر :

وكتيبة سُفع الوجوه (بواسل) كالأسد حين تذب عن أشبالها

والثانى قوله :

فلا توعـــدونا بالحروب فإننـــا
لدى الحرب أسد خادرات (بواسل)

وذلك فيه وهم كبير ، إذ المعروف عند النحويين أن فواعل جمع لفاعلة – غير شواذ معدودة – فبواسل جمع لباسلة فى هذين الشاهدين ، فنى الأول يصف الشاعر كتيبة وفى الثانى يصف أسداً خادرات ، فماذا بقى إذن فى شاهدى الأستاذ ؟ ونحن قد قلنا إن بواسل خطأ حينما تكون وصفاً لجمع مذكر عاقل .

الحديث العادى لا ينبغى أن يحول دون الإكثار من البعثات الباكستانية ، فنحن نعمل على التقريب بين العاميـة والفصحى بالتعليم ووسائل النشر المختلفة ، وليس من بأس ولا كبير عناء فى أن يأخذوا بالضرورى من العامية ، وهى قريبة من الفصحى كما أنها تتشابه فى البلاد العربية المختلفة التى تتجه الباكستان نحو مودتها ، وهم مع ذلك لن يعدموا مواطن الفصحى وأدواتها فى مصر .

عباس خضر

التو بمعنى الساعة خطأ :

٢ – وأما تصويبه قولهم ذهب توا ، وإيراده نصين من الفائق والقاموس ، فقد عجبت له لأنى قد خصلت ما أورده فى كلمتى القصيرة «التو بمعنى الفرد ، فذهب تواً أى فرداً أولم يلوه شىء والصواب توه» هذا هو ما فى المعاجم بمعناه لا بلفظه ، فإن المعاجم كلها ذكرت مكان لم يلوه ، لم يعرجه ، وفى المعاجم كلها أن التو بهاء الساعة – وقد أورد الأستاذ ذلك وغفل عنه – وكنا قد قصرنا الخطأ على التو بمعنى الساعة ، ومما يزيد هـذا الخطأ إيضاحاً قولهم أيضاً ذهب فى التو واللحظه فيجعلون التو مرادفا للساعة وذلك خطأ أجمعت عليه كتب اللغة .

(المنصورة) **عبد الجليل السيد حسنه**

خطيئة داود :

طالعت فى كتاب (صور من العشق) للأستاذ كمال منصور قصة «خطيئة داود» فطالعت فرية على نبى من الأنبياء وهو داود عليه السلام فقد اختلف العلماء والمفسرون فى قصته التى ترتب عليها ما ترتب فقيل إنه عليه السلام رأى امرأة رجل يقال له أوريا من مؤمنى قومه – وفى بعض الآثار أنه وزيره – فمال قلبه إليها فسأله أن يطلقها فاستحى أن يرده ففعل وتزوجها وهى أم سليمان وكان ذلك جائزاً فى شريعته مألوفاً فيما بين أمته إذ كان يسأل أحدهم الآخر أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها وقد كان الرجل من الأنصار فى صدر الإسلام إذا كانت له زوجتان نزل عن إحداهما لمن اتخذه أخاً له من المهاجرين لكنه عليه السلام لعظم منزلته وعلو شأنه نبه بالتمثيل على أنه لم يكن ينبغى له أن يتعاطى ما يتعاطاه آحاد أمته ويسأل رجلا ليس له إلا امرأة واحدة أن ينزل عنها فيتزوجها مع كثرة نسائه ، بل كان يجب عليه أن يغالب ميله الطبيعى ويقهر نفسه ويصبر على ما امتحن به .

هذا ما ذكر عن قصته فى أضعف وجوهها وهى القصة التى

أخذها الأستاذ كمال منصور فى كتابه . غير أنه جعل النبى داود يزنى ويحمل هذه المرأة من سفاح ويقتل زوجها و .. و .. مما لا يليق ببشر عادى ؛ الأنبياء عليهم السلام معصومون من الخطايا لا يمكن وقوعهم فى شىء منها ضرورة إنا لو جوزنا عليهم شيئاً من ذلك بطلت الشرائع ولم يوثق بشىء مما يذكرون .

عزت حماد منصور

دم الكبش ودواء الكلب :

قرأت لأديب — فاتنى اسمه — كلمة يقول فيها « .. وكان المرضى فى الجاهلية الأولى يتداوون بدم « الكبش » فى شفائهم من داء « الكلب » ... الخ » !

قلت : الأديب — وعله من طلاب الطب البيطرى — اختلط عليه الطريق ، وفهم ما قرأ على لفظه الوارد دون المقصود منه .

و « الكبش » فى لغة العرب بمعنى « السيد أو الرئيس » وفلان « كبش القوم » أى « سيدهم ورئيسهم » المطاع ... وسيد القوم خادمهم (١) . قال عمرو بن معد يكرب :

نازلت « كبشهم » (٢) ولم أر من نزال الكبش بدا

وبعض الأعراب فى الجاهلية الأولى كانوا يعتقدون بدم الرئيس (الكبش) لمكانه منهم ، وإمرته عليهم ، وإنه يشفى من داء « الكلب » . وفى ذلك يقول شاعرهم :

بناة مكارم وأساة جرح دماؤهم من الكلب الشفاء

ويقول غيره :

أحلامكم لسقام الجهل شافية كما دماؤكم تشفى من الكلب!

ولست أدرى — والحق يقال — فضل دم الرئيس على دم المرؤوس فى شفاء « الكلب » إن كان ثمّ شفاء !

وإذا كان الشئ بالشئ يذكر ، فإنى أذكر أن العرب كان من عاداتهم الفاشية إلى يومنا هذا أنهم إذا رحل عنهم الضيف واستكرهوا رجعته كسروا فى إثره شيئاً من الأوانى والقدور .

وفى ذلك يقول قائلهم :

كسرنا القدر بعد أبى سواح فعاد وقدرنا ذهبت ضياعا !

ويقول غيره :

ولا نكسر الكيزان فى إثر ضيفنا ولكننا نكفيه زاداً ليرجعا

وبعد : فمعتقدات القوم فى الجاهلية الأولى جلها أباطيل ، والله الهادى إلى سواء السبيل .

(الزيتون) عمر ثابت

١ — إلى الأستاذ أنور المعداوى :

أقدم تحيتى وأرجىء الإفصاح عن إعجابى وبعد ، أردت النظر فى ميثاق جامعة الأمم العربية وفى ميثاق هيئة الأمم ، وقراءة بعض ما كتب من تعليق عليهما فتوجهت بطبيعة الحال إلى مكتبة الأسكندرية .

فهل وجدت من ذلك شيئاً ؟! كلا !!

بل خرجت منها وأنا أتساءل فيما بينى وبين نفسى : أيتجشم الإنسان مشقة الانتقال وضياع الوقت فى الذهاب إلى المكتبة العامة ليقرأ رواية « اللص الظريف » أو « المرأة النادرة » ؟ وأين إذن أستطيع قراءة الوثائق والكتب العلمية إن لم أجدها فى المكتبة العامة ؟ ولم أطلب شيئاً عسيراً بل شيئاً مشهوراً لا تخلو من الحديث عنه صفحات الجرائد كل يوم .

ثم دعانى داعى الإنصاف إلى الاعتذار عن المكتبة بعدم ظهور كتب تتناول نشر الميثاقين أو الحديث عن الهيئتين . وأردت التأكد بنفسى فما هى إلا جولة حتى خرجت من عند بائع الكتب وأنا أتأبط كتابين ولشدة حاجتى للالمام بالموضوع دفعت فيهما ما يقرب من جنيهين .

وتساءلت مرة أخرى : ألا يتمكن الفرد من معرفة ما يعرض له أثناء البحث — على كثرة ما يعرض له — إلا إذا كان يملك

(١) قال حاتم :

إذا مات منهم « سيد » قام بعده نظير له يغنى غناه ويخلف

(٢) أى سيدهم ورئيسهم

الوسيلة إلى الشراء ! وإذا كان الأمر كذلك فإلى أى حد تتحمل مالية الإنسان مهما عظمت تكاليف الكتب مع تعددها وارتفاع أسعارها ؟!

لقد كانت مكتبة الأسكندرية — رحمها الله — موجودة حقاً منذ ألفى عام حين كانت تقدم الزاد الدسم فيعجز عن هضمه العلماء الكبار ؛ أما الآن فقد أصبح كل ما فيها من زاد لا يكاد يقيم أود الصغار .

وذكرنى ذلك بالموقف الذى قاساه من قبل الأستاذ عباس خضر « فى قاعة المطالعة بدار الكتب [1] » وعدت لأقرأ من جديد ما كتب ولأجد فيه بعض العزاء .

والآن يطيب لى أن يثار هذا الموضوع مرة أخرى . إن عشرات الكتب العلمية تغمر السوق كل يوم ، وكلها مما يحتاج الباحث إلى الإلمام بها أو ببعضها .

وإذا كانت وزارة المعارف — سامحها الله — قد ألجأتنا بإفقار مكتبات المدرسية — إلى المكاتب العامة فلا أقل من أن نجد لدى الأخيرة بغيتنا ، وإلا فنحن نزود الراسخين عن الإطلاع ونزود المبتدئين بالحجة التى تدفع عنهم لوم اللائمين ثم لتسلكهم بعد حين فى عداد الجاهلين .

حقاً إنه لموضوع يستحق من قلم صاحب التعقيب تعقيباً يكون له عند المسئولين صداه . وعسى أن تستأنف المكاتب العامة سيرها فى ركب الحياة .

(١) الرسالة : العدد ٨٣٦ السنة السابعة عشرة ص ٢٠٠٢ .

٢ — حول مسئولية الاحتلال :

« سألنى بعض حضرات القراء عن المرجع الذى اقتبست منه بعض الفقرات التى استشهدت بها لتأييد الرأى الذى ذهبت إليه فى تحديد مسئولية الاحتلال الانجليزى لمصر بالمقال المنشور بالرسالة عدد ٨٥٠ .

ويسرنى أن أشير إلى أنه كتاب المسألة التونسية وموقف الدول العظمى منها للدكتور محمد مصطفى صفوت أستاذ التاريخ الحديث بجامعة فاروق الأول . وأن التنويه بذكره قد سقط أثناء الطباعة سهواً » .

كمال السيد درويش
مدرس بالرمل الثانوية



أبو العتاهية

تأليف الأستاذ محمد أحمد برانق

للأستاذ كامل محمود حبيب

المدرس رجل نال حظاً كبيراً من الأدب والعلم ، وأصاب قسطاً وافراً من أصالة الرأي وصفاء الذهن ، وجمع بين الثقافة العالية والتفكير الرصين ؛ فهو أجدر الناس بأن يخوض معمعة النشاط الأدبي والعلمي ، فعنده الاستعداد وبين يديه الأداة . ولكن الإنسان ليعجب أشد العجب أن يرى المدرس أقل الناس إنتاجاً وأبعدهم عن معترك التأليف وأقصاهم عن مجال البحث . فماذا ، يا ترى ، زهده في هذه اللذة الفكرية وإن فيها الحياة للقلب وشحذاً للذهن وصقلاً للعقل ؟ أما أنا فلا أرى ما يدفعه عن ميدان الفكر إلا ما يعاني من عنت شديد في العمل وما يقاسي من إرهاق عنيف في المدرسة ، فهو لا يكاد يخلص من الدرس إلا ليندسّ بين أكوام من الكراسات تستحثه وترهقه وتشغل باله وتقتل وقته . وهكذا يبدد عمره في إعداد الدرس ويفني عقله في تصحيح الكراسات ، ثم لا ينفلت من هذا كله إلا ليلقي بنفسه في خضم الدروس الخاصة وما به لهفة إليها ، أو إلى مضطرب التأليف المدرسي وما به رغبة إليه . ولكنها حاجات العيش ودوافع الحياة وطلبات الدار والولد تقذف به في غير هوادة ولا لين إلى إلى هذا السبيل علّه يجد القوت الكريم واللباس الشريف والمسكن اللائق . ولشد ما يدهش المرء حين يرى جيشاً لجباً من المدرسين المثقفين — يربو على سبعة آلاف — فلا يرى فيهم من يحن إلى البحث العلمي أو من يصبو إلى التأليف الأدبي ، اللهم إلا فئة قليلة لا تتجاوز العشرة ! فالمدرس — إذن — رجل يموج بين الإرهاق والإملاق ، فإن عكف على الحياة العقلية أو حمل نفسه على الناحية الأدبية أخرج للناس شيئاً فيه روح نفسه المضطربة وفيه سمات حياته المزعزعة .

وأشهد أن صاحب كتاب « أبو العتاهية » رجل من الفئة القليلة ، صبر على الجهد ورضي بالمشقة ليخرج بحثاً أدبياً فيه الاستقصاء والجهد والاستنتاج .

لم يكن أبو العتاهية شاعراً يتحدث عن خلجات قلبه ولا مفكراً ينطق بعقله ، وأنى له أن يفعل وهو « رجل فقير نشأ في بيت متواضع وصنع الجرار مع أبيه ، فإذا نضجت الجرار حملها أبو العتاهية ، أو حملها أكّار معه على ظهره ، وسار بين الحواري والأزقة في مدينة الكوفة يبيع جراره ويساوم في ثمنها ، فإذا ألهبت الشمس قفاه ومسّ حر التراب أخمص قدميه وبلغ منه التعب مبلغه — أجاءه ما به إلى ظل حائط ، فيحط حمله ، ويجلس مسنداً إلى الحائط ظهره ، برماً بالدنيا متسخطاً عليها فيلتف حوله الصبيان يعبثون به ويعبث بهم ويتبسط معهم في الحديث ... »

فهو لم يكن ذا علم وثقافة ، ولم يكن ذا عقل وحصافة ، فعاش حتى آخر أيامه فجاً لم تستكمل أداته ولا بلغ ذروة الشعر ولا جارى شعراء عصره — عصر الإبداع والازدهار — فتخلف عن الركب وانبهرت أنفاسه ولكنه اتخذ إلى الشهرة سبيلا هيناً سهلا ، فانحط على كبير من بني معن يقذع له في القول ويفحش في الهجاء ، في غير ذنب ولا جريرة ولكن الشاعر — في رأيي — كان يحس في قرارة نفسه ضعة الشأن وحقارة المنبت وصعوبة المرتقى فتأرث قلبه غيظاً وحقداً ، فوجد في الهجاء متنفساً يطفيء شرة غيظه ، ووجد في هجاء عبد الله بن معن — وهو رجل عظيم من بيت كبير — طريقاً يعلو به إلى سماء الشهرة في سهولة ويسر . والهجاء فن من الشعر لا يحتاج إلى كياسة ولا يتطلب لباقة . وهكذا طار صيت الشاعر في الكوفة — أول الأمر — وامتد أفقه حين ضربه عبدالله بن معن مائة سوط جزاء ما أفحش في القول .

وفي رأي العقل أن شاعرنا كان يتصنع في كل شيء : في الهجاء وفي الغزل وفي التصوف جميعاً . يتصنع الهجاء وما به مقت ويتصنع الغزل وما به هوى ويتصنع التصوف وما به زهد .

فهو حين شبب بجارية المهدي (عتبة) كان — في رأيي — لا يبتغي من ورائها إلا أن تكون وسيلة إلى بيت الخلافة ، يرتفع بها شأنه ويزّ كومكانه ، على حين لم تكن به لوعة ولا كان به شوق . وإن القارىء ليعجب حين يعجزه أن يجد في نسيبه بيتاً واحداً

يتبض بعاطفة جياشة أو سطراً يخفق بحب عميق . وليس أدل على ما أزعم من قوله فى عتبه وهى من أحب وتدله فى حبها واصطفاها بشعره وخصها — وحدها — بقلبه .

وقد أتعب الله نفسى بها وأتعب باللوم عـذالها

فتعبير الشاعر عن نوازع قلبه بكلمة (أتعب) تعبير تافه لا ينطوى على شاعرية ولا سمو . فالكلمة مضطربة قلقة ، ثقيلة النطق وضيعة المعنى لا تتحدث عن صبابة وهوى ولا تكشف عن لوعة الحنين ولا تهتز بلذعة الشوق . وفيها — فوق ذلك — معانى الضيق والملل .

ومما يدل على أنه كان فى غزله عابثاً لا يعبأ بمن أحب ما جاء فى ص ٩٣ من الكتاب حين أنساه كلبه للمال ذكر عتبة فتقول « لو كان عاشقاً — كما يزعم — لم يكن يختلف منذ حول فى التمييز بين الدراهم والدنانير وقد عرض عن ذكرى صفحاً » .

لقد اشتهر أبو العتاهية بين العامة بالزهد والتقشف ، أما أنا فحين أتحدث عن زهده فلا معدى لى عن أن أستنير برأى الحديث الشريف الذى يقول « لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى منخرى رجل مسلم أبداً ، ولا يجتمع شح وإيمان فى قلب رجل مسلم أبداً » .

وينقل المؤلف فى ص ٥١ سطر ١٣ خبراً يدل على أن أبا نواس كان يجل أبا العتاهية ويعظمه لزهده وتقشفه ، فلما سأله سائل « لم أجللته هذا الإجلال ؟ » قال « ويحك ! لا تفعل ، فو الله ما رأيته قط إلا توهمت أنه سماوى وأنا أرضى » . وهذا كلام عجيب إخاله لا يصدر عن شاعر عبقرى فذ مثل أبى نواس تتألق روحه بومضات سماوية تزرى بكل ما نظم أبو العتاهية فى الزهد . ثم يحس المؤلف كذب الحديث فيقول فى ص٥٢ سطر ٤ « وأنا من الذين يرجحون أن زهد أبى العتاهية زهد مفتعل لا يعبر عما فى نفسه ولا يصور دخيلتها ولم يطرق فيه إلا المعانى العامة التى يتحدث الناس بها ، وإلا فما بال رجل هذا شعره يحرص على المال كل الحرص ويسلك مختلف المسالك لجمعه . »

هذا ولقد رأيت فى الكتاب أثر الجهد والصبر وطول البحث والاستقراء مما يدفعنى إلى أن أقدر مجهود الأستاذ المؤلف حق قدره وأشكره على أن أخرج لنا صورة حية ناطقة من شاعر لا يعرف أكثر الناس عنه إلا شذرات لا تغنى ولا تسمن .

كامل محمود حبيب

أعلام من الشرق والغرب

تأليف الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

بقلم الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

من واجب كل أمة تريد أن تستكمل نهضتها ، وترفع من شأنها ، أن تعرف ماضيها حق المعرفة . فليست القومية الوطنية إلا التاريخ المتجدد مع الزمان . ولست أدرى كيف نريد أن نمتز بمصريتنا دون أن نعرف دقائق تاريخنا . وقد شاءت إرادة المستعمر أن يسدل بيننا وبين تاريخنا ستاراً كثيفاً من النسيان يحجبنا عنه حتى لا نتعلق بأذيال الوطنية ولا نطالب بالتخلص من نير الاستعمار فلم يكن يسمح بدراسة التاريخ القومى إلا بمقدار. حتى إذا قامت مصر قومتها ظهر كثير من المفكرين والكتاب يحاولون تدوين ذلك التاريخ القومى الذى يصل بيننا وبين ماضينا سواء فى ذلك الماضى البعيد أو القريب . وأرخ لهذا الماضى القريب الراقص فى الحركة القومية ولكنه عنى قبل كل شىء بالجانب السياسى ولو أنه لم يغفل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والأدبية حتى لقد أفرد فى كتابه فصولاً قصاراً ترجم فيها لبعض أعلام مصر الحديثة مثل رفاعة رافع الطهطاوى من البارزين فى سماء النهضة المصرية .

ويحتاج التحقيق التام للحركة الأدبية فى القرن التاسع عشر إلى مجهودات كثيرة ينقطع فيها الباحثون إلى التأريخ لرجال الفكر والأدب فى القرن الماضى .

وقد دفعت وطنية صديقنا الأستاذ محمد عبد الغنى حسن الشاعر الأديب إلى رسم صور محققة عن بعض أعلامنا يجد الباحث عنهم العناء الشديد فى التعرف إليهم . فنفض عنهم غبار النسيان وجلا للقراء صفحة مطوية من تاريخ مصر الحديث .

فهو يحدثنا عن مصطفى مختار بك أول وزير للمعارف المصرية الذى أرسله محمد على باشا مع البعثة المصرية إلى فرنسا ، وهى تلك البعثة التى كان رفاعة الطهطاوى إماماً لها .

ويحدثنا بعد ذلك عن شاعر الخديو الأول الشيخ محمد

شهاب الدين وهو كما يحدثنا صاحب هذا الكتاب « الشاعر الرسمي لمصر الحديثة . ولم يكن هذا الشيخ ربيب الأزهر وإنما كان وزاناً صغيراً فى أسواق البيع والشراء . وكأن الوزن المادى فى الأسواق النافقة والكاسدة كان تمهيداً للوزن المنوى فى سوق القريض والقصيد فقد أصبح هذا الوزان شاعراً رسمياً للخديوى يزن القصيد ويتغنى الناس بشعره .

على أن شعر الشيخ لم يكن جيداً وقد قدم الكاتب نموذجاً لشعره وحلله إلى أن انتهى بهذا الحكم الصادق وهو « أننا نكلف رجال ذلك العصر شططا إذا طلبنا منهم أن يكونوا أجود مما وصلوا إلينا فقد كونتهم بيئتهم ثم مهدوا السبيل بعد ذلك للبارودى الذى اجتمعت له ولعصره أسباب الأحياء فى الشعر العربى » .

ويحدثنا بعد ذلك عن عالم طريف مغمور هو الشيخ محمد عياد الطنطاوى الذى سافر من مصر إلى بتروجراد عاصمة روسيا يعلم اللغة العربية فى مدرسة اللغات الشرقية فكان له أثر كبير فى المستشرقين من الروس . ولقد لقى الكاتب عناء شديداً فى الترجمة لهذا الشيخ فأخذ يجمع سطراً من هنا وإشارة من هناك ويتصل اتصالاً شخصياً بمن يظن فيه شبهة معرفة بتاريخ ذلك الرجل حتى أخبره البروفسور بولوتسكى بالجامعة العبرية أن للشيخ مؤلفاً بعنوان تحفة الأذكيا بأخبار بلاد روسيا ، وأن الكتاب مخطوط يوجد منه نسخة فى اسطنبول . ولا ريب فى أن مثل هذا الكتاب طريف فريد فى بابه فضلا عن قيمته التاريخية الكبيرة ، فهو يصور الحياة فى روسيا فى منتصف القرن التاسع عشر بقلم مصرى أزهرى ، فهل نطمع فى قيام أحد علمائنا باجتلاب هذا المخطوط وطبعه ؟

وينتقل بنا الأستاذ عبد الغنى بعد ذلك إلى الحديث عن شاعر مصرى ، وقف شعره على أشراف الحجاز يسمى محمود صفوت الساعاتى ، سافر للحج فاتصل بالشريف محمد بن عون أمير مكة فقربه إليه وصحبه فى حروبه مع أمراء نجد ، فصور الساعاتى هذه الحروب شعراً يذكرنا كما يقول عبد الغنى بشعر المعارك عند المتنبى فى القديم وعند البارودى فى الحديث . وذلك مثل قوله فى مدح الشريف ابن عون :

إذا تألق برق السيف فى يده أبصرت غيث دم الأبطال منسفحاً
مقوم كل معوج بصارمه فكل خصم لهذا صار منطرحاً

وقد طاف الساعاتى بكثير من أغراض الشعر فمدح وطلب وعتب ورثى ، فلم يخرج فى ذلك عن مألوف القدماء .

وكنا نود أن يحدثنا الأستاذ عبد الغنى عن الشاعر السيد على الدرويش بعد أن حدثنا عن شهاب الدين مباشرة لأنهما من الذين اختصهما عباس الأول بمجلسه حتى كان كل منهما يلقب بشاعر عباس الأول . وقد ترجم له ترجمة جيدة درس فيها شعره محللا أغراضه وبين الخصومة التى كان لابد أن تقع بينه وبين شهاب الدين حتى بلغ من هجاء الدرويش لخصمه أن يقول له فى قصيدة يهجوه فيها :

عاش دهراً وجهله فى ازدياد ليته بعد لم يكن ليعيشا .

وينقلنا المؤلف بعد ذلك إلى الحديث عن علم من أعلام الأدب فى مصر الحديثة كان له أثر عظيم وفضل كبير على نهضة الأدب فى مصر هو الشيخ حسين المرصفى الذى ظل يدرس فى الأزهر إلى أن كانت نظارة على مبارك فعهد إليه بالتدريس فى دار العلوم وكان يحضر عليه كثير من أعلام العصر منهم على مبارك نفسه . وقد اختط فى تدريس الأدب العربى والبلاغة منهجاً جديداً ظهر فى كتابه المسمى بالوسيلة الأدبية قد وصفه على مبارك برقة المزاج وحدة الذهن وشدة الحذق .

ونجد علماً آخر مجهولاً ولكنه أثر فى الحياة الأدبية عن طريق الصحافة هو حسن حسنى الطورانى باشا والذى دعا المؤلف أن يترجم له هو سؤال سائل فى مجلة الرسالة أن يتفضل أحد الأدباء برواية قصة الشاعر المغمور . فافتتح الأستاذ عبد الغنى ترجمته بعجبه أن ينسى أديب عربى مشهور وصحافى ذائع الصيت ، وشاعر قوى العبارة ، ولما يمض على وفاته نصف قرن كامل ؛ فكيف إذا خب المطى به عشرات القرون ؟

ولد الطورانى فى مصر ولكنه تركى تنقل من بلد إلى بلد حتى قال عن نفسه :

شرق النسر وغرب وتترك وتعرب
ولئن أطرى وأطرب فهو نصاح مجرب
وهو إن أعرب أغرب وهو إن أعجم أعرب

وحرر فى صحف تركية وأخرى عربية كانت تصدر فى القسطنطينية وكانت تغلب عليه الروح الإسلامية ونزعة الإصلاح وله ديوان شعر ولكنه غير جيد . وقد درسه المؤلف دراسة مستفيضة فتكلم

عن أغراضه وعن أسلوبه وعن مآخذ عليها فى شعره .

ثم نجد فصلاً طريفاً يحدثنا فيه عبد الغنى عن شوقى وحافظ بين الكتب وهو فصل طريف لأننا على وثوق معرفتنا بشوقى وقراءتنا لديوانه وتمثيلياته وقصصه نجهل عنه بعض تآليفه مما أخرجه فى صدر شبابه ؛ فأسدل عليه ستار النسيان فقد كتب شوقى رواية ظهرت فى ١٨٩٧ تسمى عذراء الهند ترجع حوادثها إلى زمن رمسيس الثانى وهى أول محاولة لشوقى فى معالجة الفن السروائى ولكنها لم تنجح . وظهرت له بعد عامين رواية نشرتها مجلة الموسوعات تسمى لادياس قصد منها شوقى أن يصور حالة مصر بعد عهد ابسمانيك الثانى ، وقد كتبها نثراً ولكنه نثر مطبوع بطابع العصر يمتاز بتكلف السجع وفيها يقول : « وكانت لادياس فتنة الناس ، بالبدر الطالع فى الغصن المياس ... » ولقد تحرر شوقى من السجع بعد ذلك كما ترى فى رواية أميرة الأندلس .

ولشوقى رواية ثالثة هى ورقة الآس .

ولا أحب أن أمضى فى هذا التلخيص إلى نهاية الكتاب خشية الإطالة ، فنحن نجد بعد ذلك ترجمة دقيقة للشيخ محمد شاكر الذى كان وكيلاً للأزهر فى مطلع القرن العشرين وهو والد صديقنا الشيخ أحمد شاكر الذى ينشر الآن مسند الإمام أحمد بن حنبل .

ويحدثنا عن أدباء عرفناهم واتصلنا بهم مثل اسماعيل أدهم وتخرى أبو السعود ، وإسعاف النشاشيبى ، وأنطون الجميل .

فأنت ترى أن الكتاب قد جمع أعلاماً مختلفين اختلافاً شديداً ولكن تربطهم رابطة قوية هى رابطة الأدب فى مصر الحديثة .

ويبدو أن نصيب الشعراء أوفر ولا غرو فصاحب الكتاب شاعر تستجيب نفسه إلى الشعراء فتجمعه وأياهم صلة الصناعة ، ولذلك كانت دراسته لهؤلاء الشعراء دراسة الحاذق البصير والناقد القدير .

وقد لفتنى ما ذكره عن شوقى من أن نثره يكاد يكون شعراً ففيها هذه الموسيقى التى تطرب لها الآذان ولذلك حاول أن يرد بعض نثره إلى الأوزان الشعرية مثل قوله فى الوطن .

ومراد الرزق ومطلبه   وطريق المجد ومركبه

فهو بيت من بحر المتدارك فقلت فى بالى : وأنا أقرأ أسلوب عبد الغنى وأحسن فيه بهذه الموسيقى التى ترتاح إليها النفس أن ذلك أثر من آثار صناعة الشعر وذلك فضل من الله يؤتيه من يشاء من عباده .

أحمد فؤاد الأهوانى

مطبعة الرسالة



العدد ٨٥٤ — الاثنين ١٤ نوفمبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٣٠٣٩

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 ème Année No. 854

Lundi — 14 — 11 — 1949

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٥٤ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٣ من شهر المحرم سنة ١٣٦٩ — ١٤ نوفمبر سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

« يظهر أن الانتخاب قريب ! »

كذلك قال الحاج على وشفتاه الغليظتان تنفرجان عن ابتسامة لا يتم بدونها معنى الجملة ، وعيناه الحادتان تتبعان مركبة كانت تدرج في طريقها إلى القرية . فقال له المأذون وهو يربت على كتفه : صح نومك ! لقد أذاع الراديو وأعلنت الصحف حل مجلس النواب وتحديد يوم الإنتخاب ؛ فالحكومة تتجهز ، والأحزاب تتحفز ، والمستنابون يغدون ويروحون ، من الدائرة إلى الحزب ، ومن الحزب إلى الدائرة ، والعرق يتصبب من الجباه ، والوعود تتناثر من الشفاه ، والنقود تتسرب من المحافظ ، و ... فقاطعه الحاج على بقوله : حسبك ياشيخ ابراهيم ! إنك لتعلم أنى لا أسمع الإذاعة ولا أقرأ الصحف ولا أغشى المجالس ، ولولا مقدم الأستاذ لما تركت حقلى . إنما أعرف اقتراب يوم الانتخاب بظهور هذه المركبة . إن قدومها على القرية أشبه بقدوم بنلة المشر على الموعود . إنها تحمل الينا مع الباشا التساهل في الحساب ، والتسامح في التأخر ، والاستماع إلى كل شكوى ، والاستجابة لكل طلب ، والمجاملة في كل حادث ، والمواساة في كل خطب ؛ حتى إذا انقضى يوم الإنتخاب ، ودخل الباشا مجلس النواب ، أشاح بوجهه ونأى بجانبه ، وسلط على وعوده الحلوة مطال (ناظره) وضلال (كاتبه) . فإذا لقيناه عبس وبَسر ، وإذا سألناه دعّ وزجر ، وإذا استرحمناه (شخط ونطر) ؛ ثم لا نسمع بعد ذلك أنه قال كلمة في المجلس ، أو أبدى رغبة إلى الحكومة ، أو أدى خدمة إلى الفلاح ، أو أسدى منة إلى الوطن ! لحل المجلس أنفع لنا من عقده ، وترشيح النائب أجدى علينا من نيابته .

فقلت له : وما الذى يحملكم على انتخابه وقد علمتم بالتجربة أنه يرضيكم شهراً ويغضبكم دهراً ؟ فقال : يحملنا على انتخابه أنه مالك ونحن مستأجرون ، وليس بين المالك والمستأجر قانون غير العقد ؛ والعقد نختمه على بياض وهو الذى يكتبه ويحتفظ به . فاذا غلّبنا إرادتنا على إرادته ، وآثرنا مصلحة البلد على مصلحته ، اشتط في أجرة الأرض ، وتعسف في تسوية الحساب ، وتحكم في اقتضاء الدين ، فلا يكون لنا غير الاحتكام ، ولكن إلى من؟ أو المهاجرة ، ولكن إلى أين ؟

فقلت له : ذلك أدعى إلى أن تنتخبوا غيره ممن يعلمون أموركم ، ويشعرون شعوركم ؛ حتى إذا تقدمت الحكومة باقتراح قانون يخفض الإيجار ، أو يرفع الأجر ، أو يحدد الملكية ، أو يزيد الضريبة ، كان مع الإقتراح لا عليه . ومتى سنت هذه القوانين ضمنت الحماية للمستأجر فلا يُظلم ، وكفلت الرعاية للأجير فلا يُستغل . أما أن تعرفوا نائبكم هذه المعرفة ، ثم تنتخبوه على هذه الصفة ، فذلك مالا يسيغه عقل ولا تسوغه مصلحة .

فقال الحاج : الحق أننا لا نعرف ما هو البرلمان ولا ماذا يصنع النواب فيه . كل ما نعلمه أنها رجة تمتاد البلاد من حين

إلى حين ، فينشط مأذونو القرى ومعلموها فى الدعوة إلى فلان أو فلان ، ثم تقـوم المآدب والخطب هنا ، وتنشب المعارك والشتائم هناك ؛ ثم لا يكون الانتخاب آخر الأمر إلا بإرشاد المأمور ، أو إكراه المالك ، أو إيحاء العمدة ، أو إغراء الجنيه !

فقلت فى نفسى : ذلك هو الواقع . ومتى عرفت الأمة أن لها السلطان ، وأن سلطانها معناه البرلمان ، علمت الناخب كيف ينتخب ، وأرشدت النائب كيف ينوب !

ابن عبد الملك

صور من الحياة :

كبريـــــاء . . . !

للأستاذ كامل محمود حبيب

وقف الفتى أمام أبيـه المسجى فى كفن ينظر وإن نفسه لتضطرم بعوامل الأسى على أن فقد أباه أحوج ما يكون إليه ، فهو مازال طالباً فى المدرسة الثانوية لم ينهل من العلم إلا صبابة لا تغنى من جهل ولا تعصم من طيش . وإن قلبـه ليضطرب بخلجات الفرح ، فهو أصبح — فى رأى نفسه — ثرياً يملك آلاف الجنيهات وعشرات الأفدنة وقصراً مشيداً وسط حديقة وارفة الظلال دانية القطوف ، فغداً ينعم بالمال ويسعد بالراحة ويلذ بالحرية . وثارت فيه نوازع الأسى والراحة فى وقت معاً ، فانهمرت عبرات عينيه على حين كان ينضم قلبه على نشوة جارفة من الفرح ، فلطالما عانى الضيق والحاجة ولطالما أمسك أبوه عنه المال شحاً منـه وكزازة . ثم سكنت خواطره حين بهره بريق الذهب وهو يتألق بين يديه فيجذب روحه ويصرفه عن أن يلقى بالاً إلى مَنْ ناح أو ندب .

وخلص الفتى من عسر الدرس إلى يسر الحقل ، ومن ضيق المدرسة إلى سعة الحياة ، ومن ذل الاستذكار إلى خفض العيش . وأحس — على حين فجأة — بأنه انفلت من قيود أبيـه الثقال فأصبح رب نفسه يطير ويقع فلا يقع إلاّ على لذة أو متعة ، وأخوه الأكبر يرى بعين الرجل دفعات العبث توشك أن تعصف بأخيه فتستلبه من صحته وماله فى وقت معاً . وآذاه أن يقع الفتى بين مخالب رفاق السوء يبعثرون ماله وشبابه ، فأراده على أن يتزوج من ابنة خاله عسى أن ينزع عنه طيش نفسه أو أن يفزعه عن صحاب السوء

ومضت السنون فإذا الفتى زوج وأب ، غير أنه لم يرتدع عن غى ولا أقلع عن سفاهة . وأنى له أن يفعل وإن الحنين إلى اللهو الوضيع ليماوده — بين الفينة والفينة — فيطلق لنفسه العنان فيندفع — فى غير وعى — إلى الخمر والقمار والنساء جميعاً ، ومن حواليه شرذمة من السفلة يزينون له حياة الفسق والفجور ، فيلق إليهم السلم فى غير عقل ولا تفكير .

وطمّت لذاذات الطيش على عقل الفتى فما أفاق من نشوته إلا ليرى يده صفراً من الذهب والفضة معاً . لقـد ابتلعت أسباب العبث والطيش كل ماورثه من مال إلا الأفدنة وقد أهملها يد الفلاح فأصابها التلف والبوار ، وإلا القصر وقد ضاقت جنباته بالفحش والمجون ... القصر الذى يمرح فيه صغاره وهم ملائكة الأرض ينشرون عليها روح الجنة وطهارة السماء . ووقف الأب — ذات مرة — ينظر إلى بنيه وهم يتدافعون تحت ظلال شجرة فى مرح لم ترهقه نوازع العيش ولا دنسته شواغل الحياة ، فأصابه الضيق والأسى لأنه يوشك أن يلقى بهم — بحماقته وجهله — إلى هوة من الشقاء والذل .

ووجد الفتى مسّ الحاجة فانطلق إلى أخيه الأكبر يستعينه على أمره ريثما يجمع غلات أرضه . وضحك الأخ الأكبر فى شماتة حين وجد الفرصة سانحة فانحط على أخيـه يقذع له فى القول ويقسو عليه فى اللوم ويعنف فى الحديث ، ثم قال « ورفاقك ... رفاق السوء ؟ ألا تنظر أيهم يستطيع أن يسد الثغرة فى الشدة ، أو يرأب الصدع عند اليأس ، بعد إذ استنزفوا كل وفرك فى التافه الوضيع ؟ أما أنا فلا أستطيع لأن لى أولاداً هم أحق منك بمالى وجهدى » فانفلت الفتى من لدن أخيـه وهو يتعثر فى الضيق ويجرر أذيال الخيبة . وغاظه أن يلقى من أخيه الأكبر الإحتقار والمهانة ، وأن يحس فيه القسوة والعنف ، وأن يخرج من داره تصفعـه لذعات الإخفاق والحرمان ، فانطوى على أشجانه يدير الرأى ويقلب الفكرة : لقد أفاق من سكرات اللذة فما وجد صحابه ، وصحا من غفوة النشوة فما وجد ماله . ونازعته نفسه إلى أن يستعين ببعض أهله ليصلح من شأنه أو يقيم من عوجه ، ولـكن كلمات أخيه كانت ماتبرح ترن فى مسمعيه فتدفعـه عن أن ينشر ضعفه على عينى واحد من الناس خشية أن يناله الأذى أو أن تصيبـه المهانة فأمسك على مضض وهم . وغبر ساعات يضطرب فى لجة من الهواجس لايهدأ ولا يستقر ولا يهتدى إلى حيـلة . ثم انفرجت ظلمات الحيرة عن قبس من هدى فعقد العزم على رأى .

وعلى حين غفلة من أهله انطلق إلى الإسكندرية .

وألقى الفتى بنفسه وأفدنته فى خضم المضاربات المالية وهو يرى الهاوية أمامه تكاد تبتلعه فيقبل عليها فى غير فزع ولا تردد . لقد سلبه اليأس الأناة والصبر يوم أن تراءت له فرجات الحياة تنسد أمام ناظريه ، يوم أن لمس الجفوة والغلظة فى حديث أخيه الأكبر وقد كان يطمع أن يجد فيه العون والساعد ، فعزم على أن يختار لنفسه ، وما فى المضاربات المالية إلا الثراء العريض أو المتربة القاسية .

وهناك فى الاسكندرية ، ابتسمت الحياة للفتى وتألق نجمه وسما حظه ، فأصاب من الثراء والغنى فى سنة واحدة ما يعجز غيره عن أن يناله فى سنوات ، فطابت نفسه وهدأت جائشته . ثم أخذ الحنين يعاوده إلى القرية ، إلى الأهل ، إلى الرفاق ؛ فطار إلى القرية ليعيش على نمط الصالحين يسكن إلى الراحة ويطمئن إلى الهدوء وينعم بالسعادة فى الأسرة بين الزوجة والولد والأهل ، لا تحدثه نفسه بنزوات العبث وقد قاسى مغبته ، ولا يدفعه قلبه إلى الطيش وقد ذاق مرارته .

وتلقاه أخوه الأكبر — أول ماجاء إلى القرية — فى بشر وسرور ؛ يعانقه فى شوق ، ويقبله فى حرارة ، ويحدثه فى شغف ، ويستغفره عن زلتـه بقوله « لاتؤاخذنى — يا أخى — بما فعلت ولا ترهقنى من أمرى عسراً ، فما كان يخيل إلى أن كلماتى وهى هينة لينة ستفزعك عن دارك وأهلك ووطنك ، وما كنت أطمع بحديثى إلا أن أردك عن هاوية توشك أن تتردى فى قرارها بين رفاق لا كرم فيهم ولا شهامة » وأغضى الفتى عن حديث أخيه الأكبر فماشا معاً فى رضى وطمأنينة .

ترى ماذا دهى الرجل الذى طرد أخاه الأصغر من داره أحوج ما يكون إليه فهو يقبل عليه فى حب وشغف ؟ هل استحالت حاله وانقلبت خواطره فندم على زلته فجاء يستغفر أخاه الأصغر وقد فات الأوان ؟ أم هو قد أكبر فيـه الهمة والنشاط حين عاد منصوراً مظفراً ؟ أم هو المال يبهر العقول الضعيفة ويستلب الأحلام الوضيعة فتجله وتحترمه لأنه هو ... هو المال ؟

وانطوت السنون فإذا الفتى الطائش رجل فيه الرجولة والإنسانية ، وفيه الكرم والشهامة ، وفيه المروءة والسخاء . وإذا صغاره فتيان ملء البصر والسمع والقلب جميعاً تتوثب فيهم فورة الحياة والقوة وتتألق فيهم لمات الذكاء والعقـل ، وإذا ماله يربو ويزداد فيكفل لهم جميعاً الجاه والسلطان ويحبوهم بالرفاهية والخفض .

ودأب الرجل على أن يختلس فى كل سنة شهراً يقضيـه فى الإسكندرية ، يفر — كزعمه — من مضطرب الحياة وشواغلها إلى هدوء الوحدة وراحتها . ولـكنه — فى الحق — كان يهرع إلى البورصة ليشبع رغبة نفسه فى المضاربات المالية ، ما يستطيع أن يصرف نفسه عنها بعد أن ذاق حلاوة الكسب ولذة الثراء . وهو يرجع إلى أهله فى القرية — كل مرة — طلق المحيا بادى البشر ، تكسوه ثياب الصحة والعافية ، وترتسم عليه علامات النشاط والقوة ؛ لا يشغله الربح ولا تؤرقه الخسارة .

مالهذا الرجل يفزع من الإسكندرية — فى هذه السنة — بعد أيام قلائل ليرجع إلى القرية مشتت الذهن مقطب الجبين ، ينطوى على نفسه فى صمت وسكون ، لايطمئن إلى رفيق ولا يهدأ إلى صاحب ولا يتحدث إلى صديق ؟ وتلقفته الألسن والأبصار ، وحامت حوله الشائعات : ماذا كان هناك فى الإسكندرية ؟ لعل حادثة عصفت بآثار المرح فى نفسه ، أو لعل نكبة نزلت فأطاحت بالبشر فى قلبه ! وحار الناس فى أمره وهو فى صمت ، ومن حوله رجال لا يجد واحد الجرأة على أن يزيح الستار عن خبيئة نفسه .

الآن برح الخفاء ، فهذا هو المحضر جاء ليوقع الحجز على كل ما يملك الرجل إلا صبابة لاتشفى غلة ولا تنقع صدى ، حتى القصر الذى يعتز به ويوليه كل عنايته واهتمامه . وارتسمت على الشفاه ابتسامة التشـفى والشماتة ، ولاكت الألسن كلمات السخرية والاستهزاء ، وقال واحد من الناس « من عسى أن يكون المحظوظ الذى يشترى أملاك الرجل الثرى؟ » وانبرى الأخ الأكبر يساوم الرجل لينقذه من براثن الدين ويستولى هو على أطيانه وقصره فلم يجد الرجل بداً من أن يلقى السلم فباع كل أملاكه بالثمن البخس .

وأرغمت الفاقة ربيب العز والثراء أن يسكن داراً وضيعة فى ناحية قذرة من القرية ، وأن يعمل طول يومه ليكسب قوته وقوت عياله على حين أغلق الأخ الأكبر من دونه باب داره ، وأن ينزع أبناءه من المدرسة ليجد فيهم من يشد أزره ويعينـه على لأواء الحياة وشظف العيش . ولـكن الابن الأكبر أبى أن يخضع لنزوة أبيه فراح يناقشه فى حدة ، وأراد أن ينطلق إلى عمه يرجوه أن

عالميــــة الأدب العربى

للأستاذ محمــــد وهبى

لئن كنا نفهم الأدب على أنه التعبير الصادق للنفس البشرية ، وتصوير الحياة من جميع وجوهها النفسية والفكرية والاجتماعية بواسطة الألفاظ ، فإننا نستطيع أن نجد بذلك التفسير العميق لخلود الآداب على وجه العموم . فما دامت النفس الإنسانية هى هى فى جوهرها على مر الأزمنة والعصور ، فإنها تدأب على تمجيد صورها الفنية الرائعة التى رسمتها ريشة الأدباء والشعراء على اختلاف نحلهم وأوطانهم . وهى تمجد هذه الصور لأنها تظل تفهمها مهما تقدم بها الزمن .

على أن الخلود ليس الصفة الوحيدة التى تتمتع بها الآداب ؛ فهناك صفة العالمية ، أو قل طابع الشمول الإنسانى الذى لم نجده فى جميع الآداب ، وإنما امتاز به بعضها فقط .

لقد يخلد أدب فى أبناء القوم الذين أنتجوه ، لأنه يحمل بين طياته صورة لحياتهم الخاصة ، وغذاء معيناً لذوقهم المحلى ، ولـكنه لا يستطيع أن يمتد إلى ذوق سـواهم من البشر ، ولا أن يصل بكامل روحه إلى أفهام غيرهم من سكان المعمورة إذا ترجم لهؤلاء لأنهم لا يجدون فيه ما يتجاوب مع نفسياتهم ، ولا ما يعبر عن أحوالهم وأفـكارهم التى قد يشاركهم فيها جميع البشر . إنه أدب محلى شخصى ، ينطوى على فردية متقلصة ضـيقة فقيرة ، يجهل صفة الإنسانية العامة ، الغنية بمعانيها الحية . ولهذا نجد آداباً كثيرة جمدت ضمن البيئات التى نشأت فيها لاحتفاظها بصـفة الفردية الضـيقة ، ثم اندثرت مع الحضارات التى رافقتها ، حتى أصبحت لا تذكر إلا على سبيل التأريخ لحياة الأمم التى أنتجتها ؛ بينما نرى آداباً خلدت وانتشرت فى أكثر اللغـات ، وظلت حية ممجدة فى كل صقع وكل قطر ، لأنها تتمتع بصفة العالمية الواسعة ...

والأدب العربى من زمرة الآداب العالمية التى لها صفة الشمول الإنسانى ... نقول هذا ونؤكده ، ونحن نعلم تمام العلم أن من المستشرقين من أنكروه قطعاً ، وحجتهم خلو هذا الأدب من المسرحيات التمثيلية والملاحم الضـخمة ، واقتصاره على وصف الأحوال والبيئات الخاصة لأعلامه . ولا يجد الواحد منا كبير عناء فى الرد على مثل هذا الادعاء المنهار الأساس . فالأدب العربى يحتوى على عناصر إنسانية عدة ، تنوب عن الفن المسرحى ، وتكاد تفوقه فى الأهمية كما سنرى . وقبل أن ننفذ إلى بحث فنون هذا الأدب ، أو قل عناصره التى تجلى بها ، لنأخذ لغته التى تشكل قاعدته الأولى ، وعصبه الأساسى .

اللغة العربية لغة حية ما فى ذلك إشكال ، وهى إلى هذا غزيرة مرنة قد برهنت خلال العصور على قدرتها على التسرب إلى مختلف الشعوب ، والتأثير فى كثير من اللغات . والأدلة على هذا كثيرة : فمع أن الفاتحين الذين ظهروا فى الشرق قبـل العرب لم يستطيعوا أن يفرضوا على الأمم المغلوبة لغاتهم ، فقد تمـكن العرب من فرض لغتهم عليهم . ولمـا صارت اللغة العربية عامة فى جميع البلاد التى استولوا عليها ، حلت محل ما كان فيها من اللغات : كالسريانية واليونانية والقبطية والبربرية وغيرها . وقد كان للغة العرب مثل ذلك الحظ حتى فى بلاد فارس على الرغم من يقظة الفرس ، بل لقد ظلت اللغة العربية فى تلك البلاد لغة أهل العلم والأدب ، وظل الفرس يكتبون لغتهم بالحروف العربية ولم تؤلف كتب الـكلام والعلوم الأخرى فى بلاد فارس بغير لغة العرب ، وإلى اليوم لا يزال أمر اللغة العربية فى ذلك الجزء من آسيا كالذى كان للغة اللاتينية فى القرون الوسطى بأوربا .

يعينه على إتمام دراسته لقاء دين يسدده بعـــد أن يتخرج فى الجامعة . ورفض الأب أن يستسلم لرأى ابنه الشاب ... رفض أن يستخذى فى إصرار وعناد . واحتدم النقاش بين الأب وابنه فثارت ثائرة الأب فلطم ابنه لطمة طار لها صواب الشاب فما شعر إلا وهو يهوى على خد أبيه بلطمة قاسية ثم يطير إلى عمه يستجديه .

وطفرت من عين الأب المنكود عبرة حرّى تحمل كل معانى الذل والشقاء .

وفى الصباح فزع الناس إلى الدار الوضيعـة ... دار ربيب العز والثراء ليروا الرجل ملقى فى ناحية ينزف دمه آخر قطرة من الترفع ، تنهمر من شريان فى يده مزقته كبرياء لم تتصاغر من ذل الفاقة ، ولا تطامنت أمام ذل اللطمة من ابن عاق ...

كامل محمود حبيب

وقد كان للغة العربية فوق هذا أثر عميق فى اللغات اللاتينية ذاتها ، حتى أن المستشرقين « دوزى » و « أنجلمن » وضعا معجما فى الكلمات الأسبانية والبرتغالية المشتقة من اللغة العربية .

وحتى اللغة الفرنسية أيضاً لم تنج من تأثير اللغة العربية التى أعطتها مثلما أعطت الطليان اصطلاحات كثيرة ، وخصوصاً الاصطلاحات البحرية . ويذهب الدكتور « غوستاف لوبون » فى كتابه « حضارة العرب » إلى القول بأن الأوربيين اقتبسوا فن القافية فى الشعر من العرب ، وأن الشعر الأسبانى والشعر البروفنسى مدينان فى ظهورهما لشعراء عرب الأندلس ، ويؤيده فى هذا عدة مستشرقين .

لسنا فى حاجة إلى الاسترسال فى التدليل على خاصة المرونة فى اللغة العربية ، تلك الخاصة التى جعلت منها لغة عالية عظيمة الانتشار ، فكان لها الأثر الأكبر فى نقل الأدب العربى إلى أقطار كثيرة ، وتزويد روحه بعناصر شتى ومواد غزيرة فى بلاد متنوعة ، مما جعله بالتالى أدباً عالياً قريباً إلى نفس الإنسان فى أى مكان . ولا أدل على ما نذهب إليه من كثرة الترجمات الأدبية من اللغة العربية إلى اللغة الأجنبية ، ورواج هذه الترجمات وتعدد طبعاتها ...

وإذا ما نظرنا فى الأدب العربى ، فأول ما يسترعى انتباهنا فى روحه ذلك الاتصال المباشر الدقيق بأعماق النفس الإنسانية على وجه العموم ، بحيث أنه وصفها وحللها وتواجد معها ، ونبض بمعانيها على اختلافها وتنوعها من سمو وضعة ، ومن قوة وضعف . ويبرز أمامنا فى هذا المعنى شعر عمر بن أبى ربيعة الذى عبر أصدق تعبير عن نفسية الإنسان فى غرامه وفى فهمه لعقلية النساء . وإن أنس لا أنس داليته المشهورة التى قالها فى محبوبته « هند » ، حيث يصور لنا مشهداً فريداً فى نوعه ، ويعطينا وصفاً طريفاً لأحاديث النساء فيما بينهن ، بحيث يخلص منه إلى إبراز الغيرة التى تخالج نفس المرأة أياً كان لونها أو زمنها ، لنصغ إليه إذ يقول:

زعموها سألت جاراتها ... وتعرت ذات يوم تبترد :
أكما ينعتنى تبصرننى ... عمركن الله لم لا يقتصد ؟
فتضاحكن وقد قلن لها : ... حسن فى كل عين من تود
حسداً حملنه من أجلها ... وقديماً كان فى الناس الحسد

ونستطيع أن نتبين أوجه الشبه القوى فى هذه الخاصة بين ابن أبى ربيعة «وراسين» فى الأدب الفرنسى، أو« ألفرد دو موسيه» كذلك ، بل إن ابن أبى ربيعة بلغ من إتقانه تصوير النفس البشرية حداً جعله يستعمل أبسط الألفاظ وأقربها إلى العامية أحياناً لأجل تأدية المعانى الدقيقة .

ويشارك ابن أبى ربيعة فى هذه الميزة أبو نواس ، ذلك الشاعر العالمى النادر المثال الذى لم يدع حالة من أحوال اللهو والمجون إلا وصفها وصفاً صريحاً كشف عن أدق النزعات والنزوات التى تخامر نفس الإنسان ويكبتها أو يحجبها عن المجتمع .

وخاصة ثانية ارتقى بفضلها الشعراء العرب إلى مرتبة الشعراء العالميين ، تلك هى إحساس الطبيعة ، أو قل تعشق الطبيعة ، والتواجد معها ، وتقديس جمالها والافتتان بتصوره . فابن الرومى، ذلك الفنان المتيم بالألوان ، والبحترى يستويان فى هذا الباب فى مرتبة « لامرتين » و « شاتوبريان » و « فيكتور هوجو » . وأما شعراء الأندلس ، فلا تسل عن الشأو الرفيع الذى بلغوه فى هذا التواجد الإنسانى ، الذى يتجلى فى قول ابن خفاجة حين يصف روضة عند الصباح :

والنور طرفٌ قد تنبه دامعٌ ... والماء مبتسمٌ يروقُ صقيلُ
فالروض مهتز المعاطف نعمة ... نشوان يعطفه الصبا فيميلُ
ريان فضضه الندى ثم انجلى ... عنه فذهب صفحتيه أصيل
وارتد ينظر فى نقاب غمامة ... طرفٌ يمرضه النعاس كليل
ساج كما يرنو إلى عواده ... شاك ويلتمح العزيز ذليل ...

وبين أعلام الأدب العربى شعراء نستطيع تسميتهم شعراء المبدأ أو شعراء الفكرة إن صح هذا التعبير ، يرتقون إلى درجة العالمية بجدارة صريحة ، بفضل المبادىء أو المذاهب الإنسانية التى اعتمدوها فى إنتاجهم الفكرى . ففلسفة التشاؤم وحرية الفكرة تشكلان المحور الأساسى لشعر أبى العلاء المعرى ؛ وهو يلتقى من ناحية التشاؤم بالفيلسوف الألمانى « شوبنهور » ، وفى ناحية حرية الفكر بالكاتب العالمى المعاصر « برناردشو » .

أما المتنبى فقد تجلت فى شعره فكرة إنسانية خطيرة ، كان من شأنها أن تطورت وتبلورت من بعده فى مبدأ فلسفى هام عند الفيلسوف الألمانى نيتشه : ألا وهى فكرة « الاستعلاء » ؛ وقد جسمها «نيتشه» فى شخصية « الإنسان الأعلى » أو «السوبرمن» على حد تعبيره . وحسبنا من شعر المتنبى المفعم بهذه الفكرة قوله :

وإنى لمن قوم كأن نفوسهم ... بها أنف أن تسكن اللحم والعظما!

وقوله :

الوليد بن عقبة في كتاب عثمان

للأستاذ محمود أبو رية

مما لا يكاد يخفى على الباحث المحقق أن أدق فترة فى التاريخ الإسلامى هى التى بدأت باغتيال الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه وتولى عثمان أمر الخلافة بعده. ذلك أن تيــار الإسلام الزاخر قد أخذ بعد مقتل عمر يتحول عن مجراه الذى كان يتدفع فيه بالخير والهدى والسلام على عهــد الرسول صلوات الله عليه وصاحبيه إلى اتجاه آخر. وكأن الإسلام الذى اعتز بإسلام عمر وتهدّى فى سيره قد انقلب يتعسف الطريق بعد أن انقلب هــذا الخليفة العظيم إلى ربه وعلى أن هذه الفترة على ما وصفنا، فانها لم تؤرخ على ما يجب أن يكون عليه التاريخ الصحيح، وذلك أن كل مؤرخ قد كبّــل فــكره بما وضعه السلف من قيــود، ووقف عند ما خطوه من حدود فلا يبحث بعلم ولا يفــكر بعقل. وكان أثقل تلك القيود هو ماقرروه من عدالة الصحابة جميعاً، حتى جعلوا الطلقاء فى مرتبة المهاجرين، والمؤلفة قلوبهم فى منزلة الأنصار المخلصين، والمنافقين فى مقام الأنقياء الصالحين.

وعلى ذلك جرى الخلف وراء السلف يتبع بعضهم بعضاً بلا بصر ولا بصيرة معتمدين على مجرد النقــل عنهم، منصرفين عما يقضى به العقل والمنطق فى نقد ماوصل إلينا منهم.

إنه لا يمكن للمؤلف المحقق أن يؤرخ هذه الفترة الدقيقة إلا إذا تزوّد بزاد كبير من مواد التاريخ، وحرر عقله من رقّ التقليد، واستعان فى النقد والتحليل بنظر بعيد وأن يسبر الوقائع كما يقول ابن خلدون. بمعيار الحكمة وأن يقف على طبائع الــكائنات ويحكم النظر والبصيرة فى الأخبار».

ومما يجب على من يؤرخ هــذه الفترة أن يقف على طبائع الجاهلية عامة وما كان من نزاع وتخاصم بين بنى أمية وبنى هاشم خاصة، وأن يدرك أن ما كان بينهما فى الجاهلية لم يطفىء الاسلام جذوته، ولم يخفف الهدى المحمدى حدته، وأن يميز بين الذين آمنوا إيماناً صادقاً من الذين أسلموا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم.

هذا ما يجب على كل من يريد أن يؤرخ هذه الفترة الدقيقة تأريخاً صادقاً، ومن يفته شئ من ذلك فان عمله يخرج ناقصاً

أطاعن خيلا من فوارسها الدهر
وحيداً، وما قولى كذا ومى الصبر!

ومن فنون الأدب فن عالمى قيم اشتهر به كتاب عالميون وكان لأدباء العرب فيه نصيب كبير، وهو فن «الظرف» أو قل باب الفــكاهة والمرح الفــكرى. وقد امتاز بهذا الفن بين الانكليز «تشالز ديكنز» و«برنارد شو»، وبين الفرنسيين «أناتول فرانس»؛ ويقابل هؤلاء من بين الأدباء العرب الجاحظ، بحيث يضاهيهم بالفعل، وذلك بما فى كتاباته من رقة ومرح، وبما فى فــكاهاته من لذع خفى، وظرف محكم؛ لحمتهما وسداهما الفكرةُ المعمقة.

وهنالك لونان عاليان من ألوان الأدب، طرقهما الأدباء العرب فأبدعوا، وكان لهم بذلك تأثير كبير فى الآداب الأجنبية. فأحدهما «الأدب الصوفى»، وقد برز فيه ابن الفارض، وحوله زمرة لا يستهان بها من المتصوفين الذين يعدون عالميين فى أدبهم الصوفى؛ والآخر فن تأدية الحــكمة على لسان الحيوان، وقد تجلى هذا الفن فى أدب ابن المقفع، وانتقل تأثيره إلى الشاعر الفرنسى «لافونتين».

بإمكاننا أن نلمس من هــذا العرض السريع، مدى أهمية الأدب العربى بالنسبة إلى الآداب العالمية، تلك الآداب التى عالجت قضايا الإنسان، ووصفت نفسية الإنسان، فــكانت لغته الحية الناطقة فى كل مكان وكل زمان.

ولئن لجأ بعض الأدباء العالميين لتحقيق هــذه الغاية، إلى وضع المسرحيات، فما ذلك إلا لأن بيئاتهم الخاصة حدت بهم إلى هذه الوسيلة، ويسرت لهم تحقيقها؛ أما أدباء العرب فقد عوضوا عن هذا النقص الطفيف بلجوئهم إلى وسائل أخرى لا تقل عنها أهمية أو قيمة، مما أتينا على ذكره، فأنتجوا بذلك أدباً عامراً بالمعانى والعناصر الإنسانية التى بإمكانها أن تتجاوب مع نفس كل إنسان. بل لقد رأينا كيف أنه عندما سمحت البيئة الاجتماعية بطرق فن الأدب التمثيلى عند العرب، برز شــوقى بمسرحياته الخالدة، فسد ذلك الفراغ العارض بكل جدارة.

وحسب الأدب العربى أعلامه الخالدون عمر بن أبى ربيعة وأبو نواس والمتنبي وأبو العلاء وابن الرومى وشوقى، حتى يستوى فى مرتبة الآداب العالمية الخالدة.

(بيروت) محمد وهبي

وتاريخه يظهر عقيما وإن سمى بين العامة تاريخاً ! !

نوطىء بهذا النبذ من القول أن نرسل كلمة صغيرة عن كتاب (عثمان) أحد أجزاء الفتنـة الـكبرى الذى يتوفر على إخراجها الدكتور طه حسين بك .

تناولت هذا الـكتاب بعد أن فرغ الناس من الـكتابة عنه والبحث فيه فإذا بى تلقاء نمط جديد فى دراسة التاريخ لم أعهـد مثله فيما كتب عن تاريخ صدر الإسلام بحثاً وتحليلاً اللهم إلا كتاب (فجر الإسلام) للأستاذ أحمد أمين بك ، فهو صنوه فى البحث ، وقرينه فى التحقيق، هذا فى تاريخ الحياة العقلية ، وذاك فى تاريخ الحياة السياسية .

وهذا الـكتاب لا يفهمه حق الفهم إلا من حرر عقله وآثر الحق على هواه . وإذا كان الـكلام عن هذا الـكتاب النفيس قد بعد الآن من التكرار بعد أن تولاه الـكتاب من قبل بالتقريظ والثناء الطيب فانى أتحدث اليوم عن أمر وجدته فيه ولم أر بداً من الـكلام عنه .

ذلك أن الدكتور طه حسين بك قد استراب فيما حملته الرواية من أن الوليد بن عقبة قد صلى بالناس فريضة الصبح وهو ثمل ثم التفت إلى من معه وقال : أزيدكم ؟ فقال إن هـذه القصة مخترعة من أصلها فيما أعتقد[١] .

ولـكن هذا الخبر أثبته كبار المؤرخين وبخاصة من كان منهم من ثقات المحدثين كالبخارى وابن عبد البر والذهبي وابن كثير ، وآخر من أيد هذا الخبر مجتهد اليمن بن الوزير فى كتابه (الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى القاسم) فانه على ما أطال فى الدفاع عن رجال الحديث الذين لا يجوزون الـكبائر على الصحابة ، وما بالغ من ذلك فانه لم يستطع أن ينكر ما نسب إلى الوليـد من أنه صلى الصبح وهو سكران ومما جاء فى كتابه هذا[٢] :

« قال إمام أهل الحديث أبو عمر بن عبد البر فى كتابه (الاستيعاب) فى معرفة الصحابة عن الوليد :

« له أخبار فيها نكارة وشناعة تدل بقطع على سوء حاله » وبعد أن بيّن ابن عبد البر : أن أخباره فى شرب الخمر ومنادمته لأهلها كثيرة ، ذكر أنه صلى الفجر بأهل الكوفة ثم قال أزيدكم

وإذا كان الدكتور قد قرر بحق أن إسلام الوليد كان رقيقاً وأنه غش النبى ، فان وقوع مثل هذا الأمر ليس بغريب منه

(١) ص ٩٦ من كتاب عثمان (٢) ص ١٢٦ ج ١

على أن مافعله الوليد من شربه الخمر وصلاته وهو سكران قد استفاض بين الناس حتى أكثروا من القول فيه ويبدو أن عثمان قد تباطأ فى إقامة الحد عليه فقد روى البخارى عن عروة بن الزبير أن عبيـد الله بن عدى أخبره أن المسور بن مخرم وعبد الرحمن بن الأسود قالا ما يمنعك أن تكلم خالك عثمان فى أخيه الوليد بن عقبة[١] فقد أكثر الناس (أى من تركه إقامة الحد عليه) فانتصبت لعثمان حين خرج إلى الصلاة فقلت له : إن لى إليك حاجة وهي نصيحة ، فقال : أيهـا المرء ، أعوذ بالله منك ، فانصرفت فلما قضيت الصلاة جلست إلى المسور وإلى عبد يغوث فحدثتهما بالذى قلت لعثمان ، فقالا : قد قضيت الذى كان عليك ! فبينما أنا جالس معهما إذ جاء رسول عثمان ، فقالا : قد ابتلاك الله ! فأتيته ، فقال : مانصيحتك ! فقلت : إن الله بعث محمداً وأنزل عليـه الـكتاب ، وكنت ممن استجاب لله ولرسوله (ص) وهاجرت الهجرتين وصحبت رسول الله (ص) ورأيت هديه . وقد أكثر الناس فى شأن الوليد فحق عليك أن تقيم عليه الحد . وبعد أن أجاب عثمان بقول يذكر فيه إسلامه وموقفه من النبى (ص) وصاحبيه ، قال : ما هذه الأحاديث التى تبلغنى عنكم ؟ فأما ما ذكرت من شأن الوليد بن عقبة فسنأخذ فيه بالحق إن شاء الله . ثم أمر بجلد الوليد فجلد أربعين جلدة فى أصح الروايات ؛ فقد خرج مسلم من طريق أبى ساسان قال : « شهدت عثمان أتى بالوليـد وقد صلى الصبح ركعتين ثم قال : أزيدكم ؟ فشهد عليه رجلان أنه قد شرب الخمر والذى تولى جلده عبد الله بن جعفر .

وتبين من سياق الأحداث واستقراء الأخبار أن عثمان رضى الله عنه لم يقم الحد على أخيه إلا لأنه صلى بالناس وهو سكران ، لا لأنه شرب الخمر فحسب ! إذ لو أقيم عليه حد الخمر فقط لوقع ذلك فى كل يوم لأنه كان مدمن خمر !

هذا مانرى بيانه ، ونرجو أن يوفق الدكتور فى إتمام سائر الأجزاء التى رأى أن يكسرها على تاريخ الفتنة الـكبرى ، وأن يخرج مابقى من عمله على غرار هذا الجزء الذى بين أيدينا .

ولعله بعد ذلك يتخذ سبيله إلى تاريخ الأدب العربي تاريخاً مستفيضاً مفصلا حتى يؤدى ماعليه من دين للغة العربية وآدابها .

المنصورة **محمود أبو رية**

(١) وعقبة هو ابن أبى معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس وكان أخا عثمان لأمه ، وكان عثمان ولاه الـكوفة بعدعزل سعد بن أبى وقاص سنة ٢٥ هـ .

صدى مقتل الحسين

في التاريخ الإسلامي والأدب العربي

للأستاذ ضياء الدخيلي

في محرم الحرام تغشى الكآبة والحزن الأقطار التي يتغلب فيها التشيع لآل البيت عليهم السلام كما في العراق وإيران والهند وأقسام في الأفغان والتبت في الصين وجبل عامل في لبنان ومحلة الأمن في دمشق ومحلات المتاولة (أي المتولين لأهل البيت) في بيروت، وبعض عشائر الحجاز حوالي المدينة وفي البحرين الكويت وتركستان والقفقاز في روسيا ومحلات أخرى أجهلها. في الأصقاع الشيعية تجد المساجد والجوامع تجلل في محرم من كل عام بالسواد القاتم حزناً على شهيد كربلاء وتخرج المواكب باكية معولة تندب ابن بنت رسول الله (ص) الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) الذي قتله جند عبيد الله بن زياد بأمر من يزيد بن معاوية وذلك عام ٦١ هـ (٦٨٠ م) — قتلوه هو وصحبه الكرام وأهل بيته حتى طفله الرضيع ومثلوا بأجسادهم الطاهرة وأحرقوا خيامهم وسبوا نساءهم وذلك في كربلاء على مسافة من الكوفة عاصمة أبيه الإمام (ع) وقد بالغوا في القسوة وفظاعة التمثيل وحرموه هو وأطفاله الماء حتى مات عطشان؛ كل ذلك لإخافة شيعة أبيه في العراق وقصد إخماد كل ثورة يحتمل أن يقوم بها الشيعة في العراق للانفصال من الحكم الأموي؛ ولكنهم اقترفوا من الفظائع ما أثار حفيظة العالم الإسلامي وأغضب كل من وقف على الواقعة من الناس حتى المستشرقين، فاقرأ ما كتبه المستشرق الفرنسي سيديو في كتابه (تاريخ العرب العام) والمستشرق الإنجليزي ميور في كتابه (الخلافة نزوغها وانحدارها وسقوطها) — إنك لتجد أقلام هؤلاء على نصرانيتهم — تسيل سخطاً على الجيش الأموي وما قام به في كربلاء من ظلم وعدوان.

لذلك صار اسم محرم رمز الحزن والكآبة في العالم الإسلامي وكان شهر النوح والبكاء عند الشيعة على الأخص. فقد حدث المؤرخون أن الشيعة في العهد الأموي كانوا يعقدون المواكب والاحتفالات الصاخبة، وقد اتخذوا يوم كربلاء يوم حزن ورثاء، وكانوا يولونه كثيراً من عنايتهم فيجتمعون في الأسواق ويسيرون المواكب ويلزمون أنفسهم الإمتناع عن تناول أطايب الطعوم ولذيذ المشروب ويتناشدون الأشعار بالنوح على الحسين (ع) والطعن في قاتليه؛ وظل الحال على ذلك في العراق إلى أن تولى الحجاج بن يوسف الثقفي العراقين في عهد عبد الملك بن مروان فقابل الشيعة بالضد وحمل الناس على اتخاذ هذا اليوم عيداً وألزمهم لباس الثياب الفاخرة وتناول الأطعمة الشهية واتخاذ صنوف الحلوى والافتنان فيها ومنها الحبوب المطبوخة باللبن والسكر وكان من نتيجة ذلك أن وقعت مصادمات دامية بين الشيعة والسنة وحدثت مجازر مؤلمة بين المسلمين وقانا الله شرها.

حتى إذا قامت الدولة البويهية في العراق جعلت الاحتفال بذكرى مصرع الحسين أمراً رسمياً تلتزم القيام به الدولة المستولية على أزمة الحكم. قال السيوطي في (تاريخ الخلفاء)، وفي سنة ٣٥٢ هـ يوم عاشوراء ألزم معز الدولة (البويهي) الناس بغلق الأسواق ومنع الطباخين من الطبيخ ونصبوا القباب في الأسواق وعلقوا عليها المسوح (والمسوح جمع المسح وهو الكساء من شعر، وما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشفاً وقهراً للجسد) قال السيوطي وأخرجوا نساء منشرات الشعور يلطمن في الشوارع ويقمن المآتم على الحسين؛ وهذا أول يوم نيح عليه ببغداد. واستمرت هذه البدعه سنين: وفي ١٨ ذي الحجة منها عُمل عيد غدير خم وضربت الدبادب (والدبادب جمع الدبداب وهو الطبل سمي بذلك حكاية لصوته).

وقال ابن الأثير في أخبار سنة ٣٥٢ هـ وفي هذه السنة عاشر محرم أمر معز الدولة الناس أن يغلقوا دكاكينهم ويبطلوا الأسواق والبيع والشراء وأن يظهروا النياحة ويلبسوا قباباً عملوها

بالسوح، وأن يخرج النساء منشرات الشعور مسودات الوجوه قد شققن ثيابهن يدرن فى البلد بالنوائح ويلطمن وجوههن على الحسين بن على (ع) ففعل الناس ذلك. ولم يكن للسنية قدرة على المنع منه لكثرة الشيعة ولأن السلطان معهم. وفى ١٨ ذى الحجة أمر معز الدولة بإظهار الزينة فى البلد وأشعلت النيران بمجلس الشرطة وأظهر الفرح وفتحت الأسواق بالليل كما يفعل ليالى الأعياد، فعل ذلك فرحاً بعيد غدير (وضربت الدبادب والبوقات وكان يوماً مشهوداً) وقال أبو المحاسن فى (النجوم الزاهرة) فى حوادث سنة ٣٦٣ وفيها أعاد عز الدولة بختيار النوح فى يوم عاشوراء إلى ما كان عليه.

وقال ابن الجوزى فى المنتظم فى أخبار سنة ٣٥٢ فمن الحوادث فيها أنه فى اليوم العاشر من المحرم غلقت الأسواق ببغداد وعطل البيع ولم يذبح القصابون ولا طبخ الهراسون ولا ترك الناس أن يستقوا الماء ونصبت القباب فى الأسواق وأقيمت النائحة على الحسين (ع)].

والظاهر أن ما سنه معز الدولة البويهى استمر فى بغداد والعراق وتمسك به شيعة بغداد والتزموا القيام به فى كل عام؛ حتى اليوم تجد تلك المواكب الحزينة الباكية تقام فى العراق ومنه أخذها العالم الإسلامى الشيعى. وقد جر إصرار الشيعة على إقامة تلك التقاليد المذهبية أن حدثت عدة اصطدامات بينهم وبين إخوانهم الأعزاء من أبناء السنة؛ ففى الأيام الأخيرة عندما حاول ياسين باشا الهاشمى منعها قامت ثورات دامية فى الفرات فى لواء الديوانية وفى لواء الناصرية.

أما فى العصر العباسى الأخير فقد كانت الفتن المذهبية قائمة على قدم وساق بين الشيعة والسنة من أجل إصرار الشيعة على إحياء المواكب العزائية فى كل عام وقت محرم كما سنها معز الدولة البويهى ومن سبقه فى العصر الأموى قبل أن يجعل الحجاج يوم عاشوراء عيداً نكاية بشيعة العلويين.

قال ابن الأثير فى حوادث سنة ٤٤١ هـ وفيها منع أهل الكرخ من النوح (على الحسين) وفعل ما جرت عادتهم بفعله يوم عاشوراء فلم يقبلوا وفعلوا ذلك فجرى بينهم وبين السنية فتنة عظيمة قتل فيها وجرح كثير من الناس ولم ينفصل الشر بينهم حتى عبر الأتراك وضربوا خيامهم عندهم فكفوا حينئذ، ثم شرع أهل الكرخ فى بناء سور على الكرخ، فلما رآهم السنية من القلائين ومن يجرى مجراهم شرعوا فى بناء سور على سوق القلائين. وأخرج الطائفتان فى المهارة مالا جزيلا وجرت بينهما فتن كثيرة وبطلت الأسواق وزاد الشر حتى انتقل كثير من الجانب الغربى إلى الجانب الشرقى فأقاموا به. وتقدم الخليفة إلى أبى محمد بن النسوى بالعبور وإصلاح الحال وكف الشر فسمع أهل الجانب الغربى ذلك فاجتمع السنية والشيعة على المنع منه وأصلحوا أمرهم بأنفسهم، وأذنوا فى القلائين وغيرها بحى على خير العمل (وهذا النداء ينفرد به الشيعة فى أذانهم) وأذنوا فى الكرخ: الصلاة خير من النوم (وهذا نداء ينفرد به أذان السنية وقت الفجر) وأظهروا الترحم على الصحابة فبطل عبور النسوى) هذا ما قاله ابن الأثير وفيه ترى التشاحن بين أهالى بغداد لم يكن منبعثاً بدوافع مذهبية فحسب، بل أنه دخلت فى تكوينه أسباب أخرى جاهلية هو ما كان بين المحلات من تفاخر، وهذا مظهر لانحطاط عقلية العامة من الناس فى تلك العهود وانتشار الجهل بين الطبقات الاجتماعية الدنيا الذى أدى إلى توسيع شقة الخلاف.

قال ابن الأثير ثم تجددت الفتنة سنة ٤٤٣ هـ فى صفر وعظمت أضعاف ما كانت قديماً فكان الاتفاق المتقدم غير مأمون الانتقاض لما فى الصدور من الأحن. ووصف ابن الأثير فى الجزء الثامن ص ٣٠٩ قيام بعض رجال الدولة العباسية من أهل السنة بالانتقام من شيعة الكرخ بإحراق أسواقهم ودورهم بوضع النار فى عدة مواضع منها مما أدى إلى احتراق سبعة عشر ألف إنسان وخسارة عظمى فى الأموال وهذا من أفظع صور المعارك الطائفية فى العصر العباسى الأخير مما مهد إلى انقراض الدولة الإسلامية وذهاب ريحها.

قال ابن الأثير وفى سنة ٥٠٢ هـ وقع الصلح ببغداد بين السنية والشيعة بعد فتن تكررت بينهم سنين عديدة، ولم يستطع خليفة ولا سلطان أن يصلح بينهم، (بل الصحيح أن الملوك لم يكونوا يريدون الإصلاح، بل كانوا يزيدون النار حطباً

على أساس القاعدة : فرق تسد) فترى مما تقدم ما تركه مصرع سيدنا الحسين (ع) من أثر سيء ظل يدوى صداه فى الأعصار الإسلامية ؛ وقد سبب مجازر طائفية دامية أضاعت شوكة الإسلام وشغلت المسلمين بأنفسهم وألقت بأسهم فيما بينهم وأعداؤهم يتربصون بهم الدوائر ، ويتحينون الفرص للانقضاض عليهم وتدمير معالم حضارتهم وإلقاء نير العبودية فى رقابهم وقد سنحت لهم الفرصة فى عهد المستعصم الذى قام جيشه بأفظع مجزرة طائفية فى الكرخ إذ قتل ونهب وسبى العلويات بقيادة (أمير الجيوش) وأبى بكر ابن المستعصم كما وصف الحادثة ابن الفوطى من أبناء ذلك العصر فى كتابه (الحوادث الجامعة والعبر النافعة فى المائة السابعة) .

وأما فى مصر فقد قال المقريزى فى (خططه) ج ٢ ص ٣٨٥ عن عاشوراء كان الفاطميون يتخذونه يوم حزن تتعطل فيه الأسواق ويعمل فيه السماط العظيم المسمي سماط الحزن وقد ذكر عند ذكر المشهد الحسينى فأنظره ، وكان يصل إلى الناس منه شيء كثير . فلما زالت الدولة اتخذ الملوك من بنى أيوب يوم عاشوراء يوم سرور يوسعون فيه على عيالهم ويتبسطون فى المطاعم ويصنع الحلاوات ويتخذون الأوانى الجديدة ويكتحلون ويدخلون الحمام جرياً على عادة أهل الشام التى سنها لهم الحجاج فى أيام عبد الملك بن مروان ليرغموا بذلك آناف شيعة على بن أبى طالب كرم الله وجهه الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن فيه على الحسين بن على لأنه قتل فيه وقد أدركنا بقايا مما عمله بنو أيوب من اتخاذ يوم عاشوراء يوم سرور وتبسط وكلا الفعلين غير جيد والصواب ترك ذلك والاقتداء بفعل السلف فقط .

وكان الفاطميون ينحرون يوم عاشوراء عند القبر (أى قبر رأس الحسين (ع) الذى نقله الأفضل بن أمير الجيوش من عسقلان فى فلسطين إلى مصر) - الأبل والبقر والغنم ويكثرون النوح والبكاء ويسبون من قتل الحسين (ع) ولم يزالوا على ذلك حتى زالت دولتهم .

قال ابن زولاق فى كتاب (سيرة المعز لدين الله) : فى يوم عاشوراء من سنة ٣٥٣ هـ انصرف خلق من الشيعة وأشياعهم إلى المشهدين قبر كلثوم ونفيسة (يقول المقريزى إن السيدة كلثوم هى بنت القاسم بن محمد بن جعفر الصادق (ع) والسيدة نفيسة هى بنت الحسن بن زين العابدين بن الإمام الحسن بن على أبى طالب (ع) وقد توفيتا بمصر ودفنتا هناك) ومعهم جماعة من فرسان المغاربة ورجالتهم بالنياحة والبكاء على الحسين (ع) وكسروا أوانى السقائين فى الأسواق وشققوا الروايا وسبوا من ينفق فى هذا اليوم ونزلوا حتى بلغوا مسجد الريح وثارت عليهم جماعة من رعية أسفل فخرج أبو محمد الحسين بن عمار وكان يسكن هناك فى دار محمد بن أبى بكر وأغلق الدرب ومنع الفريقين ورجع الجميع فحسن موقع ذلك عند المعز ولولا ذلك لعظمت الفتنة لأن الناس قد أغلقوا الدكاكين وأبواب الدور وعطلوا الأسواق وإنما قويت أنفس الشيعة بكون المعز (الفاطمى) بمصر . وقد كانت مصر لا تخلو منهم فى أيام الأخشيدية والكافورية وكانوا يجتمعون فى يوم عاشوراء عند قبر كلثوم وقبر نفيسة . وكان السودان وكافور يتعصبون على الشيعة وتعلق السودان فى الطرقات بالناس ويقولون للرجل من خالك ؟ فإن قال معاوية أكرموه ، وإن سكت لقى المكروه ، وأخذت ثيابه وما معه حتى كان كافور قد وكل بالصحراء ومنع الناس من الخروج .

وقال المسبحى (قال لى الدكتور مصطفى جواد هو عز الدين المسبحى له كتاب مفقود فى تاريخ الدولة الفاطمية ومسبح هنا اسم مفعول من سبح بالتشديد) — وفى يوم عاشوراء من سنة ٣٩٦ هـ جرى الأمر فيه على ما يجرى كل سنة من تعطيل الأسواق وخروج المنشدين إلى جامع القاهرة ونزولهم مجتمعين بالنوح والنشيد ؛ ثم جمع بعد هذا اليوم قاضى القضاة عبد العزيز ابن النعمان سائر المنشدين الذين يتكسبون بالنوح والنشيد وقال لهم لا تلزموا الناس أخذ شيء منهم إذا وقفتم على حوانيتهم ولا تؤذوهم ولا تتكسبوا بالنوح والنشيد ، ومن أراد ذلك فعليه بالصحراء . ثم اجتمع بعد ذلك طائفة منهم يوم الجمعة فى الجامع العتيق بعد الصلاة وأنشدوا وخرجوا على الشارع بجمعهم وسبوا

ركن المعتزلة :

قدرة الله فى مذهب المعتزلة

الدكتور ألبير نصرى نادر

- ٢ -

تقول المعتزلة إن الله لا يفعل إلا الأصلح وأن قدرته لا تأتى إلا بما هو كمال ؛ فقط هناك نقطتان ذواتا أهمية كبرى وهما التوفيق بين قدرة الله تعالى وحرية الاختيار عند الانسان من جهة ومن جهة أخرى مسألة الظلم : هل يمكن أن يفعله أم لا يمكن.

قدرة الله وقدرة الانسان على أعماله :

لما كان الله قادراً على كل شئ ، ولما كانت قدرته لا متناهية كذاته ومتجهة دائماً نحو الكمال ، فمن أين إذن الشر والمعصية وما يترتب عليهما من عقاب وألم ؟ إنهما لا يقعان إلا عن كائن حر الاختيار فى نياته وأعماله ، يتردد ثم يختار ويعزم . وفى تردده هذا دليل على عجزه وعدم كماله . ويترتب على اختياره نتائج ملائمة لما اختاره من عمل حسن أو سىء . فأين قدرة الله من عمل الانسان هذا ؟ إن قدرته تعالى تحدها حرية الانسان . والمعتزلة يتمسكون بشدة بهذا المبدأ ويبنون عليه المسألة الأخلاقية بكاملها .

ربما أن الثواب أو العقاب هو نتيجة لما اختاره الانسان بمجرد حريته فلا يمكن الله أن يغير أو يبدل فى هذا الثواب أو العقاب . ويقول النظام بهذا الصدد : إن الله لا يقدر على أن يخرج أحداً من أهل الجنة منها ولا يقدر على أن يلقى فى النار من ليس من أهل النار . ويقول أيضاً : لو وقف طفل على شفير جهنم لم يكن الله قادراً على القائه فيها وقدر الطفل على إلقاء نفسه فيها[1] .

إننا لا نعجب من قول المعتزلة هذا لأنهم أثبتوا من جهة قدرة الله لامتناهية ؛ وهى فى مذهبهم ليست سوى الذات ؛ وأثبتوا من جهة أخرى قدرة الإنسان على أنه حر فى اختيارها . وبعد ذلك وجدوا أنفسهم أمام مشكلة عويصة وهى هل الله قادر على كل شىء : على الظلم والجور كما هو قادر على العدل ؟ وبمعنى أوضح هل يقدر الله تعالى أن يثيب من استحق العقاب وأن يعاقب من استحق الثواب ؟ بحثت المعتزلة هذه المسألة على ضوء العدل وسنبين فيما بعد الحل الذى أتوا به . وقبل أن نعرض لهذا الحل نذكر هنا عقيدة راسخة عند المعتزلة استنتجوها من قولهم بعدل الله وقدرة الإنسان على أعماله ، وهى أن الله تعالى يعمل لما فيه صالح الخلق ولكنه يترك الإنسان حراً فى اختياره . ولما كان الله تعالى لم يزل يعلم ما يختاره الإنسان من أعمال فإنه يأتى أحياناً بلطف من عنده لمساعدة ذوى الإرادة الحسنة . لذلك يقول بشر ابن المعتمر[2] إن الله لو علم من عبد أنه لو أبقاه لآمن كان إبقاؤه إياه أصلح له من أن يميته كافراً[3] فنلمس هنا مسألة اللطف الذى

(١) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ١١٥ — الشهرستانى : الملل والنحل (على هامش بن حزم ط ص ٦١) .

(٢) هو أبو سهل الهلالى بشر بن المعتمر المتوفى حوالى ٢١٠ هـ أو ٢١٦ هـ وهو مؤسس فرع بغداد . تلمذ لأبى عثمان الزعفرانى ولبشر بن سعيد صاحبى واصل بن عطاء رأس المعتزلة .

(٣) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ١٤١ .

السلف فقبضوا على رجل ونودى عليه هذا جزاء من سب عائشة وزوجها (ض) وقدم الرجل بعد النداء وضرب عنقه .

وقال ابن المأمون وفى يوم عاشوراء يعنى سنة ٥١٥ هـ (وذلك فى عهد الآمر بأحكام الله سنة ١١٢١ م) عبىء السماط بمجلس العطايا من دار الملك بمصر التى كان يسكنها الأفضل ابن أمير الجيوش وهو السماط المخصص بعاشوراء وكان يعبأ فى غير المكان الجارى به العادة فى الأعياد ولا يعمل مدورة خشب بل سفرة كبيرة من أدم والسماط يعلوها من غير مرافع نحاس وجميع الزبادى أجبان وسلائط ومخللات ، وجميع الخبز من شعير وخرج الأفضل من باب (فرد الكم) وجلس على بساط صوف من غير مشورة واستفتح المقرئون واستدعى الأشراف على طبقاتهم وحمل السماط لهم وقد عمل فى الصحن الأول الذى بين يدى الأفضل إلى آخر السماط عدس أسود ثم بعده عدس مصفى إلى السماط ثم رفع وقربت صحون جميعها عسل نحل .

ضياء الدخيلي

يتدارك به الله العاسق . ولكن المعتزلة تقول إن هذا اللطف لا يمنح إلا فى حالات شاذة نادرة . وخلاص نفوسنا أو هلا كها عائد إلينا ، وذلك بفضل حرية اختيارنا لذلك يقول بشر بن المعتمر ومعه جميع المعتزلة إن الله لا يكون مواليا المطيع فى حال وجود طاعته ، ولامعاديا للكافر فى حال وجود كفره ؛ وإنما يوالى المطيع فى الحالة الثانية من وجود طاعته ، ويعادى الكافر فى الحالة الثانية من وجود كفره [١] .

هذا قول واضح بأن الإنسان بمحض إرادته يصبح مطيعاً أو كافراً ولا قدرة لله فى ذلك . وبعدما يصبح الإنسان مطيعاً (وهى الحالة الثانية التى يتحدث عنها المعتزلة) حينئذ يكون الله موالياً له ؛ وبعدما يصبح كافراً (وهي الحالة الثانية فى الكفر) حينئذ يكون الله معادياً له . ويستدل المعتزلة على ذلك بقولهم إنه لو جاز أن يساعد الله الإنسان فى حال وجود الطاعة فيه لجاز أن يساعده فى حال وجود الكفر فيه . وهذا محال فى مذهبهم لأن الله لا يفعل الشر ؛ والشر فى الحقيقة هو المعاصى الموصلة إلى عذاب الله ، على حسب قول قاسم الدمشقى [٢] .

الحكمة فى أعمال الله :

تقول المعتزلة إن الله غاية فى الحكمة ولا يفعل إلا الأصلح فهو تعالى لا يعمل شيئاً اتفاقاً أو جزافاً . فعليه توجد قوانين ثابتة ومحددة من لدن حكمته تعالى تسوس جميع الأمور فى هذا العالم ؛ وهذه القوانين خاضعة لحكمة الله الكاملة . فيجب أن ننظر إلى كل مايحدث فى الدنيا كأنه تعبير لهذة الحكمة . وعقل الإنسان ، فى رأيهم ، يمكنه أن يدرك هذا النظام الكامل فى العالم والذى يدل على وجود خالق أزلى حكيم كامل عادل .

هل يقدر الله على أن يظلم ؟

يبدو هذا السؤال غريباً فى مذهب المعتزلة القائلين بأن الله كلى الكمال ؛ ولكنهم بالرغم من ذلك خصوا هذا السؤال حتى يوضحوا فكرتهم عن الله ويجلوها .

من الجلى أنهم جميعاً يردون أى فكرة تؤدى إلى الإعتقاد

(١) نفس المصدر .
(٢) الخياط : كتاب الأنتصار ص ٨٥ .

بأن هناك ظلماً فى عمله تعالى وهم يرددون دائماً بأن الله يفعل مافيه صالح الخلق فإذا بحثت المعتزلة هذا الموضوع فيكون ذلك من جهة القدرة فقط ، وليس من جهة عمل الظلم فعلا من لدنه تعالى . فيكون الموضوع مجرد بحث نظرى . وعلى هذا الشكل نجد حلين مختلفين لهذا السؤال عند المعتزلة .

الحل الأول : القول بالقدرة :

القائلون بها من المعتزلة هم أبو الهذيل العلاف وأبو موسى المردار وجعفر بن حرب وبشر بن المعتمر . وقولهم مقتضى أن الله يمكنه أن يفعل الظلم ولكنه لا يفعله أبداً وأوضح المردار حجتهم فى ذلك بقوله : إن الله يوصف بالقدرة على العدل وعلى خلافه وعلى الصدق وعلى خلافه ، لأن هذه هى حقيقة الفاعل المختار أن يكون إذا قدر على فعل شيء قدر على ضده وتركه [١] ولكن يضيف المردار إلى هذا قوله : ولو فعل تعالى مقدوره من الظلم والكذب لكان إلها ظالماً كاذباً [٢] وهذا ما يناقض فكرة الله عند المعتزلة وتعريفهم له تعالى إذ يقولون إن ذات الله هى الكمال والظلم لا يقع إلا عن كائن غير كامل . فإذن يستند أصحاب هذا الرأى على فكرة الاختيار عند الله ليقرروا أنه تعالى قادر على الظلم ؛ ولكنهم يعودون ويقولون أن الله لا يفعله . ويقول أبو الهذيل فى هذا الصدد: إن الله يقدر على الظلم والكذب ولكنه لا يفعلهما لقبحهما وهو تعالى كامل لا يفعل القبيح [٣] . ويضيف جعفر بن حرب قوله : لن يسأل هؤلاء المعتزلة : أفمكم أمان من أن الله لا يفعل الظلم وهو قادر عليه ؟

(ا) قلنا : نعم هو ما أظهر من حكمته وأدلته على نفى الظلم والجور والكذب .

(ب) فيستنتج من ذلك أن المعتزلة القائلين بقدرة الله على الظلم لأنه مختار لأفعاله يذهبون في آخر الأمر إلى القول بأنه لايفعل الظلم لأنه تعالى كامل ولأن الظلم قبيح فى ذاته . ولهذين السببين يقولون إن الله مع قدرته على الظلم لا يفعله .

(١) الخياط : الأنتصار ص ٦٦ .
(٢) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ١٥١ .
(٣) الشهرستانى : الملل على هامش ابن حزم جـ ١ ص ٦١ . الأشعرى : مقالات الاسلاميين ص ٢٠٠ و ٥٥٥ ابن حزم : الفصل جـ ٤ ص ١٤٧ .

الحل الثاني : القول بعدم القدرة :

يقول النظام وعلى الأسوارى والجاحظ والإسكافى إن الله لايوصف بالقدرة على الظلم والكذب وعلى ترك الأصلح من الأفعال إلى ما ليس بأصلح وأحالوا أن يوصف الله بالقدرة على عذاب المؤمنين والأطفال وإلقائهم فى جهنم [١] لأن المخلوق العاقل فى رأيهم يقدر أن يفعل الشر كما يقدر أن يفعل الخير لأن إرادة الإنسان الحرة يمكنها أن تختار بين الخير والشر وهى تثاب أو تعاقب حسب ما اختارته من أعمال . ولكن لايوجد هذا الاختيار فى قدرة الله ، لأن قدرته تعالى على قول هؤلاء المعتزلة لم تزل متجهة فقط نحو الخير المطلق . وللنظام حجته فى ذلك . فهو يقول : إن القبح إذا كان صفة ذاتية للقبيح وهو المانع من الاضافة إليه فعلا ففى تجويز وقوع القبيح من الله تعالى قبح أيضاً ؛ فيجب أن يكون مانعاً . ففاعل العدل لايوصف بالقدرة على الظلم ، لأنه لو وصف بالقدرة عليه لكان عنده ميل إلى الظلم . وهذا الميل نقص وضعف مما يناقض ماهيته تعالى الكاملة . وخلافا لمن زعم من المعتزلة أن الله يقدر على أن يظلم ،يقول النظام إننا لا يمكننا أن نصف الله بهذه القدرة لأن ذاته تعالى لم تزل ثابتة وليس فيها أى ضعف أو عجز . لذلك يقول النظام إن الله لايقدر على أن يفعل لعباده فى الدنيا ما ليس فيه صلاحهم ، كما أنه لايوصف بالقدرة على أن يزيد فى عذاب أهل النار شيئاً ، ولا على أن ينقص من نعيم أهل الجنة ، ولا أن يخرج أحداً من أهل الجنة . وليس ذلك مقدوراً له [٢] لأن الظلم والكذب لا يقعان إلا من جسم ذى آفة . فالواصف لله بالقدرة عليهما قد وصفه بأنه جسم ذو آفة [٣]. ثم هناك قول آخر شديد لأبى جعفر الإسكافى فى هذا الصدد إذ يقول أن الأجسام تدل بما فيها من العقول والنعم التى أنعم الله بها عليها على أن الله ليس بظالم لها . والعقول تدل بأنفسها على أن الله ليس بظالم . فليس يجوز أن يجامع دفوع الظلم منه مادل لنفسه على أن الظلم ليس يقع منه [٤]

* * *

هذان القولان : القول بقدرة الله على الظلم والقول بعدم قدرته تعالى عليه ، ولو أنهما مختلفان إلا أن النتيجة التى يصلان إليها واحدة وهي أن الله لا يظلم أبداً حتى ولو قدر على الظلم . إلا أن أصحاب القول الأول بنوا رأيهم على فكرة وجود الاختيار عند الله فى حين أن أصحاب القول الثانى لايقولون بهذا الاختيار لأن الله فى زعمهم غير مختار وهو الكمال المطلق ، والاختيار تفضيل أمر على أمر وهذا ليس من خصائص الله تعالى . والذى جعل أصحاب القول الأول يتراجعون ويقولون إنه تعالى لايأتى الظلم هو أن الظلم قبيح فى ذاته وأن الله كامل مطلق . فالفارق بين هؤلاء وهؤلاء فارق نظرى بحت .

ألبير نصرى نادر
دكتور فى الآداب والفلسفة

---

(١) الأشعرى : مقالات الاسلاميين ص ٥٥٥ .
(٢) الشهرستانى الملل على هامش ابن حزم ح ١ ص ٦١
(٣) الخياط : الانتصار ص ٢٧ .
(٤) نفس المصدر ص ٩٠ .

اذكريني

للأستاذ ابراهيم محمد ناجي

اذكريني إذا استفاض الضياء ... فاستقرت في خدرها الظلماء
وبدا الفجر شادياً بالأغاني ... فإذا الكون فرحة وغناء
هو طفل على الروابي غرير ... راقص الخطو، باسم، وضاء
تخشع الأرض حين يمشي عليها ... وتناجيه بالأغاني السماء
ولدته الظلماء ممشوقة الليـ ... ـل، وللليل شهوة حمراء
أطلقته إلى الوجود وجوداً ... ملؤه الحب، والمنى، والرجاء
فيه منها صبابة وحنين ... وبه من عشيقها أهواء
أنت فجر الحياة في قلبيَ البا ... كي، وأنت الطبيعة العذراء

واذكريني إذا تراءى الصباحُ ... فتهادت في نوره الأرواحُ
ورأيت الطيور تبعث في الأفـ ... ـق أغاريد كلها أفراح
ورأيت الزهور يخفق فيها الطـ ... ـل، والظل، والسنا اللماح
عطرها خمرة القلوب، وإن كا ... ن طليقاً لم تحوه الأقداح
أنت قيثارتي وألحان قلبي ... ونشيدي المطر المراح
جنة أنت في صحارى حياتي ... وأنا فيك بلبل صداح
في دمي لحنك الشجي، وفي قلـ ... ـبي المغنَّى عبيرك الفواح
فاذكريني ماهام في الجو عطر ... وتسامى على الرياح جناح

واذكريني إذا الأصيل تجلى ... شاحب النور، واهنا، مضمحلاً
أبصر الليل مسرعا، فاعترته ... رهبة أرعشته نوراً وظلا
كل شيء فيه أراه بقلبي ... أملاً راحلا، وعمراً تولّى
أنا مثل الأصيل تذبل في قلـ ... ـبي الأماني كأنني صرت كهلا
لم أمت غير أنني أدرك المو ... ت بروحي، كأنني مت قبلا
طالما رن صوته في حياتي ... وبدا طيفه عليها مطلا ..
بليت جِدَّةُ الشباب كما تبـ ... ـلى الليالي، وكل شيء سيبلى
فاذكريني عند الأصيل؛ ففيه ... من حياتي مشابهٌ تتجلى

واذكريني إذا رأيت الغروبا ... والسنا راحلا يؤم الغيوبا
ورأيت السماء قلباً حزيناً ... موشكا من صبابة أن يذوبا
فقد الشمس، وهي إلف عزيز ... فبكى إلفه العزيز الحبيبا
وانحنى ضارعاً يطل عليها ... وينادي لعلها أن تجيبا
آه من لوعة الغروب التي مـ ... ـلأ قلبي صبابة ونحيبا
آه من روعة الغروب التي تلـ ... ـهم نفسي فناً جميلا عجيبا
إن نفسي من الغروب. أراها ... وأراه فراشة ولهيبا
فاذكريني عند الغروب غروباً ... قد أطل الدجى عليه رهيبا

واذكريني إذا المساء طواني ... قلق النفس، حائر الوجدان
فإذا بي أرى أمانيَّ تمضي ... في فضاء تضل فيه الأماني
وأحس الظلام ينساب في أغـ ... ـوار نفسي، وفي صميم كياني
وأرى الروح، وهي تمضي بعيداً ... عن قيود المكان خلف الزمان
أطلقتها يد المساء، وقد كا ... نت تعاني في سجنها ما تعاني
فاستقرت في عالم خلقته ... قبل أن تلبس الوجود الثاني
إن هذا المساء يسمو بروحي ... وبنفسي عن عالم الإنسان
فاذكريني عند المساء، ففيه ... تخلص النفس من قيود المكان

واذكريني في الليلة القمراء ... والدجى غارق بنهر الضياء
والسماء الضحوك تنساب بالنو ... ر، وتُزهى ببدرها الوضاء
والضياء الشفيف لحن شجي ... عزفته ملائك في السماء
والنسيم اللطيف أرواح عشا ... ق تغني بحبها في الفضاء
آه من روعة الضياء، وما تبـ ... ـعث في النفس من أمان وِضاء
ليتني كنت ذرة من ضياء ... في جواء طليقة الأرجاء
ليتنا نعبر الفناء بروحيـ ... ـنا إلى عالم وراء الفناء
حيث نحيا في عالم الخلد والمجـ
ـهول، والسحر، والرؤى، والخفاء

وإذا ضمك السكون الحبيبُ ... في مساء نحن فيه القلوبُ
فاذكري أنني أناديك بالرو ... ح، وما لي إلا صداها مجيب
وأقول الأشعار فيك، وفيها ... مهجة في لظى الجراح تذوب
نحن روحان عاشقان، ولكن ... بيننا في اللقاء شيء رهيب
أنت في الشام ياشقيقة نفسي ... وأنا ها هنا بمصرٍ غريب!
عذبتني الحياة حتى لقد صر ... ت كأني في نارها مصلوب
كم تمنيت أن أقيم بأرض ... أي أرض وأنت مني قريب

غير أن الزمان يسرع بالأيام ، والشمس ... شمس عمرى تغيب

— —

وإذا قلت شعرك الولهانا ... فاملئيه ضراعة وحنانا
واذكرى أننى أذوّب قلبى ... فى قصيدى ، وأسكب الوجدانا
أنت قربتنى فتفجرت فى قلـ ... ـبى وروحى الغناء والألحانا
ثم أقصيتنى فصارت حياتى ... تستثير الأنين والأشجانا
يامنى الروح كيف هان على قلـ ... ـبك قلبى ؟ تكلمى ! كيف هانا ؟
رسمك المفتدى يثير حنينى ... حين آتيه أنشد السلوانا !
ورسالاتك الرقيقة أتلو ... ها ، فأنسى نفسى ، وأنسى الزمانا
فاذكرينى ، فلم يعدلى سوى الذكـ ... ـرى عزاء عما انطوى من هوانا

—

واذكرينى إذا طوانى الفناء ... كشعاع تضمه الظلماء
فرأيت الحياة تنسلُّ من جسـ ... ـمى ، كأفق ينسل منه الضياء
ورأيت السكون يرسب فى رو ... حى ، فلا نأمة ، ولا أصداء
وتذكرت ما مضى من حياتى ... وحياتى مدامع ودماء !
فبكت روحى الحزينة ، والدمـ ... ـع من الحزن سلوة وشفاء
هذه سنة الحياة : بكاء ... حين نأتى ! وحين نمضى بكاء !
آه من رهبة الفناء ، وإن كا ... ن حبيباً إلىّ هذا الفناء ؟
فاذكرينى إذا مضيت عن الدنـ ... ـيا وحيداً حتى يحين اللقاء

— —

وإذا جئت ياهوى أيامى ... من بلاد عطرية الأنسام
فاذهبي مرة إلى قبرى الثا ... وى بعيداً فى المنزل المترامى
والمسيه فى رقة وحنان ... إن فيه قلبى ، وفيه حطامى
وضعى زهرة عليه ، وفيها ... ألق من جبينك البسام
واسكبى دمعة عليه ، وفيها ... سر ما تكتمين من آلام
واقرئى شعرك الرقيق على قبـ ... ـرى ، فتهفو من الحنين عظامى
واسمعى شعرىَ المولّه تبكى ... فيه أشواق روحى المستهام
واعلمى أننى مضيت عن الدنـ ... ـيا ، وما نلت غايتى ومرامى
لم أنل منك ما يخدّر إحسا ... سى ، وما ذقت ما يبل أوامى
فقضيت الحياة أمعن فى الأحـ ... ـلام حتى فنيت فى الأحلام
وأغـذى الأيام بالوهم حتى ... صار عمرى وهما من الأوهام
فاذكرينى مدى الحياة محباً ... صادق الحب ، واذكرى أيامى

٤٠ ، ٣٣

ابراهيم محمد نجا

حرمان ...

للأستاذ عمر النص

أتكفر بى ياشباب المنى ... ... وقد وهبتك يداى الشباب ؟
طغت كبرياؤك حتى سدلت ... على ناظرىّ نقاب العذاب
تركت لك الزهو .. زهو الصبا ... وودعت تلك الأمانى الكذاب
على مقلتىّ يلوح الهباء ... وتخنى على كتفى الصعاب
وأخرست فى شفتى اللحون ... وأطبقت كفى فوق الرباب
وأقبلت أنثر بين يدى ... غبار الغدو ومحل الإياب ..!
وألفيتنى فى عباب الذهول ... أقلب طرفى خلال السحاب
أحدق على أمسىّ النيوب ... وأبصر ماذا وراء الحجاب . ؟!
وأهفو إلى حلم لا أراه ... ولكن ألامحه فى الضباب
يطوح بى فى شعاب الظنون ... وتقذف بى فى خضم العتاب
أفر له من لهاث الحنين ... وأهرب من وسوسات العقاب
نفرت إليه أريح الحشا ... فبعثرت فيه المنى والرغاب
فضاء نفضت عليه اليقين ... وضيعت فيه الظنون العذاب
طفقت أؤمل فيه الحياة ... فلم ألف غير البلى والخراب
وعدت إلى الوهم أسق الخيال ... فغص الخيال وجف الشراب
وكنت ازدريت السراب النوى ... فمن ذا يعيد إلىّ السراب ..؟!
تلاشى الشباب .. ولما يكن ... سوى ورقة فى الرياح الغضاب
عتى به اليبس قبل الينوع ... وألقت به الريح فوق التراب !

مشكلات الفلسفة :

فى الحـــرية

للأستاذ عبد الفتاح الديدى

تأخذ الحرية لدى الشبان معنى لا يمكن أن تعرفه ولا أن تتوصل إليه أذهان الشيوخ ، ويكون لهذه الكلمة من الوقع فى نفوس المقبلين على ميادين الحياة البكر أكثر مما يكون لها عند الذين أشرفت عهودهم على النهاية واقتربت أعمارهم من الختام . فالحرية لا يمكن أن تكون موضوع بحث أو مثار نزاع إلا فى الأطوار الأولى من حياة الأفراد ، حيث تسبغ البكارة غموضها على كل شىء ، وتبعث الطفولة أحلامها فى كل معنى ، وتقحم المثل الإنسانية تصاويرها من كل جانب . وإذا صح هذا كنا بإزاء نتيجتين : إحداهما أن الحرية تقترن بالجهل دائماً ، وثانيهما أن المادة هى العدو الأكبر لما تؤدى إليه الحرية من صنوف العمل وضروب الإنتاج .

ولتوضيح هاتين النظريتين ينبغى أن نبدأ فنؤكد تلك الصلة الوثيقة بين الجهل والحرية عن طريق ما يسمونه فى الفلسفة بالممكنات . أليست الممكنات أشياء مجهولة عند من يريد أن يضعها موضع البحث والتأمل ؟

نعم ، هى كذلك بلا مراء ما دمنا بعيدين عن دائرة الوجود الحقيقى ، وما دمنا مقتصرين على تدبر الاحتمالات النظرية بخصوص شأن من الشئون . وكان أرسطو فى الفلسفة القديمة يفرق بين الوجود بالقوة والوجود بالفعل على أساس أن الأول هو الشىء الذى لا يزال فى حكم العدم ، وإن راودنا الأمل فى وجوده بعد حين . أما الأشياء الموجودة بالفعل ، فهى تلك التى تقوم من حولنا والتى تظلنا بظلها وتثقل علينا بوطأتها وتعيش فى العالم الظاهر المحسوس . وهناك اختلاف كبير ينبغى أن نلاحظه بين العدم الخالص وبين الوجود بالقوة ؛ فهذا على الرغم من أنه غير موجود ، يقع فى دائرة الإمكان وينظر الإنسان إليه نظرته إلى شىء سيأتى به المستقبل على وجه من الوجوه .

أما العدم ، فهو حقيقة خالية من أنه مضمون ، ويستحيل أن يكون فى المستقبل بحال من الأحوال ، ولا يملك فى ذاته ما يعينه على أن يتحقق ، أى أن يكون شيئاً ما . وعين هذه التفرقة التى وضعها أرسطو هى التى ترددها اليوم فلسفة الوجود على وجه يختلف قليلاً من ناحية الاصطلاح اللفظى ولا يختلف كثيراً من ناحية المضمون المنوى .

فالفلسفة الوجودية والفلسفات الحديثة عموماً تضع كلمة الممكن فى مقابل الاصطلاح الأرسطى (الوجود بالقوة) ، وتضع كلمة الوجود للتعبير عما هو قائم فى حدود الأشياء الماثلة أو داخل ضمن الكائنات الحية وكل امتياز الممكن على العدم يتلخص فى قدرته على أن يكون ، وفى احتوائه على ما يمكن أن يهيئ له الحياة ، وفى شموله على المبر الذى يمكن أن ينقله إلى دائرة الوجود . ولما كان الأمر كذلك بالقياس إليه ، فقد صاحب الإنسان عند مواجهته شعور بالإبهام لا يستطيع أن يفسره إلا على أساس من جهله بهذا الشىء — أستغفر الله — بل بهذا اللاشىء . وكلما كان الإنسان فى عهد مبكر ، وكلما قلت تجاربه وضعفت خبرته كان أقرب إلى هذا الشعور بالجهل . فالوقوف بإزاء المجهول من شأنه أن يولد فى النفس إحساساً غريباً بتعدد الوجوه التى يمكن أن تتصور فيها الأشياء ، وبكثرة الخطط التى يمكن أن تؤدى إليها المسالك ، وبقوة الاحتمال فيما هو ممكن غامض . وإذا زاد الجهل بالإمكانيات إلى هذا الحد استشعر الإنسان بالحرية على نحو لا يمكن أن يخايل صاحب المبدأ فى المشاكل التى تعرض له ، أو صاحب المنهج فى المباحث التى يوقف نفسه عليها . فالمبادئ والمناهج لا تأتى إلا من كثرة التجارب ومن اعتياد المضى بالأمور على أنحاء محدودة . أما الجهل بما يترتب على فعل من الأفعال وعدم انتظار نوع بالذات من أنواع الموجودات عقب إتيان أمر من الأمور ، فمن شأنه أن يولد فى صدر الإنسان ضرباً من الحرية ، وطرازاً فى الاختيار يندر وقوعه فى غير هذه الظروف . فالجهل حليف من حلفاء الحرية لا يمكن إنكار أثره أو إهمال مفعوله عندما نحاول أن نقيم نظرية فى الاختيار على أساس نظرية فى الوجود

ونستطيع أن نثبت هذا الشعور بالحرية لدى الجاهل عن طريق الأمثلة : فالأديب الذى يجهل المراجع الهامة فى بحثه يكون

عادة أكثر حرية فى الكلام من الأديب الذى يستوعب كل ما يكون قد قيل أو كتب حول الموضوع الذى يختص به ؛ والسياسى المبتدئ يشمر للحرية برنين لا يمكن أن يطن فى أذن السياسى المحنك ... وقس على هذا المنوال بالنسبة إلى أى شخص فى موقف من هذا القبيل ، أو عند ما يواجه أمراً من الأمور لأول مرة . وليس عبثاً ما كان قد جاء على لسان اسبنوزا فى موضوع الحرية من أن الإنسان كلما ازداد علماً ازداد معرفة بالضرورة الحاصلة فى الوجود وبالحتمية الضاربة فى أنحاء الكون . وتقتصر الفائدة المرجوة من وراء الفلسفة والمعرفة الصحيحة فى أنها توقفه على قوانين الأشياء وتجعله قادراً بالتالى على متابعتها ومسايرتها .

وإذا كان من نعمة الجهل علينا أنه يجعلنا ننخدع عن أنفسنا ونحسب أن الحرية ملك أيدينا ، وأننا نفعل ما نشاء أن نفعله من غير أن تتدخل قوة فى الأرض أو فى السماء ، فمن بلوائه — فى مقابل هذا — أنه يملأ قلوبنا بالخوف ، وينشئ فى نفوسنا ضروباً من القلق ، ويبعث فى نفوسنا ألواناً من الجزع والهم . وذلك طبيعى ومعقول جداً إذا أنعمنا النظر فى الحقيقة الماثلة أمامنا وتبينا فيها ملامح الغموض والإبهام وعدم التعين . فالإنسان فى أمثال هذه المواقف يحس بالجزع حينما يواجه عالماً مستسراً غير معلوم لديه وليس داخلاً فى نطاق تجاربه الذاتية . ويمكن أن نشبه هذه الحالة بموقف رجل للمرة الأولى أمام الميزان الذى لا يعمل إلا بعد وضع قرش مثقوب فيه . إنه لا شك سيحس بنوع من الخوف على القرش طيلة الأمد الذى يسبق خروج التذكرة المكتوبة . أما الرجل المتحضر المجرب لمثل هذه الآلة مرات ومرات فلا دخل للجزع فى عمله هذا على الإطلاق ، ولا يكاد يحس بأى إشفاق على القرش وهو يلقى به من داخل الثقب .

كذلك الأمر بالنسبة إلى الفتى الذى يصوب عينيه نحو الزمن ، هو يفض بالممكنات عن طريق المستقبل الغامض المجهول . يمتلكه الذعر ويهزه الخوف على ذلك الشىء الخفى وهو قاب قوسين أو أدنى من العدم . إنه يشرف على حقيقة الوجود وهى فى طريقها أن تكون على نحو من الأنحاء لا يعلم مداه ولا يدرك منتهاه . حتى العلم الطبيعى الذى كان مجالا من مجالات الثبات واليقين قد فقد كل الصفات الحتمية والاطراد . فأصبح العالم غير متأكد من خلوص التجارب إلى نفس ما خلصت إليه فى الماضى على الرغم من توافر كل ما من شأنه أن يكفيها ويهيئها للحدوث على وجه واحد بالذات . فالإنسان عند ما يواجه تجربة من أى نوع لأول مرة يكون فى خوف من ألا تكون ؛ أو أن تكون ولكن على نحو غير الذى يؤمل فيه ويطمح إليه وقد تتغلب المعرفة أو التجارب الكثيرة على هذا الشعور بالخوف ولكنها لا تقضى عليه قضاء تاماً إلا بعد أن تتدخل العادة . وهى كما قلنا فى صدر هذا المقال عدو الحرية الأكبر .

فالعادة من شأنها أن تفسد دلالة الحرية من جانبين : جانب الآلية فى إتيان الأعمال وإصدار الحركات ، وجانب الشعور بالاطمئنان عند مواجهة المكنونات المستسرة فى ضمير الغيب . ويقول رافيسون فى كتابه عن العادة إنها توحى — كما توحى الأفعال الغريزية — بالجنوح إلى هدف مقصود من غير ما إرادة أو شعور . وهذا صحيح من ناحية كونه دليلا على خلو العادة من الإحساس أو من البطانة الوجدانية كما يقول علماء النفس . فيصعب أن تقول بوجود أى نوع من أنواع المخاوف وأى ضرب من ضروب المنازع عند أداء الأفعال التعودية . وبناء على ذلك تمحى كل حرية وتزول كل إرادة وتختفى مشابه الاختيار الذاتى ، فهذه كلها لا تتوفر إلا حينما كان الإنسان قادراً على الانفعال لها والاهتمام بشأنها والتوتر من أجلها .

والحرية من شأنها أن تبعث فى الإنسان ألواناً من الخوف والفزع ، لسبب بسيط وهو أنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بوجوده ومعاشه . فيكفى أن تتصور أنك أنت صاحب الأمر والنهى فى إعداد حياتك وفى تقرير مصيرك وفى تكييف أقدارك حتى تنفجر فى رأسك عيون الخوف ، وحتى تثور فى صدرك عوامل الرعب ، وحتى تنتاب جسمك عوارض الحمى ... فأنا مثلاً أقرر مصيرى — ككاتب — على هذه الورقة البسيطة البيضاء تحت عينى وأضع لنفسى قيوداً من الرأى لا أستطيع الفكاك منها حين يأتى المستقبل . وانظر على هذا النحو فى حياة الناس وتأمل

أفعالهم على ضوء كل من المادة والحرية فتجد أن الأفعال الحرة وحدها هي التي يوازيها على طول الامتداد شعور بالقلق ويحس صاحبها بأنه يأتيها لأول مرة . وذلك لأنها مشدودة إلى كيانه شداً بحيث لا يملك في النهاية إلا أن يخضع لها وأن يكون مأسوراً بها .

والحق أن الأفعال الحرة الواعية لا يزاملها الشعور بالقلق وحده ، وإنما يرافقها أيضاً — إلى جانب هذا — إحساس خفي بالهم . ولنضرب لهذا مثلاً بواحد من الناس الذين يملكون الوقت من أجل الذهاب إلى المسرح أو التنزه في الخلاء أو البقاء في البيت أو القيام بزيارة صديق . ولنفرض مقدماً أن هذا الشخص هو بعض الذين يهمهم الوقت ويحسون بعامل الزمن إحساساً قوياً في معاشهم بحيث يضطربون لإنقضائه حينما يمضي هباء . سيضطر أولاً إلى عملية الاختيار ، وهي عملية قد تكون مهلة عند الإنسان العادي بحكم انصرافه عن التفكير أو بحكم تركه للأمور في أيدي المقادير . أما الشخص الحر الواعي فسيضع أساساً للاختيار وسيعرف في قرارة نفسه بأن ثلاث ساعات متصلة ستضيع من عمره ومن حياته في هذا الفعل البسيط وأنه أقمن به أن يستفيد من بقائه على الأرض على أفضل وجه ممكن . ولا شك أن وجوده بأكمله ينقسم إلى جزئيات من هذا القبيل فعنايته بساعة من عمره تضارع عنايته بكل هذه الساعات التي يقضيها على وجه البسيطة . والعالم الخارجي من شأنه أن يقدم إليه الإمكانيات حتى يبذل من لدنه ما يحيلها إلى وجود ، ويصرف من طاقته الخاصة ما يمنحها من جودها ويبث فيها الحياة ... قد تكون المجالات محدودة أمامه ، وقد تكون الإمكانيات معدودة عليه ؛ ولكنها مع هذا كله تدع له فرصة للاختيار ؛ وفي الاختيار وحده ينحصر وجوده ويتحدد معاشه .

فهناك أنواع كثيرة من الوسائل التي تقدم للانسان متعاً تلذه ومباهج تريحه وأدوات لتثقيف الذوق وتهذيب الروح . قد تكون هذه الوسائل محدودة في المجتمع الذي نعيش فيه ، ولكننا مع ذلك نحكم رأينا ونعلي فرديتنا عليها بعملية من الاختيار الواعي ؛ وكلما زدنا جهلاً بالمجالات التي يتيحها لنا المجتمع ارتفعت قيمة الحرية وازداد قدرها . فلو أنني مثلاً لا أعرف غير أربعة وسائل من وسائل التسلية ومن أنواع الملاهي في القاهرة لكان اختياري بنسبة (١ : ٤) أي أن حريتي حينئذ تساوي الربع . أما إذ كنت أعرف اثنتين فحسب كانت النسبة (١ : ٢) أي أن حريتي آنئذ تساوي النصف .

وهكذا يحدث عندي الشعور بالقلق من ناحية الاختيار ، أما الهم فيتولد عندي إحساس به وأشعر كأنما يثقل على صدري من جراء الأسف على ضياع الإمكانيات الأخرى عندما أحدد رغبتي وأثبت إرادتي على شيء بالذات . فأنا مثلاً عندما أذهب إلى المسرح أحس بالهم من جراء طمعي في أن أحصل على أقصى ما يمكن أن تهبني إياه الحياة . ونتيجة لشهوتي في إحتلاب كل ثانية تمر بي واعتصار كل لحظة تمضي على وأنا حي أرزق . ولذلك تراني في المسرح مهموماً من أجل تلك الإمكانيات الأخرى (التنزه في الخلاء — البقاء في البيت — زيارة الصديق) التي قتلتها بيدي وأعد منها بمحض إرادتي مع أنها قد تكون أعود على بالخير من كل ما أنا فيه من استمتاع أو حبور ... ولكن يكفي بعد هذا أن أحس بأنني قد اخترت وأنا حر من كل قيد ، وأن مسئولية هذ الاختيار تقع على عاتقي وأن كل شر يأتي عن إرادة أفضل بمئات المرات من أسعد الأوقات التي يمضيها الإنسان عن غير رغبة : أقول يكفي هذا كيما أطامن في نفسي من شدة الشعور بالحسرة وأواجه الحياة بقوة وجلد .

وهكذا تقترن الحرية بنوع من المثالية الخالصة ومن الفدائية العصماء فتكسب وجودنا ألواناً من البهجة الخالية من الزيف والبريق ، وتسبغ على حياتنا غير قليل من الصراحة وتشعرنا في قرارة أنفسنا أننا في بؤس ولكن عن إرادة ، وفي حزن ولكن عن إرادة ، وفي هم ولكن باختيارنا ، وفي حزن ولكن برغبتنا . وهكذا نحن نحمي أنفسنا من مرارة الحياة ونرضي غرور الإنسان القوي منا والضعيف .

عبد الفتاح الديدي

سيكولوجية الجنس (*)

للأستاذ محمد محمد على

السيكولوجيا أو علم النفس هو العلم الذى يدرس سلوك العقل أو الشعور . وبالطبع ليس للجنس sex عقل ولا شعور ولكن عندما نتكلم عن سيكولوجية الجنس إنما نعنى دراسة ذلك الجزء من العقل الذى يتأثر بالحياة الجنسية . وفى أواخر القرن الماضى ظهر فرويد بنظرياته — التى أذهلت العالم ، والتى ترى معظمها أن العقل ليس هو الشعور ، ولكنه خليط أو جمع بين الشعور واللاشعور . ومنذ ذلك الحين ، حاول المربون وعلماء النفس ، الكشف عن المكان الحقيقى للجنس فى ذلك الخليط . وكلنا سيكولوجيون ؛ على الأقل على طريقة الرجل الذى يتكلم النثر طول حياته من غير أن يعرفه ! فإذا قلنا لأحد شيئاً ، فإننا نعرف ماذا يجيب ، وذلك باستخدام معلوماتنا عن علم النفس فمثلا إذا سألنا أحداً فى يوم مطير : « جو مخيف ! أليس كذلك ؟ نعرف أن الإجابة غالباً ماتتفق وسؤالنا .

وقد تساءل علماء النفس عن مكانة الجنس فى النمو العقلى . وليس هناك من يجيب إجابة صحيحة . فقد ذهب بعض أتباع فرويد ، وقرروا أن الحياة الجنسية تتحكم فى نمو الفرد العقلى .

إن الغريزة الجنسية ترمى إلى استمرار النوع ، فهى تأتى بعد المحافظة على النفس التى تضم كل الغرائز . وفى ظل المدنية لا بد من السيطرة على الغرائز . وبسبب هذه السيطرة ، نسمو بالغريزة الجنسية ، فنقول مثلا فى المناسبات : السيدات والأطفال أولا . وبسببها أيضاً أمسك الناس عن ذكر المسائل الجنسية إلا فى غرفة النوم . وظهر الخجل عند تعليمها . وهذه السيطرة هى مايسميها علماء النفس : كبت الغرائز . ويرجع كثير من الناس بالجنس إلى وراء ، فيتجنبون ما يشغل جزءاً كبيراً من حياتهم . يحاولون أن ينسوه . وإذا رزقوا أطفالاً لم يعلموهم شيئاً عن الأمور الجنسية ، فلو سألهم أطفالهم مايسمى بالأسئلة المخجلة — وهى الأسئلة التى يوجهها الأطفال عادة إلى آبائهم — فإن الآباء يحاولون إسكاتهم ويخبرونهم كذبا !

إن الكبت الشديد يجلب التأخر والهبوط ، وهو مرض خطير ، يختلف عن ضبط النفس الذى هو مواجهة شريفة شعورية للواقع ، وليس هذا بالأمر السهل ، إنما يخلو من الصراع بين الدوافع البيولوجية والعقلية . وضبط النسل كبت للغريزة الجنسية الطبيعية ، لأن له نفس الأثر فى تحديد السكان ، كطريقة الحيوان فى بقاء الأصلح . وفى الحق إن ضبط النسل الحديث ليس فيه شىء من « بقاء الأصلح » إنما يضمن حياة الأسر المحدودة ؛ فكل أعضاء الأسر الصغيرة لديهم الفرصة ليكونوا « صالحين » لأنهم ينالون نفس العناية والغذاء كما لو كانوا موزعين فى أسر أكبر .

قلنا ان الغريزة الجنسية تتلو غريزة المحافظة على النوع . فالشعور بالجوع ، دافع قوى غريزى للمحافظة على النفس ، ولكن الغرائز فى حاجة إلى كبت — إلى حد مخصوص — ، وإلا فإن الفرد يصبح نهماً أو مجنوناً جنسياً ، مما يؤدى به إلى مخفر الشرطة أو مستشفى الأمراض العقلية .

إن مشكلة الحب قد راقت كثيرين من علماء النفس . فقد كان معتقداً أن الحب والكراهية ضدان . ولكن تعاليم فرويد دلت على أن لاتعارض بينهما . وما الكراهية إلا جزء من الحب . وليس هناك حب خال من شىء من الكراهية وشىء من العواطف الأخرى ، التى تكون فى مجموعها الحب .

ومن الثابت أن الشعور الجنسى فينا جميعاً يختلف تبعاً للوقت . ولكنه لم يثبت كيف يختلف التأثير الجنسى فى حياة الفرد اليومية . فليست غريزتنا الجنسية وغرائز جيراننا ، هى التى تؤثر فينا فحسب ، بل إن أولئك الذين لم نرهم يمكن أن يغيروا حياتنا . فالشذوذ الجنسى — فى رجل مثل هتلر — قد أثر فى حياته ، وبالتالى فى العالم أجمع .

ولما درس علم النفس كعلم ، بدأ الناس يعرفون الدور الحيوى الذى يقوم به الجنس فى حياة الفرد اليومية ، وتنبه الباحثون إلى مسألة لها من الأهمية مثلما لدور الجنس فى الحياة ؛ وهى . كيف تؤثر ظروف الحياة فى الغريزة الجنسية ؟ نحن نعلم أن الشخص

(*) تلخيص من كتابى : Sex problems and youth, &The technique of sex

الجائع — بصرف النظر عن حاجتـه للاشباع الجنسى — يهتم بمعدته أولا . ولـكن ماذا عن الأم ؟ لئن كانت الأم جائعة ، فان شعورها وغريزتها تدفعانها إلى إطعام أطفالها قبـل نفسها . ولقد قيل إن غريزة الأمومة جزء من الغريزة الجنسية . وإذا جمع الحب الخالص بين شخصين فإن شعورهما نحو بعضهما يمكن أن يظل ثابتاً أمام تيار الحظ السيء . كمثل الزوجين ، يتحمل كل منهما صاحبه فى السراء والضراء . ولـكن حيثما كان النمو الجنسى لأحد الطرفين أو كليهما ليس من هذا القبيل ، فان تغييراً طفيفاً فى الحظوظ ، كفيل بانفصال الشريكين .

وإذا تحاب اثنان فانهما يتصوران أن لا شيء يشغل بالهما سوى الأفكار الجنسية . كم مليون من الرجال يرتكبون خطايا طيلة يومهم ، ثم ينسونها وهم فى صحبة امرأة فى المساء ! إن كل شيء ينسى فى نشوة اللذة الجنسية . يحسب الرفيقان أن الناس قد غفلوا عنهما ولكن نقر الباب أو صوت التليفون قمين بأن يرجع بهما سريعاً إلى تعقل ماحولهما ومعرفته ! ويتساءل بعض الناس : لئن كانت الحياة الجنسية عاملا فعالا فى النمو العقلى ، فلماذا يجتاحنا النشاط الجنسى بقـوة عارمة فى غالب الأحيان ؟ الجواب هو أن هذا الاجتياح ضرورى لإزالة العقبات التى تقف فى سبيل هـذا النشاط ، كالخطايا اليومية .

ويحلو للكثيرين أن يقرروا أن ذوى الاسترخاء الجنسى impotents بمولدهم فى حل من الوقوع تحت السيطرة الجنسية . ولـكن هذا لايحدث فهم قد ولدوا نتيجة للجنس ، ثم إن علاقتهم بالآخرين تتحكم فيها عقول هؤلاء . فبطريق غير مباشر يتأثرون بالحياة الجنسية .

يختلف الناس فى تأثرهم بالغريزة الجنسية ، فنهم العاطفى ومنهم من يقال عنه إنه : بارد . وبعضهم ذو مثلية[1] جنسية ، والبعض الآخر يكره المرأة misogynst وقد جادت قريحة أحـد العلماء بنظرية خطيرة ، هى نظرية الثنائية الجنسية bisexualjty ، التى تقرر أن الإنسان يولد وفيه شعور أو ميل جنسى نحو الجنسين .

وفى الفرد العادى يكون الشعور نحو الجنس الآخر متغلباً ، إنما لا يختفى الشعـور الجنسى نحو نفس الجنس ! ومن السهل أن نتصور بالعقل تلك الحقيقة الواقعة فى الجسم . فلـكل رجل نديان ، وهما — قبل كل شيء — أعضاء تناسلية ثانوية للأنثى والأفراد العاديون هم الذين لهم أصدقاء من كلا الجنسين . أما عند غير العاديين ، فان التوازن يختل ، إما لأنهم ولدوا كذلك ، أو لأن ظروفاً خارجية أوجدتهم فى حالتهم هذه .

إن الوضع الاقتصادى — وهو جزء من مدنيتنا — منظم ليجعل الظروف المحيطة بجماعـة ، تختلف عن الظروف المحيطة بجماعة أخرى . وتأثير الوضع الاقتصادى على الحياة الجنسية لبعض الفتيات ، يظهر بوضـوح فى عقول المومسات اللائى جعلن الغريزة الجنسية تساعد غريزة المحافظة على النفس ، وتصبح تحت سيطرتها . عندهن أن البغاء هو الطريق الوحيد للارتزاق . على أنه يمكن أن نميز بينهن متزوجات !

وبوجود الصراع المستمر فى عقولنا ، يصعب علينا أن ندخل السرور إلى نفوسنا . ومثل هذا الصراع يوجد في عقول الذين هم فى حاجة إلى الإشباع الجنسى ، أو الذين يجهدون أنفسهم جنسياً أكثر مما يتحملون . ويلاحظ بوجه عام الذين يعيشون عيشة رغدة ناجحة ، تكون حياتهم التناسلية لا غبارعليها ، ومن تكون حياتهم التناسلية طبيعية ، ينجحون فى حياتهم الاجتماعية .

إن علم النفس لا يزال فى المهد ، وقد علمنا الشيء الـكثير عن خطايا الناس وأثرها فى حيـاتهم . كما عمل ولا يزال يعمل — على إدخال السرور فى قلوب الناس . إنه يحررنا من كثير من أنواع الـكبت التى كنا نراها ضرورية ، ثم يتبين لنا اليوم أنها تضايقنا . وأخيراً هو المسئول عن حركة التثقيف الجنسى .

محمد محمد على

(١) Homosexuality أى العلاقة الجنسية بين فردين من جنس واحد ، بين ذكرين أو أنثيين : وهى جزء من الشذوذ الجنسى الذى هو أعم : sexual abnormality.

باحثة البـــادية

لمناسبة ذكراها الثانية والثلاثين

للأستاذ عبد الجواد سليمان

أول ما توحى به إلينا ذكرى باحثة البادية (ملك حفنى ناصف) من معان وعبر ، إنما هو النهضة النسائية فى مصر فى معناها الوطنى الصادق .

فلقد كانت رحمها الله ، أول فتاة مصرية حصلت على الشهادة الابتدائية سنة ١٩٠٠ وعمرها إذ ذاك لا يتجاوز الثالثة عشرة ، ثم انتقلت إلى القسم العالى بالمدرسة السنية ، وحصلت على شهادته العالية ، وعملت مدرسة بالمدارس الأميرية .

لقد كانت باحثة البادية مثالاً صادقاً ونموذجاً كاملاً للفتاة المصرية فى طباعها ووطنيتها ؛ فالظرف المصرى أصيل فى طبعها ، إذ كان يتمثل فى كتابتها وفى نكتها اللاذعة التى تسعفها بها بديهتها الحاضرة وسرعة خاطرها ، والتى يزينها تهكم لامرارة فيه فى مثل قولها « فما أقدر زوج الضرتين على التفنن ، ولو أنصفوا لعينوا زوج كل اثنتين سياسياً أو ناظراً للمستعمرات ؛ ولكن الذى يؤسف له أنا ليس لنا مستعمرات » وفى مثل قولها (يقول لنا الرجال ويجزمون : إنكن خلقتن للبيت ، ونحن خلقنا لجلب المعاش ، فليت شعرى أى فرمان صدر بذلك من عند الله ؟ إنهم لو أنصفوا ولم يتحزبوا ، لما عيرونا بأنا قليلات النبوغ ، وأنه لم يسمع بأن إحدانا غيرت قاعدة فى الحساب والهندسة مثلاً ، وليتفضل أحدهم بإخبارنا عما استنبطه من تلك القواعد ، فنحن نعترف لرجال الاختراع والاكتشاف بعظيم أعمالهم ، ولكنى لو كنت ركبت المركب مع (خريستوف كلومب) لما تعذر على أنا أيضاً أن أكتشف أمريكا .

أما وطنيتها فتتمثل فى حبها لكل ما هو مصرى ورفضها أن تأخذ من مدنية الغرب إلا ما هو ضرورى ، وبشرط أن يصبغ بالصبغة المصرية ويطبع بطابعها . كقولها : « ما أحلى السمرة الجاذبة ، لو فهمنا معناها ، إنها جميلة لأنها مصرية ، ولو لم يكن فيها غير المصرية والطبيعة لكفى » .

وكقولها : « إذا أردنا أن نكون أمة بالمعنى الصحيح تحتم علينا ألا نقتبس من المدنية الأوربية إلا الضرورى النافع بعد تمصيره حتى يكون ملائماً لعاداتنا وطبيعة بلادنا ، نقتبس منها العلم والنشاط والثبات وحب العمل ، نقتبس منها أساليب التعليم والتربية .. وإنما لا يجوز فى عرف الشرف والاستقلال أن نندمج فى الغرب فنقضى على ما بقى لنا من القوة الضعيفة أمام قوته المكتسحة الهائلة » .

لقد تأثرت باحثة البادية ببيئتها تأثراً بعيداً فتخرجت كاتبة وشاعرة وناقدة وخطيبة ومصلحة ؛ فأبوها المرحوم (حفنى بك ناصف) العالم اللغوى والكاتب الضليع والشاعر الفكه كبير مفتشى اللغة العربية بمصر ، وزوجها العربى الصميم المرحوم (عبد الستار بك الباسل) من بيت مجد أثيل وحسب عربى عريق وهو من وجهاء قبيلة الرماح بالفيوم .

وقد دبجت براعتها كثيراً من المقالات البليغة والبحوث العميقة والرسائل الممتعة التى امتازت بالسلاسة والوضوح والتى خصت بها صحيفتى : (المؤيد) و(المحروسة) ، وحسبها دليلاً على بلاغتها ، أن يشهد لها أمراء البيان فى مصر ، من هؤلاء أحمد لطفى السيد باشا بقوله فيها (أما انتقاد رسائلها من جهة صناعة الكتابة فحسبى أن أقرر من غير محاباة أنها أكتب سيدة قرأنا كتاباتها فى عصرنا الحاضر) .

والشيخ عبد الكريم سلمان بقوله (إنى رأيت فى كتابة هذه السيدة حدة فى بعض الموضوعات ، وكأنها معذورة فى حدتها لامتلاك الموضوع نفسها وحواسها » وأحمد زكى باشا بقوله (إنها أعادت لنا ذلك العصر الذهبى الذى كانت فيه ذوات المصائب يناضلن أرباب العمائم فى ميدانى الكتابة والخطابة) .

وحافظ بك إبراهيم بقوله :

لله درك إن نثرت ودر حفنى إن نثر

ولقد توفرت لها شروط النقد من سلامة الفطرة وقوة الملاحظة وسعة الاطلاع ، فكان نقدها ينصب على المجتمع المصرى الذى ظلم المرأة وسلبها حقوقها من قولها فى ذلك (المرأة المصرية مسلوبة الحق مظلومة فى كل أدوار حياتها ، نراها يتشاءم منها

حتى وهى جنين ، فإذا ظهرت مولودة تستقبلها الجباه مقطبة والصدور منقبضة والثغور صامتة) .

وقولها فى استبداد الرجال بالنساء : (بعض النساء يهددن بالفراق إذا لم يعطين أزواجهن ما يطلبون ، ويذكر لهن الزواج إرهاباً ، فأى الأمرين تختار الزوجة البائسة ؟ المرأة مظلومة دائماً ، إذا كانت فقيرة لا يرغب فيها ، وإن كانت وارثة يطمع فى مالها ، والوارثة مظلومة أيضاً ، فإما ألا تتزوج لتأمن الطمع والطامعين ، وإما أن تتزوج على غير بصيرة كعادتنا) .

وقولها ساخطة على سياسة بعض الآباء (لا أحب الرجل يتكبر على أهله وأولاده فيظهر لهم بمظهر الجبار العنيف ويظن أن ذلك استجلاب للهيبة وهو لا يعلم بما يشعرون ، وهذا التجبر من جانب الأب يضعف الأخلاق فى الطفل ويفسدها إذ يربى فيه الجبن والذل ثم الاستبداد متى كبر) .

والإصلاح عادة وليد النقد ، وباحثة البادية قد حاولت الاصلاح عن طريق النقد ، فرأيناها تنادى بالمساواة بين الرجل والمرأة بقلبها ولسانها ؛ فمن خطبها فى نادى حزب الأمة (والأوفق أن نسعى للوفاق جهدنا ونزيل سوء التفاهم والتحزب لنحل بدلها الثقة والإنصاف ولنبحث أولاً فى نقط الخلاف) .

أما شعرها فهو عصارة روحها وذوب نفسها ، إذ تغلب عليه خفة الروح تارة والتهكم الشديد تارة أخرى ؛ هذا إلى بعده عن التعقيد وذخره بالمعانى ودلالته على نضوج الفكر ، ومنه فى رثاء عائشة التيمورية :

ألا يا موت ويحك لم تراع حقوقاً للطروس ولا اليراع
تركت الكتب باكية بكاء يشيب الطفل فى عهد الرضاع
فذب يا قلب لا تك فى جمود وزد يا دمع لا تك فى امتناع
سنبقى بعد عائشة حيارى كسرب فى الفلاة بغير راع

ومنه فى الفتاة :

إن الفتاة حديقة وحياؤها كالماء موقوفاً عليه بقاؤها
بفروعها تجرى الحياة فتكتسى حللا يروق الناظرين رواؤها
لا خير فى حسن الفتاة وعلمها إن كان فى غير الصلاح رضاؤها
فجمالها وقف عليها إنما للناس فيها دينها ووفاؤها

وفى الفتاة تقول :

مجد الفتاة مقامها فى البيت لا فى المعمل
والمرء يعمل فى الحقو ل وعرسه فى المنزل

ومن قولها فى السفور والحجاب ترد على شوقى بك :

أما السفور فحكمه فى الشرع ليس بمعضل
ذهب الأئمة فيه بين محرم ومحلل
ويجوز بالإجماع منهم عند قصد تأهل
ليس النقاب هو الحجا ب فقصرى أو طولى
فإذا جهلت الفرق بينهما فدونك فاسألى
لا أبتغى غير الفضيلة للنساء فأجملى

التحقت باحثة البادية بالرفيق الأعلى ليلة الخميس الموافق ١٧ من أكتوبر سنة ١٩١٨ بعد أن أدت رسالتها أحسن الأداء ، وقدمت للمرأة المصرية أجل الخدمات ، ومهدت السبيل لمن أتين بعدها فسرن فى طريق معبدة ، ونلن بعض ما لهن من حقوق فى الحياة الاجتماعية ، فمن حقها عليهن أن يخلدن ذكراها ولو بالاكتتاب فى مشروع نسوى نافع باسمها أو إحياء آثارها الأدبية ...

عبد الجواد سليمان
المدرس بمصلحات سوهاج

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الوساطة في التعليم :

لا شك أن الأزمة القائمة في قبول الطلاب بالمدارس ومعاهد التعليم المختلفة ، يعاني كثير من الناس شرها ، ويلاقون فيها الضيق والعنت ، ولا تقتصر الآفة على مظاهرها القريبة البادية ، فإن لها آثاراً بعيدة غير هذه المظاهر . إن الوالد اللهيف الحريص تعليم ولده لايدخر وسعاً في رجاء أصدقائه ومن يلوذ بهم من ذوي النفوذ في القبول بالمدارس ، من كبير في الوزارة أو ناظر أو ناظرة أو مدرس أو مدرسة ، أو من يتذرع بهم إلى هؤلاء — هذا الوالد ، وهو مثل من كثير ، يعدُّ الأزمة منتهية بقبول ولده في المدرسة أو الكلية ، ولكن هناك أثراً بعيداً غائراً في نفس الولد ، فقد قر عنده أن « كل شيء بالواسطة » حتى دخول المدارس . سينسى متاعب أبيه في سبيل إدخاله المدرسة ، ومابذله في هذا السبيل من وقت وجهد كان عمله في حاجة إليهما ، وما عساه أن يكون قد شعر به من الحرج في رجاء الناس ؛ ولكنه لن ينسى أن « الواسطة » مفتاح الباب المغلق ولو كان باب العلم .

ويا لحسرة الواقفين وراء الأسوار والأبواب .. إنهم هم أيضاً تتفتح أعينهم على أن « كل شيء بالواسطة » فهم يندبون حظهم لأنهم لا وسيط لهم .. حتى من لاتنفع في حالته الوساطة لو تيسرت كمن كبرت سنه وكثر رسوبه ، إن هذا أيضاً يدعي أنه محروم لفقدان الوسيط . .

وما بال هذا الذي تتحقق في ولده شروط القبول وتتوافر له أسباب الأولوية ، من ملاءمة السن وتقدم في النجاح ونحو ذلك ، ما باله يهرع إلى من يوصي بولده ؟ إنه يعيش في الجو ... ويخيل إليه أن الوساطة أول الشروط ! وهناك كثير من الناس يرون في اتخاذ الوساطة مظهراً للوجاهة ودلالة على علو المكانة ، فالقصد عندهم هين في ذاته جليل بجلالة الوسيط ...

وهكذا يتفتح الجيل الناشئ الغض على منظر هذا الداء ، فيألفه ويتصوره أمراً عادياً ليس فيه من عوج ولا أمت . وقد تلقى عليهم في بعض الدروس أشياء عن الحقوق والواجبات والعدالة والمساواة وما إلى ذلك ، فيأخذونه على أنه كلام ينفع في الامتحان أما الحياة الواقعة فقد رأوا فيها بأعينهم « تطبيقات » على غير ذلك

وبعد فذلك وجه من وجوه أزمة القبول في دور العلم ، وهو من أوجهها الخفية البعيدة ، وما أرى للداء دواء غير أن يقتلع من جذوره بتيسير العلم لطلابه وتعليم الراغبين في التعليم ؛ وإنه لمن تضييع الفوائد أن يهمل هذا الإقبال الشديد الدال على شدة الرغبة والتعطش دون انتهازه للقضاء على الجهل والأمية ، ومن الحق أن نصد الصغار عن التعليم لنكافح الجهل والأمية فيهم كباراً .

إلى معالي وزير المعارف :

كتب إليَّ أحد إخواننا المدرسين يقول إنه حرر (الاستمارة) التي اعتاد أن يكتبها في أول كل عام دراسي ، لطلب تعليم أولاده بمصروفات مخفضة ، وله ثلاثة أولاد في روضة الأطفال ، فردت منطقة القاهرة الشمالية (الاستمارة) بعد أن كتبت عليها : « معاد إلى حضرة الأستاذ ... للعلم بأن قرار مجلس الوزراء بتاريخ ٢٣ / ١ / ٤٩ لا يعطي الحق في التماسه هذا إذ أن الإعفاء من المصروفات للمدرسين لاينصب إلا على التلاميذ المقيدين بالمدارس الثانوية وما في حكمها . مع قبول الاحترام »

ومعنى ذلك حرمان المدرس المنحة التي كانت تجري عليها الوزارة في معاملة أولاد المدرسين برياض الأطفال ، والتي تقضي بأن يكون الولد الأول بمصروفات كاملة وأن يعفى الأربعة الذين يلونه من نصف المصروفات ثم يعفى من يلي هؤلاء إعفاء كاملاً . فكيف أقدمت وزارة المعارف على ذلك وهي التي تعمل على التخفيف عن المدرسين في نفقات أولادهم المدرسية ؟

علمت أن الوزارة أصدرت منشوراً يتضمن الأمر بإبطال العمل السابق ، والاكتفاء بتطبيق قرار مجلس الوزراء الصادر في ٢٣ /١ /٤٩ وهو يقضي بإعفاء أولاد المدرسين من مصروفات التعليم الثانوي وما في مستواه لمن يثبت منهم أنه يدفع مصروفات

مدرسية لطالب واحد فى مرحلة تعليمية غير المرحلة الأولى .

والذى يستوقف النظر أن هذا « المنشور » بنى على أساس أن القرار الأخير أعم وأوسع فى مزاياه من القرار الأول وأكثر منه تيسيراً وتمكيناً لرجال التعليم من تعليم أبنائهم دون إرهاق !! فكيف يصدق هذا بالنسبة إلى ذوى الأطفال الذين يتعلمون فى الرياض ! لقد سلبوا ما كانوا يتمتعون به فيما مضى ، ولم يجدهم القرار الأخير شيئاً !

وبعد فإلى معالى وزير المعارف الجديد محمد حسن العشماوى باشا يساق الحديث ، وهو زعيم الإصلاح الاجتماعى ورجل قضاء وعدل ، ولا أشك فى أنه سيعيد الأمر ما هو جدير به من عناية المصلح العادل واهتمامه ، تقديراً لما يقوم به المعلمون من جهود فى أداء الرسالة التعليمية .

أعظم ما كتب يوسف وهبي :

افتتحت الفرقة المصرية موسمها الحالى فى الأوبرا الملكية برواية « اليوم خمر » ثم مثلت بعدها رواية « ابن الحسب والنسب » فكان ابتداء حسناً يلائم رسالة الفرقة فى ترقية التمثيل العربى .

ثم قدمت الفرقة أخيراً رواية « الصحراء » وقالوا فى الإعلان عنها إنها « أعظم ما كتب يوسف وهبى » وهى من روايات مسرح رمسيس القديمة التى ألفها يوسف وهبى ، أو هى أعظمها كما قالوا . وتقع حوادثها فى طرابلس الغرب حيث يجرى الكفاح بين الإيطاليين وعرب المغرب ، وقد وضعت الرواية ومثلت بين الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية ، فكان زمنها بطبيعة الحال إبان الحرب الأولى ، ولكنا شاهدناها تمثل الآن على أن زمنها فى الحرب الثانية ، فقد سمعنا أبطالها يرددون كلمات « الدوتشى وموسيلينى ورومبل » ولكن العجيب أنهم يتناقلون ما وقع لعمر المختار على أنه حاصل فى وقت وقوع هذه الحوادث أى فى الحرب العالمية الثانية ، فهذا خلط تاريخى كان الالتفات إليه وعدم الوقوع فيه من أيسر الأشياء ثم إن الحروب بين الإيطاليين وعرب المغرب إنما كانت ملابسة للحرب الأولى وبعدها ، فكانت فظائع المستعمرين واستبسال المغاربة فى مقاومتهم حديث الناس أيام مثلت هذه الرواية بمسرح رمسيس ، أما فى الحرب الثانية وبعدها فلم يكن شىء من ذلك .

كشكول الأسبوع

□ وصل إلى الأسكندرية يوم السبت الماضى عميد الأدباء الدكتور طه حسين بك عائداً من أوربا ، وقد كتب إلى « الأهرام » عقب وصوله ما يلى : « لم أكد أصل إلى الأسكندرية حتى أنبئت أن مجلة « القصة » التى تصدر عن دار النداء تنشر لى مقالات وتتخذ اسمى وسيلة إلى الإعلان ؛ فآسف أشد الأسف لأنى لم أستأذن فى شىء من ذلك ولم آذن به ، وسأتخذ ما يقتضيه ذلك من إجراء » ورد رئيس تحرير المجلة بأن دار النداء دفعت ثمن القصص التى نشرت . وقد علمت أن هذا الثمن دفع لقاء نشر القصص بالنداء ، أما تكرار نشرها بمجلة القصة فشىء آخر .

□ تلقى « صاحب الكشكول » من الأستاذ عبده حسن الزيات المحامى رسالة يقول فيها إنه قرأ فى الكشكول اسم « محمد عبده حسن الزيات » ضمن الأساتذة الذين تألفت منهم لجنة ديوان ابن الرومى ، وشاء تواضع الأستاذ الكبير وظرفه أن يدفع مظنة كونه المقصود كى لا يوجه نقد إلى وزارة المعارف ... والواقع أن المقصود فى عضوية اللجنة هو الدكتور محمد حسن الزيات المدرس فى كلية الآداب بجامعة فاروق ، وهو شقيق الأستاذ العلم عبده حسن الزيات .

□ أعلنت الأكاديمية السويدية أن جائزة نوبل للأدب لن تمنح هذا العام لأحد ، إذ لم يحصل أى واحد من المرشحين على أكثرية الأصوات اللازمة لنيل الجائزة

□ رقى إلى الدرجة الرابعة الأستاذ كامل محمود حبيب « مصور الحياة » فى الرسالة . وهو وكيل إدارة التسجيل الثقافى بوزارة المعارف . ولا شك أنه جدير بتهنئة قرائه ، أما نحن فنهنئ أنفسنا

□ نعى الأستاذ التابعى فى « آخر ساعة » على أدبائنا الذين يتسابقون إلى الكتابة فى ذكريات أدباء الغرب وفنانيه دون أن يهتموا بذكرى أديب أو موسيقى عربى ، قديم أو حديث . وعزا الأستاذ ذلك إلى مركب النقص الذى يحمل هؤلاء على التظاهر والادعاء بأنهم ضلعاء فى أدب الغرب .

□ كتبت مجلة الإذاعة المصرية فى عددها الأخير ما يلى : « قدم حضرة صاحب العزة الدكتور محمد صلاح الدين بك عرضاً وتحليلا لقصة (الحسب والنسب) التى ألفها الكاتب الروائى محمود بك تيمور ! » وهى تقصد مسرحية « ابن الحسب والنسب » المترجمة عن الفرنسية التى مثلتها الفرقة المصرية أخيراً ... فكيف ألفها تيمور بك يا جهابذة الإذاعة ... ؟

□ تم يوم الخميس الماضى عقد الاتفاقية الثقافية بين مصر والولايات المتحدة ، وهى تقضى بأن تنشىء الولايات المتحدة فى مصر إدارة ثقافية لتنظيم البرنامج الثقافى بين البلدين

□ اعتزمت الفرقة المصرية أن تقوم برحلة تمثيلية ، بعد انتهاء مدتها بالأوبرا ، فى يناير القادم إلى تونس والجزائر ومراكش ، وتستغرق هذه الرحلة شهرين ، وتقدم فى خلالها روايات ذات طابع عربى كالناصر وحواء الخالدة وسر الحاكم بأمر الله .

وتجرى الحوادث حول شخصية الأمير عماد بن سعد (يوسف وهبى) وهو قائد طرابلسى يقاتل الإيطاليين ، وله زوجتان: زوجة عربية وهى أمينة (نجمة ابراهيم) وأخرى إيطالية وهى لينا (سامية فهمى) وله ولدان من كل منهما : شهاب (فاخر فاخر) من العربية وحسن (عمر الحريرى) من الإيطالية . تفر الإيطالية بابنها مع جنود إيطاليين يفقؤون عينى الأمير عماد ، وينتهى بذلك المشهد الأول . وفى المشهد الثانى نرى كهفاً يعيش به الأمير الضرير وزوجته العربية التى أصيبت فى غارة جوية بساقيها فأصبحت مقعدة وابنهما شهاب وابنة عمه عائشة (أمينة رزق) التى يحبها وتحبه ، وقد أزمع شهاب اللحاق بفرقة من المدافعين عن الوطن ، فتودعه أمه وتموت بين يديه ، وينتهى المشهد بذهابه مع الفرقة ، والمشهد الثالث فى الكهف أيضاً حيث يعيش الأمير وابنة أخيه عائشة ، يطرقهما جندى إيطالى جريح ، فيؤويانه على مقتضى المروءة العربية ، وبعد ذلك يتبين أنه حسن ابن الأمير من الإيطالية . وفى المشهد الرابع نرى حسناً يحاول أن يكسب مودة عائشة التى حزنت على خطيبها شهاب ، وبعد حوار بينهما تبدى له أنها تجيبه إلى رغبته فى الزواج منها إذا قاتل الأعداء وثأر لأخيه وعاد منتصراً ، ولكن حسناً يحار فى أمره لأنه لا يزال يعد نفسه إيطالياً تبعاً لأمه ، ثم يلتقى بجاسوس إيطالى فيتفق معه على نقل أخبار العرب إلى الجيش الإيطالى ، ويسمع الأمير عماد الجاسوس وينقل أسرار الجيش العربى باللاسلكى ، فيتحسس ناحيته حتى يمسك به ويستغيث ، ولكن الجاسوس يفلت منه ويسدد إليه المسدس فيلتصق حسن بأبيه فيصيبه رصاص الجاسوس فيرديه . وهنا تستعصى الرواية على يوسف وهبى المؤلف إذ تأبى أن يختتم ... فيزعق يوسف وهبى الممثل زعقة هائلة تجعل ولده شهاباً يبرز من تحت الأرض وكان قد بلغه أنه قتل فيظهر أنه كان جريحاً فقط ، فيتلقاه فى أحضانه ، على حين تجرى أمينة رزق (عائشة) بالبندقية متحمسة مع المتحمسين لقتال الأعداء . وتلتقى فلقتا الستار ...

كان المشهد الثالث أحسن المشاهد كلها ، فقد كان هادئاً تجلت فيه الإنسانية والمروءة فى إيواء العدو الجريح والعطف عليه . وقد اعتُمد فى أكثر أجزاء القصة على « الرواية » أى أن اثنين من أبطالها يتحادثان طويلاً ليخبرانا بما حدث من كذا وكذا ، وكان حديث الشخص الواحد يطول حتى يكاد يتحول إلى خطيب ، ومن ذلك الحديث الذى دار فى أول مشهد بين الشيخ صالح والشيخ حسان عن المستعمرين ومماثيهم من الخونة ، فكان الثانى يلقى كأنه على منبر يوم جمعة ... وفى أثناء الحديث بدا المسرح فى منظر غريب ، جملان يديران الهوينى ونساء يحملن الجرار فارغات — إذ يحملنها وجوانبها على رؤوسهن — فى الذهاب وفى الإياب ! ورجال كثير يروحون ويجيئون ، والجميع صامتون كأنهم قبيلة من الخرس ! وكل ذلك حتى يفرغ المتحدثان ، وبعد ذلك يأخذ الرجال فى صلاة المغرب ، فيطيلون الركوع والسجود ويعدون التكبير والحمد والتسبيح ، ويختمون الصلاة بالأدعية ، وكل ذلك أيضاً لكى تتمكن امرأتان من حديثهما المقصود منه « رواية » بعض الحوادث البعيدة عن المسرح ! ولذلك وأمثاله كانت الحركة بطيئة مملة والتسلسل الشوق معدوماً ، ولم يكن يمنع الجمهور من النوم غير انفجارات البنادق والغارة الجوية ... وانفجار بعض (الأكلشيهات) الوطنية التى تستجلب التصفيق ... ولست أدرى ولا المؤلف (وهو المخرج أيضاً) يدرى كيف يهجم جنود الأعداء على مكان القبيلة وطائراتهم تحلق فوقه وتقذفهم بالقنابل !

وموضوع الرواية ، أو المدعى أنه موضوعها ، هو الإشادة بالبطولة العربية فى المغرب ، ولكن أين ذلك على المسرح ؟ أفى عرض جماعة من حملة السيوف يشرعونها نحو الطائرات التى تقذفهم بالقنابل ... وكيف تقاتل الدبابات والمدمرات بالسيوف ؟ ! وقد كان فى الإمكان الذى يتفق مع الواقع أن يكون فى أيدى الأبطال بنادق بدلا من السيوف .

أم فى ذلك المشهد العجيب الذى شغل ببكاء الأم ونشيج الحبيبة قبيل رحيل الشاب إلى الحرب ؟ كان الأوفق أن تتجملا بالصبر والجلد أمامه ، ولا بأس بقليل من العواطف يبدو فى أثناء التجلد ، وقد كان هذا المشهد « فاصلة » مملة من العويل والبكاء تجلت فيه أمينة رزق !

هذا وذاك إلى الروح الفاتر الذى ران على كل الأبطال ... ولم تقدم لنا المسرحية بطلا واحداً تملأ العين شجاعته ، ومن هنا انعدام رسم الشخصيات ، حتى الأمير عماد ، والمفروض أنه قائد مغوار ، فقد رأيناه أولا منهوكا لا يستطيع الوقوف ، وبعد ذلك صار شيخاً ضريراً لا حول له ولا طول ، حتى زعق زعقته الأخيرة التى كانت هول الختام ...

عباس خضر



كتاب النفس لأرسطوطاليس (*):

أنت فى غير مرية على بصيرة بأرسطو ، تعرفه فيلسوفاً ذا باع طويل ، له المؤلفات المأخوذ عنهـا ، والأقوال السائرة ، والآراء المحمول عليها إلى اليوم . .

وقد ظفرت المكتبة العربية من قبل بكتبه التى عنى نفسه بهـا معالى « أحمد لطفى السيد باشا » محموداً مشكوراً ، فأخرج للناس كتاب الطبيعة ، والكون ، والفساد ، والأخلاق ، والسياسة .

واليوم تظفر المكتبة العربيـة بجديد لأرسطو ، هو هذا الكتاب الذى أنا شاغلك بالحديث عنه ، والذى فرغ له زميلان كريمان ، جهد أولهما فى تحويره عربياً ، وأعان ثانيهما فى مقابلة المنقول ومعارضته على اليونانيـة . فـكمل جهد جهداً ، وصدّق الخُبر الخَبر .

والكتاب كما ينبئك عنوانه حديث عن النفس . وفى غير هذا الكتاب لأرسطو فى النفس آراء ولكنه هنا جمع شتات ما تفرق وزاد واستطرد فعرض لمذاهب القدماء الرئيسة فى النفس ثم ساق رأيه هو مع أدلته التى تنهضه وأفاض فى القوى الحاسة ؛ ثم ختم الحديث بالكلام عن الحس المشترك والتخيل والتفكير والنزوع .

ويشوقك أن نطالعك بالقليل من الكتاب لتفيد علماً بالمؤلف ونهجه ، وتقدر الزميلين قدرهما على ما أحسنا فيه .

يقول أرسطو على لسان الزميلين : « فإذا صح أن النفس تتفشى فى جميع الجسم الحاس ، فبالضرورة يشغل جسمان نفس المكان ، مادامت النفس جسما . وأولئك الذين يزعمون أن النفس عدد ، يجب أن يسلموا بوجود نقط كثيرة فى النقطة الواحدة ، أو أن لكل جسم نفساً . إلا إذا كان العدد الذى يوجد فى الجسم هو عدد مختلف اختلافاً تاماً عن مجموع النقط الموجودة من قبل الجسم ...

ويعقب الدكتور الأهوانى على هذه الجملة بقوله « ترجمة الجملة عن « هكس » لوضوحها . وهذا يذكرنا بقوله فى مقدمته « ثم جعلت ترجمة « تريكو » الفرنسية الأساس الذى اعتمدت عليه ونظرت إلى جانبها فى ترجمة « هكس » وعدلت عن سائر التراجم وقد أخذت بترجمة « هكس » كلما وجدت النص عند « تريكو » غامضاً » .

فأنت ترى أن الكتاب لم يكن على يسر ، عانى فيه « تريكو » و « هكس » ثم عانى فيه الدكتور الأهوانى ، بين « تريكو » و « هكس » .

وليس الأمر أمر ترجمة بل يسبق ذلك فهم وتذوق للعلم ، هما عدة المترجم وسلاحه قبل حذقه اللغة وبصره بها .

ثم تجده بعد ذلك فى شك الأمين غير راض عن جهده فيخف إلى الأب « قنواتى » ويكشف له هـذا عن الصحف اليونانية فيجد فيهـا ما يصوب الكثير من هنات « تريكو » و « هكس » .

ويثنينى هذا العناء الذى ألمسه عن أن ألتفت إلى القول فى عبارات كنت أحبها أكثر صقلاً .

وأعود فأهنئ الزميلين بهذا الجهد الموفق ، راجياً أن أرى لهما متعاونين غيره . فما أحوجنا إلى النقل عن اللغات المختلفة .

ابراهيم الابيارى

مع الأستاذ :

ياساسة العرب : « إن محمد بن عبد الله الذى آثر أن يكون نبياً عبداً على أن يكون نبياً ملكا قد ساس الناس فى عهده سياسة دينية لا وطنية ولا قومية ، لأن الوطن محدود والدين لا حد له . ولأن القوم جماعة متميزة والدين إنسانية شاملة » .

بهذا النداء القوى الحار انساب صوت الزيات العظيم مع « الأثير » فى هدوء رزين ، فكأنه كان « جبريل » نزل من علاه إلى أرض الناس يصب فى الآذان الوحى من جديد فيلف القلوب

(*) نقله إلى العربية الدكتور أحمد الأهوانى ، وراجعه على اليونانية الأب جورج شحاتة قنواتى .



الوفـــاء المذبوح ..!

للأديب أحمـــد شفيق حلمى

« كيف السبيل إلى البقاء على العهد ، وهو على قيد الحياة ، وحبيبته رهينة القبور ؟ ألا يجب أن يلحق بها ، أن يموت لكى يتم اللقاء الذى لا فراق بعده ؟ نعم يجب أن يلحق بها . فهناك السعادة الأبدية إنه طاهر نقى ، وهى طاهرة نقية ، إنها تنتظره وتدعوه إليها » .

إيفان تورجنيف

— ١ —

مالى أراك يا وحيد ساهماً ، وقد علت وجهك الغيوم ... غيوم نفسك الحائرة فى الحياة ... وقد سرحت الطرف ، ترقب الشمس الغاربة ، تتهادى على صفحة الأمواه ، ناشرة غلالتها القرمزية على صفحة البحر الخضم ، تودع الحياة ... فتنحدر وجلة نحو المجهول ، حتى احتضنتها الأمواج ، فطوتها مع أشلائها المتناثرة ثم ولت نحو المغيب ...

هل لفظتك الدنيا ، وسئمتك الحياة ، ففررت إلى تلك البقعة الجرداء ، تنى الأمل وتبكى الحياة ، أم تخاطب النجوم المبعثرة فى القبة الزرقاء ؟ !

هل جلست هنا ، أم منبسط المياه ... تستمع لحشرجة الريح ؟ أم تعاتب القدر لقسوته عليك ! ؟

ألف سؤال احتوشتنى من كل جانب ، وعندما قادتنى قدماى إلى تلك البقعة الجرداء ... فوجدته هناك شارداً عليه وجوم ، وراحتاه تحملان رأسه الثقيل بالأتراح ... يجوب بنظرته التائهة عبر البحر ، يناشد الأمواج العزاء والسلوى ، ويقاسم الريح عويلها الحزين !

— ٢ —

وألفيتنى أحدق فى السكون السارى ، والبحر من تحت قدمى ، أمواجه تتلاعب ، وتندفع إلى بعيد ... فى الصفحة الفسيحة .

وفجأة لمحت أشباحاً انشق عنها البحر ، ونفضت عنها ثوبها الأسود الكالح ... فبدت طيوفاً بيضاء زاهية ، حملتنى إلى الماضى القريب ، وقد خلته بعيداً ، لما ناءت به مخيلتى من الخواطر والأفكار ...

عرفتك يا وحيد أول مرة ، طفلاً ساذجاً حلو الشمائل ، وهب الله أباك نعمة واسعة ، وخيراً عميماً ... فى القصور بين حدب الأب ، وحنان الأم كنت تعيش ، فكانت حياتك

بالشجن ، ويندى العيون بالدمع ، ويثير العواطف بالتذكير .

لم يأت أستاذنا بجديد — فالجديد يبلى — ولكنه أتى بقديم قدم الأزل ، فساقه موقعاً بأنغام موسيقاه التى تأسر النفس بخدر لذيذ ، وسحر حلال .

أجل : فقد قال ما عناه الله المتعال حين قال :

« وما محمد إلا رسول » ؛ وحين قال : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم » .

قلم الزيات العظيم من مولده رائع قوى ، ولكن بيانه المؤثر مع صوته الوقور مزيج عبقرى يهز النفس بما يواجها فى إحساسها .

تلك تحية مستمع من جمهور الرسالة الكريم .

طنطا — عبد الفتاح على بركات

إلى الأستاذ كامل محمود حبيب :

قرأت ما كتبته بعنوان : « زوجة تنهار » ، فما كبرت بلاغة أسلوبك ، وسحر بيانك ، وعذوبة ألفاظك ، وتأثرت بانفعالات نفسك ، تأثراً كبيراً ، حتى انتهيت من القراءة إلى كلمة : « ياللقصاص » . فلم تعجبنى خاتمة كلمتك ، لأن القارئ يود أن تكون نهاية الخائنة أشد وأنكى من أن تطرد إلى الشارع .

كيف واجهت الشارع ؟ أجرى الذئاب وراءها ؟ أما زالت حية تتمرغ فى الأوحال ؟ أم كفرت عن ذنبها فألقت بروحها فى أعماق البحر ؟ أم أرجعها زوجها إليه ، وغفر لها إساءتها ، ومسح عنها عارها شفقة ورأفة بأولاده الصغار الأبرياء ؟ أم ماذا صنعت ، وصنع ؟ إن لم يكن حقيقة فخيالاً لتكون عبرة وعظة .

(دمياط) — عطية قنود

كالجدول المذب ، يلعب بأنامله السحرية فى الفلاة الصـادية ، فيحيلها مروجاً سندسية نضـيرة ... ويتسرب بين السهول والوديان ، عازفاً ألحان المرح ، وتراتيل السرور !

وكذلك أنت يا وحيد ... كانت حياتك تسير فى موا كب الأفراح ترقص وتغنى ! وكلما أغدقت من ثروتك الطائلة فى سبيل الخير ... زادت ، وانسمت ، والتف حيالك الناس !؟

ومضى بك الزمن هادئاً ناعماً إلى مطالع الشباب ، فخلقت روحك بعيداً بعيداً أنت وحدك تدرى إلى أين !! ثم هامت فى اللانهاية ... تجوب عالم الخيال ، تمنى نفسك العطش بنعيم الحياة ، فما فتئت ترتوى من مختلف ينابيعها ، وتمطف القبل من ثغرها البسام ، إلى أن صبت نفسك إلى الراحة ، وهفا قلبك للسكون ، وتاقت روحك الهائمة ... إلى بيت الزوجية الهانىء ، فنفضت غبار الماضى ، لتستقبل من اصطفتها توأماً لنفسك ، وشريكة فى الحياة

— ٣ —

وغمرتنى النشوة ، والطيوف تداعب خيالى ، والرؤى تماوج فى شتيت الذكريات . وأحسست بالراحة رانت على روحى ... عندما تشابكت خيوط الماضى ، كأنما لعبت بها أنامل بارعة ، سرعان ما أحالتها إلى وجه صبوح عليه إشراقة عذبة ساحرة ... فانطبعت فى خاطرى صورة عروسك الحبيب « مهام » . ما كان أنضرها ! عيناها كسندس تـكتسى به الحقول ، وشعرها المتهدل على جبينها الوضاح كبدر بين حفيف السحاب . أما صدرها الناهد وجسدها الريان ، فملوءان بسحر مجنون !!

ما كان أروعها ليلة الزفاف ، وهى تخطر إلى جوارك ، بين هالة من الفتيات يحملن الشموع والزهور ... تفتر شفتاها من بسمة حلوة ، يرف فيها ما تحس من سعادة وهناء ... وتلمح فى عينيها تأملات حالمة ، تحملها سراعاً إلى عشها الجميل ، وأملها المنتظر ، وربيعها الدائم ، وقد نبتت فيه أزاهير من حب ووفاء .

وهنالك بين أكاليل الزهور ... جلست وعلى رأسها تاج من زهور الأقحوان ، محلي بالجيرانيوم ومرصع بالفيولا ... كانت فى نبل الملائكة ، تحوطها هالة من نور ... نور يخطف الأبصار ... قد تسربلت خيوطه البهية من بين أهدابها الحالمة !

وكانت الليلة حلماً رائماً ، رقصت فيه الملائكة على أنغام الجازبند فمايلت نشوانة فرحى ... ترف حولها فى المكان ... آهات حرى أرسلها صدرك يا صاحبى — علها تريد أن ترقص أيضاً !! — يحملها الأثير الهادىء اللين إلى ابتسامة الأمل ، ونفحة الله ... مهام .

وعلى دعاء الفجر لإله الوجود ، حملتك وعروسك نسائم الصباح الندية ، إلى عشـكما الآمن ، تشيعـكما قلوب العذارى ، وقد غبن فى حلم جميل يتمنين أن تدب فيه الحياة !

— ٤ —

ها هو الليل قد أوشك على الرحيل ، وها هو — أنا — أجلس إليك بعد ذلك الحلم الطويل ... فهلا فككت كربتى يا وحيد ، فتبسط على نفسك الحزينة الغارقة فى الأتراح ... وتقص على ما وراء تلك الشعرات البيض من أحداث ! إنها تتسلل فى شعرك الفاحم كنور الصبح يتلاشى أمامه الظلام !

— أواه يا خليل ... إن جراحات قلبى لم تندمل ، وروحى الشريد ... لم يستقر بعد ! ...

أنت تذكر ليلة العرس يا خليل ، وقد حملتنى وعروسى عربة انطلقت إلى المنزل الفخيم ، الذى اخترته للاقامة ... ؟

وصلنا هناك ، وإلى غرفة تشرك بالبهجة ، تطل على مروج خضراء ، ومياه جارية فى سهل فسيح ... حملنا أمتعتنا .

إنى أذكر ساعة الوصول ، ومدير الفندق يقودنا إلى الغرفة البهيجة ، ثم يصفق خلفه الباب ، وهو يتمنى لنا إقامة هانئة ... قلت لزوجتى وأنا أجوب الغرفة فرحاً : « ما أجملها غرفة يا مهام » ؟ فقالت بصوت حنون : « إنها بديعة يا حبيبى » !

وتطلعت إليها فتلاقت العيون ، وتلمست أصابعى كتفيها المرمريتين بخفـة ورشاقة ، وقبلتها بحنان ، ثم دفعتها برفق إلى الفراش ، فاتكأت على حافته بحياء وخفر ، وعلق بصرى بعقارب الساعة تترى بسرعة ... وسدتها ذراعى ، وهصرتها بين أحضانى ، ثم تلاقت الشفتان فى قبلة محمومة ولهى ، فرشفت من الكأس حتى الثمالة ...

وتراقصت الظلال فى جلال وروعة .. داعب النسيم البليل خصلات شعرها بمرح ، فتهدل على صدرها العارى ، وهو يعلو ويهبط بسرعة ، وانعكست على صفحة وجهها خبايا هواها ، وتألق فى عينيها بريق عجيب ، فيه لهفة عميقة !

وفجأة ... وفجأة يا خليل لمحت وجهها الوردى الفاتن يصير إلى

اصفرار رويداً ، وعيناها أخذتا تحدقان فى شىء مجهول ، تبكى فى صمت وتتوسل فى ذهول ... كأن قوة جبارة أمسكتها بيد من حديد .

تحسست جسدها ، وأنا من الهول لا أعى ، فكان فى برودة الثلج ، فصرخت والدموع فى عينى : « مالك يا سهام ؟ ... ماذا تحسين ؟ ... إلى بطبيب ! إلى بطبيب ! »

وتداعى ذراعاى من حولها ، فسقطت على الملاءات البيضاء ، فقلت يائساً : « إليك روحى يا حياتى ، خذيها وعودى إلى ! ... هل تذبل الورود وهى تختال فى المروج ؟ تكلمى ... ردى على ردى على ... لماذا لا أسمع صوتك الحنون ؟ وا حر قلباه ، يا ضيعة العمر وأنا من غيرك يا سهام » !

... وامتلأت الغرفة بالظلال الداكنة ... تهتز فى صمت ثقيل ... وحفل الفراغ بالأشباح ... تتراقص فى عربدة مجنونة ... تجثم على صدرى صرخاتها المنكرة ... فهرعت إلى الأسجاف أرفعها ، وفتحت النافذة ، فاندفع الهواء من السهل القريب ، حيات تسعى ... تلتف حول عنق ، فخارت قواى ودارت الجدران ... ومادت الأرض ... حتى غدوت فى النهاية ، غريقاً فى صخب هائل مفزع ... وتوهج المصباح ، ثم خبا فتشتت الضوء ، وأحسست بالبرودة تسرى فى أطرافى ، ثم غبت عن الوعى .

— ٥ —

... وعادت الغرفة تلوح من بين أهدابى المثقلة ، فلمحت خيالات كثيرة تروح وتجىء ، وسمعت أحدهم يقول لخيال : « إنه فى طريقه إلى الوعى » ...

تحاملت على نفسى ، وحدقت فى الجدران التى تدور ... وصرخت ملتاعاً « أين سهام ؟ أين سهام ؟ ... فخشرج فى مسمعى صوت رهيب « ذهبت ... ذهبت يا وحيد ولن تعود » !

وانهمر على وجنتيه دمع حبيس ، فقلت له وأنا من أجله ملتاع ، أطالع صفحته الحزينة ... فيثب إلى خاطرى الوفاء المعذب ، والدنيا والأحلام ، وقد لفت فى أكفان الأبد ، قلت له : « وبعد يا رجل ، هل تود أن تموت ؟ هيا يا صديق إلى الحياة ، ترى فيها السلوى والعزاء .

— أنا ؟ ؟ أنا أهبط إلى الحياة من جديد ! ؟ لقد سحقت قلبي أناشيد الحرمان ، وذريت روحى فى مهمة الظلمات ، فهل أهبط إليها من غير قلب وروح ! ؟

— جرب هل الريح تأتى وفاء !

— دعنى يا صاحبى فى أحزانى وآلامى ، علنى ألحق بها ، بعد أن خلفتنى وحيداً فى عالم الأحزان !

— لك الله يا وحيد ، ولكن رفقاً بنفسك يا صديق ، ولم لوفاء تميت ! ؟ .

— ويلك ، ماذا تقول ؟ وهل الحياة غير الوفاء لحبيب ؟ !

مضيت فى طريق ، وتركته وحيداً ، وهو فى غمرة الأسى ، ولوعة الشجن ، يذوب ويذوب ، وهو يتطلع بشوق لهيف ، هناك ... إلى السماء ... عل ملك الموت الرحيم ! يختطفه إليها ، فيجمعه بها فى الفردوس ... عند الله .

أحمد شفيق حلمى



العدد ٨٥٥ — الاثنين ٢١ نوفمبر ١٩٤٩ — السنه السابعه عشره

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٣٠٤١

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 em Année No. 855 — Lundi — 21 — 11 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٥٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣٠ من شهر المحرم سنة ١٣٦٩ — ٢١ نوفمبر سنة ١٩٤٩ السنة السابعة عشرة »

محمد على الكبير

بمناسبة الذكرى المئوية لوفاته

كلما قلبت تاريخ هـذا الرجل العظيم ثم أرسلت فكرى وراء أخباره وآثاره ، بدا لى الرجـل عالما من المزايا التى لا تخص بها الطبيعة غير الأفذاذ من الرجال ؛ ذلك لأن محمد على لم يكن فرداً عاديا من هؤلاء الذين تخلقهم الظـروف والمناسبات ، وتحل الحظوظ الطارئة فى حياتهم محل المواهب النادرة والطموح الذى لا يحد ... كلا ، لم يكن محمد على واحداً من هؤلاء ، ولـكنه كان واحداً من أولئك الذين يفرضون أنفسهم على الظروف والمناسبات ثم لا يقيمون للحظوظ وزناً ما دام الوزن فى حياتهم للبصيرة النافذة وللعزم القادر وللذكاء الوثاب لهذا كله سـواء أسعف الحظ أم تخلف ، أقبلت الدنيا أم أدبرت ، ابتسمت الأيام أم لقيت جهادهم بالعبوس ! وهكذا محمد العظيم كلما بحثت عن أسباب العظمة فى كل ميدان تقام فيـه صروح الهمم وتشيد معاقل الـكفاح ؛ شعلة من الإيمان بالنفس وشعلة من الإيمان بالوطن ... ومن وهج الشعلة الأولى تكونت شخصية محمد على وغمر ضوؤها كل نفس ، ومن وهج الشعلة الثانية تكونت شخصية مصر الحديثـة وامتد سلطانها إلى كل أرض ، وعلى مدار الشخصيتين العظيمتين اقترنت حياة رجل فى حساب التاريخ بحياة أمة !

حين وفد محمد على إلى مصر كانت مصر مرتعاً خصيباً للفوضى التى لا يرجى معها نظام ، وكانت ملجأ رحيباً للغـاصب الذى لا ينتظر من جوره إصلاح ، وكانت حلماً جميلا للطامع الذى لا يؤمن لجشمه مغبة ، وكانت نهباً مباحا للجهل الجاثم على العقول وللتأخر المتخلف عن ركب الحضارة ... ونظر الرجل العظيم إلى الماضى البعيد بفـكره فاستعبر ، وإلى الحاضر المشهود بعينه فأنكر ، ثم تطلع بطموحه إلى المستقبل المرتقب فامتلأت نفسه بالأمل والثقة والرجاء ! ماذا ينقص الأمم من وسائل الرقى لتأخذ مكانها فى الطليعة ؟ وماذا يعوز الشعوب من أسباب التقدم لتشق طريقها إلى الأمام ؟. رسم القائد العظيم خطته قبل أن يخوض أعظم معركة فى ساحات المجد ؛ رسمها فى صبر لا ينفد وأناة لا تيأس وجلد لا يلين . وكانت أعظم معركة وأشرف معركة .. مصـدر العظمة فيها أنها انتزعت أمة من مهاوى العدم ، ومنبع الشرف فيها أنها انتشلت شعباً من ظلمات الجهل ، وانتصر الرجل فى المعركة الخالدة بسلاحين : سلاح العلم والمعرفة هنا وسلاح الجيش والأسطول هناك . وفى كل خطوة من خطواته فتوح تترى وغزوات !

لست فى مجال الإحصاء للمفاخر والمآثر فتلك أمور يسأل عنها كتاب التراجم وكتاب التاريخ ، ولـكننى فى مجال التحية القلمية للعاهل العظيم بمناسبة انقضاء مائة عام على وفاته ، وإنها لذكرى تستحق البقاء فى كل نفس من نفوس هـذا الشعب الذى كافح محمد على من أجل بقائه ، وكافح من بعده أبناؤه وأحفاده من أجل

خيره وسمعته وسيادته ... اليوم ، وبعد تلك الأعوام المائة ننظر إلى البناء الذى أقمناه بجهادنا على أرض القومية المصرية ، فلا علينا إلا أن نذكر واضع الأساس الأول فى هذا البناء ، وغداً حين نواصل السير فى الطريق الذى نتشوف إلى بلوغ منتهاه ، سنرتد بأفكارنا إلى الوراء نلتمس الهدى من تاريخ رجل هو قدوة السائرين فى كل طريق .

لقد كان محمد على مصريا بالطبع والسليقة وإن لم يكن مصريا بالمولد والنشأة . وأعظم بهذا المصرى الذى شغلته مصر عن وطنه الأول وعن كل ما عداه من أوطان ، وأعظم بهذه المصرية التى لقى صاحبها العظيم فى سبيلها من المحن مالم يلقه إنسان !.

(أ . م)

صور من الحياة :

ركن يتداعى

للأستاذ كامل محمود حبيب

لست أنسى — ياصاحبى — أنك كنت لى فى ميعة الصبا رفيق الروح فى وحدة الحياة ، وأنيس القلب فى وحشة العمر ، ونور النفس فى ظلام العيش !

لقد كنت إذ ذاك فتى مدنىّ النشأة والزى ، تختال فى الصحة وترفل فى العافية ، وتتألق على وجهك سمات النعمة وتبدو على جبينك علامات السعة ؛ لا تعوزك المتعة الرخيصة ولا تفتقر إلى اللذة التافهة. وأبوك صائغ ماهر يصوغ من الذهب الدور والأطيان. والصائغ ساحر ينفث فى العقد ليخلق لنفسه الثراء والغنى ؛ غير أنه مبتلى بالشح ، مرزأ بالكزازة ، يعروه الجزع من الإنفاق ، ويدهمه الخوف من البذل : طبيعة ركبت فيه لأنه يرى الكنز بين يديه وهو يتلألأ بريقاً يخطف البصر والقلب ، فيشفق أن تبدده لوثة الكرم أو أن يتلمه داء السخاء . وهكذا كان أبوك — يا صاحبى — صائغاً يصوغ الثروة ويضن بها على نفسه وعلى أولاده ، فما تبضّ يده بالقرش ولا ينبض قلبه بالشفقة . فأصابك بعض قسوته وبخله . وأحسست أنت بغلظة أبيك دون شحه ، لأن أمك كانت إلى جانبك ، فاعتراك تكسر وفتور من طول ما دعّك عن نفسه وعن مجلسه فنفرت من دارك وأهلك .

أما أنا فكنت فتى ريفى الطبع قروى المزاج ، أسترسل فى سذاجة وآخذ فى قوة وأدفع فى عنف ، وأنا إذ ذاك قريب عهد بالمدينة ، لم تمسنى رخارة المدنية ولا شملتنى طراوة الحضارة . أعيش وحيداً فى حجرة وضيمة ، أحس الشظف والضياع ، لا أجد الرفيق ولا ألمس الراحة ، أتقلّب بين عناء الدرس وعنت الحياة فلا أتململ ولا أضيق ، وأتنسم ريح القرية — بين الحين والحين — علّى أجد فيها بلاغاً ، وأنتظر هبّات عطف أبى — بين الفينة والفينة — عسى أن أنشق فيها عطر الشفقه . فتعلمت فى وحدتى أول مبادئ الصبر والأنفة ، وتلقفت من فاقتى أول تعاليم الترفع والكبرياء .

واطمأن قلب إلى قلب ، وسكنت نفس إلى نفس ، فانطلقنا معاً — جنباً إلى جنب — نجتاز مراحل الدراسة فى غير وناء ولا بطء ، صديقين عاشا فى صفاء لم يعكره خصام ولا شابه تدابر ، وانطوت الأيام .

***

وتخرجت — يا صاحبى — فى مدرستك لتصير موظفاً فى وزارة الأشغال ، وانفلت من شح أبيك وقسوته لتنشق — لأول مرة — عبير الحرية والخلاص ، ثم اخترت لحياتك فأصبحت — بعد سنوات — زوجاً وأباً وربّ أسرة. أما أنا فقد طوحت بى الحياة فى مطارحها ، لا أستقر فى مكان إلا لأفزع عنه ، ولا أهدأ فى بلد إلا لأطير عنه . فصرفتنى شواغل العيش عن أن أراك وأنا لا أنسى أنك كنت لى فى ميعة الصبا رفيق الروح فى وحدة الحياة ، وأنيس القلب فى وحشة العمر ، ونور النفس فى ظلام العيش .

ثم هفت نفس إليك — بعد عمر من عمرى — فانطلقت ، فرأيتك رجلاً تتوثب قوة فتوة ، وتفيض بشراً وسروراً ، يلمع الأمل فى ناظريك ويبسم الرضا من نضارتك ، وبين يديك صغار يرفون حواليك كالأقمار رونقاً وبهاء ، يملأون الدار جمالاً وسعادة ، ويغمرون قلبك بالغبطة والبهجة . أما زوجك فكانت روح الدار وريحانها .

وحين دخلت دارك ، أحسست أنك تستمد هناك روح الجنة على ثرى الأرض ، وأنك تنعم بلذة الخلد فى فناء الحياة ، وشعرت أنا بأن العزب رجل تافه خسر بهاء الدنيا ورونق الأسرة .

ثم ضربت الأيام بيني وبينك — مرة ثانيـة — فوجدت فقدك فى قرارة نفسى ولـكن قلبي كان ينبض بالرضا والطمأنينة لأنه رأى دارك تفهق بالسعادة والرفاهية .

وتناهى لى — بعد سنة واحدة — أنك تطب لمرض ألمّ بك فتاقت روحى إليـك ، لعلى أستطيع أن أرفه عنك بلاء الداء . أو أزيح سفعات الألم . وحين وجـدت السبيل إليك ، اندفعت أنت تحدثنى حديثك ، فقلت : « . . . وذهبت أفتش عن دواء لدواء عيني عند طبيب من ذوى الرأى والتجربة . ووجد الطبيب فىّ ضعفاً فاستغله فتهدّم علىّ يستنفد وفرى ويبتلع مالى . وطالت بى مدة العلاج ، وللطبيب أسلوب فيه الخديعة والأمل ، يستتر من ورائه أفانين من الجهل والجشع ، وأنا لا أجـد معدى عن أن أستسلم فى خضوع وأن أستخذى فى ضعف . ثم ارتفعت عن عينىّ يد الطبيب ففزعت إذ أحسست بأن نور عيني يوشـك أن ينطفىء فتظلم الحياة فى ناظرىّ إلى الأبد ؛ ولـكن الأمل كان يعاودنى آنا فآنا ، لأننى كنت أرى بصيصاً من نور يكشف لى الطريق ، فطرت — بعد لأى . إلى الطبيب أستجديه وأستعينه فوضع يده — مرة ثانية — ثم رفعها فإذا أنا أعمى قد كف بصرى

« آه ، ياصاحبي ! لقد انهار كيانى وانهد عزمى وتداعى ركنى وأصابتنى البـلوى فى الصميم من قلبى ، وفى العزيز من روحى ، واعتورنى اليأس والأسى ، وآذانى ما انتهيت إليه . فكنت أنطلق إلى حجرتى وحيـداً أنخرط فى بكاء مر طويل ، وأنا أشفق على أولادى أن تصفعهم النـكبة فتخبوا فيهم جذوة الحياة ، وتخمد روح السعادة فى الدار ، ويعصف بنا الذل ويقتلنا الضنى وتذهب بريحنا الفاقة ، فكتمت الأمر فى قلبى وفى قلب زوجى .

« وثارت ثائرتى — ذات مرة — فانطلقت إلى الطبيب ، برفقة زوجى ، أريد أن أثأر لنفسى . وحين اندفعت إليه أحاول أن أنشب أظافرى فى عنقه انفلت من بين يدى فارتطمت بالجـدار فسقطت وأنا أصرخ فى غيظ وكمد لأننى لم أشف غلة نفسى .

وانطوت الأيام وأنا أعالج لوعة نفسى بالصبر ، وآسو جراح قلبى بالتآسى ، غير أننى كنت أفزع لـكل نأمة وأجزع من كل صوت وأهرب من كل صديق . ورقت مشاعرى فلازمنى الصمت والبكاء ... ثم عافت نفسى أن تنزل عن كبريائها ، وأنا من بيت دين وورع ، يترفع عن الاستخذاء فى البلوى ويسمو على الضعف فى الرزء ، فأمسكت على مضض وابتسمت على لوعة وأسلمت على بثّ .

« ثم وقعت بين فـكين من الحياة فيهما الفلظة والجفوة ، فأنكرنى رفاق فى غير رحمة ، وفزع عنى ذوو قرابتى فى غير شفقة أما الحـكومة فكانت الداء العياء والـبلاء الأكبر ، فلقـد طردتنى من عمـل لا أمل فيه ودّعتنى عن مكان لا أصبو إليه ، لم ترحم صبيتى ولا أشفقت على ضعفى ، فسلبتنى راتبي ومنعتنى حق ونبذتنى إلى الشارع .

« وفى ذات مساء جاء ساعى المدير يعتذر بلسان سيده البك عن بعض ما سطرته يد السيد فى خطاب الرفت .. ورآنى الساعى فى محنتى فانكبّ على يدى يقبلهما فى عطف ، ويبللهما بدموع المحبة والإخلاص ... دموع الرقة والإنسانية ، فانهمرت عبراتى ، انهمرت لأننى ألفيت فى الساعى كرما وشهامة على حين انطوى قلب سيده البك على ضعة وسفالة » .

وثارت شجون صاحبي فانت الـكلمات على لسانه ... سكت وجبينه يرفض عرقاً لأنه يحاول أن يكتم نوازع نفسه عنى وهى تضطرم فى عنف وشدة ... على حين أنى لم أنس أنه كان لى فى ميعة الصبا رفيق الروح فى وحدة الحياة ، وأنيس القلب فى وحشة العمر ، ونور النفس فى ظلام العيش .

وانتفض قلبي فى حرقة وأسى ... انتفض لأننى رأيت صغاراً يرفون خوالينـا كالأقمار رونقاً وبهاء ، فماذا ... ماذا تخبئ لهم الأقدار ، يا قلبى ؟

كامل محمود حبيب

أهل العلم والحكم في ريف فلسطين

للأستاذ أحمد سامح الخالدي

يرى المتتبع لتاريخ فلسطين ، أن الريف كان شاهداً لكثير من المعارك والحوادث الجسام . وقد ضمت تربته المقدسة رفات الكثيرين من الصحابة والتابعين الأكرمين .

وقد رأينا أن نسجل على صفحات مجلة الرسالة الغراء ما عثرنا عليه في المصادر العربية ، مما يجهله الكثيرون .

ونرجو أن يتسع المجال لنشر ما توصلنا إليه . فيرى القراء الكرام ، ما أخرجه هذا الريف من رجال العلم والحكم في مختلف العصور ، وما تغنى به فحول الشعراء منذ القرن الهجري الأول حتى زوال الدولة العثمانية .

وقد شهد هذا الريف (أجنادين) و (طاعون عمواس) و (ومقتلة الايوبيين) عند نهر أبي فطرس (العوجا) و (حطين) التي هزم فيها الأفرنج ، (وعين جالوت) التي قضى فيها على التتار ، إلى غير ذلك من الحوادث والمعارك الفاصلة في التاريخ العربي على أن الريف قد حرك خيال الشعراء ، فكان لشعر جرير والمتنبي ، وليلى الأخيلية ، وجميل ، منه نصيب أي نصيب .

ونحن نعلم ونحن نكتب هذه السطور أن بعض الجهلة والمغرضين من الكتاب ، والخصوم ، قد شوهوا جمال هذا الريف ، وقللوا من شأنه ، كما نعلم أن أهله قد نسوه ونبذوه وأهملوه فأصبحت كلمة (فلاح) أو (قروي) مرادفة لكلمة جاهل أو محتقر ، حتى صار أبناء الريف أنفسهم يشعرون أنهم من طينة غير طينة أبناء المدن المترفين . ومشى مع هذا شعور بالضعة والمذلة ملك النشء القروي وطغى عليه ، فصار إذا ما رأى طالباً نال شهادة الاجتياز إلى التعليم العالي رأى في ذلك أمراً عجيباً ؛ وإذا ما سمع باسم عالم ريفي يشغل مركزاً في القضاء أو الحكم استغرب وتعجب ، كأنما العلم وقف على المدن والحواضر دون الريف ، فكان من جراء هذا الشعور المغلوط أن تشبع أبناء المدن بشعور مبالغ فيه في تقدير قيمة المدن إذا قيست بالقرى ؛ فكأنما العلم منشؤه المدن ، وكأن الفلاح إنما هو أداة حراثة وحصاد يجد ويشقى لينعم بآثار جهده أبناء المدن وهم قابعون .

على أن الذي يمعن النظر يرى أنه كان لأبناء الريف في فلسطين القدح المعلى في شتى ميادين العلم والإدارة والقضاء في مختلف العصور . إذ كانوا منذ القرون الأولى ما يزالون حملة العلم لا في فلسطين فحسب بل نقلوا مشاعلهم معهم إلى ديار الشام ومصر وسائر البلدان العربية .

ونكتفي الآن أن نسجل بعض أسماء من أبناء الريف الفلسطيني فنذكر الحسن اليازوري رئيس وزراء الدولة الفاطمية (القرن الخامس) وقاضي قضاتها وداعي دعاتها وهو من أبناء يازور ، قرية على طريق يافا .

بل لنعد قليلاً إلى القرنين الأول والثاني الهجريين ، فنذكر موسى بن نصير فاتح قبرس وقائد معاوية ، وفاتح الأندلس فقد سبي والده من جبل الخليل وهو اللخمي الفلسطيني الريفي ، ثم الربيع بن يونس أبو فروة حاجب المنصور العباسي باني بغداد ووزيره فهو من جبل الخليل أيضاً . وتعال إلى عالم الأدب فلا تنسى أن تذكر عبد الحميد الكاتب القيسراني ، نسبة إلى قيسارية ، وقد اعتبرها ياقوت قرية الوزير الأموي ، الكاتب المنشئ ، كما نذكر القاضي الفاضل البيساني نسبة إلى بيسان ، المدينة الريفية الفلسطينية مستشار صلاح الدين ، المؤرخ المنشئ البليغ والمصلح العمراني المجاهد الذي قال صلاح الدين عنه إنه لم يفتح البلاد إلا بقلمه .

بل لقد أخرج الريف الفلسطيني عدداً من الأسر العلمية التي ساهمت أكبر مساهمة في الحركة الفكرية في القرون الوسطى في فلسطين والشام ومصر ، فمنهم بنو كنانة العسقلانيون ، وقد تفرقوا بعد خراب عسقلان بعد القرن السادس فكان لهم فضل عظيم في نشر العلم والفقه واللغة . ومنهم بنو غانم المقدسيون (من بورين) في جبل نابلس الذين أسلمهم صلاح الدين خانقاه في القدس فظل نجمهم يسطع حتى القرن العاشر . ومنهم بنو قدامة الجماعيليون ، من جماعيل جبل نابلس ، الذين نزحوا إلى دمشق في القرن السادس فأسسوا فيها الصالحية ومدرسة أبي عمر . فكانت

مركزاً هاماً لتدريس الفقه الحنبلى خاصة مما كان له أبلغ الأثر فى دمشق والشام والعالم الإسلامى عامة .

بل ماذا نقول فيما أخرجته (رامين) فى جبل نابلس مما سيطلع عليه القارىء فيما بعد ، أو ما ساهمت به (مردا) من العلماء والعالمات حتى كادوا يحتكرون العلم فى تلك العصور الغابرة ويحملون مشعله دون سواهم .

هذا وقد أخرج الريف الفلسطينى عشرات بل مئات من المؤلفين والأدباء ، فهذا الجمال البشيتى (نسبة إلى بشيت من أعمال الرملة) يكتب فى الألفاظ المعربة ، وهذا المحبّى صاحب سلك الدرر يقتبس من الحسن البورينى (نسبة إلى بورين جبل نابلس ، ويعتبره مرجعه ، ويعترف له بذلك فى مقدمة كتابه النفيس وهو أعظم مراجعنا عن الحركة الفكرية فى القرن الحادى عشر فى هذه الديار .

ففى علوم القرآن ، والفقه ، ورواية الحديث ، وفى التصوّف والأصول والفرائض ، وعلم الكلام والمذاهب الأربعة ، وفى علوم اللغة ، من قواعد ونثر ونظم ، وفى إنشاء الرسائل ، وفى التاريخ والطبقات والرحلات بل وفى علوم النجوم والرمل والزايرجا ، فى جميع هذه العلوم التى تؤلف مادة العلوم الإسلامية منذ القرون الأولى ساهم أهل الريف فى فلسطين مساهمة تضعهم فى الصف الأول من خدمة الثقافة والعلوم فى هذه الديار .

وقد استثنينا من بحثنا المدن الفلسطينية الكبرى كالقدس ، والرملة ، وغزة والخليل ، ونابلس ويافا وعكا وصفد ، واعتبرنا أرسوف وقيسارية وعسقلان[1] من بلدان الريف لا المدن .

ولم نستثن الناصرة على اعتبار أنها كانت قرية من أعمال صفد ، وحيفا لأنها كانت بليدة ، وبيسان وهى أقرب إلى المدن الريفية منها إلى المدن والقصبات .

وقد رتبنا قرى الريف ، على الحروف الأبجدية ليسهل الرجوع إليها ، واعتمدنا معجم ياقوت كأساس للقرى العربيــة ، كما أثبتنا غير ذلك من القرى مما ورد ذكره فى المصادر العربية الأخرى .

(١) فى السبكى ج ٢ — ص ٣ . سمع البخارى فى قيسارية وعسقلان فى أوائل القرن الثالث .

مشاهر فلسطين ، وبقاعها ، وأنهارها ، وجبالها فى المصادر العربية :

أجناد الشام[1] : لما فتح العرب الشام قسّموها إلى خمسة أجناد وهى جمع جُند ومنها جند فلسطين وجند الأردن وجند دمشق وجند حمص وجند قنسرّين . قال ابن جابر اختلفوا فى الأخبار فقيل سمّى المسلمون فلسطين جنداً لأنه جمع كوراً ، والتجند التجمّع ، وجندت جنداً أى جمعت جمعاً ، وكذلك بقية الأجناد . وقيل سميت كل ناحية بجند لأنهم كانوا يقبضون أعطياتهم فيه . قال الفرزدق :

فقلت ماهو إلا الشام تركبُـهُ كأنما الموت فى أجناده البغرُ

وجاء فى معجم ياقوت ح ٦ — ٣٩٧ عن فلسطين ما يأتى : «العرب فى إعرابها على مذهبين : منهم من يقول فلسطين ويجعلها بمنزلة مالا ينصرف ويلزمها الياء فى كل حال فيقول هذه فلسطينُ ورأيت فلسطينَ ومررت بفلسطين . ومنهم من يجعلها بمنزلة الجمع ويجعل إعرابها بالحرف الذى قبل النون فيقول هـذه فلسطون ورأيت فلسطين ومررت بفلسطينَ . كذا ضبطه الأزهرى والنسبة إليه فلسطىّ . قال الأعشى :

ومثلك خَـوْدٌ بادن قد طلبتها	وساعيت معصياً لدنيا وُشاتها
متى تُسق من أنيابها بعد هجمة	من الليل شرباً حين مالت طلاتها
تعـله فلسطياً إذا ذقت طعمه	على ربذات الني حمسٌ لثاتُها

وهى آخر كور الشام من ناحية مصر قصبتها بيت المقدس . ومن مشهور مدنها عسقلان والرملة وغزة وأرسوف وقيسارية ونابلس وأريحا وعمان ويافة وبيت جبرين[2] أولها رفح من ناحية مصر وآخرها اللجون (مجرو — أو تل المتسلم) من ناحية الغور عرضها من يافا[3] إلى أريحا نحو ثلاثة أيام ، وزغر (بحيرة لوط

(١) معجم البلدان ج ١ — ١٢٥ .

(٢) عاد ياقوت فاعتبر بيت جبرين (بليداً بين بيت المقدس وغزة) كما قال عن قيسارية (أنها فى زمانه أشبه بالقرى منها بالمدن) وأما عن أريحا فقال تحت كلمة الغور ، (ومن قراه أريحا .)

(٣) يكتبها ياقوت أحياناً بالهاء (يافه) .

بين ابن خلدون ومنتسكيو :

القوانين والمجتمع

للأستاذ محمد محمود زيتون

عاش ابن خلدون المغربى المسلم فى القرن الرابع عشر ، وتأمل التاريخ فوضع موسوعته الخالدة «المقدمة» ، وهى أول بحث علمى منظم فى الاجتماع ، وبعده بأربعة قرون جاء منتسكيو الفرنسى المسيحى بكتابه «روح القوانين» Esprit des lois استغرق فى وضعه عشرين عاما قضاها فى دراسات واسعة فى المجتمعات وظروفها السياسية والاجتماعية والدينية التى تحدد قوانينها .

عنى ابن خلدون بالاجتماع الانسانى وما يلحقه من العوارض والأحوال كما اهتم منتسكيو بالمناخ والدين والقوانين والنظم الحكومية والتقاليد والعادات وأحوال المعيشة ، وكلها أمور تتحكم فى المجتمع وتؤلف «الروح العامة» Esprit général وهى مايحدد خصائص الأمة ، ويميز شخصيتها عن سائر الأمم . وبمقتضى هذه الروح العامة يجب أن تسن القوانين «ويجب أن تكون القوانين ملائمة للشعب الذى من أجله سُنَّتْ بحيث إذا لاءمت شعبا آخر غيره كان ارتباك عظيم . . . ويجب أن تكون متمشية مع طبيعة البلد ومناخه . . . ومع طبيعة أرضه وموقعه واتساعه ، ومع نوع المعيشة التى يعيشها الشعب من زراعة أو صيد أو رعى ، ويجب أن تتفق أيضا مع مقدار الحرية التى كفلها الدستور ، ومع ديانة السكان وميولهم وثروتهم وتعدادهم وتجارتهم وعاداتهم وأحوالهم العامة . . . فى كل هذه النواحى يجب أن نعالج القوانين» .

وينشأ الاجتماع الانسانى — فى رأى ابن خلدون — عن الأحساس بالضعف من جانب الفرد فى الحصول على الغذاء والسلاح ، وعن الظلم والعدوان مما لايزال عالقا بالنوع الإنسانى . أما منتسكيو فيرى أن ما يقرب بين الحيوان وأفراد جنسه إنما هى بوادر الخوف المشترك ، وكذلك الإنسان .

ولقد أراد «دوركيم» زعيم المدرسة الاجتماعية الفرنسية

أو البحر الميت) ديار لوط وجبال الشراة إلى آيلة (العقبة) كله مضموم إلى جند فلسطين ، وغير ذلك وأكثرها جبال والسهل فيها قليل[1] .

ولو أن طيراً كلفت مثل سيره   إلى واسط من إيلياء[2] لكان
سما بالمهارى من فلسطين بعد ما   دنا الشمس من فئ إليها فوات

قال البستى ، وكان ورد بغداد رسولاً من غزنة يذكر فلسطين والتزم ما لا يلزمه من الطاء والياء والنون يمدح عميد الرؤساء أبا طاهر محمد بن أيوب وزير القادر بالله ثم القائم :

العبـــد خادم مولانا وكاتبه   ملك الملوك وسلطان السلاطين
قد قال فيك وزير الملك قافيةً   تطوى البلاد إلى أقصى فلسطين
كالسحر يخلب من يرعيه مسمعه   لكنه ليس من سحر الشياطين

فأرعه سمعك الميمون طائره   لازال حليك حلى الكتب والطين
وعشت أطول ما تختار من أمد   فى ظل عز وتوطيد وتوطين

وقال ابن عرمة :

كأن فاها لمن تؤنســـه   بعد عبوب الرقاد والعَلَل
كأس فلسطية معتقــــة   شيبت بماء من مزنة النسل

قال ابن الكلبى فى قوله تعالى (ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم) هى أرض فلسطين . وفى قوله تعالى . (الأرض التى باركنا فيها للعالمين) قال هى فلسطين .

قال عدى بن الرقاع :

فكأنى من ذكركم خالطتنى   من فلسطين جلس خمر عقار
عتقت فى الدنان من بيت رأس[1]   سنوات وما سبقها التجار
فهى صهباء تترك المرء أغشى   فى بياض العينين منها احمرار

(١) يلاحظ أن جند فلسطين كان يحدها من الشمال اللجون ومرج بنى عامر ، ويدخل فيه وادى العربة وجبال الشراة فى شرق الأردن الآن والبلقاء . أما الغور والقسم الشمالى من فلسطين الآن بما فى ذلك حيفا وعكا وصور فقد كانت تابعة لجند الأردن .

(٢) الإسم الذى أطلقة الرومان على القدس وهو إيليا كابيتولينا .

(١) هى إحدى المدن العشرة الاغريقية المعدومة بالديكابولس Decapolis

للكلام بقية

أحمد سالم الخالدى

الحديثة أن يصبغ جهوده فى الاجتماع بالصبغة العلمية تميز فى هذا العلم ناحيتيه « الاستقرارية Statipue والانتقالية Dynamique كما هو معروف فى العلوم البحتة كالميكانيكا والكهربائيه وغيرها » .

فطن ابن خلدون إلى هذا قبل «دوركيم» إذ يرى أن المجتمع ينتقل من البداوة إلى الحضارة ، وهما حالتان طبيعيتان تمرضان له حتى توفرت الظروف . ويحدث هـذا التطور تبعا لنوع المعاش وانتقاله ومن البسيط إلى المركب ، من الضرورى إلى الكمالى ، ومن البداوة إلى الحضارة : فأهل البدو على الفطرة الأولى ، وهم أقرب إلى الخير من أهل الحضر ، ونظرا « لتفردهم عن المجتمع ، وتوحشهم فى الضواحى ، وبعدهم عن الحامية ، وانتباذهم عن الأسوار والأبواب ، قائمون بالمدافعة عن أنفسهم لا يكلونها إلى سواهم ولا يثقون فيهـا بغيرهم » فهم لذلك أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر .

ومن مظاهر البداوة : « العصبية » التى تكون بالالتحام بالنسب بين القبائل و« سكنى البدو لا يكون إلا للقبائل أهل العصبية» التى بها « تشتد شوكتهم ويخشى جانبهم » وتكون الرياسة لمن كان « أعرق فى البـداوة وأكثر توحشاً » والرياسة فى نظر ابن خلدون سؤدد ، وإذا انقلب السؤدد إلى الحكم بالقهر والغلبة انتقلت الرياسة إلى الملك وطرأت على المجتمع عوارض الترف والنعيم والانقياد ، ويعرض له التنافس فى معالى الأمور كما تعتوره الوحشية وبكل ذلك يكون المجتمع فى صميم طور الحضارة لأن المعاش كان ضرورياً فصار كمالياً ، ولأن « الحضارة إنما هى تفنن فى الترف وإحكام الصنائع » . والملك يتسع إذا كان أساسه الدين أولا .

هذا هو المجتمع الدنياميكى عند ابن خلدون . أما منتسكيو فيستنتج قوانين طبيعية أولى هى أسباب التطور فى المجتمع ، منها السلم الناشئ عن شعور الفرد بضعفه إزاء المتوحشين فيشعر « بالدونية » ولا يشعر بالمساواة ، ولا يرغب فى المهاجمة فيسالم ، ويتلو الشعور بالسلم الشعور بالحاجة ثم الشعور بالفرحة المشتركة .

ومن أهم العوامل الفعّالة فى المجتمع الإنسانى « الدين » لما له من أثر فى الأخلاق والتربية ، وكذلك فى السياسة والملك . ويفضل ابن خلدون الأحكام الشرعية على الأحكام التعليمية لأن الأولى يكون الوازع فيها هو الضمير لا المخافة والانقياد كما هو الشأن فى الأخرى . لهذا يعتبر التعاليم الشرعية هى أصول التربية والأخلاق ، وكل ما عداها مفسد ضار ، « فقد تبين أن الأحكام السلطانية والتعليمية مفسدة للبأس ، لأن الوازع فيها أجنبى ، وأما الشرعية فغير مفسدة لأن الوازع فيها ذاتى » .

وللدين الأثر القوى فى الدول العامة الاستيلاء ، العظيمة الملك ، « لأن الملك إنما يحصل بالتغلب ، والتغلب إنما يكون بالعصبية ، واتفاق الأهواء على المطالبة ، وجمع القلوب ، وتأليفها ، إنما يكون بمعونة من الله فى إقامة دينه ... وسرُّه أن القلوب إذا تداعت إلى أهواء الباطل ، حصل التنافس ، وفشا الخلاف ، وإذا انصرفت إلى الحق ، اتحدت وجهتها فذهب التنافس ، وقل الخلاف ، وحسن التعاون ، والتعاضد ، واتسع نطاق الكلمة لذلك فعظمت الدولة » . والدعوة الدينية فى نظره تزيد الدولة فى أصلها قوة على قوة العصبية ، والإمام خليفة عن صاحب الشرع .

أما منتسكيو — مع سعة إحاطته بالدين المقارن — فإنه ينظر إلى الدين من حيث صلاحيته للدولة «فسوف لا أعالج مختلف أديان العالم إلا من حيث علاقتها بالخير الذى تحققه للدولة» . ويقول « إن الأمير الذى يحب الدين ويخشاه إنما هو أسد يذعن لليد التى تدلله ، أو الصوت الذى يناغيه ، والأمير الذى يخشى الدين ويبغضه إنما هو الوحش الضارى الذى يعض السلسلة التى تمنعه من التهجم على المارة ، وأما ذلك الذى لا دين له أصلا فهو ذلك الحيوان المرعب الذى لا يشعر بحريته إلا عند ما يتهجم ويفترس » .

لهذا أخـذ منتسكيو يعرض على كل حكومة ما يناسبها من الأديان والمذاهب حسب اعتدال هـذه الحكومة أو استبدادها « لأن الدين يتبع عادة لون الحكومة » ولأن الدين خير ضامن للناس إخلاص الناس ، فإذا وجب ألا يتعارض الدين مع القوانين فقد وجب كذلك ألا يتعارض مع الأخلاق .

يفترض ابن خلدون الفوضى قبل الملك وبعده مما يوجب السياسة الدينية التى يقررها الشرع ، أما السياسة العقلية التى يفوضها العقلاء فإنها لا ترقى إلى غاية الأحكام الشرعية . «فالسياسة والملك هى كفالة للخلق ، وخلافة لله فى العباد لتنفيذ أحكامه

فيهم ، وأحكام الله فى خلقه وعباده إنما هى بالخير ومراعاة المصالح كما تشهد به الشرائع ، وأحكام البشر إنما هى من الجهل والشيطان » .

وأنواع الملك ثلاثة : الملك الطبيعى ، والملك السياسى ، والخلافة . فالأول حمل الكافة على الغرض والشهوة ، والثانى حملهم على العقل فى جلب النفع الدنيوى ، ودفع الضرر ، والأخير هو حملهم على الشرع دنيا وأخرى ، وهى خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدنيا .

وإذ تتكون الدولة على هـذا النحو ، يستقصى ابن خلدون أطوارها الخمسة فيما يلى : — الظفر والاستبداد والترف والمسالمة والإسراف : ويرى أيضاً أن المال والجند هما العاملان الرئيسيان فى إقامة دعائم الملك إذا وجدا ، وتقويضها إذا فقدا .

ويستطرد من البحث فى الخلافة التى هى الملك الصحيح أو الدولة المثالية إلى البحث في ماهيتها وشروطها وخططها التى فى مقدمتها الصـلاة ، ثم تطورها وانتقالها إلى الملك ، ولا ينسى الحروب وأسبابها التى لا تعدو أن تكون من هذه الأربعة : — غيرة ومنافسة ، عدوان ، غضب لله ولدينه ، غضب للملك . والنـوعان الأولان حروب بغى وفتنة ، والآخران حـروب جهاد وعدل .

والعادات تتأثر بالسياسة ، فالناس على دين الملك ، وعوائد كل جيل تابعة لعوائد سلطانه ، والمغلوب يقلد الغالب ، وتعاقب الأمم والأجيال فى الملك يؤدى إلى المخالفة فى العادات باطراد . والفضيلة دعامة قوية لقيام الدولة ، والعدل أساس الملك ، والظلم فساد للدولة وإفساد للرعية .

وعند منتسكيو أن القوانين علاقات rapports ضرورية تنجم عن طبائع الأشياء ، والوضعية منها أو السياسية التى تواضع عليها العقل الآنسانى ماهى إلا حالات يتجلى فيها العقل ، وهذه القوانين دولية وتشريعية ومدنيـة : الأولى تتعلق بمـا بين الدول من علاقات ، فهى القانون الدولى العام ، والثانية تتعلق بمابين السلطات التى تنظم الدولة من جهة ، وبما بينها وبين الدولة من جهة أخرى ، والأخيرة تتعلق بتنظيم العلاقات بين الأفراد . ثم يتحدث عن العلاقة بين القوانين الوضعية وبين شكل الحـكومة ، والأسس التى يقوم عليها الحـكم والبيئة الجغرافية والاقتصاد وكل هاتيك العناصر التى تسمى « الروح العامة » .

والحـكومات عنده أربع : الجمهورية وهى إما ديمقراطيـة أو ارستقراطية ، والملـكية ، والمستبدة ، ولـكل حكومة فضيلة تخصها ، فالديمقراطية فضيلتها حب الوطن أو حب المساواة ، والأرستقراطية فضيلتها الاعتدال ، والملـكية فضيلتها الشرف ، والاستبدادية صفتها السياسية الخوف ، فهى إذن فضائل سياسية لا تمت بصلة إلى الدين أو الأخلاق .

ويقول ابن خلدون « إن الملك إذا كان قاهراً باطشاً بالعقوبات منقباً عن عورات الناس ، وتعديد ذنوبهم ، شملهم الخوف والذل ولاذوا منـه بالخديعة والمـكر والـكذب ، فتخلقوا بها وفسدت بصائرهم وأخلاقهم ، وربما خذلوه فى مواطن الحرب ... »

وللاصلاح الاجتماعى حدود فى منتسيكو إذ يقول » إذا أراد أمير أن يغير من أحوال شعبه فعليـه أن يصلح بالقوانين ماهو مؤسس بالقوانين ، وأن يغير بالعادات ماهو مؤسس بالعادات ، وإنها لسياسة عمياء أن يغير بالقوانين ما يجب تغييره بالعادات » .

أما ابن خلدون فإنه ينشد الأصلاح الاجتماعى الذى غايتـه الاقتداء « إذ هو — أى التاريخ — يوقفنا على أحوال الماضيين من الأمم فى أخلاقهم ، والأنبياء فى سيرهم ، والملوك فى دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتـداء فى ذلك لمن يرومه فى أحوال الدين والدنيا » .

فالظواهر الاجتماعية والعوامل الطبيعية ذات علائق بالقوانين المشتقة من الروح العامة التى تنتج عن تفاعل هذه العوامل ، وتلك الظواهر فى كل مجتمع على حدة .

ومن هـذا العرض الموجز يرى القارىء مدى الائتلاف والاختلاف بين ابن خلدون رائد التاريخ ، وبين منتسكيو رائد السياسة وكيف التقيا فى ميدان الاجتماع .

محمود محمود زيتونه

صدى مقتل الحسين

في التاريخ الإسلامي والأدب العربي

للأستاذ ضياء الدخيلي

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

ولما كان يوم عاشوراء من سنة ٥١٦ هـ جلس الخليفة الآمر بأحكام الله على باب (الباذهنج) في القصر وكان ذلك بعد قتل الأفضل وعود الأسمطة إلى القصر — على كرسي جريد بغير مخدة متلثما هو وجميع حاشيته ، فسلم عليه الوزير المأمون وجميع الأمراء الكبار والصغار بالقراميز (ويقول البعض هي على ما يظهر ثياب خاصة ملونة بالقرمز) وإذن للقاضي والداعي والإشراف والأمراء بالسلام عليه وهم بغير مناديل ملثمون حفاة ، وعبيء السماط في غير موضعه المعتاد وجميع ما عليه خبز الشعير والحواضر على ما كان في الأيام الأفضلية وتقدم إلى والي مصر والقاهرة بأن لا يمكنا أحداً من جمع ولا قراءة مصرع الحسين وخرج الرسم المطلق للمتصدرين والقراء والوعاظ والشعراء وغيرهم على ما جرت به عادتهم .

قال وفي ليلة عاشوراء من سنة ٥٢٧ اعتمد الأجل الوزير المأمون على السنة الأفضلية من المضي إلى تربة (قبر) أمير الجيوش وحضور جميع المتصدرين والوعاظ وقراء القرآن والمكث إلى آخر الليل والعودة إلى داره ، واعتمد في صبيحة الليلة المذكورة مثل ذلك وجلس الخليفة على الأرض متلثما يرى به الحزن وحضر في شرف بالسلام عليه والجلوس على السماط بما جرت به العادة .

هذا ما كان يحدث من احتفالات في ذكرى مصرع سيدنا الحسين (ع) قبل أن يشاد الضريح الحسيني حيث دفن فيه رأس الإمام الشهيد منقولا من عسقلان . أما بعد ذلك فقد تحدث ابن الطوير عما كان يصنع في عاشوراء فقال : إذا كان اليوم العاشر من المحرم احتجب الخليفة عن الناس ، فاذا علا النهار ركب قاضي القضاة والشهود وقد غيروا زيهم ليكونوا كما هم عليه اليوم (في عهد الناقل ابن الطوير) ثم صاروا إلى المشهد الحسيني وكان قبل ذلك يعمل في الجامع الأزهر ، فاذا جلسوا فيه ومن معهم من قراء الحضرة والمتصدرين في الجوامع جاء الوزير فجلس صدراً والقاضي والداعي على جانبيه والقراء يقرءون نوبة بنوبة وينشد قوم من الشعراء غير شعراء الخليفة شعراً يرثون به أهل البيت عليهم السلام ؛ فان كان الوزير رافضاً تغالوا ، وإن كان سنياً اقتصدوا . ولا يزالون كذلك إلى أن تمضي ثلاث ساعات فيستدعون إلى القصر بنقباء الرسائل فيركب الوزير وهو بمنديل صغير إلى داره ويدخل قاضي القضاة والداعي ومن معهما إلى باب الذهب فيجدون الدهاليز قد فرشت مصاطبها بالحصر بدل البسط وينصب في الأماكن الخالية من المصاطب دكك لتلحق بالمصاطب لتفرش ، ويجدون صاحب الباب جالساً هناك فيجلس القاضي والداعي إلى جانبه والناس على اختلاف طبقاتهم فيقرأ القراء وينشد المنشدون أيضاً ثم يفرش عليها سماط الحزن وفيه مقدار ألف زبدية من العدس والملوحات والمخللات والأجبان والألبان الساذجة وأعسال النحل والفطير المغير لونه بالقصد فاذا قرب الظهر وقف صاحب الباب وصاحب المائدة وأدخل الناس للاكل منه فيدخل القاضي والداعي ويجلس صاحب الباب نيابة عن الوزير والمذكوران إلى جانبه وفي الناس من لايدخل ولا يلزم أحد بذلك فاذا فرغ القوم انفصلوا إلى أماكنهم ركباناً بذلك الزي الذي ظهروا فيه وطاف النواح بالقاهرة ذلك اليوم وأغلق البياعون حوانيتهم إلى جواز العصر فيفتح الناس بعد ذلك ويتصرفون . أما الدولة الأيوبية فقد اتخذت يوم عاشوراء عيداً ومن أيام الأفراح لإرغام آناف الشيعة وإيذائهم .

هذا هو أثر فاجعة كربلاء في التاريخ الإسلامي .

أما في الأدب العربي فقد أوجدت فيه ناحية قائمة يملو فيها الصراخ والعويل وتتردد في جوانبها الثورة على الظلم القبيح وامتداح الإباء وشرف النفس والتمنع عن دنايا الأمور . كان هذا القسم من الأدب العربي طافحاً بتصوير مآسي كربلاء بخطوط واضحة سوداء واجتهد في أن يبرز كل جانب من جوانبها مؤلماً يهطل بالدموع ويثير الآهات والحسرات خاصة بعد أن كان ترديد فاجعة كربلاء على الجماهير مهنة تدر الربح الوفير كما كان حال النواح والمنشدين في العصر الفاطمي بمصر كما تقدم على ما نقل المقريزي في الخطط وكما هو الشأن اليوم في العراق وإيران والهند وجبل عامل وغيرها من الأصقاع الشيعية ، ويدعى هؤلاء (خطباء المنبر الحسيني) ويسمون في اللغة الفارسية (روزه خون) وهي تحريف (روضه خون) أي قارئ الروضه أي روضة الإمام الشهيد يعني قبره الكريم .

سلطان المماليك

فى العهد العثمانى

للأستاذ عبد الباسط محمد حسن

كثيراً ما يتساءل المؤرخون والباحثون : لماذا لم يتخلص السلطان سليم العثمانى من البقية الباقية من المماليك بعد أن تم له فتح مصر فى سنة ١٥١٧ م ؟ ولماذا لم يقض عليهم قضاء نهائياً حتى يستريح منهم ومن أحقادهم .. ويخلص البلاد من شرورهم وآثامهم ؟

أكان ذلك ناتجا عن ضعف الدولة العثمانية .. وعجزها عن القضاء عليهم .. أم كان ذلك .. وفقا لخطة موضوعة .. وسياسة مرسومة ؟

الواقع أن السلطان سليما ، كان رجلا حربيا وإداريا من الطراز الممتاز .. بحيث أننا لا نستطيع أن نقول إنه أخطأ فى عمله هذا .. خصوصاً وأنه لم يتعجل سياسته التى سار عليها فى حكم البلاد .. بل أنه فكر فيها كثيراً قبل أن يضعها .. وبقى فى مصر .. فترة من الزمن بعد انتصاره على قوات المماليك ، للتعرف على نظم الحكم فيها ، ولوضع سياسة ثابتة ، تضمن بقاء مصر تابعة له وللدولة العثمانية .. ولو كان السلطان يرى فى وجود المماليك بمصر خطراً يهدده . لتخلص منهم ولأفناهم عن آخرهم ..

لقد رأى السلطان ببعد نظره وثاقب فكره أن بعد مصر عن مقر الحكم فى الآستانة .. قد يساعد حكامها وولاتها على الاستقلال عن الباب العالى ، فقضى بتوزيع السلطة بين عدة عناصر : فالباشا ومعاونوه يمثلون السلطان العثمانى ويحكمون الولاية ويشرفون على إدارتها .. والديوان يعاون الباشا فى الحكم ، وله حق عزله والاتصال رأساً بالباب العالى .. والحامية العثمانية تشترك فى الحكم والإدارة أيضا .. إلى جانب مهمتها الحربيـة .. ثم هناك إلى جانب هذه الهيئات الثلاث هيئة أمراء المماليك من رجال العسكرية .. يشتركون فى الحكم والإدارة وفى

وقد ألفت كتب فى هذا الموضوع استعرضت تاريخ الفاجعة بصورة مسهبة ضفاضة وشحنت بالقصائد المولة باللغة الفصحى والعامية كما أنه نشأ فى الأدب الفارسى والأدب الهندى والتركى أيضاً قصائد طويلة تردد مأساة كربلاء وترى أبناء هـذه الأمم ينشدونها عندما يقدمون العراق لزيارة قبر الإمام الشهيد فى كربلاء أو أبيه فى النجف الأشرف . وأن أبرز رثاة الحسين (ع) فى الأدب العربى هو السيد حيدر الحلى وقد عرفنا به كتاب (العراقيات) بأنه كان رحمه الله شاعر العراق على الإطلاق حـِلّى البلد (نسبة إلى مدينة الحلة على الفرات قرب أطلال بابل التاريخية) هاشمى النسب ينتهى نسبه إلى الحسين بن على بن أبى طالب (ع) وقد ولد فى شعبان فى سنة١٢٤٦ وتوفى فى ربيع الآخر من سنة ١٣٠٤ هـ وعرف بشاعر أهل البيت حيث انتحى فى أكثر شعره مدحهم ورثاهم ؛ وقد بلغ من رثائهم درجة سامية لم يدع فيها سبقاً لمستبق من مقدمى الشعراء ومتأخريهم . على أنه لم يقصر فى النسيب والفخر والمديح عن غيره من فطاحل شعراء العراق قال فى رثاء سيدنا الحسين

قد عهدنا الربوع وهى ربيع — أين ..؟ لا أين انسها المجموع
درج الحى أم تتبع عنها — نجع الغيث أم بدهياء ريعوا
لا تقل شملها النوى صدعتـه — إنما شمـل صدرى المصدوع
كيف أعدت بلسمة الهم قلبي — وتراها يرق به الملسوع
سبق الدمع حين قلت سقتهـا — فتركت السما وقلت الدموع
فـكأنى فى صحنها وهوقعب(١) — أحلب المزن والجفون ضروع
بت ليـل التمام أنشد فيهـا — هل لماض من الزمان رجوع
شاطرتنى بزعمها الداء حزناً — حين أنت وقلبى الوجوع
ياطروب المشى خلفك عنى — ما حنيـــنى صبابة وولوع
لم يرعنى نوى الخليط ولـكن — من جوى الطف راعنى ماروع
قد عذلت الجزوع وهو صبور — وعذرت الصبور وهو جزوع
عجباً للعيون لم تغتـد بيضا — لمصاب تحمر فيـه الدموع
وأسى شابت الليـــالى عليه — وهو للحشر فى القلوب رضيع
أى يوم بشفرة البغى فيــه — عاد أنف الاسلام وهو جديع
مالشمس النهار فيـه طلوع — ولشمس الحديد فيـه طلوع
أينما طارت النفوس شعاعاً — فلطير الردى عليهـا وقوع
قد تواصت بالصبر فيـه رجال — فى حشى الموت من لقاها صدوع

الخ

ضياء الدخيلى

---

(١) القعب هو القدح الضخم .

الدفاع عن حدود البلاد وقد كان فى مقدور السلطان وفى استطاعته أن يقضى على قوات المماليك .. خصوصاً وأن الدولة العثمانية كانت فى ذلك الوقت فى أوج قوتها ومجدها .. وكانت لها ممتلكات واسعة فى البلقان والأناضول والشام وأرض الجزيرة والفرات، وكانت تتمتع بسيادة كبيرة على شبه جزيرة العرب .. فكان فى إمكانه أن يشتت شمل هؤلاء المماليك ويفرق جموعهم .. ويقضى عليهم قضاء مبرما ، حتى لا تقوم لهم بعد ذلك قائمة .. ولكن السلطان سليم أبقاهم فى البلاد ، لأنه كان فى أشد الحاجة إليهم وإلى جهودهم .. كما أن بقاءهم فى مصر كان متمشيا مع سياسة الدولة العثمانية فى حكم الشعوب الخاضعة لها .. فالدولة العثمانية لم تُغير كثيراً من نظم البلاد المفتوحة ولا سيما أن أمراء المماليك عاشوا فى مصر مدة طويلة .. وعرفوا أحوالها ، وخبروا عادات أهلها ونظم الحكم فيها .. فكان من السهل عليهم أن يديروا دفة الحكم فى البلاد ، بخلاف العثمانيين الذين لم تكن لهم سابقة عهد بمصر ولا بالمصريين . . ومن ناحية أخرى رأى السلطان سليم أن يترك أمراء المماليك يشتركون فى حكم البلاد ، ليحفظوا التوازن بين الوالى ورجال الحامية العثمانية وحتى لا يفكر أحد فى الاستقلال بحكم البلاد والخروج عليه فى يوم من الأيام . يقول على باشا مبارك فى خططه التوفيقية .. الجزء السابع (لما أخذ السلطان سليم مصر . . ورأى غالب حكامها من المماليك الذين ورثوها عن ساداتهم ، رأى أن بعد الولاية عن مركز الدولة .. ربما أوجب خروج حاكمها عن الطاعة .. وتطلعه للاستقلال .. فجعل حكومة مصر منقسمة إلى ثلاثة أقسام .. كل قسم منها يشرف على القسمين الآخرين) ..

من هذا يتبين أن إبقاء المماليك فى البلاد ، وإشراكهم فى الحكم ، كان الغرض منه إيجاد التوازن بين الهيئات الحاكمة ، والاستفادة بهم فى حكم مصر ..

ظلت سياسة السلطان سليم معمولا بها طوال القرنين السادس عشر والسابع عشر .. واستمر هذا النظام نافذاً طوال هذه المدة . . كانت فيه الدولة العثمانية حافظة لمركزها وسمعتها الحربية ؛ فلما ظهر ضعف تركيا الحربي وانتشر الفساد والاضطراب داخل البلاد لم يعد هذا النظام نافذاً .. وأخذت قوة المماليك تزداد شيئاً فشيئاً حتى أصبحت لهم السلطة الفعلية فى البلاد . .

والسبب فى ذلك أن المماليك كانوا يشترون الرقيق من جورجيا والقوقاز وبلاد الجركس وكانوا يأتون بهم إلى مصر .. ويدربونهم فى سن مبكرة على أعمال الحرب والفروسية .. ويعلمونهم الكتابة والقراءة ويحفظونهم القرآن .. حتى إذا بلغوا الثامنة عشرة ، رقوهم إلى رتبة البكوية وحرروهم ومنحوهم مالا وأرضا وجوارى وهؤلاء يتزوجون بدورهم ... ويملأون بيوتهم بالرقيق كما فعل أسيادهم من قبل ... وهذا كان سببا فى كثرة عددهم فى البلاد ... (١) حتى إن عدد المماليك الكبار فى أواخر القرن الثامن عشر عند زيارة (فولنى) لمصر بلغ نحو (٨٥٠٠ مملوك) ينفق الواحد منهم على سلاحه وملبسه وزوجاته وسراريه نحو (٢٥٠٠ جنيه) فى العام على تقدير فولنى . يقول على باشا مبارك (وأخذت البكوات تكثر من المماليك وتتقوى بها حتى فاقت بقوتها الدولة العثمانية فى الديار المصرية ، فآل الأمر والنهى لهم فى الحكومة ... وصارت سلطة الدولة العثمانية فى الديار المصرية غيرحقيقية . ولو كانت الدولة العثمانية تنبهت لهذا الأمر ومنعت بيع الرقيق لكانت الأمور باقية على ماوضعها السلطان) ...

كان نتيجة لهذه السياسة ... أن قوى نفوذ المماليك لدرجة كبيرة جداً ... حتى إنهم كانوا يعزلون الولاة حينما يشاءون . زد على ذلك أن ضباط الجيش وفرقه وهم أعضاء الديوان قد تدهورت حالتهم الأدبية ، وأفقدتهم عيشة الخمول والكسل صفاتهم الحربية الأولى ... فتقربوا من بكوات المماليك الذين استأثروا بالسلطة وأصبح بيدهم الأمر والنهى فى البلاد « حتى إن أحد بكواتهم وهو على بك الكبير » استطاع ان يعلن استقلال مصر فى ١٧٦٩ .. كما أن المماليك كانوا كثيراً مايماطلون الدولة فى إرسال الخراج . . « ولرغبة(٢) الدولة فى استرضائهم لكيلا يمنعوا الخراج عنها ... كانت لا تكاد تبعث بوال من قبلها ، حتى تعزله وتعين بدله ... حتى لقد بلغ عدد ولاتها منذ الفتح العثمانى إلى الاحتلال الفرنسى ... أى من سنة ١٥١٧ م — ١٧٩٨ نحو ٢٨٠ سنة أكثر من مائة وال قل من أقام منهم

(١) فتح مصر الحديث أو نابليون .. للأستاذ حافظ عوض .. عن كتاب ..

Voyage en Egypte et eu Syrie pendant les années 1783 — 84 — 85 .. C. F. Volney.

(٢) فتح مصر الحديث أو نابليون .. للأستاذ أحمد حافظ عوض ص ١٦

أ كثر من عامين ... وكثير من بدل كل عام »

بهـذا نكون قد بينا الأسباب التى دعت السلطان سليم إلى ترك المماليك فى مصر ... وإشراكهم فى الحكم . ونكون أيضاً قد استعرضنا حالتهم من وقت الفتح العثمانى ... وبينا العوامل التى أدت إلى زيادة نفوذهم فى البلاد ... وهناك ناحية أخرى يجب ألا نغفلها .. وهى حالة الشعب المصرى تحت حكم هؤلاء المماليك .

قبـل اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح ، كانت التجارة تمر عن طريق مصر ... فكان المماليك يأخذون منها ما يشاءون من ضرائب وهدايا ورشا ... هـذا غير السلب والنهب ... وكانوا قانعين بما يفرضونه من الضرائب على المتاجر الأجنبية ... وما يدخـل فى خزائنهم من المال ... بحيث لم يروا ضرورة لظلم الفلاح ... وأخذوا يعيشون عيشة بذخ وترف ... فيرتدون أحسن المنسوجات ... ويسكنون أفخم القصـور ... ولـكن الحالة لم تدم على ذلك ... فعنـدما تغير طريق التجارة إلى رأس الرجاء الصالح ... قلت الأموال التى كانت تتدفق على مصر ... فلم يجد المماليك بداً من فرض ضرائب باهظة على الأهالى ... ولم يكن شرههم إلى المال قاصراً على حاجتهم إليه ... فلو كان الأمر كذلك لهان الأمر ... ولـكن نظامهم قضى بألا يقوم لواحد منهم شأن إلا بالإكثار من المال وذلك لشراء المماليك ... والإغداق عليهم من أمواله وجاهه حتى يظلوا على ولائهم ... لهذا أخذوا يمتصون دماء الشعب ، ويحملونه مالا طاقة له به[1] . حتى وصل الحـال بالفلاح المصرى إلى أنه لم يجد سكنا يقيم فيه . فـكان يلتحف العراء ، وذو اليسار منهم يعيش فى أكواخ من الطين ، ولا يجد الواحد منهم ما يأكله سوى الخبز الأسود المصنوع من الذرة والحلبـة ... يتناوله بالبصل النئ أو الأعشاب التى يجمعها من حروف الترع والمجارى ، ويطبخها بغير إدام ، وكان رداؤه قطعة من القماش المصبوغ بالنيلة وهى ميراث الفلاحين وإليها ينسبون (أصحاب الجلاليب الزرقاء) ... وأما الغنى والرفاهية ، والبـذخ ، والذهب ، والفضة ... فقـد كانت للماليك ... ذكر فولنى فى كتابه (رحلة إلى مصر وسوريا) أن على بك الـكبير ابتاع خنجراً مرصعاً بالجواهر الـكريمة بمبلغ ٢٢٥ ألف جنيه ، وأنه حينما خذله أنصاره ، التجأ إلى صديقه الشيخ ظاهر فى عكا ، وكان مقـدار ما أخذه معه من الأموال (حوالى أربعـة وعشرين ألف جنيه) ، يحملها على ٢٥ جملاً ، وكان معـه من المصاغ والحلى ما يساوى أربعة أضعاف ذلك . ويذكر أحـد المؤرخين الذين زاروا مصر بعـد سقوط القاهرة فى أيدى الفرنسيين أن الجنود الفرنسيين كانوا يجدون فى ملابس كل واحد من المماليك الصرعى فى ميدان القتال فى واقعـة امبابة مالا يقل عن مائتين أو مائتين وخمسين قطعة من الذهب عدا ما تقـدر به ملابس الواحد منهم وطيلسانه وسلاحه وسراج جواده من المبالغ الطائلة ، هذا فى الوقت الذى لم يكن أهل مصر يجدون فيه ما يأكلون !

وكان المماليك كثيراً ما يتنازعون فيما بينهم للوصـول إلى الحـكم ، ووجدت بينهم فتن وقلاقل وحروب داخليـة عنيفة كانت توقع الفوضى بالبـلاد ، وكانت الدولة العثمانية تعمل على بقاء هذه المنازعات بينهم ... بل إنها كانت تعمل على التفرقة بينهم وغرس بذور الأحقاد فى صدورهم . حتى لا يستبدوا بالسلطة . فلم يكن من المعقول — والحال كذلك — أن تصلح حال الشعب المصرى ، وحكامه المتصرفون فى أمره ... منقسمون على أنفسهم ، لاهم لهم إلا جمع الأموال ... ولا غرض لهم ولا مأرب إلا الوصول إلى الحـكم والسيطرة على مقاليد الأمور فى البلاد .

كما أن المماليك كانوا كثيراً ما يعزلون الولاة . فلم تتح لهؤلاء الفرصة للاصلاح ... ولقـد كان بعض أولئك الولاة كما أثبت المؤرخون ، من أهل الـكفاية والإخلاص ، وذوى الرغبـة فى إصلاح ما اختل وفسد من شئون هـذه البلاد ... فلا يكاد يشعر المماليك برغبته فى الضرب على أيديهم ... وكف مظالمهم ... حتى يقرروا عزله ، وكانت الدولة العثمانية تساعدهم على ذلك وتسترضيهم حتى لا يمنعوا عنها الخراج .

لقد أخطأت الدولة العثمانية فى سياستها مع المماليك ... كما أخطأ المماليك فى إدارة حكم البلاد ، وسواء أكان الخطأ يقع على كاهل المماليك أم على كاهل العثمانيين ... فإن هذه السياسة الخرقاء التى اتبعها كلا الفريقين . كانت من أكبر الأسباب التى أدت إلى وقوع الفوضى والاضطراب فى مصر ، وبالتالى إلى دخول الفرنسيين فى سنة ١٧٩٨ م .

عبد الباسط محمد حسن
ليسانس آداب
(الإسكندرية)

(١) نفس المصدر .

الباكستان (١)

وعلاقتها بالعالم العربي والاسلامى

للدكتور حسين الهمدانى

شاهد العالم خلال الأحقاب الطويلة البعيدة عدة حضارات ازدهرت فى كثير من أرجاء العالم منها الحضارة التى قامت حول البحر الأبيض المتوسط . وقد قسم المؤرخون هذه الحضارات إلى قسمين : قسم يشمل بلاد الشرق من هـذا البحر ، وقسم يشمل بلاد الغرب منه . والحضارة التى تعنينا اليوم هى حضارة هذا القسم الشرقى الذى يمتد من شمال أفريقيا شرقا حتى يقف عند نهاية الباكستان . وقد ظلت حضارة الجناح الأيمن هذا تشع على العالم أجمع نوراً من العلم والمعرفة والثقافة ، كان يسرى بين خيوطه إشعاعات علم الأقدمين كاليونان والرومان .

وكانت هذه الحضارة متفقة مع الحضارة الغربية فى كثير من الأسس فقد كانت الحضارتان قائمتين على أساس ديانتين عظيمتين كما كانتا تأخذان من تلك الحضارات القديمة كثيراً من مقوماتها؛ وهكذا اتحدت الحضارتان فى الأسس والدعائم .

وقد كانت الباكستان ، ولو أنها كانت جزءا من الهند ، على وثيق بالشرق الأوسط ، وكانت ، تأخذ من حضارة الجناح الأيمن الشرقى ، لأنها كانت تدين بدينه وتتعلق بآرائه وتأخذ من ثمرات مجهودات مفكريه الذين اقتبسوا كثيرا من عصارة ذهن اليونان والرومان والفرس ، وكانت شديدة الصلة بالكادانيين الذين استوطنوا العراق قبل ٧ آلاف سنة ، كما اتصلت بالبابليين وكما وربطت بينها وبين دوله الفرس روابط تجارية ثقافية .

ولدخول الإسلام فى الهند قصة ... إذ قام العرب بعد موت النبى صلوات الله عليه بخمس وعشرين سنة بغزو إيران وسوريا وأرمينيا وقسم من وسط آسيا ومصر . وسار المسلمون فى فتوحاتهم نحو الشرق صوب حيوات وكابول وبلخ ، حتى بلغوا نهر الأندس والسند ؛ وهنا تمكنت العلائق بين العرب وأهل السند وهم الذين يكونون اليوم غرب الباكستان ، وبقيت متينة خصوصاً مع الحكام الهنود فى الجنوب مما نتج عنه توطن الشاطئ الغربى بواسطة كثير منهم ، حيث بنوا المساجد ... ...

ومع أن مسلمى الهند كانوا يعيشون مع غير المسلمين هناك عيشة قريبة متمازجة يفرضها الوضع الجغرافى إلا أنهم كانوا شديدى البعد عنهم فيما يتصل بعباداتهم وتقاليدهم وثقافتهم ورغباتهم . وعلى رغم هذا الوضع الذى كان يقرب بينهم كان المسلمون يتجهون بكل نفوسهم إلى العرب ومسلمى الشرق الأوسط وكانوا يتخذون اللغة العربية لغة للعلم والدرس يؤلفون بها ويؤسسون لها المدارس والمعاهد والجامعات فى جميع بلدان شبه القارة .

ولم تقتصر هـذه الرابطة على تبادل التجارة أو بعض الأفكار الثقافية بل امتدت الرابطة إلى ما هو أبعد من هذا ، امتـدت إلى أن خضع المسلمون هناك لطاعة الخليفة ، كما دانوا له بالولاء . وفى فتح البلدان يقول البلاذرى : إن حكام السند العرب كانوا يلقون خطبة الجمعة متوجة باسم الخليفة ، كما ضربوا العملة باسمه : وظل الحال على هذا من هذه الفترة إلى أن تقوضت الخلافة الإسلامية بتركيا .

وظلت العلاقات قائمة بين المسلمين هناك وبين الشرق الأوسط إلى عصرنا الحديث ... ولم يكن المسلمون ليتوانوا لحظة فى خلال كل هذه السنين عن الشعور بنفس الشعور الذى يساور أهل الشرق فقد كانوا يفرحون لفرحه ، ويتألمون لألمه . وكانوا يعتقدون أن هذا الشرق ما هو إلا جسم واحد إذا اشتكى منه عضو تألم له بقية الأعضاء ، وإذا أصاب طرفا منه ضر أو شر فإنه سرعان ما يصيب كل البلاد قاصيها ودانيها .

ولم يكن مسلمو الهند فى جهادهم بمنأى عن هذا الشرق ، لأنهم كانوا على اتصال وثيق به ، يربطهم به رابطة الدين ورابطة الألم ورابطة الظلم الذى يحل به ، ورابطة القسوة التى يجابههم بها الأقوياء ، ورابطة الحذر مما يبيت المسلمين قاطبة من كيد ومن غدر ، فقاموا من ساعتهم ، فى الحدود التى حاولوا فيها أن يصلوا إلى أقصى ما يستطيعون رغم الاستعمار الأجنبى ، يريدون الوقوف إلى جانب إخوانهم المسلمين فى كثير من العطف وفى كثير من الحزن ؛ فهم حزنوا لتفكك الخلافة ولانهيار الإمبراطورية العثمانية ، لأنها كانت تمثل فى نظرهم قلعة الإسلام . وقاموا يحتجون لدى انجلترا على المعاملة التعسفية التى عاملوا بها مصر عام ١٩٢٤ حينما قتل السردار لى ستاك باشا ، واحتجوا لديها كذلك ولدى عصبة

(١) الكلمة التى ألقيت يوم ١٤ أكتوبر بنادى خريجى الجامعة من غير المقدمة

تاريخ استخدام الدبابات
فى جيش المسلمين

للأديب عطا الله ترزى باشى

يرجع تاريخ استخدام الدبابات فى الحروب إلى وقت نشوء المجلات الحربيـة . وقد وجد فى العراق كثير من التصاوير التى تكشف لنا عن وجود المجلات غير الحربية منـذ سنة (٢٠٠٠) قبل الميلاد ، أما الحربية منها فوجدت فى الصين سنة (١٤٥٠) ق. م. وظهر بنتيجة البحث والتدقيق أن استخدام الدبابات لأول مرة فى التاريخ كان فى إحدى الحروب الدائرة بين المصريين والميتانيين (الانسيكلوبيديا التركية «اينونو» ، جـ٣ ، ص ١٩٥، سنة ١٩٤٩) .

وفى الواقع كان المصريون القدماء أول من استخدموا الدبابات فى الحروب ، ومن بعدهم الآثوريون فاليونانيون القدماء ومن بعدهم العرب (تاريخ التمدن الإسلامى ، جرجى زيدان ، جـ١ ، ص ١٦٠) .

وكان المسلمون يتخذون الدبابات لتسلق أسوار العدو ، وهى آلات من الخشب الصفيق ، وقد تكون طباقاً ، وتغلف بالجلود المنقوعة فى الخل لدفع النار . وتركب على عجل مستدير يدفعها الرجال ويصعد الجند فى أعلاها ويستعلون على السور . وقد يستخدمون الدبابات لهدم الأسـوار فيسيرونها ويحتمون بجدرانها ويجعلون رأسها محدداً يصدمون بها الأسوار حتى تهدم (المرجع السابق) .

وقد استخـدم المسلمون الدبابات لأول مرة فى السنة الثامنة من الهجرة أثناء غزوة الطائف (أحمد رفيق ، الغزوات النبوية ، حاشية ص ٤٥) .

وكذلك جاء ذكر هذه الآلة فى كتاب آخر للأستاذ نفسه (باللغة التركية) وهو كتاب (تاريخ الانتصارات العثمانية) نقلا

الأمم عندما امتد الانتداب البريطانى على العراق لخمس وعشرين سنة تالية ، واشتركوا فى مؤتمر الخلافة سنة ١٩٢٥ واحتجوا لدى الفرنسيين يوم أن ضربوا دمشق بالمدافع ... وكانوا ولا يزالون يتألمون لما يصيب إخوانهم عرب مراكش وتونس والجزائر من ذل يفرضه عليهم المستعمر الغاشم .

وأنى لأؤكد أن الباكستان فى قومتها دولة إسلامية لم تقم لخدمة بنيها فقط ، وإنما قامت لخدمة الإسلام أنى وجد ، فكثيراً ما كانت تناهض انجلترا لإصدارها وعد بلفور بصدد فلسطين . وكثيراً ما حاولت انقاذ هذه البلاد من مخالب الصهيونيين لأنها تؤمن بأنها بلاد تهم المسلمين أجمعين . ولا أظننى أخالف الواقع إن قلت إن زعيمنا الخالد الذكر محمد على جناح كان ينـذر العالم الإسـلامى منـذ قديم الزمان باحتمال قيام الخطر الصهيونى ، وها قد تحققت مخاوفه ، وأصبحنا نرى نذر الخطـر تبنى الانقضاض علينا . الحق يحضنا على ذلك فقد ورد فى القرآن الشريف « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » وليس هناك إلا تقوية الجيوش وحشد القوات ، لأن هذه هى اللغة الوحيدة التى يفهمها العالم اليوم وليس هناك إلا إنشاء المصانع وعمل الذخائر ، فنحن اليوم فى عالم خـلا من وازع الضمير ، وضاع فيه معنى الحق ومرمى الشرف واصبحت الـكلمة للمدافع والهيبة للقوى ؟ فماذا يمنعنا والحالة هذه أن نعمل لهـذه القوة وما الذى يحول دون بلوغنا هذه الغاية ؟

لقد آمنت الباكستان بكل هـذا وراحت تقوى جيوشها وأسطولها ، وليس معنى هـذا أنها تطلب سيادة أو تريد إيقاع العدوان على أحد ، بل هى تريد أن تبقى محترمة مرهوبة الجانب لما قد يهددها ، وتضرب من يهاجمها ... ...

توخيت فى هذه العجالة أن أبين مدى ارتباط الباكستان بالشرق ، وكيف نريد ونأمل أن يكون عليه هذا الأخير من قوة ومنعة ، لأننا نريد للاسلام رفعة الشأن وقوة الجانب ، وليس هناك للاسـلام موطن ، وليس له حدود ... ...

واجب أن انوه بأن كلامى هذا لا يشتم منه رائحة العنصرية ولا المذهبية ، وأريد أن أزيد بأننى لست متعصبا ضد أية ديانة أو مذهب ، وإنما أنا متعصب لدينى ، ومتعصب لبلادى أريد لها ولمن يشترك معها أن يترسموا الطريق نحو العزة والسؤدد وأن يصلوا إلى المـكانة العليا التى يهيؤها لهم إيمانهم ودينهم وتسامحهم ... ... و « ويرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات » .

حسين الهمدانى

عن كتاب (كوكب المسعود فى كوكبة الجنود لابن إسحاق. ص ٧٧) . إنه فى غزوة الطائف استخدم المسلمون الدبابات المصنوعة من جلود الأبقار التى لا تتأثر كثيراً بمقذوفات العدو ، وتقدموا بها نحو السور لإحراق الأمكنة المجاورة له . غير أن أفراد قبيلة ثقيف المحصورين فى البلدة بدأوا يرمونها بقطع من الحديد المحماة بالنار ... (حاشية ص ٢٥٠ ، ٢٥١ من المرجع السابق) .

ويبحث الأستاذ محمد حسين هيكل فى كتابه « حياة محمد » عن استخدام المسلمين الدبابات فى غزوة الطائف بشىء من التفصيل، فيقول :

إنه لم يكن من اليسير أن يقتحم المسلمون هذه الحصون المنيعة إلا أن يلجئوا إلى وسائل غير التى ألفوا حتى اليوم حين حاصروا قريظه وخيبر ... فما عسى أن تكون هذه الوسائل الجديدة التى يهاجمونها بها ؟ ...

وكان لبنى دوس (إحدى القبائل المقيمة بأسفل مكة) علم بالرماية بالمنجنيق ومهاجمة الحصون فى حماية الدبابات . وكان أحد رؤسائها الطفيل قد صحب محمداً منذ غزا خيبر ؛ وكان معه عند حصار الطائف ؛ فأوفده النبى إلى قومه يستنصرهم ؛ فجاء بطائفة منهم ومعهم أدواتهم ؛ فبلغوا الطائف بعد أربعة أيام من حصار المسلمين إياها . ورمى المسلمون الطائف بالمنجنيق وبعثوا إليها بالدبابات دخل تحتها نفر منهم ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليخرقوه ، ولكن رجال الطائف كانوا من المهارة بحيث أكرهوا هؤلاء على أن يلوذوا بالفرار . فقد أحموا قطعاً من الحديد بالنار ، حتى إذا انصهرت ألقوها على الدبابات فخرقتها ، ففر جنود المسلمين من تحتها خيفة أن يحترقوا . (حسين هيكل ، حياة محمد ، ص ٤٢٠ ، ٤٢١) .

ويظهر أن الدبابات فى السابق وإن كانت لها قيمة كبرى فى الحروب لإخافة العدو وإثارة ضجيجهم ، فإنها لم تنل حظاً فى إحراز النصر حيث كانت عرضة للاحتراق ، فإن موادها المركبة من الجلود والأخشاب كانت سريعة التأثر بالنار . وقد حاول المهندسون المسلمون عبثاً إيجاد بعض الوسائل لتقيها من الأخطار المعهودة . فاستعملوا الجلود المبلولة بالماء والمسقاة بالخل ولكنهم لم يفلحوا .

ويحدثنا الأستاذ أحمد بدوى فى مقال له تحت عنوان « القوة الحربية فى مصر والشام » كتبه فى مجلة الرسالة عدد ٨٠٩ وتاريخ ١٤ — مارث — ٩٤٩ نقلا عن (النوادر لابن شداد ، ص١٠٣) عن عظمة الدبابات التى استخدمها العدو فى حصار عكا ، بما يلى :

« صنع العدو ثلاثة أبراج من خشب وحديد وألبسها الجلود المسقاة بالخل بحيث لا تنفذ فيها النيران ؛ وكانت هذه الأبراج كأنها الجبال عالية على سور البلد ، ومركبة على عجل يسع الواحد منها من المقاتلة ما يزيد على خمسمائة نفر ، ويتسع سطحها لأن ينصب عليه منجنيق ، وقد ملأ ذلك نفوس المسلمين خوفاً ورعباً ، ويئس المحاصرون فى المدينة ، ورأوها وقد تم عملها ولم يبق إلا جرّها قرب السور . وأعمل صلاح الدين فكره فى إحراقها ووعدهم على ذلك بالأموال الطائلة والعطايا الجزيلة ، ولكن ضاقت حيلهم عن ذلك . وكان من جملة من حضر شاب نحاس دمشق ذكر بين يديه إن له صناعة فى أحراقها وأنه إن مكن من الدخول إلى عكا وحصلت الأدوية التى يعرفها أحرقها ، فحصل له جميع ما طلبه ، ودخل إلى عكا وطبخ الأدوية مع النفط فى قدور نحاس حتى صار الجميع كأنه جمرة نار ، ثم ضرب واحداً بقدر فلم يكن إلا أن وقعت فيه ، فاشتعل من ساعته ووقته ، وصار كالجبل العظيم من النار طالعة ذؤابته نحو السماء واستغاث المسلمون بالتهليل ، وعلاهم الفرح حتى كادت عقولهم تذهب . وبينما الناس ينظرون ويتعجبون إذ رمى البرج الثانى بالقدر الثانية فما كان إلا أن وصلت إليه واشتعل كالذى قبله فاشتد ضجيج الفئتين ، وما كان إلا ساعة حتى ضرب الثالث فالتهب وغشى الناس من الفرح والسرور ما حرك ذوى الأحلام » .

وحسب ما نعلم كانت هذه المواد هى زيت النفط والكبريت والجير والقار فتتكون من خلطتها النار اليونانية . وقد أشار إلى استعمال المسلمين هذه النار فى الحروب الصليبية الأستاذ كوستاف لوبون فى كتابه (المدنية العربية ، ص ٥١٤ ، ٥١٥) .

ويروى الأستاذ أحمد بدوى فى المقال السابق الذكر نقلا عن (خطط المقريزى ، جـ ١ ص ٣٤٧) أن الفرنج هاجموا دمياط سنة ٦١٥ فى آخر أيام العادل وعملوا آلات ومرمات وأبراجاً متحركة

٣٣٠٤٢

« الدبابات » يزحفون بها إلى برج « السلسلة » ليملكوه حتى يتمكنوا من المدينة .

وتبحث بعض المصادر التاريخية عن أهمية الدبابات التى استخدمها السلطان محمد الفاتح أثناء محاصرة القسطنطينية ، فيقول المؤرخ التركى الشهير أحمد رفيق :

إن السلطان قد أمر بإنشاء أبراج تسير بوساطة عجلات لتستخدم فى خرق السور فصنعوا برجاً خشبياً سياراً يسمى بـ « كشور كشا » أى « فاتح البلاد » وهو مغلف من الخارج ومبطن من الداخل بالجلود المبلولة بالماء لدفع النار . وكان الجنود يتحصنون فى داخله ، وإذا ما أرادوا الخروج فتحوا الأبواب الثلاثة باتجاه المدينة من القسم الأسفل منه فكانوا بذلك فى مأمن من مقذوفات العدو أثناء النزول والركوب . وقد جمعت فيه أكوام من الحطب والأخشاب لإملاء الخنادق وتسهيل الهجوم ، هذا ويحمل البرج مائة جندى انكشارى « ينيچرى » مع كامل أسلحتهم ومعداتهم .

وفى ذات ليلة جاءوا بهذا البرج إلى الموضع الذى عينه السلطان للزحف إلى ميدان القتال . غير أن العدو تمكنوا من إحراقه بقذفهم النار اليونانية[١] إياها طيلة الليل (١٨/نيسان/١٤٥٣)[٢] (راجع تاريخ الانتصارات العثمانية ، ص ٢٥٠ ، ٢٥١) .

وقد عقد الأستاذ كوستاف شلومبرجيه فصلاً مفصلاً فى كتابه « فتح القسطنطينية » باللغة الفرنسية — نقلاً عن بعض المؤرخين الذين حضروا المعركة أمثال باربارو وتتالدى وفرانچس وبيه رس — وصف فيه الدبابة الضخمة التى استخدمها الجيش العثمانى أثناء محاصرتهم للقسطنطينية وصفاً دقيقاً جاء فيه :

إنه فى صباح ١٨ مايو ذُعِر المحصورون فى المدينة وأخذهم فزع شديد إذا رأوا بغتة البرج الخشبى السيار كالجبل عالياً فوق السور ، فملأ ذلك قلوبهم خوفاً ورعباً ، وفقدوا صوابهم فتحيروا فى أمرهم ولم يدروا ماذا يصنعون ؟ ! ... وقد حضر الإمبراطور قسطنطين — حين بلغه الخبر — مع أركان جيشه لمشاهدة هذا البرج العجيب المسمى بالقلعة الخشبية « أو الدبابة » .

لقد قام المهندسون الأتراك بصنع هذه الآلة قرب السور أثناء الليل بصورة خفية وسريعة جداً لم تستغرق أربع ساعات بدرجة ينبغى أن نقول بأن أهل القسطنطينية جماء لم يكونوا ليصنعوا مثل هذا البرج فى شهر كامل وإن ساعد بعضهم بعضاً .

كانت هذه القلعة الخشبية مصنوعة من أخشاب قوية مربوط بعضها ببعض ربطاً محكماً وهى مغلفة من الجهة العليا بطبقتين من جلد الإبل . وقد غطيت من جميع أطرافها بالطين حفظاً من التأثيرات الخارجية : وكانت تسير على عجلات متحركة ومغلفة بجلود البقر والجاموس . وهناك يوجد فى داخلها الدرج (السلم) للصعود إلى الطابق الفوقانى منها. وفيها أنواع العتاد والأسلحة ، كما كان فيها أيضاً كثير من السلالم الخشبية بغية استعمالها فى التسلق على الأسوار . كانت لها ثلاث نوافذ متجهة نحو السور يرمون من خلالها العدو بالسهام ...

تحركت هذه القلعة وبدأ الجنود يرمون التراب والأخشاب فى الخنادق لتسهيل السير حتى بلغوا السور وتمكنوا من فتح ثغرة فيه وبدأوا يثبتون السلالم ويستعلون بها على السور ، ولم يتأثروا كثيراً بالمقذوفات التى كانت تلقى عليهم حتى تمكن العدو من إحراق هذه القلعة باستعمال النار اليونانية ، واستشهد بعض من فيها من جنود الانكشارية .

ويصف (فرانچس) هذه القلعة التى يشاهدها عن كثب وهى تلتهب وصفاً جميلاً فيقول إن السلطان كان يصيح بصوته العالى : أننى لم أكن لأعتقد أن باستطاعة العدو إحراق هذا البرج فى ليلة واحدة وإن صدق ذلك سبع وثلاثون ألف نبى .

(وللتفصيل راجع الفصل السادس من كتاب فتح القسطنطينية لكوستاف شلومبرجيه)

(بغداد) **عطا الله ترزى باشى**
كلية الحقوق

---

(١) وقد استعمل سكان القسطنطينية المحاربون هذه النار عند محاولة العرب الاستيلاء على المدينة ، وأخيراً تمكنوا من اكتشاف تركيبها الكيمياوى فاستعملوها فى كثير من الحروب .

(٢) ولعل الصواب هو ١٨ مايو .

٣ ـ من شــجرة الدر

لحضرة صاحب السعادة عزيز أباظة باشا

عز الدين أيبك — شجرة الدر

أيبـك : قد كنتِ رائعة الآراء بارعة الـ
ـتدبير ملهمةً للحزم والرشـدِ

شجرة الدر : بالغتَ أيبكُ

أيبـك : بل قصرتُ مالكتى

شجرة الدر : فتلك عين الرضا يا صاح فاقتصد

أيبـك : أسرفتُ يا ملكةَ الوادى ؟! أما رأمتْ
يداك مصر فعاشت عيشة الرغـد

دفعت عنها عِداها واعتليت بهـا
مقادم المجـد فى أيامك الجـــدُد

وقدتِها للمعالى واحتشدت لهـا
فأصبحت غرضاً للحقد والحسـد

يا ربة التـاج

شجرة الدر : هذا التاج ضقت به
ذرعاً

أيبـك : وكيف ؟

شجرة الدر : أما أبصرتَ ما يقــع ؟
وزادنى فيه كرهاً أن نُسبت له

وكنت باسمى تَدعونى فأستمع

أيبـك : جلالة الملك أقصت عنك لى أملاً
(فى مرارة) ما زال يهفو له قلبى ويندفع

ولمعة التـاج لم تطفىء برونقها
سوى رجائى وكان الدهرَ يلتمع

يا عصمة الدين[1]

الملكة : عزالدين قلت فلم
تنصف وأنت على نجواى مطلع

أنت الذى مسَّ قلبى فاستجاب له
وعاد يرتاح للدنيــا ويتســع

رحمتــه وهو ناو فى أضالعــه
أنحى عليه الضنى والوجد والجزع

أيبـك : لما وليت أمور الملك قلتُ مضى
عهد الهوى وانقضت فى إثره المُتع

وقلت للنفس : تلك الشمس كيف لها
ترقى وأنت المعنَّى العاجز الضرِعُ

طويت روحى على يأس وهبت بها :
قرّى بيأسك ، لا يجنح بك الطمع

شجرة الدر : فدتك نفسى عزَّ الدين . أى أسى
يهتاج فى عتبك الباكى وينــدلع

لا شىء كالحبّ ... لا ملكٌ ، ولا ولدٌ
ولا شباب ، ولا الدنيا بمــا تسع

والحب إن كَرُمت أعماقُه وصفَت
يسمو على قِيَم الدنيـــا ويرتفعُ

ما أضيع العمر إن لم تحـترق كبدٌ
وتحتـدم لوعةٌ فى القلب تصطرع

أيبـك : يا عصمة الدين هذى ليلة كرُمت
كأنها من ليالى الخلد تنتزع

بعثتنى حين لم أجرؤ على أمـل
وحين كل رجاء فيــك منقطع

وحين نفسى — رعاك الله — تالفة
وحين قلبى — وقاك الله — منصدع

أهواك ... أهواك ألواناً فأيسرها
مُدى تَواتر فى صـدرى فتقتطع

ما زلت والسن تعلو بى أذوب جوى
إذا همست واستفتنى وأمتــقع

شجرة الدر : (وهى تسترد جأشها)
لا بل تحب كاقيـــال الرجال إذا
هاموا فلا الضعف يعروهم ولا الجزع

(١) أحد أسماء شجرة الدر .

ما كنت والتاج يُزهى بى سوى امرأة
تأوى إلى الرجل الحامى فتمتنع

أيبك : نفسى فداؤك قد مزقتها قطعاً
وسمتها الألم القدسى والسقما

شجرة الدر : وكيف ؟

أيبك : من غيرة كالنار حاطمة
والموج مصطخباً ، والسيل محتدماً
تظلُّ تعصفُ بى عصفاً

شجرة الدر : سلمت ولمْ
هذى الشكاية ؟

أيبك : غيرى فيك من سلما
كم بت غيران ممن قد أنست به
ومن همست له فارتاح وابتسما
ما إن تحدثت فى لين إلى رجل
إلا أثرت بقلبى فتنة عمما
وما هششت لبعض الناس عن عرض
إلا نزا الهمُّ فى جنبىَّ واضطرما
الغيرةُ الحبُّ ما شبت ... فإن خمدتْ
فقل مضى الحبُّ فى أذيالها قدُما

شجرة الدر : ممن تغار وقلبى أنت مالكه
رباً هواك وأرمى فيه فاحتكما

أيبك : إنى فريس جوى ما إن خلوت له
إلا انتهى لشغاف القلب فاصطلما
(ثائراً) إنى أغار من الماضى

شجره الدر : أأعقل ما
تلق !

أيبك : أغار من الماضى الذى انحسما
أغار من كلّ من قد ظنّ أن مُلئت
يداه منك فرد النفس واعتصما
أغار من كلّ من أفضى إليك ومن
أثنى عليك ... وإن قال الذى علما
أغار من كل ذى شأن بذلت له
عطفاً فقبّل منه الراح والقدما
وددت لو كنت لى لم تعرفى أحداً
ولا بنى بك زوج ... هان أو عظما
عيناك مشرع ما ألقاه من قلق
الله بالسحر والإغراء علهما
فما تحركتا إلا وأيقظتا
فى الغافلين الهوى والشوق والنهما
يا أطهر الناس عرضاً ما نجوت من ال
باغى الذى يثلم الأعراض والحرما
أمضهم أنك استعذبت فريتهم
وإن رضيت على علاتها التُّهما

عزيز أباظة

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

من صدى الدموع التى شابت :

لله هذا القلم الذى تقلبه بين أناملك فيسطر كلمات هى فى أغوار القلب أنغام وألحان ... فيها الشجن العارم والحزن المقيم ، وفيها الحنان الشفيف والأخوة المتسامية ، وفيها الإنسانية تحلق فى جواء مترعة من الأفكار وعالم حالم من الصور ؛ هنالك حيث يلتقى الناس إخوة ... وتتناجى الأرواح فى همس .

كم حلقت بى كلماتك النابضة التى تتنفس على صفحات الرسالة والتى قرأتها اليوم ... تلك القصة الرائعة التى سجلها قلمك الحى والتى أعجب أنك إنما صغتها من كلمات وكلمات فقط . نعرفها جميعاً ونقرؤها كثيراً ، ولكنها تتجمع هنا وتتآلف لتكون لحناً وتصوغ سمفونية خالدة !

قصة الدموع التى شابت ؟! كم حركت الشجن فى صدرى ، وكم أثارت كوامن الحزن فى نفسى ... نفسى التى عرفت الحزن وألفته وهامت به ، الحزن الذى يصقل النفس ، ويبلور العواطف ، ويجنح بالفكر إلى العلو ..

هذا الصديق الذى كان لحناً توارى بين نجاج الصمت ، وكان حلماً تبدد على صيحة مفزعة لملك الموت ... هذا الإنسان الذى عاش فى حساب الزمن سنوات قلائل ، وعاش دهراً فى حساب التجارب والمحن .. هذا الإنسان الصديق ، الذى لم أره من قبل أريد ياسيدى الكاتب أن أعرفه .

أكتب لنا قصته فهو أولى الناس بأن تكتب عنه . لا تهب ياسيدى نبش القبور ، ولا تتردد فى تقليب الذكريات وبعثها من مثواها الأخير ، الغائر فى أعماق الصمت . . فقد مات الإنسان ولا أحد يعرفه ، عاش مغموراً ومات كذلك . ذهبت الأنات لم تصل إلى أذن ، وتبددت الزفرات لم يشعر بها إنسان إلا أنت . . لقد توى الجسد فى القبر وأصبحت الذكريات ملكا للإنسانية الهائمة على مسرح الأرض . ونحن بغير تجاربنا ندور حول أنفسنا . نبدأ ثم نعيد ، مغمضى الأعين ، مغلق السمع ، مطموسى الحس .. فا كتب عنه ياسيدى على ضوء تلك الرسائل التى بعث بها إليك ، فإنك إذ تفعل إنما تضيف إلى تجارب الإنسانية تجارب . وإلى روضة الفن باقة غالية !

إفعل ذلك بحق الفن . . وفى الانتظار ، تقبل تحيات المخلص المعجب :

سعيد كامل

كلية الآداب — قسم الفلسفة

هذه رسالة من بضع رسائل تلقيتها حول قصة الدموع التى شابت . إنها تعبر عن رجع الصدى العميق الذى هز قلوبا ومشاعر وتنوب عن بقية الرسائل فى إظهار المحور النبيل الذى تدور حوله رغبة ورجاء .

ياصديقى الذى كتبت إلى . . لقد كنت أود أن أقص عليك وعلى الناس قصة ذلك الإنسان البائس ، ولكن هناك أحياء سينفجر مداد القلم دماء جراحهم إذا ما كتبت !. إن وراء السطور مأساة نسج خيوطها القدر ، وقام بإخراجها الزمن ، واشترك فى تمثيلها بعض الناس . . فيهم الشيطان الغادر ؛ وفيهم الملاك الطاهر ، وفيهم الإنسان الشهيد ! أما المسرح فقد كان هناك . . فى الإسكندرية ، وأما النظارة فقد كانوا هنا ... فى القاهرة ، كانوا فرداً واحداً يستمع إلى القصة تنقل إليه على أمواج الأثير فى كلمات ، ولكم تناول هذا الفرد الواحد قلمه ليجفف الدموع التى فاضت ... ولكنها شابت ! !

وهاهو ذا يحاول اليوم أن يكتب القصة ، ولكنه يقف حائراً بين أمرين : رغبة القراء ... ولوعة الأحياء ! ترى هل يرضى الفن فيستجيب لدعائه ، أم يخضع لصوت الضمير فيقبض قلمه إلى حين ... إلى أن تهدأ الرياح ، وتلتئم الجراح ، وتتكسر أمواج المحنة على شواطئ النسيان ! ؟

إننى فى انتظار الرأى من كل صاحب رأى ... وعلى الذين ينشدون عرض المأساة على صفحات الرسالة أن يقدروا هذه الحقيقة وهى أن هناك أموراً على جانب من الخطورة ستذكر ، ولا آمن إذا ما اطلع عليها أصحابها أن يتهدم بيت وتتحطم أسرة ! !

أدبنا بين المحلية والعالمية :

أسمع صيحة تتردد على الشفاه أحياناً ، ثم تنتقل من الشفاه إلى الورق أحياناً أخرى ؛ أعنى أنها تنتقل من ميدان الحديث

المسموع إلى ميدان الرأى المكتوب ... وجوهر الصيحة أو خلاصتها هو أن أدبنا لا يمثلنا، وهدفها أو غايتها هو أننا نريد أدبا مصريا؛ أدبا ينبئ عن الشخصية المصرية، ويومئ إلى الطابع المصرى، ويقبس من بيئتنا صوره وألفاظه ومعانيه!

صيحة يطلقها بعض المتعصبين عن جهل، ورأى يجهر به بعض المتعالمين بغير علم، و «وطنية أدبيـة» ينادى بها بعض «القوميين» على غير هدى وبصيرة ... يريدون أدبا مصريا، ماذا يقصدون بالأدب المصرى؟ هل يقصدون أن يهمل الكتاب والشعراء والقصاصون كل مايتصل بالتجربة الشعورية الخاصة، وبالنفس الإنسانية العامة، وبالحياة فى كل أفق من آفاقها الرحيبة، ليفرغوا لكل مشكلة يومية تعترض طريق الكادحين من أبناء الشعب، وكل ظاهرة اجتماعية تهم المسئولين عن مصالح الناس، وكل مشهد تقع عليـه العين ويلتقطه الخاطر فى نطاق المجتمع الذين يعيشون فيه؟!. أغلب الظن أنهم يرمون من وراء صيحتهم إلى هذا كله؛ وإلى ماهو أبعد من هذا كله؛ فإذا رحل الشاعر المصرى مثلا إلى ربوع سويسرا وجادت مخيلته برائعـة شعرية حول بحيرة ليمان قالت له ألف صيحة وصيحة: هـذا أدب سويسرى هذه بضاعة أجنبيـة، نريد أدبا مصريا نريد بضاعة وطنية ... عندك يا أخى بحيرة البرلس وبحيرة أدكو وبحيرة المنزلة، ألا ترى أننا فى غنى عن أن نستورد من الخارج؟! وإذا تنقل القصاص المصرى مثلا بين أحياء باريس ثم عكست ريشـته بعض صور الحياة فى مونبارناس قالت له ألف صيحة وصيحة: هذا أدب فرنسى هذه آفاق غربية، نريد أدبا مصريا نريد آفاقا شرقية ... عندك يا أخى حى السيدة والحسين وخان الخليلى، ألا ترى أننا فى غنى عن أن نستورد من الخارج؟! وإذا طاف الكاتب المصرى مثلا بأى بلد أوربى فاستمع إلى أدبائه ونقل ماسمع إلى مواطنيه، أو قضى ساعات بين كتب الغرب ثم تحدث عن رحلتـه الفكرية إلى قارئيه قالت له ألف صيحة وصيحة: هـذا أدب البرنطين هذه أفكار أعجمية، نريد أدب المطربشين نريد أفكاراً عربيـة .. يا أخى عندنا فلان وفلان وإنهم لمن سلالة الجاحظ وأبى حيان وابن المقفع وابن العميد فمالنا ولجان سارتر وجورج ديهامل وبول كلودل وأندريه جيـد؟ ألا ترى أننا فى غنى عن أن نستورد من الخارج؟!

هذا هو جوهر الصيحة أو خلاصتها أو هذا هو الهدف الذى تلوذ به وتسمى إليه، ولك أن ترد الجوهر والهدف معا إلى تلك الدوافع التى حدثتك عنها من قبل، ولك أن ترد تلك الدوافع إلى مصدر واحد هو مركب النقص ... يريدون أن يحصروا الأدب المصرى فى بيئتهم لأنهم لا يعرفون غير هذه البيئة، ويريدون أن يفرضوا على الأدب المصرى ألا يتحدث بغير لغتهم لأنهم لا يفهمون غير هذه اللغة، ويريدون أن يقصوا أجنحة الأدب المصرى إذا حلق فى غير أفقهم لأنهم لا يطيقون غير هذا الأفق، ويريدون أن يكتموا أنفاس الأدب المصرى إذا عب من هواء الحرية فى غير جوهم لأنهم لا يستطيبون غير هذا الجو بما فيه من هواء ... ولا بأس من الجمود والركود، ولا بأس من الخمول والرجعية، ولا بأس من البقاء فى المعاقل دون التطلع إلى ما وراء الأسوار. لا بأس من هذا كله ما دمنا نريد أدبا مصريا، أدبا يمثلنا، أدبا لا يصح أبداً أن يتخطى حدود الزمان والمكان!!

أدب محلى هذا الذى يريدون، لأنهم لا يدركون أثر العالمية فى الأدب ولا قيمتها فى حساب الخلود ... كلا يا أصحاب الصيحة السافرة والغيرة الصاخبة، إننا نريد أدبا إنسانيا لا مصريا، أدبا يقرؤه الذين هنا والذين هناك، أدبا يفتش عن مصادر الإلهام ومنابع الوحى فى كل قطر من الأقطار وكل بقعة من البقاع، أدبا يخاطب الوجدان فى كل نفس بشرية ويستنطق الحياة أينما طافت عدسته بمواكب الأحياء، أدبا يطالعه القارئ من كل جنس ولون فيحس أنه قد كتب له، أدبا يصور الخلجة كما تضطرب فى أعماق الصدر، والخفقة كما تهدر من أغوار القلب، والنزعة كما تنحدر من أوكار النفس، والنزوة كما تنزى بين قيود الطبع... وهذه هى المرآة الصافية المصقولة التى تلتقى على صفحتها كل الوجوه، وتأتلف كل المشاعر، وتتعانق كل الأرواح. هنا وفى كل أرض يرتفع فوق ثراها صوت الفن، وترفرف فى سمائها راية الفكر، وتتجاوب فى أرجائها صيحات الباحثين عن أنفسهم فى زحمة هذا الوجود!!

إنك لن تجد فى فرنسا من يقول نريد أدبا فرنسيا، ولن تجد فى روسيا من يقول نريد أدبا روسيا، ولن تجد فى ألمانيا من يقول نريد أدبا ألمانيا، ولن تجد فى إنجلترا من يقول نريد أدبا

انجلترا ... ذلك لأن الأدباء فى كل بلد من تلك البلاد قد فهموا رسالة الفن كما يجب أن تفهم ، على أنها مادة فكرية تحطم حواجز المحلية المقيدة لتنفذ إلى مسالك العالمية الطليقة ، وبمثل هذا الفن الإنسانى تمكنت هذه الآداب جميعاً من أن تحتل مكانها فى كل وطن ، وكل بيئة ، وكل لغة ... وهذا هو الطريق !

جان بول سارتر والشعر :

للفيلسوف الفرنسى الكبير جان بول سارتر مجلة أدبية فلسفية هى « العصور الحديثة أو Les Temps Modernes » ... ولا أريد أن أحدثك هنا عما ينشر فيها من بحوث ، ولا عن مكانة صاحبها من الفكر الفرنسى المعاصر ، وإن كنت قد حدثتك عن مكانة سارتر فى عدد مضى من الرسالة . وإنما أريد أن أنقل إليك قصة طريفة تتعلق بالفيلسوف الفرنسى الكبير وبمجلته الرفيعة ؛ وهى أن شاعراً من الشعراء الفرنسيين قد بعث إليه بقصيدة من « روائع شعره » لتزدان بها صفحات « العصور الحديثة » ... ومضى شهر وشهران وثلاثة والشاعر ينتظر ، ينتظر نشر القصيدة التى ألقى بها سارتر إلى سلة المهملات !

وحين يئس الشاعر من عطف الفيلسوف ، أطلق لغضبه العنان فكتب مقالا ثائراً فى « الفيجارو » يتهم فيه سارتر بأنه رجل لا يحترم الشعر لأنه لا يفهمه ، والدليل على ذلك أنه لم يستطع أن يتذوق قصيدته « الفريدة » التى رحبت بنشرها الفيجارو فى صفحتها الأدبية !.. وتناول الفيلسوف قلمه ليبعث إلى الصحيفة الفرنسية بهذه الكلمات : « عزيزى رئيس تحرير (الفيجارو) .. أؤكد لك أننى أفهم الشعر ، وأؤكد لك أننى أحترمه أكثر مما أحترم الفلسفة ، والدليل على مدى احترامى للشعر هو أننى أخرجت كتاباً عن « بودلير » الشاعر فى حين أننى لم أكتب شيئاً عن « ديكارت » الفيلسوف ... أما الدليل الأخير فهو أننى قد ألقيت بقصيدة الشاعر الذى هاجمنى إلى سلة المهملات » ! !

قصة طريفة أهديها إلى الشاعر المصرى « الكبير » الذى بعث إلىّ برسالة يتهمنى فيها بأننى لا أحترم شعره لأننى لا أفهم الشعر ، وكان قد أهدى إلىّ إحدى قصائده لأقدمها إلى القراء على أنها من فرائد « الأداء النفسى » ، ذلك الأداء الذى سبق أن بحثت مشكلته على صفحات « الرسالة » ... وأكتفى بهذا وأصفح عما جاء برسالته من عبارات مهذبة ، وعليه أن يشكرنى فى رسالة أخرى لأننى استشرت الذوق فلم أذكر إسمه ، وإذا لم يفعل فسأعمد إلى التصريح بعد التلميح !

بعض الرسائل من حقيبة البريد :

هـذه رسالة من الشاعر العراقى الفاضل الأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى أقول رداً عليها بعد شكره على كريم تقديره ، هل تود أن أجيبك عما سألتنى عنـه هنا أم تود أن يكون الجواب فى رسالة خاصة ؟ إننى فى انتظار رأيك . وهذه رسالة أخرى من العراق أقول لمرسلها الأديب الفاضـل محمد سعيد « مسيب » ، إننى أرحب بعضويتك فى محكمة الأمانة العلمية وأشكر لك حسن ظنك بصاحب « التعقيبات » ، وأعتذر من نشر حكمك القاسى على الدكتور شكرى لأننا لم نسمع بعـد كلمته فى الموضوع ، أما الرسالة الثالثة فهى من الأستاذ الفاضل فؤاد الونداوى « بغداد » وبها سؤال عن « القيود فى الفن » سأعرض له بالتعقيب فى العـدد المقبل من « الرسالة » ، ومن العراق أيضاً هـذه الرسالة الرابعة وهى من الأديب الفاضل عبـد الله نيازى « بغداد » ياصديقى لك خالص امتنانى لتفضلك بإهدائى « نهاية حب » ، قصتك الطويلة التى تلقيتها منذ أيام ، وانتقل إلى الرسالة الخامسة وهى من الأديب الفاضل عبـد الله النافع « عطبرة — سودان » وفيها يرمى زميله الأديب السودانى سـيد أحمد قناوى بأنه يبعث إلى « الرساله » بأقاصيص منسوبة إلى الإنجليزية حيناً وإلى الفرنسية حيناً آخر مع أنه لا يجيد هذه ولا تلك ، إن ردى على هذا الاتهام هو أن يدفع الأديب المتهم عن نفسه ما رمى به ، وذلك بأن يذكر فى أقاصيصه المقبلة أسماء من ينقل عنهم ويترجم لهم ! أما الرسالة السادسة فمن أديب فاضل من « الاسكندرية » رمز لنفسه بهذين الحرفين (م . خ) وبها سؤال عن بعض ما جاء بكتاب « الحب الضائع » للدكتور طه حسين ، ياصديقى المجهول لك خالص شكرى على جميل رأيك فى صاحب هـذا القلم ، وإلى العدد المقبل حيث أتناول بالنقد تلك الفقرات التى نقلتها إلىّ ... ويضيق النطاق اليوم عن بقية الرسائل فى حقيبة البريد .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

تكريم الدكتور طه حسين :

أقام اتحاد التعليم الحر يوم الخميس الماضي ، حفلة تكريم للدكتور طه حسين بك في دار الاتحاد النسائي لمناسبة عودته من أوربا . وقد بدأت الحفلة بكتاب من معالي الأستاذ محمد العشماوي باشا وزير المعارف ألقاه الأستاذ محمد سعيد العريان ، وقد تضمن هذا الكتاب الكريم تقدير معالي الوزير للدكتور طه ، إذ قال فيه بعد التعبير عن الأسف لعدم المشاركة في الاحتفال : إنه كان يود الحضور للتنويه بفضل أديب العربية الأول والاعتراف بما أسداه للأدب والفن ، وما أداه لقضية التعليم ، وما أفادت الأمة العربية من آثار سفارته العلمية الموفقة في بلاد العلم والحضارة ، بما نشر في المجامع العلمية من مباحث ، وما أذاع من محاضرات ، وما ترجم له من آثار ، وما أثر عنه من أحاديث .

وقد أجمل معالي وزير المعارف بتلك الكلمات ، الأسباب الداعية إلى تكريم الدكتور طه بك. وقد دعوت الأدباء في كلة سابقة إلى الاحتفاء بعميد الأدباء بعد أن بسطت القول في دواعي هذا الاحتفال ، والواقع أن الرجل لا يوفى حقه أي تكريم ، لأنه لا يعطى نفسه قدر ما يعطى هذه البلاد ، فهو في الداخل محاميها المدافع عن حق أبنائها في التعليم ، وهو في الخارج سفير بلا مرتب وداعية ينفق من ماله ، على حين نرى عشرات المندوبين توفدهم الدولة إلى المؤتمرات العالمية ، وتكلف خزانتها نفقاتهم ، ثم لا نحس أثراً لهذه الرحلات والنزهات في غير الصحة الجيدة التي يتمتع بها العضو الكريم ...

حقاً إن الرجل لا يفي بحقه أي تكريم ، ولكني لا إخال حفلا يقيمه الأدباء إلا نافعاً من حيث ما يتوقع أن يقدم فيه من دراسات وألوان رائقة حية من الأدب والفن . وقد رأينا المشاعر المتدفقة وفاء في حفلة رجال التعليم الحر ، رأيناها في الجهد على قدر المستطاع ، وهو جهد يدل على الصدق في النية أكثر مما يدل على شيء آخر. ولا أستطيع أن أغفل الحديث عن القصيدة الممتعة التي ألقاها الشاعر الاسكندري الأستاذ محمد فضل اسماعيل ، فقد خرج فيها عن قوالب المدح المعادة إلى حديث الأديب إلى الأديب ، والتعبير الظريف عن الخواطر السرية .

واختتم الحفل بكلمة فياضة من المحتفى به ، دارت حول حق المعلم في رعاية الدولة ، وحق الأمة في تعليم أبنائها بالمجان في جميع مراحل التعليم ؛ وقد دعا إلى « تأميم التعليم » بأن تدير الدولة كل معاهده ، وتيسره لكل راغب ، وتأتي بالمعلمين من كل قادر على أن يعلم شيئاً ؛ فلا تقتصر على خريجي الكليات ومعاهد التربية وحاملي الشهادات ، وقد سخر من « البيداجوجيا » ذاهباً إلى أنه لا ينبغي لها أن تقف في سبيل نشر التعليم ، وأنه لا ينبغي أن ننتظر حتى نتمكن من بناء المدارس الفخمة وتأثيثها بفاخر الأثاث ، بل يجب أن نتعلم في أي مكان وعلى أية حال ، حتى يتاح لنا أن نأخذ بأسباب الكمال ، وضرب أمثالا لذلك منها أن المصريين في القرى لا يستطيعون أن يمسكوا عن شرب الماء حتى يصفى لهم .

ذلك ، وقد لوحظ أن خطباء الحفل وشعراءه أجمعوا على إبراز شيء كان يجب — إن لم يكن منه بد — أن يكون « مضمراً » فلم تخل خطبة أو قصيدة من الآمال والمطالب ، حتى ليمكن أن يقال إن نصيب أصحاب الحفلة من أنفسهم كان أكثر من نصيب المحتفل بتكريمه . ويمكن أيضاً أن يقال إن تكريم المعلمين لآمالهم كان أكثر من تكريمهم للرجل الذي احتشدوا لتكريمه ... وقد جعل الخطباء والشعراء يجاذبون هذا المعنى ، حتى جاء الخطيب الأخير ، فرقّم المطالب بأول وثان وثالث ... فهذا « الجدول » المرهق للمعلم المسن في المدارس الحرة ، وغيره مما لا أطيل بذكره . ولست أدري كيف غاب عن المعلمين أن الدكتور طه حسين بك ليس الآن في منصب بحيث يقال له ذلك ، والقوم جديرون بالإنصاف والتقدير ، والرجل أهل لصنع المكرمات ، ولكن لكل شيء وقته ولكل مقام مقال.

وقد كثر الخطباء والشعراء ، وأطالوا ، حتى كاد ينقلب التكريم إلى ضده . ويبدو مع ذلك أنه كان هناك آخرون يبغون القول ، غير من قالوا ، وقد أفلت شاعر من الزمام ووقف يلقي

قصيدته دون أن يُقدِّم غير عابئ بغيظ المنظمين .. وكلما قوطع قال : لم يبق إلا بيتان !

وقد شاهدت بعض «المضطهدين» في وزارة المعارف ولسان حالهم يبغى اللياذ .. كما رأيت بعض كبار الموظفين في الوزارة يحيطون بالدكتور طه حسين ، وقد سألت نفسي : هل كان هؤلاء يُلحون بهذا المقام في غير هذا الظرف ؟ ما أحسب الدكتور طه إلا يتعب كثيراً ، كان الله له .

كرامة الأدباء :

كتب « أديب ناشئ » في جريدة الزمان يوم الخميس الماضي يقول إنه حضر مجلساً في ندوة الأستاذ كامل كيلاني أتى فيه ذكر الأستاذ العقاد من حيث ترفعه وكبرياؤه ، فقال الأستاذ الكيلاني : إن احتفاظ العقاد بكرامته جعل كثيراً من (الباشوات) يقدرون الأدباء حق قدرهم ، وهو في احتفاظه بكرامته كما يقول على بن الجهم عن العلم :

أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة
إذن فاتباع الجهل قد كان أحزما

والأديب الناشئ يحكى عن الأستاذ كامل كيلاني نسبة البيت إلى على بن الجهم ، وإنما هو لعلى ابن عبد العزيز الجرجاني صاحب الوساطة بين المتنبي وخصومه ، وقبل هذا البيت قوله :

ولم أقض حق العلم إن كنت كلما
بدا مطمع صيرته لي سلما

ولا أشك في أن الأديب غاب عن ذكراته ما سمعه من الأستاذ الكيلاني ، فقد سمعت البيت من الأستاذ غير مرة منسوبا إلى صاحبه ، وقد أورده صحيح النسب في بعض مؤلفاته ، ويرجع ترديده البيت إلى اعتزازه بهذا المعنى .

وحق ما قال كامل كيلاني في العقاد ، كما أنه مما يجب أن يذكر في هذا الصدد أن جيل الأدباء الحالي رفع شأن أشخاصه بتوجيه همهم إلى القراء عن طريق الإنتاج ، وإعراضهم عن التلصق بالكبراء ، فالأديب يرتفع قدره أولا عند الجمهور ، ثم يطلب (الباشوات) مودته ، وهؤلاء منهم الأديب ، أو المثقف ، المقدر حقيقة ، ومنهم من يبهره الصدى المردد . على أن الزمن قد تطور ، فقد أصبح بعض الأدباء من الباشوات ومنهم من لا تقل مكانته ولا ينقص قدره في المجتمع ، بل يزيد ، عن حملة هذه الألقاب .

كشكول الأسبوع

□ لعل كثيرين لا يعرفون أن معالى عبد العزيز فهمى باشا شاعر ممتاز . وقد كان صاحب « الكشكول » ممن يجهلون ذلك ، ولكنه قضى ساعة مع الأستاذ عبد الفتاح الشناوى (راوية عبد العزيز باشا) أسمعه فيها شعراً طرب منه ، ومن ذلك ما طارح به أخيراً معالى المفتى الجزايرلى باشا وزير الأوقاف ، وهى مطارحة طريفة نرجو أن يسمح الباشا بنشرها في « الرسالة » قريباً .

ومما أنشده الشناوى الراوية قول الباشا وقد توفيت حرمه على أثر إنجاب ولده محمد :

يا وردة عاشت حياة الورد	عمراً سريعاً وهوت للحد
لولا برىء غافل في المهد	يرضيك أن أحيا ليحيا بعدى

لعجلت بي زفرات الوجد

□ تقرر انعقاد مؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، ابتداء من ١٩ ديسمبر القادم ، ومؤتمر المجمع هو الذى يحضره الأعضاء الأجانب من شرقيين وغربيين مع زملائهم المصريين .

□ يعمل المجمع الآن على جمع مواد « المعجم الوسيط » تمهيداً لتقديمة للطبع ، وقد رؤى أن يطبع على الصورة التى تم بها الآن رغبة في تلبية طلبات إنجازه ، وإرجاء ما يراد استكماله به إلى فرصة أخرى .

□ صدر أخيراً الجزء الأول من كتاب « الوصف في الشعر العربي » وهذا الجزء خاص بالوصف في العصر الجاهلى ، والكتاب من تأليف الأستاذ عبد العظيم على قناوى ، وهو من المدرسين الأكفاء الذين يشتغلون بالإنتاج الأدبى العام ، وقد نهج في كتابه هذا منهجاً جديداً موفقاً في اختيار النماذج وتحليلها ونقدها ، يتجلى فيه ذوق الأديب المطبوع وقدرة الكاتب المطلع .

□ يعمل الآن الأستاذ محمود الخفيف في دراسة « جوته » على الطريقة التى اتبعها في دراسته القيمة عن « تولستوى » ويوشك أن يفرغ من هذا العمل الأدبى الذى حببه إليه الأستاذ الزيات مترجم « آلام فرتر » وهو لهذا سيهدى إليه الكتاب .

□ كتب الأستاذ محمد حسن الأعظمى عميد الكلية العربية بالباكستان ونزيل القاهرة الآن ، إلى معالى وزير المعارف ، يقول إنه اطلع على ما انتوته الوزارة من تشكيل لجنة لترجمة المؤلفات من لغات غربية وشرقية إلى العربية ، ولم يجد بينها اللغة الأردية مع غناها بالمؤلفات العلمية والأدبية القيمة ، مما يجعلها جديرة باعتبارها ضمن اللغات التى يهتم بها كمصدر من مصادر الترجمة المفيدة .

□ يشتغل الأستاذ محمود بك حسيب بدراسة بعض الكلمات العامية للبحث عن أصولها ، ومما حققه قولهم : بحثت عنه في (سلقط وملقط) فالكلمة الأولى أصلها « سقلط » وهى مدينة رومية كانت مشهورة بالثياب ، والكلمة الثانية إتباع لها . والمحقق أنه لم يبحث عن ذلك في (سلقط وملقط) لأنه وجد ما يريد .

وحسيب بك مولع بجمع طرائف البطاقات ، ومن هذه الطرائف ما كتب على بطاقة : « عمر كليشم عمدة كفر داود سابقا والآن العمدة نجله » .

فلم الأسبوع :

حسونة الطرابيشي يحب بنليه أخت عزوز الحذاء ، وقد خطبها من أخيها ، ولكن هذا لا يريد أن يزوج أخته إلا بعد أن يتزوج هو ، ويلتقى عزوز بعزيزة فيحبها ويخطبها من أمها فترحب به ؛ ولكن نعيم الحلاق الطامع فى الزواج من عزيزة يقول لعزوز إن خطيبته تعمل راقصة باسم « قطر الندى » فيذهب عزوز إلى المرقص هو وأصحابه وأخته ، فيشاهدون الراقصة قطر الندى فيعتقدون أنها عزيزة ، والحقيقة أنها غيرها ، ولكنهما تتشابهان . وتعرف الراقصة من كلامهم أن لها شبيهة ، وتعرف عنوانها ، فتحاول أن تستغل هذا التشابه فى تدبير أمر . تذهب إلى منزل عزيزة وتعرض عليها أن تحل محلها ليلة واحدة لتذهب إلى والدها المريض ، مقابل مائة وخمسين جنيها ، فتقبل عزيزة وتذهب إلى المرقص وترقص . أما قطر الندى فإنها تذهب إلى جوهرى علمت أن لديه جوهرة ثمينة ينوى صديقها الغنى أن يشتريها وتخشى أن يهديها إلى غيرها ، وتحتال الراقصة على الجوهرى حتى يريها الجوهرة ، فتضربه على رأسه ليفقد الوعى وتأخذ الجوهرة وتتركه صريعا ، ثم يفيق بعد ذلك ويبلغ (البوليس) وتحدث عدة حوادث تتردد الشبهة فى أثنائها بين قطر الندى وعزيزة . وتستطيع عزيزة أن تبرهن لوكيل النيابة على أنها بريئة وأن الجانية السارقة هى قطر الندى ، فيقبض على قطر الندى ويطلق سراح عزيزة ومن اتجهت الشبهة إلى اشتراكهم معها ، وهم عزوز وحسونة وبلية والمعلم كودك المصور الذى كان بصورهم وكانت صوره تلعب دورا هاما فى وقوع هذه الأحداث ويتزوج كل صاحبته ، حتى المعلم كودك ، إذ يتزوج أم عزيزة .

هذه هى قصة فلم « منديل الحلو » الذى عرض أخيراً بسينما « نحاس فلم » وقد ألف القصة وأخرج الفلم عباس كامل . رأينا الفلم يسير فى جو طبيعى مشوق حتى بدأت دسيسة الحلاق لصرف الخاطب عن مخطوبته ، فقد ابتدأت سلسلة من الحوادث المبهمة ذات جو بارد ممل رغم ما تخللها من رقص وغناء ، ويرجع ذلك إلى التكلف والافتعال فى محاولة حبك القصة ، فمثلا أية ضرورة تحمل الراقصة على أن تحل محلها واحدة تشبهها ؟ وماذا فى أن تتخلف عن العمل ليلة لعذر ؟ وما أدراها أن عزيزة تجيد الرقص مثلها ؟ والعجيب أنها اكتفت بقول عزيزة لها إنها تعرف الرقص دون أن تحقق من هذا ... وهكذا لو تتبعنا وقائع الفلم وجدناها تسير وفق رغبة المؤلف والمخرج فى أن يهيئ مواقف معينة ولو أخرج طبائع الأشياء عن حقيقتها وأجرى الأمور فى غير مجاريها . وهناك الزحمة التى تربك المشاهد والجلبة التى تصدع الرؤوس وتضيع فى غبارها عناصر الفكاهة والغناء والرقص . ولست فى حاجة إلى أن أشير إلى ما امتلأ به الفلم من الرقص ، ولا سيما أن بطلته تحية كاريوكا (عزيزة) وقد تعجلها المخرج فلم يصبر عليها حتى تصل الحوادث إلى المرقص ، بل جعلها ترقص لخاطبها عزوز بدكانه بين الأحذية فى أول مرة يلتقيان فيها ... وهو (عبد العزيز محمود) يغنى لها ولمنديلها « الحلو » حتى استحال الدكان إلى (كباريه) !

ومن العبث أن تسأل عن القصة : ماهى ؟ ولم هى ؟ فالمقصود هو « الفرقة » أو « الجوقة » أو « التخت » الذى يتكون من تحية ومارى منيب وإسماعيل يس وحسن فايق وحسن كامل وسماد مكاوى وغيرهم ، فالغرض الأساسى إظهار هؤلاء فى الأوضاع التى عرفوا بها ، لترقص الراقصة ويغنى المغنى ويضحك المضحك . وهكذا نرى أن فكرة « التخت » القديمة لا تزال كما هى فى جوهرها وإن اختلفت بحكم الزمن والاختراع ، فكلما كان التخت يدعى إلى الأفراح والليالى الملاح ، يدعى الآن إلى (الاستديو) للتصوير والإنتاج ، أما أغراض فن القصة من عرض وتحليل وغيرهما فلا بأس أن تتحقق فى عرض الأجسام تحليل قدرة الممثلين على إرضاء طبقة الفارغين من الناس ...

والتسلية فى الفلم من النوع المبتذل الرخيص ، ومن المؤسف أن الممثلين والممثلات — وهم مجموعة من أشهر النجوم والكواكب — لم يستغلوا استغلالا مفيدا ، لتفاهة التأليف وركاكة الحوار وضعف الإخراج ، ووجه الأسف أن تكون لدينا كفايات تمثيلية يمكن أن توضع فى القوالب الفنية الراقية ، ولكنها تحول إلى الابتذال والتهريج ، حتى لا يجد صاحب الذوق السليم ، ولا أقول المثقف — فى هذا الإنتاج ما يمتعه ويبهج نفسه .

والفلم مقتر عليه فى الإنفاق ، وقد ظهر التكلف فى انتقال أبطاله إلى الإسكندرية دون حاجة إلى هذا الانتقال ، ليظهر منظر البحر والشاطئ والقطار ، وهى مناظر متكررة معدة من قبل ، وقد قصد بذلك تغطية فقر الفلم فى المناظر الجميلة ، ومنظر الشارع الذى تقع فيه أهم حوادث الفلم لا ينطبق على واقع وليس له أية سمة أو معالم واضحة .

عباس خضر



تعبير جزل وليس فيه مجانبة :

« يا ابنة الله » ويا عين الله » تعبيران وردا فى مناجاة الأستاذ الراعى للشمس فى العدد ٨٤٠ من الرسالة ... وإذا كان لى أن أعقب بكلمة لذينك التعبيرين الرائعين فإنما الدافع لذلك كلمتان للأستاذين الفاضلين دسوقى حنفى وثروت أباظة . . فى الأولى سؤال للتبيين . فصاحبها يطلب ما غمض عليه وأعجم من التعبير خدمة للحقيقة والأدب كما يقول . وفى الثانية استنكار لهذا التبيين « بعد أن أوضحه الأستاذ الراعى فى العدد ٨٤٧ من الرسالة » فصاحبها وهو الأستاذ ثروت يقول : قلم شط فى التعبير وكان الله غفوراً رحيما ... ويسترسل فى استنكاره مستغفراً ربه لهذه الهنة طالباً منه الهداية والتوبة والرحمة ... ويبدو لى من ثنايا كلمته أنه أراد أن يتوكأ على هيكل التفسير للأستاذ الراعى ليتسنى له هدم الأصل الممثل فى التعبيرين السالفين . ومهما يكن الأمر غير ذلك فقد يكون الأستاذ ثروت محقاً فيما يذهب إليه ويستنكره إلى حد ما إذا نظرنا إلى الأمر من زاوية واحدة ونعنى بها المنطقية فى متناولها السهل القريب التى تعتمد فيها على المألوف وحده . . ولو حومنا طويلا وبذلنا المجهود فى التعليل وأعملنا الفكر والخيال إن أردنا التحليق فى أفق المعنى البعيد فيستبان مالم يكن ليدركه العقل إذا اقتصر على أفقه المحدود للحكم الأول على الأشياء لما همّ بنا العجب إذا تأدّت لنا « يا ابنة الله » — وهى موضع الخلاف مع زميلتها الأخرى — أو بمعنى يانفحة من الله ويا شعاعا من عظمته وآية من قدرته وعملا من معجزاته واستخراج ذهن إلـهى جبار ... ألسنا نعبر عن إنتاج الأديب والفنان بقولنا «هذا من بنات أفكاره ؟ » فلا نعنى سوى المبتكر المستخرج من مصنع الفكر ومستودع الذهن ومنبع الإلهام .. فما أقمن الشمس أن تكون من بنات الله المصنوعة المخلوقة من قدرته وإرادته . جل شأنه فى الخلق والإبداع والتكوين . . فى هذا المجال المرع الفسيح يسهل التعليل ويلين التبيين وينطق المستغلق ... وإذا قلنا إن الله واحد لم يلد ولم يولد كما عبر الأستاذ ثروت فالمعنى بعيد عما نحن بسبيله . ويكفى أن تفهم ما يعنيه الكاتب ويهدف إليه وإذ ذاك يبطل العجب . أما أن الشمس عين الله فى المعنى الآخر فلست أقول فى مجال التعليل واستنهاض المجاز إلا أنها عين الحقيقة . والحقيقة هى الله . وكذا يقولون ولك ما تشاء بعد ذلك من تمحيص وتحليل واستقصاء للمعنى السامق الجليل .

(السويس) محمد عبد الرحمن

حضرة صاحب التعليقات :

قرأت فى العدد ٨٤٤ من مجلة الرسالة بحثاً للأستاذ عبد المنعم عبد العزيز المليجى بعنوان الفلسفة الصامتة ، وقد أثار انتباهى قوله : بعد أن أنهى كلامه عن بوذا وفلسفته التى استوحاها من تلك القصة التى عبرت : إن الحياة أعظم الشرور وأن الخير يقضى بالتحرر منها ، كما أنه قال إن هذه القصة ترمز إلى فلسفة الهند الزاهرة فى الحياة المتعلقة بالروحانية : هى عين الفلسفة التى يعبر عنها سليمان الحكيم فى الكتاب المقدس . وهنا أتساءل كيف قال الأستاذ المليجى إن فلسفة بوذا هى التى عبر عنها سليمان الحكيم . وكيف يكون هذا مادام بوذا يدعو إلى التخلص من هذه الحياة التى قال عنها إنها أعظم الشرور ، وهل يدعو إنسان عاقل إلى التخلص من شر إذا علم أنه سيعود إليه فيما بعد ؟

ومن خلال دعوته تظهر اللهفة على التخلص من هذه الحياة كما أنها تظهر من خلال كلماته أن الحياة أعظم الشرور . ومن هذه اللهفة يفهم المرء أن لا عودة إلى هذه الحياة إن خلص منها ، وبما أنه لا عودة إليها تنتهى فلسفته إلى الجمود .

وأن سليمان الحكيم يقول فى الكتاب المقدس : إن ما كان سوف يكون وما حدث سوف يحدث ، وليس تحت الشمس من جديد . هل هناك شئ نستطيع أن نقول عنه ، أنظر هذا جديد ؟ كلا !

إذن . سليمان يقول إن الحياة تعيد دورها والتاريخ يعيد سيرته من ماض إلى حاضر ، ومن حاضر إلى ماض . فكل ما يراه الناس جديد يستمد حياته من الفناء كطبيعة الكون فى الفصول الأربعة تنتقل من فصل إلى فصل .

مادام بوذا يقف بفلسفته عندالروحانية وهى الرتبة العليا لأبناء الدنيا ، وسليمان لا يقف عند حد ، بل الحياة مستمرة فى دورانها تعيد الماضى إلى الحاضر وبالعكس ، فلا يمكن أن يقال إن فلسفة بوذا هى نفس الفلسفة التى عبر عنها سليمان الحكيم فى الكتاب المقدس .

وإن كلة (عين الفلسفة) هى التى جعلتنى أكتب إلى صاحب التعقيبات مستفهما عن هذه النقطة آملا أن يفتينى عن السؤال عنها ثانياً ، وله الشكر سلفاً .

اللاذقية — سوريا **محمد بدر**

الى وزارة المعارف

فى كتاب « المطالعة العربية » ص ٤ المقرر هذا العام على طلبة السنة الرابعة الابتدائية ترجمة للامام الشافعى ، وقد جاء فيها مانصه :
« وفى سنة خمس وتسعين ومائة من الهجرة سافر إلى بغداد أيام الرشيد فرحب به علماؤها » (ص ٣٥ مطبعة بولاق سنة ١٩٤٩)

ولقد أجمعت كتب التاريخ على أن الرشيد توفى سنة ثلاث وتسعين ومائة من الهجرة ، فكيف تكون سنة ١٩٥ هـ فى أيام الرشيد ؟

هذا وقد ألف الكتاب لوزارة المعارف ليدرس فى مدارسها رسمياً — الأساتذة ابراهيم مصطفى بك ، ومحمد عطية الابراشى ، وعبد المجيد الشافعى ، والدكتور عبد الوهاب عزام بك ، وحامد عبد القادر ، وراجعه الأساتذة الدكتور طه حسين بك ، والدكتور أحمد أمين بك ، ومحمد أحمد جاد المولى بك .

فهلا غيرت وزارة المعارف هذه العبارة مصححة إياها بمايتفق وحقائق التاريخ المجمع عليها ؟ أو تبين لنا المصدر التاريخى الذى اعتمد عليه أساتذتها المؤلفون والمراجعون فيما تضمنته العبارة المنقولة ؟

محمد خليفة التونسى

الى الأستاذ أحمد شفيق حلمى :

قرأت ما كتبته فى (الرسالة) العدد ٨٥٤ تحت عنوان (الوفاء المذبوح) فأكبرت قوة الأسلوب ومتانة العبارة ورقة المعنى ودقة المبنى ولطافة الجوهر وحسن الحبكة ؛ وما إن بلغت قولك فى الفصل الرابع عندما سقطت سهام على الملاءات البيضاء : « هل تذبل الورود وهى تختال بين المروج » لم أستسغ هذا التعبير — لأن الموقف حينئذ يرين عليه الحزن والكدر ، ويخيم عليه الانزعاج والكآبة والدهش من هول ما حدث ؛ ففى هذا الموقف ، موقف المرء وهو يرى ميتاً يحتضر أمامه — بل بين ذراعيه — فى هذا الموقف يفزع الإنسان إلى ربه أن يسلط عليه نوراً يبدد حيرته ، ويسكب فى قلبه ضياء يوقظه من غمرته ! لا ليقول عبارة هى إلى الغزل أقرب من تعزية النفس وحيرتها ؟!

وكيف يكون « وحيد » مجنوناً يحب عروسه وشريكته ، ثم يفقدها فى غمضة عين بين ذراعيه ليلة العرس ؛ إنه يصرخ كالأطفال ، ويولول كالنائحات — إلا ليظهر مكنون قلبه — وفقكم الله .

الزقازيق **سعيد عبد الراضى حجازى :**



ليلة فى الصرب

قصة للكاتب الأسبانى بلاسكو أبانيز

ترجمة الأستاذ محمد فتحى عبد الوهاب

الساعة الحادية عشرة ليلا ، تلك الساعة التى يغلق فيها مسرح باريس أبوابه . وقد أخليت المقاهى والمطاعم من روادها قبل ذلك بنصف ساعة .

وعلى أفريز الشارع ، وقفنا زمرة حائرين . كانت جموع الناس تخرج من أماكن اللهو فتختنق فى ظلمات الشارع ، والمصابيح ترسل ضوءا خافتا سرعان ما يمتصه الظلام ، والسماء الحالكة تجذب إليها الأنظار بتلألؤ أضوائها ، فيتطلع إليها الناس فى نظرات من القلق . فقد كان ذلك الامتداد الفجائى للنور الكاشف أحيانا ما يكشف عن منطاد ، تغمره الأشعة فيبدو كالسيجار المتوهج .

وشعرنا بالرغبة فى الاسترسال فى سهرتنا . ترى أين نذهب وقد أغلقت باريس المكتئبة كل أبوابها ؟ ... وحدثنا أحد الصربيين عن مطعم لفندق معين ، مفتوح الأبواب طول الليل ، يستقبل رواده من الضباط ، فيدلفون إليه خلسة وكأنهم من أصحابه . وكان يتردد عليه سرا إخوان فى السلاح من مختلف الأمم ، قد قدموا إلى باريس لقضاء بضعة أيام فيها . وقصدناه ، ودلفنا إلى قاعة استقباله فى احتراس ، فشعرنا بالفارق الهائل بين أنواره الباهرة وظلام الليل المدلهم . كانت القاعة أشبه ما تكون بمدخل منار كبير ، وقد انعكست من مراياها عناقيد الثريات الكهربائية ، فخيل إلينا أننا ارتددنا بأعمارنا عدة سنوات . النساء بزينتهن ، والشمبانيا ، وتنهدات القيثارة ، وزنجى يرقص وقد ارتعشت أجزاء جسمه فى حرارة — كان كل ذلك من مشاهد عهد ما قبل الحرب . بيد أنه لم يكن هناك من الرجال من يرتدى لباس السهرة .

وكان الجميع من فرنسيين وبلجيكيين وانجليز وروسيين وصربيين — مرتدين حللهم الرسمية الرثة ، وقد علاها الغبار . وكان بعض الجنود الإنجليز يعزفون على القيثارة ، فيصفق لهم القوم فى ابتسامات باردة كالرخام ، وقد جلسوا مكان فرقة الغجر الموسيقية . وأومأت السيدات إلى جندى منهم يهمس باسم والده اللورد — صاحب الملايين الشهير ، وهو ينشد قائلا « دعونا نبتهج أيها الأخوان ، فغدا نموت » .

كان كل هؤلاء الرجال الذين قربوا حياتهم لمذبح آلهة الحرب ، يشربون العرق فى جرعات كبيرة ، ويضحكون ، وينشدون ، ويلقون بتحياتهم فى حماس إلى أولئك الملاحين المغامرين الذين كانوا يقضون الليل على الشاطئ ، ثم يعودون فى صباح اليوم التالى لمجابهة العاصفة فى شجاعة .

ولاح على الضابطين الصربيين المرافقين لنا ، دلائل الرضا . فقد زج بهما وطنهما إلى باريس ، مدينة الأحلام ، تلك التى ظالما ملأت أفكارهما أثناء إقامتهما المملة بمعسكر فى بلدة ريفية . وكان كل منهما يعرف كيف يسرد قصته . موهبة عادية فى بلد يكاد يكون كل من فيه شاعرا . فمنذ ما مر لا مرتين بالقاطعة التركية بالصرب وفتئذ منذ حوالى قرن ، عجب لما للشعر من أهمية فى تلك القاطعة : مقاطعة الرعاة والمحاربين . وكانت الأفكار والذكريات تنظم شعرا فى أرض قل أن تجد فيها من يقرأ ويكتب . لقد مد المؤرخون الوطنيون من أجل الألياذة الصربية ، بما نظم من أناشيد جديدة .

وتذكر الضابطان وهما يحتسيان الشمبانيا ، بؤس أيام تراجعهما منذ أشهر مضت : الكفاح ضد الجوع والبرد ، والمعارك التى دارت على الجليد ، واحد ضد عشرة ، وفرار الناس والحيوان فى ارتباك مفزع ، والمدافع الرشاشة والبنادق تنطلق دون انقطاع على مؤخرة الطابور ، والقرى المحترقة ، والجرحى ، والمشردون يئنون وسط اللهيب ، والنساء المشوهات وقد حامت حولهن الغربان ، وفرار الملك بطرس العجوز ، الكسيح من مرض الروماتزم ، دون أن يكون له معين سوى عصاه الخشبية ، وقد أخذ هو ومن معه من حاشيته يتسلقون الجبال ، محنى القامة ، صامتا ، يتحدى القدر وكأنه أحد ملوك شاكسبير .

وراقبت الضابطين الصربيين وهما يتحدثان . كان كلاهما فى غضارة الصبا ، قويا ، ممشوق القامة ، ذا أنف أقنى كأنه منقار النسر ، وشارب مدبب الطرف ، وقد انفلتت خصلات الشعر من تحت قبعتيهما الصغيرتين . وارتدى كلاهما حلة فى لون الخردل ، ولاح عليهما الهدوء الذى يضفى على الشجعان الدائبين على نفض الموت من فوق أكتافهم .

واسترسلا فى الحديث : تبكلما عما حدث منذ شهور قلائل ، وكأنهما يتحدثان عن مغامرات ماركو كرايلوفتش « السيد » الصربى الذى تسلح بأفعى كأنها الحربة ، ليحارب بها شاربى الدماء بالغابات ، ومال بهما الحديث إلى ذكريات طفولتهما القاسية

ثم قام صديقنا الفرنسى ، واستأذن ورحـل ، وكان أحد الضابطين يقطع استماعه إلى الحديث بالتطلع إلى مائدة جانبيـة . كانت ترنو إليه عينان حالـكتان ، تعلوهما قبعة من الريش الحريرى الأبيض ، ولاشك أنهما استرعتا ناظريه ، فقد هب واقفاً كأنما انجذب بدافع لا يقاوم ، وسار صوب تلك المائدة ، وإن هي إلا لحظات حتى اختفى ، واختفت معه القبعة الحريرية .

وتركت وحيداً مع الضابط الآخر ، وكان أصغر من رفيقه سناً وأقل منه حديثاً . وارتشف رشفة من قدحه وهو يتطلع إلى الساعة الموضوعة على المقصف . ثم ارتشف رشفة أخرى ؛ وأخـيراً نظر إلى تلك النظرة التى تسبق دائماً الإفضاء بسر خطير . وأدركت حاجتـه إلى الإدلاء إلى بحادث مؤلم يعذب ذاكرته ونظر إلى الساعة مرة أخرى : كانت الواحدة صباحا .

وعلى حين غرة ، أخذ يصيغ حديثه الصامت فى كلمات ، قال — حدث ذلك فى هذا الوقت ، منذ أربعة أشهر ...

وأخذ يتابع حديثه ، وأنا أتخيل معه الليل الحالك ، والجليد الذى يغمر الوادى ، والجبـال الناصعة البياض المغطاة بأشجار الزان والصنوبر ، وقد هزت الريح أفنانها فتساقطت منها ذرات البرد الأبيض . ورأيت أطلال قرية ، ترابط فيها فرقة صربيـة ، آخذة فى التراجع صوب البحر الأدرياتيكى .

كان صديقى يقود مؤخرة هـذا الحرس ، كتلة من الرجال ، عملة أصبحت الآن قطيعاً من الرعاع . يرافقهم أهل القرى فى ذهول من الألم والخوف ، فيتحركون بلا إرادة كالآلات ، وينساقون إلى الأمام كالحيوانات ، وكانت النساء ، الداكنات ، الممشوقات ، القويات ، يسرن فى صمت فاجع ، وينحنين على الأموات أثناء مرورهن فينزعن منهم بنادقهم وذخيرتهم .

وبدا الظلام متوهجاً بضوء أحمر متلألئ من القنابل المتطايرة بين الأطلال . فاستجاب إليها أعماق الليل وأقبلت معه التوهجات القاتلة ، وأز فى الظلام الدامس الرصاص : حيوانات الليل الخفية كان كلما أتى الصباح ، يبدأ الهجوم ، وكانوا يجهلون عدد من هناك ، أولئك الذين يصطفون ضـدهم فى الظلام . أهم ألمان ؟ نمسويون ؟ بلغاريون ؟ أم أتراك ؟ . لقد فرض عليهم أن يجابهوا الـكثيرين منهم .

واسترسل الصربى فى الحديث قال : « كان لا مناص لنا من التراجع ، مخلفين وراءنا أولئك الذين يموقون تقهقرنا . وكان لزاما علينا أن تصل إلى الجبال قبل أن يتنفس الصبح »

وكان الطابور الطويل من النساء والأطفال والـكهول وما اختلط بهم من قطيع الحيوانات قد ابتلعهم الليل ، ولم يبق فى القرية سوى الرجال القادرين ، يحاربون من مخابئهم بين الأطلال وقد أخذ جزء منهم فعلا فى التقهقر .

وبغتة ، انتابت الضابط ذكرى قاسية .

الجرحى ما الذى تفعله بهم ؟ كان أكثر من خمسين رجلا ممددين على القش فى حظيرة مزقت القنابل سقفها . رجال يمانون آلاما مبرحـة ، رجال مذهولون ، يتململون فى نومهم ويئنون ، جنود أصيبوا بجراحهم منـذ أيام مضت ، واستطاعوا أن يجروا أنفسهم جراً إلينا ، وجنود أصيبوا فى ذات الليلة يتبعهم سيل من الدم الجديد ، وقد ضمدت جراحهم بضمادات مستعملة ، ونساء أصبن بشظايا القنابل » ..

ودلف القائد إلى ذلك الملجأ الذى تفوح منه خبيث الروائح من الأجسام المتداعية ، والدم الجاف ، والملابس القذرة ، والأنفاس المتصاعدة ، وعندما نفوه بأول كلماته ، تحرك أولئك الذين لا تزال لديهم بقية من القوة ، فى تململ ومشقة تحت ضوء المصباح الوحيد المتعالى دخانه ، وصمتت الأنات ، صمتة الدهشة والرعب ، كما لو أن هؤلاء الرجال المحتضرين يخشون شيئاً أكثر رهبة من الموت .

ولما سمعوا أنه لا مناص من تركهم تحت رحمة العدو ، حاولوا النهوض جميعاً ، ولكن تهالك معظمهم فى أعياء . وارتفع نشيد من التوسلات اليائسة ، والصلوات الحارة ، صوب القائد وجنوده الذين كانوا بصحبته : « أيها الأخوان ، لا تهجرونا ، أيها الأخوان ، بحق المسيح ... »

وعندما وعت عقولهم فى بطء أنه لا مفر من تركهم ، رضوا بمصيرهم فى خضوع . ولكن . . . وقوعهم فى أيدى الأعداء ! وبقاؤهم تحت رحمة البلغاريين والأتراك ، أعدائهم منذ قرون بعيدة ! وأفصحت أعينهم بما لم تجرأ شفاههم على الإفصاح . أنه من اللامنة أن يؤخذ الصربى أسيراً . وارتجف الكثيرون ممن شرفوا على الموت ، عندما أدركوا أنهم على وشك فقد حريتهم . إن انتقام البلغاريين لأكثر خوفاً من الموت .

« أيها الأخوان ، أيها الاخوان ... » .

وأدرك القائد رغباتهم المختفية فى صيحاتهم ، فنحى عينيه عنهم . وسألهم العديد من المرات « أتطلبون منى أن ..؟ » .

وحرك الكل رؤوسهم بالإيجاب . إنه إذا كان لا مفر من تركهم ، فلا يليق به أن يغادر خلفه صربياً حياً . الا يطلب هو نفس الطلب لو كان فى مكانهم ؟

وكانت قلة الذخيرة بسبب التقهقر قد جعلت الجنود يحتفظون برصاصهم فى غيرة . وسل القائد حسامه . كان بعض الجنود قد بدأ فى القيام بمهمته وقد استعمل سلاح البندقية فى تردد وبلا دقة . طعنات طائشة بلا هدف ، ودافق فياض من الدم . وجر كل الجرحى أنفسهم صوب القائد لينالوا شرف الموت من يديه ، وقد جذبتهم رتبته ومهارته فى الضرب .

وجعل يدفع نصل حسامه المشوق فى رقابهم ، جاهداً أن يقطع شريان الحياة فى ضربة واحدة .

وهكذا جعل القائد يصف المشهد الهول وكأنه ماثل أمام عينى . وأقبلوا زاحفين على أربع ، وتجمعوا حول قدميه . وحاول فى بادىء الأمر أن ينحى برأسه بعيداً حتى لا يرى ما الذى يفعله ، وقد امتلأت عيناه . ولكن كان من جراء ذلك الضعف الذى انتابه أن صار يطعن بلا دقة ، مما اضطره إلى إعادة الطعنات وإطالة الآلام . فليهدأ إذاً ! بيد ثابتة ، وقلب جامد !

« أيها الأخ خذنى !.. خذنى ! » .

وتجادلوا حول أسبقيتهم فى الموت ، كما لو كانوا يخشون الوقوع بين أيدى أعدائهم قبل أن تتم التضحية الأخوية . وتعلموا بالغريزة كيف يضمون أعناقهم الوضع المناسب . فكان كل واحد منهم يضع رأسه ويميل به على جانب واحد ، حتى يكون العنق مشدوداً ، والشريان متصلباً مهيئاً للطعنة القاتلة .

« أيها الأخ ، خذنى ! » .

وانبثق دافق من الدم . وكان كل منهم يسقط فوق الجثث الأخرى ، تلك التى (نضب) منها الدم وكأنه زق من النبيذ الفانى .

* * *

وأخذ المطعم يخلو من رواده . ومرت السيدات متكئات على الحلل الرسمية ، وقد تضوع من ملابسهن عبير خفيف . وتنهدت قيثاره الإنجليزى آخر تنهداتها وسط عاصفة من الضحكات .

وكان الصربى قد أمسك سكيناً صغيراً ، وجعل يطعن المائدة فى حركة آلية ... حركة رجل لم ينس . ولن ينسى . . طعنات متتالية متواصلة . . .

محمد فتحى عبد الوهاب

مطبعة الرسالة



العدد ٨٥٦ — الاثنين ٢٨ نوفمبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 e Année No. 856

Lundi — 28 — 11 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٥٦ « القاهرة في يوم الاثنين ٧ من شهر صفر سنة ١٣٦٩ — ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة »

أحقا مات علي محمود طه ؟!

أحقا رفاقَ علي لن تروه بعد اليوم يحيي المجالس بروحه اللطيف ، ويؤنس الجلاس بوجهه المتهلل ، ويدير على السمَّار أكؤساً من سلاف الأحاديث تبعث المسرة في النفوس ، وتحدث النشوة في المشاعر ؟

أحقا عشاق علي لن تسمعوه بعد اليوم ينشد القصائد الرقيقة ، ويخرج الدواوين الأنيقة ، ويصور الحياة بألوان من الشعر والسحر والفتون ، في إطار من الجمال والحب واللذة؟

أحقا أصدقاء علي لن تجدوه بعد اليوم يبذل من سعيه ليوامي ، وينيل من جاهه ليمين ، ويجعل بيته سكناً لكل نفس لا تجد الدعة ولا الأنس ، ومثابة لكل طائر لا يجد الروضة ولا العش ؟

أحقا عباد الله سكت البلبل ، وتحطم الجام ، وتقوض المجلس ، وانفض السامر ، وتفرق الشمل ، وأقفر الرَّبع ، وأصبح علي طه الشاعر العامل الآمل أثراً وخبراً وذكرى ؟

لقد حدثني ربع ساعة في تليفون المستشفى يوم الأربعاء ، فبشرني أن قلبه انتظم وجسمه صحّ ووجهه شبا ، وأن الأطباء سمحوا له بالرجوع إلى بيته ، وأن استقباله في الدار سيعود ، وأن مجلسه في (الاميريكين) سينعقد ، وأنه سينتظرني يوم الجمعة في مكتبه ليقرأ عليّ النشيد الأول من ملحمة (اليرموك) التي اقترحتها عليه ، وربما خرج معي بعد القراءة إلى نزهة هادئة في طريق الأهرام؛ ثم ختم عليّ حديثه الطويل بضحكة حلوة فيها أمل ، وعبارة فكهة فيها تفاؤل ! ولكنما كان بين يوم الأربعاء الذي حدثني فيه هذا الحديث ، ويوم الجمعة الذي ضرب لي فيه هذا الموعد ، يومُ الخميس الذي سكن فيه قلبه الطيب فما ينبض بحياة ولا حب ، وسكت لسانه الحلو فما ينطق بنثر ولا شعر : طلع صباحه الأسود المشئوم على غرفة علي وهو يلبس ثيابه ويداعب أصحابه ، وينظر في الداخل



فيرى طاقات الزهر تزين المنضدة ، وفي الخارج فيرى ممرضات المستشفى يجمّلن المشى ، فيهفو الشاعر المعمود إلى أزاهره التي تنفح قلبه بالعطور ، وإلى عرائسه التي تغمر شعره بالشعور ، فيخرج ليؤدي ما عليه من المال للمصحة ، ومن الشكر للأطباء ؛ حتى إذا أبرأ ذمته من حقوق الناس أدار فيمن حوله من أصدقائه وذوي قرباه نظرة فاترة حائرة ، ثم أسبل عينيه ، وخر مغشيا عليه ! نخف إليه أساته الذين بشروه العافية ووعدوه السلامة ، وأخذوا يقلبونه ويفحصونه فإذا الجسد الجياش بالشباب والقوة هامد لا حراك به ولا حس فيه ! وهكذا في مثل ارتداد الطرف ذهب من أرض الآدميين إنسان ، وغاب من سماء العبقريين فنان !

والهف نفسي على أحبائه وقد مسهم ما مسني من غصة الريق وحرقة الجوى حين نعاه إليهم الناعي ! لقد كان كل معنى أقرب إلى علي في أذهانهم الا معنى الموت . لذلك ظلوا متبلدين ساهمين ، يقلبون الأكف أسى وحسرة ، ويحركون الألسن إنكاراً ودهشة !

لا يا بديع الزمان ! ليس الموت كما زعمت خطبا صعب حتى هان ، ولا ثوبا خشن حتى لان ! إنما الموت نقيض الحياة وبغيضها من أزل الدهر إلى أبده ؛ لا نقترب من مظنته ، ولا تأنس بناحيته ، ولا تسكن إلى ريحه ، حتى يفجأها كالقضاء ، ويدهمها كالوحش ، ويختلها كالصائد ، ويختلسها كاللص ! وهل الدنيا كلها بمن فيها وما فيها إلا معركة لا تفتر بين البقاء والفناء والجدة والبلى ؟ أرحام تدفع ، وأجداث تبلع ، وهجوم فيه المرض والشهوة والأثرة ، ودفاع فيه الطب والسياسة والخديعة ، وصرعى هذه المعركة الضروس لا ينفكون يتناثرون من بين شقي الرحا الهائلة أشلاء لا تُشبع جوف الأرض ، ودماء لا تنقع غليل الثرى !

عرفت عليا منذ سبع وعشرين سنة على الضفاف الخضر من مدينة المنصورة . وكان حين عرفته شابا منضور الطلعة ، مسجور العاطفة ، مسحور المخيلة ، لا يبصر غير الجمال ، ولا ينشد غير الحب ، ولا يطلب غير اللذة ، ولا يحسب الوجود إلا قصيدة من الغزل السماوي ينشدها الدهر ويرقص عليها الفلك !

كان كالفراشة الجميلة الهائمة في الحقول تحوم على الزهر ، وترف على الماء ، وتخفق على العشب ، وتسقط على النور ، لا تكاد تعرف لها بغية غير السبوح ، ولا لذة إلا التنقل . ثم تتبعته بعد ذلك في أطواره وآثاره ، فإذا الفراشة الهائمة على أرباض المنصورة تصبح (الملاح التائه) في خضم الحياة ، (والأرواح الشاردة) في آفاق الوجود ، (والأرواح والأشباح) في أطباق اللانهاية ؛ وإذا الشاعر الناشىء يغدو الشاعر المحلق تارة بجناح الملاك ، وتارة بجناح الشيطان ، يشق الغيب ، ويقتحم الأثير ، ويصل السماء بالأرض ، ويجمع الملائكة والشياطين بالناس !

كان علي — وا حسرتا عليه — من أصدق الآمثلة للشاعر الذي خلقته الطبيعة . والشاعر الذي تخلقه الطبيعة يكون في ذاته وفي معناه نشيداً من أناشيد الجمال ، ولحناً من ألحان الحب ؛ فيكون شاعراً في أخلاقه ومُثله وأحلامه وهندامه وسلوكه ، وفي نمط حياته وأسلوب تفكيره وطريقة عمله وطبيعة صداقته . وأشهد لقد كان علي برّد الله ثراه نسقاً فريداً في الصفاء والوفاء والمروءة والمودة . كان لا يطوي صدره على ضغينة ، ولا يحرك لسانه بنقيصة ، ولا يقبض يده عن معروف ، ولا يعقد ضميره على غدر ؛ فلم تدع له هذه الصفات الشاعرة النادرة عدوا ، لا في نفسه ولا في الناس ، فعاش ما عاش وادع البال في سلام الحب وأمان الصداقة .

قضى عليّ عمره بالعرض لا بالطول ، وقدر عيشه بالكيف لا بالكم ، وجعل همه في الحاضر لا في المستقبل ، ونظر إلى الشعر نظر البلبل إلى الشدو ، فكان يصدر عنه بالطبيعة إعلاناً لوجود ، وإبرازاً لنفس ، وكمالا لصورة ، وجمالا لحياة ؛ لذلك كان شعره تعبيراً صادقاً عن شعوره ، وتصويراً ناطقاً لهواه ، ونظاماً متسقاً مع خلقه وطبعه في الحرية والأصالة والوضوح والأناقة والسهولة والسلامة .

إن حياة علي طه كانت أشبه بالطيف خفق خفوق الملاك على حواشي الروض ثم عبر ، أو الحلم نعم به رائيه في إغفاءة الفجر ، ثم زال أو حبات الندى تلألأت في وجه الصباح ثم ذهبت في متوع الضحى ، أو قطرات العطر سطعت في نفح النسيم ثم تبددت في عصف الريح . فالحزن على وفاته حزن على حبيب قضى ، وخير مضى ، وجمال ذوى ، وشباب تولى ، ووفاء غاض ، وفن ذهب . فإذا بكينا فإنما نبكي علينا لا عليه ، وإذا سألنا الله العوض منه فإنما نسأله لنا لا له . وكل ما نملكه للفقيد العزيز أن ندعو الله أن يتغمده برحمته ، وأن ينزله منزلة الأبرار في نعيم جنته .

أحمد حسن الزيات

الصديق الراحل (*)

اليوم هادنت الحوادث ، فاطرح عبء السنين ، وألق عبء الداء
خلفت فى الدنيا بيانا خالداً وتركت أجيالا من الأبناء
وغداً سيذكرك الزمان ، ولم يزل للدهر إنصاف وحسن جزاء
« شوقى »

للأستاذ كامل محمود حبيب

من ضنى قلبي أذرف عبرات الحنين على قبر ثوى فيه حبيب ، ومن لوعة الفؤاد أرسل زفرات الأسى لفراقك أنت ، أيها الرجل ... أيها الإنسان . ومن لهفة الروح أعانى البث وهو يتدفق فى أعماق دمى لأنى وجدت فقدك فى قرارة نفسى ، أيها الصديق .

فلقد كنت — يا صاحبى — غصناً رطيباً سما ثم ذوى وصوّحت أوراقه .

وكنت روحاً تتوهج نبوغاً أشرق وتألق ثم خبا وانطفأ .

وكنت جذوة من عبقريات سطعت فى سماء الشعر ثم همدت وجفّت ذبالتها .

وكنت فى قيثارة الحياة وتراً حساساً داعبته أنات الشجون فاهتز يشدو بأنغام السماء .

كنت فى قيثارة الحياة وتراً كلما أرسل لحناً هاج للحن فؤاد شج أو حنّ قلب طروب .

كنت فى الدنيا لمة الفن ونور العبقرية . فكان الربيع الغض من صوغ بنانك ، وشذى عطر أفواه الرياحين من فيض جنانك ، وبسمة الأمل الحلو من لحن قيثارك ، والبهجة والشجو من سحر يراعك .

وكنت شباباً عارماً فاض بالبشر فغنى فطرب ، وشدا بالسحر فألق الدهر للألحان سمعه ، وتغنى فهفا الطير إلى أنغام عوده .

فيا للفجيعة فيك -- يا صاحبى — وأنت كنت غصناً رطيباً سما ثم ذوى وصوّحت أوراقه .

* * *

صاحب الزورق جذلان استخفّه الطرب ؛ هزّه نوح نايك فانتشى فتهادى يضرب الموج بكفى رقة وحنان .

تائهاً فى لجة الدنيا يرنو إلى شطئانها فى قلق الحائر .

صاحب الزورق قم وانظر هل بلغت الشاطىء الأمين بعد تيه العمر فى بيداء السنين ، أم أخرس الردى نغم نايك الحبيب ، وقطّع وتر قيثارك الرفيق .

أم غمرت — الآن — أشجان نفسك وأفراح قلبك فى كأس مترعة من دم القلوب ... القلوب التى هدّها الحزن لفراقك .

قم تر مأتم الشعر يندب ربّه ، مأتم الفن والهوى والشباب ينادى سيده والفجيعة تفعم نواحيه .

قم تر الدنيا — بعدك — خواء من مزامير الخلد ونجوى العاشقين .

قم فلقد كنت — يا صاحبى — شباباً عارماً فاض بالبشرى فغنى فطرب .

* * *

لدى مشرق الحياة تلاقينا ، والدنيا رخاء ودعة . فكنت أنت ريحانة الجمع وروح المجلس وبهجة الحديث ثم مرت الأيام والعيش تلاق وافتراق .

ومنذ أيام تلاقينا وأنت على فراش المرض ، فانصدع قلبى ؛ غير أنك كنت شجاع القلب جرىء النفس ثابت الجنان .

ثم جاء النعىّ ... فدعنى أنشر ضعف نفسى على أيدى رفاق ، فأبى قوة لأكتم ضنى قلبى ، أو أستر لوعة فؤادى ، أو أدارى لهفة روحى .

دعنى أذرف عبرات الحنين على قبر ثوى فيه حبيب . دعنى أرسل زفرات الأسى لفراقك أنت أيها الرجل ، أيها الإنسان . دعنى أعانى البث وهو يتدفق فى أعماق دمي لأنى وجدت فقدك أيها الصديق ...

دعنى أرق آلام نفسى بين يدى قبرك العزيز قبل أن يجرفنى تيار الحياة القاسى ...

دعنى ... دعنى أشيعك بنظرات الأسى ونبضات الهمّ ، ثم أناديك — وأنت فى طريق الأبدية — وداعاً ... وداعاً ، أيها الحبيب ...

كامل محمود حبيب

(*) هو الشاعر العبقرى الحبيب المرحوم على محمود طه الذى هصرت غصنه يد المنون وهو ما يزال فى زهرة العمر وشباب القلب .

سيف بن عمر

للدكتور جواد على

ذلك سيف بن عمر ، مؤرخ نشيط من مؤرخى القرن الثانى للهجرة . كان مثل زملائه نهماً فى التفتيش عن أخبار الماضين ، وتتبع أمورهم ، والكتابة عن الأموات مثل جماعتنا أصحاب التاريخ لم يترك التاريخ حتى أحبه واصطفاه من بين الناس فمات سنة ١٨٠ للهجرة فكتب عنه من كان على شاكلته ، من أصحاب التاريخ. من هؤلاء المفتونين بنبش الماضى ، والبحث عن الحسنات والسيئات. وهى لا تقدم المؤرخ المسكين ولا تؤخره ، ولا تقدم العالم ولا تؤخره ، ولكنها الدنيا ، والدنيا عالم الجنون فيه فنون . وأنا مع الأسف الشديد من صرعى هذا الجنون . ولكن ولله الحمد الذى لا يحمد على محبوب أو مكروه سواه ، لولا هذا الجنون لما حدث عمران ولا ظهر اختراع ولا حدثت هذه الطفرات التى هى من عمل « المجانين » الذين يمتازون عن الأسوياء بحالات سمّها يا أخى ما شئت ...

ثم سيف بن عمر الذى أقدمه للقراء كوفى من مدينة « الكوفة » المدينة العلوية الخارجية العثمانية السفيانية الروانية العباسية ، حرباء المدن ، و « منجستر » زمانها ، صاحبة المعامل الضخمة ، والشركات الكبرى لصنع الأخبار ، ورواية الأحاديث ووضع القصص ، المدينة التى نفقت سوقها فى الأخبار ، واشتغلت معاملها ليل نهار فى صنع الشعر والنثر فأخرجت بضاعة مزجاة ، على درجات متباينات ، بينها الصحيح السليم الأصيل الذى يمثل أعلى درجات الرواية ، وبينها الموضوع المنحول الفاسد ، الذى له أصحاب واتباع وسوق على كل حال ، يعيش عليه عدد من أصحاب الفطنة والذكاء والمكر والقصد ، وأصحاب العقائد أيضاً الذين يرون فى الوضع نصراً للعقيدة والمذهب ، وقربى إلى الله ، وراحة للضمير .

ولم يرد فى الكتب أن صاحبنا كان واحداً من أولئك الذين عرفوا بالعبث والمجون وبفساد الأخلاق كوالبة بن الحباب ، أو مطيع بن أياس ، أو حماد عجرد ، أو حماد بن الزبرقان ، أو حماد الراوية ، أو أمثالهم ممن اختلط حديثهم بالمجون ، وأكتسب أدبهم لوناً ، وإن كان أبعد ما يكون عن الشهامة والآداب ، وحياة الرزانة والجد ، وأقرب ما يكون إلى العبث وتمضية الوقت ، إلا أنه لون ظريف على كل حال من ألوان الأدب . والأدب فى عرف الادباء أشكال وألوان . ولم يعرف عنه شعر من ذلك النوع الذى كان يقوله الشعراء فى دار « ابن رامين » قبلة الشعراء المجان الذين يبحثون عن الخمر والجمال فى هذه الدار . ولم يعرف عنه أمر آخر من تلك الأمور التى تعد منقصة فى الرجال ، ومع ذلك فقد اتهم بالزندقة والوضع ، والكذب فى الحديث .

أما الزندقة فلا أستطيع أن أثبتها ولا أن أنفيها ، فلم تذكر الكتب التى اتهمته بهذه التهمة الأسباب الداعية إلى هذا الاتهام. وأما الوضع والدس والكذب فى الحديث فلها شأن ستراه فيما بعد .

وعرف سيف بتخصصه بلون واحد من الأخبار ، هى أخبار « الفتوح والردة » وكلها حروب وعراك : حروب لنصر كلمة الله وإعلان شأنه ، وعراك لإخماد كلمة من أراد إخماد كلمة الله وإطفاء نوره . ولذلك قيل له صاحب « كتاب الردة والفتوح»[1] وعرف بهذا الكتاب الذى لم يصل إلينا كاملا مع الأسف ، ولعله لم يصل إلى الناس منذ أمد بعيد . وتدل وقائع الأحوال على أنه كان صاحب كتب أخرى فى التاريخ .

وقد اعتمد على هذا الكتاب مؤرخ حصيف شهير هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبرى التوفى سنة (٣١٠) للهجرة ، وإلى هذا المؤرخ يعود الفضل فى إطلاعنا على نماذج من ذلك الكتاب ، وعلى فصول منه . وقد ألف عدد من كبار المؤرخين فى « الردة » ومع ذلك فقد رجح الطبرى سيف على سواه ؛ رجحه حتى على « كتاب الردة والدار » لأبى عبد الله محمد بن عمر الواقدى[2] . وعلى كتاب الردة» لأبى الحسن على بن محمد المدائنى[3] . وعلى كتب أخرى لمؤرخين شهيرين فى هذا الموضوع كانوا فى الطليعة وفى مقدمة أصحاب الأخبار . ويستمر صوت « سيف » عالياً فى تأريخ الطبرى ، حيث تجد له

(١) الفهرس ص ٣٨ (الطبعة المصرية) .
(٢) الفهرست ص ١٤٤
(٣) الفهرست ص ١٤٩

مكانة ظاهرة فى الكتاب ، إلى انتهاء حوادث معركة « الجمل » فينخفض هـذا الصوت ثم ينقطع تماما ، ليرتفع صوت آخر ، صوت قوى رنان ، هو صوت أبى مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف الأزدى[1] الذى يتسلم دوره ، ويصبح بطل الكتاب من معركة « صفين » فيما بعـد يساعده المدائنى وعوانة والواقدى وعمر بن شبة وابن الكلبى وأمثالهم .

وكان سيف كأكثر أصحاب الأخبار عاطفى المزاج ، متعصباً لقبيلته ، يرفع من شأنها ، ويضيف إليها ، ويجعلها بطلة فى كل الحوادث ، مثله فى ذلك مثل أكثر مؤرخى زمانه ، الذين أضافوا إلى قبائلهم مالا يدخل فى حسابها ، نخلقوا لها شعراً ونثراً ليجعلوا لها شأناً يفوق شأن القبائل الأخرى . وما الذى يهم ابن القبيلة غير قبيلته التى ينتمى إليها ، والتى تدافع عنه ، والتى تكون قوميته ، أما القبائل الأخرى فأمرها إلى الله .

وأنا لا أريد أن ألوم صاحبنا على عاطفته الجامحة هذه ، فقد كان عصره عصر قبائل ، وقد كان النظام السياسى القائم نظاماً قبلياً ، يستند على العصبية القبلية . لا حقوق للمواطن فيه إلا إذا كان ينتمى إلى قبيـلة تحميه ، أو إلى عشيرة تدافع عنه ، فطبيعى إذاً أن يكون على المؤرخ فى ذلك الوقت واجب شاق ، ودين فى عنقه للقبيلة ، فهو مضطر إذا بحكم الوقت إلى التعصب لعشيرته ، وإضافة المفاخر إليها ، فلا نلوم صاحبنا إذاً إذا ما أضاف إلى «تميم» ونسب إليهـا فى الفتوحات والردة ما كان يجب أن ينسب لقبيلة أخرى . فالعصر عصر قبائل . وقد نسب محمد بن السائب بن بشر الكلبى المتوفى سنة ١٤٦ وابنه ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى المتوفى سنة ٢٠٦ للهجرة وغيرهما ممن هو أقدم أو أحدث عهداً منهما ، أشياء كثيرة إلى قبائلهم لم يكن لها أصل ولا نسب فى الأخبار .

ثم لا تعجب من فعل أولئك الناس ؛ فقد أضاف القرن العشرون بآلاته واختراعاته وتقدم العقل فيه أضعاف الذى أضافه أولئك الذين نتحدث عنهم ، كما حذف القرن العشرون بكبريائه واعتداده بما يملكه من وسائل النقد والتدقيق ، والتمحيص ، شيئاً كثيراً من الحقائق والوقائع التى يعرفها الناس فى كل مكان

(١) الفهرست ص ١٣٦ J. wellhausen Oas Arabische Reich und slin Sttrm P. V.

فلا عجب إذاً إذا ظهر من قال : كذب والله أصحاب التاريخ . وويل للعالم من شر المؤرخين . وأنا واحد منهم على كل حال .

درس سيف بن عمر على جماعة من المؤرخين والمحدثين والأخباريين أمثال هشام بن عروة المتوفى سنة ١٤٦ أو ١٤٧ للهجرة وهو من ممثلى مدرسة الحديث فى المدينة ومن كبار المحدثين بها ، وناشر طريقة أهل المدينـة فى العراق[1] ، ومن المحدثين بحديث أهل العراق ، والذى عده أهل المدينة فيمن أسف فى أواخر عهده فى الحديث ، وانحرف عن الجادة ، جادة أهل المدينة المعروفة فى كيفية رواية السند ، وفى الجرح والتعـديل ، فتركه المشائخ مشائخ المدينة الذين حافظوا على الطريقة التى ورثوها وهى طريقة محافظة بالنظر لأهل الحديث فى العراق .

ودرس على محـدث آخر يرجع أصله إلى البيزنطيين هو ابن جريج ، أبو الوليـد أو أبو خالد عبد الملك بن عبد العزيز الرومى المتوفى سنة « ١٥٠ » من أوائل المؤلفين فى الإسلام . وكانت له كتب تتداولها الأيدى عرفت عنـد أصحابه بكتب الأمانة[2] . يظهر أنها كانت مبوبة ومرتبة على فصول . وهو من المشتغلين بالسيرة والمغازى بالإضافة إلى الفقه والحديث . وأخـذ عن أستاذ آخر هو موسى بن عقبة بن أبى عياش الأسدى مولى آل الزبير المتوفى سنة ١٤١ للهجرة من محدثى المدينة ومن قدماء المشتغلين بالسيرة والمغازى[3] . وهو ثقة أهل المدينة فى السيرة ، قال عنه الإمام مالك : عليكم بمغازى موسى بن عقبة فإنه ثقة ؛ أو عليكم بمغازى الرجل الصالح موسى بن عقبـة فإنها أصح المغازى . وهى شهادة ذات قيمة ، فقد كان الإمام صعب الإرضاء ، لا يعطى مثل هذه الشهادة إلا بعد امتحان .

وقد نقل من مغازيه عدد من العلماء مثل ابن جريج والواقدى وابن عيينة ، وعرف مؤلفه عند المشائخ بمغازى موسى بن عقبة . وقد عثرت على قطعة منـه حفظت فى خزانة كتب برلين[4] . وكان من مشائخ سيف ، رجال معروفون فى عالم التاريخ ، لهم

(١) تذكرة الحفاظ حـ ١ ص ١٣٦ ، تهذيب التهذيب حـ ١١ ص ٤٨

(٢) تهذيب التهذيب حـ ٦ ص ٤٠٤ ، وتوفى سنة ١٤٩ على رواية أخرى . تذكرة الحفاظ حـ ١ ص ١٦٠ – ١٦١

(٣) تهـذيب التهذيب حـ ١٠ ص ٣٦٠ ، تذكرة الحفاظ حـ ١ ص ١٣٩ .

(٤) تذكرة الحفاظ حـ ١ ص ١٤٠ .

أسماء بارزة ترد فى أكثر الكتب التى تبحث عن صدر الإسلام أمثال محمد بن السائب الكلبى عالم الكوفة ومرجع أهل الأخبار والأنساب المتوفى سنة « ١٤٦ هـ »[١] ومن المؤلفين ، وأمثال محمد بن إسحاق صاحب السيرة المعروف ، وحامل طريقة أهل المدينة فى كتابة السيرة إلى أهل العراق . وأمثال هؤلاء ممن قد يخرجنا البحث عنهم عن الاستمرار فى وحدة الموضوع .

واقتبس من كتب « سيف » عدد من المؤرخين ، منهم ، نصر بن مزاحم المنقرى المتوفى سنة (٢١٢) للهجرة ، صاحب كتاب « وقعة صفين »[٢] والطبرى أبو جعفر محمد بن جرير ، فى « أخبار الردة » والظاهر أنه استعان بكتاب «سيف» بالذات كالذى يفهم من قول الطبرى « حكى الطبرى عن سيف فى كتابه عن أبى عثمان . . . . »[٣] . أو « ذكر سيف عن أبى الزهراء القشيرى عن رجل من بنى قشير . . . »[٤] ومن عادة الطبرى استعمال مثل هذه العبارات عند النقل من الكتب ، وإلا فيذكر السند ، إلا فى الحوادث التى وقعت فى أيامه أو فى أيام ليست بعيدة عنه . واستعان الطبرى بكتاب آخر من كتب سيف هو « كتاب الجمل ومسير عائشة وعلى »[٥] وقد أخذ سيف أقوالة من مظانها الأصلية ، ومثل شهود عيان شهدوا المعارك ، أو ثقاة سمعوا من الشهود الثقات ، وقد ذكرت أسماء قسم منهم فى موضعه من تأريخ الطبرى ، فى القطع التى انتزعها من ذلك الكتاب . فحفظ لنا « ابن جرير » بذلك نماذج من هذا المرجع القيم المفقود . ولعل له كتابا فى معركة « صفين » هو الكتاب الذى نقل منه « نصر بن مزاحم » فى بعض الأماكن من كتابه «وقعة صفين»

وورد إسم « سيف بن عمر » فى أكثر من « ٣٠٠ » موضع من تاريخ الطبرى ، وورد لأول مرة فى حوادث سنة « ١٠ » للهجرة[٦] وهى السنة التى بدأ مسيلمة فيها بادعاء النبوة فى حياة الرسول[٧] . وورد إسمه لآخر مرة فى حوادث سنة « ٣٦ » للهجرة وفى ابتداء على بن أبى طالب بالخروج إلى صفين . ثم تنتهى أخبار سيف عند هذا الحد وتنقطع . فهل يعنى هذا أن صاحبنا لم يشتغل إلا فى الردة ومعركة الجمل ؟

يحدثنا ابن النديم عن سيف فيقول : أحد أصحاب السير والأحداث وله من الكتب ، كتاب الفتوح الكبير والردة ، كتاب الجمل ومسير عائشة وعلى ، وروى سيف عن شعيب ابن ابراهيم . »[١] فيظهر من كلام ابن النديم أنه كان صاحب مؤلف كبير فى الفتوح . يظهر أنه فقد مع الأسف ، ولعل له عددا من المؤلفات الأخرى لم يصل خبرها إلى مسامع ابن النديم .

وأخذ الطبرى أخبار « سيف » عن طريق آخر هو طريق شيخه « السرى » الذى ورد اسمه فى « ٢٤١ » موضعاً من تأريخ الطبرى . ورد لأول مرة فى أخبار الردة[٢] ، وورد لآخر مرة فى حوادث سنة ١٤٥ للهجرة ، فى معرض الكلام عن تأسيس مدينة بغداد[٣] . والسرى الذى يقصده الطبرى هو : السرى بن يحى[٤] من رواة شعيب بن ابراهيم الكوفى راوية كتب سيف بن عمر . وقد قال ابن حجر العسقلانى عن شعيب ابن ابراهيم فيه جهالة ، ليس بالمعروف وله أحاديث وأخبار وفيه بعض النكرة[٥] ولا نعرف من أمرهما مع الأسف شيئاً مع كثرة ورود اسميهما فى تأريخ الطبرى .

لم يكن سيف بن عمر راوية شعيب بن ابراهيم كما ورد ذلك فى كتاب الفهرست لابن النديم[٦] وفى كتاب «ميزان الاعتدال» للذهبى[٧] المتوفى سنة ٧٤٨ للهجرة . والصحيح هو العكس . فقد كان شعيب بن ابراهيم راوية كتب سيف ، وقد صرح بذلك ابن حجر العسقلانى فى كتابه « لسان الميزان »[٨] . كما أن الطبرى نفسه يفند رأى الفهرست وميزان الاعتدال فى جميع المواضع التى وردت فيها أخبار سيف حيث يقول مثلاً « وحدثنى

(١) تهذيب التهذيب حـ ٩ ص ١٨٠
(٢) ص ٨ ، ٩ ، ١٢ ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون .
(٣) الطبرى حـ ٤ ص ١٥٣ (الطبعة المصرية) .
(٤) الطبرى حـ ٤ ص ١٥٥ .
(٥) الفهرست لابن النديم ص ١٣٧ (الطبعة المصرية) ص ٩٤ طبعة أوربا .
(٦) طبرى دورة أولى ص ١٧٤٩ (طبعة دى غوية) .
(٧) طبرى دورة أولى ص ٣٢٥٥ .

(١) الفهرست ص ١٣٧ .
(٢) طبرى دورة أولى ص ١٧٤٩ .
(٣) ص ٣٢٥٥ .
(٤) طبرى طبعة مصر ج ٤ ص ١٢٤ ، طبعة لايدن دورة أولى ص ١١٩٧ ،
(٥) لسان الميزان ج ٣ ص ١٤٥ ، ميزان الأعتدال ج ١ ص ٤٤٧
(٦) الفهرست ص ١٣٨ .
(٧) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٤٤٧ .
(٨) لسان الميزان ج ٣ ص ١٤٥ .

بهـذا الحديث السرى عن شعيب بن ابراهيم عن سيف »[١] . أو « حدثنا السرى قال أخبرنا شعيب قال حدثنا سيف »[٢] أو « كتب إلى السرى بن يحيى عن شعيب عن سيف »[٣] أو « قال أبو جعفر[٤] فيما كتب به إلى السرى بن يحيى يذكر عن شعيب بن ابراهيم أنه حدثه عن سيف بن عمر »[٥] . فكان شعيب بن ابراهيم إذاً من تلامذة سيف بن عمر ورواته وحامل كتبه والمقربين لديه .

وشعيب بن ابراهيم مثـل شيخه لا نعرف من أمره مع الأسف شيئاً ، وقدطمن أصحاب علم الرجال فيه ، وقالوا إن فيه جهالة وفيه بعض النكرة[٦] . وهى أقوال قيلت فى أكثر الرجال الذين مالوا إلى الأخبار ، وقيلت أقوال أخرى أشـد من هذه فى أناس أعرف عندنا من سيف ، ومن شعيب ، ومن السرى بن يحيى ، مثل ابن إسحاق صاحب السيرة الشهير[٧] ، والواقدى محمد بن عمر المتوفى سـنة ٢٠٧ للهجرة[٨] . وابن الـكلبى ، وفى أناس أرفع من هؤلاء فى نظر أهل الحـديث مثـل عبد الملك بن جريج[٩] . فلا غرابة إذا رأينا كتب الرجال وهى تجرح هؤلاء : السرى بن يحيى وشعيب بن ابراهيم وشيخه سيف بن عمر . وسبب ذلك على ما يظهر انشغالهم برواية الأخبار . وقد كان الاشتغال بهـذا الفرع فى القرنين الأولين من الأمور التى لا ترفع من شأن الرجل فى نظر المحدثين .

وتتصل رواية الطبرى عن سيف بن عمر بطريق آخر : طريق عبيد الله بن سعيد الزهرى المتوفى سنة ٢٦٠ للهجرة[١٠] . وقد ورد اسمه فى « ٤٠٠ » موضع من تاريخ الطبرى[١١] . وقد نقل روايات « سيف » عن عمه يعقوب بن ابراهيم بن سعد الزهرى نزيل بغداد المتوفى سنة ٢٠٨ للهجرة[١] وكان من رواة « سيف » وكان من رجال الحديث ، كما كان من رجال التاريخ والأدب . وقد ورد اسمه فى « ٣٩ » موضعاً من تاريخ الطبرى ورد لأول مرة فى حوادث سـنة « ١٠ » للهجرة فى خبر حجة الوداع ومرض الرسول[٢] . وقد نقل خبره عن سيف . ويظهر من هذا الموضع ومن مواضع أخرى أنه كان لسيف كتب أخرى فى السيرة وفى الأحداث الأخرى . ربما لم تلق رواجاً ، أو حدث لها ما سبب فقدانها فلم يصل خبرها إلى ابن النديم وغير ابن النديم .

واعتمد الطبرى فى فصل الفتوح على كتاب سيف كذلك ، وقد أخـذ المتن من « السرى بن يحيى » فى الغالب ، واعتمد عليه فى أخبار الفتن التى قامت على عثمان مثـل فتنة « عبد الله بن سبأ » التى أظهرها فى البصرة عام « ٣٣ » للهجرة . وقد نقل سيف روايته عن « عطية بن الحارث أبو روق الهمداني من كبار رواة الأخبـار فى الـكوفة ومن مشاهير المفسرين . وهو من رواة عكرمة والضحاك بن مزاحم[٣] . وقد ورد اسمـه فى « ٤٦ » موضماً من تاريخ الطبرى[٤] وقد أخـذ أبو روق أخباره عن عبد الله بن سبأ وخبره مع أبى ذر الغفارى ، ومراسلات ابن سبأ مع زعماء الفتنة من شخص آخر هو يزيد بن الفقعسى ، ورد اسمه « يزيد » فى « ٥ » مواضع من تاريخ الطبرى كلها فى حوادث أيام عثمان وعلى[٥] . ومن هـذا المصدر أخذ أكثر أهل الأخبار رواياتهم عن عبد الله بن سبأ وفتنته فى إيام عثمان وعلى . ولذلك يجب الانتباه إلى ذلك عند تدوين هذا الحادث والتعمق فى البحث

وقد ذكر الطبرى أسماء مشائخ « سيف بن عمر » فى المواضع التى أورد فيها قطماً من كتب (سيف) أو رواياته ، وهى تفيدنا بالطبع فى معرفة أساتذة هذا الراوية من جهة ، وفى معرفة الرواة الذين كانوا يتعاطون رواية الأخبار فى ذلك الوقت من جهة أخرى؛ وبينهم عدد يظهر أنهم كانوا من أنشط الأخباريين فى ذلك العهد ربما نتحدث عنهم فى فرصة أخرى إذا طال بنا العمر .

الدكتور جواد علي

---

(١) الطبرى جـ ٣ ص ٢١٤ (المطبعة الحسينية) ومواضع متعددة .
(٢) الطبرى جـ ٣ ص ٢١٥ ومواضع أخرى .
(٣) الطبرى جـ ٣ ص ٢٤١ .
(٤) يعنى الطبرى نفسه .
(٥) الطبرى جـ ٣ ص ٢٤١ .
(٦) لسان الميزان جـ ٣ ص ١٤٥ .
(٧) راجع رأى الإمام مالك فيه تهذيب التهذيب جـ ٩ ص ٤١ ، تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ١٦٤ ، الفهرست ص ١٣٦ .
(٨) تهذيب التهذيب جـ ٩ ص ٣٦٤ . تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٣١٨
(٩) تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ١٦١ ، تهذيب التهذيب جـ ٦ ص ١٠٤
(١٠) تهذيب التهذيب جـ ٧ ص ١٥ « عبيد الله بن سعد بن ابراهيم بن سعد الزهرى » فى طبعة لايدن وفى الطبعة المصرية « سعيد » .
(١١) راجع فهرست الطبرى ص ٣٦٧ (طبعة لايدن) .

---

(١) تهذيب التهذيب جـ ١١ ص ٣٨٠ .
(٢) طبرى دورة أولى ص ١٧٤٩ ، ١٧٩٤ ، ٢٨٢٤ ، ١٨٢٥ ومواضع أخرى .
(٣) تهذيب التهذيب جـ ٧ ص ٢٢٤ .
(٤) فهرست الطبرى ص ١٩٨ .
(٥) طبرى دورة أولى ص ٢٨٤٩ ، ٨٥٨ ، ٢٩٢٢ ، ٢٩٤٢ .

مكانة الدين فى التعليم

للدكتور السيد محمد يوسف الهندى

بمناسبة ما كتبه أخيراً الأستاذ عباس خضر عن مكانة الدين فى التعليم ألفت نظر القراء إلى ملاحظات الكاتب الإنجليزى كنث رشمند Kenneth Richmond فإنه يقول فى معرض الكلام عن الاتجاهات الجديدة (وهى ضد ذلك النوع من « التقدم » الذى يحاول أمثال سلامة موسى أن ينتحلوه لأنفسهم عفواً بلا كد ولا تعب) فى ميدان التعليم بانجلترا ما يلخص بأن ظروف الحرب العالمية الأخيرة — مثل إختفاء الفوارق بين الطبقات فى المخابئ والمساهمة فى التضحيات على السواء، والإقبال على الخدمات الاجتماعية، وضرورة الارتجال فى كثير من الأمور — أثارت فى الشعب شعوراً قويا بجعل التعليم جماعيا بعد ما كان إلى ما قبل الحرب فرديا. ومعنى ذلك أن الفرد سيربى تربية تبعثه على الاهتمام بمصالح الشعب كله بعد ما كان يعود قصر ذلك الاهتمام على مصلحة ذاته، وبعبارة أخرى ستبذل من الآن محاولة للابقاء على عواطف الأفراد ومشاعرهم نحو الجماعة أو الشعب فى حالة السلم على ما كانت هى عليه إبان الحرب وأمام خطر الفناء المشترك. ولنضرب لذلك مثلا، فإن الفرق دقيق ويتعلق بالروح أكثر مما يتعلق بالشكل: من المعروف أن كليات العلوم والهندسة فى انجلترا كانت قد تحولت أيام الحرب إلى مصانع للقنابل والعتاد الحربى، كما أن المصانع كانت قد أنشأت فصولا لتدريب فئات مختلفة من الشبان الجدد فى الصناعات المختلفة، وكان المنخرطون فى هذه الصفوف طلابا ناشئين للعلم؛ وكانوا فى الوقت نفسه يقومون مقام العمال المنتجين يدفع لهم بعض الأجر، ولكن الطالب كان يشتغل لا ليكتسب لنفسه ويهيء سبيل العيش لذاته، بل إنما كان ذلك مساهمة منه فى المجهود القومى للدفاع عن الشعب بأسره. وكان يكتنف العمل من أوله إلى آخره جو من الحقيقة والواقعية والحماس وإخلاص النية جعل التعليم أسرع وأنفذ وأنجع بكثير من إلقاء المحاضرات وتجريع الدروس فى المعامل التجريبية.

كان من الطبيعي إذاً أن يتجه المسئولون عن سياسة التعليم، غير المصابين بمركب النقص الذى يحدو المرء إلى محاكاة التقدم الزائف، إلى التساؤل: هل يمكن أن تستمر هذه الروح الجماعية السليمة القوية تسود معاهد التعليم بعد أن انتهت الحرب وزال الخطر؟ وكان الجواب: نعم بشرط أن يكون هناك مقصد عال ومرمى واضح يوضع موضع الانتصار على هتلر وأعوانه. وهل يتصور أن يتألف هذا المقصد السلمى الدائم إلا من قيم روحية وأخلاقية إنسانية ذات منفعة عالمية يجد الفرد فى تنميتها وتشييدها ما كان يجد فى إمداد القوى المحاربة وتعزيز الدفاع ضد العدو؟ ثم هناك مسألة أخرى وهى: هل يمكن أن توجد وتقوى وتزدهر القيم الروحية والأخلاقية مجردة عن نظام دينى؟ مهما يقل القائلون فى هذا الصدد فإنه يكفينا فى هذا المقام أن المفكرين فى انجلترا رأوا أن لا معدى لهم عن الارتكاز على الدين (لا استغلاله كما نفعل نحن فى بعض المناسبات) ولذلك رسموا للدين مكانا محترما ممتازاً فى مشروع قانون التعليم لسنة ١٩٤٤ م. ولكن هناك بعض الناس يخيل إليهم أن القيم الإنسانية إذا اقترنت بالإسلام فهى لابد أن تتحول «طائفية» أرى أن الانصراف. عن إقناع هؤلاء الناس أولى من الرد عليهم.

وهكذا مر التعليم بأربعة أدوار مختلفة؛ فإنه كان فى الأول يقتصر على نقل بعض المعلومات إلى ذهن الطالب. ثم اتسع نطاقه حتى شمل الجسم السليم مع العقل السليم؛ وبعد ذلك أشاروا بإبراز شخصية الطالب وتنمية قواه الكامنة فحسب، حتى انتهى بهم المطاف فى الوقت الحاضر إلى إدماج تلك الشخصية فى المجتمع وضرورة توجيه عواطف وتركيز إهتمامه فى المصالح الجماعية.

وللكاتب الإنجليزى المذكور إستطرادات طريفة، منها أن الولاء للقدور السامية والقيم الأخلاقية من أقوى الضمانات للاقلال من أوقات الفراغ والقضاء على الكسل والبطالة والحد من المرح والهـزل؛ وفوق ذلك كله هو الدواء الوحيد لتجنيب الإنسانية ويلات تقدم العلوم والحضارة الآلية التى تؤدى إلى فناء المواساة وعدم المروءة. ولعل من أهم ما استطرد إليه الكاتب مصارحته القول بأن الديمقراطية الحقة لا يمكن أن توجد إلا بالاستناد إلى الدين؛ وذلك لأن المساواة بين الناس شيء لا وجود له

فى العالم الخارجي المحسوس ولا يقره العقل . أو ليست الحقيقة البسيطة الملموسة التى توكد نفسها علينا كل لحظة هى استحالة وجود رجلين متساويين فى الخلق والمواهب والقدرة ؟ أولا ترون أن الفيلسوف هكسلى لم يكن عنده رادع من أن يهزأ علنا من تصور "Comman man" وحقوق الإنسان الطبيعية ؟ فهل نقنع بوجوب إستبدال أرستقراطية العقل والدهاء بأرستقراطية الحسب والمال ؟ حقا ! لا ينشأ تصور المساواة بين الناس إلا بالنظر إلى علاقتهم جميعا مع خالق الزمان والمكان ومصرف الكون والفساد .

السيد محمد يوسف

غزل أبى فراس *

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

غزل أبى فراس قصير النفس ، لا يكاد يتجاوز ما أنشأه للغزل قصدا البيتين والثلاثة غالبا ، مكتفيا بذلك فى التعبير عما ألم به ، من انفعال سريع .

أعرف شاعرنا الحب ؟ أم أن غزله تقليدى لا ينبعث عن حب ولا عاطفة ؟

أرجح أن الشاعر عرف الحب وتأثر به ، بدليل هذه القطع التى نظمها خاصة فى النسيب ، ولم يقف عند حد المقدمات التى يفتتح بها بعض قصائده . ولم يكن أبو فراس ممن ينشىء الشعر إلا ترجمة لعاطفته ، وتعبيراً عما فى نفسه ، ولكننا نكاد نلمس أن هذا الحب ، ما كان يشغل من هذه النفسية الشاعرة إلا حيزاً محدوداً صغيراً ، لأن هذا القلب الكبير كان فى شغل بكبار الأمانى وسامى الآمال ، ولم يدع ذلك منه إلا فراغا يسيرا تشغله هذه العاطفة القوية .

عرف شاعرنا الحب ، ولعل من بادلها تلك العاطفة كانت قريبة له ، وربما كانت جميلة بنت ناصر الدولة ، فإنه أنشأ قصيدة يودع بها بعض أهله ، وقد خرجت تسعى إلى الحج ، وهذه القصيدة تفيض بعواطف حارة متدفقة ، ينم عنها بكاؤه ، ويذكيها فى صدره ما إستارت به تلك الفاتنة من غرام بالصون ، وحب للحجاب حتى ليكاد وجهها تخفى معالمه على خدرها ، وها هو ذا يقص علينا حديثه يوم سافرت تلك الحبيبة المصونة ولعلها جميلة :

أشيعه ، والدمع من شدة الأسى على خده نظم ، وفى نحره نثر
رجعت ، وقلبى فى سجاف غبيطه ولى لفتات نحو هودجه كثر
وفيمن حوى ذاك الحجيج خريدة لها دون عطف الستر من صونها ستر
وفى الكم كف لا يراها عديلها وفى الخدر وجه ، ليس يعرفه الخدر

وقد سجل فى هذه القصيدة شعورا صادقا حيا . وإن شدة شعوره بحيوبة تلك الحبيبة ، جملته يحس كأنها تبعث الحياة فيما يحيط بها ، حتى فى النبات والجماد ، فيقول :

فهل عرفت عارفات بزورها وهل شعرت تلك المشاعر والحجر
أما اخضر من ريحان مكة ماذوى أما أعشب الوادى ؟ أما أنبت الصخر

وقد أنشأ هذه القصيدة فى الغزل خاصة ؛ وهى أطول شعره فيه ، وربما ذاق من هذا الحب ، ماشجاه حينا وأضناه ، حتى صح له أن يقول :

أممنية بالعذل ، رفقا بقلبه
أيحمل ذا قلب ، ولو أنه صخر ؟
عذيرى من اللائى يلمن على الهوى
أما فى الهوى لو ذقن طعم الهوى عذر
ومنكرة ما عاينت من شحوبه
ولا عجب ما عاينته ، ولا نكر
وقائلة : ماذا دهاك تعجبا ؟ فقلت لها : ياهذه ، أنت والدهر
أبالبين ، أم بالهجر ، أم بكليهما
تشارك فيما ساءنى البين ، والهجر

كان صدق إحساس أبى فراس بالحب ينبوعا لتعبيرات صادقة عن عواطف صادقة ، فهو يخشى على حبيبه أن تمسه العيون بأذاها فيستحلفه أن يرد عليه لثامه :

أيا سافرا ، ورداء الخجل مقيم بوجنته ، لم يزل
بعيشك ، رد عليك اللثام أخاف عليك جراح المقل
فما حق حسنك أن يجتلى ولا حق وجهك أن يبتذل

ويتقبل ظلم حبيبه ، بنفس راضية ، بل متلذذة بهذا الظلم :

وبعض الظالمين وإن تناهى شهى الظلم مغفور الذنوب

(*) من كتاب « شاعر بنى حمدان » الذى يظهر فى هذا الأسبوع

ويقر أنه مذنب ، وإن لم يجن ذنبا ، ويتوب عن إثم لم يقترفه

أقر له بالذنب، والذنب ذنبه　　　ويزعم أنى ظالم فأتوب

ويقصدنى بالهجر علما بأنه　　　إلى، على ما كان منه، حبيب

ويجد فى الهجر القصير الأجل لذة تجدد الحب :

إنما يحسن التهاجر يوما　　　فإذا كان دائما فقبيح

كل هجر يدوم يوما إلى الليل ، ويفنى ، فذاك هجر مليح

ويتخيل حبيبه وقد غاب عنه، فيصوره فى شعره ، ويتساءل: أينساه وقد غاب عنه :

وبالدارين إنسان　　　له فى القلب داران

إذا ماماس فى القر　　　طق، يمشى بين أخدان

رأيت البدر فدبا　　　ن، على غصن من البان

وخدا يجتنى الور　　　د ، به ، فى كل إبان

ألا ياصاحبى رحـلى ، بالله أجيبانى

ترى من لست أنساه　　　على الحالات ينسانى

ويتحمل إدلاله ويحفظ عهده ، لأنه ليس له عنه معدى ولا متحول :

نبوة الإدلال ليست　　　عندنا ذنبا يعـد

قل لمن ليس له عهـد: لنا عهد ، وعقـد

جملة تغنى عن التفصيل : مالى عنك بد

إن تغـيرت فاغـير منا لك عهد

ويقبل ذلة الحب برغم أنه أمير من بيت الملك :

وباخلة أنالتنى قليـلا　　　وقدير ضى القليل من البخيل

قنعت به ، وكنت أظن أنى　　　عزوف النفس عن نيل قليل

ولكنى وجدت الحب يكسو　　　عزيز القوم أثواب الذليل

وما كان يرى ذل الحب إلا عزاً :

بنفسى التى أخفت مخافة أهلها　　　وداعى، وأبدت حين أبدت لنا رمزا

فلم أر مقتولين : مثلى ومثلها　　　أذلا ، وإن كانا لعمر الهوى عزا

ويستسلم للحب وإن قوبل بالجفاء :

وكنى الرسول عن الجواب تظرفا　　　ولئن كنى ، فلقد علمنا ما عنى

قل يارسول ، ولا تحاش ، فإنه　　　لابد منه ، أساء بى ، أم أحسنا

الذنب لى فيما جناه ، لأننى　　　مكنته من مهجتى ، فتمكنـا

ولكنه يثور على الحب إذا كان فيه غدر وخيانة :

الآن حين عرفت رشدى ، واقتديت على حذر

ونهيت نفسى فانتهت ، وزجرت قلبى فانزجر

ولقد أقام على الضلالة ، ثم أذعن واستقر

الحب فيـه مذلة ، إلا على الرجل الذكر

هيهات ، لست أبا فراس ، إن وفيت لمن غدر

وتلك ثورة نفسية ، تدرك المحب إذا رأى الغدر ممن يحب .

هذا ، وأرجح أن الحب الذى كان بينه وبين قريبته كان حبا طاهراً عفيفاً ، تحوطه شدة الصيانة من جانب الحبيبة . وأغلب الظن أن هذه الليالى التى غلب الخمر فيها عقل من يهوى ، والتى يصف واحدة منها بقوله :

وزيارة من غير وعد　　　فى ليـلة طرقت بسعد

بات الحبيب إلى الصباح　　　معانقى ، خـدا لخـد

يختـار فى وناظرى　　　ماشئت من خمر وورد

قد كان مولاى الأجل　　　فصيرته الراح عبدى

ليست بأول منة　　　مشكورة للراح عندى

لم تكن مع هذه القريبة المحتشمة .

وقد ذكرنا أن أبا فراس قد أخذ بنصيب من اللهو ، ولعله كان يرى أن الحب لا يحول بينه وبين المتعة ، إذا ظفر بها .

ومن مجموعة شعر أبى فراس نستطيع أن نرسم صورة المرأة المثالية عنده ، فهى البيضاء ، المتوردة الخد ، الفاترة الجفن ، ذات الشعر الفاحم ، المشوقة القد ، الناهدة الصدر ، الهيفاء الخصر ، فى غير هزال .

وتغزل أبو فراس بالغلمان كذلك ؛ وإن هذا الداء الوبيل قد وجد سبيله إلى قلب شاعرنا ؛ وكانت البيئة التى عاش فيها تساعد عليه ؛ فقد كان أميره ومثله الأعلى سيف الدولة يعشق غلاما تركيا اسمه عاك .

تغزل أبو فراس فى غلمانه ، وترك من هذا الغزل مقطوعات قصيرة كذلك ، وبعضها يفيض بالرقة والحنان ، يقول :

الورد فى وجنتيه　　　والسحر فى مقلتيه

وإن عصانى لسانى　　　فالقلب طوع يديه

يا ظالما ، لست أدرى　　　أدعو له ، أم عليه

واسم هذا الغلام منصور ، وله غلمان أخر ، وإن كان لمنصور القلب على قلب الشاعر . ولسنا ندرى جنسيته على وجه التحقيق ، ولا إن كان هو المقصود بتلك الأبيات التى يتغزل فيها بمملوك فارسى ، وقد استغل الشاعر فيها معركة ذى قار ، التى كانت لقبائل

العرب زمن بينها تغلب قبيلة الشاعر على الفرس ، وقد أحسن هذا الاستدلال حين قال :

بأبي شادن ، بديع الجمال ... أعجمى الهوى ، فصيح الدلال
سل سيف الهوى على ، ونادى ... يالثأر الأعمام والأخوال
كيف أرجو ممن يرى الثأر عندى ... خالفا من تعطف ووصال
مادرت أسرتى بذى قار أنى ... بعض من جندلوا من الأبطال
أيها اللازمى جرائر قومى ... بعد ما قد مضت عليها الليالى
« لم أكن من جناتها علم الله ... وإنى بحرها اليوم صالى »

ولأبي فراس ، غير هذا الغزل الحقيقى ، غزل تقليدى يفتتح به قصائده ، ولا يريد به غالباً التعبير عن عواطف تجيش فى نفسه . وهو فى هذا الغزل يتشبه بالأقدمين فى وقوفهم على الديار ، وسؤالهم الأطلال :

على لربع العامرية وقفة ... تملى على الشوق والدمع كاتب
فلا ، وأبى العشاق ، ما أنا عاشق ... إذا هى لم تلعب بصبرى الملاعب
ومن مذهبى حب الديار لأهلها ... وللناس فيما يعشقون مذاهب

وفى هذا الغزل التقليدى يبدو الضعف ، والمغالاة والصناعة اللفظية ، وتكرير المعانى المألوفة ، ولا نحس بروح الغزل القوية المتدفقة ، وأى قوة فى قوله :

قلوب فيك دامية الجراح ... وأكباد مكلمة النواحى
وحزن لا نفاد له ، ودمع ... يلاحى فى الصبابة كل لاح
أتدرى ما أروح به ، وأغدو ... فتاة الحى : حى بنى رياح
ألا يا هذه ، هل من مقيل ... لضيفان الصبابة أو مراح

ونرى التشبيهات المتداولة بالشمس والغزالة والأقحوان ، كما نلاحظ فى هذا الغزل أيضاً التناقض ، وعدم الوقوف عند المعقول . نجد هذا التناقض فى قوله :

إن الحبيب الذى هام الفؤاد به ... ينام عن طول ليل ، أنت ساهره
ما أنس لا أنس يوم البين موقفنا ... والشوق ينهى البكا عنى ، ويأمره
وقولها ، ودموع العين واكفة ... « هذا الفراق الذى كنا نحاذره »

فحبيب تكفكف دموعه ويحذر الفراق ، لا ينام عن طول ليل يسهره صاحبه . ويبدو البعد عن حدود المعقول فى قوله :

تسائلنى من أنت ؟ وهى عليمة ... وهل بفتى مثلى على حاله نكر
فقلت كما شاءت وشاء لها الهوى ... قتيلك ، قالت : أيهم فهم كثر

ووجه الغرابة فى هذا أن الشاعر قد أخبرنا فى هذه القصيدة عينها أنها قد وعدته بالوصل ، وأنه أحب البدو من أجل حبها ، وحارب قومه فى سبيل هواها ، ولا يعقل بعد ذلك أن تجهله الحبيبة ولا تدرى من هو ؟ وهى التى يقول فيها :

معللتى بالوصل ، والموت دونه ... إذا مت ظمآنا فلا نزل القطر
بدوت ، وأهلى حاضرون ، لأننى ... أرى أن داراً لست من أهلها قفر
وحاربت قومى فى هواك ، وإنهم ... وإياى ـ لولا حبك ـ الماء والخمر

نلاحظ فى غزل أبى فراس ، سواء الحقيق منه والتقليدى ، أنه غزل فارس ، تلمس فيه روح الفتوة ، وتجد منثوراً بين أبياته لغة الفرسان المحاربين ، ويأخذ من هذه اللغة تشبيهاته واستعاراته ، فتسمعه يقول :

أغرن على قلبى بخيل من الهوى ... فطارد عنهن الغزال المغازل
بأسهم لفظ لم تركب نصالها ... وأسياف لحظ ، ما جلتها الصياقل
وقائع قتلى الحب فيها كثيرة ... ولم يشتهر سيف ، ولا هز ذابل
أراميتى ، كل السهام مصيبة ... وأنت لى الرامى ، فكلى مقاتل

ويقول متعجبا كيف يمد حبيبه جيش سقامه بالهجر ، فينصره :

بالله ربك ، لم فتنت بصبره ... ونصرت بالهجران جيش سقامه

وفى سبيل طاعة الحب ، قد استشهد الصبر والسلو :

مالى بكتمان هوى شادن ... عينى له عين على القلب
عرضت صبرى وسلوى له ... فاستشهدا فى طاعة الحب

ويشبه طرة من يحب بالزرد المضاعف :

ومرتد بطرة ... مسدولة الرفارف
كأنها مسبلة ... من زرد مضاعف

أبو فراس حين يجعل الغزل مقدمة لأغراض أخرى ، يجتهد غالباً فى أن يجعل روح الغزل مناسبة لروح الموضوع الذى يقصد إليه ، وهل أنسب من هذا الغزل العاتب يبدأ به عتابه لسيف الدولة :

أما لجميل عندكن ثواب ... ولا لمسىء عندكن متاب

أو أنسب من البدء بإهداء التحية لمن يحبها ، فى قصيدة يحيى بها إخوانه فى الوصل ، إذ يقول :

سلام ، رائح ، غادى ... على ساكنة الوادى

أو من البدء بهذا الغزل الحزين ، الذى يشكو الفراق فى قصيدة أرسلها إلى أخيه ، وهو أسير :

فديتك إنى للصبابة صاحب ... وللنوم مذ زال الخليط مجانب
وما أدعى أن الخطوب تخيفنى ... لقد خبرتنى بالفراق النواعب

ولكن الشاعر فى أغلب الأحيان ، ما كان يحسن التخلص من الغزل إلى الغرض المقصود ، بل كان انتقاله فجائيا ، وهو

فى ذلك يشبه البحترى زعيم شعراء الشام : فها هو ذا — مثلا — يتغزل ، ويختم غزله بقوله :

وقد ماديت ضوء الصبح حتى لطرفى عن مطالعه ازورار

ثم ينتقل إلى الفخر قائلا من غير أن يحسن التخلص :

ومضطغن يراود فى عيبا سيلقاه إذا سكنت وبار

وفى بعض الأحيان يحسن التخلص ، كما فى تلك القصيدة التى بعث بها إلى ابن عمه أبى زهير ، وفيها يقول :

يا أخى يا أبا زهير ، ألى عندك عون على الغزال الغرير — ؟ !

لم تزل مشتكاى فى كل أمر ومغيثى ، وعمدتى ، ومشيرى

وهكذا يمضي فى حديث ابن عمه

وقبل أن أختم الحديث عن غزله ، أشير إلى ما يبدو فى هذا الغزل حيناً ، من شعور أبى فراس بنفسه محبوبا ، وأنه ليس شخصاً عاديا ، ولكنه محب جدير أن يقابل بغبطة من يحبه ، وأن يضن عليه بالتواجد ، فتسمعه يقول .

أجملى يا أم عمر زادك الله جمالا

لا تبيعينى برخص إن فى مثلى بغالى

بل لقد تدلل مرة على من يحب ، حتى شكته إلى إحدى جاراتها :

قامت إلى جارتها تشكو بذل وشجا :

أما ترين ذا الفتى مر بنا ما عرجا .

إن كان ما ذاق الهوى فلا نجوت إن نجا

وليس ببعيد أن تمجب بأمير وسيم مثله ، بعض أولئك الجميلات اللاتى كن يرينه فى غدواته وروحاته .

أحمد أحمد بدوى
مدرس بكلية دار العلوم

الخطــــر اليهودي

بروتوكولات شيوخ صهيون العلماء

[إلى أستاذى الجليلين العقاد والزيات والأستاذ الفاضل نقولا الحداد أهدى هذه الصفحات] .

م . خ . التونسى

أما قبل ، فمنذ لاحت فى أفق السياسة الدولية نذر اعتزام اليهود إنفاذ خططهم التى دبروها لتأسيس دولتهم فى فلسطين — عمدت أكثر الصحف العربية إلى نشر مقالات و نبذ تفضح فيها نيات اليهود ومؤامراتهم وأغراضهم القريبة والبعيدة من إنشاء دولتهم ، وتفند حججهم فى استحقاقهم تأسيسها فى فلسطين .

وخير ما كتب فى هذا المجال وبعد دراسات علمية صحيحة المقالات التى كتبها الأستاذان الكبيران عباس محمود العقاد ونقولا الحداد ، وقد نهضت بالعبء الأكبر فى ذلك « الرسالة » مجلة العروبة القائمة على نشر ثمرات عقولها ، الموثقة بين شعوبها ، الزائدة عن كيانها و كرامتها ، وقد كانت من الصحف التى عجز اليهود عن استصناعها أو إسكاتها كطريقتهم مع الصحف وأصحابها وكتابها مما يعلمه قليل ويجهله كثير .

فأما الأستاذ العقاد فقد عقد على صفحات « الرسالة » وصفحات « الأساس » فصولا للكشف عن العقلية اليهودية والخلق اليهودى منذ موسى حتى الآن مستشهداً بأقوال العهد القديم وأحداثه وماتلاه من حوادثهم ، وبين الصلة بين الصهيونية والشيوعية ، وبينهما وبين اليهود وبعض التيارات الحاضرة التى تسعى إلى تخريب العالم وتسلط اليهود على البشرية .

وأما الأستاذ نقولا الحداد فقد قام بمثل ذلك وأفاض فيه كما أفاض فى بيان الصلة بين اليهود والماسونية والشيوعية ، واستشهد لذلك بنصوص العهد القديم والتلمود و كتاب ثالث لم يشر إليه غيره مع خطره البالغ فى التعريف بهم وبمؤامراتهم وسياستهم إزاء العالم أجمع ولاسيما الأمم المسيحية ، لأن الشعوب التى تعتنقها هى الشعوب التى فى أيديها مقاليد حكم البشر ، وهذا الكتاب الثالث هو : « بروتوكولات شيوخ صهيون العلماء » Protocols of the Learned Elders of Zion. وهو كتاب يفضح مالا يفضحه كتاب آخر من سوء نياتهم وفظاعة خططهم لتخريب العالم وإفساد نظمه وآدابه وقيمه توصلا إلى إقامة مملكة يهودية أو تقراطية لحكم العالم جميعاً يجلس على عرشها ملك من نسل داود .

وكانت النصوص التى نقلها الأستاذ الحداد خلال مقالاته كثيرة ، وكانت تمهيداته لها وتعليقاته عليها كثيرة أيضاً جليلة المنفعة ، عظيمة الطرافة لدى قراء العربية .

وقد كانت أحد الأسباب المباشرة التى حملتنى على ترجمة الكتاب كله إلى العربية تمدها أسباب كثيرة مباشرة وغير مباشرة حفزتنى على ترجمته ، فلما أطلعت أستاذى الكبير الزيات على رغبتى فى نشر الترجمة تحقيقاً للغرض الذى أنشده وهو تعريف قومى بما يدبر اليهود من مؤامرات لتخريب العالم وبخاصة بعد أن صاروا إلى جوارنا يتهددوننا بطرق مباشرة وغير مباشرة — لما أطلعته على ذلك قبل مشكوراً نشر ما تيسر منها على صفحات مجلته الزاهرة .

وأما بعد فهذه البروكوتولات منشورة أمام القراء وإنى لأرجو أن يتبينوا آثار خططها فى سياسات العالم جميعاً ، وأن يميزوا شواهدها فيما مر ، وما يمر ، عليهم من أحداث ، وفيمن يصادفهم من صنائعها ، و كثير ما هم بين الرجال والنساء .

وألفت النظر إلى أن كل محاولة لتلخيص البروتوكولات محاولة بتراء تضل أكثر مما تهدى ، وإنه لمن الخير أن نقرأها جميعاً ، فكل فقرة بل فصل فيها لا يدل على أكثر مما فيه لا على ما فى الوثائق كلها ، ولا على خلاصتها ، وهى أحوج ما تكون إلى درسها وتوضيح شواهدها فيمن يمرون علينا وما يمر علينا ، وتعرف اتجاهاتها بدقة وسداد . وهى تدل على خطة واسعة شاملة تتضمن آلاف الخطط فى كل نشاط بشرى لتخريب العالم .

وهى تدل على معرفة صحيحة بالمجتمع البشرى وما فيه من ضعف ، ووسائل استغلال كل قوة وضعف فيه ، ولا تنحرف إلا عندما يعميها الغرض فتفوتها أشياء تجرى تحت عينيها ، ولولا إغراضها لما خفيت على ذكائها النفاذ وملاحظتها الدقيقة ، وهى من أجل ذلك تدرك من المعرفة شيئاً صحيحاً وتفوتها أشياء ، ويصدق عليها قول أبى نواس الشاعر فى النظام الفيلسوف المتكلم .

« فقل لمن يدعى فى العلم فلسفة حفظت شيئا وغابت عنك أشياء »

وهى تمنى أكثر ما تمنى بتبين نواحى الضعف البشرى ، وتعمل على استغلاله إلى أقصى الحدود ، متجاهلة ، أو جاهلة ، نواحى القوة البشرية ، فترسم الخطة وكأن كل النواميس البشرية عدا النواميس المتمشية مع أهدافها — قد تعطلت بفعل ساحر ، ومن أجل ذلك كثر إيغالها فى الأحلام التى تدل على المقت الذى ينوء باحتماله أى قلب من لحم ودم ولو كان قلب وحش كاسر ، ولكن تلك الأحلام لا تدل من أى وجه على إمكان تحقيق شىء جدى منها . ولذلك ألفت النظر إلى أن فيها كثيراً من المبالغات الدجلية الخادعة التى لا يمكن تحقق شىء منها ، وخير ما نقابل به تلك المبالغات هو معرفة زيفها والثبات أمامها ، إذ ما من خطر حقيق لها إلا التهويلُ الكاذب لإضعاف العزائم ، ونشرُ الفزع والرعب لتهويش المجتمع ، كى يتوهم لليهود ما ليس لهم من القوة والنفوذ ، أو يغفل عما لهم من القوة والنفوذ فى الحقيقة .

* * *

ولقد كانت هذه البروتوكولات من أسرار اليهود التى يحرصون على إخفائها أشد الحرص ، ثم افتضح أمرها منذ نصف قرن تقريبا إذ وصل خبرها إلى أحد وجوه الروس فى عهد القيصرية وهو سرجى نيلوس Sergyei Nilus وهي مكتوبة بالروسية ، فقام بطبعها فى سنة ١٩٠٥ وكتب لها مقدمة وتعقيبا لابد من قراءتهما لما فيهما من فوائد جليلة ، ويحملنا ضيق المقام هنا على القناعة بمقتبسات ملخصة من المقدمة نعرف منها كيف تأدت إليه وماذا صنع بها . فقد ذكر أن صديقا دفعها إليه قبل وفاته سنة ١٩٠١ ، وأكد له أنها ترجمة صحيحة لأوراق مخطوطة سرقتها سيدة من أحد رءوس الماسونيين الأحرار فى نهاية اجتماع ماسونى عقد فى باريس ، وقد تمت السرقة فى فرنسا فى خلية من خلايا الماسونية اليهودية (الخاصة باليهود) .

وقد نشر الأستاذ نيلوس هذه الوثائق الخطية فى سنة ١٩٠٥ مطبوعة بعنوان « بروتوكولات شيوخ صهيون » وأشار إلى أنها ليست بالدقة نصوص محاضر الاجتماعات السرية التى عقدها هؤلاء الشيوخ ، بل إنها تقرير وضعه شخص قوى وقسمه أقساما لا تطرد منطقيا على الدوام ، وهى بذلك تبعث على الظن بأنها جزء منتزع من وثيقة أهم قد ضاعت بعض فقره ، بيد أن أصل الوثيقة يتكلم عن نفسه فى هذا الجزء .

ويسلم الأستاذ نيلوس بالعجز عن الحصول على دليل كتابى أو شفوى على صحة هذه المؤامرة أو على شىء يكشف زعماءها متلبسين بإمساك خيوطها الدموية ، ويكتفى بشواهد الملابسات والقرائن القوية التى تكفى لإقناع « من لهم آذان للسمع » وهى تُلتمس من الظروف الجارية فى العالم ؛ وفيها مقنع لكل باحث محترم .

وبعد عام من طبع البروتوكولات بالروسية (١٩٠٥) وصلت نسخة مطبوعة إلى المتحف البريطانى فكتب عليها قيد تسلمها وتاريخه وهو ١٠ أغسطس سنة ١٩٠٦ . وبقيت هذه النسخة فى المتحف دون أن يتنبه أحد إليها أو يعرف خطرها حتى عثر عليها الأستاذ فكتور مارسدن مراسل جريدة « المورننج بوست » فى روسيا خلال الحرب العالمية الأولى التى وقع خلالها الانقلاب الروسى الذى مكن للشيوعيين من السيطرة على روسيا ، وكان لليهود نصيب عظيم فى تدبير هذا الانقلاب وهم الذين استطاعوا أن يستغلوه لمصلحتهم قبل غيرها من وراء ستار حينا وجهارا حينا ، وحاولوا هناك تطبيق مذهب أخيهم كارل ماركس بالنار والدم ، ونجحوا فى بسط سلطانهم هناك حتى اليوم ، ومن العجيب أن الأستاذ نيلوس تنبأ بهذه المؤامرة اليهودية ضد روسيا — وطنه — فى سنة ١٩٠٥ كما أشار إلى ذلك فى المقدمة ، ومن العجيب أن تشير « البروتوكولات » نفسها إلى محاولة اليهود نشر مذهب ماركس اليهودى المتنصر (انظر الميثاق الثانى) .

وكان الأستاذ فكتور مراسل « المورننج بوست » يعرف الروسية ، فأكب على ترجمة الكتاب من الروسية إلى الإنجليزية فى المتحف نفسه ، ثم نشرت جمعية الطباعة البريطانية الترجمة الإنجليزية ، وأعادت بعد ذلك طبعها مرات ، وهذا الكتاب مجهول حتى بين علية المثقفين .

والكلام المفصل فى الشواهد التى تدل على صحة المواثيق وأنها من عمل اليهود — يستغرق عشرات الصفحات ، وخير ما كتب باللغة العربية فى هذا الصدد مقالات الأستاذ الحداد فى الرسالة ، وفيها بلاغ (راجع العدد ٧٧١ وما تلاه) ولنا إلى هذا الموضوع عود إن شاء الله بعد أن تصير النصوص فى المتناول لتسهل المقارنة والاستنباط . فإلى المواثيق لفهمها وتدبرها ، ولكل نبأ مستقر .

محمد خليفة التونسى

(البروتوكولات من العدد القادم)

أهل العلم والحكم

في ريف فلسطين

للأستاذ أحمد سامح الخالدى

— ٢ —

أنهارها وبحيراتها

ويصف لنا ياقوت أهم أنهارها وبحيراتها وقد زار بحيرة طبرية مراراً ويكشف لنا عن مشروع رى عظيم يجمع بين نهرى الأردن واليرموك فتسق مياهها ضياع الغور والبثنية (وهى الناحية الواقفة على الضفة اليسرى من الأردن بمدجريانه من بحيرة طبرية) كما يذكر لنا زراعة قصب السكر فى هذه المنطقة وتصدير السكّر إلى سائر بلاد الشرق ، ويروى لنا بعض ما قاله الشعراء فى هذه الأماكن .

فيقول عن الأردن فى (ج ١ — ص ١٨٦) وطبرية على طرف جبل يشرف على هـذه البحيرة ، فهذا النهر أعنى الأردن الكبير بينه وبين طبرية البحيرة . وأما الأردن الصغير فهو نهر يأخذ من بحيره طبرية ويمر نحو الجنوب فى وسط الغور فيسق ضياع الغور . وأكثر مستغلهم السكر ، ومنها يحمل إلى سائر بلاد الشرق وعليه قرى كثيرة منها بَيْسا ، وقراوا ، وأريحا والموجاء وغير ذلك .

« وعلى هذا النهر قرب طبرية قنطرة عظيمة ذات طاقات كثيرة تزيد على العشرين، ويجتمع هذا النهرونهر اليرموك فيصيران نهراً واحداً فيسق ضياع الغور وضياع البثنية ثم يمر حتى يصب فى البحيرة المنتنة (البحر الميت) فى طرف الغور الغربى (كذا) (الجنوبى) .

وقال أبو دهلب أحد بنى ربيعة بن قريع ... بن تميم :

حنّت قلوصى أمس بالأُردُنْ … حنى فما ظَلَمتِ أن تحنّى
حنّت بأعلى صوتها المرُنّ … فى خَرعبٍ أجشّ مستجِن
فيه كَهزيم نواحى الشنّ

وقال عدى بن الرقاع العاملى :

لولاالإلهوأهل الأردن اقتسمت … نار الجماعه يوم المرج نيرانا

قالوا والأردن فى لغة العرب النماس . قال أبان الزبيرى :

وقد علتنى نعسة الأردن … ومَوهبٌ مُبر بها مُصعن

والظاهر أن الأردن الشدة والغلبة ، فإنه لا معنى لقوله (وقد علتنى نعسة الأردن) .

وقال المتبنى يمدح بدر بن عمار وكان قد ولى ثغور الأردن والساحل من قبل أبى بكر محمد بن رائق :

تهنا بصور[1] أم نهنئها بكا … وقل الذى صور وأنت له لكا
وما صغر الأردن والساحل الذى … حبيت به إلا إلى جنب قد ركا
تحاسدت البلدان حتى لو آنها … نفوس لسار الشرق والغرب نحوكا
وأصبح مصر لا تكون أميره … ولو أنه ذو مقلة وفم بكا

وحدث اليزيدى قال خرجنا مع المأمون فى خرجته إلى بلاد الروم فرأيت جارية عربية فى هودج ، فلما رأتنى قالت يا يزيدى أنشدنى شعراً قاته حتى أصنع فيه لحناً فانشدت :

ما ذا بقلبى من دوام الخفق … إذا رأيت لمعان البرق
من أقبل الأردن أو دمشق … لأن من أهوى بذاك الأفق
ذاك الذى يملك منى رقّ … ولست أبغى ما حييت عتق

قال فتنفست تنفساً ظننت أن ضلوعها قد تقصفت منه ، فقلت هذا والله تنفس عاشق . فقالت اسكت ويلك أناأعشق والله ، لقد نظرت نظرة مريبة فادعاها من أهل المجلس عشرون رأساً ظريفاً (معجم ياقوت[2] ج ١ — ١٨٥) .

وجاء فى شذرات الذهب (ج ٦ — ٢٧٣) فى حوادث سنة ٧٨٢ هـ أن برقوق أمر ببناء جسر الشريعة (الأردن) بطريق الشام وجاء طوله مئة وعشرين ذراعاً وانتفع الناس به . وفى الشذرات أيضاً (٧ — ص ٧) لما بنى الجسر قال فيه شمس الدين محمد الزين .

بنى سلطاننا للناس جسراً … بأمر والوجـوه له مطيعه
مجازاً فى الحقيقة للبرايا … وأمراً بالسلوك على الشريعة

وفى رواية أخرى بنى سلطاننا برقوق ، والأنام بدل الوجوه

(١) كانت صور إحدى ثغور جند الأردن .

(٢) توفى ياقوت (٦٢٦ هـ) .

والمرور بدل السلوك .

وعلى الأردن خمسة جسور هي من الشمال إلى الجنوب : جسر بنات يعقوب ، وجسر المجامع ، وجسر الشيخ حسين ، وجسر اللنبي ، وهو الذي يوصل طريق القدس بعمان ، وله أكثر من مخاضة يسلكها العرب في غدواتهم .

* * *

أما بحيراتها ، فقد جاء ذكر الحولة ، بأنها كورة بين بانياس وصور وأنها أي ناحية الحولة ذات قرى كثيرة من إحداها كان الحارث الكذاب الذي ادعى النبوة أيام عبد الملك بن مروان وكان هذا من أهل دمشق وكان له أب بالحوله(١) (معجم البلدان ٣ — ٣٦٨) .

ويقول عن بحيرة طبرية أنه رآها مراراً وهي كالبركة يحيط بها الجبل ويصب فيها فضلات أنهر كثيرة تجيء من جهة بانياس وينفصل فيها نهر عظيم فيسقى أرض الأردن الأصغر وهو بلاد الغور ويصب في البحيرة المنتنة (البحر الميت) قرب أريحا . ومدينة طبرية في لحف الجبل مشرفة على البحيرة ماؤها عذب شروب ليس بصادق الحلاوة ثقيل، وإياها أراد المتنبي يصف الأسد

أممفر الليث الهزبر بسوطه لمن ادخرت الصارم المصقولا

وقعت على الأردن منه بلية نضدت لها هام الرفاق تلولا

وَرْدٌ إذا ورد البحيرة شارباً ورد الفرات زئيره والنيلا

(راجع معجم ياقوت ج ٢ — ٨٠) .

أما عن البحر الميت ، أو بحر لوط ، أو زُغر(٢) كما يسميها فيقول أن زغر اسم بنت لوط ، نزلت بهذه القرية فسميت بها . قال حاتم الطائي :

سقى الله رب الناس سحاً وديمة جنوب السراة من مآب إلى زُغر

بلاد امرىء لا يعرف الذم بيته له المشرب الصافي ولا يطعم الكدر

وقد جاء ذكرها في حديث الجساسة ، وهذه في واد وخم رديء في أشأم بقعة، إنما يسكنه أهله لأجل الوطن وقد يهيج فيهم في بعض الأعوام مرض فيفني كل من فيه أو أكثرهم . (معجم البلدان ٤ — ٣٩٣) والأرجح أن المرض الذي يشير إليه ياقوت إنما هو الملاريا .

(١) اسم البحيرة واسم الناحية .

(٢) وقد ذكرها باسم البحيرة المنتنة وقال أن رائحتها في غاية النتن لا ينتفع بها في شيء .

أما عن الأنهر الصغيرة فيذكر نهر أبي فطرس أو نهر فطرس (العوجا ، وهو تحريف كلمة انتيباترس Antipatuis وهي المدينة التي ينبع هذا النهر بالقرب منها .) فيقول ياقوت ، موضع قرب الرملة من أرض فلسطين مخرجه من أعين في الجبل المتصل بنابلس ويصب في البحر الملح (البحر المتوسط) بين يدي مدينتي أرسوف ويافا وبه كانت وقعة عبد الله بن العباس مع بني أمية فقتلهم في سنة ١٣٢ هـ ، وهي السنة التي زال فيها ملك الأمويين وقامت فيه دولة بني العباس .

قال ابراهيم مولى قائد العبلي يرثيهم .

أفاض المدامع فتكى كدا وقتلى بكثوة لم تُرْمَسِ

وقتلى بوجٍ وباللابتين بيثرب َهم خيرُ ما أنفس

وبالذابيين نفوس ثوت وأخرى بنهر أبي فطرس

أولئك قوم أناخت بهم نوائب من زمن متعس

إذا ركبوا زينوا المركبين وإن جلسوا زينة المجلس

هم اضرعوني لريب الزمان وهم ألصقوا الرغم بالمعطس

فما أنس لا أنس قتلاهم ولا عاش بعدهم من نسي

قال المهلبي وعلى نهر أبي فطرس أوقع أحمد بن طولون بالمتضد فهزمه . قلت إنما كانت الوقعة بموضع يقال له الطواحين بين المتضد وخمارويه بن أحمد بن طولون قال وعليه أخذ العزيز هفتكين التركي . وفلت عساكر الشام عليه . وبالقرب منه أوقع القائد فضل بن صالح بأبي تغلب حمدان فقتله ويقال إنه ما التقى عليه عسكران إلا هزم الغربي منها .

وقد ذكر أبو نواس في قصيدته في الخصيب نهر فطرس ولم يضفه إلى كبية فقال .

وأصبحن قد فوّزن عن نهر فطرس وهنّ من البيت المقدس زور

طوالب بالركبان غزّة هاشم وبالفرما من حاجهن شعوز

وقال العبلي :

ابكى على فتية رزئتهم ما إن لهم في الرجال من خلف

نهر أبي فطرس محلهم وصجوا الزابيين مكتنف

اشكو من الله ما بليت به من فقد تلك الوجوه والشرف

راجع معجم البلدان (٨ ج — ٣٣٣) .

وقد ذكر ياقوت اليرموك مع الوديان ، فقال أنه واد بناحية الشام فى طرف الغور يصب فى نهر الأردن . كانت به حرب بين المسلمين والروم أيام أبى بكر الصديق ، وقدم خالد الشام مدداً لهم. قال القعقاع بن عمر يذكر مسير خالد من العراق إلى الشام :

بدأنا بجمع الصفرين فلم يدع — لغسان أنفاً فوق تلك المناصر
صبيحة صاح الحارثان ومن به — سوى نفر نجتذهم بالبواتر
وجئنا إلى بصرى وبصرى مقيمة — فألقت إلينا بالحشا والمعاذر
فضضنا بها أبوا بها ثم قابلت — بنا العيش فى اليرموك جمع العشائر

ذكر الجبال والواربات والحصول والمواقع :

(أنظر معم البلدان ٨ ج — ٥٠٤) :

ذكر ياقوت من الجبال ، جبل الجليل فى ساحل الشام ممتد إلى قرب حمص . كان معاوية يحبس فى موضع منه من يظفر به ممن ينبز فى قتل عثمان . وجبل الجليل بالقرب من دمشق وهو يقيل من الحجاز فما كان بفلسطين منه فهو جبل الحمل ، وما كان بالأردن فهو جبل الجليل ، وهو بدمشق لبنان وبحمص سنير(١) قال أبو القيس بن الأسلت .

فلولا ربنا كنا يهوداً — وما دين اليهود بذى شكول
ولولا ربنا كنا نصارى — مع الرهبان فى حبل الجليل
ولكنا خلقنا إذ خلقنا — حنيف ديننا عن كل جيل

قال الحافظ الدمشقى واصل بن جبل أبو بكر السلامانى من بنى سلامان الجليلى من جبل الجليل من أعمال صيدا ، وبيروت ، من ساحل دمشق ، حدث عن مجاهد ومكحول وعطاء وطاووس والحسن البصرى وروى عنه الأوزاعى . قال يحيى بن معين ، واصل بن جبيل مستقيم الحديث ، ولما هرب الأوزاعى من عبدالله بن على بن عبد الله بن العباس اختبأ عنده وكان الأوزاعى يحمد ضيافته ويقول ما تهنأت بضيافة أحد مثل ما تهنأت بضيافتى عنده ، وكان خبأنى فى هرى المدس، فإذا كان العشاء جاءت الجارية فأخذت من المدس فطبخت ثم جاءتنى به فكان لا يتكلف فتهنأت بضيافته . (معجم البلدان ٣ — ١٣١) .

ويصف لنا جبل الطور (طابور) وديره فيقول الطور هو الجبل المشرف ، أما هذا فمستدير واسع الأسفل ، مستدير الرأس لا يتعلق به الجبال ، وليس له إلا طريق واحد وهو ما بين طبرية واللجون مشرف على الغور ومرج اللجون (مرج بنى عامر) وفيه عين تنبع بماء غزير وكثير ، والدير فى نفس القبلة مبنى بالحجر وحوله الكروم يعتصرونها فالشراب عندهم كثير . ويعرف أيضاً بدير التجلى، والناس يقصدونه من كل موضع فيقيمون به ويشربون فيه . موضعه حسن يشرف على طبرية البحيرة وما والاها على اللجون وفيه يقول مهلهل بن غريب المزرع .

نهضت إلى الطور فى فتية — سراع النهوض إلى ما أحب
كدام الجدور حسان الوجوه — كهول العقول شباب اللعب
انخت الركاب على ديره — وقضيت من حقه ما يجب

(معجم البلدان ٤ — ٢١٢) :

أحمد سالم الخالدى

للكلام بقية

(١) هى القسم الشمالى من جبال لبنان النصيرية .

المـــــلاح التائه !!

أسلمت بعدك للأسى خلجاتى | ياشاعر الأحـلام والصبوات
حمل المساء إلى أىّ نجيمـــة | ـ لاتمويت ـ وأى خطب عات
يادولة الشعر الرصين .. ترحلت | أمجاد عرشك فى ركاب رفات
هجر الخميلَ اليوم آخر بلبـل | هو أول بحسانه الألقـات
وأرق من حمل القيـثار شادياً | بالحب والأوطان والغزوات
أودى «خليل» الشعر مثل «عليه | «الجارم» المفتن فى الصدحات
ونوى الغـداة سميه وضريبه | فى مثـل خفق اللمحة المزجاة
من للقريض العبقرى وقدهوت | تلك النجوم النيرة الومضات

يامله‍مى الأشعار ، كيف أصوغها | والحزن موف والنشيج موات؟!
غشى الذهول النفس من أقطارها | فزعاً .. وبث النار فى طرقاتى
هى زورة لك يا « على » يتيمة | أذ كت لهيب الشوق بعد شتات
لم أنس حين لقيتنى متلطفاً | وهتفت بى : هات اللاحن هات
وذهبت أستدنى الخيال .. فأجفلت
منك المشاعر .. واستحت خطراتى
وعرضت آلهة الخلود فلم أجد | إلا نشـيدك فى فم الربات
فمضيت أتلوها عليك عرائساً | لك يا « على » وضيئة القسمات
وسمعت شعرك من فمى فضممتنى | ضم الحفىّ بهـــذه اللفتات
.. هى زورة فى العمر . كانت . مالها
ـ واحسرة الآمال ـ من أخوات
لو كنت أشتف المقادر بعدها | أسرفت فى الروحات والغدوات

جزت الحياة على شراعك ضاربا | فى المجهل النائى .. وفى الغمرات
ترتاد آفاق البحار ... مرنما | بخوارق الأنغـام والنفثات
تلقى شباك الفكر تحت عبابها | فتصيد كل عصية السمكات
يا أيها الملاح ... كيف عبرتها | قبل الأوان . لآخر الضفات ؟!
ماكان هذا اليوم موعدك الذى | تلقى الشراع به إلى مرساة
يا ليتـه قضى الليـالى تائهاً | عن هذه الشطئان والربوات
لولم تفض تلك البحار بمائها | لغدت تفيض اليوم بالعبرات
قم حدث الأجيال عنك . وصف لها
يوم الرحيل . . . نهـاية الرحلات
نجيمة الوادى عليك وزرءه | ومناحـة الأطيار والزهرات
وصف الردى المتاغ .. نازعنا الهوى
فى الهيكل المحمول ... لا النفحات
صف راحلا .. أطربت فى «ميلاده»
سمع الوجود بأعذب النغمات
أولا . فما أعيى النهى . ولو أنها | كانت نهاك عتيـّة الطاقات
أنت الذى أخضعت كل مُدلّة | وحبيتَ سحر نتائج الملـكات
لو قد بُعثت إلى الدنى .. غب النوى
وشهدت وقع نواك فى المهجات
أشفقت من هول الذى شاهدته | وقفات مشدوها إلى الغرفات
أنماك للدنيا .. غداة هجرتها | حسدت عليك شواطئ الجنات

عبد الرحيم عثمان صاروا

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

على محمود طه الصديق والإنسان :

فى صباح يوم الجمعة الماضى أمسكت يدان صغيرتان بجـريدة الأهرام ، واندفع صاحب اليدين الصغيرتين نحوى وهو يهتف فى دهشة : أبى ... أنظر يا أبى ... أليس هذا هو على طه ؟ هل مات حقا يا أبى ؟! وراحت عينا الصغير تحدقان فى الصورة المجللة بالسواد ثم ترتدان إلىّ فى لهفة المنتظر الذى يريد من فمى جوابا ... يكذب ما رأته عيناه ! ونظرت إلى الفتى الصغير الذى يحلنى من نفسه محل أبيه وأجبت : نعم يا بنى ... لقد مات ... ترى ألا تزال تذكره يا صغيرى ؟ وقال الصغير وقد غلبه الأسى على أمره : كيف لا أذكره يا أبى ؟ ألم أذهب معكما ذات مساء إلى « الأهرام » ، أنت وتوفيق الحكيم ، وهناك فى مكتب الصاوى رأيناه ؟ أليس هو الذى ضمنى إلى صدره ، وقبلنى ، وقال لى : إذا كبرت يا بنى فـكن أديبا من طراز عمك ؟ أليس هو يا أبى ... صاحب هذه الصورة ؟! وقلت للصغير دون أن أنظر إليه حتى لا تقع عيناى على الصورة التى بين يديه : بلى يا بنى إنه هو ... ذلك الإنسان !

ومضيت أرتدى ملابسى . إلى أين يا أبى ؟ إلى هناك يا بنى ... إلى حيث أودع الصديق الحبيب الذى ضمك يوما إلى صـدره ، وقبلك ، وأوصاك أن تكون أديبا ... ألا تأخذنى معك يا أبى ؟ يعز علىّ ألا آخذك يا بنى ، أبق هنا حتى أعود إليك ... بدموعى !

وبعد دقائق كنت هنـاك ... كنت فى ذلك المـكان الذى قدر لى فيه أن أرى على طه محمولا على الأعناق ! وسرت وراء نعشه ، سرت فى زحمـة المشيعين بجسمى ، أما فـكرى ... فقد كان مع الماضى القريب ، كان ينتزع الذكريات الغالية من قبضة الزمن !

فى أول عـدد من الرسالة كتبت فيه « التعقيبات » حملت سلاحى ، وهو قلمى ، ودافعت عن الشاعر الذى لا أعرفه : على محمود طه ... وفى هذا العدد من الرسالة أتلق سلاحى ، وهو قلمى ، لأننى لا أستطيع أن أدافع عن الشاعر الذى عرفته : على محمود طه ... لقد كنت بالأمس قادراً على أن أدفع عنه هجوم الناس ، أما اليوم فليس بوسعى أن أدفع عنه هجـوم القدر ، ولا أن أرد عوادى القضاء !

كان اللقاء الأول بينى وبينه فى صحبة الأستاذ صاحب الرسالة ، كان هو الذى جمع بيننا فالتقينا ... كأكرم ما يلتقى الصـديق بالصديق . وتكرر بعد ذلك لقاؤنا وعلى مر الأيام ... وبط الحب بين قلبينا بأقوى رباط . وفارق على طه الدنيا وهو قطعة من نفسى ... نفسى التى وهبتها قطعا لأصحاب الوفاء !

أشهـد لقد كان على طه مثالا فريدا فى صداقته وإنسانيته . وأشهد ما رأيت إنسانا يفتح قلبه لأحبابه من أول لقاء كما رأيت هـذا الإنسان ... لقد كان على طه يقف أبدا وراء قلبه ، أشبه بالرجل الـكريم الذى يقف وراء بابه فى انتظار الطارقين ! وما كان أعذب حديثه إذا تحدث . ما كان أروعه وأمتعه ! لا أذكر مرة أننى جلست إليه دون أن يلذ لى الصمت الطويل ليفرغ هو للحديث الطويل ... إننى أحب دائما أن أستمع إلى صوت فنان ، ينطلق من بين شفتين تنتسبان إلى إنسان ! مرة واحـدة هى التى ضقت فيها بحديثه ، وأوشكت أن أضع يدى على شفتيه . كان ذلك ونحن نزوره فى مرضه الأخـير الذى لقى فيه ربه ... لقد كان الصمت المفروض عليه هو الطريق الوحيد إلى الحياة ، ومع ذلك فقد آثر أن يضحى بحياته ليتحدث إلى أحبابه ... هو الذى كان يعلم أن كل كلمة ينطق بها لسانه تحمل الفناء لـكل نبضـة من نبضات قلبه ! يارحمة الله له ، لقد كان فى ذلك اليوم أشبه بزهرة ذابلة ... هو الذى كم أفاض علينا من عطره وشذاه !

ماسمعت على طه مرة يذكر إنسانا بسوء ، أو يتناول شاعرا بذم . وكان إذا تحدث عن نفسه فهو الحديث الطلىّ الذى يخرج من أعماقه وهو قريب من فـكرك حبيب إلى قلبك ، فلا زهو ولا صلف ولا غرور ولا ادعاء ... ما أثقل الحـديث تسمعه من بعض الناس إذا دار حـول النفس أو طاف حول معالم الذات ! ما أثقله من كل متحدث عن نفسه ، وما أخف وقعه على الشعور وأبعـد نفاذه إلى العقول إذا كان المتحدث على طه ... كان إذا تحدث عن نفسه فليرسم صورته الإنسانية كما فطره عليها الله . وكان إذا تحدث عن شعره فليحدد طاقته الفنية كما تعارف عليها الناس ... إيمان عميق بالنفس وإحساس صادق بالقيم . ورحم الله

أولئك المؤمنين بأنفسهم ، يضعونها الموضع اللائق الكريم ، دون جور على الحق إذا كان لهم فى رحابه نصيب أى نصيب !

رحم الله على طه ، لقد كان واحداً من أولئك ... كان يعرف لنفسه قدرها ويعرف لشعره مكانه ... لم يهبط به أبوها إلى ذلك الدرك السحيق الذى يهبط إليه غيره من الشعراء ؛ أولئك الذين يضحون بكراماتهم العقلية فى سبيل اللقمة الزائلة والشهرة الزائفة ... ويدفعون بها إلى الحضيض لقاء كل زهيد من الأجر وكل تافه من الجزاء ! كان شعلة متوقدة من الإحساس بالجمال ؛ الجمال فى شتى صوره وألوانه ومعانيه : جمال الصداقة ، وجمال الكرامة ، وجمال الحياة ... أخلص للجمال الأول فاغترف الأحباب من نبع وفائه ، وآمن بالجمال الثانى فقبس الكرام من وهج إبائه ... وهام بالجمال الأخير فقصر الشعراء عن بلوغ مداه !

كان على طه أشبه بالبلبل فى حياته ... إذا حلق فلا يحلق إلا فى أفق يهيء له وسائل التغريد ، وإذا وقع فلا يقع إلا على غصن يشد له أوتار الغناء ! وكان إذا طوّف تخير البقعة التى تثير خيال الشاعر ، وإذا شدّ الرحال فإلى الأرض التى تفجر عواطف الفنان . لقد قضى حياته يفتش عن مواطن الإثارة فى كل مشهد من مشاهد السكون وكل مجلى من مجالى الطبيعة ، فإذا جلس يوما إلى مائدة الحياة ... عب من رحيقها المصفى وصب من عصارة الروح فى أشهى الدنان ...

وكان صاحب ذوق نادر ، ذوق كنت أرقبه فيملأ جوانب نفسى تقديراً له وإعجابا به .. كنت أرقبه إذا ما تحدث عن لوحة فنية راعته ، عن قطعة موسيقية هزته ، عن أثر أدبى ترك ظلاله فى نفسه ، عن منظر طبيعى فجر الشعر فى أعماقه ... من أى شىء وقعت عليه عينه والتقطه حسه وعاش فى طوايا الوجدان ! كان مسكنه آية على ذوقه ... إذا دخلته حكمت على صاحبه من أول نظرة بأنه فنان ... أنظر إلى هـذه اللوحة الرائعة التى تغطى جداراً بأكمله ، وإلى تلك التى تغطى الجدار الذى يواجهه . وإلى اللوحات الأخرى الصغيرة التى انتثرت هنا وهناك ... وتأمل هذا التمثال ، وأدر هذه الأسطوانة ، وطف ماشئت بأجواء الشرق والغرب ، وهي شموعك لوقع الفجيعة وأطرق لحظة من زمان ... إن البلبل الذى كان يصدح هنا قد طوت الريح جناحيه ، وهوى من سماء الفن إلى أرض السكون والعدم ... ولا رجعة له بعد ذلك ولا إياب !

أذكر أننا تواعدنا على اللقاء ذات مساء فى « الأهرام » ، ثم خرجنا معا نقصد إلى ضفاف النيل والليل ساج والسكون غارق فى ضياء القمر .. وراح على طه يتحدث عن الحياة ، وينشد من أشعاره ، ويروى من أخباره ، ويحلق ما شاء له التحليق على جناح الذكريات ... وحين يفرغ من هـذا كله يمد عينيه إلى الضفة المقابلة ثم يهتف بصوته الحالم : أنظر إلى هذا البيت الجميل الذى ينام فى أحضان الزهر . وإلى ذلك البيت الأنيق الذى يستحم فى مياه النهر ... هـذه يا صديقى هى الأبيات ... الأبيات التى أقامها السعداء على دعائم الواقع . أما أبياتنا نحن الشعراء فقد أقمناها على دعائم الخيال !

وأجيبه فى صوت يمتزج فيه الإنكار بالعزاء : بالله حسبك . إنها أبيات من حجارة وطين ، سعيش أصحابها نكرات ويموتون كذلك ... وستمتد إليها يوما يد البلى فلا يبقى منها حجر ولا أثر أما أبياتك وأبيات الموهوبين من أمثالك فهى من نفس وروح ... لن تبلى لأنها ستعيش فى الضمائر والقلوب ، وسيعيش أصحابها ما نطق لسان وما كتب قلم ... إنك ياصديقى تعكس القضية ، إن أصحاب الفن هم أصحاب الواقع ... لأنهم أصحاب الخلود !

ويعترض على طه فى لطف ثم يقول : أصحاب الفن هم أصحاب الخلود ؟ هـذا حق جميل ، ولكن الحق المر أنهم ليسوا كذلك هنا ... فى هذا الشرق يا صديقى ! .. الشرق الذى قال عنه الزيات كلمة ستظل إلى الأبد شعاراً له ... ترى أتذكر قوله : « ... إن النابغ فى أمم الشرق يعيش وكأنه لم يولد ، ثم يموت وكأنه لم يعش ؛ ذلك لأن الحياة فيها لا تزال نوعا من السكر الغليظ يذهل الناس عن الوجود أكثر العمر ، فإذا أفاقوا — وقليلا ما يفيقون — عربد بعضهم على بعض ! ! »

وأقول ردا على اعتراضه : إن هذه الكلمة قد تعبر عن الشرق فى هـذا الجيل ، ولكنها لن تعبر عنه إلى الأبد كما تظن ... إن أبناء هذا الجيل لن يؤرخوا الأدب وحدهم وكذلك لم يؤرخه أبناء الأجيال الماضية ... إن هناك أجيالا آتيـة ستكون أوسع أفقا وأكثر ذوقا وأوفر فهما وأعمق ثقافة ، فليطمئن كل صاحب حق إلى أنه سيظفر بحقه ... إن لم يكن اليوم فغدا ، وإن لم يكن فى الغد

القريب في الغد البعيد على كل حال .. يا أخى ما أكثر طمعك! ألا يكفيك أنك ملء السمع والبصر في كل مكان ؟!

ويتوقف على طه عن السير ثم يقول : كلمات يسمعها الشاعر من الناقد ما دام على قيد الحياة ... فإذا مات ... قبض الناقد قلمه عن تقويم شعره واكتفى بكلمة رثاء!

وأهمس في أذنه ضاحكا : إذا مت قبلي فلا تخف ... سأكتب عنك مقالا! ويغرق على طه في الضحك ثم يقول : وأنت أيضاً لا تخف ... سأرثيك ببيت من الشعر! إن مقالا واحداً من الكاتب لا يستحق غير بيت واحد من الشاعر ... ويعود على طه فيتحدث عن الحياة ، وينشد من أشعاره ، ويروى من أخباره ، ويحلق ما شاء له التحليق على جناح الذكريات!

يا أخى ... يا صديق ... يا أيها الطيف الذى مر بدنياى مرور الطائر الغريب رفرف في سماء الله ... يا أيها الحلم الذى أيقظ الدجى في خيالى ثم أغفى على جبين الصباح ... يا أيها الأمل الذى عانق قلبى عناق النسمة العابرة لضفاف جدول ظمآن ... يا أيها الشعاع الذى رقرق النور في حسى ثم أفرغ في كأسى مرارة الظلام ... يا أيها الشراع الذى هز بالشدو شاطئى وقبل أمواجى ورحل قبلى إلى الشاطىء المجهول ... تعال نذكر أيامنا التى مضت ، ولياليناالتى انطوت ... وأشواقنا التى استحالت في معبد الحب دعاء وصلاة!!

يا أخى ... يا صديق ... إن وفاءك يطوق عنقي . إن دينك يثقل كاهلى ... لقد تحدثت في هذا العدد عن على طه الصديق ، والإنسان أما في الأعداد المقبلة ... فسيكون الحديث عن على طه الشاعر والفنان .

دمعة وفاء من صفيّة البريد :

صورة يتبعها نعى ... لمن الصورة ... ولمن كان هذا النعى الطويل يا على ؟.. أحقاً أنك أنت يا شاعر ؟.. أحقاً أنك تتوارى عن الحياة التى ملأتها نغماً ؟.. أحقاً أنك أنت يا شاعر ؟!

جمعتنى به الحياة على شطها الفانى قبيل مرضه بقليل ... وطال بيننا الحديث ... وحديثه حلو طويل ... يسمعه السامع فلا يمل ... ويستزيد!.. قال لى في ختام حديثه : من ينعيني بعد موتى ... إننى أحس المنية تقربنى ... أتنعيننى يا فتاة ؟!. ما كنت أعلم حين سألتك عما أقول في نعيك بعد موتك ... وحين قلت لك مازحة أقول فيك :

يا راحلاً عن فتنة الدنيا التى ملئت من الأكدار والأحزان

ما كنت أعلم حين أجبتنى : لا ... دعى ذلك لاهل الزهد ، وقولى في : « مات شاعر الغيد الحسان ... مات عابد الحسن والجمال » . إن هذا يكفينى أن يكون من إحداهن!

قلت يا ويلتا ... يرى الجيلُ الدميمَ جميلا!

والآن ... وقد حلت الفجيعة ووقع الخطب ... ما حيلتى في نعيك يا على ولست من أهل البيان ؟!

أحقا أنك أنت يا شاعر ؟؟

هذه الدمعة الصادقة ، تلقيتها من الأديبة الفاضلة (ل م). وقد رأيت أن أسجلها هنا وفاء للوفاء ... ووفاء الفقيد .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

فقيدنا الشاعر علي محمود طه :

ما كدنا نستبشر بإبلال صديقنا الشاعر الكبير علي محمود طه حتى فوجئنا وفجعنا بفقده . حسبنا أن الأقدار قد خففت عنا ما أصابنا من الهم لمرضه ، وأنا سنسعد بسلامته واستئناف صحبته ، فإذا هي تصب علينا نعيه فتغرقنا في الهم والأسى ، وإذا نحن نلقاه مسجى في نعشه ، في اليوم الذي قدرناه للفرح برؤيته بعد مبارحة المستشفى ، فياله من لقاء !

قضينا هذه الأيام ، وما نزال ، في غمرة الأسى ، لا نستطيع غير الوجوم الحزين ، فما لقيت أحداً من إخواننا الأدباء حتى ذكرنا الفقيد العزيز وتبادلنا النظرات المفصحة عما يملو الوجوه من الكآبة ، نلوذ بالصمت خشية التهدج ، ونختلس مسح العبرة ، لإظهار التجلد ، وإيثار التجمل .

كان لعلي محمود طه شخصية واضحة جذابة ، وكان وضوحها ينم على ما فيها من طيب وصفاء . ويخيل إلى أنه ترك كل من عرفهم أصدقاء ، فلا يملك من يعرفه إلا أن يحبه ، فقد كان إنسانا نقيا مما يشوب الإنسانية الصافية ؛ كان مرحا طروبا ، أقبل على الحياة بنفس مبسوطة لا تعقيد فيها ، فراح يستثمر ما فيها من جمال ، بحس الشاعر المرهف ، يعب من مواردها ما يحيله إلى فن جميل ، ويرتاد آفاق الحسن في الشرق والغرب ، ثم يصوغه شعراً خالداً ولحنا يتغنى به الزمان . لم ينغصه غير العلة التي عصفت به وهو يغرد على أفنان هذه الحياة ليجعلها متاعا وبهجة لمن يصغي إليه ، ولكن طبيعتها القاسية غلبته على أمره ، فصار الأمر من بعده لوعة وحسرة بعد المتاع والبهجة .

كان علي محمود طه حلقة في سلسلة تطور الشعر العربي الحديث ، تتميز بالأصالة المبينة ، وأعني بكل كلمة من هاتين الكلمتين معناها الواسع ؛ فقد كان أصيل الشاعرية ، لوى شعره عن التقليد والترديد ، وقصد إلى مشاعره وخواطره لا يحرص على شيء قدر ما يحرص على أدائها وإبرازها ؛ وكانت إبانته تتمثل في حسن تأتيه وبعده عن الخيال المجدب وعن الإيغال في الأجواء التي لا يأتي منها الموغل فيها بشيء ، فكان حذواً بين المدرسة القديمة الجامدة والمدرسة الحديثة المضطربة ، أو قل إنه كان يمثل المدرسة الحديثة كما ينبغي أن تكون .

وكان بيانه وأصالته يرتكزان على ثقافة واسعة منوعة ، هضمتها طبيعته الفنية وتمثلتها ، فقد اغترف من الآداب المختلفة واستوحى البيئات المتباينة ، وسيطر على كل ذلك بقوة هضمه ، وضبط مقاييسه بفنه الهندسي ، فأخرج بذلك فنا من الشعر سريا متناسق الألوان .

كان الفقيد الكريم طوال الصيف الماضي يعاني مرضاً شديداً ، خف عنه أولا ، ثم انتكس فعاودت قلبه العلة ، وكان يعالج أخيراً في المستشفى الإيطالي ، وقد تماثل وتقدم نحو الشفاء ، حتى عين يوم الخميس الماضي (١٧ نوفمبر سنة ١٩٤٩) لخروجه ، وفي هذا اليوم المعين لبس ثيابه وتأهب لمغادرة المستشفى ، وإذا هو يسقط صريعاً بين أيدي من أتوا لمرافقته إلى منزله .

وتوفي الفقيد وهو في السابعة والأربعين من عمره ، وقد قضى أكثر حياته العملية موظفا في الحكومة ، بعد أن تخرج في مدرسة الهندسة التطبيقية ، وتنقل في الوظائف حتى كان مديراً لمكتب رئيس مجلس النواب ، وفي سنة ١٩٤٥ استقال من هذا المنصب ، إذ آثر أن يغرد طليقا بعيدا عن وظائف الحكومة ، وظل كذلك حتى عين في هذا العام وكيلا لدار الكتب المصرية .

أخرج الفقيد عدة دواوين ، هي « الملاح التائه » و « ليالي الملاح التائه » و « أرواح وأشباح » و « الشوق العائد » و « زهر وخمر » و « شرق وغرب » وله مسرحية شعرية هي « أغنية الرياح الأربع » وله أيضاً كتاب « أرواح شاردة » وهو يحتوي على نثر وشعر .

إن يكن علي طه خلَّى مكانه بين الأحياء الفانين ، فستظل آثاره باقية في سجل الخلود ، وتبقى شمائله حية ماثلة في نفوسنا ما بقينا .

تكريم دسوقي أباظة باشا

احتفلت جامعة أدباء العروبة يوم الأربعاء الماضي في فندق الكنتننتال (١)، بتكريم رئيسها معالي الأستاذ دسوقي أباظة باشا، وقد تساءل معاليه في كلمته بختام الحفلة عن مناسبة هذا التكريم، فقال هيكل باشا: مناسبتها أنك عدت إليهم بعد طول غياب، فكثرة اشتغالك بالمسائل العامة حالت بينك وبينهم مدة طويلة. وقال دسوقي باشا: جرت العادة أن يكرم الوزراء المعينون لا الوزراء السابقون، فهذا تقليد جديد نبيل ولعله يغري الوزراء الحاليين بالخلاف.. وقد أبدى حفني محمود باشا تخوفه من أن تكون هذه مؤامرة لأخذ دسوقي باشا إلى جانب الأدب وترك زملائه السياسيين وحدهم في الميدان، ولكنه عقب بأنه يقول الحق إذ يصرح بأن مجتمع الأدباء بما فيه من سمو العاطفة وجمال الحب الصادق يفضل ألف مرة مجتمع السياسة بما فيه من عداء ونفاق.

وكان طبيعياً أن يتتابع الشعراء والخطباء مكثرين من الشعر والنثر في تكريم دسوقي باشا، فالمجال مجالهم والقوم كلهم شعراء وخطباء، والرجل حقيق بالتكريم والتقدير، لأدبه ونبله وحسن رعايته، وقد جاذبته السياسة، فلم تأخذه من الأدب بل كان هو يؤدبها.. ودسوقي باشا يحب أعضاء جامعة أدباء العروبة كما قال في كلمته إذ وصف الحفلة بأنها «تلبس» في حالة حب متبادل بينه وبينهم. ولكنه لا يقصر عليهم حبه، فهو يميل إلى الأدباء عامة ويعجب بكل مجيد منهم، ولا عجب في ذلك فهو أحد هؤلاء الأدباء، وقد ظفر عالم الأدب منه أخيراً بكتابه القيم «وميض الأدب في غيوم السياسة» على رغم اضطلاعه بأعباء الوزارة كما يدل على ذلك عنوان الكتاب.

ألقي في الحفل شعر ونثر كثير، وكنت أود أن يخرج القائلون بعض الخروج عن حدود القوالب المألوفة في المديح إلى شيء من الموضوعية، أعني أن يكون للكلمة أو القصيدة موضوع غير مجرد المدح، وقد كان ذلك في بعض ما قيل ولكنه قليل. وكنا ننتقل من سماع الجيد إلى العادي أو المعدوم القيمة، والعكس، حتى رأيناهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، ويبدو أنهم قدموا «أعضاء

(١) هكذا ينطق العامة كلمة «الكونتننتال» وهو تعريب سليق مقبول.

كشكول الأسبوع

□ احتفلت وزارة المعارف بتكريم حسن فائق باشا وكيل الوزارة السابق لمناسبة الإنعام على سعادته بنشان النيل تقديراً لجهوده في خدمة التعليم، فأضاف معالي العشماوي باشا بذلك إلى المعنى السامي الكريم معنى الوفاء لرجل خدم التعليم أربعين عاماً.

□ أصدر معالي وزير المعارف قراراً بتأليف لجنة برياسة خيري بك وكيل الوزارة المساعد، لدراسة مسائل الكتب الدراسية المقررة لمواد الدراسة وللمكتبات، بغية وضع نظام يحقق المصلحة العامة مع الحرص على كرامة المؤلفين وعدم الإضرار بدور النشر الحرة.

□ يعمل مكتب صحافة الباكستان بالقاهرة في إعداد مجلة باسم «رسالة الباكستان» تعنى بالنواحي الفكرية والثقافية وخاصة ما يتصل بالعالم الإسلامي. ويصدر العدد الأول في مستهل ديسمبر القادم، وستكون نصف شهرية.

□ قالت «الأهرام» إن الرأي استقر على أن تصدر اليونسكو مجلة موحدة بالإنجليزية والفرنسية، لمقاومة الأوبئة وتعليم الكبار، وإن الرأي استقر أيضاً على إصدار نسخة منها بالعربية على أن تقوم حكومة عربية أو أكثر بإعداد الترجمة الفنية للأصول الإفرنجية.

□ مما يذكر لمناسبة عقد المعاهدات الثقافية، أن الخليفة المأمون حينما عقد معاهدة سلم مع عاهل القسطنطينية، بعد انتصاره على الجيوش البيزنطية، اشترط عليه في المعاهدة المذكورة أن يرسل له مجموعة من الكتب العلمية والفلسفية اليونانية.

□ جاء في كتيب أصدره «مكتب العلاقات العامة لحكومة السودان» أن السودانيين ليسوا مصريين لا من ناحية الجنس ولا من ناحية الثقافة.. لماذا؟ لأن سكان السودان سود اللون مسلمون يتكلمون العربية ...

أما السواد فيشترك معهم فيه سكان مصر العليا، ولا يبقى غير فارق واحد، هو أن السودانيين مسلمون يتكلمون العربية والمصريين مسلمون يتكلمون العربية أيضاً!

□ كتبت السيدة بنت الشاطئ في «الأهرام» تستنكر ما ردده بعض الكتاب والشعراء من استعطاف أولياء الأمور على أسرة المازني وما قالوه من أن ما يمنح لأبنائه أجدى من تأبينه بالشعر والنثر. وقد ذهبت الكاتبة الفاضلة إلى أن ذلك يؤذي كرامة أديب إنسان ويهدر المعنى الذي كافح من أجله، وأن المعاني الأدبية خير وأبقى.

□ كتب الأستاذ يوسف وهبي بك كلمة في «المصري» عن قرار الحكومة رفع الإعانة السنوية للفرق الأجنبية إلى ١٦ ألف جنيه لمناسبة حضور مغن إيطالي لا يفترق غناؤه في الأذن المصرية عن (الصوات) وصياح النسوة في الجنازات. وقال يوسف بك: لقد فرحنا بزوال وصمة المحاكم المختلطة فمتى تزول عنا وصمة الفرق الأجنبية التي تحتل دار الأوبرا في أحسن شهور السنة؟

□ قال أحد القصاص: كان اسم الذئب الذي أكل يوسف كذا: قالوا: إن يوسف لم يأكله الذئب. قال: فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف!

مكتب الجامعة » على غيرهم دون مراعاة الأجدر بالتقديم من هؤلاء وهؤلاء .

وممن أجادوا الأستاذ محمود غنيم وقد ألقى أبياتا أولها :

حكم تقلص عنـــه ظلك ما تقلص عنـــك ظله

وكانت كلمة الدكتور حسين الهمدانى الملحق الصحفى بسفارة الباكستان — ذات موضوع ، فكانت كلمة الباكستان حقاً فى تكريم دسوقى باشا ، وقد تحدث فيها عن مكانه فى الأدب وفى السياسة وقال إنه كان فى سياسته عربيا مسلما قبل أن يكون مصريا قوميا ، فقد شغل نفسه بالمسائل الشرقية العامة حتى كان يتخيله وزيراً باكستانياً فى مجلس وزراء مصر عند ما كان يستمع إليه فى مناسبة تخص الباكستان . ودعا الدكتور الهمدانى إلى إقامة مؤتمرات أدبيـة ومهرجانات عربية تغذى الأرواح وتشيد بمفاخر البلاد .

ومن القصائد الجيدة قصيدة الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى ومطلعها :

عد للخميلة كالربيع الناضر يانفحـة الشادى وأنس السامر

وكانت قصيدة الأستاذ أحمد مخيمر أدنى إلى التحليل ، ومن قوله بعد أن تحدث عن السياسة وتلونها :

واليوم نأنس للنور الذى فقدوا واليوم نفرح بالمجد الذى خسروا

وقد ألقاها الأستاذ عبد الفتاح الشناوى إلقاء جيداً .

أما الأستاذ العوضى الوكيل فقد دفع بقصيدته إلى من يلقيها ، فانتهز الفرصة وجمل يخطب قبل أن يلقى . وقد أساء إلى النحو واللغة فى الخطابة والإلقاء ، عوض الله العوضى خيراً ...

شؤم ابن الرومى :

كتب أحد الأدباء بتوقيع « م . ف . ع » بجريدة المصرى ، مقالا عنوانه « ابن الرومى الشاعر المشئوم الذى حلت لعنته على وزارة المعارف » أراد فيه أن يسوق طرائف يمتع بها القارئ ، واندفع مع الرغبة فى الحبك الصحفى إلى » تأليف « وقائع تتعلق بشؤم ابن الرومى ، فقال إن وزارة المعارف ألفت لجنة سنة ١٩٤٥ لإخراج ديوان ابن الرومى ، وفى اليوم الذى وقع فيه السنهورى باشا وزير المعارف بمذاك القرار بتأليف هذه اللجنة استقالت الوزارة ، ولما تولى الأستاذ على أيوب بك وزارة المعارف أعاد تأليف اللجنة ، وفى اليوم الذى أصدر فيه القرار استقالت الوزارة ، ثم جاء الأستاذ مرسى بدر بك إلى وزارة المعارف وعرضت عليه إجراءات الشروع فى طبع الديوان ، فلما وافق عليها استقالت الوزارة .

ولا أريد أن أقف عند ذلك كثيراً ، مكتفياً بالإشارة إلى أن اللجنة الأولى التى ألفت فى عهد السنهورى باشا مضى على تأليفها عدة أشهر وهو وزير المعارف ، وقد يكون باق ما ذكره أو بعضه من هذا القبيل . وإنما أريد أن أعرض لقول الكاتب الأديب فى آخر المقال : « ويظهر أن القدماء قد أفزعتهم هذه الروح المشئومة التى وضحت فى تصرفات هذا الشاعر فأغفلوه وأهملوا شعره وأدبه مع تقديرهم لعبقريته الشاعرية ، فلم يترجم له صاحب الأغانى ولم يقدم أحـد على الاهتمام بديوانه ، فظل ديوانه — وهو ضخم فخم — مطويا إلى اليوم فى مطاوى النسيان » .

فهل من الحق أن صاحب الأغانى وغيره من القدماء أغفلوا ذكر ابن الرومى لفزعهم من شؤمه ؟ أقول قبل كل شىء إننا رأينا المؤلفين يتحدثون عن تشاؤم ابن الرومى بغيره من الناس والأشياء ، أما تشاؤم الناس به وفيهم المؤلفون ومنهم صاحب الأغانى فلم نره عند المتقدمين . على أن صاحب الأغانى لم يغفل ذكر ابن الرومى إطلاقا ، فقد ذكره مرتين : مرة نسب إليه انتحال بيت من الشعر لإبراهيم بن العباس ، ومرة أظهره بمظهر الشامت فى نكبة سليمان بن وهب ، فلو أنه كان يفزع من شؤمه لما أتى بذكره . إذن لماذا أهمل صاحب الأغانى الإشادة بابن الرومى وشعره ؟ حقق الأستاذ كامل كيلانى هذا الموضوع فى كتابه « صور جديدة من الأدب العربى » فأرجع ذلك إلى أن ابن الرومى كان مكروها من الناس لإفحاشه فى الهجاء ، وكان فيمن هجاهم البحترى وكانت له مكانة بين أعيان الدولة وكبار رجالها ، وكان أبو الفرج يحبـه ويشيد بذكره ويعنى بآثاره ، ومنهم الأخفش أستاذ أبى الفرج « فلا غرو أن يغرس الأستاذ فى نفس تلميـذه بذور الكراهية والبغض لابن الرومى منـذ الصغر ، أو يغضب التلميذ لأستاذه فتعمد إغفـال من جمل همه الأول شتم أستاذه والتشهير به »(١)

ومهما كان السبب فى إهمال صاحب الأغانى الترجمة لابن الرومى والتنويه بشعره ، فليس من المعقول أن يكون ذلك لتشاؤمه به وخوفه من أن يقع له شر ، كما وقع للمازنى والعقاد وكامل كيلانى حين تعرضوا لشعره ودراسته ، فقد كسرت رجل الأول وسجن الثانى ومات ولد الثالث ، وهى اتفاقات لا تذكر إلا فى مجال التلهى والتندر .

عباس خضر

(١) ص ٢١٥ من كتاب « صور جديدة من الأدب العربى »



لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها:

هل تأذن أيها الأستاذ الجليل أن يكتب إليك قروى نشأ فى قرية من قرى السودان الذى صور الحال فيه شاعر من شعرائه مخاطبا قصبته الخرطوم ، بقوله :

يا ملتقى النيلين أنت جميلة	بهمافتيهى وانخرى واختالى
كم فى مغانيك الحبيبة من فتى	ضاعت مواهبه لفقد المال
ولكم بها من عبقرى بائس	يمسى ويضحى بالى الأسمال
ليت الذى منح المواهب أهلها	لو كان زودهم بحظ عال

فإذا كانت هذه حال عاصمته فما بالك بقرية من قراه النائية ؟ حالت الظروف المادية بين كاتب هذه السطور وبين مغادرة قريته ليتعلم علماً أو ليكتسب أدباً فقنع بما تلقاه عن الوافدين على قريته من علماء الدين وطلاب الأدب .

ولكن الرسالة الغراء مد الله فى حياتها و كثر عدد صفحاتها وأمتع بما يدبجه قلم الأستاذ الزيات من مقالات عقول قارئيها وقارئاتها ؛ هذه الرسالة قد تخطت السدود والقيود وتسللت خيطاً من النور إلى ظلام هذه القرية فتعلق بها هذا القروى ورأى فيها متعة العقل والروح ، وسلوى القلب والنفس ، وقد كثر تعلقه بها حتى خال نفسه تلميذاً مخلصاً لصاحب الرسالة .

قرأت فى عدد الرسالة (٨٣٢) فى باب الكتب تحت عنوان على هامش كتابين للأستاذ كامل محمود حبيب ناقدا للكتاب (مع الناس) للأستاذ الحومانى فجاء فى نقد الأستاذ حبيب يصف مؤلف الكتاب بقوله : وللمؤلف فكرة واحدة هى إيمانه بقول سيد العرب صلى الله عليه وسلم (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها) الخ وأقول إن هذه الحكمة قد ذكر مؤرخو حياة الإمام مالك بن أنس أنها من كلامه ، وعلى هذا فهى ليست من حديث سيد الخلق صلوات الله عليه وبالمناسبة أذكر أنى قرأت منذ سنوات حديثاً للأستاذ حافظ وهبه تحدثه من إذاعة لندن ونشرته مجلة المستمع العربى ، آنذاك قال فيه يتحدث عن مليكه جلالة الملك بن السعود أنه كثيراً ما يردد فى مجالسه هذه الحكمة التى رويت عن الإمام مالك (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح

واذكر أنى وقفت طويلا فى فهم هذا الإصلاح ونوعه لقد كان أشياخنا فى دروس الفقه عندما يمرون بهذه الحكمة التى قالها أمامهم مالك يفسرونها بأن المسلمين الأولين انتصروا على أعدائهم بالسيف ، فإذا لم ينتض المسلمون السيف مرة أخرى لا يمكن أن يكونوا أنفسهم ويصلحوا شأنهم . وإنى مع اعتقادى الجازم بأن السيف أصدق أنباء من الكتب لا أوافق هؤلاء الأشياخ عفا الله عنهم الذين لم يكونوا واسعى الأفق على تفسيرهم خصوصاً بعد أن علمت أن مسألة انتصار الإسلام بالسيف حاول خصوم الإسلام من الغربيين أن يجعلوا منها ثغرة ينفذون بها إلى الطعن فى تعاليم الإسلام . وقد رد عليهم مفكرو المسلمين المتأخرون بما يبدد شبههم وينفى قولهم : إذن ماذا يعنى مالك الذى هو من رجال الإصلاح فى وقته ؟ وماذا يعنى الملك ابن السعود الذى يعتقد كثير من العرب والمسلمين أنه من قادة الإصلاح ؟ ماذا يعنيان بهذا الإصلاح الذى صلح به المسلمون فى عصرهم الأول ولا يمكن أن يصلحوا إلا به فى كل عصورهم المتأخرة هذا ، وقف عنده تفكيرى مدة طويلة ثم هدانى فهمى القاصر إلى رأى لا أرى بأساً من عرضه على أستاذى الكبير الزيات .

إنى أرى أن المناسبة التى دعت الإمام مالك أن يقول كلمته هذه هى نفس المناسبة التى دعت ابن السعود أن يرددها فى مجالسه إذ أن بين المناسبتين تشابها كبيرا على أقل تقدير .

لقد عاش الإمام مالك فى العصر العباسى ذلك العصر الذى ترجمت فيه فلسفة اليونان وانتشرت فيه ثقافة الفرس وترفهم بين الطبقات العليا المتوسطة من الأمة الإسلامية خصوصاً فى العواصم الكبرى وحصل على أثر ذلك بعض الانحلال فى المعتقدات والتدهور فى الأخلاق . ولعل بعض من يهمهم إصلاح المسلمين قد فكر فى طريقة للاصلاح تكون متمشية على أسس الفلسفة والسياسة العباسية وغيرها من سياسات الأمم التى سبقت العرب إلى الحضارة والمدنية . فلما سمع الإمام هذا الرأى قال . (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما يصلح به أولها) كذلك الملك ابن السعود لما رأى ثقافة الغرب وترفه يغزوان الأمم الإسلامية فينشران الإلحاد فى الدين والانحلال فى الأخلاق ، وسمع أن بعض القادة يرون أن المسلمين لا يمكن إصلاحهم إلا إذا اتبعوا العرب فى

خطواته ولو دخل جحر ضب خرب . كما تمتع بهذا الإصلاح ردد تلك الحكمة التي سبقه إليها الإمام مالك (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها) حقاً لقد صلح أول هذه الأمة بل لقد صارت هذه الأمة أمة بعد أن اهتدت بهدى هـذا الوحى الألهى السامى واسترشدت بأخلاق محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وسلامه . فهل ترجع هـذه الأمم إلى هذين الأصلين تستوحى منهما الإصلاح أم تظل تجرى وراء مبادئ الغرب من شيوعية وديمقراطية تلك المبادئ التي هى كالسراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ؟

هذا رأى فى هذه الحكمة أعرضه على القراء وأتمنى أن يجعلوها عنوانا لمقال أو مقالات تنشر فى الرسالة لنستشف منها الهدى ونجد منها الإرشاد .

محمد عبد الله الوالي

فداس - السودان

نهاية نقاش

شاء الأستاذ محمد عبد الرحمن أن يردنى مرة أخرى إلى ما كنت قد أزمعت منه انتهاء . . فأنا أشكره أن أتاح لى الفرصة لأقدم إلى الأستاذ الراعى كل اعتذارى مما أخشى أن يكون قد فهمه من تعقيبى . . وغاية الأمر أننى بسليقتى غير مهيأ لأن أستقبل من الكلام ما يند عن المألوف فى العلاقة بيننا وبين الخالق .

أما الأستاذ محمد عبد الرحمن فقد شاء — مشكوراً أيضاً — أن يطالبنى النظر إلى التعبيرين من الناحية الخيالية والمجازية منحرفاً عن هذه الزاوية التى نظرت من خلالها ، وساق مثلا من قولهم « بنات الأفكار » ... الأفكار إذن فى رأى الأستاذ محمد هى والله سواء ... لا ياسيدى كان الأولى بك أن تستشهد بقوله عز وعلا « يد الله مع الجماعة » فإن هذا أقرب لما نحن فيه وردى عليه أن يد الله كلمة معنوية لا نتخذ تجسيمها فى شمس أو غير ذلك من المخلوقات .

أما التخريج العجيب الذى رضى به عن عين الله فإننى ألمح من كلام الأستاذ محمد نفسه أنه غير راض عنه . الحقيقة والحقيقة هى الله والشمس عين الحقيقة ... أهكذا تظن .

وبعد ياسيدى فإننى مازلت أتوكأ على شرح الأستاذ الراعى فليست هناك لغة غير لغة الناس ... ليست هناك غير هذه اللغة مهما دافعت . وإننى مازلت اعتذر إلى الأستاذ الراعى عن الأسلوب الذى صفت به الكلمة معجباً به .

ثروت أباظة



بيت الذكريات

للأستاذ غائب طعمة فرمان

خمس عشرة سنة مضت وهو بعيد عن وطنه ؛ يعانى آلام الغربة ، ويكافح أعباء الحياة ، ويتلمس الطريق إلى مستقبل جميل .

خمس عشرة سنة لقى فيها أشد العناء ، وقاسى ضروباً من الفاقة والعسر وثقلت على عاتقه تكاليف العيش ... واليوم يرجع إلى وطنه بعد الكفاح المضنى ، والفراق الطويل ، وقد امحى من عينيه إئتلاق الشباب ، وتحولت صباحة وجهه إلى جهامة منكرة وذبول حزين ... فقد حطم خمساً وثلاثين سلسلة من السلاسل التى تربطه بالوجود ، وأخذ يترقب الانحدار إلى الجانب الثانى من تل الحياة ليستقبل السلام الأبدى فى قرارة الوادى السحيق ! فلاح الإجهاد على محياه ، وغشيه موج من الحزن عميق

الآن يرجع إلى وطنه ، ويستقبل هذا الشارع الضيق الذى يعرفه حق المعرفة ، وتصدمه رائحة العفونة المنبعثة من أكوام الأقذار ، وتملأ عيناه بمنظر الأحجار التى ما زالت قائمة بها يد الإنسان ، ولم تنل منها صروف خمس عشرة سنة ! .

يا للعجب ! . . ويا لمرارة الذكرى ! . . خمس عشرة سنة ما أحفلها بالأحداث والغير ، وما أترعها بالشجون والغصص ، وما أكثر ما غيرت منه ، وما جارت على بنيانه الأنسانى ! ونقلته من حال إلى حال . ولكن الشارع ما زال كما عهده لم يتغير منه أى شىء ! . إنه ليتذكر كل شىء فيه كأنما غادره أمس . . رحل عند إغفاءة النهار فى أحضان الليل ، ورجع فى يقظة الليل على ترانيم الفجر ! . فإن صور الليلة التى غادر فيها موطنه ما زالت مرتسمة فى صفحة مخيلته ، وما زالت ظلالها الحية عالقة فى ذهنه . وإنه ليتذكر أمه وهى تتشنج لتعبر عن عاطفتها الحبيسة ، وتضطرب شفتاها كورقتين ذابلتين ، وتشرق عيناها بالدموع وهو بين ذراعيها مخنوق العبرة ، ذاهل الفكر ، مسلوب الإرادة .

وكان الطريق — إذ ذاك — متوشحاً رداء الغروب كأنه يحس بلوعة القلوب الواجفة ! ...

واليوم يرجع إلى أهله ، ونفسه مفعمة بالحزن الكظيم ، وبمشاعر لا يتبينها فى منظار ضميره ، وفى عين وجدانه . ولكنه يضرب برجليه فى تراب الطريق الحائل اللون ، ويتعثر بحجارته الصغيرة السوداء ، وعيناه تحدقان بالبيوت القائمة على الجانبين كأنها تنتظره !. .

وامتلأت خياشيمه برائحة كان ينفر منها أشد النفور، ويضيق بها أعظم الضيق ، ومع ذلك فقد كان يلقاها مكرها حين يخرج من بيته ، ويمر بها — مسوقاً إليها — حين يعود إليه . ولكنه اليوم يحس إحساساً قوياً عنيفاً بأنها تعطر نفسه التى أفسدتها الغربة ، ودمرها الجفاف !

ما أجمل هذا الطريق ! وما أبدع ما سطر من ذكريات فى سفر السنين ، قليلها حلو سائغ ، وسائرها مغرق فى المرارة ! فهو لا يكاد يذكر أنه قطعه مرة وهو خالى النفس من الألم ، صافى الفكر من الهواجس والظنون ، فكثيراً ما كانت تمتلئ نفسه بالألم ويحس بالضيق يدب فى مفاصله ، فيهرع إلى بيته يلوذ به من الهجير ويتقى تحت سقفه لوافح الألم وسموم الهواجس والظنون .

وقطع بعضاً من الطريق وهو يتلفت . كل شىء كما خلفه قبل خمسة عشر عاماً كأنما السنون تمر على جوانبه مر النسيم ! . وتمنى لو يدلف إلى بعض البيوت ليرى سكانها أتغيروا مثلما تغير وعضهم الدهر بناجذيه كما عضه هو ؟ . ولا شك فى أنهم سينكرونه أشد الإنكار لما أصابه من شحوب مخيف ، وكبر بالغ ، حتى كأنه قطع خمسين حجة ، وأفضت به السن إلى كهولة واهية ! . فالشيب تسلل إلى شعره كما تتسلل الخيوط البيض من الفجر فى لمة الليل الفاحم والسنون اللاحقة بسمومها أذوت نضارته ، وسلبته المرح ، وأهدته كآبة لاذعة ، ووجوماً ثقيلا .

ووصل إلى بيته ، وأطل على باحته من العتبة العالية ، وألقى نظرة واجمة على الداخل . على الجدران المسودة من لفح الدخان ، والأرض المهشمة البلاط ، وأبواب الغرف الضيقة المظلمة الأغوار ؛ ولمح فى تطواف عينيه كتلة بشرية جالسة القرفصاء ، ساندة رأسها على ذراعيها المتشابكتين .

وعرفها فتحركت فى أرجاء نفسه اللواذع . وجاشت لواعج وجدانه فناداها : — أماه ! ... أماه !

فارتفع رأس المرأة فجأة ، ونظرت عينان صغيرتان حائرتان ، وارتجفت شفتان ذابلتان ، واختلجت أسارير وجه معروق .

أماه ! لفظ جميل سرى فى جسدها كالتيار الكهربائى . . لقد أطال عهد سماعها به ، فلما سمعته ترددت فى أعماق نفسها أصداء بعيدة ، صادرة من ماض سحيق ، واعترتها رعشة . ودار فى خلدها أنها تعرف صاحب الصوت .

وتقدم المغترب خطوات ثقالا ، فلمحت الأم شبحاً يقبل عليها فنظرت بجهد إلى وجهه ، فلاح لها من بين أهداب عينها وجه شاحب هزيل . فتمتمت قائلة وهى لا تصدق ما رأت عيناها .

— عبد الرحمن ! ؟

وألقى الرجل جسمه فى أحضان أمه كالطفل الخائف من الأشباح ! ، وخضبت الدموع الشفاه المحمومة التى طفقت تعبر عن حنانها بالقبل النهمة ، وتفصح عن شوقها بالهمهمات .

وأرادت الأم أن تقول ولكن لسانها خانها ، فتلجلجت ، وتعثرت الألفاظ على شفتيها المرتجفتين ، فأمسكت رأس الرجل بيديها ، ونظرت فى عينه كأنها تريد أن تستنطقها ، ولثمتها لثمات حرار وهى تبكى بصوت خافت .

ولم يستطع الرجل من جانبه أيضاً أن يعبر عن إحساسه إلا بشىء واحد وهو : أماه ... أماه ... بينما ظلت الأم تحت اللفظة السحرية تسكر وتحس نشوة من عبيرها الذاكى . ولكنها لا تملك إلا اللثمات !

وأخيراً نطقت بصوت تترقرق فيه العبرة :

— أحق أن حلمى قد تحقق ، وأنك رجعت إلى بيتى بعد غياب طويل ! ؟

ومسدت بيديها شعره ، والتهمته بنظراتها وهو صامت بين يديها كالتمثال ...

قالت والعبرة لا تزال تقطر من ألفاظها :

— لقد عذبنى غيابك ، وفرى صبرى . لقد كنت أشفق عليك من أغوال الغربة ، وأخشى عليك انقطاع الأسباب بك . وبئس أهلك منك إلا أنا فقد كنت موقنة أعظم اليقين أنك سوف ترجع إلى يوما ما .

وضمته إلى صدرها كأنها تريد أن تطرد الوساوس التى تتناهبها . ثم قالت : — والآن رجعت . واستجاب الله دعائى وصلواتى . فقد كانت نفسى ممتلئة بك ، منتظرة إيابك ، تترقبه فى كل لحظة ، وتتعزى بالأمل عن نكد الدنيا وغصص العيش .

وخنقتها العبرة كالكابوس ، وتفرست فى وجهه الشاحب القطب المهيمن عليه الحزن والجود ، وتطلعت إلى الجهامة المرتسمة على صفحاته . فأغمض الرجل عينيه واستسلم إلى ارتياح جميل !

وجاء أهله باشين به متهللين . يا عجباً ! كأنه لم يعرفهم . . إن خمسة عشر عاماً كفيلة بأن تخلق جيلاً جديداً ، وتباعد بين المغترب وأهله . وتخلق برزخاً واسعاً بينه وبينهم !

وطوف ببصره فى أرجاء المنزل ، منزل الذكريات . . يالله . ما أصلب هذا الحجر ، وما أعظم جبروته ! إن الكائن الإنسانى تهدمه معاول الدهر ، وتزعزعه نكبات الأيام ؛ أم الجادفان الدهر يترقرق من جوانبه كما يترقرق الماء الزلال من صخرة جلمود !

ووقع بصره على غرفته الخاصة فرأى بابها موصداً ، ورأته أمه يحدق فيها فقالت :

— إنها كما تركتها ؛ لم تطأ عتبتها قدم ، ولم تجل فى أرجائها عين . فقد كانت تذكرنا بك ، وتجعلك حاضراً معنا ، شاهداً على ما تلقاه من جراء غيابك . لقد أوصدت بابها فى اليوم الذى سافرت فيه ، وظللت كلما تقع عينى على بابها المغلق أتذكرك . ويخيل إلى أنك ما زلت فيها ، فتلفنى الذكرى ، وتتحير فى عينى الدموع ...

وجالت فى خاطره فكر ، ومرت فى مخيلته صور وأشباح . ونهض متثاقلاً كأنه يحمل على عاتقه خمسة عشر جبلاً من الهموم والأحزان ؛ ودفع باب غرفته فسمع لها صريراً أقشعر له بدنه . وخيل إليه أنه يدلف إلى مقبرة ! . وطوف ببصره فى أرجاء الغرفة المعرشة بخيوط العنكبوت ، المغبرة من تراب السنين . وجلس على كرسيه المغطى بطبقة سميكة من التراب ، وأسند كوعه على المكتب أمامه ، وظل يحدق فى سقف الغرفة المختفى وراء طبقة من الظلام ، وأخرى من نسيج القدم !

وتدفقت عليه سيول من الأفكار كما تتدفق الأنوار على كهف مظلم مهجور ! .

ورأى نفسه يلقى على عاتقه خمس عشرة سنة من الزمن ،

وأ كثر منها فى عمر العاطفة والشعور . وقال فى نفسه :

— هنا .. وقبل خمس عشرة سنة كان يعيش شاب .. ابتلى بحمى العاطفة !

وارتسمت على فمه ابتسامة باهتــة ساخرة .. كأنه يسخر من ذلك الشاب الثمل من الأشواق ! . . وراح يستطلع ما خبأه فى كوّة الماضى البعيد ...

إنه ليتذكر الماضى على أحسن صورة . . كأنما الأشـياء كلها وقعت بالأمس ... يتذكر ذلك الشاب النزق البعيـد الآمال ، المجنون بحب المستحيل ، السارى فى دياجى الأحلام ، العبد الذليل لعواطفه ! ويتذكر كيف أنه كان يضيق بالحياة ، وتمتلئ جوانب نفسه بالثورة على كل شئ ، ولأى شئ ... وإنه ليتذكر ليلة كان القـدر يخط سطراً كبيراً فى صفحة وجوده . . سطراً يحسبه كالعنوان لقصة حياته المملة التى فقدت عنصر التشويق . . تلك الليلة التى لقيها فيها . . إنه ليتذكرها .. فتاة السابعة عشرة غضة لينة ، تنطق قسمات وجهها بما يبعث فى نفسه الحائرة برد الاطمئنان وقد سحرته عيناها البراقتان ، وبثتا سحرهما فى قلبــه الضعيف الأسوار !.. وألهبتا وجدانه ، فكان يهرب إليها من جحيم واقعه لينظر إلى سواد عينيها . إلى تلك البحيرة التى تعكس أنوار مستقبله

كانت « سـناء » جارة الجنب يراها كل يوم ... زهرة ندية فياضة بالعطر والندى .. فيتطلع إليها ، وتصده نظرات من عينيها ذوات معان لم يعرفها وهو ابن العشرين ... ولـكنه كان يحس فى قرارة نفسه بأن النظر إليها شئ جميل جداً ورائع جداً . . وكان سحر العيون أشد من كل سحر قلبه ، لا يستطيع أن يرده بإرادة ولا أن يخمده ببرود . . وكانت عيناها البراقتان كفيلتين بإذكاء النار الخالدة فى قلبه ! ... وأى شئ كان أضعف من قلبه ؟!

وشعر بأنها هى الأخرى تحبــه ، فقد انبجس له من افترار شفتيها ، وانطلاق روحها ، وانبساط محياها أمل حلو فى أنهـا تحبه ، وتبادله عاطفة بعاطفة مثلها . . وإنه لن ينسى تلك الليـلة الحلوة الممتعة عندما رجع إلى البيت فرآها تنتظره بقوامها الرشيق ، وتحرك أوتار قلبه بابتسامتها ، وتحدثه بعينيها الحسنتى التعبير .. وعندما اقترب منها عبق فى وجهه عطر خدّر أوصاله !.. وعندما دلف إلى بيتــه كانت شفتاه نديتين ! . . وكان حبه قد أينع عن ثمر حلو المساغ !

وأطلت من شفتى عبد الرحمن ابتسامة وقد وصل إلى هـذا الموضع وقال فى نفسه :

— هذه القمة السامقة من كل حب . ولـكن لابد للإنسان من الإنحدار حين يصل إليها

— لقد صدق الفرنسيون حين قالوا : « الحب يولد بالنظر ، وينمو بالقبل ، ويموت بالدموع » !.. فلابد من الدموع

وكأنه أحس بمرارة الدموع . . فقـد كانت القبل تسكره ، وتذهب باتزانه .. فهام مع أحلامها فى واد محرم . . وظل يهـوم فيه حتى استفاق على صوت أبيها يزمجر ويقطع كل سبب من أسباب حبه .

هناك أدركه الإعياء ، وخارت قواه . . ولاحت له الدنيا مغارة مخيفة !.

وتذكر ليلة الوداع . . حين جاءت إليــه تودعه ، وتلقى فى مسامعه كلمات تزيده لوعة وهى المرأة الضعيفة ... وقالت له :

— إنها ستحيا من أجله . ومن أجل شيء أعز عليها من نفسها.

واختلجت فى صدر عبد الرحمن لواعج وأشجان وهو يسترجع موقفه معها ، ويرى فى عينيها قصة آمال محطمة ، وخيبة مريرة فيقول فى سره :

— الحياة رحلة مضنية ! أدنى ما ينال المسافر منهـا التعب ، وأقرب ما يطـرق باب نفسه فيها الإجهاد والضيق . . ثم السأم المطبق .

وأحس بأن غرفته أصبحت سجناً مظلماً ، وذكرياته أشباحا مريعة . فضاق صدره وطلع منها لعل الفضاء والنـور والهواء النقى يطرد أشباح الماضى وأطيافه المقيتة !

واستقبله شاب فى الخامسة عشرة ، منطلق الأسارير ، براق العينين ، مؤتلق الشباب . فنظر إليه طويلاً كأنه يعرفه . فقالت له أمه :

— هذا جميل .. ابن سناء . .

وارتجفت شفتاه وهو ينظر إلى وجـه الشاب المتسائل وفى أرجاء نفسه سمع صوتاً ينادى :

— ولدى !..

غائب طعمة فرمان

زوروا :

متحف فؤاد الأول

(أمام مخزن بضائع محطة مصر)
لسكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

لتشاهدوا تطورات وسائل النقل البرية والبحرية والجوية فى مختلف الأزمان ولتروا أكبر وأدق مجموعة من النماذج والخرائط والصور المضاءة لتاريخ النقل فى مصر والخارج

المتحف مفتوح للزيارة كل أيام الأسبوع ما عدا أيام الإثنين والعطلات الرسمية كما يأتى :

فصل الشتاء — من أول نوفمبر إلى آخر أبريل
من الساعة ٣٠ ٨ إلى الساعة ٠٠ ١٤

فصل الصيف — من أول مايو إلى آخر أكتوبر
من الساعة ٠٠ ٨ إلى الساعة ٣٠ ١٣

خلال شهر رمضان { صيفاً : « ٠٠ ١٠ « ٣٠ ١٣
شتاء : من الساعة ٠٠ ١٠ إلى الساعة ٠٠ ١٤ }

رسم الدخول ٢٠ مليماً — تليفون رقم ٤١٩٦٤

إدارة البلديات العامة

تقبل العطاءات بإدارة البلديات العامة (بوستة قصر الدوبارة) لغاية ظهر يوم ١٩٤٩/١٢/١٩ عن عملية بياض وترميم أحواض الترسيب بمصلحة المجارى بالسويس . وتطلب الشروط والمواصفات من الإدارة على ورقة دمغة فئة الثلاثين مليما مقابل دفع مبلغ ٢٠٠ مليم خلاف أجرة البريد. وكل عطاء غير مصحوب بتأمين ابتدائى قدره ٢ ٪ لا يلتفت إليه .

٣٤٨٩

وزارة الأشغال العمومية

مصلحة الميكانيكا والكهرباء

مطلوب تقديم عطاء لغاية ظهر يوم ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٤٩ عن توريد وتركيب الكابل الكهربائى الخاص بإنارة مستشفى الحميات بكفر الدوار . ويمكن الحصول على دفتر الشرط مقابل جنيه مصرى للنسخة الواحدة بخلاف ٦٠ مليما أجرة بريد ويقدم تأمين ابتدائى بواقع ٢٪ مع العطاء وإلا فلا يلتفت إليه .

٣٥١٣



العدد ٨٥٧ — الاثنين ٥ ديسمبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٣٠٤٥

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 em Année No. 857 | Lundi — 5 — 12 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٥٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٤ من شهر صفر سنة ١٣٦٩ — ٥ ديسمبر سنة ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة »

على محمود طه

شاعر الأداء النفسى

للأستاذ أنور المعداوى

الشاعر الذى أقدمه إليك فى هذه الصفحات ، كان أشبه بكتاب مفتوح . أستطيع أن أقول لك وأنا مطمئن ، إننى قد قرأته كله ... شعره على ضوء حياته ، وحياته على ضوء شعره ، ناحيتان تؤلفان هذا الكتاب الذى قرأته ، وعشت بين سطوره ، وخرجت من هذه السطور بآراء عرضتها على الذاكرة فما اعترضت وعلى الضمير فما أنكر ، وعلى موازين النقد فما اختلفت مع أصوله كما أفهمها ومناهجه .

درست حياة على طه النفسية ، ودرست آثاره الفنيـة ... درستهما على طريقتى التى أومن بهـا وأدعو إليها كلما حاولت أن أكتب عن أصحاب المواهب أو كلما حاول غيرى أن يكتب عنهم : مفتاح الشخصية الإنسانية أولا ، ومفتاح الشخصية الأدبية ثانيا والربط بعد ذلك بين الشخصيتين لننفذ إلى أعماق الحقيقة فى الحياة والفن ومدى التجاوب بينهما منعكسا على صفحة الشعور المعبر عنه فى كلمات .

يستطيع الذين لم يعرفوا على طه ولم يطلعوا على دخائل نفسه وآفاق حياته ، يستطيع هؤلاء إذا لم ينزعوا عن الألفاظ أثوابها النفسية ، أو يجردوا الأخيلة من ظلالها المعنوية ، أو يفرقوا بين الصور وبين وشائج اللحم والدم ... يستطيعون إذا لم يلجأوا إلى شىء من هذا كله أن يعرفوه حق المعرفة من خلال شعره ! لقد كان شعره مرآة صادقة لهـذا الوجود الذى أحاط به ، لأنه كان إنسانا صادقا فى صحبته لتلك المرآة ... لم يحاول يوما أن يقف أمامها بوجه غير وجهه ، ولم يحاول يوما أن يلقاها بملامح لونتها المساحيق أو اختفت حقيقتها وراء الأقنعة ! ما أكثر الذين تخدعك مراياهم من أصحاب الفن حين تفتش فيها عن وجوههم ... هؤلاء لو قدر مالى يوما أن أكتب عنهم لكشفت عن أثر المساحيق فى تشويه معانى الحق والخير والجمال ، وفى خداع الذين يريدون أن يستخلصوا من السطور وحدها رأيا وعقيدة ! هنـا أستطيع أن أقول لهم مثلا إن فلانا الكاتب أو الشاعر أو القصاص ، قد قدم إليكم صورته من خلال فنه كما تريد المثالية فى عالمكم لا كما تريد الواقعية فى عالمه ... إياكم أن تدرسوه من صورته المقروءة ، بل ادرسوه بين صورته المنظورة ، ثم قارنوا بينهما لتضعوا أيديكم على مدى التفاوت أو التوافق بين الصورتين ! تلك هى الأمانة العلميـة فى الدراسة النقدية ، كلما حاول كاتب التراجم أو دارس الشخصيات أن يسلط أضواءه على الأثر الفنى مرتبطا بحياة صاحبه !

على طه لم يكن واحداً من أصحاب المساحيق ، ولـكنه كان شاعراً يريد أن يجد نفسه وأن يجده الناس ؛ ومن هنا لم يكذب أبداً على المرآة ... مرآته الصافية التى تعرضه أمام ناظريك بسماته

التى لا تكلف فيها ولا رياء ! إنه يمثل الوضوح فى الفن ، وقيمة الوضوح فى الفن هو أنه ... هو أنه يتيح للدارسين أن يطمئنوا إلى مواقع أقلامهم كلما قطعوا مرحلة من مراحل الطريق ... لا غموض فى المقدمات يدعو إلى الشك فى النتائج ، ولا ضباب على سطح المنظار يحول دون الرؤية إذا التمستها العيون وليس معنى هذا أن شعر على طه يريح دارسيه ومقوميه ، كلا ، فما كانت هذه الحياة العريضة ولا أقول الطويلة ، ما كانت هذه الحياة فى ألوانها المختلفة وطعومها المتباينة ، إلا ميدانا رحيب الجنبات لفن يرهق أنفاس السائرين فى فجاجه ودروبه ... إن على طه لم يكن طاقة محدودة تسبر غورها فى بضع لمسات أو لمحات ولكنه كان طاقة تشعر بينك وبين نفسك بمداها الذى تتعدد فيه الزوايا وتكثر الأبعاد ! .

هذه حياته قد خبرتها ، وهذه دواوينه قد قرأتها ، فهل تحسب أن هناك شيئاً من الإجهاد للملكة الناقدة إذا ما وضعت صوره الفنية فى أماكنها الدقيقة التى تتسع لها ولا تزيد ؟ كلا ... لأنها كما قلت لك واضحة فى منظارى كل الوضوح ، ثابتة فى مقاييسى كل الثبات . ولكن الإجهاد كل الإجهاد فى الإحاطة الكاملة بهذا الأفق الممتد إلى أبعد حدود النظر ... إن الظلال والأضواء على وضوحها تتشابك لكثرتها وتتداخل ، ولابد من الاحتشاد كل الاحتشاد لتفرق بين ظل وظل وتوفق بين ضوء وضوء ، وتجمع بين المؤتلف منها فى مكان وبين المختلف منها فى مكان آخر ! . .

لقد كان على طه موزع الطاقة بين فنون شعره كما كان موزع القلب والفكر بين فنون حياته ؛ فالصورة الوصفية فى إطارها الحسى ، والصورة الوصفية فى إطارها النفسى ، تلتقيان وتمتزجان فى شعر المرأة وشعر الغزل والطبيعة والرثاء والقومية والمناسبة ، حتى يصعب عليك أن تستخلص كل لون من ألوان هاتين الصورتين ، لتضعه فى خانته المحددة التى تقدمه إليك من وراء عنوان !

ولعل القارئ يلاحظ أننى قد فرقت بين شعر المرأة وشعر الغزل ، وجعلت لكل منهما سمته الخاصة وطابعه المتميز ... ذلك لأن هناك لونين من الشعر يجب التفرقة بينهما فى هذا المجال : لون يعبر عن مكان المرأة من الشعور الإنسانى عند الرجل حين يصور المشاركة الوجدانية بين عاطفتين : وهو ما أسميه بشعر الغزل . ولون يعبر عن مكان المرأة من الغريزة الإنسانية عند الرجل حين يعرض لنزوات الجسد بين طبيعتين : وهو ما أدعوه بشعر المرأة .

ولكل من اللونين فى شعر على طه نصيب أى نصيب !

على مدار الأداء النفسى سأدرس هذا الشعر ، وعلى أساس هذا الأداء يجب أن يدرس كل شعر عند القدامى والمحدثين . إنه فى رأيى المحك الذى يظهر لك الشخصية الشعرية فى ثوبها الطبيعى ويكشف لك عن الفن الشعرى فى معدنه الأصيل ... ودعك من الساجدين فى محراب الأداء اللفظى ؛ أولئك الذين يزنون الألفاظ بضخامة هياكلها الخارجية : إنهم يذكروننى بذلك الصنف من الناس يحترم الرجل لضخامة مظهره ... غير ملتفت إلى ضآلة مخبره !

ولقد حدثتك فى عدد مضى من « الرسالة » عن دعائم الأداء النفسى فى الشعر ... وقلت لك عنها فيما قلت : إنها تتمثل فى الصدق الشعورى أولا ، وفى الصدق الفنى ثانياً ، وأخيراً فى روافد هذين النهرين الرئيسين ، وأعنى بها اللفظ والجو والموسيقى . ولا بد من رجعة إلى بعض الذى قلت بالأمس ، حتى تستطيع أن تجمع بين خطوط المشكلة الكبرى وبين التطبيق عليها عن طريق الصورة أو عن طريق المثال ...

« الصدق الشعورى » هو ذلك التجاوب بين « الوجود الخارجى » المثير للانفعال ، وبين « الوجود الداخلى » الذى ينصهر فيه هذا الانفعال ، أو هو تلك الشرارة العاطفية التى تندلع من التقاء تيارين . أحدهما نفسى متدفق من أعماق النفس ، والآخر حسى منطلق من آفاق الحياة . أو هو ذلك التوافق بين التجربة الشعورية وبين مصدر الإثارة العقلية فى مجال الرصد الأمين للحركة الجائشة فى ثنايا الفكر والوجدان ... هذا هو الصدق الشعورى وميدانه الإحساس ، أما « الصدق الفنى » فميدانه التعبير ؛ التعبير عن دوافع هذا الإحساس تعبيراً خاصاً يبرزه فى صورته التى تهز منافذ النفس قبل أن تهز منافذ السمع ، وهذه هى التجربة الكبرى التى تختلف حولها القيم الفنية للشعر فى معرض التفرقة بين أداء وأداء !

هناك شاعر يملك الصدق فى الشعور ولا يملك الصدق فى الفن لأنه لم يؤت القدرة على أن يلبس مشاعره ذلك الثوب الملائم من التعبير ، أو يسكن أحاسيسه ذلك البناء المناسب من الألفاظ ، ولا مناص عندئذ من الإخفاق فى إظهار الطاقتين معاً : الشعرية والشعورية ... وهنا يأتى الدور الأخير من الأداء النفسى فى الشعر ،

وهو الدور الذى يعتمد على اللفظ والجو والموسيقى : اللفظ ذو الدلالة النفسية لا المادية ، اللفظ ذو الظلال الموحية لا الظلال الجامدة ، اللفظ الذى يتخطى مرحلة إشعاع المعنى الجزئى الواحد إلى مرحلة إشعاع المعانى الكلية المتداخلة !

هذا هو مكان اللفظ من الأداء ؛ أما الجو فنقصد به ذلك الأفق الشعرى الذى ينقلك بصدقه إلى مكان الفن وزمانه ، ويحقق لك تلك المشاركة الروحية بينك وبين الشاعر ، ويحدث لك نفس الهزات الداخلية التى تلقاها وهو فى حالة فنـاء شعورى كامل مع « الوجود الخارجى » ...

ويبقى بعد ذلك عنصر التنغيم فى مشكلة الأداء ، وهو عنصر له خطره البعيـد وأثره الملحوظ فى تلوين الانفعالات الذاتية فى التعبير . وهنا يبدو الارتباط كاملا بين العناصر الثلاثة ، لأن « الحقل الشعرى » ممثلا فى عنصرى الأجواء والألفاظ لا غنى له بحال عن عنصر « الموسيقى التصويرية » التى تصاحب « المشهد التعبيرى » فى كل نقلة من نقلات الشعور ، وكل وثبة من وثبات الخيال !

ويظهر أثر الربط بين هذه القيم فى مشكلة الأداء النفسى حين نلتمس ذلك التناسق بين فنون الشعر المختلفة . . . إن لـكل فن من هذه الفنون طابعه الخاص المتميز فى مجال التصوير الفنى عن طريق اللفظ والجو والموسيقى ؛ فمن أسباب الاخلال بالأداء النفسى أن نتخير اللفظ الهامس ، والجو الهادىء ، والموسيقى الحالمة مثلا فى شعر الملاحم ، وأن نعكس القضية من وضع إلى وضع فنتخير اللفظ الهادر ، والجو الصاخب ، والموسيقى العاصفة مثلا فى شعر الغزل والرثاء

قلت هذا عن دعائم الأداء النفسى ثم زدت عليه هذه الفقرات :

حسبنا أن نقول إن الشعراء المحدثين قد خطوا بفهمهم لأصول الفن الشعرى خطوات جديدة ، ووثبوا بالأداء النفسى وثبـات أقل ما يقال فيها إنها ردت للألفاظ قيمها التعبيرية حين ردتهـا إلى محاريبها النفسية فغدت وهى صلوات شعور ووجدان . ويستطيع النقد الحديث أن يقول إنه قد وجد ضـالته فى هـذا الشعر الذى وجد نفسه ... وإذا قلنا الشعر العربى الحديث ، فإنما نعنى ذلك الشعر الذى بدأت مرحلته الأولى بتلك المدرسة من بعض شعراء الشيوخ وعلى رأسهم شوقى ، وبدأت مرحلته الثانية بتلك المدرسة الأخرى من بعض شعراء الشباب وعلى رأسهم إيليا أبو ماضى ، وفى شعر هذين الشاعرين تبـدو ومضات الأداء النفسى أكثر لمانا منها فى شعر الآخرين !

من هذه الفقرات يتضح لك أننى قد جعلت أبا ماضى على رأس مدرسة الأداء النفسى عند شعراء الشباب ... ولقد أصدرت هذا الرأى بالأمس وما زلت أؤيده حتى اليوم ، حتى هذه اللحظة التى أدرس فيها شاعراً ممتازاً من شعراء هذه المدرسة النفسية هو على طه. ولـكن بقيت من وراء هذا كله حقيقة ، وهى أن أبا ماضى يقف فى الطليعة على أساس هذا الأداء فى مجموعه ... أريد أن اقول لك إن هناك صوراً من صور هذا الأداء فى شعر على طه تعلو فوق مستوى نظائرها فى شعر أبى ماضى ، سواء أكانت تلك الصور وصفية فى إطارها النفسى أم كانت وصفية فى إطارها الحسى . ولك أن تقول والدليل بين يديك من شعر الشاعرين إن فرائد على طه خير من فرائد أبى ماضى ، ولـكن النتيجة الأخيرة هى أن أبا ماضى فى مجموعه خير من على طه فى مجموعه ، على أساس النسبة العددية التى كلما قدمت لك عشر قصائد من شعر الأداء النفسى عند أبى ماضى ، قدمت إليك فى مقابلها سبعاً من شعر هذا الأداء عند على طه ... فإذا قلنا بعد ذلك إن ومضات الأداء النفسى أكثر لمانا فى شعر إيليا منها فى شعر الآخرين ، فيجب أن يفهم أن المقصود بكثرة اللمان هنا — فى هذا التعبير — هو تلك الـكثرة التى أشرت إليها فى مجال النسبة العددية ، وفى النماذج التى سأقدمها من شعر على طه فى هذه الدراسة المطولة ما شئت من إقامة الدليل !

وأمضى فى هذه الدراسة محدداً جوانبها مقسماً مراحلها ، إذ لابد لكل دراسة كاملة من جوانب تحدد ومراحل تقسم ... لا بد من تصميم فى كـكل تصميم يوضع عند رسم الخطوط الرئيسية فى أى عمل من الأعمال الأدبية .

هناك مرحلة أولى سأتناول فيها بالنقد والتحليل أول صورة من صور الأداء النفسى فى شعر على طه ، وأعنى بها الصورة الوصفية فى إطارها النفسى ... وهى تمثل الشعر الذى تلمع فيـه الومضة الفـكرية مغمورة بأضواء الذاتية الوجدانية ؛ هناك حيث يتنزى الفـكر الإنسانى بين جدران النزوة والنزعة والغريزة والعاطفة .

وهناك مرحلة ثانية سأتناول فيها الصورة الأخرى من صور هذا الأداء ، وأعنى بها الصورة الوصفية فى إطارها الحسى ... وهى

صور من الحياة :

ركن يتـــداعى

للأستاذ كامل محمود حبيب

– ٢ –

لما كتبت القسم الأول من هذه الصورة أسرع إلىّ صديق من ذوى الجاه والشأن فى وزارة الأوقاف ، وحدثنى حديثاً فيه الشفقة والعطف ، وفيه الرجولة والإنسانية ، وطلب إلى مشكوراً أن يعين صاحب هذه الصورة على بلواه بطريقة لا يحس الرجل فيها غضاضة الحاجة ولا ذل السؤال .

آه ، ما أسمى رجولتك يا من تهزك الأريحية الجياشة فتمد يدك الرايقة لتمسح على أتراح رجل ضعضعته نكبات الزمن ، ولتخفف من آلام إنسان لجفته الأيام فى خفضه وسعادته ! إنك – ولا ريب – روح السماء ونسيم الجنة ، فدعنى أشكر عطفك ورقتك بلسان صديق الذى دهمته القارعة فاجتاحت قوته وحيلته ورزقه .

« كامل »

نَدَّ عنى صوابى يوم أن رأيتك – يا صاحبى – أول مرة ، تطحنك مرارة الفجيعة فى نور عينيك ، وطار عنى الحجا يوم أن لمست الأسى يتغلغل فى أغوار قلبك فيخترم شبابك ونشاطك من أثر الصدمة القاسية ، وماتت كلمات العزاء على شفتىّ يوم أن شهدت الصبية يرفون حواليك كالأقمار رونقاً وبهاء وينادونك : « انظر ... انظر ، يا أبى » ، وهم يتوثبون بهجة وسروراً لأنهم لا يحسون ما أصابك من لوعة وضيق .

وصرفتنى عنك شواغل الحياة حيناً ، فحز فى نفسى أن لا أجد السبيل إليك وأنت تعانى حر المصيبة ووهج البلوى . على حين أنى لم أنس – أبداً – أنك كنت لى فى ميعة الصبا رفيق الروح فى وحدة الحياة ، وأنيس القلب فى وحشة العمر ، ونور النفس فى ظلام العيش . وأمضّ قلبى أن أرى حالك تحول فتنغيض بشاشتك وتذوى سعادتك وتجدب حياتك ويتداعى ركنك ، ولكن روحى كانت – دائماً – تهفو إليك فتفيض لك نفسى بالهوى والود ، ويطفح قلبى بالشفقة والحنان ، فأنا ما زلت أذكر حديثك يوم أن قلت لى : « الآن – بعد أن نزلت بى هـذه الداهية الهوجاء – أجدبت حياتى وأقفرت دنياى وانسدت فى وجهى سبل العيش ، فما عدت ألمس روح الخصب إلا فى لقياك ، ولا أنشق شذا الانسانية

عثل الشعر الذى ينتقل بالماديات إلى نطاق المعنويات ؛ هناك حيث تستحيل الحركة الحسية فى بوتقـة اللفظ إلى موجة صوتية معبرة عن الوجود الداخلى . ومن ألوان الصورة الأولى عالم الطبيعة الإنسانية الخاصة ، وعالم النموذج النفسى العـام ، وعالم النظرة الكونية فى محيط الفكرة السابحة فى أجواء المجهول . ومن ألوان الصورة الثانيـة عالم الطبيعة المادية الخاصة ، وعالم النموذج البشرى العام ، وعالم النظرة الواقعية فى محيط الرؤية الشعرية .

بعد هذا سأنتقل إلى المرحلة الثالثة من مراحل هذه الدراسة وهى مرحلة تطبيق هذه الألوان من الأداء النفسى على حياة على طه الشخصية . سأحاول أن أرد كل ظاهرة فكرية أو نفسية أوخلقية إلى مصادرها من الجو الطبيعى الذى تنفس فيـه ... أعنى أننى سأنتقل من مرحلة الأداء النفسى بمعناه الإصطلاحى فى أصول النقد ، إلى مرحلة الأداء النفسى بمعناه الوجودى فى واقع الحياة ، وهو المعنى الذى أشرت إليه من قبل حين قلت إن شعر على طه كان مرآة صادقة لجوانب حياته .

أما المرحلة الرابعـة فستخصص للحديث عن المرأة فى شعر على طه ... هل فهمها كما يجب أن تفهم ؟ هل نظر إليها كما يجب أن ينظر ؟ هـل شرح الطبيعة الأنثوية كما يجب أن تشرح ؟ هل التقى مع شعراء المرأة هنا وهناك ، فى حـدود الجسد حين يتخذ معبراً إلى الغريزة أو حين يتخذ معبراً إلى الإحساس بالجمال ؟ ... هذا فصل خاص سأحاول فيه أن أنتزع الحقيقة الفنية من أغوار الحقيقة الوجودية .

وإذا ما انتهيت من هـذه المرحلة الرابعة مضيت إلى المرحلة الخامسة ، وهى أثر الثقافة الغربيـة فى شعر على طه ... أثرها فى الأخيلة التى تغلب عليها الواقعيـة حينا ، والرمزية حينا آخر ، والرومانتيكية فى كثير من الأحيان . ثم أثر الآفاق الغربية فى إمداد ملـكته الشاعرة بتلك الخامات من المشاهد والخواطر والأحاسيس . .

يتبع أنور المعداوى

إلا فى مجلسك ، ولا أحس نسيم العزاء إلا فى حديثك أنت … أنت أيها الرجل والصديق والأخ » .

* * *

قال لى صاحبي : « وأخذت أروّض نفسي على حياة الظلام الدامس والوحدة الممضة والشظف العاتى ، فرقت مشاعرى وأرهفت حواسى ، ولبست المنظار الأسود أبغض ما يكون إلى لأدارى خلفه لوعة قلبي وضعف نفسي ، وليكون حجاباً على أعين أولادى فلا تنفذ أبصارهم إلى علتى . وأحسست — بعد حين — أن الطبيعة تحبونى بعطف من لدنها علّها تعوضني بعض ماسلبتنى فأصبحت شديد الوعى أحفظ مايلقى علىّ لأول مرة ؛ حديد السمع والشم أسمع النأمة الخافتة تصدر من مكان قصى ، وأعرف القادم من وقع قدميه ، وأنشق ريح الرجل فأتبينه مقبلاً أو مدبراً ؛ دقيق الحس لا يخطىء حدسي مكان الجدار وهو على خطوات منى ، ولا يكذب ظنى موضع المنعطف ولما أبلغه بعد ؛ نافذ البصيرة أستشف طوايا النفوس وهى تختلج بين الضلوع ، وأحس نوازع القلب وهى تخفق بين الحنايا … فهدأت ثورتى وسكنت جائشتى .

« وجاء صغارى — ذات يوم — يتدافعون ويسألون : أحقاً ما نسمع ، يا أبى ، هل فقدت بصرك ووظيفتك ؟ وأنا رجل أقدس المبدأ والعقيدة ، وأومن بأن الطفل برىء بطبعه نقى بسليقته ، فهو لايتعلم الكذب والخداع إلا فى داره ، ولايتلقن اللؤم والمكر إلا من أبويه ، ولايسلك سبيل الضعة والخساسة إلا بقدر مايجدهما فى بيئته . ولقد أخذت نفسى — منذ أن صرت أباً — بألا أحدث أولادى حديث الكذب والخداع أبداً . فقلت : « نعم ، يا أبنائى ! » وشعرت — إذ ذاك — بقسوة الصراحة ، فلقد خُيّل إلىّ أن كلماتى تهبط على هذه الأرواح الصغيرة المرحة مثلما تهبط الصاعقة الجاسية على شىء تافه ضئيل . واستشعروا الصدمة المنيفة فاستخر طوافى بكاء مرطويل فيه الحرارة واللوعة ، وفيه الشفقة والحنان … استخرطوا فى بكاء مرطويل وأنا بينهم فى حيرة وذهول أهدئ الروع فلا يهدأ ، وأسكن الثورة فلا تسكن . وجاءت كبرى بناتى وهى صبية جميلة القسمات خلابة السمات رائعة الحسن طيبة القلب رقيقة المزاج مرهفة الحواس ، جاءت لتضمنى إلى صدرها وهى تذرف عبرات حرى تتدفق مدراراً على وجهى ، وتصرخ فى غير وعى صرخات مفزعة : « أبى … أبى ! » واندفعت تصرخ فى لوثة وجنون ، وحار قلبي لما رأيت ، وتراءى لى أننى أشهد مأتماً هو مأتمى ، وهؤلاء الصبية يشيعون أيامهم إلى رمسه ، فنازعتنى نفسى إلى أن أستسلم لضعفى فأشاطرهم البكاء ، وأشاركهم النواح عسى أن أسرى عن نفسى أو أخفف من شجو أولادى .

« آه ، ياصاحبي ، لقد كان مشهداً رهيباً مرعباً ، كاد يعصف بصبرى وإيمانى ، فسولت لى خواطرى أن أفر من دارى لأقذف بنفسى فى اليم ، أو أقدّ قلبي بسكين ، أو ألقى بروحى فى هاوية مالها من قرار . ولكنى خشيت أن أفجع أولادى مرتين ، وفى القلب إيمان وأمل ؛ فسكت على أسى يتأجج ، وكتمت شجونى على حزن يتوهج ، وأطرقت وأنا أربت على كتف هذا ، وأضم ذاك إلى صدرى ، وأقبل تلك فى شوق وحنان .

« وعجب الصغار من صمتى وأخذتهم روعة عطفى فهدأت الثورة ، وفى النظرات ذهول وحنان . وانطلقنا جميعاً فى موكب الحياة ؛ ولزوجتى فى القرية خمسة أفدنة . أما أنا فما ظفرت من ميراث أبى بشىء لأن أخى الأكبر كان قد عبث بتجارة أبى وعاث فى حساباته فبعثر المال كله بطريقة شيطانية وضيعة .

« انطلقنا جميعاً فى موكب الحياة ولزوجتى فى القرية خمسة أفدنة هى الأمل الباسم فى ظلمة الحياة ، هى الشعاع الدقيق ينفث فى القلب الراحة ويبعث فى النفس الطمأنينة . وحدثتنى نفسى بأن أهجر المدينة إلى القرية خشية أن تعصف بنا طلبات المدنية أو أن ترهقنا حاجات الحضارة . ووجدت فى الخاطرة منفذاً ففزعنا إلى هناك عند أول زفرات الهاجرة .

« وفى القرية وجدت الراحة التى تعصف بالنشاط ، والخمول الذى يقتل الفكر ، والوحدة التى تورث الفناء ، والهدوء الذى يثير الأعصاب ، والفراغ الذى يشغل البال ، والجهل الذى يسخر من الثقافة . فكنت أقضى يومى وحيداً على مصطبة إلى جانب الباب فى فىء شجرة ، أفتقد الصاحب وأفتقر إلى السمير ، فطالت أيامى وقد أفعمها الملل والضيق ، ومن حولى أولادى تصرفهم المتعة وتشغلهم الخضرة وتسعدهم الحرية .

« ثم هبت أول نسمات الخريف تحمل معها المشكلة الكبرى . . . مشكلة الصبية تناديهم المدرسة . وأقبلت زوجتى تحدثنى حديثهم فى رفق ولين ، فألقيت السمع إلى كلامها غير أنى لم أجد الرأى : ترى هل يعيش الصغار وحدهم فى المدينة يقاسون

الشعر المصرى فى مائة عام

الحالة السياسية والاجتماعية والفكرية

للأستاذ محمد سيد كيلانى

— ١ —

١٨٥٠ — ١٨٨٢

كان حكم محمد على بداية تحول فى تاريخ مصر الحديث . ففى عهده شرعت البلاد تأخذ بأسباب النهضة والتقدم ، واتصلت بأوربا وطفقت تستفيد من علومها وثقافتها .

ثم مات محمد على وخلفه عباس الأول (١٨٤٨ — ١٨٥٤) وفى عهده كادت تتلاشى بوادر النهضة التى خلقها جده الكبير .

ثم جاء سعيد (١٨٥٤ — ١٨٦٨) وكان يمتاز بحبه للمصريين وعطفه عليهم فأدخل بعض الاصلاحات الزراعية فلهجت الألسن بالثناء عليه ، ووجه عناية خاصة بالجيش فرفع مستواه ، وفرض التجنيد الاجبارى على جميع أفراد الشعب ، وفتح باب الترقى أمام أبناء الفلاحين ، واهتم بتزويد الجند بأحدث أنواع الأسلحة التى عرفت فى عصره ، وشيد القلاع والحصون . وقد ظهر أثر ذلك فى الشعر فأخذ الشعراء يمدحون سعيدا وينوهون بشجاعته وإقدامه ، ويشيدون بجيوشه وأسلحته وبقلاعه وحصونه . فمن ذلك قول السيد على أبى النصر :

هم جنود بل أسود بأسهم ... يتقيه كل جبار عنيد
أقسمت أسيافهم لو جردت ... يوم حرب لم تدع شخصا يحيد
والرماح اللدن أو مت بالظبا ... نافذات فى التراقى والوريد
كم لهم من بندق أبدى لنا ... معجزات إذ له لان الحديد
كم لهم من مدفع آياته ... بينات لفظها لفظ مفيد
كم توالوا فوق خيل ضمر ... سابقات للقضا فيما يريد
لو أتت يوما على رغم المدى ... مرسلات غادرته كالحصيد
إذ عليها كل ليث ضيغم ... فى ملاقاة العدى برج مشيد

وقال السيد صالح مجدى مؤرخا بناء القلاع السعيدية بجوار القناطر الخيرية :

فأسس بالتقوى حصونا عديدة ... بثانى جمادى بعد إبداء دعوة
ففى جانب الكبرى ألاحت بروجها ... عليها مدار الأمن فى كل لحظة
ولما علت أركانها وتجهزت ... بما يدفع الأعداء عنها بهمة

الوحدة والضياع ، وأظل أنا هنا أحمل هم نفسى وهم أولادى ، أم أنطلق معهم فأذر الأفدنة ، وهى عدتى على الزمن القاسى ودريئتى من الفاقة العاتية ... أذرها يتناهبها الفلاحون وما فيهم إيمان ولا أمانة ؟ ثم قر قرارى فتركت الصبية يسافرون إلى القاهرة ... تركتهم بين يدى القدر .

« وجاءتنى رسائلهم تترى فأحسست كأن كل رسالة تحمل فى طياتها أذى نفسى وضنى قلبى ، ثم جاءت رسالة تقول : « وقضينا الليلة الماضية فى حال من الفزع يفرق له الشجاع ، وفى رهبة من الرعب يخشع لها الأيد ، وفى رعدة من الذعر يرتاع لها الجليد . فلقد أحسسنا باللص يتسلق أنابيب المياه حتى أوشك أن ينقض علينا لولا أن ندت من أختى صيحة مضطربة طار من هولها اللص ، وتبدد من شدتها الأمان من قلوبنا ، وكانت لفحات القر القاسية تلفحنا فتكاد أطرافنا تتجمد من زمهريرها ، والريح زفزافة تئن أنينا تنخلع له أفئدتنا ، فلصق بعضنا ببعض مثلما يلصق أجراء بأمها فى ليلة قرة تلتمس الدفء والأمان . وعصف بنا الخوف فما غمضت أجفاننا حتى انطوى الليل وبزغت الشمس ...

« لشد ما أصابنى الجزع والذهول مما سمعت من كلام صغارى وهو يحز قلبى وخزات قاسية عنيفة تقض مضجعى وتفزعنى عن القرار ! .

« وعند الصباح ودعت القرية لألحق بصغارى ، ورضيت بالشظف لأكفل لأفراخى الأمان والهدوء .

« وها أنا الآن كما ترى — ياصاحبى — أعانى عنت الحياة وضيق العيش وغلظة الأيام ، أتعثر فى مهاوى الضياع ، تتعاورنى نوبات من الألم النفسانى فما يمسكنى إلا حب الولد ... الولد الذى أطمع أن أراه رجلا يمسح على أتراحى بيده الحبيبة ويزيح عنى أشجانى بكلماته الرفيقة ...

وسكت صاحبى ، وسكت . وتلاقت خواطرنا وعبراتنا على حرقة وأسى ...

كامل محمود حبيب

وحصنت الأبراج منها مدافع تسوق إلى المغرور أثقل كلة
تكفل من أبطال مصر بحفظها رجال لهم بطش وأعظم سطوة

هكذا مدح الشعراء سعيدا . وأنت ترى أن مدح سعيد كان يقرن دائما بذكر عساكره وجنوده ؛ ومدافعه وبنادقه ، ومناعة استحكاماته ومتانة قلاعه وحصونه ، مع أن البلاد لم تستفد شيئا من هذه القلاع ولا من تلك الحصون ، بل تكبدت خسائر مالية فادحة دون مقابل . ولو أن سعيدا شيد معاهد للعلم بدل تلك القلاع لأفاد البلاد فائدة محسوسة ، ولكنه أهمل نشر العلوم والمعارف ولم تفتح في عهده مدرسة واحدة . لذلك أمسك الشعراء عن الخوض في هذا الباب ، ولم يقرن اسم سعيد بنشر العلم والعرفان ، ولم يعن الرجل بتشييد المصانع لتزويد الجيش بما يلزمه من ملابس وسلاح ، بل كان يستورد من أوروبا كل ما يحتاج إليه ، فترتب على ذلك أن أموال البلاد أخذت تتسرب إلى الخارج ووفد على مصر كثير من الأوربيين الطامعين في الثراء وأضحى نفوذهم يزداد يوما بعد يوم .

وفي عصر سعيد انتهت حرب القرم التي نشبت بين الدولة العلية وروسيا . وكانت مصر قد اشتركت في هذه الحرب وأبلى الجنود المصريون بلاء حسنا في ميدان القتال . وقد تغنى الشعراء المصريون بهذا النصر . فمن ذلك قول عبد الله فكرى :

لقد جاء نصر الله وانشرح القلب
لأن بفتح القرم هان لنا الصعب
وقد ذلت الأعداء في كل جانب
وضاق عليهم من فسيح الفضا رحب
بحرب تشيب الطفل من فرط هولها
يكاد يذوب الصخر والصارم العضب
إذا رعدت فيها المدافع أمطرت
كؤوس منون قصّرت دونها السحب

وقال الساعاتي :

أسياف سطاه كم فعلت وأرادت أن تعلو فعلت
والروس لها ذلت وعنت في مشهد حرب « سوستبل »

* * *

ثم قام سعيد برحلة إلى بلاد الحجاز . وكانت هذه الرحلة أشبه بحملة عسكرية إذ صحبه من الجند والحاشية نحو ألفي رجل من مشاة وفرسان ومدفعية وأتباع . وفي ذلك يقول الساعاتي مخاطباً سعيدا :

ملأتَ قلوب العرب رعباً فادروا
بعثت لهم بالكتب أم بالكتائب
تركتهم في أمرهم بين صادق
وآخر في تيه من الظن كاذب
تسير لهم في بحر جيش عرمرم
يفيض بموج الحتف من كل جانب
إذا هتفوا باسم العزيز تزلزلت
جبال عليها الذل ضربة لازب
فكيف إذا يممت بالشهب أرضهم
وزاحمت ما في أفقهم بالنجائب
وجرد عليها الأسد في قصب القنا
ترى الأسد في الآجام مثل الثعالب

فعصر سعيد قد امتاز في بعض فتراته بظهور الروح العسكرى الوطني . وقد أثر هذا في الشعر على نحو ما بينا . وأقبل الشعراء في ذلك العصر على نظم الأناشيد العسكرية الحماسية ، فنظم رفاعة رافع الطهطاوى جملة أناشيد وطنية تذكر ما جاء في أحدها وهو :

يا جند مصر لكم فخار بين الورى عالي المنار
كالشمس في وسط النهار صيت لكم في الكون سار
حادي السعود به حدا والطير صاح وغردا
بشرى لمصر قد بدا فيها الفخار مؤبدا
بأميرها بحر الندا أعنى السعيد محمداً

وحذا حذوه السيد صالح مجدى فأنشأ « القصائدالوطنيات » وكذلك فعل مصطفى سلامه النجارى شاعر سعيد الخاص ، ومحمود صفوت الساعاتي .

وفي عصر سعيد ظهرت في مصر بعض المخترعات الحديثة كالسفن البخارية والآلات الزراعية التي تدور بالبخار وآلات رفع الماء كما أن السكك الحديدية قد أخذت تحل شيئا فشيئا محل وسائل النقل القديمة . وكذلك انتشرت الأسلاك البرقية . فتغنى الشعراء بهذه المخترعات . قال السيد صالح مجدى يصف « وابور » سعيد :

أمدينة من فوق لج الماء تجرى بأبهج منظر وبهاء

أم هذه إرم بدت وعمادها	مسبوكة من فضة بيضاء
أم ذاك وابور المسرة مده	صدر البرية أسعد السعداء
وحبا به النيل المبارك فازدهى	ببديع بهجة شكله الحسناء
فكأن هذا الفلك فى تنظيمه	فلك به تسرى نجوم سماء
وكأنه فى النهر عند مسيره	برق يقصر عنه طرف الرائى
أو أنه ملك خطير جنده	ملأ من الأمواج والأهواء
فمساكر الأمواج يرسلها على	سفن البخار طليمة الأعداء

وهكذا استمر الشاعر يصف هذه السفينة ويشبهها تارة بالمدينة وتارة بالفلك ، وحيناً بالبرق وحيناً آخر بالملك .

وقال يذكر قنطرة بناها سعيد :

لله ما أبهى وأبهج قنطره	سمح السعيد بها فزانت كوثره
وبصنعها سكك الحديد مذ يدها	أضحى لوافر نفعها ما أقصره
وكأنها والموج تحت رصيفها	ملك ينظم بالشهامة عسكره
وكتائب العربات تلثم أرضها	وتجوز وهى بأمنها مستبشره

* * *

ثم جاء الخديو اسماعيل (١٨٦٣ – ١٨٧٩) وكان عهده حافلا بجلائل الأعمال ، فوجد الشعراء أمامهم مجال القول ذا سعة فقالوا . فلما حصل الخديو اسماعيل على نظام الوراثة الذى يقضى بحصر العرش فى أكبر أبنائه (١٨٦٦) تسابق الشعراء إلى مدحه وتهنئته . وكان عباس الأول قد سعى من قبل فى سبيل الحصول على هذا الحق ففشل . وفى ذلك يقول عبد الله فكرى :

ومهدت مد الله عمرك إرثه	لأبنائك الطهر الجحاجحة الغر
وقبلك كم مدت لما نلت شأوه	يد ثم ردت غير ظافر الظفرة
وما كل من يسمو لأمر يبالغ	مداه ولا كل الجوارح كالصقر

وقال صالح مجدى :

وشيد أركان الوراثة فازدهت	بذلك أوطان وسرت أنانم

وقال من قصيدة أخرى :

وفى آلك الصيد الكماة تقررت	وراثة تخليد رفعت لها ذكراً

وما تكاد تشيد مدرسة أو يبنى معهد أو يقام مصنع حتى يبادر الشعراء فى تأريخ هذا شعراً . ومثال ذلك قول السيد صالح مجدى فى أحد مصانع السكر التى أقامها اسماعيل :

وشاد بها فوريكة السكر التى	بها الصدر اسماعيل ذو الدولة اعتنى
سمت روضة الأنس الجمالية التى	غدا ثغرها بالسوق للناس محسناً

فياسكر الأحواز ما زلت سامياً	إلى أن تسامى عنك سكر مصرنا

واهتم اسماعيل بتحسين مدينة القاهرة فشيد كثيراً من القصور الفخمة ، وغرس الحدائق والبساتين ، ومهد الشوارع والميادين .

قال السيد صالح مجدى : « انتهزت فرصة عرضت لى فى يوم من أيام المواسم الوقتية ، للتنزه بالمدينة المحروسة المعزية ، بقصد رياضة ذهن أعيته كثرة الأشغال ، وفهم أسقمه تراكم الأعمال ، فرأيت عن يمينى وشمالى وخلفى وأمامى ، فى جميع البقاع التى سعيت إليها بأقدامى ، من التحسينات الفائقة المصرية والتنظيمات الرائقة المصرية ، ماتوهمت به مع يقظتى أنى فى منام ، وأن ما يبدو لناظرى إنما هو من قبيل الأحلام . ومكثت على هذه الوتيرة ، برهة من الزمن يسيرة ، أتقلب من الدهشة فى كل واد ، وأرمق تلك التحسينات بعين الفؤاد . فلما أفقت مما أنا فيه بعد إمكان النظر ، ووقفت عقب ذلك على جلية الخبر ، نطق لسانى بالثناء الجميل ، على ولى النعم عزيز مصر اسماعيل ، وقلت مصرحا بوصف بعض مخترعاته العجيبة .

ثغور التهانى للعزيز بواسم	وأيامه بيض الليالى مواسم
وأفنان أدواح التمدن غردت	بعصر عليها للأنام حمائم
فأما المبانى فهى فى حسن نظمها	بروج لأفلاك السماء تزاحم
وفى الأرض للابصار تبدو كواكب	من الغاز للبدر المنير تنادم
وأما تقاسيم المياه فنفعها	عميم وفيها للعباد مراحم
ومنها بساتين القصور تفتحت	من الورد بعد الرى فيها كمائم
وأما الميادين التى قد تجددت	ولاحت عليها للفخار علائم
فأشرفها السامى بذكر (محمد	على) الذى هابت لقاه الضراغم
ومنها الذى فى عابدين قصوره	لها السعد طول الدهر فى مصر خادم
ومنها الذى فى الأزبكية زانه	بهاء وحلى ما حواه مناظم
وكيف وللتفريج فيه ملاعب	بهن سرور للبرية دائم
وقصر ولى العهد فيه كأنه	بما حوله فوق المجرة قائم
وفيه سرايات وفيه حدائق	وفيه لإحياء الفنون معالم

وهكذا استمر الشاعر بذكر القصور والبساتين ، والشوارع والطرقات والحدائق والتنزهات ، وكل ما ظهر من معالم الحضارة وآثار العمران كالسكك الحديدية والترع والقناطر والكبارى قال :

وأما أخاديد الحديد فإنها	قد انتشرت فى القطر منها مناسم
وراجت بها بعد الكساد تجارة	لها اليمن فى ظل الأمان مسالم
وقد غرست فى جانبيها بحكمة	لتوصيل أخبار البرايا قوائم

ثم انتقل من ذلك إلى ذكر دواوين الحكومة ومصالحها ومجلس الأحكام والمجلس المخصوص والمطبعة الأميرية ومصلحة التفتيش والدائرة السنية ودائرة الأنجال ومجلس النواب ، قال :

وعن مجلس النواب حدث فإنه   منوط بما فيه لمصر الغنائم

وذكر القانون القاضي بإلغاء السخرة فقال :

ولم يبق للتسخير في بر مصره   وجود وزالت قبل ذاك مغارم

***

ولما ارتبكت الأحوال المالية في مصر أخذ الشعراء يتناولون الحالة السياسية بالنقد والتجريح . ومن هنا بدأ الشعر السياسي في الظهور . قال صالح مجدي معرضاً بالخديو :

رمى بلادكم في قعر هاوية   من الديون على مرغوب جوسيار

وأنفق المال لا مناً ولا كرما   على بغى وقواد وأشرار

والمرء يقنع في الدنيا بواحدة   من النسا وهو لم يقنع بمليار

ويكتفي ببناء واحـــد وله   تسمون قصراً بأخشاب وأحجار

فاستيقظوا لا أقال الله عثرتكم   من غفلة ألبستكم ملبس العار

ولا شك في أن الشاعر قد تحامل كثيراً وبعد عن الصواب . فبعد أن أشاد بالأعمال الجليلة التي قامت في عصر اسماعيل ، وبعد أن تغنى بمظاهر الحضارة والعمران التي ازدانت بها مصر في أيام ذلك العاهل العظيم ، رجع يردد بعض التهم التي اخترعها نفر من الأوربيين الذين قاوم إسماعيل نفوذهم الذي أرادوا فرضه على البلاد . ولسنا هنا بصدد مناقشة ما ورد في هذا الشعر وإظهار ما فيه من رأي فاسد فقد أغنتنا كتب التاريخ عن ذلك .

***

وقد ترتب على ارتباك الأحوال المالية فساد كبير في الأداة الحكومية فانتشرت الرشوة وعمت الفوضى .

وقد ظهر أثر ذلك في الشعر ، فنظم محمود سامي البارودي قصيدة رائعة في ذم الحكام وحض الناس على طلب العدل في الأحكام . ومما جاء فيها قوله :

لكننا غرض للشر في زمن   أهل العقول به في طاعة الخمل

قامت به من رجال السوء طائفة   أدهى على النفس من بؤس على ثكل

من كل وغد يكاد الدست يدفعه   بغضاً ويلفظه الديوان من ملل

ذلت بهم مصر بعد العز واضطربت   قواعد الملك حتى ظل في خلل

ومنها يخاطب المصريين ويحفزهم على الثورة في وجه الظلم والاستبداد . قال :

فالكم لا تعاف الضيم أنفسكم   ولا تزول غواشيكم من الكسل

ومنها :

فأي عار جلبتم بالخمول على   ماشاده السيف من فخر على زحل

ومنها :

فبادروا الأمر قبل الفوت وانتزعوا   شكالة الريث فالدنيا مع العجل

وقلدوا أمركم شهما أخا ثقة   يكون رداً لكم في الحادث الجلل

ومنها :

وطالبوا بحقوق أصبحت غرضاً   لكل منتزع سهماً ومختتل

ولا تخافوا نكالا فيه منشأكم   فالحوت في اليم لا يخشى من البلل

وقد حذا حذو البارودي كثير من شعراء ذلك العصر الذين كانوا من غير شك ينطقون بلسان الأمة ويعبرون عما يجول في في خواطر أفراد الشعب .

« يتبع »   محمد سيد كيلاني

مشكلات الفلسفة :

فكــــرة الله

للأستاذ عبد الفتاح الديدي

« ليس كمثله شيء »
قرآن مجيد

كتب الكثيرون فى هذا الموضوع ، وتناولوه من نواحيه المتعددة بحيث لم تبق لنا بقية نحكيها ولا فضلة نذكرها . وإذا كنت أمسك بالقلم الآن لأخط هذه الكلمات فليس ذلك عن نحد لهؤلاء الذين تعرضوا لفكرة الله قبل الآن ، بالبحث والدرس ، وإنما أفعل هذا عن إيمان بأننى سوف أنظر إلى الموضوع نظرة عكسية ، وأننى سأنصرف إلى جانب آخر غير الذى اهتموا به ، وبذلوا عنايتهم من أجله . وأحب أن أرفع الخوف عن القارئ من إثارة هذا الموضوع مرة أخرى ، وأود أن أزيل عن نفسه كل حرج أو إشفاق من مواجهة مسألة الألوهية مواجهة صريحة فأنبئه مسرعا بأننى سأبحث الآن مشكلة الإنسان ذاته . وستجد نفسك قادراً — بعد توضيح بسيط — على أن ترفع هذا العنوان لتضع بدلا منه عنواناً آخر يتصل بالإنسان ومشاعره فوق الأرض وبإحساساته فى الحياة . إذ أننى أومن تماما بأن فكرة الله ، كما حملها إلينا تاريخ الفلسفة ، لا تصور الله ولا تقرّب مفهومه من أذهاننا ، وإنما تعطينا فكرة صحيحة عن الإنسان نفسه من حيث مطامعه وشهواته وخواطره وآرائه ومخاوفه وملاذه .

فكرة الله عند الفلاسفة والمفكرين هى كتاب حافل بأحاسيس البشر وتاريخ ثابت لانفعالات الناس ومجلد مشحون بالعواطف والمشاعر عند ما تطورت على مر العصور . والحقيقة الإنسانية تتكشف ، أكثر ما تتكشف ، من مراجعة هذا السجل الحاشد ومن تأمل هذه الخطرات الوافرة . فليس يفيدك تأمل الأفعال العادية التى تأتيها الجماعات أو النظر فى أمور معاشهم والمخالطة لهم فى الحياة العامة بقدر ما يفيدك التفكير فى هذه الصور التى يعرضها عليك المفكرون عند تدرجهم لصفات الله وتحقيقهم لمشكلة وجوده .

وقديما تنبه إكسانوفان لهذه الحقيقة على نحو بسيط عند ما قال إن الإنسان يصور نفسه فى آلهته ، وإن هذه الأرباب من صنع الناس وابتكارهم . ولم يكن أمام إكسانوفان — الفيلسوف اليونانى — عندئذ غير هذه الآلهة التى صوّرها الشعراء السابقون على عصره كأمثلة يقدمها لنا تدليلا على هذه الحقيقة . أما نحن فنستطيع أن نجد كثيراً من البراهين ، على ما نذهب إليه ، من آراء الفلاسفة واعتقاداتهم فى الله منذ أقدم العصور حتى يومنا هذا .

فإذا ما أخذنا إله أرسطو — على سبيل المثال — وجدنا أنفسنا بإزاء كائن أبدى يوصف بأنه جوهر وأنه فعل محض وأنه يحرك ولا يتحرك . وهذه الصفات هى الوجه الآخر لما نلاحظه فى حياتنا الأرضية من سمات الأشياء وخصائصها . فأبدية الله إنما تنشأ عن رغبتنا نحن البشر فى تصور موضوع ، ونتيجة لأطماعنا التى لا حد لها فى معاش يستمر بنا إلى ما لا نهاية . إذ أننا نحس فى قرارة أنفسنا بأننا عاجزون أمام مظاهر الطبيعة وعوامل الفناء التى تعمل بكل قوتها على إنهاء الحياة المتمثلة فى الأفراد ، وعلى إبطال ما يبدو أننا نستمتع به من مناعم الوجود ولابد — والأمر كذلك — من تصور موضوعية أخرى غير إنسانية توصف بهذا الوصف الذى حرمتنا إياه الحياة وتتعلق بها تلك الكيفيات التى نحلم بتطبيقها على شئوننا الخاصة . فالوجود الأبدى الخالد هو الوجه الآخر لهذه الحياة التى نستشعر بأنها قد وُجدت منذ زمن قريب ولا نعرف مبدأها على وجه ثابت ، وهو الوضع المقابل لهذه المظاهر المتغيرة والأعراض الزائلة والحركة الدائمة .

ولا نستطيع أن نفسر صفات الله عند أرسطو إلا على ضوء هذه الحقيقة التى نعلنها إعلاناً صريحا ونؤكدها توكيدا قاطعا هنا . فالإله — كما نعلم — عبارة عن فكر خالص يتأمل ذاته ولا يمكن أن يكون هناك شيء آخر سوى ذاته كموضوع لتأمله مادام شرف التفكير متوقفا على شرف المادة ، وما دام من الصعب أن نُقر رفعة العمليات العقلية من غير الوثوق برفعة الأشياء التى تكون محل اهتمامه . بل إن لذته القصوى إنما تكمن فى هذه الحالة التى يستطيع بها أن يدور حول نفسه وأن يكون هو ذاته لذاته موضوعا لا يفرغ من تأمله ولا ينى عن التفكير فيه . وهو لهذا السبب مشغول عن الحياة ، لاه عما يجرى فوق الأرض ، مهمل لأحداث الكون .

فهذا الإله ، إن صح أنه إله ، وليد اختراع عبقرى ولا يمكن أن يصدر عن تصور آخر غير تصور الإنسان الذى يكلف بالبحث ويولع بالنظر العقلى الخالص . لقد كانت الحياة بمتاعبها ومضايقاتها تثير جانب الخيال — قبل كل شىء — فى عقل أرسطو وتدفعه دفعا إلى افتراض وجود كائن يخلو من هذه الشواغل الوقتية وينصرف عن الحياة العادية إلى العمل الفكرى المجرد . أو يمكن أن نقول إن الحياة الفكرية بما كان لها من مقام فى نفس الشعب اليونانى القديم استطاعت أن تدفع بأرسطو دفعاً إلى مذهبه الغريب وتصوره الشاذ . ومن ناحية ثالثة نلاحظ أنه من السهل جداً تصور إله على هـذا النحو إذ تكرر وقوعنا فى الأزمات وتعددت فى سبيلنا العقبات دون أن ينقذنا منقذ وبغير أن يمدنا معين ، مهما رجوناه والتجأنا إليه ودعوناه مخلصين . فالإنسان يتصور الإله محبا للخير عادة ويفترض أنه يعمل جاهداً فى سبيل السعادة والهناء . ولا شىء غير ذلك . فإذا حصل أن اتجه الإنسان اتجاهاً سليما ، وأن سعى مسعى كريما ، ثم ناله من وراء ذلك سوء وأصابه من جرائه نُكر ارتد إلى رشـده وعاود تفكيره وجعل ينظر مرة أخرى فى شأن الإله العلى القدير . وهو فى تلك الحالة إما ان ينكر وجود الإله ، وإما أن يؤمن بأنه موجود ولـكن لا تربطه صلة بالعالم الأرضى ولا يشغل باله من أمره شىء ولا يحتل فى ذهنه أية مكانة . وهذا الموقف الأخير هو الذى ركن إليه ارسطو كما شاهدناه فى كلامه عن صفات الإله .

ولو قمنا باستعراض هـذه الفـكرة — فـكرة الإله — لدى الفلاسفة جميعا لانتهينا إلى النتيجة التى أعلناها من قبل والتى قلنا فيها إن الإنسان قد عكس خيالاته وأسقط أحلامه وأمانيه على النحو الذى اعتقدناه حسب ميولنا الفلسفية واتجاهاتنا الدينية . والإنسان معذور بطبيعة الحال عنـدما يفعل ذلك ويقدم على عمله بالشكل الذى وصفناه . ويمكن أن نضع سببين معقولين لحدوث هذه الظاهرة فى تاريخ الفكر .

أعتقد بأنه لاحيلة للانسان — أولا — بإزاء الصفات التى ينسبها إلى الإله مادام لا يملك غير هذه الصفات التى توجد بين يديه وتتوفر لديه . إن الصفات والـكيفيات التى يدركها العقل الآدمى معروفة ومنتهية ولا يمكن الخروج عن نطاقها وابتكار سـواها مما لا تعرفه الحواس ولا تتصـوره العقول . إذا شرعتَ مثلا فى عدّ ألوان الأشياء وأحجامها وهيئاتها فلن تستمر طويلا بل سريعا ما سوف تحس بأنك قد انتهيت من الحسابات والتقدير . وإذا أردت أن تُعمِل عقلك فى مسألة ما أو شئت أن تخضع لتفكيرك أمراً من الأمور فلن تزيد — إذا اهتممت بوصفه — حرفا واحدا على هذه الـكيفيات والشيات .

أما السبب الثانى فى حدوث هذه الظاهرة فأحسبه ناشئاً عن طبيعتنا نحن البشر فى صبغ كل شىء بميولنا ، وعجزنا عن التخلص من أهوائنا ، وعدم قدرتنا على التفـكير تفكيراً بريئاً من دوافعنا الباطنية مستقلا عن شخصياتنا . إن الأشياء فى ذواتها لا وجود لها قط فى حياة الإنسان ، والمعرفة الموضوعية التى تتعلق بالأشياء الخارجية لم تعرف الحياة يوما من الأيام ، ومهما تحدث العلماء عن علم نقى خال من آثار الإنسان وأهواء البشر فلن يجدى شىء من هذا الادعاء فى تخفيف أو محو ماتلقيه الذاتية من ظلال على معامل التجربة ، وسوف تبقى نتائج الطبيعة خاضعة للمزاج والإرادة إلى أقصى درجة .

فهناك حدث لا شك فيـه وهو أننا نعتمد على أنفسنا اعتماداً كبيراً فى استقائنا المعلومات عن العالم الخارجى وتصورنا للأشياء التى لا تدخـل فى نطاق التجارب العادية بالنسبة إلى الإنسان . ومن ثم وجب أن نصطبغ كل مادة لتفـكيرنا ، وكل موضوع لأعمالنا ، بقوانا الذهنية فى التخيل والإدراك وبنوازعنا النفسية فى الهوى والجنوح . أو قل أنه مامن شىء من الأشياء يستطيع أن يتقرر فى الذهن وأن يتحقق فى دائرة معارف الإنسان من غير أن يمر بالنفس التى تمـده الإعداد الـكافى وتنقحه التنقيح الواجب . ولا تغررنّك ادعاءات الرجال الذين يشتغلون بالعلم فى هـذا الباب لأن أقوالهم لا تصدق ولا تستحق الاحترام إلا من جهة واحدة حينما ننظر إليها على أنها ضرب من الحلم أو التمنى البرىء .

وكذلك الأمر فى مسألة الإله ؛ فنحن حيارى وسط مظاهر الحياة وبين جدوان الطبيعة التى تظلنا من كل جانب ، ونبدو أمام أنفسنا كالتائهين الذين يتطلعون إلى السحب القاتمة عسى أن تبرق ، وإلى الآفاق المدلهمة عسى أن تفىء . ومهما تبدت لنـا دلائل الإعجاز من حولنا أو تكشفت لأعيننا حقائق الباطن المستور فإننا لا نكاد نخلص من الحيرة ولا ننتهى من الشك ولا نقف عند حدّ

من حدود الإرجاف والتخمين . وذلك لرغبتنا فى برهان من الواقع المحسوس وميلنا إلى الوقوف على كل ما يمكن أن يكون هنالك سافراً مفضوحا . ولكن الحقيقة لا تتكشف والباطن لا يبين والقلق لا ينتهى ... فلنفكر إذاً ولنُعمِل عقولنا ولنوجد نحن المشكلة ولنضعها فى الصحائف والكتب على النحو الذى نريد .

وهكذا انتهينا إلى تصور الله وتخيله ، وشبهناه وقربناه ، فكانت آراؤنا من قبيل الأمنية ، وكانت أفكارنا ضرباً من الأحلام ، ولا يستطيع واحد من الناس أن يزعم أن الإله الذى قدره هو نفسه الإله المشرف على نظام الكون والمدبر لأمور الناس . ولا يملك واحد من الناس القدرة على إثبات التطابق بين الإله الذى وصفه والإله الموجود وجوداً فعلياً . فالله هو الله ؛ أما آلهتنا التى نصفها فهى من قبيل المحاولات التى يجوز أن تتجه اتجاها صحيحاً ، ويجوز فى الوقت نفسه ألا يكون لها أى سند من الواقع أو أى تقريب معقول .

فالآلهة التى نتحدث عنها والتى نصف أفعالها إنما هى صدى لحياتنا العملية بما فيها من نقص واضطراب . فالله يشفى المرض لأننا نمرض ، ولولم يكن المرض من لوازم حياتنا المعيشية لما تصورنا الله قادراً على شفاء الناس من الأمراض . والله هو السبب فى المكاسب والخيرات ، وهو الذى يهدى الناس إلى سبيلهم ويطعمهم ويسقيهم . وبعبارة موجزة : يأتى الله كل الأعمال الوظيفية التى لا تعدو أن تكون ضمن المطالب العادية . وكلما فكرنا فى الله وصفاته لم نستطع أن نخرج به عن هذا الحيز الضيق وعن هذا النطاق المحصور ، لماذا ؟ لأن الأرض مسرح لها ولأن حياة الناس ملأى بهذه الأشياء التى ترضيهم أحياناً وتسوءهم أكثر الأحيان .

فالله الذى نعترف به ونقر بوجوده ونسلم بسلطانه أسير حياتنا الدنيوية ويمكن وصفه بأنه إله إنسانى — إن صح هذا التعبير — مرَّ بالعقول قبل أن تؤمن به الصدور ، وامتحنه الخيال قبل أن تسلم به الروح ، واستأثرت به المصلحة قبل أن ينفذ إلى عالم الضمائر . ولذلك نستطيع أن نجد فيه مشكلتنا نحن أنفسنا لا مشكلة الله ، ونستطيع أن نلمس فيه ضعفنا بارزاً وأن نجد عنده آلامنا واضحة وأن نصادف على وجهه مسحة الهم البشرى .

قال سارتر عندما كتب عن قصة ضياء أغسطس لفولكنيه : « تصير القصص الجيدة — من بُعيد قليل — شبيهة تماما بالظاهرات الطبيعية . إننا ننسى أن لها مؤلفاً وننظر إليها نظرتنا إلى الأحجار والأشجار لأنها هنالك ، ولأنها موجودة . » ونستطيع أن نقول عن الذين يتحدثون عن صفات الله إن كلامهم يصير بمضى الزمن حقيقة راسخة فى نفوسنا وننظر إلى أحكامهم على أنها أمور مقطوع بها وننسى غالباً هؤلاء الذين صدرت عنهم وبدرت منهم فى ظرف من الظروف . والغريب فى هذه المسألة هو أننا نأخذ كلامهم مأخذ الجد ونخضع أنظارهم للبحث والنقد ونجعل منها بعد حين موضوعا للجدل والنقاش . هذا مع أننا نستطيع من أول الأمر أن نريح أنفسنا بأن نفرق بين أهوائنا وبين الوقائع الصحيحة ، وبين ما نريده نحن وبين ما هو حاصل بالفعل .

فالإنسان لا يملك إلا أن يفكر وأن يقدح ذهنه فى مسائل الكون التى تشغل باله وتقلل من راحته وهدوئه . وهذا طبيعى ومقبول منه إذا لم يأت بعد ذلك ليصف لنا أشياء ، لم يطلع عليها ولم تتكشف له ، وصف المشاهد الخبير . وحتى هذا العمل الوصفى معقول ومقبول ، على ألا يأتى بعد ذلك إنسان فيتحدث عنها كما لو كان يتحدث عن الحقائق المقررة .

ونعود ثانية لنقول إن الله أرفع شأناً وأسمى مقاما من أن نخضعه لأحكامنا ومن أن يتحدد بأهوائنا ويتوقف شكله على أمورنا المعيشية . وأى وصف نلصقه به وأية كيفية نلحقها بذاته لا تخرج عن كونها تخميناً لا يرتفع إلى درجة اليقين ولا يوثق به الوثوق الكامل . أما إذا أخذنا مسألة الصفات على حقيقتها ونظرنا فيها على أنها مشكلتنا نحن البشر فأغلب الظن أننا سنبلغ أمراً على قدر كبير من الأهمية من ناحية التحليل الخاص بالعواطف الإنسانية والتسجيل الدقيق لخواطر الناس والإحساسات التى تعم بنى آدم فوق الأرض . وذلك لأننا أقرب إلى أنفسنا عندما نتحدث عن الله منا إلى الله ، وأشد ارتباطا بقلوبنا وأوضاعنا فى تلك الآونة منا إلى ملكوت السماء ، وأكثر حباً لمصالحنا وأهوائنا منا لهدى الله ورضوانه .

أيها الإنسان ! ثب لرشدك وعد إلى نفسك وانفض غبار النفاق عن جبينك لتعلم أن الرب أعظم من أن يلحقه وصف ، وأرفع من أن تبلغه كيفية ، وأسمى من أن يلابس المقادير وماجريات الأمور على أرض دنستها برياثك ، ووسدتها بلحم آبائك .

عبد الفتاح الديدى

أهل العلم والحكم

في ريف فلسطين

للأستاذ أحمد سامح الخالدى

(تتمة)

وقد بنى على هذا الدير الملك المعظم عيسى بن الملك العادل الايذى قلعة حصينة وأنفق عليها الأموال الجمة وأحكمها غاية الأحكام . فلما كان فى سنة ٦١٥ هـ وخرج الإفرنج من وراء البحر طالبين للبيت المقدس أمر بخرابها حتى تركها كأمس الدابر والتحق (سور) البيت المقدس بها فى الخراب فهما إلى هذه الغاية خراب (القرن السابع) . معجم البلدان (ج ٦ — ٦٧) .

وهناك طوران آخران أولهما الجبل المشرف على نابلس ولهذا يحجه السامرة . والثانى طور زيتا أو « جبل الزيتون » وهو مشرف على المسجد الأقصى ، وبينهما وادى جهنم ، وفيه صلى عمر بن الخطاب . وفى الأنس الجليل ج ١ — ٢٥٨ أن أم الخير رابعة بنت اسماعيل العدوية البصرية[1] الصالحة المشهورة (من أعيان عصرها فى القرن الثانى) وقبرها على رأس جبل طور زيتا شرقي البيت المقدس ، بجوار مصعد موسى عليه السلام ، وهو فى زاوية ينزل إليها من درج .

ويقول فى ج ٢ — ٤١٠ عن أبى هريرة : أقسم ربنا بالتين والزيتون ، والزيتون طور زيتا . والتين مسجد دمشق . وعن صفية زوج الرسول أنها قدمت القدس فصلت به ، وصعدت إلى طور زيتا وصلت وقامت على طرف الجبل وقالت « من ها هنا يتفرق الناس يوم القيامة إلى الجنة وإلى النار » ومن هـذا الجبل صعد عيسى عليه السلام ، وعلى رأسه كنيسة من بناء هيلانة فى وسطها قبة . ولما فتح صلاح الدين القدس سنة (٥٨٣ هـ) وقف أرض طور زيتا على الوالى الصالح ولى الدين أبى العباس أحمد الهكارى ، وعلى الإمام الزاهد أبى الحسن الهكارى ، سوية بينهما وعلى ذريتهما ، وقبر مريم عليها السلام فى كنيسة فى داخل جبل الطور تسمى الجيسمانية وهو مكان مشهور مقصود للزيارة من المسلمين والنصارى والكنيسة من بناء هيلانة أم قسطنطين .

أما الوديان والعيون فيذكر منها وادى النمل بين بيت جبرين وعسقلان ، ولا يذكر وادى النسور وهو بظاهر القدس من جهة الغرب يسير فيه الآن القطار الصاعد من الرملة إلى القدس وقد دفن فيه القطب الكبير بدر الدين ابن محمد من أولاد سيدنا على ابن أبى طالب توفى (٦٠٥ هـ) وأولاده (بشرفات) وكانت تعرف « بشفرات » فلما انتقـل إليها الأشراف أولاد أبى الوفا غيروا اسمها .

وقد ذكر من العيون ، عين البقر وهى قرب عكا ، يزورها المسلمون والنصارى واليهود ، وعليها مشهد ينسب إلى على ابن أبى طالب (معجم البلدان ٦ — ٢٥٣) .

وعين الجالوت ، وهى بليدة لطيفة بين بيسان ونابلس استولى عليها الصليبيون ، واستنقذها منهم صلاح الدين سنة (٥٧٩ هـ) معجم ٦ — ٢٦٤ . ولم يذكر ياقوت أن التتار هزموا بها ، لأن الموقعة كانت بعد وفاته . أما عين سلوان فهى فى ربض بيت المقدس تحتها عين عذبة تسقى جناناً عظيمة وقفها عثمان بن عفان على ضعفاء البلد (المجذومين) .

(ولا يزال منهم نفر بها) .

أما الحصـون والقلاع فيذكر منها « الجيب » ويقول هى حصنان يقال لهما الجيب الفوقانى والجيب التحتانى بين بيت المقدس ونابلس وهما متقاربان (معجم البلدان ٣ — ١٨٦) وتقع الجيب إلى عين السالك من رام الله إلى القدس .

ومنها حصن العنب ، وهو من أرض بيت المقدس واسمه الآن قرية « العنب » أو « أبو غوش » وأبو غوش هى عائلة إقطاعية تسكن هـذه القرية ، وكانت فى العهد العثمانى تجبى من زوار بيت المقدس جعـلا مقابل خفر الطريق ، وفيها عين ماء ذكرها الرحالة ناصر خسروى الذى زار بيت المقدس فى سنة (٤٣٨ هـ) وفيها أكثر من دير .

ويذكر حيفا فيقول إنها حصن على ساحل بحر الشام قرب يافا ، لم يزل بأيدى المسلمين إلى أن تغلب عليه كندفرى الذى ملك بيت المقدس سنة (٤٩٤ هـ) وبقى فى أيديهم إلى أن فتحه

(١) وفى قول أنها دفنت بالبصرة

صلاح الدين سنة (٥٧٣ هـ) وخربه .

وفى تاريخ دمشق ذكر لإبرهيم بن محمد بن عبد الرازق أبو طاهر الحافظ الحيفى من أهل قصر (حيفة) سمع بأطرابلس (طرابلس) وحدث بصور سنة (٤٨٦ هـ) . (معجم البلدان ج ٣ — ص ٣٨٢) . ثم يقول تحت اسم « قصر حيفا » موضع بين حيفا وقيسارية ينسب إليه أبو محمد عبد الله القيسرانى القصرى سكن حلب وكان مفتيها . تفقه بالعراق بالمدرسة النظامية (أسسها نظام الملك سنة ٥٩ . هـ) على أبى الحسن الهراس ، وأبى بكر الشباشى الخ وارتحل إلى دمشق وعمل بها حلقة المناظرة وانتقل إلى حلب فبنى له ابن العجمى بها مدرسة درس بها إلى أن مات سنة (٥٤٤ هـ ؟) . (معجم البلدان ٧ — ١٠٠) .

ويطلق ياقوت على « قصر حيفه » بالهاء ، وأنا أحسبه المذكور قبله أى حيفا فيعتبرهما مكاناً واحداً .

ومن الحصون الأخرى الخروبة وهو بسواحل بحر الشام مشرف على عكا ، وقد جاء ذكره أكثر من مرة فى حروب صلاح الدين للصليبيين حول عكا . ومنها الداروم ، قال ابن الكلبى قال الشرقى نزل بنو حام مجرى الجنوب والدبور ويقال لتلك الناحية الداروم ، فجعل الله فيهم السواد والأدمة ، وأعمر بلادهم وسماءهم وجرت الشمس والنجوم من فوقهم ورفع عنهم الطاعون ، والداروم قلعة بعد غزة للقاصد إلى مصر والواقف فيها يرى البحر إلا أن بينها وبين البحر مقدار فرسخ وقد خربها صلاح الدين لما ملك الساحل سنة ٥٨٤ هـ وينسب إليها الخمر . قال اسماعيل بن يسار :

يا ربع رامة بالعلياء من ريم	هل ترجعن إذا حييت تسليمى
مابال حى غدت بزل المطى بهم	تحدى لفرقتهم سيراً بتقحيم
كأننى يوم ساروا شارب ثملت	فؤاده قهوة من خمر داروم
إنى وجدك ما عودى بذى خور	

عند الحفاظ ولا حوضى بمهدوم

وغزاها المسلمون فى سنة ثلاث عشرة وملكوها فقال زياد بن حنظلة .

ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها	شد الخيول على جموع الروم
يضربن سيدهم ولم يمهلهم	وقتلن فلهم إلى داروم

ويقال لها الدارون أيضاً ، وينسب إليها على هذا اللفظ ابو بكر الداروني روى عن عبد العزيز المطار عن شقيق البلخى روى عنه أبو بكر الدينورى بالبيت المقدس سنة (٣٠٨ هـ) . (معجم البلدان ٤ — ١٣) .

ومن الحصون السحيلة وهو اسم قلعة حصينة قبلى بيت المقدس والطرون (اللطرون) وهو حصن بين بيت المقدس والرملة ، فتحه صلاح الدين سنة (٥٨٣ هـ) ، وفيه عين ماء ، وهو قرب باب الواد ويعتبر من الحصون المسيطرة على طريق يافا ببيت المقدس . ومن الحصون الشهيرة عثليت « عتليث » وهو فى سواحل الشام (جنوبى حيفا) ويعرف بالحصن الأحمر ، فتحه صلاح الدين سنة ٥٨٣ هـ (معجم البلدان ٦ — ١٢٢) .

ومنها أيضاً عفراء ، وهو حصن قرب بيت المقدس ويعتبر ياقوت « المفولة » بلده ويقول أنها بفلسطين من نواحى فلسطين (معجم البلدان ٦ — ٤٠٥) أما الأنس الجليل فيقول أنها كانت من أحسن الحصون ، وفيها من العدد والأموال الشئ الكثير ، وأن الأفرنج كانوا يتجمعون بها . وفتحها صلاح الدين سنة ٥٨٣ هـ (الأنس الجليل ج ١ — ٢٨٨)

ومن الحصون فى الساحل بين حيفا ويافا ، « قاقون » ويقول عنه ياقوت أنه قرب الرملة ، وقيل أنه من عمل قيسارية ، ومنها أبو القاسم القاقونى أمام مسجد الجامع بقيسارية روى عنه سلامة الجدلى ، ومنها شبل أبو القاسم الصوبنى القاقونى سمع بدمشق وروى عنه أبو الفتيان الدهشانى . (معجم البلدان ٧ — ٤١٦)

وكانت قاقون على طريق القوافل الواردة من الجنوب مارة بالرملة ، فجلجولية ، فقلنسوة فقاقون ، فاللجون فرج بنى عامر فبيسان فدمشق ، أو من اللجون جنوبا . وقد جاء ذكرها فى حملة نابليون فى أواخر القرن الثامن عشر .

وإلى الجنوب من قاقون (قلنسوة) وقد ذكرها ياقوت وقال عنها أنها حصن قرب الرملة وقد قتل بها عاصم بن أبى بكر بن عبد العزيز بن مروان ، وعمر بن أبى بكر وعبد الملك وأبان ومسلمة بنو عاصم وعمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان ويزيد ومروان وأبان وعبد العزيز والأصبغ بنو عمرو بن سهيل بن عبد العزيز ، حملوا من مصر إلى هذا الموضع وقتلوا فيه مع غيرهم من بنى أمية

(معجم البلدان ٧ — ١٥٢) .

ومن الحصون ، (كِرمل) ، وهو حصن على الجبل المشرف على حيفا ، وكان قديماً فى الإسلام يعرف بمسجد سعد الدولة . وكِرْمل قرية فى آخر حدود الجليل من ناحية فلسطين (معجم البلدان ج ٧ — ٢٤٤) والكرمل هو اسم الجبل الذى بنى عليه الحصن .

ومن القلاع التى اشتهرت فى الحروب الصليبية قلعة «كوكب» وهى على الجبل المطل على مدينة طبرية . ويقول ياقوت أنها حصينة رصينة تشرف على الأردن افتتحها صلاح الدين فيما افتتحه من البلاد ثم خربت بعد ذلك .

وقد جاء ذكرها فى الأنس الجليل (١ — ٣١٦) وقال إن السلطان صلاح الدين حاصرها سنة ٥٨٤ وقاتل أهلها أشد حصار وهدم غالب بنائها وملكها وعرض القلعة على جماعته فلم يقبلوها فولاها قايماز النجمى على كره منه ..

* * *

أما المواقع فأشهرها أجنادين[1] وحطين، وقد ذكرهما ياقوت فقال عن الأولى (أجنادَين) وقد تكسر الدال وتفتح النون بلفظ الجمع ، وأكثر أصحاب الحديث يقولون أنه بلفظ التثنية ، ومن المحصلين من يقوله بلفظ الجمع ، وهو موضع معروف بالشام من نواحى فلسطين . وفى كتاب أبى حذيفة المبدرى أن أجنادين من الرملة من كورة بيت جبرين كانت به وقعة بين المسلمين والروم مشهورة ... وقالت العلماء بأخبار الفتوح شهد يوم أجنادين مائة ألف من الروم سرب هرقل أكثرهم وتجمع الباقى من النواحى وهرقل يومئذ بحمص فقاتلوا المسلمين قتالا شديداً

(١) هى الآن خربتان بالقرب من الرملة تعرفان بخربة الجنابة الفوقا والتحتا وقد يثنيهما الفلاحون فيقولون «الجنابتين» وهما بين زكريا وبيت جبرين .

ومن المواقع الحربية الأخرى موقعة (عربة) أوقع بها أبو أمامة الباهلى بالروم وكانت به وقعة للمسلمين مع الروم أول الفتح) :

— قال أبو سفيان الأكلبى

أبونا رسول الله وابن خليله بعربه بوانا فنعم المركب
أبونا الذى لم تركب الخيل قبله ولم يدر شيخ قبله كيف يركب

وقال أسد بن الجاحل :

وعربة أرض جد فى الشر أهلها كما جد فى شرب النقاخ ظماء

(ياقوت ٦ — ١٣٨) . ووقعة الطواحين بين خارويه بن والمعتضد سنة ٢٧١ هـ ، وهى قرب الرملة .

ثم هزموا وتفرقوا وقتل المسلمين منها خلقاً واستشهد من المسلمين عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وعكرمة ابن أبي جهل والحارث بن هشام[1] . وأبلى خالد بن الوليد يومئذ بلاء مشهوراً وانتهى خبر الواقعة إلى هرقل فهرب من حمص إلى إنطاكية وكانت سنة ثلاث عشرة قبل وفاة أبى بكر بنحو شهر فقال زياد بن حنظلة :

ونحن تركنا أرطبون مطرداً إلى المسجد الأقصى وفيه حسور
عشية أجنادين لما تتابعوا وقامت عليهم بالعراء نسور
عطفنا له تحت العجاج بطعنة لها نشج نائى الشهيق غزير
فطمنا به الروم العريضة بعده عن الشام أدنى ما هناك شطير
فولت جموع الروم تتبع إثره تكاد من الذعر الشديد تطير
وغودر صرعى فى المكر كثيرة وعاد إليه الفل وهو حسير

وقال كثير بن عبد الرحمن :

إلى خير أحياء البرية كلها لذى رُحم أو خلة متأسن
له عهد ود لم يكدر بريبة وقوال معروف حديث ومزمن
وليس أمرؤ من لم ينل ذاك كامرئ
بدا نصحه فاستوحب الرفد محسن
فإن لم تكن بالشام دارى مقيمة فإن بأجنادين كنى ومسكنى
منازل صدق لم تغير رسومها وأخرى بميافارقين فموزن

(معجم البلدان ج ١ — ١٢٦) .

وأما «حطين» فكانت فيها الوقعة الفاصلة بين صلاح الدين والأفرنج سنة (٥٨٣ هـ) وهى قرية بين طبرية وعكا ، بالقرب منها قرية يقال خيارة ، وذكر الحافظان أن حطين بين أرسوف وقيسارية ، وهو غير الذى عند طبرية وإلا فهو غلط منهما .

ونسب الحافظان إليها أبا محمد هياج الحطينى الزاهد نزيل مكة سمع من كثيرين منهم أبا أحمد القيسرانى . وسمع منه جماعة من الحفاظ منهم محمد بن طاهر المقدسى وأبو القاسم هبة الله الشيرازى

(١) فى مثير الغرام أن الصحابة الذين استشهدوا بأجنادين منهم ، أبان بن سعيد بن العاص ، والحجاج بن الحارث ، وخالد بن سعيد بن العاص وحصين بن عمر التيمى ، ونعيم بن عبد الله النجام ، وهبار بن سفيان المخزومى ، وسلمة بن هشام المخزومى ، وطليب بن عمير ، وعبد الله بن العدوى ، وعبد الله بن الأقرم ، وعبد الله بن عمرو الدوسى ، وعبيد الله ابن سفيان ، وأبو عبيدة بن عمارة المخزومى وهشام بن العاص .

كما نسب إليها جعفر محمد بن أبي على الحطيني وغيرهم وكان زاهداً فقيهاً مدرساً يفطر كل ثلاثة أيام ويعتمر كل يوم ثلاث عُمر، ويلقى على المستفيدين عدة دروس، ولم يدخر شيئاً. وكان يزور رسول الله كل سنة حافياً، ويزور ابن عباس بالطائف، واستشهد فى مكة فى وقعة وقعت بين أهل السنة والشيعة، فحمله أميرها محمد بن أبى هاشم فضربه ضربا شديداً على كبر السن ثم حمل إلى منزله فعاش بعد الضرب أياماً ثم مات سنة (٤٧٢ هـ) (معجم البلدان ٣ — ٢٩٨). (وشذرات الذهب ٣ — ٣٤٢)

وقد وصف لنا ياقوت بعض مواقع فى فلسطين منها النواقير، والغور، والجمارة. أما النواقير وهى معروفة الآن بالناقورة[1] فقرجة فى جبل بين عكة وصور على ساحل بحر الشام. قيل إن الإسكندر أراد السير على طريق الساحل إلى مصر ومنها إلى العراق فقيل له إن هـذا الجبل يحول بينك وبين الساحل فنقر ذلك الجبل وأصلح الطريق فيه فلذلك سمى بالنواقير. (معجم البلدان ٨ — ٤٢٠)

وقال عن الغور إنه منخفض عن أرض دمشق والبيت المقدس وفيه نهر الأردن وبلاد وقرى كثيرة وعلى طرفه طبرية وبحيرتها ومنها مأخذ مياهها. وأشهر بلاده بيسان بعد طبرية وهو وخيم شديد الحر، غير طيب الماء، وأكثر ما يزرع فيه قصب السكر. ومن قراه أريحا، وفى طرفه الغربى «الجنوبى» البحيرة المنتنة وفى طرفه الشرقى «الشمالى» بحيرة طبرية (معجم البلدان ٦ — ٣١٢).

ويصف لنا ياقوت الريف الفلسطينى بين رفح وغزة فيقول إن بينهما ثمانية عشر ميلا. وعلى ثلاثة من رفح من جنب غزة شجر جميز مصطف من جانبى الطريق عن اليمين والشمال نحو ألف شجرة متصلة أغصان بعضها ببعض مسيرة نحو ميلين، وهناك منقطع رمل الجفار ويقع المسافرون فى الجلَد. وما زال المسافر بين غزة وخان يونس يرى أشجار الجميز الباسقة هذه.

أما الجفار وهى ما يعرف بالنجب الآن (أو قضاء بئر السبع بالاصطلاح الإدارى) فهى بين فلسطين ومصر أولها رفح من جهة الشام وآخرها الخشبى متصلة برمال تيه بنى إسرائيل وكلها رمال سائلة بيض فى غربيها منعطف نحو الشمال بحر الشام وفى شرقيها منعطف نحو الجنوب بحر القلزم (البحر الأحمر) وسميت الجفار لكثرة الجفار بأرضها ولا شرب لسكانها إلا منها رأيتها مراراً. ويزعمون أنها كانت كورة جليلة فى أيام الفراعنة إلى المئة الرابعة من الهجرة، فيها قرى ومزارع، أما الآن ففيها نخل كثير ورطب طيب جيـد وهو ملك لقوم متفرقين فى قرى مصر يأتونه فى أيام لقاحه فيلقحونه، وأيام أدراكه فيجتنونه، وينزلون بينه بأهليهم فى بيوت من سعف النخل والحلفاء. وفى الجادة السابلة إلى مصر عدة مواضع عامرة يسكنها قوم من السوقة للمعيشة على القوافل وهى «رفح والقس والزعفا والعريش والورادة وقطية» فى كل موضع من هـذه المواضع عدة دكاكين يشترى منها كل ما يحتاج المسافر إليه ...

قال أبو الحسن المهلبي في كتابه الذى ألفه للعزيز وكان موته سنة (٣٨٦ هـ) «وأعيان مدن الجفار العريش ورفح والورادة، والنخل فى جميع الجفار كثير وكذلك الكروم وشجر الرمان، وأهلها بادية متحضرون ولجميعهم فى ظواهر مدنهم أجنة وأملاك وأخصاص فيها كثير منهم، يزرعون فى الرمل زرعاً ضعيفاً يؤدون فيه العشر، وكذلك يؤخذ من ثمارهم.

ويقطع فى وقت من السـنة إلى بلدهم من بحر الروم طير من السلوى يسمونه المُرغ «الفر» يصيدون منه ماشاء الله يأكلونه طريا ويقتنونه مملوحا. ويقطع أيضاً إليهم من بلد الروم على البحر فى وقت من السنة جارح كثير فيصيدون منه الشواهين والصقور والبواشق، وقلما يقدرون على البازى. وليس لصقورهم وشواهينهم من الفراهة ما لبواشقهم ...

وليس يحتاجون لكثرة أجنتهم إلى الحراس لأنه لا يقـدر أحد منهم أن يعدو على أحـد، لأن الرجل منهم إذا أنكر شيئاً من حال جنانه نظر إلى الوطء فى الرمل، ثم قفا ذلك إلى مسيرة يوم ويومين حتى يلحق من سرقه. وذكر بعضهم أنهم يعرفون أثر وطء الشباب من الشيخ والأبيض من الأسود والمرأة من الرجل والعاتق من الثيب؛ فإن كان هذا حقاً فهو من أعجب العجائب. (معجم البلدان ٣ — ١١٣).

أحمد سامح الخالدى

(١) هى جبل رمال طبشيرى جيرى، مشرف على البحر، كانت تجتازه الدواب بكل مشقة، إلى أن فتحت جيوش الحلفاء طريقاً معبداً فيه فى الحرب الأولى. وأصبحت النواقير فيما بعد الحد الفاصل بين لبنان وفلسطين

من فلسفة الحياة:

«لذة» الألم !..

قليلون جداً أولئك الذين يجدون فى الألم لذة وفى الشقاء متعة ... لأن الناس اعتادوا أن يملأوا قلوبهم سروراً ونفوسهم مرحاً بما راق لهم من وسائل اللهو والعبث أو المال والبنين ! !

أما أن يكون فى الألم « متعة » وفى الشقاء « لذة » ... فذلك مالم يعهدوه ، وذلك مالم تدركه أو يبلغه تفكيرهم

كنت أرى جمال العالم وأحس بروعة الوجود وإبداع الخالق خلال القطرات التى تذرفها عيناى ... وكنت أجد نفسى فى أمتع ساعاتها وأروع لحظاتها يوم يفعم قلبى ألماً وتملأ نفسى تعاسة ، فينطلق لسانى من معقله ويفك قلمى من قيوده ، ويبدآن يتعاونان : قلم ولسان ... ولسان وقلم .. فأصنع فى ساعة الألم أضعاف ما أصنع فى أجمل ساعات السرور !

كنت أبحث عن الألم فى كل مكان ... وهو منى جد قريب ، فى نفسى ، فى مأكلى ومشربى ، فى ملبسى ومسكنى ، فى فؤادى وأحاسيسى ومشاعرى ... ولكنى كنت لا أكتفى بذلك وإنما أطمع دوماً فى مزيد ... فأروح أبحث عنه فى كل زاوية .. وفى كل ركن ... وفى كل مكان !

حقاً لقد كان الألم ضالتى المنشودة .. وكانت الدموع مناى ، فلم أكن أطيق عنهما صبراً حتى أصبحا زميلين لى رفيقين لأحاسيسى ومشاعرى !

كنت إذا ما رأيت « مشهداً » يبعث على الألم والحسرة نقمت على «البشرية» الجشعة المتغطرسة المتمثلة فى هؤلاء «السادة» الذين يمتصون الدماء ويحيلون عرق الكادحين إلى ذهب يعبثون به على « الموائد الخضر » والليالى الحمر ... وابتناء مابدا لهم من الحدائق والقصور ... ثم أرثى لحال « البشرية » — البشرية التعسة المعذبة المتمثلة فى هؤلاء الأبرياء الذين يفنون أنفسهم فى سبيل المجتمع ويحيلون دماءهم حجارة يؤسسون بها صرح الأمة ثم لا ينالون أخيراً ... بعض ما يستحقون !

أحب الألم يا صاحبى ... حب الجبان للحياة ... والأنانى لنفسه ... ولكنك لن ترانى يوماً أتألم ، فذلك سر خفى بينى وبين نفسى ... وإنما سترانى دائماً وأبداً ضاحكا مسروراً ، مرحاً مبتهجاً بالحياة ... لا تفارق الابتسامة شفتى ... وإنما تستردد حنجرتى ضحكاتى الرنانة المعهودة !

ما أعظم الألم ... وأمتعه !

وما أقل من يدرك قيمته — قيمته الحقة التى تزكى النفس وتطهر الروح من أدران الإثم والأنانية والجشع والأطماع ثم تضفى على الباحث عنه — عن الألم — ثوب ملاك طاهر ومسوح نبى كريم !

ليتنى أتألم دائماً ... ليرتبط قلبى بالمجموع ... ويتصل بالوجود بأواصر الرحمة القوية ورباط الحنان المتين ...

بذلك أكون على اتصال دائم بالإنسانية المعذبة وأبنائها الأشقياء ... وبذلك نكون شركاء فى السراء والضراء .. حتى يحب أحدنا لأخيه ما يحب لنفسه ...

ابن الشمراء

نهاية شاعر

للأستاذ إبراهيم الوائلي

سـل الشاطئ الوسنان والطـير والزهرا
أحقاً فقـدتِ اللحن والعطر والخمرا ؟

أحقاً ثوى فى نشوة الحـلم شاعر   على النيل كم غنى وكم رتل الشعرا ؟
أحقاً هوى من ذروة الأيك صادح   وكانت به الأفنان حالمة سكرى ؟

سـل الشاطئ الوسنان والموج ضاحك
تداعبـه الأنسام ناعمـة المسرى

وليلَ الندامى والكئوس وكرمة   معرّشة الأطراف والواحة الخضرا
وعُرساً جلته الفاتنات وزوّقت   مواكبه الدنيا فتاهت به كبرا
وشهباً أطلت تسكب النور فوقه   وتنثر من أكمامها الماس والدرا
وطيراً كأحلام العذارى تلاقفت   وما اتخـذت إلا رفرفه وكرا
وغيـداً ثقال الخطو زهواً وفتنة   ودنيا من الآمال تستقبل البشرى :
أحقاً تثـور العاصفات فتنطفى   شموع ولم تبلغ طلائعها الفجرا ؟
فيا لك عرساً مرّ كالطيف مسرعاً   وغاب عن الآفاق إلا رؤى الذكرى
طوته أعاصير الخطوب وأصحرت   به وهو لمّا يمسح الطل والعطرا
سل الشاطئ الوسنان أولا تخله   وأحـلامه والذكريات وما مرّا
فقـد يرجع الملاح نشوان باسماً   وقد ودع الأمواج والتيه والبحرا
مُنًى ... يا لها نكباء جنّ جنونها   فهبت على النوتى محمومة كدْرا
وأهوت على القلع المهوّم فانطوى   من الأفق والمجداف قد شارف الدبرا
ولم تدر أن الزورق السمح مثقل   بآمال قلب جازت المدّ والحصرا !

* * *

عروش القوافى غام ليلك وامّحت   مساحب أذيال وربع الهوى ذعرا
وقد أصبح الريحان حولك ذاوياً   ينوح أخاه الآس والزنبق النضرا
وغاب « علىٌّ » والنشيد وشعلة   من الفكر فى ظلماء قد سميت قبرا
وعاد الخيـال العبقرى قصيدة   من الصمت تستوحى المجاهل والقفرا
كأن لم يكن بالأمس ترجيع مطرب   ونغمة عود يسحر اللب والفكرا

* * *

علىٌّ . ودنيـا الشعر بعـدك راعها
من الهول أن تستنطق الشـوك والصخرا

دعتك لليـل الحائرين وبأسهم   وللأمل المكلوم والقلة الحسرى
وللعاشقَ اللهفان والشوق عارم   وللقلب يصـلى من تباريحه جمرا
وللأرغن النشوان يستشرف الربى   ويسكب فى أفيائها اللحن والسحرا
وللشرق تدعوه لـكل جـديدة   وللغرب توليـه المجنحة الغُرّا
شـدوت على النيـل الخصيب محلقاً
ولحـت على باريس تصطحب « النسرا »

وطوّفت فى الغرب البعيد فلم تدع   هنالك سهلاً يستجيب ولا وعرا
ورافقت عيـد « الـكرنفال » مهوماً
مع الليـل و « الجندول » قد واكب النهرا
وسامرت « لوجانو » تداعب غيـدها
وغنيت « فينسيا » وشُطآنها الخضرا
وناجيت « كومو » والعرائس تلتقى
عليها تذيع الحب والوصـل والهجرا

وودعتها صديان إلا تعـلة   تسرّى بها عن نفسك الألم المرا
ترانيم توحى الذكريات نشيدها   وتمـرح كالأنسام عابقة نشرا
فقالوا: أديب هام بالغرب واجتوى   ربوعاً غذته الروح والدم والفجرا
وأغرته آفاق وغيـد ونهزة   من العمر لم يبرح بها واجداً مغرى !
وما علموا أن الخيال متى سما   طوى بجناحيه العـوالم والدهرا

* * *

علىٌّ . وهـذا الشعر نجوى تبثها   نفاثات قلب عز أن يجد الصبرا
وجدتك حيناً تبعث اللحن راضياً   فينساب عن ثغر تبسم وافترّا
وآونة تزجيـه حيران غاضباً   وتنفث من أحشائك القطع الحرا
فهل كنت فى الأولى من الدهر بالغاً   مسارب عيش سمحة النبع والمجرى ؟
وهل كنت فى الأخـرى على شرّ مورد
فأوسعت هـذا العالم النظر الشزرا ؟

تمرّست بالضـدين حب ونقمـة   وأىُّ امرئ لا يجمع الخير والشرا ؟
عذرتك إذ تشكو الحياة ضنينة   وتعرض عنها حين تعرض مزورا
وتنسى من التاريخ أحلام شاعر   وتدفن فى الأوهام عيشك والعمرا
وتستقبل الأيام لا بَرِماً بها   فإن ضقت تلقاها بما يلهب الصدرا
فما أنت إلا الشاعر الحر قد أبى   من الدهر مالا يقنع الشاعر الحرا

* * *

علىٌّ . وما أنسى من العمر ليلة[1]   صحبتك فيها باسماً كالندى ثغرا

(١) تفضل الأستاذ الجليل الزيات فعرف أحـد الشاعرين بالآخر فى ندوة الرسالة .

عودة الملاح التائه

بدنيا الفن ما للحزن شاعا   وما للشعر ينفطر التياعا
وما لبحوره غاضت وكانت   تذوب عذوبة وتشفُّ قاعا
وما لليأس يعصف بالقوافى   وما للوحى يرجف ارتياعا
كشكلى روّعت بفراق ابن   عليها أوقف العمر المُضاعا
وفىٍّ للأمومة لا يبالى   أخسراناً جزته أم انتفاعا
مأتم فى مغانى الشعر أو يحى   وأى أسى عرا الوادى وذاعا
سألت فقيل «ملاح الليالى»   تعجل عمره وطوى الشراعا
وعاد لداره تحنو عليه   وتمحو الحزن والملل الوجاعا
إذا عزّ الوفاء فلا دواء   يجنبنا المكائد والنزاعا
سوى الأرض الحنون فكل عان   سينعم حين تأويه اضطجاعا
لقد عرك الحياة بجانبيها   ومارسها انحداراً وارتفاعا
يصيبه الاضطهاد فلا يبالى   ولا يرضى الخنوع أو الخداعا
إذا اعتنق المبادىء لم يخنها   ليمتلك القصور أو الضياعا
توغل فى النفوس فصاغ دراً   وأبدع فى نفائسه ابتداعا
وليس الشعر أوزاناً ولكن   سمواً فى المعانى واختراعا
تسرب فى شعاب الوهم عمراً   وكم من حالم فى الوهم ضاعا
وويح المرء من عبث الأمانى   إذا تبع المعانى واليراعا

آنسة

د . ط . ع

وسامرت فيك الأريحى خلائقا   وصافيتنى الطبع المهذب والبشرا
وودعت - إذ ودعتك - القلب لم يجد   على أحد أو يعرف اللؤم والغدرا
فيا لضريح ضم منك عوالما   ودنيا وآمالا وماجل أن يُطرى
فقدناك لولا الخالدات ولم تكن   سوى روحك الخفاق يسترجع الذكرى

* * *

إليك رياض النيل - والنيل مخصب   يفيض على الشرق اللآلىء والتبرا -
عزاء القوافى الثاكلات وأنها   دموع الفرات الحر قد شاطرت مصرا

القاهرة   ابراهيم الوائلى

مرسى الملاح

زورق حالم أغر   نوره يخطف البصر
بدد العمر فى سفر   تائهاً ما له مقر
فى عباب بغير حد

أسكر البحر والمراء   بالأغانى وبالحداء
واحتوى الظل فى المساء   والشعاعات فى السماء
بجناحين من خيال

ساحر مشرق الصور   إن تغنى وإن شعر
يترك الماء حيث مر   جنة غضة الزهر
لم يطوف بها أحد

سائم كله رجاء   يتبع الموج حيث شاء
لا لغوب ولا عناء   إن تبدت على الفضاء
بارقات من الجمال

ما شجى ربة البحر   فى الزمان الذى غبر
مثله حينما عبر   مائجاً هائج الذكر
يقذف الأفق بالزبد

طاف بالقطب ثم جاء   فى زماع بلا انتهاء
وقدة القيظ والشتاء   حول مجدافه دعاء
يجنح النجم حيث مال

كان لا يرهب الخطر   أو يبالى بما بدر
عندما تسبح الفكر   عندما يرقص الوتر
كل أيامه بدد

أذعن اليوم للمناء   واهتدى ركبه وفاء
عجباً إنه مراء   قاهر البحر والفناء
يسلم الأمر للكلال

آه من صولة القدر   آه من حسرة البشر
النبى الذى ظهر   فجر آياته الكبر
لم يمتع بما وجد

آه من خيبة الرجاء   كل آمالنا هباء
مزهر خالد الغناء   دون أحلامه الوضاء
ترتمى قبضة الزوال

أين يا ربة البحر   أين ملاحك الأغر
أين من سحره بهر   أين أمسى وأين قر
بات فى شاطىء الأبد

محمد محمد على السودانى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

ضريبة الكفاية:

تحدث رئيس الوزراء إلى منـدوب الأهرام في مسألة شغل المناصب الكبرى الخالية فكان مما أفضى به قوله : إن ملء منصب مدير الجامعة الذي خلا بتعيين الدكتور شوقي بك وزيراً للصحة يقلق بالي ... إن الكفايات في البلاد تبدو قليـلة بل نادرة ... وربما كانت الأنظمة القائمة في الدولة لها نصيب من المسئولية عن هذه الحال ، فالمرتبات المقررة للمناصب الرئيسـية المماثلة لمنصب مدير الجامعة لا تغري الكفايات بقبول شغلها ولا بالبقاء إلى النهاية فيها .

أثار انتباهي في حديث رفعة الرئيس صراحته في تقصير الدولة نحو ذوي الكفايات من حيث المكافأة المادية التي يستحقونها ، وذكرت بذلك أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية .

يظن كثير من الناس أن هؤلاء الأعضاء يتناولون مرتبات كبيرة تناسب فخامة هذه العضوية ومكانتهم في عالم الأدب والثقافة ولا شك أنهم يدهشون إذا علموا أن عضـو المجمع يأخذ مكافأة شهرية قدرها تسـعة جنيهات وقروش ... يضاف إليها جنيهات يشترط ألا تزيد على خمسة إذا عمل العضو في اللجان المختلفة فوق جلسة المجمع العادية ، واللجان ومكافآتها تكون في أثناء الدورة فقط ... ويعامل نفس المعاملة أستاذ الجيل معالي رئيس المجمع !

ومعاملة أعضـاء مجمع فؤاد الأول على ذلك النحو لا نظير لها فيما تنطوي عليه من غبن . ولسنا بحاجة إلى ذكر مرتبات أعضاء البرلمان فهي معروفة ، ولندع البرلمان وننظر إلى هيئة علمية كجماعة كبار العلماء ، فإن أعضاءها يتناول كل منهم ستين جنيها في الشهر والدولة لا تقصر في إثابة كبار موظفيها على جلسات اللجان المختلفة فهل ذنب أعضاء المجمع أنهم ذوو حياء .. ؟ وهل تنتظر الدولة حتى يؤلفوا من بينهم « رابطة » تقدم مطالبهم وتدافع عن حقوقهم ؟

إنه يطلب من المجمع أن ينجز كثيراً مما بين يديه من المهام ، ولكن لا يبذل للأعضاء الجزاء المادي الذي يوازي هذه المهام ، فكيف ينتجون بالمجان ؟

إن أعضاء مجمع فؤاد الأول اختيروا من ذوي الكفايات في الآداب والعلوم والفنون ، ولكي تجني البلاد ثمرات الكفاية يجب أن تؤدي الدولة ضريبتها .

المرشحون المستقلون ومناهج التعليم:

نشرت جريدة الأهرام أن المرشحين لانتخاب مجلس النواب المستقلين اجتمعوا برياسة الأستاذ عبد الحميد عبدالحق باشا ، ورأوا أن يضعوا لهم برنامجاً كبرامج الأحزاب . وعرض عليهم عبد الحميد باشا البرنامج الذي أعده ليكون عهداً على كل مرشح مستقل إذا ما نجح في الانتخاب ، فوافق الجميع عليـه ، والذي يهمنا من هذا البرنامج هو المادة الثانيـة منه ، ونصها : « جعل التعليم في جميع درجاته بالمجان مع تعـديل البرامج تعديلا يكفي لتخريج شبان مسلحين بالمعرفة الضرورية لاقتحام الحياة الحرة » هذا كلام طيب ، فقد أصبحت مجانيـة التعليم من أماني البلاد في الإصلاح الداخلي ، ولا ينبغي أن يشترى التعليم كما يشترى الكراث والبصل ، كما قال الدكتور طه حسـين . وحسن أيضاً أن تعدل البرامج التعديل المنشود ، ولكن للمادة السابقة من برامج المرشحين المسـتقلين بقية هي : « وأن يضع هذا البرنامج رجال الأعمال لا موظفو وزارة المعارف » .

ومعنى ذلك أن تلغى وزارة المعارف مراقباتها الفنية وتسرح رجالها ، لتفسح المجال لرجال الأعمال من مديري المصانع ورؤساء (الورش) وغيرهم ، كي يضعوا خطة التعليم ، فتنشىء بديوانها « ورشة لتعليم اللغة العربية » ، و « معملا لاستخراج المواد الاجتماعية » و « شركة تدير العلوم الطبيعية » وهكذا .

ولم لا وقد أخفق موظفو المعارف في وضع البرامج الكفيلة بتخريج شبان مسلحين بالمعرفة .. الخ ؟

ولماذا ننتظر حتى يفرغوا من تجاريبهم وحتى تتطور إلى أحسن منها ؟ وعلى ذلك يجب إجلاؤهم عن شؤون التعليم دون مفاوضة .

ولست أدرى لم سكت برنامج المرشحين المستقلين عن الناحية الصحية مثلا . أليست الصحة العامة على غير ما يرام ؟ وكلنا يعلم حال المستشفيات وعدم العناية بالمرضى فيها ، فلم إذن لا يتولى رجال الأعمال هذه الشئون بدلا من الأطباء ؟ !

لا شك فى أنهم يقصدون تغليب الناحية العملية فى التعليم والاستئناس بآراء من مارسوا الأعمال الاقتصادية ، ولكن ليس معنى هذا أن التعليم كله اقتصاديات وصناعات ، وأن يتولى الأمر غير ذويه . ثم أريد أنا أيضاً أن أتدخل فيما لست من أهله ، فأسأل — وما أنا من المشتغلين بالسياسة — كيف يكون المستقلون مستقلين وهم يتجمعون هيئة لها لجنة تنفيذية وبرنامج ؟ أليس هذا شأن الأحزاب ؟ وعلى ذلك نرى حزبا جديداً هو « حزب المستقلين ! »

ليلة من ألف ليلة :

يعمل الآن الأستاذ زكى طليمات فى إخراج مسرحية « ليلة من ألف ليلة » لتمثلها الفرقة المصرية على مسرح الأوبرا الملكية ابتداء من أول ديسمبر الحالى . وهى مسرحية زجلية يتخللها غناء ، فهى من نوع الأوبريت ، كتب حوارها الأستاذ بيرم التونسى . ويرجع أصل هذه الرواية إلى رواية « قسمة » الانجليزية التى ألفها المستر ادوارد كنبلوش ومثلت فى لندن سنة ١٩١٤ . وترجمت بعد ذلك إلى الفرنسية ، ثم ترجمها عن الفرنسية إلى العربية المرحوم خليل مطران باسم « القضاء والقدر » ومثلتها فرقة عكاشة فى مسرح حديقة الأزبكية سنة ١٩٢٠ ، وقام بالدور الأول فيها وهو دور « حسن الشحات » المرحوم محمد بهجت ثم أخرجتها الفرقة المصريه بعد ذلك باسم « حسن الشحات » وقام بالدور الأول حسين رياض .

أما الرواية الزجلية فقد أجرى لها بيرم التونسى اقتباساً جديداً وكتبها بالزجل وأخرجها عزيز عيد ومثل فيها دور حسن الشحات . وأخيراً تناولها الأستاذ زكى طليمات فأضاف إليها قطعاً غنائية مندمجة فى مواقفها وبهذا حولت إلى (أوبريت) وقد وضع ألحانها أحمد صدقى ، وتغنى فيها المطربة شهر زاد (فى دور حسن الشحات) ويغنى كذلك كارم محمود فى أحد الأدوار . أما دور « حسن الشحات » فله قصة من مفاجآتها أن أعلن أن يوسف وهبي سيغنى فيها . فقد عرض عليه أولا أن يقوم بدور حسن الشحات

كشكول الأسبوع

□ انتهت يوم الإثنين الماضى مدة الترشيح لملء الثلاثة الكراسى الخالية بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ، والذين رشحوا هم : واصف غالى باشا ومحمد توفيق دياب بك ومحمود تيمور بك وعبد الحميد العبادى بك وعبد السلام الكردانى بك والدكاترة محمد خليل عبد الخالق بك وأحمد عمار بك وكامل حسين . وقد حددت جلسة ٥ ديسمبر الحالى لانتخاب ثلاثة أعضاء من المرشحين .

□ قررت وزارة المعارف إنشاء مراقبة عامة لشؤون اللغة العربية تختص بكل ما يتصل بدراسة اللغة العربية فى معاهد التعليم المختلفة . ويتضمن هذا القرار النص على إلغاء « اللجنة الدائمة لترقية اللغة العربية » التى كان من اختصاصها تقرير الكتب الأدبية للمطالعة الحرة بالمدارس ، إذ أصبح هذا من عمل المراقبة الجديدة .

□ كتب الدكتور طه حسين بك مقالا فى الأهرام عن المرحوم المازنى اقترح فيه على وزير المعارف أن يطلب من مجلس الوزراء تقرير معاش لأسرة الفقيد وتعليم أولاده بالمجان . وقال عميد الأدباء فى ختام مقاله : إذا لم يفعل هذا وزير المعارف فإنى أرفع القصة كلها إلى جلالة الملك عائذاً به من أن يتعرض أبناء الأدباء الذين أنفقوا حياتهم فى خدمة الثقافة للفقر والجهل والمرض .

□ استأنف الأستاذ زكى طليمات سعيه فى إنشاء فرقة نموذجية من خريجى معهد التمثيل العالى ، وهو كبير الأمل فى نجاح المشروع على يد معالى العشماوى باشا وزير المعارف ونصير الفن ، وقد طلب إلى معاليه اعتماد عشرة آلاف جنيه لإنشاء الفرقة .

□ قال لى الأمير على بن عبد الكريم شقيق سلطان لحج : إن نسبة الأميين فى لحج لا تزيد على ٣٥ ٪ والأمير نفسه شاب ذو ثقافة ممتازة .

□ يقولون فى الدفاع عن استدعاء المغنى الإيطالى لموسم التمثيل الأجنبي في مصر وزيادة الإعانة من أجله ألفي جنيه . إنه مغن عالمى تتهافت الدول الكبرى على الاتفاق معه للغناء والتمثيل على مسارحها ولكن فات هؤلاء أن تلك الدول تطرب شعوبها لمثل هذا الغناء على خلاف شعبنا فى ذلك .

□ أعلن يوسف وهبي أنه يعطى ٥٠٠ جنيه لمن يشاهد مسرحيته « بيت الطاعة » ولا يضحك . فهل اتجهت الفرقة إلى منافسة شكوكو ؟

□ كان قد حدث خلاف بين أحد مخرجى الأفلام وبين رئيس تحرير مجلة فنيه ، فنشأ من ذلك اشتداد النقد والحملة على المخرج وأفلامه . ثم حدث بعد ذلك أن أصلح بين الطرفين باسم الأخوة الماسونية ، فتعطل « النقد الحر » عن العمل ... وأعلن ذلك فى المجلة !

□ أصدر وزير الأشغال قراراً بأن يطلق على طائفة من شوارع القاهرة أسماء أعلام عربية قديمة ومصرية حديثة ، ومن الأخيرة الشيخ مصطفى عبد الرازق وعلى الجارم .

□ وافق مجلس الوزراء على عقد الدورة الثانية لحلقة الدراسات الاجتماعية للأمم العربية فى القاهرة خلال شهر ديسمبر القادم . وستخصص هذه الدورة لدراسة وسائل تنظيم الخدمات الاجتماعية .

ووافق عليه ، ولـكنه رأى أن الدور يحتاج إلى جهد كبير وخاصة حفظ الزجل ، وهو لا يريد أن يتعب نفسه في أدوار جديدة ، فحسبه رواياته التي مثلها قديما والتي لا تكلفه غير الاستذكار اليسير ، وهو يقتصر على هـذا الاجترار في النهوض بالمسرح المصري في هذا الوقت ! وجعل يوسف وهبي يماطل ويتخلف عن حضور التجارب ، حتى أدى ذلك إلى أزمة في الفرقة ، وقدم زكي طليمات استقالته ثم عدل عنها بعـد أن تم الاتفاق على أن يقوم بالدور فؤاد شفيق . وعلى ذلك صار يوسف وهبي لا علاقة له بهذه الرواية إلا أنه المدير العام للفرقة التي ستمثلها ، وبهذا الوصف وحده ينشر الإعلانات بأنه يقدم « ليلة من ألف ليلة » ! وأرجو أن أتمكن من مشاهدة المسرحية والكتابة عنها في الأسبوع القادم

فلم الأسبوع :

هو فلم « أوعى المحفظة » الذي عرض أخيراً بسينما الكورسال وهو تأليف وإخراج وتمثيل محمود اسماعيل . . واشترك معـه في التمثيل شكوكو وتحية كاريوكا وحسن فائق ولولا صدقي وآخرون . وتقع حوادث الفلم في مكان واحد هو فندق « إيزيس » فبعد أن رأينا سفرت (شكوكو) يبيع دكانه بخمسمائة جنيه ، إذ أغراه بذلك عبـده الإوز (محمود اسماعيل) ليشترك معـه في مغامرات السرقة والاحتيال ، بعد أن رأينا ذلك سريعاً في إحدى (الحواري) انتقل العمل بالفندق حيث نزل الإثنان وقد اتخذ عبده الإوز اسم صادق بك الواردي من رجال الأعمال ، وظل الثاني على اسمه (سفرت) على أن يكون تابعاً له . ويلتقيان بالفنـدق بفتاة تتظاهر بالغنى والحسب ، ثم يتبين أنها زميـلة محتالة واسمها شنا كل (تحية) وتنضم إليهما في العمل ، ويتفق الثلاثة على سرقة ماسة ثمينة من أمير هندي نازل بالفندق ، بوساطة شنا كل التي اتصلت به . ثم يسيرون في الخطة الموضوعة حتى ينكشف أمرهم ، وينكشف الأمير الهندي أيضاً عن زميل لهم محتال ، وما الماسة إلا شيء مزيف .

ويريد المؤلف المخرج أن يخرج بالحوادث قليلا عن الفندق ، فماذا يصـنع ؟ ينصب في البهو مائدة القمار ويظهر عليها فتاة أنيقة (لولا صدقي) ، ويستمر المؤلف المخرج في سـيره فيجعل الفتاة الأنيقة (بنت الذوات) تتعلق بسـفرت (البلدي) الأمي الذي يهجم على المائدة ليلعب بنصف ريال فيسخر منه الجميع ويهم صاحب الفندق بطرده . وللمخرج المؤلف في عقد هذه الحبة حكمة ، يريد كما قلت أن يخرج الحوادث من الفندق قليلا ، وهو يشعر أيضا أن الفلم اقترب من النهاية ولم يسمع المشاهدون غناء ولم يروا رقصاً ؛ ولذلك كله عقد تلك الصلة ليخرج شكوكو مع الفتاة في سيارتها حتى يصلا إلى مكان قبيلة من الأعراب حيث ترقص هناك نبوية مصطفى وتغني سماد مكاوي ، وبشار كهما شكوكو .

وقد ظهر صادق بك الواردي يحـاول التقرب من الفتاة المتظاهرة بالغنى ، وهي كذلك ، وانتهت المحـــاولة إلى المحادثة والمنازلة ، وطال ذلك ، ثم إذا هما يظهران التعارف الفجائي ، فيعرف كل منهما الآخر على أنه زميل قديم ، فعلام كان كل ذلك العناء إذن ؟ ولماذا لم يتعاونا من أول الأمر ؟

وفي المنظر الأخير قبض على جميع المحتالين وسيقوا إلى السجن ماعدا سفرت مع أنه شارك في حوادث السرقة . . وللمؤلف المخرج في هـذا أيضاً حكمة ، وهي أن يظهر سفرت في مظهر البطل المحبوب الظافر بحب الفتاة الأنيقة بحيث يكون هذا حسن الختام !

ولا شك أن القصة لا تشويق فيها ولا غاية لها ، بل إن الفلم يعرض السرقة والقمار عرضاً إن لم يكن محببا فيهما فهو غير منفر منهما . فلم إذن هي ؟ المعتاد في أمثالها أن تحشى بما يسترها من نحو غناء أو رقص ، ولـكننا هنا لم نر إلا منظراً قصيراً جداً فيه رقصة بدوية تافهة وغناء غير مطرب ، على أن هـذا المنظر كان بمثابة رقعة في الفلم . ولست بحاجة للاشارة إلى فقر الفلم في المناظر فكل شيء يجري في الفندق حتى مله النظر ، وانعدم الجمال حتى في الممثلات ، فالفتاة التي قدمت على أنها أنيقة حسناء لا حسن فيها وفيها لا يفضل فم إسماعيل يس ... وتحية كاريوكا لم ترقص !

الواقع أن الفلم قصد به عرض شكوكو . وشكوكو يكرر حركاته وكلماته المألوفة مثل (وحشة دي !) و (يا خرابي !) وقد أكثر من الـكلمة الأخيرة إلى درجة أنها كانت تصلح اسما للفلم بدل (أوعى المحفظة) إلا أن يكون المراد التحذير من أن ينفق شيء من المحفظة في مشاهدة الفلم .

وليس هناك شيء ظريف غير حسن فائق الذي كان يمثل دور المخبر السري للفندق ، وهذا الممثل يكون ظريفا في الأدوار التي تلائم شخصيته وكان كذلك في هذا الدور ، وإن كان الدور نفسه رقعة أخرى في الفلم .

ومحمود إسماعيل ممثل قدير في أدوار الشر . ولـكنه أحد الذين يأبون أن يقتصروا على ما يحسنون ، فيعمدون إلى التأليف والإخراج ليجمعوا الفن من أطرافه !

عباس خضر



يسطون على أدب الزيات ثم لا يخجلون !

بالأمس سطا الساطون على أدب الزيات فى لبنان ، واليوم يسطون على هـذا الأدب مرة أخرى فى العراق . ولـكن اللص العراقي الفاضل لم يكن فى سطوه من اللصوص الشرفاء . ولو كان منهم لتناول قلمه وراجع ضميره وكتب كلمة يرد بها على ذلك المقال الذى زف إليـه مجداً أدبياً هو برئ منه ، لأنه مجد أدبى زائف ، نرفع عن زيفه الغطاء ! أما ذلك المقال فقد نشرته جريدة «النهضة» العراقية بعددها الصادر فى ١٦ تشرين الثانى سنة ١٩٤٩ بقلم أديب حرم نعمة الاطلاع فاندفع قلمـه بغير زمام ... هـذا الأديب هو السيد خالد ياسين الهاشمى الذى راح يؤكد لقراء « النهضة » أن هناك مقالا نشر فى غضون عام ١٩٤٨ لأديب عراق اسمه عبد الخالق عبد الرحمن تحت عنوان « يوم الهجرة » فى جريدة « النـداء » العراقية ، وأن هناك فقرات قد نقلت بنصها وفصها من هذا المقال إلى مقال آخر كتبه الأستاذ الزيات فى العـدد (٧٥٢) من « الرسالة » تحت عنوان « من وحى الهجرة » وهو العـدد الصادر فى ٣١ أكتوبر سنة ١٩٤٩ .... أما هذه الفقرات فهى : « كان يوم الهجرة تشريعاً من الله فى حياة الرسول للفرد المستضعف إذا بغى على حقه الباطل ، وطغى على دينه الـكفر ، ليعرف كيف يصبر ويصابر ، وكيف يجاهد ويهاجر ، حتى يبلغ بحقه ودينه دار الأمان فيقوى ويعز » و ... « حمل محمد رسالة الله وهو فقير ضعيف ، وحمـل أبو جهل رسالة الشيطان وهو غنى مسلط ، فحول مـكة المشركة جبـلا من السعير سد على الرسول طريق الدعوة فكان يخطو على أرض تمور بالفتون وتفور بالعذاب وتفجرت عليـه من كل مكان سفاهة أبى لهب بالأذى والهون والمعاباة والمعارضة ، وكل قرشى كان يومئذ أباجهل أو أبا لهب إلا من حفظه الله . وافتن كفار مكة ومشركوا الطائف فى أذى الرسول فعذبوه فى نفسه وفى أهله وفى صحبه ليحملوه على ترك هـذا الأمر فما استكان ولالان ولا تردد ، وحينئذ تدخل الشيطان بنفسه فى دار الندوة فقرر القتل ، وتدخل الله بروحه فى (غار ثور) فقدر النجاة » .

بعد هذا قال حضرة المطلع الـكبير السيد خالد الهاشمى : أن هـذه الفقرات وردت فى مقال عبد الخالق عبد الرحمن فى العام الماضى ، ثم وردت بنصها وفصها فى مقال الأستاذ الـكبير الزيات فى هذا العام .. ثم عقب على هذا الاكتشاف الخطير بقوله :

« ولو كان حديث الأستاذ الـكبير الزيات قديم عهد بالنشر لجاز لنا اتهام الأستاذ عبد الخالق عبد الرحمن بالسطو والسرقة ، ولـكن هـل سطا الأستاذ الزيات على مقال عبد الخالق ، أم ان ذلك من توارد الخواطر » ؟

ونحن نقول لحضرة المطلع الـكبير إن حديث الأستاذ الزيات قديم عهد بالنشر ، فقد ظهر فى «الرسالة» منذ أعوام ... ولو كان حضرته من الذين يقرأون لعلم أنه قد كتب فى عدد الرسالة الممتاز الصادر فى ٣ مارس سنة ١٩٤١ تحت عنوان « يومان من أيام الرسول » ، وقد اقتبس الأستاذ الزيات هذه الفقرات من مقاله القديم ثم ألحقها بمقاله الجديد . أما المقال القديم فيستطيع من لا يملك العدد الذى ظهر فيه أن يطلع عليه فى المجلد الثانى من كتاب « وحى الرسالة » ص ٢٦٢

ومعنى هذا يا حضرة المطلع الـكبير أن السيد عبد الخالق عبد الرحمن لص ، ولـكنه ليس من اللصوص الشرفاء على كل حال ، فلو كان منهم لـكشف عن وجه الحق حين قرأ مقالك المظلم ، ولـكنه ـ سامحه الله ـ آثر أن يرتدى أثواب مجد أدبى زائف فى طوايا الظلام !

إننى أرد بهذه الـكلمة على حضرة المطلع الـكبير لأنه خصنى بالحديث فى بداية مقاله ، بمناسبة تعرضى لمن سطا على أدب الأستاذ الزيات فى لبنان ... وإذا كان لى من نصيحة أوجهها إليـه فهى أن يتعلم ... قبل أن يتهجم ! !

وللأديب العراقي الفاضـل السيد توفيق نعوم الذى بعث إلى بمقال حضرة المطلع الـكبير طالباً إلىّ أن أعقب عليـه ، خالص الشكر وعاطر التحية .

أنور المعداوى

أنس الابيارى :

عرفتك نافذ البصيرة لا مع البصر ، فلا غرابة أن تقرأ ترجمة كتاب النفس لأرسطو ثم تكتب عنه كتابة العارف ، وقد امتلأت بداء من الوضوع ، فحرك القلم ، وجرى بالفـكر على صفحات الورق . كأنك قد ملـكت العنان ، حتى خيل إليك أن جمهور القراء قد عرف ما عرفت ، وملك ما ملـكت .

وتوقعت كما توقع الناس معى أنك سوف تكتب عن الكتاب كما رثيت الشاعر ، ولكنك آثرت التبيين ، فحمدت وحمد الناس لك هذا البيان .

وقد اختلفت مذاهب القوم فى النقل ، أيكون ذلك عن القديم الخالد أم الجديد الحى النابض ، فنقلوا عن سوفوكليس كما نقلوا عن جيته ، وليس بين القوم خلاف لأن القديم والجديد متعلقان بما يكون ويفسد ، ويولد ويموت ، ويظهر ويزول ؛ أما روائع الفكر فإنها تخرج عن دائرة الزمان وتتصف بالخلود . وكتب أرسطو خالدة على الزمان ، وكتابه فى النفس من أخلد آثاره وأشدها تجدداً مع تجدد الأيام .

قال فى النفس كلمته ، وزعم ان النفس صورة الجسم ، وتناقل الشراح كلامه وزادوه تفسيراً ، وتعددت المذاهب من لدن أفلاطون والمشائين إلى وليم جيمس وبرجسون ، فهل حل القدماء مشكلة النفس أو كشف المحدثون عن أسرارها ؟

لقد خيل إلىّ وأنا أقرأ كلمتك أنك مطمئن إلى رأى المعلم الأول : ولا عجب فهو صاحب المنطق ومبدع القياس ورب الجدل . ثم قلت لنفسى : كيف استطاع اللغوى أن ينفذ إلى أسرار النفس ، وكيف عرف الأديب حقيقة أمرها ، وقد خفيت عن مؤثر الحكمة وطالب المعرفة .

الآن عرفت السر . فأنت صاحب بيان ، كهذه الطائفة التى ظهرت فى بلاد اليونان تعلم هذا الفن للناس يؤثرون به فى العقول ويخلبون الألباب . والبيان سر يخفى على الشرح والبيان . وقد قيل بحق « إن من البيان لسحراً » . وقالت العرب تصف الأديب إذا نثر فسحر ، والشاعر إذا نظم الدرر : إنه حلو النفس . وقالوا أيضاً . طويل النفس وقصيره ، كما قالوا : هذا شاعر عنبرى الأنفاس .

وهل الكلام من جنس الطعوم والمشمومات حتى يوصف بهذه الأوصاف ويحمل على محمل المحسوسات ؟

وأنت تعلم أن الأدب من باب المعانى وعالم الروح ، فكيف يقال نفَس الأديب . أم تُراهم حين عجزوا عن التعبير نزلوا إلى التشبيه ، وانصرفوا عن التنزيه ؟

أم النفْس بالسكون من النفَس بالفتح ، فانتهت الحركة إلى السكون ؟ ...

ومن غرائب اللغات وأسرارها توافق معنى النفس فى اليونانية والعربية . فأصلهما فى اللسانين مادى ثم أصبح من المنقول .

ولكننا نعرف النفس لأننا نشم عبيره ، فكيف السبيل إلى إدراك النفس ، وما معنى نفَس الأديب ؟

أحمد فؤاد الأهوانى

الى الأستاذ الدبرى

قرأت مقالك عن الحرية وأعجبت به لما صادف فى نفسى من المجاوبة والاتفاق فى الرأى . وكنت قد قرأت لك قبل ذلك مقالا آخر عن الفلسفة الوجودية . وأحسن أن يكون من المفيد لى ولقراء الرسالة الغراء أن تعرض لموضوع الحرية مرة أخرى من وجهة نظر المذهب الوجودى أولا ، وأن تكشف بوضوح عن الرابطة التى تصل بين الحرية والجهل ثانياً حتى تتأيد نظريتك بالتحليل والتعليل الكافيين . وتفضل بتحية المعجب

(كلية البوليس الملكية) **ماهر الكرالى**

ليست آخر ما نظم :

نشرت جريدة « الأهرام » الغراء فى عددها الصادر صبيحة الأحد ٢٧ / ١١ / ١٩٤٩ قصيدة عصماء من درر فقيد الشعر المغفور له « على محمود طه » عن محمد على الكبير مطلعها :

من هذه الروح وهذا الجبين يضئُ فى مصر منار السنين

وقد قدمت صحيفتنا الكبيرة هذه القصيدة بهذه المقدمة : « نظم الشاعر الكبير على محمود طه هذه القصيدة وهو فى فراش مرضه ، وقد أتمها قبل موته بيوم واحد (كذا) وكان قد أعدها ليساهم مع البلاد فى الاحتفال بالذكرى المئوية لوفاة منشئ مصر الحديثة ساكن الجنان : محمد على الكبير » .

غير أن الذى أعرفه وكان يجب أن تعرفه الصحيفة الكبيرة على وجه التخصيص أن هذه القصيدة ليست آخر ما نظم الفقيد الكبير (بيوم واحد) . ولكنها قصيدة قديمة فى حساب السنين تبلغ من الزمن عمر ديوانه الثالث « زهر وخمر » الصادر فى عام ١٩٤٣

« صادق »



الأغلال

أقصوصة عراقية

للأستاذ شاكر خصباك

— أنظرى إلى ذلك الحمال ياسماد ... إنه يتعقبنا على دراجته شأنه كل يوم .

قالت رفيقتي إحسان هـذا وهي تشير إلى الحمال الذي اعتاد أن يستقبل أفواجنا كلما غادرنا المدرسة . فقلت في عدم اكتراث دون أن أحول إليه أنظارى : مالنا وله ؟ !

فنظرت إلى من زاوية عينيها وانفرجت شفتاها عن ابتسامة ماكرة . وفجأة اشتد ضجيج جرس دراجة وراءنا ، فالتفتت إحسان خلفها في حركة سريعة ، ولـكنني لبثت متجهة بأنظارى متجهة إلى الأمام دون أن تطرف عيناى . ومرت لحظة خيل إلى أنهـا قاربت الساعة والجرس يواصل صخبه ، ثم رأيت الحمال ينطلق بمجلته أمامنا فتبعته عيناى في حنق وغيظ ، وتناهى إلى في حنق وغيظ ، وتناهى إلى صوت إحسان كريهاً ثقيـلا وهي تسألنى متخابثة : ألم تلاحظى شيئاً على هذا الحمال ياسماد ؟ !

فأجبتها في صوت حاولت أن يكون هادئاً : كلا مالى وله ؟! لماذا يجب أن ألاحظ أمثاله ؟

فندت عنها ضحكة مثيرة وأجابت بلهجة خبيثة : من القريب أن يخفى عليك غرض تلكؤه المريب .

فهتفت في خشونة : ما هذا الـكلام السخيف ؟ ! أمكلفة أنا برصد حركات كل من يمر بى في الطريق ؟! هذا شأنك دائماً ... تشغلين نفسك بالتوافه .

فالتفتت إلى في استياء وهتفت في تحد : بل إنك لتتظاهرن بعدم الفهم . إن ذلك الحمال يحبك مافى ذلك ، وما حضوره ساعة انصرافنا من المدرسة إلا ليراك . .

وصمتت لحظة ثم واصلت القول وهي تضحك في سخرية :

إلا ليراك من دون الطالبات جميعاً !

فصحت في وجهها بلهجة ثائرة : هكذا أنت دائماً .. تحسدين غيرك من الفتيات . حسناً ، إننى جميـلة محبوبة وكثير من الفتيان الممتازين يعجبون بى أراقك ذلك أم لم يرقك ، ولن يجديك هذه السخرية السخيفة نفعاً .

ثم ألقيت عليها تحيـة الانصراف في غضب وابتعدت عنها موسمة الخطى . وحين بلغت الدار وصفقت الباب ورائى تنفست الصعداء كأننى ألقيت عبئاً ثقيلا عن كاهلى . وتناولت طعام العشاء بدون شهية وذهني مشتت تائه ، ولما أويت إلى الفراش واستعرضت حوادث النهار غمرتنى آلام عنيفـة حادة . وأغمضت عينى محاولة إبعاد صورة الحمال عن مخيلتى ، لـكنها ظلت تتراءى لى في بشاعة ، بدوى جرس دراجته كأننى في سوق للحدادين .

استيقظت في الصباح منقبضة الصدر واهنة القوى ، وتبدت لى المدرسة شبحاً مفزعاً مخيفاً . ولم أستطع طوال ساعات الدروس أن أرفع أنظارى إلى إحسان شأن من ارتكب فعلة منكرة تورده موارد الخجل . وما أن أعلن الجرس انتهاء الدروس حتى اجتاحنى شعور بالضعة والهوان . وتمنيت من صميم قلبي لو أن « الفراش » سها عن دق الجرس ودعا الدرس الأخير يمتد بنا ساعات أخر . كنت أود أن أتجنب رؤية الحمال بأى ثمن كان ، فقد كان يتمثل في ذهني فأحس بالاشمئزاز وتتملـكنى رغبـة في الفرار والاختباء عن الأنظار .

حاولت أن أختفى عن عيون رفيقاتى حالما اجتزت باب المدرسة فأسرعت الخطو وأنا أتلفت حولى في خجل وحـدة وعذاب . وكان الحمال يتعقبنى بدراجته تارة يدنو منى وأخرى يبتعد عنى . ولمحت عاصم يمشى في موكب من زملائه الطلاب بطلعته البهيـة ولباسه الأنيق ، فهممت أن أجرى إليه وأحتمى به ، ولـكن سرعان ماتذكرت أننى لست سوى معجبة خجولة لا يعرف عنها أى شيء . فعضضت على شفتى في خيبـة يمازجها الغيظ ، وتابعت سيرى في عجلة وارتباك وأنا أغمغم في حسرة : يا للحظ العاثر !

* * *

ذاعت قصة غرام الحمال بى وتلقفتها ألسنة زميلاتى بالتهليل والترحيب ، فلابد لألسنتهن أن تثرثر في موضوع ما . ولا يداخلنى شك أن إحسان قامت بالنصيب الأوفر في نشر القصة ، لا سيما

وأن علاقتنا انفصمت عراها إثر ذلك اليوم . ولم يكن بوسعي أن أحتمل البسمات الغامضة التي أخذت ألمحها على شفاه زميلاتي ، أو أن أطيق النظرات الساخرة التي بدأت أقرأها في عيونهن ، وكم تمنيت لو تنشق بي الأرض وتبتلعني حين يعلن الجرس أوان الانصراف وتنطلق أفواجنا إلى الشارع ، فتتأهب زميلاتي للتمتع بمنظر الجمال العاشق . كنت أحس أنني أوشك أن أذوب خجلا وذلة ومهانة . وكنت أضرع إلى الله أن يقع له حادث ... حادث يعوقه عن الحضور . لكنه ظل يواظب على الحضور في الموعد المعين كل يوم كأنه المتدين يؤدي الصلاة في ميقاتها ! ولم يكن باستطاعتي أن أتخذ أي إجراء ضده لأنه لم يتحرش بي أبداً . لكن أعصابي بلغت من التوتر ذات يوم حداً عنيفاً ، فلم أشعر إلا وأنا أنفجر صائحة في وجهه حين اقترب مني بدراجته : « ألا تكف عن ملاحقتي وتنقذني من شكالك القذر ودراجتك الكريهة ؟ ! » فاصفر لونه واحمر ، وانسل بعجلته في هدوء دون أن يتفوه بلفظ واحد ! وكانت عيناه تلمعان ببريق كئيب وشفتاه ترتجفان في انفعال شديد ! ...

وأقبل اليوم التالي وإذا بالمشهد اليومي يفقد إحدى عناصره ولأول مرة ، وهو دراجة الجمال ! وشعرت بسرور وارتياح مشوبين بقلق خفي . وخيل إلي أنني تخلصت من مرآه نهائياً ، ولكن سرعان ما تبدد ظني ، إذ لمحته منزويا وراء إحدى أعمدة الشارع فأحسست بقليل من الكدر . وكان على غير عهده ، يرتدي جلبابا نظيفاً وسترة جديدة ، وينتعل حذاء لامعا ، ويضع فوق رأسه طاقية مزركشة وكان وجهه نظيفاً كمن اغتسل منذ برهة وجيزة وما كاد نظره ينالني حتى انطلق يحدق في كالمأخوذ . ولم أستشعر لنظراته وقعاً شيئاً كالذي كنت أحسه من قبل ، بل خالجني شعور من يقع بصره على مشهد يبعث على الشفقة والرثاء . لكن هذا الشعور لم يدم طويلا ، فقد عاودني في الأيام التالية الإحساس بالغيظ والحنق كلما مررت به في ركنه المعهود ، ولمحته منزويا في ترقب وشوق . وكنت أصمم كل يوم على الامتناع عن ملاحظته حين مروري بموضع انتظاره ، ولكن عيني كانت تنجذب إلى تلك الزاوية بالرغم مني . واستفزني هذا الحال أشد الاستفزاز فعقدت العزم على ارتداء النقاب . ومع أن فضول زميلاتي في مراقبته كان قد فتر غاية الفتور حتى لم يعدن يأبهن لأمره ، لكن رغبة شديدة الحث على بإخفاء وجهي ! ولا أدري كيف فشلت في قهر تلك الرغبة مع أنني كنت على رأس الطالبات الثائرات على الحجاب ، بل الداعيات إلى نبذ العباءة لا البرقع فقط . وقلت لنفسي في شيء من العناد والتشفي وأنا أبارح المدرسة والبرقع يحجب وجهي لأول مرة : « لن يستطيع أن يراني بعد الآن » . وصح ماتوقعته ، فقد مررت به وهو منزو بركنه المعهود فلم يعرني التفاتا ، ولبث يبحث عني بين الطالبات بعينين مشوقتين .

ويبدو أنني أثرت قلقه بتصرفي الجديد . إذ برز في اليوم التالي من ركنه المعهود وظهر على الرصيف وهو مسند الظهر إلى العمود الضخم . وكان يفحص أسراب الطالبات بوجه متقلص العضلات وعينين مضطربتي النظرات . وأحسست بالسرور والارتياح حين مررت به ورأيته جاداً في البحث عني بين فئات التلميذات دون أن يعثر لي على أثر .

مرت أيام ثلاثة على ارتدائي النقاب والجمال ملازم لموضعه على الرصيف يتفحص وجوه الطالبات في قلق ولهفة وكنت قد اعتدت على النقاب بعض الشيء خلال تلك الأيام بعد أن كابدت في اليوم الأول من ثقله على وجهي أشد الضيق وأحسست أن أنفاسي تكاد تختنق . وفي ظهيرة اليوم الرابع حدث ما لم أكن أتوقعه ، فما كدنا نتدفق من باب المدرسة كالسيل حتى فوجئت به فوق عجلته وقد عاد إلى زيه القديم ؛ فبدى قذر الملابس عاري الرأس حافي القدمين ! ومضى يخترق أفواجنا في تؤدة وهو يتمعن في وجوه الطالبات في إهتمام . وكان يصل إلى رأس الشارع فيقفل راجعاً إلى باب المدرسة ، ثم يعاود السير إلى رأس الشارع ثم يعود من حيث بدأ ، إلى أن احتجب عن بصري . وغمرتني فورة من العواطف المتضاربة ، وأنا أرقبه يروح ويجيء فوق عجلته والمرارة تفيض من قسماته . وأحسست بلذة يشوبها كدر وارتياح يعكره قلق مبهم .

ورأيته ساعة العصر وهو يتجول بين جموعنا في خيبة وقنوط والكآبة تغلف ملامحه بغشاء كالح . وكنت متجهة إلى الدار وأنا خالية الذهن من أية فكرة معينة . لكنني أحسست بغتة برغبة قوية في إقتفاء أثره . ولم أتردد في تحقيق تلك الرغبة طويلاً ، إذ شرعت أتلكأ في السير حتى أصبحت في أعقاب الطالبات . وتسنى لي بذلك أن أرصد حركاته في حذر واحتراس . فما أن أيقن من خلو المدرسة من التلميذات حتى عاد أدراجه يسوق عجلته في يأس

وخذلان . وبلغ دكان لكراء الدراجات فترجل عن عجلته وسلمها لصاحب الدكان بعد أن نقده مقداراً من المال . وسلك الشارع المؤدى إلى «ميدان الشرطة» فتبعته عن قرب والخوف والوجل يشداني إلى الوراء في حين تدفعني رغبة عارضة إلى الأمام . انتهى به المسير إلى الفسحة الممتدة أمام سوق البقالين فعرج على ناصية الشارع المجاورة لمركز الشرطة وجلس إلى نفر من الحالين الذين اعتادوا أن يتخذوا تلك الناحية مركزاً . وتوقفت بالقرب من دكان بقال بجانب الناصية متظاهرة بالرغبة في الشراء بينما انطلقت عيناي تدوران في المكان . وناوله أحد الجالسين عدة العمل وسأله : « ألم ترها ! ؟ » فهز رأسه في خيبة ومرارة دون أن ينطق حرفاً . فاندفع آخر ذو أنف معقوف كنقار البومة وبنيان متين كالفيل يقهقه في سخرية لاذعة ، فسأله في خشونة وهو مقطب الجبين : علام تضحك ؟ !

فأجابه ذو الأنف المعقوف في استخفاف : على جنونك ياحسن. ألا يدعو حالك إلى الضحك ؟! أية ساعة نلقاك نجدك عابس الوجه مكتئب القسمات برم بالحياة ، لماذا ؟ ! لأنك تحب تلك الفتاة .. !

فسأله بصوت أجش : وماذا في ذلك ؟ ! أليس من حق أن أحب ؟ ! ألم يخلقني الله كما خلق أولئك الشبان المتأنقين الذين يحل لهم الحب ؟ ! كلما هنالك من فرق بيننا أن الله رماني في أحضان أب معدم فاضطررت أن أشتغل حمالا لأكسب لقمة العيش ، بينما خص أولئك الشبان بآباء أثرياء يرسلونهم إلى المدارس ويكسونهم بالحلل الغالية .. وإن لله حكمة في خلقه !

فهتف ذو الأنف المعقوف بلهجة ساخرة : كفى تفلسفاً وكفرا فنحن نعترف أن من حقك أن تحب ، بل وتحب تلميذة جميلة من بنات الأثرياء ! ولكن ، أتظن يا قيس أن ليلاك ستتنازل يوماً وتجود عليك بنظرة أو ابتسامة ؟ !

فقاطعه في انفعال : إسمع يا جاسم . لا تتدخل في شئوني . أنا أدرى منك بما أفعله .

فاستطرد ذو الأنف المعقوف يقول في تهكم : طبعاً أنت أدرى بشئونك ... لذلك أحببت تلك الفتاة ! ... حمال يحب فتاة مثقفة غنية ... !

وسكت برهة ثم صاح في هزء كمن تذكر أمراً : اسمع ياقيس. إنني مستعد لمراهنتك على أن ليلاك قد اختارت لها صديقاً من طلاب المدارس كما هو شأن معظم التلميذات .

وكنت أرقب النقاش بنفس متوثبة وقلب سريع الخفقان ، فتملكني الغيظ حين نطق ذو الأنف المعقوف بعبارته الأخيرة ، ولكن سرعان ما اهتزت جوانب نفسي بسرور عظيم عندما شاهدت حسن يقفز إليه في جنون ويمسك بخناقه وهو يصرخ هائجاً : لا تدنس اسم هذه الفتاة بلسانك القذر ... لا تدنسه ... لا تدنسه ...

فسدد إليه ذو الأنف المعقوف لكمة ألقته على الأرض ، واشتبك الإثنان في معركة حامية في حين بدأ الناس يتجمعون حولهما وهم يحاولون فض المعركة ، فانسللت في طريق ونفسي نهب لعواطف الخوف والألم والإشفاق .

* * *

أقبل الليل ..

وجلست إلى كتبي لمذاكرة دروسي . محال أن أفهم شيئاً وذهني يعج بهذه الصور . دراجته الحزينة تخترق صفوفنا في ملل .. عيناه المتفجرتان أسى تتصفحان وجوه الطالبات في لهفة وإعياء .. ذو الأنف المعقوف وضحكاته الساخرة الكريهة .. المعركة العنيفة التي اشتبك فيها الإثنان ! ويئست من استيعاب صفحة مما أقرأه فأطبقت الكتاب في ضيق وقمت إلى سريري .

اضطرب نومي بأحلام صاخبة انصلت بين اليقظة والرقاد . وكان حسن محور تلك الأحلام تارة أراه في صورة كريهة تثير في قلبي الحنق والاشمئزاز ، ويهم بالقبض على ذراعي فأنفلت من يديه مذعورة ، وأركض أمامه خائفة وجلة وهو يعدو ورائي وزميلاتي يقفن على طول الطريق وهن يرمقنني بنظرات ساخرة ويقهقهن هازئات . وطوراً يتمثل لي شاباً أنيقاً يرتدي السترة والبنطلون ، ويغادر مدرسة البنين الثانوية المجاورة لمدرستنا في موكب من رفاقه المتأنقين ، وهو يسير بينهم رافع الرأس شامخ الأنف ، وأمر بالقرب منه أنا وزميلتي إحسان ، فيلتفت إلى في اهتمام ويستقبلني بنظرات تفيض بالهيام . فتثير تلك النظرات في قلبي أعذب المشاعر وأحلى الأحاسيس . وحيناً أراني واقفة في أرض خضراء واسعة أتطلع إلى الأفق البعيد ، وفجأة يبرز إلى وهو يمتطي صهوة جواد جميل ، فينتشلني من الأرض ويردفني وراءه ، ثم ينطلق بنا الجواد خبباً ونفسي تهتز نشوة وطربا .

واستيقظت فى الصباح متأخرة عن ميقات يقظتى اليومى . الصداع يلهب رأسى والضيق يكاد يكتم أنفاسى . وتناولت فطورى فى غير شهية ، وقصدت المدرسة وأنا منقبضة النفس حزينة المشاعر. تلقيت الدروس ضجرة متبرمة ، ولما دق جرس الدرس الأخير زايلنى بعض ما أحسه من ضيق وانقباض ، وبادرت إلى الخروج وأنا أتوقع أن أرى حسن فوق دراجته يخترق الصفوف ، ولم يكن ليزعجنى التوقع تلك اللحظة ، بل أحسست نحوه بشىء من الرضا والاطمئنان . ولشد ما ذهلت حين قطعت معظم الشارع دون أن يبدو له أثر . واستولى على استغراب شديد يمازجه شعور بالاستياء والقلق ، وظللت سائرة فى خطى مضطربة وأنا أتلفت حولى طول الطريق ، متوهمة فى كل صوت عجلة تدرج ورائى . واكتسبت أذناى فى تلك الدقائق قوة مدهشة ،فكنت أنتبه إلى أدق صوت ، بل لعلنى كنت أتخيل سماع بعض أصوات وهمية . ومع ذلك فقد بلغت الدار دون أن يلوح لدراجته ظل ...!

انتظرت فترة العصر فى لهفة لانطلاق . وكنت خلال ساعات الدرس أحدق في ساعة معصمى بين لحظة وأخرى متأففة متململة كأننى أستحث عقاربها على الإسراع . وما أن طرق سمعى رنين الجرس حتى قفزت نحو باب الصف فى رعونة أثارت استغراب معلمة التاريخ التى تمهد فى الرزانة والتعقل ، لكننى لم أعبأ بدهشتها ، وهرعت إلى الشارع وعيناى تكادان تسبقان جسمى إليه . وسرعان ما اجتاحتني موجة عارمة من المشاعر زاخرة بالمرارة والامتعاض والخذلان حينما ألفيت الشارع خالياً من دراجته ، وصاحبتنى تلك المشاعر الخانقة طيلة اليوم .

* * *

مضى أسبوع دون أن يبدو لحسن أثر : وكنت أثناء أيام الأسبوع أتوقع رؤيته فى شغف كلما غادرت المدرسة فى فرصة الصباح والمساء ، وما أن يخيب ظنى حتى يمتلئ كيانى بأحاسيس يمتزج فيها الضيق بالأسى والثورة بالحنق . وتصارعت الأفكار والهواجس فى رأسى كل منها يعزو غيابه إلى سبب . وكنت أجزم أحياناً بأنه فى السجن يتحمل عقوبة المعركة . ثم أعود حيناً آخر فأعتقد أنه فى المستشفى يداوى الجراح التى ألحقتها به المعركة . وحيناً ثالثاً أنقض ذينك الخاطرين ويعجزنى ارتباك الخيال عن افتراض سبب ممين !

وفى الليالى الثلاث الأخيرة من الأسبوع لفت نظرى ظاهرة جديدة تحت نافذتى . فمن عادتى أن أفتح نافذة غرفتى المطلة على شارع عرضى وأمد رأسى فى الفضاء بضع دقائق لأملأ رئتى من هواء الليل العذب قبل أن أتهيأ للرقاد وبعد أن أفرغ من استذكار دروسى . فكان نظرى يقع على شبح شخص يتحرك تحت النافذة فى تسكع . وبما أن مصباح الشارع الكهربائى بعيد عن دارنا فإن الظلام يغمر هذه البقعة فلا يسمنى أن أميز شكل من يدخل فى نطاقها . وخمنت للمرة الأولى والثانية والثالثة أن هذا الشخص عابر سبيل . لكننى ما عتمت أن أيقنت أن تسكعه تحت نافذتى عن قصد وتعمد . وما أن رسخ فى ذهنى هذا الاعتقاد حتى أصبت بنوع من الهوس ، فكنت أطل على الطريق فى الليالى الأخيرة بين ساعة وأخرى فألحظه يتحرك تحت النافذة فى نفس الموضع . وكان يتوارى عن أنظارى كلما أبرزت رأسى . وعجبت لحاله ... من يكون ؟ ! وماذا يعنى مهره تحت النافذة ؟ ! ولماذا يحاول الاختفاء عن عينى ؟ !

ولطالما ارتددت عن النافذة وتحولت إلى المرآة أتملى فيها مفاتنى ... لاشك أننى رائعة الجمال ... عينان سوداوان واسعتان . أنف صغير جميل . شعر أسود وحف ينسدل على كتفى كالحرير . قامة شامخة مغرية بخصرها الدقيق وصدرها الناهد . ثم هذه النقرة اللطيفة التى تبدو فى وجنتى كلما افترت شفتاى عن ابتسامة صغيرة وصحيح أننى سمراء ، لكن لونى خمرى كما يقول الشعراء .

وكانت تلك الأفكار تبعث فى قلبى نشوة هادئة ، لكنها لم تكن لتصرفنى عن أمر هذا العاشق الجديد . فكنت أنفق الساعات وأنا أنقد تصرفاته . وكنت أحدس أحياناً كثيرة أنه حسن نفسه . لكن ميلى إلى الاعتقاد أنه إما أن يكون طريح المستشفى أو يكون السجن كان يضعف هذا الحدس .

مرت أيام ستة على العاشق الجديد وهو مقيم على عهده ، يروح ويجئ تحت نافذتى كل مساء . وبينما كنت عائدة من المدرسة عصر اليوم السابع انحرف نظرى — على سبيل المصادفة — إلى

عطفة مهملة بالقرب من المنزل كنت أرفع البرقع فى العادة حين أتجاوزها ، وإذا بى ألمح حسن قابعاً فيها . وخفق قلبي فى شدة وعنف ، وساد الارتباك مشاعرى واضطربت حركاتى ، فحولت عنه عينى سريعاً ، وأوسعت خطواتى حتى كدت أهرول . ولما بلغت الدار ارتقيت السلالم وثباً واتجهت إلى مخدعى من فورى واستلقيت على الفراش وأحاسيس النشوة والفرح تجيش فى صدرى.

وتمثل لى شبح العاشق الجديد وهو يخطو تحت النافذة فى تلكؤ ، فوجدتنى أجزم بأنه حسن نفسه ... حسن نفسه بقامته الفارعة وكتفيه العريضين وملامحه القوية الصارمة ، وإن له قامة حسن الطويلة المبلة وإن لم تبن قسمات وجهه .

وما أن أسدل الظلام أستاره حتى هرعت إلى النافذة فرأيت الشبح يتحرك بعيداً مختفياً عن أنظارى ، فارتددت عن النافذة .

وتهافتُّ على المقعد صامتة . لكننى ما عتمت أن قفزت على قدمى وأنا أحس كأننى حبيسة وراء جدران ضخمة . وانطلقت أذرع أرض الغرفة بخطوات سريعة مضطربة وأنا أرزح تحت وطأة رغبة جارفة فى الخروج إلى الشارع . وضجت بتلك الرغبة مشاعرى واختنق صدرى بصراخها فأدركت أننى أقاومها عبثاً .

وارتديت ملابسى على عجل . واستأذنت أمى فى زيارة زميلة لغرض يتعلق بالواجب المدرسى . رددت باب الدار خلفى وقلبى يسرع فى دقاته وأعصابى ثائرة ونفسى متوثبة ، وانعطفت وراء المنزل وسلكت رأس الشارع الثانى ، ثم ظهرت أمام العاشق الجديد فجأة بحركة مباغتة . كان حسن نفسه بلحمه ودمه وهو منكمش تحت النافذة . ورفعت البرقع عن وجهى وأنا مفترة الثغر عن بسمة رقيقة ، ولبثت بضع لحظات أحدق فى وجهه بنظرات تنبض باللطف والإغراء وانتابته حالة من الذهول الشديد ، فجمد فى موضعه وهو متسع العينين دهشة ، فاغر الفم فى بلاهة وتبلد كمن لا يفهم لما يراه معنى . ثم واصلت سيرى بخطوات متمهلة وأنا أتلفت ورائى بين لحظة وأخرى كأننى أدعوه إلى تعقبى . وابتعدت عنه وهو ثابت فى وقفته كالتمثال ، وكدت أيأس من استجابته للفتاتى ثم رأيته يتحرك فجأة فى ذهول كأنه واقع تحت سلطان قوة خفية . وغاب دارنا عن أنظارى بين المنعطفات التى اجتزتها ، ودخلت دربا يكاد يكون مقفراً من السابلة ، وحسن لا يزال يتبعنى بخطوات بطيئة مترددة ، وكلما ازداد اقترابه منى اشتدت ضربات قلبى واندفع الدم فى شراييني حاراً لاهباً وتضرمت فى أعماقى لذة مبهمة. ودنوت من منعطف يؤدى إلى شارع عام فتوقفت عن السير ، ودرت على أعقابى بحركة بطيئة وانتصبت أمامه وجها لوجه وعلى ثغرى ابتسامة رقيقة . كنت أشعر تلك اللحظة أن رأسى قد التهب وجسمى قد تخدر وأخذ يرتعش تحت وطأة تيارات غريبة تمسنى مس الكهرباء . أما هو فوقف صامتاً وكل جزء من أجزاء وجهه يعكس عواطف قلبه المصطخبة . ومرت لحظة صمت ، ثم همهم بصوت مرتعش وشفتين مرتجفتين : « أنا عبدُك » .

لا أدرى ماذا حدث لى تلك اللحظة ، ولكننى أذكر أننى لمحت عامر ينعطف من الشارع ويدخل الطريق ، فاندفعت أصيح بحركة لا إرادية : « أنقذونى .. أنقذونى » . فهرع إلى وهو يردد باهتمام : « ماذابك يا آنسة !! ... ماذا بك يا آنسة ؟ ! »

فأجبته بلسان متلعثم وأنا أشير إلى حسن : «إنه حاول تقبيلى» . فتحول إليه مزمجراً ، وراح يهدده بالويل إن لم يدعنى وشأنى .

ولن تمحى صورة حسن الذاهلة من ذاكرتى أبداً . فقد تحجر فى موضعه ، وراح ينقل أنظاره بينى وبين عامر فى فزع كأنه تحت رحمة كابوس مخيف . ولم ينطق كلمة واحدة ، بل ألقى على نظرة تتدفق ألما ومرارة وتعاسة ، ثم دلف يخطو فى تخاذل كأنه يرزح تحت حمل ثقيل ، والتفت إلى عامر وقال بأدب : « لا أظنه سيضايقك مرة أخرى أيها الآنسة .. ليلتك سعيدة » . ووقف ينظر إلى برهة كأنه ينتظر أن أقدم له شكرى ، لكن لسانى انعقد عن الكلام وخوى رأسى من الأفكار . فهز كتفيه وسار فى طريقه . وأردت أن أستوقفه لأقول له شيئا ، لكن قوة طاغية جذبت رأسى إلى الجهة التى سلكها حسن ، فاتبعه بأنظارى وأنا أحسُّ أنى سأنفجر من شدة الغم والألم والضيق . ثم ارتد إلى طرفى مبللا بالدمع حينما تلاشى شبحه فى النور الخافت .

القاهرة شاكر خصباك

سكك حديد الحكومة المصرية

صرف تذاكر مشتركة إلى الوجه القبلي بأجور مخفضة للسفر بها بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم والإقامة فى الفنادق

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور مرة أخرى أنه بموجب اتفاق مع شركة فنادق الوجه القبلى والفنادق الأخرى وشركة عربات النوم قد تقرر إعادة صرف التذاكر المشتركة بمعرفة مصلحة السكك الحديدية للحكومة المصرية ابتداء من أول أكتوبر سنة ١٩٤٩ لغاية ٣١ مارس سنة ١٩٥٠ بأجور مخفضة للسفر بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم للدرجة الأولى فقط والإقامة فى الفنادق .

وتشمل هذه التذاكر الإقامة فى الفنادق المبينة بعد :

إسم الفندق	درجة الفندق	الأجرة عن ٥ أيام و ٤ ليال من القاهرة — جنيه	مليم
فندق ونتر بالاس بالأقصر	درجة أولى ممتازة	١٦	٩٣٠
فندق كاتاركت بأسوان	« «	١٩	١٢٠
الأقصر بالأقصر	درجة أولى والسفر بالدرجة الأولى	١٥	٠٨٠
	« « « « الثانية	٩	٣٢٥
فندق جراند أوتيل بأسوان	درجة أولى والسفر بالدرجة الأولى	١٧	٢٧٠
	« « « « الثانية	١٠	٠٩٠
فندق سافوى بالأقصر	درجة ثانية ممتازة والسفر بالدرجة الأولى	١٤	٢٠٠
	« « « « « الثانية	٨	٤٤٥
فندق العائلات بالأقصر	درجة ثانية والسفر بالدرجة الأولى	١٢	١١٠
	« « « « الثانية	٦	٣٥٥
فندق المحطة بالأقصر	درجة ثانية والسفر بالدرجة الأولى	١٢	١١٠
	« « « « الثانية	٦	٣٥٥

مطبعة الرسالة



العدد ٨٥٨ — الاثنين ١٢ ديسمبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٣٠٤٧

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

يصدر بعون الله تعالى :

في اليوم الثاني من شهر يناير سنة ١٩٥٠

عدد الرســـالة الممتاز

حافلا كعادته بأروع ما يكتب

في موضــوعه لصــفوة

من أقطاب البيـــان

في مصر والعـــالم العربي

17 em Année No. 858

Lundi — 12 — 12 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٥٨ « القاهرة في يوم الاثنين ٢١ من شهر صفر سنة ١٣٦٩ — ١٢ ديسمبر سنة ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة »

على محمود طه

شاعر الأداء النفسى

للأستاذ أنور المعداوى

— ٢ —

وتبقى بعد ذلك المرحلة السادسة من هذه الدراسة ، وسيكون الحديث فيها مقصوراً على شعر القوميـة المصرية والمناسبة النفسية عند على طه ؛ وأقول المناسبة النفسية لأن على طه كان من الشعراء الذين يستجيبون لدعاء النفس وحده فى شعر المناسبات ... صوت الشعور أولاً يتلوه صوت الفن ، وهذان هما الصوتان الصادقان اللذان لا تضيق برنينهما الأذن فى هذا اللون من الشعر ، لأنه رنين يطلقه قلب من القلوب لا بوق من الأبواق ...

ثم المرحلة السابعة والأخيرة ، وهى المرحلة التى سيحدد فيها مكان على طه بين شعراء عصره .. ولن تخلو بعد هـذا التحديد من عرض ونقـد لبعض الآراء الفنية التى أطلقها بعض النقاد المعاصرين حين حاولوا أن يضعوا الشاعر وشعره فى الميزان .

وأترك هـذا التبويب الفنى لأطوف معك بجوانب الصورة الأولى من صـور الأداء النفسى فى هـذا الشعر ، وهى الصورة الوصفية فى إطارها النفسى .. «الموسيقية العمياء» قصيدة تطالعها فى الصفحة الثامنة بعد المائة من « ليالى الملاح التائه » ، وقد مهد لها الشاعر بهذه الكلمة التى تنقلك إلى مكان الفن وزمانه :

كان الشاعر يتردد على «ألفنتيا» أحد مطاعم القاهرة الشهيرة بموسيقاها . شتاء عام ١٩٣٥ ، وكانت تترأس الفرقة الموسيقية . به حسناء دلماتية ، تعزف على القيثار ، وكانت على جانب من الرقة والجمال ، فلا يخيل لمن يراها أن القدر قد أصابها فى عينيها ، فحرمها نعمة الإبصار ، فلما وقف الشاعر على حقيقة حالها ، أوحى إليـه جمالها الجريح بالقصيدة الآتية :

إذا ما طاف بالأرض ... شعاع الكوكب الفضى
إذا ما أنّت الـريح ... وجاش البرق بالومض
إذا ما فتـح الفجر ... عيـون النرجس الغض
بكيت لزهرة تبـكى ... بدمع غـير مرفض

* * *

زواها الدهر لم تسعد ... من الإشراق باللمح
عـلى جفنين ظمآنين ... للأنداء والصـبح
أمهد النور : ما لليل قد ... لفـك فى جنح ؟
أضىء فى خاطر الدنيا ... ووارسناك فى جرحى

* * *

أرى الأقـدار يا حسـناء مثوى جرحك الدامى
أريها موضـع السهـم الذى سـدده الرامى
أنيلى مشرق الإصـباح هذا الكوكب الظامى
دعيه يرشف الأنـوار من ينبوعها السامى

* * *

وخلّى أدمع الفجر تقبّل مغرب الشمس
ولا تبكى على يومك أو تأسى على الأمس
إليك الكون فانتشق جمال الكون بالهمس
خذى الأزهار فى كفيك فالأشواك فى نفسى

* * *

إذا ما أقبل الليل وشاع الصمت فى الوادى
خذى القيثار واستوحى شجون سحابه الغادى
وهزى النجم إشفاقا لنجم غير وقاد !
لعل اللحن يستدنى شعاع الرحمة الهادى

* * *

إذا ما شقشق العصفور فى أعشاشه الفنّ
وشق الروض بالألحان من غصن إلى غصن
أتتك خواطرى الصّدا حة الرفافة اللحن
تغنيك بأشعارى وترعى عالم الحسن

* * *

إذا ما ذابت الأنداء فوق الورق النضر
وصب المطر فى الأكمام إبريق من التبر
دعوت عرائس الأحلام من عالمها السحرى
تذيب اللحن فى جفنيك والأشجان فى صدرى

* * *

عرفت الحب يا حوا ء أم ما زالا مجهولا ؟
ألما تحملى قلبا على الأشواق مجبولا ؟
صفيه ، صفيه ، فرحانا ، ومحزونا ، ومخبولا !
وكيف أحس باللوعة عند النظرة الأولى !

* * *

ومن آدمك المحبوب ؟ أو ما صورة الصبّ !
لقد ألهمت والإلها م يا حواء بالقلب !
هو القلب ، هو الحب ، و ما الدنيا لدى الحب
سوى المكشوفة الأسرار والمهتوكة الحجب !

* * *

سلى القيثار بين يديك أى ملاحن غنى
وأى صبابة سالت على أوتاره لحنا

حوى الآمال والآلام والفرحة والحزنا
حوى الآباد والأكوان فى لفظ وفى معنى

* * *

تعالى الحسن يا حسناء عن أطراق محسور !
أيشكو الليل فى كون من الأنوار مغمور ؟
وما جلاه من سواه إلا توأم النور !
وما سماه إذ ناداه غير الأعين الحور !

وقفة عند المقطوعة الأولى ... فى البيت الأول والثانى ذكر للشعاع ، وفى البيت الثالث والرابع ذكر للعيون . الصلة هنا وثيقة بين الوجود الداخلى وبين الوجود الخارجى ؛ بين الصورة التى فى النفس والصورة التى فى الحياة . والألفاظ هنا قد استحالت أداة ربط واتصال بين عالمين : عالم المشاهد الخفية وعالم المشاهد المرئية ... إن الشاعر هنا أمام عيون تعيش فى الظلام ، ثم هى بعد ذلك قد أطبقت منها الجفون ، وفى هذا المشهد يتركز مصدر الإثارة ، ولا بد للأداء النفسى من أن تتفق ألوان الإثارة مع مصدرها الأصيل ؛ عيون مظلمة يجب أن تثير فى الخيال الشاعر معانى الضياء : فى وميض البرق أو فى شعاع القمر . وجفون مطبقة يجب أن تبعث فى الشعور النابض ذكرى التفتح : فى أكمام النرجس التى تبدو من وراء الحس « عيونا » ... فتحها الفجر !

ووقفة عند المقطوعة الثانية والثالثة ... هنا نقلة أخرى لا تبعد بنا كثيراً عن نقطة البدء الشعورية . تختلف الأدوات بعض الاختلاف وتتغير بعض التغير ، ولكننا لا نزال نستروح الأنسام الأولى تهب علينا من نفس الأفق ... وسترى أن الوحدة الفنية هى التى فرضت على الشاعر أن ينحرف بخط الاتجاه النفسى هذا الانحراف الذى يمهد لما بعده ، تبعا لهذه التدريجة الجديدة فى منعطف الطريق إلى المقطوعة الرابعة . وإنك لتلمس بوادر هذا الانحراف فى البيت الثالث من المقطوعة الثانية ، ذلك البيت الذى يبدؤه الشاعر بمناجاة العيون المطفأة فى وثبة ممتازة من وثبات الأداء النفسى عندما يقول : « أمهد النور » ... وما تلك البوادر إلا نفحات من العزاء ، العزاء المتمثل فى المشاركة الوجدانية بين طبيعتين ، هناك حيث تمتزج اللوعة فى النفس الإنسانية

بشيء من الاعتراض المهذب على حكمة القدر ... وأي عزاء هو ؟ إنه عزاء في منطق الشاعر أو في منطق الشعور وبهذا المنطق أيضا تواجه الإنسانية قضاء السماء ! إذا كان واقع الدنيا قد ضاق بالعيون المطفأة ففي خاطر الدنيا وخواطر الأحياء متسع للضياء ولا بأس من أن يتوارى السنا اللماح في أعماق الجراح ، جراح القلب الإنساني حين تدميه مخالب الأيام ! ترى كم يلفح شعورك هذا الهتاف تلفه الثورة المذبة في قوله : « أرى الأقدار ياحسناء . . . أربها موضع السهم » ؟ إن الأقدار قدرأت من غيرشك ، ولكنه الأداء النفسي الذي يتخير اللفظ في صيغة الأمر ... لأمر لا يخفى على البصراء !

وفي المقطوعة الرابعة تستقر نقطة الارتكاز في الوحدة الفنية ، حين ينتهي خط الاتجاه النفسي بعد تلك التعريجة في منعطف الطريق ... ونقطة الارتكاز هنا محورها الاستعانة بالمعنى الحسي الذي تصب في قالبة الحركة النفسية . وأين هو المعنى الحسي هنا ؟ هو في الإيحاء المعبر عنه باستشفاف جمال الكون عن طريق اللمس ، وفي الإشعاع الذي يحمله البيت السابق حين يعرض للحاضر المبلل بدموع اليوم والماضي المجلل بسواد الأمس ! ... ولا نظن أن الشاعر يقصد المعنى المادي كما يفهمه شعراء الأداء اللفظي ، كلا . فما يشتف جمال الكون عن طريق اللمس بالأصابع ، وإنما يشتف عن طريق اللمس بالأوتار ، وهذه هي الحركة النفسية التي تفرق في الشعر بين أداء وأداء !

على طه في المقطوعة الخامسة يطرق أبواب هذا المعنى الذي أشرت إليه ؛ يطرقها الطرقة الأولى التي تعقبها بعد ذلك طرقات . وتستطيع أن تسمع صوت هذه الطرقة في البيت الثاني من هذه المقطوعة عندما يقول : « خذي القيثار » ... إن القيثار هنا هو السلم الطبيعي الذي ترتقيه الموسيقية العمياء إلى هذا الكون ، لتستطيع أن تلمس عن طريق الأوتار جماله المفقود وستسمع بقية الطرقات عندما تصل إلى المقطوعة العاشرة ، هناك حيث يكون القيثار معبرها إلى شتى العوالم والأكوان :

حوى الآمال والآلام والفرحة والحزنا
حوى الآباد والأكوان في لفظ وفي معنى !

شاعر الأداء اللفظي هو من يقف بك عند المعاني الجامدة ، المعاني التي تختنق بين قبضة الألفاظ الغارقة في لجج المادية البغيضة ، ولكن شاعر الأداء النفسي هو من ينتزع من رأسك كل تهويمة ذهنية ليردها إلى شعورك تهويمة روحية ، وهنا نجد على طه ... لم يقف بك عند معنى « اللمس » كما يوحي به البيت الذي ورد فيه ، ولكنه انتقل بك على الفور إلى مكانه المنشود من الأداء الذي يتطلع إليه النقد ولا يتطلع إلى أداء سواه . لو وقف عند المعنى المادي كما ينبئ عنه ظاهر اللفظ لبدا الأداء سخيفاً في رأي الفن ، وبدا العزاء تافهاً في رأي كل ضرير تطلب إليه أن يستعيض عن الضياء المفقود باللمس المعهود !

وفي البيت الثالث من هذه المقطوعة لون من ألوان المقابلة ، ولكن أي لون هو ؟ أهو لون المقابلة بين لفظ ولفظ على أساس تلك الذاتية البيانية التي يلجأ إليها عشاق الطلاء من الشعراء ؟ إن المقابلة في الشعر يجب أن تكون لقاء بين موجتين صوتيتين : تندفع إحداهما من سطح الحياة الأعلى وتندفع الأخرى من قرار الشعور العميق ، وعند نقطة الالتقاء بين الموجتين تستطيع أذن القارئ أن تتلقى صوت الشاعر ممتزجاً بصوت الحياة ... في هذا المعرض النفسي للوحات الشعر التصويرية تطالعنا هذه اللوحة :

وهزى النجم إشفاقاً لنجم غير وقاد !

ولا حاجة بي إلى أن أقف بك عند المشاهد التعبيرية في المقطوعتين التاليتين ، لأنهما تتفقان في النسق والتصوير مع المقطوعات السابقة . ولك أنت أن تطبق عليهما تلك المقاييس الفنية التي قدمتها إليك .

ولكن الوقفة التي يجب أن تطول فهي عند المقطوعة الثامنة والتاسعة والعاشرة ... هنا مجال « الرؤية الشعرية » التي يقسمها النقد الحديث إلى قسمين : قسم يتصل بالطبيعة النفسية وقسم يتصل بالطبيعة المادية . والرؤية الشعرية بكلا قسميها ترمز إلى مقدرة الشعر على الاستشفاف الدقيق للحقائق سواء أكانت في حدود المنظور أو خلف حدود المنظور ، في محيط الوعي أو فيما وراء الوعي في نطاق الاستبطان النفسي أو في نطاق التناول الحسي . فالشاعر الذي يرسم خطوط الصورة الفنية في أي ميدان من هذه الميادين ، ثم نلمس في تلك الخطوط شيئاً من الاهتزاز يخرج بها عن قانون النسب والأبعاد ، مثل هذا الشاعر نحكم عليه بضعف الرؤية الشعرية ! والشاعر الذي يتناول مفتاح الشخصية الإنسانية ليعالج

به فتح المنافذ المؤدية إلى غايتــه من كشف مغاليق النفس ، ثم ندرك أنه قد عالج المنافذ الجانبية وغفـل عن المنفذ الرئيسى الذى يتدفق منـه الضوء إلى كل حنية وكل ركن ، مثل هذا الشاعر نحكم عليه بضعف الرؤية الشعورية !

هذه الرؤية الشعرية تجدها على خير حالاتها من القوة والنفاذ فى هذه المقطوعات الثلاث التى يجب أن تطيل عندها الوقوف ... إن الجناح هنا قد اختار أفقــه النفسى الذى يكون للتحليق فيه أثره وصداه . وما هو هــذا الأفق النفسى الذى نعنيه ؟ هو ذلك المنفذ الرئيسى الذى عالجه الشاعر بمفتاح الخبرة العميقــة بمسارب الطبيعة الأنثوية ... لم يقل يا حسناء ، ولـكنه قال يا حواء ! قالها لأنه فى مجال السؤال عن أثر الحب فى حياة الأنثى الخالدة ، وقالها لأنه فى مجال الرصدُ لهزات القلب من جنبي الأنثى الخالدة ، وهذا هو الأداء النفسى بالنسبة إلى اللفظ الشـعرى ، أما هذا الأداء بالنسبة إلى الجو الشعرى فهو فى تلك الطرقة الرائعة للباب الكبير عن أى شىء تسـأل المرأة وقد فقدت البصر وحرمت إلى الأبد نعمة الضياء ؟ عن العاطفة الخالدة فى كيانها خلود الطبع .. عن الحب ! وهل هناك من أمل يبقى للعمياء غير هذا الأمل ؟ إنه الضوء الوحيد الذى يمكن أن يبدد ظلام الحياة ... والسؤال هنا ليس سؤالا عن الحبِّ وكفى ، كلا . ولـكنه السؤال الذى يعرف طريقه :

عرفت الحب يا حواء أم مازال مجهولا ؟

وافترض الشاعر أنها قد عرفته ... وتبعاً لهــذا الافتراض مستنداً إلى البيت الذى يليه هتف من أعماقه :

صفيه ، صفيه ، فرحاناً ، ومحزوناً ، ومخبـولا !

هذا التكرار فى اللفظ الآمر ينبىء عن مرارة اللهفة وحرارة الانفعال ، وتنبىء عنهما هذه التقطيعات الصوتية التى تكشف لك عن لهثات القلب فى هذه الضربات السريعة المتتابعة المنعكسة على صفحة الألفاظ ... هنا ثلاثة ألوان للوصف المنشود ، أو قل إنها ثلاث نقلات نفسية تمثل مراحل الحب الثلاث فى حياة امرأة عمياء : مرحلة الفرح ، ومرحلة الحزن ، ومرحلة الخبل العاصف بذرات الأمل ... مرحلة الفرح يوم أن كان الضياء يجذب كل فراشة هائمة ، ومرحلة الحزن بعد أن خبا الضياء وأبتعدت عن المصباح كل فراشة حائمة ، ومرحلة الخبل فى رحاب الظلام المقيم حين لم يبق من الفراشات غير رؤى حالمة وذكريات !

وتبلغ الرؤية الشعرية منتهاها عندما يعرج الشاعر على الجانب الآخر من الصورة المتخيلة ، هناك حيث يخطر فى البال أنها لم تروجه الحبيب ولـكنها تفكر فيه ، ومادامت تفكر فيه عن طريق الخيال لا عن طريق البصر ، فسلامة الرؤية الشعرية تدفع الشاعر إلى أن يسألها عن صورته التى فى الخيال ، والتى ينسق ظلالها وألوانها إلهام القلب :

ومن آدمك المحبوب ؟ أو ما صورة الصب ؟
لقد ألهمت والإلهام ياحـــواء بالقلب !

إنه يسأل هنا عن « آدم » ، وإنه ليتخير اللفظ ويعنيه ... لأنه يسأل عن الرجل الخالد المستقر فى أعماق الأنثى الخالدة أو فى أعماق « حواء » ! وما الدنيا فى منظار القلب وما الدنيا فى منظار الحب :

سوى المـكشوفة الأسرار والمهتوكة الحجب !!

أداء نفسى ... أداء إن غفل عنه الشعر أغفلته موازين النقد ! ومن هذا الأداء تلك الصبابة المستعرة بين الجوانح وقد «سالت» ألحانا على الأوتار ، وتلك الأوتار التى حوت الآباد والأكوان .. فى « لفظ وفى معنى » ! الصورة الشعرية هنا ليست من صنع تهاويل الخيال ، ولـكنها الصورة التى رسمها واقع الشعور عند من يدركون أثر الموسيقى الرفيعة فى خلق تلك العوالم غـير المنظورة ، العوالم التى ترقى إليها الأرواح فى جولة تفارق فيهـا الأجسام .. ومرة أخرى تهزك سلامة الرؤية الشعرية !

وعندما يهتف الشاعر فى المقطوعة الأخيرة : « تعالى الحسن يا حسناء » فثق أنه منطق الأداء النفسى ولا منطق سواه ... وهو هو المنطق نفسه حين ينعت هـذا الحسن بأنه « توأم » النور ، وبأنه إذا انتسب فإنما ينتسب إلى تلك العيون التى فقدت حورها عند الوسيقية العمياء وعند كل أنثى حرمت نعمة الضياء ! وليس من شك فى أن هناك رنينا ترتاح إليه السمع فى مثل قوله : وما جلاه من سواه ، وما سماه إذ ناداه ... تلك هى « الذاتية الغنائية » التى سيكون لها فى فصل من فصـول هذه الدراسة ميزان يقام .

« يتبع » أنور المعداوى

صور من الحياة :

حماقة أب

للأستاذ كامل محمود حبيب

أتذكر — ياصاحبي — يوم أن جذبك أبوك من خضم الأزهر وأنت فتى فى ريق الشباب فارع القوام قوى البنية وثيق الأركان، جذبك بعد أن عشت فى رحابه سنوات تضطرب فى متاهات العلم فلا تستقر، وتضل فى مضلات المدنية فلا تهتدى، وتخضع لقسوة الشيخ فلا تشمخ، وتفزع عن حلقة الدرس فلا تطمئن. لقد كان يعتز بك لأنك ابنه الأصغر فأرسلك إلى الأزهر عسى أن يراك — بعد حين — شيخاً، كعمك، تتألق فى الجبة والقفطان وتزهو فى العمة واللحية، فتكون قبساً من نور العلم فى القرية، ونفحة من ضياء الهدى فى المجلس، وموعظة طيبة فى ضلال الجهل. ولكن بدا له أن يجذبك من الأزهر قبل أن تبلغ الغاية؛ لتتزوج من فتاة فى مثل سنك فيها الثراء والجمال، وفى أهلها الجاه والسلطان وفى ذويها العزة والمنعة. فصحبته إلى القرية والخيال الحلو يتوثب فى رأسك، وإن إهابك ليكاد ينشق من شدة الفرح وهو يتألق على جبينك، وإن خواطرك لتنزى مرحاً جامحاً ترتسم سماته على قسمات وجهك، وإن ذهنك ليضطرب فى آفاق جميلة من النشوة واللذة. وأحسست فى أعماق نفسك — وأنت فى طريقك إلى القرية — أنك اليوم تفر من قسوة الشيخ وعنت الدرس، وتنأى عن خشونة العيش وجفوة الغربة، لتعيش إلى جانب أمك تستشعر العطف والحنان؛ وأنك ستفر — غداً — من سطوة أبيك وهو غليظ الكبد جافى الطبع جامد الكف، لتصير رجلاً ...

وجاءت الزوجة تحمل إليك متعة القلب ولذة النفس، وتزف إليك سعة العيش وسعادة الحياة، وتنزع عنك ذل الحاجة لأبيك، وتلبسك ثوب الرجولة الباكرة، وتحطم أغلالاً من الإسار كبلك بها أبوك زماناً، فأصبحت حر اليد واللسان، طليق الأخذ والعطاء، لا يقيدك غل من سلطان أبيك، ولا تمسك ربقة من جفوته، فاطمأنت نفسك وهدأت نوازعك. ومرت السنون.

وانطلقت فى فورة الشباب إلى الغيط تجد المتعة فى العمل وتحس السعادة فى الجهد، لا تشغلك اللذة الوضيعة ولا يصرفك اللهو الرخيص، وأنت من بيت فيه الصلاح والدين وفيه الترفع والكبرياء؛ ففاض جيبك بالمال وفهقت دارك بالنعمة وطفح قلبك بالرضا. وجذبك سعار المال عن أن تلتفت إلى وراء، ساعة من زمان، لترى أخوتك يتقسمون تراث أبيك وهو ضئيل لا يسمن من جوع ولا يغنى من عرى. وجمدت مشاعرك فما بضّطت كفك لواحد منهم بقرش ولا حنّ قلبك على طفل من أبنائهم، فمشت عمراً من عمرك منطويا على نفسك لا تزيح عن أهلك غمة ولا تفرج كربة ولا تمسح لوعة، على حين أنك تنعم بوفرة الثراء وتسعد بكثرة المال. وهم يجدون ضيق اليد وكثرة العيال.

وابتسمت لك الحياة مرة أخرى فإذا أنت أب؛ فأشرق النور فى قلبك لدى مطالع الصبى، وانفرجت أساريرك، فأخذت تربيه على نسق من الفساد يطمّ على العقل دلالاً منك، وتنشئه على نهج من الضلال يعبث بالرأى رحمة به، وتصوغه فى قالب من الغى يعصف بالأدب عطفاً عليه؛ وإلى جانبك زوجك تدلل الصبى وتغريه وتدفعه إلى أن يتردى فى الجهل ويلجّ فى المهانة، فانطلق على سننه يغتمر فى لجة من الحمق والسفاهة. وأنت — ياصاحبي — تنظر فلا تردعه عن غواية ولا ترده عن نبوة.

وتراءى لك أن الصبى يخطو إلى الشباب فى غير ريث، ويسير إلى الفتوة فى غير مهل، فأشفقت عليه من عصا العلم أن تقضقض عظامه، وضننت به على ظلام المدرسة أن تهد من قوته، فأمسكته إلى جانبك يرتشف من غفلتك ويتفيأ من حمقك، فسقط فى مهاوى الجهل يعاشر البهيمة فى الغيط ويهفو إلى رفاق السوء فى القرية. فأخذ بأسباب اللهو الوضيع وارتدع فى حمأة الرذيلة، وأنت فى عمى عنه، والناس من حواليك يتهامسون بحديث ابنك الوحيد وهو ينفق عن سعة ويبذل فى سخاء، يسف فى طيش ويسفل فى رعونة. يتهامسون ولا يجرؤ واحد على أن ينفض أمامك جلة حاله خشية أن ينالك عنت الحديث أو تؤذيك قسوة الخبر، فانضمت الشفاه على

عبارات السخط والكراهية وسكتت الألسن عن كلمات المقت والازدراء.

وذهبت أنت تصحب وحيدك — بين الفينة والفينة — إلى الحقل تبصره بالعمل وتثقفه بالفلاحة وتعلمه حاجات الغيط وتزوده بالنصيحة. علك تجد فيه العون والساعد إن وهى جلدك أو انحطت قوتك، فكان يلقى السمع إلى حديثك وذهنه هناك ... هناك يتلمس اللذة الجارفة من لذاذات الشباب، ويفتش عن سلوة عارمة من أسباب الطيش، تخيل إليك أن الشاب أصبح رجلا يستطيع أن ينهض بالعمل وأن يصرف الأمر، فألقيت إليه بزمامك، ودفعته فاندفع ... اندفع إلى الهاوية.

واطمأنت نفسك حين جاء الشاب يقص عليك — أول مرة قصة الغيط وما فيه، وينشر أمامك نواحي العمل، ويبحث معك فنون الزراعة، فتسهلت له في السؤال وتيسرت له في القول، وأحس هو منك الغفلة والضعف، فانطلق في سبيله يبعثر مالك في غير رفق ولا هوادة، وركنت أنت إلى الراحة. وسكنت إلى العبادة لا يحزبك أمر ولا يرهقك طلب.

ووسوست لك زوجك، وللمرأة لسان ناعم أملس كجلد الأفعى، ولها حديث طلي ينسرب في مسالك القلب مثلما يسرى سم الثعبان. فما لبثت أن نزلت عن كل مالك ومالها لوحيدك الطائش. وغاب عنك أنك تدفع بمالك بين يدي لوثة الشباب وتقذف بمال زوجك إلى هوة الضياع.

وأحس الفتى أنه أصبح رب هذا البيت، فأراد أن يمكر بك فيحول بينك وبين خلجات الريبة في قلبك ونزوات الظِّنة في نفسك، فحباك بالمال — بادئ ذي بدء — وأسبغ عليك من فيض غلاتك وخصك بالطيب من الطعام وبالغالي من اللباس، وأنت في مكانك لا تريم. فشكرت له عقله الراجح، وحمدت له عطفه الوثاب، وسعدت ببره السابغ.

ليتك — يا صاحبي — نظرت بعين الرجل العاقل المجرب إلى زلات إبنك الفتى وهو ينحط إلى الدرك الأسفل من الرذيلة في غير وعي ولا عقل. إنه الآن يتملقك ليسدل على عينيك ستاراً كثيفاً من الخديعة لا تستشف من ورائه ما يخبئ لك القدر من ضيق وعنت.

ومرت الأيام تصفعك بالشيخوخة الباكرة من طول ما ركنت إلى الراحة، وتقذفك بالزَّمانة من طول ما خاصمت الحركة، فذوى عودك وانطوى بشرك ورانت عليك سحابة من الكآبة والحزن.

يا لقلبي، لقد اغترك الثراء عن أن تكسب العيش بالكد، وصرفك الولد عن أن تقوم على شأنك بالجهد، فقضيت سنوات من عمرى على كرسى وثير في ناحية من دارك الأنيقة بين رفاق الود وإخوان الصفاء، فسرى الداء في مفاصلك يطحنك في غلظة ويقعدك في عجز. ونظرت حواليك فإذا أخوك الأكبر — وهو يكبرك بسنوات وسنوات — يسير على قدميه المسافات الطوال في قوة ونشاط لا يصيبه النصب ولا الإرهاق، لأنه عاش عمره يصارع أمواج الحياة ويكافح شدائد الدنيا، ليظفر بقوته وقوت عياله. فتمنيت لو أنك عشت مثله فقيراً لا تجد القوت إلا بالثمن الغالي ... بعرق الجبين.

ويل لك — يا صاحبي — لقد كفرت خواطرك بالنعمة التي سعدت بها زماناً. والتي رفعتك فوق أقرانك وسمت بك على أترابك! فماذا يخبئ لك القدر جزاء ما كفرت؟

وجاءك — بعد أيام — الخبر الأسود يقصم ظهرك ويهد ركنك ويعصف بصبابة من الأمل كنت ترجاها. جاءك الخبر الأسود يقول: إن البنك العقارى قد استولى على كل ما تملك أنت وزوجك وفاء دين ابنك الداعر الغوى. وإن ابنك قد فر من القرية خشية أن يصمه عار الفقر وذل السؤال!

الآن، فقدت المال والابن معاً، أحوج ما تكون إليهما. فأصابك الندم على أن ألقيت بابنك في لجة من الجهل تجرفه في غير هوادة ولا رفق، وعلى أن ألقيت بثروتك بين يدي غر أهوج يبددها في سنوات، ثم يطير عنك ...

والآن، ماذا يختلج في فؤادك — يا صاحبي — وأنت لق في ناحية من الدار، تتعاورك الهموم وتتناهبك الأسقام، وتنوء تحت أثقال ثلاثة من الفاقة والشيخوخة والوحدة ...

كامل محمود حبيب

من المفسرين فى عصر الحروب الصليبية :

القـــــرطبى *

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح ، من أشهر مفسرى ذلك العصر ، وقد بقى لنا تفسيره كاملا .

ولد بقرطبة من بلاد الأندلس ، وتلقى بها ثقافة واسعة فى الفقه والنحو والقراءات ، وسمع من أبى العباس أحمد بن عمر القرطبى بعض كتابه : المفهم فى شرح مسلم ، ودرس البلاغة وعلوم القرآن واللغة ، ثم وفد إلى مصر ، كما وفد غيره من علماء الأندلس ، وكانت بلادهم فى ذلك الحين تتخطفها الفرنجة ، ولست أدرى متى قدم إلى مصر . واستقر فى الصعيد ، بمنية ابن خصيب (المنيا) ، يقضى وقته بين العبادة والتأليف . ويقول مؤرخوه عنه : إنه كان من عباد الله الصالحين ، والعلماء الورعين الزاهدين .

قال عنه الذهبى : إمام متفنن ، متبحر فى العلم ، له تصانيف مفيدة تدل على إمامته وكثرة إطلاعه . وفور فضله وقال عنه صاحب شذرات الذهب : كان إماما علما من الغواصين على معانى الحديث ، حسن التصنيف ، جيد النقل .

وترك القرطبى مؤلفات شتى ، أهمها كتابه فى التفسير الذى سماه (جامع أحكام القرآن ، والمبين لما تضمن من السنة وآى الفرقان) وتقوم دار الكتب بطبعه ، وتقدر أنها ستتمه فى عشرين جزءاً .

وهو لا يقف فى تفسير القرآن عند حد ماروى من ذلك عن الرسول والسلف الصالح ، بل يتخذ ما أوتيه من أدوات العلم وسيلة يستعين بها على فهمه ، وإن كان يعد معرفة ما أثر من ذلك ضروريا لفهم كتاب الله . وهنا يحسن بنا أن نوضح الرأى الذى أختاره لنفسه فى كتابه ؛ فقد عقد بابا لما جاء من الوعيد فى تفسير القرآن بالرأى ، والجرأة على ذلك (ج١ ص٢٧ طبع دار الكتب)

وفى هذا الباب أورد ماروى عن عائشة أنها قالت : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر من كتاب الله إلا آيا بعدد ، علمه إياهن جبريل . وقد رأى فى ذلك ما رآه ابن عطية ، من أن معنى الحديث فى مغيبات القرآن وتفسير مجمله ، ونحو هذا مما لا سبيل إليه إلا بتوقيف من الله تعالى . ومن جملة مغيباته مالم يعلمه الله به ، كوقت قيام الساعة ونحوها . ثم نقل مارواه الترمذى عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم من أنه قال : اتقوا الحديث علىّ إلا ما علمتم ، فمن كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار . ومن قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار . وروى أيضاً عن جندب أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ . وفى تفسير هذين الحديثين نقل عن ابن الأنبارى أن حديث ابن عباس فسر تفسيرين : أحدهما : من قال فى مشكل القرآن بما لا يعرف من مذاهب الأوائل من الصحابة والتابعين فهو متعرض لسخط الله . والتفسير الآخر ، وهو أثبت القولين وأصحهما معنى : من قال فى القرآن قولا يعلم أن الحق غيره ، فليتبوأ مقعده من النار ، أما حديث جندب ، فقد حمله بعضهم على أن الرأى معنى به الهوى ، فالمعنى من قال فى القرآن قولا يوافق هواه ، ولم يأخذه عن أئمة السلف فأصاب ، فقد أخطأ ؛ لحكمه على القرآن بما لا يعرف أصله ولا يقف على مذاهب أهل الأثر والنقل فيه . ونقل عن ابن عطية أن معناه أن يسأل الرجل عن معنى من كتاب الله ، فيتسور (أى يتهجم) عليه برأيه ، دون نظر فيما قال العلماء ، أو اقتضته قوانين العلم كالنحو والأصول ؛ وليس يدخل فى هذا الحديث أن يفسر اللغويون لغته ، والنحويون نحوه ، والفقهاء معانيه ، ويقول كل واحد باجتهاده المبنى على قوانين علم ونظر ، فإن القائل على هذه الصفة ليس قائلا لمجرد رأيه . قال القرطبى : هذا صحيح ، وهو الذى اختاره غير واحد من العلماء ، فإن من قال فيه بما سنح فى وهمه وخطر على باله من غير استدلال عليه بالأصول فهو مخطئ ، وإن من استنبط معناه بحمله على الأصول المحكمة المتفق على معناها فهو ممدوح .

قال القرطبى : وقال بعض العلماء : « إن التفسير موقوف على السماع » . وهذا فاسد … لأن النهى عن تفسير القرآن لا يخلو إما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع ،

(*) مراجعه : طبقات المفسرين للسيوطى ، الديباج المذهب ص٢٧٩ مقدمة ابن خلدون ص ٣٨٤ ، شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٣٥ ، نفح الطيب ج ١ ص ٤٢٨ ، كتب المؤلف ، شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية ص ١٩٧ .

وترك الاستنباط ، أو المراد به أمر آخر ، وباطل أن يكون المراد ألا يتكلم أحد فى القرآن إلا بما سمعه ، فإن الصحابة قد قرأوا القرآن ، واختلفوا فى تفسيره على وجوه ، وليس كل ما قالوه سمعوه من النبى صلى الله عليه وسلم ، وإنما النهى يحمل على أحد وجهين ، أحدهما أن يكون له فى الشىء رأى ، وإليه ميل من طبعه وهواه ، فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ، ليحتج على تصحيح غرضه . وقد تستعمله الباطنية فى المقاصد الفاسدة ، لتغرير الناس ودعوتهم إلى مذاهبهم الباطلة ، فينزلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم ، فى أمور يعلمون قطعا أنها غير مرادة .

الوجه الثانى أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن ، وما فيه من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير . فمن لم يحكم ظاهر التفسير ، وبادر إلى استنباط المعانى بمجرد فهم العربية كثر غلطه ، ودخل فى زمرة من فسر القرآن بالرأى ، والنقل والسماع لا بد منه فى ظاهر التفسير أولا ، ليتقى به مواضع الغلط ، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والإستنباط . والغرائب التى لا تفهم إلا بالسماع كثيرة ، ولا مطمع فى الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر ؛ ألا ترى أن قوله تعالى : « وآتينا ثمود الناقة مبصرة ، فظلموا بها » ، معناه آية مبصرة ، فظلموا انفسهم بقتلها . فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة ، ولا يدرى بماذا ظلموا .. فهذا من الحذف والإضمار . وأمثال هذا فى القرآن كثير ؛ وماعدا هذين الوجهين فلا يتطرق النهى إليه .

ونرى من هذا نموذجا لمناقشاته من ناحية ، وأنه ليس من هؤلاء الذين يقفون عند حد النقل عن السالفين ، يعمل فكره فى الاستدلال والاستنباط ، لا لمجرد الهوى ، ولكن اعتماداً على قوانين العلوم ، ووقوفا عند حدودها ، وأخذاً عن السلف ما يرى ضرورة الأخذ به . من تفسير المجمل وحل المشكل .

وبدأ القرطبى تفسيره بعدة أبواب رآها ضرورية قبل الدخول فى التفسير ، وأوضح لنا الخطة التى انتهجها فى كتابه بقوله : « وبعد ، فلما كان كتاب الله هو الكفيل بجميع علوم الشرع الذى استقل بالسنة والفرض ، ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض ، رأيت أن أشتغل به مدى عمرى ، وأستفرغ فيه منتى بأن أكتب فيه تعليقا وجيزاً ، يتضمن نكتا من التفسير واللغات ، والإعراب والقراءات ، والرد على أهل الزيغ والضلالات ، وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات ، جامعاً بين معانيها ، ومبينا ما أشكل منها بأقاويل السلف ، ومن تبعهم من الخلف ... وشرطى فى هذا الكتاب إضافة الأقوال إلى قائليها ، والأحاديث إلى مصنفيها ، فإنه يقال : « من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله » ... وأضربت عن كثير من قصص المفسرين ، وأخبار المؤرخين ، إلا ما لابد منه ، ولا غناء عنه للتبيين ، واعتضت من ذلك بتبيين آى الأحكام بمسائل تسفر عن معناها ، وترشد الطالب إلى مقتضاها ، فضمنت كل آية تتضمن حكما أو حكمين فما زاد ، مسائل نبين فيها ما تحتوى عليه من أسباب النزول والتفسير والغريب والحكم ، فإن لم تتضمن حكما ذكرت ما فيها من التفسير والتأويل ، وهكذا إلى آخر الكتاب .

وصدر المؤلف كتابه بعدة أبواب : منها واحد ذكر فيه جملا من فضائل القرآن ، والترغيب فيه ، وفضل طالبه وقارئه ومستمعه والعامل به ، وباب لكيفية التلاوة ، وما يكره منها وما يحرم ، وآخر فى فضل تفسير القرآن وأهله ، وباب شرح فيه معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه . وعرض أقوال العلماء فى ذلك ، وصلته بالقرءات ، وعقد بابا لجمع القرآن ، وسبب كتابة عثمان المصاحف ، وترتيب سور القرآن وآياته ، وشكله ، ولفظه ، وتحزيبه وعدد حروفه ، وكلماته ، وآيه ، ثم عرض لمعنى السورة والآية ، والحرف ، وهل ورد فى القرآن كلمات خارجة عن لغات العرب أولا ، ثم ذكر بابا فى إعجاز القرآن ، ووجه هذا الإعجاز .

وينقل القرطبى كثيراً عن ابن عطية الذى لخص تفاسير من سبقه ، ممن يرون ضرورة معرفة آراء السلف ، واقتدى به فى ذلك القرطبى .

ولم يكتف المفسر بالفصل الذى عقده فى تفسير الجامع — لبيان فضائل القرآن وفضل قارئه ومستمعه ، بل ألف فى ذلك كتابا خاصا ، دعاه التذكار فى أفضل الأذكار (1) ، وقد رأى أن يجمع فى هذا الكتاب أربعين حديثا ترتبط بهذا الموضوع ، وقد

(1) مخطوط بدار الكتب رقم ب ٢٣٠٤٦

الخطر اليهودي

بروتوكولات شيوخ صهيون العلماء [١]

البروتوكولات الأول :

(١) سنكون صرحاء ، ونناقش دلالة كل تأمل ، ونصل إلى شروح وافية بالمقارنة والاستنباط . وعلى هذا النهج سأعرض فكرة سياستنا وسياسة الجوييم Goys (وهذا هو التعريف اليهودى لكل الأجانب Gentiles)[٢] .

(٢) يجب أن يلاحظ أن ذوى الجبلات[٣] الفاسدة من الناس أكثر عدداً من ذوى الجبلات النبيلة . وإذن خير النتائج فى حكم العالم ما ينتزع بالعنف والإرهاب لا بالمناقشات الأكاديمية academic . كل إنسان يسعى إلى القوة . وكل يود أن يصير دكتاتورا على أن يكون ذلك فى استطاعته . وما أندر من لا ينزعون إلى إهدار مصالح غيرهم توصلا إلى أغراضهم الشخصية[٤] .

(٣) ماذا كبح الوحوش المفترسة التى نسميها الناس عن الافتراس ؟ وماذا حكمها حتى الآن ؟ لقد خضعوا فى الطور الأول من الحياة الاجتماعية للقوة الوحشية العمياء ، ثم خضعوا للقانون ، وما القانون فى الحقيقة إلا هذه القوة ذاتها مقنعة فحسب . وهذا يتأدى بى إلى تقرير أن قانون الطبيعة هو : الحق يكمن فى القوة .

(٤) إن الحرية السياسية ليست حقيقة بل فكرة . ويجب أن يعرف الإنسان كيف يسخر هذه الفكرة عند ما تكون ضرورية ، فيتخذها طعما لجذب العامة إلى صفه ، إذا كان قد قرر أن ينتزع سلطة منافس له . وتكون المشكلة يسيرة إذا كان هذا المنافس موبوءا بأفكار الحرية freedom التى تسمى مذهب التحررية liberalism ، ومن أجل هذه الفكرة يتخلى عن بعض سلطته .

(٥) وبهذا سيصير انتصار فكرتنا واضحاً ؛ فإن أزمة الحكومة المتروكة خضوعاً لقانون الحياة ستقبض عليها يد جديدة ، وما على الحكومة الجديدة إلا أن تحل محل القديمة التى أضعفتها التحررية liberalism ؛ لأن قوة الجمهور العمياء لا تستطيع البقاء يوماً بلا قائد .

(٦) لقد طغت سلطة الذهب على الحكام المتحررين . ولقد مضى زمن كانت الديانة هى الحاكمة . وإن فكرة الحرية لا يمكن أن تتحقق ؛ إذ ما من أحد يستطيع استعمالها استعمالا سديدا .

(٧) يكفى أن يعطى الشعب الحكم الذاتى فترة وجيزة ، لكى يصير هذا الشعب رعاعاً بلا تمييز . ومنذ تلك اللحظة تبدأ

(١) أنظر المقدمة فى العدد السابق .

(٢) المراد بالأجانب من عدا اليهود ومعنى الكلمة عندهم البهائم والأنجاس والكفرة والوثنيون ، وفى هذا ما يدل على أن اليهود ينظرون إلى من عداهم نظرات الحقد والاحتقار والمقت والاشمئزاز ، وقد استعملت كلمة الأممى والأمميين والأممية علما للدلالة على غير اليهود مقابلا كلمة Gentiles

(٣) جمع جبلة وهى الفطرة الغريزة والخليقة .

(٤) سبق المتنبي شيوخ صهيون إلى هذا المعنى فقال :

« والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم »

وضعه القرطبي على طريقة كتاب التبيان فى آداب حملة القرآن للنووى ، ولكن التذكار أتم منه وأكثر علما .

وللقرطبي مؤلفات أخرى ، منها كتاب التذكرة[١] بأحوال الموتى وأمور الآخرة ، وهو كتاب ضخم ، قال مؤلفه فى مقدمته وبعد فإنى رأيت أن أكتب كتابا وجيزا ، يكون تذكرة لنفسى ، وعملا صالحا بعد موتى ، فى ذكر الآخرة وأحوال الموتى ، وذكر النشر والحشر ، والجنة والنار ، والفتن والأشراط ، نقلته من كتب الأئمة ، وثقات أعلام هذه الأمة ، حسب مارويته أورأيته ... وبوبته بابا ، بابا ، وجعلت عقب كل باب فصلا أو فصولا يذكر فيها ما يحتاج إليه من بيان غريب أوفقه فى حديث أو إيضاح مشكل ، لتكمل فائدته وتعظم منفعته .

وله غير ذلك كتاب شرح أسماء الله الحسنى وكتاب قمع الحرص بالزهد والقناعة ، ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة ، قال عنه ابن فرحون فى الديباج المذهب : لم أقف على تأليف أحسن منه فى بابه . وله أرجوزة جمع فيها أسماء النبى ، وله تآليف وتعاليق غير هذه .

وكانت وفاته بالمنيا سنة ٦٧١ ، وترك ولده شهاب الدين أحمد الذى روى عن والده بالإجازة .

أحمد أحمد بدوى
مدرس بكلية دار العلوم

(١) مخطوط بدار الكتب رقم ٨٨٣ تصرف

المنازعات والاختلافات التي سرعان ما تتفاقم فتصير معارك اجتماعية ، وتندلع النيران في الدول ، ويزول أثرها كل الزوال .

(٨) وسواء أنهكت الدولة الهزاهز الداخليـة أم أسلمتها الحروب الأهلية إلى عدو خارجي ، فإنها في كلتا الحالين تعتبر قد خربت نهائياً كل الخراب — وستقع في قبضتنا . وسيمد الاستبداد المالي — والمال كله في أيدينا — إلى الدولة عوداً لا مفر لها من التعلق به ، لأنها — إذا لم تفعل ذلك — ستغرق في اللجّـة لا محالة .

(٩) ومن تخالجه — تأثراً ببواعث التحررية — الإشارة إلى أن بحوثاً من هذا النمط منافية للأخلاق — فسأسأله هذا السؤال : لماذا لا يكون منافياً للأخلاق لدى دولة يتهددها عدوان : أحدهما خارجي والآخر داخلي — أن تستخدم وسائل دفاعية ضد الأول تختلف عن وسائلها ضـد الآخر ، وأن تضع خطط دفاع سرية ، وأن تهاجمه في الليل أو بقوات أعظم ؟ ولما يكون منافياً للأخلاق لدى الدولة أن تستخدم هذه الوسائل ضد من يحطم أسس حياتها وسعادتها ؟

(١٠) هـل يستطيع عقل منطقي سليم أن يأمل في أن يحكم الغوغاء حـكما ناجحاً باستعمال المناقشات والمجادلة ، مع أنه يمكن مناقضة مثل هذه المناقشات والمجادلات بمناقشات أخرى ، وربما تكون المناقشات الأخرى مضحكة غير أنها تعرض في صورة تجعلها أكثر إغراء لتلك الفئـة العاجزة من الجمهور عن التفكير العميق ، والهائمة وراء عواطفها التافهة وعاداتها وعرفها ونظرياتها العاطفية .

(١١) إن الجمهور الفـر الغبي ، ومن ارتفعوا من بينه — لينغمسون في خلافات حزبيـة تعوق كل إمكان للاتفاق ولو على المناقشات الصحيحة ؛ وإن كل قرار للجمهور يتوقف على مجرد فرصة ، أو أغلبية ملفقة تجـيز لجهلها بالأسرار السياسية حـلولا سخيفة ، فتبذر بذور الفوضى في الحـكومة .

(١٢) إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق في شيء . والحاكم المقيد بالأخـلاق ليس بسياسي بارع ، وهو لذلك غير راسخ على عرشه .

(١٣) لا بد لطالب الحـكم من الالتجاء إلى المكر والرياء ؛ فإن الشمائل الإنسانية العظيمة من الإخلاص والأمانة تصير رذائل في السياسة . إنها لتبلغ في زعزعة العرش أعظم ممـا يبلغه ألدُّ الخصوم . هـذه الصفات لا بد أن تكون خصال البـلاد الأممية (غير اليهودية) ، ولـكنا غير مضطرين إلى أن نقتدي بهم الدوام .

(١٤) إن حقنا يكمن في القوة . وكلمـة « الحق » فـكرة مجردة قائمة على غير أساس ، فهي كلمـة لا تدل على أكثر من «أعطني ما أريد لتمكنني من أن أبرهن لك بهذا على أني أقوى منك» .

(١٥) أين يبـدأ الحق وأين ينتهي ؟ أيما دولة يساء تنظيم قوتها ، وترتد فيها هيبة القانون وشخصية الحاكم بتراء من جراء الاعتداءات التحررية المستمرة ، فإني أتخذ لنفسي فيها خطا جديداً للهجوم مستفيداً بحق القوة لتحطيم كيان القواعد والنظم القائمة ، والإمساك بالقوانين ، وإعادة تنظيم الهيئات جميعاً ، وبذلك أصير دكتاتوراً على أولئك الذين تخـلوا بمحض رغبتهم عن قوتهم ، وأنعموا بها علينا .

(١٦) وفي هذه الأحوال الحاضرة المضطربة لقوى المجتمع ، ستكون قوتنا أشد من أي قوة أخرى ، لأنها ستكون خافية حتى اللحظة التي تبلغ فيها مبلغاً لا تستطيع معـه أن تنسفها أي خطة ماكرة .

(١٧) ومن خلال الفساد الحالي الذي نلجأ إليه مكرهين ، ستظهر فائدة حكم حازم يعيد إلى بناء الحياة الطبيعية نظامه الذي حطمته نزعة التحررية .

(١٨) إن الغاية تزكي الوسيلة ، وعلينا — ونحن نضع خططنا ألا نلتفت إلى ما هو خـيِّر وأخلاقي بقـدر ما نلتفت إلى ما هو ضروري ومفيد .

(١٩) إن بين أيدينا خطة موضحا عليها خـط إستراتيجي . وما كنا لننحرف عن هذا الخط إلا كنا ماضين في تحطيم عمل قرون .

(٢٠) إن من يريد إنفاذ خطة عمل تناسبه يجب أن يستحضر في ذهنه حقارة الجمهور ، وتقلبه ، وحاجته إلى الاستقرار ، وعجزه عن أن يفهم ويقدر ظروف عيشته وسعادته . وعليه أن يفهم أن قوة الجمهور عمياء هوجاء من العقل المميز ، وأنها تعير سمعها ذات اليمين وذات الشمال . إذا قاد الأعمى أعمى مثله فـكلاهما سيسقطان معاً في الهاوية . وأفراد الجمهور الذين امتازوا من بين الهيئات — ولو كانوا عباقرة — لا يستطيعون أن يتقدموا هيئاتهم كزعماء دون أن يحطموا الأمة .

(٢١) ما من أحد يستطيع أن يقرأ الكلمات المركبة من الحروف السياسية إلا من نشىء للسلطة الأتقراطية . إن الشعب المتروك لنفسه ، أى للممتازين من الهيئات ، لتحطمه الخلافات الحزبية التى تنجم من الشره على القوة والأمجاد ، وتخلق المزاهز والاضطراب .

(٢٢) أفى مقدور الجمهور أن يميز بهدوء ودون ماتحاسد ؛ كى يدير أمور الدولة التى يجب ألا تقحم معها الأهواء الشخصية ؟ أو يستطيع أن يكون وقاية ضد عدو أجنبى ؟ هذا محال . إن خطة مجزأة أجزاء كثيرة بعدد ما فى أفراد الجمهور من عقول — خطة ضائعة القيمة ؛ فهى لذلك غير معقولة ولا قابلة للتنفيذ . الأتقراطى وحده هو الذى يستطيع أن يرسم بوضوح خططا واسعة ، وأن يعهد بجزء معين منها لكل عضو فى بنية الآلة الحكومية . ومن ثم نستنتج أن ما يحقق سعادة البلاد أن تكون حكومتها فى قبضة شخص واحد مسئول . وبغير الاستبداد المطلق لا يمكن أن توجد حضارة، لأن الحضارة لا يمكن أن تكون رائجة إلا تحت حماية الحاكم كائنا من كان ، لا بين أيدى الجماهير .

(٢٣) إن الجمهور بربرى ، وتصرفاته فى كل مناسبة على هذا النحو، فما إن يضمن الرعاع الحرية حتى يحولوها سريعاً إلى فوضى ، والفوضى فى ذاتها قمة البربرية .

(٢٤) وحسبكم فانظروا إلى هذه الحيوانات المخمورة التى بلدها الشراب ، وإن كان لينتظر لها من وراء الحرية منافع لاحصر لها ! أفنسمح لأنفسنا وأبناء جنسنا بمثل ما يفعلون ؟

ومن المسيحيين أناس قد أضلتهم الخمر ، وانقلب شبانهم مجانين بالكلاسيكيات ، والمجون المبكر الذى أغراهم به وكلاؤنا ، ومعلمونا ، وخدمنا وقهر ما ناتنا فى البيوتات الغنية ، وكتبتنا ، ومن إليهم ، ونساؤنا فى أماكن لهوهم — وإليهن أضيف من يسمين «نساء المجتمع» — والراغبات من زميلاتهم فى الفساد والترف .

يجب أن يكون شعارنا «كل وسائل القوة والخديعة»

(٢٥) إن القوة الخالصة وحدها هى المنتصرة فى السياسة ، وبخاصة إذا كانت محجبة بالألمعية اللازمة لرجال الدولة .

(٢٦) يجب أن يكون العنف هو الأساس . ويتحتم أن يكون ماكراً خداعاً حكم تلك الحكومات التى تأبى أن توطأ تيجانها تحت أقدام وكلاء قوة جديدة . إن هذا الشر هو الوسيلة الوحيدة للوصول إلى هدف الخير . ومن أجل ذلك يتحتم ألا نتردد لحظة فى إعمال الرشوة والخديعة والخيانة إذا ما كانت تخدمنا فى تحقيق غايتنا .

(٢٧) وفى السياسة يجب أن نعلم كيف نصادر الأملاك بلا أدنى تردد إذا كان هذا العمل يمكننا من السيادة والقوة . إن دولتنا — متبعة طريق الفتوح السلمية — لها الحق فى أن تستبدل بأهوال الحرب أحكام الإعدام ، وهى أقل ظهوراً وأكثر تأثيراً ، وإنها لضرورية لتعزيز الفزع الذى يولد الطاعة العمياء . إن العنف الحقود وحده هو العامل الرئيس فى قوة الدولة . فيجب أن نتمسك بخطة العنف والخديعة لا من أجل المنفعة فحسب بل من أجل الواجب والنصر أيضاً .

(٢٨) إن مبادئنا فى مثل قوة وسائلنا التى نعدها لتنفيذها ، وسوف ننتصر ، ونستعبد الحكومات جميعا تحت حكومتنا العليا لا بهذه الوسائل وحدها بل بصرامة عقائدنا أيضاً ، وحسبنا أن يعرف عنا أننا صارمون فى كبح كل تمرد .

(٢٩) وكذلك كنا قديما أول من صاح فى الناس « الحرية والمساواة والإخاء » . كلمات ما انفكت ترددها منذ ذلك الحين ببغاوات جاهلة متجمهرة مما من كل مكان حول هذه الشعائر ، وقد حرمت بتردادها العالم من نجاحه ، والفرد من حريته الشخصية الحقيقية التى كانت قبل فى حمى يحفظها من أن تخنقها السفلة .

(٣٠) إن أدعياء الحكمة والذكاء من الأمميين لم يتبينوا كيف كانت عواقب الكلمات التى يلوكونها ، ولم يلاحظوا كيف يقل الاتفاق بين بعضها وبعض ، وقد يناقض بعضها بعضاً .

(٣١) إنهم لم يروا أنه لا مساواة فى الطبيعة ، وأن الطبيعة نفسها قد خلقت أنماطاً مختلفة غير متساوية فى العقل والشخصية والطاقة . وكذلك فى الخضوع لقوانين الطبيعة .

(٣٢) أدعياء الحكمة هؤلاء لم يكهنوا أن الرعاع قوة عمياء ، وأن المتميزين المختارين من وسطهم حكاماً — عميان مثلهم فى السياسة ، فإن المرء المقدور له أن يكون حاكما — ولو كان أحمق — يستطيع أن يحكم ، ولكن المرء غير المقدور له ذلك — ولو كان عبقريا — لن يفهم شيئا فى السياسة . وكل هذا كان بعيداً عن نظر الأمميين (غير اليهود)، مع أن الحكم الوراثى قائم على هذا الأساس . فقد اعتاد الأب يُفقّه الابن فى معنى التطورات السياسية وفى مجراها بأسلوب

الشعر المصرى فى مائة عام

الحالة السياسية والاجتماعية والفكرية

للأستاذ محمد سيد كيلانى

— ٢ —

١٨٥٠ — ١٨٨٢

وقد طغى نفوذ الأجانب فى عصر اسماعيل طغيانا كبيراً ، واشتدت شوكتهم إلى حد لم يسبق له مثيل فى تاريخ البلاد . وقد آلم هذا المصريين وأحزنهم . لقد أضحى الأجانب متمتعين بكل شئ ، والمصريون محرومون من كل شئ . فلا عجب أن شعر المصرى بأنه غريب فى بلده ، ذليل فى وطنه . قال السيد على أبو النصر ...

أكرمتم الغرباء النازلين بكم ... لكن فلاحكم ضاقت مزارعه

وللسيد صالح مجدى قصيدة مؤثرة صور فيها طغيان نفوذ الأجانب على المصريين . ومما جاء فيها قوله :

أأكون أسيراً فى وثاق الأجانب ... ومن عجب فى السلم أنى بموطنى
إذا أمكنتنى فرصة لم أحارب ... وأن زعيم القوم يحسب أننى
له بعضها يقضى بخلع المناكب ... وأنى أغضى عن مساو عديدة
لدى العد لا تحصى بدفتر كاتب ... وأضرب صفحاً عن مخاز أقلها
بأوطاننا فيها لواء المحارب ... أأتركها من غير نشر فينطوى
على كل حربى له لنا فى المكاتب ... وهل يجعل الأعمى رئيساً وناظراً
جهول بتلقين الدروس لطالب ... ومن أرضه يأتى بكل ملوث
من الدهر مغمورا ببحر المواهب ... فيمكث فى مهد المعارف برهة
تعود على أبنائنا والأقارب ... ويغتنم الأموال لا لمنـــافع
إلى أهله إلا بملء الحقائب ... ولا ينثنى عن مصر فى أى حالة

وهى قصيدة رائعة حقاً صور فيها الشاعر أحوال هؤلاء الأوربيين الذين كانوا يفدون إلى مصر فى حالة بؤس وجوع ثم يغتنون فى مدة وجيزة مع أنهم مجردون من العلم والذمة والضمير . وإنما همهم النهب والسلب والحصول على المال بكل وسيلة .

***

ليس لأحد غير أعضاء الأسرة المالكة أن يعرفه ، وما استطاع أحد أن يُفشى الأسرار للشعب المحكوم . وفى وقت كان معنى التعليمات السياسية الحقة — كما تووّرثت فى الأسر المالكية من جيل إلى جيل — مفقوداً ، قد أعان هذا الفقد على نجاح غرضنا .

(٣٣) إن صيحتنا « الحرية والمساواة والإخاء » قد جلبت إلى صفوفنا فرقا كاملة من زوايا العالم الأربع عن طريق وكلائنا المغفلين ، وقد حملت هذه الفرق ألويتنا فى نشوة ، بينما كانت هذه الكلمات — مثل كثير من الديدان — تلتهم سعادة المسيحيين ، وتحطم سلامهم وثباتهم ووحدتهم ، مدمرة بذلك أسس الدول . وقد جلب هذا العمل النصر لنا كما سنرى بعد . إنه مكننا بين أشياء أخرى — من لعب دور الآس فى أوراق اللعب الغالبة ، أى محق الامتيازات ، وبتعبير آخر محق كيان الارستقراطية الأممية التى كانت الحماية الوحيدة للأمم والبلاد ضدنا .

(٣٤) ولقد أقنا على أطلال الأرستقراطية الطبيعية والوراثية أرستقراطية من لَدُنّا على أساس بلوتقراطى (حكم الأغنياء) قننا. الأستقراطية الجديدة على الثروة التى نتسلط عليها ، وعلى العلم الذى يروجه علماؤنا . ولقد عاد انتصارنا أيسر فى الواقع ، فإننا من خلال صلاتنا بالناس الذين لا غنى لنا عنهم — كنا دائما نحرك أشد أجزاء العقل الإنسانى إحساساً ، أى نستثير مرض فرائسنا من أجل المنافع ، وشرههم ونهمهم والحاجات المادية للإنسان ، وكل واحد من هذه الأمراض يستطيع مستقلا بنفسه أن يحطم الطليعة ، وبذلك يضع قوة إرادة الشعب تحت رحمة أولئك الذين سيجردونه من كل قوة طليعته .

(٣٥) إن تجرد كلمة « الحرية » جعلها قادرة على إقناع الرعاع بأن الحكومة ليست شيئا آخر غير مدير ينوب عن المالك الذى هو الأمة ، وفى المستطاع خلعها كقفازين باليين . وإن حقيقة أن ممثلى الأمة يمكن عزلهم قد أسلمت ممثليهم لسلطاننا ، ووضعت تعيينهم عمليا فى أيدينا .

محمد خليفة التونسى

(يتبع)

وكان الخديو اسماعيـل عظيم العناية بإقامة الحفلات المدرسية التى تختم بها الامتحانات العامة فى المدارس على اختلاف درجاتها وكان يحضر هذه الحفلات كبار رجال الدولة وتوزع فيها الجوائز على المتقدمين من الناجحين ، ويلقى فيها الأساتذة ونوابغ الطلبة الخطب والقصائد . وكانت الوقائع المصرية وهي الصحيفة الرسمية للحكومة تهتم بنشر أنباء هذه الحفلات وما يلقى فيها من نثر ونظم فكان هذا من أكبر العوامل التى ساعدت على رواج سوق الشعر فى ذلك العصر . وأقبـل الشعراء على نظم الأناشيد التى ينشدها الطلبة فى هذه الاحتفالات . ومثال ذلك قول عبد الله فكرى :

العلم تشريف وشان   لأهله فى كل آن
والفخـر يوم الامتحان   يبقى على طول الزمن

العـــلم أسنى مايرام   ويبتغى منـــه المرام
ويقتفى نهج الـكرام   فيـه على أســـنى

وظهرت فى عصر اسماعيل حركة إحياء الـكتب القديمة ، ومال الناس إلى قراءة دواوين فحول الشعراء الذين نشأوا فى أزهى عصور الأدب . وقد أثر هذا فى الشعر تأثيراً بيناً . فطفق بعض الشعراء يقلد المتنبي والبحترى والمعرى وأبا تمام وأبا نواس وغيرهم من الأعلام . فلا عجب أن أخذت أساليب الشعر تميل نحو الارتقاء وتنفض عن كاهلها ما أصابها من الركة والضعف طوال العصر التركى

وقد أقام الخديو اسماعيل بمناسبة زواج أبنائه حفلات رائعة لم ير المصريون لها مثيلا . وكانت أفراح الأنجال هـذه موضوعا للشعراء فنظموا فى ذلك القصائد والمقطوعات ووصفوا ما أقيم من الملاهى والملاعب وحفلات الرقص والغناء .. قال رفاعة رافع الطهطاوى :

كواكب أفراح العزيز بأفقها   كصبح يقين قد جلا ظلمة الشك
ورنات أنغام المعازف أطربت   كأن قيام الجن تبعث بالجنـك
وملعب (بال) بالحسان منعم   عيون غوانيـه تغازل بالفتك
رياضـة رقص فى كمال منزه   عن الريب موزون على التم والتك
وكم من فتاة فيه سكرى بلا طلا   يراقصها السنيور لطفا مع السبك
وفيه صفى البال بالرقص مغرم   يقول لذات الخال لابد لى منك
تميس كغصن البان عطفا وتنثنى   وتفتر عن برق تألق بالضحك
ولولا الحيا والدين والعـــلم والتقى   لقال حليف الزهد قد طاب لى هتكى

ومجلس أنس قد تعطر روضه   وأرجاؤه فاحت بها نفحة المسك
وفى الجو تقليد النجوم منيرة   .صواريخ أنواع الشهب السما تحكي
تلون كالحرباء بل ربما حكت   يواقيت قد مرت على حجر الحك
وحلبـة سبق بالجياد يزينها   (رماح أعدت للطعان بلا شك)
بتنظيم أوربا تسامى ابتهاجـه   ومافاته فى الحسن طنطنة الترك

وهكذا صور الشعراء تلك الأفراح وما أعد فيها من ضروب اللهو وأنواع التسلية وألوان البهجة والسرور .

ومال الناس فى عصر اسماعيل إلى التنزه فى الحدائق والبساتين فكانوا يخرجون إلى شواطئ النيـل ويقضون أوقات الأصيل بين الروضـة والجزيرة والجيزة . وساعد على ذلك إنشاء جسر قصر النيل والجسر المواجه الذى يطلق عليه الآن كوبرى «الجلاء» . وقد تغنى الشعراء بهذه الأماكن ولا سيما محمود سامى البارودى الذى أكثر من ذكر « روضـة المقياس » و « أرض الجزيرة » ...

وظهرت فى ذلك العصر حياة اللهو والمرح وأقبل الناس على المسارح والملاهى وصالات الرقص ومحال الغناء . وارتقى الذوق الموسيقى وتقدم فن الغناء وعظمت مكانة المغنين . وقد أقبل بعض الشعراء على نظم الأدوار الغنائية والمقطوعات التى تلقى فى حفلات التمثيل . وكثرت الأزجال والمواويل والموشحات وذلك لقربها من أفهام الناس . وظهر شعر عليه مسحة من الخلاعة والمجون . ومثال ذلك قول عبد الله فكرى :

وهيفاء من آل الفرنج حجابها   على طالبى معروفها فى الهوى سهل
تعلقتها لا فى هواها مراقب   يخاف ولا فيها على عاشق بخل
إذا أبصرت من ضرب باريز قطعة   من الأصفر الإبريز زلت بها النعل
هنالك لا هجر يخاف ولا جفا   لديها ولا خلف لوعد ولا مطل
أتيت كما شاء التصابى رحابها   وما كان لى عهد بأمثالها قبـل
فلما تعارضنا الحديث تعرضت   لوصل ومن أمثالها يطلب الوصل
فرحت بها فى حيث لا عين عائن   ترانا ولا بعل هناك ولا أهل
وبت ولى سكران من خمر لحظها   وراح بثناياها ومن خدها نقل

وقت ولم أعلم بما تحت ذيلها   وإن كان شيطانى له بيننا دخل

وقد استخدمت فى عصر اسماعيل السنة الميلادية بدلا من السنة الهجرية . والظاهر أن الناس قد تعذر عليهم حفظ شهور هذه السنة فأخذ بعض الشعراء ينظمون هذه الشهور فى شعر حتى يسهل على الناس حفظها .. ومن ذلك قول عبدالله فكرى .

شهور الافرنج خذوا ترتيبها   قد جاء فى النظم على مأموليه

ينـاير فبراير ومارث   إبريل مايه يونيـه ويوليه

أغسطس سبتمبر أكطوبر   نوفبر ديسمبر فادعوا ليـه

ولم يكتف بهـذا بل نظمها فى مواليا لأنه كما قال أنسب لكونها أعجمية لا يحسن انسجامها فى الشعر العربى . وقد وضع مواليا يبين فيها عدد أيام كل شهر من هذه الشهور قال :

فبراير النقص فيه يومين وتاره يوم

وشهور سبعة تزيد يوم على يوم

يزيد يناير ومارث ومايه مافيـه لوم

يوليه وأغسطس وإكتوبر وديسمبر

وبقية الأشهر ثلاثين فى حساب القوم

* * *

ولما ازدادت الأحوال المالية سوءاً فى أواخر عصر اسماعيل واشتدت المظالم سئم الناس حكم الخديو وتمنوا زواله . فلما خلع فرحوا وابتهجوا . وقد عبر الشعراء عن إحساس مواطنيهم فى شعر كثير . فمن ذلك قول عبد الله فكرى من قصيدة بعث بها إلى الشيخ على الليثى .

واقرأ على الشيخ الجليل تحية   مقرونة بالشوق والتبجيـل

وقل البشارة ، مصر ولى أمرها   توفيقها من بعـد إسماعيل

جاء القناصـل باتفاق مبرم   فدعوها لتنـازل وقبول

فارتاب إسماعيل واضطربت به   أحواله والخطب أى مهول

وأقام يبرم أمره ويحلـه   متعللا بالقال بعد القيـل

حتى أتى أمر الخلافة معلنا   مضمونه بالمنع والتنويل

فقضى الخديوى بالحكومة لابنه   ومضى يهيئ نفسه لرحيـل

ويلاحظ أن الروح العسكرى الذى ظهر فى عهد سعيد قد اختفى اختفاء تاما فى عصر اسماعيل ولا سيما بعـد هزيمة الجيش المصرى فى الحبشة هزيمة ساحقة ، وبعد إغلاق المدارس الحربية التى فتحت فى أوائل عصره ، وبعـد تغلغل النفوذ الأوربى فى المصالح والدواوين وزوال هيبة الحاكم المصرى . لذلك لم يتغن الشعراء بالجيوش المصرية ولا بعددها وأسلحتها ، ولا بإقدامها وبسالتها ، كما فعلوا فى عهد سعيد ؛ بل خرست ألسنتهم وأمسكوا عن الخوض فى هذا الموضوع .

* * *

انتهى عصر اسماعيل وجاء عصر توفيق (١٨٧٩ — ١٨٩٢م) فوجد أمامه مهمة شاقة فكان الشعب يئن من المظالم والكوارث التى حلت به إبان حـكم الخديو السابق ، ويرزح تحت أعباء الضرائب الباهظة التى أثقلت كاهله ، فلا عجب إذا تطلع الناس إلى حكم جديد ينشر العدل ويقضى على الظلم . وقد عبر الشعراء عن ذلك فيما نظموا من مدائح فى الخديو الجديد .

قال السيد على أبو النصر يخاطب توفيقا .

نرجوه إنجاز إصلاح الشؤون عسى

يصفو به الملك دانيـه وشاسعه

فإن آمالنا أمته جازمة   بأنها لا ترى شهما يضارعه

فكن مجيباً أبا العباس دعوتها   فباب عطفك يلقى البشر قارعه

ووال فضلك ياخير الولاة لمن   والى لأمرك يشقى من يراجعه

واستنتج الرأى إصلاحا فقـد حجبت

شمس الهـدى بسحاب فاض هامعه

وطهر الملك من عات ومتهم   تقوده للقضا جهلا مطامعه

إلى أن قال :

فإن رعيت وراعيت الحقوق فما   أولاك بالمدح يتـلو الحمد بارعه

وقال السيد صالح مجدى من قصيدة يخاطب بها الخديو توفيق :

وتعمـل فى رد المظالم فكرة   بنور الهدى طول المدى تتوقد

وتطوى بلا ريب سجل مطامع   لها كان قبل الآن غيرك يفرد

وتصرف فى نشر القناعة ما به   بحار الملاهى والشراهة تنفـد

وتنسخ أحكاما قضت بابتدائها   أمور نهى عنهـا النبى محمد

فنرى من هذا الشعر أن الأمة كانت تريد القضاء على المظالم وتطلب صلاحاً شاملاً للأداة الحـكومية . وهـذه الرغبات التى رددتها الشعراء تعتبر مقدمة للحركة العرابية التى ظهرت فيما بعد. بدأت الحركة العرابية فى فبراير ١٨٨١ م وبلغت أوجها فى سبتمبر من هذا العام . وكان الليثى هو الشاعر الوحيـد الذى

انبرى للدفاع عن العرابيين فى حادثة قصر النيل المشهورة . فقال من قصيدة .

لما رأى جنده من شبهة عرضت قد عارضوا واتقوا بالجزم واحتزموا
يوم العروبة إذ شوال منتصف راموا انتصافا وكاد السلم ينحسم
أجاب سؤلهم وهو الجدير به فقابلوه بحسن الحمد واحترموا

ومنها :

وهب لجندك ماقدكان وارعهم بعين أروع سيما طبعه الكرم
هب أنهم أخطأوا لم يستخف بهم خوف به ثورة الأحشاء تضطرم
فكان ماكان من أمر مغبته والحمد لله لم يلمم بها ألم
أما الذى بحرك المذب الخضم لهم ما يثلج الصدر يطربه صدورهم
ألست أول ذى حلم محامده سارت مسير الصبا والناس قد علموا
رفقاً وعطفاً وبالصفح الجميل أعد عادات بر لهم فى عودها عشم
فهم للملك أنصار وهم عدد عند الوغى ومثار النقع مرتكم
وهم سيوفك فى يوم يضربه قلب الجبان وموج الحرب يلتطم
وهم دروع رعاياك الذين لهم فى وصف ممناك ما تمنوله الأمم
حاشاك مولاى أن تصغى لذى غرض لديه سيان من يحيا وينعدم

وكان من مطالب العرابيين إنشاء مجلس نيابى . وقد أجيب هذا الطلب وافتتح الخديو توفيق مجلس النواب الجديد فى ٢٦ ديسمبر ١٨٨١ م وكان يوما مشهوداً ، وصدر دستور ١٨٨٢ م فقوبل بالابتهاج العام وأقيمت حفلات كثيرة بهذه المناسبة ألقيت فيها الخطب والقصائد . ومدح البارودى الخديو توفيق بقصيدة جاء فيها :

سن المشورة وهى أكرم خطة يجرى عليها كل راع مرشد
هى عصمة الدين التى أوحى بها رب العباد إلى النبى محمد
فمن استعان بها تأيد ملكه ومن استهان بأمرها لم يرشد

ولكن الحركة العرابية ما لبثت أن انحرفت عن الطريق المستقيم وساعد على ذلك دسائس الدول الأوربية واضطهد العرابيون كل من خالفهم . وازدادت الحالة سوءاً يوما بعد يوم ، وانتشر الرعب وعم الفزع واختل الأمن وأصبح الناس عرضة للسلب والنهب والقتل . وانزوى الأتراك والجراكسة بعيداً عن الأنظار وأضحوا فى وجل شديد وخوف عظيم . وقد صور لنا هذه الحالة أصدق تصوير حسن حسنى الطويرانى التركى الأصل المصرى المولد والنشأة ، فقال :

فكم ليال أجنتنا غياهبها والحزم أعينه فى غمض ترنيق
وكم صباح نرى حر الهجير به ومالنا من ضياه بعض تأليق
نمسى حيارى وتمسى الأرض واجفة ونصبح الصبح فى رجف وتخفيق
يعالج الحر ذوق المر يجرعه عبا ورشفاً إلي أن مل من ريق
يمشى العزيز ذليلا فى منا كبها والهام خافضة فى رفعة السوق
أيام ما يعرف الإنسان ينكر من الدنا بين مكروه وممشوق
حيث اكفهر ظلام الظلم تتبعه سحب المنا بين تفتيق وترنيق
حيث الوجود تشهى أهله عدما وود لو كان فيه غير مخلوق
يابئسها فتنة بالغى طاغية بطيئها بضلال غير مسبوق
أذاقت الأرض بؤساً والسماء أسى وكدرت صفو ذى قيد ومطلوق
وعممت ويلها الأوطان إذ فجرت وخصصت أهلها للجور والضيق
لم تبق عينا بلا سهد ولا تركت قلباً بسهم جفاها غير مرشوق
تجمهرت وجرت فى غيها وبغت ودمرت بين تفريق وتحريق
جارت بما ارتكبت جات لما ركبت تاهت بما انتهبت أغرت بتلفيق
لم يحفظوا حرما لم يرحموا أمما لم يشكروا نعما شكران مرزوق
جردوا السيف قهراً أى منصلت وفوقوا الغدر سهما أى تفويق
جابوا البلاد كما خانوا العباد وهم يستطلعون طريقا غير مطروق
فكل باب ذمار غير مفتتح وكل باب دمار غير مغلوق
كم حرموا من مباح القول واحتجروا كم حللوا من دم بالظلم مهروق

ولا ريب فى أن الطويرانى لم يعبر عن شعور الأمة ولم ينطلق بلسانها . فالمصريون من غير شك كانوا فى جانب عرابى . أما الأتراك والجراكسة فكانوا من أعداء العرابيين . وقد عملوا ما استطاعوا على هزيمة الجيش المصرى وتمهيد البلاد للاحتلال البريطانى . وهم فى هذا مدفوعون بمصالح أنفسهم حريصون على

جاههم وسلطانهم الذى يتعرض للضياع والزوال إذا انتصر العرابيون . فلا عجب إذا أظهروا الفرح والسرور حينما انهزم المصريون أمام الجيوش البريطانية ، وراحوا يلقبون عرابى وأصحابه بالفئة الباغية، والفرقة العاصية ، والبغاة الجهال ، والأشقياء الملحدين، والأغبياء المتمردين ، وغير ذلك مما جادت به قرائحهم السقيمة

وانتهى الأمر بضرب مدينة الإسكندرية ضربا مروعا حل بها الخراب والدمار ، واشتعلت الحرائق وانتشر السلب والنهب وفى ضرب الإسكندرية يقول عبد الله فكرى :

بوارج أمثال البروج تقاذفت ... بحمم كأمثال الصواعق رجم
بواخر ترى الشاهقات بمثلها ... سراعا كأسراب الحمام الحوم
دوارع يلقين المخاوف آمنا ... بها سربها من كل حول ومرغم
من اللاء لا يتركن حصنا محصنا ... ولا أنف برج شامخ غير مرغم
يطارحن أسراب المدافع فى الوغى ... بكل رجيج وزنه غير أخرم
وسالت شعاب الأرض بالجند زاحفا ... بكل سبوح من كميت وأدهم
يموج به النادى فى كل مأزق ... كما زخرت أمواج يم ميمم
وغشى ضياء الشمس أسود حالك ... من النقع معقود بأفتم أسحم
تغيم منه الأفق والصحو سافر ... لثاما ووجه الجو غير مغيم
وأرعدت الأرض السماء وأبرقت ... بصيب ودق للمنية يهمى
وجاوب أصداء البنادق مثلها ... نداء فما يبقين غير مكلم
ونازع فيها ابن الكروب نديده ... رسائل ليست للتودد تنتمى

ولما انهزم العرابيون وأقبل الخديو إلى مدينة القاهرة أخذ الشعراء ينظمون القصائد فى مدح توفيق والتعريض بالعرابيين ، وكان من هؤلاء الشعراء من انضم إلى الحركة العرابية وناصرها . فلما منيت هذه الحركة بالفشل والهزيمة ، شرعوا ينظمون القصائد الطوال فى التبرؤ منها والاعتذار عما فرط منهم ، أو نفى تهمة الاشتراك مع العرابيين . وممن فعلوا ذلك عبد الله فكرى والليثى الذى عفا عنه الخديو وقربه إليه . وكان من الشعراء من هو من أصل غير مصرى . وقد وقف هؤلاء من بدء الحركة فى جانب الخديو ، فشرعوا بعد هزيمة عرابى ينظمون القصائد فى هجوه وسلبه والتشهير به والطعن فيه . وكان الطورانى الذى سبقت الإشارة إليه أكثر هؤلاء الشعراء هجاء لعرابى وأصحابه . وقصائده التى نظمها فى هذا الموضوع من أمتن شعره وأجوده وأصدقه من حيث التعبير عن شعور البغض والكره للعرابيين وللحركة العرابية . ولم يتورع بعض هؤلاء الشعراء من الكذب والافتراء على الناس وعلى التاريخ . أنظر إلى مصطفى صبحى باشا حين يقول من قصيدة طويلة دعاها « صدق المقال فى مثالب البغاة الجهال »

ولما أتى الأسطول مصر مسالما ... أثرتم بريح البغى نار التمرد
ومناكم بالمستحيل خطيبكم ... وأدمج غشا فى حماس مقلد
وأوهم زورا أن فيكم بسالة ... فحاولتم بالجهل خطة أصيد
وهيأتم بعض الطوابى تنمرا ... وهددتم سيمور كل التهدد
فسببتم إحراقها وخرابها ... وكانت حصانا بالبناء المشيد

فهو يقول إن الأسطول البريطانى جاء مسالما وأن عرابى هو الذى هدده . وهذه دعوى باطلة فندها بعض مؤرخى الإنجليز أنفسهم . ولكن هذا الرجل لم يتورع عن اتهام العرابيين بما برأهم منه أعداؤهم من البريطانيين .

قلنا إن الروح العسكرى المصرى الذى ظهر فى عهد سعيد قد اختفى اختفاء تاما فى عصر اسماعيل . ثم جاء الاحتلال البريطانى وسرح الجيش المصرى ثم كون جيش جديد صغير تحت إشراف البريطانيين . لذلك لم يكن من المعقول أن يمدح الشعراء توفيقا بالشجاعة والإقدام ، والجرأة والبسالة، وغير ذلك من ألقاب البطولة التى مدحوا بها سعيدا . فأخذوا يبحثون عن صفات أخرى تصلح لهذا الخديو . وكان توفيق أول حاكم فى العصر الحديث يكثر من غشيان الأضرحة والمساجد . فانتفع الشعراء بهذا المظهر الدينى وأخذوا يمدحونه بالتقوى والورع : ثم خلعوا عليه الصفات التى اعتادوا خلعها على كل من يمدحونه كالجود والحلم والذكاء والعدل . وقد أكثروا من مدحه بالحلم وذلك لعفوه عن كثير ممن اشتركوا فى الحركة العرابية . ومدحوه بجودة الرأى وسداد التفكير . ومثال ذلك قول الساعاتى :

مليك بحسن الرأى دبر ملكه ... وقد يبلغ المأمول شهم تدبرا
أذل له التدبير عزة من طغى ... وحاول أن يسمو العلا فتحدرا

فالتدبير هو الذى أذل عزة الطغاة ولم يكن السيف والمدفع .

وقال :

ملك الوجود بجودة الرأى الذى ... قد كاد أن يحيا بها الاسكندر

بمثل هذا مدح توفيق . ولن تجد فى هذه المدائح على كثرتها إشارة إلى قوة حربية أو ذكرا لجيش أو سلاح .

محمد سيد كيلانى

(يتبع)

لغة المسلمين؟

للأستاذ محمد حسن الأعظمي

جهاد عشرين عاما متواصلة لا أفاخر به ولكنني أحمد الله عليه وأستزيده التوفيق منه .

قال مستر غاندى يوما : «إن من الخير لسكان الهند ألا يلجأوا إلى اللغة الأردية لأنها تكتب بأحرف القرآن ، وهو كتاب المسلمين وحدهم . وعلينا أن نختار اللغة المحفوظة عن الأمهات فقط وهى اللغة السنسكريتية ، وما كدت أطلع على هذا فى صحف الهند العامة حتى أسرعت فى اليوم التالى إلى الإجابة ، وقلت لمستر غاندى : « إن المسلمين ليس لهم أمهات سوى أزواج نبيهم عليه أفضل صلاة وسلام ، وهن أمهات المؤمنين ؛ ولغة أولئك الأمهات هى اللسان العربى المبين » ولما أذاع المستر غاندى مرة أخرى نداء يدعو فيه إلى توحيد اللغة بين المسلمين والهنود أجبته بأن ذلك لا يمكن إلا بأن نتعلم لغتكم السنسكريتية مع لغتنا العربية . وعليكم أن تسلكوا إلى الوحدة هذه السبل نفسها ثم تكون النتيجة الحتمية لهذا . هى العودة إلى الأردية مرة أخرى ، فهى مزيج من اللغتين معاً إلا قليلاً من الفارسية والتركية . وإذا لم تصنعوا ذلك ولن تصنعوا فماذا أنتم فاعلون إذا اصطدمتم بلغات تربوا على المائتين بين العشائر الهندوكية المتناثرة فى أقطار الهند ؟ النتيجة الحتمية لهذا التعصب ضد العربية والأردية هى الاعتماد على اللغة الانكليزية — لغة أعدائكم — فى التفاهم والمكاتبات . وهذا هو الذى حدث فعلا . فقد تخلص هؤلاء من الاستعمار العسكرى ليقعوا تحت سيطرة روحية من نسيج هذه اللغة الأجنبية عنهم . فإن كنت فى ريب من هذا أيها القارئ . فادخل إحدى السفارات الهندية لدى أى الحكومات إن شئت ، فأنت واجد فيما بين أفرادها سلطان اللغة الإنكليزية حاكما على قلوب الموظفين نافذ الكلمات فى أذواقهم وحديثهم ومخاطباتهم ؛ وإنها لهى عبودية الروح فى غشاء رقيق من حرية الجسد .

أما أنا فقد رأيت أن أمشى على سنن الطريق مسترشداً بيقينى وإيمانى واثقاً من أننى فيما أدعو إليه سألاقى النصر والفوز . تركت الجدل الكلامى وأخذت أنشئ الجمعية العربية العامة فى الهند ، وأتبعها بإنشاء مدارس ليلية شبيهة بالمدارس والوحدات الليلية التى يعرف الجميع نشاطها بمصر . وكنت ومن معى من المؤمنين بفكرتى مثالا من النشاط الذى لم تكن فيه أقل من الغيورين على محاربة اللغة العربية واستبدال حروفها وإخراج ألفاظها .

ولكى نستبعد فكرة التعصب القبلى دعونا إليها كلغة القرآن والإسلام . أما الآثار الأدبية لهذه الحركة المباركة فقد كان منها كتاب المعجم الأعظم الجامع بين اللغتين العربية والأردية إلى جانب عشرات من الكتب المدرسية . وكانت حيدر أباد الدكن مركزاً هاماً إلى ذلك الحين لنشر العربية ، إذا كان بحيدر آباد مائة ألف أو يزيدون من العرب أو من أصول عربية ، فلقيت الدعوة تشجيعاً وإقبالاً رائعاً . وقام على رياسة هذا النشاط أحد سلاطين المكلا العرب ، وما كدنا نقطع من مراحل الزمن سنة حتى انتشرت المدارس الليلية فى جميع مناطق المدينة وشكلت الفروع المختلفة فى الضواحى والأقاليم المتاخمة . وأنشئت كلية للغة العربية فى العاصمة لتقوم بالتعليم على أسس دراسية قيمة . ولكى يقطع هذا النشاط مدى بعيداً قرنا إلقاء محاضرات أسبوعية فى حفلات متنقلة بين أحياء المدينة ، وكنا نرى إقبال الجمهور المتزايد يجعل الأمكنة تضيق بزوارها . وكانت تلك الحفلات أدبية مشجعة على مواصلة الكفاح العلمى والأدبى . ثم رأينا أن نجرى مسابقات دورية تمنح فيها المكافآت والجوائز . ومما يثير العجب أن عدد الفائزين فى آخر مسابقة بلغوا مائة من بينهم خمس وسبعون من الفتيات . وقد جرت المسابقة فى الكتابة الإنشائية وفن الخطابة والإلقاء . وحاولت أيضاً فى سبيل تيسير هذا التعليم أن أدعو إلى استبدال خط النسخ العربى بالخط الفارسى فى الأردية .

أما حيدرآباد ومراكز الهند الأخرى بعد التقسيم فهى فى ستار مغلق دونى الآن — فقد وليت وجهى شطر الوطن الإسلامى الباكستانى — ولقيت فيها الدعوة مكانا خصباً . فلعلى أستمد هذه الروح نحو تعليم العربية من أيمان شعب الباكستان الذى تشرف فيه الحكومة نفسها على الجمعية العامة للغة العربية . وأصبح خط النسخ العربى خطاً رسمياً فى مكاتبات الدولة وأعمالها العامة .

ركن المعتزلة :

ارادة الله فى مذهب المعتزلة

للدكتور البير نصرى نادر

الفعل الأرادى عند الإنسان يشتمل على إدراك غاية يصل إليها وعلى مشاورة ، حيث أن بواعث كثيرة تبدو أمام الإنسان ، وعلى عزم ؛ أعنى اختيار باعث من ضمن هذه البواعث ؛ وهذا الاختيار يضع حداً المشاورة ؛ وأخيراً على تنفيذ أو عمل — لكن الله الكلى الكمال لا يعرف المشاورة لأنها دليل على الضعف إذ أنها تشمل التردد . كانت لذلك إرادته تعالى تختلف كل الاختلاف عن إرادتنا .

تعريف المعتزلة لأرادة الله :

إرادة الله فى مذهب المعتزلة من الاعتبارات الذهنية التى يقولون بها مثل العلم والقدرة ، والتى لا يوجد حقيقة لأن ماهية الله بسيطة وكاملة . وبناء على ذلك تكون الأرادة هى ذات الالهية أعنى أنها قديمة لا متناهية وكاملة — لذلك يقول النظام والكعبى أن الله غير موصوف بالأرادة على الحقيقة وإن ورد الشرع بذلك. فالمراد بكونه تعالى مريداً لأفعاله أنه خالقها ومنشئها ، وإن وصف بكونه مريداً لأفعال العباد ؛ فالمراد بذلك أنه أمر بها ؛ وإن وصف بكونه مريداً فى الأزل فالمراد بذلك أنه عالم فقط[1] — وهكذا ترد المعتزلة إرادة الله إلى علمه أعنى إلى ماهيته . وإذا قال النجار « يعنى كونه تعالى مريداً أنه غير مغلوب ولا مستكره »[2] فإنه يكرر قول النظام على شكل آخر ، لأنه لا يوجد فى الله ولا خارجا عنه تعالى أى مؤثر يرغمه على العمل ، إذ أن علمه تعالى هو أيضاً قدرته وإرادته -- ويوضح الجاحظ خصائص الفعل الأرادى بقوله : مهما انتفى السهو عن الفاعل وكان عالما بما يفعله فهو مريد ؛ وإذا مالت نفسه إلى فعل الغير سمي ذلك ميلان أرادة[3] ولكن

(١) الشهرستانى : نهاية الأقدام ص ٢٣٨ — الملل والنحل جـ١ ص ٦٢ — البغدادى : الفرق بين الفرق ص ١٦٦

(٢) الشهرستانى الأقدام ص ٢٣٨

(٣) المصدر نفسه ص ٢٣٩

واللغة العربية مادة إجبارية فى مواد التعليم الثانوى . كما خصص ركن من الإذاعة للغة العربية أيضاً . وحضرات أصحاب المعالى الوزراء فى الباكستان وفى مقدمتهم صاحب المعالى وزير المعارف العمومية فضل الرحمن مقبلون بأنفسهم على تعلم هذه اللغة .

ولعل بعض القراء يذكر أن فخامة حاكم البنجاب السردار عبد الرب نشتر — هو الذى يرأس أكثر الحفلات العربية ويلقى فيها خطبه المرتجلة فى عبارات سليمة واضحة .

وليس هذا كل شيء ، فإن الخطوة المباركة الحقيقية هى وصولنا إلى ذلك القرار الحكيم الذى وافق عليه مؤتمر العالم الإسلامى الدائم وهو اعتبار لغة القرآن لغة عامة للمسلمين جميع ، وكتابة لغات العالم الإسلامى بخط النسخ العربى . كما ألقيت أكثر خطب المؤتمر فى كراتشى باللغة العربية . وإذا كنا نحن الباكستانيين قد بذلنا هذا الجهد المتواضع لتعميم العربية الفصحى وإحياء تراثها المجيد ، فإنى أهيب بالناطقين بالضاد فى الممالك العربية أن يجعلوا واجبهم الأول تعميم اللغة العربية الفصحى وإحياء تراثها المجيد ، وأن لا يقصروها على مكاتباتهم فى دواوين الحكومة . وعلى أعمدة الصحف . فعلى كل من يجيد العربية أن يخاطب بها غيره فى المكتب والطريق وفى الأندية والأسواق وفى التعامل التجارى والتبادل الثقافى . وسيقول قائل إن الطريق شاق والمطلب عسير ، فأقول لهؤلاء ليس بين العامية الدارجة والعربية الفصحى سوى تصحيح كلمات وإعراب جمل وصدق فى التوجيه قبل كل شيء . وما هو إلا قليل من التدريب يتلوه النصر القريب .

كثيراً ما رأيت طلاب البعثات الوافدة إلى مصر والأزهر يعودون مزودين باللغة العامية ، وما هجروا أوطانهم إلا للغة العربية السليمة الفصحى !

وقد بدأنا نحصل الغرامة المفروضة من أعضاء المؤتمر الاسلامى على كل من يلجأ إلى غير العربية الفصحى أثناء كلامه .

ويتجه نظرى الآن إلى الكعبة العلمية الاسلامية أعنى (الأزهر الشريف) ليبدأ هذه الخطوة من جانبه بين أساتذة المعاهد وطلابها ، فهل يتحقق أملى ؟

محمد حسن الأعظمى
عميد كلية اللغة العربية فى الباكستان

فى الله لا يوجد مثل هذا الميلان ، لأن علمه لا متناهى وكامل ، فلا يمكننا إذن التكلم عن إرادة الإلهية مثل إرادتنا — إن الله مريد بالمعنى الذى يعطيه الجاحظ لهذا اللفظ أى أنه يحقق علمه — ويزيد الكعبى على كل ذلك بقوله إنما دل على الاختصاص على الأرادة فى الشاهد لأن الفاعل لا يحيط علما بكل الوجوه فى الفعل ولا بالمغيب عنه ولا بالوقت والمقدار ، فاحتاج إلى قصد وعزم وإلى تخصيص وقت دون وقت ، ومقدار دون مقدار . والبارى تعالى عالم بالغيب مطلع على سرائره وأحكامه فكان علمه بها مع القدرة عليها كافيا عن الأرادة والقصد إلى التخصص ، وأنه لما علم أنه يختص كل حادث بوقت وشكل وقدرة فلا يكون إلا ماعلم ، فأى حاجة له إلى القصد والأرادة ؟[1] وننتهى من هذا كله إلى إن أرادة الله هى علمه أعنى ذاته .

أرادة الله وخلق العالم :

تقول المعتزلة إن خلق العالم متعلق بأرادة الله ، وهذه الأرادة هى من صفات الأعمال . لكن بعض معتزلة فرع البصرة مثل بشر ابن المعتمر ومعمر كانوا يقولون إن هـذه الصفة حادثة لأن موضوعها — وهو العالم المخلوق — حادث . بينما البعض الآخر كان يقول إن هذه الصفة أزلية .

حيث أنها تتعلق بماهية الله وهذه أزلية — ولكن جميع المعتزلة متفقون على أن هذه الأرادة — أزلية كانت أم حادثة — سابقة على خلق العالم . فعليه يكون العالم إما أزليا وأما حادثاً —

لنتعقب أقوال المعتزلة فى هـذا الموضوع الدقيـق . يقول أبو الهذيل إن خلق الشىء الذى هو تكوينه بعد أن لم يكن هو غيره وهو إرادته تعالى له وقوله : كن — والخلق مع المخلوق فى حاله وليس بجائز أن يخلق الله شيئاً لا يريد ولا يقول له : كن . ويضيف أبو الهذيل على ذلك قائلا بأن خلق العرض وخلق الجوهر هو غيرهما . ويقول أخيراً إن الخلق الذى هو إرادة وقول لا فى مكان[2] من هذا القول يتضح أن الخلق هو بداية الوجود الذى يمنحه الله لشىء كان غير موجود . ثم إن هذا الخلق يتميز تماماً من الشىء الذى كان فى حالة العـدم قبل خلقه — فيكون الخلق متعلقا بأرادة الله التى تتحقق فى وقت ما ويصبح هذا الوقت بداية الوجود — من الضرورى أن نبين أن أبا الهذيل كان يؤكد الفرق الموجود بين أرادة الله لخلق الشىء وبين هذا الشىء المخلوق الذى هو موضوع الأرادة . إن هذه الإرادة فى زعمه (وهى منبع الخليقة) لا توجد فى محل . وسبب ذلك أن الله لا يشغل محلا لأنه غير مادى ، فعليه لا يمكن أن تكون أرادته فى مكان لأن المادة فقط تشغل حيزاً . ولكن موضوع هذه الأرادة مادى وهو الخليقة . فهى تشغل مكانا معينا . ومن هنا قامت المشكلة العويصة المتعلقة بطبيعة العالم المخلوق وطبيعة الله : إنهما لطبيعتان مختلفان كل الاختلاف ومتميزتان تمام التمييز : الواحدة منهما وهى الطبيعة الآلهية تمنح الوجود فقط للأخرى التى هى الطبيعة المادية — وماهية العالم المخلوق خلاف ماهية الله .

ويقول النظام من جانبه أن الخلق متعلق بأرادة الله ، والخلق هو منح الوجود اعنى تكوين[1] — وهكذا يميز النظام إرادة الله عن موضوع هـذه الأرادة وهو العالم المخلوق . ولكن النظام لايقول أن هذه الأرادة متميزة عن ماهية الله . وبناء على ذلك تكون هذه الأرادة قائمة منذ الأزل . فمسألة خلق العالم مرتبطة ارتباطا وثيقا بمسألة أرادة الله .

المعتزلة والمذهب الحلولى :

إن المعتزلة مجمعة على تمييز أرادة الله عن موضوع هذه الأرادة . وهكذا يقررون موقفهم ضد المذهب الحلولى . والأشعرى يؤكد موقف المعتزلة هـذا كما ذكر أحد رؤسائهم مثل معمر وبشر ابن المعتمر والمردار والجبائى[2] . فنجد مثلا فى مقالاته هذا القول : يزعم معمر أن خلق الشىء غيره . وكان بشر بن المعتمر يزعم أن خلق الشىء غيره ، وأن الخلق قبل المخلوق وهو الأرادة من الله للشىء — وكذلك كان يزعم المردار . وهذه كلها أقوال واضحة تنفى المعتزلة بمقتضاها كل مذهب حلولى أو كل ما يؤدى إلى الاعتقاد بوحدة الوجود .

أرادة الله والشرع :

كما أن المعتزلة تقول أن الخلق متعلق بأرادة الله كذلك يقولون أن الشرع (القانون الخلقى) متعلق بهذه الأرادة أيضاً . إذا هم قالوا

(١) المصدر نفسه ص ٢٤٠
(٢) الأشعرى : مقالات الإسلاميين ص ٣٦٣

(١) المصدر نفسه ص ٣٦٥
(٢) المصدر نفسه ص ٣٦٤ — ٣٦٦

إن الأرادة توافق الأمر [1] فأنهم يميزون أيضاً هذه الأرادة عن الشريعة التي تأمر بها . ويقول أبو الهذيل بهذا الصدد إن أرادة الله للايمان هي غيره وغير الأمر به [2] فعليه إذا قلنا الله يريد شيئا وجب علينا أن نميز بين أرادته تعالى وموضوع هذه الأرادة . ولأرادة الله موضوع حتما ، لذلك قالت المعتزلة إن الله يريد الشريعة.

لكن هل الشريعة تكتسب قيمتها الخلقية من أرادة الله أم هذه القيمة موجودة ضمنا في الشريعة نفسها ؟ نكتفي هنا بقولنا إن المعتزلة كانت تزعم أن الخير خير في ذاته وأن الشر شر في ذاته وليس بموجب أرادة الله . والله يريد الخير ويأمر به لأنه خير في ذاته ، وينهى عن الشر لأنه شر في ذاته . فالله لا يختار جزافا أموراً ويقول عنها أنها خير أو شر ، لا بل هذه الأرادة الكلية الكمال تميل طبعا نحو الخير وتنفر طبعا من الشر .

وهكذا يكون خلق العالم متعلقا بأرادة الله ، والشريعة أيضاً متعلقة بهذه الأرادة . ولكن هذه الأرادة وأن مالت طبعا نحو الخير لا تختار جزافا ماهو خير وتأمر به ، بل أنها تأمر بما هو خير في ذاته .

أرادة الله وحرية الانسان :

يريد الله الخير لذاته ويأمر به ولا يمكنه أن ينتج الشر ، بل إن الله ترك الإنسان حراً أن يخضع أو لا يخضع لأرادته تعالى وهي أرادة الخير . فالشر إذن يأتي من كائن حر الأرادة يمكنه أن يختار الخير أو الشر بينما الله تعالى الكلي الكمال لا يمكنه أن يريد أو يختار ما هو نقص وعدم كمال مطلق لأن أرادته هي علمه وعلمه هو ذاته وذاته كاملة . هكذا تميز المعتزلة أرادة الله عن أرادة الإنسان .

فرد جميع صفات الله إلى ذاته تعالى جعل المعتزلة تنظر إلى العلم والقدرة والأرادة نظرة تختلف كل الاختلاف عن هذه الصفات في الإنسان . وهذا أمر طبيعي ومنطقي يتفق تماماً وتعريفهم لله تعالى إذ يقولون أنه كمال لا متناهي وكل صفة فيه مجرد زعم ومجرد اعتبار ذهني ليس إلا .

ألبير نصري نادر
دكتور في الآداب والفلسفة

(١) اليافعي : مرهم العلل المعضلة ص ١٠٠
(٢) الأشعري : مقالات الإسلاميين ص ٥١٠

أيها الملاح استرح

آن لك أيها الملاح التائه أن تهتدي ...
فها هو الشاطىء الذي كنت تريده وتبغيه
رحلت أيها الصديق إلى الأبدية !
ولا زال لحنك يرن في أذن الوجود والأجيال .
كنت تريد أن تستشف الحجب لترى اللانهاية .
فها أنت فيها . فحدثنا وستسمعك القلوب النقية .
لأن آذان البشرية أصمتها صراخ ذبائح الفضيلة .
أيها الملاح لقد وصلت واسترحت . وتركت لنا الحيرة والعذاب !
بالأمس وعلى صفحات (الرسالة) كتبت لك .
« أيها الملاح التائه يحبك قلبي .
لأنك مثله ولأنك ملؤه .
واليوم أكتب لك على صفحات رسالتك .
أيها الملاح استرح .
فقد طالت حيرتك وكثر تعبك .
وهنيئاً لك ... فاطو شراعك .
فقد آن لك أن تصل وعليك السلام .

عزت حماد منصور
مؤلف
عبقرية علي طه

بين الأمير شكيب وعزت باشا

كان المغفور له الأمير شكيب أرسلان صديقاً حميماً لصاحب المقام الرفيع عبد العزيز عزت باشا . وقد أقاما بسويسره سنين متقاربين متقابلين وكان يتحف صديقه من وقت لآخر بفكاهة أو نكتة مليحة تسلية له وللأصدقاء .

وحصل أن مرض الأمير شكيب وقام بعلاجه طبيبه الدكتور بيكل أحد مشاهير الأطباء فى جنيف ، وصارت بينهما وبين هـذا الطبيب مودة ، فنظم الأمير بعد شفائه قصيدة ثناء على الدكتور لاهتمامه به ونجاحه ، وقد ضمنها أشياء أخرى من باب التسلية دفعها لصديقه رفعة الباشا ليترجم للدكتور مضمونها . وقد فعل .

ولقد ضمنى ورفعة الباشا مجلس قص علينا فيه ما كان للأمير شكيب من حسن المحاضرة وجميل المعاشرة ؛ ومن بين ما عرضه علينا من آثار تلك القصيدة التى حوت مع الفكاهة على حد قوله تحميداً وتوحيداً ، فرأيت تسلية قراء الرسالة بها إذا راقت لصاحبها الأستاذ الجليل والسلام .

أحمد نجيب برادة

قصيدة الأمير شكيب أرسلان

سيدى لا عدمته

أريد أن أسليك وأن أفكهك من وقت إلى آخر ، فإن اللذات العقلية لها دور لا ينكر . فهذه أبيات نظمتها لتطربك ، فيها نكات وملح ، وفيها مواعظ وحكم ، وفيها تحميد وتوحيد ، والله المستعان .

أقول لبيكل مـذ قد غدا ... يساوره دائى المعضـل
قضى بك ربى شفاء لسقمى ... وربى لمـا شاءه يفعل
تفردت فى حكماء الزمان ... فأنت بحـق لهم أول
وأحسنت ترقيع شيخوختى ... فلله درك يا بيـكل
وكنت قليل الرجا فى الحياة ... فعادت حياتى كما أومـل
وذقت لعمرى لذيذ الرقاد ... وهل للكرى مثل يعدل
وزاد اشتهائى لقضم الطعام ... فقد صلح النوم والأكل
وقد كان لى نفس ضيق ... إذا بات يصـعد أو يسفل
فقـد رجعت رئتى حرة ... يجول بها النفس الأطول
وقد كنت أمشى ببطء عظيم ... كمن قد غدا جبلاً يحمل
وما كان خطوى خطوا ولكن ... خطى سحبتنى بها الأرجل
فها أنذا صرت أمشى سريعاً ... على قدر ما شئت أستعجل
وقد كنت أرجف برداً وإن ... تك النهار فى جانبى تشعل
فقد صرت مستغنياً عن صلاها ... وأخرج ليـلاً ولا أسأل
نعم قد أتانى أخـيراً زكام ... وهـذا بكل الورى ينزل
وكان سعال ومن ذا الذى ... يمر الشتاء ولا يسـعل
على أنه قد مضى كلـه ... وعاد إلى صـفوه المنهل
ومهما يك المرء مستقصيا ... فلا بد من أنه يغفل
وينسى ولا سيما إن غدت ... هناك الخطوب التى تذهل
فأستغفر الله إنى نسيت ... فللثوم فى صحتى مدخـل
وما فى النبات لعمرى نبات ... أجل من الثوم أو أمثل
كريه الروائح لكنما ... ثناه هو المسك والمندل
وأن الشرايين عند الشيوخ ... لتيبس من فرط ما تذبل
فبالثوم يمكن تليينها ... ومجرى الدماء بهـا يسهل
فحييت يا ثوم من بقلة ... خيوط الحياة بها توصـل
معيد الشباب وفى أكله ... يطول الشباب ولا يأفل
وبيكل للثـوم مستحسن ... ومن ذا الذى فضله يجهل
فحمدا لربى على صحـتى ... ألا إنه وحـده الموئل
عليه توكلت وهو اللطيف ... الذى من يرجيه لا يخذل
ولا بد لى من معاد ولـكن ... معاد إلى الحـق لا يثقل
ومن حل يوماً بدار الكريم ... فيا ليت شعرى هل يهمل
نحب الحياة ولسنا لندرى ... لعـل الذى بعدها أفضل
ولـكن عمراً طـويلاً يلذ ... ويحلو لـكل امرئ يعقل
وإنا برغم كروب الحيـاة ... لنرغب فى أنها تمهـل
وإن حيـاة الرجال العظام ... حياة لغـيرهم تشمل
وإن حياة الرجال الكرام ... دوام الدعاء لهـا يجمل
فأبقاك ربى يا سـيدى ... بثوب الهنـا دائماً ترفل
وأبق ذويك جميعاً بخـير ... سحائبه أبداً تهطـل
عملت من الخير شيئاً كثيراً ... فأنعم فذا خـير ما يعمل

الداعى

شكيب أرسلان

الأدب والفن في أسبوع

الأستاذ عباس خضر

محنة وتضامن

أشرت في الأسبوع الماضي إلى مقال الدكتور طه حسين بك عن المازني في الأهرام ، واقتراحه فيه على وزير المعارف أن يكتب إلى رئيس الوزراء طالباً تقرير معاش لأسرة المازني . وقد عاود الدكتور طه الكتابة في هذا الموضوع بمقال عنوانه « تضامن » دعا فيه — بعد أن أبدى يأسه من استجابة الحكومة — إلى أن يتضامن الأدباء « ويجمعوا أمرهم على أن ينفصوا على رئيس الوزراء ووزير المعارف أمرهما كله ، وأن يؤرقوا ليلهما ويجعلوا يومهما عسيراً ، حتى يفرغا من هذه القصة ، ويفرغا منها على النحو الذي نريده لا على غيره من الأنحاء »

وقد بدا شعور الدكتور طه في ذينك المقالين صادقا نبيلاً ، وقد بدا هو في كتابته إنسانا همَّاماً ، وأريد أن أستطرق إلى ما أريد أن أقول بأنه واجه الأمر مواجهة عملية على ما يقتضيه واقعنا وما يجري به الأمور في حياتنا الراهنة ، فقد رأى أن أسرة المازني طال بها الانتظار أكثر مما ينبغي دون أن يعمل لها شيء يكفل لها الحياة الكريمة اللائقة بها ، فلم يكن بد من أن يتناول الأمر على ذلك النحو ، ولكني لا أستطيع أن أكتم إحساساً دقيقاً يضطرب في نفسي ، وهو أن عرض هذه المسألة على الصحف يمس كرامة الأسرة ، وكان ينبغي أن يوجد الباعث على التدبير المنشود لها دون إثارة علنية ، فإن لم يوجد هذا الباعث لدى ولاة الأمور أو شغلتهم عنه الشواغل ، نبهوا عليه ، وكان ينبغي أن يكون هذا التنبيه نهاية الإعذار . ولكن ما تجري به الأمور في حياتنا الراهنة غير ذلك ، فقد تجاوز الكاتبون نهاية الإعذار ، وجاء الدكتور طه فحمل حملته الصادقة ، ومع ذلك لا تزال « الرسميات » نائمة كأن أحداً لم يوقظها ... ولو استقامت الأمور لما اضطر أحد أن يكتب في ذلك ، بل كان يتم كل شيء على ما يرام دون أن يعلم الناس بشيء ، فجناية الدولة مركبة من الإهمال أولا ، ثم من اضطرار الكتاب إلى المجاهرة .

والرسميات التي تصم أذنيها إزاء الأدباء ، ذات حساسية شديدة في مواطن أخرى .. وليس أبناء الأدباء بأقل استحقاقا للرعاية — لو استقامت الأمور — من أبناء « الباشوات » فليس آباء أولئك أقل خدمة وأثراً في مصلحة البلاد ورقيها من آباء الآخرين .

وأريد لهذه المناسبة أن أشير إلى شيء ينفع في هذا الصدد ، فقد كان في وزارة المعارف لجنة تقرر الكتب للمطالعة الحرة في المدارس الثانوية ، وقد اختارت في العام الماضي كتباً كثيرة يستفيد منها مؤلفوها آلاف الجنيهات ، وللأسف البالغ مداه أن المازني لم يقرر له فيها كتاب . ولندع ما فات ، فوزارة المعارف تستطيع الآن أن تقرر بعض كتب المازني ، فتحقق بذلك أمرين جليلين ، أولهما النفع المادي للأسرة ، والثاني انتفاع الطلاب بمؤلفات الأديب الكبير ، ولا شك أن هذه المؤلفات تنال إقبال الطلاب عليها ، كما أن فائدتهم من قراءتها محققة ، لما فيها من السهولة والطلاوة إلى جانب القوة والفزارة . وهي على أي حال ليست أقل مما قرر مهما تواضعت !

تلك هي المحنة ، وما هي محنة المازني وأسرته فقط ، وإنما هي محنة سائر الأدباء في مصر — وجلهم من هذا القبيل — وما ينتظر أسرهم من بعد العمر الطويل . أما التضامن فهو ما دعا إليه الدكتور طه إذ قال : « أما بعد فقد آن للأدباء فيما أعتقد أن ينظموا أمرهم ، ويجمعوا كلمتهم ، ويؤلفوا جماعتهم ، ويضمنوا لأنفسهم إسماع الحكام وغير الحكام ما ينبغي أن يسمعوه » فهل تجد هذه الدعوة صدى عند الأدباء وخاصة كبارهم ؟ لقد صار لكل طائفة في مصر هيئة تنظم أمورها إلا الأدباء ، وصار المحامين نقابة ، وكذلك المهندسين والأطباء والممثلين والموسيقيين وغيرهم ، أما الأدباء فهم يعيشون عيشة فردية بحتة ، مع أنهم من أحوج الناس إلى النظام الجامعي لرعاية حقوقهم وتنظيم شؤونهم الأدبية والمادية ؛ ولا شك أن الجماعة المنشودة يجب أن يقودها الكبار ، وها نحن قد سمعنا صوت الدكتور طه حسين ، وبودنا أن نسمع غيره .

مسرحية « ليلة من ألف ليلة » :

قدمت الفرقة المصرية هذه المسرحية على مسرح الأوبرا الملكية ابتداء من يوم الخميس الماضي ، وهي مسرحية غنائية من نوع (الأوبريت) وقد سدت بها الفرقة نقصاً كان ملحوظاً في إنتاجها في السنوات الأخيرة ، وقد جاءت الرواية حقاً ليلة حالمة

من ليالى ألف ليلة ، أحيتها الموسيق وشاعت فيها الأنغام والألحان .

وتقع حوادثها ببغـداد فى عصر خليفة من العباسيين غير معين ، فليس المقصود أن تكون رواية تاريخية ، وإنما هى أقباس من تلك العهود تتسم بسمات العاصمة العباسية ، أخرج منها عمل فنى للامتاع وتغذية المشاعر تدور الحـوادث حول شخصية شحاذ (شحاتة) يتزعم أهل الحرفة ببغداد ، ويكسب من الشحاذة مايكفل له أكثر من الكفاف ، ويعيش مع ابنته (نجف) ومربيتها ، أما زوجته أم نجف فقد اختطفها (جوان) قاطع الطريق الذى يلقاه مصادفة فيشتبكان فى مشادة تنتهى بتهديد الأول للثانى ، ويعلن شحاتة اعتزال الشحاذة وأنه لابد منتقم من خاطف زوجته ، ونعلم مما يدور بينهما أن لجوان ولداً اختطف منه وهو صبى .

ويظهر موكب الخليفة فى أحد الأسواق فنراه شابا صالحاً محبوبا من الرعية وله وزيران حفصويه والمتصر . تظهر بعد ذلك نجف فى منزل والدها ويهبط عليها شاب فى زى بستانى ، وينعقد بينهما الحب والعهد على الزواج أما شحاته فانه يرتكب سرقة ويساق إلى الوزير المتصر الساخط على الخليفة ، وهو وزير فاسد يعكف على الخمر والنساء ، فيرى فى شحاته رجلا جريئاً فيعفو عن جريمته ويصطنعه لاغتيال الخليفة ثم يضبط شحاته وهو يحاول قتل الخليفة فيساق إلى السجن ويلتقى فيه بغريمه جوان الذى سجن لأن شحاته دل الوزير عليه باعتباره قاطع طريق .

ويقتل شحاته جوان فى السجن ويهرب منه بحيلة . ويقابل المتصر ويعرف من بعض الدلائل أنه ابن جوان الذى فقده صغيراً ، فيقتله أيضاً .

ويقبل الخليفة بحاشيته وحراسه فيسر لقتل الوزير ، ويعلم من حديث شحاته أن له بنتاً اسمها نجف وهى التى هبط عليها متخفياً فى زى بستانى ، فيأمر باحضارها ، كما يأمر بنفى أبيها من بغداد حتى لا يرى الناس الشحاذ صهراً للخليفة . وتحضر نجف وتفاجأ بأن حبيبها البستانى ماهو إلا الخليفة بعينه وينتهى المنظر الأخـير بالخليفة ونجف حبيبين على أهبة الزواج .

وحوار الرواية من زجـل الأستاذ بيرم التونسى ، وهو ينساب على الألسنة طبيعياً ، وفيه إشراق وقوة وموسيق ، ولم أجد فيه غير لفظة واحدة قلقة استدعتها قافية الزجل فى غير موضعها ، وذلك حين أراد الوزير المتصر أن يتنصل من تهمة التدبير لقتل الخليفة فوصف شحاتة بأنه رجل «قبيح» وهو يقصد أنه كاذب . ويتجه سير المسرحية مع تحريك الأقدار حتى ينال كل

كشكول الأسبوع

□ كان يوم الاثنين الماضى موعد انتخاب ثلاثة أعضاء بمجمع فؤاد الأول للغة العربية . وقد أجريت عمليات انتخابية أسفرت عن فوز الأستاذ محمود تيمور بك . وأجل انتخاب العضوين الباقيين الى ما بعد مؤتمر المجمع الذى يبـدأ يوم ١٠ ديسمبر الحالى ويستمر نحو شهر .

□ على أثر قرار وزارة المعارف القاضي بإلغاء اللجنـة الدائمة لترقية اللغة العربية كتب الدكتور أحمد أمين بك رئيس اللجنة كتابا إلى معالى وزير المعارف قال فيـه إن هذا القرار ماس بكرامته وكرامة أعضاء اللجنة ، فأجابه معالى الوزير بكتاب قال فيه : إننى ألغيت اللجنـة لاعتبارات متصلة بنظام العمل بالوزارة إذ لم أستطع أن أتبين معنى وجود لجنـة دائمة تؤدى هذه المهمة التى هى من اختصاص المراقبة العامة للغة العربية ، ولم يخطر ببالى قط أن هـذا التصرف يمس كرامة أعضاء اللجنة .

□ أصدر معالى وزير المعارف قراراً بتعيين الأستاذ محمد سعيد العريان مراقباً مساعداً للتعليم الابتـدائى وندبه مديراً فنياً لمكتب معاليه . والأستاذ العريان أديب ألمعى كبير كما يعرفه قراء العربية ، والذى أذكره الآن أن مشاكل التعليم ومسائل الثقافة تظفر الآن من تلك الألمعية بنصيب كبير .

□ وقرر معالى الوزير إلغاء النظم التى كانت متبعة فى اختيار الكتب المدرسية ، وتأليف لجنة لدراسـة النظم المختلفة لتقرير الكتب المقررة لمواد الدراسة وكتب المطالعة الإضافية وكتب المكتبات . واللجنة برياسة خيرى بك وكيل الوزارة المساعد وعضوية السكرتير العام للوزارة والأستاذ محمد سعيد العريان وآخرين من رجال الوزارة .

□ وقع الاختيار على الدكتور محمد كامل حسين الأستاذ المساعد بكلية الآداب بجامعة فؤاد ، ليكون أسـتاذاً للدراسات العربية الإسلامية بجامعة سنغافورة . والأستاذ معروف بنشاطه العلمى وبحوثه الأدبية القيمة .

□ جاء فى رسالة خاصة من الأستاذ محمد على الحومانى بأمريكا — حيث هو الآن فى إحدى جولاته — ما يلى : والذى حال بينى وبين سرعة الكتابة إليكم هو هذه الموجة الصاخبة التى تجتاح المهاجرين على أثر الإخفاق الذى منيت به الأمة فى فلسطين ، إنها موجة كدنا نغرق فيها ، فقد أصبح كل من يرد أمريكا من الأدباء أو الزعماء لدى المهاجرين العرب مرذولا لا تقدير له ولا احترام .

□ تم توقيع الاتفاق الثقافى بين مصر وبلجيكا ، وهو يتلخص فى أن تعمل حكومتا البلدين على تبادل أعضاء بعثات التـدريس من الجامعيين وغيرهم من رجال المعاهد العلمية ، وتنظيم محاضرات فى كل من البلدين للتعريف بتاريخ البلد الآخر وعلومه وآدابه وفنونه

□ صدر أمر بوقف تمثيل رواية « بيت الطاعة » التى قدمها يوسف وهبي أخيراً على مسرح الأوبرا ، وذلك لأنها تضمنت تعريضا بالمحامين الشرعيين ، وقد جاء الأمر بعد انتهاء الأيام المقررة لعرضها

□ من عجائب البطاقات التى يجمعها محمود بك حبيب ما كتب على إحداها : «رضوان بحيرى معتقل سياسى بمصر والإسكندرية»

فاعل للشر جزاءه ، ويسعد فى النهاية الخليفة الصالح والفتاة البريئة . وفيهـا نماذج بشرية يتضمن عرضها معانى إنسانيـة والتفاتات شعورية ، وقد تجلى ذلك فى شعور الأب (شحاتة) نحو ابنتـه (نجف) فقد تحكم حبه إياها وحرصه على سعادتها فى سير الحوادث إذ اضطر بهـذا الدافع إلى المطاوعة فى التدبير لاغتيال الخليفة ، وغير ذلك من المواقف الرائعة .

وفى الرواية مالا يثبت أمام منطق الواقع ، من ذلك منظر نجف حين هبط عليها البستانى ؛ فقد استقبلته كأنهما على ميعاد ، مع أنه أول لقاء بينهما ، ودار بينهما الحوار الغنائى غرامياً حاراً من أول وهلة ... وليس نفى الخليفة لصهره من المدينة بالذى يمنع أن يقال إنه تزوج بنت شحاذ . ولعل من القسوة على الرواية أن تؤخذ بذلك ، لطبيعتها إذ لا يقصد بها الواقعية ، وهى إلى هذا (أوبريت) يمكن أن يتجاوز فيها عن مثل ذلك .

والجهد الكبير الذى أكسب الرواية حياة جديدة ، هو فى الإخراج ، فقد بذل فيها الأستاذ زكى طليمات كثيراً من جهده وفنه ، ويبدو ذلك فى ناحيتين ، الأولى ناحية المناظر الستة التى تسلسلت فيها الوقائع ، المسجد ، والسوق ، ومنزل شحاته ، والسجن ، وقصر الخليفة ، وبيت الوزير . كل ذلك مطبوع بطابع الزمان والمكان ، تتوزع الأضواء مع كل منظر وعلى كل شخص كأنها تحليل نفسى . وقد كان منظر الجو المحيط بنجف فى منزلها وهى تحدث مربيتها عن الشمس الساطعة يمثل النهـار فى رابعته ونحن فى الليل ... الناحية الثانية هى ترتيب مواقف الممثلين وتحريكهم فقد وفق فى ذلك غير أنه يخيل إلى أن (الكورس) استعصى عليه فى بعض المواطن لأنه خليط من غير المدربين الأكفاء . والجمال معدوم فى (بنات الكورس) بدرجة مخيفة . وقد بدا « فقر الجمال » جلياً فى اللائى رقصن . وقد كان الشحاذون أمام المسجد كثيرين جداً فكان هذا المنظر مبالغة لا داعى لها ، على حين كان السوق غير عامر بالناس كما ينبغى ، والدكانان اللذان به لا تظهر عليهما سمة الدكاكين . وكان منظر (بائع الزردة) فى السوق ظريفاً وقد أضفى على المنظر روح السوق وحركته . ومما أعده من قبيل التحليل النفسى فى الإخراج ما صنعه الأستاذ زكى طليمات إذ أظهر صدى الوقائع الرئيسية على حركات الجمع المحتشد فى كل المواضع التى تطلبت ذلك فقد جعل بعض المتجمعين من الصبية وغيرهم يندمجون فيما يقع وتصدر منهم تصرفات مماثلة له ، كأنهم ظلال أو خيالات فى مرآة . وقد أظهر موكب الخليفة ماراً بالسوق على طريق مرتفع عر عليها الجياد وتحمل الخليفة وحاشيته فكان منظراً جليلا وجميلا ، ولا شك أنه كان من الضرورة المسرحية أن يقود الخيل سائسوها لينتظم سيرها على المسرح .

وقد مثل (شحاته) فؤاد شفيق فأنقذ الدور من المصير الذى كان ينتظره لو مثله يوسف وهبي . وقد تقلبت به صروف الأحداث من شحاذ إلى مستثمر للنعمة وراغب فى الترف ، وواقع فى الشدائد فأدى ذلك كله أحسن أداء وبلغ الغاية فى تمثيل الأب الحانى على ابنته الوحيدة ، وقام عليه عنصر الفكاهة فكان ظريفاً فى حركاته وجرس كلامه . والذى يأتى بعده فى الترتيب أحمد علام ، وكان الدور ملائماً له وقد اندمج فيـه ، واستطاع أن يمثل دور المرح والمجون كما ينبغى على خلاف ما كان فى دور امرىء القيس برواية « اليوم خمر » فقد حقق هنا ما كان ينقصه هناك .

ومثلت فردوس حسن دور زوجة الوزير المتصر التى يهملها الزوج فيسعى إلى الانتقام منـه عن طريق الاتصال بغيره ، وقد أجادت فى تمثيل الإغراء ، وأدت دورها فى الحدود التى وضعت له وكان فى هذا الدور مبالغة فى التهافت على رجل غير أهل لذلك ، وظاهر أنه قصد بهذا الإغراق فى الفكاهة وتجديد نشاط النفوس باستمرار التشويق .

وقامت المطربة شهر زاد بدور نجف ، والدور لم يتطلب منها كبير عناء فى التمثيل ، بل كان جهدها منصباً على التعبير بالغناء ، فكان غناؤها معبراً وظلها خفيفاً ، وكانت تساير طبيعة المواقف المختلفة ، فتهتم فى بعضها بالتعبير والتصوير بالنغم ، ولم يكن بأس من التطريب فى موقعه . وقد حرصت شهر زاد على زينتها حتى فى المواقف التى لم تكن الزينة مناسبة لها ، كما ظهرت عند باب المسجد مع أبيها الشحاذ .

أما كارم محمود فقد مثل الخليفة فلم ينطبق عليه الدور ، لأنه كان ضعيف الشخصية فكان منظره مثلاً على الجواد كمنظر الصبى الذى يحتفل بختانه ... وكارم مغن مجيـد فى التمثيل المسرحى ، وليته أمكن أن يكون فى غير دور الخليفة .

وكانت الموسيقى جيدة متمشية مع الإلقاء والغناء فى انسجام ممتع مصورة لجو الرواية فى مواقفها المختلفـة ، وقد وضعها أحمد صدقى فكانت ألحانه عنصراً من عناصر النجاح فى هـذه (الأوبريت) .

عباس خضر

البريد الأدبي

أمين الاهوانى

أسنى ثناء ، وأوفى وفاء . وبعد .

فما الإغراب على بابى ولا من زادى . وغيرك ناسياً ذكرت ، فأنا وإياك لعلى مائة بارث من العربية ، ما أكثر دقيقاته ، وأدق خفيانه . ورأيت الناشئة على اللين الهين تراد ، ومن الجزل الرصين تنفر . وأحسست البائنة بين موروث ووارث ، وخفت الضيعة له ولنا . فرغبت فى الذى أشرتَ غير مكثر ، أخص فئة واعية واقية ، تحمل الأمانة مؤداة ، حتى لاتنفصم عروة ، أوتنحل عقدة ، فنصل ماضينا بما أنتج .

وقولك فى النقل مغنناى عن إسهاب ، فما ظنك بن همّ همك ، ومد إلى القديم يداً فارغة إلا مما خف ، واتجه إليه بعقل لايسيغ المشكل ، ولا يقوى للمعبى . أتراه قادراً قدرتك ومالكا ملكك .

أخوف ما أخاف أن تفجأ غداً بجيل يلزم أحدهم بتحرير نقل قديم فيعيا به ، وأن تنظر إلى هذا التراث مركوما فى عيبات لا يحل لها وِكاء ، ولا يكشف عنها غطاء .

فترانى لهذا أقدر القديم قدره ، وأحبّب إليه ، فهو دون الجديد بمظنة نسيان ، وعلى حافة ترك . وما أناعن الجديد برغب ، فالحضارات من هذا وذاك .

وما لك حيناً ترى التحول فناء ، والتغير بلى . وعلى أى رأى كنت ، فما الجديد إلا تحول من القديم ، أوامتداد له ، وما مضمومات ذاك الأمور من مضمومات هذا . والرأى من الرأى ، والشىء للشىء تبع .

وتجرنى إلى حديث أطول من ليل المليل ، وأعقد من ذنب ضب . فمن أى نفس أنت مدير الحديث ؟ أهذه النباتية ذات التولد ، أم تلك الحيوانية ذات الحركة الإرادية ، أم الإنسانية ذات الأفعال الفكرية ، أو أنت عند النفس مع قول الجنيد أنها من مستأثر الله تعالى ، أو مع المتكلمين فى القول باشتباكها بالبدن اشتباك الماء بالعود ، أو مع الفلاسفة فى أنها لا جسم ولا عرض متعلقة بالبدن تعلق تدبير وتحريك .

ودعاك التشابهان بنية ، المختلفان حركة ، إلى إعمال فكرة . وإليك يساق الحديث . فالنون والفاء والسين — كما يقول ابن فارس : أصل واحد يدل على خروج النسيم كيف كان من ريح أو غيرها .

وقول القائل « نفس الله كربته » من ذاك ، لأن فى خروج النسيم روحا وراحة . وإذا قيل للماء نفَس ، فذلك لأن قوام النفس به وقولهم « شىء نفيس » أرادوا أنه ذو نفس ، بالتحريك . ثم جاءت « النفس » بالإسكان فى شتى معانيها . وإخال أسبقها الروح ، وهل هى إلا أنفاس ؟

وإذا كان « النفس » بالتحريك ، ما تعلم ، فهو بالمشمومات ألصق ، والعنبر أو المسك أزكى محمول عليه وأطيبه . وما أنت بمنكر بعدها حمل « النفس » محمولا ، على العنبر أوالمسك ، محمولا عليه . كما لست بمغيب عليك أن يصف واصف المتصل الجرية بطول النفَس والمنقطعها بانقطاعها .

قدم معاوية من الشام فدخل على أبيه أبى سفيان ، فقال له : يا بنى ، إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا عنهم . فرفعهم سبقهم وقصر بنا تأخرنا ، فصرنا أتباعا وصاروا قادة . وقد قلدوك جسيما من أمرهم ، فلا تخالفن أمرهم ، فإنك تجرى إلى أمد لم تبلغه ، ولو قد بلغته لتنفست فيه — يريد الاستراحة بعد بلوغ الغاية .

وبعد ، فاحذر حذرك ، وفهّم غير فاهم ، من قول القائل :

أخا النفس نفّسنا وللنفس نفسها
ونفسك فاشحذها أو النفس فاسفك

ابراهيم الابيارى

إلى الاستاذ أنور المعداوى

جاء فى عدد الرسالة رقم ٨٥٥ فى تعقيباتكم بأنكم تسلمتم رسالة من الأديب عبد الله نافع (عطبره سودان) وفيها يرمى زميله الأديب السودانى سيد احمد قناوى بأنه يبعث إلى « الرسالة » بأقاصيص منسوبة إلى الانجليزية حيناً وإلى الفرنسية حيناً آخر ، مع أنه لا يجيد هذه ولا تلك ، فهذا حق ؛ إذ أن تلك الأقاصيص التى

تصلـكم للنشر ليست من ترجمته ولامن أسلوبه . وأنا أزيح الستار عن الحقيقة فأذكر لـكم أنني عثرت يوما على مجلة (قصص الشهر) الصادرة في سبتمبر سنة ١٩٤٥ فرأيت فيها قصتين إحداهما للقصصي الانجليزي فيرنيك مولنار وهي قصة (اكسير الحب) ويؤلمني أن أذكر أن هذه القصة نشرت بمجلة الرسالة بالعدد نمرة ٧٦٠ بتاريخ ٢٦ يناير سنة ١٩٤٨ بإمضاء الأديب الفاضل ، والأخرى للكاتب الانجليزي هانسفورد جونسون وهي قصة (الوحدة) وهذه بدورها نشرت بمجلة « الرسالة » عدد ٧٦٦ الصادر بتاريخ ٨ مارس سنة ١٩٤٨

والعجيب أن الأديب قناوي لم يكلف نفسه أي مشقة ولم يحدث أي تغيير في الفكرة أو في الأسلوب بل كل ما فعله هو تغيير العنوان فبدل « الاعتزال » (الوحدة) وبدل « أكسير الحب » «قوة الحب» فأيقنت عند ذلك أن كل قصصه الباقية لم يترجمها إلا على هذا الأساس ، وهو يظن بأن أمره سيظل مكتوما . ولكن رسالة الاستاذ عبد الله نافع دفعتني إلى جلاء هذه الحقيقة فانني أنتهز هذه الفرصة لأقدم جزيل شكري له لأن الفضل راجع إليه

ص . م . ت
عطبرة سودان

رسائل كبار العلماء :

بين شيوخ الأزهر الأجلاء طائفة ممتازة يطلق عليها — هيئة كبار العلماء — وقد اشترط القانون لنيل عضوية هذه الهيئة الموقرة شروطاً منها بل من أهمها أن يكون الراغب فيها ذا مكانة علمية سامية ، ثم يتقدم بين يدي رجالها الأماثل بكتاب مستقل أو بحث خاص من تأليفه ؛ فإن حاز الرضا قبل صاحبه عضواً بها وأنزل منزلة رجالها الأدبية ومنح رواتبهم المادية . وهذا نهج لاعوج فيه ولاغبار عليه ؛ لأن العلم يجب أن يكرم بتكريم أهله وإنزالهم المنازل اللائقة بهم . وإذا كان يجب تكريم هؤلاء العلماء الأفاضل فإن عليهم واجبات يؤدونها للعلم وأهمها نشر مؤلفاتهم القيمة ورسائلهم الفذة التي أهلتهم لنيل الشرف بانتمائهم لهيئة كبار العلماء .

إن تقديرهم الحق لا يكون إلا عن هذا الطريق . ومما يكبرهم لدى الخاصة ويعلي أقدارهم لدى المثقفين أن يرى هؤلاء وأولئك آثارهم العلمية مزدانة بها المكاتب تردد الألسن الإشادة بها والثناء عليها لما تحويه من دقائق البحث وطرائف الفكر وسعة الإدراك للموضوع ولما يشع في جنباتها وتنطق به صفحاتها من نور الحق وضياء اليقين وإنه لمؤلم ألا تجد هذه الرسائل طريقها إلى الحياة ، ومؤلم كذلك أن تموت في مهدها وتلف في أقماطها لفة البلى والفناء .

(الأقصر) علي ابراهيم الفندبلي

الكتب

معنى النكبة

للاستاذ قسطنطين زريق

الأستاذ قسطنطين زريق عميد الجامعة السورية رجل من الرجال المشهود لهم بالمقدرة والكفاية فى المؤلفات الوطنية والقومية ، وقد كان كتابه الأول « الوعى القومى » من الكتب القيمة التى تفخر بها المكتبة العربية . ولا ريب أننا بحاجة ماسة إلى مثل هذه الكتب . أما كتابه «معنى النكبة» فيعالج نكبة فلسطين وما انطوت عليه من دروس وعبر ؛ وهو يدعو كل فرد من أفراد الأمة أن يؤدى واجبه لا أن يلقى التبعة على غيره فيقول : « لست أدعى أنني فى هذه الدراسة المقتضبة لمحنة العرب فى فلسطين قد اخترعت البارود أو بلغة هذا العصر القنبلة الذرية ، أو أنى اكتشفت الدواء الشافى لعللنا جميعا ، وإنما هى محاولة لتصفية تفكيرى فى هذه الأزمة الخانقة التى يترتب فيها على كل فرد من أفراد الأمة قسطه من الواجب ونصيبه من التبعة . ولا شك فى أن أول شرط لحسن القيام بهذا الواجب ، صحة الفكر واستواء الخطة » ويحتوى الكتاب على ثمانية أبواب هى (فداحة النكبة) ، وفيها يبين لنا فداحة النكبة التى أصابت العرب فى مأساة فلسطين ؛ فهى نكبة بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ، ومحنة من أشد المحن التى ابتلى بها العرب فى تاريخها الطويل على ما فيه من محن ومآسى . سبع دول تعلن الحرب على الصهيونية فى فلسطين فتقف أمامها عاجزة ثم تنكص على أعقابها ، ثم يجد الجد فإذا النار خافتة باهتة ، وإذ القنابل جوفاء فارغة لا تحدث أذى ولا تصيب مقتلا . ويمضى أستاذنا على هذا النحو فيشرح فى الفصل الثانى (واجب المفكر) وما هى رسالته فيقول . « هى أن يأخذ على عاتقه قيادة الرأى وسط الاضطراب والحيرة . هى أن يلقى ضوءا على الوضع المتخبط فيظهره على حقيقته ويميز بين مختلف عناصره ووجوهه . وظيفته أن يفرق بين الأسباب والنتائج فلا يقدم الثانية على الأولى ، وأن يفصل بين الأسباب البعيدة والقريبة ، وبين الأصول والفروع ، فيعطى لكل شىء أهميته ويقدره قدره فى العملية المعقدة المتشابكة » ويتناول فى الفصل الثالث (المعالجة القريبة) وأركانها خمسة فى نظره وهى ... تقوية الإحساس بالخطر ، إرادة الكفاح ، التعبئة العامة ، التوحيد بين جهود الدول العربية وإشراك القوى الشعبية والمساومة الدولية الواعية وهى شروط أساسية للنجاح فى رد الخطر الصهيونى وحفظ كيان العرب . أما الفصل الرابع وعنوانه الحل الأساسى فيتناول فيه رأيه فى الحل الأساسى فيقول « إن ما أحرزه الصهيونيون من نصر ليس مرده تفوق قوم على قوم ، بل تميز نظام على نظام ، سببه أنهم يعيشون فى الحاضر والمستقبل فى حين أننا لا نزال نحلم أحلام الماضى ونخدر أنفسنا بمجده الغابر . الخطر الصهيونى ، بل كل خطر اعتدائى علينا لا يرده إلا كيان عربى متحد تقدمى . وصفات هذا الكيان العربى المنشود هى الاتحاد الفعلى فى السياسة الخارجية والاقتصادية والدفاعية ، وتدريب العقل وتنظيمه بالإقبال على العلوم الوضعية والتجريبية ، وتوجيه الجهد الثقافى فى الأمة إلى تحقيق أكبر قدر من هذا الانتظام العملى ، وفتح للصدر واسعاً لاكتساب خير ما حققته الإنسانية من قيم عقلية وروحية » ثم يشرح بعد ذلك معنى النكبة وما أفادتنا من دروس وعبر فيقول : « إن المصاعب والشدائد حتى النكبات حافز للأفراد والجماعات ، وعلة من علل تنبهها ، ونهضتها ولكنها ليست كذلك فى جميع الأحوال ؛ ففى بعضها تكون سبباً للتقدم ، وفى البعض الآخر تكون سبباً للانهيار والتبديد والزوال ؛ وهى محك لوضعنا الداخلى الحاضر . فإذا كانت عوامل الرجعية والانحلال هى المسيطرة علينا فإن هذه النكبة ستزيدنا ضعفاً وانحلالا . أما إذا كان لعوامل التقدم والنمو بعض القوة فإن الصدمة الدنيفة التى تلقيناها خليقة بأن تعزز من قوتنا ونمشى بها قدما إلى الأمام . وعلى كل عربى أن يتفحص حاله ويتبين قدره وليمتحن نفسه ومقدرته على الصمود فى وجه التعسف والإغراء ، وليختبر عقيدته إزاء المحن والخطوب ليتفحص تقدميته أمام الرجعية وحملاتها . عندها وعندها فقط يكون للنكبة معنى إيجابى بنائى .

وأخيراً يختتم الأستاذ قسطنطين زريق كتابه بمقالين نشر أحدهما فى جريدة العمل البيروتية بعنوان (صراع بين المبدأ والقوة) والثانى إذاعه من محطة الاذاعة اللبنانية (لماذا نجاهد فى فلسطين) والكتاب يقع فى ٨٨ صفحة وهو من الكتب التى تفخر بها المكتبة العربية ويجدر بكل مثقف أن يقتنيه .

جمال الدين الحجازى

الحياة العربية من الشعر الجاهلي

للأستاذ أحمد الحوفي

للأستاذ الحوفي دراسات فنية ، في ميدان الأدب العربي ، تحمل في ثناياها التأمل الحي ، والتفكير الفني ، وروعة العرض .

وهذا الكتاب ثمرة من ثمراته الأدبية . يعتبر بحق موسوعة كبرى لهذا العصر العربي البعيد . تمين من أراد أن يدرس هذا العصر على ضوء ديوان العرب ومعجم أخبارهم — الشعر .

تقرأ الباب الأول منه ، فتطالعك تلك البحوث التمهيدية التي تبسط لك معنى كلمة الأدب ، واشتقاقها ، ودلالتها الخلقية ، وما قيل فيها من آراء ومناقشة هذه الآراء مناقشة عقلية ، منطقها متأدب ، فيه نبل خلق ، وفن أدبي ، وهو مع ذلك يختم هذه المناقشة برأى من عنده .

ثم تطور هذا المعنى مع تطور الزمن . وعصور الأدب .

ثم تاريخ الأدب ، واللغة العربية ، ولهجات العرب ، وتسجيل الشعر العربي لتلك اللهجات .

ثم تراه يبسط لك موضوعاً من أجل الموضوعات فائدة وهو : اتصال العرب بغيرهم ، فيوضح أسباب هذا الاتصال بالعالم القديم ، ويبين آثاره بطريقة جديدة لم يسبق إليها ، وقد نوه بصلة العرب بالأحباش ، وتأثير الأحباش ، باللغة والأدب ، وهو رأى طريف غير مسبوق .

ثم من بعد ترى الأستاذ يحدثك عن شاعرية العرب ، فيعرض لنا تلك العوامل الطبيعية والخلقية التي أذكت مشاعرهم الشاعرة ، فراحوا يسوقون أهزوجة المنتصر ، وأغرودة العاشق ، وسلوى المكروب والمحروب ، بمتنفس العواطف ومجتلى القرائح .

ثم أولية الشعر ونشأة الوزن والقافية في الشعر العربي : اقرأ : « فالوزن ظاهرة طبيعية للعبارة مادامت تؤدي معنى انفعاليا : وعلم النفس يقرر أن الإنسان المنفعل تبدو عليه ظاهرات جثمانية عملية ، كاضطراب النبض وضعف الحركة أو قوتها ، وسرعة التنفس أو بطئه ، وحركة الأيدي قبضا وبسطا ، وهذه نفسها دليل على ما في النفس من قوة طارئة « فاللغة التي تصور هذا الانفعال لا بد أن تكون موزونة ذات مظاهر لفظية متباينة لتلائم معناها وتكون صداه الصحيح » .

وفي هذا البحث ترى الرأى في طبيعته الفطرية حراً لا تقيده صنعة ، فهو لحن الفؤاد الشادي ، تقف نبرته مع نهاية الانفعالة النفسية .

ثم من بعد ترى بحثا مستفيضا في المعلقات ، وهنا تظهر المناقشة الجريئة قارعة الحجة بالحجة والدليل بمثله .

أما الباب الثاني : فبحث شامل للحياة الاجتماعية من الشعر من حيث :

الصلات الأسرية ، والصلات القبلية .

ففي الصلات الأسرية . مكانة المرأة في الأسرة والمجتمع ، والزواج . والطلاق وتعدد الزوجات والأولاد .

وفي الصلات القبلية ، الحرب وبواعثها ومظاهرها وطريقة المقاتلة وزمن القتال وأدوات الحرب والأسرى والسبايا والصلح .

وفي الباب الثالث : إدراك واسع وإحاطة فنية بالحياة الخلقية من الشعر من حيث : الكرم وعناصره ،والبخل ونوادره ، والشجاعة وبواعثها ومظاهرها ، والجبن والطيش وسرعة الانفعال ، والحلم والحرية والإباء والوفاء والعفة والغيرة .

وفي الباب الرابع : تحقيق فني للحياة الدينية من الشعر من حيث :

عقائدهم ، وتصوير الشعر لهم ، وفي هذا الباب يناقش رأى الدكتور طه حسين بك في أدبه الجاهلي مناقشة الناقد ، ثم يعدد لنا معبودات العرب : الأصنام ونشأتها وما ترمز إليه ، والتوحيد ، والكواكب ، والنار والملائكة والجن والشجر والدهرية .

وفي الباب الخامس : تظهر خاتمة المطاف حول عادات العرب والمعتقدات من الشعر من حيث : الخمر والميسر والجن وشياطين الشعر ، والزجر والعيافة الخ .

في هذه الأبواب الأربعة : قافية واحدة هي قافية الشعر العربي ، فلقد جعل الأستاذ الشعر قاموس تأليفه وديوان إنشائه .

مبادئ علم النفس التعليمى (١)

تأليف الأستاذ أحمد زكى محمد

على الرغم من أن علم النفس من العلوم الحديثة ، إلا أن البحوث النفسية فى مصر قد خطت خطوات واسعة فى الأعوام الأخيرة . ولعل من أهم عوامل ازدهار هـذه البحوث قيام الجمعيات العلمية التى ينضوى تحت لوائها المشتغلون بعلم النفس الذين أخذوا على عاتقهم النهوض بالدراسات النفسية ، وتطبيقها فى مختلف الميادين ، ومن هـذه الجمعيات : جماعة علم النفس التكاملى التى تصدر مجلة علم النفس وتعمل على نشر الكتب المفيدة . والجمعية المصرية للدراسات النفسية التى يرأسها الدكتور عبد العزيز القوصى عميد معهد التربية للمعلمين ووكيلها الأستاذ أحمد زكى مؤلف كتاب : مبادئ علم النفس التعليمى الذى نقدمه اليوم لقراء الرسالة . والمؤلف أستاذ علم النفس بمعهد التربية بالزمالك ، وكتابه هذا خلاصة تجارب وخبرات طيلة خمسة عشر عاماً ، فلا عجب أن يكون الكتاب تحفة علمية تحبب علم النفس لكل قارئ .

وتأتى أهمية هذا الكتاب من أنه تطبيق لعلم النفس فى ميدان التربية . وهذا هو أهم فروع علم النفس . ويشتمل الكتاب على القسم الأول من هذا الفرع وهو دراسة الطبيعة البشرية . بدأه المؤلف بالكلام عن صلة علم النفس بالتربية ، ثم لمحة عن تطور علم النفس . وقد « شرح » الطبيعة الفطرية البشرية تشريحا يبسط دراستها فحسب إذ أنها وحدة متكاملة . فتحدث عن الغرائز وأسهب فى الاستعدادات الفطرية الاجتماعية ، وفصل الكلام عن النشاط العقلى والوظائف العقلية المختلفة : طبيعتها واتجاهاتها . وقد أكثر الأستاذ المؤلف من إيراد الأمثلة التى استقاها من الحياة الاجتماعية حتى يقرب النظريات إلى الأذهان . وختم الكتاب الحديث عن الذكاء ومقاييسه . وهـذا الموضوع هو عنوان أول منشورات الجمعية المصرية للدراسات النفسية لركس نايت (ترجمة الأستاذ عطية محمود هنا) .

وليس من شك فى أن المكتبة العربية فى حاجة إلى مجهودات أمثال الأستاذ أحمد زكى . وإنا نأمل أن يتحفنا قريبا بالجزء الثانى الذى يبحث فى التشكيل الملائم للطبيعة البشرية حتى تكمل الفائدة ويعم النفع؛ فإن بحوثه فى مجلة علم النفس قد شغفتنا به حبا ، فزاد شوقنا إلى كتبه .

محمد محمد على
ليسانس فى الآداب

(١) فى ٢٢٠ صفحة نشرته مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٩ .

ولا يرجع المؤلف من معجمه إلا بعد تذوق المعنى المراد .. لذلك نرى أن الأستاذ قام برحلات واسعة فى رياض الشعر العربى ، حيث عصر لنا هذا الرحيق العتيق فكان مؤلفه يقظة قوية ، ودستوراً مفصلاً ، وشريعة للأدب الجاهلى ، وإيحاء جديداً ، وأفكاراً منظمة فيها : الأدب والعلم والتاريخ ، وفيها الدراية الواسعة والحنكة المهذبة .

ولقد خرج هذا الكتاب فى نيف وأربعمائة صفحة ، فى طبع مقمد على قواعد الطبع الحديث .. ويطلب من مكتبة نهضة مصر بالفجالة .

الهوارى عبد الفتاح
كلية دار العلوم

سكك حديد الحكومة المصرية

عرض الاعلانات بالمحطات

لقد وجهت المصلحة كل عنايتها إلى المحطات فأقامت بها لوحات خشبية خصصتها لعرض الإعلانات فضلا عن أنها تبذل مجهوداً صادقا من وقت لآخر فى تجميل تلك المحطات حتى أصبح الإعلان فيها من أحسن وسائل الدعاية .

وتتقاضى المصلحة جنيهين مصريين عن المتر المربع فى السنة وهى قيمة زهيدة تكاد لا تذكر بجانب أهمية الإعلان الذى يتصفحه آلاف المسافرين فى اليوم الواحد .

ولزيادة الاستعلام اتصلوا : —

قسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة — بمحطة مصر

إعلان بيع

انه فى يوم الإثنين ٩ يناير سنه ١٩٥٠ الساعة ٨ أفرنكى صباحا بزمام نجع البحاروة تبع بنى هلال وبزمام بنى هلال مركز المراغة . والأيام التالية إذا لزم الحال .

سيباع بطريق المزاد العمومى محصولات الزراعة المبينة بمحضر الحجز التحفظى المؤرخ ١٩ / ٤ / ١٩٤٩ ومحضر الحجز المؤرخ ٨ / ٨ / ١٩٤٩ ملك فارس سالمان محمد حسن ومحمد حافظ من نجع البحاروة تبع بنى هلال مركز المراغة نفاذاً للحكم الصادر من محكمة سوهاج الكلية فى القضية المدنية رقم ٣٢١ سنة ١٩٤٩ كلى سوهاج وفاء لمبلغ ٢٥٣ جنيه ٤٥٥ مليم بخلاف أجرة النشر

وهذا البيع كان محدداً له يوم الإثنين ٢٦ / ٩ / ١٩٤٩ وأوقف لعدم إمكان الوصول .

وهذا البيع كطلب الحاج راغب مصطفى درويش النحاس من أبو تييج ويقيم بالمراغة مركزها ومحله المختار مكتب حضرة الأستاذ كامل افندى حكيم المحامى بسوهاج .

فعلى راغب الشراء الحضور

إعلان بيع

إنه فى يوم الإثنين ٩ يناير سنة ١٩٥٠ الساعة ٨ أفرنكى صباحا بزمام نجع الجمران تبع بنى هلال مركز المراغة وإذا لم يتم يكون فى اليوم التالى بسوق المراغة .

سيباع بطريق المزاد العمومى محصولات الزراعة المبينة بمحضر الحجز التحفظى المؤرخ ٢١ / ٤ / ١٩٤٩ ومحضر الحجز التنفيذى المؤرخ ٨ / ٨ / ١٩٤٩ ملك بجوح عثمان محمد مسعود من نجع الجمران تبع بنى هلال مركز المراغة نفاذاً للحكم الصادر من محكمة سوهاج الكلية فى القضية المدنية رقم ٣٦٤ سنة ١٩٤٩ كلى وفاء لمبلغ ٢٦٣ جنيها ١٠٥ مليم بخلاف أجرة هذا النشر

وهذا البيع كان محدداً له يوم الإثنين ٢٦ / ٩ / ١٩٤٩ وأوقف لعدم إمكان الوصول .

وهذا البيع كطلب الحاج راغب مصطفى درويش النحاس من أبو تييج ومقيم بالمراغة ومحله المختار مكتب الأستاذ كامل افندى حكيم المحامى بسوهاج .

فكل من له رغبة فى الشترى عليه الحضور للمزايدة



العدد ٨٥٩ — الاثنين ١٩ ديسمبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٤٩ ـ ٣٣

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

يصدر بعون الله تعالى :

فى اليوم الثانى من شهر يناير سنة ١٩٥٠

عــدد الرســالة الممتاز

حافلا كعادته بأروع ما يكتب

فى موضــوعه لصفوة

من أقطـاب البيان

فى مصر والعـالم العربى

17e Année No. 859 — Lundi — 12 — 16 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٥٩ «القاهرة في يوم الاثنين ٢٨ من شهر صفر سنة ١٣٦٩ — ١٩ ديسمبر سنة ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة»

علي محمود طه

شاعر الأداء النفسي

للأستاذ أنور المعداوي

- ٣ -

استمعت إلى الشاعر وهو يخاطب «الموسيقية العمياء»، واستمع إليه مرة أخرى وهو يقدم إلينا الصورة النفسية الثانية، مخاطبا فيها ذات الغلالة الرقيقة النائمة تحت نافذتها المفتوحة في ليالي الصيف المقمرة ... هناك في قصيدة «القمر العاشق» في الصفحة العاشرة من «ليالي الملاح التائه»:

إذا ما طاف بالشرفة ضوء القمر المضني
ورفّ عليك مثل الحلم أو إشراقة المعنى
وأنت على فراش الطهر كالزنبقة الوسنى
فضمي جسمك العاري وصوني ذلك الحسنا

أغار عليك من ساهر كأن لضوئه لحنا
تدق له قلوب الحور أشواقا إذا غنى
رقيق اللمس عربيدٌ بكل مليحة يعنى
جريء إن دعاه الشوق أن يقتحم الحصنا !

تحدّر من وراء الغيم حين رآك واستأنى
ومسّ الأرض في رفق يشق رياضها الغنّا
عجبت له، وما أعجب كيف استلم الركنا ؟
وكيف تسوّر الشوك وكيف تسلّق الغصنا ؟

على خديك خمر صبابة أفرغها دنّا
رحيق من جنى الفتنة لا ينضب أو يفنى
وفي نهديك طلسمان في حلّهما افتتنا
إلى كنزهما المعبود بات يعالج الرّدنا !

أغار؛ أغار إن قبّل هذا الثغر أو ثنّى
ولفّ النهد في لين وضم الجسد الأدنى
فإن لضوئه قلباً وإن لسحره جفنا
يصيد الموجة الغدراء من أغوارها وهنا !

وكم من ليلة لمّا دعاه الشوق واستدنى
جثا الجبار بين يديك طفلا يشتكي الغبنا
أراد فلم ينل ثغرا ورام فلم يصب حضنا
مونك ذراعه رسما وأنت حويته فنا !

عصيت هواه فاستغضرى كأن بصدره جِنّا
مضى بالنظرة الرعناء يطوي السهل والحزنا
يثير الليل أحقادا وصدر سحابه ضغنا
وعاد الطفل جبارا يهز صراعه الكونا !

فردى الشرفة الحمراء دون المخدع الأسنى
وصونى الحسن من ثورة هذا العاشق المضنى
مخافة أن يظن الناس فى مخدعك الظنا
فكم أقلقت من ليل وكم من قمر جُنَّا !

أحدثك فى هذه القصيدة أول ما أحدثك عن الموسيقى ؛ الموسيقى التصويرية التى تصاحب المشهد التعبيرى . ويجب أن نفرق بين لونين من الموسيقى : هما موسيقى اللفظ وموسيقى النفس ... نفرق بينهما مادمنا ندرس الشعر هذه الدراسة الجديدة ، ونفهمه هذا الفهم الجديد ، ونقومه بتقويم الأداء النفسى الذى قدمت إليك صوره وألوانه ومراميه .

شاعر الأداء اللفظى هو من يعنى بالموسيقى الخارجية ليجذب سمعك ، وشاعر الأداء النفسى هو من يعنى بالموسيقى الداخلية ليجذب قلبك ... وهنا مفرق الطريق بين موسيقى تستمد رنينها من اللفظ وحدة لتهز منافذ الأذن ومن موسيقى تستمد رنينها من النفس لتهز مسارب العاطفة ! نريد فى الأداء النفسى تلك الموسيقى الداخلية ، الموسيقى المعبرة تمام التعبير عن حالة شعورية خاصة ، طبعت أداء الشاعر بطابع صوتى خاص ، تلمسه فى انسياب النفس الشعرى أو تهدجه ، فى إسراعه أو إبطائه ... فى اندفاع النغم الشعرى أو تموجه ، فى ارتفاعه أو انخفاضه . مثل هذه الموسيقى الداخلية تنقل إليك نقلا أمينا كل شحنة من تلك الشحنات الانفعالية المصبوبة فى حقول التجربة ، حتى لتستطيع أن تميز كل لحظة زمنية عاشها الشاعر وتركت ظلها فى نفسه وحسه فلحظة الغضب مثلا لها جوها الموسيقى الخاص ، وكذلك لحظة الألم واللذة ، ولحظة الدهشة واللهفة ، ولحظة الأسى والحنين ... هذا الشاعر الغاضب فى موقف من مواقف الضيق والثورة ، تجده هناك : فى تلك الموسيقى الصاخبة النغم ، ذات الرنين العاصف ، ذات المسافات الصوتية الطويلة . وهذا الشاعر النشوان فى موقف من مواقف الفرح والبهجة ، تجده هناك فى تلك الموسيقى الراقصة النغم ، ذات الرنين الحالم ، ذات المسافات الصوتية القصيرة . وهذا الشاعر الملتاع فى موقف من مواقف الألم والحسرة ، تجده هناك : فى تلك الموسيقى الهادئة النغم ، ذات الرنين الخافت ذات المسافات الصوتية المترجحة بين الطول والقصر ... الطول حين يتشح التعبير بوشاح الحزن المستكن فى أغوار النفس تطلقه لحظة من لحظات البث والشكاة ، والقصر حين يصطبغ التعبير بصبغة اللهفة العابرة اللاوعة التى تلهب الشعور ولا تقيم . وهكذا تجد الموسيقى والتصويرية الصادقة فى شعر الأداء النفسى ، وهكذا تجد على طه ...

لقد كان ذلك الشاعر الذى يمثل النموذج الموسيقى الثالث بمسافاته الصوتية القصيرة فى « الموسيقية العمياء » ، وهو ذلك الشاعر الآخر الذى يمثل النموذج الموسيقى الثانى فى « القمر العاشق » ... هو هناك الشاعر الملتاع ، وهو هنا الشاعر النشوان !

ونعود إلى موسيقى اللفظ وموسيقى النفس لنقول إننا لا ننكر أثر الموسيقى الأولى فى الصياغة الشعرية ، ولكن الذى ننكره هو أن يقتصر عليها الشاعر ويوجه إليها كل عنايته ؛ ذلك لأن الموسيقى الخارجية من شأنها أن تخاطب السمع وحده دون أن تتسلل إلى تلك الكوى الخفية المتناثرة فى آفاق الشعور ، وإذا كان هذا الأربيدو ضئيلا إذا وقف وحده فى الميدان ، فإنه يحتل مكانه من غير شك إذا استند إلى الموسيقى الداخلية واعتمد على قيمها الصوتية فى النهوض بالأداء ... إن موقف الشاعر بين الموسيقى النفسية والموسيقى اللفظية ، أشبه بموقف المايسترو بين النوتة التى يضع أصولها بنفسه وبين فرقة كاملة من العازفين : هذه الألفاظ التى تنقل النغم إلى قارىء الشعر تقوم مقام العازفين الذين ينقلون النغم إلى سامع الموسيقى ، كل قيمتهم تتمثل فى أنهم أدوات ناقلة ، النوتة هى التى تمدهم بأصول الأداء الموسيقى كما يجب أن يكون ، ومن وراء النوتة يقف المايسترو ليشرف على هذا الأداء ... إن المايسترو هنا يمثل الشاعر هناك ، والنوتة الفنية تمثل الموسيقى الداخلية ، ومجموعة العازفين تمثل مجموعة الألفاظ : الفضل كل الفضل للنوتة الموجهة وللقائد المشرف ، وبغير هذا وتلك تبدو لك ضآلة الأدوات الناقلة إذا وقفت وحدها فى الميدان ... والأدوات الناقلة التى أعنيها بهذا التعبير هى مجموعة العازفين فى الفرقة الموسيقية ومجموعة الألفاظ فى الصياغة الشعرية ! ولعل هذا التفسير المادى يوضح لك الفارق البعيد بين موسيقى اللفظ وموسيقى النفس ، ومدى التفاوت العميق بين أثريهما كعنصرى تنغيم فى تلوين الانفعالات الذاتية فى التعبير .

بعد هذا ننتقل بمجهر التحليل إلى زاوية أخرى من زوايا الأداء النفسى ، ونعنى بها زاوية « الملكة التخيلية » فى شعر على طه ... إن أول مزية من مزايا هذه الملكة هى « التجسيم » ؛ التجسيم الذى يجعل من الحركة الجامدة حركة حية ، ومن الكون المادى الصامت كونا يموج بالمشاعر والأحاسيس ، ومن الصورة التى تعز على اللمس صورة تدركها الحواس ، حتى لتوشك أن تنالها الأيدى وأن تراها العيون ... هذه القيم الشعرية النادرة تحتشد احتشاداً كاملا فى قصيدة « القمر العاشق » .

هذا القمر الذى أضفى عليه الشاعر من الصفات ما يسلكه فى عداد الأحياء ، هو النموذج التجسيمى للحركة الجامدة حين تنفث فيها الملكة التخيلية كل معانى الحركة المتوثبة ... وهى حركة مادية فى المقطوعة الأولى تتلوها حركة نفسية ، وتتجاوب الحركتان على التعاقب فيما يرد بعد ذلك من مقطوعات . وما قيمة الأداء الذى ننشده إلا فى هذا التتبع النفسى الدقيق لكل مشهد تلتقطه العين ويتملاه الخيال ، هناك حيث تكون النفس الإنسانية أشبه بمرصد يسجل كل هزة من هزات الوجود الخارجى ، ويحدد مكانها من دائرة الشعور والوجدان !

هذه القصيدة تروى لنا قصة ، هى قصة القمر العاشق أو قصة الخيال الفريد ؛ الخيال الذى ينقلنا على جناحه إلى تلك الشرفة التى تمدد فيها جسد بهز « قلب الجماد » ... وتلك هى اللفتة الفنية الاولى التى تخرج بها من الفكرة الشعرية التى طافت برأس الشاعر : إنه يريد أن يرتفع بتصوير الفتنة الطاغية إلى أفق يعلو فوق مستوى الآفاق المألوفة فى خيال الشعراء . إنه يريد أن يظهر سطوة الجمال الآسر فى ثوب لايكتفى باثارة الأرض لأنه أحرى باثارة السماء ... وحسبه فى تصوير تلك الفتنة أن يتخيل الحب الثائر كوكبا من الكواكب لا بشراً من البشر !

فى المقطوعة الأولى تبدأ الحركة المادية حين يرسل الحب المفتون ضوءه إلى الشرفة ، وينطلق الأداء النفسى فى أثره ليسجل أول ومضة من ومضاته أو أول حركة من حركاته ... إن العاشق هنا « مضنى » يرف ضوؤه رفيف « الحلم » ويشرق « إشراقة المنى » ! فى كل لفظ من هذه الألفاظ سيل لا ينتهى من الإيحاءات ، مصدره قطرة تنبثق من هنا وقطرة تنبثق من هناك ، من تلك الينابيع النفسية التى تطفىء ظمأ التعبير وترطب مسالك الكلمات ... وفى المقطوعة الثانية تسمع رجع الصدى العميق منعكسا على الصرخة التى يضمها الأداء النفسى فى موضعها الطبيعى من الشعر ؛ هذه الصرخة يمثلها قوله : « أغار عليك » ، وهى رجع الصدى من قوله : « فضمى جسمك العارى » يتبعها قوله : « وصونى ذلك الحسن » ... هذه هى الملاءمة النفسية التى تربط بين الألفاظ برباط لاينفصم ، وتنظمها ذلك التنظيم الذى

يحدد لكل لفظ مكانه . سمها إن شئت هندسة ألفاظ ومناظر ، ولكن لاتنس أنها قبل ذلك هندسة خواطر ومشاعر ! ... ثم ما هذا العاشق الذى « كأن لضوئه لحنا تدق له قلوب الحور » ؟ أرأيت إلى أثر التجسيم فى الشعر ؟ إن التجسيم فى الشعر أساسه « التضخم » فى الطاقة الشعورية ، وفرق بين التجسيم الشعرى الذى يبرز خطوط الصورة وبين التهويل الشعرى الذى يطمس خطوط الصورة ، وإنه لذلك الفرق الذى يكون بين قوة الملكة التخيلية وبين ضعف الرؤية الشعرية ! وتطالعك هذه الملاءمة النفسية بين الألفاظ مرة أخرى فى البيت الثالث والرابع من نفس المقطوعة ... هذا العاشق العربيد « رقيق اللمس » حين تصغى كل مليحة لندائه وتستجيب لدعائه ، ولا يعترض طريقه معترض إذا ما قر رأيه على قرار ، ولكنه « جرىء » فى مواقف التمنع يقدم غير وجل ولا هياب ، ويقتحم الحصون على من فيها إن دعاه الشوق ويتسلق الأسوار !

هذه « الرقة » التى يحويها أول فصل من قصة الحب الصادق يعرضها على طه أروع عرض نفسى فى البيت الأول والثانى من المقطوعة الثالثة : « تحدر من وراء الغيم ... ومس الأرض فى رفق » ، هل تستطيع أن تتفيأ تلك الظلال الممتدة على حواشى الألفاظ ؟ ألا تحس معى فى كلمة « تحدر » ومن بعدها « استأنى » ذلك المعنى الذى يحس فى خطوات الحب الحاذر الذى يتمهل فى سيره ويترفق ، خشية أن يحدث صوتا تستيقظ على أثره المحبوبة النائمة ؟ ألا تشعر أن الكلمتين تنقلان إليك شبح عاشق يتسلل إلى مخدع حسناء فى هدأة الليل ثم يرهب الضوء الذى يمزق حجب الظلام ، ضوءه الغامر الذى يدفعه دفعاً إلى أن « يمس » الأرض فى رفق وحذر ؟! لقد طاف أولا بالشرفة ، حتى إذا رآها نائمة (مس الأرض فى رفق) ، وتسور الشوك ، وتسلق الغصن ، واستلم الركن ... أرأيت إلى هذه الوحدة النفسية فى تسلسل الخواطر وإلى هذه الوحدة الفنية فى تسلسل الألفاظ ؟ إنها الهندسة المطلوبة فى مثل هذا الأداء !

وتمضى القصة فى طريقها إلى فصل آخر أو إلى مرحلة أخرى من مراحل التجسيم الشعرى ... هنا فى المقطوعة الرابعة يقدم الشاعر

هذا المشهد الجديد الذى مهدله بالمشهد السابق فى المقطوعة الثالثة لقد أفلح العاشق المضنى فى الوصول إلى المخدع الموموق ، وأصبح الجسد الفاتن أمام عينيه يثير مكامن الغريزة من مرقدها ويدفع بها محرقة فى يديه … وبدأ الحب العربيد يفتن فى حل طلاسم النهود ، وراحت أصابعه المحمومة تعالج الردن بغية الظفر بالكنز المعبود ! إنها لحظة سكر من لحظات الهوى الغلاب ، لحظة يعرفها كل عاشق مفتون كهذا العاشق ، حين يصب من خمر الصبابة دنانا على خدود الحسان !

وفى نهديك طلسمان فى حلهما فتنا
إلى كنزها المعبود بات يعالج الردنا

وتمهل إذا بلغت المقطوعة الخامسة ، تمهل لأن هنا مركزاً من مراكز التحول فى خطوات الأداء النفسى ؛ هذا التحول الذى يفرضه على الشاعر انتقال العدسة من وضع إلى وضع ، ليلتقط الصورة من زاوية رئيسية يندفع فيها الضوء من الأمام إلى الخلف حتى يتكشف ما وراء المشهد من آفاق … وستتكشف لك تلك الآفاق فى المقطوعة السادسة والسابعة على التحديد ، أين هو مركز التحول فى هذه المقطوعة ؟ هو فى تلك اللقطة الموحية بأن العاشق المضنى قد حاول أن يقبل الثغر ، وأن يلف النهد ، وأن يضم الجسد … وأنه قد منى فى محاولته تلك بالخيبة وباء بالخذلان ، هناك فى المقطوعة السادسة حيث تروعك وثبة الأداء فى هذين البيتين :

أراد ، فلم ينل ثغرا ورام ، فلم يصب حضنا
حوتك ذراعه رسما وأنت حويته فنا !

ولعلك قد لاحظت أن تلك الصرخة فى قوله « أغار عليك » عندما بدأ المقطوعة الثانية ، قد تكررت فى قوله « أغار ، أغار » عندما بدأ المقطوعة الخامسة … تكررت لأن الحركة المادية (وأرجو أن تفرق بين الحركة المادية للفظ وبين المعنى المادى للفظ) كانت هناك حركة واحدة فغدت هنا وهى أكثر من حركة واحدة ، ولا بد فى شعر الأداء النفسى من أن تستجيب الهزة الداخلية للهزة الخارجية ، على مدار النسبة العددية التى تحدث شيئا من التوازن بين عالمين … ولهذا ترى الهزة النفسية الممثلة فى تكرار التعبير عن الغيرة قد وزعت على بضع حركات مادية ؛ هى الإقدام على التقبيل ، والإقدام على الضم ، والإقدام على قطف الثمار الناضجة فى روض النحور ! ولقد كان لضوء القمر فى المقطوعة الثانية لحن فأصبح لضوئه فى المقطوعة الخامسة قلب ، وهو لون آخر من ألوان التجسيم يدعو إليه هذا الجو الشعرى الجديد ، كما يدعو إليه فى أن يكون لسحره ذلك الجفن الذى عناه بقوله :

يصيد الموجة العذراء من أغوارها وهنا !

وفى المقطوعة السادسة تبلغ اللفتة النفسية أوجها عند ما يقول : « وكم من ليلة لما دعاه الشوق » … إن قيمة اللفتة فى أنها إشارة إلى كثرة طواف القمر العاشق بشرفة هواه ، هذا الطواف الذى أورثه المضنى المعبر عنه فى أول بيت من أبيات القصيدة :

إذا ما طاف بالشرفة ضوء القمر المضنى !

وتأمل رهافة المبضع حين يشرح العاطفة المشبوبة فى لحظات الضعف والهوان ، إن كل محب جبار يغدو فى مثل تلك اللحظات طفلا جاثيا بين يدى من يحب ، « طفلا يشتكى الغبن » … فإذا ما حيل بين الطفل وبين الدمية الحبيبة عاد جبارا من جديد « يهز صراخه الكون » ! وأى صراع هو ؟ إنه الصراع الذى لا يبقى ولا يذر :

مضى بالنظرة الرعناء يطوى السهل والحزنا
يثير الليل أحقادا وصدر سحابه ضغنا !

واستعرض مواكب الألفاظ فى هذا الأداء النفسى … استعرضها فى « النظرة الرعناء » ، وفى الليل الذى « أثير أحقادا » وفى السحاب الذى ألهب « صدره » ضغنا وعداء … واستعرضها فى المقطوعة الثامنة ، فى « ردى الشرفة الحمراء » ، و « صونى الحسن من الثورة » ، و « مخافة أن يظن الناس » ! وكما طالعتك الملكة التخيلية فى مطلع القصيدة فهى تطالعك فى هذا الختام :

فكم أقلقت من ليل وكم من قمر جنَّا !

ولا تتهم الشاعر بضعف الرؤية الشعرية عندما يقول : « وكم من قمر » … أنا معك فى أن السماء لا تحوى غير قمر واحد ، ولكن لا تنس أن فى الأرض أقماراً أخرى من المحبين ، أقمارا أرضية يصيبها الوجد اللافح بألوان من الجنون !!

(يتبع) أنور المعداوى

صور من الحياة

قســــــوة !

للأستاذ كامل محمود حبيب

طلع إلى الحيـاة طفلا ضئيلا يعانى الضوى من سغب، ويشكو الهزال من شظف، ويقاسى الهم من ضياع؛ يقيم على الطوى، ويغص بالضنى، ويشرق بالضيق. وتعلم من أبيه — أول ماتعلم أن المال هو الغاية العظمى، وأنه هو الهدف الأسمى. ورأى أباه، وهو رجل ريفى فظ الطبع غليظ القلب شحيح النفس، ينهره فى جفوة إن طوعت له نفسه أن يسأله قرشاً، ويرده فى غيظ إن طلب إليه حاجة. ثم شعر بأبيه وهو يقذفه إلى المدرسة هناك فى المدينة ثم ينطوى عنه كأنما نسى أن له فى المدينـة ابناً ينظر حواليه فى حيرة وقلق فيرى أبناء الناس يعيشون فى دنيا غير دنياه، ويرفلون فى طفولة غير طفولته، وينعمون بعيش غير عيشه، فانضم على شجن انهمر فى قلبه الغض وهو مايزال لدى الأفق المشرق من الحياة؛ انضم على شجن عارم فوار لأنه لايجد القرش؛ وهو نعيم الحياة ولين العيش ونور العين وبهجة القلب ومرور النفس. وأحس فى حاجته إلى المـال خسة أورثته الاستخذاء، وضعة علمته الذل، وصغاراً وسمه بالهوان، فأخذ حب المـال يتدفق فى قلبه جارفا يصرفه عن انسانيته ورجولته وكرامته جميعا؛ والسنون تنطوى، حتى تخرج من مدرسة التجارة المتوسطة، وعين موظفا ببنك مصر.

وظن رفاقه أن راتبه كفيل بأن يهيء له حياة كريمة طيبة تخلع عنه ثيابا رثة زرية، وتنفض عنه عفر الحاجة وغبار المسكنة وتنسق ماتشعث من حاجاته ومن خواطره، ولـكن الأيام راحت تنطوى فى غير ريث ولامهل، وهو فى زيه القديم البالى لم يبد عليه أثر النعمة ولاسمات الخفض لأنه لايهدف إلى غاية سوى أن يجمع المـال ويكدسه ويحرص عليه فلا ينفقه ولايبدوه. وتقزز زملاؤه فى البنك من هذا المظهر الوضيع ومن اللباس القذر ومن الوجه الأغبر ومن الشعر المشعث، وأنفوا أن يندس فى زمرتهم فتى تشغله الـكزازة عن الـكرامة ويصرفه الشح عن الترفع فأجمعوا أمرهم على أن ينشروا الخبر على عينى المدير؛ وثار المدير لمـا سمع فما لبث أن جذبه من البنك ليقذف به فى مخزن المحبوب ليتوارى هناك خلف سحابة كثيفة من الغبار الثائر، وليتيه فى ضجة العمل الصاخب بين الحمال والعامل. وانطلق الفتى إلى عمله الجديد هادئا لايستشعر الحيف ولايحس الجور.

* * *

وجاءه أبوه — ذات مرة — يحدثه حديث الزواج، فدفعه عنه فى رفق ودعه فى هوادة، وهو يقول «دع عنك، يا أبى، هذا الحديث. فإن تكاليف العروس وحاجات الزوجة ورغبات الولد أشياء تبهظ الغنى وتثقل كاهل الثرى، فما بالى وأنا — كما تعلم — موظف صغير أحس الارهاق والضيق وأشعر براتبى ينوء بأعبائى وأنا عزب ... » فقال الأب فى هدوء «لا بأس عليك إن تعللت بالضيق أوتذرعت بالحاجة ولـكن الزوجة المنتظرة فتاة من ذوى قرابتك، ربيبة المنشأ والمربى، تقنع بالضئيل وترضى بالتافه، لم يبهرها زخرف الحياة ولاخطفها ألق الحضارة. ثم هى يتيمة، مات أبوها منذ سنة واحدة فورثت عنه كذا وكذا من الأفدنة ... » فهمس الفتى كأنما يتحدث إلى نفسه وقد بدا فى نبرات صوته أن أمهل وانقاد «إنها ثروة... ثروة طائلة، تكفل لى حياة ناعمة» وأجاب الأب «إنك — ولاريب — ستجد إلى جانبها راحة القلب وهدوء النفس ورغد العيش. فقال الفتى: ولـكنى أعجز عن أن أدفع المهر» فقال له أبوه «أما المهر فسأحمل عنك بعضه ليكون دينا عليك تسدده بعد سـنة من زواجك، أى بعد سـنة من استيلائك على ثروة الزوجة المنتظرة» وانفرجت أسارير الفتى وتبسط فى الحديث، وأقبل على أبيه يسأله «أو أستطيع أن أنزع ثروة زوجى من بين يدى أخيها الأكبر؟» فأجابه الأب فى ثقة واطمئنان «ومن ذاعساه يمنعك من أن تقوم على شأن زوجك؟»

وفى ضحى اليوم التالى انطلق الفتى وأبوه معا إلى القرية... إلى دار العروس. وتحدثا إلى أخيها الأكبر، وهو — إذ ذاك — الوصى على مالها، فما تعسر عليها ولاتمنع، فمالبثت الفتاة أن سميت على الفتى، وخرج الفتى من دار الفتاة وهو يتوثب فرحا وسروراً ويتألق بهجة وأملا.

ورأى الوصى الفتى يسر إلى أبيه بأمر فأحس بما يحس به الثرى يفهق جيبه بالمـال حين يسمع همسات اللص تطوف

حواليه فتنزعه عن الأمان والقرار . ولكنه رجل ذو حيلة وخداع وذومكر ودهاء ، فأسر فى نفسه أمراً .

وراح الوصى بعد الجهاز ، ينفق عن سعة ويبذل فى سخاء ، يستفرغ الجهد ويستنفد الوسع ، والفتى يرى ويبسم لأنه يستشف آثار البذخ والإسراف فيخيل إليه أن الرجل يكلف نفسه فوق طاقتها ليرضى هو ولترضى الزوجة ، فاطمأنت نفسه وسكنت نوازعه ، ثم انطلق يهيء لنفسه حاجاتها ويعد للعرس طلباته ، يغرق فى الانفاق ويفرط فى العطاء حتى كاد أن ينفد وفره ، وفى رأيه أنه يوشك أن يعوض مافقد وأن يسترد ما أنفق .

وانطوى شهر العسل ، والفتى يمرح فى بحبوحة من النعيم فيها الصفاء والدعة ، ويرشف رضاب حياة سعيدة طيبة فيها الهدوء والطمأنينة . انطوى شهر العسل ، ثم أفاق الفتى فإذا يده صفر إلامن راتبه ، وإذ مال زوجته بين يدى أخيها الأكبر لم يتنزل له عن شبر واحد . وأحس الفتى بالألم يحز قلبه وخزات عنيفة قاسية لأنه أضاع ما ادخر فى سنوات ، ولكن صبابة من الأمل كانت تعاوده - بين الفينة والفينة - فيطمئن لها قلبه وتسكن ثائرته

وحين أحس الفتى الضيق والعنت ، انطلق إلى شقيق زوجته يطلب إليه أن يتنزل له عن مال زوجته . غير أن الرجل ربت على كتف الفتى فى هدوء وهو يقول « إنك فتى صغير السن ، لاتستطيع أن تشرف على أطيان زوجك » وأحس الفتى أن الرجل يسخر من غفلته فى غير رفق ويهزأ من طويته فى غير لين ، فهم يريد أن يثور فى وجهه ولكن الرجل عاجله بقوله « أتذكر ، ياأخي ، أن جهاز العروس قد كلفها نيفاً وألف جنيه ، وهذا دين على زوجتك أنتظر وفاءه ؟ فأطيانها بين يدى رهينة حتى تفى أنت بدينها أوتفى هى ... » وهبطت كلمات الرجل على قلب الفتى صفعات شديدة تهد من قوته وتعصف بكيانها ، ولكن لم يستطع أن يفعل شيئاً ، فانفلت من لدن الرجل وقد ارتاع واستطارلبه .

وبدا للفتى أنه خسر فى شهر واحد كد سنوات طواها يستمرئ ضنك العيش ويستعذب جدب الحياة ويتلذذ بالحرمان ، ليكون بعد سنوات - رجلا فيه الثراء والغنى ... بداله أنه أضاع ماله فاستشاط غيظاً واحتدمت الثورة فى قلبه ، ولكن .

وانطوت الأيام فإذا الفتى قد انتكس إلى حاله الأولى ، يستمرئ ضنك العيش ويستعذب جدب الحياة ويتلذذ بالحرمان ثم راح يضرب زوجته بالجوع والعرى فى خشونة وعنف ، لاتأخذه شفقة ولاينبض قلبه برحمة . والفتاة صابرة لاتتحدث بما تعانى ترفعاً منها وكبرياء ، ولا تشكو قسوة الزوج أنفة منها وسمواً . وانضمت - حيناً - على هم يضطرم فى قلبها عسى أن تجد الرقة فى زوجها أوتحس الرأفة فى أخيها ، والأيام تمر .

وضاقت نفس الزوجة بما تقاسى ونفد صبرها ، فانطلقت إلى أخيها تبثه شكواها وتسر إليها بكربة نفسها ، فما ألقى إليها السمع إلا ريثما يقول لها فى فتور « وماذا أعجبك من هذا الفتى الوضيع القذر ؟ لوشئت وجدت عندى الرحب والسعة » .

وخرجت الفتاة من لدن أخيها الأكبر وقد حطمها الأسى وأرمضها الغم ، لأنها فقدت العطف فى قلب زوجها ، وفقدت الحنان فى قلب أخيها .

وخشيت أن يجرفها تيار الحاجة إلى الهاوية فآثرت أن تستقر فى دار أخيها علها تدرأ هناك غائلة السقوط والانهيار وهى تشعر بالشيطان يوسوس لها بأمر ؛ وعلها تسترد ما انطبعت عليها من أنفة وإباء . فهل وجدت فى دار أخيها غناء عن الزوج والابن ، وهما روح الحياة وبهجة العمر وسعادة القلب ؟

ياعجبا للنفس الإنسانية حين يطغى عليها حب الذات ، ويعميها شره المال ، فتتنزل عن الشرف والكرامة والإنسانية جميعاً .

كامل محمود حبيب

اللغـــة الفلسفية

عند ابن سينا

للأستاذ محمد محمود زيتون

« هذه إشارات إلى أصول وتنبيهات على جمل يستبصر بها من تيسر له ، ولاينتفع بالإصرح منها من تعسر عليه . »

بهذه العبارة يفتتح ابن سينا كتابه « الإشارات » ، ونريد بهذا المقال أن نتعرف على أى نحو وإلى أى غرض أشار ابن سينا ونبه فى إشاراته وتنبيهاته .

وكتاب « الإشارات » يحتوى على ثلاثة فنـون : المنطق والطبيعيات والإلهيات ، وكما يختلف الواحد منها عن الآخرين فى موضوعه وغرضه ، تختلف كذلك فى طريقته الموصول إلى هـذا الغرض .

ولقد خلف فليسوف الإسلام تراثاً جليلا شغل الفكر الإنسانى فى كل جيل ، وتدارسه العلماء والفلاسفة من بعده فى الجامعات ، وليس أدل على المكانة التى تبوأها من قول ابن خلدون : « وترى الماهر منهم — العلماء — عاكفاً على كتاب الشفاء والإشارات والنجاة » ، وحلت كتب ابن سينا الفلسفية محل كتب أرسطو عند فلاسفة الأجيال المتلاحقة ، وأفردوا له البحوث الطوال .

ولا عجب إذا كتب (ماكـد ونالد) فى الانجليزية كتابا عن « معانى الوهم فى التفكير الإسلامى » كان لابن سينا فيه مكان مرموق . وكتبت الآنسة (جواشون) فى الفرنسية كتابها « ثبت باللغـة الفلسفية عند ابن سينا » إلى غير ذلك مما كتبه الطليان عن احتمال اطلاع (ديكارت) على آراء ابن سينا كما ذهب إلى ذلك فورلانى Fourlani وفاليوس Valios بسبب نصوص الإشارات التى نقلها « غليوم أو قرنى » عن ابن سينا إلى اللاتينية .

وأسلوب ابن سينا الفلسفى فى جل كتبه — إن لم يكن فى كلها — طريف فازت « الإشارات » من طرافته بأوفر نصيب ، تلك الطـرافة التى تتجلى فى عرض المسائل عرضاً علمياً دقيقاً ، ونقدها فى تؤدة العلماء ، وأناة الفلاسفة ، مما نرى شبها له فى طريقة « هيجل » .

والكشف عن طريقته هذه فى الإشارات يستلزم النظر فى ثلاث :

أولا : معانى المفردات التى أشار ونبه بها لغة وأصطلاحا .

ثانيا : تقدير مدى إبداع ابن سينا فى هذه المفردات .

ثالثا : تحديد الظلال السيكولوجية التى تلقيها معانى هذه المفردات .

ففى البحث عن اللغة الفلسفية عند ابن سينا مزاج طريف من اللغة والفلسفة والنفس ، وفى كل ميدان صاول ابن سينا وطاول ، وكان له القدح المعلى . ولما كان المنطق دهليزاً إلى سائر العلوم كانت أبوابه أنهاجا ، والنهج طريق بين واضح سالك مستقيم ، وهو منهاج ومنهج وجمعه أنهاج ونهوج ونهجات ، قال تعالى « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » ، وقال العباس « لم يمت رسـول الله حتى تركـكم على طريق ناهجة »

والطبيعيات والإلهيات غير المنطق فى كونه يتوصـل منه إلى سائر العلوم . وهى إنما تقصد بذاتها ، لهذا كانت أبوابها أنماطاً ، والنمط فى الأصل نوع من الثياب المصبغة ، ولايقال للأبيض نمط . والنمط أيضاً ضرب من البسط . والعرب يشبهون الطرق بخطوط الثياب . قال طرفة يصف الطريق الذى سارت به فيه ناقته : « على لاحب كأنه ظهر برجد . » والبرجد هو الثوب المخطط خطوطاً ظاهرة . وجمع النمط : أنماط ونماط . قال المتنخل : علامات كتحبير النماط . ويستعمل النمط فى المتاع والعلم ، فيقال نمط للضرب من الضروب والنوع من الأنواع ، والمذهب والفن والطريق والطريقة .

وإذن فقد انتقل المعنى عن الحسى إلى المعنوى [1] من الثوب إلى الطريق إلى الطريقـة ، كما انتقـل معنى (الأسلوب) من صف النخيـل إلى الطريق إلى الطريقة . والنويرى فى (نهاية الأرب) يقسم الباب الخاص بكيفية العلم والعمل بأسماء الله تعالى إلى عشرة أنماط فى السفر .

وهكذا دل ابن سينا بالأنماط على أبواب الطبيعيات والإلهيات كما دل بالأنهاج على أبواب المنطق .

وليس الناس سواء فى سيرهم وهذه الأنهاج وتلك الأنماط ، لهذا نصب الشيخ الرئيس من نفسه هاديا ومرشدا للضالين التائهين

---

(١) لسان العرب .

الواهمين، فمنهم من تكفيه الإشارة ، ومنهم من تاه في بيداء الوهم ممن يعوزه التنبيه أو زيادة التنبيه ، ومنهم من استغرقته الجهالة فكان له من ابن سينا تبصرة أو زيادة تبصرة ، ومنهم من ضل ضلالا بعيداً فكان له منه حسن الهداية ؛ ومنهم من أخطأه التوفيق فكان له منه فائدة ، وقد يتفق معه ابن سينا ثم يفترق عنه إلى موعد أو إلى موعد وتنبيه ، إلى غير ذلك من تذكيرله أو تذكرة ثم تذنيب على إشارة ، أو تحصيل أو زيادة تحصيل . وبعد هذا كله لا تفوته النكتة .

نظرة في هذه المفردات تقفنا على الصلة الوثيقة بين دلالاتها وبين علم النفس . إذ يقول مثلا في مطلع النمط الرابع في الوجود وعلله « تنبيه : (وفي نسخة إشارة) اعلم أنه قد يغلب على أوهام الناس أن الوجود هو المحسوس وأن . . . وأن . . . وأنت يتأتى لك أن تتأمل نفس المحسوس فتعلم منه بطلان قول هؤلاء ، لانك ومن يستحق ان يخاطب تعلمان أن هذه المحسوسات في هذا النص تنبيه على وهم باطل ، والوهم في الطبيعيات والإلهيات يعارض العقل في مأخذها ، والباطل يشاكل الحق في مباحثهما[1] . وبعد أن نبه على هذا الوهم دعا إلى التأمل في هذا الوهم لكي نعلم بطلان قول هؤلاء الواهمين .

ويقول « وهم وتنبيه : ولعل قائلا منهم يقول : إن الإنسان مثلا إنما هو إنسان من حيث له أعضاء من يدوعين وحاجب وغير ذلك ، ومن حيث هو كذلك فهو محسوس ، فننبهه ونقول له ... »

فهو يعرض للوهم عرضاً أميناً غير مشوه ، ثم ينقض عليه بتنبيهه إلى فساد هذا الوهم ، ثم يتلوه تذنيب أي تفريع لهذه الفكرة فيقول : « تذنيب : كل حق فإنه من حيث حقيقته الذاتية التي هو بها حق فهو متفق واحد غير مشار إليه ، فكيف ماينال به كل حق وجوده » ويظل يأتي بتنبيه ثم تنبيه ثم إشارة بعد إشارة ويستأنف تنبيها آخر يرد فيه بإشارة ثم تنبيه على أوهام حتى يخلص من كل هذا بفائدة .

هذا ، ولئن دلت التنبيهات والإشارات على الجانب النقدي من أفكار ابن سينا في « الإشارات » فإن تلك الفوائد التي يأتي بها بين الفينة والأخـرى تدل على الجانب الإيجابي أو البنائي في فلسفته .

(١) شرح الطوسي على الإشارات .

ويقول « هداية : إذا فرضنا جسما يصدر عنه فعل ، فإنما يصدر عنه إذا صار شخصا ، ذلك الشخص المعين ، فلو كان . . . » والبارز في هـذا النوع أنه جدل لم يبلغ حد البرهان بالمعنى الصحيح ، إذ البراهين عند ابن رشد أنواع هي : البرهاني ، الجدلي ، الخطابي ، المغالطي ، كما هو مفصل بكتاب « مناهج الأدلة » .

ويقول « مقدمة : المعنى الحسي إلى مثله يتجه (هـكذا) الإرادة الحسية والمعنى العقلي إلى مثله يتجه الإرادة العقلية ، وكل معنى يحمل على كثير غير محصول فهو عقلي » يأتي ابن سينا بهذه المقدمة لإثبات النفوس الفلكية ، ويأتي بعدها بإشارة إلى أن النفس الفلكية ذات إرادة عقلية ، وهذه الفكرة الأخيرة ولاشك في حاجة إلى تلك المقدمة التي هي بمثابة مدخل لها . وبعد الفراغ من تبيان امتناع كون القوى الجسمانية غير متناهية التحريك بالقسر يأتي بمقدمة لبيان امتناع كونها غير متناهية التحريك بالطبع أيضاً ، ويتلو هذه المقدمة مقدمتان بعدهما يشير وينبه ما شاءت له الإشارات والتنبيهات .

ويقول : هداية وتحصيل : فقد بان لك ... فيكون كذا . . . وقد علمت أن . . . فتكون كذا . . . وقد علمت . . . فيجب إذن أن يكون ... وأن يكون ... » ولاشك في أن هذه الهداية محصورة في قوله « بان لك » و « علمت » ولاشك أيضاً في أن التحصيل يمثله قوله « فيكون » و « يجب أن يـكون » وهما بمثابة نتيجة منطقية مترتبة على ماسبق من تبيان وعلم . ثم هو يأتي بعد هـذا بزيادة وتحصيل ، فيقول : وليس يجوز كذا . . . ويلزم كذا فيجب أن يكون كذا ويعقب بزيادة تحصيل فيقول « فمن الضروري إذن أن يكون . . . » أي أن النتيجة صارت من القوة بحيث صارت ضرورية « أو من الضروري » على حد تعبيره . وثمت نوع غير التنبيه يجعل غير اليقظان كالنائم يقظان ، ذلك هو التبصرة ، وفيه يجعل غير البصير كالأعمى يرتد بصيرا ، والفرق بين التبصرة والتنبيه أن البحث في تلك أوضح مما في ذاك . وعند المبالغة في حث الغافل عن إدراك شيء حاضر أمام عينيه إنما يكون بإتهامه بالعمى أكثر من اتهامه بالنوم ، والحث بهـذا النوع — على البحث كفيل بأن يصير الأعمى بصيراً ولاسيما في الموضوع

الذى نحن بصدده ، وهو بيان أن النفس غير البدن ، وغير حالة فيه ، وذلك موضـوع تبصرة من تلك التبصرات السينية .

ثم هو يستعمل اصطلاحا هو أشد من سابقه وأقوى مفعولا فيقول :

زيادة تبصرة : تأمل أيضا أن القوى القائمة بالأبدان يكلها تـكرر الأفاعيل لاسيما القوية منها . وخصوصا إذاً . . ويزيد هذه التبصرة مرتين بعد هذا .

وهنا نشعر بأن ابن سينا قد انتقل من ميدان الإلهيات إلى ميدان البيولوجيا فيذكرنا بقوانين « التنبيه » وشتى الاستجابات المترتبة على التنبيه و كيف يتم مايسمي في هذا العلم باسم « التوتر » و « فترة العصيان » ونقف قليلا حيال هذا الجلال الفلسفي لنرى كيف أن ابن سينا يلقى من الضوء الفلسفي على المشكلة بقدر ما تسمح به أهميتها ، فهو لايتفلسف لأنه يريد أن يتفلسف، وإنما التفلسف عنده غالى ثمين أو كما يقول الطغرائى : « غالى بنفسى عرفانى بقيمتها » ، ولأن « شرف العقل من شرف موضوع تعقله » كما يقول أرسطو .

وقفة أخرى عند براعة ابن سينا فى إقامة القواعد والأصول لعلم النفس التعليمى . فقد كان بهذا سباقا إلى وضع تصميم لفن « التربية العملية » إذ ينبه الغفلان بإشارة ، ويبصر الأعمى على ضوء الفلسفة ، فيستبصر كلاهما على هدى من المعرفة ، فلا يعود يخبط أو يتوهم .

وابن سينا لاينبـه بإشارة حيثما اتفق ، ولايبصر الأعمى كيفما كانت التبصرة ، وإنما كل شىء عنده بمقدار ، كما ينبه كلا بحسب طاقته ، فالعبد يقرع بالعصا ، والحر تـكفيه الإشارة ، والأعمى يعوزه كشف الغشاوة عن باصرتيه ، ولا أظن بعـد التبصرة زيادة لمستزيد بعد تحصيل الفائدة التى لاوراءها .

وإذا عرفنا أن الإشارة لغة هى الإيماء والتلويح بالـكف والعين والحاجب وأن التبصرة لا تـكون إلا بهتك الحجب ورفع ما للغياهب من ضغوط ، أمكننا أن ندرك إلى أى حد بلغ ابن سينا فى براعته التعليمية . فها هو ذا ينتقل من الإشارة بالـكف أو الاصبع يتطلبها كل ذهن بليد — إلى إيماء بالعين — يلازم العامة من الناس — إلى التخاطب بلغة العيون حين تأهبت القلوب وتمطلت لغة الـكلام . قال لقلب

نسر الهوى إلا إشارة حاجب هناك وإلا أن تشير الأصابع

ويربى عليه شوقى إذ يقول

وتمطلت لغة الـكلام وخاطبت عينى فى لغة الهوى عيناك

وفى انتقال الإشارة هكذا من الـكف إلى العين إلى الحاجب مسايرة لاستعداد المرسل إليه ، وارتقاء به أو على الأصح منه عن الطريق الحسى الوضع إلى عالم المعانى والأفكار ، والفـكر قوة كما يقول Fouillée . ومن القلب إلى القلب رسول .

هذا ما تنطوى عليه الإشارات والتنبيهات وزيادات التنبيهات والتبصرات وزيادة التبصرات، وما تتطلبه طبيعة كل ذهن من هذه الاصطلاحات « والرجل نفسه يقول فى فاتحة الإشارات » وأنا أعيد وصيتى وأ كرر التماسى أن يضن بما تشتمل عليه هذه الأجزاء كل الضن على من لا يوجد فيه ما أشترطه فى آخر هذه الإشارة » ولعل هذا مصدر الوحى للغزالى فى كتابه « إلجام العوام عن علم الكلام » .

وبعد أن يستفيض ابن سينا فى بحث ما ، يعقب بالتذكير فهو أجمع لمقاصد الفصول المتعلقة بهذا البحث ، والغرض منه هنا إنما هو « إعادة تصور الجميع معا » كما يقول الطوسى .

ويستعمل أيضا (متذكرة وتنبيه) فيقول « أليس قد بان لك كذا — وكذا » وهذا الاستفهام الاستنكارى معناه حث الذهن على استرجاع ما قد غاب عنه ، وهذه وسيلة لها خطرها فى تحقيق النشاط الذهنى الذى لايقل عن التبصير شأناً . بل هو أمس بالحياة النفسية أو الذهنية منه بالحسيات وما إليها .

وإنه ليدل قبيل النمط الرابع على « موعد وتنبيه » فيمنى به فى النمط السادس ويستخدم « النكتة » وهى فى اصطلاحه ذكر لمثال من تلك الأمثلة التى تـكشف عن الغامض وتجلوه .

وهكذا يمنح ابن سينا ألفاظه حياة لها أطوارها ، وبذلك ثار على المعانى الجامدة التى كادت تودى بحياة اللغـة والمعانى جميعاً . وليست بدعة ابن سينا فى هذا المجال قاصرة على نقل المعنى من الأصل إلى المجاز — فذاك عمل هين لين للأدباء والشعراء — وإنمـا الإبداع الحق فى جعل اللفظ يحمل معنى نفسياً أى فى منحه روحا يتحرك بها ويعمل ، وهذه ناحية أقفرت منها اللغة العربية وخلت منها ألفاظها .

وأمعن من ذلك فى البراعـة ما استجده ابن سينا فى كلمة « الوهم » والأصل أنه الطريق الواسع ، أو الواضح الذى يرد الموارد ويصدر المصادر ، وهو أيضا الجمل العظيم والرجل العظيم . وإذ يقول ابن خلدون « تاهوا فى بيداء الوهم » معناه أن الوهم

كالبيداء في سمتها على سبيل تشبيه المضاف إليه بالمضاف ، وقال لبيد:

ثم أصدر ناهما في وارد   صادر وهم صداه كالمثل

وتقدم «الوهم» في سلم التطور والارتقاء حتى صار سراً نفسياً تترجم عنه خطرات القلب ، وجمعه أوهام . قال الشاعر : « فلأياً عرفت الدار بعد توهم » والتوهم – بمعنى التفرس – مرحلة انتقال من المادية إلى اللامادية .

ثم اصطبغ الوهم بصبغة معرفية فاعتبره « المختار من قبل التصور[١] وقال لأحمد فكري بصدد كلامه عن العلم » وهو دقيق، وبحر عميق، وبالمطالعة حقيق، ولطالبي العلم يليق، وهو بحث يتناول عند الحكماء : اليقين والشك والوهم والتقليد والجهل[٢] »

وصرح الغزالي[٣] بأنه يعسر تحديد العلم بعبارة محررة جامعة للجنس والفصل الذاتيين فإن ذلك متعسر في أكثر المدركات الحسية فكيف لا يعسر في الإدراكات الخفية . والشك – عند صاحب دستور العلماء – هو تساوي طرفي الخبر : وقوعه ولا وقوعه. وقد يذكر الشك ويراد به الظن ، كما قالوا أفعال القلوب تسمى أفعال الشك واليقين . وإن لم يتساو الطرفان فالراجح ظن ، والمرجوح وهم ، ويقول الزبيدي «هو مرجوح طرفي المتردد فيه[٤] »

ولنتقل الوهم بعد ذلك نقلة واسعة ، أخذ فيها صبغة تشريحية ظهر بعدها بطابع سيكولوجي متميز ، « فقالوا هو قوة جسمانية للانسان محلها آخر التجويف الأوسط من الدماغ من شأنها إدراك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات كشجاعة زيد وسخاوته، وهذه القوة هي التي تحكم في الشاة بأن الذئب مهروب عنه ، وأن الولد معطوف عليه ، وهذه القوة حاكمة على القوى الجسمانية كلها مستخدمة إياها استخدام العقل القوى العقلية بأسرها » .

هذا ما انتهى إليه الجرجاني[٥] وتابعه فيه غيره[٦] ، ونستطيع أن نعبر عن قصدهم بالوهم هنا بأنه « غريزة » من شأنها أن تكون قوة فطرية هدفها حماية الكائن .

غير أن الفارابي يرى أن «الوهم هو القوة التي تدرك من المحسوس ما لا يحس مثل القوة التي في الشاة إذا تشبح صورة الذئب في حاسة الشاة تشبحت عداوته ورداءته فيها إذ كانت الحاسة لا تدرك ذلك[٧] ».

(١) كشاف اصطلاحات الفنون
(٢) دستور العلماء .
(٣) المستصفى .
(٤) تاج العروس .
(٥) التعريفات .
(٦) تاج العروس ، وفرائد اللغة ، والإفصاح ، ودستور العلماء .
(٧) فصوص الحكم .

أما الغزالي[١] في تقسيمه العلوم فيقول « والعلم الذي يتولى النظر فيما هو بريء عن المادة في الوهم لا في الوجود هو الرياضي » ويقول أيضا « الحواس الباطنة خمسة : الحس المشترك ، والقوة المتصورة ، والقوة المتخيلة ، والقوة الوهمية ، والقوة الذاكرة ... وأما الوهمية فهي التي تدرك من المحسوس ما ليس بمحسوس كما تدرك الشاة عداوة الذئب ، وليس ذلك بالعين بل بقوة أخرى وهي للبهائم مثل العقل للانسان » .

وأخيرا ليس الوهم خلعة صوفية ، فقالوا إن « الوهم محتد عزرائيل من محمد (ص) : خلق الله وهم محمد من نور إسمه الكامل . وخلق عزرائيل من نور وهم محمد ، فلما خلق الله وهم هذا الإنسان من نور الكمال أظهره في الوجود بلباس القمر ، فأقوى شيء يوجد في الإنسان القوة الواهمة فإنها تغلب العقل والفكر والمصورة والمدركة وأقوى الملائكة عزرائيل لأنه خلق منه[٢] وقالوا « إن الله تعالى جعل الوهم مرآة نفسه ومجلى قدسه ، ليس شيء في العالم أسرع إدراكا منه ، ثم اعلم أن الله لما خلق الوهم قال له : أقسمت ألا أتجلى لأهل التقليد إلا فيك ، ولا أظهر إلا في مخافيك[٣] وأفرد أبو الحارث المحاسبي كتابا في « التوهم » كما استقصى مكدونالد « معنى الوهم في التفكير الإسلامي » .

ولو أن فريقا من المتفلسفين أقاموا « معرضاً للأوهام » وعرض فيه كل فيلسوف وهمه لتميز ابن سينا بوهمه ماذا هو عقل في صورة حيوان ، يقول: « والإدراك قسمان حيواني وإنساني ، والإدراك الحيواني إما في الظاهر وإما في الباطن فالإدراك الظاهر بالحواس الخمس والمشاعر والإدراك الباطن من الحيوان بالوهم ، وحوله كل حس من الحواس الظاهرة يتأثر من المحسوس مثل كيفيته » [٤] ويقول أيضا « ثم في الحيوان قوة تسمى بالمتوهمة والظانة وهي تحكم على الشيء بأنه كذا أو ليس كذا بالجزم ، وبها يهرب الحيوان عن المحذور ، ويقصد المختار ، وهي غير المتصورة وغير المتخيلة أيضا[٥] » وأخذت مدموازيل جواشون تستعرض في ثبتها الفلسفي كل معاني الوهم والتوهم والوهميات كما وردت في كتب ابن سينا ولا سيما في والإشارات ومنجاة والشفاء .

ويأبى الرازي إلا أن يجعل هـــذا الوهم مصدر الغلط في

(١) كشاف اصطلاحات الفنون .
(٢) نفس المرجع .
(٣) القوى الإنسان وإدراكاتها
(٤) مبحث في القوى النفسانية .
(٥) مقاصد الفلاسفة

الإنسان : (إن العقل لا يعرض له الغلط إلا من قبل هذه القوة المسماة بالوهم ، وذلك سبب إطلاق لفظ الوهم على الرأى الباطل مجازا ، تسمية المسبب باسم السبب ، فظهر أن تسمية الرأى الباطل بالوهم أولى من تسميته بالخيال ، فإن سبب الرأى الباطل ليس هو الخيال بل الوهم [٤]) ويقول فى موضع آخر (يريد الشيخ بالوهم فى هذا الكتاب المذهب الباطل أو السؤال الباطل ، وذلك لأن العقل قد يعرض له الغلط من قبل معارضة الوهم إياه ، فتسمية الرأى الباطل بالوهم تسمية المسبب باسم السبب مجازا ...)

وعلى ذلك فان ابن سينا فى إشاراته إلى الوهم قصد به كقوة وكباطل ، ولكل مرماه فى اللغة الفلسفية التى ابتدعها ابن سينا ، وحدد نطاقها . ولعل فى مقالى هذا ما يقنع المتفلسفين بأن تراث ابن سينا يتطلب فى فهمه وتقديره إحاطة واسعة بشتى ضروب العلم والعرفان التى طرقها فيلسوف الإسلام وجالينوس العرب ، وأجاد فيها وأفاد . وهنا فقط تكرن الفلسفة حقا وصدقا هى علم العلوم » .

محمد محمود زيتون

تاريخ الدولة الرسولية باليمن

وعلاقتها بمصر

١٢٢٩ — ١٤٥٤ م

٦٢٦ — ٨٥٨ هـ

للأستاذ أحمد مختار العبادى

اختلف المؤرخون حول نسب بنى رسول ، فنسبهم البعض إلى أصل تركمانى ، ونسبهم البعض الآخر إلى أصل عربى . ومن القائلين بالرأى الثانى المؤرخ على بن الحسن الخزرجى الذى عاش فى كنف تلك الدولة فى القرن الثامن الهجرى ، إذ قال « ونسبهم من يعرفهم إلى غسان ومن لا يعرفهم إلى التركمان » [١] .

ورسول هذا الذى تسمت باسمه هذه الدولة ، هو محمد بن هارون الذى أدناه الخليفة العباسى المستنجد واختصه برسالته إلى الشام ومصر فأطلق عليه اسم رسول وشهر به وترك اسمه الحقيق حتى جهل . ثم حدث أن انتقل رسول هذا مع أولاده وأسرته إلى مصر إبان قيام الدولة الأيوبية ، فأرسلهم السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى صحبة أخيه الملك المعظم توران شاه عند فتحه اليمن . ودخل توران شاه اليمن سنة ١١٧٣ م (٥٦٩ هـ) ثم لم يلبث أن عاد إلى مصر سنة ١١٧٥ م (٥٧١ هـ) وصار يحكم اليمن عن طريق نوابه حتى مات سنة ١١٨٠ م . وحكم اليمن بعد توران شاه عدة من أبناء البيت الأيوبى مات أحدهم مقتولاً وآخر مسموما .

ولما تولى السلطان العادل الأول الأيوبى ملك مصر ، أرسل حفيده الملك المسعود صلاح الدين يوسف بن الكامل — المعروف باقسيس — إلى اليمن سنة ١٢١٥ م (٦١٢ هـ) وكتب إلى أولاد على بن رسول والأمراء المصريين باليمن يأمرهم بطاعته .

ولقد قويت مكانة بنى رسول وعظم نفوذهم فى عهد الملك المسعود حتى اشتد خوف بنى أيوب على ملك اليمن منهم ، واضطر الملك المسعود أن يسجن اثنين من أبناء على بن رسول سنة ١٢٢٧ م ولكنه أبقى على الابن الثالث نور الدين عمر وجعله أتابكه .

وفى سنة ١٢٢٨ م (٦٢٥ هـ) عاد الملك المسعود إلى مصر بعد أن قلد أمور اليمن إلى أتابكه نور الدين عمر وجعله نائبه بها . وتوفى الملك المسعود فى مكة أثناء عودته إلى مصر سنة ١٢٢٩ م (٦٢٦ هـ) فقام نور الدين عمر يحكم اليمن قياما كاملاً ، وأضمر الاستقلال بملكها ، وأخذ يولى فى المدن والحصون من يرتضيه ويثق به ، ويعزل ويقتل من يخشاه أو يخالفه ، ولكنه مع ذلك أظهر أنه نائب للمسعود ولم يغير سكة ولا خطبة » .

ولم يعلن نور الدين عمر استقلاله بملك اليمن وخروجه عن طاعة سلطان مصر إلا فى سنة ١٢٣٢ م حينما ضرب السكة باسمه وأمر الخطباء أن يخطبوا له فى سائر أقطار اليمن . ولم يكتف نور الدين بذلك بل أخذ يتقرب من الخلافة العباسية ببغداد ملتمساً منها تشريفه بخلعة السلطنة أى الاعتراف به سلطانا شرعياً على اليمن . وقد أرسل له الخليفة العباس المستنصر بالله التشريفة الخليفية والتقليد عن طريق الحجاز سنة ١٢٣٣ م ولكنها نهبت فى الطريق ولم يصل منها شئ إلى اليمن . واضطر الخليفة العباس أن يرسل غيرها فى العام التالى عن طريق البحر — طريق البصرة والخليج الفارسى والمحيط الهندى ؛ وعند وصولها اليمن سنة ١٢٣٤ م ارتقى رسول الخليفة منبر مدينة جند وقال : « يانور الدين ! إن العزيز

---

(١) الخزرجى : العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية جـ ١ ص

يقرئك السلام ويقول قد تصدقت عليك باليمن ووليتك إياه ؛ ثم ألبسه الخلعة الشريفة على المنبر . ولم يكتف السلطان نور الدين بملك اليمن بل حاول السيطرة على الحجاز وانتزاعه من أيدي المصريين ، فأخرج الجيوش المصرية من مكة المشرفة مرة بعد أخرى واستمال عدة من قوادها ونخص بالذكر القائد المصري مبارز الدين علي بن برطاس الذي استسلم لنور الدين ودخل في خدمته سنة ١٢٤١ م (٦٣٩ هـ) وبذا امتد نفوذ بني رسول من مكة إلى حضرموت .

ويروى الخزرجي أن عهد ذلك السلطان انتهى في ذي القعدة سنة ٦٤٧ هـ (١٢٥٠ م) عندما اغتاله بعض مماليكه وقتلوه في قصر الجند ، كما يروى أن هذا السلطان « استكثر من المماليك البحرية حتى بلغت عدتهم ألف فارس وقيل ثمانمائة ، وكانوا يحسنون من الفروسية والرمي مالا يحسنه المماليك في مصر . وكان معه من المماليك الصغار قريب منهم في العدد خارجا عن حلقته وعساكر أمرائه » . ويلاحظ من رواية الخزرجي أن وفاة السلطان نور الدين عمر كانت في نفس السنة التي توفى فيها السلطان الصالح نجم الدين أيوب في مصر ، وهذا يدل على أن فرقة المماليك البحرية التي أسسها نور الدين عمر باليمن تكونت في نفس الوقت الذي تكونت فيه بمصر فرقة المماليك البحرية الصالحية التي أسسها السلطان أيوب . وهذا يدل ضمنا على وجود اتصال وثيق بين مصر واليمن ، كما يدل أيضاً على بطلان الزعم القائل بأن لفظ بحرية يرجع إلى بحر النيل وذلك بعد أن ثبت فعلا وجود فرقة من المماليك البحرية بعيدة عن مصر والنيل .[1]

ومهما يكن من شيء فقد استطاع قتلة السلطان نور الدين أن يجذبوا بقية المماليك إلى جانبهم وأن ينادوا بابن أخ للسلطان القتيل يدعى فخر الدين ، سلطانا على اليمن ، ويسيروا معه نحو العاصمة زبيد لاحتلالها ، ولكن الدار الشمس إبنة السلطان المتوفى استطاعت أن تدافع عن المدينة بسالة ريثما يجيء أخوها الملك المظفر بن نور الدين الذي كان مقيما بحصن المهجم ، والذي حينما علم بوفاة أبيه وأطاع ابن عمه في ملك اليمن ، أسرع من فوره نحو زبيد في فبراير سنة ١٢٥٠ م ، وصار كلما مر بقبيلة من العرب استخدم خيلها ورجلها حتى تجمع له جيش قوى أوقع الرعب في صفوف أعدائه . وعلى أثر ذلك اجتمع رؤساء المماليك وأعيانهم وهم غالبية جيش الأمير فخر الدين وكتبوا إلى الملك المظفر يطلبون منه الأمان ، فأمنهم على أن يسلموه ابن عمه وجماعة المماليك الذين قتلوا أباه . فأجابوه إلى طلبه ودخل المظفر مدينة زبيد في موكب عظيم في مارس سنة ١٢٥٠ م . واستطاع السلطان المظفر في ظرف ثلاث سنوات أن يستعيد جميع ممتلكات والده التي استقلت عقب مصرعه وأهمها صنعاء والدملوة وتعز ، كما استطاع أن يقضى على ثورة شرفاء الزيدية ومن انضم إليهم من المماليك في صنعاء سنة ١٢٦٠ م .

وتروى المصادر المعاصرة أنه في سنة ١٢٦١ م (٦٥٩ هـ) سار السلطان المظفر بجيش كبير إلى مكة لأداء فريضة الحج . وهناك « طلعت أعلامه الشريفة وأعلام سلطان مصر ، فقال له أحد الأمراء : هلاَّ أطلعت أعلامك يا مولانا السلطان قبل أعلام المصريين ؟ فقال له السلطان المظفر : أراني أؤخر أعلام ملك كسر التتر بالأمس وأقدم أعلامي لحضوري » . وهذه العبارة إن دلت على شيء فإنما تدل على مقدار النفوذ الذي اكتسبته مصر في أنحاء العالم الإسلامي عقب انتصار سلطانها الملك سيف الدين قطز على المغول في واقعة عين جالوت بفلسطين سنة ١٢٦٠ م .

وكيفما كان الأمر ، أجمعت المصادر المعاصرة على أن السلطان المظفر كان حاكما قويا موفقا . وقد لقبه الخزرجي بلقب خليفة في آخر حكمه . وتوفى السلطان المظفر سنة ١٢٩٤ م وخلفه على عرش اليمن ابنه الأشرف عمر ثم ابنه المؤيد داود سنة ١٢٩٧ م .

وفي عهد السلطان المؤيد (سنة ١٣١٨ م) أعيد تنظيم الجيش اليمني على نظام الجيش المصري ، فيروى الخزرجي أن الأمير علاء الدين كشدغدى « رتب عساكر السلطان المنصورة على ترتيب العساكر المصرية وجعل لها جناحا الميمنة وجناحا الميسرة وجعل خلف السلطان عصائب كثيرة ، وركب المماليك بالنفخ وجعل منهم طائفة طبردارية ، وركب السلطان بهذا الزي » . ويجدر بنا أن نلاحظ بصدد تاريخ هذا التنظيم أنه يوافق عهد سلطنة الناصر محمد في مصر أي في الوقت الذي تبلورت فيه النظم الملوكية في مصر وبلغت ذروة الازدهار ، فلا عجب إن صارت مصر في ذلك الوقت قبلة أنظار الدول الإسلامية الأخرى وموضع محاكاتها .

وتوفى السلطان المؤيد سنة ١٣٢١ م وخلفه ابنه المجاهد الذي

(١) راجع (زيادة : بعض ملاحظات جديدة في تاريخ دولة المماليك « مجلة كلية الآداب » المجلد الرابع سنة ١٩٣٦ .

انظر كذلك (مختار العبادى : « دولة المماليك البحرية » عدد الرسالة رقم ٧١٤ (١٩٤٧) .

سرعان ما قبض عليه عمه المنصور بن المظفر وسجنه فى قلعة تعز وأعلن نفسه سلطانا سنة ١٣٢٢ م . غير أن مماليك السلطان المجاهد تمكنوا من تسلق حصن تعز خفية وأطلقوا سراح أستاذهم المجاهد وقبضوا على المعارضين لسلطته وعلى رأسهم الملك المنصور الذى حل محل ابن أخيه فى السجن .

وكان السلطان المجاهد يخشى قوة المماليك البحرية ، ويخاف خطرهم ولذا « دارت بينه وبينهم عهود وذمم وكتب لهم ميثاقا بالأمان والوفاء ونادى لهم بذلك فى الأسواق ومجامع الناس » . غير أن المماليك البحرية سرعان ما قلبوا له ظهر المجن وثاروا عليه سنة ١٣٣٢ م وهاجموا مدينتى تعز وجند ، وعاثوا فيها فساداً كما هاجموا مدينة زبيد واحتلوها . ولما علم السلطان بما فعله المماليك ، أمر بقطع أعطياتهم حتى « تعبوا وباع الكثير منهم عدته وثيابه ، وجاهروا السلطان بالقبيح » . ولم يكتف السلطان بذلك بل أمر بإباحة قتل المماليك ونهبهم ، ووزع قواته على مختلف الطرقات لحراستها وحفظها من عيثهم . ولم يستطع السلطان كبح جماح المماليك إلا فى سنة ١٣٢٤ م حينما أوقع بهم الأشراف والأكراد هزيمة منكرة فى وادى جاحف بالقرب من المهجم ، حيث قتل كثير من أعيان المماليك نذكر منهم أزبك الصاربى ، ولطينا الجمورى وأيلة السراجى . واحتل السلطان مدينة زبيد وخطب له على منابرها سنة ١٣٣٥ م .

ويروى الخزرجى فى حوادث سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م) من عهد السلطان المجاهد أن جيشا مصريا يبلغ عدده ألفى فارس ، وصل إلى اليمن فى شهر رجب (يونيو) من تلك السنة وعليه الأمير سيف الدين بيبرس والأمير جمال الدين طيلان ، ومعهم أثنان وعشرون ألف جمل تحمل عددهم ، فاستقبلهم السلطان فى زبيد ، فلما دنوا منه ترجلوا وقبلوا الأرض بين يديه وساروا فى خدمته ساعة ، وألبسوه خلعة فاخرة وعمامة بعدبتين . وبعد أن أقاموا فى زبيد عدة أيام صحبوا السلطان إلى تعز . ويضيف الخزرجى أن المصريين عاثوا فى المدينة فساداً ، فكانوا لا يجدون طعاماً إلا أخذوه بثمن بخس وانتهبوا بيوتاً كثيرة ، وضربوا كثيراً من الناس حتى قتلوهم ، وقطعوا جميع الزرع فى مدينة تعز وضواحيها ، وارتفعت أسعار الحاجيات وضاقت البلاد على أهلها .

ولم يرحل الجيش المصرى عن اليمن متوجها إلى الشام إلا فى شهر يوليو (شعبان) من نفس السنة ، وقد فرح أهل اليمن برحيلهم.

وتوفى السلطان المجاهد سنة ١٣٦٣ م وخلفه ابنه الأفضل العباسى الذى تخلل عهده عدة ثورات قام بها الأشراف والمماليك وبعض أخوته . وبالرغم من أن أجزاء كثيرة من الدولة الرسولية استقلت فى عهد السلطان الأشرف بن الأفضل سنة ١٣٧٩ م ، فإن نفوذ ذلك السلطان ظل قويا وظلت وفود الدول المجاورة مثل الهند والحبشة تفد إليه تخطب وده وتقدم له مختلف الهدايا . وبعد موت السلطان الأشرف سنة ١٤٠٠ م صار تولية السلاطين وعزلهم يحدث فى فترات قصيرة تتخللها عدة ثورات للمماليك وتخص بالذكر المماليك المصريين المقيمين باليمن والمعروفين هناك باسم « المماليك الغرباء » .

وانتهي الأمر باستيلاء بنى طاهر على اليمن سنة ١٤٥٤ م فانتهت بذلك دولة بنى رسول .

من كل ما تقدم ترى أن هناك أوجه شبه عديدة بين الدولة الرسولية فى اليمن ودولة المماليك فى مصر . فلقد عاصرت كل منهما الأخرى تقريباً إذ قامت الدولة الرسولية سنة ١٢٢٩ م أحد وعشرين سنة قبيل قيام الدولة المملوكية ، وظلت تلك الدوله زمنا وعاصرت الدولة المملوكية بمصر حتى سنة ١٤٥٤ م . وكان سلاطين الدولتين فى بادئ الأمر أتباعا لسلاطين الأيوبيين ثم تمكنوا بقوة نفوذهم وضعف أسيادهم أن يستأثروا بالملك لأنفسهم . واعتمدت كلتا الدولتين على فرق من المماليك ولا سيما المماليك البحرية الذين لعبوا دوراً خطيراً فى تاريخ كلا البلدين . هذا وقد عرف عن سلاطين الدولتين بصفة عامة ميلهم الشديد نحو الفنون والآداب وبناء المدارس والمساجد والقصور . وهناك وجه شبه أخير تتلمسه فى تقرب سلاطين الدولتين للخلافة العباسية ببغداد لأن اعترافها بهم سوف يقوى من نفوذهم الأدبى ويكسبهم صفة شرعية للحكم . وقد ظلت الدولة الرسولية على ولائها واحترامها الخلافة ببغداد حتى بعد أن قضى المغول عليها وقتلوا الخليفة المستعصم سنة ١٢٥٨ م (٦٥٦ هـ) إذ ظل اسم الخليفة المقتول يدعى له على سائر منابر اليمن حتى أواخر القرن الثامن الهجرى .

وفى ذلك يقول الخزرجى « فى سنة ٦٤٠ هـ مات الخليفة المستنصر وتولى الخلافة بعده ولده المستعصم بالله أمير المؤمنين أبو أحمد ، وهو الذى يدعى له على سائر المنابر إلى وقتنا هذا من سنة ثمان وتسعين وسبعمائة » [1] .

(١) الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٦٩ .

الاسكندرية — أحمد مختار العبادي

الشعر المصرى فى مائة عام

للأستاذ محمد سيد كيلانى

الدور الأول

١٨٥٠ — ١٨٨٢

٣

١ — أغراضه

بقيت أغراض الشعر فى هذا الدور كما كانت عليه من قبل . فكان باب المدح يحتل معظم ديوان الشاعر ، فالشاعر فى هذا العصر مداح ليس إلا ، يعيش ليمدح هذا وذاك ، وينظم القصائد الطوال فى الإشادة بمناقب هذا الأمير أو ذاك الوزير ، راجيا صلة أو وظيفة أو ترقية أو علاوة . فإن رأيت شيئا غير المدح فهو قليل لا يكاد يذكر . وكانت قصائد المدح تبدأ غالبا بغزل متكلف مصطنع .

وكانوا يبدأون قصائد الرثاء بالتحدث عن الموت الذى يسطو على الناس فيختار الجياد منهم . ويشيرون إلى هلاك الملوك وفناء العظماء . ويذكرون استحالة البقاء وأن الموت غاية كل حى ، وطريق تسير فيه السادة والعبيد ، والأغنياء والفقراء ، والصعاليك والأمراء . ثم ينتقلون من هذا إلى ذكر مناقب الفقيد والتنويه بمزاياه وصفاته . ثم يختم الرثاء بإشارة موجزة إلى ما أعد للفقيد فى الجنة من نعيم مقيم وحور عين . ومثال ذلك قول الليثى فى رثاء عبد الله فكرى :

ومن بان عنا فى الفراديس ناعم ... بظل ظليل دوحه يتهدل
يغازل ولدانا وحورا على صفا ... وفى حسنها من لطفه يتغزل
تبارك من قد خاره لجواره ... وخيره فى أنعم تتذلل

وإذا رثى الشاعر زوجته أو ابنه أو بنته أو أباه وصف أدوار المرض التى تقلب فيها الميت وأشار إلى الطبيب وما قام به من علاج ، ومثال ذلك قول صالح مجدى رثى زوجته :

ولا كان « بدر » جاء يحيى مواتها ... بطب عسيف كان فيه أذاها
فإن انصباب الماء من فوق رأسها ... على رغم أنفى كان فيه بلاها
وفى الأخذ منها للدماء مدامعى ... روت كل أرض لا يقاس فضاها
وفى الخردل الموضوع من فوق ساقها ... شواظ بقلب فيه شيد حماها

وهكذا قص علينا الشاعر ما حدث لزوجته إبان مرضها ، مستمدا القول من الواقع لا من الخيال . وهذه طريقة جديدة فى الرثاء لم تعرف من قبل .

ومنذ عصر سعيد بدأ الشعراء يصفون بعض المخترعات الحديثة كالسفن البخارية وآلات الرى والأسلاك البرقية والسكك الحديدية والكبارى والقطر وغير ذلك مما ظهر وقتئذ . ولكن الشعر الذى قيل فى هذا الغرض كان قليلا جدا .

وكان بعض الشعراء فى هذا الدور إذا وصف حفلة من الحفلات أو مشهدا من المشاهد انغمس فى الواقعية إلى أبعد حد ، وحرص على أن يسجل فى شعره كل صغيرة وكبيرة مما تراه عينه . ومثال ذلك قول عبد الله فكرى حينما عاد من مؤتمر المستشرقين :

مولاى قد سرنا بأمرك نبتغى ... لرضاك ما تسمو به الأقدار

ومنها :

ثم امتطينا للسويد ركائبا ... لا الركض يجهدها ولا التسيار
تسعى على عجل إلى غاياتها ... كالماء ساعد جريه التيار
سرنا بهن على العشى فأصبحت ... فى « استكهلم » وقد بدا الإسفار
ولقيت صاحب تاجها فى قصره ... والوفد ثم بصحبتى نظار
فدنا وصافح باليمين مرددا ... شكر الخديو يزينه التكرار
فشرعت مقتصدا أجاوبه بما ... أرضاه لا قل ولا إكثار

وهذه الطريقة الواقعية التى أغرم بها بعض الشعراء فى ذلك العصر قد جعلت قصائدهم شبيهة بالتقارير التى يدون فيها كل شىء مع مراعاة الترتيب الزمانى والمكانى .

وفى عصر سعيد كثر إقبال الشعراء على نظم الأناشيد العسكرية الحماسية وقد سبقت الإشارة إلى ذلك . وأخذ بعضهم يصف القلاع والحصون ويذكر البنادق والمدافع .

وفى عهد اسماعيل تأثر الشعراء بالحياة الاجتماعية الجديدة فذكروا القصور والبساتين والشوارع والميادين ومصالح الحكومة ودواوينها . وأخذوا يشيرون إلى إضاءة المدينة بمصابيح الغاز وتوصيل المياه إلى المنازل وغير ذلك من مظاهر الحضارة والعمران .

وفى أواخر هذا العصر بدأ الشعر السياسى فى الظهور . ورأينا قصائد قليلة تنظم فى نقد المجتمع وفى الشكوى من تغلغل النفوذ الأجنبى .

وحينما تولى توفيق ارتفعت أصوات الشعراء مطالبين بالإصلاح ورفع المظالم التى حاقت بالشعب . وهكذا أصبح الشعراء ينظرون

إلى الصالح العام بعد أن كانوا ينظرون إلى صالح أنفسهم . ولكن يجب أن نقول بأن النظرة الذاتية كانت غالبة فتأمل فى قول الساعاتى حين يمدح اسماعيل صديق فيقول :

وحسبك بالاجماع منا فصادح بحمدك غريد وآخر باغم

وقد أجمع الناس واتفقت كلمة المؤرخين من مصريين وأجانب على أن اسماعيل صديق كان مثالا للظلم والقسوة وعلى أنه هو الذى جر البلاد إلى الخراب والدمار وأرهق الفلاحين وأثقل كاهلهم بالضرائب الفادحة . ولكن الساعاتى لم ير بأسا فى الكذب ولم يجد ضيرا فى الافتراء . فهو فى نظير مصلحة يرجوها أو عطاء يؤمله قد صور الناس مجمعين على التغنى بفضائل اسماعيل والإشادة بمناقبه . على أن هذه النظرة الذاتية والتضحية بمصلحة المجتمع فى سبيل مصلحة الشاعر قد لازمت الشعراء المصريين حتى هذه الأيام .

وقلت المدائح النبوية فى هذا الدور حتى أننا لا نجد للشعراء فى هذا الباب شيئا ذا قيمة اللهم إلا قصيدة بديعية للساعاتى ضمنها مائة وخمسين نوعا من أنواع البديع .

وظهرت فى عهد اسماعيل الأناشيد المدرسية التى يلقيها الطلبة فى الحفلات . وفى هذه الأناشيد إشادة بقيمة العلم ومنافعه للأمم والشعوب والترغيب فى الجد والاجتهاد والاستعداد ليوم الامتحان الذى يكرم المرء فيه أو يهان كما كانوا يقولون .

وفى هذا العصر أكثر الشعراء من نظم التواريخ وذلك لكثرة ما أقيم من المعاهد والمدارس والمصانع والقلاع والحصون والقصور والمساجد ، وقد أرخ الشعراء حفلات أنجال اسماعيل فى شعر كثير .

وحينما شبت الحرب بين الانجليز والعرابيين انضم إلى الحركة العرابية شعراء كثيرون فى القاهرة والأرياف وأخذ هؤلاء الشعراء ينظمون القصائد الحماسية فى الحض على الجهاد والتحريض على الكفاح وفى هجاء الإنجليز وكل من يتعاون معهم . ومن هؤلاء الشعراء محمد النجار وله قصيدة جاء فيها « والخطاب لعرابى » :

فازحف بجيشك يامظفر ضاربا فى الانجليز وقاتلا سيمورا
واقطع بسيفك أمة قد أصروا انثى عليهم إذ عدمن ذكورا

ومنها فى هجاء الانجليز .

قوم تربوا فى الثلوج فطبعهم يهوى البرود ولايطيق حرورا
كتبوا لسيدة لهم أن جهزى غما لعيد المسلمين كثيرا
يا انجليز ومن ينادى ميتا يخطى وكيف أخاطب المقبورا

ولأحمد عبد الغنى قصيدة مطلعها :

لعمرك ليس ذا وقت التصابى ولا وقت السماع على الشراب
ولا وقت الجلوس على القهاوى ولا وقت التفاخر والتغابى
ولا وقت التشبب فى سليمى ولا وقت التشاغل بالرباب

إلى أن قال :

ولكن ذا زمان الجد وافى وذا وقت الفتوة والشباب
ووقت الاتحاد مع التصافى وعقد عرى الإخاء والانتساب
ووقت ليس فيه يليق إلا الـ إقامة بالقلاع وبالطوابى
ووقت فيه الاستعداد فرض لتنفيذ الأوامر من عرابى

وامتازت هذه القصائد بظهور العاطفة الوطنية فيها ظهورا لم يعرف من قبل . ولوطال أمد الحرب بين المصريين والبريطانيين لاستفاد الشعر كثيرا . ولكن الحرب انتهت فى مدة وجيزة ، لذلك انطفأت هذه الجذوة بانتهاء الحرب .

ولما قضى على الحركة العرابية أخذ شعراء الخديو ينظمون القصائد فى مدحه ، وقد مزجوا هذا المدح بالتحريض على التنكيل بالعرابيين وأطلقوا عليهم اسم « العصاة » و « البغاة » . ومن أشهر مانظم فى هذا الغرض قصيدة لمصطفي صبحى باشا دعاها « صدق المقال فى مثالب البغاة الجهال » قال إنه ذكر فيها « دسائس الأشقياء الملحدين ، ومفاسد الاغبياء المتمردين وكيف قابلوا الإحسان بالكفران والنعمة بالطغيان من مبدإ أمرهم ليوم سفرهم » ومطلعها :

تبين عقبى غيه كل معتدى وأمسى العرابى وهو بالذل مرتدى
بعض بنان المستكين ندامة ويقرع بالاذلال سن المهند

وعقيب اخماد الحركة العرابيـة أقبل الشعراء الذين كانوا قد انضموا إليها على نظم القصائد فى الاعتذار مما فرط منهم والتنصل مما عزى إليهم من تهمة الاشتراك فى حركة العصيان .

***

روح ومادة

للأستاذ ثروت أباظة

صديقي رجل أرضي مغرق في أرضيته ... نحرص عليه فهو من أنجب محبيها، ويحرص عليها فهي في عينيه طريق اللقمة إلى جوفه، واللذة إلى جسده، والقرش إلى جيبه.. وتفكيره لا يذهب به إلى أكثر من لقمة ولذة وقرش، وحياته أو الحياة كلها في راسخ عقيدته هي هؤلاء الأرضيات الثلاث؛ فالأرض إذن هي الحياة، فهو متمسك بها تمسكه بالحياة، حريص عليها حرصه عليها، فما يعتد له خلفها شدف ولا يلوح له بعدها غاية.. هو صديق لأن طرق الحياة كثيراً ما ترمى بالند إلى غير نده. فنحن مختلفان مزاجا، مفترقان رأيا، مجتمعان في صداقة أشبه ما تكون بتلك القائمة بين الشيوعية والديمقراطية، ولكننا لا نشبه هاتين الجبهتين في سوء الطوية وسواد السريرة.. وصديقي متبجح.. فهو لا يخزى مطلقا أن يعرض آراءه ويدافع عنها وكأنها مثل العالم الرفيعة، بل هو يريد الجم أن يسير على هداه الاغبر، فهو ما يزال يندد بأفكاري الصبيانية الصغيرة في سخرية تواتيه على سليقة.

لنا مكان يجمعنا فكأننا كلنا أصحابه، لا يدور فيه غير النقاش، ولا نقاش يدور به إلا وهو محتدم ولا انتهاء لنا إلا بافتراق الرأي وتباين الفكرة وصفاء النفس. وان أحداً منا لا يحاول مطلقا أن يقنع أو يقتنع؛ وانما نلتى بأقوالنا لمجرد القائها، فاذا جاء صديق هذا كنا جميعا على جانب وكان هو في الجانب الآخر متمسكا بأرضيته لا يحيد عنها ولا تتخلى عنه.

وكان أن جاء وأحد الصحاب يتكلم في الأدب، فقد يستمع وطال الحديث ودار النقاش وهو صامت لا يعد اليه لسانا.. فسأله أحد الجالسين:

— خيراً.. تصمت لأول مرة في حياتك.. فما خبرك!

— أو رأيتني عمرك أتكلم في الأدب؟

— أو شرف هذا؟

— ... انما هي حقيقة

— حقيقة مخجلة!

— هذا رأيك

— ورأى كل إنسان

وما الانسان في عقيدتك؟

— هو تلك الروح السامية التي وهب الله لها العقل لتفهم، والقلب تسرى به العواطف رفيعة، وهو الشعور الرهيف والحس الدقيق والذوق.

— الفن والأدب العالي وسائر ما تهرف به أنت وصحبك هؤلاء ليقنع كل منكم الآخر أنه، فنان وتستتلون أن المخلوق غير الفنان حيوان، وأنكم أنتم وحدكم الصفوة المختارة والرهط ...

لم أطق السكوت بعد أن أشار الينا بسخريته الصفيقة فقلت له.

— من قال ذا ... وما شأنك والفنان حتى تعرض به..

— ما شأني.. أماسونيةً هي! ماذا تريدني أن أكون حتى أتكلم عن الفن.. هل حتم عليَّ أن أملأ صفحة مما تملأ حتى أصبح فنانا

— من قال إن الفنان صفحة

— فما هو إذن

— هو الذي علمه الأدب أن يقول من هو لا ما هو. الفنان

وانتشر في هذا العصر الفخر الكاذب. فترى الشاعر يفخر بنفسه ويسند إليها من الصفات ما ليس منها. ومثال ذلك قول الساعاتي:

ماذا تريد الحادثات من امرىء ... من جنده الأمراء والشعراء

فأي الشعراء هؤلاء الذين كانوا من جنده؟ ومن هم الأمراء الذين كانوا من عسكره؟ وتأمل في قوله:

أنا ذلك الصل الذي عن نابه ... تلو المنون وتلوى الرقطاء
وفي هو القوس الأبد مقولي الـ ... ـوتر الشديد وأسهمى الإنشاء
فكر ينظم في البديع فرائدا ... من دونها ما يلفظ الدأماء

ولا شك في أن هذا بمدعن الحقيقة وكذب وافتراء، وتقليد أعمى لبعض القدماء.

وأكثر الشعراء. فإذا نظم أحدهم قصيدة وصفها بالجودة والانفراد في الحسن. ومثال ذلك قول صالح مجدى.

امولاى هابكرا تتيه بحسنها ... وتفعل بالألباب فعل مدام

وهذا الشاعر يختم قصائده في الغالب بمثل هذا الفخل الكاذين. هذا ما يمكن أن يقال عن أغراض الشعر في هذا الدور.

«يتبع» محمد سيد كيلاني

هو ذلك الانسان الذي يحس باللفظ على لسانه وفي عقله ؛ وهو ذلك الرؤوف الشفيق ، هو ذلك القلب الخافق والشعور الرهيف . ان في المخلوق ناحيتين : ناحية تنتظم العقل والقلب والحس ، وأخرى تحوي المعدة وما يتلوها مما وهب الله للحيوان ؛ فمن نظر إلى عقله وقلبه وحسه كان إنسانا . والانسان فنان لأنه يغلب الشعور على المادية . ومن نظر إلى معـدته كان حيوانا ، لأنه يبحث دائما عما يسكت به نهمه

— الله .. شرّع أنت شرّع .. على أنني حتى إذا طبقت قولك هذا على نفسي وجدتني إنسانا فأنا أغلب العقل دائما ..

— يخيل إليك أنك تغلبه .. وأنت دائمـا تقول إنك تغلب العقل على شعورك وعاطفتك وهذا كذب لأنك إذا كنت تنظر إلى نفسك دائما وتغفل فأنت إنما تغلب أنانيتك لا عقلك .

— وما تراني فاعلا إذا نظرت إلى نفسي بعاطفتي وحسي . أتراني أجد عاطفتي تكرهني . اللهم إنكم جميعا تعلمون أن أحب خلق الله إلى نفسك هي نفسك .

— نعم نعلم ذلك ، ولكننا نرضيها بعمل الخير لغيرنا ويحب الخير للناس . والنفس الانسانة هي تلك . . ليست والله لقمة وقرشا .. هي حب وعاطفة .

— تتكلم وكأنك جاهل أحمق .. ألم تقرأ آخر ما كتب علماء النفس .. ألم يقولوا أن كل الأعمال مردها إلى الغريزة فأين من هـذا الشعور والعاطفـة . . فالحب الذي تقول عنه ما هو إلا غريزة

— هو ذلك ونحن نعلمه قبل أن تسمع به أنت .. غير أننا نعرف أيضا كيف نهذب هذه الغريزة ونرق بها ..

— أرني بربك .. هذب غريزتي ولك الأجر والثواب عند الله

— هذا اليك . أنظر إلى الأمور بقلبك وشعورك وعقلك تهذب غريزتك وتصبح إنسانا . . الانسان هو من يستطيع أن يغلف هذه الغريزة . وعمل الفنون في كل العالم هو أن يضربوا حول الغريزة سياجا من الوميض يعميهم عنها فيرتقوا بانسانيتهم .

— تدعوني إلى أن أغش نفسي .

— بل إلى أن تعيش إنسانا لا حيوانا . . أدعوك إلى أن تغلب ما ميزك به الله على الحيوان فاذا أنت رفيع النظرة دقيق الحس

— والحقيقة ؟

— تدركها وترتفع عنها .

— وعقلي ؟

— تدرك به هذه الحقيقة وتسمو به وتصرفه إلى الأهداف السامية من الحياة

ارتج على الصديق فماجله أحد الجالسين

— لا تناقش فوالله ما قصد واحـد منا إلى إقناعك .. إنها يا بني نفسك وليس لنا معها حيلة ... والله إن كنت قد اقتنعت فانك ستكابر . والجو على أسوأ أحواله ورؤوسنا مصدوعة .. فقم إلى جـدك فليس لنا من الفراغ ما نضيعه معك أكثر من هذا .

سكت الأرضي على مضض وما لبث أن استأذن وقام . . قام لأول مرة مهزوما على غير اقتناع .. يحمل في صدره سخيمة الهزيمة ونحن نعلم ولكننا لم نملك أنفسنا أن نشفق عليه .

إنها نفوس إنسانة .

ثروت أباظه

الخطر اليهودى

بروتوكولات شيوخ صهيون العلماء

للأستاذ محمد خليفة التونسى

البروتوكول الثانى

يلزم لغرضنا ألا تعقب الحروب أى تغييرات إقليمية ، فبدون التعديلات الإقليمية ستستحيل الحروب إلى سباق اقتصادى . ومن ثم تتبين الأمم تفوقنا فى المساعدة التى سنقدمها وأطراد الأمور هكذا سيضع الجانبين كليهما تحت رحمة وكلائنا الدوليين ذوى ملايين العيون الذين لهم على الإطلاق وسائل غير محدودة ، وعندئذ ستكتسح حقوقنا الدولية كل قوانين العالم ، وسنحكم البلاد بالأسلوب ذاته الذى تحكم به الحكومات الفردية رعاياها .

إننا سنختار من بين العامة رؤساء للادارات لهم ميول العبيد ولن يكونوا مدربين على فن الحكم ، ولذلك سيكون من اليسير أن يمسخوا قطع شطرنج فى لعبتنا ، بأيدى مستشارينا العلماء الحكماء الذين دربوا خصيصاً على حكم العالم منذ الطفولة الباكرة . وهؤلاء الرجال - كما هو معلوم لكم قبل - قد درسوا علم الحكم من خططنا السياسية ، ومن تجربة التاريخ ، ومن ملاحظة الأحداث الجارية . والأمميون لا ينتفعون بالملاحظات التاريخية المستمرة بل يتبعون نسقا نظريا من غير تفكير فيما يمكن أن تكون نتائجه ، ومن أجل ذلك لسنا فى حاجة إلى أن نرعى للأمميين قدرا .

ودعوهم يتمتعوا بأنفسهم حتى يأتى الوقت ؛ أودعوهم يعيشوا فى أحلامهم بعلاه جديدة ، أوعلى ذكرياتهم للأفراح الماضية دعوهم يعتقدوا أن هذه القوانين النظرية التى أوحينا بها إليهم لها القدر الأسمى من أجلهم ، وبتقييد أبصارهم إلى هذا الموضوع ، وبمساعدة صحافتنا - ننمى باطراد ثقتهم العمياء بهذه القوانين . وستختال الطبقات المتعلمة أمام أنفسها بعلمها ، وستأخذ جزافا فى مزاولة المعرفة التى حصلت من العلم الذى قدمه إليها وكلاؤنا بغية توجيه أذهانها فى الاتجاه الذى نرضاه .

لا تتصور أن تصريحاتنا كلمات جوفاء . ولاحظوا هنا أن نجاح داروين وماركس ونيتشه قد دبرناه من قبل . وسيكون واضحا لنا على التأكيد الأثر غير الأخلاقى لاتجاهات هذه العلوم فى الفكر الأممى . يتحتم علينا - كى نتجنب الأخطاء فى سياستنا وعملنا الإدارى - أن ندرس ونستحضر فى الذهن هذا الخط الحالى من الرأى وهو أخلاق الأمم وميولها .

إن نجاح نظريتنا فى موافقتها لأمزجة الأمم التى نتصل بها ، وهى لا يمكن أن تكون ناجحة إذا كانت ممارستها العملية غير مؤسسة على تجربة الماضى متصلة بملاحظات الحاضر .

والصحافة التى فى أيدى الحكومات القائمة قوة عظيمة ، بها تحصل على توجيه عقول الناس ، فالصحافة تبين مطالب الجمهور الحيوية ، وتعلن المسالمين ، وتولد الضجر أحيانا فى الغوغاء . وفى الصحافة تحقيق مولد حرية الكلام ، غير أن الحكومات لم تعرف كيف تستعمل هذه القوة بالطريقة المناسبة ، فسقطت فى أيدينا . ومن خلال الصحافة أحرزنا نفوذا وإن ظللنا نحن من وراء الستار . وبفضل الصحافة كدسنا الذهب ، ولو أن ذلك كلفنا أنهارا من الدم : فقد كلفنا مفاداته بكثير من بنى جنسنا ولكن كل فدية من جانبنا تقوم بآلاف من الأمميين عند الله .

تعقيب من المترجم

أما كارل ماركس فهو صاحب مذهب « المادية الثنائية » وتترجم أحيانا « المادية الجدلية » تجوزا ، وخلاصة مذهبه أن المادة أزلية متحركة بذاتها منطوية على كل العناصر التى تخلق منها الحياة والعقل وما إليها حسب الطبيعة الكامنة فيها ، ومن قوانينها اجتماع الأضداد وتنازعها حتى يغلب أحدهما الآخر ، والمغالبة باقية أبدا ، وكل صفة فى الكيف تنشأ عن صفة فى الكم . وهكذا نشأت الحياة والعقل وما إليهما من الأشياء التى تعد غير مادية فى العرف ، ومؤدى ذلك أن لا شئ فى الوجود إلا المادة ، فليس ثمت إله ولا أرواح غير المادة ، ومن ثم تبطل الديانات جميعا . وهذه هى نهاية المذهب الذى أخرجه عقل ماركس اليهودى المتنصر ، ومن وراء ذلك الشيوعية التى أساسها إنكار الروحانيات وإنكار الامتيازات فلا فرق بين رجل ورجل ولا بين رجل وإمرأة . ولا قيمة لشئ لا يقوم ، المال بالاقيمة للفنون ولا الفلسفات ونحوها ، ولا سعى إلى هدف غير سد حاجات الإنسان البدنية ، ولا حكم لشىء غير البدن وحاجاته الغليظة …

وأما نتشه فقد طبق مذهب التطور الداروني فى

فى الأيام الخـــوالى

بقلم الاستاذ محمد فتحى عبد الوهاب

اشتهر الكاتب التشيكوسلوفاكى كارل كابك بكتابته اللاذعة وأسلوبه التهكمى وتحليله الدقيق فى مختلف نواحى الحياة والمجتمع ، فضلا عن أنه كاتب قصص قدير وقد ظهر له أخيرا كتاب «قصص أبوقريفية» يحتوى على صور من الحياة وبعض الشخصيات التاريخية المشهورة فى مختلف العصور : والقصة التالية إحدى هذه الصور ،

كان يوبانر صانع السلال – وموطنه طيبة (الأغريقية) – جالسا فى فناء داره يحيك سلاله ، عندما أقبل عليه جاره فيلاجاروس مهرولا صائحا من بعيد :

« يوبانر . دع سلالك واصغ ! إن أشياء مروعة تحدث ! »

فسأله يوبانر وهو يهم بالوقوف «دار من التى أصابها الحريق؟»

فأجاب فيلاجاروس « إنه شىء أسوأ من الحريق . أتعرف ما الذى حدث ؟ أنهم يودون أن يقدموا جنرالنا نيكوما كوس إلى المحاكمة ! أن بعضهم يقول إنه متهم بالتآمر مع التسالونيين . ويصرح البعض الآخر بأنه متداخل مع حزب الساخطين . هيا أسرع اننا مجتمعون فى ساحة السوق !

فسأله يوبانر فى خمول « وماذا أفعل هناك ؟ »

فأجاب فيلاجاروس : « هذا شىء فى غاية الأهمية . أن المكان زاخر بالخطباء . فنهم من يقول أنه برى أومنهم من يقول أنه مدان . تعال استمع إليهم .

قال يوبانر « تمهل لحظة حتى أنتهى من هذه السلة . خبرنى ماهى حقيقة التهمة الموجهة إلى نيكوما كوس .

قال الجار « أنهم لا يعرفونها على وجه الدقة . فأحدهم يقول شيئا ، والآخرون يقولون : أشيئا ، وأولو الشأن لا ينبسون ببنت شفة لأن التحقيق لم ينته بعد . بيد أن هناك أمورا تحدث فى ساحة السوق ينبغى أن تراها ، فبعض الناس يصبح قائلا إن نيكوما كوس برى .

– رويدك ! كيف يستطيعون القول بأنه برىء فى حين أنهم لا يعرفون عام المعرفة التهمة الموجهة إليه ؟

– أن ذلك لا يهم . لقد سمع كل منهم شيئا ؛ فهو لذلك يتحدث عنه . ألسنا جميعا لنا حق التكلم ؟ أعتقد أن نيكوما كوس كان يحاول خيانتنا لدى التسالونيين . فقد أخبرنا أحدهم بذلك . قال إن أحد معارفه قد اطلع على رسالة . ولكن أحد الرجال قال انها مؤامراة ضد نيكوما كوس ، وأنه يعرف عن ذلك الشىء الكثير . وهم يقولون أن الحكومة ضالعة فى ذلك الأمر . أمصغ إلى يابوبانر ؟ والسؤال هو ...

– فقاطعه صانع السلال قائلا : « تمهل لحظة . السؤال هو : هل القوانين التى شرعناها لأنفسنا قوانين عادلة أو ظالمة ؟ هل تحدث أحد عن ذلك فى ساحة السوق » .

– « كلا . ولكن هذا ليس بيت القصيد ، انما هو نيكوما كوس »

– « وهل قال أى واحد من الموجودين فى ساحة السوق إن أولى الشأن الذين يحققون مع نيكوما كوس شريرون ظالمون ؟ »

– كلا لم يتفوهوا بكلمة واحدة من ذلك .

– إذن ما الذى قالوه ؟

– ماذا ! ألم أخبرك ؟ ! انهم يتجادلون فيما إذا كان نيكوما كوس متهما أو بريئا .

– إلى اصغ التى يا فيلاجاروس . لو فرض أن زوجتك قد تشاجرت مع القصاب لأنها تدعى أنه لم يعطها رطلا كاملا من اللحم . فما الذى تفعله ؟ .

– أساعـــد زوجتى .

– كلا . كلا . انك تذهب لترى إذا كانت الأوزان لدى القصاب صحيحة .

– انى اعرف ذلك بغير حاجة لأن تخبرنى به أيها الرجل .

– عظيم . ثم انك ترى إذا كان الميزان سليما .

– لست أيضا فى حاجة لأن تخبرنى بذلك يا يوبانر .

الأخلاق ونادى بمذهب القوة . فالتنازع سنة الحياة ، ولا يبق إلا القوى ؛ والأخلاق نوعان . أخلاق السادة كالشجاعة والخداع والقسوة ونحوها : وأخلاق العبيد كالتسامح والشفقة والإحسان ونحوها . والإنسان القوى لا يتقيد بالقانون ولا بالأخلاق وكل هذا مما يرضى اليهود ومما يسيرون عليهم فى حياتهم إزاء غيرهم وهذا يتفق والسياسة التى رسمها هذه البروتوكولات .

وهذا الإيجاز المخل فى توضيح مذهب هؤلاء وفى مصلحة اليهود من رويج مذاهبهم – يشير إلى السر ولا يوضحه كل ايضاح . ولنا عودة إلى هذه الموضوع مستقلة عن التعليقات على هذه البروتوكول إن شاء الله .

محمد خليفة التونسى

مرثيـــة طائر

للأستاذ محمد براهيم نجا

قصيدة رمزية في رثاء الصديق الكريم ، والشاعر العظيم الأستاذ على محمود طه ، فقيد الشعر العربى .

طائر كان فى ذرى الأغصان   يتغنى بأجمـــل الألحان
كان يحيا كما يشاء طليقا   وطروبا كما تشـــاء الأمانى
سابحا فى الفضاء حينا ، وحينا   ثاويا فى خميـله الفينان
كان ملء الوجود صوتا نديا   حافلا بالحنان والتحنان
عاش أيامـــه بإحساس فنا   ن ، وأحلام عاشق ولهان
طالما هـــز بالغناء قلوبا   عذبتهـــا الأيام بالأشجان
وسقاها الرحيق وهى ظماء   تشتكى من مرارة الحرمان
كان روحا مجنحا فى سماء   تتحلى بأجمـــل الألوان
صاغه الله من ضياء وعطرٍ   وصفاء ورقة وحنـــان
هام بالنور والظلال ، ولـكن   لم يهم بالضباب كالغربان
كلما هـــزه الجمال تغنى   بأغان تهز قلب الزمان
كان قلبا كأنه همس نأى   عانقته ترنيمة من كمان
يزدهيه الجمال فى كل شىء   وهو بالحب دائم الخفقان
أسكرته الحياة بالوهم حتى   ليرى الغيب ماثلا للعِيان
يبصر النور والوجودُ ظلام!   ويحس الربيع قبل الأوان !
ويرى الروض فى القفار ، ويشفيه   ه سراب من حرقة الظمآن !
خير ما فى الحياة وهْـمٌ جميل   فى حياة المتيم الهيمان
هكذا عاش ذلك الطائر الشا   دى ، يغنى فى غبطة وأمان
فهو أنس وسلوة وعزاء   فى حياة المعذب الحيران
غير أن الزمان ، وهو بكاءٌ   من غناءٍ وفُـرقةٌ من تدان
أبصر الطائر العزيز يغنى   فى الأعالى بقلبه النشوان
فرمى قلبه بسهم رهيب   مستطار من قوسه الرنان !
فهوى مسبل الجناح ، يعانى   من جراح بقلبه ما يعانى
فهفت نحوه الطيور ، وناحت   إذ رأت جرحه عميق المكان!
وانحنت فوقه ، وطارت به تـ   مى إلى عشه الجميل الحانى
وأست جرحه بوحى هواها   والهوى بلسم الجريح العانى
ومضت حقبة ، فصار كما كا   نت تراه فى سالف الأزمان
فاستفاض السرور فى كل قلب   وتعـــالى الغناء في المهرجان
جملت عشه بزهر ندىٍّ   أنبتته له روابى الجنـــان
ثم قالت له : ليهنك . رنمٍّ   بالأغانى فى ظل تلك المغانى
ثم حلق فى كل أفق جميل   يتلقاك بالسنا الفتـــان
هكذا قالت الطيور ، ولـكن   رنَّ صوت الفناء فى الوجدان !
رفـــع الطائر العزيز جناحا   فارتمى عاجزا عن الطيران !
قلَّبته فما رأت غير جسم   غادرته الحياة منذ ثوان !
لحـــة وانطوت حياة تروِّى   كل حى من نبعها الريان !
والذى لم يسعه كون رحيب   دفنوه فى حفرة بمكان !
والذى عاش فى الحياة طليقا   جعلوا قيده من الأكفان !

* * *

— أنا مسرور . وإذا كانت الأوزان والميزان سليمة ، فانك سترى كم تزن قطعة اللحم ، وهنا سيظهر لك من هو الذى على حق : القصاب أم زوجتك . ومن العجيب يافيلاجاروس أن يكون الناس أكثر عقلا فى مسألة خاصة بقطعة من اللحم مما لو كانت مسألة عامة . إن الميزان سيبين هل نيكوما كوس مذنب أو برىء . ولـكن ، لاينبغى لهم أن ينفخوا فى احدى كفتى الميزان لـكى ترجح الأخرى . فلماذا الذن نصر على القول بأن أولى الشأن الذين يفحصون قضية نيكوما كوس أشخاص مشتبه فى عدالتهم أو شىء هذا القبيل ؟ .

— لم يقل أحد ذلك يابوبار .

— لقد ظننت أنكم على الا تؤمنوا بهم . بيد أنه إذا لم يكن عندكم من الأسباب ما يجعلكم لاتؤمنون بهم ، فلماذا بحق السماء تنفخون لترجيح احدى الـكفتين ؟ إما أنه لا يهمكم أن يتبلج ضوء الحقيقة ، وإما أنكم ترغبون فى الانقسام إلى حزبين حتى تتجادلوا . الا فليلعنكم الله . أنى لا أعرف إذا كان نيكوما كوس مذنبا . ولـكنى أعرف أنكم جميعا مدانون لمحاولتكم التدخل فى مجرى العدالة .

عجب ما أرد أعواد السلال هذا العام . أنها تلين كالخيوط ولـكنها ليست ثابتة على الاطلاق .

— نحن يافيلاجاروس فى حاجة إلى جو أكثر حرارة . بيد أن ذلك الأمر فى أيدى الآلهة وليس فى أيدينا .

محمد فتحى عبد الوهاب

أيهـــا الطائر العزيز وداعا ... بل لقـــاء فى عالم غير فان
يا رفيقى الذى عرفت هواه ... حين كان الشباب فى الريعان
وبقلبى-بقيتــه صفووردى ... وبأصفى ممـــا سقيت سقانى
أبعدتنى عنك الحياة ، وكنا ... نتلاقى فى أكثر الأحيان
فتصبرت حين قلت لنفسى : ... عن قريب يكون يوم التدانى
وطواك الفناء ، فاليوم أطوى ... ما بقلبى من أمنيات حسان !
ليت هذا الفناء لم يَدْعُ يوما ... شخصك المفتدى ، وكان دعانى
ما له يؤثر البقـــاء لنفس ... لا ترى فى البقاء غير الهوان ؟!
والتى تؤثر البقـــاء نراها ... غرضـــا للفناء فى كل آن !
كم تعرضت للفناء بنفس ... فعـــدانى كأنه ما رآنى !
عبث هـذه الحياة ، وفوضى ... مانراه فى هذه الأكوان
ولو آن الحياة تنظم شعرا ... جعلت شعرها بلا أوزان
ولو ان الحيـــاة ترسل نثرا ... جعلت نثرها بغير معـــان
يارفيق تدرى بأن حيـاتى ... ملأت بالدموع كل دنانى !
يارفيق تدرى بأنى غـــريب ... بين قومى ! أجل ، وفى أوطانى
يارفيق تدرى بأنى وحيـــد ... فى حياتى إلا من الأحزان !
قدشربت الأحزان من كاس أيا ... مى بروحى ومهجتى وكيانى
وألفت النواح دهرا ، فلو شئـ ... ـتُ غناء ، ناحت بقلبى الأغانى
أنا أبـكيك يارفيق ، وأرثي ... لشباب بكيته وبـكانى !
أنا أبـكيك يارفيق ، وأبـكى ... من حياة بها الزمان رمانى !
تنثر الشوك فى طريق ، وأزها ... رُ الروابى تود لو تلقـــانى !
تملأ الـكاس من دموعى ، وتسقيـ ... ـنى ، وكم قلت : ياحياتى كفانى !
شهـد الله أن طيفك دان ... إن يكن صار شخصه غير دان
شهد الله أن ذكراك أقوى ... فى حياة الورى من النسيان
وأغانيك تملأ الـكون سحرا ... بصـداها المنغم الرنان
عش قرير الجفون في عالم الخلـ ... ـد ، وغرد فى جنة الرضوان
ولعل الحياة تخلى سراحى ... وعسى الموت أن يكون اصطفانى

ابراهيم محمد نجا

قلب يتعـــذب

للآنسة فدوى طوقان

«هدية إلى صديقتى الشاعرة الرفيعة نازك الملائكة»

غاضت ينابيع المنى باحزين ... فمن يروّى فيك شوقَ السنين !
اذبل وجفّ اليوم فى اضلعى ... وارجع كما كنت ، حطاماً دفين
تحت ثلوج الوحدة القاسيه ... نبـكى معـــاً آمالنا الذاويه
نبـكى ضياع الذمم الوافيـه ... فى عالم ما فيـه روح أمين

* * *

اين الذى نادى ومدَّ اليدين ... وقلبه العانى على الراحتين ..
ملوحاً بالأمـــل المشتهى ... كيف مضى؟ فيم توارى؟ وأين؟!
راح ، كأن لم يحى فينا نداه ... بعد خمود الموت روحَ الحياه
أهـكذا حين أجبنـا هـواه ... يردنا للموت فى لحظتين ؟!

* * *

مالك ؟ ما بالك واهى الوجيب ... تراك فى كف النزاع الرهيب ؟
لا ، لا تخف ، فالموت أحنى يداً ... مت ياصريع الغدر ، مت يا كئيب
أرقدك الجانى على مهدٍ ... من زهر الآمال ممتدّ
لم تدر أن الجمر فى الوردِ ... والسم فى نفح العبير الرطيب !

* * *

همت به نجماً خلوب الضياء ... فطرتَ بي نشوان نحو السماء
مستغرقاً فى سبحات الهوى ... تبنى من الوهم قصور الهواء
يا قلب يا مسكين يا ابن الخيال ... اين القصور الدافئات الظلال
ما شدته تحت الليالى الطوال ... مضى مع الريح ، وولى هباء..

* * *

لم تدر أن النجم غـــدّارُ ... لم تدر أن الضوء غرّارُ
يا عجباً حتى نجوم السما ... يملقها وحلٌ وأكدار !
يكفيك ياقلبى ويكفينى ... ولتصح من حلم المجانين
فهو كباقى الناس من طين ... لا نور فيه ، لا ولا نارُ

فدوى طوقان

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

هل تقدمنا في الميدان الاجتماعي ؟ .

جرت يوم السبت الماضي مناظرة في القاعة الشرقية بالجامعة الأمريكية موضوعها : « لقد تقدمنا تقدما مرضيا في الميدان الاجتماعي » أيد الرأي رجلان هما الدكتور محمد عوض محمد بك والدكتور محمد صلاح الدين بك ، وعارضه سيدتان هما السيدة زاهية مرزوق والسيدة أسمى فهمي . وقد بدأ الكلام الدكتور عوض فقال إن وجود هاتين السيدتين الفاضلتين بهذا المكان الآن في هذه المناظرة دليل على التقدم الاجتماعي الذي نؤيده ، فهما بنشاطهما المعروف تدلان على تقدم المرأة المصرية .

وألقت السيدة زاهية مرزوق كلمة طيبة تضمنت نظرات فاحصة في أحوال المجتمع المصري وأيدت آراءها بالإحصاء ونتيجة البحوث العلمية الاجتماعية ، وقد تعرضت لعدة نواح مهملة في مجتمعنا كالأمومة والطفولة ومستوى المعيشة وانحطاط المساكن في الريف ومما قالته أن المطاعم الشعبية التي تقام في المدن تنشىء جيوشاً من الشحاذين ، فما هي إلا صورة أخرى من الشحاذة إلى جانب توزيع الخبز والفول النابت أمام المساجد والأضرحة ، وهذه المطاعم تلجأ اليها الأمم في حالات الضرورة للمنكوبين واللاجئين في أيام الحروب ، ولكنا في مصر اتخذناها نظاما دائما ، فبدلا من أن نساعد الناس ونمهد لهم كي يحصلوا أرزاقهم بعملهم نهدر كرامتهم بهذه الصورة التي لا تتفق والآدمية الكريمة . وقالت السيدة زاهية إن مما زاد مستوى المعيشة انحطاطا الغلاء الذي كاد يذهب بالطبقة المتوسطة التي هي ميزان المجتمع وأصبحنا مهددين بانعدام هذه الطبقة بحيث تكون البلاد طبقتين طبقة عليا وطبقة سفلى ، ولا شك أن إهمال طبقات الشعب يغرس في النفوس الشعور بالظلم ، فتنعدم روح التضامن ، وهذا يؤدي إلى التفكك الاجتماعي .

ووقف الدكتور صلاح الدين فقال إنه يشعر بالحرج إزاء هذا البحث القيم الذي سمعه من السيدة زاهية ، ولكنه مضى في تأييد الموضوع فذكر أننا حقيقة لم نبلغ أوج التقدم ولكننا تقدمنا تقدما مرضيا في ربع القرن الماضي ، ودلل على ذلك بالمقارنة بيننا وبين بعض الأمم المتأخرة ! وبأن ممثلي مصر في حلقة الدراسات الاجتماعية التي عقدت بلبنان تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة كانوا متفوقين بعددهم وبحوثهم وكانوا لا يقلون في مستواهم العلمي عن مندوبي أوربا وأمريكا ، وقال إن مصر تقدمت هذا التقدم رغم انشغالها بالنضال السياسي .

وقد ردت عليه السيدة أسمى فهمي ، ومما قالته أن التناحر الحزبي والخصومات السياسية شغلت القادة والرؤساء عن الإصلاح الاجتماعي ، وكان من الممكن لولا ذلك أن تنهض الأمة نهوضا اجتماعيا كبيرا في هذه الفترة ، واستدلت بما أحدثه محمد علي من الأثر في حياة الأمة المصرية في وقت قصير ، وبنهضة تركيا الحديثة في زمن قليل .

والواقع أن حجج المؤيدين لم تستطع أن تقف أمام الحقائق الصارخة ، ولا أشك في أن ذلك يرجع إلى ضعف جانبهما لا إلى عدم احتفالهما وإعدادهما وإن كان ذلك ملحوظا أيضا . . وقد طغت السيدة زاهية مرزوق على الجميع وكسبت الموقف حتى إنه عند ما أخذ رأي الحاضرين لم يشذ عن القول بتأخرنا الاجتماعي سوى بضعة أفراد . وقد كانت هي — على خلاف ما قال عوض بك — دليلا على الهوة الواسعة بين عدد قليل من النساء النابغات وبين سائر النساء الجاهلات . . وقل مثل ذلك في علماء حلقة الدراسات ، فليس وجود طبقة من المثقفين لدينا تماثل علماء الأمم الكبيرة يستلزم تقدمنا في الناحية الاجتماعية .

الأجسام العارية والفن الهزيل :

استفاضت الشكوى أخيراً من نشر الصور العارية في الصحف وإسراف السينما في عرض أجسام الممثلات والراقصات والمواقف الحيوانية بين الذكر والأنثى . وأرسل صاحب السمو الملكي الأمير محمد علي إلى رفعة رئيس الوزراء في شأن الصور الخليعة التي تنشرها بعض الجرائد والمجلات . فكان ذلك مثار اهتمام الحكومة بالأمر ، وكتب رئيس الوزراء إلى الأمير الجليل بأنه معنى بدرس أوجه العلاج الحاسم لهذا المرض .

أما الناحية الخلقية في هذا الموضوع فهي ظاهرة . والذي أقصد اليه هو أن ذلك العمل إنما يراد به ستر العجز الفني واتخاذ تلك المغريات أداة للترويج والربح المادي ، فالمجلات التي جعلت من صفحاتها معارض للاثارة الجنسية إنما تلجأ إلى ذلك لأن أصحابها ليسوا من ذوي الرسالات الصحفية والقلمية ، وبدلا من أن

يتعبوا أنفسهم فى التماس القوة التحريرية والمادة الصحفية القويمة ، يقدمون تلك الصور ، وصارت الحالة إلى حد التنافس فى ذلك ، فاذا ظهرت مجلة بصورة بالغة فى الإثارة حرصت الثانية على نشر صورة (أنأى) منها !

ولا شك أن الحكومة إذا منعت هذه البضاعة فان أولئك الصحفيين يضطرون إلى كسب القارىء عن طريق الفن الصحفى المستقيم ، فإذا أخفقوا فى ذلك طهرت منهم الصحافة وأفسحوا للعناصر الصالحة النافعة .

وكذلك الحال فى الأفلام السينمائيـة ، فإن القائمين بها يوجهون همهم إلى جذب الجمهور بتلك الوسائل بدلا من أن يقدموا قصصا ذات موضوعات قيمة ، وقد أسرفوا فى ذلك أخيراً إسرافا طغى على الناحية الفنية ، فأصبح الفلم الناجح عنـدهم هو الذى يحتوى على تلك الإثارات دون اعتبار للقيم الانسانية والاجتماعية التى تهدف اليها الفنون .

وإن واجب الدولة أن تحمى الفن الصحيح والذوق السليم من ذلك الانحـدار البهيمى ، وأعتقد أن الرقابة الحكومية لا تخدم الأخـلاق ، بل هى أيضا بذلك تعمل على ترقيـة الفن السينمائى وتصفيـة جوه من الدخلاء الذين لا يفهمونه إلا على هذا الوضع المذرى . وهنا كما فى الصحافة تطهير من أشباه القـوادين وإفساح لذوى الـكفايات الفنيـة ، وعندئذ يكون التنافس فى الإجادة الصحيحة وتقديم الانتاج الجيد فى ذاته .

فلم الأسبوع :

« التخت » فى هـذه المرة بسينما استديو مصر ، وهو يتكون من فريد الأطرش وسامية جمال واسماعيل يس ولولا صدقى وآخرين ، فالأول مغن والثانية رقاصة والثالث مضحك والرابعة على الهامش الخ.

ولا بد من قصة تظهر فيها هذه « الـكفايات » وقد جاءت القصة على وفق المراد . كنا نرى الأبطال فى الأفلام الأخرى تخرج من المجتمع ، لأسباب مختلفة ، إلى المسارح والمراقص حيث تهيأ الفرصـة لإظهار الرقاصة والمغنى . أما هنا فى فلم « عفريته هانم » فتبدأ القصة على المسرح مباشرة ، فالرقاصة علية (لولا صدقى) هى ابنة صـاحب المسرح الاستعراضى الذى يعمل فيه المغنى عصفور (فريد الأطرش) . ويلح صاحب المسرح على ابنته علية أن تغرى الشاب الغنى (ميمى بك) وتتصيـده زوجا لهـا ، وتقوم بهـذا الإغراء ويقع ميمى بك فى شباكها فيخطبها إلى أبيها ويدفع إليه ثلاثة آلاف جنيه

كشكول الأسبوع

□ تـكونت لجنة لتأبين المغفور له الأستاذ على محمود طه ، من على أيوب بك وفكرى أباظة بك والأستاذ أحمد حسن الزيات والأستاذ أحمد الصاوى محمد وآخرين . وسيعلن موعد التأبين ومكانه فيما بعد

□ رأيت فى أول الـكلمة التى وجهها الأسـتاذ الأبيارى إلى الدكتور الأهوانى بالعدد الماضى ، قوله : « فما الإغراب على بابى ولا من زادى . وغيرك ناسباً ذكرت ، فإنا وإياك لعلى مائدة يارث من العربية ، ما أكثر دقيقاته وأدق خفيانه » ولما قرأت الكلمة كلها و « تنفست » لم أجدها على « مائدة » بمدلول الجملة الأولى ، فهو ينفى الإغراب عن بابه وزاده ، والـكلام كله إغراب . ولما لم تكن « بائنة » بينى وبين الأستاذ الإبيارى لأنس الزمالة فى وزارة المعارف فقد حدثته فى ذلك ، فما راعنى إلا أن زاد عليه أنه كتب « مقامات » سيقدمها فى القريب للنشر فى « الرسالة » وقد أعذر من أنذر ...

□ طلبت وزارة المعارف من وزارة المالية الموافقة على تخصيص ١٨٠ جنيهاً لمكافأة المفتشين العامين الذين سيقومون بالتفتيش فى المدارس المصرية بالسودان لقاء محاضرات ثقافية يلقونها هناك ، ويأخذ كل منهم خمسة جنيهات عن كل محاضرة . هـذا وقد كان كاتب هذه السطور بالسودان سنة ١٩٤٣ حين أوفدت الوزارة بعض هؤلاء المفتشين لذلك الغرض ، فلم تـكن محاضرات بعضهم بذات غناء ووصفتها الصحف هناك بأنها معلومات مدرسية . وأذكر هذا منبها على ضرورة حسن الاختيار .

وصل إلى القاهرة الشاعر العراقى الـكبير السـيد رضا الشبيبى عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية للاشتراك فى مؤتمر المجمع . وسيلقى كلمة فى افتتاح المؤتمر . وقد ضم الأسـتاذ إلى أعضاء المجمع فى العام الماضى ، وكان له نشاط كبير فى الدورة الماضية ، إذ ألقى بحثا قيما عن الحركة الأدبيـة فى العراق ، واشتملت مضابط الجلسات على آرائه السـديدة فى مناقشة الموضوعات الأدبية واللغوية .

□ لوحظ أن منهج التعليم الدينى الذى قرر للمدارس الابتدائية مشحون بالنصوص التى يطلب من صغار الناشئة حفظها وإدراك مراميها الصعبة . والأولى من ذلك أن يوجه أكثر الاهتمام إلى الناحية التهذيبية عن طريق ميسر مشوق .

□ من أنباء هيئة اليونسكو أن لجنة الخبراء بها وافقت على اقتراح خاص بإعادة النظر فى المواد التاريخية لاستبعاد كل ما شأنه الاضرار بمصالح البلاد الأخرى وإثارة الشقاق بين الأمم

□ تبين لادارة اليونسكو بباريس أن مدير مستخدميها اليهودى كان يحول دون أى نفع يمكن تقـديمه إلى مصر ، كما نسب اليه أشياء أخرى ، فتقرر وقفه عن العمل والتحقيق معه .

□ دعيت مصر وغيرها من بلاد الشرق الأوسط إلى الاشتراك فى مؤتمر الطلبة الذى يقام بنيويورك فى أوائل مارس القادم . وقد وافقت وزارة المعارف على إيفاد طالب وطالبة من المعاهد العليا ليكونا مندوبين عن الطلبة المصريين فى هذا المؤتمر ؛ وستـكون نفقات هذه الرحله على طلبة الولايات المتحدة .

□ توقفت إذاعة الأغنية الجديدة « ولد الهدى فالكائنات ضياء » التى سجلتها الاذاعة المصرية لأم كلثوم من شعر شوقى ، وذلك لأن أم كلثوم غير راضية عن أدائها الصوتى فيها . وليس صحيحا ما يقال من أنها منعت لتضمنها مـدح الاشتراكية . وسيعاد تسجيل هذه الأغنية .

مهرا لها . ويظهر فى خلال ذلك أن عصفور يحب علية ويرى علاقتها بميمى بك ولكنه لا ييأس . إذ يعتقد واهما أنه تبادله الحب فيتقدم لخطبتها فيسخر منه أبوها ويطالب منه أن يمهرها ثلاثة آلاف جنيه .

ولكن السيد عصفور مفلس طروب . فماذا يصنع ؟ لجأ إلى حديقة يغنى بها ، وإذا شيخ عجوز يظهر له ويدور بينهما حديث عن القسمة والنصيب ، ثم يختفى بعد أن يتفق معه على مقابلته فى غار بجبل المقطم ، ويذهب عصفور ومعه صديقه بُقُّـو (اسماعيل يس) إلى الغار ، ويظهر الشيخ فى الغار فيدفع إلى عصفور مصباحا ، ويتلاشى الشيخ، ويقلب عصفور المصباح فتخرج منه المفريتة الحسناء كهرمانة (سامية جمال) وتقول له إنها تحبه منذ ألف سنة !

وتصنع كهرمانة أعاجيب ، منها أن توجد فى الحال قصرا لعصفور وصديقه بقو ، وتمدهما بالمال فيشتريان المسرح المقابل للمسرح الذى كانا يعملان به ، وينافسان صاحبه ، وتحضر رقاصة تشبهها تماما ليغنى لها عصفور وهى ترقص ، واسم هـذه سمسم (سامية جمال أيضا) وفى أثناء ذلك تغازل كهرمانة عصفور وهو يغازل سمسم . ويتضايق أبو علية من هـذه المنافسة وقد تحول الناس عن مسرحه إلى المسرح الجديد ، فيبعث بابنته إلى عصفور لتحاول مصالحته وإغراءه ، فتأتى إليه وهو لا يزال يحبها فيرحب بها ، ويأتى معها أبوها بعد ذلك ويتودد إليه ، ثم تعلن خطبة عصفور لعلية ، فتغضب سمسم وكهرمانة ، وتعمل الثانية بأساليبها الخارقة على إفساد هذه الخطبة ومنع الزواج ، فيغضب منها عصفور ويذهب إلى المصباح فيلقى به ، فيأخذه الشيخ العجوز ويضع علية فيه ... ويذهب القصر ويعود كل شىء إلى ما كان عليه .

ويغنى عصفور ، ويظهر له الشيخ فيقول له إنه ضيع الفرصة التى لا يمكن أن تتكرر ومع ذلك يستطيع أن يسعد بسمسم . ويستأنف عصفور عمله على مسرحه ، فيعد (أوبريت) وتظهر فيها سمسم وقد عادت إليه بعد أن هجرته غاضبة . وبعد انتهاء (الأوبريت) يظهر ان سعيدين فى الختام .

ويقال إن القصة (وضعها أبو السعود الأبيارى) تعرض لمسألة القسمة والنصيب وجزاء من لم يرض بما قسم له . وهذا كلام فارغ ، لأن هـذه مسألة قديمة مبتذلة ، على أن تطبيقها فى الفلم لا هدف له ، فعصفور يحب علية ، وكل ما يريد أن يظفر بها فكيف يؤخذ عليه سعيه لنيل أمنيته ورفضه قسمة المفاريت ؟ ثم إن صرفه عن حب علية ليس طبيعيا وإنما هو مفتعل إذ نصحه الشيخ بحب سمسم .. ومتى كان الحب بالنصيحة ؟

وليس فى القصة أى مغزى اجتماعى ، بل هى بعيدة عن المجتمع العام لحوادثها تجرى فى بيئة (الأرتستات) تربط بينها تلك الروابط الخرافية التى لا غاية لها سوى عرض الغناء والرقص .

والمجهود القيم (نسبيا) فى هذا الفلم للمخرج (بركات) وهو الذى أجرى تقطيع القصة (السيناريو) فقد قام بعمله فى الحدود المرسومة ، ومما أجاد إخراجه المنظر الذى ظهرت فيه علية وهى تحدث ميمى بك بالتليفون ويحدثها عصفور من وراء ستار إذ قالت له إنها تبدل ثيابها ، فيجىء حديثها ردا على كليهما فى آن ، وأريد أن أسأل بعد ذلك : لماذا بدا القصر خاليا من الأثاث ؟ وكيف عجزت المفريتة عن تأثيثه وهى التى أوجدته فى طرفة عين .. ؟ وكيف وجد هـذا القصر فى القاهرة فجأة وذهب فجأة على أعين الناس ؟ !

وقد شاهدنا عصفوراً حين أزمع الذهاب إلى صاحب المسرح ليخطب علية ، مع أصحابه فى سيارة قديمة يقودها ، وهم يخترقون الشـوارع فى منظر غاية فى التهريج السخيف ، هو يغنى وهم يتراقصون منظرفين ، وهذا إنما هو أليق بالنسوة اللائى يركبن عربة (كارو) وينشدن (سلمى ياسلامة !) ومن أين لعصفور هذه السيارة (اللاكى) وهو يعمل بقروش فى المسرح مهما كانت قديمة ؟

وترى كهرمانة تعرض على عصفور أن ترقص أمامه على مسرحه الجديد ، فيقول لها إن الناس يرون رقصها لأنه هو وحده الذى يراها ، فتأتى له بسمسم ، وكهرمانة تعرف أن الناس لا يرونها فكيف كانت تريد أن ترقص على المسرح ؟

نخلص بعد ذلك إلى المقصود من هذا الفلم « الاستعراضى » هو الرقص والغناء ، قيل إن علية رقاصة مع أنها لم ترقص أبداً بل ظهرت على المسرح مع عصفور يغنى لها وهى إلى صدره يتحسسها وتميل عليه فقط ! أما سامية جمال فقد رقصت ورقصت ويعتمد رقصها على رشاقة جسمها وإظهار مفاتنه ، وليس وراء ذلك فن من تعبير .



وفاة الأستاذ محمود حسن زناتي

قُبض إلى رحمة الله صديقنا المغفور له الأستاذ محمود حسن زناتي في صباح يوم الأربعاء الماضي في (ناى) من قرى القليوبية ، وكان أخواله آل عطية قد نقلوه من القاهرة إلى ديارهم حين تبلغت به العلة واحتاج إلى رعاية الأهل وعناية القربى .

أصيب هذا الرجل الفاضل بالفالج النصفي منذ ثلاث سنوات فانقطع عن الناس وانقطع الناس عنه وكان بطبعه ألوفا ودوداً يحب الخلطة، ويعشق الحديث، ويسأل عن صاحبه إذا غاب، ويزوره إذا حضر. وكان أشق عليه من مرضه أن ينعزل عن العالم في مسكن نابي الفراش موحش الجوانب يظل، فيه النهار، ويبيت به الليل، قلق الوساد موجوع البدن لاينعم فيه بحنان الولد ولاعطف القريب، ولا يطرقه عليه إلا جار كريم أو صديق قديم .

درس زناتي في الأزهر ، وتلمذ على أستاذنا العالم الناقد سيدبن على المرصفي، وعلى شيخنا اللغوى الحجة محمد محمود الشنقيطي

وكان أثيراً لدى الرجلين، يزورهما في البيت، ويلزمهما في الجامع، ويصحبهما في الطريق ويروى عنهما الأشعار والأخبار والطرف . ثم عين مصححاً في المطبعة الأميرية فقضى بها ردحاً من الزمن حتى انتقل القسم الأدبي منها إلى مطبعة دار الكتب فانتقل معه . ثم اختاره المرحوم أحمد زكي باشا ليكون أميناً للمكتبة الزكية التي وقفها وجعل النظر فيها لوزارة الأوقاف، وكانت يومئذ بقبة السلطان الغوري . فلمــا فصلت عن وزارة الأوقاف ووصلت بدار الكتب انتقل موظفاً بديوان الوزارة ؛ ولكن العمل الجديد لم يرضه لا ببيئته ولا بطبيعته فطلب الإحالة على المعاش فأحيل . ومنذ يومئذ تفرغ للأدب فأخذ يزجي فراغه نظم الشعر واقتناء المخطوطات ونشر الكتب. فمن الكتب التي نقحها وعلق عليها ونشرها، مختارات ابن الشجري والمفضليات للضبي ، ثم الجزء الأول من الفصول والغايات للمعري. ثم انتهى أمره إلى هذه العلة الفادحة نكابد من وصبها ما كابد حتى اختار الله له ما عنده .

تغمده الله برضوانه ورحمته ، وأنزله منزلة الأوفياء من فسيح جنته .

في ذمة الله يا زناتي :

أيها الراحل الكريم سلاما ... آه لو كنت تستطيع الكلاما!

سكت الصوت سكتة ، ودفنا ... في التراب النشيد والإلهاما

أيها الناطق المحدث ماذا ... أسكت اليوم هـذه الأنغاما ؟

رحم الله في النـدى حديثا ... كان يطوى الزمان والأياما !

كنت ترويه كالزلال نميراً ... وتساقيـه كاللهيب ضراما

وتقص الزمان جيـلا فجيـلا ... وتعيـد التاريخ عاما فعاما

كنت في ندوة البيـان طرازا ... يأسر الفاهمـين والأفهاما

حطمتك الأيام حتى رأينـا ... رجلا صار في الحياة حطاما

قم تر الأرض لم تبـدل قليـلا ... من رحاها ، ولم تغير نظاما

فالليالي ـ كما عهدت ـ الليالي ... والندامى كما عرفت ـ الندامى

من يفته الحمام في هدأة الليـ ... ـل ففي صبحه سيلقى الحماما ...

أجل دائر علينـا ، وكأس ... سوف نسقى منها ونروى الأواما!

أيها الراحل الذي لم يودع ... ماملكنا في البين إلا السلاما

محمد عبد الغني حسن

أما فريد الأطرش فقد أمطر الفلم غناء . غناؤه كرقص سامية لاتعبير في كليهما ، والأوبريت التي قدمها كلها تطريب فهو يقف ليغني ولاشيء وراء ذلك ، فكل مواقفه «فواصل» غناء ليس إلا ، وفن الاوبريت مظلوم ! وهو يغني في موقف الحزن كما يغني في الفرح ، ووجهه جامد في التمثيل أيضا ، وإن كان لابأس به فيما عدا قصور وجهه في التعبير ، وكان دوره ملائما لشخصيته الهادئة ، فلم يستفزه منظر حبيبته في أحضان غريمه ، واكتفى بأن راح يستعد لخطبتها !

أما اسماعيل يس فقد أصبح دوره في الأفلام المختلفة أن يكون صديقا للبطل بقصد التضحيك . وهو ظريف الشخصية أينما وضع ، غير أن حظه من ذلك قليـل في هذا الفلم .

عباس خضر

وتذهب الجدب » . وهـذا وجه آخر للمسألة يؤول تنفيس الـكرب بما تسوقه الرياح من خير ، لا بما يشعر به المرء من داخل فنقلوا الظاهر إلى الباطن ، وهذا أليق .

قلتَ : وقولهم « شيء نفيس » أرادوا أنه ذو نفس ، بالتحريك

قلتُ : وهذا معنى طريف لست أدرى أوقع القدماء عليه أم لا ، وقد وقفت عنده ، وتساءلت أكل متنفس نفيس ؟ وفى الصحراء أحياء من نبات وحيوان ينفر العربى منها ويحط من شأنها لقلة نفعها أو مظنة ضررها . وما بالك بالثعبان الذى ينفث السم ، أهو شيء نفيس ؟ ولعلك زاعم أن النفث بالثاء من النفس بالسين ، فبهما معانٍ متقاربة كنفثات الشاعر ، والنفاثات فى العقد من السحر . أو قائل إن النفش بالشين من ذلك أيضاً ، من التفريق والانتشار . قال الحكيم الترمذى فى كتاب الرياضة « والنفس مسكنها فى الرئة ، ثم هى منفشة فى جميع الجسد » .

قلتُ : الثاء والسين والشين متقاربة ، والحروف أصل الألفاظ . والأصوات محاكاة للطبيعة أو تعبير عن المشاعر الباطنة . ترى أيكون سر المعنى فى النون أو الفاء أو السين ؟ أهو فى حرف واحد أو فى حرفين أو فى ثلاثة ؟ ولقد زعم قوم أن اللغة العربية ثنائية ، ولعلهم على صواب . ثنائية أو ثلاثية فحرف السين جوهرى فى هذه اللفظة ، وإننا لنجده فى لغات كثيرة . وليس ذلك من قبيل الاتفاق : فى اليونانية بسيشى Psuche ، ونحتت منها فى اللغات الحديثة البسيكولوجيا أو علم النفس . وفى الانجليزية سول Sul ، وفى الفرنسية أسبري Esprit والأصل فى هذا الصوت وهو السين ما يسمعه المرء من صوت الهواء إذا كان نسيما ، فإذا اشتد أصبح صرصراً وا الصاد تشديد السين ، وقد يكون الصوت حاء ومنه الرياح والريح ، ولذلك قالوا فحيح الأفاعى .

قلت : ثم جاءت النفس بالإسكان فى شتى معانيها . وإخال أسبقها الروح ، وهل هى إلا أنفاس ؟

قلت : هذا مذهب فى التوحيد بين النفس والروح . والتحقيق غير ذلك . النفس مؤنث إن أريد بها الروح ، ومذكر إن أريد بها الشخص . تقول خرجت نفسه أى روحه ، وعندى ثلاثة أنفس فأنثت العدد لأنه عكس المعدود .

قال أبو عبد الله الحكيم الترمذى من صوفية القرن الثالث : « الروح نور فيه روح الحياة ، والنفس ريح كدرة جنسها أرضية » فرق بين الروح والنفس ، وبين الروح والريح . وقول الجنيد الذى ذكرت من أن النفس من مســـتأثر الله تعالى » يريد الروح لا النفس قال ابن الفارض فى تائيته .

وإنى وإياها لذاتٌ ومن وشى ... بها وثنى عنها صفات تبدت
فذا مظهـر للروح هاد لأفقها ... شهوداً بدا فى صـيغة معنوية
وذا مظهر للنفس حادى لرفقها ... وجوداً غدا فى صيغة صورية

قال ابن القيار : والذى يرجح ويقرب هو أن الإنسان له نفسان حيوانية ونفس روحانية . فالنفس الحيوانية لا تفارقه إلا بالموت . والنفس الروحانية التى هى من أمر الله فبها يفهم ويعقل فيتوجه لها الخطاب ، وهى التى تفارق الإنسان عند النوم ، وإليها الإشارة بقوله تعالى : يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها .

والدليل على أن الذى من مستأثر الله تعالى هو الروح قوله عز وجل (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى) لأن الروح من الغيب لا تدركها العقول وتعجز عن معرفتها الأفهام .

وبعد فقد طال بنا النفس فى الاستطراد ، وكنت أطمع فى جواب الأديب عن معنى نفس الأديب ، لأن هذه صناعتك ، فصدفت عن الجواب ، ورددت السؤال بسؤال ، وعدلت عن الأدب إلى الحكمة واللغة نفاساً ، ولك نُفْسة إلى أمد ، فلعلك لا تنفس بالجواب .

أحمد فؤاد الاهوانى

أخى الابيارى

لك أنفس تحية وعليك أروح سلام .

زعمتَ أنى دفعتك إلى حديث شائك ، وما رغبت فيه إلا لأنه حبيب شائق . ولبست أثواب العلماء تواضعا ، ثم بان علمك وفاض فضلك ، فإذا بك تسأل سؤال العارف . أومأت إلى مذهب المعلم الأول فى أنفسه الغازية والحساسة والناطقة ، وأشرت إلى المتكلمين فى قولهم بالامتزاج كالماء بالعود ، وأخذت عن بعض الفلاسفة حكايتهم عن النفس المدبرة للأبدان المحركة للجسوم ، وحكيت قول الجنيد من الصوفية أنها من مستأثر الله تعالى .

ثم استقصيت قول أصحاب اللغة ووقفت بباب ابن فارس إن النَّفَس من النفس « أصل واحد يدل على خروج النسيم كيف كان من ريح أو غيرها » .

قلت : « وقول القائل » نفس الله كربته « من ذلك لأن خروج النسيم روحا وراحة » .

قلتُ : هذا عند من يوحدون بين النَّفْس والروح ، ويجعلون النفس من الريح . وقالوا : « ومعنى لا تسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن ، أنهـا تفرج الـكرب ، وتنشر الغيث



نهضة العراق الأدبية

في القرن التاسع عشر

للأستاذ ابراهيم الوائلى

شهد العراق فى القرن التاسع عشر نهضة أدبية كبرى كان لها الصدى المدوى فى وادى الرافدين ، وكان لها الأثر الفعال فى انبعاث الشعر المعاصر فى العراق . وهذا القرن — بما فيه تبلبل سياسى والتواء فى الحكم ، وبما فيه من ظلم واستبداد — كان نشيطا فى حركته العلمية والأدبية . وكان أكثر نشاطاً فى الناحية الشعرية . فنى بغداد والحلة والنجف والموصل كانت الحركة العلمية فى نهاية المعركة مع الأحداث والخطوب التى كانت تحارب العقول والأذهان والحريات ؛ لأن الأولى كانت تستمد قوتها من تأريخ حافل بالأمجاد والروائع ؛ ولأن الثانية كانت تطل من دنيا الجهل والجبروت تحارب هذه الأمجاد بقوة وعنف وانتصرت الحركة العلمية فى العراق بفضل أبنائه الساهرين على تأريخهم وأمجادهم ، فقد كانت فى القرن التاسع عشر — ولا تزال — بيوت أثيرة المكانة منيعة الجانب تجمع بين النفوذ السياسى والدينى ، وكان فيها إلى جانب ذلك من يعشق الأدب ويمارس الشعر . وقد حدبت هذه البيوت على الشعر والأدب تمده بالرعاية وتبذل له من التشجيع ما وسعها ذلك . ومن هذه البيوت : الشاوى والنقيب وكبة فى بغداد ، والقزوينى فى الحلة ، وكاشف الغطاء والجواهرى وبحر العلوم فى النجف ، والعمرى فى الموصل . وتحت رعاية هذه البيوت استظل الشعر بجناح وريف الظل ونبغ كثير من الشعراء الأفذاذ الذين لا يقلون فى التعبير والمعانى والأخيلة عن شعراء العصر العباسى الأخير . ومن هؤلاء : الحليان السيد حيدر والسيد جعفر ، والموصليان عبد الغفار الأخرس وعبد الباقى العمرى ، والنجفيون السيد محمد سعيد الحبوبى والسيد ابراهيم الطباطبائى والشيخ عباس والشيخ جعفر الشرقى والشيخ جواد الشبيبى وغيرهم . وقد ترك معظم هؤلاء الشعراء دواوين مطبوعة وآثاراً مخطوطة يتدارسها أدباء العراق ويعنون بها ، لأنها الينبوع الذى تدفق من بين الرمال والصخور بعد فترة طويلة فسقى وأنبت وأمد نهضتنا الحديثة بذخيرة قوية وافرة .

ومن المعنيين بهؤلاء الشعراء الشاعر المعروف الدكتور محمد مهدى البصير استاذ الأدب العربى بدار المعلمين ببغداد فقد أصدر عنهم كتابا سماه : (نهضة العراق الأدبية فى القرن التاسع عشر) تحدث فيه عن ثمانية وعشرين شاعراً بين شهير أضاف إلى حياته صفحة جديدة ، وبين مغمور كشف عن حياته وشعره . وهذا الكتاب هو مجموعة أحاديث أذاعها أديبنا الكبير من دار الإذاعة العراقية ثم شاء له حرصه الأدبى والتأريخى أن يجمعها فى كتاب منشور .

هؤلاء الشعراء — كما يقول الدكتور فى المقدمة — : « ليسوا كل من أنجب العراق من قالة القريض فى القرن المنصرم ولا أكثرهم ولا كل من أعرف منهم ، ولكنهم صفوة من أعرف وخير من وصلنى علمه منهم » أما دراسته لهؤلاء فليست من الدراسات التى تعتمد على الترجمة والرواية فحسب ، بل هى مزيج من هذا ومن غيره . ولعل اللون الذى يطغى على هذه الدراسة هو اللون التحليلى الذى يعتمد فيه على أثر الشاعر ويستقى من شعره ، ولذلك فإن للدكتور البصير آراء استخلصها من شعر هؤلاء قد لا يقره عليها عشاق التراجم ، كما أن له آراء قد لا يوافقه عليها نقاد الأدب ، وتراه فى بعض الشعراء يبدو واضح الرأى والفكرة ، وفى بعضهم يظهر مترددا متهيبا من الافصاح والجهد ، والسبب فى ذلك يعود إلى أن الذين تحدث عنهم لم يكونوا جميعاً ممن انقطعت صلتهم بالأحياء . بل أن معظمهم ترك وراءه اسرة وأحفادا يحاسبون الأديب والناقد الحر ، وأن معظمهم قد جمع بين الشعر والعلم ، وبينهما وبين التقشف والزهد ، فكان من البديهى أن يقع الدكتور فى مأزق من جلاء الدراسة ووضوح الرأى فلم تسلم دراسته من بعض الغموض ، ولم يسلم رأيه من الترجح والتردد فى بعض المواطن ، وسنشير إلى ذلك وغيره .

يتحدث — أول ما يتحدث — عن السيد محمد سعيد الحبوبى

النجفي الشاعر الشهير وصاحب الموشحات الكثير فيقارن بينه وبين الشريف الرضي وتسلم له مقارنته في كثير من المواطن ، في الشعر والعلم ، وفي الحياة والجهاد، وفي مواطن الترفع عن التكسب بالشعر ، ويغفل المقارنة بينهما في النسب، فكلا الشاعرين علويان يتصل نسبهما بالأمام علي ؛ وقد ترتب على هذا الإغفال -- مادمنا في صدد المقارنة اغفال ناحية أخرى وهي نعصب الشريف الرضي لعلويته ودفاعه عنها واعتزازه بها وتفجعه لمآسي أجداده. أما الحبوبي فانه قليل المحاولة في ذلك ، فما هو السبب ولماذا ؟ هذا ما كنا ننتظره من الدكتور .

ويتردد الدكتور في رأيه بين الجهر والتكتم عند ما يتحدث عن غزل الحبوبي ، فهو لا يستطيع أن يحكم بأن الحبوبي قد اكتوى بنار الحب وأنه استمتع من شبابه بما يستمتع به كل شاب مترف لأن سمته الحبوبي الفقيه تأبى ذلك : . ثم يقول : « أننا نظلم الحبوبي ظلما فاحشا إذا افترضنا أن قلبه لم يكن من القلوب التي يدخلها الحب » ! فالدكتور البصير لا يريد أن يظلم الحبوبي فيقول عنه إنه أحب ولا يريد أن يظلمه فيقول : إنه لم يحب لأنه في الأولى يتنافى مع علمه وفقهه وفي الثانية يتنافى مع غزله الرقيق ؟! هذا هو موطن الغرابة في رأي الدكتور ، ولقد كان بإمكانه أن يعلن عن رأيه بوضوح ولا يتحفظ مادام يتنقل من ديوان الحبوبي بين شعر واضح التصوير والصور، ولا أحسب ذلك عسيراً على الدكتور وهو يعتمد في دراسته على الشعر أكثر من غيره .

ثم ما المانع من أن يكون الحبوبي قد عشق وأحب ولكن في سياج من العفة والأخلاق ؟ وهل كانت قلوب الفقهاء إلا كقلوب سائر البشر تحس بالجمال وتنفعل به، ولكنها كقلوب بعض البشر أيضاً لا تواكب هذا الجمال ولا تنطلق مع الحب إلى ماوراء العفة ؟ وليس الحبوبي إلا واحداً من هؤلاء يحس بالجمال ويحترمه وقديهيم به ولكن في دائرة محدودة هي النزاهة والعفة .

ثم ألبس الشيخ عباس النجفي — وقد تحدث عنه الدكتور فيمن تحدث عنهم — كان فقيها وكان محبا تعرض في حبه لكثير من المتاعب وتحدثت عنه القصص الغرامية كما تتحدث عن أي شاعر عاشق صدق في شعره كما صدق في حبه ؟ فلماذا كان الشيخ عباس شاعراً محبا صادق الحب ؟ ولماذا كان الحبوبي يظلم حين يتهم بالحب ويظلم حين يجرد منه ؟ .

اعتقد أن هذا التشكيك وهذا التحفظ ما كان لهما شأن عند الدكتور لو أنه عني بدراسة البيئة العراقية عناية دقيقة وربط بين هذه البيئة وبين شعر الحبوبي . ولو أنه أعطى البيئة نصيبا من الدراسة لجرد الحبوبي من تبعات الحب في مختلف أدواره، ولننظر إلى شعر الحبوبي :

قلن لي : علك يابادي الشجن ذلك الصب العراقي الوطن

مولع القلب بتسآل الدمن

لست تنفك تحيي الأربعا ولكم عجت ضحى في سفح ضاح ؟

قلت : هل تنكرن صبا مولعا ياذوات الأعين المرضى الصحاح

هذا نموذج ذكره الدكتور من غزل الحبوبي واستشف من ذلك أن الشاعر كان عاشقا ولكنه تحفظ بهذا الرأي كما يقول . ولو أنه أنكر على الحبوبي « تسآل الدمن » و « الأربع » و « سفح ضاح » والجناس بين « ضحى وضاح » و « الأعين المرضى الصحاح أقول : لو أن الدكتور فعل ذلك لأنكر على الحبوبي هذا الحب وهذه المحاورة . ولنستمع الى الدور الآتي من الموشح :

ثم قدنا شـــدنها بالذمم وتلطفن بطيب الكلم

قلن لي : الموعد في ذي سلم

فانتظر حارسها أن يهجعا ورعاة الحي أن تأوي المراح

وهزيع الليل أن يهزعا وتهيج الروض أنفاس الرياح

فأين الحبوبي من ذي ســـلم ورعاة الحي والمراح وهو يعيش في مدينة النجف ؟ كل ذلك تقليد للصور الشعرية التي نجدها في محاورات ابن أبي ربيعة،ولكنه تقليد واضح الشخصية متين الأداء . أما الانفعالات التي يثيرها الحب في نفس الشاعر المحب وتنعكس في تعبيره فإننا لانكاد نلمحها في ثنايا هذه الابيات على أن السيد الحبوبي - رحمه الله - قد هدم كل رأي يقال فيه عن الحب في موشحة أخرى وصرح بأن هذا الغزل كله كان غزلا ماديا لا ينعكس فيه أية صورة من صور الحب الصحيح :

لا تخل ويك-ومن يسمع يخل- أنني بالراح مشغوف الفؤاد

أو بمهضوم الحشا ساهي المقل أخجلت قامته السمر الصعاد

أو ربات خدور وكال يتغنين بقرب وبعاد
إن لى من شرف بردا ضفا هو من دون الهوى مسامهنى
غير أنى رمت نهج الظرفا عفة النفس وفسق الألسن

ولا داعى لأن يقول الدكتور إن هذه الأبيات قد زادت (المسألة تعقيداً) بعد الذى أشرنا إليه .

حقا أننا نجد الحب فى أعنف صوره عند الشيخ عباس النجفى لأنه كان شاعراً صادق التعبير ، وفى حدود ذلك الحب لم يتجاوزه إلى ذى سلم وسفح ضاح ، بل وقف عنده يؤديه أحسن أداء ويصوره أحسن تصوير . وهذه قصيدته الشهيرة خير دليل على حبه الصادق العنيف :

عديني وامطلى وعدى عديني ودبنى بالصبابة فهى دينى
ومنى قبـل بينك بالأمانى فإن منيتى فى أن تبيـنى
سلى شهب الكواكب عن سهادى وعن عدد الكواكب فاسأليني
أما وهوى ملكت به فؤادى وليس وراء ذلك من يمين
لأنت أعز من نفسى عليها ولست أرى لنفسى من قرين
أما لنوا لكم أمد فيقضى إذا لم تقض عندكم ديونى ؟
هبونى أن لى ذنبـا - ومالى سوى كلفى بكم ذنب - هبونى
ألست بكم أكابد كل هول وأحمـل فى هواكم كل هون
إذا ما الليل جن بكيت شجوا وطارحت الحمائم فى الغصون
ولو أبقت لى الزفرات صوتا لأسكت السواجع بالحنين
بنفسى من وفيت لها وخانت وأين أخو الوفاء من الخئون ؟

وهى قصيدة أكثر مما ذكرناه منها وقد أشار إليها الدكتور بقوله : لا أغالى إذا قلت إنى لا أعرف لجيل بن معمر شيخ المحبين قصيدة أحفل منها بالعواطف الصادقة وأغنى بالأحاسيس والمشاعر الرقيقة إذا فالدكتور قد استجاب لهذه القصيدة وانفعل بعواطف الشاعر ورافقه لحظة من الزمن أدرك خلالها أنه محب صادق الحب . فهل استجاب لغزل الحبوبى حتى استجاب لعواطفه ولكنه تحفظ برأيه ؟ نقطة الخلاف بيننا وبين الدكتور هى البيئة وحدها ، فالدكتور لم يتعرض لها حتى يصل منها إلى نتيجة ، لذلك وقع فيما وقع فيه من الاضطراب فى الرأى ؛ إذ الواقع أن غزل الحبوبى لم يكن ليصور بيئته أدق التصوير . والواقع أن الحبوبى كان موفقا إلى حد بعيد فى الأداء اللفظى وفى التعابير الرقيقة وإن كانت من غير بيئته ، ولكنه لم يكن معبرا عن عواطف وانفعالات تثير القارىء فيستشف منها ظلالا تختفى وراء هذا التعبير ، لأن الشاعر لم يكن محبا فى يوم من الأيام ، لا لأنه كان عالما فقيهاً ، وإنما لأنه لم يحب وكفى ، وإلا لصور حبه تصويراً لا يخرج به عن حدود البيئة ، لتحدث عن احساسه العاطفى قبل أن يكثر من الغزل المادى .

على أن الدكتور حين يستعرض الغزل عند السيد حيدر الحلى يقول عنه : ليس هناك أدنى شك فى أن السيد حيدر لم يقع فى شرك الحب ولم يخضع لسلطان الغرام فى يوم من الأيام إذا كان ما نعرفه من أخلاقه وأحواله صحيحا . وهنا نضع أكثر من علامة استفهام لنسأل الدكتور عن السر فى تفاوت الشاعرين وكون الحبوبى يظلم حين يجرد من الحب، وإن الحلى لم يقع فى شرك الحب ؟

ثم ماهو المانع من أن يجتمع الحب النزيه مع الأخلاق الكريمة إذا كانت الأخلاق مقياس الحب ؟

وهذه أبيات للسيد حيدر نرويها كما رواها الدكتور :

سارقتها النظر المريب بمقلة لم تقض من لحظاتها آرابها
ولقد دعوت وما دعوت مجيبة ودعت بقلبى للهوى فأجابها
أعقيلة الحيين شقت فنولى كبداً هونك فكابدت أوصابها
مادمية المحراب أنت بل التى تنسين نساك الورى محرابها

أن هذه الأبيات خالية من الأحاسيس والعواطف فى نظر الدكتور مع أن الشاعر لم يزخرف فيها ولم يتصنع . أما الغزل عند الحبوبى فان من الظلم أن نجرده من العواطف !!

البقية فى العدد القادم

ابراهيم الوائلى

سكك حديد الحكومة المصرية

صرف تذاكر مشتركة إلى الوجه القبلى بأجور مخفضة للسفر بها بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم والإقامة فى الفنادق

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور مرة أخرى أنه بموجب اتفاق مع شركة فنادق الوجه القبلى والفنادق الأخرى وشركة عربات النوم قد تقرر إعادة صرف التذاكر المشتركة بمعرفة مصلحة السكك الحديدية للحكومة المصرية ابتداء من أول أكتوبر سنة ١٩٤٩ لغاية ٣١ مارس سنة ١٩٥٠ بأجور مخفضة للسفر بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم للدرجة الأولى فقط والإقامة فى الفنادق .

وتشمل هذه التذاكر الإقامة فى الفنادق المبينة بعد :

إسم الفندق	درجة الفندق	الأجرة عن ٥ أيام و ٤ ليال من القاهرة — مليم	جنيه
فندق ونتر بالاس بالأقصر	درجة أولى ممتازة	٩٣٠	١٦
فندق كاتاركت بأسوان	« « «	١٢٠	١٩
الأقصر بالأقصر	درجة أولى والسفر بالدرجة الأولى	٠٨٠	١٥
	« « « « الثانية	٣٢٥	٩
فندق جراند أوتيل بأسوان	درجة أولى والسفر بالدرجة الأولى	٢٧٠	١٧
	« « « « الثانية	٠٩٠	١٠
فندق سافوى بالأقصر	درجة ثانية ممتازة والسفر بالدرجة الأولى	٢٠٠	١٤
	« « « « « الثانية	٤٤٥	٨
فندق العائلات بالأقصر	درجة ثانية والسفر بالدرجة الأولى	١١٠	١٢
	« « « « الثانية	٣٥٥	٦
فندق المحطة بالأقصر	درجة ثانية والسفر بالدرجة الأولى	١١٠	١٢
	« « « « الثانية	٣٥٥	٦

مطبعة الرسالة



العدد ٨٦٠ - الاثنين ٢٦ ديسمبر ١٩٤٩ - السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العـــــدد القـــادم

هو

العـــــدد الممتـــــاز

فترقبوه يوم صدوره

انتظروا :

عدد « الرســـالة » السنوى « الممتاز »

فى يوم الأثنين ٣ يناير سنة ١٩٥٠ وهو حافلا

كعادته بأروع ما يكتب في موضوعه

لصفوة من أقطـاب البيان

فى مصر والعـــــــالم العربى

نسخه محدوده وثمنه ثلاثون مليما

17 me année No. 860

Lundi — 26 — 12 — 1949

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٨٦٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٦ شهر ربيع الأول سنة ١٣٦٩ — ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة »

محمود حسن زناتى



كنا ثلاثة ألفت بيننا وحدة الطبع والهوى والسن ؛ فالطبع مرح فكه ، والهوى درس الأدب وقرض الشعر ، والسن فتية لا تجاوز السادسة عشرة . وكان طه قاعدة المثلث ، ومحمود وأنا ضلعيه القائمتين أو كان المبرد صاحب الكامل قلب الطائر ، والزمخشرى صاحب الكشاف، وثعلب صاحب الفصيح، جناحيه الخافقين وتلك كانت ألقابنا على الترتيب ، لقب بها بعضنا بعضا لنزعة فكرية أو فنية كان ينزعها كل منا فى نظر أخويه . ووجه الشبه بيننا وبين المثلث أن وجودنا كان كوجوده ، لا يتصور فى الذهن ولا فى الخارج إلا بأضلاعه الثلاث على أى شكل يكون وأما وجه الشبه بيننا وبين الطائر فإن حياتنا كانت كحياته ، تردد إلى كل روضة ، وتغريد على كل شجرة ، وتحليق فى كل جو . كنا نتنقل من حلقة العلم إلى درس الأدب ، ومن درس الأدب إلى مجلس الشعر ، ومن مجلس الشعر إلى دار الكتب ، ومن دار الكتب إلى الجامعة المصرية القديمة ، ومن الجامعة إلى إدارات الصحف نعرض عليها ما كنا نسميه يومئذ شعرا ؛ ثم ننتهى إلى دار أحدنا فنتدارس ما حصلنا من علم ، ونتذاكر ما حفظنا من أدب ، ونتنادر بما سمعنا أو رأينا من سخف ، فإذا أخطأنا أو نسينا لجأنا إلى ذاكرة طه العجيبة فتعيد ماوعت لا تخرم منه حرفا ؛ فنصحح أو نستكمل أو نستفيد . وإذا سئمنا أو ونينا فزعنا إلى حافظة محمود الخصيبة فيسرى عن خواطرنا بمقطعات من أعذب النوادر يحكيها عن نفسه ، أو يرويها عن أبيه ، أو ينقلها عن حياته وزناتى محدث طليق اللسان متفنن الحديث تسمع منه النادرة عشرين مرة وكأنك لم تسمعها من قبل لجمال عرضه وجاذبية أسلوبه . ثم كان الطائر بقلبه النابض بالأمل والحب ، وبجناحيه الخافقين بالخيال والنشوة ، يضيق أحيانا بعشه الباغم فى ركن من الرواق العباسى بالأزهر الدوى الهادر ، فيخرج إلى هدوء الطبيعة يستمتع بعفاتها فى خمائل المطرية أو حدائق الجزيرة ، فنتصل بالحياة المصرية ، وننال من ثمار المدنية ، ثم نعود إلى الأزهر فنجد الاختلاف شديدا بين حياته وحياة

الناس فنقلق ونثور ، ويكون مظهر هذا القلق وهذه الثورة التمرد على الأزهر المنعزل عن العالم، والسخر من الطلاب المنصرفين إلى الفقه، والعبث بالشيوخ الجاهلين بالأدب وكنا حينئذ في عهد اليفاعة حين يكون العيش كله حبا عارما لحبيب غير مشهود ولا معهود . كان كل منا يحب أخويه حبا غلب على كل شيء . فإذا اجتمعنا عكفنا على هوى واحد هو الأدب ، وإذا افترقنا نزعنا إلى هوى واحد هو نحن الثلاثة . وكنا نعبد الجمال في أي معنى وفي أي صورة ، والجمال في حياة أيفاع من طلاب الأزهر لا يرون غير الدمامة، ولا يسمون غير القدامة لا يمكن إلا أن يكون حلما أو خيالا أو مثالا أو شيئا من نحو ذلك ، وكنا نعشق الكتب فلم ندع في الأدب كتابا مطبوعا ولا مخطوطا إلا قرأناه أو قلبناه ، والمكتبة العربية كانت يومئذ بالنسبة إلينا (الكتبخانة المصرية). وكان محمود أشدنا غراما بالمكتبات والمخطوطات ، فكنا حين ننصرف، طه وأنا، لدراسة الفرنسية ينصرف هو إلى مكتبة الأتراك ، أو مكتبة الأزهر ، أو دكاكين الوراقين ، ينقب عن نوادر الكتب فيستعيرها أو ينسخها أو يشتريها ، لذلك كان أعلم الناس بأسماء الكتب وسماتها وشياتها وموضوعاتها ومؤلفيها، وقد ظهر أثر ذلك حينما عمل مفيرا في دار الكتب المصرية فقد انتقد فهارس الدار نقدا قويا عنيفا كان مثار خصومة بينه وبين زملائه . ومحمود كان لا يلاين ولا يهادن إذا كان معه الحق . ولقد كان عمله في وزارة المعارف وفي وزارة الأوقاف نزاعا متصلا بينه وبين رؤسائه ، لأن الوظيفة الحكومية تقتضي صاحبها المصانعة والمداواة والمساهلة، ومحمود كان مستقيم الطبع فلا يلتوي ، شديد الإباء فلا يستكين ، قوي الشكيمة فلا ينقاد ، حافظ العين فلا يغضي . من أجل ذلك طلب أن يحال إلى المعاش فأحيل قبل سنه بعشر سنين .

عرفت محمودا في درس النحو، وعرفت طه في درس الأدب ، وكان بين المعرفتين شهران أو ثلاثة. كنت أحضر درس النحو الذي يلقيه الشيخ عبد الله دراز في مسجد محمد بك أبو الذهب ، وكانت لي بين رفاقي شهرة بصنع الكلام الموزون المقفى،فكان هذا يطلب مدحة في باشا ، وذاك يطلب تهنئة لعمدة ، وذلك يريد مرثية في قريب . وعلم ذلك محمود فجاءني ذات يوم وأنا في الدرس يشكو إلي أنه صنع تاريخا لمولود في شطر ولكنه يحتاج إلى واحد ليتم به عدد السنين ١٩٠٤. فنظرت في التاريخ فأعياني أن أجد هذا الواحد، فقلت له ! كتب الشطر الأول هكذا: «و بالفرد استعنت لكي أؤرخ» والفرد معناه الله ومعناه الواحد المطلوب . فضمه بين قوسين واحسبه واحدا. أما جزم المضارع فللضرورة ، والضرورات ترفع المجرورات . فسر محمود بهذا الحل سرورا عظيما وصحبني منذ ذلك اليوم لا نكاد نفترق حتى أثلثنا بطه في درس المرصفي، فتوثقت بيننا عرى المودة، وتصادقنا على المحبوب والمكروه، وتصافينا على القرب والبعد ، ومُلِّي كل منا أخويه خمسا وأربعين سنة تصدع فيها الشمل، وافترق الطريق ، واختلفت الحظوظ ، واتسعت الفروق ، وثقلت الأعباء ، وكثرت الأصدقاء ، وتوزع القلب ،وتغيرت الدنيا ،واحترب العالم كله مرتين ، ولكن صداقة الشباب ظلت راسخة الأصل في أعماق الفؤاد لا يعبث بها الحدثان ولا ينال منها الزمن .

* * *

كنا ثلاثة فأصبحنا اثنين : طه حسين وأنا . أما محمود زناتي فقد سبقنا إلى الغاية التي لا بد أن يبلغها كل حي . مات محمود وبكاه طه في (الأهرام) بكاء هز قلب الخلي واستدر عين الغريب . وبكاء طه على محمود بكاء على عهد مضى لن يعود، وعلى صديق قضى لن يعوض — مات محمود على فراش غير داف ولا وثير ؛ لأنه كان وحيد أبويه ، وكان أبوه وحيد جديه ، فلم يكن له من عصبيته أخ ولا عم، وكان الله قد جمله عقيما فلم يكن له من صلبه ابن ولا بنت. ونزل به منذ ثلاث سنين مرض فادح طال وأعضل حتى سلبه الأمل وحرمه الراحة ونقله. بنو أخواله إلى ناي وهو في نهاية الشوط ونزاع الروح . وكان طيلة مرضه إذا هذى ينشد شعر الشنقيطي وكان يحفظه كله ، وإذا وعى ذكر طه والزيات وتمنى لو يهادنه المرض وتعاوده الصحة فيغشى ما كان يغشى من أماكن ، ويزور ما كان يزور من أصحاب ! رحمك الله يا محمود وبرد بالغفران والرضوان ثراك ! لقد كنت حريصا على الوداد حين ضاع الوداد ، وسخيا بالوفاء حين عز الوفاء . وأحسن الله عزاءك وأطال بقاءك يا أخي طه ! لقد ذكرتني أواخر الصبا وأوائل الشباب وعهدا غفل عنا الزمان فيه فنعمنا بالإخاء المحض والصفاء الخالص ! ومن الذي ينسى أيها الأخ الكريم ربيعه وهو في الخريف ، وشروقه وهو في الغروب ؟ لقد ابتدأنا في الرواق العباسي ومعنا الشباب والأمل ومحمود ، ثم انتهينا إلى مجمع فؤاد ومعنا الشيخوخة والذكرى ولا شيء !

احمد حسن الزيات

علي محمود طه

شاعر الأداء النفسي

للأستاذ أنور المعداوي

— ٤ —

الإنسان صانع الأمل ، ينحت تمثاله من قلبه ومن روحه ، ولا يزال عاكفا عليه يبدع في تصويره وصقله متخيلا فيه الحياة ومرحها وجمالها ، ولكن الزمن يمضي ولا يزال تمثاله طينا جامدا وحجرا أصم ، حتى تخمد وقدة الشباب في دم الصانع الطامح وتشعره السنون بالعجز والضعف فيفزع إلى معبد أحلامه هاتفا بتمثاله ! ولكن التمثال لا يتحرك ، ولكن الحلم الجميل لا يتحقق ، وهكذا تجتاح الليالي ذلك المعبد وتعصف بالتمثال فيهوي حطاما ، وهنا يصرخ اليأس الانساني ويمضي القدر في عمله !

بهذه المقدمة النثرية المحلقة في الصفحة الثانية والثمانين من « ليالي الملاح التائه » يبدأ الشاعر قصيدة « التمثال » أو قصة الأمل الانساني في فصولها الأربعة ... وأقدم إليك اليوم هذه القصيدة ، أو هذه الصورة النفسية الثالثة :

أقبل الليل واتخذت طريقي   لك والنجم مؤنسي ورفيقي

وتوارى النهار خلف ستار   شفقي من الغمام رقيق

مد طير المساء فيه جناحا   كشراع في لجة من عقيق

هو مثلي ، حيران يضرب في الليل ويجتاز كل واد سحيق

عاد من رحلة الحياة كما عد   ت وكل لوكره في طريق !!

أيهذا التمثال هأنذا جئت لألقاك في السكون العميق

حاملا من غرائب البر والبحر ومن كل محدث وعريق

ذاك صيدي الذي أعود به ليلا وأمضي إليه عند الشروق

جئت ألقي به على قدميك الآ   ن في لهفة الغريب المشوق

عاقدا منه حول رأسك تاجا   ووشاحا لقدك المشوق

* * *

صورة أنت من بدائع شتى   ومثال من كل فن رشيق

بيدي هذه جبلتك من قلبي   ومن رونق الشباب الأنيق

كلما شمت بارقا من جمال   طرت في اثره أشق طريقي

شهد النجم كم أخذت من الروعة عنه ؛ ومن صفاء البريق

شهد الطير كم سكبت أغانيه على مسمعيك سكب الرحيق

شهد الكرم كم عصرت جناه   وملأت الكؤوس من ابريقي

شهد البر ما تركت من الغار على معطف الربيع الوريق

شهد البحر لم أدع فيه من در   جدير بمفرقيك خليق

ولقد حير الطبيعة إسرا   ني لها كل ليلة وطروقي

واقتحامي الضحى عليها كراع   أسيوي أو صائد أفريقي

أو إله مجنح يتراءى   في أساطير شاعر إغريقي

قلت لا تعجبي فما أنا إلا   شبح لج في الخفاء الوثيق

أنا يا أم صانع الأمل الضا   حك في صورة الغد المرموق

صغته صوغ خالق يعشق الفن ويسمو لكل معنى دقيق

وتنظرته حياة ، فأعياني   دبيب الحياة في مخلوق !!

كل يوم أقول : في الغد لكن   لست ألقاه في غد بالمفيق

ضاع عمري وما بلغت طريقي   وشكا القلب من عذاب وضيق

* * *

معبدي معبدي دجا الليل إلا   رعشة الضوء في السراج الخفوق

زأرت حولك العواصف لما   قهقه الرعد لالتماع البريق البروق

لطمت في الدجى نوافذك الصم   ودقت بكل سيل دفوق

يا لتمثالي الجميل ، احتواه   سارب الماء كالشهيد الغريق

لم أعد ذلك القوي فأحميه   من الويل والبلاء المحيق

ليلتي ؛ ليلتي جنيت من الآ   ثام حتى حملت ما لم تطيقي

فاطربي واشربي صبابة كاس   خمرها سال من صميم عروقي !

* * *

مر نور الضحى على آدمي   مطرق في اختلاجة المصعوق

في يديه حطامة الأمل الذا   هب في ميعة الصبا المرموق

واجما أطبق الأسى شفتيه   غير صوت عبر الحياة طليق

صاح بالشمس : لا يرعك عذابي   فاسكبي النار في دمي وأريقي

نارك المشتهاة أندى على القلب وأحنى من الفؤاد الشفيق

فخذي الجسم حفنة من رماد   وخذي الروح شعلة من حريق

جن قلبي فما يرى دمه القا   ني على خنجر القضاء الرقيق

فى القصيدة الشعرية ، وفى اللوحة التصويرية ، وفى القطعة الموسيقية ، وفى كل عمل يمت إلى الفن بسبب من الأسباب ، يحسن بالفنان ، بل يجب عليه ،أن يكون له هدف ... هذا الهدف لا بد له من تصميم ،ولا بد له من خط سير ،ولا بد له من خطوات تتبع خط السير وتعمل فى حدود التصميم . ذلك لأن الفن فى كل صورة من صوره يجب أن يعتمد أول ما يعتمد على تلك الملكة التى نسميها « ملكة التنظيم » ، وكل فن يخلو من عمل هذه الملكة التى تربط بين الظواهر ، وتوفق بين الخواطر ، وتنسق المشاهد ذلك التنسيق الذى يضع كل شىء فى مكانه ، كل فن يخلو من هذه الملكة لا يعد فنا ، بل هو فوضى فكرية أساسها وجدان مضطرب ، وذهن مهوش ، ومقاييس معقدة أو مزلزلة . وأبلغ دليل على تلك الفوضى الفكرية فى بعض ما نشاهده من آثار تنسب ظلما إلى الفن ، هو تلك الحركة السريالية التى هبطت إلى ميدان الشعر كما هبطت إلى غيره من الميادين فعبثت بكل الأنظمة والمقاييس التى تطبع الفن بطابع التسلسل والوضوح والدقة والوحدة والنظام ... مثل هذه الحركة فى الفن ليس لها هدف ولا تصميم ولا خط سير ، وإنما هى أخلاط من الصور وأشتات من الأحاسيس لا يربط بينها رابط ولا تحدها حدود ، وشبيه بتلك الحركة فى جنايتها على معايير الذوق وموازين الجمال كل حركة أخرى تمضى بالفن إلى غير غاية ، هناك حيث تفتقر بعض الأذهان إلى تلك الملكة التنظيمية التى تلائم بين الجزئيات وتوائم بين الكليات ، وتفصل ثوب التخيل على جسم الفكرة بحيث لا ينقص منه طرف من الأطراف ولا يزيد .

نريد من الفنان سواء كان شاعرا أو مصورا أو موسيقيا أن يخلق نموذجه الفنى على هدى تصميم يرسم أصوله وقواعده قبل أن يبدأ عمله وقبل أن يمضى فيه وقبل أن ينتهى منه ... نريد أن يكون بين يديه هذا التصميم الذى يأمره بالوقوف عند هذا المشهد وبالتقاط الصورة من هذه الزاوية ، وبتركيز الانفعال فى هذا الموطن من مواطن الإثارة . عندئذ نوجد نظاما ، وإذا ما أوجدنا النظام فقد خلقنا الجمال ، وإذا ما خلقنا الجمال فقد أقمنا بناء الفن . هذا التصميم الذى ندعو إليه ينظم هيكله العام أصول الأداء النفسى فى الشعر والتصوير والموسيقى . هناك حيث تتوقف قيمة الفنان على مدى خبرته بتلون الألفاظ والأجواء فى الميدان الأول ، وتوزيع الظلال والأضواء فى الميدان الثانى ، وتوجيه الانغام والأصوات فى الميدان الاخير . ولا بد للاداء النفسى فى الشعر من هذا « التصميم الداخلى » ، لا بد من جمع أدوات العمل الفنى وترتيبها فى ذلك المستودع العميق ، مستودع النفس ، قبل أن ندفع بها إلى حيز الوجود كائنا حيا مكتمل الخلقة متناسق الاعضاء إننا ننكر ذلك الشعر الذى تكون فيه القصيدة أشبه بتيه تنطمس فيه معالم الطرق وتنمحى الجهات ، أو أشبه بمولود خرج إلى الحياة قبل موعده فخرج وهو ناقص النمو مشوه القسمات .

هذه كلمة نمهد بها لتلك القصيدة التى يعرض فيها الشاعر قصة الامل الإنسانى كما تعرفها الايام فى دنيا الأحياء ، وإنها لتمثل خير تمثيل ذلك التصميم الداخلى الذى ندعو إليه ، أو ذلك التصميم النفسى الذى يقود الإخراج الفنى تلك القيادة التى يندر أن يفلت فيها الزمام ...

فى المقطوعة الاولى التى تنتظم عشرة أبيات من الشعر ، يقدم الشاعر أول فصل من فصول القصة . إنه فى طريقه إلى التمثال ، تمثال الأمل الذى نحته من قلبه وروحه ، إنه يريد أن ينفرد به ليناجيه ، وفى الليل حين تنام الكائنات ... تستيقظ الذكريات ! ليس النهار بالوقت الذى تطيب فيه المناجاة . إن المناجاة تنفر من الضوء وتستنكر الضوضاء ، لان مهدها الظلام الشامل ولأن موطنها السكون العميق ... من يفطن إلى هذا المعنى ، إنه شاعر الأداء النفسى ، إنه على طه ! لو كان من شعراء الأداء اللفظى لخاطب التمثال من مذياع اللفظ لا مذياع النفس ، حيث لا يفرق المذياع الاول بين الوقت المناسب وغير المناسب لفنون الخطاب ... مذياع النفس حين تنطلق الدفقة الصوتية فى وقتها المعلوم ، ومنظار النفس حين تشق الرؤية الشعرية طريقها ولو كان بين الغيوم :

مد طير المساء فيه جناحا كشراع فى لجة من عقيق

ليست الالفاظ فى مثل هذه الصورة مما يقذف به قذفا لتستقر فى أى موضع يقدر لها أن تستقر فيه ، ولكنها مفاتيح ، مفاتيح « غرف نفسية » يتصل بعضها ببعض حيث تشف الجدران فلا حاجة بك إلى معالجة الأبواب ... ان « الستار الشفقى » غرفة و « طير المساء ذا الجناح الممدود » غرفة أخرى ، و « الشراع

الذى فى لجة من عقيق » غرفة ثالثة ، وأداة الانصال بين هـذه الغرف الثلاث هى وحدة اللون بين الستار واللجة ، ووحدة الشبه بين الجناح والشراع ، ووحدة اللمسة الفنية فى البيت الرابع الذى يمد المر الطبيعى المفضى الى « البهو » الـكبير .. وأين هو البهو الـكبير الذى ينتهى إليه السالـكون بعد طوافهم بالغرف الثلاث؟ هو فى تلك اللمحة النفسية المعبر عنها فى البيت الخامس بكلمة واحدة ، هى ذلك « الوكر » الذى يفـزع إليه كل طائر أجهدته رحلة الحياة :

عاد من رحلة الحياة كما عد ت، وكل لوكره فى طريق

وفى المقطوعة الثانية ينثر الشـاعر بين يدى القارىء مجموعة هداياه ، وهى المجموعة التى نثرها يوما تحت قدمى تمثاله عسى أن يتحرك ، ولـكن الحلم الجميل لم يتحقق! انها مجموعة من الغرائب حوت كل محدث وعريق ، مجموعة أحلام وأوهام لم تبعث فى التمثال ما كان ينشده الشاعر من حياة ، ولـكنها بعثت فى الشـعر كل ما ينشده الاداء النفسى من لمات ... لقد أخذ من النجم ، وأخذ من الطير ، وأخذ من الـكرم ، وأخذ من البر ، وأخذ من البحر ، واستعار من حلى الطبيعة ما زين به الرأس والمفرقين والقوام . وهنا تبدو دقة التصميم الداخلى بالنسبة الى الوحدة الجزئية موزعة على الأبيات ، أما الوحدة الـكلية الموزعة على الهيكل العام للقصـيدة فهى فى التقاء المعانى الشعرية المتداخلة على مدار المقطوعات الأربع ولا تنس هذا الاداء النفسى فى قوله : « ذاك صيدى » و جبلتك من قلبى» و « سكبت أغانيه » و «ممطف الربيع الوريق » . إن الأداء النفسى فى أختيار الألفاظ ينكر الصنعة ويضيق بالارتجال !

وكما يرسل المصباح شعاعا من هنا وشعاعا من هناك لتلتقى هذه الأشعة وتتجمع فى « بؤرة » بعينها تتركز فيها الطاقة الضوئية يرسل شاعر الأداء النفسى معانيه من شتى الجوانب والجهـات لتلتقى هذه المعانى وتتجمع فى « صورة » بعينها تتركز فيها الطاقة الشعورية . وكذلك تجد على طه ... فبعد أن عدد تلك الجولات المرهقة فى رحلة الحياة ، وبعد أن طاف بكل مجلى من مجالى الطبيعة، وبعد أن حلق بأحلام الشباب وأمانيه فى كل أفق ؛ بعد أن سجل كل تلك المعانى النفسية المتفرقة ، عاد ليؤلف بينها وليخرج منها « الصورة الـكبرى » التى تعرف موضعها من الإطار والجدار :

قلت لا تعجبى فما أنا إلا شبح لج فى الخفـاء الوثيق

أنا يا أم صانع الأمل الضا حك فى صورة الغد المرموق!

وما تلك الأم التى يخاطبها الشاعر فى هذا المجال ؟ إنها الطبيعة... الطبيعة التى « حيرهـا إسراؤه » فى ليـالى الشوق والهيام ، و «اقتحامه عليها الضحى» اقتحام الرعاة والصائدين ، أو اقتحام تلك الآلهة المجنحة فى أساطير الأولين !

وأعود بالذاكرة الى شاعر آخر يتفق مع شاعرنا فى هذا الفناء المطلق فى هوى الطبيعة ، الفناء الذى يربط بينها وبينه بتلك الخيوط الوجدانية التى تربط بين وفاء البنوة وحنان الأمومة . إنه الشاعر الانجليزى « بيرن » فى « تشايلد هارولد » ... لقد عشق كلاهما الطبيعة ، وهام بها كما يهيم « الإبن » البـار بخير « أم » تسقيه من ثديها رحيق الحياة ! وها هو ذا « بيرن » يشير الى هذا المعنى الـكبير عندما يقول : «إن الطبيعة الحبيبة رغم اختلاف صورها ما زالت خير أم ، فدعنى أنهل عن قلبها العارى كل فكرة ملهمة، أنا أبر أطفالها بها وإن لم أكن الى قلبها أحب البنين » !

لقد سجدت أفكار الشاعرين فى محراب واحد ، والتقت منهما الخواطر فى صـلاة واحدة ، وهتفا فى صوت واحد مولين وجهيهما شطر الطبيعة : أماه ... وكلاهما صادق فى حبه مخلص فى هواه ! وفى ميدان هذا الحب المتغلغل بين الجوانح يتفقـان ، ولـكنهما فى ميدان التعبير عنه والإشادة به يفترقان ، تبعا لما بين « الصدق الفنى » « والصدق الشعورى » من فروق ، وسنعود الى توضيح تلك الفروق فى فصل مقبل من فصول هذه الدراسة النفسية . . . وسترى أن الطبيعة فى شعر على طه لم تكن خير أم فحسب ، ولـكنها كانت أيضا خير أستاذ ، وحسبك أن تستمع إليه فى الصفحة الأربعين بعد المائتين من « الملاح التائه » حيث يقول :

وأنا الشاعر الذى افتن بالحسن وأذكت يد الحياة افتتـانه

معهدى هذه المروج وأستاذى ربيع الطبيعـة الفينـانه !

ونترك جو الطبيعة الأم الى جو آخر ؛ جو الأمل اليائس حين يعود اليه الشاعر من جديد ليطلق صرخته الخالدة ، صرخة الفنان الخالق ينظر الى صنع خياله فتصدمه الحقيقة البشعة ، حين تنهـار صروح الوهم الجميل تحت ضربات القدر أو تحت معاول الرياح .. وستلمس أن الروافد الشعرية ما زالت تتصل بالنهر الأول

وتسير فى نفس الاتجاه محاذية لمجراه ، وسمها إن شئت ذلك الامتداد الأخير لخط الاتجاه النفسى فى الصورة الرئيسية ؛ تلك التى تتشابك فى داخلها بقية الخطوط الأخرى لتمضى بعد ذلك مجتمعة فى خط واحد كبير :

صفته صوغ خالق يمشق الفن ويسمو لكل معنى دقيق
وتنظرته حيـاة ، فأعيـانى دبيب الحيـاة فى مخـلوق !!

ولقد طالت المقطوعة الثانية حتى بلغت سبعة عشر بيتـا من الشعر . إنها أطول المقطوعات وأحفلها بتنوع السبحات والرؤى والأطياف ... ولو رحت تتقصى أثر التصميم الداخلى فى بناء العمل الفنى لانتهيت الى أن هذه المقطوعة يجب أن تطول ؛ ذلك لأنها بمكان القلب الذى ينظم حركات النبض فى مختلف الشرايين الشعرية فى المقطوعات الثلاث !

ولا تنتظم المقطوعة الثالثة من الشعر غير سبعة أبيات ، لأن النفس الانسانية تمر هنا بلحظة من لحظات الهزيمة التى تترك فى أعماقها ذلك الخور المتخلف عن آثار اليأس والقنوط ، وفى غمرة هذا الشعور المظلم لايتسع المجال لغير الزفرة المحرقة التى تغنى فيهـا فورة العواطف عن وفرة الصور وتعدد اللمحات ... ولعلك تحس لفح هذه الزفرة فى تهدج النفس الشعرى عندما يهتف الشاعر فى البيت الأول من هذه المقطوعه :

معبدى ! معبدى ! دجا الليل إلا
رعشـة الضوء فى السراج الخفوق

أو فى ذلك البيت الذى يمهد به لمـا يليه :

ليلتى ! ليلتى جنيت من الآ
ثام حتى حملت ما لم تطيـق !

ومرة أخرى تهزك العلاقة النفسية بين الألفاظ فى البيت الثانى والثالث والرابع من هذه المقطوعة :لقد « زأرت العواصف » و« قهقه الرعد » و « والتمع البرق » و « تدفق السـيل » و« احتوى التمثال الجميل سارب الماء » ...

ومن وراء هذا كله يقف الأداء النفسى على قدميه ليثب وثبته الأخيرة حين يصف التمثال « بالشهيد الغريق » !!

وتتفق المقطوعة الأخيرة مع المقطوعة السابقة اتفاق قيم ومقاييس ، ولكنها تصور ختام المعركة بين الوهم والحقيقة أو بين الخيال والواقع . وويح أبناء الخيال من كل معركة تنشب داخل النفس ويكتوى

بنارها القلب ويمتلىء بغبارها المين ، وتنجلى حين تنجلى عن صرعى ظنون وعن شـهداء آمال ! شهداء « يمر عليهم نور الضحى » فلا يمر إلا على كل آدمى مصموق » « أطبق الأمى شفتيه » إلا من أنات ... تنطلق « عبر الحياة » لتصيح بالشمس فى لهفة الضارع المستجير :

نارك المشتهاة أندى على القلب وأحنى من الفؤاد الشفيق الشفيق
نحـذى الجسم حفنة من رماد وخذى الروح شعلة من حريق

(يتبع) **أنور المعداوى**

بودلير وفن الشعر

للاستاذ عبد الفتاح الديدى

يرتكن الأساس الوضعى للنقد الأدبى عند كتاب الغرب إلى أمرين : نظرية فى الجمال ونظرية فى الخيال . فهاتان النظريتان بمثابة العمود الفقرى عند الغربيين فى كل نقد أدبى ، ويكونان المحور الأصلى الذى تدور حوله الأقوال وتنبعث منه الأحكام . وبتوالى الأيام نشأت فى نفوسنا عادة البدء بالسؤال عن هذين الجانبين عند الاطلاع على مؤلف فى الأصول النقدية أوعند الوقوف على استعراض أدبى لمذاهب . وإذا كنت أحاول التقديم بهذه الملاحظة فلأننى أحب أن أوجه أنظار النقاد فى مصر إلى أن عملهم لن يكون ذا قيمة أو اعتبار ما دام منحصرا فى تلك الدائرة المقفلة دائرة التعليق الخالص .

فهكذا عودنا نقاد الغرب واستطعنا بذلك أن ندرك الأغوار البعيدة التى تسند كلامهم الظاهر وتمهد أفكارهم الجادية . فإذا ما ساق إليك أحدهم حكما فى إحدى مشكلات الفن ، قدم له تحليلا وافرا عن النظرية الفلسفية التى يبنى عليها آراءه ، والبحث النفسى الذى يعتمد عليه فى تفسير مايبديه من الاعتراضات والتوضيحات . فلا يخلو — والأمر كذلك — بحث نقدى من فكرة فى الجمال وفكرة فى الخيال .

أما فـكرة الجمال فمن شأنها أن تربط بين مفهوم الذوق عند الفنان وبين مفهومه عند عامة الناس . إلى جانب أنها تحدد البعد الذى يستند إليه الناقد فى تحديد القيمة الأدبية من جانب الشكل

والتنغم . وبذلك تصبح فكرة الجمال موضع الاتفاق الشعورى بين الناس ، وملتقى الاحساسات الغامضة فى الاستحسان والاستهجان. ثم نلاحظ شيئا آخر وهو أن نظرية الجمال عند الناقد تبرر مسلكه فى الاعتراض ، وتؤيد مذهبه فى المآخذ التى يبديها عند مراجعة الأعمال الأدبية . فأول ما يخطر على ذهن القارىء عندما يقرأ مقالا فى النقد الأدبى هو التساؤل عن السبب الذى يجعلك فى موقف بالذات ولا تكون فى سواه ، أو الدافع الذى يحملك على إعلان رأيك خاليا من المسوغات أو المبررات . فالفكرة الجمالية عند الناقد من هذه الناحية تغنيه — فى الوقت نفسه — عن الشرح والتعليل فى كل لحظة من اللحظات التى تمر به وهو بصدد التفنيد والمؤاخذة والوزن .

أما فكرة الخيال فتنفذ إلى أعماق النفس البشرية كما تفسر لنا شيئين على جانب عظيم من الأهمية بالنسبة إلى العمل الأدبى . أما الشىء الأول فهو الكشف عن مقومات العمل الأدبى كما هى مطبوعة فى نفسية الفنان المبدع ، والإعلان عن قيمة الخلق الفنى بطريقة من الطرق الخاصة التى انفردت بها مدرسة وتحدد بها اتجاه . كذلك يعين التفسير السيكاوجى للخيال الفنى المبدع على تقييد الأديب بطريقة معينة فى التعبير عن الأزمات التى تمر به والأهواء التى تنتابه . فالفنان محصور — فى هذا النطاق الضيق الذى يهيئه خياله — بآفاق ومدارك خاصة . وعلاوة على هذا نستطيع أن نجد فى غضون كلامنا عن الخيال ما يبرز لنا ملامح التصور الذهنى فى العقلية المبدعة ، وما يرينا تلك الصلة التى تربط بين خيال الفنان وبين عناصر الطبيعة الخارجية من ناحية التكوين والملاحظة والالتفات .

وعلى الرغم من أننا لا نستطيع أن نرتفع بالاتجاه النقدى عند بودلير إلى حد الحكم على عمله بأنه مذهب متكامل ، يمكننا — مع ذلك — أن نجد لديه أساسين من الجمال والخيال اللذين يكفيان لدعم أقواله . فمن ناحية الجمال نشاهد عنده تفصيلا دقيقا لبعض الأمور التى تكون شبكة مترابطة ، وتقيم بنيانا متماسكا إلى حد بعيد. فهو أولا يخص الجمال بصفة تعبر عن شخصيته أجل تعبير ، وتوضح طابعه الروحى فى الإعداد الشعرى والتقويم النقدى سواء بسواء . إذ يقول إن الجمال لا يمكن أن يكون مطلقا وأبديا ، ويلزمه الارتباط بالحياة اليومية والأشياء العامة حتى يتمثل ويصير حقيقة من الحقائق . فالجمال الخالص أسطورة من الأساطير لا يعرفها العمل الأدبى إلا إذا كانت متعلقة بالجزئيات الحاصلة فى مجرى أمورنا المادية .

وبذلك ينتهى الجمال إلى أن يكون عملا نسبيا فى كل الأحوال ما دام الاختلاف قائما فى نماذج من الحياة تتأثر بالزمان والمكان . وفى رأى بودلير أن هؤلاء الشعراء الذين يطلبون الجمال المطلق ، وينشدون البدعة الخالدة ليسوا إلا شيمة من المفتونين . فكل زمن وكل جماعة — كما يقول — لها تعبيرها الخاص عن الجمال فى نظرها . ولا بد للشاعر من أن يسعى حثيثا كيما يحقق مثلا للجمال فى نفسه يلائم أوضاع العصر ويساير ركب الزمن ويفى بما للبيئة عليه من الآثار والأفضال .

ومن أهم خصائص الجمال فى العمل الأدبى لديه أن يلفت النظر ويثير الدهشة بأى شكل من الأشكال . فلا بد من تحقيق هذه اللفتة وتلك الدهشة بأن يعمد الأديب إلى القواعد النقدية والأصول المدرسية فيخرج عليها ، وأن يفارق سنة الاتباع الحرفى لأحكام الرقباء مهما كانوا . ويقول إنه من أجل المحافظة على الفرحة التى تثيرها الدهشة فى النفس ، والإبقاء على النشوة التى تحدثها الجدة والغرابة فى الوجدان ، ينبغى أن يظل الكاتب حريصا على التنويع والابتكار فى النماذج المروضة والأحاسيس المجتلاة . ذلك لأنه إذا ضاع التنوع فى أعمال الأديب اختلطت النماذج واعتجنت الوحدات وصارت على هيئة رتيبة خالية من الشخصية والحياة ، شبيهة بالانقفال والعدم . ويؤكد بودلير دائما هذه الحقيقة : وهى أن الجميل دائما خارق للعادة وخارج على المألوف وغير موافق لما أتى به الغير فى نفس المجال .

أما نظريته فى الخيال فهى وثيقة الارتباط بمنحاه الشعرى وشديدة الالتصاق بروحه فى الفن والتأليف . فبودلير واحد من أولئك الحالمين الذين نشدوا اللذة فى استقصاء المجهول ، وبحثوا عن المتعة بعيدا عن الحياة الواقعية الكالحة . فأبمدشىء عن فهم بودلير هو القول بالرسالة الاجتماعية أو الأخلاقية التى يؤديها فن من الفنون والشعر خاصة . وذلك طبيعى ولازم جدا ما دمنا نجد فى الانفعال الشعرى فسحة من أجل الانطلاق إلى حيث تستطيع النفس أن ترضى

شهوتها فى البزوغ ،وتبعا لما نصادفه أمام وهج الإحساس الفنى من اللفحات التى تهبنا كل عوامل الشرود والانبثاق. فى مقابل الطبيعة التى يلمس بشاعتها، والواقع الماثل الذى يحس بقبحه ودمامته ، يضع بودلير عالم الخيال . وهناك يفضل بودلير مظاهر التشويه والمرض على مظاهر الصحة والانسجام ، ويضع نتاج الوهم فى مرتبة من التقدير والاهتمام أعلى من مرتبة الحقائق الواردة من عالم الحياة .

فالخيال بالنسبة إلى الفنان يعلو على أية موهبة أخرى ويفوق كل ملكات الدماغ . وإذا كان هناك ما يؤيد هذا القول فاننا نكتفى بأن نعرف معرفة أكيدة أن عالم الفنان من خلقه ، وأن الدنيا عنده وليدة وهمه وتصوره ، حتى نقدر ما لهذه الوظيفة العقلية من أهمية بالغة . فالعالم الظاهرى الموجود عبارة عن المجال الذى ينشط فيه الفنان كيما ينتقى آلاته وأدواته ، ويختار النماذج والصور اللازمة بالنسبة إليه . ولا يتم ذلك إلا على نحو معين هو الذى يكشف عن مقومات الشخصية التى تقوم بالانتقاء ، والذاتية التى تستتر وراء عملية الاختيار . فالمجال الحيوى لنفسية الفنان هو الأشياء الخارجية .

ولا ترجع أهمية الخيال عند بودلير إلى هذا فحسب ، وإنما ترجع أيضا إلى اعتقاد بودلير فى نوع من الواقعية الداخلية أو من الانطواء الذاتى . وإذا صح ذلك لعب الخيال دورا كبيرا فى أعمال الفنان تبعا للارتباط الحاصل فيما بين التكييف الداخلى ووسائل النقل ؛ أعنى فيما بين القدرة على التهيئة والاعداد وبين الحواس المختلفة . فالهدف الذى يسعى الفن إلى تحقيقه ذاتى إلى أقصى درجة ، والمرمى الذى يبغى النفاذ إليه فردى بحكم الضرورة ، ولا يكاد الفنان خاصة من بين كل الناس يفارق نفسه . فالفنان يمتاز أولا وقبل كل شىء بأنه صاحب خيال أو متخيل ، يقبس النار من روحه ليضىء بها الأشياء ، ويعكس الشاعر على باطنه لتعود فتنير الحياة . فالخيال الخصب عند الفنان هو الذى يوحى إليه بترجمة المظاهر الطبيعية فى صورة أشعار منظومة وترانيم حية ، وفعل الخيال إنما يظهر حقيقة فى عملية الاختيار بين الأشياء التى يتجاوب معها ، والأحداث التى ينفعل لها ، والمظاهر التى يتأثر بها .

وبناء على هذه الأنظار المتتالية فى الخيال والجمال ، آمن بودلير بضرورة الفصل بين المهمة التى يقوم بها الشعر والمهمات الأخرى التى تقوم بها علوم الأخلاق والفلسفة . فالشعر لا يعرف شيئاً عن هذه الخدمات التى يزعم بعض أصحاب المدارس الفنية أنها تقوم على يديه وتتأدى به وتخلص عن طريقه . وإذا أخذنا الشعر على أنه أداة اجتماعية لرفع المستوى العام فى الأخلاق أو ترقية النحو الشائع فى التفكير ، فقد كل ما له من صبغة الذاتية ، وصار محكوما عليه بالموت بين أكفان التقليد الزائف ، وعلى صحائف الخطابة الجوفاء . وهذا الحكم مبنى فى نظر بودلير على أساس أن الفن ينقص قدره حينما يخضع لما تمليه عليه الطبيعة الخارجية وعند ما ينحنى بازاء مشاهد الحياة .

فالدور الذى يقوم به الفنان لا يعتمد على النقل والتقليد وإنما يعتمد على معارضة الأشياء الموجودة وإنكارها إنكاراً يتمثل فى إقحام الذات عند الكتابة النثرية أو الشعرية كلما أمكن . فأول عمل من أعمال الفنان هو إسقاط الطبيعة فى الخارج وإحلال النفس الانسانية محلها . وإذا أمكن هذا أصبح من المسير أن تخضع الشعر للقيود البرانية ، وخرجت عن نطاق العمل الأدبى كل محاولة من قبيل الاصلاح والارشاد والتعليم . وعلى هذا النحو يكون للشعر غرض واحد ؛ وهذا الغرض الواحد هو نفسه . وفى صورته العليا أو على نحوه الأمثل تغيب عن الشعر كل نزعة سياسية وتختفى مظاهر البحث الفلسفى حتى يبقى فى النهاية جوهرة الفردى العميق .

وإذا نظرنا فى هذه الآراء التى سردها بودلير والتى آمن بها إلى آخر حياته ، وجدناها لا تخلو من اتجاه موحد أو من نظرية مستقلة . وعلى الرغم مما قد نجده فى شعره من توزع بين كثير من المذاهب الشعرية ومن تأثر بما شاع وقتئذ من المدارس لا نكاد نعثر فى نقده على خطوط غير أصيلة أو على سمات طفيلية . ويستطيع النقاد بعد تحليل بسيط أن يوقفوك على عناصر رومانتيكية أو على عناصر برناسية فى شعر بودلير ؛ أما فى موقفه النقدى فلا يمكنهم إلا أن يقروا بشخصيته الناقدة التى تقف فى الناحية المقابلة للرومانتيكية والتى تسخر من البارناسية وتواجه المذهب الواقعى بدون أى تراجع أو انثناء عن نزعته الفردية الواضحة وعن إيمانه الفنى الخاص به دون سواه .

ومما يلاحظ فى النهاية أنه لا يستطيع واحد من الناس اتباع ما جاء فى كلام بودلير من الأفكار وما تخلل عباراته من الآراء النقدية . وذلك لأن بودلير لم يعمل على إتمام حلقات مفقودة كثيرة فى طيات مذهبه ، ولم يكن من المثابرة والانكباب بحيث يمكنه أن يأخذ شيئاً من الأشياء مأخذا جديا وأن ينظر إلى الحياة نظرة فيها عناية أو غيرة أو اهتمام . والعيب الأصيل الذى يتمثل فى غياب عنصر الحيوية من النقد البودليرى إنما يأتى عن هذه الروح الذاتية المفرطة التى امتاز بها الرجل طيلة أيامه على الأرض . كان فرديا زيادة عما يلزم بالنسبة إلى ناقد يريد الخير للأدب وينشد الرفعة للفن الذى يعمل كاهنا فى محرابه . وكان يشعر بالعبث والتفاهة فى شئون الحياة على نحو أفقده كل اعتبار للتقدم وكل تقدير للارتقاء الذى تصيبه الأعمال المادية .

وإذا ذهبنا إلى حد القول بأن بودلير لم يكن قادراً على تركيز مجهوداته فى عمل من الأعمال أو بذل عنايته فى باب من الأبواب فليس معنى ذلك أنه كان قليل الأهمية فى تاريخ النقد ؛ لأن مذهبه النقدى لا يخلو من نفحة عبقرية استندت إلى فلسفة فى التحليل وجمال فى التفصيل وقوة من الأداء . ويقول (رينيه لا لو) تأييدا لكلامنا هذا فى كتابه عن مراحل الشعر الفرنسى (ص ٨٦) إن مقالتيه عن الفن الرومانتيكى والتشوفات الجمالية تثبتان ضلاعة مواهبه النقدية . وأغلب ظنى أنه استفاد كثيرا من التوجيهات التى كان يصدرها فى تعليقاته عن الفنون الأخرى كالموسيقى والرسم ولكن الذى لا شك فيه أنه قد استفاد كثيراً من الاتجاه الذى سار فيه سان بيف والخطوات التى مشى فى إثرها . إن الاثنين — بودلير وسان بيف — هما الناقدان المهمان فى الحركة الرومانتيكية إذا نظرنا إليهما محصورة فى النطاق الفرنسى .

وأهم ما يمكن أن يعزى إلى بودلير فى حركته النقدية هو أنه فتح الباب أمام الرمزية الصحيحة كيما تتقدم وكيما تأخذ مكانها المرموق بين المذاهب . فليس فن بودلير فى النظم وحده هو الذى يضم جرثومة الرمزية وإنما يأتى فى غضون كلامه النظرى عن الفن الخالص ما يمكن أن ينظر إليه المؤرخ على أنه إرهاصات خالية من الزيف ، وتباشير ممتلئة بالحياة ، ودلائل قاطعة على الأسبقية والبدء

وإذ نمعن هاهنا بتوكيد هذه الحقيقة فلاننا نؤمن إيمانا قويا بأن كل حركة نقدية لا تلتفت هذه اللفتة ولا تبذل بعض عنايتها فى هذا الجانب ستفقد غير قليل من أهميتها . السبب بسيط وهو أن الأدب الخالص لا يكون إلا رمزيا للغاية ، ولا يستطيع إلا أن ينصرف هذا المنصرف للتفرقة بين بعضه كفن وبين بعضه الآخر كعلم . وأول بيان كامل عن الرمزية هو ذلك الذى كتبه موريا فى الملحق الأدبى للفيجارو بتاريخ ١٨ سبتمبر عام ١٨٨٦ حيث جاء فيه أن هذا المذهب إنما يهتدى بآثار بودلير ومالارميه وفرولين من ناحية الفن الخالص يذكر الرمزيون قصيدة بودلير عن « المجاوبات » عادة كنمط فريد للشعر الرمزى وهذه ترجمتها :

إن الطبيعة معبد أركانه أحياء ،
يدعون ألسنتهم أحيانا فتنطق بالكلمات المبهمة .
ويجوس الإنسان بين غابات الرموز ،
فيرمقها بنظرات أليفة .
ومثلما تختلط أرجاع الصوت من بعيد ،
فى وحدة مظلمة عميقة ،
رحبة مثل الليل ومثل الضوء ،
تتشابه الروائح والألوان والأصوات ،
والمعبد ملآن بالروائح الزكية كلحم الأطفال ،
الحلوة كأنغام المزمار
الخضراء كلون المراعى
وملآن بأشياء أخرى مرتشاة وغنية ومنتصرة
وله اتساع الأشياء اللانهائية ،
بفضل العنبر والمسك واللبان والبخور ،
الذى يذكى هيمان الروح والحواس ،

أما من ناحية العمل النقدى فيذكرون أنه هاجم الشعر بنزعاته الفكرية والإصلاحية وأسبغ عليه من لدنه روح الغموض وأدخل فيه موجة التحليق . ثم إنه قد عمل على تخليص الشعر من العقبات التى عاقته عن التقدم وحرمته الحياة فترة طويلة من الزمن . وإذا كان الكثيرون من النقاد قد اكتفوا بأنهم نقاد فبودلير قد أعطانا النموذج قبل أن يعطينا الفكرة ويبين لنا تفصيلا وإجمالا .. أعنى نظريا وواقعيا معا ، فأصبح يعد بحق من بين أكبر من أثر فى الشعر والنقد الحديثين وأخطر من رسم عليهما خطوطا بارزة ستبقى إلى الأبد محتفظة باسمه وطابعه .

عبد الفتاح الديدى

الشعر المصري في مائة عام

١٨٥٠ — ١٩٥٠

الدور الأول

١٨٥٠ — ١٨٨٢

٣

١ — معانيه

ذكرنا أن المدح قد احتل الجزء الأكبر من دواوين الشعراء فى ذلك العصر . ولم يكن فى هذا المدح معنى مبتكر ، ولا خاطر جديد ، ولا فكرة مخترعة ، ولا تشبيه محدث . بل ردد الشعراء المعانى القديمة التى سبقهم إليها الأقدمون . ولم يحسنوا أداء هذه المعانى كما أحسن السابقون . فتراهم إذا مدحوا ملكا شبهوه فى العدل بكسرى ، وذكروا عجز قيصر عن البلوغ إلى مرتبة الممدوح . فالساعاتى يقول :

رفع القواعد من دعائم دولة
عزت به فنظيرها لاينظر

قد طاولت بالعدل كسرى واعتلت
شرفا وقصر عن مداها قيصر

وصالح مجدى يقول فى سعيد :

عدل كسرى وإن سما لايساوى
عشر معشار عدل هذا العميد

قيصر الروم عزمه فى قصور
عند صدر مؤيد وسعيد

فهؤلاء الشعراء كما ترى مفلسون من المعانى لايجدون أمامهم غير كسرى وقيصر . وإذا مدحوا الحاكم بالجود والكرم قالوا : بأن جود معن وحاتم لايذكر بجانب كرم هذا الممدوح .

وكر عمرو لايقاس بكر ممدوحهم ، وذكاء إياس لايساوى ذرة من ذكائه . وهم يكررون هذا فى معظم قصائد المدح . فمن ذلك قول ابراهيم مرزوق فى عباس الأول :

ماحلم أحنف ؟ ماسماحة حاتم ؟ ما كر عمرو ؟ ماذكاء إياس ؟

وقال صالح مجدى مادحا سعيدا :

جود معن وحاتم لايضاهى ذرة من شماع جود مديد
كر عمرو بكره لاتقسه هو فى حربه مبيد الأسود
هل يجاريه فى الذكاء إياس وهو فيه إمام كل مجيد

ولم يكتف صالح مجدى بإسناد هذه الصفات إلى سعيد واسماعيل ، بل أسندها إلى كثير ممن مدحهم من الوزراء والأعيان .

وممدوحهم فريد ليس له مثيل . قال على فهمى رفاعه :

راموا مراعاة النظير فلم يروا مثلا له هيهات عز مثيل

وقال أبو النصر :

إلى ملك الدنيا تود انتسابها
لما علمت فى الكون أنك أوحد

وقال الليثى :

من فى المعالى وعين الله تحرسه
فى الكون يحكيه أو من ذا ينازعه

وهكذا جال الشعراء فى دائرة ضيقة محدودة . فدائح كل منهم قصيدة معادة ومدائحهم كلهم صورة مكررة .

* * *

وكانوا لإفلاسهم وضيق خيالهم يأتون بالمعنى القليل فى عدة أبيات . ومثال ذلك ما جاء من قصيدة لمحمد سعيد يهنىء بها الخديو توفيق :

تزهى مصر بالبشرى وتسمو فى العلا قدرا
وللتوفيق توفيق خديويها لها البشرى
بتيه الملك من عجب بشامخ مجده كبرا
تراه حين شرفه تبدى باسما ثغرا
وأصبح وهو منشرح لفرط سروره صدرا
لقطر النيل أفراح تعم بأنسها القطرا
به كل الرعية فى حبور زادهم بشرا
وقاهرة تبسم ثغرها إذ لاح مفترا

فمعنى هذه الأبيات تافه جدا ، ولا يستدعى هذا الاسهاب . فالشاعر يريد أن يقول : إن مصر تهنأ بالخديو الذى اختال به الملك وفرحت بتوليته البلاد وأهلها . وكان فى استطاعته أن يأتى

بهذا المعنى فى لفظ موجز ، ولكن رغبته فى الإطالة مع خلو جعبته من المعانى اضطره إلى هذا الإطناب الذى لافائدة منه . وهكذا كان يفعل شعراء هذا الدور .

***

وإذا رثوا شخصاً بدأوا القصائد بذكر الموت الذى يختار من الناس الجياد ، ويصفى الكرام . وأسهبوا وأطنبوا بما لايخرج عن معنى هذين البيتين :

الناس للموت كخيل الطراد فالسابق السابق منها الجواد
والموت نقاد على كفه جواهر يختار منها الجياد

أو يشيرون إلى كأس المنون التى تدور على البرية فيشرب منها كل إنسان . ويختمون الرثاء بذكر الحور العين وما يلقاه الميت فى الجنة من مظاهر النعيم .

ومثال ذلك قول أحمد عبد الغنى فى رثاء عبد الله فكرى :

فأحله الرحمن أعلى جنـــة
وأحله فيهـــا وقد أعلاه
والحور والولدان قد فرحوا به
واستقبلوه بالسرور وتاهوا

وقول أبى النصر فى رثاء أحد العلمـــاء :

فله البشارة حيث حل بروضة فيحابها للعلم طيب عاطر
والحور فى دار البقا لقدومه فى الانتظار وبشرها متبادر

وقوله فى رثاء طوسون بن سعيد :

فأنعم بروضـة قبرك الفيحا وطب
وأنس بما قدمت من حسـنات
ولسوف تمنح مايسر من الرضا
مابين حـور ثم مقصورات

بشراك فى دار النعيم بمشتهى ماتشتهى من يانع الثمرات
وبك الحدائق تزدهى أنوارها وإليك يهدى عاطر النفحات
وبجنة المأوى تفوز بمـا نشا من فضل ربك واسع الرحمات

فمن هنا تتبين كيف كان الشعراء يشتركون معا فى الوقوع على هذه المعانى . وهذا أكبر دليل على ضيق المجال أمام هؤلاء الشعراء .

***

وإذا وصف أحدهم اختراعا حديثاً ظهر عجزه واضطرابه . ومثال ذلك قصيدة لصالح مجدى فى وصف وابور سعيد مطلعها :

أمدينة من فوق لج المـاء تجرى بأبهج منظر وبهاء
أم هذه إرم بدت وعمادها مسبوكة من فضة بيضاء
أم ذاك وابور المسرة مده صدر البرية أسعد السعداء

فشبه السفينة البخارية بمدينة ، ثم شبهها بإرم ذات العماد وهى مدينة كذلك . ثم هوى من بعد ذلك من شاهق فذكر « وابور المسرة » مع أن الصورة التى يتركها فى الذهن « وابور المسرة » لاتضارع الصورة التى تتركها إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد

وذكر كلمة « بيضاء » بعد « الفضة » لغو لأن لون الفضـة معروف . ثم شبهها بعد ذلك بالفلك . قال :

فكأن هذا الفلك فى تنغايمه
فلك به تسرى نجوم سماء

والذى أوحى إليه بهذا التشبيه هو الجناس بين الكلمتين . والحقيقة أن وجه الشبه معدوم بين السفينة وبين الفلك الذى هو دائرة وهمية تسير فيها النجوم . وذكر « سماء » بعد « نجوم » لغو لاطائل وراءه .

ثم قال :

وكأنه فى النهر عند مسيره برق يقصر عنه طرف الرائى

ثم قال بعد ذلك بأبيات :

فإذا تصدى للسباق فدونه وابور بر طار فى البيـداء

والاضطراب هنا ظاهر . فهذا الوابور إذا سار سيراً عاديا فهو يشبه البرق ، وإذا تصدى للسباق وجرى بأقصى سرعة كان أعظم من وابور البر . فأنت ترى أن الشاعر قد انتقل من صورة

رائعة فى قوله « برق يقصر عنه طرف الرائى » إلى صورة ضعيفة فى قوله « وابور بر طار فى البيداء » .

ويلاحظ أن الشاعر حينما أراد أن يصف وابور البحر وقف أمامه حائرا متسائلا عن حقيقة أمر هذا الشىء الذى يراه . أهو مدينة أم إرم ذات العماد أم وابور المسرة ؟ وهذه الحيرة فى إدراك كنه بعض المخترعات الحديثة قد عبر به كل من تصدى لوصفها . فقال رفاعة من قصيدة فى وصف وابور البحر :

العقل فى الوابور حار   نبغى الجواب فلا يحير

وقال عبد الله نديم فى وصف القطار :

نظر الحكيم صفاته فتحيرا   شكلا كطود بالبخار مسيرا

ثم إنهم خلعوا على « وابور البر » الصفات عينها التى خلعوها على « وابور البحر » . مثال ذلك قول رفاعة فى وابور البحر :

صب وفى الأحشاء نار   شوقا إلى القمر المنير

وقول عبد الله نديم فى وابور البر :

دوما يحن إلى ديار أصوله   بحديد قلب باللهيب تسعرا

وقد يتعرض أحدهم لوصف القطار فيوازن بينه وبين وسائل المواصلات القديمة . ومثال ذلك قول عبد الله فكرى :

ثم امتطينا للسويد ركائبـــا   لا الركض يتعبها ولا التسيار
تسعى على عجـــل إلى غاياتها   كالماء ساعد جريه التيـــار
سرع الخطا لا السوط حل بجلدها   يوما ولا شدت بها أكوار
تذر الرياح إذا جرين وراءها   حسرى طلائع جريهن عثار

يقول الشاعر إنه استقل فى سفره ركائب لا يدركها كدولا إعياء . وهى تجرى مسرعة دون حاجة إلى سوط أو رحال يشد عليها . وفى هذا تعريض بالناقة التى أكثر الشعراء من وصفها فى العصور القديمة .

وكانوا يستوحون من اسم الممدوح بعض المعانى . ومثال ذلك قول أبى النصر يمدح سعيداً .

هم رجال أحرزوا أسعادهم   كيف لا والسعد فى امر السعيد

فالشاعر قد أتى فى هذا البيت باسعاد وسعد وسعيد .

وما فعل ذلك إلا لأن الممدوح يسمى سعيداً . فالجو الذى يشيع من اسم « سعيد » قد أملى على أبى النصر هذا البيت .

وقال السيد أباظة مشيراً إلى الانباء الواردة بقدوم الخديو اسماعيل

وماهى اسماعيـل صبرى لبعدها   ولكنها اسماعيل بالنصر آتيا

فصدر البيت قد صنع خصيصاً ليظفر الشاعر بالجناس بين « أسماعيل » و « اسماعيل » .

وقال عبد الله فكرى فى الخديو توفيق :

نور تلألأ فى جبين موفق   للحق فى توفيقه أسرار

والبيت كله من وحى اسم الممدوح .

وكانوا يستوحون المعانى كذلك من أسماء المدن التى يذكرونها فى شعرهم . ومثال ذلك قول محمد النجار أحمد شعراء العرابيين منددا بمن تعاون مع الانجليز من المصريين .

فى بور سعيد وغيره قد خنتم   وفعلتم للانجليز أمورا

فاستوحى من اسم بور سعيد معنى هذين البيتين .

بور لكم وسعيد طالع وقتنا   ولكم بذا يوم يكون عسيرا
سارى بسعد الفال شعرى ناطقا   ولرب أشعار تكون فجورا

هذا ما يمكن أن يقال عن معانى الشعر فى هذا الدور . ؟

محمد سيد كيلانى

المشكلة اليهودية والعالم

للأستاذ عدنان الكيالى

لعل أعظم الكوارث التى حلت بالعالم العربى منذ مئات السنين هى هذه الكارثة المروعة التى حلت به بانشاء دولة يهودية فى بقعة من صميم كيانه الأساسى فهزته هزا عنيفا وخلفته حائرا مذهولا، ثم ما لبثت الشعوب العربية أن أفاقت على الحقيقة القاسية فكادت تفقد الثقة فى نفسها وفى زعامتها بل وفى المثل العليا التى كانت تترسمها وتحيا فى ظلها . ولعل هذه الحالة النفسية السيئة التى يكاد يتردى فيها الشعب العربى أمر من الكارثة نفسها وانكى ولعلها من الأهداف الرئيسية التى استهدفها اليهود وأعدوا لها عدتهم وساروا بها جنبا إلى جنب مع استعداداتهم المادية المباشرة. على أننا بحمد الله لا نزال من المؤمنين بامكانيات هذه الأمة العظيمة وبطاقاتها الكبرى الكامنة فيها بانتظار زوال هذه المحنة التى تجتازها . ولا شك أن الوجوم الذى قابلت به الأمة هذه النهاية المريرة وما يبدو أنه يتلوه من توثب وتحفز دليل على ما تنطوى عليه من مواهب ومزايا ، ونذير بثورة فكرية شاملة تتناول الاوضاع الراهنة من أساسها ، ولعلها تكون فاتحة عهد جديد فى تاريخ هذه الأمة ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم .

والبحث فى هذه الكارثة يدعو المرء الى تأمل أحوال اليهود وعلاقاتهم بالعالم وسر ما يتمتعون به من نفوذ واسع فى معظم أنحاء الكرة الأرضية لا يتفق مع مظاهر ضعفهم وتشردهم فى أنحاء المعمورة . وإنك لتلاحظ بدهشة مدى ما يستشعره نحوهم البشر على العموم من بغضاء وكراهية لم تستطع أن تحول بينهم وبين النفوذ الواسع والسيطرة الفعلية . ولقد كانت هذه الظاهرة رفيقة لهم فى كافة عصور التاريخ وفى مختلف البلدان والاقطار وفى ظل معظم الأنظمة السياسية، وذلك بفضل ما يملكونه من ثروات واسعة يجمعونها بطرق شتى تمنع سائر البشر من مجاراتهم فيها مثلهم العليا الخلقية والانسانية والدينية . وهنا يجدر بنا أن نتساءل عن سر سكوت العالم بأسره عن بقاء هذه الثروة الهائلة فى أيديهم وخصوصا فى العصور التى لم تكن مصادرة الثروات فيه بالشىء المستهجن العجيب ...

ومن الواضح أن معظم سكان الكرة الأرضية يحملون لليهود أمر شعور البغضاء والكراهية، وينظرون باستنكار واشمئزاز إلى الطرق الملتوية التى يجمعون بها الاموال الطائلة بغير حق ، وهم مع ذلك يسكتون على هذا المكروه صاغرين ، تارة باسم حرية العمل وحيازة المال فى ظل الديموقراطية وتارة لعوامل أخرى سيأتى ذكرها . وبعض هذه الشعوب الديموقرطية ، نفسها لم تتورع عن سوم العبيد فى أمريكا أصناف الخسف والعذاب وحرمانهم أبسط حقوق الانسان، وبعض هذه الشعوب نفسها فرضت أنظمة وقيودا على الهنود والشرقيين فى أفريقيا الجنوبية بحيث جردوا تجريدا تاما من الحقوق الطبيعية الانسانية بله السيطرة والنفوذ . والامر فى الظاهر بسيط التفسير فاليهود فى الامم الديموقراطية كما أسلفنا يتمتعون بموجب نظم تلك البلاد بحرية العمل وحرية حيازة المال ويجمعون ثروات واسعة بما طبعوا عليه من قدرة على جمع الثروة بمختلف الوسائل الشريفة وغير الشريفة ، ويستغلون بالتالى هذه الثروة فى فرض سيطرتهم على الصحافة ووسائل الدعاية وغير ذلك ... وهم فى البلاد الديكتاتورية يتوصلون إلى أغراضهم بجمع المال أيضا بطرق دنيئة خسيسة بحيث يتقربون بهذا المال إلى رجال الحكم والنفوذ، وبالتالى يسخرونهم فى أغراضهم ودسائسهم المختلفة ، ولكن أليس عجيبا أن هذا العالم بانظمته المختلفة كثيرا ما ضاق ذرعا ببعض عناصر البشر ففرض عليهم قيودا جردتهم من أبسط حقوقهم الطبيعية رغم ضعف الاسباب والبواعث التى أدت إلى ذلك وتقاعس هذا العالم نفسه عن فرض مثل هذه القيود على اليهود ؟ أما كان باستطاعة دول العالم بأسرها ، لو شاءت ، أن تحذو حذو هتلر فيما اتخذه من تدابير تؤدى فى النهاية لو بقى له الأمر إلى خنق نفوذهم مهما بذلوا من نشاط .

فلماذا لم يتبع العالم مثل هذه الأساليب نحو اليهود وآثر أن يكبت ما يستشعره من مرارة نحو هؤلاء الطفيليين .

ليس الجواب عن هذه النقطة واضحا ميسورا . ولكن إذا خطر ببالك أن توجه مثل هذا السؤال إلى مسيحى متدين فسيكون

جوابه بلا شك أن هذه هي إرادة الله،أوهذا هو ما أرادته التوراة. والذى يتتبع تاريخ بنى اسرائيل ويلاحظ مدى ارتباط تاريخهم بتاريخ الديانات المختلفة ولاسيما الديانة المسيحية يلاحظ أن الدعاية والتهليل لبنى اسرائيل يسود روحها ونصوصها بشكل عجيب. ويبدو أن اليهود كتدبير معاكس لروح البغضاء والكراهية السائدة ضدهم قد أفلحوا فى بث سمومهم فى مختلف مذاهب وعقائد البشر. والمتتبع لتاريخ اليهود والمحتك بهم يعلم حق العلم أن اليهودى يهودى قبل كل شىء آخر،مهما كانت تبعيته ومهما اعتنق فى الظاهر من مبادىء وعقائد؛ فهو لذلك يتوسل لخدمة بنى قومه بأية وسيلة ، فلا يتورع عن التظاهر باعتناق الديانة الإسلامية إذا اقتضت المصلحة ذلك ، وإذا شعر أن بإمكانه بث أفكار معينة فى تقاليد ذلك الدين من شأنها أن تعود على اليهود بالنفع .

وفى التاريخ الإسلامى كثير من اليهود اعتنقوا الإسلام ويظن بأنهم مسؤولون عن اختلاق كثير من الأحاديث التى يراد بها تفكيك عرى الإسلام من جهة ، وبث روح العطف على اليهود إذا أمكن من جهة أخرى .

أما الماسونية والشيوعية والفوضوية وما شابه ذلك من المذاهب السياسية والاجتماعية الحديثة فلا شك عندى بأن اليهود قد قاموا بدور كبير فى إيجادها ونشرها ، وذلك بقصد نشر الأفكار بين الناس بضرورة التساوى بين البشر فى الحقوق بحيث لا يكون فرق بين يهودى وغير يهودى الخ . . . . يضاف إلى ذلك أنهم ما داموا قد فقدوا وطنهم وتفككت عرى مقوماتهم القومية فلا بأس بأن يفككوا روح القومية الوطنية أينما وجدت . وما داموا عنصرا مضطهداً فلا بأس بأن يبثوا وينشروا أفكارا من شأنها إزالة الفروق العنصرية . وما داموا موتورين لهذا العالم الظالم — حسب رأيهم — فليؤلبوا فيه الرعاع على الطبقات الخاصة وينفسوا بذلك ما يعانونه من الكبت نحو العالم بأسره .

وعلى الجملة فإن الفضل فى سيطرة اليهود وسعة نفوذهم ليس فى الحقيقة راجعا إلى ثرواتهم الواسعة ، لأن هذه الثروات يمكن حصرها ووقفها عند حد ، ولأنه يمكن لأية دولة وضع الأنظمة والأساليب التى تكفل القضاء تجاريا واقتصاديا على فئة من الناس مهما القضاء عليها ، وإنما الخطر كل الخطر هو فى أن العالم لا يستطيع أن يضع مثل هذه الأنظمة التى تؤدى إلى القضاء على اليهود ماليا . ذلك لأنه يتأثر بالعقائد الدينية والأفكار المختلفة التى ينشرها اليهود أنفسهم والتى تحول بين العالم وبين تنفيذ مثل هذه الأنظمة ؛ أى أن الخطر ناشىء مما ينشره اليهود من الأفكار والعقائد التى يسممون بها عقول البشر بحيث أن تكون أشبه بشبكة من الأسلحة الفتاكة تظللهم وتقيهم شر خصومهم،على حين يبقون هم — أى اليهود — على أفكارهم وعقليتهم التاريخية غير متأثرين بالأفكار الجديدة التى خلقوها هم أنفسهم . وإلى أن يتحرر العالم من هذه العقائد والأفكار اليهودية فلن تكتب له النجاة من شرور اليهود ونفوذهم وإذا أفلح اليهود فى بث أفكارهم فى وسط من الأوساط — وإنهم لناجحون فى ذلك فعلا فى معظم أنحاء العالم — أمنوا العدوان عليهم فينصرفون عندئذ بأساليبهم الجهنمية إلى جمع الثروات الواسعة فيدعمون بذلك كيانهم ويثبتونه . ولقد ساعدهم على ذلك كله ما تبرره لهم ديانتهم من اتباع الوسائل الدنيئة فى الحياة .

واليهودية دين عجيب فى العالم ، أو هو الدين الوحيد الذى يعتقد اتباعه بانه خاص بهم ووقف عليهم،وإن الله خلقهم لسيادة هذا البشر وتسخيره فى سبيل أغراضهم ومصالحهم ؛ فهم لذلك لا يرحبون بان يدخل فى دينهم أحد لأنهم لا يحبون أن يشاركهم فى المغانم التى وعدهم الله بها . والمسلم مثلا مهما بلغ به التعصب الدينى يرحب بان يشاركه فى هذه السعادة — حسب اعتقاده — كل البشر لأنه يؤمن بان الدين إنما أنزل لخير البشر أجمعين. وكذلك الحال بالمسيحى فانه لاعتقاده بان المسيحية دين نزل ليسعد ويهدى البشر عامة فهو يتوق إلى اشراك غيره من البشر فى هذه السعادة ما استطاع إلى ذلك سبيلا . ومتى أصبح غير المسيحى مسيحيا فقد أصبحت له نفس الحقوق الأخرى التى يتمتع بها المسيحيون ويسعدون باشراكه فيها . وهذا لعمرى أقل ما ينتظر من دين سماوى محترم . ومن هنا ينشأ خلاف أساسى بين اليهود من جهة وبين سائر البشر — مسلمين ومسيحيين — من جهة أخرى؛ فان بقى البشر جميعا مهما اختلفت مذاهبهم السياسية وغاياتهم الدنيوية لا يستطيعون أن يتجردوا من انسانيتهم تجردا تاما،ولابد لتسكين هذه الحوافز الانسانية من اعتناقهم لمذاهب دينية

تهدف فى النهاية إلى اشتراك العالم بأسره فى السعادة والخلاص . هذا ما يؤمن به المسلم وما يعتقده المسيحى وما يحبه كل البشر بعضهم لبعض عدا اليهود الذين كما أسلفنا يعتقدون فى إله يصطفيهم من دون البشر ويقصر عليهم المغانم والامتيازات ، وهو إذ يبسط عليهم كل هذا النعيم المنتظر يمنعهم بحرمان غيرهم منه .

وبعد فان شعبا يحمل هذه العقيدة وينظر إلى البشر هذه النظرة لايمكن أن ينسجم مع سائر البشر بحال من الأحوال . وانك لتقابل رجالا من المسلمين مغالين فى تعصبهم ولكنهم كلما غالوا فى تمسكهم بشعائر الدين شعرت بتمكن العواطف الانسانية منهم وتمنيهم على الله أن ينتشر الاسلام فيشمل كافة البشر ليظللهم أجمعين بالسعادة والاطمئنان . وهذا هو الحال مع المسيحيين وسائر أهل المذاهب والمعتقدات الدينية ؛ فالمبشر المسيحى المغالى فى عقيدته الدينية إنما يجوب الأرض ويطوف بها رغبة منه فى اسعاد أكبر عدد من البشر وهدايته — من وجهة نظره — فهو من هذه الوجهة انسان كامل الانسانية . وهذا هو عكس الحال مع اليهود تماما ؛ فكلما كان اليهودى أكثر رغبة فى اقصاء غير اليهودى كان أكثر تدينا وأكثر إيمانا بوجوب تسخير بنى البشر لليهود . ويعتقد اليهود انهم كلما أمعنوا فى ذلك كان عملهم ادعى لمرضاة الله عنهم . ولو تصفح القارىء كتابهم المقدس لوجد على ذلك أدلة كثيرة ، فى محاصرتهم لأريحا عند خروجهم من مصر إلى فلسطين يأمرهم الرب بأن لا يبقوا على ولد صغير وامرأة عجوز من أعدائهم بل يذبحونهم جميعا ، فتأمل . . ومن قبل ذلك يأمرهم عند مغادرتهم مصر بأن يسرقوا ما تصل اليه أيديهم من حلى النساء المصريات ، أى أن الله سبحانه وتعالى يحلل لهم أموال ودماء غيرهم من البشر وغير ذلك وذلك كثير . بيد اننى لا أعجب من اعتناق اليهود لمثل هذه العقيدة بقدر ما أعجب من أن كثيرين من غير اليهود وممن يفرض بأنهم مثقفون متنورون يؤمنون بأن الله عز وجل يمكن أن ينزل مثل هذه الأوامر لا لغاية ردعية أو عبرة معقولة وإنما ليمتع شعبه المختار بسفك دماء بنى البشر الآخرين . وكيف بالله يسوغ عقل جواز الجمع بين مثل هذه الروح الشريرة وبين الروح النبيلة السامية التى تتجلى فى دعوة السيد المسيح عليه السلام إلى نشر السلام والوئام والحب بين بنى البشر أجمعين .

ولست أشك لحظة فى أن الدرس اليهودى تناول كل مرافق حياة البشر رغبة منهم فى أن يخففوا من غلواء مقاومة البشر لهم وقد نجحوا فى ذلك نجاحا ملموسا ، فاينما رأيت اضطهادهم يزداد فى بقعة من الأرض رأيت عقائد جديدة تنتشر فى تلك البقعة من شأنها أن تؤدى إلى التخفيف من هذا الشعور نحوهم ؛ ففى روسيا انتشرت المبادىء الشيوعية التى لا تعتبر العنصر أو الدين مقياسا للتمييز بين الناس ، وكأنما جاءت هذه العقيدة علاجا للتخفيف من الشعور المر الذى كان الروس يحملونه لليهود . وفى القرون الوسطى حينما انكشفت للناس أعمال اليهود القذرة من ربا واستغلال واحتكار انتشرت إلى جانب ذلك الروح المسيحية المتدينة بين الفرسان ومختلف طبقات الشعب فى ولا شك أن المتمسكين بشكايات الدين وحرفيته من المسيحيين لا يستطيعون أن يتحرروا من العطف على الشعب الذى تدور كل حوادث التوراة حوله . وكأنما لم يوجد البشر فى هذا العالم إلا ليستمتع ببحث شؤون هذا الشعب المصطفى وتتبع مراحل تقربه من الله أو ابتعاده عنه . وكأنما لا يستطيع الله أن يرسل أنبياء وهادين إلا من هذا الشعب المختار . ولا شك عندى فى أن تقوى أهل القرون الوسطى والهالة التى رونها تحيط بنى اسرائيل فى كتبهم المقدسة هى التى حالت بينهم وبين استئصال شأفة اليهود والقضاء عليهم فى أوربا خلال تلك القرون . فهذه الهالة التى تحيطها كثير من الكتب المقدسة فى العالم باليهود ، وهذه الروح التى تبثها مختلف العقائد السياسية الحديثة من ديموقراطية وشيوعية وفوضوية والتى تشترك جميعها فى عدم اعتبار الدين والعنصر أساسا للتمييز بين البشر ؛ هـــذه العقائد فى نظرى هى المسؤولة الأولى عن الابقاء على اليهود وإحاطتهم بضروب الحمــــاية المختلفة وتركهم يعيثون فى الأرض فسادا برغم ما يعهده العالم بأسره فيهم من منافاة للطبائع والغرائز الانسانية . وإنى أعتقد مخلصا بان العالم لن يصيب الراحة والهدوء ولن يسوده السلم والاستقرار ما دام اليهود عنصراً فعالا فيه ، وما دام بين الناس من لا يزالون ينخدعون بهم وينظرون اليهم نظرتهم لسائر أبناء البشر الآخرين . ولا مفر للبشر من أتباع أحد وجهين لا ثالث لهما لوضع حد لمفاسد اليهود وشرورهم ، فاما

أن ينبذوهم نبذا تاما ويقصوهم عن مراكز العمران فى العالم ويحصروهم فى بقاع نائية حصراً لا مجال لهم معه إلى بث سمومهم فى الناس. وإما أن يصدقوا النية فى تغيير عقلية اليهود ومعتقداتهم بأخذ الأجيال الناشئة منهم وتربيتها تربية بعيدة كل البعد عن معتقدات آبائهم وأجدادهم بحيث يهدون إلى دين جديد كالاسلام أو المسيحية أو الكونفوشيه أو البوذية أو أى عقيدة أخرى يهذبون ويوجهون توجيها جديداً يتفق مع الخلق الكريم والمثل الانسانية العليا لتصبح نفوسهم مثل نفوس سائر البشر. ولن يكون ذلك إلا بتفريقهم مجموعات بين الأمم بحيث ينسون لغتهم وتاريخهم ودينهم ويندمجون اندماجا تاما فى الامم التى يعيشون بينها ابتغاء حياة أسعد وأشرف لهم ولغيرهم من البشر. أما البريطانيون الذين أخذوا على أنفسهم تأسيس دولة لليهود فى فلسطين فانهم إذا لم يسارعوا إلى تدارك الأمر فسيكتوون قريبا بنار ماجنوا ويحرقون معهم أجيالا من البشر وبقاعا من الأرض كانت قبلهم آمنة ومطمئنة البصرة.

عدنان الكيالى

قلبي ...

للاستاذ حسن كامل الصيرفى

أُنفضى عنه نَداهُ   وانشقيه فهو زهره
غسلتها فى سكون السحر المفتون قطره
نفضَ الفجرُ عليها   سحرهُ ، والصبح بِشره
وعلاها فى الضحى النـور فنالت منه سره
وبدت عند الأصيل الأرجوانىّ كخمره
عطف الليلُ إليها   فمضى يفتح صدره
ورأى الشاعرُ فيها   مصدراً يلهم شعره
فاقطفيها إنها قلبى ... فما أروح عطره !

أرهفى السمع اليه   إنه البلبل يشدو
ساهر الليل ولكن   هو لا يضنيه سُهدُ
أو تدرين الذى ينشد ؟ لاندرين بعدُ !
ملأ الجوَّ أغاريد فهذا الجوُّ عبدُ
ينقل الأنغام كالوحى ، أميناً ، فهى عهدُ
لم يضيمه ولكن   سامع الانغام صلدُ
كلهم للنوم عبدا   ن ، ولولا وهام جندُ
فاسمعيه أنت فالبلبل قلبى بات يشدو !

إملئيه فهو كأسٌ   لمستها يد ربى
جمعت فيه الأمانى   خضراً من كل صوب
وهو من صنع يد الأحلام فى ليلة حب
وهو أنقى من رؤى الشاعر فى ساعة قرب
إنتشت منه العذارى   وهو أسطورة غيب
كان مملوءاً ولكن   جف من إدمان شربى
فاملئيه خمرة معصو   رة من كرم حبى
واشربيها فهى روحى   واحفظيه فهو قلبى

أترين الجدول الجا   رى فى عطف الحالم
سكبت فيه الليالى   من أشمات النجوم
أدمعا مازجن أنداء من الفجر الوسيم
كوثر الفردوس أوحا   ه إلى دنيا الهموم
فجرى يبعث فيها   من تهاويل النعيم
راحة الله التى حطت على الكون الأليم
إنهلى منه فما تمدله خمرُ الكروم
إنه قلبى على شطّيه أطيافُ رسومى ...

وإذا مرت بك الأيام تطوى الصفحات
وتلاشت من فم الدنيا   معانى البسمات
وتلاشت إثرها عندك   أحلى الذكريات
برق المطرُ الذى استروحته   من زهراتى
والصدى العذب الذى استقطرته من أغنياتى
وجلالُ النشوة الحلوة من كأس حياتى
وخريرُ الجدول الحا   لم فى هذا السبات
فأعادت لك أحلا   م الليالى الخالدات .

حسن كامل الصيرفى

الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

افتتاح مؤتمر المجمع اللغوى :

احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية يوم الاثنين الماضى بافتتاح دورة المؤتمر السادس عشر ، وقدجرى على أن تكون جلســة الافتتاح حفلا يدعو إليه جمهرة من رجال العلم والأدب ، وقد امتلأ المكان بهؤلاء إلى جانب أعضــاء المجمع من مصريين وأجانب شرقيين وغربيين . افتتح الجلسة معالى رئيس المجمع بكلمة وجيزة رحب فيها بالعضوين الجديدين ، وذكر من توفى من الأعضاء بالثناء والترحم . وبعد ذلك ألقى المراقب الإدارى للمجمع كلمة معالى وزير المعارف التى حيا بها الأعضاء وأشاد بما يبذلون من الجهد فى النهوض باللغة العربية ، ومما جاء فى هذه الكلمة قول معالى الوزير : وقد يطرق مسامعكم حينا بعد حين ، دعوة يصيح بها صائح من وراء الجدران السامقة ، يريد أن يحملكم على شيء من التسامح والرفق فى علاج بعض مشكلات اللغــة ، بتقبل بعض العامية فى معــاجم الفصحى ، أو بمحاولة تفصيح بعض الكلمات الأعجمية ، ولست أشك ـ وأنتم بالمكان الرفيع بين أهل العلم والفن والأدب ـ أنكم حين تستمعون لمثل هذه الدعوة ستضعونها تحت مجهر البحث والتحقيق ، لتلائموا بين حق اللغة فى وجوب حياطتها والمحافظة على سلامتها ، وبين مقتضيات التطور الطبيعى فى التعبير بهذه اللغة عن حاجات الحياة دون أن يكون لذلك أثر فى سلامتها وفى خصائصها ، فأنتم هنا حماة الفصحى وأنتم سدنة معبدها المقدس .

ثم ألقى الدكتور منصور فهمى باشا كاتب سر المجمع ، كلمة أجمل فيها أعمال المجمع فى عام ، وقد قدم لها بمقدمة اعتذر فيها من إملال هذا السرد الذى يتكرر فى كل عام ، فكانت هذه المقدمة بمثابة إنذار .. ولكنه لم يطل فى ذلك بل أسرع إلى التمليق خشية أن يكون ذلك السرد كالرغيف يؤكل بلا أدام ، والشطيرة تؤخذ دون أن تدهن بالزبد ، كما قال . وقد كان الأدام أو الزبد تصويرة لجهود المجمع ببعض التشبيهات التى منها أن هذه الجهود مثل طاقة الكهرباء فى فعلهــا وأثرها مع فارق ملحوظ هو أن الكهرباء تؤثر فى الأطوال البعيدة والأعراض الممتدة فى لحظة يسيرة ويصل تيارها إلى غاياته فى لمح البصر ، أما المجرى الذى يسيل فيه التفكير اللغوى فتتكون مادته من نفوس الناس التى لا تتجانس كما تتجانس الأسلاك الموصلة ، أى أن أعمال المجمع يعوقها اختلاف الناس عن سرعة السريان .. وقد سلك هذا السبيل الطويل لتبرير بطء المجمع فى أعماله ! وقد أدركنا بعد ذلك أن سرد أعمال المجمع لم يكن مملا ..

وألقى الدكتور ابراهيم بيومى مدكور كلمــة عن جهود المجمع فى خمسة عشر عاما ، أى منذ إنشائه إلى الآن ، وقد عرض أهم الموضوعات التى تعرض لها المجمع وما أنجزه من الأعمال . وهو وإن لم يسلك سبيل الخيال الذى سلكه منصور باشا إلا أنه طول الكلام وعرضه فى بعض المسائل الشكلية ، وقد اتفق كلاهما فى دفع مايتهم به المجمع من البطء والتكاسل وضرب المثل بالمجمع الفرنسى فى ذلك .

وألقى معالى السيــد محمد رضا الشبيبى كلمة موضوعها « بعث العربية » تحدث فيها عن عصور التأخر اللغوى ومرحلة النهوض الحديث ، والموضوع وإن كان مطروقا إلا أنه أتى فى ثناياه بما أكسبه بعض الجدة وشيئا من القيمة . وقد قال بعد ماذكر المجامع العلمية واللغوية واهتمام مجمع فؤاد الأول بتأليف المعاجم — قال : يجب أن نرى بين معجمنا الحديث المنشود وبين معجماتنا القديمة اختلافا بينا فى المادة والجوهر ، وفى كيفية التكوين والتأليف ، فإن معجما يوضع لسد حاجة هذا الجيل وما يليه من أجيال لهو غير المعجمات القديمة ، بل نحن نذهب أيضــاً إلى أبعد من ذلك فنقول إن معجمنا الحديث يجب أن يختلف أيضا عن هذه المعجمات الحديثة التى وضعها المعاصرون فى مصر ولبنان والشــام . نريد معجما يوضع على غرار أحدث المعجمات اللغوية المصنفة فى اللغات الأوربية الحديثة من حيث الدقة والإتقان والاستيعاب . نريد معجما يعنى واضعوه بتاريخ الكلمة وكيف تحولت مدلولاتها بتحول العصور على أن تكون عنايتهم معززة بالشواهد والنصوص المقتبســة من آداب لغتنا العربية فى مختلف عصورها ، على النحو المتبع فى المعجم الإنجليزى المعروف بمعجم أكسفورد .

وكانت الكلمة الأخيرة للأستاذ ماسنيون وكان موضوعها « خواطر مستشرق فى التضمين » وقدصاغها على طريقته المعروفة فى التعبير الرمزى، ومما استطعت أن أعيه من عبارات هذه الكلمة قوله : التضمين هو نوع من نبض الفكر لاستخلاص الجوهر من الأصول اللغوية الثلاثية المثبتة فى المعجمات ، وإن من فضل اللغات السامية ، وبخاصة اللغة العربية ، تمدد المعانى واكتنازها فى أصل لغوى واحد، واجتهاد الكاتب أن يتعمق فى هذه المعانى لإحكامها وإخضاعها لأقدم معنى يصل إليه . وهذا نوع من الهجرة العقلية فى خلوات التأمل . ومن عباراته أيضاً أن المستشرقين المحدثين يشبهون وجوب الاصطلاح فى اللغة بالاغتراب فى الزواج لأنه لافائدة من استعمال حجاب الكلمات مع ذوى الأرحام .

قال لى صاحبى ونحن نستمع إلى الأستاذ ماسينيون : يظاهر أن مذهب « السر بالرمز » قد وصل إلى اللغة !

فلم الاسبوع

هو فلم « بنت العمدة » الذى عرض فى الأسابيع الأخيرة بسينما الكورسال ، وهو من تأليف وإخراج عباس كامل ، وتمثيل هاجر حمدى وكمال الشناوى وهدى شمس الدين وآخرين . وتتلخص القصة فى أن الدكتور عادل (كمال الشناوى) شاب تخرج حديثا فى كلية الطب ويعمل فى عيادته الخاصة مكبا على عمله ؛ يأوى إلى زوجته القروية (هاجر حمدى) وهى ابنة عمه العمدة ، وتبدو هذه الزوجة منهمكة فى أعمال البيت من طبخ وكنس وغسل وغيرها منصرفة بذلك عن العناية بنظافتها وزينتها حتى لايكاد زوجها يشم منها غير رائحة الثوم والبصل تقتحم عليه العيادة الرقاصة لولا (هدى شمس الدين) لعلاج خدش فى ركبتها فتغريه بهـا حتى يندفع معها إلى آخر الشوط . ويهمل زوجته بل يضيق بها ويعمل على إبعادها إلى القرية مرارا ليخلو له الجو . وأخيراً تكشف الزوجة الأمر ، وعندما ترى الرقاصة توشك أن تستلب منها زوجها تهرع إليها وتهددها وتحملها على أن تتفق معها على حيلة تقومان بها . تظهر عزيزة راقصة فى المرقص الذى تعمل به لولا ، ويراها زوجها الدكتور عادل فيفتتن بها وهو لايعرفها ، وتصل بينهما لولا فيتيمها هواه ، وتمعن هى فى الإغراء والدلال حتى تطلب إليه أن يتزوجها ويطلق زوجته ثم يتبين له أنها هى زوجته ، فيعتذر إليها ويستأنفان حياتهما سعيدين .

تشكول الاسبوع

□ كان معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية قد أو قد بعثة إلى تركيا لتصوير أنفس المخطوطات العربية المحفوظة هناك . وقد صورت البعثة مجموعة من هذه المخطوطات تبلغ نحو ٢٥٠٠ كتاب وجاءت بها إلى مصر، وهى الآن فى الإدارة الثقافية بالجامعة العربية معروضة لمن يريد الاطلاع عليها أو أخذ صور منها. ولهذه المجموعة قيمة خاصة ، فأكثرها من المخطوطات التى تكشف لأول مرة وبعضها مما كانت تتحدث عنه الكتب دون أن يعرف له مكان .

□ بدأت الإدارة الثقافية تتسلم بعض الكتب المترجمة التى كانت قد عهدت بترجمتها إلى المختصين ، فتسلمت الجزأين الأول والثانى من كتاب قصة الحضارة لدورانت ، وكتاب تطور الزراعة فى الشرق الأوسط لكين ، وكتاب الأنساب لزان باور ، وكتاب حقوق الإنسان لألبير بابيه ، وكتاب العمارة الإسلامية لكريزويل ، وعهدت إلى هيئات النشر بطبع تلك الكتب باسم الجامعة العربية .

□ صدر العدد الأول من مجلة « رسالة الباكستان » حافلا بالمقالات الاجتماعية والثقافية إلى جانب الأنباء المختلفة ، وفى صدره كلمة للدكتور حسين الهمدانى قال فيها إن هذه المجلة تصدر لتقف إلى جانب شقيقاتها العربية فى المساهمة فى التقريب بين مصر والباكستان وبين الباكستان وعموم البلاد العربية والإسلامية .

□ كانت إدارة الصحافة والدعاية بوزارة الخارجية قد اتفقت مع إدارة « أوبرامتروبوليتان » بنيويورك على إذاعة ١٨ أوبرا فى مصر بوساطة محطة الإذاعة المصرية . وقد ظهر أن إدارة الصحافة تسرعت فى ذلك دون أن تعرف أذلك ممكن من الناحية الفنية الإذاعية أم لا ، وهل هو مفيد لمصر والدعاية لها أولا

□ رأت وزارة الشؤون الاجتماعية أن الفرقة المصرية للتمثيل لم تؤد رسالتها المنشودة للنهوض بالمسرح ، ووضعها الراهن لايبعث الأمل فى ذلك ، وخاصة أنها غير مختصة بنوع من التمثيل فهى تمثل كل أنواع المسرحيات ، ولأنها لاتشعر بالمنافسة التى تدفع إلى النشاط ؛ فاتجه الرأى إلى مايلى :

(١) تكوين فرقة نموذجية تضم خريجى معهد التمثيل تحت إشراف الأستاذ زكى طليمات ، وتقدم هذه الفرقة مسرحيات من الأدب الفصيح السهل .

(٢) إنشاء شعبة للتمثيل الغنائى يشرف عليها الأستاذ محمد عبـــد الوهاب .

(٣) تستمر الفرقة المصرية الحالية بإشراف يوسف وهبى بك إداريا وفنيا .

وتشرف اللجنة العليا للتمثيل على الفرق الثلاث ، وتزاد الإعانة السنوية لها إلى ٥٠ ألف جنيه .

□ لوحظ أن يوسف بك وهبى يقلد شكوكو بترديد بعض كلماته المشهورة مثل « ياخرابى ! » وذلك فى مسرحية بيت الطاعة وفلم يبوى افندى . فهل ذلك إعجاب بشكوكو أو منافسة له ..؟

والفلم من أفلام هذا الموسم التي توالى ظهورها أخيرا جاعلة همها اجتذاب الجمهور بعرض الرقص والفكاهة والغناء ، إلا أن به موضوعا هو تصوير الزوجات اللائي لايمنين عظهرهن أمام أزواجهن الذين يضطرون إلى التماس المتعة فى الخارج . ولكن الموضوع لم يوجه توجيهاً حسناً ولم يعالج على نحو طبيعي ، وقد سيقت الحوادث كما أرادها المؤلف المخرج رغم طبيعتها ، فقد جعل الأبطال يتصرفون وفق رغبته فى حبك القصة ، لا كما تقضى طبائع الأمور؛ فهذه الزوجة القروية الساذجة التي يتبرم بها زوجها ويمعن فى احتقارها فلا تدرك تغيره ولا تشعر أن شيئا غير عادى وقع له حتى تفاجئها الحقيقة سافرة — هذه الزوجة نراها قد انقلبت بقدرة المؤلف المخرج رقاصة من طراز غربى مرة واحدة ! وامتدت هذه القدرة كذلك إلى خادمها الفلاح عبد الموجود (عبد الغنى السيد) الذى أحضرته من القرية ، فجعلته شابا (مودرن) يغنى لها وهى ترقص ! وعلى أى أساس اتفقت لولا وعزيزة على تلك الحيلة ؟ وكيف رضيت الأولى وهى التى تعمل على استخلاص الزوج لنفسها ؟ لأن عزيزة هددتها بالمسدس ! كان يكفى أن تتخلى الرقاصة عن الزوج إزاء تهديد الزوجة ، ولكن قدرة المؤلف المخرج فوق الطبيعة ، فقد أبت إلا أن تجعلها تدبر لها لتعيد إليها زوجها . . ولم يتعذر على المخرج أن يجعل الزوج لايعرف زوجته وهى فى دور الراقصة ؛ فحسبه أن يضع على عينيها عصابة سوداء تشبه النظارة ، وتتسرب القدرة الفائقة إلى عقل الزوج فتجعله — وهو الذكى المثقف — تخفى عليه شخصية زوجته لأنها لبست حلة الرقص ووضعت على عينيها منظاراً أسود !

وقد رأينا الدكتور عادل يقع سريعا فى حب لولا الرقاصة مع أنه ظهر فى المبدأ مستقيما مجدا فى عمله ، دون أن يتنبه ضميره فيتردد ولو قليلا فيكون هناك شىء من الصراع النفسى ، ولكن الجهد منصرف بسرعة الى مواقف الرقص فليس هناك وقت لمثل هذا التحليل .

وكان ظاهراً أن الغاية من مناظر القرويين الإضحاك بالمفارقات بين أوضاع المدينة والقرية ، وما فى ذلك بأس على أن يكون فى حدود المعقول ، ومن المقبول فى ذلك منظر العريس وبيده كرنبة يأكل أوراقها ويقشر رأسها فى حفلة الزفاف ؛ ولكن هناك مناظر بولغ فيها إلى درجة غير مقبولة ، مثل منظر عزيزة بنت العمدة وزوجة الدكتور تهبط من سيارة عامة فيحملها أحد الفلاحين ويركبها حمارا ثم يبلغ بها الحمار إلى حيث اصطف لاستقبالها تلاميذ المدرسة الإلزامية بقيادة الناظر فى شكل مزر ، ولست أدرى أين يقع مثل هذا ! ومما لايقع أيضا أن ترقص بنت العمدة شبه عارية أمام الرجال فى عرس قريبها إلا أن تكون هاجر حمدى ويكون هناك مخرج يحرص على تهيئة مواقف ترقص فيها ... وقد تكررت هذه التهيئة فى غير موضعها . وقد أفسد هذا الاتجاه إلى الاستعراض كثيرا من المواقف وأدى إلى الاضطراب والتناقض فى تصوير شخصية عزيزة ، فإنا لم ندر أهى فتاة قروية ساذجة أم هى هاجر حمدى (الأرتست) الرقاصة . . فقد كانت تنقلب من الأولى إلى الثانية بدافع الرغبة الشديدة فى « الاستعراض » دون التفات إلى ماينبغى من مراعاة المنطق الطبيعى لتسلسل الحوادث . وكان التمثيل لابأس به على العموم ، فكانت هاجر حمدى موفقة فى تصوير شخصية الفتاة القروية ، غير أنها كانت فى موقف تتكلم بلهجة قاهرية وفى آخر تنطق بلغة قروية دون داع إلى هذا الاختلاف . أما هدى شمس الدين فهى فتاة جميلة ولكن تمثيلها قليل الحظ من الحيوية والتعبير ، وكذلك كمال الشناوى . وقد مثل عبد الغنى السيد شخصية الخادم الفلاح عبد الموجود فأحسن كما أحسن فى الغناء الريفى ، ولكنه عاد فى الرقص إلى غنائه العادى الذى تسمعنا إياه محطة الإذاعة ومن الشخصيات الفكاهية الظريفة محمد كامل فى دور المرض وعبد الحميد زكى فى دور العمدة .

عباس خضر



القصيدة الأسدية

اطلع زميلنا الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربى على قصيدة صديقه الأمير شكيب المنشورة فى العدد ٨٥٨ والتى قالها عقب شفائه من مرض ثقيل فأنشدنا قصيدة له فى معنى قصيدة الأمير قالها فى شهر اكتوبر الماضى وقد أصيب بخراج خطر قيل إنه المسمى بكف الأسد (شيربنجه) فعولج بالبنسلين وشفى . وقد أطرف بهذه القصيدة رفاقه (الشيوخ) بدمشق وأنشدها فى ندوتهم مداعباً مفاكهاً وهاهى ذى :

كفكفت كفك ياأسد   ياأيها الخصم الألد
بالله ثم البنسلين   وقل هـو الله أحد
وأويت من ربى ورحمته   الى ركن أشد
أنشبت ظفرك فى لا   ترثى لبنت أو ولد
أو صاحب يرجو لى الإ   بلال من سقم الجسد
ونسيت فى الآجال ما   حكم الإله وما وعد
هـذا يعجل حتفه   وحياة ذا أنسا ومد[1]
أرسلت طير الشؤم منـ   ـقضاً لحام وما ورد
وسللت سيف البغى منسلطاً
لخاك وما عضد[2]
ورميت سهمك خلسة   فأصاب درعاً من زرد
إن كنت ترصد موتتى   فالبنسلين لك الرصد
أو إن أردت مساءتى   فالله ربى لم يرد
وأراك مغرى بالشيو   خ تسومهم برح الكمد
متهدداً متوعداً   لا بالصداع ولا الرمد
بل بالتصلب والحصا   والضغط أو ريح السدد[3]
والفلج والرثيات[4] أو   مرض المثانة[5] والدرد
والكل سهل هين   فى جنب تخليط الفند[6]
هى علة فى الرأس لكن   ذكرها عم البلد
هى علة فى الفكر تحـ   ـكى الكفر بالله الصمد
هى علة قد رد صا   حبهـا إلى عمر نكد
من بعد علم لم يعد   يدرى ولا سرد العدد
هى علة أيعيش صا   حبها بجد أم بدد[7]
عدوه فى الأحيا وفى   الأموات أجدر أن يعد
فاعجب له يمشى على الأ   رضين هامـاً قد لحد[8]
يارب تلك شكيتى   فاغفر ووفق للرشد

عبد القادر المغربى

(١) أنسا : أخر (٢) عضد : قطع (٣) ريح السدد : هو المسمى بعقد المصارين أو تلبك الأمعاء (٤) الرثيات : هى أنواع الروماتيزم (٥) مرض المثانة : هو البروستات (٦) (الفند) : الخرف (٧) بدد اللهو واللعب (٨) الهام : المعدود فى الأموات

الى الاستاذ كامل محمود حبيب :

حضرة الأستاذ الأديب العربى الألمعى ؛ أحمد الله اليك والسلام عليكم ورحمة الله . وبعد فانى أعلم أنك كنت صديقا لامام الأدب وحجة اللغة عبقريُّنا الرافعى - لهذا أرى أن للعربية حقا عليك تؤديه بعمل تنشر به للرافعى ذكرا جديدا وتلفت إلى أدبه (الباعث لأمة) وأقترح أن يكون هذا العمل كما يأتى .

أولا — جمع ما أثنى به الكتاب والعظماء على الرافعى وهو شىء كثير يؤلف مجلدا ضخما أو أكثر وما رأيت أحدا أثنى عليه بمثله وفيه أبلغ القول وأجله .

ثانيا — جمع كل ما عرف له من شعر ونثر والمبالغة فى هذا الجمع حتى لا يفلت مما أثر عنه شىء .

ثالثا — السعى لانشاء كرسى لأدبه فى الجامعة فما هو بأقل من شوقى، ولا منزلته بأقل من منزلته ، بل له ميزة لم يشاركه فيها أحد وهى إلزامه نفسه بألا يكتب — وما ادراك ما كتابته — إلا فى مثل الشرق والانسانية العليا .

وأما بعد فان الجو العقلى والوجدانى قد تهيأ لأدب هـذا العبقرى والمسئولية اليوم على عارفى أدبه فان أفلتوا الفرصة وأضاعوا (شمس الأدب) فان للتاريخ لعتابا ولوما . أما أملى فيك أيها الألمعى فهو أبلغ من الرجاء لأنى أدعوك إلى ما تحب بل إلى ما تجاهد فى سبيله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمود الطاهر الصافى
برمل الاسكندرية



نهضة العراق الأدبية
القرن التاسع عشر

للأستاذ ابراهيم الوائلى

(تتمة مانشر فى العدد الماضى)

لندع هـذا ونتحدث عن أعجابنا بموقف الدكتورمن الرثاء عند السيدحيدر ولا سيما فى رثائه لآل البيت وبخاصة الأمام الحسين ، فقدوفى الدراسة هنا عمقا وتحليلا وتحدث عن العوامل النفسية والثقافية التى هيأت للشاعر هذا الجو الفسيح و كونت منه شاعراً متين التعبير قوى العاطفة مشبوب الأحساس يستطيع أن يحلق بجناحين من صدق الشعور والأداء مع الشريف الرضى ومهيار الديلمى . وأهم هذه العوامل كونه علوى النسب يتصـل بالأمام الحسين ، وكونه نشأيتيما فقيراً ، ثم ثقافته التى تلقاها فى مدينة الحلة تحت رعاية عمه السيد مهدى الشاعر المعروف وتردد على أندية بغداد والنجف حتى ذاعت شهرته فى العراق بمـا وهب من قلبه للألم والحسرة ، ومن لسانه للتعبير الصادق ، فترك سبعا

وعشرين قصيدة معظمها فى مأساة الحسين وكلها من وحى الألم الدفين واللوعة المكبوتة . ومن هذه الروائع قوله فى قصيدة يرثى بها الامام الحسين ويبدؤها بالفخر والتحسر :

إن لم أقف حيث جيش الموت يزدحم
فلا مشت بى فى طرق العلا قـــدم

لا بد أن أتداوى بالقنــا فلقــد
صبرت حتى فؤادى كله ألم

عندى من العزم سر لا أبوح به
حتى تبوح به الهندية الخـــذم

لا أرضعت لى العلا ابنا صفو درتها
إن هكذا ظل رمحى وهو منفطم

والقصيدة طويلة فيها من الملاحم تصوير البطولة فى أعنف داوارها ، ومن المآسى نهاية هذه البطولة إلى القتل الشنيع ، ذلك هو موقف الحسين كيف بدأ وكيف انتهى . وكل قصائد السيد حيدر فى فاجعة كربلاء لاتقل أهمية عن هذه القصيدة من حيث التصوير والعاطفة .

وكنت أود من الدكتور أن يضع السيد حيدراً فى مصاف شعراء المآسى أمثال « إشيل » و « اسفوكل » و « اوروبيد » قبل أن ينتظر منه آلام « فرتر » وتأملات « لامارتين » فان المآسى توجد فى كل زمان ومكان . وقد وجد السيد حيدر مأساة حقيقية علت دماؤها بالفرات وامتد شفقها الأحمر إلى ماوراء ذلك فأطلق لهـا لسان الشعر يصبغه بمشاهدها الحزينة وألوانها الحمر ويسبغ عليها من القصة حبك الأسلوب وربط الحوادث وروعة التصوير . ولاتزال — تحتل المكانة الأولى من قصائد السيد حيدر — وستبقى فى مواكب عاشوراء فى العراق وغير العراق .

وتحدث الدكتور عن الشيخ صالح التميمي وسماه « أبا تمام الصغير » لأن المترجم له كان مولعا بشعر الطائي معجبا به مقتفيا أثره في البديع والتلوين اللفظي وان لم يدرك شأوه . ولو لم التميمي بالطائي رثاه بقصيدة على ما بينهما من بعد في الزمن . ودراسة الدكتور لهذا الشاعر لاتعدو ترجمة حياته العلمية والمادية مع شيء من المقارنة بينه وبين أبي تمام . ولكنها على كل حال دراسة قيمة ذات شأن في تاريخ هذا الشاعر .

وممن تحدث عنهم الدكتور البصير شاعر أثير في نسبه ومكانته السياسية والأدبية وهذا الشاعر هو عبد الباقي العمري الموصلي ، في نسبه يتصل بالخليفة عمر بن الخطاب ، وفي مكانته السياسية كان نائبا لوالي الموصل فنائبا لوالي بغداد وهو منصب له خطره وشأنه في ذلك الوقت ، وفي مكانته الأدبية كان شاعراً من الطبقة الممتازة في عصره . وكان لشعره صدى عظيم في مدن العراق وقد ساجله وقرظ شعره طائفة كبيرة من شعراء عصره منهم السيد حيدر والأخرس ، وأنتج غير مؤلفاته الأخر ديوانين من الشعر احدهما « الترياق الفاروقي في منشآت الفاروقي » وقد طبع في مصر ، ويشمل هذا الديوان قصائده السياسية والاجتماعية وما قاله في المدح وفي مطارحاته مع الشعراء ، ومن ابدع النماذج التي اختارها الدكتور من هذا الديوان قول الفاروقي في وصف التلغراف .

ذو نقرات تسمع الصم الدعا ... وكم بها من عبرة لمن وعى

نهاية الإيجاز في تقريره ... وغاية الإعجاز في تعبيره

مسافة العام مع العامين ... يقطعها كطرفة في العين

في لحظة من مركز الخلافة ... يسرى فينتهي إلى الرصافة

وسيره في سائر الأقطار ... ألطف من طيف الخيال السارى

إن الذى أبدعه تخييلا ... « مستوجب ثنائي الجيلا »

أما ديوانه الثاني فهو « الباقيات الصالحات » ويشتمل على مدائحه في النبي الكريم والإمام علي وأولاده من الأئمة الاثنى عشر ، والذي يجب أن يقال : أن العمري لم يكن شيعي المذهب ولكنه يظهر في ديوانه هذا صاحب فكرة واضحة فهو يحمل إلى جانب إحساسه الديني شعوراً سياسياً يتجلى كل منهما في حملته الشعواء على بني أمية لحلمهم الخلافة ورائية بعد أن كانت انتخابية ، ويتعرض لمصرع الحسين في كربلاء بأكثر من قصيدة ويحكم بكفر يزيد بن معاوية ، ومما قاله في بني أمية :

واحربا يا آل حرب منكم ... يا آل حرب منكم واحربا

لكم وفيكم وعليكم وبكم ... مالو شرحناه فضحنا الكتبا

ومن أشهر مدائحه في النبي (ص) قصيدته التي يقول فيها :

تخيرك الله من آدم ... ولولاك آدم لم يخلق

كما أن له في الإمام علي قصائد مشهورة منها التي يقول في أولها :

أنت العلي الذى فوق السما رفعا ... ببطن مكة وسط البيت إذ وضعا

وقد شرحها أبو الثناء الألوسي . ومن هذه القصائد قصيدة مشهورة يصف فيها رحلته النهرية إلى الكوفة وهو قاصد زيارة الإمام علي ففيها إلى جانب المدح وصف رائع للسفينة التي أقلته إلى الكوفة :

بنا من بنات الماء للكوفة الغرا

سبوح سرت ليلا فسبحان من أسرى

غد جناحا من قوادمه الصبا

تروم بأكناف الغرى لها وكرا

والغرى اسم من أسماء النجف ، وكان المنتظر أن لا يغفل الدكتور هذه القصيدة من بين ما اختاره للشاعر فهي من روائع الشعر . ومن أبياته المشهورة في رثاء الحسين قوله يخاطب نهر الفرات :

بعداً لشطك يافرات فمر لا ... تحلو فانك لاهني ولامرى

أيسوغ لي منك الورود وعنك قد ... صدر الإمام سليل ساقي الكوثر

ومن طريف ما يذكر عن وفاته لأصحابه بيتان كتبهما على ديوان الشيخ صالح التميمي الذى سبقت الإشارة إليه وهما :

نعم ، رب هذا الشعر قد كان صاحبي

بلاغتي في فنه وأئمته

وقفت على ديوانه بعد بعده

« وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه »

وتحدث الدكتور عن عبد الغفار الأخرس فتناول شـعره وحياته خير تناول وسايره فى كل المواضـيع التى نظم فيها ماعدا ناحية واحدة لا أدرى لماذا أغفلها الدكتور وهى ناحية الألم والحزن والتبرم بالحياة؛ فالأخرس إلى جانب مجونه ولهوه وما يصوره شعره من هذا المجون واللهو كان يضيق بدنياه فى كثير من اللحظات ولاسيما ان حياته المادية كانت ضنينة النبع — فيتألم ويصف أله، وفى ديوانه ما يكفى لتسجيل هذه الظاهرة وقد أتناول هذه الناحية عند الأخرس فى فرصة أخرى .

وفى الـكتابة عدا هؤلاء دراسات وافيـة عن السيد جعفر الحلى والسيد إبراهيم الطباطبائى استاذ الشيخ محسن الـكاظمى دفين مصر . وعن الشيخ محمد — أو الشيخ حمادى — نوح والشيخ محسن الخضرى النجفى، والشاعر العاشق الشهير الشيخ عباس النجفى صاحب القصيدة النونية التى أشرنا إليها فى معرض الحديث عن الحبوبى .

كما تحدث بإفاضـة واستيعاب عن العالم الشهير السيد محمود الألوسى الحسينى صاحب المؤلفات الـكثيرة ومنها تفسيره الشائع فى مصر والبلاد العربية المسمى (روح المعـانى) . وعن الشيخ جعفر الشرقى النجفى والد الشاعر الـكبير الشيخ على الشرقى عضو مجلس الشيوخ ووزير الدولة ببغداد. ودراسات أخرى لشعراء وعلماء آخرين . وفى خاتمة الـكتاب استطراد لهؤلاء الشعراء واستعراض لقيمة هـذه النهضة الأدبية فى العراق ومقدار ماتتسم به من مكانة بالنسبة للقرون الهجرية الأولى . ثم مقارنة بين مركز العراق الأدبى فى القرن التاسـع عشر وبين مركز الآداب فى البلاد العربية الأخرى ؛ وهنـا يصرح الدكتور بأن مركز العراق الأدبى فى هذا القرن يبذ البلاد العربية جميعا سوى مصر التى أنجبت البارودى وإن يكن فى العراق ثلاثة من أمثاله آنذاك .

وفى الـكتاب ملحق تضمن دراسة شاعرين ممن تحدث عنهم فى محطة الشرق الأدنى أولهما السيد عبـد المطلب وهو ابن أخ السيد حيدر الحلى السـالف الذكر ، والثانى أبو المحاسن الشاعر الـكربلائى ووزير المعارف فى وزارة جعفر باشا العسـكرى سنة ١٩٢٣ وقد توفى بعدها بقليـل . وكان الأنسب ألا يقحم هذا الشاعر الأخير مع هؤلاء الذين تقدموا لا من الناحية الشعرية بل من الناحية الزمنية .

والذى يجب أن نختم به كلمتنا عن هذا الـكتاب الذى استصفاه الدكتور البصير من ينابيع متعددة فأجراه فى جدول فياض رقيق الحواشى هو القيمة التاريخية بله القيمة الأدبية والفنية . فان هذا الـكتاب قد جمع اشتاتا من صفحات الأدب كانت متفرقة هنـا وهناك ، وظلالاً من الشعر كانت متباعدة تجهد الرائد والتتبع . وأكثر من هذا الذى قلناه أن الـكتاب لايستغنى عنه من يريد أن يؤرخ للأدب العربى الحديث تأريخا صحيحاً شاملا . فللدكتور البصير شكرنا الجزيل على ما أسداه المـكتبة العربية وللأدباء والباحثين فى هذا الـكتاب وفى غيره من مؤلفاته الأخر .

ابراهيم الوائلى

فهرس الموضوعات للسنة السابعة عشرة من الرسالة